

زهرا الاطاب

وتمر الالباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، القيرواني، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد محي الدين عبد الحميد

الجزء الأول

دار الجيل

للشؤون والنشر والطباعة

بيروت - لبنان

ص. ب. ٨٧٤٧

الطبعة الرابعة

زَهْرُ الْأَطْبَاقِ

مقدمة الناشر

احياء التراث العربي، بتحقيقه تحقيقاً علمياً دقيقاً وضبطه وشرح ما غمض من معانيه ومراجعة نصوصه الأصلية؛ مهمة جليلة ومسؤولية بالغة تصدى لها العديد من أكفأ وأخلص رجالات الأدب في عصرنا الحاضر، وفي طليعتهم الدكتور زكي مبارك .

.. إن تحقيق هذه الروائع الأدبية وشرحها رسالة سامية ... وكذلك نشرها وتقديمها إلى القارئ العربي بالصورة اللائقة؛ رسالة يتصدى لملها الناشر الواعي لأهمية تراثنا العربي المقدّر لقيمته، الحريص على إغناء الثقافة العربية، والباذل لكل جهد مهما عظم في سبيل تقديم روائع القديم في أبهى وأحدث حلة تبويهاً وإخراجاً وطباعة .

بين روائع التراث العربي يتألق كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » كالدرة النادرة ، وقد زاد من قيمته جهد لا يقارن به جهد بذله الأديب العملاق، الدكتور زكي مبارك في تحقيقه وضبطه وشرح نصوصه .

كتاب « جمع كل غريبة » . بل خزانة من خزائن الأدب العربي عامرة بأخبار الأدب والأدباء ، حافلة بألوان البلاغة والشعر والانشاء وبكل ما يصور بصدق العصر الذي عاش فيه مؤلفه أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني في القرن الخامس الهجري ، ويبين بوضوح العادات الاجتماعية التي كانت محمودة في عصره ؛ حتى أن دارس الآداب المهتم بذلك العصر ليكتفي بدراسة هذا الكتاب كمرجع رئيسي شامل .

لذلك العصر من حياة الأدب طابع خاص ، أظهر سماته إجادة الوصف ؛ وصف ما تقع عليه العين من مرئيات أو ما يجري في الخاطر من أفكار ، بل ووصف أهواء النفس ونزعاتها الوجدانية ، وصفاً مفصلاً مقصوداً ، حتى أصبح العصر غنياً إلى درجة مميزة بالتعابير الرائعة الناضجة في معظم أبواب الوصف . . يرافقها تنظيم كامل للأفكار ، مما يعود للقارئ تذوق الأسلوب البديع ويحبب اليه النثر الجيد وأصوله الفنية .

اننا إذا قسنا أعمال أدباء ذلك للعصر بالمقاييس العصرية لانطبّق عليها مفهوم النظرية الحديثة « الفن للفن » . . فقد عرفوا اللغة معرفة جيدة حتى وقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ، فجمعوا شتاتها لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم في نتاج منسّق متكامل .

وان دار الجيل التي تعتر بما قدمت من كتب التراث . . كتاب « العمدة » لابن رشيق تحقيق الأستاذ محيي الدين عبد الحميد ، ليزيدها اعتزازاً أن تقدم تباعاً مجموعة أعمال الدكتور زكي مبارك : النثر الفني ، الموازنة بين الشعراء ، التصوف الاسلامي ، المدائح النبوية ، الاخلاق عند الغزالي . . ودرّة هذه الأعمال هذا الكتاب الذي تقدمه الدار اليوم : زهر الآداب . . إنه دائرة معارف أدبية ، لا غنى للقارئ الأديب الباحث عن المعرفة والمتطلع الى التزديد من بحور الفنون الأدبية ، عن اقتنائه .

والله الموفق

دار الجيل

مقدمة الطبعة الأولى

الحُصْرَى القِيروَانِي ، أبو الحسن الحُصْرَى ، طَرَف من أخباره ، حياته الأدبية ، داليتة ودالية شوق ، أبو إسحاق الحُصْرَى : شعره ونثره ، طريقته في التأليف ، التعريف بزهر الآداب ، إغفال المجون ، تهذيب كتب المتقدمين ، رأى الدكتور طه حسين ، تهذيب زهر الآداب ، تفصيله وضبطه وشرحه ، قيمته الأدبية .

الحصري ، القيرواني

الحصري — بضم الحاء المهملة ، وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة — نسبة إلى الحُصْرِ أو بيعها ، كما ذكر ابن خلكان — والقيرواني : نسبة إلى مدينة القيروان .

ويعرفُ تاريخُ الآداب رجلين بهذا الاسم ، أولهما :

أبو الحسن الحصري

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد الغنى ، الفُهرِي ، المقرئ ، الضريّر ، القيرواني ، وقد كان — كما ذكر ابن بَسَامٍ في الذخيرة — بَحْرَ بَرَاة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة .

طراً على الأندلس — كما قال ابن بَسَامٍ أيضاً — في منتصف المائة الخامسة من الهجرة ، بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدبُ بأفق الأندلس يومئذٍ نافقُ السّوق ، معمور الطريق ، فتهاداه ملوكُ الطوائف تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأنس المقيم .

ولكنه ، فيما نُقِل ، لم يطمئن هناك ، فاحتمل على مُضَضَّ بَيْنَ زمانه ،

وَبُعْدِ قَطْرِهِ ، ثُمَّ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مَدِينَةُ طَنْجَةَ بَعْدَ خَلْعِ مَاوِكَ الطَّوَائِفِ ، وَتُوُفِّيَ بِهَا
سَنَةَ ٤٨٨ هَجْرِيَّةً .

طرف من أخباره

ذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَقِيمًا بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ أَرْسَلَ غَلَامَهُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ
صَاحِبِ إِشِيلِيَّةٍ ، وَاسْمَا فِي بِلَادِهِمْ حِمَصٌ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ لَمْ
يَخْفُلْ بِهِ ، فَقَالَ :

نَبَّهَ الرَّكْبَ الْمُجْبُوعَا وَلَمْ الدَّهْرَ الْفَجُوعَا^(١)

حِمَصُ الْجَنَّةِ قَالَتْ لَغَلَامِي : لَا رُجُوعَا

رَحِمَ اللَّهُ غَلَامِي مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وهذه الأبيات غاية في خفة الروح .

وَحُكِيَ أَنَّ الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ بَعَثَ إِلَى أَبِي الْعَرَبِ الزَّيْدِيِّ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَجَهَّزَ بِهَا وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بِحَزِيْزَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهُوَ مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَعَثَ
مُسْلِمًا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْخُضَرِيِّ ، وَهُوَ بِالْقَيْرَوَانِ ، فَكَتَبَ أَبُو الْعَرَبِ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِأَرَأَيْتَ كَيْفَ شَابَ أَسَى وَأَعْجَبَ لَأَسْوَدَ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ

الْبَحْرُ لِلرُّوْمِ لَا يَجْرِي السَّفِينُ بِهِ إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَابْتَرَّ لِلْعَرَبِ

وَكُتِبَ لَهُ الْخُضَرِيُّ :

أَمَرْتَنِي بِرُكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ غَيْرِي ، لَكَ الْخَيْرُ ، فَاخْصُصْهُ بِذَا الدَّاءِ

مَا أَنْتَ نَوْحٌ فَتُنْجِيَنِي سَفِينَتُهُ وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ

حياته الأدبية

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِالْقَرَاءَاتِ وَطُرُقِهَا ، وَأَنَّهُ أَقْرَأَ النَّاسَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ

(١) فِي الطَّبْعَةِ السَّابِقَةِ « وَلَمْ الذَّعْر » (م) .

بَسْبَتَةٍ وغيرها ، وأن له قصيدة نظمها في قراءات نافع ، عدَّدَ أبياتها ٢٠٩ ، وأن له ديوان شعر ، وهو القائل :

أقول له وقد حيا بكأس لها من مسك رقتِه ختامُ :
أمن لخدّيك يُعَصِّرُ؟ قال : كلا متى عُصِرَتْ من الورد المدام ؟
وأشهر قصائده تلك الدالية التي أفتنَّ في معارضتها الشعراء ^(١) ولنذكرها هنا لقيمتها وأثرها في تاريخ الآداب العربية ، قال :

يا ليل الصب متى غدُّه	أقيم الساعة موعده
رقدَ الشَّمارُ وأرقه	أسف للين يرده
فبكاه النجم ورق له	ما يراه ويرصده
كلف بغزال ذي هيف	خوف الواشين يشرده
نصبت عيناى له شركا	في النوم فعر تصيده
وكفى عجباً أنى قنص	للرب سباني أعيده
صم للفتنة مُنتصب	أهواه ولا اتعبده
صاح والحر جنى فيه	سكران اللحظ معرده
ينصو من مقتلته سيفاً	وكان نعاساً يغمدّه
فيريق دم العشاق به	والويل لمن يتقلده
كلاً لا ذنب لمن قتلت	عيناه ولم تقتل يده
يا من جحدت عيناه دمي	وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمي	فعلام جفونك تجرده
إني لأعيذك من قتلي	وأظنك لا تتعمده

(١) تجد هذه المعارضات في مجموعة صغيرة نشرها الأديب محي الدين افندي رضا

بالله هَبِ المشتاق كَرِّى فلعلَّ خيالك يُسِمِدُهُ
 ماضرك لو دوايت ضَنِّى صَبِّ يَدْنِيكَ وتُبَعِدُهُ
 لم يُبقِ هَواكَ لَهُ رَمَقًا فَلَمْسُكَ عَلَيْهِ عُوْدُهُ
 وغداً يَقْضَى أو بعد غدٍ هل من نَظَرٍ يَزُوْدُهُ؟
 يا أهل الشوق لنا شَرِّقْ بالدمع يفيض مُورِدُهُ
 يهوى المشتاق لقاءكم وَضُرُوفُ الدَّهْرِ تُبَعِدُهُ
 ما أحلى الوصل وأعذبه لولا الأيام تَكْذِبُهُ
 بالبين وبالهجران فينا لَفَوَادَى كَيْفَ تَجْلُدُهُ

ومن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين القمراوى إذ يقول :

قد ملَّ مريضك عُوْدُهُ ورثى لأسيرك حُسَدُهُ
 لم يُبقِ جفاكَ سِوَى نَفْسٍ زفراءُ الشوق تُصَعِّدُهُ
 هاروت يُعْنَعِنُ فَنَ السحر إلى عينيك وَيُسْنِدُهُ
 وإذا أغمدتَ اللحظَ فتَكْـسَتْ فكيف وأنت تجرُّدُهُ
 كم سَهَّلَ خَدُّكَ وَجْهَ رِضَا والحاجب منك يُعَقِّدُهُ
 ما أَشْرَكَ فيكَ القلبُ فَلِمَ فى نارِ الهجر تُحْلِدُهُ؟

وناصح الدين الأَرَجَانى إذ يقول :

هل أنت بِطُولِكَ مُسْعِدُهُ ياليل فَضْبُحِكَ مُوْعِدُهُ
 لا كان قصيرَ الليلِ فَتًى ميعادُ منيته غَدُهُ
 فى صدرى من كَلَفٍ بِكُمْ جُنْدٌ للشوق يُجَنِّدُهُ
 أعليلَ اللحظَ وعلته منها المتألم عُوْدُهُ
 عيناك لسفك دمي مَجَنَّتَا فالضدغَ علامَ تَجْلُدُهُ
 ودمى لا يحسنَ محملُهُ فى الناسِ فَلِمَ تَتَقَلَّدُهُ
 لم أنسَ برأمة موقفنا والشملَ أَظَلَّ تَبَدُّدُهُ

رَشَاءٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ شَرَكِي والبين غدا يتصيدهُ
 سِرْبٌ قَدْ عَنَّا بَذَى سَلَمِ وغدا بفؤادى أغيدهُ
 وتطاول يُتَبِعُهُمْ نَظْرًا صبُّ قد طال تبكدهُ
 حرَّانَ القلبِ مُتَيِّمُهُ حيران الطرف مُسَهِّدُهُ
 وأبرع مَنْ عارضها من المعاصرين فخرُ مصرَ والشرق أميرُ الشعراء أحدُ
 شوق (بك) إذ يقول :

مُضْنَاكَ جَفَاءَ مَرَقْدُهُ وبكاهُ ورَحَمَ عَوْدُهُ
 حيرانُ القلبِ مُعَذِّبُهُ مقروح الجفن مُسَهِّدُهُ
 أودى حُرْقًا إِلَّا رَمَقًا يُبْنِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِدُهُ
 يستهوى الْوُرُقَ تَأَوُّهُهُ ويذيب الصخر تنهدهُ (١)
 وَيُنَاجِي النِّجْمَ وَيَتَّبِعُهُ وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
 وَيُعْلَمُ كُلَّ مَطْوِقَةٍ شَجَمًا فِي الدَّوَجِ تَرْدَدُهُ
 كَمْ مَدَّ لَطِيفَكَ مِنْ شَرَكِ وتَأَدَّبَ لَا يَتَصَيَّدُهُ
 فَعَسَاكَ بَغْمُضٍ مُسَعِفُهُ ولعلَّ خيالك مُسَعِدُهُ
 الْحَسَنُ حَلَفْتُ «بِیُوسُفِهِ» و«السورة» أَنْكَ مُفْرَدُهُ
 قَدْ وَدَّ جَهْلَكَ أَوْ تَجَسَّسَ عَوْرَاتِهِ الْخَسِدَ وَامْرَدُهُ
 وَتَمَنَّتْ كُلُّ مُقَطَّعَةٍ يَدَهَا لَوْ تُبْعَثُ تَشْهَدُهُ
 جَحَدْتَ عَيْنَاكَ زَكَّى دَمِي أكَذَلِكَ خَذَاكَ يَحْجَدُهُ
 قَدْ عَزَّ شَهْوَدِي إِذْ رَمَتَا فَأَشْرَتْ لِحْدَكَ أَشْهَدُهُ
 وَهَمَمْتَ بِجَيْدِكَ أَشْرِكُهُ فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ أَضِيدُهُ
 وَهَزَزْتُ قَوَامَكَ أَعْظَفُهُ فَنَبَا وَتَمَنَّى أَمْلَدُهُ (٢)

(١) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة (٢) الأملد والأملود : الغصن اللين الناعم

سببَ لرضاك أمهدُهُ ما بال الخصر يُمقدُهُ
 بينى فى الحب وبينك ما لا يقدر واش يُفسدُهُ
 ما بال العاذل يفتح لى باب السُلوان وأوصدُهُ
 ويقول : تكاد تُجنُّ به فأقول : وأوشك أعبدُهُ
 مولائى وروحى فى يدِهِ قد ضيّعها ، سَامتْ يدُهُ !
 ناقوسُ القلب يدقُّ لَهُ وحنايا الأضلع مَعبدُهُ
 حُسادى فيه أعذرهم وأحقُّ بعذرى حُسدُهُ
 قَسَمًا بئنايا لؤلؤها قَسَم الياقات مُنصدُهُ
 ورُضاب يوعدُ كوثرَهُ مقتول العشق ومُشهدُهُ
 وبخالٍ كاد يُحجُّ لَهُ لو كان يُقبَل أسودُهُ
 وقوام يَرَوى الغصنُ لَهُ نسبًا والرمح يُفندُهُ
 وبخَصرٍ أوهنَ من جلدِى وَعَوادى الهجر نبدُهُ
 ماخت هوائك ولاخَطرَت سلوى بالقلب تبردُهُ

وإنما ذكرت حياة أبى الحسن الحُصرى ، وشيئاً من أخباره ، لأنى رأيتُ
 أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنى أحب دائماً أن أقدم للقارىء
 ما يُمتنعُ عقله ووجدانه من المعارف الأدبية ، لأية مناسبة ؛ ولأن أبى الحسن
 الحُصرى ابن خالة أبى إسحاق الحُصرى صاحب زهر الآداب ، وفى هذه القرابة
 ما يدعو للتنبؤ به فى هذا المقام ، والظفر للقارىء على أى حال ^(١) .

(١) فى كتاب « الموازنة بين الشعراء » فصل مسهب فى الموازنة بين الحُصرى
 وشوقى ؛ فليرجع إليه القارىء إن شاء .

أبو إسحاق الحضري

أما أبو إسحاق الحضري فهو إبراهيم بن علي بن تميم، المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية وقد عُني به كثير من كتّاب التراجم : فتكلم عنه ابن رَشِيْق في الأَئِمُّوْج ، وابن بَسَّام في الذخيرة ، والرَّشيد بن الزبير في الجنان ، وابن خُلِّكَان في وَفَيَاتِ الأَعْيَان .
وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، وكان لديهم من المُكْرَمين .

شعره ونثره

أورد ابن رَشِيْق من شعره هذين البيتين :

إني أَحْبَبْتُ حُبًّا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فَهَمٌّْ، وَلَا يَنْتَهِي وَصْفٌ إِلَى صِفَتِهِ
أَقْصَى نَهَايَةِ عِلْمِي فِيهِ مَعْرِفَتِي بِالْعَجْزِ مِنِّي عَنْ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ

وأورد له ابن بَسَّام هذين البيتين :

أَوْرَدَ قَلْبِي الرَّدَى لَأُمُّ عِذَارٍ بَدَا
أَسْوَدَ كَالْكَفْرِ فِي أَيْضَ مِثْلِ الْهَدَى

واختار له ياقوت هذه المقطوعة :

يَا هَلْ بَكَيْتَ كَمَا بَكَتْ وَرَقُ الْحَامِ فِي الْعُصُونِ
هَتَفْتُ سُحَيْرًا، وَالرَّبِّي لِلْقَطْرِ رَافِعَةِ الْجَفُونِ
فَكَانَهَا صَاغَتْ عَلَى شَجْوِي شَجَى تِلْكَ اللَّحُونِ
ذَكَرْتُ عَهْدًا مَضَى لِلْأَنْسِ مَنَاطِعَ الْقَرِينِ
فَتَصَرَّمَتْ أَيَامُهَا وَكَانَهَا رَجَعُ الْجُفُونِ

واختار له أيضاً :

كتمتُ هواك حتى عيل صبرى وأدنتى مكاتتى لرمى
ولم أقدر على إخفاء حال يحول بها الأسى دون التأسى
وحبك مالك لحظى ولفظى وإظهارى وإظهارى وحسى
فإن أنطقُ ففبك جميعُ نُطْقِي وإن أسكت ففبك حديث نفسى
ولو نقلت إلينا من شعره طائفة صالحة لاستطعنا أن نعين منزلته بين الشعراء .
أما ثره فمُسْتَفْلَحٌ ، ويغلب فيه السَّجْعُ المقبول ، الخالص من شوائب الصنعة
والتكلف ، والسجع فى الأصل حلية وزينة ، وإنما يعاب عند الغلو والإغراق .
وإليك أمودجاً مما جاء من ثره فى مقدمة كتابه ، قال :
« ولم أذهب فى هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صعصعة
ابن صوحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرها ؛ إذ كانت هذه (يريد الفقر الصغيرة)
أجمل لفظاً ، وأسهل حفظاً ، وهو كتاب يتصرف فيه الناظر من ثره ، إلى شعره ،
ومطبوعه ، إلى مصنوعه ، ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقضته ، إلى مساجلته ،
وخطابه المبهت ، إلى جوابه المُسَكِّت ، وتشبيهاته المصيبة ، إلى اختراعاته العربية ،
وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجده المعجِب ، إلى هزله المطرب ، وجزله
الرائع ، إلى رقيقه البارع » .

وهذا كما ترى سجعٌ يجمع بين دِقَّةِ الصَّنْع ، وورِقَّةِ الطبع ، فهو فى دقته
مطبوع ، لا مصنوع .

طريقته فى التأليف

الأدبُ لا موضوعَ له ، كما يقول أستاذنا الجليل الشيخ سيد المرصفى ،
وكذلك كان يفهمه أبو إسحاق الحضرى ، فهو لا يحفل بترتيب المسائل ،
ولا بتبويب الموضوعات . وإنما يتصرف من الجدل إلى الهزل ، ومن الأوصاف

إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أهم الطُرُق في التأليف ، وإن عابها مَنْ لا يفرق بين الموضوعات العلمية ، والموضوعات الأدبية .

ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصُون في سر الهوى المكنون » في مجلد واحد ، فيه مُلَح وآداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب ، وثمر الألباب » وإنه ليس جمع حتى في تسمية كُتبه ، وكذلك كان يفعل في عهده المؤلفون .

التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يَصِفُون زهر الآداب إلا بأنه « جَمْعُ كُلِّ غَرِيبَةٍ » وهو وصف صادق ، وإني ذا كَرُّهُ هنا بعض صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التي تعين منهج مؤلفه ، وتميز اتجاه بعض الأفكار في العصر الذي عاش فيه . وإنا لنجده :

أولاً : يهتم ببراعة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة : « الحمد لله الذي اختص الإنسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المنستبين ، الذي تحدّى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعبجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً » ويختتمه بهذه العبارة :

« وقال ابن الأعرابي : أمدح بيت قاله المحدثون قول أبي نواس : أخذت بجبلٍ من جبال محمدٍ أمنتُ به من طارقٍ الخُدتان^(١) . »
ثانياً : يُعْنَى عنايةً خاصةً بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدون آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية ، في ذلك الحين .

(١) في بعض النسخ الخطية فصل في صفات الله — عز وجل — ختم به الكتاب وذلك توفيق في حسن الختام — هكذا ، وفي نسخة أن ختام الكتاب فصل في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (م) .

ثالثاً : يجعل الكلام في المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب ؛ فينقل هذه التعابير :

قد نُعِيَ سَلِيلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصى والبتول .

تجدد في بيت الرسالة رُزءُ جدد المصائب ، واستعداد النوائب .
إنها لمصيبة تحيقت جانب الوحي المنزل ، وذُكِّرت بموت النبي المرسل .
إلخ إلخ :

ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف ، كنقله هذه العبارات :
« استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة ، وتهدأت أغصانه عن كعبة الإمامة ، وتبججت أطرافه في عرصة الشرف والسيادة ، وتَفَقَّأت بيضته من سُلالة الطهارة ، قد جذب القرآن بضبعه ، وشقّ الوحي عن بصره وسمعه » إلخ إلخ .

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فَصَّلْتُهَا بعض التفصيل في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » وإلا فإن النبي يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » بل الله يقول : « فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ » .

رابعاً : يُبْدِئُ الْخُصْرَى وَيُعِيدُ فِي الْكَلَامِ عن البلاغة والبلغاء ، والشعر والشعراء ، والإنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهل عصره يهتمون بدر النثر والشعر، ونحن مَدِينُونَ لهم بما يتصل بهذا الباب من المعارف الأدبية .

خامساً : يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها الناس لعهد، فيذكر ما يحمل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب النسخ ، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات . وما له من الحقوق .

إغفال المجون

وقد جرى أبو إسحاق الحصرى فى زهر الآداب على إغفال المجون ، فنحده
يقول عن راشد بن راشد :

« وله مذهب استفرد فيه أكثر شعره ، وصنت الكتاب عن ذكره » .
وقد صرحت بإنكار هذا المذهب فى « مدامع العشاق » وبينت هناك أن
حرص الحصرى على الأخلاق ضيغ علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ،
وكنا فى حاجة إلى أن نعرف كل ماترك الأولون !

وأحب أن يعلم القارئ أن المجون لون من ألوان الغذاء التى تحيا بها العقول ،
فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها إلى المواد المختلفة ، والعناصر المتنوعة : من
المالح ، والخلو ، والمر ، كذلك العقول تحتاج فى تغذيتها إلى المعارف المتباينة :
من جد القول وهزله ، وحلوه ومره ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون !

على أن الحصرى لم يخل كتابه من المجون ، بل ومن فاحش المجون ،
وللقارئ أن يتتبع ما وقع من ذلك فى ألقاف الكتاب ليرى كيف غلب لمؤلف
على أمره ، فأباح ما لا يباح !

تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب
 ينحصر في حذف المجون وضم بعض الموضوعات إلى بعض ، وأنا أنكر هذا
 الأسلوب ، والعهد قريب بما كتبه أستاذنا الدكتور طه حسين في نقد مذهب
 الأغاني الذي أظهره الأستاذ الكبير محمد بك الخضري منذ أُمّابيع ، ويرجح أن
 يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة التي أصابها صاحب
 حديث الأربعاء .

تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة في تهذيب زهر الآداب ؛ لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارئ فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجد إلى الهزل ، إلى آخر ما قال .

وقد ظلّ بين يديّ نحو تسعة أشهر ، وأنا معتقل في سنة ١٩٢٠ ، فقرأته ، ثم قرأته ، وعُنيْتُ بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلاط ؛ ثم رأيت أن أفصله ، والتفصيل فيما أريد سو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما في الكتاب من الموضوعات ؛ لأن المؤلف وضع قليلاً من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن غرض إلى غرض ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب . وأرجو أن لا يجد القارئ في هذا الصنع تشويهاً لعمل المؤلف فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناوينه وأبوابه ، وفقره وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين في بُنْط خاص ، فإذا شاء القارئ أن يعرف كيف وضع الكتاب مؤلفه فليرفع فقط ما جدّ من العناوين .

أهمية هذا التفصيل

على أتنى مطمئن إلى ما صنعت ؛ فقد كان الكتاب متقارفاً الأرجاء ، بسبب ما كثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يهتدى فيه القارئ إلى مئات المسائل الأدبية ، من غير أن يكلف نفسه عناء البحث والتنقيب .

ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ، وربما أضفت كلمة يتميز بها العنوان الجديد ^(١) .

الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد ^(٢) ، من غير ضبط ولا شرح ، وكان يكنى أن يطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح مثلاً في المصح والتشويه ، ولتقضى في قراءته العيون ، وتضل في فهمه العقول ؛ فأنفقت من جهدى ومن وقتي ، في تحقيق ما جناه مرَّ السنين وعبثُ الجاهلين ، ما لا أؤمن به على القارئ إلا وأنا آسفٌ محزون ؛ لأنى مدينٌ لمن طبعوه أول مرة على أى حال ، أحسن الله جزاءهم ، وتجاوز عما رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصور .

في الطبعة القديمة كثيرٌ من الأغلاط ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت في ضبط هذه الطبعة على مراجعة الأصول التى أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أثق به من مختلف المعاجم والقواميس ، فإن استطاع القارئ أن يلفتني إلى خطأ فاتنى إصلاحه ، فإنى بشكره خليق .

(١) قد اتخذنا خطة أخرى في هذه الطبعة سنتحدث عنها بعد (م)

(٢) وطبع نصفه مستقلاً في المطبعة الوهبية ، بدون تأريخ (م)

أما الشرح فقد اجهدت في أن يكون غاية في الإيجاز ؛ لأن الإطناب في شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ؛ لأنني أمقت التكلف ، وأبغض المتكلفين .

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى ثلاثة ، وهي مسألة اعتبارية ؛ لأن الكتاب في الأصل مبني على التنقل والاستطراد .

قيمة زهر الآداب

كان المتقدمون يُؤمنون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبي علي القالي ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغزر مادة ، وأكبر قيمة من جميع تلك المصنّفات ؛ لأن ذوق الحُصْرى ذوق أدبى صِرْف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعة بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف .
 إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جناية الليالى والحمد لله على أن كنت الموفق إلى إحياء هذا الأثر النفيس .

محمد زكى عبد السلام مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

مقدمة الطبعة الثانية

موضع زهر الآداب ، الوصف عند كتاب القرن الرابع ، نماذج من
التعابير الوصفية ، نظرية الفن للفن وقيمة الزخرف والصنعة ، المحصورات
الأدبية في القرن الرابع

رأى القارئ في مقدمة الطبعة الأولى إشارات إلى الخصائص التي امتاز بها
زهر الآداب ، ونريد في هذه الكلمة أن ننص على أن هذا الكتاب أريد به أن
يكون صورة للعصر الذي عاش فيه مؤلفه رحمه الله ، وإنه ليذكر أن أبا الفضل
العباس بن سليمان رحل إلى المشرق في طلب الكتب « بأذلا في ذلك ماله ،
مستعذبا فيه تعب ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف
طريفة ، وغرائب غريبة » ثم سأله أن يجمع له من مختارها كتابا يكتفى به عن
جملتها ، وأن يضيف إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قار به وقارنه وشابهه ومائله إلخ
فغاية الكتاب إذ آنحدر ما طاب من ثمرات العقول في أواخر القرن الرابع وأوائل
القرن الخامس .

ولندكر أولا أن الحصري توفي سنة ٤٥٣ ، ولکننا نرجح أنه وضع زهر
الآداب قبل وفاته بأكثر من عشرين عاما ، فقد حدثنا في أثناء كتابه أنه
يعاصر الثعالبي ؛ إذ قال « وأبومنصور يعيش إلى وقتنا هذا » حين أشار إلى مختار
ما كتبه الميكالى إليه . والثعالبي توفي سنة ٤٢٩ ؛ وإنما عيّننا أواخر القرن الرابع
وأوائل القرن الخامس لأن الحصري أشار إلى أن فيمن نقل عنهم من أدركه
بعمره ، أو لحقه أهل دهره . ولذلك العيد من حياة الأدب طابع خاص ، فصلت
خصائصه ومميزاته في كتابي الذي وضعته بالفرنسية عن النثر في القرن الرابع ،
وإني لمشير هنا إلى بعض الجوانب البارزة في أدب ذلك العصر ؛ ليكون القارئ ،

على بينة من الروح الذى استوحاه مؤلف زهر الآداب .

أظهر ميزة فى ذلك العصر هى إجادة الوصف ، فقد اهتم كتّابه اهتماماً عظيماً بوصف ما وقعت عليه أعينهم أو جرى فى خواطرهم ، ولم يكن الوصفُ عندهم ، مما يأتى عفواً عند المناسبات الطارئة ، كما كان الحال فى أوائل العصر الإسلامى ، لا ، بل تعمّدوا استقصاء الموضوعات الوصفية : فأطالوا الحديث عن الأزهار ، والرياض ، والنبات ، والنسيم ، والرياح ، والليل ، والنجوم ، والجداول ، والغدران ، والأنهار ، والبحار ، والأحواض ، والقصور ، ومنازل اللهو ، ومجالس الشراب ، والنساء ، والعلمان ، والجوارى السود ، والقيان ، وآلات الطرب ، ومحاسن الشباب ، وأحوال المشيب ، والرعد والبرق ، والمطر والثلج ، والصحو ، والبلاغة والشعر والنثر ، والخيال ، والسيوف ، والنار ، والأفاعى . والثعابين ، والطيور ، والأطعمة ، والفواكه ، والسكاكين ، والكؤوس ، والخواتم ، والحلى ، والقلائد ، والمحابر ، والأقلام ، والسفن ، والدواب ، والجيوش ، والأساطيل ، وأيام الصيف والشتاء والربيع .

وأطنبوا فى وصف المعانى الوجدانية ، كما أطنبوا فى وصف المراتب ، فتكلموا عن أهواء النفوس ونزعاتها ، فوصفوا الحقد ، والبغض ، والكرم ، والنبل ، وعرضوا لما يقع لأهل المهن وللرؤساء من الهنات والعورات . كل ذلك بطريقة مقصودة تدل على أنه كان لهم برنامج خاص لم يعرفه أسلافهم . وهذا المذهب له عيوبه ومزاياه : فعيبه أنه حملهم على التكلف والإسراف ، وحسنه أنه حملهم على تنظيم أفكارهم ، وترتيب أغراضهم ، فإن القارئ يرى لهم قوة فى تصوير المراتب والمعنويات لا يراها لمن سبقهم ، وذلك بفضل هذا الاتجاه الذى جعل فى عصرهم مدرسة وصفية لا تراها فى عصر الخلفاء ولا عهد بنى أمية ولا أوائل أيام بنى العباس .

ولا ننكر أن الكتّاب السابقين أجادوا الوصف فى كثير من الموضوعات

ولكننا نقرر أن كتاب القرن الرابع عمدوا إلى كل ما يقع عليه الحس ،
أو يجرى في الخاطر ، أو ينقده العقل ، فوصفوه وصفا مفصلا مقصودا بطريقة
لم يفكر في مثلها المتقدمون .

وقد قدم لنا صاحب زهر الآداب شواهد كثيرة في مواطن متفرقة من كتابه
عن الأوصاف التي عُنى بها كتابُ ذلك العصر . فلنثبت منها شيئا ليرى القارئ
صدق ما نراه من قصد رجال ذلك العهد إلى إجادة الوصف .

من ذلك قولهم في وصف الماء :

ماء كالزجاج الأزرق .

غدير كعين الشمس .

ماء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، يسبح في الرضراض ، سبح النضناض .

ماء أزرق كعين السُّنور ، صاف كقضيبي البلوز .

غدير ترقرت فيه دموع السحائب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب .

وقولهم في وصف سكين :

« سكين كأن القَدَرَ سائتُها ، أو الأَجَلَ سائتُها ، مُرَهَفَةٌ الصدر ، مُنْطَقَةٌ

الخضر ، يحول عليها فرند العتق ، ويموج فيها ماء الجوهر ، كأن المنية تبرق من

حدها ، والأجل يلعب من متنها ، رُكِبَتْ في نصاب آبنوس ، كأن الحدق نفضت

عليه صبغها ، وحب القلوب كسَّته لباسها ، أخذ لها حديدتها الناصع بحظ من الروم ،

وضرب لها نصابها الحالك بسهم من الزنج ، فكانها ليل من تحت نهار ، أو حجر

أبدى سنا نار ، ذات غرار ماض ، وذباب قاض .

سكين أحسن من التلاق ، وأقطع من الفراق ، تفعل فعل الأعداء ، وتنفع

نفع الأصدقاء . »

وقولهم في وصف متكبر :

« قد أسكرته خمرة الكبر ، واستغرقته لذة التيه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل نفقته ، وبلقيس إحدى داياته ، وكان يوسف لم ينظر إلا بطلعته ، وداود لم ينطق إلا بنغمته ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ، والغمام لم يَبْدُ إلا من يمينه » .

وكان من أثر ذلك أن أصبح هذا العصر غنياً جداً بالتعابير الوصفية الرائعة في أكثر أبواب الوصف . ومن ذا الذي يرتاب في جمال قولهم في وصف النثر والنظم مما اختاره صاحب زهر الآداب :

نثر كنيث الورد ، ونظم كنظم العقد .

نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كالماء أو أرق .

رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالخدرة انرشيقة .

نثر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفّس السّحر .

وقولهم في أوصاف النساء :

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض .

هي من وجهها في صباح شامس ، ومن شعرها في ليل دامس ، كأنها فلقة فمر على بُرج فضة .

بدر التّم يضيء تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها .

لها عنق كإبريق اللجين ، وسرة كمدهن العاج .

مطلع الشمس من وجهها ، ونبت الدر من فمها ، وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس الغصن من قدها ، ومهيل الرمل من ردفها . . . إلخ .

وقولهم في صفات الغلمان :

جاءنا في غلالة تتم على ما يسترد ، ونحنو مع رقتها على ما يظهره .
الجنة مجتناة من قر به ، وماء الجمال يترقق في خده ، ومحاسن الربيع بين
سحره ونحره ، والقمر فضلة من حسنه .
له طرة كالفسق ، على غرة كالفلق .
الحسن ما فوق أزراره ، والطيب ما تحت إزاره .
هو قمر في التصوير ، وشمس في التأثير .

وجه بماء الحسن مغسول ، وطرف بمروء السحر مكحول
شادن فاتر طرفه ، ساحر لفظه ، تكاد القلوب تأكله ، والعيون تشربه .
السحر في الحاظه ، والشهد في ألفاظه . . إلخ .
ولقد ظلت هذه التعابير الوصفية منبعاً يستقى منه الكتاب إلى العصر
الحديث ، والنقاد في مصر أعجبوا بقول حافظ إبراهيم في وصف الصبياء :

خمرة قيل إنهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس
وهو خيال سبق إليه كتاب القرن الرابع ، وردده ابن خفاجة إذ قال :
وشربتها عذراء تحسب أنها معصورة من وجنتي عذراء
وقد ظن أستاذنا الدكتور طه حسين أن حافظ إبراهيم أول من ألم بهذا^(١)
الخيال فنقده وسفمه حين عرض لنقد ترجمة البؤساء . فليقل المعركة إذن إلى
ميدان القرن الرابع ، وإن كنت لا أدري كيف يعاف الشراب المعصور من
خدود الملاح .

وكذلك أعجب النقاد بقول السيد توفيق البكري في وصف النساء
« صدور كالإغريض ، أو صدور البزاة البيض »

(١) الذي أذكره أن أدباء مصر ذهبوا إلى أن حافظا ممتاز بذكر قيد « في
يوم عرس » فأما أصل التشبيه فما أحسب أنه غاب عنهم أن حافظا مسبوق به ، وإنما
خص يوم العرس لكثرة ما يعطى الحسان فيه وجوههن بالأصبغ وألوان التحاسين .
ولهذا مدخل في التشبيه (م) .

وهى عبارة مأخوذة من قول الشعالي فى وصف آثار السرى الرفاء :

« كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسنان ، ونغمزات الحدق الملاح »

وكذلك يمكن رد أكثر التعابير الوصفية التى يُغرم بها كتابُ الصنعة فى العصر الحاضر من امثال الأساتذة : صادق عنبر ، ومحمد السباعى ، ومحمد هلال

وكان القرن الرابع يودى للقرن الذى تلتها ما أخذته عن القرون التى سبقتها ، فقد كان كُتّابه مولعين بحل الشعر لا يرون معنى بديعاً ، ولا حياءاً طريفاً إلا اقتبسوه ، وأضافوه إلى ثروتهم الثرية

وقد أشاع كتاب القرن الرابع نظرية (الفن للفن) وإن لم يدركوا ما لهذه النظرية من الأوضاع والتقاليد ؛ فقد عودوا القراء تذوق الكتابة البديعة ، وحببو إليهم النثر المصنوع ، فأصبح المتأدبون يتأملون مواقع الألفاظ وقرار التراكيب ، وصارت فنون البديع من تورية وجناس وطباق أصولاً فنية يجد القارئ لذة ومُتعة حين يراها وقعت موقعاً حسناً وأصاب الغرض الذى وضعت له ، ولو كان غرضاً لفظياً لا يتوقف عليه تمام المعنى المقصود

* * *

ولكن أليس لهذا الزخرف قيمة فى فهم ذلك العصر ؟ بلى ، إنه يدلنا على أن أولئك الناس عرفوا لغتهم معرفة جيدة ، ووقفوا على أسرارها وطرائق تعبيرها ، وكان همهم أن يرتبوا الألفاظ والمعانى والتعابير والأخيلة ، حتى استطاع كاتبهم أن يحشر أبواب الصناعات فى صعيد واحد ثم ينطقهم بأسرار البلاغة ، كل على طريقته وبأسلوبه الذى يختاره فى مكرهته ومهد عمله . وما نحسب كتاب القرون الأولى مثلاً كانوا يفكرون فى جمع شتات اللغة لتصبح طوع أفكارهم وأقلامهم ، وإنما كانوا قوماً يكتفون فى سبيل الوصول إلى أغراضهم بالعبارة

الواضحة الموجزة التي يفهمها عامة الناس وخاصتهم . أما كتاب هذا القرن فقد أصبحوا في حاجة إلى صفوة تقرأ لهم وتفهم عنهم ؛ إذ أصبح خيالهم قويا ، ولغتهم غنية ، لا يدرك أسرارها الجمهور ؛ فليس كل قارئ ولا كل سامع بمستطيع أن يتذوق تشبيه الخط الجليل بأزهار الربيع ، والألفاظ بقلائد النحر ، والمعاني بلا لى ، ولا أن يدرك كيف تتمنى كل جارية أن تكون أذنا تلتقط درر الكلام وجواهره ، أو عينا تجتلى مطالعه ومناظره ، أو لسانا يدرس محاسنه ومفاخره .

إذن فالصنعة التي عُرف بها كتاب القرن الرابع لها وجهان : وجه جميل يدل على حذقهم وبراعتهم ، ووجه آخر يدل على بعدهم من غاية البيان وهي الوضوح ، إذ كان الإغراق في الصنعة بابا من الغموض

ومن أهم الجوانب التي تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر الخصومات العنيفة التي قامت بين الكتاب ؛ فقد كانت بينهم مناوشات ومجادلات نشأت عن أطماعهم في الحياة المادية ، وكانوا يمثلون غالبا طوائف من الأفكار الدينية والسياسية يقومون في الدفاع عنها بما تقوم به الجرائد المغرضة في العصر الحاضر ، وكان لهم من القوة ما كان للشعراء ؛ فلم يكن بد من أن يتنافس أصحاب الملك في تقريبهم ، ولم يكن بد كذلك من أن يتنافس هؤلاء في الاستئثار بالخطوة عند الوزراء والرؤساء والملوك

وفي الرسالة التي كتبها بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فقرات مرة تمثل ما كان عليه كتاب ذلك العصر من الطمع في المناصب الرسمية ومن ضعف الخلق عند الغنى ، ومن الثبيل عند الفقر : « تنسيهم أيام اللدونة ، أوقات الخشونة ، وأزمان العذوبة ، ساعات الصعوبة » وقد كانوا كما قال : « ما اتسعت دورهم ، إلا ضاقت صدورهم ، ولا أوقدت نارهم إلا انطفأ نورهم ، ولا زاد ما لهم إلا »

معروفهم ، ولا وُرمَتْ أكياسُهم إلا وُرمَتْ أنوفهم ، ولا صلحت أحوالهم ، إلا فسدت أعمالهم ، ولا فاض جاههم ، إلا غاضت مياههم ، ولا لانت بُرودهم ، إلا صلبت خدودهم» (١)

وفى تلك المنافسات الشديدة ، وتلك الدسائس الملعونة ، التى كانت تقع بين الكتاب ، دليل على جشعهم فى حب الحياة ، وفهمهم لها فهما ماديا يتناسب مع تلك العبقريات الغنية التى ظهرت فى فقرهم ورسائلهم وأبحاثهم ؛ فإنه من المؤلم أن تظل قوة الحق وبقظة الأثرة ، وشدة العداوة ، فى كل عصر من السمات الغالبة على كبار الكتاب ، ومن النادر أن تجد كاتباً كريماً يعطف على زملائه ، ويجب لهم الخير ، ويتمنى لهم السداد . وقدما أفرغت هذه الظاهرة عبد الحميد بن يحيى — وكان رجلاً نبيلًا — فكتب وصيته المعروفة يدعو بها الكتاب إلى التعاون ونبد الأحقاد ، وفى أيامنا تُبعث تلك الشوائب من جديد ؛ فلا نجد كاتباً فى العالم العربى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، بحيث نظن أن شوب العبقرية يوحى بالطمع ، والاستبداد بالفضل ، والاستئثار بالجاء

وأهم الخصومات التى وقعت بين كتاب ذلك العصر خصومة الهمداني والخورزمي ، وخصومة التوحيدى والصاحب بن عباد

أما خصومة الهمداني والخورزمي فترجع إلى رغبة الهمداني فى الظهور ، وطمعه فى الانفراد بالشهرة ، وأهم مصدر لهذه الخصومة الرسالة المطولة التى كتبها الهمداني فى وصف المناظرة التى قامت بينه وبين الخوارزمي ، وهى رسالة مغرضة مملوءة بالتجامل والصَّغَرنة ، وليس فيها أفكار جدية تجعل خصومة بين عقليين ، إنما هى محاورات لفظية تدل على غلبة الزخرف وتمكنه فى السيطرة على عقول أهل

ذلك الجيل . ولو أن الخوارزمي دَوَّن بدوره تلك المناظرة لرأينا وجهين في بسْطِ ذلك الحادث الأدبي ، واستطعنا أن نستخلص من مقابلة النصين نفس الرجلين ، ولكن الهمداني تكلم وحده ؛ فعرفنا فقط مبلغ زهوه وكبريائه وطمعه في كَبَتِ كاتب كان يومئذ على رأس الكاتبيين .

أما خصومة التوحيدى لابن عباد فترجع فيما ذكر كتاب التراجم إلى سبب مادي ، وذلك أن التوحيدى رَغِبَ في مال ابن عباد وجأهه ، فضاقت عنه صدره هذا ، فكتب التوحيدى كتابه « أخلاق الوزيرين » وهو كتاب جرح كشف به عورات ابن العميد وابن عباد . ثم عاد إليهما بالتجريح أيضا في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » وأسلوبه في الهجاء أسلوب خطر فظيع ؛ إذ يختلق الحوادث والإشارات وينظمها برسائل ومقطوعات تهوى بهما إلى الحضيض . ويعتبر التوحيدى من الوجهة الفنية رجلا خصب الذهن ، غنى اللغة ، وافر الحصول ، قوى الخيال .

وقد تنبه المتأدبون إلى تحامل التوحيدى وإسرافه في التعصب والتحامل وشاع الاعتقاد بأن كتابه « أخلاق الوزيرين » كتاب مشنوم ، لا يملكه أحد إلا انعكست أحواله ، ويذكر ابن خلكان أنه جرب هذا وجربه مَنْ يثق به ^(١) فإذا صح هذا الوهم كان التوحيدى قد عوقب على بغيه وظلمه وبهتانه ؛ فقد أنظر صاحب بن عباد بعبارات مخجلة يندى لها وجه القارى ، وينفر منها الطبع والذوق ، وإن كانت وضعت بأسلوب شائق خلاب .

تلك ، أيها القارئ ، كلمة وحيزة أقدم بها الطبعة الثانية ، راجيا أن تكون
كافية في وصف الاتجاهات الفنية والعقلية التي عمل في ظلها مؤلف زهر الآداب ،
وإني لأمل أن يكون في هذه الطبعة من آثار الجهد والحرص على الصواب بعض
ما يجب في خدمة الأدب العربي الذي أصبح إحياءه ونشره من أظهر محامد مصر
في العصر الحديث

زكى مبارك

مصر الجديدة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اختصَّ الإنسانَ بفضيلةِ البيانِ ، وصلى الله على محمدٍ خاتمِ
النبيين ، المرسلِ بالنور المبين ، والكتابِ المستبين ، الذى محدَّى الخلقَ أن
يأتوا بمثله فعجزوا عنه ، وأقرّوا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ؛ فهذا كتابٌ اخترتُ فيه قطعةً كاملةً من البلاغات ؛ فى الشعر
والخبر ، والفصول والفقر^(١) ، مما حسن لفظه ومعناه ، واستدل بفخّواه على
مغزاه^(٢) ، ولم يكن شاردًا حوشياً^(٣) ، ولا ساقطًا سوقياً^(٤) ، بل كان جميع ما فيه ،
من ألفاظه ومعانيه ، كما قال البحرى^(٥) :

فى نظامٍ من البلاغةِ ما شكَّ أمرؤُ أنه نظامٌ فريد^(٦)
حُزنٌ مستعملُ الكلامِ اختياراً وتجنُّبٌ ظلمةِ التعقيدِ
وركنٌ اللفظِ القريبِ فأدركن به غايةَ المرادِ البعيدِ

ولم أذهب فى هذا الاختيار ، إلى مطولات الأخبار ، كأحاديث صمّصعة

(١) الفقر : جمع فقرة - بكسر الفاء وفتحها - وهى فصل أو بيت شعر ، وتقول :

ما أحسن فقر كلامه ، أى نكته ، وهى فى الأصل حلى تصاغ على شكل فقر الظهر

(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وفخواه : هو ما يفهم منه ذلك المراد

(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتتبع حوشى الكلام .

(٤) السوقى : نسبة إلى السوق ، وهم عامة الناس

(٥) البحرى : شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية ، ولد فى منبج - بين الفرات

وحب - فى سنة ٢٠٦ وتوفى فى سنة ٢٦٤

(٦) الفريد : هو الدر الذى يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد .

والذهب مفرد ، بتشديد الراء .

ابن صُوحان^(١) ، وخالد بن صفوان^(٢) ، ونظائرهما ؛ إذ كانت هذه أجملَ لفظاً ، وأسهلَ حفظاً .

منهج المؤلف في الكتاب وهو كتابٌ يتصرّف الناظرُ فيه من نثره إلى شعره ، ومطبوعه إلى مصنوعه ، ومحاورته إلى مفاخرته ، ومناقضته^(٣) إلى مُساجَلَتِهِ^(٤) ، وخطابه المبهت^(٥) إلى جوابه المُسكِت ، وتشبيهاته المُصيبة إلى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة إلى أمثاله السائرة ، وجدّه المعجب^(٦) إلى هزله المُطرب ، وجزله الرائع إلى رقيقه البارِع .

وقد نَزَعْتُ فيما جمعت عن ترتيب البيوت^(٧) ، وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من مثله ؛ فجعلتُ بعضه مُسلسلاً^(٨) ، وتركتُ بعضه مُرسلاً^(٩) ؛ ليحصل مُحرَّرُ النَقْدِ^(١٠) ، مُقدَّرُ السَّرْدِ^(١١) ؛ وقد أخذ بطرْفَي التَّأليف ، واشتمل على حاشِيَتَي التصنيف ؛ وقد نَعَيْتُ المعنى ، فأُلْحِقَ الشَّكْلَ بنظائره ، وأعلّق الأول بآخره ، وتبقى منه بقية أفرّقها في سائره^(١٢) ليسلمَ من التطويل المملّ ، والتقصير المحلّ ، وتظهر في التجميع إفادةُ الاجتماع ؛ وفي التفريق لذّاعة

(١) صمصعة بن صوحان : خطيب بليغ من سادات عبد القيس . شهد صفين مع علي ، ونفاه المغيرة من الكوفة إلى الجزيرة أو إلى البحرين بأمر معاوية ، فمات فيها حوالي سنة ستين للهجرة (٢) خالد بن صفوان : كان من مشاهير الفصحاء وله أخبار مع عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، توفي نحو سنة ١١٥

(٣) ناقل الشاعر : ناقضه ، ورجل ثقل بفتح فكسر وذو نقل بفتحتين ، إذا كان جليلاً مناقلاً (٤) المساجلة : المفاخرة (٥) المبهت : المحير (٦) المعجب : الذي يعجبك جماله (٧) البيوت كالأبيات : جمع بيت (٨) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهي وهي اتصال الشيء بالشيء (٩) مرسل : غير مسلسل (١٠) النقد : الوزن (١١) السرد : النسج ، والتحرير ، ومثله التقدير : الضبط (١٢) سائره : باقيه

الإمتاع ، فيكمل منه ما يُونقُ القلوبَ والأسماع^(١) ؛ إذ كان الخروجُ من جدٍّ إلى هزل ، ومن حزنٍ إلى سهل^(٢) أنفى للكلل^(٣) ، وأبعد من الملل ؛ وقد قال إسماعيل بن القاسم [هو أبو العتاهية]^(٤) :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُدَابِرَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ^(٥)

الداعي لتأليف
الكتاب

وكان السببُ الذي دعانى إلى تأليفه ، ونَدَبَنِي إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان — أطال الله مُدَّتَه ، وأدام نعمته! — في الأدب^(٦) ، وإشفاقِ عمره في الطلب وماله في الكتب ؛ وأن اجتهدَه في ذلك حمّله على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأنغضَ في طلبها^(٧) ، باذلاً في ذلك ماله ، مستعذباً فيه تعبهُ ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريفة ، وغرائب غريبة ، وسألني أن أجمعَ لها من مُختارها كتاباً يكتفي به عن جملتها ، وأضيفَ إلى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه ، وشابهه ومائله ؛ فسارعتُ إلى مراده ، وأعنته على اجتهداه ، وألّفتُ له هذا الكتاب ، ليستغنى به عن جميع كتب الآداب ؛ إذ كان موشحاً من بدائع البديع^(٨) ، ولآلىء الميكالى ، وشهَى الخوارزمي ، وغرائب الصاحب ، ونفيس قابوس ، وشذور أبي منصور^(٩) بكلامٍ يمتزجُ بأجزاء النفس لطافة ، وبالهواء رقة ، وبالماء عذوبة .

(١) يونق : يعجب (٢) الحزن : ما غلظ من الأرض ، ويقابله السهل (٣) الكلل : الإعياء ، ومثله الكلال (٤) ديوان أبي العتاهية ٢٢٣ ، وفيه « لن يصلح النفس إذ كانت مدبرة » وفي نسخة « إن كانت مصرفة » (م)

(٥) مدبرة : ذات سأم وملال ، والمدبرة في الأصل : الهزيمة (٦) في الأدب : متعلق بكلمة رغبة (٧) أنغض وغمض : ذهب ، وغمض السيف في اللحم : غاب (٨) موشح : مرصع (٩) البديع والميكالى والخوارزمي والصاحب وقابوس وأبو منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفاً من مضمومهم ومنشورهم ، وهم من رجال القرن الرابع ، وسندكر تراجعهم حين يعود المؤلف إلى الحديث عن آثارهم الأدبية

وليس لى فى تأليفه من الافتخار، أ كثر من حُسن الاختيار؛ واختيار المرء
 قطعةً من عقله، تدلُّ على تخلفه أو فضله؛ ولا شكّ - إن شاء الله - فى استجادة
 ما استجدت، واستحسان ما أوّردت؛ إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفسٌ،
 ولا اجتمع حسنٌ، ولا مال سِر، ولا جال فِكر، فى أفضلَ من معنى لطيف، ظهر
 فى لفظ شريف؛ فكساه من حسن الموقع، قبولاً لا يُدفع، وأبرزه يختال من
 صفاء السبك [ونقاء السّلاك] وصحة الديباجة، وكثرة المائتة، فى أجل
 حُلة، وأجلى حلية:

يستنبط الروح اللطيف نسيمةً أَرَجاً، ويؤكل بالضمير ويشرب^(١)
 وقد رغبتُ فى التجافى عن المشهور، فى جميع المذكور، من الأسلوب الذى
 ذهبْتُ إليه، والنحو الذى عوّلتُ عليه؛ لأنّ أوّل ما يقرع الآذان، أدعى إلى
 الاستحسان، مما حجته^(٢) النفوسُ لطول تكراره، وللفظته^(٣) العقولُ لكثرة استمراره؛
 فوجدت ذلك يتعذّر ولا يتيسر، ويمتنع ولا يتسع^(٤)؛ ويوجب ترك ما ندر إذا اشتهر؛
 وهذا يوجب فى التصنيف دخلاً^(٥)، ويكسب التأليف خالاً؛ فلم أعرّض إلاّ لما
 أهانه الاستعمال، وأذّاله الابتذال^(٦)؛ والمعنى إذا استدعى القلوب إلى حفظه،
 ما ظهر من مُستحسن لفظه؛ من بارع عبارة^(٧)، وناصع استعارة، وعُدوبةٍ مورد،
 وسهولة مقصد، وحسن تفصيل، وإصابة تمثيل؛ وتطابق أنحاء، وتجانس أجزاء،
 وتمكّن ترتيب، ولطافة تهذيب، مع صحّة طبع وجودة إيضاح، يتقنه
 تثقيف القِدادح، ويصوره أفضلَ تصوير، ويقدره أكمل تقدير؛ فهو مشرق

(١) يستنبط: يستخرج (٢) حجته: مقتبه (٣) لفظته: رمته (٤) يتسع: يسهل

(٥) الدخلى والدخلى: العيب، ونخلة مدخولة: غفنة الجوف (٦) أذّاله: أهانه

(٧) من إضافة الصفة للموصوف، أى عبارة بارعة، وكذلك ما بعده

في جوانب السمع ، لا يُخلِّقه عَوْدُهُ عَلَى المستعِيد^(١) :

وهو المُشَيِّعُ بالسماع إن مَضَى وهو المضاعف حُسْنُهُ إن كُرِّرَا
وإن كنتُ قد استدركتُ على كثيرٍ ممن سبقني إلى مثل ما جَرَيْتُ إليه ،
واقصرت في هذا الكتاب عليه ، لِمُلَحِّ أوردتها كَنَوَائِفِ السَّحْرِ^(٢) ؛ وَقَرَّرَ نَظْمَهَا
كَالْفَنَى بعدَ الْفَقْرِ ، من ألفاظِ أَهْلِ الْعَصْرِ ، في محلولِ النثر ، ومعقودِ الشعر ؛
وفيه من أدركته بِعُمُرِي ، أو لحقه أَهْلُ دَهْرِي ؛ ولهم من لطائفِ الابتداع ،
وتوليداتِ الاختراع ، أَبْكَارٌ لَمْ تَقَرَّرْهَا الْأَسْمَاعُ^(٣) ، يُضَبُّوْا إِلَيْهَا الْقَلْبُ وَالْظَّرْفُ ،
وَيَقْطُرُ مِنْهَا مَاءُ الْمَلَاةِ وَالْظَّرْفِ ، وتمتزجُ بِأجزاءِ النفس ، وتسترجعُ نَافِرَ الْأَنْسِ ،
تَحَلَّاتٌ تَضَاعِيفُهُ ، وَوَشَحَّتْ تَأْلِيفُهُ ، وَطَرَزَتْ دِيبَاجُهُ ، وَرَصَّعَتْ تَاجَهُ ، وَنَظَّمَتْ
عَقُودَهُ ، وَرَقَّتْ بُرُودُهُ ؛ فَنُورُهَا يَرِفُ ، وَنُورُهَا يَشِفُ ، في روضٍ من الكلم
مُؤْنِقٍ ، وَرَوْنِقٍ من الحكم مشرق :

صفا وَنَفَى عَنْهُ الْقَذَى فَكَانَهُ إِذَا مَا اسْتَشَفَّتْهُ الْعَيُونُ مَصْعَدُ^(٤)
فهو كما قلت :

بَدِيعُ نَثْرِ رَقٍّ حَتَّى غَدَا يَجْرِي مع الرُّوحِ كما تَجْرِي
من مُذْهَبِ الْوَشْيِ على وَجْهِهِ دِيبَاجَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الشَّعْرِ^(٥)
كَرْهَرَةٍ الدُّنْيَا وَقَدْ أَقْبَلَتْ تَرُودُ في رَوَّاقِهَا النَّضْرِ^(٦)
أَوْ كَالنَّسِيمِ الْغُضِّ غِبَّ الْحَيَا يَحْتَالُ في أُرْدِيَةِ الْفَجْرِ^(٧)
ولعل في كثيرٍ مما تركتُ ، ما هو أَجْوَدُ من قليلٍ مما أدركتُ ؛ إِذْ كَانَ اقْتِصَاراً
من كُلِّ عَلَى بَعْضٍ ، ومن فَيْضٍ عَلَى بَرَضٍ^(٨) ؛ وَلَكِنِّي اجْتَهَدْتُ في اخْتِيَارِ

(١) لا يخلقه : لا يذهب بجدته وروقه (٢) الملح : جمع ملح ، وهي الكلمة

المستملحة المستعذبة . والنوائف : جمع نافذة ، وهي الساجرة (٣) افتزع البكر : فض بكارتها

(٤) تصعد : ارتفع (٥) وشى مذهب : مطرز بالذهب

(٦) ترود : تحتال (٧) غب الحيا : عقب المطر (٨) فيض : كثير ، وبرض : قليل

ما وجدت ؛ وقد تدخل اللفظة في سماعه اللفظيات، ويمرُّ البيت في خلال الأبيات، وتعرض الحكاية في عرض الحكايات، يتمُّ بها المعنى المراد، وليست مما يُستجد؛ ويبعث عليها فرط الضرورة إليها [في إصلاح خلل]؛ فهما تره من ذلك في هذا الاختيار، فلا تُعرض عنه بطرف الإنكار؛ وما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب، الموسوم بـ «زهر الآداب»، وتمرّ الألباب» لكنني أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاغترار، إلى فسحة الاعتذار :

ويُسَىء بالإحسان ظناً، لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون^(١)
والله المؤيد والمسدّد، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

[إن من البيان لسحراً]

الزبرقان بن بدر وعمر بن الأَهم بن يدى رسول الله

روى عن عبد الله بن عباس - رضوان الله عليهما ! - قال :
وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمر بن الأَهم ؛
فقال الزبرقان : يا رسول الله ! أنا سيدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والجلبُ منهم ، آخذُ
لهم بحقّهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك - يعنى عمراً .
فقال عمرو : أجل يا رسول الله ؛ إنه مانعٌ لِحوزته^(٢) ، مُطاعٌ في
عشيرته ، شديد العارِضة فيهم^(٣) .

فقال الزبرقان : أمّا إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدنى شرفى !
فقال عمرو : أمّا لئن قال ما قال ؛ فوالله ما علمته إلا ضيق العطن^(٤) ، زمر^(٥)
المروءة^(٥) ، أحمق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى .

(١) هكذا حور المؤلف البيت ، وهو لأبى تمام ، ونصه في الأصل :

ويُسَىء بالإحسان ظناً لا كمن هو بانه وبشعره مفتون

(٢) حوزة الرجل : ما يحوزه ويملكه (٣) العارضة : البديهة وقوة الكلام

(٤) العطن : المناخ حول الورد ، وضيق العطن : كناية عن البخل

(٥) زمر المروءة - بالراء - أى قليلها ، وفي نسخة زمن : أى بالو

فرأى الكراهة في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ؛ فقال : يا رسول الله ؛ رضيتُ قُلتُ أحسنَ ما علمت ، وغضبتُ قُلتُ أقبحَ ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ من البيان لسحرا ، وإنَّ من الشعر لحكمة . ويروى لحكما ، والأول أصح .

والذى روى أهل الثَّبت ، من هذا الحديث أنه قدِّمَ رجلان من أهل المشرق فخطبا ؛ فعجِبَ الناسُ لبيانهما ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ من البيان لسِحْرًا ، أو إنَّ من بعض البيان لسحرا ^(١) .

ترجمة عمرو
ابن الأَهم

وعَمْرُو بن الأَهم هو : عَمْرُو بن سِنَان بن سُمَيَّ [بن سِنَان بن خالد] ابن مَنقَر ابن عُبيد بن الحارث ، والحارث هو : مُقَاعِس بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم . وسُمِّي سِنَان الأَهم لأنَّ قيس بن عاصم المَنقَرِي سَيِّد أهل الوَبَرِ ضربه بقوسه فهتَمَ فاه . هذا قولُ أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة . وقال غيره : بل هُتِمَ فُوه يوم الكُلاب الثاني ، وهو يومُ كان لبنى تميم على أهل اليمن . وكان عمرو يلقب المُكَجَّلَ لجماله ، وبنو الأَهم أهل بيتِ بلاغةٍ في الجاهلية والإسلام . وعبد الله بن عمرو بن الأَهم هو جدُّ خالد ابن صَفْوَانَ وشَيْب بن شَيْبَة . وكان يقال : الخطابة في آلِ عَمْرُو ، وكان شعره حُمَلًا مَنشُورًا عند الملوك تأخذُ منه ما شاءت . وهو القائل :

ذريني فإنَّ البخلَ يا أمَّ مالكٍ لصالحِ أخلاقِ الرجالِ سرُّوقُ
لعمركُ ما ضاقت بلادُ بأهلها ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تَضيقُ ^(٢)

ترجمة الزبرقان
ابن بدر

والزبرقان : اسمه حُصَيْن بن بَدْر بن امرئ القيس [بن الحارث] بن

(١) أنظر القصة كما رواها أولا في مجمع الأمثال للميداني (٦ / ١ بولاق) (م)

(٢) هذا البيت ورد أيضا في أبيات بشار التي مطلعها :

خليلى إن العسر سوف يفيق وإن يسارا فى غد تخليق

بِهَذَلَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعِيدٍ . وَسَمِيَ الزَّبَرْقَانَ لِمَالِهِ ؛ وَالزَّبَرْقَانُ : الْقَمَرُ [قَبْلَ تَمَامِهِ] وَقِيلَ : لِأَنَّهُ كَانَ يُزَبْرِقُ عِمَامَتَهُ ، أَيْ يَصْفُرُّهَا فِي الْحَرْبِ .
وَكَانُوا يَسْمَوْنَ الْكَلَامَ الْغَرِيبَ « السَّحَرُ الْحَلَالُ » ، وَيَقُولُونَ : اللَّفْظُ الْجَمِيلُ مِنْ إِحْدَى النَّفَثَاتِ فِي الْعُقْدِ (١) .

وَذَكَرَ بَعْضُ الرُّوَاةِ أَنَّهُ لَمَّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَيْهِ وَفَوَّذُ أَهْلِ كُلِّ بَلَدٍ ؛ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَفَدُّ أَهْلَ الْحِجَازِ ، فَاشْرَأَبَ مِنْهُمْ غَلَامٌ لِلْكَلامِ (٢) ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا غَلَامُ ؛ لِيَتَكَلَّمَنَّ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْكَ ! فَقَالَ الْغَلَامُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَضْعَفِ رِيَّةٍ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِذَا مَنَحَ اللَّهُ عَبْدَهُ لِسَانًا لَا لَفْظًا ، وَقَلْبًا حَافِظًا ، فَقَدْ أَجَادَ لَهُ الْإِخْتِيَارَ ؛ وَلَوْ أَنَّ الْأُمُورَ بِالسِّنِّ لَكَانَ هَاهُنَا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِكَ مِنْكَ .

عمر بن
عبد العزيز
وغلام يتقدم
وفد قومه

فَقَالَ عُمَرُ : صَدَقْتَ ، تَكَلَّمْ ؛ فَهَذَا السَّحَرُ الْحَلَالُ ! فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ وَفَدُ التَّهْنِئَةِ لَا وَفَدُ الْمَرْزُوءَةِ (٣) ، وَلَمْ تُقَدِّمْنَا إِلَيْكَ رَغْبَةً وَلَا رَهْبَةً ؛ لِأَنَّا قَدْ أَمِنَّا فِي أَيَّامِكَ مَا خِفْنَا ، وَأَدْرَكْنَا مَا طَلَبْنَا !
فَسَأَلَ عُمَرُ عَنْ سِنِّ الْغَلَامِ ، فَقِيلَ : عَشْرُ سِنِينَ .

وَقَدْ رَوَى أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرْظِيَّ كَانَ حَاضِرًا ، فَنَظَرَ وَجْهَ عُمَرَ قَدْ تَهَلَّلَ عِنْدَ ثَنَاءِ الْغَلَامِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَا يَغْلِبُنِي جَهْلُ الْقَوْمِ بِكَ مَعْرِفَتِكَ بِنَفْسِكَ ؛ فَإِنْ قَوْمًا خَدَعَهُمُ الثَّنَاءُ ، وَغَرَّهْمُ الشُّكْرُ ، فَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ ، فَهَوَوْا فِي النَّارِ (٤) . أَعَاذَكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، وَأَلْحَقَكَ بِسَائِلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ فَبِكَيْ عُمَرَ حَتَّى خَيفَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تُخْلِنَا مِنْ وَاعِظٍ !

(١) النفثات : جمع نفثة ، وهى أن تنفل الساحرة بريقها على ما تعتقده ، وفى نسخة « النفثات » جمع نفائة وهى الساحرة نفسها (م) (٢) اشْرَأَبَ : تَطَّلَعَ (٣) الْمَرْزُوكُ : الْإِسْتِجْدَاءُ وَطَلَبُ النَّوَالِ (٤) هَوَوْا : سَقَطُوا ، مِنْ هَوَى يَهْوَى عَلَى وَزْنٍ ضَرْبٍ يَضْرِبُ ، بِخِلَافِ هَوَى يَهْوَى عَلَى وَزْنٍ عِلْمٍ يَعْلَمُ فَإِنَّهُ بِمَعْنَى أَحَبَّ

وقد روى أن عمر قال للغلام: عِظْنِي، فقال هذا الكلام، وفيه زيادة يسيرة ونقص
أخذ قول عمر: «هذا السحر الحلال» أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد
محمد بن يوسف الطائي:

إذا ما الحاجةُ انبَعَثَتْ يَدَاها جَعَلْتَ الْمَنْعَ مِنْكَ لَهَا عَقَلاً
فأين قصائدُ لي فيكَ تَأْبَى وتأنفُ أَنْ أَهَانَ وَأَنْ أَذْلاً
هي السَّحَرُ الحلالُ الْمُجْتَلِيهِ ولم أرَ قبلها سِحْراً حَلَالاً

وكتب أبو الفضل بن العميد^(١) إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه من ابن العميد
لبعض "إخوانه" فأحمده:]

وَصَلَّ مَا وَصَلْتَنِي بِهِ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، مِنْ كِتَابِكَ ، بَلْ نَعْمَتِكَ التَّامَّةُ ،
وَمُنَّتِكَ الْعَامَّةُ ؛ فَقَرَّرْتُ عَيْنِي بِوَرُودِهِ ، وَشَفِيتُ نَفْسِي بِوَفُودِهِ ، وَنَشَرْتُه فَحَكَمِي
نَسِيمَ الرِّيَاضِ غِبَّ الْمَطَرِ ، وَتَنَفَّسَ الْأَنْوَارِ^(٢) فِي السَّحَرِ ، وَتَأَمَّلْتُ مُفْتَتَحَهُ ، وَمَا
اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ لَطَائِفِ كَلِمِكَ ، وَبَدَائِعِ حِكْمِكَ ؛ فَوَجَدْتَهُ قَدْ تَحَمَّلَ مِنْ فَنُونِ
الْبَرِّ عَنْكَ ، وَضُرُوبِ الْفَضْلِ مِنْكَ ، جِدًّا وَهَزْلاً ، مَلَأَ عَيْنِي ، وَعَمَرَ قَلْبِي ، وَغَلَبَ
فِكْرِي ، وَبَهَرَ لُبِّي ؛ فَبَقِيْتُ لَا أَدْرِي : أَسُمُوطُ ذَرٍّ خَصَصْتَنِي بِهَا ، أَمْ عُقُودُ
جَوْهَرٍ مَنَحْتَنِيهَا ؟ كَمَا لَا أَدْرِي أَبْكَراً زَفَفْتَهَا فِيهِ ، أَمْ رَوْضَةٌ جَهَزْتَهَا مِنْهُ ؛
وَلَا أَدْرِي أَخْدُوداً ضُرِّجَتْ حَيَاءُ ضَمْنَتِهِ ؛ أَمْ نَجُوما طَلَعَتْ عِشَاءَ أَوْدَعْتَهُ ؛ وَلَا أَدْرِي
أَجْدُكَ أَبْلَغَ وَالْطَفِ ، أَمْ هَزْلُكَ أَرْفَعَ وَأَظْرَفَ ؛ وَأَنَا أَوْ كَلُّ بَتَتَّبِعُ مَا أَنْطَوَى
عَلَيْهِ نَفْساً لَا تَرَى الْحِظَّ إِلَّا مَا اقْتَنَنَتْهُ مِنْهُ ، وَلَا تُعَدُّ الْفَضْلَ إِلَّا فِيمَا أَخَذَتْهُ عَنْهُ ،
وَأُمْتَعَتْ بِتَأَمُّلِهِ عَيْنَا لَا تَقْرَأُ إِلَّا بِمَثَلِهِ ، مِمَّا يَصْدُرُ عَنْ يَدِكَ ، وَيَرِدُ مِنْ عِنْدِكَ ،
وَأُعْطِيهِ نَظْراً لَا يَمْلَهُ ، وَطَرْفاً لَا يَطْرِفُ دُونَهُ ، وَأَجْعَلُهُ مِثْلاً أَرْتَسِمُهُ وَأُحْتَدِيهِ ،

(١) كان ابن العميد إمام الكتاب في عصره حتى قيل فيه «بدئت الكتابة بعد الحميد ،
وختمت بابن العميد» . توفي سنة ٣٦٩ بعد أن تولى كثيراً من المناصب العالية

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون - وهو نوار الزهر

وأمتع خلق بروّقه ، وأغذى نفسى بهجته ، وأمزج قريحته برقته ، وأشرح صدرى بقراءته ، ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً ، وفى تعديد ما ذكرته متخلفاً ؛ لقد عرفت أنه ما سمعت به من السّحر الحلال .

من وصف
الكلام بالسحر

وقال بعض المحدّثين يمدح كاتباً :
وَإِذَا جَرَى قَلَمٌ لَهُ فِي مُهْرَقٍ عَجَلَانِ فِي رَفْلَانِهِ وَوَجِيفِهِ (١)
نَظُمْتُ مَرَاشِفُهُ قَلَانِدَ نَظْمَتِ بَنَفِيسِ جَوْهَرٍ لَفْظُهُ وَشَرِيفِهِ
بِدْعاً مِنَ السّحْرِ الْحَلَالِ تَوَلَّدَتْ عَنْ ذَهْنٍ مَصْقُولِ الذِّكَاءِ مَشُوفِهِ (٢)
مَثَلًا لِضَارِبِهِ وَزَادَ مُسَافِرٍ جُعِلَتْ وَتُحْفَةُ قَادِمٍ لِأَلِيفِهِ

وصف رجل
محبوب

وعلى ذكر قوله «وتُحْفَةُ قَادِمٍ» قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : وصف رجل رجلاً قتال : كان والله سَمَحًا سَهْلًا ، كَأَمَّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُلُوبِ نَسَبٌ ، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ سَبَبٌ ، إِنَّمَا هُوَ عِيَادَةُ مَرِيضٍ ، وَتُحْفَةُ قَادِمٍ ، وَوَاسِطَةُ عُقْدٍ .

عود إلى وصف
الكلام بالسحر

وأخذ بعضُ بنى العباس رجلاً طليئاً ، فهمَّ بعتوبته ، فقال الطالبي : والله لولا أَنْ أَفْسِدَ دِينِي بِفَسَادِ دُنْيَاكَ لَمَلَكْتُ مِنْ لِسَانِي أَكْثَرَ مِمَّا لَكْتُ مِنْ سَوَاطِكِ ، وَاللَّهِ إِنْ كَلَامِي لَفَوْقَ الشَّعْرِ ، وَدُونَ السّحْرِ ، وَإِنْ أَيْسَرَهُ لَيَنْتَقِبُ الْخُرْدَلُ ، وَيَحِطُّ الْجُنْدَلُ .

وقال على بن العباس (٣) يَصِفُ حَدِيثَ امْرَأَةٍ :

وَحَدِيثُهَا السّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ (٤)
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّلْ ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزْ
شَرَكُ الْعُقُولِ ، وَنَزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِمُطْمَئِنٍّ ، وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِزِ (٥)

(١) المهرق بفتح الراء : الصحيفة ، والجمع مهراق — عجلان : مسرع — الرفلان :

السير فى تبختر — والوجيف : السير السريع (٢) المشوف : المجلو

(٣) هو ابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٣ (٤) المتحرز : المتحفظ (٥) الشراك : الفخ — العقلة

العقال ، المستوفز : المستعجل — والشاعر يذكّر أن حديث هذه المرأة نزهة للمطمئنين وعقال لمن يهيم بالانصراف .

أَلَمْ فِي بَيْتِهِ الْآخِرَ يَقُولُ الطَّائِي :

كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ لَعِيدَاءُ أَصْبَحَتْ • وليس لها في الحسن شكلٌ وَلَا تَرْبُ^(١)

لَهَا مَنْظَرٌ قَيْدُ النَّوَظِرِ لَمْ يَزَلْ • يَرُوحُ وَيَعْدُو فِي خَفَارَتِهِ الْحُبُّ^(٢)

وأول من استثار هذا المعنى امرؤ القيس بن حُجْر الكندي في قوله :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا • بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ^(٣)

وقالت عُليَّة بنت المهدي :

اشرب على ذكر الغزال الأغيد الحلو الدلال

اشرب عليه وَقُلْ لَهُ : يَا غُلَّ أَلْبَابِ الرِّجَالِ^(٤)

وكانت عُليَّة لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجازي الكلام ، ولها
أَلْحَانٌ حَسَنَةٌ ، وَعَلَقَتْ بِغَلَامِ اسْمِهِ « رَشَاءُ » وفيه تقول :
عليه بنت
المهدي أخت
الرشيد

أَضْحَى الْقَوَادُ بَزِينَا عِبًا كَثِيرًا مُتَعَبَا

فَجَعَلْتُ زَيْنَبَ سُرَّةً وَكَتَمْتُ أَمْرًا مُعْجَبَا

[قولها : بزینب تريد برشأ] .

فَنَمَى الْأَمْرَ إِلَى أَخِيهَا الرِّشِيدِ ، فَأَبْعَدَهُ ، وَفِيل : قَتَلَهُ ، وَعَلَقَتْ بَعْدَهُ بِغَلَامِ
اسْمِهِ « طَلٌّ » ، فقال لها الرشيد : والله لئن ذَكَرْتَهُ لَأَقْتُلَنَّكَ ! فدخل عليها يوماً

(١) الكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة تكعب ثديها : أي ، تتأ كالكعب ،
أتراب : خديئات ، وتاربت الفتاة : خادتها ، قال كثير :

نتارب بيضا إذا استلعت كأم الظباء ترف الكبانا

وقد يراد بالأتراب الشبهات في السن والحسن — والغيداء : الناعمة

(٢) قيد النواظر : هو للنواظر كالقيد — الخفارة : الحماية (٣) الوكنات : جمع
وكنة ، وهي العش ، والمنجرد : الفرس سقط شعره من الضمور ، والأوادم : الوحوش
النافرة ، والهيسكل : الضخم (٤) الغل : هو الطوق يوضع في عنق الأسير

على حين غفلة وهى تقرأ : فإن لم يُصِبها وابلٌ فما نهى عنه أمير المؤمنين ، فضحك ،
وقال : ولا كل هذا ، وهى القائلة :

يا عاذلى قد كنتُ قبلَكَ عاذلاً حتى ابتليتُ فصرتُ صباً ذاهلاً
الحب أول ما يكون مجانةً فإذا تحكَّم صار شُغلاً شاغلاً^(١)
[أَرْضى فَيَغْضَبُ قَاتِلِي فَتَعْجَبُوا يَرْضَى الْقَتِيلُ وَلَا يَرْضَى الْقَاتِلُ]

وهى القائلة :

وُضِعَ الْحَبُّ عَلَى الْجَوْرِ ، فَلَوْ أَنْصَفَ الْمَعشُوقُ فِيهِ لَسَمَّجُ^(٢)
[وَقَلِيلُ الْحَبِّ صَرْفًا خَالِصًا لَكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ قَدْ مَزَجُ]
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي نَعْتِ الْهُوَى عَاشِقُ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْحُجَجِ
وَكَأَنَّهَا ذَهَبَتْ فِي الْأَوَّلِ إِلَى قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :
وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهُوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُرْوَعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ
وَقَدْ زَادَ النَّمِيرَى فِي هَذَا فَقَالَ :

أشباه لشعر عليّة
بنت المهدي

رَاحَتِي فِي مَقَالَةِ الْعُذَالِ وَشِفَائِي فِي قِيلِهِمْ بَعْدَ قَالَ
لَا يَطِيبُ الْهُوَى وَلَا يَحْسَنُ الْحَبُّ لَصَبٌ إِلَّا بِخَمْسِ خِصَالٍ
بِسْمَاعِ الْأَذَى ، وَعُذْلُ نَصِيحٍ ، وَعِتَابٍ ، وَهَجْرَةٍ ، وَتَقَالِ^(٣)
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

لَوْلَا أَطْرَادُ الصَّيْدِ لَمْ تَكُ لَذَةً فَتَطَارَدِي لِي فِي الْوَصَالِ قَلِيلًا^(٤)
هَذَا الشَّرَابُ أَخُو الْحَيَاةِ وَمَالُهُ مِنْ لَذَةٍ حَتَّى يُصِيبَ غَلِيلًا^(٥)

(١) المجانة : العبث (٢) سمج : قبح (٣) التقالى : التباض

(٤) اطراد الصيد : جريه (٥) الغليل : الظمأ الشديد

وقال آخر :

دَعِ الصَّبَّ يَصْلِيْ بِالْأَذَى مِنْ حَبِيْبِهِ فَإِنَّ الْأَذَى مِنْ تَحِبُّ سُرُورٌ^(١)
غُبَارُ قَطِيعِ الشَّاءِ فِي عَيْنِ ذُبَيْهَا إِذَا مَا تَلَا آثَارَهُنَّ ذُرُورٌ^(٢)
وَأُنْشِدِ الْأَصْمَعِيَّ [لِجَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَذْرَى] ^(٣) :

لَا خَيْرَ فِي الْحَبِّ وَقَفًّا لَا تَحَرَّكَهُ عَوَاضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَاحَهُ الطَّعْمُ
لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي لَكُنْتُ أُمْلِكُ مَا آتَى وَمَا أَدْعُ
إِذَا دَعَا بِأَسْمِهَا دَاعٍ لِيَحْزَنَنِي كَادَتْ لَهُ شُعْبَةُ مِنْ مُهْجَتِي تَقَعُ^(٤)

وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي :

لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامَةَ الْعِشَاقِ فَكِفَاهُ بِالْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ
إِنْ الْبَلَاءُ يَطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقٍ
لَا تُطْفِئَنَّ جَوِّي بَلْوَمٍ ؛ إِنَّهُ كَالرِّيحِ تُغْرِى النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ
وَيُشَبِّهُ بَيْتَ عَلِيَّةِ الْآخِرِ بَيْتُ أَنْشِدَ فِي شَعْرِ رُؤْيَى لِأَبِي نَوَاسٍ ، وَرَوَاهُ
قَوْمٌ لِعَنَّانٍ جَارِيَةِ النَّاطِفِيِّ^(٥) وَهُوَ :

حَلَوُ الْعِتَابِ يَهِيْجُهُ الْإِدْلَالُ لَمْ يَحْلُ إِلَّا بِالْعِتَابِ وَصَالُ
لَمْ يَهْوَ قَطُّ وَلَمْ يَسْمَعْ بِعَاشِقٍ مَنْ كَانَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ التَّعْذَالُ^(٦)

(١) يَصْلِي : يَحْتَرِقُ (٢) الذَّرُور : هُوَ الْمَلْحُ يَذَرُ عَلَى اللَّحْمِ وَالْفُلْفُلِ يَوْضَعُ عَلَى الثَّرِيدِ وَهُوَ كَذَلِكَ الدَّوَاءُ فِي الْعَيْنِ . وَالْمُرَادُ أَنَّ غُبَارَ الشَّاءِ فِي عَيْنِ الذُّبَيْ هُوَ كَالْتَوَابِلِ تَوْضَعُ عَلَى الطَّعَامِ

(٣) الْأَصْمَعِيُّ هُوَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَرِيبٍ ، وَنَسَبٌ إِلَى جَدِّهِ أَصْمَعٌ ، نَشَأَ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَخَذَ عَنْ فَصْحَاءِ الْبَادِيَةِ ، وَاتَّصَلَ بِالرَّشِيدِ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٦ (٤) شُعْبَةُ : قِطْعَةُ

(٥) النَّاطِفِيُّ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ ، وَعَنَّانٌ : شَاعِرَةٌ مَاجِنَةٌ سَمِعَ بِهَا الرَّشِيدُ فَاشْتَرَاهَا بَعْدَ أَنْ غَالَى بِهَا سَيِّدَهَا ، وَلَهَا أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ مَعَ أَبِي نَوَاسٍ تَوَفِّيَتْ فِي نَحْوِ سَنَةِ ٢٠٠

(٦) التَّعْذَالُ : اللُّومُ ، وَمِثْلُهُ الْعَذْلُ

وجميع أسباب الغرام يسيرة
تصف القضيبة على الكتيبة قناتها
ولرب لابس قناع ملاحه
كست الحداثة ظرفها وجمالها
وكانها والكأس فوق بنائها
حتى إذا ما استأنست بجديتها
قلنا لها : إن صدقت أقوالها
قولى فليس تراك عين نيمة
وضمير ما اشتملت عليه ضلوعنا
مالم يكن غدر ولا استبدال
ولها من البدر المنير مثال
حسناء سار بحسنها الأمثال
نوراً فناء شبابها يختال^(١)
شمس يمدُّ بها إليك هلال
وتكلمت بلسانها الجريال^(٢)
أفعالها وجرى بهنّ الفال
حضر النصيح وغابت العذال
سرى لدى أبوابه أقفال

ما قيل في معنى
«قيد الأوابد»

وقد أخذ أبو الطيب المتنبي معنى «قيد الأوابد» ، فقال يصف كلباً :
نيلُ النوى وحكم نفس المرسل
كأنه من علمه بالقتل
وعقلة الطي وحفّ التفتل^(٣)
علم بقراط فصاد الأكل^(٤)
وقال في بني حمدان :

متواضعين على عظيم الشأن^(٥)
أجل الظلم وربة السرحان^(٦)
وقال أعرابي يصف فرساً : إنه أدرك الطالب ، ومنجى الهارب ،
وقيد الرّهان ، وزين الفناء .

(١) يختال : يترقرق (٢) الجريال : الحمر ، يريد الشاعر أن يصف تلك الحسناء
بعدم التحرز في الحديث وقد لعبت برأسها الصبياء .

(٣) التفتل : الثعلب ، وفي النسخ القديمة (النتقل) وهو تصحيف (٤) بقرات : من
كبار الأطباء القدماء ، والأكل : عرق في اليد (٥) متصعلك : متظاهر بالفقر ، والكثافة :
الضخامة (٦) مطهم : مضمر دقيق الجسم ، والظلم : ذكر النعام ، والربة : الرباط ،
والسرحان الذئب ، والمعنى أنهم يتقيلون ظلال كل جواد في عدوه أجل الظلم وقيد الذئب

وقال بعض أهل العصر في وصف غلام : وَجْهُهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ ، وَأَمَدُ الْأَفْكَارِ ، ونهاية الاعتبار .

وقال أبو القاسم إسماعيل بن عباد^(١) :

وَقَدْ أَغْتَدَى لِلصَّيْدِ غُدْوَةً أَصْيِدُ أَعَاجِلُ فِيهَا الْوَحْشَ وَالْوَحْشُ هُجْدُ^(٢)
فَعَنْتُ ظَبَاءً خَفَنَ تَحْتِي مَطْلَقَ الْيَدَيْنِ بِهِ أَيْدِي الْوَحْشِ تُقَيِّدُ^(٣)
فَأَدْرَكْتُهَا وَالسَّيْفُ لَمْعَةٌ بَارِقٌ وَلَمْ يُغْنِهَا إِحْضَارُهَا حِينَ تَجْهَدُ^(٤)
وَقَدْ رُعْتُهَا إِذْ كَانَ شَعْرَى رَائِعًا وَطَرَفُ مَشْيِي عَنْ عِدَارِي أَرْمَدُ^(٥)
وَمَا بَلَغْتَ حَدَّ الثَّلَاثِينَ مُدَّتِي وَهَذَا طِرَازُ الشَّيْبِ فِيهِ يُمَدِّدُ^(٦)

وأبيات ابن الرومي من أجود ما قيل في حسن الحديث ، وقد توسَّع الشعراء في هذا الباب ، وكثُر إحسانهم ، كما كُثِرَ افتنانهم ، وسأجرى شأواً في مختار ما قيل في ذلك ، وأعود إلى ما بدأتُ به .

قال القطامي - واسمه عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ التُّغْلَبِيُّ^(٧) ، وسمى القطامي لقوله :

يَحْطُطْنَ جَانِبًا فَجَانِبًا حَطَّ الْقُطَامِيُّ الْقَطَا الْقَوَارِبَا^(٨)

وقال أبو عبيدة : ويقال للصقر قُطَامِي وقُطَامِي :

وَفِي الْخُدُورِ غَمَامَاتُ بَرْقَنَ لَنَا حَتَّى تَصَيِّدُنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي^(٩)

(١) هو صاحب بن عباد المشهور ، المتوفى ٣٨٥ (٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا

(٣) عنت : عرضت ، ومطَّحَ الْيَدَيْنِ : وصف للفرس بالسرعة

(٤) الإحضار : نوع من السير السريع ، وتجهد : تعب (٥) أرمَد : كليل البصر ،

يريد أن الشيب لم يسم ببصره إلى عذاره

(٦) الطراز : الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجياد

(٧) في النسخ القديمة (التغلي) وهو تحريف (٨) القوارب : طالبات الماء

(٩) يتقين : يخضن ، وباد : ظاهر .

فهنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُنَّ بِهِ مواقع الماء من ذى الْعُلَّةِ الصَّادِى (١)
 وقال أبو حَيَّةَ الثَّمِيرِى ، واسمه الهيثم بن الرَّبِيع :
 وَخَبَّرَكَ الْوَاشُونَ أَنَّ لَنَا أَحَبَّكُمْ بلى وَسُتُورَ اللَّهِ ذَاتِ الْحَارِمِ
 وَإِنْ دَمًا ، لَوْ تَعْلَمِينَ ، جَنَّتِيهِ عَلَى الْحَيِّ جَاءَنِ مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمٍ (٢)
 أَصَدُّ وَمَا الصَّدُّ الَّذِى تَعْلَمِينَهُ عِزَاءَ بَكْمٍ إِلَّا ابْتِلَاعَ الْعَلَاقِمِ (٣)
 حَيَاءٌ وَتَقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ بِنَاوَبِكُمْ ، أَفَّ لِأَهْلِ النَّمَائِمِ (٤)
 أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ إِلَيْهِ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِمِ (٥)
 وَلَكِنَّهُ وَاللَّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَغُرِّ الثَّنَائِيَا وَاضْحَاتِ الْمَلَاغِمِ (٦)
 إِذَا هُنَّ سَاقَطُنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصَى الْمَرْجَانِ مِنْ كَهْفٍ نَاطِمٍ (٧)

(١) مواقع الماء من الظمآن : كناية عن الأحشاء ، والمراد أن حديثهن يشفى
 الصب المغرم كما يطفىء الماء لوعة الغليل !
 (٢) «لوتعلمين» جملة معترضة ، ولوهنا للتمنى (٣) العلاقم : جمع علقم ، وهو الحنظل
 وكل شيء مر . ورواية البرد :
 أصد وما الصد الذى تعلمينه شفاء لنا إلا اجتراع العلاقم
 والاجتراع : مصدر اجتزع الماء أى ابتلعه
 (٤) تقيا : خوف ، ورواية البرد بقيا ، وأف لأهل النائم : تباهلهم !
 (٥) أرقلت : أسرعت ، والراعفات والروافع : الرماح تسيل الرعاف - بضم
 الراء - وهو الدم ، واللهازم : القواطع ، والمفرد لهزم على وزن جعفر (٦) الغر :
 البيض ، والملاغم : هى طرف الأنف وماحوله إلى الشفتين ، والوضوح : البياض
 والإشراق ، وطل : من قولهم دم مطلول إذا مضى هدرًا . وأثبت هذا البيت فى النسخ
 القديمة هكذا :

ولكنه والله ما ظل مسلما لغر الثنايا واضحات الملاغم
 وهو تحريف . هذا ورواية البرد «ولكن لعمر الله» إلخ ، والكاف فاعل «طل»
 فى قوله «ما ظل مسلما كغر الثنايا» . (٧) وقع عن البرد «سقاط حصى المرجان» (م)

رَمَيْنَ فَأَنْفَذَنَ الْقُلُوبَ ، وَلَا تَرَى دَمًا مَائِرًا إِلَّا جَوَى فِي الْحَيَازِمِ ^(١)
وقال أيضاً :

حديثٌ - إذا لم تَحْشَ عَيْنًا - كأنه إذا ساقطته الشَّهْدُ أو هو أَطْيَبُ
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ من الموت كادتُ سَكْرَةُ الموت تَذْهَبُ
إلى هذا ينظر قولُ الآخرِ وإن لم يكن منه :

أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَهَمٌ يَعْدِلُونِي وَدَمْعٌ جُفُونِي دَائِمُ الْعَبْرَاتِ
بِذِكْرِ مَنَى نَفْسِي فَبَلُّوا ، إِذَا دَنَا خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا ، جُفُوفَ لَهَاثِي ^(٢)

وقال سديف مولى بنى هاشم يصفُ نساءً :

وَإِذَا نَطَقْنَ تَخَالُفُنَّ نَوَاطِمًا دُرًّا يُفَصِّلُ لَوْلُؤًا مَكْنُونًا
وَإِذَا ابْتَسَمْنَ فَاتِهِنَّ غَمَامَةً أَوْ أَقْحَوَانَ الرَّمْلِ بَاتَ مَعِينًا ^(٣)
وَإِذَا طَرَفْنَ طَرَفْنَ عَنْ حَدَقِ الْمَهَا وَفَضَلْنَهُنَّ مَحَاجِرًا وَجُفُونًا ^(٤)
وَكَأَنَّ أَجْيَادَ الظُّبَاءِ تَمُدُّهَا وَخُصُورُهُنَّ لَطَافَةً وَلُدُونًا ^(٥)
وَأَصْحٌ مَارَتْ الْعَيُونَ مَحَاجِرًا وَلَهْنٌ أَمْرَضُ مَا رَأَيْتُ عَيُونًا ^(٦)

(١) أَنْفَذَنَ الْقُلُوبَ : من قولهم «رَمَيْتَهُ فَأَنْفَذْتَهُ» إِذَا أَنْفَذْتَ فِيهِ السَّهْمَ . ورواية
المبرد «أَقْصَدَنَ الْقُلُوبَ» بمعنى أَصْبَنَهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَدْتَ الرَّجُلَ إِذَا طَعَنْتَهُ فَلَمْ تَخْطِئْ مَقَاتِلَهُ ،
ومأثر : سائل ، والحيازِم : جمع حيزوم ، وهو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر
(٢) اللهاة : اللحمية المشرفة على الحلق ، وهذا البيتان من الشعر الرائع
(٣) الأَقْحَوَان : زهر أبيض تشبه به الثغور الناصعه البياض ، والمعين :
المطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة .

(٤) طرفن : حركن عيونهن ، والمها : الغزلان (٥) الأجياد : جمع جيد - بكسر
الجيم - وهو العنق ، واللدون والدونة - بضم اللام - الرقة

(٦) اللام في «لهن» لام الابتداء ، والمقصود بها التوكيد ، وفي هذا المعنى يقول جرير :
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا (م)

وَكَاثُنُهُنَّ إِذَا نَهَضْنَ لِحَاجَةٍ يَنْهَضْنَ بِالْعَقَدَاتِ مِنْ يَبْرِينَا^(١)
وقال الطائي^(٢) :

تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ لِحَجَى عُدُوبَتِهِ يَمُرُّ بِثَغْرِهَا
وَأُظْنُ حَبْلَ وَصَالَهَا لِمُحِبِّهَا أَوْهَى وَأَضْعَفَ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا
أَخَذَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هَانِي^(٣)، فَقَالَ يَمْدَحُ جَعْفَرَ بْنَ عَلِيٍّ، إِلَّا أَنَّهُ قَلَبَهُ فَقَالَ:
قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَاهَ طَيْبُ ثَنَائِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا نَجْدِ الثُّغُورِ عِذَا بَا
وَكَاثُمًا ضَرَبَ السَّمَاءَ سُرَادِقًا بِالزَّابِ، أَوْ رَفَعَ النُّجُومَ قِيبَابًا^(٤)
أَرْضًا وَطِئْتُ الدَّرَرَ رَضْرَاضًا بِهَا وَالْمَسْكَ تَرْبَا وَالرِّيَاضَ جَنَابًا^(٥)

(١) العقَدَات : جمع عقدة ، وهى السفح والكثيب ، ويبرين : اسم مكان من
أصقاع البحرين ، يقول فيه أبو زياد الكلابي .

أراك إلى كَثبان يبرين صبة وهذا العمرى لوقعت كثيب
وإن الكثيب الفرد من أين الحمى إلى ، وإن لم آتته ، لحبيب

(٢) نَسَبُهُ شَاذَةٌ إِلَى طِيٍّ ، وَكَلَّمَا ذَكَرَ « الطَّائِي » فَالْمُرَادُ أَبُو تَمَامٍ ، وَهُوَ شَاعِرٌ
خَلَفَ مِنْ شُعَرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . وَلَدَ فِي جَاسِمٍ - وَهِيَ قَرْيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ ١٩٠
لِلْهَجْرَةِ ، وَنَقَلَ صَغِيرًا إِلَى مِصْرَ ، وَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً يَسْقِي الْمَاءَ فِي جَامِعِ عَمْرٍو ، ثُمَّ رَحَلَ
إِلَى مَقَرِّ الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَنْ نَبَغَ فِي الشَّعْرِ وَالْأَدَبِ ، فَاتَّصَلَ بِالْمُعْتَصِمِ وَوَزِيرِهِ مُحَمَّدَ بْنَ الزُّيَّاتِ ،
ثُمَّ وَلَاهُ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ بَرِيدَ الْمَوْصِلِ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٢٣١ . وَلَهُ دِيْوَانٌ
(٣) مُحَمَّدُ بْنُ هَانِيٍّ : مِنْ أَكْبَرِ شُعَرَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَأَشْهَرِهِمْ . وَكَانَ يُسَمَّى
« مَتَنِي الْغَرْبِ » لِحِزَالَةِ شَعْرِهِ وَقُوَّةِ عَارِضَتِهِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْكَافِيَةِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي
يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا :

فَتَكَاتَ لِحَظِكَ أَمَ سَيُوفِ أَيْلِكَ وَكُؤُوسِ خَمَرِ أَمَ مَرَاشِفِ فَيْكَ

تُوفِيَ فِي سَنَةِ ٣٦٢ ، بَعْدَ أَنْ جَابَ كَثِيرًا مِنَ الْأَقْطَارِ وَاتَّصَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ الرُّؤَسَاءِ .
أَمَّا جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ مَدْحُوهُ فَقَدْ تُوفِيَ سَنَةَ ٣٦٤ .

(٤) الزَّابُ : مِنْ أَعْمَالِ أَفْرِيقِيَّةِ (٥) الرُّضْرَاضُ : صَغَارُ الْحَصَى

وقال الطائي :

بَسَطْتَ إِلَيْكَ بَنَانَةً أُشْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا^(١)
كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاظُهَا مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا
وَمِنْ جَيِّدِ هَذَا الْمَعْنَى وَقَدِيمِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي^(٢) :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةً مُتَعَبِدٍ^(٣)
لَرَأَى لِلْهَجْتِهَا وَطِيبَ حَدِيثِهَا وَلِحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرُ السَّلِيمِ إِلَى وَجْهِهِ الْعَوْدِ^(٤)
وَمِنْ مَشْهُورِ الْكَلَامِ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ سَعْدَى بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَدُنُو بَعِيدُهَا
مِنْ أَنْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أُحْدُوثةٌ لَوْ تُعِيدُهَا^(٥)
تَحُلُّ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيتُهَا وَتُرْمِي بِلا جُرْمٍ عَلَى حُقُودِهَا^(٦)
وقال بشار :

وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا قَطَعَ الرِّيَاضُ كَسِينَ زَهْرًا
حَوْرَاءُ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ سَقَتَكَ بِالْعَيْنِينَ خَمْرًا^(٧)
تُنْسِي الْغَوِيَّ مَعَادَهُ وَتَكُونُ لِلْحَكَمَاءِ ذِكْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَا بَصَفًا وَوَافِقًا مِنْكَ فَطْرًا^(٨)

-
- (١) الأسروع : دود أحمر الرأس تشبه به الأنامل الخضبة (٢) النابغة : شاعر جاهلي صحب النعمان بن المنذر وأجاد القول في الاعتذار
(٣) الأشمط : من خالط بياض شغره سواد ، وصرورة ، وصارورة ، وصرور : لم يتزوج ، للواحد والجمع (٤) العود : جمع عائد ، والمراد أنها تنظر بتكسر وفتور كما ينظر السقيم إلى وجوه العواد - والمحفوظ «نظر السقيم» وهو نسخة ، وكذلك هو في ديوانه (م) (٥) الخفرات : من الخفر - بفتحيتين - وهو الحياء .
(٦) تحلل : تحلل وتذوب ، والأحقاد والحقود : جمع حقد ، والجرم : الذنب
(٧) حوراء : من الحور - بفتحيتين - وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها (٨) في الأصل «وافق فيه قطراً» والذي اثبتناه أوفق

وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتُ يُنْفِثُ فِيهِ سَجْرًا
وتخال ما جَمَعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابَهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا^(١)
وسمع بشارتُ قول كثير بن عبد الرحمن^(٢) :

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ
فقال : قاتل الله أباصخر ! يزعم أنها عصا ويعتذر بأنها خير رانة ، ولو قال :
عصا مُخ ، أو عصا زُبْد ؛ لكان قد هَجَّنها مع ذكر العصا ، هلا قال كما قلت :
وَدَعَجَاءَ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا كَمَرُ الْجَنَانِ^(٣)
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانَ

وبعد قول كثير : « أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ » :

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ ، وَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ شَجَى فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ
وإن هي أعطتك الليان فإنها لآخر من خلانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأي عهدا فليس لخصوب البنان يمين
وقال البحري :

وَلَمَّا التَقَيْنَا وَاللَّوَى مَوْعِدٌ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدَّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً
فمن لؤلؤ تجنيه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
وقال المتنبي :

أَمْنَعُهُ بِالْعُودَةِ الظُّيُوءِ الَّتِي بَغِيرَ وَلِيٍّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِيُّ^(٤)
تَرَشَّقْتُ فَاهَا سَحْرَةً فَكَأَنِّي تَرَشَّقْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظُّلْمِ^(٥)

(١) يصف جسمها بأنه قطعة من الذهب والعطر .

(٢) هو كثير عزة المتوفى في سنة ١٠٥ (٣) دجاء : حوراء .

(٤) الوسمي : المطر الأول ، والولي : المطر الذي يليه .

(٥) الظلم بفتح الظاء : الثغر ، قال كعب بن زهير :

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظِلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مَنَهْلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ

وفي أساس البلاغة : الظلم كأنه ظلمة تركب متون الأسنان من شدة الصفاء

فتاةٌ تساوى عقدها وكلامها ومبسمها الدرّي في النثر والنظم -
 عاد الحديث الأول - قال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي :
 تحدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرني جدّي قراءة عليه ، عن أبي داود ، عن
 محمد بن عبيد الله ، عن أبي إسحاق ، عن البراء يرفعه إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحراً » قال أبو القاسم :
 هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ ، فقال : نعم ، هو : « إن من الشعر لحكماً »
 بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال : ووجهه عندي إذا روى هكذا : إن من
 الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ؛ إصابة للمعنى ، وقصدًا للصواب
 وفي هذا يقول أبو تمام :

ولو لا سبيلٌ سنّها الشعرُ مَدَرَى بُغَاةُ الْعُلَى مِنْ أَيْنَ تَوَقَّتِي الْمَكَارِمُ ^(١)
 يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ وَيُرْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ
 انتهى كلام أبي القاسم .

وقد وجدنا في الشعر أحياناً يُجرى على رسمها ، ويُضَيّ على حكمها ؛ فقد كان
 بنو أنف الناقة إذا ذكروا أحدٌ عند أحد منهم أنف الناقة - فضلاً عن أن ينسبهم
 إليه - اشتدَّ غضبهم عليه ؛ فما هو إلا أن قال الخطيئة ^(٢) يمدحهم :
 سِيرِي أُمَامَ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى وَالْأَطْيِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا ^(٣)

(١) البغاة : الطلاب . وفي الأصل « بغاة الندى » وما أثبتناه أدق .

(٢) هو جرول بن أوس ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، كان سليط
 اللسان لم يكده يسلم من هجائه أحد ، وقد سجّنه عمر بن الخطاب لذلك ، توفي
 نحو سنة ٣٠ .

(٣) سيري : أمر من السير للمفردة المؤنثة ، وأُمَامَ - بضم الهمزة - مرخم أمامة
 وهو اسم امرأة ، والأكثرين حصى : أى أكثر الناس عدداً ، ومنه قول الأعشى :
 ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكثير (م)

تفسير حديث
 وضبط لفظه

الخطيئة
 وبنو أنف
 الناقة

قومُ إذا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِهِمْ شَدَّوا الْعِجَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَابَ^(١)
 قوم هم الأنف والأذنانُ غيرهمُ ومن يسوَّى بِأنفِ الناقةِ الذَّنْبُ
 فصار أحدهم إذا سئل عن انتسابه لم يبدأ إلا به

وأنفُ الناقة : هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن زيد مائة بن تميم .
 وكان بنو الْعَجْلَانِ يَفْخَرُونَ بهذا الاسم ، ويتشرفون بهذا الوسم ؛ إذ كان
 عبدُ الله بن كعب جدُّهم إنما سَمِيَ الْعَجْلَانِ لتعجيله الْقِرَى للضيَّفَانِ ؛ وذلك أن
 حيًّا من طيء نزلوا به ، فبعث إليهم بِقَرَاهِمَ عَبْدًا لَهُ ، وقال له : انْجَلِ عليهم ،
 ففعل العبدُ ، فأعتقه لعجلته ، فقال القوم : ما ينبغي أن يسمى إِلَّا الْعَجْلَانِ ؛ فسمى
 بذلك ؛ فكان شرفًا لهم ، حتى قال النجاشي ، واسمه قيس بن عمرو بن حرن
 ابن الحارث بن كعب يهجوهم :

بنو العجلان
والنجاشي
الحارثي

أولئك أحوالُ اللَّعِينِ وأُسرةُ الْمُهْجِينَ ورَهْطُ الْوَاهِنِ المتذلَّلِ^(٢)
 وما سَمِيَ الْعَجْلَانِ إِلَّا لقَوْلِهِ خَذِ الْقَعْبَ وأحلب أيها العبدواً عجل
 فصار الرجل منهم إذا سئل عن نسبه قال : كعبي ، ويكنى عن العجلان
 وزعمت الرواة أن بنى الْعَجْلَانِ استعدوا^(٣) على النجاشي - لما قال هذا الشعر - عمر
 ابن الخطاب رضى الله عنه ، وقالوا : هَجَانَا ، قال : وما قال فيكم ؟ فأنشده قوله :
 إذا الله عَادَى أَهْلَ لَوْمٍ وَرِقَّةٍ فَعَادَى بنى الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ
 فقال : إنَّ الله لا يُعَادَى مسلمًا ، قالوا : فقد قال :
 قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ^(٤)

-
- (١) العِجَاج : جبل اللؤلؤ ومم الناقة . والكرب أيضا : من جبال الدلو ، والمراد
 أنهم إذا عقدوا عقدًا ربطوه بجبل بعد جبل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد
 (٢) الأسرة والرَهْط بمعنى القوم ، والمُهْجِينَ : غير الشريف ، والوَاهِنِ : الضعيف
 (٣) استعانوا واستنصروا (٤) قبيلة تصغير : قبيلة ، وفي الأصل قبيلته وهو تخريف ؛
 والمعنى أنهم لا يقدرُونَ لضعفهم على ظلم أحد .

فقال : وددت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا : فقد قال :
تَعَاْفُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ بَنُوهْلٍ
فقال : كفى ضياعاً من تأكل الكلابُ لحمه ! قالوا : فقد قال :
وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ ^(١)
فقال : ذلك أصفى للماء ، وأقل للزحام ! قالوا : فقد قال :
وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانِ إِلَّا لِقَوْلِهِ خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ
فقال : سيّد القوم خادِمُهُم ! .

وكان عمر رضى الله عنه أعلم بما فى هذا الشعر ، ولكنه درأ الحدود بالشبهات ^(٢)

وهؤلاء بنو نمير بن عامر بن صعصعة من القوم أحدُ جمرات العرب بنو نمير وجرير
وأشرف بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجرات العرب ثلاثة ؛ وإنما سُمُّوا
بذلك لأنهم متوافرون فى أنفسهم ، لم يَدْخُلُوا معهم غيرهم ؛ والتجيمير فى كلام العرب :
التجميع ، وهم : بنو نمير بن عامر ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد . فطفت
جرتان ، وهما بنو ضبة لأنها حالفت الرباب ، وبنو الحارث لأنها حالفت مذحج ، جرات العرب
وبقيت نمير لم تحالف ؛ فهى على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم إذا قيل له :
مَنْ أَنْتَ ؟ قال : نميرى كما ترى ! إِدْلَالاً بِنَسَبِهِ ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير
ابن [عطية بن] الخطّفى لعُبيد بن حصّين الراعى أحد بنى نمير بن عامر :
فَغُضِّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا
كعب و كلاب : ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ فصار الرجل منهم إذا قيل له :
مَنْ أَنْتَ ؟ يقول : عامرى ، ويكنى عن نمير .

ومرّت امرأة بقوم من بنى نمير ، فأحدّوا النظر إليها ، فقال منهم قائل : والله

(١) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء إلا إذا انصرف عنه الناس — وذلك
كناية عن ضعفهم وعدم قدرتهم على المزاخرة للوصول إلى الماء (م)
(٢) هذا الحديث رواه ابن رشيّق فى العمدة بشيء من التفصيل فليراجع هناك .

إنها لَرَشْحَاءٌ^(١)، فقالت : يا بني نمير ، والله ما امتثلتم في واحدة من اثنتين ، لا قول الله عز وجل : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ولا قول الشاعر :

* فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِير *

وسائر شريك بن عبدالله النميري يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، فَبَرَزَتْ
شريك بن
عبدالله النميري
بغلة شريك^(٢) ، فقال له يزيد : غَضَّ من لجامها ، فقال : إنها مكتوبة أصلح الله
ابن هبيرة
الفزاري
الأمير ! فضحك ، وقال : ما ذهبت حيث أردت
وإنما عرض بقوله : « غَضَّ من لجامها » بقول جرير :

* فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِير *

فَعَرَّضَ له شريك بقول ابن دارة :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوبِكَ وَاسْتَبْرَأَ بِأَسْيَارِ^(٣)
و بنو فزارة يُرْمَوْنَ بِأَتْيَانِ الْإِبِلِ ، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك
الفرزدق يهجو
ابن هبيرة
لما ولي عمر بن هبيرة^(٤) العراق :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَأَنْتَ مَرَّةً
أَوَّلَيْتَ الْعِرَاقَ وَرَأْفِدِيهِ
لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرَكِي قُلُوبُ^(١)
أَمِينُ لَأَسْتَ بِالطَّبْعِ الْحَرِيصِ
فَزَارِيًّا أَحْذَ يَدَ الْقَمِيصِ^(٥)
لَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ

(١) رشحاء : كثيرة العرق ، وذلك من عيوب النساء .

(٢) برزت : سبقت (٣) اكتبها : مأخوذ من الكتابة - بضم الكاف وسكون التاء - وهو سير يكتب به حياء الناقة لئلا ينزى عليها . وكتب الناقة يكتبها - بكسر التاء وضمها في المضارع - ختم حياءها .

(٤) عمر بن هبيرة الفزاري : أمير من الدهاة الشجعان ، ولاء عمر بن عبد العزيز الجزيرة ، فأقام فيها إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك ، فولاه إمارة العراق وخراسان ، توفي نحو سنة ١٩٠ (٥) أخذ : مقطوع ، ومقطوع يد القميص كناية عن السارق (٦) القلوص : الناقة ، والخوف على وركي الناقة كناية عن الخوف عليها من أن يأتيها الفزاري !

تَفِيهَقَ بِالْعِرَاقِ أَبُو الْمُثَنَّى وَعَلَّمَ قَوْمَهُ أَكْلَ الْخَبِيصِ^(١)
الرافدان : دجلة والفرات .

وقال بعض النخريين ينجبُ جريراً عن شعره :

نميرُ جَمْرَةٍ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهَبُ التَّهَابَا
وَإِنِّي إِذْ أَسُبُّ بِهَا كُلِّبِيَا فَتَحَتْ عَلَيْهِمُ لِلْخَسْفِ بَابَا
وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ هَجَا نَمِيرًا وَلَمْ يَسْمَعْ لَشَاعِرِهِمْ جَوَابَا
رَغَبْنَا عَنْ هَجَاءِ بَنِي كَلِيبٍ وَكَيْفَ يُشَاتِمُ النَّاسُ الْكِلَابَا
فَمَا نَفَعُ نَمِيرًا ، وَلَا ضَرَّ جَرِيرًا ، بَلْ كَانَ كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهْجَوْتُمَا أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ
وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْذَرٍ مَوْلَى بَنِي صَيْيرٍ يَرْبُوعٌ فِي هَجَائِهِ لَثَقِيفٌ :
وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الْمُهْجَاءُ بَنِي نَمِيرٍ
وَسَمِعَ الرَّاعِي^(٢) مَنْشِدًا يَنْشُدُ :

وَعَاوَى عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ بِقَافِيَةٍ أَنْفَازُهَا تَقَطَّرُ الدَّمَا^(٣)
خَرُوجَ بَأْفَوَاهِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَى هِنْدُوَانِي إِذَا هَزَّ صَمَمًا^(٤)

تاعله ، وقال : لمن هذا؟ قيل : لجرير ، قال : لعن الله من يلومني أن يغلبني مثل هذا!
وقد بنى الشعرُ لقوم بيوتاً شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة :

فضل الشعر

وما هو إلا القول يسري فتغتدى له غُرَرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمٌ^(٥)
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي^(٦) : سمعت أبا عمرو بن العلاء ورجل يقول :

(١) تفهق : عاش عيشة الترف ، والخبيص : طعام يعمل من التمر والسمن .

(٢) الراعي : هو عبيد بن حصين النخري ، شاعر فحل كان يفضل الفرزدق على
ير فهجاه جرير ، واستمر بينهما العدا . توفي نحو سنة ٩٠

(٣) أنفاذ : جمع نفذ بفتح نين ، وهو الشق تحدثه الطعنة

(٤) الهندواني : السيف ، والقرى : الشق والصدع ، وصمم : أصاب المفصل وقطعه

(٥) مواسم : جمع ميسم ، وأصله من الوسم ، وأراد به الكى (م)

(٦) كان من أبصر الناس بعلوم اللغة العربية توفي سنة ٣٠٩

إنما الشعر كالميسم^(١). فقال: وكيف يكون ذلك كذلك؟ والميسم يذهب بذهاب الجلد ويذرُس مع طول العهد، والشعر يبقى على الأبناء بعد الآباء، ما بقيت الأرض والسماء! وإلى هذا نحا الطائي في قوله:

وَأَنْى رَأَيْتُ الْوَسْمَ فِي خُلُقِ الْفَتَى هُوَ الْوَسْمُ لَا مَا كَانَ فِي الشَّعْرِ وَالْجِلْدِ
وقال عمر رحمه الله عليه: تعلموا الشعر؛ فإن فيه محاسن تُبتغى، ومساوىء تُتقى.
وقال أبو تمام:

إِنَّ الْقَوَافِيَّ وَالْمَسَاعِيَّ لَمْ تَزَلْ	مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ نَشْرٌ فَإِنْ أَلْفَتْهُ	فِي الشَّعْرِ كَانَ قَلَانِدًا وَعُقُودَا
مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَانَتِ الْعَرَبُ الْأُلَى	يَدْعُونَ هَذَا سُودَدًا مَجْدُودَا
وَتَنْدُ عَنْدهُمْ الْعُلَا إِلَّا إِذَا	جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَصِيدِ قِيُودَا ^(٢)

وقال علي بن الرومي:

أرى الشعر يُحيي الناسَ والمجدَ بالذي تَبْقَى له أرواحُ له عَطِرَاتُ
وما المجدُ لولا الشَّعرُ إلا معاهدٌ وما الناسُ إلا أَعْظَمُ نَخِرَاتُ^(٣)
[شذور من كلام الرسول]

رجعت إلى ما قطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأَجَلُّ وأَعْلَى ، وهو كلامُ رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكريم النَّجْرِ^(٤) ، العظيم القَدْر ، الذي هو النهايةُ في البيان ،
والغايةُ في البرهان ، المشتمل على جَوَامِعِ الكلام ، وبدائع الحكم ، وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : أَنَا أَفْصَحُ العربِ بَيْدَ أُنَى من قریش ، واستُرْضعت في سعد
ابن بكر ! وليس بعضُ كلامه بأولى من بعضٍ بالاختيار ، ولا أحقُّ بالتقديم والإيثار ؛
ولكنني أُورد ما تيسر منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك واستنجاحاً .

(١) اللبسم : المكواة . (٢) المرر : جمع مرة - بكسر الميم - وهي إحكام القتل ،
وتند : تنفر وتشرذ . (٣) معاهد : أراد الأطلال الدارسة ، والمقصود أن المجد
يفنى ويبلى بلاء الأطلال ما لم يدعمه الشعر . (م) (٤) النجر : الأصل .

وهذه شذوْرٌ من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح ، العزيز الوجيز ،
المتضمن بقليلٍ من المباني كثيرَ المعاني :

قوله للأَنْصار : إنكم لتَقْلُونَ عند الطمع ، وتَكْثُرُونَ عند الفَرْع .

وقوله عليه الصلاة والسلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم
أدناهم ، وهم يدٌ على مَنْ سِوَاهِم . الناسُ كإبلٍ مائةٌ لا تجدُ فيها راحلة . إياكم وخَضْرَاءُ
الدِّمَنِ ^(١) . كلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) . قاله لأبي سُفْيَانٍ صخر بن حرب .
الناسُ معادن ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا . المؤمن للمؤمن
كالبنين يشدُّ بعضُهُ بعضاً . أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . المتشعب بما
لم يُعطَ كلابس ثوبَي زورٍ . المرأة كالضلع إن رُميت قوامها كسرتُها ^(٣) ، وإن
داريتها استمتعت بها . اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى . مَطْلُ الْغَنَى ظُلْمٌ .
يدُ الله مع الجماعة . الحياءُ شُعبَةٌ من الإيمان . مثلُ أبي بكرٍ كالقطر ، أينما وقع
نفعٌ . لا تجعلوني في أعجازِ كتبكم كقدح الراكب ^(٤) . أربعةٌ من كنوز الجنة :
كتمان الصَّدَقَةِ والمرض والمصيبة والفاقة . جنة الرجل دارُهُ . الناسُ نيام فإذا
ماتوا انتَبَهُوا . كفى بالسلامة داءً . إنكم لن تَسْعُوا الناسَ بأموالكم ، فَسْعُوهم
بأخلاقكم . ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى . كلُّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ .
اليمينُ حِنْثٌ أو مُنْذِمَةٌ ^(٥) . دَعِ مَا يَرْيَبُكَ إِلَى مَا يَريْبُكَ . أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَلَمًا كَانَ

(١) الدمن : جمع دمنة ، وهى مربوط الإبل والحيل ينبت فيها النبات فيكون رائح
الحضرة لكثرة الماء والسماذ ، وخضراء الدمن : كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من
بيت السوء .

(٢) الفراء : حمار الوحش ، (كل الصيد في جوف الفراء) مثل ، ومعناه أن من
قال الأمر العظيم كان خليقاً أن ينسى ما سواه مما ينال الناس .

(٣) القوام بالكسر : التقويم (٤) الأعجاز : الأواخر

(٥) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين الذنب والندم

أومظلوماً . احترسوا من الناسِ بِسُوءِ الظَّنِّ . التَّدَمُّ تَوْبَةٌ . انْتَظَرُ الفرجَ
عبادة . نعم صَوْمَعَةُ الرجلِ بَيْتُهُ . المُسْتَشِيرُ مُعَانُ والمُسْتَشَارُ مُؤْتَمِنُ . المرءُ كَثِيرٌ
بَأَخِيهِ . إِنَّ لِلْقُلُوبِ صَدَأً كَصَدَأِ الْحَدِيدِ وَجَلَاؤُهَا الْإِسْتِغْفَارُ . اليومَ الرَّهْانُ
وَعَدَا السَّبَّاقُ ، وَالْجَنَّةُ الْغَايَةُ . كُلُّ مَنْ فِي الدُّنْيَا ضَيْفٌ ، وَمَا فِي يَدَيْهِ عَارِيَّةٌ ،
وَالضَيْفُ مُرْتَحِلٌ ، وَالْعَارِيَّةُ مُؤَدَّاةٌ .

ومن جوامع كَلَامِهِ عليه الصلاة والسلام ما رواه أهلُ الصحيح عن عَلْقَمَةَ بنِ
وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ
كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجَرْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ
هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا ، فَهَجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ . »

قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى : سَمِعْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ يَقُولُونَ : هَذَا
الْحَدِيثُ ثُلُثُ الْإِسْلَامِ ، وَالثَّلْثُ الثَّانِي مَا رَوَاهُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْحَلَالُ بَيْنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ،
فَمَنْ تَرَكَهَا كَانَ أَوْفَى لِدِينِهِ وَعِزِّهِ ، وَمَنْ وَقَعَهَا كَانَ كَالرَّاتِعِ حَوْلَ الْحِمَى ؛
أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مُحَارَمَهُ » (١) .

قال : و [الثلث] الثالث ما رواه مالك [عن] ابن شهاب عن علي
ابن حسين أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ
تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ . »

(١) الحِمَى : النِّبْيُءُ الْحِمَى الْمَنْعُوعُ ، وَالْمُحَارَمُ : جَمْعٌ مُحَرَّمٌ بِمَعْنَى الْحَرَامِ ، يَعْنَى أَنَّ
الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنْهَا تَشْبَهُ الْحِمَى ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا يَجْرَأُ أَحَدٌ عَلَى الْإِقْتِرَابِ
مِمَّا يَحْمِيهِ الْمَلُوكُ يَنْبَغِي أَلَّا يَقْرُبَ أَحَدٌ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ « فَمَنْ تَرَكَهَا
فَقَدْ اسْتَوْثَقَ لِدِينِهِ وَعِزِّهِ » (م)

وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعرَ وأثابَ عليه ، وندبَ
 حسانَ بنَ ثابتٍ إليه ^(١) ، وقال : إن الله ليؤيده بروح القدس مانفح عن نبيه ^(٢) .
 ولما انتهى شعرُ أبي سفيانَ بنِ الحارثِ بن عبد المطلب إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم شقَّ عليه ^(٣) فدعا عبد الله بن رَوَاحَةَ ^(٤) فاستنشدَهُ فأنشدَهُ فقال : أنتَ
 شاعرٌ كريمٌ ، ثم دعا كعبَ بن مالك فاستنشدَهُ فأنشدَهُ ، فقال : أنتَ تُحسِنُ صِفَةَ
 الحربِ ، ثم دعا بحسانَ بن ثابت فقال : أجبْ عني ، فأخرجَ لسانه فضربَ به
 أُرْبَتَهُ ^(٥) ؛ ثم قال : والذي بعثك بالحق ما أُحِبُّ أن لي به مَقُولاً في معدٍّ ؛
 ولو أن لسانا فرى الشعرَ لَفَرَّاهُ ^(٦) . ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يَمَسَّ من أبي سفيانَ ، فقال : وكيف ، وبينى وبينه الرَّحِمُ التي قد علمت ؟ فقال :
 أسئلكَ منه كما تُسألُ الشعْرَةُ من العَجِينِ ! فقال : اذهب إلى أبي بكرٍ ، وكان أعلمَ
 الناسَ بأنسابِ قريشٍ ، وسأرَ العربِ ، وعنه أخذَ جُبَيْرُ بن مُطْعِمٍ علمَ النسبِ ،
 ففضى حسانُ إليه فذكرَ له معايبَهُ ، فقال حسانُ بن ثابت :

وإنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بنو بنت مخزوم ووالدك العبدُ
وَمَنْ وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زُهْرَةَ مِنْهُمْ كرامٌ، ولم يَقْرُبْ عَجَائِزَكَ الْمَجْدُ^(٧)
وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ وَلَا كَابْنِ أُمِّهِ وَلَكِنْ لَيْتِمُ لَا يَقُومُ لَهُ زَنْدُ^(٨)
وَإِنَّ امْرَأًا كَانَتْ سُمِّيَةً أُمُّهُ وَسَمْرَاءُ مَغْمُوزٌ إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ^(٩)
وَأَنْتَ زَنْيِمٌ نَيْطَ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نَيْطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ^(١٠)

-
- (١) ندب : دعا (٢) نافع : دافع (٣) شق عليه : عظم عليه (٤) عبد الله بن رواحة : صحابي يعد في الأمراء والشعراء الراجزين ، كان يكتب في الجاهلية ، شهد العقبة وبدرًا وأحدا . واستخلفه النبي على المدينة في إحدى غزواته . توفي سنة ٨ .
- (٥) الأرنبة : طرف الأنف (٦) يفرى الشعر : يحوه ، ومحو الشعر : كناية عن غاية الإيذاء (٧) العجائز : جمع عجوز (٨) الزند : موصل طرف الذراع في الكف (٩) الجهد : التعب . وبلوغه : شدته ، وهذا كناية عن السعي للمجد ، والمغموز : الحامل (١٠) زنيم : دعى معلق بمن ليس منه ، ونيط بكسر النون : علق

فلما بلغ هذا الشعر أباسفيان قال : هذا كلامٌ لم يَغِبْ عنه ابنُ أبي قحافة^(١) يعني يبنى بنت مخزوم عبد الله وأباطالب والزبير بنى عبد المطلب بن هاشم [بن عبد مناف] ، أمُّهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وأخواتهم برة وأميمة والبيضاء ، وهى أم حكيم ، والبيضاء جدّة عثمان بن عفان أم أمه . وقوله : « ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام » يعني أميمة وصفية أم الزبير بن العوام أمها هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة . وقوله : « ولست كعباس ولا كإبن أمه » أمُّ العباس : ثبيلة امرأة من النّسب ابن قاسط ، وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب . وقوله : « وإن امرأ كانت سمية أمه » سمية أم أبي سفيان ، وسمراء : أم أبيه ، وليس هذا موضع إطناب فى رفع الأنساب . وكان عبدُ الأعلى بن عبد الرحمن الأموى عتّب على بعض ولد الحارث ، فقال له مُعرّضاً بما قال حسان :

إِخَالُ بِالْعَمِّ وَبِالْجُدِّ مَفْتَخِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ^(٢)
الْهَجْجُ بِحَسَّانٍ وَأَشْعَارِهِ فَإِنَّهَا أَدْعَى إِلَى الْمَجْدِ
لَوْلَا سَيْفُ الْأَزْدِ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَمْ تَقِيمُوا سُورَةَ الْحَمْدِ
فَتَوَعَّدُوهُ ، فَخَافَهُمْ ، فَقَالَ :

بَنِي هَاشِمٍ عَفَوْا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَ ثَوْبِي حَشَوُ ثَنِيهِ مُجْرِمُ^(٣)
لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا وَجَمْعٌ وَمَاضٍ الْخَطِيمُ وَزَمَزَمُ
فَإِنْ قَلْبُكُمْ بَادَهْتَنَا بِعَظِيمَةٍ فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجْلُ وَأَعْظَمُ

(١) ابن أبي قحافة : هو أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (م)

(٢) إخال - بكسر الهمزة - أظن ، والمعنى : أظنك مفتخراً بالقدر الفرد

(٣) حشو ثنیه : أراد لابس ثوبه ، كناية عن نفسه ، وهذا مثل قولهم « المجدين

نردیه ، والجود حشو ثوبیه » ونحو ذلك (م)

ترجمة
أبي سفيان
ابن الحارث
وأسلم أبو سفيان - رحمه الله ! - وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين ،
وكان ممسكا بَعْلَتِهِ حين فرَّ الناس ، وهو أحد الذين ثبتوا ، وهم - على ما ذكره
أبو محمد عبد الملك بن هشام - أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، وأبو سفيان
ابن الحارث ، وابنه الفضل ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم
أيمن بن عبيد قتل يومئذ ، وبعضُ الناس يعدُّ فيهم قُتْمَ بن العباس ، ولا يعدُّ
أبا سفيان ، وكان أبو سفيان من أشعر قريش ، وهو القائل :

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرُ فَخْرٍ بَأَنَّا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانًا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا^(١)
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا
ويروى أن ابن سيرين قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره
قد شقق ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرَّحْلِ إذ قال : يا كعبُ
ابن مالك : اُحْدُبْنَا ! فقال كعب :

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ حَقٍّ وَخَيْرَ ثَمٍّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَ^(٢)
نَحِيرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُنَّ : دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا
فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لهُي أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ !
ويقال : إن دَوْسًا أَسْلَمَتْ فَرَقًا^(٣) مِنْ كَلَةِ كَعْبِ هَذِهِ^(٤) ، وقالوا : اذهبوا فخذوا
لأنفسكم الأمان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم !

النضر
ابن الحارث
وَقَتَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَكَانَ مِنْ أُسَرَى يَوْمِ بَدْرٍ ،

(١) سابغات : طويلة ضافية (٢) أجمنا : أرحنا (٣) فرقا : خوفا (٤) كان
كعب بن مالك جيد الشعر ، حتى قال روح بن زنباع : أشجع بيت وصف به رجل
ومه قول كعب :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما ، ونلحقها إذا لم تلحق
وكانت وفاته سنة ٥٥

وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، وقتله علي بن أبي طالب رضى الله عنه صبراً^(١)
 فعرضت النبي صلى الله عليه وسلم أخته قتيلة بنت الحارث - وفي بعض الروايات
 أن قتيلة أخته فأنشدته :

يا راكباً إن الأئيل مظنة	من صبح غادية وأنت موقق ^(٢)
أبلغ بها ميتاً بأن تحية	ما إن تزال بها النجائب تغنق ^(٣)
منى إليه وعبرة مسفوحة	جادت بها كيفها وأخرى تخنق ^(٤)
هل يسمعي النضر إن نادية	إن كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوفه بني أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشق ^(٥)
قسراً يقاد إلى المنية متعباً	رسف المقيد وهو عان موثق ^(٦)
أحمد ها أنت صنو كريمة	في قومها والفحل فحل معرق ^(٧)
ما كان ضرك لو منبت وربما	من الفتى وهو المغيظ المحنق ^(٨)
فالنضر أقرب من قتلت قرابة	وأحقهم إن كان عتق يعتق
أو كنت قابل فدية فليفدين	بأعز ما يغلى به من ينفق

فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لها ودمعت عيناه ، وقال
 لأبي بكر : لو كنت سمعت شجرها ما قتلته .

والنضر هذا هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدثة بن عبد مناف بن
 عبد الدار^(٩) . قال الزبير بن بكار^(١٠) : وسمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات
 قتيلة بنت الحارث ويقول : إنها مصنوعة .

(١) صبراً : حبساً (٢) الأئيل : موضع بعينه قتل فيه النضر (م) (٣) تغنق : من
 العنق ، بفتحين ، وهو السير الخثيث (٤) الواكف : الدائم الجريان (٥) تنوشه : تناله
 بالظعن (٦) قسراً : قهراً ، والرسف : مشى المقيد ، عان : أسير ، موثق : مقيد (٧) يروى
 «ولأنت ضنء» وصنو : ابن ، معرق : أصيل (٨) من : صفح ، والمغنق : الملوأ بالمغيظ .
 (٩) كان النضر حامل لواء المشركين يدر فأسره المسلمون وقتلوه بعد انصرافهم
 من الواقعة (١٠) ولد الزبير بن بكار بالمدينة وولى قضاء مكة فتوفي فيها سنة ٢٥٦

رثاؤه

لرسول الله
صلى الله عليه وسلم

[من كلام أبي بكر رضى الله تعالى عنه]

ودخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه ، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مُسَجَّى بِثَوْبٍ^(١) ، فكشَفَ عنه الثوبَ وقال : بأبى أَنْتَ وأُمى ! طُبِيتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموتِ أحدٍ من الأنبياء من النبوة ، فعظُمَتِ عن الصفة ، وجلَّتْ عن البكاء ، وخصَّصَتْ حتى صرت مَسَلَاةً ، وعممت حتى صِرْنَا فِيكَ سَوَاءً . ولولا أَنَّ موتَكَ كان اختياراً منك لَجَدْنَا لموتك بالنفوس ولولا أَنَّكَ نهيتَ عن البكاء لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ ماءَ الشَّوْونِ^(٢) . فَأَمَّا مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفِيهِ عَنْكَ فَكَمَدٌ وَإِدْنَانِ^(٣) بِنَحْلَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ . اللهم فَأَبْلِغْهُ عَنَا السَّلَامَ ، أَذْكَرُنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلَنَكُنْ مِنْ بَالِكَ ؛ فَلَوْلَا مَا خَلَقْتَ مِنَ السَّكِينَةِ لَمْ نُقِمْ مَا خَلَقْتَ مِنَ الْوَحْشَةِ ؛ اللَّهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيَّكَ عَنَا وَاحْفَظْهُ فِينَا ، ثُمَّ خَرَجَ .

قوله رضى الله عنه : « لولا أَنَّ موتَكَ كان اختياراً مِنْكَ » إِنَّمَا يريد قولَ النبي صلى الله عليه وسلم : لَمْ يُقَبَّضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ . قالت عائشة رضى الله عنها : فسمعتُهُ وَقَدْ شَخَّصَ بَصْرُهُ وَهُوَ يَقُولُ : فِي الرِّفِيقِ الْأَعْلَى ! فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خَيْرٌ ، فَقُلْتُ : لَا يَخْتَارُنَا إِذَنْ ، وَقُلْتُ : هُوَ الَّذِي كَانَ يَحْدِثُنَا . وَهُوَ صَحِيحٌ . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَمَّا تَوَفَّى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَرْضِهِ بِالسَّنْحِ^(٤) فَتَوَاتَرَتْ إِلَيْهِ الرِّسَالُ ، فَأَتَى وَقَدْ ذَهَلَ النَّاسُ ، فَكَانُوا كَالْخَرَسِ ، وَتَفَرَّقَتْ أَحْوَالُهُمْ ، وَاضْطَرَبَتْ أُمُورُهُمْ ، فَكَذَّبَ بَعْضُهُمْ بِمَوْتِهِ ، وَصَمَّتْ آخَرُونَ هُنَا نَكَلَمُوا إِلَّا بَعْدَ [التَّنْفِيرِ] ، وَخَلَطَ آخَرُونَ فَلَا تُرَا^(٥) الْكَلَامَ بِغَيْرِ بَيَانٍ ، وَحَقَّ لَهُمْ ذَلِكَ لِلرِّزْيَةِ

(١) مسجى : مغطى (٢) الشَّوْون : عروق الدمع (٣) الإِدْنَانِ : المرض الثقيل

(٤) السَّنْح - بضم السين وسكون النون - موضع قرب المدينة . وكان بمنزل أبي بكر

رضى الله عنه .

(٥) لَا تُرَا : خلطوا .

العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي هي بيضة العقر^(١) ، وبيضة الدهر ، ومدى المصائب ، ومنتهى النوائب ، فكل مصيبة بعد جَلَّ عنها^(٢) ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لَتُعَزَّ المسلمون في مصائبهم المصيبة بى .

حال الصحابة
عند ما بلغهم
موت الرسول

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن كَذَّبَ بموته ، وقال : ما مات ، وليرجعته الله ، فليقطعنَّ أَيْدِيَ المنافقين وأرجمهم ، يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ؛ وإنما واعد ربه كما واعد موسى ، وهو يأتكم . وأما عثمان رضى الله عنه فكان ممن أخرس ؛ فجعل لا يكلم أحداً ، فيؤخذ بيده ويُجَاه به فينقاد .

وأما على رضى الله عنه فَلَبِطَ بِالْأَرْضِ^(٣) ففقد ولم يَبْرَحِ البيت حتى دخل أبو بكر ، وهو في ذلك جَلَدَ العقل والمقالة^(٤) ، فأكبَّ عليه ، وكشف عن وجهه ومسَّخه ، وقَبَّلَ جبينه ، وبكى بكاء شديداً ، وقال الكلام الذى قدَّمته . ولما خرج إلى الناس وهم في شديد غمِّراتهم ، وعظيم سَكَراتهم ، قام فخطب خطبة جُلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وَخَدَهُ لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو

خطبة أبى بكر
يوم موت
الرسول

(١) بيضة العقر : مثل للحادث الذى ينسدر أن يتكرر ، وهى فى الأصل بيضة الدجاجة التى لا تبيض بعدها ، والذى فى الأصل « بيضة العصر » وهو تحريف .
(٢) جَلَّ : من أسماء الأضداد ، ويطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الأمر الصغير ، ومن أمثلة إطلاقه على الأمر الخطير قول الشاعر :

قومى هم قتلوا أميم أخى فإذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لأغفون جلالاً ولئن ضربت لأوهن عظمى

والمراد هنا المعنى الثانى ، وهى الحقير من الأمور ؛ لأنه يقصد أن كل مصيبة تهون وتختقر بعد المصيبة الكبرى بموت الرسول (م) .

(٣) لَبِطَ بِالْأَرْضِ ، ولَبِطَ به : سقط من قيام كأعناصرع . والعبارة الثانية بصيغة المفعول (٤) جلد : ثابت .

الحق المبين . فى كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس ؛ مَنْ كان يعبد محمداً فَإِنَّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يموت ، وإن الله قد تقدّم إليكم فى أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبىه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عَرَفَ ، ومن فرّق بينهما أنكر ؛ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ بِمَوْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَيُفْتِنَنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ؛ فمجالوه بالذى تعجزونه ، ولا تستنظروه فيلحق بكم .

فما فرغ من خطبته قال : يا عمر ! بلغنى أنك تقول مامات نبيُّ الله ، أما علمت أنه قال فى يوم كذا وكذا ، وفى يوم كذا وكذا : قال الله تبارك وتعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ؟ فقال عمر : والله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله قَبْلُ ؛ مَا نَزَلَ بِنَا ، أَشْهَدُ أَنَّ الْكِتَابَ كَمَا نَزَلَ ، وَأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا حَدَّثَ ، وَأَنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! ثم جلس إلى جنب أبى بكر رحمه الله . قالت عائشة رضوان الله عليها : لما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نَجَّمَ النَّفَقَ ^(١) . وارتدت العرب ، وكان المسلمون كالغنم الشاردة ، فى اللبابة الماطرة ، فحمل أبى ماو حملته الجبال لهاضها ^(٢) فوالله إن اختلفوا فى معظم إلا ذهب بحظه ورشده . وغدائه . وكنت إذا نظرتُ إلى عمر علمتُ أنه إنما خلقَ للإسلام ، فكان والله أحوذُ نسيجَ وحده ^(٣) ، قد أعدَّ للأمور أقرانها .

رثاء فاطمة
الزهراء لأبيها
رسول الله

وحدث أبو بكر بن دريد عن عبد الأول بن يزيد قال : حدثنى رجل فى مجلس يزيد بن هرون ^(٤) بالبصرة قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) نجم : نشأ (٢) هاضها : دكها وحطمها (٣) أحوذى : حاذق قاهر للأمور لا يشذ عليه شئ - ونسيج وحده : لا نظيره ، كأما نسيج على نول لم ينسج عليه سواه (م)
(٤) يزيد بن هرون : من حفاظ الحديث الثقات ، كان يهاجبه المأمون توفى بواسط فى سنة ٢٠٦

دُفِنَ ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ؛ فاجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

أَغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ ، وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ، وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانُ^(١)
فَالْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيْبَةٌ أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيْرَةُ الرَّجْفَانِ^(٢)
فَلَيْسَ لَكَ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا وَلَيْسَ لَكَ مُضَرٌّ وَكُلَّ يَمَانٍ
وَلَيْسَ لَكَ الطُّورُ الْمُعْظَمُ جَبْوُهُ وَالْبَيْتُ ذُو الْأُسْتَارِ وَالْأَرْكَانُ
يَا خَاتِمَ الرِّسْلِ الْمُبَارِكِ ضَوْءُهُ صَلَّى عَلَيْكَ مَنْزِلُ الْفُرْقَانِ^(٣)

وكان أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِذَا أُثْنِيَ عَلَيْهِ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ ، فَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَحْسِبُونَ ، وَاعْفِرْ لِي بِرَحْمَتِكَ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَا تَوَاضِعْنِي بِمَا يَقُولُونَ .

عود إلى المختار
من كلام أبي بكر

وقال رحمه الله في بعض خطبه : إِنَّكُمْ فِي مَهْلٍ ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَبَادِرُوا فِي مَهْلٍ آجَالِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَطَعَ آمَالِكُمْ ، فَتَرُدُّكُمْ إِلَى سُوءِ أَعْمَالِكُمْ .
وَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْمَلُوكَ فَقَالَ : إِنْ الْمَلِكُ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللَّهُ فِي مَالِهِ ، وَرَغَبَهُ فِي مَالٍ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِسْفَاقَ ؛ فَهُوَ يَسْخَطُ عَلَى الْكَثِيرِ ، وَيَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، جَذَلُ الظَّاهِرِ ، حَزِينُ الْبَاطِنِ ، حَتَّى إِذَا وَجَبَتْ نَفْسُهُ ، وَلَنْصَبَ عَمْرُهُ ، وَضَحَا ظِلُّهُ^(٤) حَاسَبُهُ فَأَشَدَّ حَسَابَهُ وَأَقْلَ عَفْوَهُ .

وَذَكَرَ أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَاوَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ . فَغَضِبَتِ الْأَنْصَارُ ، وَقَالُوا لَهُ : فَضَّلْنَا ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقْتُمْ ، إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَكُمْ صَارَ مَا عَمَلْتُمْ لَهُ لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ صَبَرْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا ! فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَمَلْنَا إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَانصرفوا ؛ فَرَقِيَ أَبُو بَكْرٍ الْمَنْبِرَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى

(١) كورت : سقطت (٢) الرجفان : الإضطراب (٣) في نسخة « المبارك ضنؤه »

أي الذي بارك الله نسله (م) والظاهر أن هذه الأبيات مصنوعة (٤) وجبت نفسه : فاضت روحه ، ونضب : نفد - وضحا ظله : كناية عن أنه مات (م)

عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : يا معشر الأنصار ؛ إن شئتم أن تقولوا : إِنَّا آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلَالِنَا ، وشاطرناكم في أموالنا ^(١) ، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يُحصيه العدد ، وإن طال به الأمد ، فنحن وأتم كما قال طُفَيْلُ الْغَنَوِي ^(٢) :

جزى الله عنا جعفرًا حينَ أَرْزَلْتُمْ بنا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِنِينَ فَرَلَتْ ^(٣)
أَبْوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنًا تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا أَمَلَتْ ^(٤)
هُمْ أَسْكُنُونَا فِي ظِلَالِ بَيْوتِهِمْ ظِلَالِ بَيْوتٍ أَدْفَاتُ وَأَظْلَلَتْ

فَقَرَّ مِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : صنائعُ المعروفِ تبقى مصارعُ السوءِ . الموت أهونُ مما بعده ، وأشدُّ مما قبله . ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة . ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ : البَغْيُ ، والنكثُ ، والمكر . إن الله قَرَنَ وَعْدَهُ بِوَعْدِهِ ؛ ليكون العبد راغبًا وراهبًا .

ولما توفي رضى الله عنه وقفت عائشة على قبره ؛ فقالت : نَضَرَ اللَّهُ وَجْهَكَ يا أَبَتَ . وشكر لك صالحَ سَعْيِكَ ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلًّا بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا ، وللاخرة مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا ، ولئن كان أَجَلَ الحَوَادِثِ بعدَ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم رَزْوُوكَ ، وأعْظَمَ المصائبِ بعده فَقْدُكَ ، إن كتابَ الله لَيَعِدُّ بِحَسَنِ الصَّبْرِ عَنْكَ حَسَنَ الْعَوْضِ مِنْكَ ، وأنا أَسْتَنْجِزُ مَوْعِدَ اللَّهِ تَعَالَى بِالصَّبْرِ فَيْكَ ، وَأَسْتَقْضِيهِ بِالِاسْتِغْفَارِ لَكَ ، أما لئن كانوا قاموا بِأَمْرِ الدِّينِ فَلَقَدْ قَتَمَ بِأَمْرِ الدِّينِ مَا وَهَى شَعْبُهُ ^(٥) وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ ^(٦) ، وَرَجَفَتْ جَوَانِبُهُ ^(٧) ؛ فعليك

(١) آوَيْنَاكُمْ فِي ظِلَالِنَا : جعلناها لكم مأوى ، وشاطرناكم أموالنا : قاسمناكم فيها فأعطيناكم شطرها : أى نصفها (م) (٢) شاعر جاهلى من الشجعان ، كان من أوصف الشعراء للخيال ، عاشر النابغة الجعدي وزهير بن أبي سلمى ، ومات نحو سنة ١٣ ق هـ (٣) زلت : سقطت (٤) هذا البيت غاية الغايات فى وصف المواساة والبر الموصول (٥) وهى شعبه : تفرق شمله ، قال الطرماح * شت شعب الحى بعد التثام * (٦) تفاقم صدعه : اتسع كسره ، والصدع فى الأصل : كسر الزجاج (٧) رجفت : اضطربت

رثاء عائشة
أم المؤمنين
لأبيها الصديق

سلام الله توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك^(١)
وقال أبو بكر لبلال لما قُتل أمية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب
بمكة فيخرجه إلى الرمضاء^(٢) ، فيلقى عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الإسلام
فيعصمه الله من ذلك :

هَيْئًا زَادَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرًا فَقَدْ أَدْرَكْتَ ثَأْرَكَ يَا بِلَالُ
فَلَا نَكْسًا وَجِدْتَ وَلَا جَبَانًا غَدَاةَ تَنْوُشُكَ الْأَسَلَ الطَّوَالَ^(٣)
إِذَا هَابَ الرَّجَالُ ثَبَتَ حَتَّى تَخْلُطُ أَنْتَ مَا هَابَ الرَّجَالُ
عَلَى مَضَضِ الْكُلُومِ بِمَشْرِفٍ جَلَا أَطْرَافَ مَتْنِيهِ الصَّقَالُ^(٤)
[من كلام عمر]

وكتب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه ! - إلى ابنه عبد الله :
أما بعد ؛ فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن شكر له
زاده ، ومن أقرضه جزاه ؛ فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فإنه
لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خلق له .
بين عمزوعدى ودخل عدى بن حاتم على عمر ، فسلم وعمر مشغول ، فقال : يا أمير المؤمنين !
ابن حاتم الطائي أنا عدى بن حاتم ؛ فقال : ما أعرفنى بك ! آمنت إذ كفروا ، ووفيت إذ عدرؤا ،
وعرفت إذ أنكروا ، وأقبلت إذ أدبرؤا !

عمر يصف وقال رجل لعمر : من السيد ؟ قال : الجواد حين يُسأل ، الحليم حين
السيد يُستجهل ، الكريم المجالسة لمن جالسه . الحسن الخلق لمن جاوره .
وقال رضى الله عنه : ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال :

(١) زارية : عاتبة (٢) الرمضاء : هي الحجارة التى اشتد عليها وقع الشمس
فحيت ، قال الشاعر :

المستجير بعمر عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

(٣) النكس : الرذل ، والأسل : الرماح (٤) الكلوم : الجروح ، والمشرقى : السيف

فَقَرُّ لَا يُدْرِكُ غِنَاهُ ، وَهُمْ لَا يَنْقُضِي مَدَاهُ ، وَشُغْلٌ لَا يَنْفَدُ أَوْلَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مَنْتَهَاهُ .

فصول قصار من كلامه رضى الله عنه

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ . أَشَقَى الْوُلَاةَ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ .
أَعْقَلَ النَّاسُ أَعْذَرَهُمُ لِلنَّاسِ . مَا الْخُرْصِرْفَا^(١) بِأَذْهَبَ لِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الطَّمَعِ .
لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلْفًا ، وَلَا بُغْضُكَ تَلْفًا . مُرْذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا ، وَلَا
يَتَجَاوَرُوا . قَلَّمَا أَذْبَرُ شَيْءً فَأَقْبَلَ . أَشْكُو إِلَى اللَّهِ ضَعْفَ الْأَمِينِ ، وَخِيَانَةَ الْقَوِيِّ
تَكْثُرُوا مِنَ الْعِيَالِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ بَيْنَ ثُرَزَقُونَ . لَوْ أَنَّ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ
بَعِيرَانِ مَا بَالَيْتَ أَيْهَمَا أَرْكَبُ . مَنْ لَا يَعْرِفُ الشَّرَّ كَانَ أَجْدَرُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ .

وقال معاوية بن أبي سفيان لصعصعة بن صوحان: صِفْ لِي عُمرَ بن الخطاب؛ وصف صعصعة
فقال: كان عالماً برعيته، عادلاً في قضيته، عارياً من الكبر، قبولاً للعدر، سهل
الحجاب، مَصُونَ الباب، متحريراً للصواب، رفيقاً بالضعيف، غير مُحَابٍ
لل قريب، ولا جافٍ لل غريب .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجّ فلما كان بضجنان^(٢) قال:
لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، الْمَعْطَى مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ ، كُنْتُ فِي هَذَا الْوَادِي فِي
مِدرعة صوف أرعى إبل الخطّاب ، وكان فظاً يُتَعَبِنِي إِذَا عَمَلْتُ ، وَيَضْرِبُنِي
إِذَا قَصَرْتُ ، وَقَدْ أَمْسَيْتَ اللَّيْلَةُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لأشياء مما ترى تَبَقَّى بِشَاشَتُهُ يَبْقَى الْإِلَهَ وَيُودِي الْمَالُ وَالْوَلَدُ^(٣)
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ مَرْمُزُ يَوْمَا خِزَانَتِهِ وَانْخَلَدَ قَدْ حَاوَلْتُ عَاذَ فَاخْلَدُوا
وَلَا سَلِيمَانَ إِذْ تَجَرَّى الرِّيحُ لَهُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِيمَا بَيْنَهُمَا تَرَدُّ

(١) الخمر المصروف : الخالصة (٢) ضجنان : جبل قرب مكة .

(٣) يودى : يذهب .

عمر
يدكر ماضيه
وحاضره

أين الملوك التي كانت نوافلها من كل صوب إليها وافدٌ يفد^(١)
حوض هنالك مورودٌ بلا كدر لا بد من ورده يوماً كما وردوا

من شعر عمر
يوم فتح مكة

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم فتح مكة :

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد^(٢)
وأمكنه من أهل مكة بعدما تداعوا إلى أمر من الغي فاسد
غداة أجال الخيل في عرصاتهما مسومة بين الزبير وخالد^(٣)
فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام^(٤) حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخالد ابن الوليد سيف الله تعالى في الأرض^(٥).

ولما قتله أبو أولوة غلام المغيرة بن شعبه ، قالت عائشة بنت زيد بن عمرو زوج عمر ترثيه ابن نفيل زوجته ترثيه :

عين جودي بعبرة ونحيب لا تمل على الأمين النحيب
فجعتني المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتشويب^(٦)
عصمة الناس والمعين على الدهر وغيث المحروم والحروب^(٧)
قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب^(٨)
وقالت أيضاً ترثيه :

وفجعتني فيروز لا در دره بأبيض تال لكتاب منيب

(١) النوافل : العطايا ، في نسخة «من كل أوب» والصوب ، ومثله الأوب : الجهة

(٢) حائد : مائل (٣) مسومة : وضعت عليها العلامات

(٤) الزبير بن العوام : أحد المبشرين بالجنة ، وأرل من سل سيفه في الإسلام ، كان طويلاً جداً إذا ركب تحط رجلاه الأرض . توفي سنة ٣٦ .

(٥) توفي خالد بن الوليد سنة ٢١ .

(٦) الفارس المعلم : هو الذي علق عليه صوف ملون في الحرب ، والتشويب : الدعاء

(٧) المحروب : المسلوب (٨) شعوب : هي النية : لأنها تشعب الشمل وتبدده

رءوف على الأدنى غليظ على العداً أخى ثقة في النائبات نجيب
متى ما يَقُلْ لا يكذب القول فعاهُ سريع إلى الخيرات غير قَطُوبِ

وعاتكة هذه : هي أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي
صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهمٌ في
غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقتل عنها ، فتزوجها الزبير
ابن العوام فقتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحبَّ الشهادة
الحاضرة فليتزوج بعاتكة !

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه :
ما يَزَعُ اللهُ بالشَّطَّانِ ، أ كَثُرُ ما يَزَعُ بالقرآن^(١) . سيجعلُ الله بعد عُسْرِ
يسراً ، وبعد عَيٍّْ بياناً ؛ وأتم إلى إمام فعَّال ، أحوجُ منكم إلى إمامٍ قوَّال ،
قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرتج عليه^(٢) .

وكتب إلى على رضى الله عنه وهو محضور : أما بعد ، فقد بلغ السَّيْلُ الرُّبَى ، وجاوز
الحزام الطُّبْيَيْنِ^(٣) ، وطمع في مَنْ كان لا يدفع عنه نفسه ، ولم يعجزك كلُّيْم ، ولم
يَغْلِبْكَ كَعْلَب^(٤) ؛ فَأَقْبِلْ إلىّ ، معى كنت أو علىّ ، على أىّ أمرٍ يَكُ أَحَبَّتْ .
فإن كنتُ ما كُؤْلًا فَكُنْ أَنْتَ أَكْلِي وإلاّ فَأَذِرْ كُنِي وَلَمَّا أُمِرَّقِ
وهذا البيت للممرَّق العبدى ، وبه سمى الممرَّق ، واسمه شأس ، وإنا تمثّل به
عثمان رضى الله عنه ؛ وَخَذَّاقُ أَهْلِ النَّظَرِ يَدْفَعُونَ هذا ، ويستشبهون على فساد
بأحاديث تُنَادِقُضُهُ ليس هذا موضعها .

(١) يزع : يزرع ويردع (٢) أرتج عليه باب الكلام : أغلق .
(٣) الزبي : جمع زبية وهي الراية لا يعلوها ماء ، وبلوغ السيل الزبي كناية
عن اشتداد الأمر ، والطبي - بالضم والكسر - حملات الضرع ، وبلوغ الحزام الطبيين
كناية أيضاً عن الشدة (٤) مغلب : غلب كثيراً ، ولم يغلبك كعلب : يستعمل في
المدح والذم .

قالوا : وكان عثمان رضى الله عنه أشقى لله أن يسعى فى أمره على ، وعلى أشقى لله أن يسعى فى أمر عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتل نبي أو قتل نبياً .

ومن كلام عثمان رضى الله عنه وأكرم نزله ، وقد تنكبر له الناس : أمر هؤلاء القوم راع عير ، تطاطأت لهم تطاطأ الدلاء وتلدت لهم تلدد المضطر ، رأيتهم ألحف إخواناً ، وأوهمني الباطل لهم شيطاناً . أجزرت المرسون رسنه ، وأبلغت الرايع مسعاته ، فتفرقوا على فرقا ثلاثاً ، فصامت صمته أنفذ من صول غيره ، وشاهد أعطاني شاهده ومنعني غائبه ، ومتهافت فى فتنه رُبِنت فى قلبه ، فأنا منهم بين السُنِّ لداد ، وقلوب شداد ، عذرى الله منهم ، ألا ينهى عالم جاهلاً ، ولا ينذر حليم سفيهاً ؟ والله حسبي ومحسبهم يوم لا ينظرون ، ولا يؤخذون لهم فيعتدرون .

سئل الحكم بن هشام فقال : كان والله خيار الخيرة . أمير البررة ، قتيل الفجرة ، منصور النصره ، مخذول الخذلة ، مقتول القتلة .

ونظير البيت الذى أنشده قول صخر الجعد :

فإن كنت مأكولاً فكأن أنت أكلى فإن منايا القوم أكرم من بعض

قال المتنوكل : أتيت بأسارى ، فسمعت امرأة منهم تقول :

أمير المؤمنين سماً إلينا نسمو الليث أخرج العريف

فإن نسلم فعون الله نرجو وإن قتل ققاتلنا شريف

وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر ، وأنشده بعضهم :

غنى النفس يُغنى النفس حتى يكفها وإن عضها حتى يضر بها الفقر

وما عسرة - فاضبر لها إن تتابع - بياقية إلا سيتبعها يسر

وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى : « ولم يغلبك كغلب » من قول

امرئ القيس :

فإنك لم يَفْخَرْ عليك كفاخر ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلبٍ
وقال أبو تمام وذكر الخمر :
وضِعِفَةٌ إِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ
ومن كلام علي بن أبي طالب رضى الله عنه

لا تَكُنْ مَنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بغير عمل ، ويؤخِّرُ التَّوْبَةَ لَطَوِيلِ الأَمَلِ . ويقولُ
في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعملُ فيها بعمل الراغبين ، إن أُعْطِيَ منها لم يشبع ، وإن
مُنِحَ لم يَقْنَعْ ، يعجز عن شُكْرِ ما أُوتِيَ ، وبيتنى الزيادة فيما بقي ، يَنْهَى ولا يَنْتَهَى ،
ويأمر بما لا يَأْتِي ، يحبُّ الصالحين ولا يعملُ أعمالهم ، ويُبْغِضُ المسيئين وهو منهم ؛
يكره الموتَ لكثرة ذنوبه ، ويقيمُ على ما يكره الموتَ له ، إن سَقَمَ ظَلَّ نادماً ، وإن
صَحَّ أَمِنَ لآهِيَا ، يُعْجَبُ بنفسه إذا عَوِيَ ، وَيَقْنَطُ إذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظنُّ ،
ولا يَغْلُبُهَا على ما يستيقن ، ولا يَثِقُ من الرِّزْقِ بما ضَمِنَ له ، ولا يَعْمَلُ من العملِ
بما فَرَضَ عليه ، إن استغنى يَطْرُقُ وقتن ، وإن افتقر قَنِطَ وحزن ، فهو من الذَّنْبِ
والنِّعْمَةِ مَوْقَرٌ^(١) ، يبتنى الزيادة ولا يشكر ، ويتكلَّفُ من الناس ما لم يؤمِّرْ ، ويَضِيعُ
من نفسه ما هو أكثر ، ويُبَالِغُ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموتَ ،
ولا يبادر الفَوْتَ ، يستكثر من معصية غيره ما يستقلُّ أكثره من نفسه ؛ ويستكثرُ
من طاعته ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طَاعِنٌ ، ولنفسه مداهنٌ ، اللَّغْوُ مع
الأغنياء أَحَبُّ إليه من الذِّكْرِ مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكمُ عليها
لغيره ، وهو يُطَاعُ وَيَعْصَى ، ويستوفى ولا يؤفَى .

وسئل رضى الله عنه عن مسألة فدخل مبادراً ، ثم خرج في حذاء ورداء ، وهو
يتبسم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنك كنت إذا سئلت عن مسألة كنت فيها
كالسَّكَّةِ المُحْمَاةِ^(٢) ! فقال : إني كنتُ حاقناً ولا رَأْيَ لحاقنٍ^(٣) ، ثم أنشأ يقول :

(١) موقر : مثقل (٢) السكة : الحديد (٣) الحاقن : هو الذى احتبس بوله

إذا المشكلاتُ تصدَّينِ لي كشفتُ حقائقَها بالنَّظَرِ
 وإن برقتُ في مخيل الصَّوَا بَعميَّاءَ لا تجتليها الذِّكْرُ^(١)
 بمقنعةً بأمور الغيوب وضعت عليها صيَّحَ الفِكَرِ
 لساناً كشقشقة الأرحبيِّ أو كالحسام اليمانيِّ الذِّكْرُ^(٢)
 وقبلما إذا استنطقته العيون أمرتُ عليها بواهي الدرر^(٣)
 ولستُ بِإمعةٍ في الرِّجَالِ أسألك عن ذَا وذَا ما الخبر^(٤)
 ولكنني ذَرِبُ الأصغرينِ أبينَ معَ ما مضى ما غير^(٥)

وفال معاوية رضى الله عنه لضرار الصَّدَائِي: يا ضرار، صِفْ لِي علياً، فقال:

وصف ضرار
 الصَّدَائِي لمعاوية
 علياً
 أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتصفنهُ، فقال: أما إذ أذنت فلا بدَّ من صفته: كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقولُ فصلاً^(٦)، ويحكمُ عدلاً، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبه، وتنطقُ الحكمةُ من نواحيه، يستوحشُ من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدِّمعة، طويل الفكرة، يقلبُ كفةً، ويخاطب نفسه، يَعْجِبُهُ من اللباس ما قَصُرَ، ومن الطعام ما خَشِنَ، وكان فينا كأحدنا، يُجيبنا إذا سألناه، ويُنبئنا إذا استنبأناه، ونحن - مع تقريبه إيانا، وقُربِهِ منا - لانكادُ نكلمه لهيته، ولا نبتدئُهُ لعظمته، يعظمُ أهل الدين، ويحبُّ المساكينَ، لا يطمعُ القوىُّ في باطله، ولا ييأسُ الضعيفُ من عدله، وأشهدُ لقد رأيتهُ في بعض مواقفه، وقد أرخى الليلُ سُدُولَهُ، وغارت نجومُهُ، وقد مثَّلَ في محرابه، قابضاً على لحيته يَتَمَلَّمُ تَمَلُّمَ السَّليمِ^(٧)، ويبكي بُكاءَ الحزين، ويقول: يا دُنْيَا إِلَيْكَ

(١) مخيل: مظنون، وهو السحاب تخاله باطراً لرعده وبرقه.

(٢) الأرحبي: الجمل، وشقشقته: هديره. (٣) نسخة « استنطقته الغيوب » (م)

(٤) الإمعة: الرجل الذي لا خطر له فهو يكون تابعاً لغيره ولا يكون مستقلاً (م)

(٥) ذرب الأصغرين: حديد القلب واللسان (٦) القول الفصل: هو الحق

(٧) السليم: الملدوغ. سمى بذلك تفاؤلاً.

عَيَّ ! غُرِّي غَيْرِي ، أَلِي تَعَرَّضْتُ ، أَمْ إِلَى تَشَوَّفَتْ هِيَاهُ ! قَدْ بَايَدْتُكَ
ثَلَاثًا ، لَا رَجْعَةَ لِي عَلَيْكَ ؛ فَعُمُرُكَ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكَ حَقِيرٌ ، وَخَطْبُكَ
يسير ؛ آدٍ مِنْ قَلْبِ الزَّادِ ، وَبُعْدُ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةُ الطَّرِيقِ !

فَبَكَى مَعَاوِيَةَ حَتَّى أَخْضَلَتْ دُمُوعُهُ لَحْيَتَهُ ؛ وَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا الْحَسَنِ !
فَلَقَدْ كَانَ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ حُزْنُكَ عَلَيْهِ يَا ضِرَارَ ؟ قَالَ : حُزْنٌ مِنْ ذُبْحِ
وَاحِدِهَا فِي حِجْرِهَا !

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ فَوَعَى ، وَدُعِيَ إِلَى
الرِّشَادِ فَدَنَا ، وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَنَجَا ^(١) ، وَرَاقِبَ رَبَّهُ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، وَقَدَّمَ
خَالصًا ، وَعَمَلَ صَالِحًا ، وَاسْتَسْبَى مَذْخُورًا ، وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا ، وَرَمَى غَرَضًا ،
وَكَلَبَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُنَادًا ، وَحَذَرَ أَجَلًا ، وَدَآبَ عَمَلًا ، وَجَعَلَ الصَّبْرَ
رَغْبَةً حَيَاتِهِ ، وَالتَّقَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، يُظْهِرُ دُونَ مَا يَكْتُمُ ، وَيَكْتُمِي بِأَقْلٍ مِمَّا
يَعْلَمُ ، لَزِمَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ ، وَالْحِجَّةَ الْبَيْضَاءَ ، وَاغْتَنَمَ الْمَهْلَ ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ ،
وَتَرَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

وَلَمَّا رَجَعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صِفَتَيْنِ ، فَدَخَلَ أَوَائِلَ الْكَوْفَةِ إِذَا قَبْرُهُ ، عَلَى يَرْتِي خَبَابِ
ابْنِ الْأَرْتِ
فَقَالَ : قَبْرُ مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ : خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ ^(٢) ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :
رَحِمَ اللَّهُ خَبَّابًا ! أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَابْتَلَى فِي
جِسْمِهِ أَحْوَالًا ، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا .

وَمَضَى فَإِذَا هُوَ بِقُبُورٍ ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا ، وَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ عَلَى أُمَامِ الْقُبُورِ
الْمُوحِشَةِ ، وَالْحَالِ الْمُقْفَرَةِ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلَفٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَبِكُمْ — عَمَّا
قَلِيلٍ — لَا حِقْمُونَ ؛ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ عَنَّا وَعَنْهُمْ بِعُقُوكَ ! طُوبَى

(١) الحجة : الحسن ، وأخذ بحجرة فلان : استظهر به واستعان به (٢) خباب بن
الأرت : صحابي جليل ، استضعفه المشركون فعذبوه ليرجع عن دينه فصر ، إلى أن كانت
الهجرة ، توفي سنة ٣٧ .

لمن ذكّر المعاد ، وعَمِلَ للحساب ، وَقِنِعَ بالكفّاف . ثم التفت رضى الله عنه إلى أصحابه ، فقال : أما إنهم لو تكلموا لقالوا : وَجَدْنَا خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

وَدَمَّ رَجُلٌ الدُّنْيَا بِحَضْرَةِ عَلَى رضى الله عنه ، فقال : دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ عَلَى يَصِفُ الدُّنْيَا صِدْقَهَا ، وَدَارُ نَجَاةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ، مَهْنِطٌ وَخِيَّ اللَّهُ ، وَمُصَلِّىٌ مَلَائِكَتُهُ ، وَمَسْجِدُ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَتَجَرُّ أَوْلِيَائِهِ ، رَبِّحُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ ، وَاسْتَبِشُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذِمُّهَا ، وَقَدْ آذَنْتُ بِبَيْتِنِهَا ، وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا ، وَذَكَّرَتْ بِسُرُورِهَا السُّرُورَ ، وَبِبِلَائِهَا الْبِلَاءَ ، تَرْغِيًا وَتَرْهِيًا ، فَيَأْتِيهَا الدَّامُ لَهَا ، الْمَلَلُ نَفْسَهُ بِغُرُورِهَا ، مَتَى خَدَعَتْكَ الدُّنْيَا ؟ أَمْ بِمَاذَا اسْتَدَمَّتْ إِلَيْكَ ^(١) ، أَمْ بِمَصْرَعِ آبَائِكَ فِي الْبِلَى ؟ أَمْ بِمَضْجَعِ أُمَهَاتِكَ فِي الثَّرَى ، كَمْ مَرَضَتْ بِكَفِّكَ ، وَكَمْ عَلَتْ بِيَدَيْكَ ، تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ ، وَتُسْتَوْصَفُ الْأَطْبَاءُ ، غَدَاةً لَا يَنْفَعُهُ بَكَوْكَ ، وَلَا يَغْنَى دَوَاؤُكَ .

من قصار كلام على
فقر من كلامه رضى الله عنه : [البشاشة فسخ المودة . والصبر قبر المغبون .
والغالب بالظلم مغلوب . والحجر المغصوب بالدار رهنٌ بخراجها . وما ظفرٌ نَظُفرت
به الأيام . فسألتم تسلم] . رأى الشيخ خيرٌ من مشهد الغلام ^(٢) . الناس أعداء ما جهلوا . بقية عمر المؤمن لا تمن لها ، يدرك بها ما أفات [ويحيى ما أمات] .
نقل هذا الكلام بعض أهل العصر ، وهو أبو الفتح على بن محمد البستي ^(٣) .

(١) استدتمت إليك : فعلت ما تدمها عليه - وفي نسخة « استدنت إليك » (م)
(٢) مشهد الغلام : ما يشهده ويراه رأى العين (٣) على بن محمد ، ويقال ابن أحمد كما
ذكر ياقوت في معجم الشعراء - شاعر ، كاتب مات في بخارى سنة ٤٠٠ هـ ، وفي أبي الفتح
البستي يقول عمران بن موسى :

إذا قيل أى الأرض زينة أجبتا وقلنا: أبهج الأرض بستها
فلو أننى أدركت يوما عميدها لثمت يد البستي دهرًا وبستها

بقية العمرِ عندى ما لها ثمن وإن غداً وهو محبوبٌ من الثمن
يستدرِك المرء فيها مآفات ويُنحسِي مآلمات ويمخو سوء الحسن
الدنيا بالأموال ، والآخرةُ بالأعمال . لا تخافن إلا ذنبك ، ولا ترجون إلا
ربك . وجهوا آمالكم إلى مَنْ تحبه قلوبكم . الناسُ من خوفِ الذل في الذل .
مَنْ أيقنَ بالخلفِ جاد بالعطية . بقيةُ السيفِ أُنمى عدداً ، وأنجبُ ولداً - وقد
تبينت صِحَّة ما قال في بنيه وبنى المهلب - إنَّ من السكوت ما هو أبْلغُ من
الجواب . الصبرُ مطيَّةٌ لا تكُبو ، وسيفٌ لا يَنْبُو ^(١) . خَيْرُ المالِ ما أغناكَ ،
وخَيْرُ منه ما كفَّاكَ ، وخيرُ إخوانك مَنْ واساك ، وخيرُ منه من كفَّاكَ شره .
وقال بعضُ أهل العصر ما يشا كل هذا وهو أبو الحسن محمد بن نكك البصرى :

عَدِيًّا في زماننا عَنْ حَدِيثِ المكارمِ
مَنْ كفى الناسَ شرَّهُ فهو في جُودِ حاتمِ

أبو الطيب :

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكُ القَبِيحَ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ الناسِ إِحْسَانًا وَإِجْمَالًا
إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ العَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ . قِيَمَةُ كُلِّ
أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ .

ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظُ هذه الكلمةَ في كتاب البيان فقال : تعقيب الجاحظ
فلو لم يَقِفْ من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية ، كافية ،
ومُجْزِية مُغْنِيَةٌ ؛ بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصّرة عن الغاية ؛
وأفضلُ الكلام ما كان قليلاً يُغْنِيكَ عن كثيره ، ومعناه ظاهراً في لفظه ، وكأنَّ
الله قد ألبسه من ثيابِ الجلالة . وغشاد من نُورِ الحكمة ، على حَسَبِ نِيَّةِ
صاحبه ، وتقوى قائمه . فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظُ بليغاً ، وكان صحيحَ الطبعِ ،

(١) الكبوة : السقاية ، والنبوة : عدم الإصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ،
ولكل سيف نبوة .

بعيداً من الاستكراه ، منزّها عن الاختلال ، مَصُونًا عن التكلف ؛ صَنَعَ في القلوب
صَنِيعَ الْغَيْثِ في التَّرَبُّعِ الْكَرِيمَةِ ، ومتى فَصَّلَتِ الْكَلِمَةُ على هذه الشريطة ،
وَنَفَذَتْ من قائلها على هذه الصفة ، أَحْبَبَهَا اللهُ عز وجل من التوفيق ، وَمَنْحَهَا
من التأييد ، مالا يمتنعُ من تعظيمها به صدورُ الجبابة ، ولا يذهلُ عن فهمها
معه عقولُ الجُهَلَةِ^(١) .

دعاء لعل
في الحروب

ومن دُعَايِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حروبه : اللَّهُمَّ أَنْتَ أَرْضَى للرضا ، وَأُسْخَطُ
لِللُّسْخَطِ ، وَأَقْدِرُ على أَنْ تَغَيِّرَ مَا كَرِهْتَ ، وَأَعْلَمُ بما تَقْدِرُ ، لَا تُغْلِبْ على باطل ،
وَلَا تَعْجِزْ عن حق ، وَمَا أَنْتَ بِغَافِلٍ عما يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ .
وقال على رضى الله عنه :

من شعر على
رضى الله عنه

لِمَنْ رَايَةُ سَوْدَاهُ يَخْفِقُ ظِلُّهَا إِذَا قِيلَ قَدَمُهَا حُضَيْنُ تَقْدَمَا
فيموردها في الصَّفِّ حتى تردها حياضُ المنايا تَقْطُرُ الموتَ والدَّما
جزى الله قوما قاتلوا في لقاءهم لدى الروعِ قوماً ما أعزوا وأكرمّا
وأطيب أخباراً وأفضَلَ شِيمَةً إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغَمُّغُمَا^(٢)

حُضَيْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ : أَبُو سَاسَانَ الْحُضَيْنِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ
الرَّقَاشِيَّ وَكَانَ صَاحِبَ رَايَتِهِ يَوْمَ صَفِّينَ .

ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها :

أَرَى عِلَلِ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ وَصَاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عِلِيلُ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَإِنْ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنْ افْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمَدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَلَا يَدُومَ خَلِيلُ

(١) انتهى المؤلف من الاستطراد الذي مضى فيه بمناسبة «قيمة كل امرئ ما يحسن»

ثم عاد إلى الكلام عن علي بن أبي طالب .

(٢) التغمغم : الصوت عند القتال .

ولما قَتَلَ عمرو بن عبد ود سقط فانكشفت عَوْرَتُهُ ^(١) ، فتنحَّى عنه وقال :
 آلِي ابنُ عبد - حين شدَّ - أَلِيَّةٌ وحلفتُ فاستمعوا من الكذاب ^(٢)
 أَلَا بِفِرٍّ ولا يملل فالتقى أسَدَانِ يضطَرَّبان كلَّ ضِرَابٍ ^(٣)
 اليومَ يَمْنَعُنِي الفِرَارَ حَفِيطَتِي وَمُصَمِّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابٍ ^(٤)
 أَعْرَضْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ مَتَقَطِّراً كَالْجَذْعِ بَيْنَ دَكَادِكِ وَرَوَابِي ^(٥)
 وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَتَيْتُ كُنْتُ الْمَقَطَّرَ بَرْنِي أَثْوَابِي ^(٦)
 نَصَرَ الْحَجَّارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ بِصَوَابٍ ^(٧)
 لَا تَحْسُبَنَّ اللَّهُ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيَّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ
 فِي آيَاتٍ غَيْرِ هَذِهِ ، وَبَعْضُ الرِّوَاةِ يَنْفِيهَا عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وعمرُو هذا هو : ابنُ عبدودِ بنِ نَضْر بنِ مالِك بنِ حِسل بنِ عامر بنِ لؤي ، عمر بن ود
 وكان قد جَزَعَ المَذاد ، وهو موضع خُفِرَ فيه الخَنْدَقُ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، وفي ذلك
 يقول الشاعر :

عمرُو بن ود كان أولَ فارس جَزَعَ المَذاد وكان فارسَ يَلِيلٍ ^(٨)
 ولما صار مع المسلمين في الخَنْدَقِ دعا [إلى] البراز ، وقال :
 ولقد بَحِجَّتْ مِنَ النَّدَا ءِ بِجَمْعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ^(٩)
 ووقفتُ إذ نَكَلَ الشَّجَا عَ بِمَوْقِفِ الْبَطْلِ الْمُنَاجِزِ ^(١٠)

-
- (١) عمرو بن عبدود : فارس قريش وشجاعها ، قتله على سنة ٥ للهجرة
 (٢) آلِي : أقسم ، والأَلِيَّةُ : اليمين (٣) يملل : يتقلب ، والضراب : المطاردة
 (٤) الحفيظة : الحمية والغضب عند حفظ الحرمه ، والمصمم : السيف لاينو
 (٥) متقطر : صريع ، والدكادك : جمع دكدك وهو الرمل المتبلد بالأرض
 (٦) بز : سلب . (٧) نصر الحجارة : كناية عن عبادة الأوثان . (٨) جزع المذاد :
 اجتازه ، والمذاد : الموضع الذي يذاد فيه عن النفس ، أي موضع الحرب ، ويليل : اسم
 واد في بدر (م) (٩) بج صوته : ضعف من كثرة النداء (١٠) نكل : نكص ،
 والمناجز : المبادر إلى القتال

إني كذلك لم أزل متسرّعا نحو الهزاهز^(١)
 إنَّ السَّاحَةَ والشَّجَا عَةً فِي الْفَتَى خَيْرُ الْغَرَائِزِ^(٢)
 فبِز عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُو ! إِنَّكَ عَاهَدْتَ اللَّهَ
 لِقَرِيشٍ أَلَّا يَدْعُوكَ أَحَدٌ إِلَى خَلَّتَيْنِ إِلَّا أَخَذْتَ إِحْدَاهُمَا ، فَقَالَ : أَجَل ! قَالَ :
 فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ . قَالَ : لَاحَاجَّةَ لِي بِذَلِكَ ، قَالَ :
 فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الْمُبَارَزَةِ ، فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي مَا أُحِبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ ! قَالَ عَلِيٌّ :
 لَكِنِّي وَاللَّهِ أُحِبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ ، فَحَمِيَ عَمْرُو ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ وَعَرَقَبَهُ^(٣) ثُمَّ
 أَقْبَلَ إِلَى عَلِيٍّ :

فَتَجَاوَلَا كَغَمَامَتَيْنِ تَكَنَّفَتْ مَتْنِيَهُمَا رِيحًا صَبًّا وَشَمَالًا^(٤)
 فِي مَوْقِفٍ كَادَتْ نَفُوسُ كُتَاتِهِ تُبْتَزُّ قَبْلَ تَوَرُّدِ الْآجَالِ^(٥)
 وَعَلَتْ بَيْنَهُمَا غَبْرَةٌ سَتَرَتْهُمَا فَلَمْ يَرِعِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا التَّكْبِيرُ ؛ فَعَلَمُوا أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَهُ .
 وَمَا قُتِلَ عَمْرُو جَاءَتْ أُخْتُهُ فَقَالَتْ : مَنْ قَتَلَهُ ؟ فَقِيلَ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ،
 فَقَالَتْ : كَفَّ كَرِيم ! ثُمَّ انْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرُو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَكُنْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ
 لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةُ الْبَلَدِ
 مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرَاهَا وَهِيَ صَاعِدَةٌ إِلَى السَّمَاءِ تُنْمِتُ النَّاسَ بِالْحَمْدِ
 قَوْمِ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَكَارِمُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِلَا أَمَدٍ
 يَا أُمَّ كُلْتُمُ بَكْيَهُ وَلَا تَدْعِي بَكَاءَ مُعْوَلَةٍ حَرَّيَ عَلَى وَلَدٍ
 أُمَّ كُلْتُمُ : بِنْتُ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ . وَ « بَيْضَةُ الْبَلَدِ » تَمْدَحُ بِهِ الْعَرَبُ

(١) الهزاهز : الشدائد والحروب لأنها تهزها الرجال (٢) الغرائز : الطباع ،
 واحدها غريزة . (٣) عرقبه : قطع عرقوبه (٤) تجاولا : تصاولا (٥) الكمة :
 الشجعان . واحدهم كمي ، وتبتز : تسلب ، وتورد الآجال : ورود حياض الموت ، يريد
 أن الكمة يموتون من الهيبة (م)

وَتَذُمُّ ؛ فَمَنْ مَدَحَ بِهِ جَعَلَهُ أَصْلًا ، كَمَا أَنَّ الْبَيْضَةَ أَصْلُ الطَّائِرِ . وَمَنْ ذَمَّ بِهِ أَرَادَ أَنَّ لَا أَصْلَ لَهُ . قَالَ الرَّاعِي يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيَّ ^(١) :

يَا مَنْ تَوَعَّدَنِي جَهْلًا بِكَثْرَتِهِ مَتَى تَهْدِنِي بِالْعَزِّ وَالْعَدَدِ
أَنْتَ امْرُؤٌ نَالٌ مِنْ عِرْضِي وَعِزَّتِهِ كَعِزَّةِ الْعَيْرِ يَرْعَى تَلْعَةً الْأَسَدِ ^(٢)
لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يَهْجُو هَجْوَتَكُمْ يَا بْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
تَأْتِي قُضَاعَةٌ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَتَمُّ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : عَامِلَةٌ بَنُ عَدِيَّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ أَدَ [بَنُ زِيَادَ] عَامِلَةٌ قَوْمِ
ابْنِ يَشْجَبَ ، يُطْعَمُ فِي نَسَبِهِ مِنْ قَحْطَانِ ، وَيُقَالُ : هُوَ عَامِلَةٌ بَنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ قَاسِطٍ عَدِيَّ بْنِ الرَّقَاعِ
ابْنِ أَهْيَبَ ؛ فَذَلِكَ قَالَ الرَّاعِي هَذَا . وَيُقَالُ : إِنْ جَنْدَلَ بْنَ الرَّاعِي قَالَهَا وَقَدْ
قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي حَفْصَةَ الْأُمَوِيُّ فِي عَامِلَةٍ :

وَإِنَّا نُبَالِي نَائِيَّ عَامِلَةٍ الَّتِي أَجَدَّ بِهَا مِنْ نَحْوِ بُضْرَى انْحِدَارُهَا
تَدَافَعَهَا الْأَحْيَاءُ حَتَّى كَانَهَا ثِيَابُ بَدَاَ لِلْمَشْتَرِينَ عَوَارُهَا
قَذَفْنَا بِهَا لَمَّا نَأَتْ قَذَفَ حَاذِفُ بِسُودٍ حَصَى خَفَّتْ عَلَيْهِ صِغَارُهَا
وَيُشَبَّهُ قَوْلُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ » قَوْلَ عَنَتْرَةَ بْنِ شَدَادٍ

الْعَبْسِيِّ :

هَلَّا سَأَلْتُ اخِيْلَ يَابُنَّةَ مَا لَكَ إِنْ كُنْتُ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغَشَى الْوَعْيَى وَأَعَفَّ عِنْدَ الْمَغَمِ
وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّائِي :
إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هِمَّتُهَا يَوْمَ الْكُرَيْهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ ^(٣)

(١) عَدِيَّ بْنُ الرَّقَاعِ : شَاعِرٌ كَبِيرٌ ، كَانَ مُقَدِّمًا عِنْدَ بَنِي أُمَيَّةَ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٩٥ .

(٢) الْعَيْرِ : الْخَمَارُ ، وَتَلْعَةُ الْأَسَدِ : الرَّايَةُ الَّتِي يَحْمِيهَا ، وَلَيْسَ لِلْحِمَارِ عِزَّةٌ فِي تَلْعَةٍ

الْأَسَدِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثَالُ الْهَوَانِ (٣) السَّلْبِ : الْغَنِيمَةُ ، وَيَجْمَعُ عَلَى أَسْلَابٍ

عزم المؤلف
على ضروب
من الاختيار

قد علقت بذيل ما أوردته ، وألحقت بطرف ماجردته ، من كلام سيد الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار الطيبين الطاهرين ، قطعةً من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمتها أمام كل كلام ، لتقدمهم على الخلق ، وأخذهم بقصب السبق^(١) ، وهم كما قال بعض المتكلمين يصف قوما من الزهاد الواعظين . جَلَّوْا بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحدوا بمواعظهم الأذهان السكليلة ، ونَبَّهُوا القلوب من رَقَدَتِهَا ، ونَقَلُّوها عن سوء عَادَتِهَا ، فَشَقَّوْا من داء القسوة ، وَغَبَّأُوا الغفلةَ ، ودَاوَوْا من العيِّ الفاضح ، ونَهَجُوا لنا الطريقَ الواضح . وآثَرَتْ أَنْ أَلْحَقَ بعد ذلك جملةً من سليم كلام سائر الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم أجمعين ، وأدرج في درج كلامهم وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما التفتَّ عليه والتفتَّ إليه ، وتعلَّقَ بأغصانه ، وتشبَّثَ بأفئدته ، كما تقدَّم ، وأخرج إلى صفات البلاغات ، وأخذ بعد ذلك في نظم عقود الآداب ، ورقم برود الألباب .

من كل معنى يكاد الميثُ يفهمُهُ حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ والقلمُ

[من كلام الصحابة والتابعين] .

من كلام معاوية

قال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله : أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الرَّجُلُ الْعَقْلُ وَالْحِلْمُ ؛ فَإِذَا ذُكِّرَ ذَكَرَ ، وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَنْجَزَ .

وصف معاوية الوليد بن عتبة فقال : إنه لبعيد الغور ، ساكن الفور^(٢) ، وإن العودَ من لحائه^(٣) ، والولد من آبائه ، والله إنه لنبات أصل لا يخلف ، ونجل

(١) السبق : هو السباق ، وأخذ قصب السبق : كناية عن الفوز

(٢) الغور : القعر من كل شيء ، وبعد الغور : كناية عن أصالة الرأي وعمق التفكير ، والفور : الغضب ، ويقال : فلان ثار ثائرة ، وفار فأثره ، إذا اشتد غضبه . وبنو فلان تفور علينا قدرهم : قال الشاعر :

تفور علينا قدرهم فديمها ونفشوها عنا إذا حميها غلا

وسكون الفور : كناية عن الحلم (٣) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم (لحاء الله) أى قشره ، وإذا قشر الإنسان هلك !

فَحُلَّ لَا يَقْرِفُ^(١) .

ومرض معاوية مرضاً شديداً فَأَرْجَفَ^(٢) به مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ وَسَاعَدَهُ قَوْمٌ عَلَى ذلك ، ثم تَمَثَّلَ وَهْمٌ فِي إِرْجَافِهِمْ^(٣) ، فَحَمَلَ زِيَادُ مَصْقَلَةَ إِلَى معاوية وكتب إليه : « إِنَّهُ يَجْمَعُ مَرَّاقًا مِنْ مَرَّاقِ الْعِرَاقِ^(٤) فَيُرْجِفُونَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ حَمَلَتْهُ إِلَيْهِ لِيَرَى رَأْيَهُ فِيهِ » .

فَقَدِمَ مَصْقَلَةُ وَجَلَسَ معاويةُ لِلنَّاسِ ؛ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : ادْنُ مِنْي ! فَدَنَا مِنْهُ ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَذَبَهُ فَسَقَطَ مَصْقَلَةُ ؛ فَقَالَ معاوية :

أَبْقِ الْحَوَادِثُ مِنْ خَلِيلِكَ مِثْلَ جَنْدَلَةِ الْمَرَّاجِمِ^(٥)

صُلْبًا إِذَا خَارَ الرَّجُلُ لُ أَبْلٍ مَمْتَنِعِ الشَّكَاكِمِ^(٥)

قَدْ رَامَنِي الْأَعْدَاءُ قَبْلَكَ فَاِمْتَنَعْتُ عَنْ الْمَظَالِمِ

قال مصقلة : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ مِنْكَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ [بَطْشًا] وَحِلْمًا [رَاجِعًا] وَكَلًّا وَمِرْعَى لِأَوْلِيَائِكَ ، وَسَمًا نَاقِعًا لِأَعْدَائِكَ ، كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ فَكَانَ أَبُوكَ سَيِّدَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مُسْلِمِينَ ؛ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَامَ .

فَوَصَلَهُ معاويةُ ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ إِلَى الْكُوفَةِ . فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ معاويةَ ؟ فَقَالَ : زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَمَّا بِهِ^(٦) ، وَاللَّهِ لَقَدْ غَمَزَنِي غَمْرَةً كَادَ يَخْطِمُنِي ، وَجَذَبَنِي جَذْبَةً كَادَ يَكْسِرُ عُضْوًا مِنْي !

(١) لَا يَقْرِفُ : مِنَ الْقِرَافِ بِالْكَسْرِ وَهُوَ دَاءٌ يَقْتُلُ الْبَعِيرَ ، يُرِيدُ أَنَّهُ قَوِيٌّ مَتِينٌ لَا تَقْرِبُهُ الْأَدْوَاءُ

(٢) الْإِرْجَافُ : الْخَوْضُ فِي أَخْبَارِ الْقِتَنِ ، وَمِنْهُ (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ)

(٣) مَرَّاقٌ : جَمْعُ مَارِقٍ ، وَهُوَ الْحَارِجُ عَلَى الْجَمَاعَةِ

(٤) الْجَنْدَلَةُ : الصَّخْرَةُ (٥) الشَّكَاكِمُ : جَمْعُ شَكِيمَةٍ ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الْمُعْتَزَّةُ فِي فَمِ

الْفَرَسِ ، وَفُلَانٌ شَدِيدُ الشَّكِيمَةِ : أَنْفٌ أَبِي لَابِتْقَادٍ

(٦) زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَمَّا بِهِ : يُرِيدُ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ ضَعْفٌ لَمَّا بِهِ مِنَ السَّقَمِ

بين معاوية
والأحنف بن
قيس

ودخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاوية وافداً لأهلِ البصرة ، ودخل معه
النَّمر بن قُطَبة ، وعلى النمر عبادة قَطَوَاتِيَّةٌ ^(١) ، وعلى الأحنف مِدْرَعَةُ صُوف
وشَمْلَةٌ ، فلما مثلا بين يدي معاوية اقْتَحَمَتْهُمَا عَيْنُهُ ^(٢) ؛ فقال النمر : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
إِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَكَلِّمُكَ ، وَإِنَّمَا يَكَلِّمُكَ مَنْ فِيهَا ! فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ فَجَلَسَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى
الْأَحْنَفِ فَقَالَ : ثُمَّ مَهْ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَدَدُ سِيرٍ ، وَعَظْمٌ
كَسِيرٌ ، مَعَ تَتَابُعٍ مِنَ الْمُحُولِ ^(٣) ، وَاتِّصَالٍ مِنَ الذُّحُولِ ^(٤) ، فَالْمُكْثَرُ فِيهَا قَدْ
أُطْرُقَ ، وَالْمُقِلُّ قَدْ أَمَّا قَ ^(٥) ، وَبَلَغَ مِنْهُ الْمُخَنَّقُ ؛ فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَنْعَشَ الْفَقِيرُ ،
وَيَجْزُرَ الْكَسِيرُ ، وَيَسْتَهْلَ الْعَسِيرُ ، وَيَصْفَحَ غِنَى الذُّحُولِ ، وَيُدَاوِيَ الْمُحُولَ ، وَيَأْمُرَ
بِالْعَطَاءِ ؛ لِيَكْشِفَ الْبَلَاءَ ، وَيُزِيلَ اللَّأْوَاءَ ^(٦) . وَإِنَّ السَّيِّدَ مَنْ يَعْمَلُ وَلَا يُخْصُ
وَمَنْ يَدْعُو الْجَفْلَى ، وَلَا يَدْعُو النَّقْرَى ^(٧) ، إِنَّ أَحْسَنَ إِلَيْهِ شُكْرٌ ، وَإِنْ أَسِئَءَ
إِلَيْهِ غَفَرَ ، ثُمَّ يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِهِ عِمَاداً يَدْفَعُ عَنْهَا الْمُلَمَّاتَ ، وَيَكْشِفُ
عَنْهُمْ الْمَعْضَلَاتَ .

فقال له معاوية : ها هنا يا أبا بحر ! ثم تلا : (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ
لِقَوْلٍ) .

محاورة بين
معاوية وأهل
العراق

ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني ، قال : وَفَدَّ أَهْلُ الْعِرَاقِ عَلَى
معاوية رحمه الله ، ومعهم زيادٌ ، وفيهم الأحنف ، فقال زياد : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
أَشْخَصْتُ إِلَيْكَ أَقْوَاماً الرِّغْبَةُ ، وَأَقْعَدَ عَنْكَ آخِرِينَ الْعُذْرُ ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ
تَعَالَى فِي سَعَةِ فَضْلِكَ مَا يُجَبِّرُ بِهِ التَّخَلُّفَ ، وَيَكْفِي بِهِ الشَّائِخَ . فقال معاوية :

(١) نسبة إلى قطوان وهو موضع بالكوفة

(٢) اقتحم : احتقر (٣) المحول : جمع محل ، وهو الضيق (٤) الذحول : جمع
ذحل ، وهو الثَّأْرُ (٥) أَمَلَقَ : من الإملاق ، وهو الفقر (٦) اللَّأْوَاءُ : الشدة
(٧) يدعو الجفلى : يدعوا الجماعة ، والنقرى : دعوة الفرد . قال طرفة :
نحن في اللَّأْوَاءِ ندعو الجفلى لا ترى الآدب منا ينتقر

سرحباً بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتم
الرحم ؛ إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم
بأن تخير لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم كما تصفى الفضة
البيضاء من خبثها ؛ فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ،
فإن الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقبیح منكم أقبح لبعدهم عنه .

فقال الأحنف : والله يا أمير المؤمنين ، ما نعدّم منكم قائلاً جزيلاً^(١)
ورأياً أصيلاً ، ووعداً جميلاً ؛ وإن أخاك زياداً لم تبع آثارك فينا ، فنستمع الله
بالأمير والمأمور ، فإنكم كما قال زهير ، فإنه ألقى على المدّاحين فصول القول :

وما يك من خير أتوه فإتما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل يُنبِت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل^(٢)

وهذان البيتان لزهير بن أبي سلمى المزني في قصيدة يقول فيها :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأنديّة يبتأبها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعترهم وعند المقلدين الساحة والبدل
سعى بعدهم قوم لكني يذرّ كوههم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا^(٣)

قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجب بقوله : « ولم يألوا » ؛ لأنه لما
ذكر السعى بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جازأن يتوهم السامع أن
ذلك لتقصير الطالبين في طلبهم ؛ فأخبر أنهم لم يألوا ، وأنهم كانوا غير مقصرين
وأنهم — مع الاحتاد — في المتأخرين ؛ ثم لم يرّض بأن يجعل مجدهم طارفاً

(١) القائل الجزيل : الذي يقول جزل الكلام ، وهو العاقل الأصيل الرأي ،
وفي نسخة « نائلاً جزيلاً » (م)

(٢) الخطي : نسبة إلى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب إليه الرماح ،
لأنها تباع به لأنه منبتها — والوشيح : عروق القصب (٣) لم يألوا : لم يقصروا .

فيهم ، ولا جديداً لديهم ، حتى جعله إرثاً عن الآباء ، يتوارثه سائرُ الأبناء ، ثم لم يَرْضَ أن يكونَ في الآباء حتى جعله موروثاً عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف في المنثور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار .

منزلة شعر زهير
ابن أبي سلمى
وكانت قريشٌ معجبةً بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا قد سمعنا كلامَ الخطباء والبلغاء ، وكلامَ ابن أبي سلمى ، فما سمعنا مثلاً كلامه من أحد ؛ فجعِلوا ابنَ أبي سلمى نهايةً في التجويد ، كما ترى .

وذُكِرَ أن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن من أشعر شعرائكم زهيراً ، كان لا يُعَاظَلُ بين الكلام^(١) ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال .

وأخذ معنى قولِ زهير : * سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم *
طُريحُ بن إسماعيل الثَّقَفِيُّ^(٢) ، فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن على السفاح :

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَلَغْتَ وَلَمْ يَأْتُوا فَمَا قَارَبُوا وَقَدْ جَهِدُوا^(٣)
فَهِمَ مُلُوكٌ مَا لَمْ يَرَوْكَ ، فَإِنْ لَاحَ لَهِمْ مِنْكَ بَارِقٌ سَخِدُوا
تَعْرِوهُمْ رِعْدَةٌ لَدَيْكَ كَمَا قَرُقِفَ تَحْتَ الدُّجْنَةِ الصَّرْدُ^(٤)
لَا خَوْفَ ظُلْمٍ وَلَا قَلِيَّ خُلُقٍ لَكِنْ جَلَالًا كَسَاكَهُ الصَّمَدُ^(٥)
مَا يُبْقِيكَ اللَّهُ لِلْأَنَامِ قَمًا يُفْقِدُ مِنَ الْعَالَمِينَ مَفْتَقِدُ^(٦)

معاوية يمين
النبيل والمروءة
وقال معاوية رحمه الله : المروءة : احتمال الجريرة^(٧) ، وإصلاحُ أمر العشيرة ؛ النبيل والنبلة : الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة .

(١) يعاظَل : يكرر ويردد . وفي الأصل « يفاضل » وهو تحريف

(٢) شاعر مجيد توفي نحو سنة ١٧٠ (٣) جهدوا : تعبوا

(٤) قرُقِفَ على صيغة المفعول : أرعد ، والدجنة : الظلمة ، والصد : الذى

يشكو قسوة البرد (٥) القلى : البغض (٦) ما فى هذا البيت شرطية (٧) الجريرة :

الجنابة ، واحتمال الجريرة : كناية عن دفع الدية لئلا يؤخذ الجاني بجنايته

فَقَرَّ مِنْ كَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا رَأَيْتُ تَبْذِيرًا قَطُّ إِلَّا وَإِلَى جَنْبِهِ حَقٌّ مُضَيِّعٌ . أَنْقَضَ النَّاسَ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ . أَوْلَى النَّاسَ بِالْعَقْرِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَالِكِ مِنْ لَوْثٍ الْمَقْدَرَةِ وَسُوءِ الْمَمْلَكَةِ .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَا حَسَنَ أَدَبُ رَجُلٍ إِلَّا سَاءَ أَدَبُ غِلْمَانِهِ ^(١) .

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ : إِصْلَاحُ مَا فِي يَدِكَ أَسْلَمَ مِنْ طَلَبِ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ . غَضَبِي عَلَى مَنْ أَمْلَكَ ، وَمَا غَضَبِي عَلَى مَنْ لَا أَمْلَكَ ؟ .

وَلَمَّا تَوَقَّى مُعَاوِيَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاسْتَخْلَفَ يَزِيدُ ابْنَهُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ ، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ تَهْنِئَةٍ وَتَعْزِيَةٍ ، حَتَّى أَتَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَتَمٍ السُّلُومِيَّ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، آجَرَكَ اللَّهُ عَلَى الرَّزِيَةِ ، وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ ، وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعْيَةِ ، فَقَدْ رُزِّتَ عَظِيمًا ، وَأُعْطِيتَ جَسِيمًا ، فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا أُعْطِيتَ ، وَاصْبِرْ لَهُ عَلَى مَا رُزِّيتَ ؛ فَقَدْ فَقَدْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ ، وَمُنِجْتَ خِلَافَةَ اللَّهِ ؛ فَفَارَقْتَ جَلِيلًا ، وَوَهَبْتَ جَزِيلًا ؛ إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةُ نَحْبَهُ ، فَغَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ ؛ وَوَلَّيْتَ الرِّيَاسَةَ ، فَأَعْطِيتَ السِّيَاسَةَ ؛ فَأَوْرَدَكَ اللَّهُ مَوَارِدَ السَّرُورِ ، وَوَفَّقَكَ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ ، وَأَنْشَدَهُ :

أَصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ حِبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ أَضْفَا ^(٢)
لَارْزَاءُ أَصْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ نَعَامُهُ كَمَا رُزِّتَ وَلَا عَقْبِي كَعَقْبَا كَا
أَصْبَحْتَ وَالِيَّ أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَا كَا
وَفِي مُعَاوِيَةَ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا نَعَيْتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَا كَا ^(٣)

يُرِيدُ أَبَا لَيْلَى مُعَاوِيَةَ بْنَ يَزِيدٍ ، وَوُلَّى بَعْدَ أَبِيهِ شَهْرًا ، ثُمَّ انْخَلَعَ عَنِ الْأَمْرِ ، فَقَالَ الْقَائِلُ :

(١) يظهر أن هذه الكلمة وقعت استطرادا من المؤلف ، وإذ كان الغرض ذكر

فقر من كلام معاوية

(٢) الحباء : العطاء (٣) «لا» حرف دعاء ، ولذلك جزم بها الفعل إلحاقا به . النهاية

* والملك بعد أبي ليلي لمن غلبا *

الجمع بين التهنئة والتعزية
وأول مَنْ فَتَحَ الباب في الجمع بين تهنئة وتعزية عبد الله بن همام ، قَوْلُهُ
الناس ، ومن جَيِّد ما قيل في ذلك قصيدة أبي تمام الطائي يمدح الوائق ويرى
المعتصم يقول فيها :

إِنْ أَضْبَحْتَ هَضْبَاتُ قَدْسٍ أَزَالُهَا قَدَرٌ فَمَا زَالَتْ هِضَابُ شَمَامٍ^(١)
أَوْ يَفْتَقِدْ ذُو النُّونِ فِي الْهَيْجَا فَقَدْ دَفَعَ الْإِلَهُ لَنَا عَنِ الصَّمَامِ
أَوْ كُنْتَ مِنْ غَارِبَا غَدَا فَقَدْ رُحْنَا بِأَسْمَى غَارِبٍ وَسَنَامٍ^(٢)
تِلْكَ الرِّزْيَةُ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا وَالْقَسْمُ لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَقْسَامِ^(٣)
وهذا المعنى كثير .

وكان معاوية رحمه الله قد تركَ قولَ الشعرِ في آخر عمره ، فنظر يوماً إلى
جارية في داره ذات خلقٍ رائع ، فدعاها فوجدوها بكراً فافتعها ، وأنشأ يقول :

سَمْتُ غَوَايَتِي فَأَرَحْتُ حِلْمِي وَفِيَّ عَلَى تَحْمِلِي اعْتِرَاضُ
عَلَى أَنِّي أُجِيبُ إِذَا دَعَنِي ذَوَاتُ الدَّلِّ وَالْحَدَقِ الْمِرَاضُ

فقر لجماعة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم

ابن عباس : الرخصة من الله صدقة ، فلا تردُّوا صدقته^(٤) . لكل داخلٍ
هبة فابدهوه بالتحية ، ولكل طاعم حشمة فابدهوه باليمين .

ابن مسعود رحمه الله : الدنيا كلها همومٌ ، فما كان منها في سرور فهو ربح .
عمرو بن العاص : مَنْ كَثُرَ إِخْوَانُهُ كَثُرَ غُرْمَاؤُهُ . وقال : أَكْرَمُ مَوَاسِفِهَاءِكُمْ ،
فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ الْعَارَ وَالنَّارَ .

المغيرة بن شعبة : العيشُ في بقاءِ الحِشْمَةِ . في كل شيء سرف إلا في المعروف .

(١) شمام : اسم جبل لباهلة (٢) الغارب : الكاهل (٣) القسم : النصيب
(٤) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه كقصر الصلاة ، وإباحة الفطر للمسافر

هذا كقول الحسن بن سهل^(١) — وقد أنفقَ في دخول ابنته بُورَانِ على
المؤمن أموالاً عظيمة — قليل له : لا خيرَ في السَّرَفِ . قال : لا سَرَفَ في
الخير . فرد اللفظَ واستوفى المعنى :

معاذ بن جبل : الدين هَدمُ الدينِ .

زياد : أرضَ من أخيك إذا وُلِّيَ ولايةً بعُشرَ وُدِّه قبلها .

مصعب بن الزبير^(٢) : التَّواضعُ من مصايد الشرف .

الأحنف بن قيس : من لم يصْبِرْ على كلمة سَمِعَ كَلِمَاتٍ ! وقيل له : مَنْ السيد ؟
قال : الذي إذا أُقبلَ هابوه ، وإذا أُدبرَ عابوه . وله : سَرَكٌ مِنْ دَمِكَ^(٣) . وله : مَنْ
تَسَرَّعَ إلى الناسِ بما يَكْرَهُونَ قالوا فيه ما لا يَعْلَمُونَ . وله : الكاملُ مَنْ عُدَّتْ هَفَوَاتُهُ .
وقال يزيد بن محمد المهلبى^(٤) :

ومن ذا الذي تُرَضِّي سَجَايَاهُ كُلَّهَا كَفَى المرءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

الحسن البصرى : أَلَا تَسْتَحْيُونَ مِنْ طُولِ مَا لَا تَسْتَحْيُونَ ! ابنُ آدَمَ رَاحِلٌ
إلى الآخرة كل يوم مرحلة . مَا أَنْصَفَكَ مَنْ كَلَّفَكَ إِجْلَالَهُ ، وَمَنَعَكَ مَا لَهُ . بدن
لا يشتكى مثل مَالٍ لَا يَزْكِي . إن امرءَ اليس بينه وبين آدَمَ أَبْحَى لَمُعْرِقٍ فِي الْمَوْتِ .
قال الطائي :

تأملَ رويداً هل تُعَدُّنَّ سَالِمًا إلى آدَمِ أو هل تُعَدُّ ابنَ سَالِمٍ

وقال أبو نواس :

وما الناسُ إِلَّا هَالِكٌ وابنُ هَالِكٍ وذو نسبٍ في الهالكين عريق

(١) كان وزير المؤمنين ، ومن أعلام زمانه ، توفي سنة ٢٣٦ بعد أن تغير عقله بمرض
السوداء (٢) أحد الأبطال المشاهير ، وله مواقف معروفة في التاريخ ، توفي سنة ٧١
(٣) تصحفت هذه العبارة على كل من نشر هذا الكتاب من أدباء هذا العصر
فقرأوها « سرك من ذمك » وضبطوها على أن أولها فعل ماضٍ من السرور وآخرها
فعل ماضٍ من الدم ، وأى سرور يدخل على من يسمع ذمه ؟ وإنما هي كاضبطناها
والمراد الوصية بكتان السر (م)

(٤) كان يزيد بن محمد شاعر التوكل وقدرثاه بعد وفاته أبلغ رثاء . توفي ببغداد سنة ٢٥٩

إذا أُمْتُحَنَ الدُّنْيَالَيْبُ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
وكان المأمون يقول : لو قيل للدنيا : صِفِي نَفْسَكَ مَا عَدَّتْ هَذَا الْبَيْتَ ؛
وهو مأخوذ من قول مَزْأَحِمِ الْعُقَيْلِي :

قَضَيْنَ الْهَوَى ثَمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْنَهُمْ أَعْدَاءَ وَهْنٍ صَدِيقُ
عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما الْجَزَعُ مِمَّا لَبَدَّ مِنْهُ؟ وما الطَّمَعُ فِيمَا لَا يُرْجَى؟
لَا تَكُنْ مَنَّ يَلْعَنُ إِبْلِيسُ فِي الْعِلَانِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ .

الشعبي : إني لأَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ إِذَا عَرَفْتُهُ إِلَّا أَرْجِعَ إِلَيْهِ .
قطعة من كلامِ لَبْنَى عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَهْلَ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : [أَهْلِ
الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَنَبْعَةِ الْإِيمَانِ ، وَصُؤَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ] وَلَهُمْ
كَلَامٌ يُعْرَضُ فِي حَلِّي الْبَيَانِ ، وَيُنْقَشُ فِي فَصِّ الزَّمَانِ ، وَيُحْفَظُ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ ،
وَيَفْضَحُ قَلَانِدَ الدُّرِّ ، وَيُخْجِلُ نَوْرَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ ، وَلَمْ لَا يَطْثُونَ ذُيُولَ
الْبَلَاغَةِ ، وَيَجْرُونَ فَضُولَ الْبِرَاعَةِ ، وَأَبْوَاهُ الرُّسُولِ ، وَأُسْهُمُ الْبَتُولِ ^(١) ، وَكُلُّهُمْ
قَدْ غُذِيَ بِدَرِّ الْحَكَمِ ^(٢) ، وَرُبِّيَ فِي حِجْرِ الْعِلْمِ :

مَا مِنْهُمْ إِلَّا مُرَبِّي بِالْحِجْجَى أَوْ مُبَشِّرٌ بِالْأُحُودِيَّةِ مُؤَدِّمٌ ^(٣)

آخر :

نَمَتُهُ الْعِرَانِينَ مِنْ هَاشِمٍ إِلَى النَّسَبِ الْأَصْرَحِ الْأَوْضَحِ ^(٤)

(١) البتول : لقب مريم عليها السلام لأنها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء ، ثم
قيل لفاطمة البتول تشبيها بها في المنزلة عند الله
(٢) الحكم : بضم الحاء هو الحكمة ، ومنه (وآتيناه الحكم صبيا)
(٣) الأحودية : الحذق والخفة ، وهو مبشر بالأحودية ومؤدم : يعنى أن بشرته
وأدمه أى جلده حتى بالمهارة والنشاط (٤) العرانيين : الأوائل

وصف أهل
البيت

إلى نَبْعَةٍ فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ وَمَعْرِسُهَا فِي ذُرَى الْأَبْطَحِ^(١)

وهم كما قال مسلم بن بلال العبدى — وقد قيل له : خطب جعفر بن سليمان خطبةً لم يرَ أحسن منها ، فلا يُدرى أوجهه أحسن أم خطبته ؛ فقال : أولئك قوم بنور الخلافة يُشْرِقُونَ ، وبلسان النبوة ينطقون ، وفيهم يقول القائل :

لو كانَ يُوجَدُ عَرَفُ مَجْدٍ قَبْلَهُمْ لوجدته منهم على أميال^(٢)
إن جثتهم أَبْصَرَتْ بينَ بيوتهم كَرَمًا يَقيكَ مَوَاقِفَ التَّسَالِ
نورُ النبوةِ والمكارمِ فيهمُ متوقِّدٌ في الشَّيبِ والأطفالِ^(٣)

وسئِلَ سعيد بن المسيب : مَنْ أبلغُ الناس ؟ فقال : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال السائل : إنما أعنى مَنْ دونه . فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وإنَّ ابنَ الزبير لحسنُ الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملح . فقال له رجل : فأين أنتَ من عليّ وابنه ، وعباس وابنه ؟ فقال : إنما عيّنت من تقاربت أشكالهم ، وتدانّت أحوالهم ، وكانوا كسِيَّاهِمْ الجُعْبَةِ^(٤) ، وبنو هاشم أعلامُ الأنامِ ، وحكّامُ الإسلامِ^(٥) .

فصل لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

في ذكر قريش ، وبنى هاشم

قد علم الناسُ كيفَ كَرُمَ قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيتها وذكاؤها ، وكيف سياستها وتدييرها ، وكيف إنجازها وتحجيرها^(٦)

(١) الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى (٢) العرف بالفتح : الريح (٣) الشيب جمع أشيب (٤) الجعبة : السكّانة توضع فيها السهام والفتاب (٥) يلاحظ القارىء أن المؤلف لم يذكر ماساء «قطعة من كلام لبنى على بن أبى طالب» وإهانتكم عن أهل البيت وما قيل فيهم ، ثم انتقل إلى الكلام عن قريش . ولكن سئى كيف يعود إلى أبناء على بعد قليل (٦) في نسخة «وتحسيرها» والمراد ما يقابل الإيجاز ، وهو الإطباب والغرض وصف قريش بأنها تجيد إطالة القول حين تشاء

وكيف رجاها أحلامها إذا خفَّ الحليم ، وحدة أذهانها إذا كَلَّ الحديد^(١)
وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللاأواء^(٢) ، وكيف وفاؤها إذا استحسن
الغدر ، وكيف جودها إذا حبَّ المال ، وكيف ذِكْرُها لأحاديث غدٍ
وقلة صدودها عن جهة القصد^(٣) ، وكيف إقرارها بالحق ، وصبرها عليه ،
وكيف وصفها له ، ودعاؤها إليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعراقها ،
وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم
وقولهم فعلهم . وهل سلامة صدر أحدهم إلا على قدر بُعد غوره^(٤) ؟ وهل
غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟

وقال عمر : إنك لا تنتفع بعقله حتى تنتفع بظنه .

قال أوس بن حجر^(٥)

الأمعي الذي يظنُّ لك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعا

وقال آخر :

مليحٌ نجيحٌ أخو مازنٍ فصيحٌ يحدِّثُ بالغائبِ

وقال بلعاء بن قيس :

وأبغى صواب الرأي أعلمُ أنه إذا طاش ظنُّ المرء طاشت مقاديرُه

بل قد علم الناس كيف جاملها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف

سرورها ونجابتها^(٦) ، وكيف بيانها وجهارتها ، وكيف تفكيرها وبداهتها ،

(١) الحديد : القوى الذهن (٢) اللاأواء : الشدة

(٣) القصد : الغرض (٤) الغور : القعر من كل شيء . وفلان بعيد الغور : متعمق

النظر ، وهو بحر لا يدرك غوره ، وفي الأصل «بعد غدره» بالدال ، وأحسب أنه

تحريف (٥) أوس بن حجر : هو شاعر تميم في الجاهلية ، مات قبيل الإسلام ، وهو

صاحب العينة التي قيل في مطلعها إنه أشجى بيت ، وهو قوله :

أيها النفس أجلى جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

(٦) السرو : الشرف . والنجابة : كرم الحسب

فالعرب كالبَدَن وقريشٌ روحُها ، وقريشٌ روحٌ وبنو هاشم سرُّها ولُبُّها ،
وموضع غاية الدين والديناميها ، وبنو هاشمٌ ملح الأرض ، وزينة الدنيا ، وحلى
العالم ، والسَّنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولُبُّبُ كلِّ جوهر كريم ، وسرُّ
كلِّ عُصْفرٍ شريف ، والطينة البيضاء ، والمعرسُ المبارك ، والنصاب الوثيق^(١) ،
ومعدن الفهم ، وينبوع العلم ، وهم لأن ذو الهضاب في الجلم^(٢) ، والسيفُ الحسام
في العزيم^(٣) مع الأناة والحزم ، والصفح عن الجرم ، والفصد عند المعرفة ،
والعفو بعد المقدرة ، وهم الأنفُ المقدَّم ، والسَّنام الأكرم ، وكلماء الذي
لا ينجَّسه شيء ، وكالشمس التي لا تخفى بكلِّ مكان ، وكالذهب لا يُعرفُ
بالنقصان ، وكالنجم للحيران ، والبارد للظمان ، ومنهم الثقلان ، والشهيدان ،
والأطيان ، والسُّبَّان ، وأسد الله ، وذو الجناحين ، وذو قرنيها ، وسيِّدُ
الوادي ، وساقِ الحجيج ، وحليم البطحاء ، والبحر ، والخبز^(٤) ، والأنصار
أنصارهم ، والمهاجرون من هاجر إليهم أو معهم ، والصديق من صدقهم ،
والفاروق من فرَّق بين الحق والباطل فيهم ، والحواريُّ حواريتهم ، وذو الشهادتين
لأنه شهيدَ لهم ، ولا خيرَ إلَّا لهم أو فيهم أو معهم ، أو يُضاف إليهم ، وكيف
لا يكونون كذلك ومنهم رسولُ رب العالمين ، وإمامُ الأولين والآخرين ،
ونجيبُ المرسلين ، وخاتمُ النبيين ، الذي لم يَتم لنبى نبوةٌ إلَّا بعد التصديق
به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عمَّ برسالته ما بين الخافقين ، وأظهره الله على الدين
كلِّه ولو كره المشركون؟.

قال الحسن بن علي عليهما السلام لحبيب بن مسمة الفهرى : رُبَّ مَسِيرٍ لك بين الحسن بن
على السبط

وحبيب بن
مسمة الفهرى

(١) النصاب : الأصل (٢) شملان : اسم جبل (٣) الحسام : القاطع

(٤) تلك ألقاب اختص بها فريق من أشرف قريش ، يرجع إليها من شاء في كتب

السير والغزوات

في غير طاعة الله ! قال : أَمَا مَسِيرِي إِلَى أَيْكَ فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ ! قال : بلى !
أطعت فلانا على دنيا بسيرة ، ولعمري لئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك
في دينك ، فلو أنك إذ فعلتَ شراً قلتَ خيراً كنتَ كمن قال الله عزَّ وجل :
(خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) ولكنك كما قال :
(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) .

صفة الحسن بن
على السبط
وكان الحسن عليه السلام جواداً ، كريماً ، لا يردُّ سائلاً ، ولا يَقْطَعُ نائلاً ،
وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقيلاً له : أُتْعِطِي شَاعِراً يَعْصِي الرَّخْمَنَ ، [ويطيع
الشیطان] ، ويقول البُهْتَانُ ؟ فقال : إِنَّ خَيْرَ مَا بَدَلْتَ مِنْ مَالِكَ مَا وَقَّيْتَ بِهِ
عِرْضَكَ ، وَإِنَّ مِنْ ابْتِغَاءِ الْخَيْرِ انْتِقَاءَ الشَّرِّ .

وقد روى مثلُ ذلك عن الحسن رضي الله عنه ، وقيل : إِنَّ شَاعِراً مدحه
فأَجْزَلَ ثَوَابِهِ ، فلم يَلَمْ على ذلك ، فقال : أَرَأَيْتَ خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لست ابنُ فاطمة
الزَّهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ! ولكني
خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كعلي رضي الله عنه ؛
فَيُصَدِّقَ ، وَيُحْمَلَ عَنْهُ ، وَيَبْقَى مُخَلِّداً فِي الْكُتُبِ ، مُحْفُوظاً عَلَى أَسْنَنِ الرُّوَاةِ . فقال
الشاعر : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَفُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنِّي .

محمد بن الحنفية
يرثي أخاه
الحسن بن علي
ولما تَوَفَّى الْحَسَنَ أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ الْحُسَيْنُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ثُمَّ وَقَفَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَبْرِهِ وَقَدْ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالْدموعِ ، وَقَالَ :
رَحِمَكَ اللَّهُ أَبَا مُحَمَّدٍ ! فَلَنْ عَزَّتْ حَيَاتُكَ ، لَقَدْ هَدَّتْ وَفَاتُكَ ، وَلَنِعْمَ الرُّوحُ
رُوحٌ تَضَمَّنَتْهُ بَدَنُكَ ؛ وَلَنِعْمَ الْجَسَدُ جَسَدٌ تَضَمَّنَتْهُ كَفَنُكَ ، وَلَنِعْمَ الْكَفَنُ كَفَنٌ
تَضَمَّنَتْهُ لَحْدُكَ ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذَلِكَ وَأَنْتَ سَلِيلُ الْهَدْيِ ، وَخَامِسُ أَصْحَابِ
الْكِسَاءِ ، وَخَلْفُ أَهْلِ التَّقَى ؟ جَدُّكَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ، وَأَبُوكَ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى ،
وَأُمُّكَ فَاطِمَةُ الزَّهراء ، وَعَمُّكَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي جَنَّةِ الْمَأْوَى ، وَغَدَاؤُكَ أَكْفُ
الْحَقِّ ، وَرُبِّيَّتِي فِي حِجْرِ الْإِسْلَامِ ، وَرَضَعْتَ ثَدْيَ الْإِيمَانِ ، فَطُبِّتَ حَيًّا وَمَيِّتًا ؛

فلئن كانت الأنفُسُ غيرَ طَيِّبَةٍ لفراقك ؛ إنها غيرُ شَاكَّةٍ أَنْ قَدْ خَيْرَ لَكَ ، وإنَّكَ وأُخَاكَ لَسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فعليك يا أبا محمد منا السلام .

وقام رجلٌ من ولد أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب على قَبْرِهِ ، فقال : رجل من ولد
أبي سفيان بن الحارث يرفي الحسن بن علي
إِنَّ أَقْدَامَكُمْ قَدْ نَقَلَتْ ، وَإِنَّ أَعْنَاقَكُمْ قَدْ حَمَلَتْ إِلَى هَذَا الْقَبْرِ وَلِيَا مِنْ أَوْلِيَاءِ
اللَّهِ يُبَشِّرُ نَبِيَّ اللَّهِ بِمَقْدَمِهِ ، وَتُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ ، وَتَبْتَهَجُ الْحُورُ الْعَيْنُ
بِلِقَائِهِ ^(١) ، وَيَأْنَسُ بِهِ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّتِهِ ، وَيُوحِسُ أَهْلَ الْحِجَابِ وَالْدِّينِ
فَقْدَهُ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ تَحْتَسِبُ الْمَصِيبَةُ بِهِ .

ألفاظ لأهل العصر في ذكر المصيبة بأبناء النبوة

قد نُعِيَ سَلِيلٌ مِنْ سُلَالَةِ النُّبُوَّةِ ، وَفَرَّخٌ مِنْ شَجَرَةِ الرِّسَالَةِ ، وَعُضْوٌ مِنْ
أَعْضَاءِ الرِّسُولِ ، وَجِزءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْوَصِيِّ وَالبَتُولِ ^(٢) . كَتَبْتُ وَلَيْتَنِي مَا كَتَبْتَ وَأَنَا
نَاعِي الْفَضْلِ مِنْ أَقْطَارِهِ ، وَدَاعِي الْمَجْدِ إِلَى شَقِّ ثَوْبِهِ وَصِدَارِهِ ، وَنَجْبَرُ أَنَّ شَمْسَ
الْكَرَمِ وَاجِبَةٌ ^(٣) وَالْمَآثِرُ مَوْدَعَةٌ ، وَبَقَايَا النُّبُوَّةِ مَرْتَفَعَةٌ ، وَأَمَالَ الْإِمَامَةُ مُنْقَطَعَةٌ ،
وَالْدِّينَ مَنْخَذِلٌ وَاجِمٌ ^(٤) ، وَلِلتَّقْوَى دَمْعَانٌ هَامٍ وَسَاجِمٌ . كَتَبْتُ وَقَدْ شَلَّتْ يَمِينُ
الدَّهْرِ ، وَفُقِئَتْ عَيْنُ الْمَجْدِ ، وَقَصُرَ بَاعُ الْفَضْلِ ، وَكُسِفَتْ شَمْسُ الْمَسَاعِي ، وَخُسِفَ
قَمَرُ الْمَعَالِي ، وَتَجَدَّدَ فِي بَيْتِ الرِّسَالَةِ رُزْءٌ جَدَّدَ الْمَصَائِبَ ، وَاسْتَعَادَ التَّوَائِبَ ؛ كُلُّ
هَذَا لِفَقْدِ مَنْ حَطَّ الْكَرَمُ بِرَبِّهِ ، ثُمَّ أَدْرَجَ فِي بُرْدِهِ ، وَامْتَزَجَ الْمَجْدُ بِهِ ، فَدْفِنَ
بِدْفْنِهِ ، إِنَّهَا لِمَصِيبَةٌ عَمَتْ بَيْتَ الرِّسَالَةِ ، وَغَضَّتْ طَرْفَ الْإِمَامَةِ ، وَتَحَيَّفَتْ
جَانِبَ ^(٥) الْوَحْيِ الْمَنْزَلِ ، وَذَكَّرَتْ بِمَوْتِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ . كَتَبْتُ وَالدَّهْرُ يَنْعِي مُهْجَتَهُ

(١) الحور العين : لقب نساء أهل الجنة ، والحور : جمع حوراء ، من الحور
بالتحريك وهو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها ، أو هو اسوداد العين
كلها مثل عيون الأطباء ، والعين : جمع عينا وهي الخلوة العينية

(٢) الوصي : هو علي بن أبي طالب ، والبتول : لقب فاطمة الزهراء (م)

(٣) وجبت الشمس : غابت (٤) واجم : مطرق عبوس (٥) تحيفت : انتقصت (م)

والمجد يُنْذِبُ بِهِجَتَهُ ، ومهابط الوَحْيِ والرسالة تخفى ظهورَها أسفاً ، ومآقِي الإمامة والوصية والرسالة تُذَرِي دموعها لهفاً ؛ وذلك أن حادثَ قضاءِ الله استأثر بفَرْعِ النبوة ، وعنصر الدين والمروءة .

[رجع إلى كلام أهل البيت]

بين الحسن بن علي وأخيه محمد بن الحنفية
ووقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية^(١) لحاء ، ومَشَى الناسُ بينهما بالنِّمَامِ ، فكتب إليه محمد بن الحنفية : أمّا بعد فإن أبا وأباك علي بن أبي طالب ؛ لا تفضلني فيه ولا أفضلك ، وأُمِّي امرأةٌ من بني حنيفة ، وأُمُّكَ فاطمة الزَّهراء بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلو مُلِئَتِ الأرضُ بمثل أُمِّي لكانت أمُّكَ خيراً منها ؛ فإذا قرأتَ كتابي هذا فأقدمْ حتى تَرْضاني ، فإنك أحقُّ بالفضل مني .

خطبة للحسين بن علي
وخطب الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما غداةَ اليوم الذي استشهد فيه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ؛ ثم قال : يا عبادَ الله ، اتَّقُوا اللهَ ، وكونوا من الدنيا على حَذَرٍ ؛ فإنَّ الدنيا لو بَقِيَتْ على أَحَدٍ [أو بقي عليها أحد] لكانت الأَنْبياءُ أحقَّ بالبقاء ، وأولى بالرضا ، [وأَرْضَى] بالقضاء ؛ غيرَ أَنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الدنيا للقاء ، فجدِّدها بال ، ونعيمها مُضْمِلٌ ، وسرورها مُكْفَهَرٌ^(٢) ، مَنْزِلُ تَلْعَةٍ ، ودارُ قَلْعَةٍ^(٣) ؛ فزودوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى ، واتَّقُوا اللهَ لعلكم تُفْلِحُونَ .

(١) محمد بن الحنفية : هو محمد بن علي ، أخو الحسن والحسين ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تمييزاً له عن أخويه . ولد في المدينة سنة ٢١ وتوفي بها سنة ٨٠ .
(٢) مكفهر مغبر (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض ، وما انهبط منها ، فهي من الأضداد ، وهي كذلك مسيل الماء وما اتسع من فوهة الوادي ، ومنازل التلاع لاثبات لها لأنها عرضة لهجمات السيل ، ودار قلعة : أي انقلاع وذهاب . وفي الأصل «والنزّل تلعلة والدار قلعة » وما أثبتناه أنسب .

وكان معاوية بن أبي سفيان عيّن بالمدينة يكتبُ إليه بما يكونُ من أمور بين معاوية الناس وقريش ، فكتب إليه : إنّ الحسين بن عليٍّ أعتقَ جاريةً له وتزوَّجها ؛ والحسين بن عليٍّ فكتب معاوية إلى الحسين : من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن عليٍّ .
أمّا بعد ، فإنه بلغني أنك تزوّجتَ جاريَتَكَ ، وتركتَ أكفأكَ من قريش ، ممّن تستنجبه للولد ، وتمجد به في الصُّهر ، فلا لنفسِكَ نظرتَ ، ولا لولدِكَ انتقيتَ .

فكتب إليه الحسين بن عليٍّ : أمّا بعد ، فقد بلغني كتابُكَ ، وتغيُّرُكَ إِيَّايَ بأنّي تزوّجتُ مولائي ، وتركتُ أكفأَي من قريش ، فليس فوق رسول الله مُنتهى في شرف ، ولا غاية في نسب ؛ وإنما كانت ملكٌ يميني ، خرجتُ عن يدي بأمرٍ التمتُ فيه ثواب الله تعالى ؛ ثم ارتجعتها على سنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالإسلام الحسيّة ، ووضع عنا به التقيصة ؛ فلا لومَ على امرئ مسلمٍ إلّا في أمرٍ مائمه ، وإنما اللومُ لومُ الجاهلية .
فلما قرأ معاوية كتابه نبّذهُ إلى يزيد فقرأه ، وقال : لشدّ ما فخرَ عليك الحسين ! قال : لا ، ولكنها السنّةُ بنى هاشم الحِداد التي تفلّق الصُّخرَ ، وتغريّفُ من البحر !

واحسين - رضى الله عنه ! - هو القائل :

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لِأَحَبُّ دَارًا تَحُلُّ بِهَا سُكِينَةُ وَالرِّبَابُ
أَحَبُّهُمَا وَأَبْذُلُ كُلِّ مَالِي وَلَيْسَ لِلْأُمِّ عِنْدِي عِتَابُ

من شعر
الحسين بن عليٍّ

سُكِينَةُ: ابنته، والرباب: أمُّها، وهى بنت امرئ القيس [بن الجرول] الكلبيّة.
وفى سُكِينَةَ يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي كذباً عليها (١) :

(١) غير لطيفة الثالثة من كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » فيه فصل مملوء عن السيدة سُكِينَةَ بنت الحسين وحياتها الأدبية والوجدانية وعلاقتها بعمر بن أبي ربيعة ترى أحياناً يكذب عليها كما يحدثنا صاحب زهر الآداب ؟

لابن أبي ربيعة
في سكينه بنت
الحسين

قالت سُكَيْنَةُ وَالدَّمُوعُ دَوَارِفُ
لَيْتَ الْمُغِيرَى الَّذِي لَمْ أَجْزِهِ
كَانَتْ تَرُدُّ لَنَا أَلْمَنَى أَيْامَنَا
خَبَرْتُ مَا قَالَتْ فَبِتُّ كَأَنَّمَا
أُسْكِنُ مَا مَاءَ الْفُرَاتِ وَطَبِيبُهُ
بِأَلَدِّ مَنْكِ ، وَإِنْ نَأَيْتِ ، وَقَلَمَا
إِنْ تَبَذَّلِي لِي نَائِلًا أَشْفَى بِهِ
وَعَصَيْتُ فَيْكَ أَقَارِبِي وَتَقَطَعْتُ
فَتَرَكْتَنِي لَا بِالْوَصَالِ مُتَمَعًا
فَقَعَدْتُ كُلَّ مَهْرٍ بِقِ فَضْلَةِ مَائِهِ
تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْجَلْبَابِ
فِيمَا أَطَالَ تَصِيدِي وَطِلَابِي
إِذَا لَا نَلَامُ عَلَى هَوَى وَتَصَابِ
يُرْمَى الْحَشَى بِنَوَافِذِ النَّشَابِ
مَنِي عَلَى ظَلَمًا وَقَقْدِ شَرَابِ
تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةَ الْغِيَابِ
دَاءَ الْفَوَادِ فَقَدْ أَطَلْتَ عَذَابِي
بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عَرَى الْأَسَابِ
مَنْهُمْ ، وَلَا أَسْعَفْتَنِي بِشَوَابِ
فِي حَرٍّ هَاجِرَةٍ لِلْمَعِ سَرَابِ

سكينة ترى - وكانت سكينة من أجل نساء زمانها وأعقلهن ، وكان مصعب بن الزبير
مصعب بن الزبير قد جمَعَ بينها وبين عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ؛ فلما قُتِلَ مصعب
قالت سكينة :

فَإِنْ تَقْتُلُوهُ تَقْتُلُوا الْمَاجِدَ الَّذِي
وَقَبْلَكَ مَا خَاضَ الْحُسَيْنُ مَنِيَّةً
يَرَى الْمَوْتَ إِلَّا بِالسَّيْفِ حَرَامًا
إِلَى الْقَوْمِ حَتَّى أَوْرَدُوهُ حِمَامًا

لهي بن الحسين وقال علي بن الحسين ^(١) رحمه الله : لو كان الناس يعرفون جملة الخَلِ
في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في فضل التبيين ، لأعربوا عن كل ما يتجلجج
في صدورهم ، ولَوَجَدُوا مَنْ يَرُدُّ اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كل حال سوى

(١) كان علي بن الحسين مضرب المثل في الحلم والتقوى والسخاء . أحصى بعد
موته عدد من كان يقوتهم سرا فإذا هم نحو مائة بيت . قال محمد بن إسحاق : كان
ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم وما كلهم ، فلما مات علي بن
الحسين قعدوا ما كانوا يؤتون به ليلًا إلى منازلهم . ولد أتابة الله بالمدينة سنة ٣٨
وتوفي سنة ٩٤ .

حالمهم ، على أن إدراك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة ،
والفكرة القصيرة المدة ، ولكنهم من بين مغمور بالجهل ، ومفتون
بالعجب ، ومعدول بالهوى عن باب الثبوت ، ومصرف بسوء العادة عن
فضل التعلم .

وقال رضى الله عنه : المرأه يُفسدُ الصداقة القديمة ، ويحلُ العقدة الوثيقة ،
وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة ، والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة .
ومن دعائه : اللهم ارزقنى خوف الوعيد ، وسرور رجاء الموعد ، حتى لأرجو
إلا ما رجيت ، ولا أخاف [إلا] ماخوفت .

وحجّ هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام الفرزدق يمدح
الحجر فلم يقدر ، فنصب له منبرٌ فجلس عليه ؛ فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن
الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في إزار ورداء ، وكان أحسن الناس
وجهاً ، وأعظم رائحة ، وأكثرهم خشوعاً ، وبين عينيه سجادة^(١) ، كأنها رُكبة
عز ، وطاف بالبيت ، وأنى ليستلم الحجر ، فتنحى له الناس هيبة وإجلالا ،
فغاض ذلك هشاماً ؛ فقال رجلٌ من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هذا
الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، لئلا يعظم فى صدور
أهل الشام ؛ فقال الفرزدق وكان حاضراً :

هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا النقيّ التقى الطاهر العلم
هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
إذا رآته قریشٌ قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يُنسكه عرفان راحته	رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم ^(٢)

(١) المراد بالسجادة أثر السجود .

(٢) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته ويقينه بأنها من سلالة الرسول

فِي كَفِّهِ خَيْرَ زَانٍ رِيحُهُ عَبِقٌ
 يُغْفِي حَيَاءً وَيُغْفِي مَنْ مَهَا بَتَهُ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَبَعَتْهُ
 يُنَمِّي إِلَى ذِرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
 يَنْجَابُ نُورُ الْهَدْيِ عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
 حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا اقْتَرَحُوا
 هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
 اللَّهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَفَهُ
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ
 كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تَخْشَى بَوَادِرُهُ
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ مَيْمُونٌ بِغُرَّتِهِ
 مَا قَال «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدُهُ
 مِنْ مَعَشَرَتِهِمْ دِينَ، وَبَعْضُهُمْ
 يُسْتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْبُلُوَى بِحَبِيبِهِمْ
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقْوَى كَانُوا أَيْمَتَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ

فِي كَفِّ أُرْوَعٍ فِي عِرِّ نَيْنِهِ شَمَمٌ ^(١)
 فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
 طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالْخِيمُ وَالشِّيمُ ^(٢)
 عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ ^(٣)
 كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتَمُ ^(٤)
 حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحُلُوُ عِنْدَهُ نَعَمُ
 بِحَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
 عَنْهَا الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلُمُ ^(٥)
 تَسْتَوَكِفَانِ وَلَا يَعْرِوهُمَا الْعُدْمُ ^(٦)
 تَزِينُهُ الْأَثْنَانِ الْحِلْمُ وَالْكَرَمُ
 رَخْبُ الْفَنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ ^(٧)
 لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ
 كُفْرٌ، وَقُرْبُهُمْ مَنْجَى وَمُعْتَصِمُ
 وَيَسْتَرْبُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعَمُ ^(٨)
 فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتَوْمٌ بِهِ الْكَلِمُ
 أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ
 وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا

(١) أُرْوَع: ذكي الروع، بضم الراء، وهو الفؤاد. والعرينين: الأنف، والشعم: الارتفاع
 (٢) الخيم: الأصل (٣) يسمى: ينسب (٤) القتم والقمام: الغبار (٥) الغيبة: غيبة
 الرشد، والإملاق: الفقر (٦) تستوكفان: تجريان، والعدم بضم العين: الفقر.
 (٧) الأريب: وافر العقل (٨) يسترب: يصلح.

هُمُ الْغِيُوثُ إِذَا مَا أَرْزَمَهُ أَرْزَمَتْ الْأَسْدُ أَسْدُ الشَّرِّ وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمٌ ^(١)
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحِلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِاللَّيْءِ هُضِمٌ ^(٢)
 لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مَنْ أَكْفَهُمْ سَيِّئَانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدَمُوا
 أَى الْخَلَائِقِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نَعِمٌ ^(٣)
 مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّتَهُ فَالِدَيْنِ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالُهُ الْأُمُّ
 وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرِهِ الْعُرْبُ تُعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
 وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْحَزِينَ الْكَدَانِيَّ وَقَدْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
 وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمُوعِ ضُجِّي وَقَدْ تَعَرَّضْتَ الْحُجَابُ وَالْخُدَمُ
 حَيْثُهُ بِسَالِمٍ وَهُوَ مُرْتَفِقٌ وَضَجَّةُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْبَابِ تَزْدَحِمُ ^(٤)
 فِي كَفِّهِ خَيْرُ زَانَ - وَالْبَيْتُ الَّذِي يَلِيهِ .

وَيَقَالُ : إِنَّهَا لِدَاوُدَ بْنِ سَلَمٍ فِي قَتْمٍ بِنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الْأَخْطَلُ :

للأخطل في قتم
 بن العباس

وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى التَّجَارِ بِمَسْمَحٍ هَرَّتْ عَوَاذِلُهُ هَرِيرَ الْأَكْلَبِ ^(٥)
 لَذَّ يُقَبِّلُهُ النِّعَمُ ، كَأَنَّمَا مُسِحَتْ تَرَائِبُهُ بِمَاءٍ مُذْهَبٍ ^(٦)
 لِبَاسٍ أَرْدِيَةِ الْمُلُوكِ تَرَوْقُهُ مِنْ كُلِّ مَرْتَقَبٍ عِيُونُ الرَّبَّوْبِ ^(٧)
 يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ الشُّنُورِ إِذَا بَدَا نَظَرَ الْهَجَانِ إِلَى الْفَنِيْقِ الْمُضْعَبِ ^(٨)

(١) الأزمة : الشدة ، والشرى : جيليل بتهامة كثير السباع .

(٢) هضم : جمع هضم ، وهو كثير الإنفاق (٣) المراد بالأولية الآباء والأجداد

(٤) مرتفق : متكئ على مرفقه (٥) هرت : صاحت .

(٦) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، والمذهب : المزوج بالذهب .

(٧) الربوب : الأطباء . والمراد بها النساء (٨) المضعب : الجمل الذي لم يركب .

والفنيق : المسكرم . والهجان : الإبل البيضاء .

ويقال : بل قالها في علي بن الحسين اللعين المقرئ ، وسمى اللعين لأن عمر سمعه يُنشد شعراً والناس يُصلُّون ، فقال : مَنْ هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم ^(١) وليقله مَنْ شاء ، فقد أحسن ماشاد وأجاد وزاد ^(٢) .

لدى الرمة يمدح
بلال ابن أبي
بردة

وقال ذو الرمة في بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري :
مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُمُ الْكِرْوَانُ عَيْنٌ بَارِزاً ^(٣)
فَمَا يَعْرِفُونَ الضَّحْكَ إِلَّا تَبَسُّمًا وَلَا يَنْسُونَ الْقَوْلَ إِلَّا تَفَاجُيًّا ^(٤)
وَمَا الْفُحْشَ مِنْهُ يَرْهَبُونَ ، وَلَا الْخُلَا عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ هَيْبَةٌ هِيَ مَا هِيََا
فَتَى السَّنِّ ، كَهَيْلِ الْحِلْمِ ، يُسْمَعُ قَوْلُهُ يُؤَاوِزُنْ أَدْنَاهُ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
وَمِنْ أَجْوَدَ مَا لِلْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ أَبِي عِبَادَةَ الْبَحْتَرِيِّ فِي الْفَتْحِ
ابن خاقان :

للبحترى يمدح
الفتح ابن
خاقان

ولما حضرنا سُدَّةَ الْإِذْنِ أَخَّرَتْ
رَجُلًا عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ
فَفَضِيتُ مِنْ قُرْبٍ إِلَى ذِي مِهَابَةٍ
أَقَابِلُ بَدْرٍ أَلَمَ حِينَ أَقَابَلُهُ
بَدَا لِي مَحْمُودَ السَّجِيَّةِ شَمَّرَتْ
سَرَايِلُهُ عَنْهُ وَطَالَتْ حَمَائِلُهُ ^(٥)
كَأَنَّ صَبْرَ الرُّمَحِ الرَّذَائِي تَقَفَّتْ
أُنَابِيئُهُ وَاهْتَرَّتْ لِلطَّعْنِ عَامِلُهُ ^(٦)
وَكَالْبِدْرِ وَاقْتَنَتْ لِي مَسْعُودُهُ
وَتَمَّ سَنَاهُ وَاسْتَهْلَتْ مَنَازِلُهُ
فَسَلَّمْتُ فَاغْتَاقَتْ جَنَانِي هَيْبَةُ
تَنَازَعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ ^(٧)

- (١) اللعين المقرئ : هو أبو الأَكِيدَرِ مَبَارَكُ بْنُ زَمْعَةَ . وفي الأصل « اللعين
استقرئ » وهو تحريف (٢) يريد أن الشعر جيد بغض النظر عما ينسب إليه من
الشعراء (٣) الكروان بكسر الكاف جمع الكروان بفتحها مع سكون الراء .
وهو طائر مغرد ، والبازي : الصقر (٤) ينسون : ينطقون .
(٥) السرايل : الثياب . والحمائل : جمع حمالة - بالكسر - وهي علاقة السيف
(٦) عامل الرمح : صدره
(٧) اعتاق وعاق : منع ، والجنان : القلب .

إلى مُسْرِفٍ في الجود لو أنَّ حاتمًا لَدَيْهِ لأضحى حاتمٌ وهو عاذِلُهُ
فلمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَ وَأَنْتَنِي إلىَّ بِبِشْرِ آتَسْتَنِي مَخَالِيَهُ^(١)
دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدى مِنْ يَدِ امرئٍ جميلٍ مَحْيَاهُ سَبَاطٍ أَنَامِلُهُ^(٢)
صَفَّتْ مِثْلَ مَا تَصِفُوا الْمَدَامُ خِلَالَهُ وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ

ووقعت حرب بالجزيرة بين بنى تغلب، فتولى الإصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال البحترى فيما تعلق ببعضه بذكر الهيبة :

بنى تغلبٍ أَغْزَزُ عَلَى بَأْنٍ أرى دياركم أُمَسْتُ وليس لها أهلٌ^(٣)
خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ مِرَابِعُ مِنْ سَنَجَارٍ يَهْمِي بِهَا الْوَبْلُ^(٤)
إِذَا مَا التَّقَوَّا يَوْمَ الْهَيَاجِ تَحَاجَرُوا وَلَمُوتٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ
كَفَى مِنْ الْأَحْيَاءِ لَأَفَى كَفِيَّةُ وَمِثْلُ مِنْ الْأَقْوَامِ زَاخِفُهُ مِثْلُ^(٥)
إِذَا مَا أَخْجَرَ الرِّمَاحَ أَتَهَيَّ لَهُ أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي الطَّعَانِ وَلَا وَغْلُ^(٦)
تَحَوُّطُهُمُ الْبَيْضُ الرِّقَاقُ ، وَضُمُّرُ عِتَاقُ ، وَأَنْسَابُهَا يَدْرِكُ التَّغْلُ^(٧)
بَطْعُنٍ يَكْبُ الدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ وَضَرْبُ كَمَا تَرَعُو الْخَزْمَةَ الْبُزْلُ^(٨)
تَجَافَى أُمَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ التِّي عَلِمْتُ ، وَلِلْجَانِّينِ فِي مِثْلِهَا الشُّكْلُ^(٩)

(١) الخايل : جمع محيلة ، وهى الدلالة (٢) سباط : طوال ، كناية عن الكرم

(٣) هذه القطعة من قصيدة جيدة طويلة مطلعها :

ضمان على عينيك أنى لا أسلو وأن فؤادى من جوى بك لا يخلو

(٤) سنجار : مدينة فى نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، والوبل : المطر الشديد ، ويهمى : ينسكب (٥) كفى : نظير ، زاخفه : نازله ، من الزحف . وفى الأصل « راجعه » وهو تحريف (٦) الوغل : الضعيف النذل (٧) البيض الرقاق : السيوف المرفهة ، والضمير العتاق : الخيول الضامرة الكريمة ، والتبل : الثأر (٨) الدارعون : لابسو الدروع ، ودراكه : تتابعه ، وترغو : تصيح ، والخزمة :

التي وضع فى شدتها الحرام ، والبزل : جمع بازل . وهو البعير يبلغ تسع سنين

(٩) الشكل : الققد

وكانت يدُ الفتح بن خاقان عندكم
ولولاهُ طَلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ
تَلَا فَيَتَ يَا فَتَحُ الْأَرْقَمِ بَعْدَ مَا
وَهَبْتَ لَهُمْ بِالسَّلَامِ بَاقِي نَفُوسِهِمْ
أَتَاكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يُثْنُونَ بِالَّذِي
فَلَمْ أَرَ بَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سُودًا
تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاطِ فَتَضَرَّعُوا
وَلَمَّا قَضَوْا صَدَرَ السَّلَامُ تَهَافَّتُوا
إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعْتَهُمْ
إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَرَابَةِ
نَصَبْتَ لَهُمْ طَرَفًا حَدِيدًا ، وَمَنْطَقًا
وَسَلَّتْ سَخِمَاتِ الصَّدُورِ فَعَالَمَكَ
بِكَ التَّأَمُّ الشَّعْبِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ
فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَعَاظَتْ أَعْكَفَهُمْ
وَجَرُّوا ذِيُولَ الْعَصَبِ تَضْفُو ذِيُولَهَا

يَدَ الْغَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أَجْدَبَهَا الْحُلُ (١)
فَلَا قَوْدَ يُعْطَى الْأَذْلُ وَلَا عَقْلُ (٢)
سَقَاهُمْ بِأَوْحَى سُمِّهِ الْأَرْقَمُ الصَّلُ (٣)
وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَمْتَهُمُ الْقَتْلُ (٤)
تَقَدَّمَ مِنْ نِعْمَاكَ عَنْدهُمْ قَبْلُ (٥)
مِنْ الْيَوْمِ ضَمَّتَهُمْ إِلَى بَابِكَ السُّبُلُ (٦)
خُطَاهُمْ ، وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وَهَمَّ عُجْلُ (٧)
عَلَى يَدِ بَسَنَامٍ سَجَّيْنَهُ الْبَذْلُ
جَلَالَةُ طَلَقِ الْوَجْهِ جَانِبُهُ سَهْلُ (٨)
وَمَالُوا بِلَحْظٍ خِلَتْ أَنَّهُمْ قُبُلُ (٩)
سَدِيدًا ، وَرَأْيَا مِثْلَ مَا انْتَضَى النَّصْلُ (١٠)
كَرِيمِ — الْكَرِيمِ وَأَبْرَأِ غِلْهَا قَوْلَكَ الْفَضْلُ (١١)
عَلَى حِينٍ بَعْدَ مِنْهُ ، وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ (١٢)
قَرَاكَ ، فَلَا ضِعْفَ لِيهِمْ وَلَا دَخْلُ (١٣)
عَطَاءِ كَرِيمِ مَا نَكَاهُ دَهْ نُحْلُ (١٤)

(١) الحُل: الجذب (٢) طلت: هدرت ، والقود: القصاص ، والعقل: الدية
(٣) أوحى: أسرع ، والسهم الوحي: السريع ، والأرقم الصل: الحية التي لا تنفع
فيها الرق (٤) شارفوا: قاربوا . وفي الأصل (اسرفوا) وهو تحريف (٥) السبل:
جمع سبيل ، وهو الطريق ، وإبرأه الحاجة (٦) عجل: جمع أعجل وهو السرعة
(٧) طلق الوجه: وافر البشر (٨) قبل: جمع أقبل ، وهو الذي ينظر بانحراف
كأنما ينظر إلى أنفه (٩) النصل: السيف (١٠) السخيمات: جمع سخيمة ،
وهي الحقا

(١١) التأم الشعب: اجتمع (١٢) القرى بكسر القاف: ما يتناولها الضيفان ، والنحل:
الغل (١٣) نكاهه: منعه وشقه عليه (١٤)

وما عَمَّهم عمرو بن غنم بنسبةٍ كما عَمَّهم بالأمس نائلُك الجزل
فهما رأوا من غبطةٍ في اصطلاحهم فنك بها النعمى جرّت ولك الفضل

عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط .

وللطائيين [أبى تمام والبحترى] فى ذلك أشعار كثيرةٌ مختارة ، منها قول
البحترى يحذر عاقبة الحرب ^(١) :

أما لربيعةِ الفرسِ انتهاء	عن الزلزالِ فيها والخروب ^(٢)
وكانوا رقعوا أيامَ سلم	على تلك الضعائنِ والندوب ^(٣)
إذا ما الجرحُ رمَّ على فسادٍ	تبينَ فيه تفريطُ الطيبِ
رزيةٌ هالكٍ جلبتْ رزايا	وخطباتٌ يكشفُ عن خطوبِ
يشقُّ الجيبُ ثمَّ يحى أمرُ	يُصغرُ فيه تشقيقُ الجيوبِ
وقبرٍ عن أيامنٍ برقعٍ —	إذا هى ناحرتْ أفقَ الجنوبِ ^(٤)
يسحُّ ترابهُ أبداً عليها	عهاداً من مُراقٍ دَمٍ صيبِ ^(٥)
فهل لابنى عدى من رشيدٍ	يرُدُّ شريدَ حامها العزيبِ ^(٦)
أخافُ عليهما إمرارَ مرعى	من الكلاءِ الذى عُقباهُ توبى ^(٧)
وأعلمُ أنَّ حربَهما خبالٌ	على الدأى إلى هـا والمجيبِ
لعلَّ أبا المعمرِ يتليها	ببعْدِ الهمِّ والصدرِ الرّحيبِ ^(٨)

(١) اختار المؤلف هذه القطعة من بائية البحترى التى مطلعها :

أمنك نأوب الطيف الطروب حبيب جاء يهدى من حبيب

(٢) ربيعة الفرس : أبو قبيلة . وهوا بن زرار بن معد بن عدنان

(٣) فى الأصل (وقعوا) والتصحيح عن الديوان والندوب : جمع ندب . وهو الجرح

(٤) برقعيد : بلدة الموصل ، وناحرت : قابلت ، وفى الأصل «ناحرت» وهو تحريف .

(٥) العهد : أمطار الربيع ، واحداثها عهدة : تقول : حديدة معرودة وبستان .

(٦) العزيب : من العزوب وهو الغيبة والذهاب . وفى الأصل (العزيب) وهو العزيب .

(٧) توبى : تهلك . (٨) يتليها : يتبعها ، والهم هما : معنى الهممة

فكم من سُودِدٍ قد بات يُعطى عطيَةً مُكثِرٍ فيها مُطِيبٍ
 أَهْنَيْتُمْ يَا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، دَعَوَى مُشِيرٍ بِالنَّصِيحَةِ أَوْ مُهَيِّبٍ^(١)
 تَنَاسَ ذُنُوبَ قَوْمِكَ إِنْ حَفِظَ الذُّنُوبَ إِذَا قَدِمَ مَنْ مِنَ الذُّنُوبِ^(٢)
 فَلَسَّهُمْ السَّدِيدُ أَحَبُّ غِيًّا إِلَى الرَّامِي مِنَ السَّهْمِ الْمَصِيبِ^(٣)
 مَتَى أَحْرَزْتَ نَصَرَ بَنِي عُبَيْدٍ إِلَى إِخْلَاصِ وَدِّ بَنِي حَبِيبٍ
 فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَغْلَبَ تَغْلِيٍّ عَلَى أَيْدِي الْعَشِيرَةِ وَالْقُلُوبِ
 يَنَاسِبُ قَوْلُهُ :

* إِذَا مَا الْجَرْحُ رَمَّ عَلَى فَسَادٍ *
 قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ لِعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّنُوخِيِّ أَحَدِ بَنِي الْقَصِيصِ :
 فَلَا تَعْرِزُكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبْنِ أَفْنَدَةً أَعَادِي^(٤)
 وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْتِي لِبَاكِ بَكِي مِنْهُ، وَيَرَوَى وَهُوَ صَادٍ
 فَإِنَّ الْجَرْحَ يَنْغَرُّ بَعْدَ حِينَ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ^(٥)
 وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

كَأَنَّ الْهَامَّ فِي الْهَيْجَا عُمُومٌ وَقَدْ طُبِعَتْ سُمُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ
 وَقَدْ صُغِفَتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَنْخَطِرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ
 كَانَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنْ
 طَرَفٍ خَفِيٍّ

وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً مِنْ بَأْسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَ
 قَوْمٌ إِذَا احْمَرَّ الْهَجِيرُ مِنَ الْوَعَى جَعَلُوا الْجَاهِجَمَ لِلْسَيْفِ مَقِيلًا^(٦)

(١) مهيب: داعي (٢) في هذا البيت حكمة بالغة (٣) غيا : عاقبة

(٤) الموالى : جمع مولى وهو الصديق (٥) ينغر : يجيش بالدم

(٦) احمرار الهجير - وهو وقت الظهر - كناية عن سيل الدماء فيه

وإنما أخذ [أبو الطيب] من قول منصور النيرى ، وذ كر سيفاً :
 ذَ كَرْتُ ، بَرَوْنَهُ الدِّمَاءُ ، كأنما يَمْلُؤُ الرِّجَالَ بِأَرْجُوانٍ نَاقِعٍ^(١)
 وترى مَسَاقِطَ شَفَرَتَيْهِ كأنها مِلْحٌ تَبَدَّدَ مِنْ وَرَاءِ الدَّارِعِ
 وترأه مُعْتَمًا إِذَا جَرَّدَتْهُ بِدَمِ الرِّجَالِ عَلَى الْأَدِيمِ النَّاقِعِ^(٢)
 وكأنَّ وَقْعَتَهُ بِمُجْمَعَةِ الْفَتَى خَدَرُ الْمَدَامَةِ أَوْ نَعَاسُ الْهَاجِمِ^(٣)
 أردت هذا البيت ، وقول النيرى :

* وَتَرَاهُ مُعْتَمًا إِذَا جَرَّدَتْهُ *

يشير إليه قول أبي الطيب ، وذ كر سيفاً :

يَبْسُ النَّجِيعُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَأَنَّمَا هُوَ مُفْعَدٌ^(٤)
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْفَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ^(٥)

وبنو عبيد ، وبنو حبيب - اللذان ذكروهما البحتري - هم : بنو عبيد
 ابن الحارث بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وحبيب بن الهجرس
 ابن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيهم
 حبيب بن حرقة بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، فلا
 أدري أيهما أراد !

(١) سيف ذ كر : من الذكرة بضم الدال وهى الحدة . والأرجوان : صبغ أحمر ،
 وفاقع : صفة تراد بها بالغة . وكل ناصع اللون فاقع ، وأكثر ما يوصف به الأحمر والأصفر
 (٢) معتم : جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة ، والنائع : الذى تروى بالدم .
 وفى الأصل (الفاقع) وهو تحريف (٣) يصف إمالة السيف للرؤوس ويشبه فعله بفعل
 المدام والنعاس (٤) النجيع : الدم يتجمد

(٥) ريان : ممتلئ بالرى ، وقذف : ألقى وطرح ورمى ، وبحر مزبد : يرمى
 بالزبد ، وذلك كناية عن كثرة ما يجرى فيه وعن شدة موجه (م)

للبحترى أيضا

وقال البحترى :

أُسَيْتُ لِأَخَوَالِي رُبْعَةً أَنْ عَفْتُ
بِكُرْهِى أَنْ بَانَتْ خَلَا دِيَارُهَا
إِذَا افْتَرَقُوا مِنْ وَفْعَةٍ جَمْعُهُمْ
تَذُمُّ الْفَتَاةُ الرُّودُ شِمَةَ بَعْدَهَا
حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلٍ وَعِزَّةُ
وَفَرَسَانٍ هِجَاءٍ تَجْدِشُ صَدُورَهُمْ
تُقْتَلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفُوسِهَا
إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهَا
فَكُنْتُ أَمِينَ اللَّهِ مَوْلَى حَيَاتِهَا

وقال أبو تمام الطائي :

مَهْلًا بَنَى مَالِكٌ لَا تَجْلِبُنَّ إِلَى
لَمْ يَأْ لَسْكُمْ مَالِكٌ صَفْحًا وَمَغْفِرَةً
أَخْرَجْتُمُوهُ بِكُرْدٍ مِنْ سَجِيَّتِهِ
أَوْ طَأْتُمُوهُ عَلَى جَمْرِ الْعُقُوقِ ، وَلَوْ

حَى الْأَرَاقِمِ ذُلُولَ ابْنَةِ الرَّقَمِ (٧)
لَوْ كَانَ يَنْفَخُ قَيْنَ الْحَيِّ فِي فَحَمِ (٨)
وَالنَّارِ قَدْ تَلْتَضَى مِنْ نَاصِرِ السَّلْمِ (٩)
لَمْ يُخْرِجِ اللَّيْثُ لَمْ يُخْرِجْ مِنَ الْأَجَمِ (١٠)

لأبي تمام

(١) أُسَيْتُ : حَزَنْتُ ، وَالْمَصَافِي : جَمْعُ مَصِيفٍ ، وَفِي الْأَصْلِ «مَصَانِعُهَا» وَهُوَ تَخْرِيفٌ ، وَالتَّصْحِيحُ عَنِ الدِّيَوَانِ ، وَأَقْوَتْ : خَلَتْ .

(٢) الْغَانَى : جَمْعُ مَغْنَى ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ الَّذِي غَنَى بِهِ أَهْلُهُ : أَيْ أَقَامُوا .

(٣) يَطْلُ : يَهْدُرُ (٤) الرُّودُ : الْجَمِيلَةُ الْوَافِرَةُ الْحَيَاءِ (٥) الْوَتَرُ : الثَّأْرُ .

(٦) الشَّوَاجِرُ : الْقَوَاطِعُ ، أَوْ الرُّوَاطِطُ ، فَهِيَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَضْدَادِ .

(٧) الْأَرَاقِمُ : حَيٌّ مِنْ تَغْلِبِ ، وَابْنَةُ الرَّقَمِ : الْحَيَّةُ ، وَالذُّلُولُ : السَّمُ ، يَرِيدُ

لَا تَقْدَمُوا السَّمَّ بِنَفْسِكُمْ إِلَى حَيِّ الْأَرَاقِمِ لِيَقْتُلَكُمْ بِهِ (٨) الْقَيْنُ : الْحِدَادُ .

(٩) تَلْتَضَى : تَسْتَخْرِجُ ، وَالسَّلْمُ : اسْمُ شَجَرٍ (١٠) الْأَجَمُ : مَأْوَى الْأَسَدِ

لولا مناشدة القُرْبَى لغادرَكم
لا تجعلوا البغى ظهراً إنه جملٌ
وقال أيضاً :

مهلاً بنى عمرو بن غنم : إنكم
ما منكم إلا مُردى بالحجى
عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب بن سعد سهمكم لا يسهم^(١)
خلفت ربيعة من لدن خلقت يداً
جشم بن بكر كفها والمعصم^(٢)
تغزو فتغلب تغلب مثل اسمها
وتسيح غنم في البلاد فتغنم^(٣)
وستذكرون غداً صنائع مالك^(٤)
إن جلّ خطب أو تدويع مغرم^(٥)
مالى رأيت ثراكم ببسالة^(٦)
ما هذه الرحيم التي لا ترحم ؟
حسد القرابة للقرابة قرحة^(٧)
أغيت عوائدُها وجرح أقدم^(٨)
تلکم قريش لم تكن آباؤها^(٩)
تهفؤ ولا أجلامها تنقسم^(١٠)
حتى إذا بعث النبي محمد^(١١)
عزبت عقولهم ، وما من معشر^(١٢)
عزبت عقولهم ، وما من معشر
لما أقام الوحى بين ظهورهم
ففيهم غدت شحناؤهم تنضم^(١٣)
إلا وهم منه ألب وأجزم^(١٤)
ورأوا رسول الله أحمد منهم^(١٥)

(١) الهدف : الغرض (٢) مردى بالحجا : يتخذ رداء ، والأحذية : الحفة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : آخذ منها بشرته وأدمه ، ولأدم : الجلد
(٣) لايسهم : لا يغلب (٤) من لدن : من منذ (٥) الصنائع : جمع صنيع وهو المعروف (٦) من معاني البسالة لهلاك ، ورأيت ثراكم ببسالة : أى في بسالة — كذا ، والذي في الديوان « مالى رأيت ثراكم ببسالة » يريد جافاً لا يبله ندى ؛ فليس ينبت شيئاً ، وهذا معنى جيد (م) .

(٧) يريد من العوائد النكسات التي تعود بها القروح (٨) لاتنقسم أحلامها : لاتتفرق آراؤها (٩) الشحاء : البغضاء (١٠) عزبت : غابت ، ألب : أعقل
(٦ — زهر الآداب ١)

ومن الحزامة لو تكون حزاماً ألا تؤخر من به تتقدم^(١)
ومالك هو : ابن طوق^(٢) بن مالك بن عتاب بن زفر بن مرة بن شريح
ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم بن مالك [بن عتاب] بن سعد بن [زهير
ابن] جشم بن بكر [بن وائل] بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفيه
يقول دُعيل^(٣) يهجوهُ :

الناس كلهم يغدو لحاجته من بين ذى فرج منها ومهموم
ومالك ظل مشغولاً بنسبته يرم منها بناء غير مرؤوم^(٤)
يبنى بيوتاً خراباً لا أنيس بها ما بين طوق إلى عمرو ابن كلثوم
والتكثير من المعترض ، يزيح عن ثغرة الغرض^(٥) ، لكنى أجرى
منه إلى حلبة الإجابة ، وأقصد قصد الإفادة ، ثم أعود حيث أريد :

وقال ابن الخياط المكي - واسمه عبد الله بن سالم - في باب الهيبة ، في مالك
ابن أنس^(٦) الفقيه ، رحمة الله عليه ؛ وقيل : إن هذا من قول ابن المبارك :
لابن الخياط
يدح الإمام
مالك بن أنس

(١) الحزامة : الحزم

(٢) كان مالك بن طوق من الفرسان ، وهو الذى بنى « رجة مالك » على
شاطئ الفرات ، وله مع هرون الرشيد موقف مشهور ، وهو صاحب التائية
التي يقول فيها :

وما بي خوف أن أموت ، وإنى لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من خشية تنفتت

وتوفى سنة ٢٥٩

(٣) هو دُعيل بن علي ، الحزاعي ، المتوفى سنة ٢٤٦ ، كان دُعيل بذي اللسان
مولعاً بالهجو والخط من أقدار الناس ، وكان يتعرض للشر والموت ، ولكنه عمر
طويلاً مع تعرضه للخلفاء .

(٤) يرم : يصلح (٥) الثغرة : الطريق

(٦) هو الإمام مالك ، أحد الأئمة الأربعة ، المتوفى سنة ١٧٩

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيِّبَةً والسائلون نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ^(١)
أَدَبُ الْوَقَارِ، وَعِزُّ حُلَاطَانِ التَّقَى، فهو الْمُهَيَّبُ وليس ذَا سُلْطَانِ

وقول الفرزدق :

* يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ *

قد تَجَادَبَهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّعْرَاءِ ؛ قَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمَى^(٢) لَجَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ : لِأَشْجَعِ السَّلْمَى
حَبِّذَا أَنْتَ قَادِمًا تَرُدُّ الشَّا مَ فَتَخْتَالُ بَيْنَ أَرْحُلِ عَيْرِكَ
إِنَّ أَرْضًا تَسْرَى إِلَيْهَا لَوَاسِطًا عَتَ لَسَارَتِ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِ سَيْرِكَ
وإليه أشار أبو تمام الطائي في قوله :

دِيمَةٌ سَمَحَةُ الْقِيَادِ سَكُوبُ مُسْتَفِثٌ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ لأبي تمام
لَوْ سَمَعْتَ بَقْعَةً لِإِعْظَامِ نُعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ
وفي هذه القصيدة في وصف الدَّيِّمَةِ ، ومدح محمد بن عبد الملك الزيات^(٣) :

(١) نواكس الأذقان : مطرقون إلى الأرض خشوعاً

(٢) كان أشجع السلمي شاعراً فحلاً يجيد المديح ، ولد في اليمامة، ونشأ في البصرة ،
ومدح البرامكة، وانقطع إلى جعفر بن يحيى، قمره من الرشيد .

ومن أياته السائرة قوله :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته ، وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

وكانت وفاة أشجع نحو سنة ١٩٥

(٣) هو وزير المعتصم والوائق ، وأحد مشاهير الكتاب والشعراء ، عرف حلو

الحياة ومرها ، وهو القائل في سجنه :

من له عهد بنوم يرشد الصب إليه
رحم الله رحبما دل عيني عليه
سهرت عيني ونامت عين من هنت لديه

وكانت وفاته سنة ٢٣٣

لَذَّةُ شَوْبُوبِهَا وَطَابَ فَلَوْ تَسَطَّيْعُ قَامَتْ فَعَاثَقَتْهَا الْقُلُوبُ^(١)
 فَهُوَ مَاءٌ يَجْرِي وَمَاءٌ يَلِيهِ وَعَزَالَ تَنْشَا وَأُخْرَى تَصُوبُ^(٢)
 أَثْبَاهَا الْغَيْثُ حَتَّى أَهْلًا بِمَعْدَا لَكَ وَعِنْدَ الشَّرَى وَحِينَ تَوُوبُ^(٣)
 لِأَبْنَى جَعْفَرٍ خَلَائِقَ تَحْكِيهِنَّ قَدْ يَشْبَهُ النَّجِيبَ النَّجِيبَ

بين أبي تمام وابن الزيات
 وأنشدها أبا جعفر بن الزيات ، فقال : يا أبا تمام ؛ والله إنك لتحلّي
 شعرك من جواهر لفظك وبدائع معانيك ، ما يزيد حسناً على بهي الجواهر
 في أجياد الكواعب ؛ وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلاّ يقصرُ
 عن شعرك في الموازنة . وكان بحضرته رجل من الفلاسفة ، فقال : هذا الفتى
 يموتُ شاباً ! فقيل له : من أين حكمتَ عليه بهذا ؟ فقال : رأيتُ فيه من
 الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس ما علمتُ به أن النفسَ الروحانية
 تأكل عمره كما يأكلُ السيفُ المهندُ غمده ! قال الصولي : مات وقد نيّفَ
 على الثلاثين .

لأبي تمام
 في أبي دلف
 وقال في أبي دلف العجلي القاسم بن محمد بن عيسى^(٤) :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جَنُونُهَا إِذَا لَمْ يُغَوِّذْهَا بِنَغْمَةِ طَالِبِ
 تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاضُهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ^(٥)

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٢) عزال : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء ، والمراد بها السحابة ، وتصوب : تنسكب

(٣) تَوُوبُ : ترجع (٤) أبودلف : كان أمير الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد قواد

الأمون الشجعان ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، من أروعها هذا البيتان :

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

وكانت وفاته سنة ٢٢٦ (٥) العراض : جمع عرصة ، وهي : ساحة الدار

وقال البُخترى :

لو أنَّ مُشتاقاً تكلف فوقَ ما في وَسْعهِ لمشى إليك المنبرُ

وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار :

طَرَبْتُ مَرَّارِكُنَا فَخَلْنَا أَنُهَا لولا حَيَاءُ عاقِبها رَقَصْتُ بِنَا

لو تَعَقَّلُ الشَّجَرُ التي قابَلَتْها مَدَّتْ مُحَيِّيةً إِلَيْكَ الْأَغْصَنَا

رجع ما انقطع

قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين^(١) رضى الله عنه : هل رأيت الله حين عبَدْتَهُ ؟ فقال : لم أَكُنْ لأَعْبُدْ مَنْ لم أَرَهُ ، قال : فكيف رأَيْتَهُ ؟ قال : لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيان ، ورَأَتْهُ القلوبُ بحقائق الإيمان ، لا يدرك بالحواسِّ ، ولا يُشَبَّه بالناس ، معروفٌ بالآيات ، منعوهُ بالعلامات ، لا يجورُ في القضيَّات ، ذلك الله الذى لا إلهَ إلا هو . فقال الأعرابي : الله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالته .

قال الجاحظ : قال محمد بن علي : صلاحُ شأنِ الدنيا بخذافيرها في كلمتين ؛ لأنَّ صلاحَ شأنِ جميعِ الناسِ [فى التعايش و] التعاشر وهو ملءُ مِكْيَالٍ : ثلثاه فطنة ، وثلثه تَعَاوُلٌ .

قال الجاحظ : لم يجعل لغيرِ الفِطْنةِ نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ؛ لأنَّ الإنسان لا يتغافلُ عن شيءٍ إلا وقد عرفه وفطن له ، قال الطائي :

ليس العجبُ بسيدٍ فى قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَعَابِي

وقال ابن الرومي لأبي محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تظَلَّ إذا نامت عيونُ ذوى العَمى وإن حُدِّدوا زُرْقاً إِلَيْكَ جَوَاحِظاً^(٢)

(١) ولد محمد بن علي بالمدينة سنة ٥٧ ودفن بها سنة ١١٤ ، وكان مشهوراً بالعلم والتقى ، وله آراء فى تفسير القرآن

(٢) جواخط : جمع جاحظة ، وهى : الناتئة الحدقة

تَفَاضَى لَهُمْ وَسَنَانٌ ، بَلْ مَتَوَاسِنَا ، وَتَوَقَّظُهُمْ يَقْطَافٌ بَلْ مَتِيَاظًا^(١)
 [وأبو جعفر هذا هو الباقر] ، وكان أخوه زيد بن علي رضي الله عنه دينًا ،
 زيد بن علي شجاعا ، ناسكا ، من أَحْسَنِ بَنِي هَاشِمٍ عِبَارَةً ، وَأَجْمَلِهِمْ شَارَةً .
 ابن الحسين

وكانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة
 من حضور زيد بن علي ؛ فإن له لسانا أقطع من ظبة السيف وأحد من شبا
 الأسنة^(٢) ، وأبلغ من السحر والكهانة^(٣) ، ومن كل نف في عقدة .

وقيل لزيد بن علي : الصمت خير أم الكلام ؟ فقال : قبح الله المساكنة ،
 ما أفسدها للبيان ، وأجلبها للعبي والخصر^(٤) ! والله للمأمرأة أسرع في هدم العبي^(٥)
 من النار في ييس العرفج ، ومن السيل إلى الحدور^(٦) .

وقال له هشام بن عبد الملك : بلغني أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها
 لأنك ابن أمة ؟ قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ابن أمة ،
 وإسحاق ابن حرة ؛ فأخرج الله من ضلب إسماعيل خير ولد آدم ! فقال له : قم !
 فقال : إذا والله لا تراني إلا حيث تذكره ! فلما خرج من الدار قال : ما أحب
 أحد الحياة قط إلا ذل ، فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام منك
 أحد ، وكان زيد كثيرا ما ينشد :

شردته الخوف وأزرى به كذاك من يكره حرّ الجلاء^(٧)
 منخرق الخفين يشكو الوجى تنكبّه أطراف مروّ حداد^(٨)

(١) متواسن : متناوم وليس بنائم ، ومتياظ : متظاهر باليقظة (٢) ظبة السيف :
 طرفه ، وكذلك شبا السنان (٣) الكهانة : نوع من فتنة الناس باسم البحث عن الغيب
 (٤) الخصر : عسر السكلام (٥) في الأصل «هدم الفتى» وهو تحريف (٦) الحدور :
 المنحدرات يجرى إليها الماء (٧) الجلاء : الحرب .
 (٨) المرو : الحجارة البيض الرقاق ، والحداد : جمع حديد .

قد كان في الموت له راحةً والموت حَمٌّ في رقاب العباد
وقد رُوِيَتْ هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد
رُوِيَتْ لأخيه موسى .

قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد : حدثني رجل من بني هاشم قال : كنا
عند محمد بن علي بن الحسين ، وأخوه زيد جالس ، فدخل رجلٌ من أهل الكوفة زيد بن علي
فقال له محمد بن علي : إنك لتزوي طرائف من نوادر الشعر ، فكيف قال
الأنصاري لأخيه ؟ فأنشده :

لَعَمْرُكَ ما إن أبو مالكٍ بِيوانٍ ولا بِضَعِيفٍ قُوَاهُ
ولا بآلِدٍ لَهُ نازِعٌ يُعَادِي أَخَاهُ إِذَا ما نَهَاهُ
ولكنَّهُ غَيْرُ مِخْلَافَةٍ كَرِيمِ الطَّبائعِ حُلُو نِشَاهُ^(١)
وإن سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاةٌ ومِهما وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

فوضع محمد يده على كَتِفِ زيد ، فقال : هذه صِفَتُكَ يا أخى ؛ رَأَيْدُكَ
بِالله أَنْ تَكُونَ قَتِيلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ !

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله
عليهم منازعةً في وصِيَّةٍ ، فكانا إِذَا تَنَازَعَا انْثَالَ النَّاسُ عَلَيْهِمَا لِيَسْمَعُوا
مِخْاورَتَهُمَا ؛ فكان الرَّجُلُ يَحْفَظُ على صاحبه اللَّفْظَةَ من كلام جعفر ، وَيَحْفَظُ
الْآخِرُ اللَّفْظَةَ من كلام زيد . فإذا انفصلا وتفرَّق النَّاسُ عنهما قال هذا
لصاحبه : قال في موضع كذا وكذا ، وقال الآخر : قال في موضع كذا وكذا ؛
فيكتبون ما قالوا ، ثم يتعلَّمُونَهُ كما يتعلَّمُ الواجب من الفَرَضِ ، والنادرُ من الشعر ،
والسائرُ من المثل ! وكانا أعجوبةَ دَهْرٍهما وأُخْدُوثةَ عصرهما .

ولما قتل زيداً يوسفُ بنُ عُمر^(٢) وصلب جُثَّتُهُ بِالْكُنَاسَةِ^(٣) وبعثَ برأسه

(١) النشا : الحديث عنه . يريد أنه لا يقال عنه غير الخير (م)

(٢) أحد الولاة في العصر الأموي ، كانت وفاته سنة ١٢٧ (٣) الكناسة : محلة
بالكوفة يقول فيها الشاعر :

مع شَيْبَةَ بن عقال ، وكَلَفَ آلَ أبي طالب البراءة من زيد ، وقام خطبائهم بذلك : فكان أولَ مَنْ قام عبدُ الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأَوْجَزَ في كلامه ثم جَلَسَ ، وقام عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأُطْنِبَ - وكان شاعراً خطيباً لَسِيناً ناسباً - فانصرف الناسُ وهم يقولون : ابن الطيَّارِ مِنْ أَخْطَبِ النَّاسِ ، فقليل لعبد الله بن الحسن في ذلك : فقال : لو شئتُ أن أقولَ لقلت ، ولكن لم يكن مقامَ سرور ، وإنما كان مقامُ مُصِيبَةٍ !

من كلام عبد الله بن الحسن بن الحسين
وعبدُ الله هذا هو : أبو محمد وإبراهيم الخَلَّاجَيْنِ علي أبي جعفر المَنصور . وهو القائلُ لابنِه محمد أو إبراهيم : أَيُّ بُنَى ! إِنِّي مُؤَدَّ حَقِّ اللَّهِ فِي تَأْدِيكَ . فَوَدَّ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي الاسْتِمَاعِ مِنِّي ؛ أَيُّ بُنَى ! كَيْفَ الْأَذَى ، وَارْفُضِ الْبِدَى ^(١) وَاسْتَعِزْ عَلَى السَّكَّامِ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ فِيهَا فَمَسَّكَ إِلَى السَّكَّامِ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ سَاعَاتٍ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَأُ ، وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا الصَّوَابُ . وَاحْذَرُ شُورَةَ الْجَاهِلِ . وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا ، كَمَا تَحْذَرُ مَشُورَةَ الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ غَاشًّا ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُكَ بِمَشُورَتِهِ ؛ وَاعْلَمْ يَا بُنَى أَنْ رَأْيَكَ إِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ وَجَدْتَهُ نَاقِمًا ، وَوَجَدْتَ هَوَاكَ يَقْظَانًا ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِرَأْيِكَ ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ هَوَاكَ ؛ وَلَا تَفْعَلْ فِعْلًا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ عَاقِبَتَهُ لَا تُرِيدُكَ ، وَأَنْ نَتِيجَتَهُ لَا تَجْنِي عَلَيْكَ . وَهُوَ الْقَائِلُ : إِيَّاكَ وَمُعَادَاةَ الرِّجَالِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدَمَ مَكْرَ حَلِيمٍ ، أَوْ مُعَادَاةَ لَيْمٍ . وَكُتِبَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِمَنْ اتَّقَاهُ الْخُرْجَ مِنْ حَيْثُ يَكْرَهُ . وَالرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .
وعبدُ الله هو القائل :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْعَادِي لَطِيبَتِهِ يَوْمٌ بِالْقَوْمِ أَهْلُ الْبَلَدَةِ الْحَرَمِ
أَبْلَغُ قِبَائِلَ عَمْرُو إِنْ أَتَيْتَهُمْ أَوْ كُنْتَ مِنْ دَارِهِمْ يَوْمًا عَلَى أَمٍّ
إِنَّا وَجَدْنَا فُقَرَاءًا فِي دِيَارِكُمْ أَهْلَ الْكِنَاسَةِ أَهْلَ اللَّؤْمِ وَالْعَدَمِ
(١) الْبِدَى : مَقْصُورُ الْإِبْدَاءِ ، وَهُوَ خَشَّ الْقَوْلِ - وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يَكْتُبَ بِالْأَلِفِ (م)

أُنْسٌ حَرَائِرٌ مَا هَمَّ مِنْ بَرِيَّةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ ^(١)
يُحْسِنُ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَصْدَهُنَّ عَنِ الْخَنَاءِ الْإِسْلَامُ ^(٢)

قال : وهذا كما روى أنَّ عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي ، فقال له : قد علِّمتُ قريشُ أنك أطولها صَبَوةً ، وأبعدها تَوْبَةً ، وَيَحْكُ ! أَمَّا لك في نساء قريش ما يَكْفِيكَ من نساء بني عبد مناف ^(٣) ؟ ربيعة أَلست القائل :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْحَصَبِ مِنْ مِثِّي وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّحُ عَارِمٌ ^(٤)
قُلْتُ : أَصْبَحُ أُمَ مَصَابِيحِ رَاهِبٍ بَدَتْ لَكَ خَلْفَ السَّجْفِ أَمَ أَنْتَ حَالِمٌ ^(٥)
بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنُفْلِ أَبُوهَا وَإِمَّا عِبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ ^(٦)
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ بَعْدَ هَذَا :

طَلَبَنِ الْمَهْوَى حَتَّى إِذَا مَا وَجَدَنَهُ صَدَّرَنَ وَهْنُ الْمَسَامَاتِ الْكَرَامُ ^(٧)
فَاسْتَحْيَا مِنْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَضَى خَوَانِجَهُ وَوَصَلَهُ .

وقال آخر في هذا المعنى :

تَعَطَّلَنْ إِلَّا مِنْ مُحَاسِنِ أَوْجِهِ فَهِنَّ حَوَالٍ فِي الصِّفَاتِ عَوَاطِلُ ^(٨)
كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٍ نَوَاطِقُ بَعْفِ الْكَلَامِ بِاخِلَاتٍ بَوَازِلُ ^(٩)
بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَيْبَ بِحَقِّ الْقَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلُ ^(١٠)

(١) أنس : آ نسات (٢) الخنا : الفحش ، وفي نسخة « زوانيا » .

(٣) كذا ، وأعتقد أن صوابه « ما يكفك عن نساء بني عبد مناف » (م)

(٤) عارم بالراء المهملة : طامع شرس وفي الأصل « عازم » بالزاي المعجمة ، وأرجح أنه تحريف (٥) السحف بفتح السين أو كسرهما : الستر (٦) القرط : حلى يعلق في الأذن . وبعد مهوى القرط : كناية عن طول العنق (٧) صدرن : رجعن (٨) حوال : جمع حالية ، والعواطل : جمع عاطل ، وهي التي تعطلت من الحلى .

(٩) كواس : جمع كاسية ، والعف : العفيف (١٠) شيب : مزج

فدو الحلم مرتادٌ وذو الجهل طامعٌ وهنّ عن الفخشاء حيدٌ نواكل^(١)

وقال العذيل بن الفرخ فيما يتطرف طرفاً من هذا المعنى :

للعديل
ابن الفرخ

لعب النعيم بهنّ في أطلاله حتى لبس زمان عيش غافل^(٢)

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى فإذا عططن فهنّ غير عواطل

وإذا خبان خدودهن أرّينني حدق الما وأخذن نبل القاتل^(٣)

يرميننا لا يستترن بحنة إلا الصبا وعلمن أئن مقاتلي^(٤)

يلبسن أردية الشباب لأهلها ويجرن باطلهنّ ذيل الباطل

وتعرض لعبد الله بن الحسن رُجلٌ بما يكره، فقال فيما أشده ثعلب :

أظنّت سفاهاً من سفاهة رأيها أن أهجوها لما هجّنتي محارب^(٥)

فلا وأيهما إني بعشيري ونفسي عن ذاك المقام لراغب^(٦)

بين عبد الله بن
الحسن ورجل
تعرض له بما
يكره

وأنشد هذين البيتين أبو العباس المبرد لرجل لم يسمه في رجلٍ يُعرفُ بابن

البعير، وقبلهما :

يقولون أبناء البعير وما لهم سنامٌ ولا في ذروة المجد غارب^(٧)

وسائر عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الأنبار وهو

وعبد الله بن ينظر إلى بناء قد بناه أبو العباس ويدور به ، فأنشد عبد الله :

بين السفاح
وعبد الله بن
الحسن

ألم ترّ جوشنا لما تبني بناءً نفعه لبي بقبيله

يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كلّ ليله

وكان أبو العباس له مكرماً ، ولحقه معظماً ؛ فتبسّم مغضباً ، وقال : لو علمنا

(١) حيد : جمع حيداء ، وهي التي تحيد عن مواطن التهم ، والنواكل : جمع

ناكلة ، وهي النافرة من الفحش .

(٢) الأطلال : جمع طلل ، وهو الدار : والمراد أنهم نشأوا في مدارج النعيم ،

وفي نسخة « في أطلاله » (م) (٣) الما : واحدها مهاة ، وهي الظبية

(٤) الجنة : ما يتقى به المرء السهام (٥) محارب : اسم قبيلة (٦) رغبت

عن الشيء : زهدت فيه (٧) الغارب : الكاهل ، وذروة الشيء : أعلاه .

لا شترطنا حقَّ المسيرة ! فقال عبدُ الله : بوادرُ الخواطر ، وأغفال المسامح ؛ والله ما قلَّتها عن رَوِيَّة ، ولا عارضني فيها فكر ؛ وأنتَ أجلُّ من أقال ، وأولى من صَفَح ، قال : صدقت ؛ خذْ في غير هذا .

المنصور
وعبد الله
ابن الحسن

ولما قتل المنصورُ ابنَه محمدًا - وكان عبدُ الله في السجن - بعث برأسه إليه مع الربيع حاجبه ؛ فوضع بين يديه ، فقال : رحمك الله أبا القاسم فقد كنت من « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ! ثم تمثل :

فَتَى كَانَ يَحْمِيهِ مِنَ الذِّلِّ سَيْفُهُ وَيَكْفِيهِ سُوءَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا
ثم التفت إلى الربيع فقال له : قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ، ومن نعيمك مثلها ؛ والموعدُ الله تعالى ! قال الربيع : فما رأيت المنصور قطَّ أكثر انكساراً منه حين أبلغته الرسالة ^(١) .

أخذ العباس بن الأحنف ^(٢) هذا المعنى ، وقيل : عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير ^(٣) فقال :

فَإِنْ تَلَحَّظِي حَالِي وَحَالِكَ مَرَّةً بنظرة عين عن هوى النفس تُحْجِبُ
تَجِدِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّ مِنْ بُؤْسٍ عِشْتِي يمرَّ بيوم من نعيمك يُحْسِبُ

وبما قتل المنصورُ محمدَ بن عبد الله اعترضته امرأةٌ معها صبيان ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا امرأةُ محمد بن عبد الله ، وهذان ابناؤه ، أيتَمَّهُما سيفُك ، وأضرَعَهُمَا خوفُك ^(٤) . فناشدتُك الله يا أمير المؤمنين أن تُصَعِّرَ لهما خدَكَ ،

بين المنصور
وامرأة محمد
ابن عبد الله
ابن الحسن

(١) كانت وفاة عبد الله بن الحسن في سجن المنصور سنة ١٤٥ .

(٢) العباس بن الأحنف : شاعر غزل رفيق الإحساس ، توفي سنة ١٩٢ .

(٣) عمارة بن عقيل : شاعر فصيح ، كان النحويون في البصرة يأخذون عنه اللغة ،

توفي سنة ٢٣٩ . (٤) أضرعه : أذله

أَوْ يَدَايَ عَنْهُمَا رَفْدُكَ^(١)؛ وَلَتَعَطِفَكَ عَلَيْهِمَا شَوَايِكَ النَّسَبِ، وَأَوْاصِرُ الرَّحِمِ^(٢)
فَالْتَفَتَ إِلَى الرَّيِّعِ، فَقَالَ: ارْدُدْ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَيْبِهِمَا، ثُمَّ قَالَ: كَذَا وَاللَّهِ أَحَبُّ
أَنْ تَكُونَ نَسَاهُ بَنِي هَاشِمٍ.

بين المنصور وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور، ونصر محمد؛ -
وجعفر الصادق فلما ظهر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق، فقال له:
قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربى، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يغور
عيونهم^(٣)، ويحمر نجلهم^(٤). فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين؛ إن سليمان
أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف قدر ففقر؛ فاقتد بأيهم
شئت، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون، فقال أبو جعفر:
إن أحداً لا يعلمنا الحلم، ولا يعرفنا العلم، وإننا قلت هممت، ولم ترى فعلت؛
وإنك لتعلم أن قدرتي عليهم تمنعني من الإساءة إليهم.

وعزى جعفر بن محمد رجلاً، فقال: أعظم نعمة في مصيبة جلبت أجراً
تعزية جعفر الصادق وأفطع بمصيبة في نعمة أكسبت كُفراً
هذا كقول الطائي:

قد يُنعمُ اللهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَدْتَلِي اللهُ بِعُضِّ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ
وكان جعفر بن محمد يقول: إني لأملق أحياناً فأتاجر الله بالصدقة فيربحني.
وقال جعفر رضى الله عنه: من تخلّق بالخلق الجميل وله خلقٌ سوء أصيل
من كلام جعفر الصادق فتخلقه لا محالة زائل، وهو إلى خلقه الأول آيل، كطلى الذهب على النحاس
ينسحق وتظهر صفرته للناس.

وهذا كقول العرجى:

يأيها المتحلّى غير شيمته ومن خلائقه الإقصار والملق^(٥)

(١) الرّد: العطاء (٢) الشوايك والأواصر: هى الروابط

(٣) يغور عيونهم: يطمسها ويذهب ماءها بالعين المهملة أو بالعين المعجمة (م)،

وفى الأصل «ينور» وهو تحريف. (٤) جمر النخلة تجميراً قطع جوارها.

(٥) المراد من الإقصار القصور والضعف، والملق: إظهار الودذلة وخضوعاً.

ارجع إلى خلقك المعروف وارضَ بِهِ إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ اُتْلُقْ^(١)
 وكان يقول : ما تَوَسَّلَ إِلَى أَحَدٍ بِوَسِيلَةٍ هِيَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ يَدِي سَبَقَتْ مِنِّي
 إِلَيْهِ أَتُبْعُهَا أَخْتَهَا لِتَحْسَنَ رَبِّهَا وَحِفْظُهَا^(٢) ؛ لِأَنَّ مَنَعَ الْأَوَّارِ يَقْطَعُ لِسَانَ الْأَوَائِلِ .
 وقيل لجعفر رحمه الله : إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ لَا يَلْبَسُ مَذْصَارَتَ إِلَيْهِ
 الْخِلَافَةُ إِلَّا الْخَشَنَ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا الْجُشِبَ^(٣) . فقال : يَا وَيْحَهُ ! مَعَ مَا مُكِّنَ
 لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَجُبِّي إِلَيْهِ مِنَ الْخُرَاجِ ! قَالُوا : إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ بُخْلًا وَجَمْعًا لِلْمَالِ .
 فقال : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَرَّمَ مِنْ دُنْيَاهُ مَا تَرَكَ لَهُ مِنْ دِينِهِ . انتهى .

قال : ومن دعاء جعفر رضي الله عنه : اللهم إنيك بما أنت أهلٌ له من العفو
 أولى بما أنا أهلٌ له من العقوبة .

وكان عبدُ الله [بن معاوية بن عبد الله] بن جعفر عالمًا ، ناسبًا ، وكان من عبد الله
 ابن معاوية
 ابن عبد الله
 ابن جعفر إلى
 بعض إخوانه
 أما بعدُ ، فقد عاقبني الشكُّ في أمرِك عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك أنك
 ابتدأتني بلطفٍ عن غير خبيرة ؛ ثم أعقبته جفاءً عن غير جريرة ؛ فأطمعني أولئك
 في إخائك ، وأياسني آخرُك عن وفائك ؛ فلا أنا في غير الرجاء مجتمعٌ لك
 أطراحًا ، ولا أنا في غَدٍ وانتظاره منك على ثقة ؛ فسبحان من لو شاء كشف
 بإيضاح الشكِّ في أمرِك عن عزيمة الرأي فيك ؛ فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا
 على اختلاف ، والسلام .

وهو القائل :

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَعًا فَكَشَفَهُ التَّمْحِصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا^(٤)

(١) التخلق : تكلف المرء ما ليس فيه من حسن الخلق . (٢) رب الشيء : أصله

(٣) الجشب : هو الطعام القفار الذي لا إدام فيه (٤) ملفع : مغطى ، وتقول :

نفع للشجر بالخضمة — ولعل الأصل « ملففا » بقاء بن (م) .

فأنت أخی ما لم تكن لی حاجةً فإن عرّضت أیقنتُ أن لا أخالیا
كلانا غنی عن أخیه حیاته ونحن إذا مُتْنَا أشدُّ تغانیاً
فلا زاد ما بینی و بینک بعد ما بلوتک فی الحاجاتِ إلّا تمّ ادیا
فعین الرضا عن کل عیبٍ کلیلۃً كما أن عین السخط تُبدی المساویا
والقائل أيضاً :

لسنا وإن أحسبنا کرُمت يوماً على الأحسابِ نتَّکلُ
نبنی كما كانتْ أوائلنا تنبني ونفعلُ مثلَ ما فَعَلُوا

وهذا كقول عامر بن الطفيل ، قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش :
أشدني محمد الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل (١) :

لعامر
ابن الطفيل

تقول ابنة العمري : مالک بعد ما أراك صحیحاً کالسليم المعذب (٢)
فقلت لها : همی الذی تعرفینه من الثأر فی حی زبید وأرحب
إن أغز زبیداً أغز قوماً أعزّة مرگبهم فی الحی خیر مرکب
وإن أغز حی خنعم فدمائهم شفاء وخیر الثأر للتأوب (٣)
فما أدرك الأوتارَ مثلُ محمّقٍ بأجرَدَ طاوٍ کالعسیب المُشدّب (٤)

(١) عامر بن الطفيل: أحذفتك العرب وشعرائهم في الجاهلية ، ولد ونشأ بنجد وكان يامر منادياً ينادى في عكاظ : هل من راجل فنحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه ؟ أدرك الإسلام وهو شيخ ، فوفد على الرسول وهو في المدينة بعد فتح مكة يريد القدر به ، ولكنه لم يجرؤ عليه ، ودعاه الرسول إلى الإسلام ، فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة ، وأن يجعله ولي الأمر من بعده ، فردّه النبي ، فرجع مغیظاً محقّقاً ، وسمعه أحدهم يقول : لأملأنها خيلاً جرداً ، ورجالاً مرداً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ! فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه سنة ١١ (٢) السليم : اللدوغ .

(٣) أصل التأوب : الذي يطرق ليلاً ، وأراد الثأر (م)

(٤) الطاووى : الضامر ، والأجرد : الحصان سقط شعره من الضمور ، والعسیب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط حوصها ، والمشدّب : المقلع .

وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ وَزَغَفٍ دِلَاصٍ كَالْغَدِيرِ الْمُتَوَّبِ^(١)
وإني وإن كنت ابن سيدٍ عامرٍ وفي السرِّ منها والصَّريحِ المَهْدَبِ
فما به - وودتني عامر عن ورائةٍ أبى الله أن أسمو بأُمٍّ ولا أب
ولكنني أحمى حمها، وأتقى أذاها، وأرمى مَنْ رماها بمنكب

وقال أيضاً يهني بعض الهاشميين بإملاك^(٢) : زاد الله في نعمته ، وبارك
في قَوَائِلِهِ ، وجعل نوافِلِهِ ؛ ونسألُ الله - الذي قسم لكم ماتجِبُونَ من السرور -
أن يَجْنِبَكُمْ ما تَكْرَهُون من المحذور ، ويجعل ما أحدثه لكم زينا ، ومتاعاً حسناً ،
ورشداً ثابتاً ، ويجعل سبيلَ ما أصبحت عليه ، تماماً لصالِح ما سَمَوْتُ إليه ؛ من
اجتماع السَّمَل ، وحُسْنِ موافقةِ الأهلِ ؛ أَلَفَ اللهُ ذلك بالصلاح ، وتممه بالنجاح ،
ومَدَّ لك في ثروة العدد ، وطيب الولد ، مع الزيادة في المال ، وحُسْنِ السلامة في
الحال ، وقُرَّةِ العين ، وصلاح ذات البين .

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلمي المدني الحسن بن زيد بن الحسين^(٣) بن علي
ابن أبي طالب رحمة الله عليه ، فقال :

ابن أبي عاصم
الألمي الشاعر
والحسن بن زيد

له حقٌّ وليس عليه حقٌّ ومهما قال فالحسن الجميلُ
وقد كان الرسولُ يَرَى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسولُ

فلما ولي الحسن المدينة أتاها متكرراً في زى الأعراب ، فقال :

ستأتي مدحتي الحسن بن زيدٍ وتشهد لي بصِفَيْنِ القبورِ^(٤)
قبورٌ لم تزل مُدَّةً غاب عنها أبو حَسَنٍ تُعَادِيهَا الدهور
قبور لو بأحمد أو عليٍّ يلوذُ مُجْبِرُهَا حُمَيَّ المَجِيرِ
ها أبواك مَنْ وَضَعَا فَضَعَهُ وأنت برفع مَنْ رَفَعَا جَدِيرُ

(١) الأسمر الخطي : هو الرمح ، والأبيض الباتر : السيف القاطع ، والزغف ،
الدروع ، والدلاص : اللينة اللساء ، والغدير للشوب : النهر الممتلئ (٢) الإملاك : الزواج
(٣) في نسخة «الحسن بن زيد بن الحسن» والذي تولى المدينة هو الحسن بن زيد
ابن علي بن أبي طالب ؛ فكلمة «بن الحسن» زائدة (م) (٤) ضفين : موضع واقعة مشهورة

فقال : من أنت ؟ قال : أنا الأسلى . قال : اذنُ حيَّكَ الله ! وبسط له رداءه ، وأجلسه عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

بين الحسن ابن زيد وداود ابن سلم التيمي وكان الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بني تميم أن يصله ، فلما مدح داودُ جعفر بن سليمان بن علي - وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ - أغضبه ذلك ^(١) ، وقدم الحسن من حجٍّ أو عمرة ، فدخل عليه داود بن سلم مهتئاً ، فقال : أنت القائل في جعفر بن سليمان بن علي :

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفرٍ وكان المني في جعفر أن يؤمراً ^(٢)
حوى المنبرين الطاهرين كليهما إذا ما خطا عن منبر أم منبرا ^(٣)
كأن بني حوَّاء صفواً أمامه فخيراً في أنسابهم فتخييراً

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداك ، فكنتم خيرة اختياره ! وأنا القائل :
لعمري لئن عاقبت أوجدت منعماً بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعذراً ^(٤)
لأنّت بما قدّمت أولى بمدحةٍ وأكرم فخراً إن فخرت وعُصراً
هو القرة الزهراء من فرع هاشم ويدعو علياً ذا المعالي وجعفر ^(٥)
وزيد الندى والسبط سبط محمدٍ وعمك بالطّف الزكي المطهر
وما نال منها جعفر غير مجلس إذا ما نفاه العزل عنه تأخراً ^(٦)
بحقكم نالوا ذراها وأصبحوا يرون به عزراً عليكم ومظهراً
فعادله الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ، ولم يزل يصله ويحسنُ إليه إلى أن مات .

(١) في الأصل «غصه ذلك» وهي عبارة جيدة (٢) يؤمر : يولى الإمارة

(٣) أم : قصد (٤) المعذر : ذوالعذر (٥) القرة : في الجين ، ولها جمال خاص

(٦) العزل : الضعف - وما أراه أراد غير العزل عن الولاية (م)

وقوله : « وإن كان مُعْذِرًا » ، لأن جعفرًا أعطاه على أياته الثلاثة ألفَ دينار .
ولما ولي الحسن بن زيد المدينة دخل عليه إبراهيمُ بن علي بن هَرْمَةَ ، فقال
له الحسن : يا إبراهيم ؛ لستُ كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ،
فقد رزقني الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم المادح ، وجَنَّبني القايح ،
وإنَّ من حقه عليَّ ألا أُغْضَى على تقصير في حقِّ وجب ؛ وأنا أقسمُ لئن أتيتُ
بك سكرانَ لأضربنك حدًّا للخمر ، وحدًّا للسكر ؛ ولأزيدنَّ لموضع حُرمتك
بي ، فليكن تركك لها لله عز وجل تُعَنُّ عليه ، ولا تدعها للناس فوكل إليهم .
فنهض ابن هرمة ، وهو يقول :

نهاني ابنُ الرسولِ عن المُدام وأدبني بآداب الكرام
وقال لي أَصْطبر عنها ودعها لخوفِ الله لاخوفِ الأنام
وكيف تصبّري عنها وجبي لها حُبٌّ تمكّن في عظامي
أرى طيفَ الخيالِ علىَّ حُبْنًا وطيب العيش في خبث الحرام
وكان إبراهيم منهومًا في الخمر ، وجلده خَنِيمٌ بن عِرَاك^(١) صاحبُ شُرطة
المدينة لرباح بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس .

ولما وفد على أبي جعفر المنصور ومدحه استحسن شعره ووصله ، وقال له :
سَلْ حاجتك ، قال : تكتب لي إلى عامل المدينة ألاَّ يحدّني إذا أتني بي سكران
فقال أبو جعفر : هذا حدٌّ من حدود الله تعالى لا يجوز أن أعطله ، قال : فاحتل
لي يا أمير المؤمنين ! فكتب إلى عامل المدينة : « مَنْ أَتَكَ بَابَ هَرْمَةَ سكران
فاجلده مائة ، واجلد ابن هرمة ثمانين » .

فكان الشُّرَطُ يَمُرُّون به مطروحًا في سِكَكِ المدينة ، فيقولون : مَنْ يَشْتري
مائة بُنَّانين ؟!

وقال موسى بن عبد الله^(٢) بن علي بن أبي طالب :

(١) في نسخة « عثيم بن عراق » (م)

(٢) في نسخة « بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي » (م)

من شعر موسى
ابن عبد الله
الطالبي

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلَّ ما
إلى الله كلُّ الأمر في الخلق كلهم
تعوذتُ مسَّ الضر حتى ألفتُهُ
ووسَّع صدرى للأذى الأنسُ بالأذى
وصيَّرتني يأسى من الناس راجياً
وموسى بن عبد الله هو القائل :

تولَّت بهجة الدنيا فكلَّ جديدها خَلَقُ^(١)
وخان الناسُ كلُّهمُ فما أدري بمن أُنقُ
رأيتُ معالمَ الخيرِ ثِ سُدَّتْ دونها الطُرُقُ
فلا حَسَبٌ ولا نَسَبٌ ولا دينٌ ولا خُلُقُ
فلست مُصَدِّقَ الأقوا م في شيء وإن صدقوا

وكان المنصورُ حبسهُ لخروجه عليه مع أخويه ، ثم ضربه أَلْفَ سَوْطٍ ، فما
نطقَ بِحَرْفٍ واحدٍ ؛ فقال الربيع : عَذَرْتُ هؤلاء الفساقَ في صَبْرِهِمْ ؛ فما بَالُ
هذا الفتى الذى نشأ فى النعمة والدَّعة ؟ فقال :

بعض أخبار
موسى

إِنِّى مِنَ القَوْمِ الذين يَزِيدُهُمْ جَلْدًا وصَبْرًا قسوةُ السلطانِ
وولدت هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمعة موسى ، ولها ستون سنة ،
ولا يعلم امرأةٌ ولدت بنت ستين سنة إلا قرشيَّة .

اجتاز على بن محمد العلوى بالجسرِ بِحَدَثَانِ^(٢) قَتَلَ عمر بن يحيى بن عبد الله
ابن الحسين ، وقاتله الحسينُ بن إسماعيل هناك قد جرَّد رجالاً للقتل ، فلما رأت
أُمُّ الرجل عليها سألته أن يشفع فيه ، فقال علىٌ إلى الحسين فأنشده :

بين على بن
محمد العلوى
والحسين بن
إسماعيل

(١) الخلق - بفتحين - البالى .

(٢) حدثنان الأمر : أوله ، وهو بكسر الحاء وسكون الدال - والباء بمعنى فى (م)

قَتَلَ أَبْرَءَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَجِئْتُكَ أَسْتَلِيْنُكَ بِالْكَلَامِ
وَعَزَّ عَلَى أَنْ أَلْقَاكَ إِلَّا وَفِيَا بَيْنَنَا حَدُّ الْحَسَامِ
وَلَكِنْ الْجَنَاحَ إِذَا أُصِيبَتْ قَوَادِمُهُ يَرْفُ عَلَى الْإِكَامِ^(١)
فَقَالَ لَهُ : وَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : الْعَفْوُ عَنْ ابْنِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ! فَتَرَكَهُ .

العباس بن الحسين الهاشمي
وسئِلَ العباسُ بنَ الحسينِ عن رجلٍ ، فقال لجليسه : أطرب من الإبل على الخدَّاء ، ومن الثمل على الغنَّاء .

وذكر العباس رجلاً فقال : ما الحِمام على الأخرار ، وطول السَّقم في الأسفَّار ، وعِظَمَ الدَّيْنِ على الإقتار ، بأشدَّ من لقائه .

وقال العباسُ بنَ الحسينِ للمأمون : يا أمير المؤمنين ؛ إن لسانِي يَنْطَلِقُ بِمَدْحِكَ غَائِبًا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ يَتَزَيَّدَ عِنْدَكَ حَاضِرًا ، أَفْتَأْذَنُ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ ؟ فَقَالَ لَهُ : قُلْ ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَقُولُ فَتُحْسِنُ ، وَتَحْضُرُ فَتَزَيِّنُ ، وَتَغِيبُ فَتَوَقِّمَنَّ ، فَقَالَ : مَا بَعْدَ هَذَا كَلَامٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَفْتَأْذَنُ بِالسَّكُوتِ ؟ قَالَ : إِذَا شِئْتُ .

وذكر رجلاً بليغاً فقال : مَا شَبَّهْتُ كَلَامَهُ إِلَّا شُعْبَانَ يَنْهَالُ بَيْنَ رِمَالٍ ، وَمَاءٍ يَتَغَلَّغِلُ بَيْنَ جِبَالٍ .

وسَمِعَ الْمُتَجَمِّعَ بْنَ نَهَانَ كَلَامَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ يَدُلُّ سَائِرَهُ عَلَى غَايِرِهِ^(٢) وَأَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ .

وسأل المأمونُ العباسَ بنَ الحسينِ عن رجلٍ ؟ فقال : رَأَيْتُ لَهُ حِلْمًا وَأَنَاةً ، وَلَمْ أَسْمَعْ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةً^(٣) ؛ يَحْدِثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَطَاوِيهِ^(٤) ، وَيُنْشِدُكَ الشَّعْرَ عَلَى مَدَارِجِهِ .

(١) القوادم: مقدم الریش ، ولا كذلك الخوافی ، والإكام : جمع أكمة .

(٢) سائرهُ : باقيه ، وغايرهُ : ماضيه (٣) الإحالة: التكلّم بالمحال

(٤) على مطاويه: على خفایاه

وكان المأمون يقول : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ لَهُوَ بِلا حَرَجٍ فليسمعَ كَلَامَ العباسِ
والعباسُ بنُ الحسينِ من أشعَرِ الهاشميين ؛ وهو يُعَدُّ في طبقة إبراهيم
ابن المهدي ، وهو القائل :

أَتَاكَ لَكَ الْهَوَى بِيضٌ حِثَّانٌ سَيِّئَكَ بِالْعِيُونِ وَبِالشُّعُورِ ^(١)
نَظَرْتُ إِلَى النُّحُورِ فَكَدْتُ تَقْضِي وَأَوَّلَى لَوْ نَظَرْتُ إِلَى الْخُصُورِ ^(٢)
وهو القائل أيضاً :

صَادَتْكَ مِنْ بَعْضِ الْقُصُورِ بِيضٌ نَوَاعِمُ فِي الْخُدُورِ
حُورٌ تَحُورُ إِلَى صَبَا كَ بَاعَيْنِ مِنْهُنَّ حُورِ ^(٣)
وَكَاثِمًا بَغْـوَرَهِنَّ جَنَى الرُّضَابِ مِنَ الْخُحُورِ ^(٤)
يَصْغُبُنَّ تَفَاحَ الْخُدُودِ بِمَاءِ رُمَانَ الصُّدُورِ
وهو : العباسُ بنُ الحسينِ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ العباسِ بنِ علي بنِ أبي طالب
رضي اللهُ عنه ، وأم عبيدِ اللهِ جدَّةُ بنتِ عبيدِ اللهِ بنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ عمِ
محمد بنِ علي أبي الخلفاء .

وكان الرشيدُ والمأمونُ يقرَّبَانِ العباسَ غايةَ التقريبِ ؛ لِنَسَبِهِ وَأَدَبِهِ ؛
قال أبو دلف : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ فِي طَارِمَةِ عَلَى طَنْفَسَةَ ^(٥) وَمَعَهُ عَلَيْهَا شَيْخٌ
جَمِيلُ الْمَنْظَرِ ؛ فَقَالَ لِي الرَّشِيدُ : يَا قَاسِمُ ؛ مَا خَبَرُ أَرْضِكَ ؟ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
خَرَابٌ يَبَابُ ، أَخْرَبَهَا الْأَكْرَادُ وَالْأَعْرَابُ . فَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا آفَةُ الْجَبَلِ ،
وَهُوَ أَفْسَدُهُ ، فَقُلْتُ : أَنَا أَصْلَحُهُ ، قَالَ الرَّشِيدُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : أَفْسَدَتْهُ
وَأَنْتَ عَلَى وَأَصْلَحْهُ وَأَنْتَ مَعِيَ ! قَالَ الشَّيْخُ : إِنْ هَمَّتْ لَتَرِمِي بِهِ مِنْ وَرَاءِ سَنَةٍ

(١) أتاح : هيا ، وسينك : أسرنك (م) (٢) تقضى : تهلك .

(٣) تحور : تميل (٤) الرضاب : الريق

(٥) الطارمة : بيت من خشب كالقبة

مَرَمَى بَعِيداً ؛ فَسَأَلَتْ عَنْ الشَّيْخِ فَقِيلَ : الْعَبَّاسُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَكَانَ أَبُو دُلْفٍ ذَلِكَ الْوَقْتُ صَغِيرَ السِّنِّ .

وَلَقِيَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّشِيدِ الْأَمِينِ بِالْمَدِينَةِ وَمُوسَى عَلَى بَغْلَةَ ، فَقَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ : عَاتِبْ هَذَا ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : كَيْفَ لَقِيتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى هَذِهِ الدَّابَّةِ الَّتِي إِنْ طَلَبْتَ عَلَيْهَا لَمْ تَسْبِقْ ، وَإِنْ طَلَبْتَ عَلَيْهَا تَلْحَقْ ، فَقَالَ : لَسْتُ أَحْتَاجُ أَنْ أُطَلَّبَ ، وَلَا إِلَى أَنْ أُطْلَبَ ؛ وَلَكِنَّهَا دَابَّةٌ تَنْحَطُّ عَنْ خَيْلَاءِ الْخَلِيلِ ، وَتَرْتَفِعُ عَنْ ذِلَّةِ الْعَيْرِ^(٢) ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .

أَصِيبَ عَلَى بْنِ مُوسَى بِمَصِيبَةٍ ، فَصَارَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ ، فَقَالَ : إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ مُعَزِّينَ ؛ بَلْ جِئْنَاكَ مُقْتَدِينَ ؛ فَالْجَدُّ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ حَيَاتَكُمْ لِلنَّاسِ رَحْمَةً ، وَمَصَائِبَكُمْ لَهُمْ قَدَوَةً .

وَكَانَ عَلَى بْنُ مُوسَى الرِّضَا رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ وَلَّاهُ الْمَأْمُونُ عَهْدَهُ ، وَعَقَدَ لَهُ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ ، وَنَزَعَ السَّوَادَ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَأَمَرَهُمْ بِلِبَاسِ الْخُضْرَةِ^(٣) ، وَمَاتَ عَلَى بْنُ مُوسَى فِي حَيَاةِ الْمَأْمُونِ بِطُوسَ ، فَشَقَّ [الْمَأْمُونُ] قَبْرَ الرَّشِيدِ وَدُفِنَ فِيهِ تَبَرَّكَ بِهِ ، وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدْ مَاتَ بِطُوسَ فَدُفِنَ هُنَاكَ^(٤) ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ : ازْبَعْ بِطُوسَ عَلَى قَبْرِ الزَّكِيِّ بِهَا إِنْ كُنْتَ تَرِيعُ مِنْ دِينِ عَلِيٍّ وَطَرٍ^(٥) مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ ، وَلَا عَلَى الزَّكِيِّ بِقُرْبِ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرٍ هِيَّاهُ كُلِّ امْرَأَةٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبَتْ لَهُ يَدَاهُ فَخُذْ مِنْ ذَلِكَ أَوْ فَذَرِ

(١) كَانَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي هَاشِمٍ ، وَإِمَامًا مُقَدِّمًا فِي الْعِلْمِ وَالْدِينِ وَلَدَ فِي الْأَبْوَاءِ - قُرْبَ الْمَدِينَةِ - سَنَةَ ١٢٨ وَتَوَفَّى فِي بَغْدَادَ سَنَةَ ١٨٣ (٨) الْعِيرَ : الْحِمَارَ (٣) وَكَانَ لِبَاسُ الْخُضْرَةِ شَعَارَ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَكَانَ مِنْ أَثَرِ نَزْعِ السَّوَادِ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَنْ اضْطُرَّ الْعِرَاقُ ، وَثَارَ أَهْلُ بَغْدَادَ ، فَخَلَعُوا الْمَأْمُونُ وَهُوَ بِطُوسَ وَبَايَعُوا عَمَّهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمَهْدِيِّ ، فَقَصَدَهُمُ الْمَأْمُونُ بِحَيْشِهِ ، فَاخْتَبَأَ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ اسْتَسْلَمَ وَعَفَا عَنْهُ الْمَأْمُونُ . (٤) كَانَتْ وَفَاةُ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى سَنَةَ ٢٠٣ (٥) رُبْعٌ : أَقَامَ ، وَالْوَطَرُ : الْحَاجَةُ

قبران في طوس: خَيْرُ الناس كلهم وقبر شرهم، هذا من العبر
وكان دعبل مداحاً لأهل البيت، كثير التعصب لهم، والغلو فيهم. وله

المرثية المشهورة، وهي من جيد شعره، وأولها:

مَدَارِسُ آيَاتٍ عَفَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفَرُ الْعَرَاصَاتِ^(١)
لَأَلِّ رَسُولُ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِيَّ وَبِالْبَيْتِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجُمَرَاتِ
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحِمَاةِ وَالسَّجَادِ ذِي الثَّنَائَاتِ
قِفَا نَسْأَلِ الدَّارَ الَّتِي خَفَتْ أَهْلَهَا مَتَى عَهْدُهَا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَوَاتِ
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى أَفَانِينَ فِي الْآفَاقِ مُفْتَرَقَاتِ^(٢)
أَحِبُّ قَصِي الدَّارِ مِنْ أَجْلِ حُبِّهِمْ وَأَهْجُرُ فِيهِمْ أُسْرَتِي وَنِقَاتِي
وهي طويلة.

رثاء دعبل
لآل البيت

ولما دخل المأمون بغداد أخضر دعبلا بعد أن أعطاه الأمان، وكان قد
هجاه وهجاً أباه، فقال: يادعبل، من الحضيض الأوهدي! فقال: يا أمير المؤمنين،
قد عفوت عن هو أشدُّ جرماً مني! أراد المأمون قول دعبل يهجو:

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُفْهِمُ قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَفْتُكَ بِمَقْعَدِ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ خُمُولِهِ . وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
يَفْتَخِرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُصْعَبِ ذِي الْيَمِينِ أَخَاهُ مُحَمَّدًا،
وَطَاهِرِ مَوْلَى لُحْزَاعَةَ، فَاسْتَنْشَدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ الثَّانِيَةَ^(٣)، فَاسْتَعْفَاهُ، فَقَالَ: لَا بُدَّ
عَلَيْكَ، وَقَدْ رَوَيْتَهَا، وَإِنَّمَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ، فَأَنْشَدَهَا دَعْبِلُ؛ فَلَمَّا
انتهى إلى قوله:

أَلَمْ تَرَأْنِي مَذْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أَرْوَحُ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ

(١) العرصات: الساحات (٢) غربة النوى: بعده

(٣) في المطبوعات كلها « الثانية » وهو تحريف ما أثبتناه (م).

أرى فيهم في غيرهم مُتَّسِمًا وأيديهم من فيهم صِفَاتٍ^(١)
 إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم أكفأ عن الأوتار مُنْقَبِضَاتٍ
 وآل رسول الله نُحِفُ جِسْمَهُمْ وآل زياد غُلْظُ الْقَصَرَاتِ^(٢)
 بناتُ زيادٍ في القصورِ مَصُونَةٌ وبنات رسول الله في القلواتِ
 بكى المأمون ، وجدد له الأمان ، وأحسن له الصَّلَة .

والشيء يستدعى ما قرع بابه ، وجذب أهدابه^(٣) ، قال سليمان بن قتيبة :
 لسلیمان بن قتيبة برئى آل البيت
 مررت على أبيات آل محمد فلم أر ما عهدى بها يوم حُلَّتْ^(٤)
 فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت من أهلها قد تَخَلَّتْ^(٥)
 وكانوا رجاء ثم عادوا رزيةً ألا عظمَت تلك الرزايا وجلَّتْ^(٦)
 وإن قتيل الطف من آل هاشم أذلَّ رقاب المسلمين فذَلَّتْ^(٧)
 ويشبه قوله : « وكانوا رجاء ثم عادوا رزية » قول امرأة من العرب مرّت
 بالجسر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي مَضْلُوباً^(٨) ؛ فقالت : لئن أصبحت نهاية في
 البلاء ، لقد كنت غاية في الرجاء .

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف الأشراف

لها في هذا الموضع مَوْقِع

فلان من شرفِ العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم . أصلُ راسخ ،

(١) صفراء : خاليات (٢) القصرات : أصول العنق ، جمع قصرة بفتحتين
 (٣) هكذا وقع هذا الكلام في النسخ التي بأيدينا والظاهر أنه سقطت بعض عبارات
 يراد بها التمهيد للنص في ذكر بعض الشواهد التي تتحدث عن بكاء أهل البيت .
 (٤) رواية الحماسة « فلم أرها أمثالها » (٥) رواية الحماسة « وإن أصبحت منهم برغمي
 تَخَلَّتْ » (٦) رواية الحماسة « وكانو غيائنا » (٧) الطف : موضع قرب الكوفة ، ورواية
 الحماسة : « ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلَّت » (٨) جعفر بن يحيى : كان وزير
 الرشيد ، يرمو وينقض في الدولة ماضاء ، إلى أن ثار الرشيد بالرامكة فقتله فيمن قتل منهم ،
 وكان جعفر فصيح النطق بليغ القول ، ولد في بغداد سنة ١٥٠ ، وتوفي سنة ١٨٧

وفرع شامخ ، وَجَدُّ بَاذِخ^(١) ، وَحَسَبُ شَادِخ .

فلان كريمُ الطرفين ، شريفُ الجانِبين ، قد رَكَّبَ اللهُ دَوْحَتَهُ في قرارةِ المَجْدِ ، وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ في محلِّ الفضل . أصلُ شريف ، وعِرْقُ كريم ، وَمَغْرَسٌ عظيم ، وَمَغْرَزٌ صميم . المجد لسانُ أوصافه ، والشرفُ نَسَبُ أسلافه . نسبُ فَخْم ، وشرفُ ضَخَم . يستوفى شرفَ الأرومة^(٢) بكرم الأبوَّة والأُمومة ، وشرف الخوِّلة والعمومة . ما أَتَتْهُ المحاسِنُ عن كَلَالَةٍ^(٣) ، ولا ظَفِرٍ بالهدى عن ضلالة ، بل تناول المجدَ كابرًا عن كابر ، وأخذ الفخرَ عن أسيرةٍ ومنابر :

شرفٌ تَنَقَّلَ كابرًا عن كابر كالرمح أنبوا على أنوب^(٤)

استقى عِرْقَهُ من منبعِ النبوة ، ورضعت شَجَرَتَهُ من ثَدْيِ الرسالة ، وتهدلت أغصانه عن نَبْعَةِ الإمامة ، وتبحَّجت أطرافُهُ في عَرَصَةِ الشرفِ والسيادة^(٥) ، وَتَفَقَّأت بيضته عن سُلالةِ الطَّهارة^(٦) ، قد جذبَ القرآنُ بَضِيعَهُ^(٧) وشقَّ الوَحْيُ عن بصره وَسَمِعَهُ ، مختار من أكرمِ المناسب ، منتخَب من أشرفِ العناصر ، مُرْتَضًى من أعلى المحاتد^(٨) ، مُؤَثَّر من أعظمِ العشائر ، قد وَرِثَ الشرفَ جامعًا عن جامعٍ ، وشهد له نداء الصوامع ، هو من مُضَرٍّ في سُويْداءِ قَلْبِهَا ، ومن هاشمٍ في سَوَادِ طَرَفِهَا ، ومن الرسالة في مَهْبِطِ وَحْيِهَا ، ومن الإمامة في موقف عَزِّهَا ، ينزع إلى الحميدِ بنفس وعِرْق ، وينحِنُ إلى المكارمِ بوراثته وخلق ؛ يتناسب أصلُهُ وفِرْعُهُ ، ويتناصف نَجْوُهُ وطَبْعُهُ ، وهو الطَّيِّبُ أصلُهُ وفِرْعُهُ ، الزَّاكِي بذره وزرْعُهُ ، يجمع

(١) شامخ وباذخ وشاذخ : مترادفات بمعنى عال (٢) الأرومة : الأصل .

(٣) الكلاله : ماعدا الولد والوالد من الأقرباء (٤) الأنبوب : القصبة

(٥) تبججت : تمكنت ، والعريضة : الساحة (٦) تفقأت : تفتحت

(٧) جذب بضيعه : نوه به

(٨) المناسب : جمع منسب ، والعناصر : جمع عنصر ، والمحاتد : جمع محتد ،

وكلها بمعنى الأصل (م)

إلى عزِّ النَّصاب، مَزِيَّةَ الآداب، لا غَرْوَ أن يجرى الجوادُ على عِرْقِهِ، وتلوح مخايلُ
 الليثِ في شِبْلِهِ، ويكون النجيبُ فَرْعاً مشيداً لأصله. له مع نباهة شرفِهِ، نزاهة
 سَلَفِهِ، ومع كرم أرومته وحَزْمِهِ، مزيةُ أدبه وعلمه، لن تخلف ثمرة غَرْسِ اِرْتِدَادِ
 لها من المنابت أَرْكَانَها، ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأنماها؛ قد جمع شرفَ
 الأخلاق، إلى [شرفِ الأعراق، وكرمِ الآداب، إلى] كرمِ الأنساب؛ له في المجد
 أولٌ وآخر، وفي الكرم تليدٌ وطَّارِفٌ، وفي الفضل حديثٌ وقديمٌ؛ لا غَرْوَ أن
 يغمر فضله، وهو نَجْلُ الصَّيْدِ الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيضُ البحور الخضارم^(١)
 دَوْحَةٌ رَسبَ عِرْقُهَا، وَسَمَقَ فَرْعُهَا^(٢)، وطاب عُودُهَا، واعتدل عُمُودُهَا،
 وتَفَيَّأتْ ظِلَالُهَا، وتهدَّأتْ ثَمَارُهَا، وتفرَّعتْ أغصانُهَا، وبرد مَقِيلُهَا. مَجْدٌ
 يلحظ الجوزاء من عال، ويطولُ النجمُ كلَّ مَطَالٍ. شَرَفٌ تَضَعُ له الأفلاكُ
 خدودَهَا وجِبَاهَهَا، وتَلْتَمِسُ النجومُ أرضَهُ بِأَفْوَاهِهَا وشِفَاهِهَا. نسبُ المجدِ به
 عَرِيقٌ، وَرَوْضُ الشرفِ به أنيقٌ. ولسانُ الثناء بفضله نَطُوقٌ. فَلَكُ المجدِ عليه
 يَدُورُ، ويدُ العَلاَإِليه تُشِيرُ. محلّه شَاهِقٌ، وَمَجْدُهُ بَاسِقٌ.

(١) الخضارم: جمع خضرم بكسر الخاء والراء، وهو الواسع (٢) سَمَقَ: ارتفع

بدء الكتاب

الكلام في
حمد الله

قد تمَّ ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به ،
وانضافَ إليه ، والنَّفَّ به ، وانعطفَ عليه ، ورأيتُ أن أبتدىءَ مقدّمات
البلاغات بغيرُ التحاميد وأوصافها^(١) ، وما يتعلقُ بأثنائها وأطرافها .

وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله : يجب على كلِّ مبتدئٍ
مقالةً أن يبتدئَ بحمدِ الله قبل استفتاحها ، كما بُدئَ بالنعمة قبل استحقاقها .
ولأهل العصر : أولى ما ففر به الناطقُ منه^(٢) وافتتح به كليمه ، حمدُ الله
جلَّ ثناؤه ، وتقدّست أسماؤه . حمدُ الله خيرُ ما ابتدئَ به القول وختم ،
وافتحَّ به الخطابُ ونمَّ .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله : إنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يُمثَّلُ بنظير ،
ولا يُغلبُ بظهير^(٣) ، جلَّ عن موقع تحصيل أدوات البشر ، ولطُفَ عن الحَاظِ
خطرات الفكر ، لا يُحمدُ إلا بتوفيقٍ منه يَقْتَضِي حمداً ، فمَن تَخْصِي نِعمائِهِ ،
وَتُكافَأُ آلاؤُهُ ؟ عَجَزَ أَقْصَى الشُّكْرِ عن أداءِ نعمته ، وتضاءل ما خلق في
سَعَةِ قُدْرَتِهِ ؛ قَدَّرَ قَدَّرَ ، وحكَمَ فأحكم ؛ وجعل الدِّينَ جامعاً لشمْلِ
عباده ، والشرائع مَناراً على سبيل طاعته ؛ يَنْبَغِي أهل اليقين به ، ويَحِيدُ
عنها أهلُ الشُّكِّ فيه .

أخذ أبو العباس قوله : « ولا يُحمدُ إلا بتوفيقٍ منه يَقْتَضِي حمداً » من قول
محمود بن الحسن الوراق :

إذا كان شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً علىَّ له في مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وإن طالت الأيام واتَّصَلَ العَمْرُ

(١) كذا في المطبوعات كلها ، ولو كان « وأوضحها » لكان أطرف ، وإن لم
يتم به التسجيع على الشائع من طريقة المؤلف (م) (٢) ففر : فتح (٣) الظهير : المعين

إذا عمَّ بالسَّراء عمَّ سرورها وإن مَسَّ بالضراء أعقبها الأجرُ
فما منها إلا له فيه نعمةٌ تَضيقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبَحْرُ
وإنما أخذه محمود من قول أبي العتاهية :

أحمد الله فهو ألهمنى الحمدَ على الحمد والمزيدُ لديه
كم زمانٍ بكيتُ فيه فلماً صرْتُ في غيره بكيتُ عليه
وقد اضطربت الروايةُ في هذين البيتين وقائلهما، وهذا البيت الثاني كثير^(١)،
قال إبراهيم بن العباس :

كذلك أيا ما لاشكَّ نندُبها إذا تَقَضَّتْ ونحنُ اليومَ نَشْكُوها
آخر :

وما مرَّ يومٌ أرتجى فيه راحةً فأفقدُهُ إلا بكيتُ على أمسٍ
ومحمود هو القائل أيضاً :

من شعر
محمود الوراق

تغصى الإلهَ وأنتَ تُظهرُ جَبَّهُ هَذَا محالٌ في القياسِ بديعُ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطقتُهُ إنَّ الحبَّ لمن أحبَّ مُطِيعُ
وكان كثيراً ما ينقلُ أخبارَ الماضينَ ، وحِكَمُ المتقدمينَ ، فيحلى بها
نظامه ، ويُرَيَّنُ بها كلامه ، وهو القائل :

إني وهبتُ لظالمى ظلمي وشكرتُ ذاكَ له على علمي
ورأيتُهُ أسدَى إلىَّ يداً لَمَّا أبانَ بجهلهِ حلمي
رَجَعْتُ إِسَاءَتُهُ عليه ، وَلِي فَضْلٌ فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ
فكانما الإختتانُ كانَ لَهُ وأنا المسىءُ إليه في الزَّعمِ
ما زال يَظْلِمُنِي وأرحمُهُ حتى رَثَيْتُ لَهُ من الظالمِ

(١) يريد أن الشعراء ردّدوا هذا المعنى كثيراً . ومن جيد ما صور به هذا المعنى
قول سعيد بن حميد :

لم أبك من زمن ذمت صروفه إلا بكيت عليه حين يزول

وهو القائل :

أراني إذا ما ازددتُ مالاً وثرَوةً وخيراً إلى خَيْرٍ تَزِيدْتُ في الشرِّ
فكيف بشُكرِ الله إن كنتُ إنما أقومُ مقامَ الشُّكرِ لله بالكُفْرِ
بأَيِّ اعتذارٍ أَوْ بِأَيِّ حُجَّةٍ يقولُ الذي يدري من الأمرِ ما أَدْرِي
إذا كان وجهُ العُذْرِ ليس بَيِّنٍ فإنَّ أطراحَ العُذْرِ خيرٌ من العُذْرِ

[البيان والبلاغة]

ولابن المعتز: البيان ترُجْمَانُ القلوب ، وَصَيْقِلُ العقول ، وَجَبَلِي الشبهة ،
وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصاص الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ،
وهو من سلطان الرُّسُل الذي انقاد به المصعب ^(١) ، واستقام الأَصِيد ^(٢) ،
وبُهِت الكافر ، وسَلِمَ الممتنع ، حتى أَشْبَ الحقُّ بأنصاره ^(٣) ، وخَلَّارَبُعُ الباطلِ
من عُمارَةٍ ؛ وخيرُ البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ؛ لِيُسْرَعَ إلى الفهم تلقّيه ،
وموجزاً ليخفَّ على اللفظ تعاطيه .

لابن المعتز
في فضل البيان

وفَضْلُ القرآن على سائر الكلام معروفٌ غيرٌ مجهول ، وظاهرٌ غيرٌ خفي ؛
يشهدُ بذلك عَجْزُ المتعاطين ، وَوَهْنُ المتكلفين ^(٤) ، وتحيرُ الكذابين ، وهو المبلغُ
الذي لا يُعْلَمُ ، والجديد الذي لا يَخْلُقُ ^(٥) ، والحق الصادع ، والنور الساطع ،
والماسح لُظْمُ الضلال ، ولسانُ الصّدق النافي للكذب ، ونذيرُ قَدَمَتِهِ الرحمة
قبل الهلاك ، وناعِي الدنيا المنقولة ، وبَشِيرُ الآخرةِ الخُلدة ، ومِفْتَاحُ الخير ، ودليلُ
الجنة . إن أَوْجَزَ كان كافياً ، وإن أَكْثَرَ كان مُذَكِّراً ، وإن أَوْمَأَ ^(٦) كان
مُفْنِعاً ، وإن أَطال كان مُفهِماً ، وإن أَمْرَ فَنابِحاً ، وإن حَكَمَ فَعَادِلًا ، وإن أَخْبَرَ
فصَادِقًا ، وإن بَيَّنَّ فشافيا ، سَهْلٌ على الفهم ، صَعْبٌ على المتعاطي ^(٧) ، قَرِيبُ المَأْخَذِ ،

فضل القرآن
على سائر
الكلام

(١) المصعب : الفحل الصعب القياد . وفي الأصل «المستصعب» وأرجح أنه تحريف
(٢) الأَصِيد : المائل العنق كبرا (٣) أَشْبَ : تجمع وقوى (٤) الوهن : الضعف (م)
(٥) لا يَخْلُقُ : لا يلي (٦) أَوْمَأَ : أشار (٧) يريد بالمتعاطي المتكلف مجاراته (م)

بعيد المرام ، سراج تستضيء به القلوب ، خلوا إذا تدوّقته العقول ، بخر العوم ،
 وديوان الحكم ، وجواهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ،
 نزل به الروح الأمين على محمد خاتم النبيين : صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ،
 فخصم الباطل ، وصدع بالحق ، وتأنف من النفرة ، وأنقذ من الهلكة . فوصل
 الله له النصر ، وأضرع به خد الكفر^(١) .

تفسير الزماني
 للبلاغة

قال علي بن عيسى الرماني^(٢) : البلاغة ما حطّ التكلف عنه^(٣) ، وبني على التبيين ،
 وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ، بأن جمّع مع ذلك سهولة الخرج ، مع قرب
 المتناول ؛ وعذوبة اللفظ ، مع رشاقة المعنى ؛ وأن يكون حسن الابتداء كحسن
 الانتهاء ، وحسن الوصل ، كحسن القطع ، في المعنى والسمع ، وكانت كل كلمة
 قد وقعت في حقها ، وإلى جنب أختها ، حتى لا يقال : لو كان كذا في موضع
 كذا لكان أولى ! وحتى لا يكون فيه لفظ مختلف ، ولا معنى مستكره ؛
 ثم ألبس بهاء الحكمة ، ونور المعرفة ، وشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وكانت
 حلاوته في الصدر وجلالته في النفس تفتق الفهم ، وتنثر دقائق الحكم ، وكان
 ظاهر النفع ، شريف القصد ، معتدل الوزن ، جميل المذهب ، كريم المطلب ،
 فصيحاً في معناه ، يبنّا في فحواه ؛ وكل هذه الشروط قد حواها القرآن ، ولذلك
 عجزَ عن معارضته جميع الأنام .

(١) أضرع : أذل

(٢) وكان يعرف أيضاً بالإخشيدي ، وبالوراق ، وهو بالرماني أشهر - كما ذكر
 السيوطي في بغية الوعاة - كان إماماً في العربية علامة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي
 وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسي : إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس
 معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما يقوله نحن فليس معه منه شيء . وكان معتزلياً بصيراً
 بعلم الكلام . ولد سنة ٢٧٦ وتوفي في ١١ جمادى الأولى سنة ٣٨٤

(٣) الضمير عائد على الكلام البليغ المفهوم من البيان

ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن

القرآن حَبْلُ اللَّهِ الممدود ، وَعَهْدُهُ المعهود ، وظلُّهُ العميم ، وصِرَاطُهُ المستقيم ، وَحُجَّتُهُ الكبرى ، ومحجته الوُسْطَى ، وهو الواضح سبيله ، الراشد دليله ، الذى مَنِ استضاء بمصاييحه أَبْصَرَ وَنَجَّى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهَوَى ؛ فضائل القرآن لَا تُسْتَقْصَى فى أَلْفِ قَرْنٍ ، حجة الله وَعَهْدُهُ ، ووَعِيدُهُ ووَعْدُهُ ، به يعلمُ الجاهلُ ، ويعملُ العاْمِلُ ، ويتنبَّه السامى ، ويتذكَّرُ اللاهى ، بِشَيْرِ الثواب ، وَنَذِيرِ العقاب ، وشفاه الصدور ، وَجَلَّاهُ الأمورِ ؛ من فضائله أَنَّهُ يُقْرَأُ دَائِماً ، وَيُكْتَبُ ، وَيُمْلَى ، وَلَا يَمِلُ . ما أَهْوَنَ الدنيا على مَنْ جعل القرآن [إمامه ، وتصور الموتَ أمامه ، طوبى لمن جعل القرآن] مصباحَ قَلْبِهِ ، ومفتاحَ لُبِّهِ . من حق القرآن حِفْظُ ترتيبه ، وحسْنُ ترتيله .

قال بعض الحكماء : الحكمة مُوقِظَةٌ للقلوب من سِنَةِ ^(١) الغفلة ، وَمُنْقِذَةٌ للبصائر من سَكْرَةِ الخَيْرَةِ ، وَمُحْيِيَّةٌ لها من مَوْتِ الجهالة ، وَمُسْتَخْرِجَةٌ لها من ضيقِ الضَّلَالَةِ ؛ والعلمُ دواءٌ للقلوب العلية ، وَمُسْحَذٌ للأذهان الكليَّة ^(٢) ، ونورٌ فى الظلمة ، وَأَنْسٌ فى الوحشة ، وصاحبٌ فى الوحده ، وَسِمِيرٌ فى الخلوة ، ووصلةٌ فى المجلس ، ومادَّةٌ للعقل ، وتَلْقِيحٌ للفهم ، وَنَافٍ لِلْعَمَى المَزْرِىِّ بأهلِ الأَحْسَابِ ، المقصَّرِ بذوى الألباب ؛ أنطق الله سبحانه أهلَه بالبيان الذى جعله صفةً لكلامه فى تنزيله ، وأَيَّدَ به رُسُلَهُ إيضاحاً للمشكلات ، وفضلاً بين الشبهات ؛ شَرَّفَ به الوضیعَ ، وأَعَزَّ به الدليلَ ، وسوَّدَ به السُّودَ ، من تحلى بغيره فهو معطلٌ ، ومن تَعَطَّلَ منه فهو مغفلٌ ، لَا تُبْلِيهِ الأيامُ ، وَلَا تُخْتَرِمُهُ الدهورُ ، يتجددُ على الابتدال ، وَيَزِرُ كَوْعَلَى الإنفاق ؛ اللَّهُ على مامِنٍّ به على عبادِهِ الحمدُ والشُّكْرُ .

(١) السنة - بكسر السين - أول النوم ، ومثله الوسن - بالتحريك (م)

(٢) الكليَّة : وصف من الكلال ، وهو الإعياء ، وأراد غير الماضية فيما تبحث ،

شبهها بالسكين التى لا تنفذ فى ضريبتها (م)

[أقوال في البلاغة]

قيل لعمر بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وبصرك مواقع رشدك ، وعواقب غيبيك . قال السائل : ليس هذا أريد ، عبيد في البلاغة قال : من لم يُحسِّن أن يسكت لم يُحسِّن أن يستمع ، ومن لم يُحسِّن الاستماع لم يُحسِّن القول ، قال : ليس هذا أريد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا بَكٌّ » أَي قَلَّةُ كَلَامٍ ^(١) ؛ وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله ، قال السائل : ليس هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فِتْنَةِ القول ومن سَقَطَاتِ الكلام ما لا يخافون من فِتْنَةِ السكوت ، وسَقَطَاتِ الصَّمْتِ ، قال : ليس هذا أريد ، قال عمرو : يا هذا ؛ فكأنك تريد تحجير اللفظ ^(٢) في حسن الإفهام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أردت تقرير حُجَّةِ اللَّهِ عزَّ وجل في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة عن المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المرئدين ، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة في الأذهان ، رغبةً في سُرْعَةِ إجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة - كنت قد أوتيت الحكمة وفضل الخطاب ، واستوجبت من الله جزيل الثواب ، فقل لعبد الكريم بن روح الغفاري : مَنْ هذا الَّذِي صَبَرَ لَهُ عَمْرُو هذا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمري ، فقال : ومن يجترىء عليه هذه الجرأة إلا حفص بن سالم ؟

من أخبار
وعمر بن عبيد بن باب هو رئيس المعتزلة في وقته ، وهو أول من تكلم على عمرو بن عبيد الخلق ، واعتزل مجلس الحسن البصري ، وهو أول المعتزلة .

(١) وفي الأصل « فينا تلكا » وهو تحريف

(٢) تحجير اللفظ : تحسينه ، قالوا : « وكان مهلهل يحجر شعره » - وفي نسخة

« تغير » بمعنى الاختيار (م)

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور ، فقال : عَظُمِي ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ مِنْهُ بِبَعْضِها ؛ يا أمير المؤمنين ؛ إِنْ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ كَانَ بَاقِيًا لِأَحَدٍ قَبْلَكَ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَسَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ! قال : فبكى المنصور حتى بَلَ ثوبه . ثم قال : حاجتكَ يا أبا عثمان ! وكان المنصور لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ طَرَحَ عَلَيْهِ طَيْلَسَانًا ، فقال : يُرْفَعُ هَذَا الطَيْلَسَانُ عَنِّي ! فَرَفَعَ ، فقال أبو جعفر : لَا تَدْعُ إِيَّانَا ! قال : نعم ، لَا يَضُمُّنِي وَإِيَّاكَ بَلَدٌ إِلَّا دَخَلْتُ إِلَيْكَ ، وَلَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ إِلَّا سَأَلْتُكَ ، وَلَكِنْ لَا تُعْطِنِي حَتَّى أَسْأَلَكَ ، وَلَا تَدْعُنِي حَتَّى آتِيكَ ، قال : إِذَا لَا تَأْتِينَا أَبَدًا ! وقد رَوَى مِثْلَ هَذَا الْبَابِ السَّامِكُ مَعَ الرَّشِيدِ

وقوله «لَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرَ بَاقِيًا لِأَحَدٍ قَبْلَكَ مَا وَصَلَ إِلَيْكَ» كَقَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ : لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ إِذَا زَالَ عَنِ الْبَصِيرِ غِطَاؤُهَا وَكَيْفَ بَقَاءُ النَّاسِ فِيهَا وَإِنَّمَا يُنَالُ بِأَسْبَابِ الْفَنَاءِ بَقَاؤُهَا ؟ ووعظ شبيب بن شبة المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إِنْ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ فَوْقَكَ أَحَدًا ، فَلَا تَجْعَلَ فَوْقَ شُكْرِهِ شُكْرًا .

ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي فقال له : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمَهْدِيُّ ، وَلِيُّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، فقال : سَمِيتَهُ اسْمًا لَمْ يَسْتَحِقَّ حَمْلَهُ ، وَيَفْضِي إِلَيْكَ الْأَمْرَ وَأَنْتَ عَنْهُ مَشْغُولٌ ^(١) .

وكان عمرو بن عبيد يقول : اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بِالْاِفْتِقَارِ إِلَيْكَ ، وَلَا تُفْقِرْنِي بِالْاِسْتِغْنَاءِ عَنْكَ .

وقال له المنصور : يَا أبا عثمان ؛ أَعِنِّي بِأَصْحَابِكَ : قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَظْهِرِ الْحَقَّ يَتَّبِعُكَ أَهْلُهُ .

وقال عمر الشمرى : كَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ لَا يَكَادُ يَتَكَلَّمُ ، وَإِنْ تَكَلَّمَ لَمْ يَكْذُ

(١) كَذَا فِي الْمَطْبُوعَاتِ كُلِّهَا ، وَلَعَلَّ أَوَّلَ الْعِبَارَةِ «وَيَفْضِي إِلَيْهِ الْأَمْرَ وَأَنْتَ عَنْهُ مَشْغُولٌ» يُرِيدُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ ، وَلَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ مَاتَ أَبُوهُ (م)

يُطِيل ؛ وكان يقول : لا خيرَ في التكلُّم إذا كان كلامُهُ لمن يَشْهَدُهُ دونَ قائلِهِ ،
وإذا طال الكلامُ عرَضَتْ للمتكلِّم أسبابُ التكلف ، ولا خيرَ في شيءٍ يَأْتِيكَ
به التكلف ^(١) .

قال معمر بن الأشعث : قلت لبَهْلَمَ الهندي أيام اجتلبَ يحيى بنُ خالدٍ أطباءَ
الهند : ما البلاغةُ عند أهلِ الهند ؟ قال بهلَمَ : عندما في ذلك صحيفةٌ مكتوبةٌ ،
ولكنني لا أحسنُ ترجمتها ، ولم أعالجُ هذه الصناعةَ ، فأثِقَ من نفسي بالقيام
بخصائصها ، ولطيفَ معانيها . قال ابنُ الأشعث : فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة
فإذا فيها : أولُ البلاغةِ اجتماعُ آلةِ البلاغةِ ، وذلك أن يكونَ الخطيبَ رابطَ
الجأشِ ^(٢) ، ساكنَ الجوارحِ ، قليلَ اللَّحْظِ ، متخيرَ اللفظِ ، لا يكَلِّمُ سيدَ الأمةِ
بكلامِ الأمةِ ، ولا الملوكَ بكلامِ الشُّوقِ ، ويكونُ في قُوَاهُ فَضْلُ التصرفِ في
كل طبقةٍ ، ولا يدققُ المعاني كلَّ التدقيقِ ، ولا يُنقِّحُ الألفاظَ كلَّ التنقيحِ ،
ولا يصفِّيها كلَّ التصفيةِ ، ولا يهذِّبها غايةَ التهذيبِ ، ولا ينعلُ ذلك حتى
يصادفَ حكيمًا ، أو فيلسوفًا عليًا ، ومن قد تعودَ حَذْفَ فضُولِ الكلامِ ،
وإسقاطَ مشتركاتِ الألفاظِ ؛ وقد نظرَ في صناعةِ المنطقِ على جهةِ الصناعة والمبالغةِ ،
لا على جهةِ التصفحِ والاعتراضِ ^(٣) ، ووجهَ النظرُف والاستظرافِ .

قال إسحاق بن حسان بن قوهي : لم يفسر أحدُ البلاغةِ تفسيرًا عبد الله
ابن المقفع إذ قال : البلاغةُ اسمٌ لمعانٍ تجرِي في وجوهٍ كثيرةٍ ، فمنها ما يكونُ
في الاستماعِ ، ومنها ما يكونُ في السكوتِ ، ومنها ما يكونُ في الإشارةِ ، ومنها
ما يكونُ في الحديثِ ، ومنها ما يكونُ في الاحتجاجِ ، ومنها ما يكونُ شعرًا ،

(١) وكانت وفاة عمرو بن عبيد سنة ١٤٤

(٢) الجأش : الصدر ، ومثله الجؤشوش بضم الجيم

(٣) التصفح : تقليب الصفحات .

ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل ؛ فغاية هذه الأبواب الوَحْيُ فيها والإشارة إلى المعنى ؛ والإيجازُ هو البلاغة ، فأما الخطبُ فيما بين السَّاطين^(١) وفي إصلاح ذات البين ، فالإكثارُ في غير خطب^(٢) ، والإطالةُ في غير إملال ، ولكن لِيَكُنْ في صَدْرِ كلامِكَ دليلٌ على حاجتك ، كما أَنَّ خَيْرَ أَيْتِ الشعر البيتُ الذي إذا سمعتَ صَدْرَهُ عرفتَ قافيته (كأنه يقول فرَّق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التَّوَاهُب ، حتى يكونَ لكل فنٍّ من ذلك صَدْرٌ يدل على عَجْزِهِ^(٣)) فإنه لاخيرَ في كلامٍ لايدلُّ على معنأك ، ولا يشيرُ إلى مَغْزَاكَ ، وإلى العمود الذي إليه قَصَدْتَ ، والغرض الذي إليه تَزَعَّتْ .

فقل له : فإن ملَّ المستمعُ الإطالة التي ذكرت أنها أحقُّ بذلك الموضع ؟ قال : إذا أعطيت كلَّ مقامٍ حقَّه ، وقمتَ بالذي يجب من سياسة الكلام ، وأرضيتَ مَنْ يعرف حقوقَ ذلك ، فلا تهم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو ؛ فإنهما لا يَرْضَيَانِ بشيء ؛ فأما الجاهلُ فلستَ منه وليس منك ، ورضا جميع الناس شيءٌ لا يُنَالُ .

[الإطالة والإيجاز]

وقد مدحوا الإطالة في مكانها ، كما مدحوا الإيجازَ في مكانه . قال أبو داود [ابن جرير] في خطباء إِيَاد :

يَرْمُونُ بِالْخُطْبِ الطَّوَالَ ، وَتَارَةً وَحَى الْمَلَاظِ خِيَفَةَ الرِّقْبَاءِ^(٤)
قال أبو وَجْزَةَ السَّعْدِيُّ يصف كلام رجل :

(١) بين السَّاطين : الصَّفين . (٢) الخطل : السخف .

(٣) ما وضعناه بين قوس أثبتته المؤلف توضيحاً لكلام ابن المقفع

(٤) المراد من وحى الملاحظ إشارة العيون .

يَكْفِي قَلِيلُ كَلَامِهِ ، وَكَثِيرُهُ ثَبَتَ ، إِذَا طَالَ النَّضَالُ ، مُصِيبٌ^(١)
وَأَنشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ^(٢) وَلَمْ يَسْمُ قَائِلُهُ ، وَهُوَ مَوْلِدُومٌ يَنْقُصُهُ
تَوَلِيدُهُ مِنْ حِظِّ الْقَدِيمِ شَيْئًا :

طَبِيبٌ بَدَأَ فَنُوتَ الْكَلَا مَ لَمْ يَعْنَى يَوْمًا وَلَمْ يَهْذُرْ
فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُطِيلِ عَلَى الْمُنْزَرِ^(٣)
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْثِرِ
وَقَالَ آخِرُ يَصِفُ خُطْبِيًّا :

فَإِذَا تَكَلَّمَ خَلَّتْهُ مَتَكَلَّمًا بِجَمِيعِ عِدَّةِ السُّنَنِ الْخُطْبَاءِ
فَكَأَنَّ آدَمَ كَانَ عَلَّمَهُ الَّذِي قَدْ كَانَ عَلَّمَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ
وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يَقُولُ : تَلْخِصِ الْمَعْنَى رَفِقُ ، وَالِاسْتَعَانَةُ بِالْغَرِيبِ عَجْزٌ ،
وَالْتَشَدُّقُ فِي الْإِعْرَابِ نَقْصٌ ، وَالنَّظَرُ فِي عَيُونِ النَّاسِ عَيٌّْ ، وَمَسُّ اللِّحْيَةِ هُلْكَ ،
وَالْخُرُوجُ عَمَّا بُنِيَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابٌ .
وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو رَجُلًا بِالْعِي :

مَلِيٌّ بِهَيْزٍ وَالتَّفَاتِ وَسَعْلَةٍ وَمَسْحَةِ عُثُنُونٍ وَقَتْلِ الْأَصَابِعِ^(٤)
وَوَصَفِ الْعَتَابِيِّ^(٥) رَجُلًا بَلِيغًا فَقَالَ : كَانَ يُظْهِرُ مَا تَغْمُضُ مِنَ الْحِجَّةِ ،
العتابي يصف
الرجل البليغ

(١) ثبت : مثبت (٢) كان المبرد إمام العربية ببغداد في زمانه ، وكان فصيحاً
بليغاً مفوهاً صاحب نوادر وظرف ، وكان جميلاً ، لاسيما في صباه ، ولما صنف المازني
كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه ، فأجابته بأحسن جواب ، فقال له :
قم فأنت المبرد ، بكسر الراء ، أى المثبت للحق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء . ولد
في سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢٨٥ (٣) المنزر : المقل .

(٤) البهر : تتابع النفس واتقطاعه من الإعياء . والعثنون : اللحية .
(٥) العتابي : هو كلثوم بن عمرو . أصله من الشام من أرض قنسرين ، صاحب
البرامكة ، ثم صاحب ظاهر بن الحسين وعلي بن هشام القائدين ، وكان حسن الاعتدال =

ويصور الباطل في صورة الحق ، ويُفهمك الحاجة من غير إعادة ولا استعانة .
 قيل له : وما الاستعانة ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه يا هناة ، واسمع ، وفهمت !
 وما أشبه ذلك . وهذا من أمارات العجز ، ودلائل الحصر ! وإنما ينقطع عليه
 كلامه فيحاول وصله بهذا ، فيكون أشد لا تقطاعه .

عدة الخطابة
 عند أبي داود

وكان أبو داود يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحها
 رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخير اللفظ ؛ والمحبة مقرونة
 بقلة الاستكراه .

منزلة اللفظ
 من المعنى عند
 الجاحظ

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : قال بعض جهابذة الألفاظ ، ونقاد
 المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس ، المختلجة في نفوسهم ، والمتصورة في أذهانهم
 المتصلة بنحو أطهرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ،
 ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ،
 ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره ، وعلى
 ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يحيى تلك المعاني ذكركم لها ، وإخبارهم
 عنها ، واستعمالهم إياها .

وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم ، وتجلبها للعقل ، وتجعل الخفي منها
 ظاهراً ، والغائب شاهداً ، والبعيد قريباً . وهي التي تلخص الملتبس ، وتحل المنعقد ،
 وتجعل المهمل مقيّداً ، والمقيد مطلقاً ، والمجهول معروفاً ، والوَحْشَى مألوفاً ،
 [والغفل موسوماً^(١) ، والموسوم معلوماً] ؛ وعلى قدر وضوح الدلالة ، وصواب

== في رسائله وشعره ، يشبه في المحدثين بالنابعة في الجاهلية . ومن جيد شعره قوله في
 جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه فخلصه جعفر :

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً يضيق عني فسيح الرأي من حيل
 فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

وكانت وفاة العتابي سنة ٢٢٠

(١) الغفل : الذي لا علامة له ، والموسوم : ذو العلامة ، من الوسم (م)

الإشارة ، وحُسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون ظهورُ المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الإشارة أًبين وأنور ، كانت أنفع وأجمع في البيان . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله يمدحه ، ويدعو إليه ، ويحث عليه ؛ بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم .

والبيان : اسمٌ لكل شئ كشف لك عن قناع المعنى ، وهتك لك الخُجُب دون الضمير ، حتى يُفِضِيَ السامعُ إلى حقيقته ، ويهجم على محصولة ، كأنَّ ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان ذلك الدليل ؛ لأنَّ مدار الأمر والغاية التى إليها يجرى القائلُ والسامعُ إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأى شئ بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

ثم اعلم - حَفِظَكَ اللهُ ! - أَنَّ حُكْمَ المعانى خلافُ حُكْمِ الألفاظ ؛ لِأَنَّ المعانى مبسطة إلى غير غاية ، وأسماء المعانى محصورة معدودة ، ومحصلة محدودة . وجميعُ أصنافِ الدلالات على المعانى من لفظٍ أو غيره خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللَّفْظ ، ثم الإشارة ، ثم العُقد ، ثم الخط ، ثم الحال التى تسمى نُصبة . والنُصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تَقْصُرُ عن تلك الدلالات .

ولكل واحدةٍ من هذه الدلائل الخمسة صورةٌ بائنة^(١) من صورةٍ صاحبها ، وحليّةٌ مخالفةٌ إِحْلِيّةٍ أختها ؛ وهى التى تكشف لك عن أَعْيَانِ المعانى فى الجملة ، وعن حقائقها فى التفسير ، وعن أجناسها وأقْدَارِها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها فى السارِّ والنصار ، وعما يكون منها لغواً بهزجاً^(٢) ، وساقطاً مطرَحاً .

(١) صورة بائنة : متميزة يظهر فرق ما بينها وبين صاحبها (م)

(٢) بهرج : ردى .

وفي نحو قول أبي عثمان « إنَّ المعاني غير مقصورة ولا محصورة » يقول
أبو تمام الطائي لأبي دُلْفَ القاسم بن عيسى العجليّ :
ولو كان يَفْنَى الشعرُ أَفْنَتَهُ ما قَرَّتْ حِيَاضُكَ منه في العصورِ الذَّوَاهِبِ ^(١)
ولكنه فيَنْضُ العقولِ إذا انْجَلَتْ سَحَابُ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابِ
كما أشار إلى قول أوس بن حَجَر الاسدي :
أقول بما صَبَّتْ على غمامتي وجهدي في جبل العشيرة أْحْطِبُ ^(٢)

وقال بعضُ البلغاء : في اللسان عشرُ خصالٍ ^(٣) محمودة ، أداةٌ يظهر بها البيان ،
وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل الخطاب ، وواعظٌ ينهي عن القبيح ،
وناطقٌ يرُدُّ الجواب ، وشافعٌ تُدْرِكُ به الحاجة ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ،
ومُعْرِبٌ يُشْكِرُ به الإحسان ، ومُعَزِّزٌ تذهب به الأُحْزَانُ ، وحامِدٌ يذهب الضغينة
ومونقٌ يلهي الأسماع .

وقال أبو العباس بن المعتز : لحظةُ القلب أسرعُ خطرةً من لحظة العين ، وأبعدُ
مَجَالًا ، وهي الفائضة في أعماق أودِيَةِ الفكر ، والمتأملُ لوجود العواقب ، والجامعُ
بين ما غاب وحَضَرَ ، والميزانُ الشاهدُ على ما نفع وضرر ، والقلبُ كالمُملِي للكلام
على اللسان إذا نطق ، واليد إذا كتبت ، والعقلُ يكسو المعاني وشيَّ الكلام في
قلبه ، ثم يُبْدِيها بالفاظ كَوَاسٍ في أحسن زينة ، والجاهلُ يستعجلُ بإظهار المعاني
قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها .

وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط
بمعناك : ويكشف عن مغزأك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يُستعان عليه
البيان
عند جعفر بن
يحيى البرمكي

(١) قرت : أخذت (٢) يحطب في جبل العشيرة : أي يستعين بها كما يستعين
الحاطب بالجل . (٣) إذا عُدَّتْ ما ذكره وجدته إحدى عشرة خصلة (م)

بالفكر ، ويكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل .

وذكر سهل بن هارون^(١) - وقيل ثمامة بن أشرس - جعفر بن يحيى فقال : قد جمع في كلامه وبلاغته الهدى والتمهل^(٢) والجزالة والحلاوة ، وكان يفهم إفهاماً بلاغة جعفر بن يحيى البرمكي يفنيه عن الإعادة للكلام . ولو كان يستغنى مستغنى عن الإشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر . كما استغنى عن الإعادة فإنه لا يتجسس^(٣) ولا يتوقف في منطقته ولا يتلجلج ، ولا يتسقل ، ولا يترقب لفظاً قد استدعاه من بعد ، ولا يتلمس معنى قد عصاه بعد طلبه له .

وقيل لبشار بن برد : بيم فقت أهل عمرك ، وسبقت أهل عصرك ، في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأنني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي ، وينأجيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسيرت إليها بفهم جيد ، وغيرة قوية ، فأحكمت سبرها ، وانتقيت حرها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلفها ولا والله ما ملك قيادي قط الإعجاب بشيء مما آتني به .

وكان بشار بن برد خطيباً ، شاعراً ، راجزاً ، سجعاً ، صاحب منشور مزدوج ، ويلقب بالمرعث لقوله :

(١) كان سهل بن هارون من الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار . وقعت آراؤه في الأدب وتدير الملك مفرقة في الكتب ، ولم يصل إلينا من مؤلفاته الكثيرة شيء يستحق الذكر . وقد أطلعني المسيو مارسيفي باريس على مذكرات مهمة قيد فيها ما عثر عليه من آثار ذلك الكاتب البليغ . وكانت وفاة سهل ابن هارون في سنة ١٧٣ (٢) الهذ : السرعة (٣) في الأصل (يتحسن) وهو تحريف

مَنْ لِظَنِّي مُرَعَّثٍ سَاحِرِ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ^(١)
قَالَ لِي لَنْ تَنَالَنِي قَلْتَ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ

وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره ، وسأستقبل ذلك إن شاء الله .

[وصية أبي تمام للبحترى]

وقال الوليد بن عبيد البحترى : كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرُومُ الشَّعْرِ ، وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعٍ ، وَلَمْ أَكُنْ أَقِفْ عَلَى تَسْهِيلِ مَأْخَذِهِ ، وَوَجُوهِ اقْتِضَابِهِ ، حَتَّى قَصَدْتُ أَبَاتِمَامَ ، وَانْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ ، وَاتَّسَكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ ؛ فَكَانَ أَوَّلَ مَا قَالَ لِي : يَا أَبَا عُبَادَةَ ؛ تَحَيَّرَ الْأَوْقَاتَ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهَمُومِ ، صَفْرُ مِنْ الْعُمُومِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ ، وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْيِيبَ فَاجْعَلِ اللَّفْظَ رَشِيقًا ، وَالْمَعْنَى رَقِيقًا ، وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ ، وَتَوَجَّعِ الْكَآبَةِ ، وَقَلِّقِ الْأَشْوَاقَ ، وَلَوَعَةَ الْفِرَاقِ ، فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدِ ذِي أَيْدٍ فَاشْهَرِ مَنَاقِبَهُ ، وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ ، وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ ، وَشَرَفِ مَقَامَهُ ، وَنَضَّدِ الْمَعَانِي^(٢) ، وَاحْذَرِ الْجَهْلُولَ مِنْهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ ، وَلِتَكُنْ كَأَنَّكَ خَيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ . وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجَرُ فَأَرِحْ نَفْسَكَ ، وَلَا تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ ، وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ الذَّرِّيَّةِ^(٣) إِلَى حَسَنِ نَظْمِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ

(١) مرعث : يلبس الرعثة - بالضم - وهى القُرط .

(٢) نضد : بمن التنضيد ، وهو ضم بعض الشيء إلى بعض .

(٣) الذريرة : الوسيلة .

زعم المعين . وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء قاصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله .

قال : فأعملت نفسي فيما قال فوقفت على السياسة^(١) .

وقالوا : البليغ من يحوكم الكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الألفاظ على وصف البدع قدود المعاني .

ولذكر الطائى الليل ذكر بعض أهل العصر - وهو أبو على محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمى^(٢) - الليل فقال : فيه تَجَمُّمُ الأذهان^(٣) ، وتنقطع الأشغال ، ويصح النظر ، وتوَلَّف الحكمة ، وتدرّ الخواطر ، ويتسع مجالُ القلب ، والليل أضوأ في مذاهب الفكر ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وأصح لتلاوة الذكر ، ومُدَبِّرُ الأمور يختارون الليل على النهار ، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير ، فى دَفْع الملم ، وإمضاء المهم ، وإنشاء الكتب ، وتصحيح المعاني ، وتقويم المباني ، وإظهار الحُجَج ، وإيضاح المنهج ، وإصابة نظم الكلام ، وتقريبه من الأفهام .

وقال بعض رؤساء الكتّاب : ليس الكتّاب فى كل وقتٍ على غير

(١) ارجع إلى نقد هذه الوصية فى كتاب (الموازنة بين الشعراء) .

(٢) كان الحاتمى حسن التصرف فى الشعر ، يجمع بين البلاغة فى الشر والبراعة فى النظم ، وكان من خصوم التنبى ، وله فى شعره عدة أبحاث . ومن جيد شعره قوله فى وصف الثريا :

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا إلى أن بدا للصبح فى الليل عسكر
ونجم الثريا فى السماء كأنه على حلة زرقاء جيب مدبر
مات فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨ (٣) تجم : تستريح .

نسخة لم تُحرَّر بصواب ؛ لأنه ليس أحدٌ أولى بالأناة وبالروية من كاتبٍ يَعْرِضُ عقله ، وينشرُ بلاغته ؛ فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويها ، ويقبل عَفْوَ القريحة ولا يستكرهها ، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له ، عارفون بكتابه ، متفقون عليه ، متفرغون إليه .

فضل الروية
والأناة

وقال آخر : إنَّ لا ابتداء الكلام فتنةً تروق ، وجدةً تعجب ، فإذا سكنت القريحة ، وعدل التأمل ، وصفت النفس ، فليعد النظر ، وليكن فرحُه بإحسانه ، مساوياً لغمِّه بإساءته ؛ فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي : نبايعك الساعة فقد رأينا ذلك ، فقال : دَعُوا الرَّأْيَ حَتَّى يَبْلُغَ أَثَاتُهُ ، فإنه لا خيرَ في الرَّأْيِ الفَطِيرِ ، والكلام القضيبي ^(١) .

وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر : ما عندك في كذا وكذا ؟ فقال : أريد أن أَصْغَلَ عَقْلِي بِنُومَةِ الْقَائِلَةِ ^(٢) ، ثم أروح فأقول بعدُ ما عندى قال الشاعر :

إِن الْحَدِيثَ تَعَرُّ الْقَوْمَ جَلَوْنُهُ حَتَّى يَغْيِرَهُ بِالْوَزْنِ مَضْمَارُ ^(٣)
فَعِنْدَ ذَلِكَ تَسْكِنِي بِلَاغَتُهُ أَوْ يَسْتَمِرُّ بِهِ عَيٌّْ وَإِكْثَارُ
وَقَالُوا : كُلُّ مُجَرٍّ بِالْخَلَاءِ يُسَرُّ ^(٤) ، وقال أبو الطيب المتنبي :
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانَ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحَدَّهَ وَالنَّزَالَ

وكان قلم بن المقفع يَقِفُ كثيراً ، فُقِيلَ له في ذلك ، فقال : إن الكلام يَرَدِّمُ في صدري ، فيقف قلبي ايتخير .

تخير ابن المقفع
ما رد عليه
من الكلام

(١) الرَّأْيُ الفَطِيرُ : الذي لم ينضج ، والكلام القضيبي : المرتجل (٢) نومة القائلة : نومة الظهيرة (٣) الجلوة : الزينة (٤) يريد أن الذي يحرق فرسه بالخلاء يسر بظفروه حيث لا مناضل ، وهو مثل في التهكم .

وقالوا: الكتابُ يُتَصَفَّحُ أكثر مما يتَصَفَّحُ الخطابُ؛ لأنَّ الكاتبَ متخَيِّرٌ،
والخطابَ مضطَّرٌّ، ومن يَرُدُّ عليه كتابك فليس يعلم أنَّ سُرْعَتَ فيه أم أبطأت؛
وإنما ينظر أخطاءَ أم أصبت؛ فإبطاؤك غيرُ قادحٍ في إصابتك، كما إن إسرائك
غير مُعْطٍ على غَلَطِكَ.

ووصف بعضُ الكتابِ النسخ فقال: ينبغي أن يصحَّحَ الفكر إلى استقرارها،
ثم تستبرأ بإعادة النظر فيها بعد اختيارها^(١)، ويوسع بين سُطُورِها، ثم تحرر على
ثقةٍ بصحتها، وتُتأمل بعد التحرير حرفاً حرفاً إلى آخرها.

فقد كتب المأمون مُصْحَفًا اجتمع عليه؛ فكان أوله: بسم الله الرحيم، فأغفلوا
الرحمن؛ لأنَّ العينَ لا تَعْتَبَرُ ذلك؛ ثقة أنه لا يُغْلَطُ فيه، حتى فُطِنَ المأمون له.
وقال محمد بن عبد الملك الزيات للحسن بن وهب: حرِّر هذه النسخة وكرِّر
بها، فتصبَّح الحسن^(٢) فقال له: لم تصبَّحت؟ قال: حتى تصفحت!
وقال أحمد بن إسماعيل بطاحه: كان بعض العلماء الأغبياء ينظر في نسخته
بعد نفوذ كُتِبَ، فقال بعض الكتاب:

مُسْتَلَبُ اللَّبِّ غَوِيُّ الشَّبَابِ عَذْبُهُ الْهَجْرُ أَشَدُّ الْعَذَابِ
يُؤْمَلُ الصَّبْرُ وَأَتَى لَهُ بِهِ وَقَدْ مُكِّنَ مِنْهُ التَّصَابُ
كَنَاظِرٍ فِي نَسْخَةٍ يَبْتَعِي إِصْلَاحَهَا بَعْدَ نَفْوذِ الْكِتَابِ

أوصاف بليغة في البلاغات

على السنة أفوام من أهل الصناعات

قال بعضُ من ولَّد عقائل هذا المنشور، وألَّف فواصل هذه الشذور: تجمَّع

(١) تستبرأ: تحجف - كذا وليس مقصود، ولكن المراد معاودة النظر فيها ليتعرف
كاتبها ما فرط منه إن كان فيتداركه (م) (٢) تصبَّح: تأخر عن الحضور صباحاً.

قوم من أهل الصناعات ، فوصفوا بلاغاتهم ، من طريق صناعاتهم ^(١) :
فقال الجوهري : أحسنُ الكلامِ نظاماً ما ثبته يدُ الفكرة ، ونظمته الفطنة ،
ووصلَ جوهرُ معانيه في سموط ^(٢) ألفاظه ، فاحتملتُه نحوُ الرواة .

وقال العطار : أطيّبُ الكلامِ ما عُجِنَ عَسْبَرُ ألفاظه بِمَسْكِ معانيه ، فراح
نسيمُ نَشَقِهِ ، وسطعت رائحة عبقه ، فتعلقت به الرؤاة ، وتعطّرت به السّرة .

وقال الصائغ : خيرُ الكلامِ ما أحمّيته بِكبرِ الفكرِ ^(٣) ، وسبّكته بِمَسْأَلِ
النّظر ، وخلصّته من خَبَثِ الإطناب ، فبرز بروزُ الإبريزِ ^(٤) ، في معنى وحيز .
وقال الصيرفي ^(٥) : خيرُ الكلامِ ما تقدّته يدُ البصيرة ، وجلّته عينُ الرويّة ،
ووزنته بِمِغْيَارِ الفصاحة ، فلا نظريزّيفه ^(٦) ، ولا سماعُ يَهْرَجِه ^(٧) .

وقال الحداد : أحسنُ الكلامِ ما نصبت عليه مِنْفَخَةِ القريحة ، وأشعلت عليه
نارَ البصيرة ، ثم أخرجته من فحم ^(٨) الإلخام ، ورقّقته بِفَطْيَسِ الإفهام ^(٩) .

وقال النجار : خيرُ الكلامِ ما أحكمتَ نَجَرَ معناه بِقُدُومِ التقدير ، ونشّرتَه
بمنشارِ التدوير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضة لسَقْفِ اللسان .

وقال النجاد : أحسنُ الكلامِ ما لطفَت رَفَارِفُ ألفاظه ^(١٠) ، وحسّنت مَطَارِحَ

(١) هذا نوع من فن المقامات الذي ذاع في القرن الرابع بفضل أبي بكر بن دريد
وبديع الزمان ، وقد ترجمت هذا الحديث إلى اللغة الفرنسية في كتابي .

La prose arabe au IV^e siècle de l'hégire

(٢) السموط : جمع سَمْط - بالكسر - وهو خيط النظم

(٣) الكير بالكسر : هو منفخة الحداد (٤) الإبريز : هو الذهب الخالص

(٥) الصيرفي : صراف الدراهم ، والجمع صيارفة ، وجاء في الشعر صياريف

(٦) زاف الدراهم وزيفها : حكم برداءتها (٧) يهريج : يحكم بأنه بهرج ،

والبهريج : الباطل والردى (٨) الإلخام : العجز عن البيان ، ومنة : شاعر

مفحم ، على صيغة المفعول (٩) الفطيس : المطرقة

(١٠) الرفارف : الأطراف ، مفرد هارفرف - وهي ثياب خضر تبسط (م)

معانيه، فنزهت في زَرَابَى محاسنه عيون الناظرين^(١)، وأصاحت للمارق^(٢) بهجته
أذان السامعين .

وقال الماتح : أبين الكلام ما علقت وذم ألفاظه ببكرة معانيه^(٣) ، ثم
أرسلته في قلب الفطن^(٤) فتحت به سقاء يكشف الشهات ، واستنبطت به
معنى يروى من ظلم المشكلات .

وقال الخياط : البلاغة قميص ؛ فجرُّبَّانه البيان^(٥) ، وجيبه المعرفة ، وكُمَّاه
الوجازة ، ودخارِيصه الإفهام^(٦) ، ودُرُوزُه الخلاوة^(٧) ، ولابسُ جَسَدُه اللفظ ،
وروحُه المعنى .

وقال الصَّبَاغ : أحسن الكلام ما لم تنض بهجة إيجازه^(٨) ، ولم تكشف
صبغة إيجازه ، قد صقلته يدُ الروية من كمود الإشكال ، فرَاعَ كواعِبَ
الآداب ، وألفَ عَذَارَى الألباب .

وقال الحَاك : أحسنُ الكلام ما اتَّصَلَتْ لُحْمَةُ أَلْفَاظِهِ بِسَدَى معانيه^(٩)
فخرج مُفَوَّقًا مُنْتَبِهَاً ، وموشى مُحَبَّرًا .

وقال البزاز^(١٠) : أحسن الكلام ما صدقَ رَقْمُ أَلْفَاظِهِ ، وحسنَ نَشْرُ معانيه
فلم يستعْجِمْ عنك نَشْرَ ، ولم يستبهم عليك طَى .

وقال الرائض : خيرُ الكلام ما لم يخرج عن حَدِّ التَّخْلِيعِ^(١١) ، إلى منزلة

(١) الزرابى : واجدها زربى - بالكسر ويضم - وهو كل ما بسط واتكى عليه

(٢) المارق : واحدتها المارقة - بالتثنية - وهى الوسادة الصغيرة

(٣) الوزم : الدلو (٤) القلب : البئر

(٥) الجربان : الطوق (٦) الدخاريس : فتحات الأزرار

(٧) الدروز : الأطراف الرقاق (٨) لم تنض : لم تتم

(٩) اللحمة والسدى : ما يسدى ويلحم به الثوب (١٠) البزاز : بائع البز . بالفتح ،

وهو الثياب أو متاع البيت من الثياب (١١) التخليع : هزال المنكبين فى المنى (م)

التَّقْرِيب^(١) إلا بعد الرياضة ، وكان كالمُهْر الذي أطمع أول رياضته في تمام ثقافته .
وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطام كلامه ، فأناخه في مَبْرَك المعنى ، ثم
جعل الاختصار له عقلاً ، والإيجاز له مجالاً ، فلم يند عن الأذان ، ولم يشذ
عن الأذهان .

وقال الحنث : خير الكلام ما تكَسَّرَتْ أطرافه ، وتثنت أعطافه ، وكان
لفظه حُلَّةً ، ومعناه حلية .

وقال الخمار : أبلغ الكلام ما طَبَخْتَهُ مَرَّاجِلُ العلم ، وصَفَّاه زَاوُوقُ الفهم ،
وضمَّته دِنَانُ الحكمة ، فتمشَّت في المفاصل عُدُوبَتُهُ ، وفي الأفكار رِقَّتُهُ ، وفي
العنبر حِدَّتُهُ .

وقال الفقاعى : خير الكلام ما رَوَّحَتْ ألفاظه غَبَاوَةَ الشك ، ورفعت
رِقَّتَهُ فظاظَةَ الجهل ، فطاب حساء فطنته ، وعذب مَصَّ جُرْعَةٍ .

وقال الطيب : خير الكلام ما إذا باشر [دواء] بيانه سَقَمَ الشبهة استطلقت
طبيعة الغباوة ؛ فشفي من سوء التفهم ، وأورث صحة التوهم .

وقال الكحال : كما أن الرمد قَذَى الأبصار ، فكذا الشبهة قَذَى البصائر ،
فاكحل عَيْنَ اللسنة بِمِيلِ البلاغة ، واجل رَمَصَ الغفلة^(٢) بِمَرُودِ اليقظة .

ثم قال : أجمعوا كلمهم على أن أبلغ الكلام ما إذا أشرقت شمسُه ، انكشف
لبسه ، وإذا صدقت أنوؤه^(٣) اخضرت أحماؤه^(٤) .

فقر في وصف البلاغة لغير واحد

قال أعرابي : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة
بقليل على كثير .

(١) التقريب : ضرب من العدو ، أو هو أن يرفع الجواد يديه معا ويضعهما معا

(٢) الرمص : وسخ أبيض يجتمع في موق العين

(٣) الأنواء : جمع نوء ، وهو النجم مال للغروب ، والمراد به هنا المطر

(٤) الأحماء : جمع حمى ، وهو المكان يحميه الرجل ويمنعه

قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغةُ تقريرُ المعنى في الأفهام ، من أقرب وجود الكلام .

ابن المعتز : البلاغةُ البلوغُ إلى المعنى ولم يطل سَفَرُ الكلام .

سهل بن هارون : البيان ترجمان العقول ، وروّض القلوب ، وقال : العقل رائدُ الروح ، والعلم رائدُ العقل ، والبيان ترجمان العلم .

إبراهيم بن الإمام : يكفي من البلاغة ألا يؤثني السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤثني الناطق من سوء فهم السامع .

العتّابي : البلاغة مدُّ الكلام بمعانيه إذا قصر ، وحُسن التأليف إذا طال .

أعرابي : البلاغة إيجاز في غير عَجْز ، وإطناب في غير خَطَل .

[وكتب إبراهيم بن المهدي إلى كاتب له ورآه يتبع وحشيَّ الكلام : إياك وتتبع الوحشي طمعاً في ثَيلِ البلاغة ؛ فإن ذلك العيُّ الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفلى .

وقال الصولي : وصف يحيى بن خالد رجلاً فقال : أخذ بزمام الكلام ، فقادته أسهل مقاد ، وساقه أجمل مساق ؛ فاسترجع به القلوب النافرة ، واستصرف به الأبصار الطامحة .

وسمع أعرابي كلامَ الحسن البصري رحمه الله ، فقال : والله إنه لفصيح إذا نطق ، نصيح إذا وعظ .

قال الجاحظ : ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حواشي الكلام ، عَذْبَ ينابيع اللسان ؛ إذا حاور سدّد سهمَ الصواب إلى غرض المعنى ، لا يكلم الخاصة بكلام العامة ، ولا العامة بكلام الخاصة .

وقال أبو العباس المبرد : قال الحسن بن سهل لسالم الحراري : ما المنزلة التي إذ أنزل بها الكاتب كان كاتباً في قوله وفعله واستحقاقه ؟ قال : أن يكون مطبوعاً على المعرفة ، مُحْتَنِكاً بالتجربة ، عارفاً بجلال الكتاب وحرامه ، وبالدهور في تصرفها

وأحكامها ، وبالملوك في سِيرِها وأيامها ، وأجاس الخط ، وبادية الأقلام ، مع تشاكل اللفظ وقرب المأخذ . قال الحسن : فليس في الدنيا إذاً كاتب [.

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .
وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، واثتهار الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .
وقال علي بن عيسى الرُّمَّاني : البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ .

ومن كلام أهل العصر ، في صفة البلاغة والبلغاء
[قال علي بن عيسى الرماني] : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازده ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدورُهُ وأعجازه .

أبلغُ الكلام ما يؤنس مُسمِعه ، ويؤنس مضِيعه .
البلغ من يحتج من الألفاظ أنوارها ^(١) ، ومن المعاني ثمارها .
ليست البلاغة أن يُطال عَنانُ القلم أو سِنانُه ، أو يُبسَط رِهان القول وميدانُه ، بل هي أن يبلغ أمد المراد بألفاظ أعيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تَزِيدُ على الحاجة ، ولا إخلال يُفِضِي إلى الفاقة .

البلاغة ميدان لا يُقْطَع إلا بسوابق الأذهان ، ولا يُسَلَك إلا ببصائر البيان .
فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام ، حتى كأنَّ الألفاظ تَتَحَاسَدُ في التسابق إلى خواطره ، والمعاني تتغايرُ في الانثيال على أنامله .

هذا كقول أبي تمام الطائي :
تَغَايَرَ الشعرُ فيه إذ سَهَرَتْ لَهُ حتى ظننتُ قوافيه سَتَقَتِّلُ

(١) الأنوار: جمع نور- بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر، أو الأيض منه (م)

فلان مشرفى المشرق ، وصَيْرَفَى المنطق . البيانُ أَصْغَرُ صفاته ، والبلاغةُ عَفْوُ خطراته . كأنما أوحى بالتوفيق إلى صَدْرِهِ ، وحسن الصواب بين طَبْعِهِ وفكره .

فلان يحزّ مَفَاصِلَ الكلام ، ويسبق فيها إلى دَرَكِ المرام ، كأنما جمع الكلام حَوْلَهُ حتى اتقى منه وانتخب ، وتناول منه ما طَابَ ، وترك بعد ذلك أذُنًا بَارِئًا لارءوسًا ، وأجسادًا لا نفوسًا .

فلان يَرْضَى بِعَفْوِ الطَّبَعِ ، ويقنع بما خَفَّ عَلَى السَّمْعِ ، وَيُوجِزُ فَلَا يُخِلُّ ، وَيُطْنِبُ فَلَا يُمِلُّ ، لله فلان أخذ بآزْمَةِ القول يقودها كيف أراد ، وَيَجْذِبُهَا أَنَّى شَاءَ ، فلا تعصيه بين الصَّعْبِ والدَّوْلُولِ ، ولا تسامه عند الحَزُونَةِ والسَّهْوِ ، كلامه يشتدّ مرّة حتى تقول الصَّخْرُ الأملس ، ويلين تارةً حتى تقول المَاءُ أو أُسْلَسَ ، يقول فيصُولُ ، وَيُجِيبُ فيصِيبُ ، وَيَكْتُبُ فيطبُقُ المَفْصِلُ ، أو يُنْسِقُ الدَّرَّ المَفْصَلَ ، وَيَرِدُ مِشَارِعَ الكلام وهى صَافِيَةٌ لَمْ تُطْرَقْ ، وَجَامَةٌ لَمْ تُرَنَّقْ^(١) ، خَاطِرُهُ الْبَرْقُ أو أُسْرِعَ لمعا ، وَالسَّيْفُ أو أَحَدُ قِطْعَا ، والماءُ أو أُسْلَسَ جَرِيًا ، وَالْفَلَكَ أو أَقْوَمَ هَدْيًا ؛ هو ممن يسهلُ الكلام على لفظه ، وتزاحمُ المعاني على طَبْعِهِ ، فيتناول المَرْمَى البعيدَ بقريب سَعْيِهِ ، ويستنبِطُ المَشْرَعَ العميقَ ببسير جَرِيهِ ، لسانُهُ يَفْلِقُ الصَّخُورَ ، وَيَغِيضُ البُحُورَ ، وَيُسْمِعُ الصَّمَمَ ، ويستنزل العَصَمَ^(٢) ، خطيبٌ لا تنالُهُ حُبْسَةٌ ، ولا ترتبُهُ لُكْنَةٌ ، ولا تتمشى في خطابه رنة ، ولا تتحفيف بيانه عُجْمَةٌ ، ولا تعترض لسانه عُقْدَةٌ .

فلان رقيق الأسَلَةِ ، عذب العَذْبَةِ^(٣) لوُضِعَ لسانُهُ على الشعر حَلَقَهُ ، أو

(١) جامة لم ترنق : ساكنة لم تعكر (٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل يعتصم بالجبال (٣) المراد من الأسلة والعذبة طرف اللسان

على الصَّخْرُ فَلَقَهُ ، أو على [الجمر أحرقه ، أو على] الصَّفاَ خرقه^(١) ؛ قد أحسن
السَّفارة ، واستوفى العبارة ، وأدَّى الألفاظ ، واستغرق الأغراض ، وأصاب
شواكلَ المراد^(٢) ، وطَبَّقَ مَفَاصِلَ السَّداد ، وبسط لسانَ الخطاب ، ومدَّ أطناب
الإطناب^(٣) ، وطلب الأمدَ في الإسهاب ، قالَ حتى قال الكلامُ : لو أغفيت !
وكتبَ حتى قالت الأقلامُ : قد أحفيت ، قد اتَّسعَ له مَشْرَعُ الإطناب ، وانفرجَ له
مَسْلَكُ الإسهاب ، أرسل لسانه في مِيدَانِهِ ، وأرخبى له من عنانه ، قال وأطال ،
وجالَ في بَسْطِ الكلام كلَّ بَجال ، إذا اسْحَنَفَر في الكلام طَفَحَ آذِيهِ ، وسال
أُتْيَهُ^(٤) ، واتَّال عليه الكلام كاشيال الغمام ، واستجاب له الخطاب كصوب
الرَّباب^(٥) . ألفاظٌ كغمزات الألفاظ ، ومعانٍ كأنها فكُّ عانٍ^(٦) ! ألفاظ
كما نورَّت الأشجار ، ومعانٍ كما تنفَّست الأسحار . ألفاظ قد استعارت حلاوة
العِتَاب بين الاحباب ، واستلَّات كَتَشَكَّى مَشاق يوم الفراق . كلامٌ قريب
شاسِعٌ^(٧) ومُطْمَع مانِع ، كالشمس تقرب ضياء ، وتبعد علاء ؛ أو كالماء
يرخص موجوداً ، ويغلو مفقوداً . كلامٌ لا تمجُّه الآذان ، ولا تبلييه الأزمان ،
كالْبُشْرَى مسموعة ، أو أزهير الرياض مجموعة ، ومعانٍ كأنفاس الرياح ،
تَغْبِقُ بِالرَّيْحَانِ والراح .

كلامٌ سَهْلٌ متسلسل ، كالدماء بماء الغمام ، يقرب إذنه على الأفهام .
كلامٌ كَبُردُ الشَّراب على الأكباد الحِرَار ، وبُردُ الشباب في خلع العِذار .
كلامٌ كثيرُ العيُون ، سَلِسُ المتون ، رقيقُ الحواشي ، سَهْلُ النواحي .

(١) الصفا : الصخر (٢) الشواكل : جمع شاكلة ، وهي ما بين الأذن والصدغ

(٣) الأطناب : الجبال ، واحدها طنْب بضمّتين ، نظير عنق وأعناق (م)

(٤) الآذَى : الموج ، والآئى : السيل ، واسحنفر : اتسع - وأصل معناه مضى

مسرعا (م) (٥) الرباب : السحاب . (٦) عان : أسير . (٧) شاسع : بعيد

كلامٌ هو السَّحَرُ الحلالُ ، والماء الزُّلال ، والبُرود والحَبَر ، والأمثال والعِبَر ،
والنعيم الحاضر ، والشباب النَّاصِر .

نظرت منه إلى صورة الظَّرَف بِحَتًّا ، وصورة البلاغة سَبَّكا ونَحَتًّا ، ألفاظٌ
هى خُدَع الدهر ، وعُقَد السحر .

كلامٌ يسرّ الحزون ، ويسهِّل الحُزُون^(١) ، ويعطل الدرّ الحزون . كلامٌ بعيد
من الكَلَف ، نَقَى من الكَف^(٢)

كلامٌ كما تنفس السَّحَر عن نسيمه ، وتبسم الدرّ غن نظيمه . ألفاظٌ تأتق
الخطر في تذهيبها ، ومعانٍ غني الفهم تَهْدِيهَا . ألفاظٌ حسبته من رِقَّتْها منسوخة
في صحيفة الصَّبَا ، وظننتها من سلاستها مكتوبةً في نَحْر الهوى .

كلامٌ كالْبُشْرَى بالولد الكريم ، قرَع به سَمْعُ الشيخ القيم .

كلامٌ قرُب حتى أطمع ، وبعُد حتى امتنع ، وقرُب حتى صار قابَ قَوْسَيْنِ
أو أدنى ، ثم [سما و] علا حتى صار بالمنزل الأعلى . رقيق المزاج ، حُلُو السماع ،
نقى السَّبَك ، مقبول اللَّفْظ . قرأت لفظاً جلياً ، حَسَى معنى خفياً ، وكلاماً
قريباً ، رَمَى غرضاً بعيداً . لو أنَّ كلاماً أُذِيبَ به صَخْر ، أو أُطْفِئَ به جَمْر ،
أو عُوفى به مريض ، أو جُبِرَ به مَهِيض^(٣) لكان كلامه الذى يقودُ سامعيه إلى
السجود ، ويجرى فى القلوب كَجَرَى الماء فى العُود . ألفاظُهُ أنوار ، ومعانيه
ثمار . كلامُهُ أنسُ المقيم الحاضر ، وزادُ الراحل المسافر . كلامُهُ يُصْنِى إليه المقبور ،
وينتفضُ له العُصفور . كلامٌ يقضى حقَّ البيان ، ويملك رِقَّ الحُسْن والإحسان ،
كلامٌ منه يحتنى الدرّ ، وبه يُعْقَدُ السَّحَر ، وعنده يُعْتَب الدهر^(٤) ، وله
يُنْشَرَحُ الصدر .

(١) الحزون : جمع حزن — بفتح الحاء — وهو ماغلظ من الأرض .

(٢) الكلف : نمش فى الوجه ، لم تسلم منه صفحة القمر ! (٣) مهيض : مكسور

(٤) يعتب : يصفو ، من أعتب إذا ترضى وأزال أسباب العتب

ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء

نثر كنثر الورد ، نَظْمٌ كنظم العقد . نثر كالسحر أو أدقُّ ، ونظم كالماء أو أرقُّ . رسالة كالروضة الأنيقة ، وقصيدة كالحذرة الرشيقية . رسالة تقطر ظرفاً ، وقصيدة تمزجُ بماء الراح لطفاً . نثره سحرُ البيان ، ونظمه قطعُ الجمان . نثرٌ كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفس السحر . نثرٌ ترقُّ نواحيه وحواشيه ، ونظمٌ تروقُ ألفاظه ومعانيه . نثرٌ كالحديقة تفتحت أهداق وبردِّها ، ونظمٌ كالتخريدة تورَّدت أسرارُ خدِّها^(١) . رسالة تضحك عن غرر وزهر ، وقصيدة تنطوي على حبر ودُرر . لم ترَضَ في برِّك ، بأخوات النثرة من نثرك ، حتى وصلتها بينات الشعرى من شعرك^(٢) . كلامٌ كاهبٍ نسيمُ السحر ، على صفحات الزهر ، ولدَّ طعمُ الكرى بعد برِّح السهر^(٣) . وشعرٌ في نفسه شاعر ، تؤسم به المواسم والمشاعر . كلامٌ أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته ، وطلاوة الربيع بطلاوته ، وشعرٌ من حلَّة الشباب مسروق ، ومن طينة الوصال مخلوق . قصيدة ، في فنِّها فريدة ، هي عروسٌ كُنُسُها القوافي ، وحليَّتها المعاني . شعرٌ يترقُّ في مائه الطبع ، ويرتفع له حجابُ القلب والسمع . شعرٌ لا مزية الإعجازِ أخطأته ، ولا فضيلة الإيجازِ تخطَّته . شعرٌ رَوَيْتُهُ لما رأيته ، وحَفِظْتُهُ لما لحظته . أبياتٌ لو جعلت خلعاً على الزمان لتحلَّى بها مكاتراً ، وتجلَّى فيها مُفَاخِراً . شعرٌ رَاقِيٌّ ، حتى شاقني ، فإنه مع قُرْبِ لفظه بعيدُ المرام ، مُمرُّ النظام^(٤) ، قوى الأسر^(٥) ، صافي البخر . نظمٌ قد ألبس من البداوة فصاحتها ، وغشَّى من الحضارة سجاجتها^(٦) ؛ فإن

(١) الحريدة : الفتاة المخدرة (٢) النثرة : اسم كوكب ؛ وكذلك الشعرى

(٣) برح السهر : شدته (٤) ممر النظام : قويه محكمه (م)

(٥) الأسر ، إحكام الحلقة (٦) السجاجة : استواء الصورة

شئت قلت عبيد ولبيد، وإن شئت حبيب والوليد^(١). قصيدته روضة تجتنى
بالأفكار، ونقل يتناول بالأسماع والأبصار^(٢)، ونقل العلم والأدب، ألد من نقل
لأكل والمشرب، وفاكهة الكلام، أطيب من فاكهة الطعام. نظم كنظم
الجمان، ورؤى كالجنان، وأمن الفؤاد، وطيب الرقاد. قصيدة لم أر غيرها بكراً،
استوفت أقسام الحنكة، واستكملت أحكام الدربة^(٣)؛ فعملها رونق
الشباب، ولها قوة المذكيات الصلاب^(٤)، روح الشعر، وتاج الدهر، ومقدمة
عساكر السحر. كل بيت شعر خير من بيت تثر. شعر يحكم له بالإعجاز والتبريز،
ويشبه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز. شعر تاتلف القلوب على درره اثتلافاً،
وتصير الأذان له أصدافاً. لله درّه ما أحلى شعره! وأنتى درّه، وأعلى قدره، وأعجب
أمره! قد أخذ برقاب القوافي، وملك رِقّ المعاني، فضله برّهان حق، وشعره
لسان صدق. فلان يُعرب بما يجلب، ويُدعُ فيما يصنع، حسن السبك،
محكم الرصف، بديع الوصف، مرغوب في شعره، متنافس في سحره. هو
ضارب في قداح الشعر بأعلى السهام، أخذ في عيون الفضل بأوفى الأقسام، شعاره
أشعاره، ودابه آدابه، هو من يبتدئه فيبتدع، طبعه يُملى عليه، ملائمة الاستماع
إليه. قريحة غير قريحة، وطبع غير طبع^(٥)، وخيم غير وخيم، لبيد عنده بليد،
وعبيد لديه من العبيد، والفرزدق عنده أقل من فرزدقة خمير^(٦)، وجريير يُقاد
إليه بجريير^(٧) قد نسج خللاً لا يُبلى جدتها الحديدان، ولا تزداد إلا حسناً على

(١) عبيد بن الأبرص: شاعر جاهلي ولبيد بن ربيعة العامري: شاعر مخضرم،
وحبيب هو أبو تمام بن أوس الطائي. والوليد هو أبو عبادَةَ الوليد البحرى: شاعران
من شعراء العصر العباسي (م). (٢) النمل: ما يتنقل به من أنواع الفواكه على الشراب

(٣) الحنكة: التجربة، والدربة: التمرين

(٤) المذكيات والمذاكي: الحيول بلغت سن القوة

(٥) غير طبع: غير لثيم، وهى من طبع السيف، على وزن علم، إذا ركه
الصدأ الكثير (٦) الفرزدقة: القطعة من العجين (٧) الجريير: الحبل.

تَرْدُدِ الْأَزْمَانِ . نَظْمُهُ قَدْ نَظَّمَ حَاشِيَتِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَأَدْرَكَ نَاحِيَتِي الشَّرْقِ
وَالْغَرْبِ . أَشْعَارُهُ قَدْ وَرَدَتِ الْمِيَاهُ ، وَرَكِبَتِ الْأَنْفَوَاهُ ، وَسَارَتْ فِي الْبِلَادِ ، وَلَمْ تَسِرْ
بِرَازٍ ، وَطَارَتْ فِي الْأَفَاقِ ، وَلَمْ تَمْسُ عَلَى سَاقٍ . شِعْرُهُ أُسِيرُ مِنَ الْأَمْثَالِ ، وَأُسْرَى
مِنَ الْخِيَالِ ، سَارَ مَسِيرَ الرِّيَّاحِ ، وَطَارَ بَغِيرَ جَنَاحٍ . أَشْعَارُهُ سَارَتْ مَسِيرَ الشَّمْسِ ،
وَهَبَّتْ هُبُوبَ الرِّيحِ ، وَطَبَّقَتْ تُخُومَ الْأَرْضِ ، وَانْتَضَمَتْ الشَّرْقُ إِلَى الْغَرْبِ .
قَدْ كَادَتْ الْأَيَّامُ تَنْشُدُهَا ، وَاللَّيَالَى تَحْفَظُهَا ، وَالْجَنُّ تَدْرُسُهَا ، وَالطَّيْرُ تَتَغَنَّى بِهَا .
أَيَّاتُ أَشْفَرِ عَنْهَا طَبْعَ الْمَجْدِ ، فَعَلِمْتُ كَيْفَ يَتَكَسَّرُ الزَّهْرُ عَلَى صَفَحَاتِ الْخَدَائِقِ ،
وَكَيْفَ يَغْرَسُ الدَّرَّ فِي رِيَاضِ الْمَهَارِقِ ^(١) . شِعْرُهُ قَدْ أَحْسَنَ خِدْمَتَهُ بِكَمَالِ فِكْرِهِ ،
وَوَقَفَ كَيْفَ شَاءَ عِنْدَ عَالِي أَمْرِهِ . شِعْرُهُ يُعَلِّقُ فِي كَعْبَةِ الْمَجْدِ ، وَيَتَوَجَّعُ بِهِ مَفْرُقُ
الدَّهْرِ . جَاءَتْ الْقَصِيدَةُ وَمَعَهَا عِزَّةُ الْمُلْكِ ، وَعَلَيْهَا رَوَاهُ الصَّدُقُ ، وَفِيهَا سِيَاءُ الْعِلْمِ ،
وَعِنْدَهَا لِسَانُ الْمَجْدِ ، وَلَهَا صَيَالُ الْحَقِّ ، لَا غُرُوبَ إِذَا فَاضَ بَحْرُ الْعِلْمِ عَلَى لِسَانِ
الشُّعْرِ أَنْ يَنْتِجَ مَا لَا عَيْنَ وَقَعَتْ عَلَى مِثْلِهِ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ بِشَبْهِهِ . شِعْرُ يَكْتُبُ فِي
غُرَّةِ الدَّهْرِ ، وَيُشْرِحُ فِي جَبْهَةِ الشَّمْسِ [وَالدَّر] .

وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضع

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي محمد خلاد الرامهرمزي القاضي
«وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وتفقدك ، وضروب برك
وتعهدك ؛ فارتحت لكل ما أوتيت ، وابتهجت بجميع ما أهديت ، وأضفت
إحسانك في كل فصل إلى نظائره التي وكلت بها ذكري ، ووقفت عليها
شكري ، وتأملت النظم فلكني العجب به ، وبهرني التعجب منه ، وقد
رمت أن أجرى على العادة في تشبيهه بمستحسن من زهر جني ، وحلل وحل ،
وشذور الفرائد ، في نخور الخرائد .

من ابن العميد
إلى خلاد
الرامهرمزي

(١) المهارق: جمع مهرق - على صفة المفعول - وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

والعذارى غَدَوْنَ فِي الحِلَالِ البِيضِ وَقد رُحْنَ فِي الخطوط السُّودِ
فلم أَرِدْ لشيءٍ عَدْلًا ، وَلَا أَرْضَى ما عَدَدْتُهُ لهُ مثلاً ؛ وَاللهُ يَزِيدُكَ مِنْ فَضْلِهِ
وَلَا يُخْلِيكَ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيُلْهِمُكَ مِنْ بَرٍّ إِخْوَانِكَ ما تَتَمَمُّ بِهِ صَنِيعَكَ لَدَيْهِمْ ،
وَيَرْبُّ مَعَهُ إِحْسَانُكَ إِلَيْهِمْ .

وكتب أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب إلى أبي سعيد الشيبى :

« قد رأى شيخُ الدولتين كيف السَّكَلَفُ سَادَتِي مِنْ أَهْلِ مِيكَالٍ - أَيَدُهُم ^{من الصاحب} ^{ابن عباد} إِلَى الله ! - بَيْنَ وَدٍّ أَضْمَرَهُ عَلَى البُعْدِ ، وَإِشَارٍ أَظْهَرَهُ عَلَى تَرَاحِي المِزَارِ ، وَتَقْرِيطٍ يَمْلِيهِ عَلَى الشَّيْبِ الْمَلَوَانِ ^(١) ، وَمَذْحٍ أَنْطَقَ فِيهِ بِلِسَانِ الزَّمَانِ ، حَتَّى إِنْ ذَكَرْتَهُمْ إِذَا جَرَى عَلَى لِسَانِي اهْتَزَّتْ لَهُ نَفْسِي ، وَفَضَّلْتَهُمْ إِذَا جَرَى عَلَى سَمْعِي انْفَرَجَ لَهُ صَدْرِي ، فَتَكَ عَصْبَةُ خَيْرٍ فَضْلُهَا بَاهِرٌ ، وَشَرْفُهَا عَلَى شَرَفِ النَّمَاءِ زَاهِرٌ ، وَشَجَرَةُ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ [ناظر] ، وَاللهُ يَتَمَمُّ أَعْدَادُهَا ، وَلَا يَعْدَمُنِي وَدَادُهَا ، وَإِذَا كَانَ إِكْبَارِي لَهُمْ هَذَا الْإِكْبَارُ فَكُلٌّ مُنْتَسِبٌ إِلَى جَنِبِهِمْ أَثِيرٌ لَدِي ^(٢) ، كَثِيرٌ فِي يَدِي . وَطَرَأَ عَلَى فُلَانٍ مُنْتَسِبًا إِلَى جَمَلَتِهِمْ ، وَحَبِذا الْجَمَلَةُ ، وَمُعْتَزِيًّا إِلَى خِدْمَتِهِمْ ، وَنِعْمَتِ الخِدْمَةِ ، فَفَرَرْنَا عَنْ طَبْعِ سَمْعٍ ^(٣) ، وَلَقَطِ عَذْبٍ ، وَصَلَةِ نَثَرٍ بِنَظْمٍ ؛ إِنْ شَاءَ قَالَ : أَنَا الْوَلِيدُ ، وَإِنْ شَاءَ قَالَ : أَنَا عَبْدُ الْجَمِيدِ ؛ وَلَمْ أُعْظِمْ مِنْ خُرْجَتِهِ تِلْكَ النِّعْمَةَ وَتَنْجَتِهِ تِلْكَ السُّدَّةَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ كُلِّ حَسَنَةٍ بَعْرُوءَةٍ ، وَيَقْدَحَ فِي كُلِّ نَارٍ بِجَدْوَةٍ ؛ وَأَنْتَسْنَا بِالْمَقَامِ مُدَّةً ، أَكْثَدَتْهَا شَوَافِعُ عِدَّةٍ ، إِلَى أَنْ تَذْكَرَ مَعَاهِدَ رَأْيٍ فِيهَا الدَّهْرَ طَلْقًا ، وَالزَّمَانَ غُلَامًا ، وَالْفَضْلَ رَهْنًا ، وَالْإِفْضَالَ إِزَامًا ؛ فَحَنَّ حَنِينَ الرَّكَّابِ ، وَرَكَبَ عَزِيمَ الْإِيَابِ ^(٤) .

فصل [من كتاب] كتبه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحد الميكاالى إلى

(١) الملوان : الليل والنهار (٢) أثير : عزيز (٣) فررناه : اخترناه ، والفر في الأصل : اخبار أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة (٤) العزيم : الجرى الشديد

أبي القاسم الداودي جواباً عن كتاب له ورد عليه . وأبو الفضل رئيس نيسابور وأعمالها في وقتنا هذا^(١) ، وسيمرُّ من كلامه ونثره ونظامه ما يغني عن التثويه ، ويكفي عن التنبيه ، ويجلُّ عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الأخفش على بن سليمان : [استهدى إبراهيم بن المدبر] أبا العباس محمد بن يزيد جليساً يَجْمَعُ إلى تآديب ولده الإمتاع يابنأسه ؛ فندبني لذلك ، وكتب إليّ معي : قد أنفذت إليك - أعزك الله - فلانا ، وجملة أمره أنه كما قال الشاعر :

إذا زُرتَ الملوك فإن حسي شفيعاً عندهم أن يحبُّروني

وفصل أبي الفضل : وقفتُ على ما أتحفني به الشيخ : من نظمه الرائق البديع ، وخطّه المُرَرِّي بزهر الربيع ، مُوشِجاً بغُررِ ألفاظه ، التي لو أُعيرت حَبِيبُهَا لَعَطَلَتْ قلائد النحور ، وأبكارِ معانيه التي لو قُسمَتْ حَلَاوَتُهَا لَأَعْدَبَتْ مَوَارِدَ البحور ، فسَرَّحْتُ طَرْفِي منها في رياضِ جادتها سحائبُ العلوم والحكم ، وهبَّ عليها نسيمُ الفضل والكرم ، وابتسمتْ عنها ثغورُ المعالي والهمم ، ولم أدر - وقد حَيَّرَتْنِي أصنافُها ، وبهرتني ثغورُها - وأوصافها ، حتى كَسَتْنِي اهتزازاً وإعجاباً ، وأنشأت بيني وبين التماسك سِتْراً وحجاباً ، ولم أدر^(٢) أدهنتني لها نَشْوَةُ راح ، أم أزدَهنتني نعمة ارتياح ، وانتظم عندي منها عقد ثناء وقريض^(٣) ، أم قرع سمعي منه غداء مَغْبَدٍ وغريص ، وكيفما كان فقد حَوَى رتبة الإعجاز والإبداع ، وأصبح نُرْهُة القلوب والأسباع ، فما من جَارِحَةٍ إلا وهي تَوَدُّ لو كانت أذناً فتلَقِّط درره وجواهره ، أو عينا تَجْتَلِي مطالعه ومناظره ، أو لساناً يَدْرُسُ محاسنه ومفاخره .

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي : « وصل كتاب مولاي وسيدى . أبدع الكتب هوادى وأعجازاً^(٤) ، وأبرعها بلاغة

من أبي الفضل
الميكالي إلى أبي
القاسم
الداودي

ومنه
إلى الثعالبي

(١) توفي أبو الفضل الميكالي سنة ٤٣٦ هـ ، وقد توفي مؤلف هذا الكتاب في سنة ٤٥٣ هـ (م)

(٢) هكذا . وكلمة « ولم أدر » تكرارها للتي سبقت (م) (٣) كذا ، ولعل

لأصل « عقد ثناء وقريض » (م) (٤) الموادى والأعجاز : البدايات والنهايات

وإعجازاً ، فحسبت ألفاظه درّ السحاب ، أو أصفى قطراً وديمة ، ومعانيه درّ السحاب^(١) ، بل أوفى قدراً وقيمة . وتأملت الأبيات فوجدتها فائقة النظم والرصيف ، عميقة النسيم والعرف ، فائزة بقداح الحُسن والطرف ، مالكة ليزم القلب والطرف ؛ ولا غرو أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هدف الفقر والنوادر ، وصدف الدرر والجواهر ، والله يُمتعه بما منحه من هذه الغرر والأوضاع ، كما أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح .

وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا [على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين] وهو فريدُ دهره ، وقريع عصره ، ونسيجٌ وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب ، تشهدُ له بأعلى الرتب ، وقد فرقت ما اخترته منها في هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشأكلته من الخطاب^(٢) ؛ منها كتاب سماه « سحر البلاغة » قال في صدر هذا الكتاب : « أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض ، ونسكت أعيان الفضل ، من بُلغاء العصر ، في النثر ، وحملت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت مُلح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر ، فلفقت جميع ذلك وحررتَه ، وسقته ونسقته ، وأنفقت عليه مارزقته ، وعملتُه بكد الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ، وتعمدتُ فيه لذة الجدة ، وروّنتُ الحداثة ، وحلاوة الطراوة ، ولم أشبهُ بشيء من كلام غير أهل العصر ، إلا في قلائل وقلائد من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخللت أثناءه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم أخل كلماته - التي هي وسائط الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتعهُ أنفُسُ

(١) السحاب : قلادة من القرنفل

(٢) كان الثعالبي فراءً يخطط جلود الثعالب ، فنسب إلى صناعته ، ثم أُقبل على الأدب والتاريخ فنبغ ، وترك طائفة من المؤلفات القيمة أشهرها بيتمة الدهر ، وكانت وفاته

الأدباء ، وتلذّ أعين الكتاب - من لفظ صحيح ، أو معنّى صريح ، أو تجنيس أنيس ، أو تشبيه بلاشبيه ، أو تمثيل بلا مُمثل ولا عَدِيل ، أو استعارة مُخْتَارَة ، أو طِبَاق ، ذى رَوْنَق باق ؛ فمن رَافَقَ هذا الكتاب قَرَبَ تناوُلُه من الكتاب ، إذا وشّوا دِيباجةَ كلامهم بما يقتبسونه من نُورِه ، وساحة قيادِه لأفراد الشعراء إذا رصّوا عقودَ نظائهم بما يلتقطونه من شذُورِه ، فأَمَّا الخطابات والمحاورات ، فإنها تتبرّج بغرّة من غُرِه ، وتُتَوَجّ بدرة من دُرِرِه .

وقد ذكر جملة مَنْ أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم : الصايان ^(١) ، والخالديّان ^(٢) ، وبديع الزمان ، وأبونصر بن المرزبان [وعلى بن عبدالعزيز القاضي ، وأبو محمد القاضي ، وأبو القاسم الزعفراني ، وأبو فراس الحمداني] ، وابن أبي العلاء الأصبهاني ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو الفتح البُستيّ ، وأبو الفضل الميكالي ، وشمس المعالي ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكّرهم في كتابه ، فكل ما مرّ أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فن كتابه نَقَلْتُ ، وعليه عَوَّلْتُ .

وفي أبي منصور يقول أبو الفتح علي بن محمد البُستيّ :
 قلبي رهين بنيسانور عند أخ ما مثله حين تُستقرى البلادُ أخُ
 له صحائف أخلاق مهذبة من الحِجَاو العُلاو والظُرفِ تُننَسَخُ
 وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فسأظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجلو من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمن .

(١) هما إبراهيم بن هلال المتوفى سنة ٣٨٤ ، وهلال بن الحسن المتوفى سنة ٤٤٨
 (٢) هما سعيد بن هاشم المتوفى سنة ٤٠٠ ومحمد بن هاشم المتوفى سنة ٣٨٠
 وكان هذان الأخوان يعرفان بالخالدين ، وكانا يشتركان في نظم الأبيات أو القصيدة وتنسب إليهما معا ، أصلهما من الخالدية - من قرى الموصل - وكانا من خواص سيف الدولة بن حمدان ، ولهما مع أهل عصرهما أخبار كثيرة

فصل لأبي الفضل : وصل كتاب الشيخ المبشر من خبر سلامته التي هي غرة الزمان البهيم^(١) ، وعذر الدهر المليم^(٢) ، بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم ، وتمت به نفائس الآلاء والنعم ، فسرحت طرفي من محاسن ألفاظه ، في أنوار تروق أزاهرها ، وقلائد تروع دُررها وجواهرها ، ومبار يسترق الرقاب باطنها وظاهرها^(٣)

وله إلى أبي سعيد بن خلف الهمداني :

وصل كتابك متحملاً من أخبار سلامتك ، وآثار نعم الله بساحتك ، ما أدى روح البر ونسيمه ، وجمع فنون الفضل وتقاسيمه ، ومجدداً عندى من عمر مواسلته ، ومعسول كلامه ومحاورته ، ماترك غصن المقة غصناً تروق أوراقه^(٤) ، ووجه الثمة طلقاً يتهلل إشراقه ، فكم جنيت عنه من ثمر مسرة كانت عوائق الأيام تحاذي بنيته ، وحويت به من علق مصة قلماً يجود الدهر بثله لبنيه^(٥) .

وله فصل إلى بعض الحكام بجوين^(٦) :

وصل كتاب الحاكم وقد وشحه بمحاسن فقره ، وتناجج فكره ، من لفظ شهى أعطته القلوب فضل المقادة ، ومعنى سنى جاده صوب الإصابة والإجادة ، وبرهنى اتفقت على الاعتراف بفضله السنة الثناء والشهادة ، فسرحت طرفي فيما حواه من بدائع وطرف ، قد جمعت في الحسن والإحسان بين واسطة وطرف ، حتى لم تبق في البلاغة يتيمة إلا جبرتها وتممتها .

وله إلى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم .

كتبت وأنا بمنزلة من ارتد إليه شبابه بعد المشيب ، وارتدى برداء من العمر

(١) البهيم : المظلم

(٢) المليم : المذنب

(٣) مبار : جمع مبرة (٤) المقة : الحب (٥) العلق : الشيء النفيس

(٦) جوين : كورة كبيرة في خراسان

قَسِيْبُ^(١) ، والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاي مبشراً من خبر عَوْدِهِ
إلى مقرِّ عزِّهِ وشرفِهِ ، محروساً في حفظ الله وكفِّهِ ، بما لم تزل الآمال تتنَّسَّم
روائحَهُ ، وتترقَّب غادىَ صُنْعِ الله فيه ورائحَهُ ، واثقةً بأنَّ عادةَ الله الكريمةَ عند
تُسَايِرِهِ وتُرَافِقِهِ ، وتلزم جناحَهُ فلا تُفَارِقُهُ ، حتى تخرجه من غَمْرَةِ الغمَاءِ خروجَ
السيف من الغمْدِ ، والبدر بعد السَّرَارِ^(٢) إلى الانجلاء ، فعددتُ يومَ وُروْدِهِ عيداً ،
أعاد عهد السُّرُورِ جديداً ، وردَّ طَرْفَ الحسود كليلاً وقد كان حديداً ،
ولم أشبَّهِهُ في إهداء الرُّوح والشفاء ، وتلافي الرُّوح بعد أنْ أَشْفَى على المكروه
كل الإشفاء^(٣) إلَّا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب عليه السلام من البشير ،
وألقاه على وجهه فنظر بعَيْنِ البصير ، فكَم أوسعته لثماً واستلاماً ، والتقطت منه
بَرْدًا وسلاماً ، حتى لم تبق غُلَّةٌ في الصدر إلَّا بَرَدَتْهَا ، ولا نَمَّةٌ في النفس
إلَّا طَرَدَتْهَا ، ولا شريعة من الأنس إلَّا وَرَدَتْهَا .

وله فصل من رسالة :

وكان فرطُ التعجب مرَّةً وعظُمُ الإعجاب تارة يقفُ بي عند أول فصل
من فصوله ، ويثبطني عن استيفاء غُرَرِهِ وحُجُولِهِ ، ويُوْهمني أنَّ المحاسنَ ماحوتُهُ
قلائدُهُ ، ونظمته فرائدُهُ ؛ فليس في قوس إحسان وراءها منزع^(٤) ، ولا لاقتراح
جَنَانٍ فوقها مُتَطَلِّعٌ ، حتى إذا جاوزته إلى لفه وتزيينه ، وأجالتُ فكري
في نُكْتِهِ وعُيُونِهِ ، رأيتُ ما يُحَيِّرُ الطَّرْفَ ، ويُعْجِزُ الوَصْفَ ، وَيَعْلُو على الأول
مَحَلًّا ومكانًا ، ويفوقه حسنًا وإحسانًا ، فرتعتُ كيف شئتُ في رياضِهِ وحدائقِهِ ،
واقبستُ نُورَ الحِكَمِ من مطالعِهِ ومُشارِقِهِ ، وسأمتُ لمعانيهِ وألفاظِهِ فضيلةَ السَّبْقِ

(١) قشيب: جديد (٢) السرار - بكسر السين - آخر ليلة من الشهر ، ولا يظهر فيها القمر (م) (٣) أَشْفَى على المكروه : أشرف عليه (٤) منزع - على وزن منبر - السير الذي ينزع به ، ويقولون : لم يبق في قوس الصبر منزع ، يريدون أن الصبر نفدت أسبابه .

والبَرَاعَةِ ، وتَلَقِّيَتِها بواجبها من النَّشْرِ والإِذَاعَةِ ؛ فإنَّها جُمِعَتْ إلى حُسْنِ الإِيجازِ
درجةَ الإعْجَازِ ، وإلى فضيلةِ الإِبْداعِ جلالَةَ الموقعِ في القُلُوبِ والأَسْماجِ .

وله من فصل :

وصل كتابُ الشَّيْخِ فَذَّشَرَ عِنْدِي من حُلُلِ إِفْضالِهِ وإِكرامِهِ ، ومحاسنِ خُطابِهِ
وكلامِهِ ، ما لم أَشَبِّهْهُ إلا بَأَنْوارِ التَّجُودِ^(١) ، وَحَبَرِ البرودِ ، وَقلائدِ العُقُودِ .

أبو منصور
التمالي يصف
أبا الفضل
الميكالي

وذكر أبو منصور التَّعالِي الأَميرُ أبا الفضلِ في كتابِ أَلْفِهِ ، فقال في بعضِ
فصولِهِ : مَنْ أرادَ أن يسمعَ سِرَّ النِّظَمِ ، وَسِحْرَ الشَّعْرِ ، ورُقِيَّةَ الدَّهْرِ ،
ويرى صَوْبَ العَقْلِ ، وذَوْبَ الظَّرْفِ ، ونتيجةَ الفَضْلِ ؛ فليستَشِدْ ما أسْفَرَ عَنْهُ
طَبْعُ مَجْدِهِ ، وأثَرَهُ على فِكرِهِ ، من مُلَحٍّ تَمْتَرُجُ بالنفوسِ لنفاستها ، وتَشْرَبُ
بالقلوبِ لسلامتها :

قوافٍ إذا ما رَوَّاهَا المشو ق هزَّتْ لَهَا الغانياتُ القُدُودا

كسَوْنَ عَبِيداً ثيابَ العَبِيدِ وَأضحى لَبِيدَ لَبِيدِها بَلِيدا

وإيمُ اللهِ ما مرَّ يومٌ أَسْعَفَنِي فيه الزَّمانُ بِمِواجِهَةٍ وَجْهِهِ ، وأَسْعَدَنِي بِالاقتباسِ
من نُورِهِ والاعترافِ من بَحْرِهِ ، فشاهَدْتُ نِمَارَ المجدِ والسُّودِ تَنْتَبِهُ من
شَمائِلِهِ ، ورأيتُ فضائلَ الدَّهْرِ عِيالاً على فضائلِهِ ، وقرأتُ نسخةَ الفَضْلِ والكَرَمِ
من أَلْحاظِهِ ، وانْتَهَبْتُ فضائلَ الفوائدِ من أَلْفاظِهِ ، إلاَّ تَذَكَّرْتُ ما أنشَدنيهِ
أَدَامُ اللهُ تَأْيِيدَهُ لابنِ الرُّومِيِّ :

لولا عجايبُ صُنْعِ اللهِ ما ثَبَّتَتْ تلكَ الفضائلُ في لَحْمٍ ولا عَصَبٍ

وقول الطائي :

فلو صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرُدِّهَا على ما فيكَ من كَرَمِ الطَّبَّاعِ

(١) التجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ، وفيه يوضع الزهر .

وقول كشاجم :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عَيْبٍ يُؤَقِّيه من العَيْنِ
وربَّعت بقول أبي الطيب :

فإنْ تَفَقَّى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
ثم استعرت فيه بيانَ أبي إسحاق الصابى حيث يقول للصاحب « وَرَثَتُهُ
الله أعمارها ، كما يَلْفَه في البلاغة أنوارها »

اللهُ حَسْبِي فَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا تَعَوَّدُ الْعَبْدُ عَلَى الْمَوْلَى
فلا تزل تَرْفُلُ في نعمةٍ أَنْتَ بِهَا مِنْ غَيْرِكَ الْأَوَّلَى

وقال في فصل منه : وما أنْسَ لا أنْسَ أيامى عنده بفيروزاباد إحدى قرأه
برستاق جُورين ، سقاها الله ما يحكى أخلاقَ صاحبها من سَيْلِ الْقَطْرِ ، فإنها
كانت - بطلْعَتِهِ الْبَدْرِيَّةِ ، وَعِشْرَتِهِ الْعِطْرِيَّةِ ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية
مع جلائل نِعَمِهِ الْمَذْكُورَةِ ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ،
ومحاسن أقواله وأفعاله التي يَعْنِيَا بها الواصفون - أتمودجات من الجنة ، التي وُعدَ
المتقون ، وإذا تذكرتها في المِزَاجِ التي هي مِزَاجُ النَّوَاطِرِ ، والمصانع التي هي
مطالع العيش الناضر ، والبساتين التي إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت
طرائف مطارفها ، طوى لها الديباج الخُشْرَوَانِي ، ونفى معها الوَشْيَ الصَّنْعَانِي ،
فلم تُشَبَّهْ إِلَّا بِشَيْمِهِ ، وآثار قلمه ، وأزهار كلمه ، تذكرت سِحراً وسياً ، وخيراً
عيميا ، وارتياحاً مُقِمياً ، وروحاً وَرِيحَاناً وَرَمِيماً

عود إلى ذكر
فصول من كلام
الميكالى

وكثيراً ما أَحْيَاكَ لِأَخْوَانِ أَنْى اسْتَفْرَفْتُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ بِحَضْرَتِهِ ، وتوقَّرت
على خِدْمَتِهِ ، وَلَا زَمْتُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَانِي عَالِي مَجَاسِهِ ، وتَعَطَّرْتُ [عند ركوبه]
بُغْبَارِ مَوْكِبِهِ ؛ فَبِاللهِ يَمِيناً كُنْتُ غَنِيّاً عَنْهَا لَوْ خَفْتُ حِمْتاً فِيهَا إِنِى مَا أُنْسَكُرت
طَرَفاً مِنْ أَخْلَاقِهِ ؛ وَلَمْ أَشْهَدْ إِلَّا مَجْدًا وَشَرَفًا مِنْ أَحْوَالِهِ . وما رأيته اغْتَابَ

غائباً ، أو سبّ حاضرًا ، أو حرّم سائلاً ، أو خيّب آملاً ، أو أطاع سلطان
الغضب في الحضر ، أو تسكّى بنار الضجر في السفر ، أو بطش بطش المتجبر ؛
ولا وجدت المآثر إلا ما يتعاطد ، والمآثم إلا ما يتخطأ .

وقال في فصل منه يصفه : وأما فنون الأدب فهو ابن بجدتها^(١) ، وأخو
جملتها ، وأبو عذرتها^(٢) ، ومالك أزميتها ، وكأنما يؤحى إليه في الاستئثار بحاسنها ،
والنفرد ببدائعها ، والله هو إذا غرس الدرّ في [أرض] القراطيس ، وطرز
بالظلام رداء النهار ، وألقت بحار خواطره جواهر البلاغة على أنامله ، فهناك
الحسن برمته ، والحسن بكليته .

وذكر عمر بن علي الطوعى في كتاب ألفه في^(٣) شعر أبي الفضل ومنثوره المطوعى يذكر
والشعراء ، فقال : رأيت أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طرق ، وانقسموا على
ثلاث فرق ، فمنهم من اكتسى كلامه شرف الاكتساب دون شرف الانتساب ثم يذكر المكي
كالمكتسبين من الشعراء بالمدائح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز والمنائح ، وهم
الأكثر من أهل هذه الصناعة ؛ ومنهم من شرفت بنات فكره عند أهل
العقول ، وجلبت لديهم فضائل القبول ، لشرف قائلها ، لا لكثرة عقائلها ، وكرم
واشيها ، لالرفة حواشيها ، كالعدد الكثير ، والجم الغفير ، من الخلفاء والأمراء
والجلاة والوزراء ؛ ومنهم من أخذ بحبل الجودة من طرفيه ، وجمع رداء الحسن
من حاشيتيه ، كأمريء القيس ابن حنجر الكندي في المتقدمين ، وهو أمير الشعراء
غير منازع ، وسيدهم غير مجاذب ولا مدافع ، وعبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين
في المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع أنشاء الدولة العباسية ، ومن

(١) ابن بجدتها : هو الخير بها ، وتقول : فلان عالم يبجدة أمرك ، أى بحقيقته

(٢) أبوعذرتها . العذرة : البكرة ، وأبوعذرها : أول من اقتضاها ، كناية عن

التفوق في أمر من الأمور (٣) لعل كلمة « في » هذه مقحمة (م)

جلَّ كلامه في التشبيه ، عن أن يُمثَّلَ بنظير أوشبيه ، وعَلَّتْ أشعاره في الأوصاف .
 عن أن تتعاطاها ألسنة الوُصَّاف ؛ والأمير أبي فراس بن خَمْدَان فارس البلاغة .
 ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبةً بالسيادة ، واعترفت لكلامه
 بالإحسان والإجادة ، حتى قال أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب : بُدِيَ
 الشعرُ بملك وخُتِمَ بملك ، يعنى امرأ القيس وأبا فراس ؛ وهذه الطائفة أشهر
 الثلاثة تقدماً ، وأثبتها في مواطن الفخر ومواطن الشرف قدماً ، وأسبق الشعراء
 في ميدان البلاغة ، وأرجحهم في ميدان البراعة ؛ فإنَّ الكلام الصادر عن الأعيان
 والصدور ، أقرُّ للعيون وأشرف للصدور ، فشرف القلائد بمن قلَّدها ، كما أن شرف
 العقائل بمن ولَّدها :

وخيَّرُ الشعرِ أكرمُهُ رجَالاً وشَرُّ الشعرِ ما قالَ العَبِيدُ
 وإذا اتفق مَنْ اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك الحسن .
 كان خليقاً بأن تُخلَّدَ في صحائف القلوب أشعارُهُ ، وتُدَوَّنَ في ضمائر النفوس
 آثارُهُ ، وتكتب على الأحداق والعيون أخبارُهُ ، وجديراً بأن يختصَّ بسرعة
 المجال في المجالس ، وخِفَّةِ المدار في المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا :
 أبا الفضل مَنْ نال السماء بفضله ومن وعدته نفسه بمزيدِ
 تودُّ عقود الدرِّ لو كنَّ لفظهُ فينظمها من تَوَّأَمَ وفريدِ

وهذه مقطعات لأهل العصر في وصف البلاغة

قال أبو الفتح البُستى :
 بمدحُك فالتامت قلائدُ لم يُفَرِّ بأمثالها الصَّيْدُ الكِرَامُ الأعَاطِمُ
 لأنك بحرٍّ والمعاني لآلي : وفكري غَوَاصٌّ وشعري ناظِمُ
 وقال أيضاً :

ما إن سمعت بنوَّارٍ له ثمَّ رُ في الوقت يُمتنعُ سَمْعُ المرء والبَصَرَا

لأبي الفتح
البُستى

حتى أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ
فكان لفظك في الألائه زهراً
تسابقاً فأصاباً القصد في طلقٍ
وقال أيضاً :

لَمَّا أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مَبْتَسِمٌ
حَكَتْ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أُسْطُرِهِ
كَأَنَّهُ أَلَمَ بِقَوْلِ الطَّائِي :
عَنْ كُلِّ بَرٍّ وَلَفْظٌ غَيْرِ مُحْدَوِدٍ ^(١)
آثَارُكَ الْبَيْضَ فِي أَحْوَالِ الشُّوَدِ

يرى أقبَحَ الأشياءِ أَوْبَةَ آمَلٍ
وأحسن من نُورٍ تَفْتَحُهُ الصَّبَا
كَسَتْهَا يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبٍ
يَبَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ
وقال أبو الفتح البستي في أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

جَمَعَ اللَّهُ فِي الْأَمِيرِ أَبِي نَصْرِ خِصَالًا تَعْلُو بِهَا الْأَقْدَارُ
رَاحَةً بَرَّةً وَصَدْرًا فِضَاءً وَذَكَاءً تَبْدُو لَهُ الْأَسْرَارُ ^(٢)
خَطُهُ رَوْضَةٌ ، وَأَفَاظُهُ الْأَرْزَاقُ هَارٍ يَضْحَكُنْ ، وَالْمَعَانِي تِمَارُ
وقال عمر بن علي المطوعى يمدحُ أبا الفضل الميكالي من قصيدة :

وإلى الأمير ابن الأمير المعلى
وطلبت بي الوجناء وجنة مهمه
كَيْمَا أَلَا حَظَّ مِنْهُ فِي أَفْقِ الْعَلَا
كَالْبَدْرِ غَيْرِ دَوَامِهِ مُتَكَامِلًا
بِالْفَضْلِ يُكْنَى وَهُوَ فِيهِ كَامِنٌ
يَا مَنْ إِذَا خَطَّ الْكِتَابَ يَمِينُهُ
بِكَمَالٍ سُودَدِهِ عَلَى الْأَمْرَاءِ
مُتَقَاذِفِ الْإِكْنَفِ وَالْأَرْجَاءِ ^(٣)
فَلَكَا يُدِيرُ كَوَاكِبَ الْعَلَمَاءِ
كَالْبَحْرِ غَيْرِ عَذُوبَةٍ وَصَفَاءِ
كَأَرَى يَسْكُنُ فِي زُلَالِ الْمَاءِ
أَهْدَى إِلَيْنَا الْوَشْيَ مِنْ صَنْعَاءِ

للمطوعى
يمدح الميكالي

(١) في نسخة «عن كل بروفصل» (م) (٢) في نسخة «راحة ثرة» والراحة : اليد ،
والثرة : التي تفيض بالعطاء (م) (٣) الوجناء : الناقة الصلية ، من الوجين ، وهي
الأرض الغليظة ، والمهمه : الوادي القفر ، ومتقاذف الإكناف : متباعد الأطراف
(١٠ - زهر الآداب ١)

لم تجرِ كَفْكُ في البياض مَوْقَعًا إِلَّا تَحَاتَّ عَنْ يَدٍ بِيضَاءِ
قَرَرُمْ مَدَاهُ وَقَابَهُ مَا مِنْهُمَا فِي النِّظْمِ وَالْإِعْطَاءِ إِلَّا الطَّائِي^(١)
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

كَلَامُ الْأَمِيرِ النَّدْبِ فِي ثَنَى نَظْمِهِ يَنْوُبُ عَنِ الْمَاءِ الزَّلَالِ لِمَنْ يَنْظُمُ^(٢)
فَنَرَوِي مَتَى نَرَوِي بَدَائِعَ نَظْمِهِ وَنَظْمًا إِذَا لَمْ نَرَوْهُ يَوْمَالَهُ نَظْمًا
وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضًا :

أَقُولُ وَقَدْ جَادَتْ جُفُونِي بِإِذْمَعٍ كَأَنِّي قَدْ اسْتَمَعْتُ نَشِيدَ مَنْ مِنَ الشَّعْبِ
وَقَدْ عَلِمْتُ بِي لِلنِّزَاعِ نَوَازِعِ كَتَمْتَنَ مَعَانَاةَ الْعَنَاءِ عَلَى قَلْبِي
إِلَى سَيِّدٍ أَوْفَى عَلَى الشَّمْسِ قَدْرُهُ وَرَادَتْ مَعَالِيهِ ضِيَاءُ عَلَى الشَّهْبِ
أَبِي الْفَضْلِ مَنْ رَاحَتْ فَوَاضِلُ كَفِّهِ وَرَاحَتِهِ تَرْنِي عَلَى عَدَدِ التَّرَبِّ^(٣)
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّ فِيهَا سَحَابًا كُنَانُهُ الْفَيَاضُ أَوْ لَفْظُهُ الْعَذْبُ
سَحَابٌ يَخْذُوهَا نَسِيمٌ كَخَلْقِهِ وَيَقْدُمُهَا بَرَقٌ كَصَارِمِهِ الْعَضْبِ^(٤)
وَلَا زَالَ أَفْلَاكُ السَّعُودِ مُطِيفَةً بِخَضِرَتِهِ تَنْتَابُهَا وَهُوَ كَالْقَطْبِ
وَقَالَ أَبُو مَنْصُورِ الثُّعَالِبِيُّ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ :

للثعالبي يمدح
الميكالي

لَكَ فِي الْفَضَائِلِ مَعْجَزَاتُ جَمَّةٍ أَبَدًا لَغَيْرِكَ فِي الْوَرَى لَمْ تَجْمَعْ
بَحْرَانِ بَحْرٍ فِي الْبَلَاغَةِ شَابَةٌ شِعْرُ الْوَلِيدِ وَحُسْنُ لَفْظِ الْأَصْمَعِيِّ^(٥)
كَالنَّوْرِ أَوْ كَالسُّحْرِ أَوْ كَالدُّرِّ أَوْ كَالْوَشْيِ فِي بُرْدٍ عَلَيْهِ مُوشَعٌ^(٦)
تَسْكُرَا فِكُمْ مِنْ فَقْرَةٍ لَكَ كَالْغَنَى وَافِي الْكَرِيمِ بَعِيدٌ فَقْرٍ مُدْقِعٌ^(٧)

(١) القرم : السيد ، والطائي في الكرم هو حاتم الطائي ، وفي النظم أبو تمام

(٢) الندب : الشهم - وهو أيضا الخفيف في الحاجة ، والنجيب (م)

(٣) ترني : يزيد (٤) الصارم العضب : السيف القاطع (٥) الوليد : هو البحترى

(٦) موشع : ذي رقوم وطرائق (٧) فقر مدقع : شديد ، لصق صاحبه بالدقعا ،

وعنى التراب .

وإذا تفتق نورُ شعركَ ناضراً فالحسنُ بينَ مرصعٍ ومُصرَّعٍ
أرجلتُ فرسانَ الكلامِ ورُضتُ أفراسَ البديعِ وأنتَ أمجدُ مُبدعِ
ونقشتَ في فصِّ الزمانِ بدائعاً تَزرِي بآثارِ الربيعِ المَعرِجِ^(١)
[وقال في وصف فرس أهداد إليه ممدوحه :

وللشعالي في
وصف فرس

يأْمُدِي الطَّرْفَ الجَوَادِ كَأَنَّمَا قد أُنْعِمَ بالرياحِ الأَرَبِ^(٢)
لأشئٍ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَّا خَاطِرِي في شُكْرِ نَائِلِكَ اللطيفِ المَوْقِعِ
وَمَا أَنَّنِي أَنْصَفْتُ فِي إِكْرَامِهِ جَلالَ مُهْدِيهِ الكَرِيمِ الأَرَوَعِ^(٣)
أَنْظَمْتُهُ حَبَّ القَلْبِ لِحُبِّهِ وجعلتُ مرْبَطَهُ سَوَادَ المَدَامِعِ
وخلعتُ ثم قطعْتَ غيرَ مُضَيِّقٍ بَرْدَ الشَّبَابِ لِحُلَّةِ والبَرْقِ
وكتبَ إليه في جواب كتاب ورد عليه :

للشعالي جواباً
على الميكالي

أَنسِمُ الرِّيَاضَ حَوْلَ الغَدِيرِ مَا رَجَّهَ رَبِّيَا الحَبِيبِ الأَثِيرِ^(٤)
أَمْ وَرُودَ البَشِيرِ بِالنَّجْحِ مِنْ فَكِّ أَسِيرٍ أَوْ يُسْرَ أَمْرِ عَسِيرِ
فِي مُلَاءٍ مِنَ الشَّبَابِ جَدِيدٍ تَحْتَ أَيْدِكَ مِنَ التَّصَابِي نَضِيرِ^(٥)
أَمْ كِتَابُ الأَمِيرِ سَيَدِنَا الفَرِّ دِي فَيَا حَبْذا كِتَابُ الأَمِيرِ
وَتِمَارِ الصَّدُورِ مَا أَجْتَنِيهِ مِنْ سَطُورٍ فِيهَا شِفَاهُ الصَّدُورِ
تَمَقَّمَهَا أَنَامِلٌ تَفْتَقُ الأَنْوَارَ وَالزَّهْرَ فِي رِيَاضِ السَطُورِ
كَأَلَمْنِي قَدْ جُمِعْنَ فِي التَّمَعِ الفَرِّ مَعَ الأَمْنِ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْورِ
يَا أَبَا النُّضَلِ وَابْنَةَ وَأَخَا جَلَّ بَارِكُكَ مِنَ لَطِيفِ خَيْرِ
شَيْمٍ يَرْتَضِعْنَ دَرَّ المَعَالِي وَيَعْتَمِرْنَ عَنْ نَسَمِ العَبِيرِ

(١) المَرِجُ : المَعْلُومُ . بِالْكَلا : والعُشْبُ (٢) الطَّرْفُ : الحِصَانُ

(٣) الأَرَوَعُ : التَّدَكِّي الرُّوعُ . بِضَمِّ الرَّاءِ . وَهُوَ الْفَوَادُ

(٤) الأَثِيرُ : العَزِيزُ (٥) الأَيْدِ : الشَّجَرُ الثَّائِفُ

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ لَدَى النُّشْرِ رُضَابُ الْحَيَا بِأَرْوَى مَشُورٍ^(١)
وَمُحْيَا لَدَى الْمَلُوكِ مُحْيَا صَادِقُ الْبُشْرِ مُخْجِلُ الْبُدُورِ
فَأَجَابَهُ أَبُو الْفَضْلِ بِأَيَّاتٍ يَقُولُ فِيهَا فِي صِفَةِ أَيَّاتِهِ :

جواب الميكالي
على أيات
الثعالي

وَهَدَى زَفَّتْ إِلَى السَّمْعِ بِكَرٍ تَهَادَى فِي حِلْيَةٍ وَشُدُورٍ^(٢)
عَجِبَ النَّاسُ أَنْ بَدَتْ مِنْ سَوَادٍ فِي بَيَاضِ كَالْمِسْكِ فِي الْكَافُورِ
نَظَّمَتْ فِي بِلَاغَةٍ وَمَعَانٍ مِثْلَ نَظْمِ الْعُقُودِ فَوْقَ النَّحُورِ
كَمْ تَذَكَّرْتُ عِنْدَهَا مِنْ عُهُودٍ لِلتَّلَاقِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ نَضِيرِ
فَذُمَّتْ الزَّمَانَ إِذْ ضَنَّ عَنَا بِاجْتِمَاعٍ يَضُمُّ شَمْلَ السَّرُورِ
وَلَنْ رَاغِبًا الزَّمَانَ بَيْنَيْنِ أَلْبَسَ الْأُنْسَ ذِلَّةَ الْمُهْجُورِ
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يُعِيدَ اجْتِمَاعًا فِي أَمَانٍ مِنْ حَادِثَاتِ الدَّهْورِ
إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى رَدِّ مَا فَاتَا تَوَيْسِيرَ كُلِّ أَمْرٍ عَسِيرِ

للصابي يمدح
الوزير المهلب

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هَلَالٍ الصَّابِي فِي الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ :
قُلْ لِلْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ الَّذِي قَدْ أَعْجَزَتْ كُلَّ الْوَرَى أَوْصَافُهُ
لَكَ فِي الْمَجَالِسِ مَنْطِقُ يَشْفِي الْجُلُوعَى وَيَسُوعُ فِي أُذُنِ الْأَدِيبِ سُلَافُهُ^(٣)
وَكُنَّ لَفْظُكَ جَوْهَرٌ مَتَنَخَلٌّ وَكُنَّا أَدَانَا أَصْدَافُهُ^(٤)

ترجمة الوزير
المهلب
والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد
ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وزير لأحمد بن بويه الديلمي ، وكانت وزارته سنة تسع
وثلاثين وثلثمائة ، وكان أبو محمد من سَرَوَاتِ النَّاسِ وَأَدْبَائِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ ؛
وفيه يقول أبو إسحاق الصابي :

(١) الأرى : العسل ، والمشور : المصفى ، تقول : شارب العسل واشتاره ، إذا صفاه
من الأقراص (٢) الهدى - على وزن غنى - هى العروس ، والشذور : قطع الذهب -
واحدها شذرة (م) (٣) السلاف - بضم السين - فى الأصل : الحمر (م)
(٤) متنخل - بالخاء المعجمة - مختار

نَعَمْ اللهُ كَالْوَحْشِ فَمَا تَأْتِي إِلَّا الْأَخَايِرَ التَّسَاكَا
نَفَرَتْهَا آثَامُ قَوْمٍ وَصَيَّرَ نَ لَهَا الْبَرَّ وَالتَّقَى أَشْرَاكَ
وكان قبلَ اتّصاله بالسلطان سائحاً في البلادِ ، على طريق الفقرِ والتصوّفِ ،
قال أبو علي الصوفي : كنت معه في بعض أوقاته ، أماسيه في إحدى طرقاته ،
فضجّر لضيقِ الحال ، فقال :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فهذا العيشُ مالا خَيْرَ فِيهِ
أَلَا رَجِمَ الْمُهَيِّمِمْ نَفْسَ جَرٍّ تصدّقْ بالوفاةِ على أخيه

ثم تصرف بما يُرضيه الدهرُ ، وبلغ المهلى مُبلّغه . قال أبو علي : دخلت البصرة
فاجترت بسرّاً من رأى ، وإذا أنا بناشطيات وحرقات وزيارب وطيّارات في
عُدّةٍ وعدّد ، فسألتُ : لِمَنْ هذا ؟ فقيل : للوزير المهلبى ، ونعتوا إلى صاحبه ؛
فوصلتُ إليه حتى رأيته ، فكتبتُ إليه رقعة ، وتوصّلتُ حتى دخلتُ فسلمتُ ،
وجلستُ حتى خلا مجلسه ، فدفعتُ إليه الرقعةَ وفيها :

أَلَا قُلُوبُ الْوُزَرِ بِلَا اخْتِشَامٍ مقال مُذَكَّرٍ ما قد آسِيه
أَتَذَكِّرُ إِذْ تَقُولُ لَضِيقِ عَيْشٍ « أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ »

فنظر إلىّ وقال : نعم ، ثم نهض وأنهضنى معه إلى مجلس الأُنس ، وجعل
يُذَاكِرُنِي مَا مَضَى ، وَيَذَكِّرُنِي كَيْفَ تَرَقَّتْ حَالُهُ ، وَقَدَّمَ الطَّعَامَ فَطَعِمُنَا ،
وَأَقْبَلَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْعُلَمَاءِ عَلَى رَأْسِ أَحَدِهِمْ ثَلَاثُ بَدَرٍ ^(١) ، وَمَعَ الْآخَرِ تَحَوُّتٌ
وُثْيَابٌ ، وَمَعَ الْآخَرِ طِيبٌ وَبَخُورٌ ، وَأَقْبَلَتْ بَغْلَةٌ رَائِعَةٌ بِسَرَجٍ ثَقِيلٍ ؛ فَقَالَ :
يَا أَبَا عَلِيٍّ ؛ تَفَضَّلْ بِقَبُولِ هَذَا ، وَلَا تَتَخَلَّفْ عَنْ حَاجَةِ تَعْرِضٍ لَكَ ، فَشَكَرْتَهُ
وَانصرفت ، فلما هممتُ بالخروج من الباب استردّنى وأنشدنى بديها :

رَقَّ الزَّمَانُ لِفَاقَتِي وَرَثَى لَطُولَ تَحَرُّقِي

(١) البدر : جمع بدرة . وهى كينس الدنانير

وأنالني ما أرتجى وأجارَ ممّا أتقى
فلا غفرَنَ له الكُثيرَ من الذنوبِ السَّيِّئِ
إلاّ جنائِته التي فعلَ المشيبَ بِفَرَقٍ^(١)

منزلة العقل وطريق رياضته
قال بعضُ العلماء : العقول لها صُورٌ مثلُ صورِ الأجسام ، فإذا أنت لم تسلكْ
بها سبيلَ الأدبِ حارَتِ وضَلَّتْ ، وإن بعثتها في أوْدِيَتِها كَلَّتْ ومَلَّتْ ، فاسلكْ
بعقلك شِعَابَ المعاني^(٢) والفهم ، واستنْبِقْه بِالْجِأَمِ للعلم^(٣) ، وارْتَدِّ لعقلك أَفْضَلَ
طبقاتِ الأدبِ ، وتَوَقَّ عليه آفَةُ الْعَطَبِ ؛ فإنَّ العقلَ شاهدُك على الفضلِ ،
وحارسُك من الجهلِ .

واعلمْ أَنَّ مغَارِسَ العقولِ كمغارسِ الأشجارِ ؛ فإذا طابت بِقَاعُ الأرضِ
للشجرِ زكَأ ثَمَرُهَا ، وإذا كَرُمَتِ النفوسُ للعقولِ طابَ خَيْرُهَا ، فاعْمُرْ نَفْسَكَ
بالكرمِ ، تَسَلِّمْ مِنَ الْآفَةِ وَالسَّقَمِ .

واعلمْ أَنَّ العقلَ [الحسن] في النفسِ اللّثيمة ، بمنزلةِ الشجرةِ الكرّيمةِ في
الأرضِ الذميمةِ ، ينفعُ بثمرها على خُبثِ الْمَغْرَسِ ؛ فاجتَنِ ثَمَرَ العقولِ وإنْ أَتَاكَ
من لِثَامِ الْآنَفِ . [وقال النبي عليه السلام : « ربّ حاملٍ فقهٍ إلى مَنْ هو أَوْعَى
له » . وقيل : رب حامل فقه غير فقيه ، ورب رمية من غير رام] .

الحكمة
وواجب العاقل
إزاءها
وقيل : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، أينا وجدها أخذها . وسمعَ الشَّعْبِيُّ الْحِجَاجِ
ابن يوسف وهو على المنبر يقول : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَنَاءَ ، وَعَلَى
الْآخِرَةِ الْبَقَاءَ ، فَلَا فَنَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْبَقَاءُ ، وَلَا بَقَاءَ لِمَا كُتِبَ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ،
فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ شَاهِدُ الدُّنْيَا عَنْ غَائِبِ الْآخِرَةِ ، وَأَقْصِرُوا مِنَ الْأَمَلِ ، لِقِصَرِ الْأَجَلِ .

(١) وكانت وفاة الوزير الأتلي سنة ٣٥٢ (٢) الشعاب : جمع شعب - بكسر الشين -
وهو الطريق في الجبل (٣) اجمام - بكسر الجيم - الراحة .

فقال : كلامُ حكمةٍ خَرَجَ من قلبِ خَرَابٍ ! وأخرج المواجه فكتب
وقد روى ذلك عن سفيان الثوري .

وقد سمع إبراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر ويقول : إن يوماً أشاب
الصغير ، وأسكر الكبير ، ليومٌ شرُّه مُستَظير !

وصف الكتب

قال الجاحظ : الكذب وعاءٌ مليٌّ عِلْماً ، وظرفٌ حشِيٌّ ظَرْفاً ، وبُستَانٌ
يُحْمَلُ في رُدنٍ^(١) ، وروضةٌ تَقَلِّبُ في حجرٍ ، ينطق عن الموتى ، ويُتَرَجِمُ كلامُ
الأحياء .

وقال : من صَنَّفَ كتاباً فقد استهدف^(٢) ؛ فإن أحسن فقد استعطف ، وإن
أساء فقد استقذف^(٣) .

وقال : لا أعلم جاراً أبرَّ ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوع ، ولا مُعلِّماً
أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقلَّ حنايةً ، ولا أقلَّ إملالاً وإبراماً ، ولا
أقلَّ خلافاً وإجراماً ، ولا أقلَّ غيبةً ، ولا أبعد من عضيبة^(٤) ، ولا أكثر أعجوبة
وتصرفاً ، ولا أقلَّ صلفاً وتكلفاً ، ولا أبعد من مرأى ، ولا أترك إشغب ، ولا أزهد
في جدال ، ولا أكفَّ عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم قريناً أحسن مؤاتاةً ، ولا
أعجل مكافأةً ، ولا أحضر معونةً ، ولا أقلَّ مئونةً . ولا شجرةً أطولَ عمراً ، ولا
أجمع أمراً ، ولا أطيب ثمرةً ، ولا أقرب مُجْتَنًى ، ولا أسرع إدراكاً كافي كلِّ أوانٍ ،
ولا أوجد في غير إيدٍ ، من كتاب . ولا أعلم تشجافاً حدائثه سنه . وقرب ميلاده ،
ورخص ثمنه ، وإمكان وجوده ، يجمع من الندائير الحسنة ، والعلوم الغريبة . ومن
آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار عن القرون الماضية . والبلاد المتراخية ،
والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يُجمع الكتب .

(١) الردن : الكم (٢) استهدف : صير نفسه هدفاً للبهام النقد

(٣) استقذف : عرض نفسه للقذف (٤) العضيبة : الإفات وعمد الكتب

وأدخِل الرشيد على المأمون وهو يَنْظُرُ في كتابٍ ، فقال : ما هذا ؟ فقال :
 أُمون يصف كتاب لأبيه الرشيد
 كتاب يشجذُ الفكرة ، ويحسنُ العِشرة . فقال : الحمد لله الذي رزقني مَنْ يرى
 بعَيْن قلبه أكثرَ مما يرى بعين جسمه .

وقيل لبعض العلماء : ما بلغَ من سرورك بأدبك وكُتُبِكَ ؟ فقال : هي إن
 خلوتُ لذتي ، وإن اهتممتُ سَلَوَتِي ، وإن قلتَ : إنَّ زَهْرَ البستان ، ونور
 الجمان ، يَحُلُونِ الأبصار ، ويُمتِعَانِ بحسَنهما الأَحوالَ ؛ فإن بستانَ الكتب
 يَحُلُو العقل ، وَيَشجذُ الذهن ، ويُحيي القلب ، ويقوّي القريحة ، ويُعين الطبيعة ،
 وَيُبعثُ نتائجَ العقول ، ويستثيرُ فأنَّ القلوب ، ويُمتِعُ في الخُلُوةِ ، ويؤنسُ في
 الرَّاحَةِ ، ويُضحكُ بنوادره ، ويُسرُّ بغرائبه ، ويقيد ولا يستفيد ، ويُعطى ولا
 يأخذ ، وتصلُ لذته إلى القلب ، من غير سامة تُدْرِكُك ، ولا مشقة
 تُعرِّضُ لك .

وقال أبو الطيب المتنبي :

وللسرِّ مَنى مَوْضِعٌ لا يَنَالُهُ لأنَّ الطيب المتنبي
 وَلِالخُودِ مَنى سَاعَةٌ ، ثُمَّ يَبِينُنَا
 وما العشقُ إِلَّا غِرَّةٌ وطَمَاعَةٌ
 وَغَيْرُ فَوَادِيٍّ لِلْغَوَايِ رَمِيَّةٌ
 تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ الْقَمَاءِ كُلِّ لَذَّةٍ
 نَصْرَفُهُ لِلطَّاعِنِ فَوْقَ سَوَاحِجِ
 أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَا سَرَجُ سَابِجٍ
 نَدِيمٌ ، وَلَا يُفِضِي إِلَيْهِ شَرَابُ
 فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ اللِّقَاءِ تَجَابُ^(١)
 يُعَرِّضُ قَلْبَ نَفْسِهِ فَيُصَابُ
 وَغَيْرُ بَنَانِيٍّ لِلرَّخَاخِ رِكَابُ^(٢)
 فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَ لِعَابِ^(٣)
 قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَ مِنْهُ كِعَابُ^(٤)
 وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

(١) انخود : الفتاة الجميلة . وتجاب : تقطع (٢) رمية : فريسة ، والرخاخ : جمع

رخ . وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو الملاعبة (٤) السواحج . الخيول .

والكتب : أطراف القما

فقر في الكتب

إنفاق الفضة على كتب الآداب ، يُخلفك عليه ذهاب الألباب . إن هذه الآداب شَوَّارِد ، فاجعلوا الكتب لها أزيمة . كتاب الرجل عنوان عقله ، ولسان فضله . ابن المعتز : مَنْ قرأ سَطْرًا من كتاب قد خطَّ عليه فقد خان كاتبه ؛ لأن الخط يُحرز ماتحته .

بزرجمهر : الكتب أضداف الحكم ، تنشق عن جواهر الكلم .
بعض الكتاب : إعجام الخط يمنع من استعجابه ، وشككه يؤمن من إشكاله .
كان هذا الكاتب نجحاً إلى قول أبي تمام :
ترى الحادث المستعجم الخطب معجماً لديه ، ومشكولاً إذا كان مُشكِلاً
ما كُتِبَ قرءً ، وما حُفِظَ قرءً . الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلمة .
وقال ابن المعتز يصف كتاباً :

وذى نكت موشى نَمَقَتُهُ وحاكته الأناملُ أىَّ حَوَكٍ
بشكل يَرَفَعُ الإشكالَ عنه كأن سطورَه أغصانُ شوكٍ

جملة من ألفاظ أهل الضر

في صفة الكتب وتهاديها ، وما يتعلق بأسمائها ومعانيها

حضرة مولاي تَجَلُّ عن أن يُهْدَى إليها غيرُ الكتب ، التي لا يترفع عنها كبير ، ولا يمتنع منها خطير ، وقد فُكِّرَتْ فيما أنفذت به مقيماً للرَّسْم في جملة الخدم ، وحافظاً للاسم في غمار الخشم ، فلم أجد إلا الرِّقَّ الذي سبق ملكه له ، والمال الذي منحه وخوله ، فعدلتُ إلى الأدب الذي تَنفُقُ سوقه بباب سيدنا ولا تكسد . وتهبَّ ريحه بجانبه ولا تتركُد . وأنفذت كتابي هذا راجياً أن أشرَّفَ بقبوله ، ويوقع إلى بحصوله ؛ وأما وجب على ذوى الاختصاص لسيدنا إهداء ما جرت العادة بتسابق الأولياء إلى الاجتهاد في إهدائه^(١) ، وجب العدولُ في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع

(١) في نسخة « بتسابق الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه » (م)

ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتجل عند ذوى الألباب قيمته ، وتحو
ثمرته : وهو عَمُّ يُقْتَنَى ، وأزب يُحْتَسَى .

قال أبو الحسن بن طباطبا القنوي : لا بن طباطبا

لَا تُشْكِرَنَّ إِهْدَاءَنَا لَكَ مَنْطِقًا مِنْكَ اسْتَفْدْنَا جُسْنَهُ وَنِظَامَهُ
فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَشْكُرُ فِعْلَ مَنْ يَتَنَوَّعُ عَلَيْهِ وَخِيَهُ وَكَلَامَهُ
وأهدى أحمد بن يوسف ^(١) إلى المأمون في يوم مهرجان هدية قيمتها ألف
ألف درهم ، وكتب :

لأحمد بن
يوسف

على العبد حقٌّ فهو لأبدٍ فاعله وإن عظم المولى وجلَّت فضائله
ألمَّا ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى وهو قارب له
وقال أبو الفتح البستي :

لأبي السح
المنفى

لَا تُشْكِرَنَّ إِذَا أَهْدَيْتَ نَحْوَكَ مِنْ عِلْمِكَ الْغَرَّ أَوْ آدَابِكَ التَّخَفَّافَ
فَقِيمُ الْبَاغِ قَدْ يَهْدِي لِمَا لَكَ بِرِسْمِ خِدْمَتِهِ مِنْ بَاغِهِ التَّخَفُّافُ ^(٢)

لأبي إسحاق
الصابي

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى عضد الدولة في هذا المعنى : العبيد تُلَاطِفُ
وَلَا تُكَاثِرُ الْمَوَالِي فِي هَدَايَاهَا ، وَالْمَوَالِي تَقْبَلُ الْمِسُورَ مِنْهَا قَبُولًا هُوَ مُحْسَبٌ فِي
عَطَايَاهَا . وَمَا كَانَ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّادًا - مَبْرَرًا عَلَى مُلُوكِ الْأَرْضِ فِي الْخَطَرِ
الَّذِي قَصَّرُوا عَنْهُ شَدِيدًا ، وَالسَّعْيِ الَّذِي وَقَفُوا عَنْهُ بَعِيدًا ، وَالْآدَابِ الَّتِي عَجَزُوا عَنْ
اسْتِعْلَامِهَا فَضْلًا عَنْ عِلْمِهَا ، وَالْأَدَوَاتِ الَّتِي نَبَّكَوْا ^(٣) عَنْ اسْتَقْبَالِهَا فَضْلًا عَنْ فَهْمِهَا ،
وَجَبَ أَنْ يُعَدَّلَ عَنْ اخْتِيَارَاتِهِمْ فِيمَا تَخَطَّى بِهِ الْجُسُومُ الْبَيْمِيَّةُ ، إِلَى اخْتِيَارِهِ

(١) أحمد بن يوسف : كاتب بايع كان يثول ديوان الرسائل للمأمون . وله أخبار
كثيرة تدل على أنه كان مع مركزه في الدولة كثير العبث واخون . شتمه رجل بين
يدي المأمون فقال مخاطب المأمون : فذوالله يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين
به . وسيعود صاحب رشر الآداب في الكلام عنه في مدد مواضع . كتاب سنة ٣١٣
(٢) الباغ : الطيب (٣) نكل عن الشيء . - من باب تضرع حرب ورجح . - من و آخر (م)

فما تحظى به النفوس العلية ، وما ينفق في سوقهم العامة . إلى ما ينفق في سوقه الخاصة ، إفراداً لرُبَّتَيْهِ العليا ، وغايته القسوى ، وتميزاً له عن لا يخرى معه في هذا المضمار ، ولا يتعلق منه بالغبار : وقد حملت إلى الخزانة - عمرها الله - شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم ، فإن رأى مولانا أن يتطول^(١) على عميده بالإذن في عرض ذلك عليه مُشرفاً له وزائداً في إحسانه إليه فعَلَّ إن شاء الله تعالى .

وأهدى أبو الطيب المتنبي إلى أبي الفضل بن العميد في يوم نوروز قصيدة من أبي طيب مدحه فيها^(٢) يقول في آخرها :

كَثُرَ الْفِكْرُ كَيْفَ تُهْدَى كَتَبِي إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادَةُ
وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ قَمِينَةٌ هِبَةٌ وَفِيَادَةُ
فَبِعَنَّا بِأَرْبَعِينَ مِهَارٍ كُلُّ مَهْرٍ مِيدَانُهُ إِشَادَةُ
فَارْتَبِطْهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادُ جِيَادُهُ

وفي هذه الكمية يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد في تجويد الفاظها ومعانيها . فعقب عليه أبو الفضل في مواضع وقف عليها فقال^(٣) :

هَلْ تُعْذِرُنِي إِلَى الْهِمَامِ أَبِي الْفَضْلِ قَبُولُ سَوَادٍ عَيْنِي
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْخِيَاءِ عَائِلٌ مَكْرُمَاتٍ تُعْبِئُكُمْ عِدَّةً عَائِلٌ
مَا لَفَنَانِي تَقْصِيرٌ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنْ عِلَادَةٍ حَتَّى تُنَادِيَ الْمَقْدَامَ

(١) يتطول : يتفضل (م) (٢) منطلع هذه القصيدة :

حاج ، نبروزنا وأنت مراده وورث بالذي أراد زناده .

(٣) ليس الأمر كما ذكر المؤلف . وإنما لاحظ ابن العميد ملاحظته على المتنبي في

قصيدة الرائية التي سيشرح فيها المؤلف بعد ذلك . فذهب بقوله الأول

في تصاعيف الدالية التي قصد بها تهنئة ابن العميد يوم نوروز

(٤) إبعاله : من إضافة جمع متعالي إلى مضمونه

ما تَعَوَّدْتُ أن أرى بكأبي الفضل ، وهذا الذي أتاه اعتياده
 غمّرتني فوائدٌ شاءَ منها أن يكون الكلامُ ممّا أفاده
 ما سمعنا بمن أحبّ العطايا فاشتى أن يكون منها فواده
 وقد كان مدحه بقصيدته التي أولها :

بادٍ هَوَاكَ صَبَرْتُ أَمْ لَمْ تَضَيِّرَا وَبُكَاءُكَ إِنْ لَمْ يَجْرِدْ مُعْكَ أَوْ جَرَى
 وفيها معاني مختصرة ، وأبيات مبتدعة ، يقول فيها :

من مُبْلَغُ الأعرابِ أتَى بَعْدَهَا جالَسْتُ رَسْطاليسَ والإِسْكَندِرا
 ومَلَأْتُ نَحْرَ عِشَارِها فَأُضَافِي مِنْ يَنْحَرُ البِدَرِ النُّضارِ لِمَنْ قَرَى ^(١)
 وسمعتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ مَتَمَلِّكًا مَتَبَدِّيًا متَحَضِّرًا ^(٢)
 ورأيتُ كُلَّ الفاضِلينَ كَأَنَّمَا رَدَّ الإِلَهُ نَفوسَهُم والأَعْصَرَا
 نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الحِسابِ مَقْدَمًا وَأَتَى بِذلِكَ إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرَا
 وفيها يقول :

فَدَعَاكَ حُسْدُكَ الرِّيسَ وَأَمْسَكُوا وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرِّيسَ الأَكْبَرَا
 خَلَقْتَ صِفَاتُكَ فِي العِيونِ كَلَامَهُ كَالخَطِّ يَمْلَأُ مِسمَعِي مَنْ أَبْصَرَا
 أخذه من قول الطائي يصف قصائده :

بِقُرْبِ يَرَاهَا مِنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ وَيَدُنُو إِلَيْهَا ذَوُ الحِجَا وَهُوَ شَاعِرٌ ^(٣)

[فقرر في وصف الكتب]

كتاب كَتَبَ لِي أَمَانًا مِنَ الدَّهْرِ ، وَهَنَانِي فِي أَيَّامِ العَمْرِ . كتاب أوجب
 من الاعتداد فوق الأعداد ، وأودع بياض الوداد سواد الفؤاد . كتاب النظر فيه

(١) البدر : جمع بدرة ، وهى الكيس فيه عشرة آلاف دينار ، والنضار - بالضم -
 الذهب ، وقرى : أضاف (٢) متبديا : فى أخلاق أهل البداوة (٣) شاع : بعيد

نعيم مقيم ، والظفرُ به فتح عظيم . كتاب ارتحت لعيانه ، واهتزرت لعنوانه .
 كتاب هو من الكتب الميامين ^(١) ، التي تأتي من قبل اليمين . كتاب عددته
 من حُجول العمرِ وغرره ^(٢) ، واعتدَدته من فُرص العيش وُعُرَره ^(٣) .
 كتابٌ هو أنفُس طالع ، وأَكْرَم متطلع ، وأَحْسَن واقع ، وأَجَلُ
 متوقع . كتابٌ لو قُرئ على الحجارَةِ لَانْفَجَرَتْ ، أو على الكواكب
 لانتَثَرَتْ . كتابٌ كَدْتُ أُبْلِيه طيًّا ونشراً ، وقبَلْتُهُ أَلْفَا ، وَيَدَ حامله
 عشراً . كتابٌ نَسِيتُ لحسنه الرُّوضَ والزَّهرَ ، وغفرتُ للزمانَ ما تقدَّم من
 ذنبه وما تأخَّر . كتابٌ أُمْلِيَتْهُ هِرَّةٌ المجدِ على بنانِك ، ونَطَقَ به لسانُ الْفَضْلِ
 عن لسانك . أنا أَلْتَقِطُ من كلِّ حَرْفٍ تَدِيرُهُ أَنَا مُلْكُ مُخَفَّةٍ ، وَأَخْذُ
 من كل سطر تتجشَّمُ تخطيطَه نُزْهَةٌ . إذا قرأت من خطك حَرْفًا ، وجدتُ
 على قلبي خِيفًا ^(٤) ، وإذا تأملت من كلامك لفظًا ، ازددتُ من أنْسي حَظًّا .
 كتاب كتبَ لي أمانًا من الزمان ، وتوقَّعَ وقعَ مِسيٍّ مَوْقِعَ المَاءِ من
 العطشان . كتاب هو تَعَلَّةُ المسافر ^(٥) ، وأنْسَةُ المستوحش ، وزبدة الوصال ،
 وعُقْلَةُ المُستوفز ^(٦) . كتاب هو رُقية القلب السليم ^(٧) ، وغرَّة العيش البهيم ^(٨) .
 كتابٌ هو سَمَرٌ بلا سَهَرٍ ، وصفوٌ بلا كَدَرٍ . كتابٌ تَمَتَّعتُ منه بالنعيم
 الأبيض ، والعيش الأخضر ، واستلتمته استلام الحجر الأسود ^(٩) ، ووكلتُ
 طرفي من سَطُورِهِ بوشى مُهَلَّلٍ ، وتاج مُكَلَّلٍ ، وأودَعْتُ سَمْعِي من محاسنه

(١) الميامين : جمع ميمون (٢) الحُجول : جمع حجل ، وهو بياض في القوائم تجمل به
 الخيول ، والغرر : جمع غرة ، وهي بياض في الجبهة (٣) غرر : جمع غرة بكسر القين وهي
 النزق ، وقد يحلو في الشباب (٤) الخف والخفة : الارتياح (٥) تعلقة المسافر :
 ما يتلوه به لقطع الوقت (٦) المستوفز : المتبهيء للوثوب (٧) السليم : الملدوغ
 (٨) البهيم : المظلم (٩) يريد أنه استلمه مقيمنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى
 الله باستلام الحجر الأسود

من أنساني سماع الأغاني من مطربات الغواني^(١). نشأت سحابة من لفظك ،
 غيّمها نعمة سابعة ، وغنيها حكمة بالغة ، سقت روضة القلب ، وقد
 جهدتها يد الجذب^(٢) ؛ فاهتزت ورّبت ، واكتست ما اكتسبت .
 كتاب حسبه ساقطاً إلى من السماء ، اهتزازاً لمطلعه ، رابتهاجاً بحسن
 موقعه ، تناولته كما يتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يفضّ الرّحيقُ
 الخثوم^(٣) . كتاب كالمشترى شرف به المسير ، وقميص يوسف جاء به
 البشير . كتاب هو من الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، وفي شرح
 النفس وبسط الأنس برّد الكبد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان
 يعقوب . قد أهديت إلى محسن الدنيا مجموعة في ورقه ، ومباهج الحلى والحلل
 محصورة في طبقه . كتب الصقته بالقلب والكبد ، وشمته شمّ الولد .
 ورد منك المسك ذكياً ، والزهرة جنيّاً ، والماء مريّاً^(٤) ، والعيش هنيّاً ،
 والسحر بابل^(٥) . كتاب مطاعه أهلة الأعياد ، وموقعه موقع نيل المراد .
 كتاب وجدته قصير العمر ، كليالي الوصال بعد الهجر ، لم أبدأ به حتى
 استكمل ، وفارب الآخر منه الأوّل . كتاب منتقض الأطراف ، منقطع
 الأكتاف ، أبتر الجوارح ، مضطرب الجوانح ، كتاب كأنه توقيع
 متحرّز ، أو تعريض متبرز^(٦) . كاد يلتقي طرفاه ، ويتقارب مُفتّحه
 ومُنْتَهَاد . كتاب التقت طرفاه صغيراً ، واحتومت حاشيتهما قصراً . ما أظنني

(١) الغواني : جمع غانية ، وأصلها المرأة التي استغنت بحملها عن الزينة ، أو التي
 استغنت بيت أبيل عن الأزواج ، وأراد هنا القيان (م)
 (٢) أجهدتها : أشقتها ، والجذب : القحل (٣) الرّحيق الخثوم : الخمر المعتقة التي لم
 تفض عن دنانها الأختام (٤) مري : هني . (٥) بابل : مدينه ينسب إليها السحر ،
 وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (م) (٦) متبرز : متعفف : ورجل برز ،
 وأمرأة بررة : عفيف وعفيفة : وكلاهما يسكون لـ

ابتدأته حتى ختمته ، ولا استفتحته حتى أتمته ، ولا لحته حتى استوفيته ، ولا نشرته حتى طويته ، وأحسبني لو لم أجود ضبطه ، ولم ألزم يدي حفظه ، نطار حتى يختلط بالجو ، فلا أرى منه إلا هباء منشوراً ، وهواء منشوراً . كتاب حسبه يطير من يدي لخفته ، ويلطف عن حسبي لقلته ، وعجبت كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله إلى ، وكيف لم يختلط بهواء عند وصوله لذي . كتاب قص الاقتصار أجنحته ، فلم يدع له قوادم ولا خوافي ، وأخذ الاختصار جثته ، فلم يبق ألفاظاً ولا معاني . طلع كتابك كإيماء بطرف ، أو وحي بكف .

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : استعرت من علي بن يحيى المنجم جزءاً فيه أخبار معبد مخطط لمحمد بن إسحاق الموصلي ، وكان وعدني به ، فبعث إلى بست ورقات لطاف ، فردتها وكتبت إليه : « إن كنت أردت بقولك جزءاً الجزء الذي لا يتجزأ فقد أصبت ، وإن كنت أردت جزءاً فيه فائدة للقارى ، وممتعة للسامع ، فقد أحلت ^(١) » ؛ وقد ردّته عليك بعد أن طار اللحظ عليه طيرة .

فأجابني : إذا كان السفر عندك منجاةً فما أصنع ^(٢) ؟

[المحادثة والمجالسة]

وقال أبو العباس : دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياماً ، فقال : ما ينقضي يوم من عمرى لأراك فيه إلا علمت أنه مبنور التقدير ، منحوس الحظ ، مغبون الأيام .

فقال الحسن : هذا لأنك توصل إلى بحضورك سروروا لا جداد عند عيالك ،

(١) أحال : تسكلم بالمحال (٢) المنجاة : ما يظهر به من ورق أو ما .

وَأَتَنَسَّمُ مِنْ أَرْوَاحِ عِشْرَتِكَ مَا تَجِدُ الْخَوَاسِ بِهِ يُغَيِّتَهَا ، وَتَسْتَوِي مِنْهُ لَذَّتَهَا ،
فَنَفْسُكَ تَأْلَفُ مِنِّي مِثْلَ مَا آلَفَهُ مِنْكَ .

وكان يقال : محادثة الرِّجال تَلْقِيحُ الألباب ^(١) .

وقال ابن الرومي :

وَلَقَدْ سَسِئْتُ مَارِبِي فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَبِيثُ
إِلَّا الْحَدِيثَ ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ

قال مخارق : لقيني أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أنا والله
صَبُّ بك ، ولوع إليك ، مغمور القلب ^(٢) بشكرك ، واللسان بذكرك ، متشوف إلى
رؤيتك ومفاوضتك ، وقد طالت الأيام على ما أعد به نفسي من الاجتماع معك ،
ومن قضاء الوطر منك ؛ فما عندك ؟ أنا الفداء لك ! وتزورني أم أزورك ؟

قلت : جعلني الله فداك ! ما يكون عند من هو منك بهذا الموضع وفي هذا
الحل إلا الانقياد إلى أمرك ، والسمع والطاعة لك ، ولولا أن أسيء الأدب في
أمر بدأت فيه بالفضل لقلت : إن كثير ما ابتدأت به من القول يقل فيما عندي
من الشوق إليك ، والشغف بك ، دون ما حرّك هذا القول مني ، فوجبت لك به
المنة على ، وأنا بين يديك ، فأثن عني إلى ما أردت ، وقدني كيف شئت ،
تجدني كما قال القائل :

مَا تَشْتَهِيهِ فَإِنِّي الْيَوْمَ فَاعِلُهُ وَالْقَلْبُ صَبٌّ فَمَا جَشَمْتَهُ جِشْمًا
وَذَكَرَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ رَجُلًا ، فَقَالَ : لَمْ أَرَأِ أَحْسَنَ مِنْهُ فَهْمًا جَلِيلًا ، وَلَا تَفْهَمًا لَدَقِيقٍ
أشار إليه أبو تمام فقال :

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قَنُوعٍ تَعَرَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَوَلٍ
فَصُرْتُ أَذْلَ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَقَرُّ إِلَى ذِهْنٍ جَلِيلٍ ^(٣)

(١) التلقيح : ما تلقح به النخلة لتثمر (٢) كذا . وأحسبه «مغمور القلب» بعين

مبهمة (م) (٣) في ديوان أبي تمام (ص ٥٠٣) «به فقر إلى فهم جليل» (م)

وقال سعيد بن مسلم للمأمون : لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن بين المأمون وسعيد بن مسلم ما أبلاني من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه ، وإشارته إلى بطرفه ؛ لقد كان في ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما توجبه الحرمة . فقال : يفعل أمير المؤمنين ذلك ؛ لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإفهام إذا حدثت وحسن الفهم إذا حدثت ما لا يجده عند أحد من مضي ، ولا يظن أنه يجده عند أحد من بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتحبر بما كنت أغفلته منه .

وقال المتوكل لأبي العيناء : ما تحسن ؟ قال : أفهم وأفهم .
 وقال بعض الحكماء لتلميذه ، وقد ضرب الموسيقى : أفهمت ؟ قال : نعم ، قال : بل لم تفهم ؛ لأنني لا أرى عليك سرور الفهم ! وقد قيل : من نظر إلى الربيع وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم يتبهج كان عديم حس ، أوسقيم نفس .
 ومر أبو تمام بابر شهر من أرض فارس ، فسمع جارية تغني بالفارسية ، أبو تمام يصف جارية تغني بالفارسية

ومُسَمِّعَةٍ تروقُ السمعَ حسناً ولم تصممه ، لا يصمم صداها !
 لوت أوتارها فشجت وشاقت فلو يستطيع حاسدُها فدأها
 ولم أفهم معانيها ، ولكن ورت كبدى قلم أجهل شداها
 فكنت كأنتى أعمى معنئى يُحبُّ الغانياتِ ولا يراها

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : قلت لأبي تمام : أخذت هذا المعنى من أحد ؟ قال : نعم ، أخذته من قول بشار بن برد :

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً
 قالوا : بمن لا ترى تهذي ؟ فقلت لهم : الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
 وقال بشار أيضاً في هذا المعنى :

قالت عَقيْل بن كعب إذ تعلقها قلبي فأضحى به من حُبِّها أثرُ :

أَتَى وَلَمْ تَرَهَا تَهْدَى ! فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّ الْفُؤَادَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ
وَقَالَ :

يُرْهِدَنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعَشَرَ قُلُوبُهُمْ فِيهَا مَخَالَفَةٌ قَلْبِي
فَقُلْتُ : دَعُوا قَابِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يُبْصِرُ ذُو اللَّبِ
وَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى وَلَا تَسْمَعُ الْأَذْنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ
وَقَدْ قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الْخَرِيمِيُّ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَكَانَ قَدْ أَعْوَرَ ثُمَّ عَمِيَ ، وَقِيلَ :
إِنِّهَا لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ :

قَالَتْ أَتَهْرَأُ بِي غَدَاةَ لَقِيْتَهَا يَا لِلرِّجَالِ لَصَبُوءَ الْعِمْيَانِ
فَأَجَبْتُهَا : نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِنَّمَا أَذْنِي وَعَيْنِي فِي الْهَوَى رِسْيَانِ
وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْحَكَمِ بْنِ قَدَمٍ :
إِنْ كُنْتُ لَسْتُ مَعِيَ قَالِدُ كَرَمِكَ مَعِيَ يَرْعَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُيِّبَتْ عَنْ بَصَرِي
الْعَيْنُ تُبْصِرُ مَنْ هَوَى وَتَفْقَهُ وَنَظَرَ الْقَلْبُ لَا يَخْلُو مِنَ النَّظَرِ
وَقَالَ آخَرُ :

أَمَّا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ الْهَوَى لَنْ غِيبَتْ عَنْ عَيْنِي فَمَا غِيبَتْ عَنْ قَلْبِي
تُرِيْنِيكَ عَيْنُ الْوَهْمِ حَتَّى كَأَنِّي أَنَا حَيْكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي^(١)
وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّاجِمُ :

لَنْ كَانَ عَنْ عَيْنِي أَحْمَدُ غَائِبًا فَمَا هُوَ عَنْ عَيْنِ الضَّمِيرِ بَغَائِبِ
لَهُ صُورَةٌ فِي الْقَلْبِ لَمْ يُقْصِصْهَا النَّوَى وَلَمْ تَتَخَطَّفْهَا أَكْفُ النُّوَابِ

(١) وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ :

تَطَاوَلَ بِاللِّقَاءِ الْعَهْدُ مِنَا وَطَوَلَ الْعَهْدُ يَقْدَحُ فِي الْقُلُوبِ
أُرَاكَ وَإِنْ نَأَيْتَ بَعْضِينَ قَلْبِي كَأَنَّكَ نَضَبَ عَيْنِي مِنْ قُرْبِ
فَهَلْ لِي فِي الرُّوَاكِ إِلَى حَبِيبٍ يَقْرُبُ بَعِينَهُ قُرْبَ الْحَبِيبِ

إذا ساءنى منه شُحوطُ مزاره وضائق بقلبي في نَوَاهُ مَذَاهِبي^(١)
 عطفتُ على شَخِصٍ له غير نازح مَحَلَّتُهُ بين الحَشَا والتَّرَائِبِ^(٢)
 وذَكَرَ أبو عبيدة كيسان مُستملية في بعض الأمر ، فقال : مَا فَهَمَ ، ولو كيسان مستمل
 فهم لَوِهم^(٣) . وكان كيسانُ يوصف بالبلادة والغفلة .

قال الجاحظ : كان يكتبُ غيرَ ما يسمع ، ويستقنى غيرَ ما يكتب ،
 ويقرأ غيرَ ما يستقنى^(٤) ، ويملى غيرَ ما يقرأ ، أملت عليه يوماً :
 عَجِبْتُ لِعَشْرِ عَدَلُوا بِمَعْتَمِرِ أبا عمر
 فَكُتِبَ أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستقنى أبا زيد .

قال أبو عباد : للمحدث على جليسه ، السامع لحديثه ، أن يَجْمَعَ له باله ،
 ويضغى إلى حديثه ، ويكتم عليه سِرَّهُ ، ويبسط له عذره .
 وقال : ينبغى للمحدث إذا أنكر عين السامع أن يستفهمه عن مَعْنَى حديثه ، فإن
 وجدده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمة حُسْنِ
 الإقبال عليه ، ونَفَعَ الموائسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث .
 وقال : نَشَاطُ المحدث على قَدَرِ فهم المستمع .

وكان عبدالله بن مسعود^(٥) - رضي الله عنه ! - يقول : حَدَّثِ النَّاسَ مَا حَدَّثَ جُوكَ
 بِأَسْمَاعِهِمْ^(٦) ، ولحظوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم فتوراً فأمسك .

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أَحَسَّست في لَفْظِي فتوراً وحفظي والبلاغة والبيان

(١) الشحوط : البعد (٢) النازح : البعيد (٣) وهم : غلط (٤) استقنى : سود

(٥) صحابي جليل ، كان من السابقين إلى الاسلام ، وكان أول من جهر بقراءة

القرآن في مكة . وتولى بعد وفاة الرسول بيت مال الكوفة ، كان رضي الله عنه
 يكثر من التطيب . وكان من المتفوقين في رواية الحديث ، توفي سنة ٣٢

(٦) حذوكم بأسماعهم : وجهوها نحوكم

ما يجب
 للمحدث على
 جليسه

فلا تَرْتَبْ بِفَهْمِي إِنْ رَقَصِي عَلَى مَقْدَارِ إِيْقَاعِ الزَّمَانِ
وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ،
وإذا خرجت من اللسان لم تُجَاوِزِ الْآذَانَ .

وقال الحسن — وقد سمع متكلمًا يَعِظُ فلم تَقَعْ مَوْعِظَتُهُ مِنْ قَلْبِهِ ولم يَرَقْ لها — : يا هذا ؛ إن بقلبك لشرًّا ، أو بقلبي !

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن اسماك لجاريته : كيف ترين ما أَعْظُ
الناس به ؟ قالت : هو حَسَنٌ ، إلا أنك تكرره ، قال : إنما أُكْرِرُهُ لِيَفْهَمَهُ مَنْ
لم يكن فَهْمُهُ ، قالت : إلى أن يفهمه البطيء يَثْقُلُ عَلَى سَمْعِ الذَّكِيِّ .

تكرار
الحديث

واستُعِيدَ ابْنُ عَبَّاسٍ حَدِيثًا فَقَالَ : لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَغْضَّ مِنْ بِهِائِهِ ،
وَأُرِيقَ مِنْ مَائِهِ ، وَأُخْلِقَ مِنْ جِدَّةٍ ، لَأَعَدْتُهُ .

وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده :

مَنْزَهَةٌ عَنِ السَّرِقِ الْمُؤَدِّي مَكْرَمَةٌ عَنِ الْمَعْنَى الْمَعَادِ
أَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ :

لَا يَعْمَلُ اللَّفْظُ الْمَكْرَرَّ فِيهِ وَاللَّفْظُ الْمُرَدَّدُ
وَالْإِطَالَةُ مَمْلُوءَةٌ كَمَا يُمِلُّ التَّكْرِيرُ .

الآداب

وقد قال الحسن بن سهل : الآدابُ عشرة ؛ فثلاثة شهرجانية ، وثلاثة
أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أُرَبَّتْ عليهن ؛ فأما الشهرجانية فضربُ العُودِ .
ولعبُ الشطرنج ، ولعبُ الصَّوَالِجِ . وأما الأنوشروانية فالطَّبْ ، والهندسة .
والفروسية . وأما العربية فالشَّعْرُ ، والنَّسَبُ ، وأيامُ الناس . وأما الواحدة التي
أُرَبَّتْ عليهن : فمقطعاتُ الحديث ، والسمر ، وما يتلقَّاهُ الناسُ بينهم في المجالس .

لسمر وتنف
الأحاديث

وكان يُقال : خُذْ مِنَ الْعُلُومِ نَتْفَهَا ، وَمِنَ الْآدَابِ مُطَرَفَهَا .

وكان يُقال : مَقْطَعَاتُ الْآدَبِ ، قَرَأَصَاتُ الذَّهَبِ .

وحضّر بشار بن بُرْدٍ مجلساً فقال : لا تجعلوا مجلسنا غنا ، ولا شعراً كله ، ولا سمرأ كله ، ولكن اتبهوه انتبهابا .

وقال الحسن رحمه الله : حدثوا هذه القلوب فإياها سريرة الدنور ، وأقدعوا^(١) هذه الأنفس فإياها طلعة^(٢) ؛ وإنكم إلا ترعوها^(٣) تنزع بكم إلى شر غاية .

وقال أزدشير بن بابك : إن للأذهان كلالا ، وللقلوب ملالا ، فمرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما .

ويروى في حكمة آل داود : لا ينبغي للعاقل أن يُخْلِ نفسه من أربع : غدة لمعاده ، وصلاح لمعاشه ، وفكر يقف به على ما يصلحه من فساد ، ولذة في غير مُحَرَّم يستعين بها على الحالات الثلاث . وما أحسن ما قال أبو الفتح بن كشاجم^(٤) :

عَجَبِي مِمَّنْ تَنَاهَتْ حَالُهُ	وكفاه الله ذِلَّاتِ الطَّلَبِ
كيف لا يُقَسِّمُ شَطْرِي عَمْرِي	بين حَالَيْنِ نَعِيمٍ وَأَدَبٍ؟
سَاعَةٌ يُمْتَسَعُ فِيهَا نَفْسُهُ	من غِذَاٍ وَشَرَابٍ مُنْتَخَبِ
وَدُنُوٌّ مِنْ دُمِّي هُنَّ لَهُ	حين يَشْتَاقُ إِلَى اللَّعْبِ لُعَبِ ^(٥)
فَإِذَا مَا نَالَ مِنْ ذَا حَظِّهِ	فخْدِيثٌ وَنَشِيدٌ وَكُتُبُ
مَرَّةٍ جِدِّ ، وَأُخْرَى رَاحَةٍ	فَإِذَا مَا غَسَقَ اللَّيْلُ انْتَصَبُ
فَقَضَى الدُّنْيَا نَهَاراً حَقّاً	وقضى لله لَيْلاً مَا وَجَبُ

(١) من القدح . بالقاف ، وهو ازجر . وفي الأصل (أفدعوا) بالقاف وهو تحريف

(٢) طلعة : كثير التطلع (٣) يزغ - بالزاي المعجمة - زجر ، وفي الأصل (ترعوها)

بالراء المهملة وهو تحريف — وفي نسخة «تقدعوها» وفي أخرى «ترعوها» زيادة نون بين حرف المضارعة والزاي ، وفي أخرى «إلا تطيعوها» وهذه لا يصح المعنى عليها (م)

(٤) هو محمود بن محمد ، الشاعر الكاتب . المتوفى سنة ٣٥٠ .

(٥) الدمي : جمع دمية . وهي الصورة توضع في الحراب لتمثل الحور العين

نظام كسرى
في حياته

تلك أقسام متى يعمل بها دهره يسعد ويرشد ويصحب
وقال أبو العباس محمد بن يزيد : قسم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم
الريح للنوم ، ويوم القسيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس
لقضاء الحوائج .

رسول الله صلى
الله عليه وسلم
يجزىء نهاره
على الصالح

قال الحسن بن خالويه^(١) : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهراً
من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد
جزأ نهاره ثلاثة أجزاء : جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزأ جزأه
بينه وبين الناس ؛ فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني
حاجة من لا يستطيع إبلاغي ؛ فإنه من أبلغ إذا سلطان حاجة من لا يستطيع
إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفرع الأكبر .

أعود إلى الإطالة والإيجاز

وقال شبيب بن شيبة^(٢) : إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الإطالة فقدّم
إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطأ ، قبل التقدم من إحكام البلوغ في

(١) هو الحسين « لا الحسن كما ورد في الأصل » ابن أحمد ، إمام اللغة والعربية في
عصره ، طلب العلم في بغداد ، ثم سكن حلب واختص بسيف الدولة بن حمدان وأولاده ،
وهناك انتشر علمه وروايته . وكانت وفاته سنة ٣٧٠ . قال السيوطي في بغية الوعاة :
سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرة ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً
وجمه مقصوراً ؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ فقال : أنا أعرف اسمين
قال : فماها ؟ قال صحراء وصحاري ، وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهر من أصاب
حرفين آخرين هما صلفاء وصلافي وهي الأرض العليظة ، وخبراء وخباري وهي أرض
فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجد حرفاً خامساً . وهو سبتاء وسبائي وهي الأرض الحسنة
(٢) كان شبيب بن شيبة مشهوراً بالفصاحة والدهاء ، وكان ينادم خلفاء بني أمية
ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم . توفي سنة ١٧٠

شَرَفِ النَّجْوِيْد ؛ ثُمَّ يَاكَ أَنْ تَعْدِلَ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا ، قَلِيلٌ كَافٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ غَيْرِ شَافٍ .

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ لِكُتَّابِهِ : إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُكُمْ كُلُّهُ مِثْلَ التَّوْقِيعِ فَافْعَلُوا .

وَقَالَ ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ : لَمْ أَرَقَطْ أَنْطَقَ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ إِيجَازٍ .

وَكَانَ أَبُو وَائِلَةَ إِيَّاسُ بْنُ مَعَاوِيَةَ - عَلَى تَقْدُّمِهِ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفَضْلِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ - بِالْإِكْثَارِ مَعِيًّا ، وَإِلَى التَّطْوِيلِ مَنَسُوبًا ، وَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شُبْرَمَةَ : أَنَا وَأَنْتَ لَا تَنْفَقُ ، أَنْتَ لَا تَشْتَهِي أَنْ تَسْكُتَ ، وَأَنَا لَا أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَ . وَقِيلَ لَهُ : مَا فِيكَ عَيْبٌ إِلَّا كَثْرَةُ كَلَامِكَ . قَالَ : أَقْسِمُ عَوْنِ صَوَابًا أَمْ خَطَأً ؟ قَالُوا : بَلْ صَوَابًا ، قَالَ : فَالزِّيَادَةُ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ .

قَالَ الْجَلَّاحُظُ : وَلَيْسَ كَمَا قَالَ ، بَلْ لِلْكَلامِ غَايَةٌ ، وَلِنَشَاطِ السَّامِعِينَ نَهَايَةٌ ، وَمَا فَضَّلَ عَنْ مَقْدَارِ الْإِحْتِمَالِ ، وَدَعَا إِلَى الْاسْتِثْقَالِ وَالْكَلَّالِ ؛ فَذَلِكَ هُوَ الْفِضَالُ ^(١) وَالْهَذَرُ وَالْخَطَلُ وَالْإِسْهَابُ الَّذِي سَمِعْتُ الْخُطْبَاءَ يَعْينُونَهُ .

وَذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ ابْنَ هُبَيْرَةَ لَمَّا أَرَادَ إِيَّاسًا عَلَى الْقَضَاءِ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَصْلَحُ لَهُ ، قَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي دَمِيمٌ حَدِيدٌ ، وَلَأَنِّي عَيْيٌّ ، قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ : أَمَّا الْحِدَّةُ فَإِنَّ السَّوْطَ يُقَوِّمُكَ ؛ وَأَمَّا الْعِيُّ فَقَدْ عَبَّرْتَ عَمَّا تَرِيدُ ؛ وَأَمَّا الدَّمَامَةُ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أَحَاسِنَ بِكَ .

وَلَمْ يَصِفْ أَحَدًا بِالْعِيِّ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُعَابُ بِالْإِكْثَارِ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ الْمُدَافَعَةَ عَنْ نَفْسِهِ وَالْحَدِيثَ ذُو شُجُونٍ ^(٢) .

(١) الفضال ، على وزن كتاب ، المبتذل من قول أو غيره

(٢) شجون : ضروب

إيَّاسُ بْنُ
مَعَاوِيَةَ يَحْتَجُّ
لِلْأُطْنَابِ

الْجَلَّاحُظُ يَرُدُّ
عَلَيْهِ

ابْنُ هُبَيْرَةَ
يُرِيدُ إِيَّاسًا
عَلَى الْقَضَاءِ

أبو العيناء قال أبو العيناء ، ذُكِرْتُ لبعض القِيَانِ فعشقتني على السماع ، فلما رأته وبُعض القِيَانِ استنقبتني ، فقلت :

وشاطرةٍ لما رَأَتْني تنكَّرتُ وقالت : قبيحٌ أخوَلٌ مالهَ جسمٌ
فإن تُنكِّرني مني أخوٍ لآفأتني أديبٌ أريبٌ لا عيبٌ ولا فدمٌ^(١)

[فاتصل بها الشعر ،] فكتبتُ إلى : إنَّا لم نرد أن نُؤلِّيك ديوانَ الزمام !

وكان عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدى بن أرتاة^(٢) : إن

قَبْلَكَ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةٍ — يَعْنِي بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ — قَوْلٌ أَحَدُهُمَا قَضَاءُ الْبَصْرَةِ ؛ فَأَحْضَرَهُمَا ، فَقَالَ بَكْرٌ : وَاللَّهِ مَا أَحْسَنُ الْقَضَاءَ ؛ فَإِنْ كُنْتُ صَادِقًا فَمَا تَحِلُّ تَوَلِّيَّتِي ، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فَذَلِكَ أَوْجِبُ لِرَكْبِي ، فَقَالَ إِيَّاسُ : نَكَمْ وَقَفْتُمُوهُ عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ ، فَافْتَدَى مِنْهَا بِيَمِينٍ يَكْفِرُهَا ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ عَدَى : أَمَا إِذَا اهْتَدَيْتَ لَهَا فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهَا ، فَوَلَّاهُ .

ودخل إِيَّاسُ الشَّامَ وهو غلامٌ صغيرٌ ، فَقَدَّمَ خَصْمًا لَهُ إِلَى بَعْضِ الْقَضَاةِ ، وَكَانَ انْخَضَمَ شَيْخًا ، فَصَالَ عَلَيْهِ إِيَّاسٌ بِالْكَلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي : خَفَّضْ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، قَالَ : الْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْهُ ، قَالَ : اسْكُتْ ! قَالَ : فَمَنْ يَنْطِقُ بِحُجَّتِي ؟ قَالَ : مَا أَرَاكَ تَقُولُ حَقًّا ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! فَدَخَلَ الْقَاضِي عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ ؛ فَقَالَ : اقْضِ حَاجَتَهُ السَّاعَةَ وَأَخْرِجْهُ مِنَ الشَّامِ لَا يُفْسِدِ أَهْلَهَا^(٣) !

الحديث المملول وقال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي^(٤) :

(١) القدم : العبي عن الكلام (٢) عدى بن أرتاة : أمير من أهل دمشق ، ولاء عمر بن عبد العزيز على البصرة سنة ٩٩ فاستمر إلى أن قتله معاوية ابن يزيد سنة ١٠٢ . (٣) وكانت وفاة إِيَّاس سنة ١٢٢ (٤) كان الكندي فيلسوف العرب في عصره ، وأحد أبناء الملوك من كندة ، نشأ في البصرة ، وانتقل إلى بغداد ، وكان من أعرف الناس بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك . وقد ترجم عدد من كتبه إلى اللاتينية ، وكانت وفاته نحو سنة ٢٦٠

كنتُ يوماً عند العباس بن خالد ، وكان ممن حَبَّبَ الله إليه أن يتحدث ، فأخذ يتحدثني ، ويتنقل من حديثٍ إلى حديث ، وكنا في صَحْنٍ له ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا إلى موضع آخر ، حتى صار الظلُ قَيْئاً ؛ فلما أَكْثَرَ واضْجَرَّ ، ومللت حُسْنَ الأدبِ في حُسْنِ الاستماع ، وذكرت قول الأوزاعي : إن حسن الاستماع قوة للمحدث ، قلت له : إذا كنتُ وأنا أسمعُ قد عَيَّيتُ مما لا كُفَّةَ علىَّ فيه ، فكيف أراك وأنت المتكلم ؟ فقال : إنَّ الكلامَ يحلُّ الفضولَ اللزجة الغليظة التي تعرض في اللَهَوَاتِ وأضل اللسان ومنايت الأسنان ، فوثبتُ وقلت : لا أراني معك اليوم إلا « إيارج الفيقرا » ؛ فأنت تتغَرَّ غُرِّي ! فاجتهد في أن أجلس فلم أفعل .

قال أحمد بن الطيب : كنا مرةً عند بعض إخواننا ، فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ، ومنا حسن الاستماع ، حتى أفرطَ ، فعرض لبعض من حضر مَلَلٌ ، فقال : إذا بارك الله في الشيء لم يفنْ ، وقد جعل الله تعالى في حديث أخينا البركة ! .

ولعبد الله بن سالم الخياط في رجل كثير الكلام :
 لي صاحبٌ في حديثه البركة يزيدُ عند السكونِ والحرَكه
 لو قال لا في قليلٍ أحرُفُها لردَّها بالحروفِ مُشْتَبِكه
 ومن طرائف التطويل ما أنشأه البديع ، وسيمر من كلامه ما هو آتق من زهر الربيع .

[الملح]

قال الأصمعي : بالعلم وصلنا ، وبالمُلح نلنا ، وقال الأصمعي أيضاً : أنشدت منزلة الملح محمد بن عمران قاضي المدينة ، وكان أعقل من رأيتُهُ :
 يأتيها السائلُ عن مَنزلي نزلتُ في الخانِ على نَفْسي

يغدو على الخُبْرُ من خَابِرٍ لا يقبل الرهن ولا يُنْسِي^(١)
 آكلٌ مِنْ كَيْسِي وَمِنْ كِسْرَتِي حتى لقد أوجعني ضِرْسِي
 فقال : اكتب لي هذه الأبيات ، فقلت : أصلحك الله ! هذا لا يُشْبِهُ مُثْلَكَ ،
 وإنما يَرَوِي مثل هذا الأحداثُ ، فقال : اكتبها فالأشرافُ تُعْجِبُهُم المَلَح .
 وقد قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى : إني لَأَسْتَجِمُ نَفْسِي ببعض الباطل ،
 ليكونَ أَقْوَى لها على الحقِّ .

[وقال ابن مسعود رحمه الله : القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فاطلبوا لها
 طَرَائِفَ الحِكْمَةِ] .

وقال ابن الماجشون : لقد كنّا بالمدينة وإن الرجل ليحدثني بالحديث من
 الفقه فيمليه عليّ ، ويدكر الخبر من المَلَح فأسْتَعِيدُهُ فلا يفعل ، ويقول : لأعطيك
 مُلْجِي ، وأهْبِك ظَرْفِي وأدبي .

وقال ابن الماجشون : إني لأَسْمَعُ بالكلمة المَلِيحَةِ ومالِي إلا قِيصُ واحد ؛
 فأدفعه إلى صاحبها ، وأَسْتَكْسِي الله عزّ وجلّ .

وقال الزبير بن بكار^(٢) : روى الغاضري يُنْذِرُ عُشْعَبَ الطمع عند بعض
 الأولآة ، ويقول : أصلح الله الأمير ! إن هذا يدخلُ عليّ في صناعتي ، ويطلبُ
 مشاركتي في بضاعتي ، وهيأته هيئة قاضي ، والأمير يضحك ، وكانا جميعاً فرسَى
 رهان ورضيعي لبان في بيّانهما ؛ إلا أن الغاضري [كان] لا يتخلّق بالطَّمَعِ
 تخلّق أشْعَبُ ..

بعض ملح
 الغاضري

وأتى الغاضري يوماً الحسن بن زيد فقال : جعلتُ فِدَاكَ ! إني عصيت الله
 ورسوله ، قال : بئس ما صنعت ! وكيف ذلك ؟ قال : لأن رسول الله صلى الله

(١) ينسى : ينسى ، من النسيئة وهي التأخير .

(٢) كان الزبير بن بكار عالماً بالأنساب وأخبار العرب ، وهو من أحفاد الزبير
 ابن العوام ، ولد في المدينة ، وتولى قضاء مكة فتوفي فيها سنة ٢٥٦

عليه وسلم قال : لا يُفْلِحُ قومٌ وَلَوْ أَمَرَهُم امرأة ، وأنا أَطْعَمُ امرأتى ، فاشتريتُ غلاماً فهرب .

قال الحسن : فاختر واحدةً من ثلاث : إن شئتَ فَشَمَنُ الغلام ، قال : بآبى أنتَ ! قِفْ عند هذه ولا تتجاوزَها ! قال : أَعْرِضْ عليكِ الحصلتين ، قال : لا ، حَسْبى هذه .

وقد رَوَى نحوُ هذا عن أشعب ، أنه قال له بعضُ إخوانه : لو صرتَ إلى العشيّة تنفّرج ؟ قال : أخاف أن يَجِيءَ ثَقِيلٌ ، قلت : ليس معنا ثالث ، فمضى معى ، فمّا صلينا الظهر ودعوتُ بالطعام ، فإذا بَدَأَ يدقُّ البابَ ، قال : ترى أنْ قد صرنا إلى ما نكره ، قلت له : إنه صديق ، وفيه عشرُ خصال إن كَرِهْتَ واحدةً منهم لم آذَنُ له ، قال : هَاتِ ، قلت : أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ! قل له يدخل !

ورأى سفيان الثّورى ^(١) الغاضرى وهو يُضْحِكُ الناسَ ؛ فقال : يا شيخُ أو ماعمتُ أن الله يوماً يَحْسِرُ فيه المُبْطِلونَ ؟ فوجَمَ الغاضرى ، وما زال ذاك يُعْرِفُ فيه حتى آتَى الله عزَّ وجلَّ .

وأشعب الطّمع هو أشعب بن جُبَيْر ، مولى عبد الله بن الزبير ، وكان أحمَلُ ^{أشعب المشهور} الناس . قال الزبير بن أبى بكر : كان أهلُ المدينة يقولون : تَغَيَّرَ كلُّ شَيْءٍ ^{بالطمع} إِلَّا مَلَحَ أشعب ، وخُبِرَ أبى الغيث ، ومِشْيَةُ بَرَّةَ ^(٢) ؛ وكان أبو الغيث يعالج الخُبْزَ بِمَدِينَةِ . وبرّة بنت سعيد بن الأسود كانت مِنْ أَجْمَلِ النساءِ وأَحْسَنَ مِشْيَةٍ ، وأشعب يضربُ به المثلُ فى الطّمع ، وكان أشعبُ قد نشأ فى حِجْرِ عائشة

(١) ولد سفيان الثورى فى الكوفة سنة ٩٧هـ ، ونشأ نشأة أهل التقى والدين المولعين برواية الحديث . وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٦١هـ .

(٢) انظر جمال المشية وما قيل فى ذلك من الشعر الجميل فى كتاب (أفنان الجمال)

بنت عثمان - رحمها الله! - مع أبي الزناد^(١)، قال أشعب : فلم يزلْ يُعلو وأُنْحَطَ حتى بَلَغْنَا الغَايَةَ .

وقال أشعب : أَسَلَمْتَنِي أُمِّي إِلَى بَرَّازٍ ، فَسَأَلْتَنِي بَعْدَ سَنَةٍ ، أَيْنَ بَلَغْتَ ؟ فَقُلْتُ : فِي نَصْفِ الْعَمَلِ ، قَالَتْ : وَكَيْفَ ؟ قُلْتُ : تَعَلَّمْتُ النَّشْرَ وَبَقِيَ الطِّيُّ ، قَالَتْ : أَنْتَ لَا تَفْلَحُ .

وسأَلَتْهُ صَدِيقَةٌ لَهُ خَاتِمًا ، فَقَالَتْ : أَذْ كُرُكَ بِهِ ، قَالَ : أَذْ كُرِّي أَنْكَ سَأَلْتَنِي وَمَنْعْتُكَ !

وقيل له : كَمْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ ؟ قَالَ : ثَلَاثَةٌ عَشَرَ دَرَاهِمًا ! نِمَ تَنَسَّكَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، وَغَزَا وَمَاتَ عَلَى خَيْرٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ! .

وقيل لأشعب : أَرَأَيْتَ أَطْمَعَ مِنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، كَلْبَةُ آلِ فُلَانٍ ، رَأَتْ رَجُلَيْنِ يَمْضُغَانِ عِلْكَا^(٢) ، فَتَبَعْتُهُمَا فَرَسَخِينِ تَقَطُّنُ أَهْمَا يَا كِلَانِ شَيْئًا .

وأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَامِرِ بْنِ لُؤَى إِلَى إِسْمَاعِيلِ الْأَعْرَجِ قَالِوْذَجَةَ وَأَشْعَبُ حَاضِرٌ ، فَقَالَ : كُلُّ يَا أَشْعَبُ ، فَأَكَلَ مِنْهَا ؛ فَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهَا ؟ فَقَالَ : عَلَيْهِ الطَّلَاقُ إِنْ لَمْ تَكُنْ عُمِلَتْ قَبْلَ أَنْ يُوحِيَ رَبُّكَ إِلَيَّ النَّحْلُ ! أَيْ : لَيْسَ فِيهَا حَلَاوَةٌ^(٣) .

وروى أبو هفان قال : دخل أبو نُوَاسٍ الحُسَيْنُ بْنُ هَانِيٍّ عَلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ظَرْفُ
أَبِي نَوَاسٍ فقال له : أَنَشَدْنِي بَعْضَ مَا قُلْتَ ، فَأَنَشَدَهُ :
وسرعة بديهة

إِنِّي أَنَا الرَّجُلُ الْحَكِيمُ بِطَبْعِهِ وَيَزِيدُ فِي عِلْمِي حِكَايَةُ مَنْ حَكَى
أَتَتَّبِعُ الظُّرْفَاءُ أَكْتُبُ عَنْهُمْ كَمَا أَحْدَثَ مَنْ أَحَبَّ فَيَضَحَكَا

(١) أبو الزناد هو : عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ، كان من كبار المحدثين .
وكان كثير الأتباع من طلاب الفقه والشعر والعربية ، توفي بجأة بالمدينة سنة ١٣١

(٢) العاك : اللبان (٣) وكانت وفاة أشعب بالمدينة سنة ١٥٤

فقال له يحيى [بن خالد] : إن [أول] زَنَدُكَ لِيُورِيَ بِأَوَّلِ قَدْحَةٍ ، فقال
ارتجالاً في معنى قول يحيى :

أما وزَنَدُ أَبِي عَلِيٍّ إِنَّهُ زَنَدٌ إِذَا اسْتَوْرَيْتَ سَهْلَ قَدْحَكَ
إِنَّ إِلَهَهُ لِعِلْمِهِ بَعْبَادَهُ قَدَصَّاعَ جَدَّكَ لِلْسَّامِ وَمَنْحَكَا
تَأْتِي الصَّنَائِعَ هِمَّتِي وَقَرِيحَتِي مِنْ أَهْلِهَا وَتَعَافُ إِلَّا مَذْحَكَا

ووصف أبو عبد الله الجمار أبا نواس فقال : كان أطرفَ النَّاسِ منطقاً ، صفة أبي نواس
وأغزَهم أدباً ، وأقدَرهم على الكلام ، وأسرعَهم جواباً ، وأكثرَهم حياءً ،
وكان أبيضَ اللونِ ، جميلَ الوجهِ ، مليحَ النعمة والإشارة ، ملتفَ الأعضاء ،
بين الطويلِ والقصير ، مسنونُ الوجه^(١) ، قائمُ الأنفِ ، حسنُ العينين والمضحك^(٢) ،
حلوُ الصورة ، لطيفُ الكفِّ والأطراف ؛ وكان فصيحَ اللسان ، جيدَ البيان ،
عذبَ الألفاظ ، حلوُ الشَّامِلِ ، كثيرُ النوادر ، وأعلمَ الناس كيف تكلمت
العربُ ، رأويةٌ للأشعار ، علامةٌ بالأخبار ، كأن كلامه شعرٌ موزون .

وأقبل أبو شراعة العبسي ، والجمَّازُ في حديثه ، وكان أقبحَ الناسِ وجهاً ،
وكانت يدُ أبي شراعة كأنها كربة نخل^(٣) ؛ فقال الجمار : فلو كانت أطرافه على
أبي شراعة لَمَّ حُسْنُهُ ؛ فغَضِبَ أبو شراعه وانصرفَ يَشْتُمُهُ .

والجماز هو : أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، وكانوا ترجمة الجمار
يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ حِمْيَرَ ، نَالَهُمْ سِبَاءٌ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَهُمْ مَوَالِيهِ . وَسَلِمَ الْخَاسِرُ عَنْهُ^(٤) ، وكان الجمار من أحلى الناسِ حكاية ،
وأكثرَهم نادرة .

قال بعضُ جلساءِ المتوكل : كنا نكثرُ عند المتوكل ذِكْرَ الجمار حتى

(١) مسنون : مخروط (٢) المضحك : القم (م) (٣) الكربة — بالتحريك — أصل
السففة (م) (٤) سلم الخاسر هو : سلم بن عمرو بن حماد المتوفى سنة ١٨٦ ، كان
شاعراً مبدعاً خائفاً . وسمي الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بشمته طنبوراً .

اشتاقه ، فكتبَ في حمله إليه ، فلما دخل أفهم ، فقال له المتوكل : تكلمْ
 فإني أريدُ أن أسْتَبْرُثَكَ ، فقال : بَحِيضَةٌ أو بَحِيضَتَيْنِ يا أمير المؤمنين ؟ فقال
 له الفتح ^(١) : قد كَلَّمْتُ أمير المؤمنين يُوَلِّيكَ على القروذ والكلاب ! قال :
 أفلسْتَ سامِعاً مطيعاً ؟ فضحك المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم
 وكان لا يَدْخُلُ بيته أكثر من ثلاثة لضيقة ؛ فدعا ثلاثة ، فجاءه ستة ،
 وقرعوا الباب ، ووقفوا على رجل رجل فعدَّ أرجلهم من خلف الباب ؛ فلما
 حصلوا عنده ، قال : اخرجوا عني ، فإنما دعوتُ ناساً ولم أدعُ كراكي .

لأبي تمام يمدح
 عمرو بن طوق

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي :
 الجِدُّ شِمَّتُهُ ، وفيه فَكَاهَةٌ سَجَحٌ وَلَا جِدَّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ ^(٢)
 شَرِسٌ ، وَيتبع ذاك لِبْنُ خَلِيقَةٍ لآخر في الصَّهَاءِ مَا لم تَقْطُبِ ^(٣)
 وقال في الحسن بن وهب :

وله يمدح
 الحسن بن
 وهب

لِلَّهِ أَيَّامٌ خَطَبْنَا لِيْنَهَا فِي ظِلِّهِ بِالْخَنْدَرِيسِ السَّلْسَلِ ^(٤)
 بِمَدَامَةِ نَعْمُ السَّمَاعِ خَفِيرُهَا لآخر في العلولِ غيرَ مَعْلَلِ ^(٥)
 يَنْشَى عَلَيْهَا وَهُوَ يَجْئُو مُقْلَتِي بَارِ ، وَيَغْفُلُ وَهُوَ غَيْرُ مُغْفَلِ
 لَا طَائِشٌ تَهْفُو خِلَاتُكْهُ ، وَلَا خَشِنُ الْوَقَارِ كَأَنَّهُ فِي مُحْفَلِ
 فَكَيْهَ يَجْمُ الْجَدَّ أَحْيَانًا ، وَقَدْ يُنْصَى وَيُهْزَلُ عَيْشُ مَنْ لَمْ يَهْزَلِ
 وقال فيه :

وَلَقَدْ رَأَيْتَكَ وَالْكَلامُ لَأَلِيٌّ تَوْمٌ فَبِكْرٌ فِي النَّظَامِ وَثِيْبٌ ^(٦)
 وَكَأَنَّ قَسًّا فِي عُكَاظٍ يَخْطُبُ وَابْنُ الْمُقَفِّعِ فِي الْيَتِيْمَةِ يُسْهِبُ ^(٧)

(١) الفتح : هو الفتح بن خاقان ، وزير المتوكل ونديعه ، وقتل معه في ليلة
 واحدة (م) (٢) سجع : سهل ، وفي الديوان (ص ١٣) « سجع » بالميم (م)
 (٣) تقطب : تمزج (٤) الخندريس : الحمر (٥) العلول : الذي يشرب العلل
 بفتحتين ، وهو الشرب الثاني ، بخلاف النهل فهو الشرب الأول
 (٦) توم : أشباه الدر (٧) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع

وَكُنَّ لَيْلَى الْأَخِيلَةَ تَنْدُبُ وَكَثِيرَ عَزَّةَ يَوْمَ بَنِينَ يَنْسِبُ
يَكْسُو الْوَقَارَ وَيَسْتَخْفُ مَوْقَرًا طَوْرًا فَيُبْنِي سَامِعِيهِ وَيُطْرِبُ

لأبي الفتح
البنقي

وقال أبو الفتح البستي :

أَفْذِ طَبْعَكَ الْمَسْكُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً بِرَّاحٍ ، وَعَلَّلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارٍ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمَلْحِ

الكلام في المزاح

[المزاح]

وما زال الأشراف يَمْزَحُونَ ، ويسمحون بما لَا يَقْدَحُ فِي أديانهم ،
ولا يَغْضُ من مَرْوَةِ اتهم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : بعثت بالحنيفية السمحة .

وقال : إني لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا .

وقيل لسعيد بن المسيب^(١) : إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَرَوْنَ إِشَادَ الشَّعْرِ

فَقَالَ : لَقَدْ نَسَكُوا نَسَكًا أَعْجَمِيًّا .

وقيل لابن سيرين : إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ إِشَادَ الشَّعْرِ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ ، فَأَنْشَدَ :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ عِرْسُ الْفَرَزْدَقِ نَاشِرًا وَلَوْ رَضِيَتْ رَشَحَ أَسْتِهِ لَاسْتَقَرَّتِ^(٢)

وَقَامَ يُصَلِّي ! وَقِيلَ : بَلْ أَنْشَدَ :

أَنْبَيْتُ أَنَّ عَجُوزًا جِئْتُ أُخْطِبُهَا عُرْقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ

[النسيب]

وقيل لأبي السائب المخزومي : أَتَرَى أَحَدًا لَا يَشْتَهِي النَّسِيبَ ؟ فَقَالَ : أَمَا مِنْ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا .

(١) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة : جمع بين الحديث والفقه والزهد ، وكان يعيش

من التجارة بالزيت ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته حتى سمي

راوية عمر ، وكانت وفاته سنة ٩٤

(٢) عرس الرجل — بكسر العين وسكون الراء — زوجه (م)

لعروة بن أذينة

وروى مصعب بن عبد الله الزبيري^(١) عن عروة بن عبيد الله بن عروة الزبيري قال : كان عروّة بن أذينة^(٢) نازلاً في دار أبي بالعقيق ، فسمعته يُنشدُ لنفسه :

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادِكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَايَ لَهَا
فِيكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا ، وَكَلَّا كَمَا أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا يَوْمًا وَقَدْ ضَحَّيْتَ إِذْنًا لِأَظْلَمَهَا^(٣)
فَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلَوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا
بِیضَاءٍ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَادْقَهَا وَأَجْلَهَا^(٤)
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا ، لِي حَاجَةٌ أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذُلَّهَا^(٥)
مَنْعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَهَا
فَدَنَا وَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ فِي بَعْضِ رِقَبَتِهَا ، فَقُلْتُ : لَعَلَّهَا^(٦)

قال : فأتاني أبو السائب الخزومي فقلت له بعد الترحيب به : ألك حاجة .

(١) رواية أديب محدث ، وهو عم الزبير بن أبي بكر ، وكان شاعرا ، وكان أبوه غبد الله بن مصعب من أشرار الناس ، وكانت وفاة مصعب بن عبد الله في ٢ شوال سنة ٢٣٣ ، وفي الطبعة الثالثة من كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» بحث مفصل عن طريقة مصعب بن عبد الله في النقد ، ورأى الدكتور طه حسين فيه ، فيرجع إليه القارئ إن شاء (٢) هو عروة بن يحيى المتوفى سنة ١٣٠ ، كان شاعرا غزلا ، فضلا عن تقدمه في الفقه والحديث ، وهو القائل :

لَا أُرْكَبُ الْأَمْرَ تَزْرِي بِعَوَاقِبِهِ وَلَا يَغَابُ بِهِ عَرْضِي وَلَا دِينِي
كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنَى النَّفْسَ تَعْرِفَهُ وَمِنْ غَنَى فَقِيرٍ النَّفْسَ مَسْكِينِ
(٣) ضحيت : تأذت من الشمس ، وفي الأغاني قبل هذا البيت :

وبييت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها
(٤) أدقها وأجلها : أدق المواضع التي يجب أن تكون دقيقة ، وأجل المواطن التي يجب أن تكون جلية ، فهي مثلا دقيقة الحصر ، وثيرة الردف .

(٥) ذلها : أراد سهولة قضائها وتذليلها (م)

(٦) رقبته — بكسر الراء وسكون القاف — هنا الحذر والخوف (م)

فقال : نعم أبيات لعروة بلغنى أنك سمعته يُنشدُها ، فأنشدته الأبيات ، فلما بلغت قوله :

* فدنا وقال لعلها معذورة ... البيت *

طرب ، وقال : هذا والله الدائم الصَّابة ، الصادق العهد ، لا الذى يقول :
 إن كان أهلك يمنعونك رغبة عني فأهلى بي أضن وأرغب
 لقد عدا هذا الأعرابي طوره ، واني لأرجو أن يغفر [الله] لصاحب هذه
 الأبيات لحسن الظن بها ، وطلب العذر لها : قال : فعرضت عليه الطعام فقال :
 لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل ، وانصرف .

ترجمة
 أبي السائب
 المخزومي

وكان أبو السائب غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهات مذكورة ،
 وأخبار مشهورة ، وكان جدّه يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليطاً لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نِعَمَ خَلِيطُ
 كان أبو السائب ! لا يُشارى ولا يمارى ^(١)

واسم أبي السائب عبد الله ، وكان أشرف أهل المدينة يستظرفونه ويقدمونه
 لشرف منصبه ، وحلاوة ظرفه .

وكان عروة بن أذينة - على زهده ، وورعه ، وكثرة علمه وفهمه - رقيق
 الغزل كثيره ، وهو القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
 هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمَن لِنارٍ على الأحشاء تمقد ؟
 وقد روى هذان البيتان لغيره

(١) المشارة والممارسة : العنف في المجادلة

ومرّت به سكيّنة بنتُ الحسين بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهم! -
 فقالت له : أنتَ الذي تزعمُ أنّك غيرُ عاشقٍ ، وأنتَ تقول (١) :
 قالتُ وأبثنتُها سِرِّي فَبَحْتُ به قد كنتَ عندى تحبُّ السَّترَ فاستترِ
 ألسْتُ تبصّرُ مَنْ حَوَّلِي؟ فقلتُ له : غَطَّى هَوَاكِ وما أَلْقَى على بَصَرِي
 والله ما خرج هذا من قلبِ سليم ذلّا .

وروى الزبير عن رجل لم يسمّه ، قال : قال لى أبو السائب : أنشدنى
 للأحوص (٢) فأنشدته :

قالت - وقلت : تحرّجى وصلى حَبَلْ امرئ بوصالِكُمْ صَبَّ - :
 صَاحِبْ إِذَنْ بَعْلِي؟ فقلتُ لها : الغدرُ شيءٌ ليس من ضَرْبِي (٣)
 شيثان لا أَذْنُو لَوْصَلِهِمَا عَرَسُ الخليل وجارةُ الجَنبِ
 أمّا الخليلُ فليستُ فَاجِعَهُ والجارُ أوصانى به رَبِّي
 عَوْجا كذا نَذَرْتُ لغانيةٍ بعضَ الحديثِ مَطِيكُم صَحْبِي (٤)
 ونَقُلْ لها : فيمَ الصَّدُودُ ولم نَذِيبْ، بَلْ أَنْتِ بَدَأْتَ بِالذَّنْبِ؟
 إن تُقْبَلِي نَقِيلُ ونُنْزِلُكُم مِنّا بِدَارِ السَّهْلِ والرُّحْبِ
 أو تَهْجُرِي تَكْدُرُ معيشتُنَا وتُصدّعي مُتَلاَمَّ الشَّعْبِ
 فقال : هذا والله الحبُّ حقًا ، لا الذى يَقُولُ :

وكنت إذا حبيبٌ رَامَ هَجْرِي وجدت ورأى مُنْفَسِحًا عريضًا

للأحوص
 فى الغزل

(١) عبارة الأغاني «أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنتك
 تقى؟ قال : نعم، قالت : أفأنت الذى تقول ، إلخ» (٢) الأحوص هو : عبدالله بن
 محمد الأنصارى ، شاعر هجاء رقيق النسيب، كان معاصرا لجرير والفرزدق ، وهو من
 سكان المدينة ، ونفاه الوليد بن عبد الملك إلى اليمن ، ولقب بالأحوص لضيق فى مؤخر
 عينيه ، وله أخبار كثيرة بين الجند والمحبّون ، وكانت وفاته سنة ١٠٥ . (٣) ليس من
 ضَرْبِي : ليس من طبعي وخلقى (٤) عَوْجا معطيكم : قفا مطيكم أو ميلوا بها

ثم قال : اذهب ، فلا صَحَبَكَ الله ، ولا وَسَّعَ عَلَيْكَ ^(١) !

وخرج أبو حازم يوماً يَرَى الجار ، فإذا هو بامرأة حَاسِرٍ ^(٢) قد فَتَنَتْ ظرف أهل الناسُ بِحُسْنِ وجهها ، وألْهَمَتْهُمْ بِجمالها ، فقال لها : يا هذه ، إنكَ بِمَشْعَرٍ حَرَامٍ ، وقد فَتَنَتْ الناسَ وَشَفَلَتْهُمْ عَنْ مَنَاسِكِهِمْ ، فاتقِ الله واستَتِرِي ؛ فَإِنَّ اللهَ عز وجل يقول في كتابه العزيز : (وَلْيَضْرِبَنَّ بِجُمُورِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) ؛ فقالت : إني من اللاتي قيل فيهن :

أما طَتَّ كِساءُ الْخُرْزِيِّ عَنْ حُرُوجِهَا وَأَرْخَتْ عَلَى الْمُتَيْنِ بُرْدًا مَهْلَهلاً
من اللاءِ لَمْ يَجْجِجْنَ يَنْغِينِ حِسْبَةً وَلَكِنْ لَيَقْتُلَنَّ الْبَرَى الْمُغْفَلًا ^(٣)

الشعر للحارث بن خالد الحزومي . فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا نَدْعُ الله لهذه الصورة الحسنة ألاَّ يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يَدْعُو أصحابه يُؤْمِنُونَ ، فبلغ ذلك الشعبي ، فقال : ما أَرَقَّكُمْ يَ أَهْلَ الحجاز وأظرفكم ! أما والله لو كان من قُرَى العراق لقال اعزبي عليك لعنة الله !

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين ، وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلامٌ محفوظ يدلُّ على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عملٍ تَكَرَّرَ مِنْ أَجْلِهِ الْمَوْتُ فَاتْرَكَه ، ولا يضرك متى مَتَّ . وكان يقول : ما أَحَبَّيتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ غَدَا قَدَمُهُ الْيَوْمَ . وكان يقول : إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته ، وأنا وإياهم من غَدٍ عَلَى وَجَلٍ ؛ وإنما هو اليوم ، فما عسى أَنْ يَكُونَ الْيَوْمَ ؟ وقال أبو العتاهية :

لأبي العتاهية

حتى متى نَحْنُ فِي الْأَيَّامِ نَحْسُبُهَا وَإِنَّمَا نَحْنُ فِيهَا بَيْنَ يَوْمَيْنِ
يَوْمٌ تَوَلَّى ، وَيَوْمٌ نَحْنُ نَأْمُلُهُ لَعَلَّهُ أَجْلَبُ الْيَوْمَيْنِ لِلْحَيْنِ ^(٤)

(١) الخطاب لقائل البيت الأخير (٢) امرأة حاسر وسافر : ليس على وجهها قناع
(٣) المغفل : الطيب القلب (٤) الحين — بفتح الحاء وسكون الياء — الهلاك

وروى الزبير بن أبي بكر قال : قدمت امرأة من هذيل المدينة ، وكانت جميلةً ، ومعها ابن لها صغير ، وهى أيم^(١) ، فخطبها الناسُ وأكثروا ، فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

أَحَبُّكَ حَبًّا لَا يَحِبُّكَ مِثْلُهُ	قَرِيبٌ وَلَا فِي الْعَالَمِينَ بَعِيدُ	لعبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة
أَحَبُّكَ حَبًّا لَوْ عَلِمْتَ بِبَعْضِهِ	لَجَدْتَ وَلَمْ يَصْعُبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ	
وَحَبُّكَ يَا أُمَّ الْعَلَاءِ مُتَّعِي	شَهِيدِي أَبُو بَكْرٍ فَذَلِكَ شَهِيدُ	
وَيَعْلَمُ وَجَدْنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ	وَعُرْوَةُ مَا أَلْقَى بِكُمْ وَسَعِيدُ	
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سُلَيْمَانُ كُلَّهُ	وَخَارِجَةُ يَبْدِي لَنَا وَيَعِيدُ	
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتَخْبَرِي	فَلِلْحُبِّ عِنْدِي طَارْفٌ وَتَلِيدُ	

فقال له سعيد بن المسيب : قد أيم^٢ أن تسألنا ، ولو سألنا ما شهدنا لك بزور .
وكان عبيد الله أحدَ الفقهاء السبعة الذين انتهى إليهم علمُ المدينة ، وقد ذكرهم عبيد الله في هذه الأبيات ؛ وهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة الخزومي . والقاسم بن [محمد بن] أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير ابن العوام ، وسعيد بن المسيب بن حزن ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد ابن ثابت الأنصاري .

فقهاء المدينة
السبعة

وقيل لعبيد الله : أتقول الشعر على شَرَفِكَ ؟ فقال : لا بد للمصدر أن يَنْفُثَ^(٢) ؛ وعبيد الله هو القائل :

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ	هَوَاكَ فَلَيْمٍ وَالتَّامُ الْفُطُورُ ^(٣)	لعبيد الله المسعودي أيضاً
تَغْلَغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي	فَبَادِيهِ مَعَ انْخِلَافِي يَسِيرُ	
تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ	وَلَا حَزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ	

(١) أيم : لازوج لها (٢) هذامثل ، والمصدر : المريض صدره ، وأصل النفث .
تفل الريق ، ويقال « هذه نفثة مصدر » أيضاً (م) .
(٣) ليم والتأم معناهما واحد ، والفظور : جمع فطر - بالفتح - وهو الصدع .

أشياء
لقول السعوى

أخذه سلم بن عمرو الخاسر فقال :

سقتني بعيثها الهوى وسقيتها
فدبّ ديب الخمر في كل مفصل
وقال أبو نواس :

أحبّ اللوم فيها ليس إلا
ويدخل حبها في كل قلب
لترداد اسمها فيها ألام
مداخل لا تغفلها المدام^(١)

ومنه قول المتنبي :

ولسرّ مني موضع لا يناله
نديم ، ولا يفيض إليه شراب

وقال بعض الحديثين :

ما زلت تقويني وتطلب خلتي
حتى حلت بحيث حلّ شرابي^(٢)
ثم انصرفت بنير جريم كان لي
ما هكذا الأخباب للأخباب

أخذ أبو نواس قوله : « أحب اللوم فيها » . . . البيت من قول أبي محمد
ابن أبي أمية :

وحدثني عن مجلس كنت زينه
فقلت له ردّ الحديث الذي مضى
أناشدُهُ بالله إلا أعذته
كأنني بطيء الفهم عنه بعيد

وقول أبي نواس في البيت الأول كقوله :

إذا غاديتني بصبح لوم
فإني لا أعذّ اللوم فيها
ولا أنا إن عمدت أرى جنانا
مقنعة بثوب الحسن ترعى
وفي جنان هذه يقول أبو نواس :

لأبي نواس

فمزوجاً بتسميّة الخيب
عليك ، إذا فعلت ، من الذنوب
وإن ضنت بمبخوس النصيب
بغير تكلف ثمر القلوب

(١) لا تغفلها المدام : لا تغفل فيها . (٢) الحلة - بالضم - الصداقة والمحبة (م)

ياذا الذى عن جَنان ظَلَّ يُخْبِرُنَا بالله قُلْ وَأَعِذْ يَا طَيِّبَ الْخَبِيرِ
 قالوا اشْكَنْتَكَ وَقَالَتَ مَا ابْتَلَيْتُ بِهِ أَرَاهُ مِنْ حَيْثُ مَا أَقْبَلْتُ فِي أَثَرِي
 ويرفع الطَّرْفَ نَحْوِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ حَتَّى لِيُخْجِلَنِي مِنْ شِدَّةِ النَّظَرِ
 وَإِنْ وَقَفْتُ لَهُ كَمَا يُكَلِّمُنِي فِي الْمَوْضِعِ الْخَلُولِ لِمَنْ يَنْطِقُ مِنَ الْحَصْرِ^(١)
 مَا زَالَ يَفْعَلُ بِي هَذَا وَيُذَمُّهُ حَتَّى لَقَدْ صَارَ مِنْ هَمِّي وَمِنْ وَطَرِي^(٢)
 وَفِي جَنان أَيْضًا يَقُولُ أَبُو نَوَاسٍ، وَكَانَ بِهَا صَبًّا، وَلَهَا مُحَبَّبًا :

جَنان تَسْبَنِي ذُكِرْتُ بِخَيْرِ وَتَزَعِمُ أَنَّ رَجُلًا خَيْثُ
 وَأَنْ مَوَدَّتِي كَذِبٌ وَمَيِّنٌ وَأَنْيَ لَلَّذِي تَطْوِي بَثُوثُ^(٣)
 وَلَيْسَ كَذَا، وَلَا رَدُّ عَلَيْهَا، وَلَكِنَّ الْمَلُولَ هُوَ النَّكَوْتُ
 وَلِي قَلْبٌ يُنَازِعُنِي إِلَيْهَا وَشَوْقٌ بَيْنَ أَضْلاَعِي حَيْثُ
 رَأَتْ كَلْفِي بِهَا وَقَدِيمَ وَجْدِي فَلَتَنِي، كَذَا كَانَ الْحَدِيثُ
 [وَكَانَتْ جَنان مَوْلَاةً لِبَعْضِ الثَّقَفِيِّينَ] .

وَفِي مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ يَقُولُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :

وَحَدَّثَنِي يَاسَعْدٌ عَنْهَا فَرَدَّتَنِي جَنُونًا فَرَدَّنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَاسَعْدُ
 وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ أَكْثَرُ النَّاسِ ظَرْفًا، وَأَكْثَرُهُمْ طَيِّبًا، وَأَحْلَاهُمْ مَزَاجًا،
 وَأَشَدَّهُمْ اهْتِزَازًا لِلْسَّمَاعِ، وَحَسَنَ أَدَبٍ عِنْدَ الْإِسْتِمَاعِ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ :
 إِنْ لِي عِنْدَ السَّمَاعِ هِرَّةٌ لَوْ سُئِلْتُ عَنْهَا لَأَعْطَيْتُ، وَلَوْ قَاتَلَتْ لَأَبْلَيْتُ .

شيم
أهل المدينة

وَرَوَى أَبُو الْعِينَاءُ قَالَ : قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَرَرْتُ بِدَارِ الزُّبَيْرِ بِالْبَصْرَةِ، فَإِذَا شَيْخٌ
 قَدِيمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ وَلَدِ الزُّبَيْرِ يَكْنَى أَبَا رِيحَانَةَ جَالِسٌ بِالْبَابِ عَلَيْهِ كَشْمَلَةٌ
 تَسْتُرُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ؛ فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْنَا سُوَيْدَاءُ

طرب
أبي ريحانة

(١) الحصر : العى (٢) الوطر : الحاجة

(٣) بثوث : كثير البث لسره والتحدث عنه .

تحمل قربة ، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها ، فقال لها : بالله غنى صوتاً .
 فقالت : إن موالى أعجلونى ، فقال : لا بدّ من ذلك ، قالت : أما والقربة على
 كنفى فلا ، قال : فانا أحملها ، فأخذ القربة منها ، فاندفعت تُغنى :
 فُوَادِي أَسِير لَا يُفَكُّ ، وَمُهَجَّتِي تَفِيضُ ، وَأَحْزَانِي عَلَيْكَ تَطُولُ
 وَلِي مُقْلَةٌ قَرَحَى لَطُولِ اسْتِيقَايَا إِلَيْكَ ، وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ مُهُولُ
 فَدَيْتِكَ ، أَعْدَأْنِي كَثِيرُ ، وَشَقَّتِي بَعِيدُ ، وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلُ ^(١)
 فَطَرِبَ وَصَرَخَ صَرَخَةً ، وَضَرَبَ بِالْقَرْبَةِ إِلَى الْأَرْضِ فَشَقَّهَا ؛ فقامت الجارية
 تبكى ، وقالت : ما هذا يَجْزَأْنِي مِنْكَ ؛ أَسْعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ فَعَرَضْتَنِي لِمَا أَكْرَهُ
 مِنْ مَوَالِي . قال : لا تَغْتَمِي فَإِنَّ الْمَصِيبَةَ عَلَىَّ حَصَلَتْ ، وَنَزَعَ الشَّمْلَةَ وَوَضَعَ يَدًا
 مِنْ خَلْفٍ وَيداً مِنْ قُدَّامٍ ، وَبَاعَ الشَّمْلَةَ وَابْتَاعَ لَهَا قَرْبَةً جَدِيدَةً ، وَقَعَدَ بِتِلْكَ
 الْحَالِ ؛ فَاجْتَاَزَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ! - فَعَرَفَ
 حَالَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا رِيحَانَةَ ! أَحْسَبُكَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : (فَمَا رَحِمَتْ
 تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) . قال : لَا يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي مِنَ الَّذِينَ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : (قَبَشَرُ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ)
 فَضَحَكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ .

بين الأوقص
 المخزومي
 وسكران

ومرّ بالأوقص المخزومي ، وهو قاضي المدينة ، سكران [وهو] يتغنى بليل ،
 فأشرف عليه ، وقال : يا هذا ، شربت حرّاما ، وأيقظت نياما ، وغنيت خطأ ؛
 خُذْهُ عَنِّي ، وَأَصْلَحْ لَهُ الْغَنَاءَ .

وسمع سعيد بن المسيب منشداً ينشد :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبٍ رَأَيْتُهُ خَرَجَ مِنَ التَّنْعِيمِ مُعْتَمِرَاتٍ ^(٢)

ابن المسيب
 يستمع إلى
 منشد شعر

(١) فديتك : كنت فداء لك ، وشقتى بعيد : أى أن ما بيني وبين أهلى بعيد ،
 والأشياء : الأنصار (م) .

(٢) السرب : القطيع من البقر والظباء ، والمراد به هنا جماعة من حسان النساء

مَرَزَنَ يَفْخَ، ثُمَّ رُخْنَ عَشِيَّةً يُكَلِّبِينَ لِلرَّخْمَنِ مَوْجِرَاتٍ^(١)
ولما رأت رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ وَكَنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
دَعَتْ نِسْوَةَ شَمِّ الْعَرَانِينَ بَزْلًا نَوَاعِمَ، لَا شَعْنًا وَلَا غَبَرَاتٍ^(٢)
فَأَبْرَزْنَ لَهَا قَمْنَ يَحْجِبْنَ دُونَهَا حِجَابًا مِنَ الْقَسِيِّ وَالْخَبِرَاتِ^(٣)
تَضَوَّعَ طَيِّبًا بَطْنُ نَعْمَانٍ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتٍ
يُحَبِّئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ^(٤)
فَقَالَ سَعِيدٌ : هَذَا وَاللَّهِ مِمَّا يَلِدُ اسْتِمَاعَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى وَسَعَتْ جَيْبَ دِرْعِهَا وَأَبْدَتْ بَنَانَ الْكَفِّ لِلجَمَرَاتِ
وَغَالَتْ بَيَانَ الْمَسْكِ وَخَفَا مَرْجَلَا عَلَى مِثْلِ بَذْرِ لَاحٍ فِي الظُّلُمَاتِ^(٥)
وَقَامَتْ تَرَاءَى بَيْنَ جَمْعٍ فَأَفْتَنَتْ بِرُؤْيَيْهَا مَنْ رَاحَ مِنْ عَرَافَاتِ

قال : فكانوا يرون أن الشعر الثاني له ، والأول لحمد بن عبد الله بن نمير
التقفي يقوله في زينب بنت يوسف أخت الحجاج ؛ [وطلبه الحجاج] حتى
ظفر به فقال : أنت القائل ما قلت ؟ قال : وهل قلت أصلح الله الأمير إلا :

يُحَبِّئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَخْرُجْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ
قال له : كم كنتم إذ تقول :

* ولما رأت رَكْبَ النَّمِيرِ أَعْرَضَتْ *

بين الحجاج
والنمير

(١) فح : موضع بمكة (٢) العرانيين : جمع عرين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل
وهو البعير يبلغ تسعينين فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن
السن التي ينقلن فيها القلب من مكان إلى مكان .
(٣) القسي : نوع من اللباس ينسب إلى قرية مصرية بقرب العريش ، وهو القزى
فأبدلت الزاى .

(٤) الاعتجار : لبسة خاصة للمرأة (٥) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ،
ونلرجل : المسح .

قال : والله ما كنت إلا أنا وصاحب لي على حمارٍ هزيل ! فضحك وعفاه عنه ،
وهو القائل :

لمحمد بن عبد الله
ابن عمير الثقفي

أَهَاجَتَكَ الطَّعَانُ يَوْمَ بَانُوا بَذَى الزَّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأُنَاثِ ^(١)
طَعَانٌ أَسْلَبَكَ فِي بَطْنِ قَوٍّ تَحْتُ إِذَا رَنْتُ أَى احْتِثَاتِ
كَأَنَّ عَلَى الْهُودَجِ يَوْمَ بَانُوا نِمَاجًا تَرْتَعَى بَقْلَ الْبِرَاثِ ^(٢)
يَهَيِّجُكَ الْحَمَامُ إِذَا تَغَيَّى كَمَا جَعِ النَّوَادِبِ بِالْمُرَاثِ
[من أدب ابن المعتز]

وقال ابن المعتز : وَعَدُّ الدُّنْيَا إِلَى خَلْفٍ ، وَبَقَاؤُهَا إِلَى تَلَفٍ ، وَبَعْدَ عَطَائِهَا
الْمَنَعِ ، وَبَعْدَ أَمَانِهَا الْفَجْعُ ، طَوَّاحَةٌ طَرَّاحَةٌ ، آسِيَةٌ جَرَّاحَةٌ ، كَمِ رَاقِدٍ فِي ظِلِّهَا
قَدْ أَيْقَظَتْهُ ، وَوَاتِقٍ بِهَا قَدْ خَانَتْهُ ، حَتَّى يَلْفِظَ نَفْسَهُ ، وَيُودِّعَ دُنْيَاهُ ، وَيَسْكُنَ
رَمْسَهُ ، وَيَنْقُطِعَ عَنِ أَمَلِهِ ، وَيُشْرِفَ عَلَى عَمَلِهِ ، وَقَدْ رَجَحَ الْمَوْتُ بِحَيَاتِهِ ^(٣) ، وَنَقَضَ
قُوَى حَرَكَاتِهِ ، وَطَمَسَ الْبِلَى جَمَالَ بَهْجَتِهِ ، وَقَطَعَ نِظَامَ صُورَتِهِ ، وَصَارَ كَخَطٍّ مِنْ
رَمَادٍ تَحْتَ صَفَائِحِ أَنْضَادٍ ^(٤) ؛ وَقَدْ أَسْلَمَهُ الْأَحْيَابُ ، وَافْتَرَشَ التُّرَابُ ، فِي بَيْتٍ
نَجَرَتْهُ الْمَعَاوِلُ ^(٥) ، وَفُرِشَتْ فِيهِ الْجُنَادِلُ ، مَا زَالَ مَضْطَرَبًا فِي أَمَلِهِ ، حَتَّى اسْتَقَرَّ
فِي أَجَلِهِ ، وَبَحَثَ الْأَيَّامُ ذِكْرَهُ ، وَاعْتَادَتِ الْأَلْحَاطُ فَقْدَهُ .

بين ابن المعتز
وأستاذة شعب

وكتب وهو معتقل إلى أستاذه أبي العباس أحمد بن يحيى
ثعلب ^(٦) يتشوقه :

مَا وَجَدُ صَادِرَ الْحَبَالِ مُوثِقٍ بِمَاءِ مَزْنٍ بَارِدٍ مُصَفَّقٍ ^(٧)

- (١) الطعان : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج ، والأنثى : متاع البيت .
(٢) البراث : الأرض السهلة . (٣) رجع : مال كما ترجع كفة الميزان (م) .
(٤) صفائح أنضاد : انصفايح الحجارة العريضة ، وأنضاد : جمع نضد ، وهوالمنحوت
بأستواء (٥) المعاول : جمع معول ، وهوالآلة كالقِدوم (٦) كان ثعلب من أصدق أهل
العربية لساناً ، وأبعدهم ذكراً ، وأثبتهم حفظاً ، وكان فى رأى البرد أعلم الكوفيين . توفى
فى جمادى الآخرة سنة ٢٩١ (٧) مصفق : صفقته الريح : أى لعبت به حتى لكأته يصفق

بِالرَّيْحِ لَمْ يَكْدُرْ وَلَمْ يُرْتَقِ جَادَتْ بِهِ أَخْلَافُ دَجْنٍ مُطْبِقِ^(١)
 بِصَخْرَةٍ إِنْ تَرَ شَمْسًا تَبْرُقِ مَادَ عَلَيْهَا كَالرُّجَاجِ الْأَزْرَقِ^(٢)
 صَرِيحٌ غَيْثٌ خَالِصٍ لَمْ يُمَذَّقِ إِلَّا كَوَجْدِنِي بِكَ، لَكِنْ أَتَقِ^(٣)
 يَا فَاتِحًا لِكُلِّ بَابٍ مُغْلَقٍ وَصَيْرَفِيًّا نَاقِدًا لِلْمَنْطِقِ^(٤)
 إِنْ قَالَ هَذَا بَهْرَجٌ لَمْ يَنْفَقِ إِنَّا عَلَى الْبَعَادِ وَالتَّفَرُّقِ
 نَلْتَقِ بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ

فأجابه : أخذتَ أطال الله بقاءك أولَ هذه الأبيات مما أملتُهُ عليك من
 قول جميل^(٥) :

وَمَا صَادِرَاتُ مُحَمَّدٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَخْشِينَ الْعَصَى حَوَائِي
 كَوَاعِبُ لَمْ يَصْدُرْنَ عَنْهُ لَوْجُهُ وَلَا هَنٌّ مِنْ بَرْدِ الْخِيَاضِ دَوَائِي
 يَرَيْنَ حَبَابَ الْمَاءِ وَالْمَوْتَ دُونَهُ فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ السَّقَاةِ رَوَائِي
 بَأَكْثَرِ مَنِي غُلَّةٍ وَصَبَابَةٍ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَرَائِي
 وَأَخَذْتَ آخِرَهَا مِنْ قَوْلِ رُؤْبَةِ بْنِ الْعِجَاجِ^(٦) :

(١) الأخلاف : الأثناء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق : هو السحاب المتراكم
 (٢) ماد : مال (٣) لم يمذق : لم يمزج ، يشبه الغيث القوى بالحجر الصرفة تصرع الشاربين
 (٤) الصيرفي : الرجل الخاذق في تمييز النقود ، ويريد به هنا البصير بنقد القول
 (٥) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، وهو شاعر أذاب قلبه بالحنين إلى
 معشوقته بثينة ، وكانت سكينة بنت الحسين تقدمه على الشعراء الغزلين ، لقوله :
 يقولون : جاعديا جميل بغزوة ، وأى جهاد غيرهن أريد ؟
 لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد
 وكانت وفاته سنة ٨٢

(٦) راجز فصيح من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان أكثر مقامه بالبصرة ،
 ومات في البادية سنة ١٤٥ فقال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة .

إِنِّي وَإِنْ لَمْ تَرَنِي فَإِنِّي أَخُوكَ وَالرَّاعِي إِذَا اسْتَرْعَيْتَنِي
أَرَاكَ بِالْوُدِّ وَإِنْ لَمْ تَرَنِي

قال : فاستخفني في ذلك ونسب إلى سوء الأدب .

بعض أخبار
ابن المعتز
والمختار من
قوله

وكان أبو العباس عبدُ الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ، وفي
النهاية في إشراق ديباجة البيان ، والغاية من رقعة حاشية اللسان . وكان كما قال
ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بحلال السحر ،
وليس بعد ذى الرُمة^(١) أكثرُ افتناناً وأكبرُ تصرفاً وإحساناً في التشبيه منه .
وإنما فرقتُ جملة ما اخترتُ من شعره ونثره في جملة هذا الكتاب ؛ لثلاً أخرج
عما تقدّم به التمرط في البسط ، وآتى ههنا ببعض ما اختاره له ، قال :

وَفَتَيَانِ سَرَوْا وَاللَّيْلُ دَاجٍ وضوء الصبح مَتَهُمُ الطُّلُوعُ
كَأَنَّ بُزَاهِمَهُمْ أُمَرَاءُ جَيْشٍ على أكتافهم صدأُ الدُّرُوعِ
وقال أيضاً :

فِي لَيْلَةٍ أَكَلَ الْحَاقُ هِلَالَهَا حَتَّى تَبَدَّى مِثْلَ وَقْفِ الْعَاجِ^(٢)
وَالصَّبْحُ يَتَلَوُ الْمُشْتَرَى فَكَأَنَّهُ عُرْيَانٌ يَمْشِي فِي الدُّجَا بِسِرَاجٍ^(٣)
وقال أيضاً يصف فرساً :

وَلَقَدْ غَشَدَوْتُ عَلَى طِمِرٍّ سَاحِحٍ عَقَدْتُ سَنَابِكُهُ عَجَاجَةً قَسَطَلِي^(٤)

(١) ذو الرمة هو: غيلان بن عقبة، أحد فحول الشعر في عصره ، قال فيه أبو عمرو
ابن العلاء : «فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة» ولعل ذلك لأنه كان يكثر
من التشبيب وبكاء الأطلال، ولأن ديباجته كانت بدوية خالصة ، توفي بأصبهان سنة ١١٧
(٢) وقف العاج : هو القطعة من العاج يمسك بها الثوب كالدبوس ونحوه
(٣) الدجى: جمع دجية ، وهى الظلمة (٤) طمر: حصان سريع الجرى كأنما يهوى
من طيار : أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد: حوافره ، والعجاجة : السحابة ،
والقسطل الغبار .

مثلثٌ لُجَمَ الحديدُ يُوَكِّها لوك الفتاة مساوِكاً من إِسْجَلِ^(١)
وُحَجَّلَ غَيْرَ اليَمِينِ كَأَنَّهُ متبَخَّرَ تَرِيْمَشِي بِكُمْ مُسْبَلِ
وقال :

قد أَغْتَدِي بِقَارِحِ مَسْـوَمٍ يَعْبُوبِ^(٢)
يَنْفِي الْحَصَى بِحَافِرِ كَالْقَدَحِ الْمَكْبُوبِ
قد ضَحَكَتْ غُرَّتُهُ فِي مَوْضِعِ التَّقْطِيبِ^(٣)
وقال أيضاً :

ولقد وَطِئْتُ الغَيْثَ يَحْمَلْنِي طَرَفٌ كَلَوْنِ الصَّبْحِ حِينَ وَفَدِ
حَمَاعَ أَطْرَافِ الصُّوَارِ فَمَا الْـأُخْرَى عَلَيْهِ إِذَا جَرَى بِأَشَدِّ^(٤)
يَمْشِي فَيَعْرِضُ فِي الْعِنَانِ كَمَا صَدَفَ الْمَعَشَقُ ذُو الدَّلَالِ وَصَدِ
فَكَأَنَّهُ مَـوْجٌ يَذُوبُ إِذَا أَطْلَقْتُهُ فَإِذَا حَبَسَتْ جَمْدُ
وقال أيضاً يَصِفُ سَيْفًا :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِهِ الْمَنَائِي كَوَامِينِ فَمَا يَنْتَقِضِي إِلَّا لِنَفْسِكَ دِمَاءُ
تَرَى فَوْقَ مَتْنِئِهِ الْفِرَّةَ نَدَاكَ بَقِيَّةَ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ
وقال يَصِفُ نَارًا :

مُشْتَهَرَةٌ لَا يَحْجِبُ النَّخْلُ ضَوْءَهَا كَأَنَّ سَيْوَفًا بَيْنَ عِيدَانِهَا تَجَلَّى
يَفَرِّجُ أَغْصَانِ الْوَقُودِ اضْطِرَامُّهَا كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْ مَتْنِهَا جُلًّا^(٥)

(١) اللجم : جمع لجام ، والإسجل بالكسر : شجر يستاك به

(٢) القارح من ذى الحافر : ما طلع نابه ، وذلك في السنة التاسعة . والنسوم المعلم ، واليعيوب : السهل الجرى في بدوه

(٣) التقطيب : العبوس (٤) الصوار : القطيع

(٥) الشقراء : فرس زهية بن جذعة ومثنها : ظهرها ، والجل بالضم : انسرج (م)

للسرى الرفاء

وقال بعض أهل العصر، وهو السرى الموصلى^(١) :

يوم رذاذ مُمَسِّكِ الحُجُبِ يَضْحَكُ فِيهِ السُّرُورُ مِنْ كُتُبِ^(٢)
 ومجلسٍ أُسِبتْ سِتَائِرُهُ على شَمُوسِ البَهَاءِ والحَسْبِ
 وقد جرت خيلُ راحنا خَبِيئًا فِي حُلِيِّهَا أَوْ هَمَمِنْ بِالْحَبِيبِ^(٣)
 والتهبت نارُنَا فنَظَرُهَا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجَبِ
 إِذَا ارْتَمَتْ بِالشَّرَارِ فَاطْرَدَتْ عَلَى ذَرَاهَا مَطَارِدُ اللَّهَبِ
 رَأَيْتُ يَاقُوتَةً مُشْبَكَةً تَطِيرُ عَنْهَا قُرَاضَةُ الذَّهَبِ
 فانهضْ إِلَى المَجْلِسِ الَّذِي ابْتَسَمَتْ فِيهِ رِيَاضُ الجَمَالِ والأَدَبِ
 وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الفرج البيهقي^(٤) :

لأبي الفرج
البيهقي

فَحَمًّا قَدَّمَ الغَلَامُ فَأَهْدَى فِي كَوَانِدِهِ حَيَاةَ النُّفُوسِ
 كَانَ كَالْأَبْنُوسِ غَيْرَ مُحَلَّى فَعَدَا وَهُوَ مُذْهَبُ الْآبَنُوسِ
 لَقِيَ النَّارَ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ فَكَسَتْهُ مُصَبَّغَاتِ عَرُوسِ
 وقال أبو الفضل الميكالي :

لأبي الفضل
الميكالي

كَأَنَّ الشَّرَارَ عَلَى نَارِنَا وَقَدْ رَاقَ مَنْظَرُهَا كُلَّ عَيْنِ
 سُحَالَةٌ تَبْرِ إِذَا مَا عَلَا فَلَمَّا هَوَى فُتَّتَاتِ اللُّجَيْنِ^(٥)

لابن المعتز

وقال ابن المعتز يصف سحابة :

(١) هو السرى الرفاء، المتوفى ببغداد سنة ٣٦٦ . وسمى الرفاء لأنه كان في صباه يرفو الثياب ، وهو جيد الشعر، كثير الولع بالأوصاف والتشبيهات (٢) الرذذ : نظر الضعيف . والكتب بالتحريك : القرب (٣) الحبيب : ضرب من العدو ، وهم أئنيق الفرس أيامه جميعا وأياسره جميعا ، أو أن يراوح بين يديه (٤) هو عبد الواحد بن نصر، المتوفى سنة ٣٩٨ . كان من أهل نصيبين، واتصل بسيف الدولة، ودخل الموصل وبغداد ونادى الملوك والرؤساء (٥) السحالة : النخالة

وَمُوقَرَّةٌ بِثِقَلِ الْمَاءِ جَاءَتْ
تَهَادَى فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيَّاحِ^(١)
فَبَاتَتْ لَيْلَهَا سَحًا وَوَبْلًا
وَهَطْلًا مِثْلَ أَفْوَاحِ الْجَرَّاحِ
كَأَنَّ سَمَاءَهَا لَمَّا تَجَلَّتْ
خِلَالَ أَنْجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ
رِيَاضُ بَنْفَسَجٍ خَضِلٍ ثَرَاهُ
تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقَاحِ^(٢)

وقال :

وَأَجَّةٌ لِمَنْ أَيْلَا خُضْتُ غَمَرَتَهَا
بِصَارِمٍ ذَكَرِي صَمَّامَةً خَذِمِ^(٣)
وَقَارِحٍ صَبَغَ الْخَيْلَانُ دُهُمَّتَهُ
بُشْبُهَةً كَاخْتِلَاطِ الصُّبْحِ بِالظُّلَمِ^(٤)

وقال :

وَلَيْلٍ كَكُجْلِ الْعَيْنِ خُضْتُ ظِلَامَهُ
بَازِرَقَ لَمَّاعٍ وَأَبْيَضَ صَارِمٍ
وَمَضْبُورَةِ الْأَعْضَادِ حَرْفٍ كَأَنَّهَا
تَصَافِحُ رَضَارِضِ الْحَصَى بِمَنَاسِمِ^(٥)

وقال يصف حيّة :

نَعْتُ رِقْطَاءَ لَا تَحْيَا لَدَيْعَتُهَا
لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَلْقَ بِهِ بَلَلٌ^(٦)
تَلْقَى إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا
كَأَنَّهَا كَمْ دِرْعٍ قَدَّهَ بَطْلٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَأَسَارَ مَنِي الدَّهْرِ عَضْبًا مَهْنَدًا
يُقَلُّ شَبَابًا حَظِيّ، وَقَلْبًا مَشِيعًا^(٧)
وَرَأَى كَمَرَاةَ الصَّنَاعِ أَرَى بِهِ
سِرَاطَ غَيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَاسَعَى

(١) موقرة : مثقلة (٢) خضل : ندى (٣) خذم : قاطع (٤) قارح : الفارح من
ذي الحافر بمنزلة البازل من الإبل ، وهو الذي قوى يبلوغه تسع سنين ، والخيّلان :
جمع خال وهو شامة في البدن. والدهمة : السواد ، والشبهة : لون بين السواد والبياض
(٥) الأعضاد : جمع عضد ، ومضبورة : محكمة الخلق مكتنزة اللحم . وحرف :
ضامرة . ورضاراض الحصى : صغارها ، والمناسم : جمع منسم وهو خف البعير

(٦) رقطاء : منقطة - وانظر ديوانه (١١٣/٤) (م)

(٧) أسار : أبقى ، والمشيّع : الشجاع

أخذه من قول المنصور لابنه المهدي : لا تُبَرِّمَنَّ أُمراً حتى تفكر فيه ؛ فإن
فِكْرَةَ العاقل مرآته ، تريه قبحه وحسنه .

ولما دُفِنَ المنصور وقف الربيع على قبره فقال : رَحِمَكَ اللهُ يا أمير المؤمنين ،
وغفر لك ! فقد كان لك رَحْمِي من العقل لا يطيرُ به الجهل ، وكنت ترى باطنَ
الأمر بمرآة من الرأي ، كما ترى ظاهره . ثم التفت إلى يحيى بن محمد أخى المنصور
فقال : هذا كما قال أبو دَهَبِل الجحى ^(١) :

عُقِمَ النساءُ فما يَلِدْنَ شَبِيبَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمَثَلِهِ عُقِمَ ^(٢)
وبعد ^(٣) :

متهلِّلٌ بِنَعَمٍ ، بِلَا مَتَبَاعِدْ سَيَّانٍ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعَدَمُ ^(٤)
نَزَرُ الْكَلَامِ مِنَ الْحَيَاءِ تَحَالُهُ ضَمِنًا ، وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سَقَمُ ^(٥)
أخذ البيت الأخير من قول ليلي الأخيلية ^(٦) :
لا تَقْرَبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ إِنَّ ظَالِمًا يَوْمًا وَإِنْ مَظْلُومًا

(١) في الأصل «أبو دعبل» وهو تحريف (٢) عقم : جمع عقيم ، وهى المرأة العاقرة
وقبل هذا البيت كما فى الحماسة :

إن البيوت معادن فنجاره ذهب وكل بيوته ضخم
والنجار : الأصل (٣) هذا استطراد من المؤلف (٤) الوفروالعدم : الغنى والفقر
(٥) ضمن : مريض (٦) هى ليلي بنت عبدالله ، اشتهرت بأخبارها مع توبة ، وله
فيها شعر جميل ، وهى أشهر النساء الشواعر بعد الخنساء ، توفيت نحو سنة ٧٥
وأول هذه المقطوعة كما فى ديوان الحماسة :

يا أيها السدم الملوى رأسه ليقود من أهل الحجاز بريما
أتريد عمرو بن الخليع ودونه كعب ؟ إذن لوجدته مرءوما
إن الخليع ورهظه فى عامر كالقلب ألبس جوجؤا وحزينا
السدम : الفحل الهائج . والبريم : الجيش المؤلف من أخلاط الناس . والمرءوم :
المخواط بالعطف ، والجؤؤ : الصدر

قوم رِبَاطُ الخيل حَوْلَ بُيُوتِهِمْ وأسِنَّةُ زَرْقٍ يُخَلِّنَ نُجُومًا
ومَزَّقَ عَنْهُ القميصَ تَحَالَهُ وسطَ البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رُفِعَ اللواء رأيتَهُ يوم الهياج على الخميس زعيما^(١)
وقال :

يُسَبِّهُونَ ملوكا في تجلَّتْهُمْ وطول أنصِبَةِ الأعناق واللمم^(٢)
إذا بدا المسك يُجَرِّى في مفَارِقِهِمْ راحوا كأنهم مُرَضًى من الكرم
وقال أبو على الحاتمي : وما أحسن أبياتنا أنشدها أبو عمر المطرز غلام ثعلب
يعترض في أنشائها هذا المعنى :

تَخَالَهُمُ للحلمُ صُمًّا عن الخنا وخُرُسًا عن الفَحْشَاء عند التَهَانُرِ^(٣)
وَمَرَضًى إذا لاقُوا حياء وعِفَّةً وعند الحروب كالليوث الخَوَادِرِ^(٤)
لهم عزٌّ. إنصافٌ وذُلٌّ تواضع بهم وَلَهُمْ ذَلَّتْ رِقَابُ العُشَلْرِ
كَانَ بِهِمْ وَصَمًّا يخافون عاره وليس بهم إِلَّا اتقاء المعَايِرِ^(٥)
وأنشد :

أحلام عادٍ لا يخَافُ جَلِيسَهُمْ وإن نطق العوراء عَيْنَبَ لسانِ
إذا حَدَّثُوا لم يُخَشَّ سِوَهُ استماعهم وإن حَدَّثُوا أدَّوْا بِحُسْنِ بيانِ

(١) اللواء: الراية، والخميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق: المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة. والزعيم: الرئيس
(٢) الأنصبة: جمع نصاب، وهو الأصل الذي ركب فيه العنق
(٣) التهانر: تبادل السباب الباطل (٤) الخوادر: جمع خادر، وهو الليث يلزم
أجمته (٥) المعايير: المعايير

وقال ابن المعتز :

وعاقِدِ زُنَّارٍ عَلَى غُصْنِ الْآسِ دَقِيقِ الْمَعَانِي مُخْطَفِ الْخَصْرِ مَيَّاسٍ ^(١) لابن المعتز
سَقَانِي عُقَارًا صَبَّ فِيهَا مِزَاجُهَا فَأَضْحَكَ عَنْ تَغْرِ الْجَبَابِ قَمَّ الْكَاسِ

وقال :

يَا لَيْلَةَ نَسِيَ الزَّمَانُ بِهَا أَخْذَاتِهِ ، كُونِي بِلَا فَجْرِ
فَاحِ الْمَسَاءِ بِيَدِهَا ، وَوَشَّتْ فِيهَا الصَّبَا بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ
ثُمَّ انْقَضَتْ وَالْقَلْبُ يَتْبَعُهَا فِي حَيْثُ مَاسَقَطَتْ مِنَ الدَّهْرِ ^(٢)

وقال :

يَا رَبِّ إِخْوَانِ صَحْبَتِهِمْ لَا يَمْلِكُونَ لِسُلُوءٍ قَلْبًا
لَوْ تَسْتَطِيعُ قُلُوبُهُمْ نَفَرَتْ أَجْسَامُهُمْ فَتَعَانَقَتْ جُثَا ^(٣)

هذا كقول ابن الرومي :

أَعَانَقَهُ وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ إِلَيْهِ ، وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانِي ؟ لابن الرومي
وَأَلْتَمَّ فَاهُ كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي فَيَشْتَدُّ مَا أَلْتَمَّ مِنَ التَّهَيَّاتِ
وَلَمْ يَكْ مِقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى لِيُرْوِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفَاتِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلُهُ سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانُ يَمْتَرِجَانِ

ومن مشوره : لَا يَزَالُ الْإِخْوَانُ يُسَافِرُونَ فِي الْمَوَدَّةِ ، حَتَّى يَبْلُغُوا الشُّقَّةَ ، مِنْ ثَرَابِ الْمَعْتَرِ
فَإِذَا بَلَغُوهَا أَلْتَمَّوْا عَصَا التَّسْيَارِ ، وَاطْمَأْنَنْتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَأَقْبَلَتْ وَفُودُ النَّصَاحِ ،
وَأَمَنْتْ خَبَايَا الضَّمَائِرِ ، فَحَلُّوا عُقْدَ التَّحْفِظِ ، وَنَزَعُوا مَلَابِسَ التَّخَلُّقِ .
وله : سَارَ فَلَازٍ فِي جَبُوشٍ عَلَيْهِمْ أَرْدِيَّةُ السِّيُوفِ ، وَأَقْمِصَةُ الْحَدِيدِ ،

(١) الزنار : رباط يشد به الخصر - ومخطف الخصر : ضامره ، ومثله أخطف
ومخطوف (٢) هذا البيت غاية في روعة الخيال (٣) نفرت : سعت - والذي
في الديوان (١٢٦) فقدت * أجسادها وتعانقت جثا (٤)

وَكُنَّ رِمَاحَهُمْ قُرُونُ الْوُغُولِ^(١) ، وَكَانَ دُرُوعُهُمْ زَبَدُ الْمَيُولِ ، عَلَى خَيْلِ
تَا كُلِّ الْأَرْضِ بِحَوَافِرِهَا ، وَتَمَدَّتْ بِالنَّقْعِ سُرَادِقُهَا^(٢) ، قَدْ نُشِرَتْ فِي وَجُوهِهَا
غُرَرٌ كَأَنَّهَا صَحَائِفُ الرِّقِّ^(٣) ، وَأَمْسَكَهَا تَحْجِيلٌ^(٤) كَأَنَّهُ أَسُورَةُ اللَّجِينِ^(٥) ، وَقُرِّطَتْ
مُذْرَأٌ كَأَنَّهَا الشَّنْفُ^(٦) ، تَتَلَقَّفُ الْأَعْدَاءُ أَوَائِلُهُ وَلَمْ تَنْهَضْ أَوَاخِرُهُ ، قَدْ صَبَّ
عَلَيْهِمْ وَقَارُ الصَّبْرِ ، وَهَبَّتْ مَعَهُمْ رِيحُ النَّصْرِ .

وله في عليل : آذَنَ اللَّهُ فِي شَفَائِكَ ، وَتَلَقَّى دَاءَكَ بِدَوَائِكَ ، وَمَسَحَ بِيَدِ
الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ ، وَوَجَّهَ وَفَدَّ السَّلَامَةَ إِلَيْكَ ، وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لَذُنُوبِكَ ،
مُضَاعَفَةً لثَوَابِكَ .

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب^(٦) في يوم عيد : أَخَّرْتُني الْعِائَةَ
عن الوزير أَعَزَّهُ اللَّهُ ، فَخَضِرْتُ بِالْإِعْدَاءِ فِي كَرْبِ بَوْبِ عَنِي ، وَيَعْمُرُ مَا أَخْلَتَنِي
الْعَوَائِقُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ أَكْثَمَ الْأَعْيَادِ السَّالِفَةِ
بِرُكَّةٍ عَلَى الْوَزِيرِ ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ وَيُحِبُّ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مَا تَوَسَّلَ
بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، وَيَضَاعَفَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ ، عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ ، وَيَمْتَنِعَهُ بِصُحْبَةِ
النِّعْمَةِ وَلِبَاسِ الْعَافِيَةِ ، وَلَا يُرِيهِ فِي مَسَرَّةٍ نَقْصًا ، وَلَا يَقْطَعُ عَنْهُ مَزِيدًا ، وَيَجْعَلُنِي
مِنْ كُلِّ سُوءٍ فِدَاءً ، وَيُصْرِفَ عَيْنَ الْغَيْرِ عَنْهُ ، وَعَنْ حَظِّي مِنْهُ .

(١) الوغول : جمع وعل ، وهو التيس الجبلي . (٢) النقع : غبار الحرب

(٣) الرق ، بالفتح ويكسر : جلد رقيق يكتب فيه (٤) اللجين : الفضة

(٥) الشنف : بالفتح : القرط ، والعذر بضمين : جمع عذار

(٦) وزير من أكابر الكتاب ، استوزره المعتضد على الله وأقره بعده المعتضد ،

واستمرت وزارته عشر سنين وخمسين يوما ، وكانت وفاته سنة ٢٨٨ . وهو الذي قال

فيه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حين وزر للمعتضد :

أَبِي دَهْرُنَا إِنْصَافُنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَنْصَفُنَا فِيمَنْ نَحِبُ وَنُكْرِمُ

فَقُلْتُ لَهُ : نَعْمَاكَ فِيمَنْ أَتَمَّا وَدَعْنَا أَمْرَنَا ؛ إِنْ الْأَهَمُّ مُقَدِّمُ

وله إلى بعض الرؤساء : لَا تَشْنِ حُسْنَ الظَّرِّ بِقُبْحِ الانتقامِ ، وتجاوز عن كل مُذْنِبٍ لَمْ يَسْلُكْ مِنَ الإعتذار طريقاً^(١) حتى اتَّخَذَ مِنْ رَجَاءِ عَفْوِكَ رَفِيقاً .

وله اعتذار إلى القاسم بن عُبَيْدِ اللَّهِ : تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بُرِيئاً ، وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئاً ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ ، وَأَلْتَمَسَ الْإِفَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ ؛ لَتَزِدَادَتُطَوُّلًا ، وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً ؛ وَأَنَا أُعِيدُ حَالِي عَنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَائِشٍ يَكِيدُهَا ، وَأُخْرِسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يَحَاوِلُ إِفْسَادَهَا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ ، بِقَدْرِ وَدِّي لَكَ ؛ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ ، بِمَحِثِ اسْتَحْقَاقِكَ مِنْكَ .

وله إليه : لو كَانَ فِي الصَّمْتِ مَوْضِعٌ يَسْعُ حَالِي لَخَفَفْتُ عَنْ سَمْعِ الْوَزِيرِ وَنَظَرِهِ ، وَلَمْ أَغْلُ وَجْهًا مِنْ فِكْرِهِ ، وَمَا زِلْتُ الشُّكْوَى ، تُغْرِبُ عَنْ لِسَانِ الْبَلْوَى ، وَمِنْ اخْتَلَّتْ حَالَتُهُ ، كَانَ فِي الصَّمْتِ هَذَا كُنْهُ ، وَقَدْ كَانَ الصَّبْرُ يَنْصُرُنِي عَلَى سِتْرِ أَمْرِي حَتَّى خَذَلَنِي .

وهذا كقول أحمد بن إسماعيل : فَصَاحَةُ الشُّكْوَى ، عَلَى قَدَرِ الْبَلْوَى ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِالشَّاكِي انْقِبَاضٌ ، وَبِالشُّكْرِ إِلَيْهِ إِعْرَاضٌ .

[وصف الماء وما يتصل به]

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة الماء في أرجوزته التي أنشدتها آفغا ، لابن المعتز
يصف ماء
وقد قال في قصيدة له وذكر إيلاً :

فَتَبَدَّى لَهْنَ بِالنَّجْفِ الْمُدِّ بِرِ مَاءِ صَافِي الْجَمَامِ عَرِي^(٢)

(١) الإعتذار : إبداء العذر ، وفي الأصل «الأقدار» وهو تحريف

(٢) النجف ، محركة وبهاء ، مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد ويكون في بطن الوادي وقد يكون يبطن من الأرض . والجمام : جمع جم ، وهو الماء الكثير ، والمرى : الهنيء

يَتَمَشَّى عَلَى حَصَى يَسْلُبُ الْمَاءَ
وَإِذَا دَاخَلَتْهُ دُرَّةٌ تَمْسُ
وَقَالَ (٢):

لَا مَثَلَ مَنْزِلَةِ الدَّوْبَرَةِ مَنْزِلُ
يُؤْسًا لَدَهْرٍ غَيْرَتِكَ صُرُوفُهُ
لَمْ يَحُلْ لِلْعَيْنَيْنِ بَعْدَكَ مَنْظَرُ
أَيِّ الْمَعَاهِدِ مِنْكَ أَنْدَبُ طَيْبُهُ
أَمْ بَرْدُ ظِلِّكَ ذِي الْفَصُونِ وَذِي الْجَنَى
وَكَاثِمًا سَطَعَتْ بِجَامِرٍ عَنْبَرُ
وَكَاثِمًا حَصَبَاءُ أَرْضِكَ جَوْهَرُ
[وَكَاثِمًا أَيْدَى الرِّبْعِ ضَحِيهِ
وَكَانَ دِرْعًا مُفْرَغًا مِنْ فِضَّةٍ
وَعَشَقَتْ عَاتِكَةَ الْمَرِيَةِ ابْنَ عَمٍّ لَهَا فَرَاوِدَهَا عَنْ نَفْسِهَا فَقَالَتْ :

وَلَهُ أَيْضًا
يَعْنِ لِلدَّوْبَرَةِ
وَيَصِفُ مَاءَ

بِعَاتِكَةِ الْمَرِيَةِ
فِي وَصْفِ مَاءٍ

فَمَا طَعْمُ مَاءِ أَيِّ مَاءٍ تَقُولُهُ
بِمَنْعَرَجٍ مِنْ بَطْنِ وَادٍ تَقَابَلَتْ
نَفَتْ جَرِيَةِ الْمَاءِ الْقَدَى عَنْ مَتُونِهِ
بِأَطْيَبِ مَنْ يَقْصِرُ الطَّرْفَ دُونَهُ
تَحَدَّرَ عَنْ غُرٍّ طَوَالِ الذَّوَائِبِ
عَلَيْهِ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَمَا إِنْ بِهِ عَيْبٌ تَرَاهُ لِشَارِبِ
تُبْقَى اللَّهُ وَاسْتَحْيَاهُ بَعْضُ الْعَوَاقِبِ

وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْمَلَاءِ الْجَابِرُ بْنُ الْأَرْقِ ، وَقَالَ :
هُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي مَعْنَاهُ :

(١) مَنْ حَقَّ الْعَرَبِيَّةُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ « فَتَنَهُ مَجْلُو » فَإِنْ فَعَلَهُ جَلَاهُ يَجْلُوهُ (م) .
(٢) هَذِهِ الْكَافِيَةُ مِنْ أَرْوَعَ مَاقَالِ ابْنِ الْمُعْتَزِ ، وَقَدْ تَرَجَّمْتُهَا إِلَى الْفَرَنْسِيَّةِ فِي كِتَابِي

La prose arabe au I^{er} siècle de l'hégire

(٣) الدَّوْبَرَةُ : مَحَلَّةُ بَيْغَدَادَ (٤) رَوَايَةُ الْدِيَوَانِ (أَمْ بَرْدُ ظِلِّكَ ذِي الْعِيُونِ وَذِي
الْحَيَا) وَالْيَتَامَى : الْيَتَامَى (٥) فَأَرِ الْمَسْكُ : مَا تَجَمَّدَ مِنْ دَمِ الْغَزَالِ (٦) ضَحِيَّةٌ : تَصْغِيرُ
ضَحْوَةٍ ، وَانْتِصَابُهُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ (م) (٧) مُفْرَغٌ : مُصْبُوبٌ

أَيَاوَيْحَ نَفْسِي كَمَا التَّحْتُ لَوْحَةً^(١) عَلَى شَرَبَةٍ مِنْ مَاءِ أَخْوَاضِ مَارِبِ^(٢)
 بَقَايَا نَطَافٍ أَوْدَعَ الْغَيْمُ صَفْوَهَا مَصْقَلَةَ الْأَرْجَاءِ زُرْقُ الْمَشَارِبِ^(٣)
 تَرَقَّرَقَ دَمْعُ الْمُزْنِ فِيهِنَّ وَالتَّوَتَّ عَلَيْهِنَّ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْغَرَائِبِ
 وَأَنْشَدَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُبَيْرِدِ الْيَرْبُوعِي ، وَرَوَيْتَ لِمَضْرُوسِ بْنِ رَبِيعِ
 الْأَسَدِي :

فَأَلَقْتُ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا ، وَخَيَّمْتُ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ الْمَاءِ زُرْقٍ بِحَاظِرَةِ
 أَزَالِ الْقَذَى عَنْ مَانِهِ وَأَفِدُّ الصَّبَا يَرْوَحُ عَلَيْهِ نَاسِمًا وَيُبَاكَرُهُ
 وَأَوَّلُ مَنْ أَتَى بِهَذَا زَهِيرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي قَوْلِهِ :
 فَلَمَّا وَرَدَنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ وَضَعَنَ عِصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ^(٤)
 وَقَالَ ابْنُ الرَّومِي :

وَمَاءٌ جَلَّتْ عَنْ حُرِّ صَفْحَتِهِ الْقَذَى مِنَ الرِّيحِ مِعْطَارُ الْأَصَابِلِ وَالْبُسْكَرُ
 بِهِ عَبْقٌ يَمَّا تَسَحَّبَ فَوْقَهُ نَسِيمُ الصَّبَا يَجْرِي عَلَى النَّوْرِ وَالزَّهَرِ
 [وَصَفِ الدُّورِ وَالْقُصُورِ]

وَيَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ بَرَكَةَ الْجَعْفَرِيِّ^(٥) وَهُوَ قَصْرُ
 الْبَحْتَرِيِّ يَصِفُ
 بَرَكَةَ الْجَعْفَرِيِّ

- (١) التَّحْتُ : عَطِشْتُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ لَاحَهُ الْعَطَشُ وَلَوْحُهُ إِذَا غَيَّرَهُ ، وَهُوَ مُلْتَاحٌ ،
 وَبِهِ لَوْحٌ شَدِيدٌ ، وَبَعِيرٌ مُلَوَّاحٌ وَإِبِلٌ مُلَاوِيحٌ : سَرِيعَةُ الْعَطَشِ
 (٢) مَارِبٌ : هِيَ بِلَادُ الْأَزْدِ بِالْمِنْ ، وَهِيَ غَيْرُ مَهْمُوزَةٍ لِأَنَّهَا وَرَدَتْ كَذَلِكَ فِي الْخُطُوطِ
 الْحَمِيرِيَّةِ كَمَا أَخْبَرَنَا السَّنُورِيُّ نَلِينُو . وَهَذَا لَا يَنَافِي أَنَّهَا هَمَزَتْ فِي بَعْضِ الْأَشْعَارِ ، وَلَسَدَ
 مَارِبٌ وَسِيلَ الْعَرَمِ قِصَصٌ طَوِيلَةٌ ذَكَرَ بَعْضُهَا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .
 (٣) النَطَافُ وَالنَّطَفُ : جَمْعُ نَطْطَةٍ ، وَهِيَ الْمَاءُ الصَّافِي قَلِيلٌ أَوْ كَثَرٌ (٤) التَّخْيِمُ : الْقِيَمُ
 (٥) الْجَعْفَرِيُّ : اسْمُ قَصْرِ بَنَاهُ الْمُتَوَكِّلُ قَرِبَ سَامَرَاءَ ، فَلَمَّا انْتَقَلَ إِلَيْهِ انْتَقَلَ مَعَهُ
 أَهْلُ سَامَرَاءَ حَتَّى كَادَتْ تَخْلُو ، وَفِي هَذَا الْقَصْرِ قَتْلُ الْمُتَوَكِّلِ فِي شَوَالِ سَنَةِ ٢٤٧ ، وَسُمِّيَتْ
 الْبَرَكَةُ بَرَكَةَ لِإِقَامَةِ الْمَاءِ فِيهَا ، مِنْ بَرَكِ الْبَعِيرِ

يَا مَنْ رَأَى الْبَرَكَةَ الْحَسَنَاءَ وَرَوَّعَهَا وَالْآسَاتِ إِذَا لَاحَتْ مَعَانِيهَا^(١)
 مَا بَالُ دَجَلَةٍ كَالْعَيْرَى تُنَافِسُهَا فِي الْحُسْنِ طَوْرًا وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا !
 إِذَا عَاتَبَهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَهَا حُبَّكََا مِثْلَ الْجَوَاشِنِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا^(٢)
 فَحَاجِبُ الشَّمْسِ أَحْيَانًا يُغَازِلُهَا وَرَيْقُ الْغَيْثِ أَحْيَانًا يُبَاكِيهَا^(٣)
 إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا لَيْسَ حَسِبْتَ سَمَاءَ زَكَبَتْ فِيهَا
 كَأَنَّمَا الْفِضَّةُ الْبِيضَاءُ سَائِلَةٌ مِنَ السَّبَائِكِ تَجْرَى فِي مَجَارِيهَا
 تَنْصَبُ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةٌ كَالْخَلِيلِ خَارِجَةٌ مِنْ حَبْلِ مَجْرِيهَا^(٤)
 كَأَنَّ جَنِّ سَلِيَمَانَ الَّذِينَ وَلُوا إِبْدَاعَهَا فَأَدَقُّوا فِي مَعَانِيهَا
 فَلَوْ تَمَرُّ بِهَا بَلَقَيْسٌ مِنْ عُرْضٍ قَالَتْ : هِيَ الصَّرْحُ تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهَا^(٥)
 [لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَقْصُورَ غَايَتَهَا لُبْعِدٍ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا]
 يَعْمَنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنَّفَةٍ كَالطَّيْرِ تَتَشَرَّفُ فِي جَوْ حَوَافِيهَا
 وَلَمْ يُنْفِقْ أَحَدٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْبِنَاءِ مَا أَنْفَقَهُ الْمُتَوَكِّلُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ
 أَنْفَقَ فِي أَبْنِيَتِهِ ثَلَاثَةَ أَلْفِ أَلْفٍ ، وَفِي أَبْنِيَتِهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ^(٦) :

(١) رواية الديوان « الحسناء رؤيتها »

(٢) الجواشن : جمع جوشن ، وهو الدرع ، وفي الأصل « من الجواشن » وهو

تحريف (٣) رواية الديوان « يضاحكها » وهي أنسب

(٤) الوفود : جمع وفد ، وهو هنا تيار الماء (٥) عن عرض : من جانب ، وفي

الأصل « معرضة » وقد آثرنا رواية الديوان .

(٦) شاعر فحل من معاصري أبي تمام والبحتري ، وهو صاحب الرائية المشهورة

التي يقول في أولها :

عيون لها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعدن لي الشوق القديم ، ولم أكن سلوت ، ولكن زدن جمرًا إلى جمر

اختص بالمتوكل . ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان ، فأقام بهامدة ، ورحل إلى

حلب ، فقتله بقرها بعض بني كلب سنة ٢٤٩ .

وما زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمَلُوءَ
وَأَعْلَمُ أَنَّ عَقُولَ الرِّجَالِ
صُحُونٌ تَسَافِرُ فِيهَا الْعُيُونُ
وَقَبَّةٌ مَلَكٌ كَانَ النُّجُومُ
إِذَا أُوقِدَتْ نَارُهَا بِالْعِرَاقِ
لَهَا شُرُفَاتٌ كَأَنَّ الرِّبْعَ
فَهِنَّ كَمَصْطَحِبَاتٍ خَرَجْنَ
نَظْمَنَ الْقَيْسَى كَنَظْمِ الْحُلِيِّ
فَمَنْ بَيْنَ عَاقِصَةٍ شَرَّهَا
وَاللَّبْحَتَى فِيهَا شَعْرَةٌ كَثِيرٌ مِنْهُ :
أَرَى الْمُتَوَكِّلِيَّةَ قَدْ تَعَالَتْ
قُصُورَ كَالْكُوكَبِ لَا مِمَاتٍ
وَرَوْضَ مِثْلَ بُرْدِ الْوَشْيِ فِيهِ
غُرَائِبُ مِنْ فَنُونِ النَّوْرِ فِيهَا
تُضَاحِكُهَا الضُّحَى طَوْرًا وَطَوْرًا
وَلَوْ لَمْ يَسْتَهْلِكْ لَهَا غَمَامٌ
وَقَالَ أَيْضًا :
قَدْ تَمَّ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَلَمْ يَكُنْ
لَيْتِمَ إِلَّا لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ

لعلى بن الجهم
يصف قصور
المتوكل

وللبحتري

- (١) تحسر : تكل ، والأقطار : النواحي والأرجاء (٢) الفسح : من أعياد النصارى
(٣) عون : جمع عوان ، على وزن سجاب ، وهى التى كان لها زوج .
(٤) الزنار : رباط يشد به الحصر (٥) مصانها : مبانيها ، وفى الديوان « محاسنها »
(٦) الحوذان والحزامى : من النباتات المزهرة (٧) فى الأصل « يضاحك نورها »
وقد آثرنا رواية الديوان (٨) ريق القطر : الغزير منه .

ملكٌ تبوأَ خيرَ دارٍ أنشئت [في خير مبدئٍ للأنايم ومحضرٍ]
 [في رأس مشرفة حصاها لؤلؤٌ]
 مُحضرة والغيثُ ليس بساكبٍ
 رفعت بمنحرو الرياح، وجاورت
 وبعده :

ورفعت بُنانا كان زُهاءهُ
 عال على لخطِ العيونِ كأنما
 ملأت جوانبه الفضاء، وعانقت
 وتسيل دجلة تحته ففناؤه
 شجر تُلَاعِبُه الرياحُ فتنتى
 أخذ أبو بكر الصنوبري^(٥) قول البحترى في صفة البركة فقال يصف موضعاً :

للصنوبري
 يصف موضعاً
 في حلب

سقى حلباً سافك دمه
 ميادينه بسطهنّ الرياض
 ترى الريح تنسج من مائه
 كأن الزجاج عليها أذيب
 هي الجو من رقة غير أن
 وقد نظّم الزهر نظم النجوم
 بطيء الرقوء إذا ماسفك^(٦)
 وساحاته بينهم البراء
 دروعاً مضاعفة أو شبك
 وماء الأجنين بها قد سبك
 مكان الطيور يطير السمك
 ففترق النظم أو مشتبك

(١) يشاب : يمزج (٢) الصيب : الكثير الانهمال ، ورواية الديوان :

ظهرت لمحترق الشمال وجاورت ظلل الغمام الصائب المستعز

(٣) رضوى وضير : جبلان ، وفي الأصل « شواهد منبر » وهو تحريف

(٤) المشتري : اسم نجم . (٥) هو أحمد بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٣٣٤

(٦) الرقوء : السكون ، يقال : رقا دمه ودمه ، ولا رقأت دمة فلان ، ولا

أرقأ الله عينه . ومن كلامهم : اليأس رقوء الدمع ، وقال ذو الرمة :

لئن قطع اليأس الحنين فإنه رقوء لتذراف الدموع السوافك

كما درج الماء مرَّ الصَّبَا ودبَّجَ وجهَ السماءِ الحُبُكَا
يُبَاهِينُ أعلامَ قُمصِ القِيَانِ ونَقَشَ عَصَائِبَهَا والتَّكَكَا
وأخذ قوله :

* إذا النُّجُومُ تراءتْ في جَوَانِبِهَا *

فقال :

ولما تعالى البدرُ وامتدَّ ضوؤه بدجلة في تشرين في الطولِ والعرضِ
وقد قابل الماء المفضض نوره وبعضُ نجوم الليل يقفُو سَنَا بَعْضِ^(١)
توهم ذو العين البصيرة أنه يرى باطن الأفلاكِ مِنْ ظَاهِرِ الأرضِ
ولأهل العصر في هذا النَحْوِ كلامٌ كثير :

قال الأمير أبو الفضل الميكالي ، يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فألقته
على مَهْوٍ مطلق^(٢) عليها يقول :

أما ترى البركة الغراء قد لَبِسَتْ نوراً من الشمس في حافاتها سطعاً
والمهْو من فوقها يُلهِيكَ منظرُهُ كأنه مُلْكٌ في دَسْتِهِ ارتفعاً
والماء من تحته ألقى الشعاع على أعلى سماواته فارتجَّ مُلتَمِعاً
كأنه السيفُ مصقولاً تُقلِّبُهُ كفُّ الكميِّ إلى ضَرْبِ الكميِّ سَعَى^(٣)

وفال على بن محمد الإيادي يمدح المعزَّ ويصف دار البحر بالمنصورية^(٤) :

ولما استطلَّ المَجْدُ واستولت البُنى على النَّجْمِ واشتدَّ الرواق المروِّقُ^(٥)
بني قبةً للملك في وَسْطِ جَنَّةٍ لها منظرٌ يزُهِى به الطَّرَفُ مُوتِقُ
بمعشوقة الساعات ، أمّا عِراضُها فحُضْرٌ ، وأمّا طيرها فمَهْيَ نُطْقُ^(٦)

(١) يقفُو : يتبع ، والسنا : الضوء . (٢) المهْو : الحصى الأبيض (م)

(٣) الكمي : الشجاع (٣) المنصورية : مدينة بقرب القيروان (٤) البنى : جمع

بنية ، بالضم والكسر (٥) العراض : هي الباحات

تَحْفَ بَقْصَرٍ ذِي قَصُورٍ كَأَنَّمَا
 لَهُ بَرَكَةٌ لِلْمَاءِ مِلْءَ فَضَائِهِ
 لَهَا جَدُولٌ يَنْصَبُ فِيهَا كَأَنَّهُ
 لَهَا مَحَلْسٌ قَدْ قَامَ فِي وَسْطِ مَائِهَا
 كَأَنَّ صِنَاءَ الْمَاءِ فِيهَا وَحُسْنَهُ
 إِذَا بَثَّ فِيهَا اللَّيْلُ أَشْخَاصَ نَجْمِهِ
 وَإِنْ صَافَحَتْهَا الشَّمْسُ لَاحَتْ كَأَنَّمَا
 كَانَ شُرَافَاتُ الْمَقَاصِرِ حَوْلَهَا
 يَذُوبُ الْجَفَاءُ الْجَعْدُ عَنْ وَجْهِ مَائِهَا
 تَرَى الْبَحْرَ فِي أَرْجَائِهِ وَهُوَ مُتَأَنٍّ^(١)
 تَخْبُثُ بِقَصْرِهَا الْعَيُونَ وَتُعْنِقُ^(٢)
 حُسَامُ جَلَالِهِ الْقَيْنَ بِالْأَرْضِ مُلْصَقَ^(٣)
 كَمَا قَامَ فِي فَيْضِ الْفَرَاتِ الْخُورَ نَقْ^(٤)
 زُجَاجٌ صَفَتْ أَرْجَاؤُهُ فَبِهِ أَزْرَقُ
 رَأَيْتَ وَجْهَ الزُّنْجِ بِالنَّارِ تَحْرُقُ
 فَرَنْدٌ عَلَى تَاجِ الْمَعْرِزِ وَرَوْنَقُ
 عَدَاوِي عَالِمِينَ الْمَلَأَهُ الْمُنَاطِقُ
 كَمَا ذَابَ آلُ الصَّحْصَحَانِ الْمَرْقُوقُ^(٥)

وقال عبد الكريم بن إبراهيم :

يَا رَبَّ فِتْيَانِ صِدْقِ رُحْتُ بَيْنَهُمْ
 مَرْضَى أَصَائِلِهَا حَسْرَى شَمَائِلِهَا
 مَعَاطِيَا شَمْسٍ إِبْرِيْقٍ إِذَا مُرْجَتْ
 عَنْ مَاحِلِ طَافِحٍ بِالْمَاءِ مُعْتَلِجٍ
 تَصْمُهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا، وَتَفَرِّقُهُ
 مِنْ مَخْضَرٍ نَاضِرٍ وَالطَّلُّ يَلْحَقُهُ
 تَهْزُهُ الرِّيحُ أَحْيَانًا فَيَمْنَحُهَا
 كَانَ خَافَاتِهِ نُطْقُنَ مِنْ رَبْدٍ

لعبد الكريم
ابن إبراهيم
يصف موضعاً

والشمس كاللَّيْفِ الْمُعْشُوقِ فِي الْأَفْقِ
 تَرُوحُ الْفُصْنُ الْمَطُورُ فِي الْوَرَقِ
 تَقَلَّدَتْ عِقْدَ مَرْجَانٍ مِنَ الْبَرْقِ
 كَأَنَّمَا نَفْسُهُ صِيغَتْ مِنَ الْخَدَقِ
 فَالْمَاءُ مَا بَيْنَ مَحْبُوسٍ وَمُنْطَلَقِ
 وَأَبْيَضٌ تَحْتَ قَيْظِي الضَّجَى يَقْقُ^(٦)
 لِلزَّجْرِ خَفَقَ فَوَادٍ الْعَاشِقِ الْقَاوِ
 مَنَاطِقًا رُصِّعَتْ مِنْ لَوْلُو نَسَقِ

(١) متأن : ملائ (٢) تخب، وتعنق : من الحب والعنق بفتحين وهما من أنواع السير (٣) القين : الحداد (٤) الخورنق : اسم قصر (٥) الصحصحان : موضع بين حلب وتدمر ، والآل : السراب (٦) قيطى : منسوب إلى القيط وهو الحر الشديد . وفي الأصل « قبطى » وهو تحريف ، واليقق : الناصع البياض .

كَانَ قُبَيْتَهُ مِنْ سُنْدُسٍ نَخِيطٍ حَسَنَاءُ مَجْلُوءَةٌ اللَّبَّاتِ وَالْعُنُوتِ
 إِذَا تَبَلَّجَ فَجَّرُ فَوْقَ زُرْقَتِهِ حَسْبَتُهُ فَرَسًا دِهَاءً فِي بَلَقِ^(١)
 أَوْ لَا زُورْدًا جَرَى فِي مَنْتِهِ ذَهَبٌ فَلَاحٌ فِي شَارِقٍ مِنْ مَائِهِ شَرْقُ
 عَشِيَةٍ كَمَلَتْ حُسْنًا وَسَاعَدَهَا لَيْلٌ يُمَدِّدُ أَطْنَابًا عَلَى الْإَفْقِ
 تَجْلَى بَغْرَةً وَضَاحَ الْجَبِينِ لَهُ مَا شَتَّتَ مِنْ كَرَمٍ وَافٍ وَمِنْ خُلُقٍ

ألفاظ لأهل العصر في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزُّجَاجِ الأزرق ، غدير كعين الشمس ، مَوَارِدُ كالمبارد ، وماء كلسان
 الشعلة ، في صفاء الدَّمْعَةِ ، يسبح في الرِّضْرَاضِ ، سَبَجَ النَّضْنَضُ ، ماء أزرق
 كعين السَّنُورِ^(٢) ، صاف كقضيب البلور ، ماء إذا مَسَّتْهُ يَدُ النِّسِيمِ حَكِي سَلَسِلَ
 الفضة ، ماء إذا صاحته زاحة الريح ، لبس الدَّرْعِ كالسَّيْحِ ، كَانَ الْغَدِيرُ بِتَرَابِ
 الْمَاءِ رِذَاءً مُصْنَدَلٌ ، بركة كأنها مرآة السماء ، بركة مَفْرُوزَةٌ بِالْخَضِرَةِ ، كأنها
 مِرْآةٌ مَجْلُوءَةٌ ، على ديباجة خضراء ، بركة ماء كأنها مِرْآةُ الصَّنَاعِ^(٣) ، غدير
 تَرَقَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ ، وتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ الْغَرَابِ ، ماء زُرْقُ
 جَمَامِهِ ، طَامِيَةٌ أَرْجَاوُهُ ، يَبْشُوحُ بِأَسْرَارِهِ صَفَاوُهُ ، وتَلَوَّحُ فِي قَرَارِهِ حَصْبَاوُهُ ،
 ماء كأنما يَفْقَدُهُ مَنْ يَشْهَدُهُ ، يَنْسَلْسِلُ كَالزَّرَافِينِ^(٤) ، ويرضع أولاد الرِّيَاحِينَ ،
 انْحَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ ، وَوَهَى عَقْدُ الْأَنْوَاءِ ، انْحَلَّ سَلَكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْبَحْرِ ، أَسْعَدَ
 السَّحَابُ جَفُونَ الْعَشَاقِ^(٥) ، وَأَكْفَ الْأَجْوَادَ ، وانْحَلَّ خَيْطُ السَّمَاءِ ، وانقطع

(١) البلق : ارتفاع التحجيل إلى الفخذين (٢) السنور : القط .

(٣) الصناعات : المرأة الماهرة فيما تصنع وكأنما يراد بها المرأة التي تهتم بزينة النساء

(٤) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى له عليها بريقاً ولعناً

(٥) أسعد : من الإسعاد ، وهو المشاركة في البكاء

شَرِيَانُ الْقَامِ ، سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، وتفرض علينا عقود الدّر ، سحابٌ
 حكى الحبّ في انسكاب دموعه ، والتهاب النار بين ضلوعه ، سحابة تحدو من الغيوم
 جمالاً ، وتمدّ من الأمطار حبّالاً ، سحابة ترسلُ الأمطارَ أمواجاً ، والأمواجُ
 أفواجاً ، تملكت نقد السماء بالديمة الهطلاء ، غيثٌ أجشٌ^(١) يروى الهصّاب
 والآكام^(٢) ، ويحكي النبات والسّوام^(٣) ، غيثٌ كغزارة فضلك ، وسلاسة طبعك ،
 وسلامة عقدك ، وصفاء ودّك ، وبل كالنبيل ، سحابة يضحك من بكائها الرّوض ،
 وتحضّر من سوادها الأرض ، سحابة لا تحفّ جفونها ولا تخفّ أنينها ، ديمة
 روت أديم الثرى ، ونهت عيون النّور من الكرى ، سحابة ركبت أغناق الرياح ،
 وسجّت كافّواه الجراح ، مطر كافّواه القرب ، ووحل إلى الركب ، أنديّة من الله
 معها على البيوت بالثبوت ، وعلى السقوف بالوقوف ، أقبل السيل ينحدر انحداراً ،
 ويحمل أحجاراً وأشجاراً ، كأن به جنة ، أو في أحشائه أجنة .
 وبعض ما مر من هذه الألفاظ محلّول نظام ما تقدم إنشاده .

ولهم في مقدمات المطر

لبست السماء جلبابها ، وسحبت السحاب أذيالها ، قد احتجبت الشمس في
 سرّادق الغيم ، ولبس الجو مطرّفه الأدكن ، باحت الريح بأسرار النّدى ،
 وضربت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ، وابتل جناح الهواء ، واغرورت مقلة
 السماء ، وبشّر النسيم بالندى ، واستعدت الأرض للقطر ، هبت شمائل الجنائب ،
 لتأليف شمل السحاب . تألفت أشنات الغيوم ، وأسبلت الشّطور على النجوم .

(١) أجش : ذو صوت (م) (٢) الآكام : جمع أكمة وهي التل .

(٣) السوام : جمع سائمة ، وهي الماشية (م)

وفي الرعد والبرق

قام خطيبُ الرَّعْدِ ، ونبض عِرْقُ الْبَرْقِ ، سحابة ارتجزت ^(١) رَوَّاعدها ، وأذهبت ببروقها مطاردها ، نطقَ لسانُ الرعد ، وخفق قلبُ البرق ، فالرعدُ ذو صَخَبٍ ، والبرقُ ذو لَهَبٍ ، ابتسم البرقُ عن قهقهة الرعد ، زارت أسد الرعد ، ولعلت سيوف البرق ، رعدت [سيوفُ] الغمام ، وبرقت ، وانحلت عزالي السماء فطبقت ، هدَّرت رَوَّاعدها ، وقربت أباعدها ، وصدقت مَوَّاعدها . كأن البرق قلب مشوق ، بين التهاب وخُفوق .

ويتصل بهذه الأنحاء

ما حكاه عمر بن علي المطوعي قال : رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله ابن أحمد - أدام الله عزه! - أيام مُقَامِهِ بِحُيُوتٍ أَنْ يَطَالِعَ قَرْيَةً مِنْ قَرْيَ ضِيَاعِهِ تَدْعِي نَجَابَ عَلَى سَبِيلِ التَّنْزُّهِ وَالتَّفَرُّجِ ، فَكَنتَ فِي جَمَلَةٍ مِّنْ اسْتَصْحَبِهِ إِلَيْهِمَا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَاتَّفَقَ أَنَا وَصَلْنَا وَالسَّمَاءُ مُصْجِيَةً ، وَالْجَوُّ صَافٍ لَمْ يَطْرُزْ ثَوْبُهُ بِعِلْمِ الْغَمَامِ ، وَالْأَفَقُ قَيَّرُورَجٍ لَمْ يَبْقَ بِهِ كَافُورُ السَّحَابِ ؛ فَوَقَعَ الْإِخْتِيَارُ عَلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ بَاسِقَةِ الْفُرُوعِ ^(٢) ، مُتَسِقَةِ الْأَوْرَاقِ وَالْفُصُونِ ، قَدْ سَتَرَتْ مَا حَوْلَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَرْضِ طَوْلًا وَعَرْضًا ، فَتَزَلْنَا تَحْتَهَا مُسْتَظِلِّينَ بِسَمَاوَةٍ أَفْنَانِهَا ^(٣) ، مُسْتَتِرِينَ مِنْ وَهَجِ الشَّمْسِ بِسِتَارَةِ أَغْصَانِهَا ، وَأَخَذْنَا نَتَجَادِبُ أَذْيَالَ الْمَذَاكِرَةِ ، وَنَسَالِبُ أَهْدَابِ الْمُنَاشِدَةِ وَالْمَحَاوِرَةِ ؛ فَمَا شَعَرْنَا بِالسَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ ارْعَدَتْ وَأَبْرَقَتْ ، وَأَظْلَمَتْ بَعْدَمَا اشْرَقَتْ ، ثُمَّ جَادَتْ بِمَطَرٍ كَأَفْوَاهِ الْقِرْبِ فَاجْدَات ، وَحَكَتْ أَنَا مِلَ الْأَجْوَادَ وَمِدَامِعِ الْعِشَاقِ ^(٤) ، بَلْ

(١) ارتجزت : أراد صوت (م) (٢) باسقه : عالية مرتفعة (م) .

(٣) السماوة : السماء وهو السقف - والأفنان : جمع فتن ، بالتحريك ، وهو

الفنن (م) (٤) المدامع : جمع مدمع ، وهو هنا مكان الدمع .

أَوْفَتْ عَلَيْهَا وَزَادَتْ، حَتَّى كَادَ غَيْثُهَا يَعُودُ عَيْثُهَا^(١)، وَهَمَّ وَبَلَهَا أَنْ يَسْتَحِيلَ وَيَلَا
فَصَبَرْنَا عَلَى أَذَاهَا، وَقَلْنَا: سَحَابَةٌ صَيْفٍ عَمَّا قَلِيلٍ تَقَشَّعُ، فَإِذَا نَحْنُ بِهَا قَدْ أَمْطَرْتَنَا
بَرْدًا كَالثُّغُورِ، لَكِنَّمَا مِنْ ثُغُورِ الْعَذَابِ، لَا مِنَ الثُّغُورِ الْعَذَابِ، فَأَيَّقْنَا بِالْبَلَاءِ،
وَسَلَّمْنَا لِأَسْبَابِ الْقَضَاءِ؛ فَمَا مَرَّتْ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ النَّهَارِ، حَتَّى سَمِعْنَا خَرِيرَ الْأَنْهَارِ،
وَرَأَيْنَا السَّيْلَ قَدْ بَلَغَ الرُّبَى^(٢)، وَالْمَاءُ قَدْ غَمَرَ الْقِيَعَانَ وَالرُّبَى^(٣)؛ فَبَادَرْنَا إِلَى
حِصْنِ الْقَرْيَةِ لَا نَذِينَ مِنَ السَّيْلِ بِأَفْنِيَّتِهَا، وَعَائِذِينَ مِنَ الْقَطْرِ بِأَبْنِيَّتِهَا، وَأَثَوَانَا
قَدْ صَنَدَلْ كَافُورِيَّهَا مَاءَ الْوَبْلِ، وَغَلَفَ طِرَازِيَّهَا طِينُ الْوَحْلِ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ
اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ، وَإِنْ فَقَدْنَا بَيَاضَ الْأَكْلامِ وَالْأُردَانِ، وَنَشْكُرُهُ
عَلَى سَلَامَةِ الْأَنْفُسِ وَالْأَرْوَاحِ، شُكْرَ التَّاجِرِ عَلَى بَقَاءِ رَأْسِ الْمَالِ إِذَا فُجِّعَ
بِالْأَرْبَاحِ؛ فَبِتْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي سَمَاءِ تَكْفٍ وَلَا تَكْفٍ^(٤)، وَتَبَكَّى عَلَيْنَا إِلَى الصَّبَاحِ
بَادُوعٍ هَوَامٍ^(٥)، وَأَرْبَعَةَ سَجَامٍ؛ فَلَمَّا سُلَّ سَيْفُ الصَّبْحِ مِنْ غِمْدِ الظَّلَامِ،
وَصُرِفَ بَوَالِي الصَّحْوِ عَامِلُ الْغَمَامِ، رَأَيْنَا صَوَابَ الرَّأْيِ أَنْ نُوسِعَ الْإِقَامَةَ بِهَا
رَفَضًا، وَنَتَخَذَ الْإِرْتِحَالَ عَنْهَا فَرَضًا؛ فَمَا زِلْنَا نَطْوِي الصَّحَارَى أَرْضًا فَأَرْضًا، إِلَى
أَنْ وَافَيْنَا الْمُسْتَقَرَّ رَكْضًا؛ فَلَمَّا نَفَضْنَا غُبَارَ ذَلِكَ الْمَسِيرِ، الَّذِي جَعَلْنَا فِي رِبْقَةِ
الْأَسِيرِ، وَأَفْضَيْنَا إِلَى سَاحَةِ التَّيْسِيرِ، بَعْدَ مَا أَصْبَدْنَا بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ، وَتَذَاكُرْنَا
مَا لَقِينَا مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ، فِي قَطْعِ ذَلِكَ الطَّرِيقِ وَطَى تِلْكَ الشُّقَّةَ، أَخَذَ الْأَمِيرُ
السَّيْدَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ! - الْقَلَمَ فَعَلَقَ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ارْتِجَالًا:

دَهْتَنَا السَّمَاءُ غَدَاةَ السَّحَابِ بَغِيثٍ عَلَى أَفْقِهِ مُسْبِلٍ
فَجَاءَ بَرْعُودٍ لَهُ رَنَّةٌ كَرَنَةً تَكْلِي وَلَمْ تَكْلِي

(١) العيث: الفساد (٢) الرُبى جمع زبية، وهى الراية لا يعلوها ماء
(٣) القيعان: جمع قاع، والرُبى: جمع ربوة (٤) تكف: تسيل، وتكف: تمتنع
(٥) هوام: جمع هامية، وسجام: جمع ساجمة، أى ممطرة

وَمَنْ بَوَّيْلٍ عَدَا طَوْرَهُ فَعَادَ وَبَالًا عَنِ الْمُجَلِّ (١)
 وَأَشْرَفَ أَضْحَابُنَا مِنْ أَذَاهُ عَلَى خَطَرٍ هَائِلٍ مُفْضِلٍ
 فَمِنْ لَا يُذِيبُ بِنَاءَ الْجِدَارِ وَأَوَّ إِلَى نَفْقٍ مُهْمَلٍ (٢)
 وَمَنْ مُسْتَجِيرٌ يُنَادِي: الْغَرِيقَ هُنَاكَ، وَمَنْ صَارِخٍ مُفْعُولٍ
 وَجَادَتْ عَلَيْنَا سَمَاءُ السَّقُوفِ بِدَمْعٍ مِنَ الْوَجْدِ لَمْ يَهْمَلِ
 كَانَ حَرَامًا لَهَا أَنْ تَرَى يَبِيسًا مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يُبْلَلِ
 وَأَقْبَلَ سَيْلٌ لَهُ رَوْعَةٌ فَأَذْبَرَ كُلٌّ عَنِ الْقَبْلِ
 يُقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ وَمَا يَلْقَى مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمَلِ
 كَانَ بِأَحْشَاءِهِ إِذْ بَدَا أَجَنَّةَ حُبْلَى وَلَمْ تَحْبَلِ
 فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا وَمَنْ مُعَلِّمٌ عَادَ كَالْمَجْهَلِ (٣)
 كَفَانَا بَلِيَّتَهُ رَبُّنَا فَقَدْ وَجِبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ
 قَقْلٌ لِلسَّمَاءِ ارْعُدِي وَابْرُقِي فَإِنَّا رَجَعْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ (٤)

أخذ المطوعى قوله : « فلما سُلَّ سيفُ الصبحِ من غِمدِ الظلامِ » من قول

أبى الفتح البستي :

رُبَّ لَيْلٍ أغمَدَ الأنوارَ إلَّا ثَوْرَ ثَغْرِ أو مدام أو ندام
 قد نعمنا بدِّياجيه إلى أن سُلَّ سيفُ الصبحِ من غِمدِ الظلامِ
 [وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو العباس الناشي] :

خليلي هل للمزنِ مُقْلَةٌ عاشت أم النار في أحشائها وهي لاتذرى
 أشارت إلى أرض العراق فأصبحت وكاللولؤ المنشورِ أدُّمهم - التجري

(١) المحل : المجدب (٢) النفق : السرداب

(٣) غامر : خراب ، ومعلم ومجهل : معلوم ومجهول

(٤) هذا البيت غاية في خفة الروح

لأبى الفتح
البستي

لأبى العباس
الناشي

سحاب حَكَتْ تُكَلَّى أُصِيبَتْ بِوَاحِدٍ
تَسْرِبَلْ وَشِيَاءَ مِنْ حُزُونٍ تَطْرَزَتْ
فَوْشَى بِلَا رَقْمٍ، وَرَقْمٌ بِلَا يَدٍ،
وَقَالَ آخِرُ :

أُرْقَتْ لِبَرْقٍ شَدِيدِ الْوَمِيزِ
كَأَنَّ تَأَقُّقَهُ فِي السَّمَاءِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

لَا بِنَ الْمُعْتَزِ

كَأَنَّ الرَّبَابَ الْجَوْنَ دُونَ سَحَابِهِ
إِذَا لَحِقَتْهُ خَيْفَةٌ مِنْ رَعُودِهِ
وَقَدْ قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ :

لِحَسَنِ بْنِ ثَابِتٍ

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

لَا بِنَ الْمُعْتَزِ أَيْضًا

بَاكِية يَضْحَكُ فِيهَا بَرْقُهَا
رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقُهَا مِنْذُ بَدَا
جَرَتْ بِهَا رِيحُ الصَّبَا حَتَّى بَدَا
تَحْسَبُهُ طَوْرًا إِذَا مَا انْصَدَعَتْ
وَتَارَةً تَحْسَبُهُ كَأَنَّهُ
مَوْصَلَةٌ بِالْأَرْضِ مَرْخَاةُ الطُّنْبِ
كَمَثَلِ طَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبِ يَحِبٍّ^(٣)
مِنْهَا لِي الْبَرْقُ كَأَمْثَالِ الشَّهْبِ^(٤)
أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شَجَاعًا يَضْطَرِبُ^(٥)
أُبْلِقُ مَالَ جُلُهُ حِينَ وَثَبَ^(٦)

(١) الرِّبَابُ : السَّحَابُ ، وَالْجَوْنُ : الْأَسْوَدُ

(٢) دُوَيْنَ : تَصْغِيرُ دُونَ (٣) يَحِبُّ : يَضْطَرِبُ (٤) رَوَاةُ الْدِيَوَانِ :

ثُمَّ حَدَّثَ بِهَا الصَّبَا كَأَنَّهَا فِيهَا مِنَ الْبَرْقِ كَأَمْثَالِ الشَّهْبِ
(٥) الشَّجَاعُ : الثَّعْبَانُ . وَرَوَاةُ الْدِيَوَانِ :

إِذَا تَعَرَّى الْبَرْقُ فِيهَا خَلَّتْهُ بَطْنُ شَجَاعٍ فِي كَثِيبٍ يَضْطَرِبُ

(٦) الْأُبْلَقُ : الْجَوَادُ يَرْتَفِعُ تَحْجِيلُهُ إِلَى الْفَخْذَيْنِ ، وَالتَّحْجِيلُ : بَيَاضٌ فِي الْقَوَائِمِ ،

وَالْجَلُّ : مَا يَوْضَعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ وَالْجَوَادِ

وتارة تحببه كأنه سلاسل مفصولة من الذهب
وقال الطائي :

ياسهم للبرق الذي استطارا صار على رغم الدجى نهارا
آض لنا ماء وكان نارا^(١)

وينشد أصحاب المعاني :

نارٌ تجدد للعينين نضرتها والنار تلفح عيدانا فتحترق
وقال ابن المعتز يمدح الشراب في الصَّخْرِ ، ويدمغه في الطر :

أنا لا أشتهى سماء كبطان السَّيْرِ والشراب تحتها في خراب^(٢)
بين سقف قد صار مُنخل ماء وجدار ملقى وتلُّ تراب
وبيوت يوقع الوكف فيهـن وإيقاعه بغير صواب^(٣)
إنما أشتهى الصُّبوح على وجه سماء مصقولة الجلباب
ونسيم من الصَّبَا يتمشى فوق رَوْضٍ ندِّجديد الشَّبَاب
وكان الشمس المضيئة دينا رَجَمَتْه حدائدُ الضَّرَاب
في غداة وكأسها مثل شمسٍ طلعت في ملاءة من شراب^(٤)
أوعروس قد ضُمَّتْ بِمَخْلُوقٍ فهي صفراء في قيص حباب
وغناء لا عُذْر للعود فيه بتندى الأوتار والمضرب
ونقاء البساط من وَضْرِ الطَّيْرِ وَمَسْحِ الأقدام في كل باب
ونشاط الفلمان إن عرضتْ حا جاتنا في مجيئهم والذهاب
وجفاف الريحان والرجس الغض بأیدی الخللان والأصحاب
لا تندى أنوفهم كلما حُيْتُـوا بضعف ندى أنوف الكلاب

(١) آض : رجع وصار (٢) الشراب - بالفتح - جماعة الشاربين (م) .

(٣) في الديوان (٥٣/٤) « وإيقاع الوكف غير صواب » . التوقيع : الضرب على آلة الغناء ، والوكف : انهمال المطر (م) (٤) هذا البيت ملفق من بيتين وهما كافي الديوان .

في غداة قد تمتك يرد الـ سماء في يومها وضو الشراب
من عقار في السكاس تشبه شمساً طلعت في غلالة من سراب (م)

لابن المعتز
يمدح الشراب
في الصخو

ذاك يومٌ أراه غما وحظاً
وقال الصنوبرى :

أنيس ظباء بوحش الطبا وصبيغ حياً مثل صبيغ الحيا
ويوم تكلله الشمس من صفاء الهوى وصفاء الهوا
بشمس الدتن وشمس الزيان وشمس الجنان وشمس السما
وشبيه بالآيات التي كتبها تغلب إلى أبي العباس بن المعتز الجميل ^(١) قول الآخر:
وما وجد ملوح من الهيم خلّيت عن الورد حتى جوفها يتصلصل ^(٢)
تحوم وتغشاها العصي وحولها أقاطيع أنعام تغل وتتهل
بأكثر منى لوعة وصباية إلى الورد إلا أنني أتجمل ^(٣)
وقال أبو حية النيرى :

وصف شدة
الشوق

لأبي حية
في هذا المعنى

كفى حزناً أنى أرى الماء مغرّضا
وما كنت أخشى أن تكون منيتى
لعينى ولكن لاسيل إلى الورد ^(٤)
بكف أعز الناس كلهم عندي

[وصف رجل حازم لابن المقفع]

قال ابن المقفع : كان لى أخ أعظم الناس فى عينى ^(٥) ، وكان رأس ما عظمه
فى عينى صغر الدنيا فى عينه ، وكان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهى مالا

(١) قد مرت هذه الآيات فى ص ١٨٦ (٢) الملواح : الناقة أصحابها اللوح وهو
الظمأ الشديد ، والهيم : جمع هيماء ، وهى التى أصيبت بداء الهيام ، وهوشدة الظمأ ،
ويتصلصل : يصوت (٣) ومثل هذا أيضا قول الشريف الرضى :

وما حأتمات يلتفتن من الصدى إلى الماء قد موطن بالرشقان
إذا قيل هذا الماء لم يملكوا لها معاجا بأقران ولا بمشان
بأظما إلى الأحباب منى وفهم غريم إذا رمت الديون لوانى
(٤) ومن هذا الباب قول الآخر :

إنى وإباك كالمادى رأى نهلا ودونه هوة يخفى بها التلقا
يرى بعينه ماء عز مورده وليس بمالك دون الماء منصرفا
(٥) خبارة اليتيمة : « إنى يحرك عنى وحلم كمن أعظم الناس فى عينى »

يُجَدِّد ، ولا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ، وكان خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ فَرْجِه ، فلا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مُؤَنَّةً ، ولا يَسْتَخَفُّ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَنًا . وكان لَا يَتَأَثَّرُ عِنْدَ نِعْمَةٍ ، وَلَا يَسْتَكِينُ عِنْدَ مُصِيبَةٍ . وكان خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ لِسَانِهِ ، فلا يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا يَعْلَمُ ، وَلَا يُعَارِي فِيهَا عِلْمَ ، وكان خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ ، فلا يَتَقَدَّمُ ^(١) أَبَدًا إِلَّا عَلَى ثِمَّةٍ بِمَنْفَعَةٍ ، وكان أَكْثَرُ دَهْرِهِ صَامِتًا ، فَإِذَا قَالَ بَرٌّ الْقَائِلِينَ ^(٢) ، وكان ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا ، فَإِذَا جَدَّ الْجَدُّ ^(٣) فَهُوَ اللَّيْثُ عَادِيًا ^(٤) . وكان لَا يَدْخُلُ فِي دَعْوَى ، وَلَا يُشَارِكُ فِي مِرَاءٍ ^(٥) ، وَلَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَرَى قَاضِيًا فَهَمًّا ^(٦) ، وشهودًا عُدُولًا . وكان لَا يَلُومُ أَحَدًا فِيمَا يَكُونُ الْمُعْذَرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا عُذَرَهُ .

وكان لَا يَشْكُرُ وَجْعَهُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الثُّبْتَ ، وَلَا يَسْتَشِيرُ صَاحِبًا إِلَّا أَنْ يَرْجُوَ مِنْهُ النَّصِيحَةَ . وكان لَا يَتَبَرَّمُ ^(٧) وَلَا يَتَسَخَّطُ ، وَلَا يَتَشَكَّى وَلَا يَتَشَعَّى ، وَلَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَلَا يَقْفُلُ عَنِ الْوَلِيِّ ، وَلَا يَخْصُ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ دُونَ إِخْوَانِهِ مِنْ أَهْتَامِهِ وَحِيلَتِهِ وَقُوَّتِهِ . فعَلَيْكَ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ إِنْ أَطَقْتَهَا ، وَأَنْ تَطِيقَ ، وَلَكِنْ أَخْذُ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْجَمِيعِ .

وعلى ذكر قوله : « وَإِنْ قَالَ بَرٌّ الْقَائِلِينَ » قال ابن كُنَاسَةَ — واسمه محمد بن عبد الله ، وَيَكْنَى أَبُو بَحِيٍّ — فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ ^(٨) الزَّاهِدِ :

رَأَيْتُكَ لَا تَرْضَى بِمَا دُونَهُ الرِّضَا وَقَدْ كَانَ يَرْضَى دُونَ ذَلِكَ ابْنُ أَدَهَمَ

لابن كُنَاسَةَ
يُصِفُ ابْنَ أَدَهَمَ

(١) عبارة اليتيمة « فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة »

(٢) بز: غلب ، بالدال والزاي ، ومنه : من عزيز (٣) في الأصل « فإذا وجد الجد »

وهو محريف . وعبارة اليتيمة « فإذا جاء الجد » (٤) عاديًا : منصوب على الحال

(٥) المراء : الجدال (٦) رواية اليتيمة « قاضيًا عدلاً » (٧) يتبرم : يتضجر

(٨) إبراهيم بن أدهم : شخصية قوية ترى أثرها في كتب الدين والأخلاق . كان

يعيش من عرق جبينه ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، تعفف عن ميراث أبيه واكتفى بحياة التقشف والحشونة ، وكان معروفًا بالفصاحة والحرص على صواب القول ؛

فكان إذا حضر مجلس سفيان الثوري وهو يعظ أو جز سفيان في كلامه مخافة أن يزل . وكانت وفاته نحو سنة ١٦١ .

وكان يرى الدنيا صغيراً عظيماً وكان لأمر الله فيها مُعظماً
وأكثر ما تلقاه في الناس صامتا وإن قال برّ القائلين فأفحماً
يُشيعُ الغنى في الناس إن مسّه الغنى وتلقى به البأساء عيسى بن مريم
أهان الهوى حتى تجنّبه الهوى كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

ألفاظ لأهل العصر في ذكر التقى والزهد

فلان عذب المشرب ، عَفَ المَطْلَب ، نَقَى الساحة من المائِمْ ، بَرَى
الذمة من الجرائم ، إذا رضى لم يَقُلْ غيرَ الصدق ، وإذا سَخِطَ لم يتجاوز جانب
الحق ، يرجعُ إلى نفسٍ أُمارة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدلولة على سبيل البر :
أَعْرَضَ عن زِبْرِجِ الدنيا وخُدَعَهَا ، وأقبل على اكتسابِ نَعَمِ الآخرة ومُتَمِعَهَا ..
كَفَّ كَفَّهُ عن زُخْرَفِ الدنْيا نَضَرَهَا ، وغَضَّ طَرَفَهُ عن متاعها وزَهَرَتِهَا ؛
وأعرض عنها وقد تعرّضتْ له بزيتِها ، وصدَّ عنها وقد تصدَّتْ له في حِلَّتِها .
فلانٌ ليس ممن يَقِفُ في ظِلِّ الطمع ، فيُسِفُّ إلى حَضِيضِ الطبع ^(١) ، نَقَى
الصحيفة ، عَلَيَّ عن الفضيحة ، عَفَ الإزار ، طاهرٌ من الأوزار ، قد عاد لإصلاح
المعاد ، وإعداد الزاد .

من أخبار
ابن المقفع

وكان ابنُ المقفع من أشرف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنفات
كثيرة ، ورسائلٌ مختارة ؛ وكان مُخجِماً عن قول الشعر ، وقيل له : لم لا تقول
الشعر ؟ فقال : الذي أرضاه لا يجيئني ، والذي يجيئ لا أرضاه ^(٢) .

(١) الطبع - بفتح الباء - الخسة . وفي الأصل (التصنع) وهو تحريف .

(٢) ومع هذا فقد تيسرت له الإجابة ، حتى اختار له مؤلف الحماسة الأبيات الآتية

رزئنا أبا عمرو ، ولاحي مثله فله ريب الحادثات بمن وقع
فإن تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة ما في انسداد لها طمع
فقد حزننا فقدنا لك أتنا أمتا على كل الرزايا من الجزع

أخذ هذا بعضهم فقال :

أَبَى الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَنْفَى رَدِيَّهُ إِلَى ، وَيَأْبَى مِنْهُ مَا كَانَ مُحْكَمَا
فِيَالَيْتَى إِذْ لَمْ أُجِدْ حَوْلَكَ وَشِيهِ وَلَمْ أَكُ مِنْ فُرْسَانِهِ كُنْتُ مُفْجَمًا^(١)
وكان ظريفا في دينه^(٢) ، وذكر أنه مرَّ ببيت النار فقال :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةِ الَّذِي أُتْعَزَلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَادُ مُوَكَّلُ^(٣)
أصبحت أمتحك الصدود، وإنتى قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَا مُنِيلُ^(٤)

البيتان للأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري أخى
ترجمة
للأحوص بن عمرو بن عوف . وعاصم بن ثابت حَمِيَّة الدَّبْرُ^(٥) قتله بنو لحيان من هُذَيْل
يوم الرِّجِيع ، فأرادوا أَنْ يَبْعَثُوا بِرَأْسِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وكانت سُلَافَةُ بِنْتُ سَعْدِ نَذَرَتْ
تَشْرِبَ بِنِي فِي رَأْسِهِ الْخَمْرُ . وكان قَتَلَ بَعْضَ وَلَدِهَا مِنْ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَحَدِ
بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أَحَدَ . فلما أَرَادُوا أَخْذَ رَأْسِهِ حَمَتُهُ الدَّبْرُ - وهى النحل - فلم
يَجِدُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ : إِنَّ الدَّبْرَ لَوْ قَدْ أَمْسَى صِرْنَا إِلَى حَشَوِ اسْتِهِ ،
فَمَا أَمْسَوْا بَعَثَ اللَّهُ أَتِيًّا فَوَارَاهُ مِنْهُمْ^(٦) . وعاتكة التى ذكرهى عاتكة
بنت يزيد بن معاوية .

[أُلْخِطَ تَعْرِيزُ ، وَأَدَقَ فَهْمُ]

ومادخل أبو جعفر المصورُ المدينة قال للربيع : أُبَغِي رَجُلًا سَاقِلًا عَاسًا
بِالْمَدِينَةِ لِيَتَقَفَى عَلَى دُورِهَا : فَقَدْ بَعْدَ عَهْدِي بِدِيَارِ قَوْمِي ؛ فَالْتَمَسَ لَهُ الرَّبِيعُ قَتِيًّا

(١) منجم : مغلوب (٢) يريد أنه كان متهمًا ؛ لأنه كان قبل إسلامه مجوسياً
عبد النار . نوى سنة ١٤٢ (٣) أنزل : أتجنب . وفى الأصل (أنزل) وهو تحريف
(٤) انظر ما كتب عن هذا الشعر فى كتاب البدائع تحت عنوان (الأدب الجديد)
(٥) الدبر - بالفتح - جماعة (النحل) والزناير (٦) الأتى - على وزن غنى - هو السيل

من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يبتدئ به بإخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجازه ، فاجتاز بيت عاتكة ، فقل : يا أمير المؤمنين ؛ هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأصوص : « يا بيت عاتكة الذي أتعزل » . . . البيت ، فذكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتا بيتا حتى انتهى إلى قوله فيها :

وَأَرَاكَ تَقُولُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ مَذِقُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ ^(١)
فقال : ياربيع ، هل أوصأت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال : أخرته عنه - لعلته ذكرها الربيع - فقال : عجزته له مضاعفاً ، وهذا ألفت تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور .

[الحسد والحساد]

ومن كلام ابن المقفع : الحاسد لا يزال زاراً على نعمة الله ولا يجدها مزالاً ، ومكدراً على نفسه ما به من النعمة فلا يجدها طعماً ، ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه ، ومتسخطاً لما [لا] ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شيء بمظلوم ، محروم الطلبة ، منقوص العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قسم له يقنع ، ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرة للسرور . ممهلاً فيه إلى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص ، ولو صبر الحاسد على ما به لكان خيراً له ؛ لأنه كلما أراد أن يُطْفئ نور الله أعلاه وَيَأْتِي الله إلا أن يُقَيِّمَ نوره ولو كره الكافرون .

ابن المقفع في
صفة الحاسد

قال الطائي :

لأني تمام في
فضل الحاسد
على المحسود

لِلْحَاسِدِ الثُّغْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ
طَوَيْتَ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ
مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَزَتْ

للبحترى
في هذا المعنى .

أَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ :
وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ وَمَوْضِعَ نِعْمَةٍ
وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ :

قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسِدُوا
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَحِدُّ
لَا أُرْتَقَى صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أُرْدُ^(١)

لابن الرومي

إِنْ يَحْسِدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَأَمِّهِمْ
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ
أَنَا الَّذِي يَحِدُّونِي فِي صَدُورِهِمْ
وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ لَصَاعِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ :

وَلَا بَرَحْتَ أَنْفَاسَهُ تَنْصَعِدُ^(٢)
وَيُغْضِي عَنْ اسْتِحْقَاقِكُمْ فَهُوَ يُفَادُ^(٣)
لَأَطْفَأَ نَارًا فِي الْحَشَا تَتَوَقَّدُ
وَأَحْسَنَ مِنْ سِرِّهَا الْمَتَجَرَّدُ^(٤)

لمعن بن زائدة

وَضِدٌّ لَكُمْ لَا زَالَ يَسْفُلُ جَدُّهُ
يَرَى زَبْرَجَ الدُّنْيَا يُزْفُ إِلَيْكُمْ
وَلَوْ قَاسَ بِاسْتِحْقَاقِكُمْ مَا مُنِحْتُمْ
وَأَنْتَ مِنْ عِقْدِ الْعَقِيلَةِ جِيدُهَا
وَقَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ :

لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودٍ
بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ ، أَوْ بِالنَّاسِ وَالْجُودِ

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فُضَائِلِهِ

(١) لَا أُرْتَقَى صَدْرًا وَلَا أُرْدُ : لَا أَصْعَدُ وَلَا أَهْبِطُ ؛ فَأَنَا كَالشَّجِيِّ الدَّائِمِ الَّذِي لَا سَلَامَةَ
لِأَعْدَائِهِ مِنْهُ وَهَذِهِ الْآيَاتُ غَايَةٌ فِي جَمَالِ الْبَيَانِ (٢) الْجِدْ - بِالْفَتْحِ - الْحِظْ
(٣) يُفَادُ : يَحْرَقُ فَوَّادُهُ .

(٤) يَقُولُ : إِنْ جِيدَ الْعَقِيلَةِ أَجْمَلَ مِنَ الْعَقْدِ الَّذِي يَظُنُّ أَنَّهُ يَزِيهِ ، وَالتَّجَرَّدُ -
أَيُّ الْجِسْمِ الْعَرِيَانِ - أَجْمَلَ مِنَ السَّرِبَالِ وَهُوَ الْقَمِيصُ .

ألفاظ لأهل العصر في ذكر الحسد

دَبَّتْ عَقَارِبُ الْحَسَدَةِ ، وَكُنْتُ أَفَاعِيهِمْ بِكُلِّ مَرَّصِدٍ . فلان مَعْجُونٌ مِنْ طِينَةِ الْحَسَدِ وَالْمَنَافَسَةِ ، مَضْرُوبٌ فِي قَالِبِ الضِّيقِ وَالْمَنَاقِشَةِ . قَدْ وَكَلَنِي لَخَطًّا يَنْتَقِصُ بِأَسْهَمِ الْحَسَدِ . فلان جَسَدٌ كُلُّهُ حَسَدٌ ، وَعَقْدٌ كُلُّهُ حِقْدٌ . الْحَاسِدُ يَعْنِي عَنْ مُحَاسِنِ الشُّبْحِ ، بَعِينٌ تُدْرِكُ حَقَائِقَ الْقُبْحِ .

[التلطف في الطلب]

كتب محمد بن حماد يُعَرِّضُ فِي حَاجَةٍ لَهُ بِيْتِي شَعْرًا إِلَى الْوَائِقِ يَقُولُ :
 جَذِبْتَ دَوَاعِيَ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَتَى وقلت لها كُفِّي عَنِ الطَّلَبِ الْمُزْرِي
 فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَفِّهِ مَذَارُ رَحَى بِالرَّزْقِ دَائِبَةٌ تَجْرِي
 فَوَقَّعَ تَحْتَهَا : جَذَبْتُ نَفْسَكَ عَنْ امْتِنَانِهَا بِالْمَسْأَلَةِ دَعَانِي إِلَى صَوْنِكَ بِسَعَةِ
 فَضْلِي عَلَيْكَ ، فَخُذْ مَا طَلَبْتَ هَنِيئًا .

بين الواثق قال علي بن عبيدة : أَتَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ بِفَمِ الصَّلِيحِ ؛ فَأَقَمْتُ بِيَابَهُ ثَلَاثَةَ
 وسهل وعلى أشهرٍ لَا أَخْطِي مِنْهُ بِطَائِلٍ ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :
 ابن عبيدة

مَدَحْتُ ابْنَ سَهْلٍ ذَا الْأَيْدِي وَمَالَهُ بِذَاكَ يَدٌ عِنْدِي وَلَا قَدَمٌ بَعْدُ
 وَمَا ذَنْبُهُ ، وَالنَّاسُ - إِلَّا أَقْلُهُمْ - عِيَالٌ لَهُ ، إِنْ كَانَ لَمْ يَكُ لِي جَدُّ
 سَأَحْمَدُهُ لِلنَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَهُ فِي رَأْيٍ عَادَ لِي ذَلِكَ الْحَمْدُ

فكتب إلى : باب السلطان يَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ : عَقْلٌ وَصَبْرٌ وَمَالٌ ،
 فَقُلْتُ لِلْوَاسِطَةِ : تَوَدَّى عَنِّي ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : تَقُولُ لَهُ : لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَا غِنَايَ
 عَنِ الطَّلَبِ إِلَيْكَ ، أَوْ صَبْرٌ لَصَبِرْتُ عَنِ الذُّلِّ بِبَابِكَ ، أَوْ عَقْلٌ لَاسْتَدَلَلْتُ بِهِ عَلَى
 الْبُزَاهَةِ عَنْ رِفْدِكَ ! فَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

وقال على بن عبيدة الريحاني يوما ، وقد رأى جارية يهوها : لولا البقيا على الضمائر لبعثنا بمأجنته السرائر ، لكن نيران الحب تتدأرك بالإخفاء ، ولا تماجل بالإبداء ؛ فإن دوامها مع إغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها في فتح مصارع الإعلان .
وقد قال محمد بن يزيد الأموي :

لا وحْيِيكَ لا أَصَا فِجْ بالدَّمْعِ مدمعا
من بكى حبه استرا ح وإن كان موجعا

ومن كلام علي بن عبيدة : اجعل أنسك آخر ما تبذل من ودك ، وصن الاسترسال منك ، حتى تجد له مستحقا ؛ فإن الأنس لباس العِرض ، وتُحفة الثقة ، وجِباء الأَكفاء ، وشِعار الخاصة ، فلا تُخلق جدته إلا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك .

وقال : لولا حركات من الابتهاج أجد حسنها عند رؤيتك في نفسي لا أعرف لها مثيلا من مظانها إلا مؤانستك لي ، لأبقيت عليك من العناء ، وخففت عنك مؤونة اللقاء ؛ لكنني أجد من الزيادة بك عندي أكثر من قدر راحتك في تأخر عني ، فأضيق عن احتمال الخسران بالوحدة منك .

وقال : لوجلي من طُلوع الملاللة بكر اللقاء أستخف التجاف مع شدة الشوق ، لتبقى جذة الحال عند من أحب دوامه لي ؛ ورد طرف الشوق باطنا أيسر من مُعانة الجفاء مع الود ظاهرا .

لبعض المحشين
من الشعراء
في الشوق

وقال بعض المحدثين :

كم استراح إلى صبر فلم يرح صب إليكم من الأشواق في ترح
تركتم قلبه من حزن فرقتكم لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرح

وقال أعرابي :

ألا قل لدار بين أ كشيبة الحمى وذات الغضى جادت عليك المواضب^(١)

أَجَدَكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَتَابَعْتُ دُمُوعَ ، أَضَاعَتْ مَا حَفِظْتُ ، سَوَاكِ بْ
 دِيَارَ تَنَسَّمْتُ الْمَنَى نَحْوَ أَرْضِهَا وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهُوَى وَالْخَبَائِبُ
 لِي إِلَى لَا الْهَجْرَانُ مُحْتَكِمٌ بِهَا عَلَى وَصْلٍ مِّنْ أَهْوَى وَلَا الظَّنُّ كَاذِبٌ
 [الأدب في مجلس الحكم]

بين إبراهيم بن أدهم والطبيب ابن بختيشوع
 تنازع إبراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد
 في مجلس الحكم في عقار بناحية السَّوَادِ ، فأرَبِي عليه إبراهيمُ وأَعْلَظَ له ، فحفظ
 ذلك ابن أبي دؤاد ، فقال : يا إبراهيم ، إذا نازعتَ في مجلس الحكم بخضرتنا أمرًا
 فلا أعلنَنَّ أنك رفعتَ عليه صَوْتًا ، ولا أشرتَ بيدَ ، وليكن قَطْعُكَ أَمَّا (١) .
 وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً ، مع وفاء مجالس الخليفة حقوقها من التَّعْظِيمِ ،
 والتَّوقِيرِ ، والاستكانة ، والتَّوَجُّهَ إلى الواجب : فإن ذلك أشْكَلُ بك . وأشْمَلُ
 لمذهبك في مُحْتَدِك ، وعظيمَ خَطَرِكَ ، ولا تعجلَنَّ ، فَرُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُّ رِيثًا ، واللهُ
 يعصمك من خَطَايَا القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما آتمها على أبويك من قبل .
 إن ربك حكيم عليم .

فقال إبراهيم : أَصْلَحَكَ اللهُ تعالى : أَمَرْتُ بِسَدَادٍ ، وَحَضَضْتُ عَلَى رِشَادٍ :
 وَلَسْتُ عَائِدًا مَّا يَشْلُمُ مَرُوءَتِي عِنْدَكَ ، وَيُسْقِطُنِي مِنْ عَيْنِكَ ، وَيَخْرِجُنِي مِنْ
 مَقْدَارِ الْوَاجِبِ إِلَى الْإِعْتِذَارِ ، فَيَأْتَانَا مُعْتَذِرًا إِلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْبَادِرَةِ اعْتِذَارًا مُّقَرَّرًا
 بِذَنْبِهِ ، مُعْتَرِفًا بِجُرْمِهِ ، وَلَا يَزَالُ الْغَضَبُ يُسْتَفْزِي بِمَوَادِهِ ، فَيَرُدُنِي مِثْلَكَ بِجَلَامِهِ ،
 وَتِلْكَ عَادَةُ اللَّهِ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا مِنْكَ ؛ وَقَدْ جَعَلْتُ حَقِّي مِنْ هَذَا الْعَقَارِ لابن بختيشوع ،
 فَلَيْتَ ذَلِكَ يَكُونُ وَافِيًا بِأَرْشِ الْجَنَایَةِ عَلَيْهِ (٢) ؛ وَلَمْ يَتَأَفَّ مَالٌ أَفَادَ مَوْعِظَةً :
 وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعَمَ الْوَكِيلُ (٣) .

(١) أمم : قريب

(١) الأُرش : الدية (٢) هذا الحديث يمثل جانباً من الحظ الذي ظفر به أحمد
 ابن أبي دؤاد في عصره . وقد صحب هذا الرجل المأمون والمعتصم والواثق وعمل معهم
 جميعاً . توفي سنة ٢٤٠

[حكمة أردشير وحضه على العلم]

لما استوثق أمر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف . وتم له ملكه ، جمع الناس فخطبهم خطبة حض فيها على الألفة والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصف الناس أربعة صفوف ؛ فخرؤا له سجدًا ، وتكلم متكلمهم فقال :

لازلت أيها الملك محبوباً من الله تعالى بعز النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن المزيد ، ولازلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع إليك الذمامات ^(١) حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ، وتصل إلى دار القرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلّفي عنده والمساكنة منه ، ولازال ملكك وسلطانك باقين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علو قدرك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم ؛ فأصبحت قد جمع الله بك الأيدي بعد افتراقها ، وألف القلوب بعد توقد نيرانها ، ففضلك الذي لا يدرك بوصف ، ولا يحد بنق .

فقال أردشير : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مستحقاً ، وللداعي إذا كان للاجابة أهلاً .

وقيل لأردشير : أيها الملك الرفيع الذي حلب العصور ، وجرب الدهور ، أى الكنوز أعظم قدراً ؟ قال : العلم الذى خف محمله ، فتقلت مفارقه ، وكثرت مرافقه ، وخفى مكانه ، فأمن من السرّقى عليه ؛ فهو فى الملاء جمال ، وفى الوحدة أنيس ، يرأس به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك . قيل له : فالمال ؟ قال : ليس كذلك . محمله ثقیل ، والهّم به طویل ؛ إن كنت فى ملاء شغلك الفكر فيه ، وإن كنت فى خلوة أتعبتك حراسته .

(١) الذمامات : جمع ذمام — بكسر الهمزة ، بزنة كتاب — وهو العهد ونحوه

[أخلاق الملوك]

قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال : كانت رسلُ الملوك إذا جاءت بالهدايا يُجْعَلُ اختلافُهم إلى ، فتكون المؤامراتُ فيما معهم من ديواني ، فكنت أسأل رجلاً رجلاً منهم عن سير ملوكهم ، وأخبار عظمائهم ، فسألتُ رسولَ ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذل عُرْفَه ، وجرد سَيْفَه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبةً ورهبةً . لا ينظرُ جُنْدَه ، ولا يُخْرِجُ رعيته : سهلُ النّوال ، حزنُ النّكال ، الرجا والخوفُ معقودان في يده .

وصف ملك
الروم

قلت : فكيف حكمه ؟ فقال : يرذ الظلم ، ويردع الظالم ، ويعطي كل ذي حق حقه ؛ فالرعية اثنان : راضٍ ، ومغتبط .

قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : يتصور في القلوب ، فتعطي له العيون .

قال : فنظر رسولُ ملك الحبشة إلى إضعافى إليه ، وإقبالى عليه ، فسأل

الترجمان : مالذي يقوله الرومي ؟ قال : يذكّرُ ملكهم ، ويصفُ سيرته ؛

وصف ملك
الحبشة

فتكلم مع الترجمان بنحى ، فقال لى الترجمان : إنه يقول : إن ملكهم ذو أناة

عند القدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند

الاجترام ، قد كسا رعيته جميل رعيته ، وخوفهم عسف رعيته ؛ فهم يترأونه

رأى الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ، وسبهم عدله ، ورد عنهم

سطوته ، فلا تمتنع منه مزحة ، ولا تؤمنه غفلة ؛ إذا أعطى أوسع ، وإذا عاقب

أوجع ؛ فالتناس اثنان : راج وخائف ، فلا الراجي خائب الأمل ، ولا الخائف

بعيد الأجل . قلت : فكيف هيبتهم له ؟ قال : لا ترفعُ إليه العيون أجفانها ،

ولا تنقبه الأبصارُ إنسانها ، كأن رعيته قطعاً رفرت عليها صقورٌ صوائد .

فحدثتُ المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك ؟ قلت : ألفا درهم .

قال : يا فضل ؛ إن قيمتهما عندي أكثرُ من الخلافة ، أما عرفت قول علي بن

أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يَحْسُنُ . أَتَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ
الْخُطْبَاءِ الْبُلْغَاءِ يُحْسِنُ أَنْ يَنْصَحَ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ اللَّهِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؟
قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَقَدْ أَمَرْتُ لَهَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَاجْعَلِ الْعُذْرَ مَادَّةَ بَيْنِي
وَبَيْنَهُمَا فِي الْجَائِزَةِ [عَلَى الْمَوْزِ] ؛ فَلَوْلَا حَقُوقُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلُهُ لَرَأَيْتُ إِعْطَاءَهَا مَا فِي
بَيْتِ مَالِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ دُونَ مَا يَسْتَحِقَّانِهِ .

وقال الجاحظ : حَدَّثَنِي حَمِيدُ بْنُ عَطَاءٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ ،
وعنده رَسُولُ مَلِكِ الْخَزَرِ ، وَهُوَ يَحْدُثُنَا عَنْ أُخْتٍ لِلْمَلِكِهِمْ ، قَالَ : أَصَابَتْنَا
سَنَةٌ احْتَدَمَ شَوَاطِئُهَا عَلَيْنَا بِحَرِّ الْمَصَائِبِ ، وَصَنُوفِ الْأَفَاتِ ؛ فَفَزَعَ النَّاسُ إِلَى
الْمَلِكِ ، فَلَمْ يَذَرِ مَا يُجِيبُهُمْ بِهِ ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ إِنْ الْخَوْفُ لِلَّهِ خَائِفٌ
لَا يَخْلُقُ جَدِيدَهُ ، وَسَبَبُ لَا يَمْتَنِعُ عَزِيزُهُ ، وَهُوَ دَالٌ لِمَلِكٍ عَلَى اسْتِصْلَاحِ رَعِيَّتِهِ ،
وَزَاجِرُهُ عَنْ اسْتِفْسَادِهَا ، وَقَدْ فَرَعَتْ إِلَيْكَ رَعِيَّتُكَ بِفَضْلِ الْعَجْزِ عَنِ الْإِلْتِجَاءِ
إِلَى مَنْ لَا تَزِيدُهُ الْإِسَاءَةُ إِلَى خَلْقِهِ عِزًّا ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْعَوْدُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مُلْكًا ،
وَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بِحِفْظِ الْوَصِيَّةِ مِنَ الْمَوْصِي ، وَلَا بِرُكُوبِ الدَّلَالَةِ مِنَ الدَّالِّ ، وَلَا بِحُسْنِ
الرَّعَايَةِ مِنَ الرَّاعِي . وَلَمْ تَزَلْ فِي نِعْمَةٍ لَمْ تَغْيِرْهَا نِقْمَةٌ ، وَفِي رِضًا لَمْ يَكْذِرْهُ سُخْطٌ ،
إِلَى أَنْ جَرَى الْقَدَرُ بِمَا عَيَّرَ عَنِ الْبَصَرِ ، وَذُهِلَ عَنْهُ الْحَذَرُ ، فَسَلَبَ الْمَوْهُوبُ ،
وَالْوَاهِبُ هُوَ السَّالِبُ ؛ فَعُدُّ إِلَيْهِ بِشُكْرِ النِّعَمِ ، وَعُدِّ بِهِ مِنْ فَطْيَعِ النَّقَمِ ، فَتَنِي
نَفْسُهُ يَنْسَكَ ، وَلَا تَجْعَلَنَّ الْحَيَاءَ مِنَ التَّنْذِيلِ الْمَعْرُوفِ الْمَذِلِّ سِتْرًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَعِيَّتِكَ ،
فَتَسْتَحِقَّ مَذْمُومَ الْعَاقِبَةِ ؛ وَلَكِنْ مُرَّهُمْ وَنَفْسَكَ بِصَرْفِ الْقُلُوبِ إِلَى الْإِقْرَارِ لَهُ
بِكُنْهِ الْقُدْرَةِ ، وَتَنْذِلِ الْأَلْسُنَ فِي الدَّعَاءِ بِمَحْضِ الشُّكْرِ لَهُ : فَإِنَّ الْمَلِكَ رَبَّمَا
عَاقَبَ عَبْدَهُ لِيَرْجِعَهُ عَنْ سَيِّئٍ فَعَلٍ إِلَى صَالِحِ عَمَلٍ ، أَوْ لِيَمْنَعَهُ عَلَى دَائِبِ شُكْرِ
لِيُخْرِزَ بِهِ فَضْلَ أَجْرِهِ .

فضل أخت
ملك الخزر

فأمرها الملك أن تقوم فيهم فننذرهم بهذا الكلام ، ففعلت ، فرجع القوم وقد

علم الله منهم قبول الوعظ في الأمر والنهي ؛ فحال عليهم الخول وما مهمهم مفتقد
 نعمة كان سلبها ، وتواترت عليهم الزيادات بحمیل الصنع ؛ فاعترف لها الملك
 بالفضل ، فقلدها الملك ؛ فاجتمعت الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحبوب
 قال : وهذا وهم أعداء الله تعالى ، وضرائر نعمته ، ومستوجبو نعمته ، أعاد لهم
 بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالإقرار له بكنه قدرته ما تمنوا ، فكيف بمن يجمعه على
 الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ، ونبي مرسل ، لو صدقت النيات ، واجتمعت
 على الافتقار إليه الطلبات ؛ لكنهم أنكروا ما عرفوا ، وجهلوا ما علموا ، فانقلب
 جدمهم هزلا ، وسكوتهم خبلا .

قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعد همهم

غضب كسرى أنوشروان على بعض مرآزبته ، فقال : يُحطُّ عن مرتبته ،
 ولا ينقص من صلته ؛ فإن الملوك تؤدّب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان .
 واصطنع أنوشروان رجلا فقيل له : إنه لا قديم له . قال : اصطنعنا
 إياه شرفه .

قال معاوية رضي الله عنه : نحن الزمان ، من رفعتنا ارتفع ، ومن وضعنا
 اتضع . وكان يقول : إني لآنف من أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي ،
 وذنب لا يسعه عفوي ، وحاجة لا يسعها جودي .

عبد الملك بن مروان - أفضل الناس من تواضع عن رقة ، وعفا عن قدرة ؛
 وأنصف عن قوة .

زياد - استشفعوا لمن وراءكم ؛ فليس كل أحد يصل إلى السلطان ، ولا كل
 من وصل إليه يقدر على كلامه .

المهلب - عجب لمن يشتري الممالك بماله ، كيف لا يشتري الأحرار

بمعروفه ! وقد روى هذا لابن المبارك . وقال لبنيه : يا بني ؛ أحسن ثيابكم ما كان على غيركم .

قال أبو تمام الطائي يَسْتَهْدِي فَرَوْاً ، وعَرَّضَ بقول المهلب :
 فهل أنت مُهْدِيهِ بِمِثْلِ شَكِيرَةٍ مِنْ الشُّكْرِ يَعْلُو مُصْعِدًا وَيَصُوبُ^(١)
 فأنْتَ العَلِيمُ الطَّبَّ أَيْ وَصِيَّةٍ بِهَا كَانَ أَوْصَى فِي الثِّيَابِ الْمَهْلَبُ^(٢)
 يزيد بن المهلب — استكثروا من الحمد ؛ فإنَّ الذمَّ قَلٌّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ .
 السفاح — ما أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا لَنَا وَأَوْلِيَاؤُنَا خُلُوفٌ مِنْ أَثَرِهَا .
 المأمون — إِنَّمَا تُطَلَّبُ الدُّنْيَا لَتُمْلِكَ ، فَإِذَا مُلِكتْ فَلتُوهَب . وقال : إِنَّمَا
 يَتَكَثَّرُ بِالذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ مَنْ يَقْلَانِ عِنْدَهُ .

الحسن بن سهل — الأطراف مَنَازِلُ الأَشْرَافِ ؛ يَتَنَاولُونَ مَا يَزِيدُونَ بِالْقُدْرَةِ ،
 وَيَنْتَابُهُمْ مَنْ يَرِيدُهُمْ بِالْحَاجَةِ . وتعرض له رجل فقال له : من أنت ؟ قال : أنا
 الذي أحسنتَ إلىَّ يومَ كَذَا وكَذَا . فقال : مرحباً بمن تَوَسَّلَ إلينا بنا .
 ولما أراد المعتصم أن يشرِّفَ أَشْنَاسَ التُّرْكِ بِعَقْبِ فَتَحِ الخَزْمِيَّةِ أَمْرَ أَصْحَابِ
 المراتب بالترجُّل إليه ، فترجَّلَ إليه الحسنُ بن سهل ، فنظر إليه حاجبُه يَمْشِي وَيَتَعَثَّرُ
 فِي مَشْيِهِ ، فبَكَى ، فقال : مَا يَبْكِيكَ ؟ إِنْ المُلُوكَ شَرَّفْتَنَا وَشَرَّفْتَ بِنَا .

ومن كلام أهل العصر

للأمير شمس المعالي قابوس بن وَثْمَكِير^(٣) — مَنْ أُنْفَعَدَتْهُ نِكَايَةُ الأَيَّامِ أَقَامَتْهُ
 إِغَاثَةُ الكِرَامِ ؛ وَمَنْ أَلْبَسَهُ اللَّيْلُ ثَوْبَ ظُلُمَاتِهِ نَزَعَهُ النَّهَارُ عَنْهُ بَضِيَّائِهِ .

(١) شكيرة : شعرة ، يريد أن هديتك لا تساوى شعرة من شكره ، ويعلو ويصوب : يرتفع وينخفض :

(٢) الطب — بالفتح — الماهر الحاذق بعمله ؛ وهو أيضا الفحل الحاذق بالضراب

(٣) له ترجمة في ابن خلكان (رقم ٥١٢ بتحقيقنا) وقيمة الدهر للثعالبي (م)

وله : ابتناه المناقب باحتمال المتاعب ، وإحراز الذِّكر الجميل بالسَّمتى في
الخطب الجليل .

الصاحب بن عباد :

وقائلة : لِمَ عَرَّتْكَ الهمومُ وأَمْرُكَ مُمْتَنِلٌ في الأُمَمِ ؟

فقلت : ذَرَيْتَنِي لما أَشْتَكِي فَإِنَّ الهمومَ بِقَدْرِ الهمَمِ

أبو الطيب المتنبي :

أفاضِلُ الناسِ أغراضُ إِذا الزَمَنَ يَخْلُو من الهمِّ أَخلاهُم من الفِطَنِ

أبو الفتح البستي :

صاحبُ السلطان لا بَدَلَهُ من هُمُومٍ تَعْتَرِيهِ وَغَمَمِ

والَّذِي يَرُكِبُ بَحْرًا سَيَرَى قَحَمَ الأَهْوالِ من بَعْدِ قَحَمِ^(١)

ومن كلام الملوك الجاري مجرى الأمثال

أردشير - إذا رغبت الملوك عن العدلِ رغبت الرعيَّةُ عن الطاعة .

أفريدون - الأيام صحائفُ آجالِكُمْ ، فخلِّدوها أَحْسَنَ أَعْمالِكُمْ .

وقيل للإسكندر : ما بالُ تعظيمك لمؤدِّبك أ كثر من تعظيمك لأبيك ؟

قال : لأنَّ أباي سبَّبُ حياتي الفانية ومؤدِّي سببُ حياتي الباقية .

ودخل محمد بن زياد مؤدِّبُ الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثَر

إعظامه ، فقيل له : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا أولُ من فَتَقَ لساني

بِذِكْرِ اللهِ ، وأدنانى من رحمة الله .

وأشير على الإسكندر بتبئيت الفرس^(٢) ، فقال : لأَجْعَلَ غلبتي سَرِقَةً . وقيل

له : لو تزوجت بنت دارا ؟ فقال : لا تغلبُنِي امرأةٌ غلبتُ أباهَا .

(١) قحَم : جمع قحمة ، وهى الشدة (٢) التبئيت : الهجوم بغتة بالليل

أنوشروان - الملك إذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتله من قواعد بُنيانه .

أبرويز - أطع مَنْ [فوقك يطعك مَنْ] دونك .
السفاح - إن من أدنى الناس ووضعا بهم مَنْ عدَّ البخل حَزْماً ، والنفو ذُلًّا .
وكان يقول : إذا كان الحلم مَفْسَدَةً كان النفو مَفْجَرَةً ، والصبرُ حَسَنٌ إلا على ما أوقع بالدين ، وأوْهَى السلطان ؛ والأداةُ محمودة إلا عند إمكان الفرصة .
وقد قال ابن المعتز :

كَمْ فَرْصَةٍ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُشْجِي بَطُولَ تَلَهُّفٍ وَتَنْدُمُ^(١)
ولما عزم المنصور على الفتنك بأبي مسلم فزع من ذلك عيسى بن موسى ،
فكتب إليه :

إذا كنتَ ذَارِئِي فكن ذَانِدَئِرٍ فَإِنْ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَحَلَّلَا
فأجابه المنصور :
إذا كنتَ ذَارِئِي فكن ذَاعِزِيمةً فَإِنْ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
ولا تُنْهَلِ الأَعْدَاءُ يوماً بِغُدُوِّهِ وَبَادِرُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدَاً^(٢)
وهذا في موضعه كقول الإمام علي ، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : من فكر في العواقب
لم يَشْجَعْ
وقال سعد بن ناشب فأفرط^(٣) .

- (١) القصة : ما اعترض في الخلق ، وتشجى : تحدث الشجا وهو القصة ، وغصصت ، بالكسر والفتح ، نفص ، بالفتح ، غصصا ، فأنت غاص وغصان .
(٢) في نسخة « ولا تنهل الأعداء يوماً بقدرة » (م) .
(٣) وأول هذه القطعة :

سأغسل عني العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا
وأذهل عن داري وأجعل هدميها لعرضى من باقى المذمة حاجبا
(١٥ - زهر الآداب ١)

لسعد بن ناشب

عليكم بدارى فاهدموها ؛ فإليها^(١) تراث كريم لا يخاف العواقب^(٢)
 إذا هم ألقى بين عينيه عزومه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
 ولم يستشِرْ في رأيه غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً
 سأغسل عنى العار بالسيف جالباً على قضاء الله ما كان جانباً
 ويصغرفى عيني تِلَادِي إذا اثنت يميني بإدراك الذى كنت ضالماً
 وكان سعد من مَرَدَةِ العرب وشياطين الإنس . وفيه يقول الشاعر :
 وكيف أفيق الدهر سعد بن ناشب وشيطانهُ عند الأهنؤِ يُخْرِنُ
 كتب مروان بن محمد الجعدي إلى عبد الله بن علي يسأله حفظ حرمه . فقال
 له : الحق لنا فى دمك ، وعلينا فى حرمك .

وقال الرشيد لإسماعيل بن صبيح : إياك والدالة^(٣) فإنها تسد حرمه ، ومنها
 أتى البرامكة .

وقال المأمون : الملوك تحتمل كل شئ ، إلا ثلاثاً : إفساء السر ، والتفح
 فى الملك ، والتعرض للحرم .

المعتصم إذا نُصِرَ الهوى بطل الرأى .
 المنتصر - كذّة العفو أطيب من لذّة التشقى : وذلك أن لذّة العفو يلحقها
 حمدُ العاقبة ، ولذّة التشقى يلحقها ذمُّ الندم .

(١) رواية الحماسة : « فإن تهدموا بالعذر دارى »

(٢) وبعد هذا البيت : روى صاحب الحماسة :

أخى غمرات لا يريد على الذى بهم به من مقطع لأمر صاب
 إذا هم لم تردع عزيمة هم ولم بات ما يأتى من لأمر هاب
 فى الرزام رشحوا بى مقدما إلى الموت خواطاً بيه الكنايا

(٣) الدالة : ما تدل به على صديقك من خير قدمته . وفى الأصل (الذمة) وهو تحريف

والمنتصر يقول عن تجربة ؛ لأنه قتل أباه المتوكل ، والأمرُ في ذلك أشهرُ من أن يُذكرَ ، ولكني أُلِمِعُ منه باليسير :

مقتل المتوكل
العباسي

كان المتوكلُ قد عَقَدَ لولده المنتصر والمعتز والمؤيد ولايةَ العهد ، ثم تَغَيَّرَ على المنتصر دون أخوينه ، وكان يسميه المنتظر ، ويقول له : أنت تتمي موتي ، وتنتظر وقتي ! ويأمرُ الندماء أن يعيشوا به ، إلى أن أوغر صدره ، وأقلَّ صبره ؛ فلما كانت ليلةَ الأربعاء ثلاثِ خلونَ من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكلُ يشربُ مع الفتح في قمره المعروف بالجعفرى ، ومعه جماعة من الندماء والمغنين ، وكان المنتصر معهم ، فلما انصرفت ثلاثُ ساعاتٍ من الليل قال لزرّاقَةَ التركي : ألا تسمي ساعةً حتى أشكو إليك ما يمرُّ بي ؟ قال : بلى ، وجعل يماطله ويطلونه ، وغلقَ بقاءَ الشرائبِ الأبوابَ كلها إلا باب الماء ، ومنه دخل الذين قتلوه ، فَوَلَّ مَنْ ضربه باغرُ التركي ضربةً قطعَ بها حبلَ عاتقه ، وتلقاه الفتح بنفسه فأكبَّ عليه ، فقتلًا جميعاً ، وبويع المنتصر من ساعته ، وكانت مدةُ المنتصر في الخلافة مدةَ شيرويه ابن كسرى — حين قتل أباه — ستة أشهر .

لإبراهيم بن
أحمد الأسدي
يرى المتوكل

وقال إبراهيم بن أحمد الأسدي يرى المتوكل :

هكذا فلتكنُ منايا الكرام بين نايٍ وميزهرٍ ومُدَامِ
بين كأسين أروّتاه جميعاً كأس لذّاته وكأس الحمام
يقظُ في السرور حتى أتاه — قدّر الله — حتفه في المنام
والدنايا مراتب يتفاضلُ — وبالمرهفات موتُ الكرام
لم ير نفسه رسولُ المنايا بصنوف الأوجاع والأسقام
هابه مُعلناً فدبَّ إليه في سُتور الدُجى بحدِّ الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن إبراهيم التيمي ، فقال يرثي عيسى بن خلف لعبد الكريم صاحب خراج المغرب ، وكان قد تناول دواءً فمات بسببه :

التيمي يرثي
صاحب خراج
المغرب

منايا سددت الطرقَ عنها ولم تدع لها من ثنائياً شأهقي متطلماً

فلما رأت سُورَ المهابة دونها عليك ولما لم تَحْدُ فيك مَطْمَعَا
ترقت بأسبابٍ لَطَافٍ ولم تَكْد تُواجه موفور الجلالةِ أَرْوَعا
فجاءتك في سِرِّ الدَّواءِ خَفِيَّةً على حينٍ لم تَحْدَرْ لِدَاءٍ تَوْقَعَا
فلم أَر مالا يُتَّقَى مِثْلَ سَهْمِهَا ولا مِثْلَهَا لم تَخْشَ كَيْدًا فَتَرْجَعَا

وقد رثاه البحترى ويزيد المهابى بمرثيتين من أجودٍ ما قيل في معناهما ، وكأنا
حاضِرٌ لَيْلَةَ قَتْلِهِ . فاخْتَفَى أَحَدُهَا فِي طَيِّ الباب ، وَالْآخَرُ فِي قَنَاةِ الشاذِرْوَان ؛
فمن قصيدة البحترى :

تَغْيِرُ حُسْنَ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنْسُهُ وَقُوْضُ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ
تَحْمَلُ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فَجَاءَةً فَآضَتْ سِوَاءَ دُورِهِ وَمَقَابِرُهُ^(١)
وَلَمْ أَر مِثْلَ الْقَصْرِ إِذْ رِيعَ سِرْبُهُ وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذِرُهُ^(٢)
وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَكَتْ عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَارُهُ
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدًّا لَنَا الْأُمِّي وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ
فَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوَافِي تَنْوِبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ^(٣)
تَحْنِي لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةِ وَأُولَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يَجَاهِرُهُ
صَرِيحُ تَقَاضَاهِ السُّيُوفِ حُشَّاشَةً يَجُودُ بِهِيَ وَالْمَوْتُ حُمْرُهُ أَظْفَرُهُ
حَرَامٌ عَلَى الرَّاحِ بَعْدَكَ أَوْ أَرَى دَمًا بِدَمٍ يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ
وَهَلْ يُرْتَجَى أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ طَالِبٌ مَدَى الدَّهْرِ وَالْمَوْتُورُ بِالْدمِ وَآثَرُهُ^(٤)
فَلَا مَلَى الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدَّعَاءُ مَنَابِرُهُ

للبحترى في رثاء
التوكل

(١) آضت: صارت (٢) الأطلاء: جمع طلا، وهو ولد الظنة ، والجلآذر: جمع
جؤذر، وهو ولد البقرة (٣) قبل هذا البيت :

فأين الحجاب الصعب حيث عنعت بهبتها أبوابه ومقاصره
وأين عميد الناس — إلخ (٤) الموتور هو الوار ؛ لأن الذي قتل التوكل هو ابنه

وهي طويلة^(١)، وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها : ما قيلت هاشمية أحسن
منها ، وقد صرح فيها تصريحاً من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب .
وفد كان البحترى يرتاح في كثير من شعره إلى ذكره وذكر الفتح بن خاقان ،
فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه :

من شعر
البحترى

تداركني الإحسانُ منك ، ونالني على فاقة ذاك الندى والتطوُّلُ
ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى لدفع الأذى عني ولا التوكلُ
وقال :

مضى جعفرٌ والفتحُ بين مؤسِّدٍ وبين قاتلٍ في الدماء مضرِّجٍ
أأطلبُ أنصاراً على الدهر بعدما نوى منهما في التراب أوسى وخزرجي^(٢)
وقال في غلام له :

عسى آيس من رجعة الوصل يوصلُ ودهرٌ توَلَّى بالأحبة يُقبلُ
أيا سكناً فات الفراق بنفسه وحالٌ التَّعادى دونه والتَّزِيلُ
أتعجبُ لما لم يغفلُ جسمي الضنا ولم يخترم نفسي الحجامُ المعجلُ
فقبلك بان الفتح منى مودعاً وفارقتني شقفاً له المتوكلُ
فما بلغ الدمع الذي كنت أرتجى ولا فعل الوجد الذي خلت يفعلُ
وقال أبو خالد يزيد بن محمد المهلبى في قصيدة أولها :

ليزيد بن محمد
المهلبى يرثي
المتوكل

لا وَجَدَ إلا أراه دُونَ ما أَجَدُ ولا كَمَنْ فَقَدَتْ عَيْنَايَ مُفْتَقِدُ

(١) ومن جيدها قوله :

أدافع عنه بالدين ، ولم يكن ليثنى الأعادى أعزل الليل حاسره
ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي درى القاتك العجلان كيف أساوره
أكان ولي العهد أضمر غدره فمن عجب أن ولي العهد غادره

(٢) مات أوسه وخزرجه : مثل في قد النصير لأن الأوس والخزرج يضرب بهما

المثل العالي في النصرة .

يقول فيها :

لا يَبْعَدَنَّ هَالِكُ كَانَتْ مَنِيتُهُ كَاهَوَى مِنْ عَضَاهِ الزُّيَّةُ الْأَسَدُ^(١)
جاءت مَنِيتُهُ وَالْعَيْنُ هَادِيَةٌ هَلَّا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا قَصْدُ^(٢)
فَحَرَ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَالِكِ مُنْجَدِلًا لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمْدُ
لَا يَدْفَعُ النَّاسُ ضَيْعًا بَعْدَ لَيْلَتِهِمْ إِذْ لَا يُهْزُ إِلَى الْجَنَانِ عَلَيْكَ يَدُ
عِنْدَكَ أَسْيَافُ مَنْ لَا دُونَهُ أَحَدٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
إِذَا بَكَيْتُ فَإِنَّ الدَّمْعَ مُنْهَمِلٌ^(٣) وَإِنْ رَثَيْتُ فَإِنَّ الشَّعْرَ مُطَرَّدُ
إِنَّا قَدَّ نَاكَ حَتَّى لَا اصْطَبَارَ لَنَا وَمَاتَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فَمَا فَقَدُوا
قَدَكْتُ أَشْرَفُ فِي مَالِي فَتَخْلِفُهُ فَعَلَّمْتَنِي اللَّيَالَى كَيْفَ أَقْتَصِدُ

وقال فيها يذكر الأتراك . ويحضر على اصطناع العرب :

لَمَّا اعْتَقَدْتُمْ أَنَا سَاءَ لَا حِفَاطَ لَهُمْ ضِعْتُمْ وَضِعْتُمْ مَنْ كَانَ يُعْتَقَدُ
وَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نَعَمَتَكُمْ حَتَمَكُمُ الذَّادَةُ لِلْمُسُوبَةِ الْحَشْدُ^(٤)
قَوْمٌ هُمْ الْأَصْلُ وَالْأَسْمَاءُ تَجْمَعُكُمْ وَالِدِينَ وَالْجُدَّ وَالْأَرْحَامُ وَالْبَلَدُ
إِنْ الْعَبِيدَ إِذَا أَذَلَّتْهُمْ صَلَحُوا عَلَى الْهَوَانِ وَإِنْ أَكْرَمْتَهُمْ فَسَدُوا
وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِيُّ^(٥) :

رَمَتْهُ فَتَاةٌ مِنْ رِبْعَةِ عَامِرٍ تَوُومُ الصُّحْحَى فِي مَاتَمٍ أَى مَاتَمٍ^(٥)

لأبي حية
النميري

(١) العضاه : جمع عاضية . وهى الحية تقتل لساعتها ، والزبية : تلمة الاسد

(٢) قصد : جمع قصد - على وزن كتف - أى متكسر .

(٣) الذادة : جمع ذائدوهو المدافع ، والحشد بضمتي جمع حشد ، على وزن كتف ،

وهو من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة والمال (٤) هو الهيم بن ربيع

التوفى نحو سنة ١٦٠ (٥) رواية الحماسة «رمته أناة» والأناة : المرأة فيها قورع عند القيام .

والماتم : كل مجتمع فى حزن أو فرح ، أو هو خاص بالأساء . أو بالشواوب من =

فَقَدْ هَمَى السَّرَّ: نَفْدِيكَ لَا يَرُحُ صَحِيحًا وَإِلَّا تَقْتُلِيهِ فَأَلِمِي
فَأَلَقْتُ قَنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفَّ وَمَعَصَمَ
وَقَالَتْ فَلَمَّا أَفْرَغْتُ فِي فُؤَادِهِ وَعَيْنِيهِ مِنْهَا السَّحَرُ قَالَتْ لَهُ نَمِ
فَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي أَفَى طَلْعَةِ الضُّحَى تَرَوِّحُ أَمْ دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمٍ^(١)
أَخَذَ قَوْلَهُ: « فَأَلَقْتُ قَنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ » مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي:
قَامَتْ تَرَاءَى بَيْنَ سَجَفَى كَلَّةٍ كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ^(٢)
سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسَاطَهُ فَتَنَاولَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَسَدِ

وقال أبو حية يرثي سلمة بن عياش:
كُنَّ أَبَاحِفْصٍ فَتَى الْبَاسِ لَمْ يُجَبِّ بِهِ اللَّيْلُ وَالْبَيْضُ الْقِلَاصُ النُّجَابُ
إِلَى الْغَايَةِ الْقَصْوَى، وَلَمْ تَهْدِ فِتْيَةً كَرَامًا وَتَخْطُوهُ الْخُطُوبُ النُّوَابُ
وَيُعْمَلُ عَنَاقٍ الْعَيْسِ حَتَّى كُنْهَا إِذَا وُضِعَتْ عَنْهَا الْعَلَايَا الْمَشَاجِبُ^(٣)

لأبي حية
الخيرى يرثي
سلمة بن عياش

== النبءاء ، ونؤوم : كثيرة النوم ، ونؤوم الضحى كناية عن المرأة المترفة . وبعد هذا البيت كما فى الحماسة :

جاء نخطوط البان لا متتابع ولكن بسيماذى وقار وميسم
والخطوط : العفن الرطيب ، والميسم - بالكسر - أثر الحسن ، ومثله الوسامة .
(١) مؤدى البيتين الأخيرين أنه نام فى حمى تلك الفتاة ، ولكن رواية الحماسة
تؤدى معنى يخالف هذا ؛ إذ تذكر أنه رحل مزوداً بالحسرة ، وذلك قوله :

وقالت فلما أفرغت فى فؤاده وعينه منها السحر قلن له قم
فود بجعد الأنف لو أن صحبه تنادوا وقالوا فى المناخ له نم
فراح وما يدرى أفى ساعة الضحى تروح أم داج من الليل مظلم
والظاهر أن صاحب زهر الآداب كان يستعمل ذاكرته فتخونه فى بعض الأحيان .
(٢) السكة : الناموسية (٣) العيس : الجمال ، والعلايا : الأمتعة ، مفردها عليان ،
بالكسر . والمشاجب : أعواد من خشب تعلق عليها الثياب ، مفردها مشجب ،
وفى نسخة « إذا وضعت عنها الولايا » والولايا : جمع ولية - بوزن عطية - وهى البرذعة .

بيد مثاني المم يُمنى وماله
سوى الله والعضب السريحي صاحب^(١)
يرؤم جسيات الأملا فينالها
فتى في جسيات الكارم راغب
فلان يمس وحشا بابه فلربما
تواتر أفواجا إليه المواكب^(٢)
يحيون بساما كان جينسه
هلال بدا وانجاب عنه السحاب
وما غائب من غاب يرزجى إياه
ولكنه من ضمن اللحد غائب

وزعم الصولي أن أباحية إنما قالها في محمد بن سليمان بن علي بن عبيد الله بن العباس .
وكان أبو حية جيد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشي الشعر .

[مجنون بنى عامر]

وسئل الأصمعي عن قيس بن الملوح المجنون ، فقال : لم يكن مجنونا ، وإنما
كانت به لؤثة كلوثة أبي حية^(٣) ، وهو القائل :

رمتي وستر الله بيني وبينها
عشية أحجار الكناس رميم
ريم التي قالت لجارات بيتها :
ضمنت لكم ألا يزال يهيم
ألا رب يوم لورمتني رميها
ولكن عهدي بالنضال قديم
فيا عجبا من قاتل لي أوده
أشأط دمي شخص على كريم^(٤)
يرى الناس أني قد سلوت ، وإني
لمدنف أخناء الضلوع سقيم^(٥)

وأنشدني إسحاق بن إبراهيم الموصلي في مثله ، ولم يسم قائله :

هل الأدم كالآرام والزهر كالدمي معاودتي أيامهن الصوالح^(٦)

(١) السريحي : نسبة إلى سريح ، وهو قين كان مضرب المثل في صنع السيوف

(٢) وحش : موحش لا أنيس به (٣) اللؤثة — بالضم — مس الجنون

(٤) أشأط : أحرق (٥) المدنف : هو المريض ثقل عليه المرض ، والأخناء : جمع

خو ، بالكسر والفتح ، وهو كل ما فيه اعوجاج من عظم البدن (٦) الأدم : جمع أدماء

وهي السمراء ، والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء . وفي الأصل (الدهر) وهو تحريف -

و « كالآرام » متعلق بمحذوف حال من الأدم ، ومثله « كالدمي » وقوله « معاودتي »

خبر المبتدأ (م)

زَمَانَ سِلَاحِي بَيْنَهُنَّ شَيْبَتِي لَهَا سَائِفٌ مِنْ حَسَنِهِنَّ وَرَامِحٌ^(١)
فَأَقْسَمَنْ لَا يَسْقِينَنِي قَطْرَ مَرْئَةٍ لِشَيْبَتِي وَلَوْ سَأَلْتُ بِهِنَ الْأَبَاطِحُ
وَقَالَ هَارُونُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْمُنْجَمُ: ^(٢)

لهارون بن علي
ابن يحيى النجم
في الشباب

الْقَانِيَاتِ عَهْدُهُنَّ إِلَى انْصِرَامٍ وَانْقِصَابٍ
مَنْ شَابَ شَيْبَةً لَهُ الْمَوَدَّةُ بِالْخَدِيعَةِ وَالْكَذَابِ^(٣)
فَانْعَمَ بِهِنَّ وَزَنَدُ سِنِّكَ فِي الشَّيْبَةِ غَيْرُ خَابِي^(٤)
مَا دُمْتُ فِي رَوْقِ الصَّبَا وَغَصُونِهِ الْخَضِرِ الرَّطَابِ^(٥)
فَافْتَخِرْ بِأَيَّامِ الصَّبَا وَاخْلَعْ عِذَارَكَ فِي التَّصَابِي
وَاعْطِ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ مَا دُمْتُ تَعْذُرُ بِالشَّبَابِ

لأشجع السلي
في الشباب

وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السُّلَمِي:
وَمَا لِي لَا أُعْطِيَ الشَّبَابَ نَصِيْبَهُ وَغَصْنَاهُ يَهْتَزُّ أَنْ فِي عُودِهِ الرَّطْبُ
رَأَيْتُ اللَّيَالِي يَتَمَهَّنُ شَيْبَتِي فَأَسْرَعْتُ بِاللَّذَاتِ فِي ذَلِكَ النَّهْبِ
فَإِنَّ بَنَاتِ الدَّهْرِ يَخْلُسْنَ لَدَنِي فَقَدْ جُزِنَ سَلْمَى وَاتَمَّهِنَ إِلَى حَرْبِي
وَقَدْ حَوَّلَتْ حَالِي اللَّيَالِي وَأَسْرَجَتْ عَلَى الرَّأْسِ أَمْثَالَ الْقَتِيلِ مِنَ الْعُطْبِ
وَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ ذَا حَالٍ يَنْصُبُو وَلَا يُضِي
وَقَالَ آخِرُ :

مَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَحْسَبَ وَأَنْ يَحْكَمَ مِنْ تَحْبَةٍ

فَقَرَّرْتُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ . فِي وَصْفِ الشَّبَابِ

أَطَاعَ الشَّبَابَ وَغَرَّتُهُ ، وَأَجَابَ الصَّبَا وَشَرَّتُهُ . جَرَّ إِزَارَ الصَّبَا ، وَأَذَالَ

(١) سَائِفٌ : اسم الفاعل من «ساف يسيف» أي ضرب بالسيف ، ورامح :

اسم الفاعل من «رمح يرمح» أي ضرب بالرمح ، والكلام على الاستعارة (م)

(٢) هو منجم اشتهر بعلم الهيئة وعمل آلاها ، توفي في بغداد سنة ٣٧٦

(٣) شبن : مزجن . (٤) غير خاب : غير منطفيء ، ويقال خباله إذا سكن فور غضبه

(٥) روق الصبا : أوله ، وفي الأصول «ورق» تحريف جله ذكر العصور (م) .

ذبول الهوى^(١)، ورَكَضَ^(٢) في ميدان التصابي، وجنى ثمرات الملاهي. هو في اقتبال شبابه، وحادثة أترابه^(٣)، ورَيَّعَانُ عمره، وعُنْفُوَانُ أمره. هو في إِبَّانِ شبابه واعتداله ورَيَّعَانُ إقباله واقتباله. بعثه على ذَلِكَ أَشْرُ الصبا، ولَيْنُ الغُصْنِ، وَشَرْنُخُ الشَّيْبَةِ وسكر الحداثة. فَتَى السَّنَ، رطيب الغُصْنِ، عمره في إقباله. ونشاطه في استقباله، وشبابه في اقتباله، وماؤده بحاله. فلان في حِمِّ الأطفال، الذين لم يَمْعُضُوا على نَوَاجِذِ الرجال. هو في عُنْفُوَانِ شَيْبَةٍ تُخَافُ سَقَطَاتِهَا وَهَفَوَاتِهَا، ولا يُؤْمِنُ جَيْحَاتِهَا وَنَزَوَاتِهَا. هو في سُكْرِي الشَّباب والشراب. وبين نزوات الشبان. وَنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ. شبابه أَعْمَى عن الرشد، أَسْمَمَ عن العِذْلِ، قد لَبَّى دَاعِيَ هَوَاهُ، وانغمس في لُجَّةِ صِبَاه. قد هَجَمَ بِسُكْرِ الحداثة على سكرات الحوادث. يَجْرِي إلى الصَّبَا جَرَى الصَّبَا. فلان غُفْلٌ من سِمَةِ التَّجَرُّبَةِ، جَامِحٌ في عِذَارِ الغَفْلَةِ، صَعَبُ الرَّأْسِ^(٤) على لجام العِظَةِ. هو مِنْ سُلْطَانِ الصَّبَا في النَّوْبَةِ الأولى. قد خلع عِذَارَهُ وَمَقْوَدَهُ، وَأَلْقَى إلى البطالة بَاعَهُ وَيَدَهُ. هو بين حَمَارِ الغدَاة وسكر العَشْيِ^(٥) لا يعرف الصَّحْو، ولا يفارق اللهُو. فلان لا يَفِيْقُ، ولا يذكر التوفيق، هو بين غَرَرِ الشباب، وغَرَرِ الأحباب.

ويتعلق بهذه الألفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي. قد جمع نَصَارَةَ الشباب إلى أَبْهَةِ المشيب، وهو على حدوث ميلاده وقُرْبِ إسناده شيخ قَدَرٍ وَهَيْبَةٍ، وإن لم يكن شيخ سِنٍ وَشَيْبَةٍ. هو بين شباب مُقْتَبِلٍ، وعقل مُكْتَمِلٍ. قد نَسِبَ بُرْدَ شبابه على عَقْلِ كِهْلٍ، وَرَأَى جَزَلَ، وَمَنْطَقَ فَصْلٍ. للدهرفيه مقاصد، وللأيام فيه مَوَاعِدُ، أرى له في فَصْلِ ضِمَانِ الأيام وودائع الحظوظ

(١) أزال : أهان (٢) ركض : جرى

(٣) الأتراب : المتساوون في السن. (٤) أحسبه « صعب المراس » (م)

(٥) الحمار بالضم - ما يعتري - الشارب من الأُم عند فقد الشرب

والأقسام ، تَبَاشِيرَ نَجَح ، وَتَحَايِلَ نَضْرٍ وَفَتْح . قد استكمل قوَّة الفضل ، ولم يتكامل له سِنَّ الكَهْل . مازالت تَحَايِلُهُ وَلِيداً وَنَاشِئاً ، وَشَمَائِلُهُ صَغِيرًا وَيَافِعًا ، نَوَاطِقَ بِالْحَسَنِ عَنْهُ وَضَوَامِنَ النُّجُحِ فِيهِ ! قد سما إلى مراتبِ أَعْيَانِ الرِّجَالِ ، التي لَا تُدْرِكُ إِلَّا مَعَ الْكَمَالِ وَالْاِكْتِهَالِ . مُحَدِّثُ عَزَائِمُهُ ، قَبْلَ أَنْ حُلَّتْ تَمَائِمُهُ ، وَشُهَدَتْ مَكْرَمَاتُهُ ، قَبْلَ أَنْ تُدْرَجَ لِدَائِمُهُ ^(١) .

للبحترى

وقال البحترى :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَاسِ مِنْ صَغَرٍ فِي السَّنِّ وَانْظُرْ إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نَجُومَ الْأَقْصَى أَصْغَرَهَا فِي الْعَيْنِ أَذْهَبَهَا فِي الْجَوْءِ إِصْغَادَا
وقال آخر :

رَأَيْتَ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ اتِّهَابًا وَلَمْ يُقَسِّمْ عَلَى قَدْرِ السِّنِّينَا
فَلَوْ أَنَّ السِّنِّينَ تَقَسَّمَتْهُ حَوَى الْأَبَاءَ أَنْصَبَةَ الْبَيْنَانَا

للفضل بن جعفر
السكرات

وقال الفضل بن جعفر الكاتب :

فَإِنْ خَلَفْتَهُ السَّنُّ فَالْعَقْلُ بِالْغَى بِهِ رُتَبَةُ الْكَهْلِ الْمُؤَهَّلِ لِمَجْدٍ
فَقَدْ كَانَ يُخَيُّ أَوْتَى الْحُكْمِ قَبْلَهُ صَبِيًّا وَعَيْسَى كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

[مما قيل في أثر الأيام والليالي

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق ، وعمر حتى التقى بابن مناذر فاستنشد شعره ، فاستنشه أبو حية :

بين أبي حية
وابن مناذر

أَلَا حَتَّى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لِبِسْنِ الْبَلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمَهُ وَلَيْلَتُهُ تَقَاضَا شَيْءٌ لَا يَمْلَأُ التَّقَاضِيَا
حَتَّتِكَ اللَّيَالَى بَعْدَ مَا كُنْتَ مَرَّةً سَوَى الْعَصَا لَوْ كُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا

(١) اللدات : جمع لدة وهو الترب بالكسر ، أى لئمال في السن وفي الأصل «اللدات» بالذال لمعجمة وهو تحريف - وندرج : مئى ، وهو خاص بالنبي والشيخ ، في نسخة « تدج » - بتشديد الجيم ، وبغير راء - ومعناه تدب (م)

فقال ابن منذر: أو شعر هذا؟ فقال أبو حية: ما في شعري عيب، غير أنك تسمعه.

وفي هذه القصيدة يقول أبو حية:

ولما أبت إلا التواء بؤدّها وتكديرها الشرب الذي كان صافيا
شربت برنقي من هواها مكدر وكيف يعاف الرنق من كان صاديا^(١)
وقد قال عمرو بن قميصة^(٢) في معنى قول أبي حية:

لعمر وبن قميصة

كانت قناتي لا تلين لغامز فالأنها الإصباح والإمساء
ودعوت ربي في السلامة جاهدا ليصحني فإذا السلامة داء
وقال النمر بن تولب^(٣):

للنمر بن تولب

يودّ الفتى طول السلامة والبق فكيف يرى طول السلامة يفعل
يعود الفتى من بعد حسن وصحة ينوء إذا رام القيام ويحمل^(٤)
وقد روى في الحديث الشريف: «كفى بالسلامة داء».

لمجد بن تور

وقد أحسن حميد بن ثور في قوله:

أرى بصري قد رآني بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتناما

(١) ماء رنق - بفتح فسكون، وفيه لغة أخرى بفتح فكسر - أي غير صاف، وتقول: رنق الماء - بالتضعيف - أي كدره، وكأنه ذهب برنقه وحسنه، ويعاف: يكره (م).
(٢) شاعر جاهلي، نشأ يتيما، وأقام في الحيرة مدة، وخرج مع امرئ القيس حين توجه إلى قيصر، فمات في الطريق. وفيه يقول امرؤ القيس:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عينك؛ إنما نحاول ملكا أو نموت فعندرا

وقد سمته العرب «عمرا الضائع» لموته في غربة وفي غير مطلب ولا أرب

(٣) شاعر مخضرم، من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية، أدرك الإسلام، وهو كبير السن، فوفد على الرسول، وكتب عنه كتابا لقومه، وكان جوادا واسع القري كثير الأضياف (٤) ينوء: ينهض بثناقل وإعيا.

ولن يَلْبَثَ العُصْرانَ يومٌ وَّليلةٌ إذا طلبا أن يدركا ما تيمما
وهذان البيتان من قصيدة طويلة ، وهي أجود شعر مُحمَّد^(١) ، ومن أجود

ما فيها :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوْقَ إِلَّا حَامَةً دَعَتْ سَاقَ حَرِّ رَحَّةٍ وَتَرَنَّمًا
ثُرُوحَ عَلَيْهِ وَالْهَامَا ثُمَّ تَفْتَدِي مَوْلَى تَبْنِي لَه الدَّهْرَ مَطْعَمًا
تَوْمِلُ مِنْهُ مُؤْنِسًا لِإِنْفِرَادِهَا وَتَبْكِي عَلَيْهِ إِنْ زَقَا وَتَرْثَمًا
كَأَنَّ عَلَى إِشْرَاقِهِ نَوْرَ خَمْرَةٍ إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِيدَ مِنْهُ لِيَطْعَمًا
فَلَمَّا كُنْتُ عَلَى الرَّيْشِ الشَّحَامَ وَلَمْ تَجِدْ لَهَا مَعَهُ فِي سَاحَةِ الْحَيِّ مَجْنَمًا^(٢)
تَنَحَّتَ قَرِيبًا فَوْقَ غُصْنٍ تَذَأَّبَتْ بِهِ الرِّيحُ صِرْفًا أَيْ وَجْهَ تَيْمَمًا^(٣)
فَأَهْوَى لَهَا صَقْرٌ مُسِفٌّ فَلَمْ يَدْعُ لَهَا وَلَدًا إِلَّا رِيَامًا وَأَعْظَمًا
فَأَوْفَتْ عَلَى غُصْنٍ ضَحِيًّا وَلَمْ تَدْعُ لَنَاخِحَةٍ فِي نَوْحِهَا مُتَلَوًّا
عَجِبْتُ لَهَا أَيْ يَكُونُ غِنَاؤُهَا فَصِيحًا وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَا^(٤)
فَلَمْ أَرِ مِثْلَى شَاقِهِ صَوْتُ مِثْلِهَا وَلَا عَرِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أُعْحَمَا

ومن حيث الهجاء قوله في هذه القصيدة يخاطب رجلين بعثما :

وقولا إذا جاوزتما أَرْضَ عَامِرٍ وَجَاوَزْتُمَا الْحَيَّينَ نَهْدًا وَخَشْمًا
تريعان من جَرَمِ بْنِ زِيَّانَ أَنَّهُمْ أَبَوَا أَنْ يَرِيقُوا فِي الْمَزَاهِرِ مَحْجَمًا^(٥)

وما هَجِيتَ جَرَمَ بِأَشَدِّ مِنْ هَذَا ، يريد أنهم لذتهم لم يَتَرَوْا أَحَدًا
فيطالبهم بِدُخُلٍ .

(١) من شعراء الإسلام ، أدرك عمر بن الخطاب ، وقال الشعر في أيامه ، وقد

أدرك الجاهلية أيضا

(٢) السحام : الأسود ، والمجثم : مكان الرقاد (٣) تَذَأَّبَتْ : أتت من كل جانب كما

فعل الذئب (٤) تفغر : تفتح (٥) المزاهر : الحروب ، والمجثم : وعاء الحجاماة والقصد

وقال الأصمعي : قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؛ قال : كيف حال من
يَفْنَى ببقائه ، وَيَسْتَقِم بِسلامته . وَيُوثِقُ من مآمنه

لمحمود الوراق

وقال محمود الوراق :

يُحِبُّ الْفَتَى طَوْلَ الْبَقَاءِ كَأَنَّهُ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ الْبَقَاءَ بَقَاءُ
إِذَا مَا طَوَى يَوْمًا طَوَى الْيَوْمُ بَعْضَهُ وَيَطْوِيهِ - إِنْ جَنَّ الْمَسَاءُ - مَسَاءُ
زِيَادَتِهِ فِي الْجِسْمِ نَقْصُ حَيَاتِهِ وَأَنَّى عَلَى نَقْصِ الْحَيَاةِ نَمَاءُ ^(١)
جَسَدِيدَانِ لَا يَبْقَى الْجَمِيعُ عَلَيْهِمَا وَلَا لهما بَعْدَ الْجَمِيعِ بَقَاءُ
وقال المتنبي :

زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقٍ وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفُ
وَبَيْتُ مُحَمَّدٍ الْأَخِيرُ كَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

للمتنبي

للبحترى

أَنَاةٌ أَيْهَا الْفَلَكَ الْمُدَارُ أَنَهَبَ مَا تُصَرِّفُ أَمْ جُبَارُ ^(٢)
سَتَقْنِي مِثْلَ مَا تُقْنِي وَتَبْلَى كَمَا تُبْلِي فَيُدْرِكُ مِنْكَ ثَارُ
تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَدْمُرُ فِي تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ
وَمَا أَهْلُ الْمَنَازِلِ غَيْرَ رَكْبٍ مَطَايَاهُمْ رَوَاحٌ وَابْتِكَارُ
ويقول فيها :

لِنَافِي الدَّهْرِ آمَالٌ طَوَالُ نَرْجِيهَا وَأَعْمَارُ قِصَارُ
أَمَا وَأَبَى بَنِي حَارِ بْنِ كَعْبٍ لَقَدْ طُرِدَ الزَّمَانُ بِهِمْ فَسَارُوا
أَصَابَ الدَّهْرُ دَوْلَةَ آلِ وَهَبٍ وَنَالَ اللَّيْلُ مِنْهُمْ وَالنَّهَارُ
أَعَارَهُمْ رِذَاءُ الْعَمْرِ حَتَّى تَقَاضَاهُمْ فَرَدَّوْا مَا اسْتَعَارُوا
وَقَدْ كَانُوا وَأَوْجُهُهُمْ بِدُورٍ لِبَصْرِهَا وَأَيْدِيهِمْ بِخَارٍ ^(٣)

أَخَذَ قَوْلُهُ : « سَتَقْنِي مِثْلَ مَا تُقْنِي » أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هَانِيٍّ فَقَالَ :

لابن هاني

تَقْنِي النُّجُومُ الزَّهَرَ طَالِبَةً وَالنَّيِّرَاتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

(١) الخاء : الزيادة (٢) حار : مهدر لا قود فيه

(٣) في ديوان البحترى « وأيديهم محوَّرٌ مَحْبُطٌ » والمحبط : هنا : السائر ليلًا (م)

ولئن تبدت في مطالعها منظومة فلسوف تتنير
ولئن سعى الفلك المدارُ بها فسوف يُسلمها وينفطر

وقد استقصى على بن العباس الرومي المعنى الأول فقال :

والدهرُ يُبلى الفتي من حيث يُنشئه حتى تَكُرَّ عليه ليلة القرب ^(١) لابن الرومي
يغذوه في كلِّ آنٍ وهو يأكله ويختسئ نعباً منه على نعب ^(٢)
يودى بحالٍ فحالٍ من شبيبته تسرب الماء في مستأنف الكتب ^(٣)
حسبُ امرئٍ من خنى دهرٍ تطاوله وإن أجهَّ فلم ينكب ولم ينيب
في هذنة الدهرِ كافٍ من وقائعه والعمرُ أقدمُ مبراةٍ من الوصب
وقال أيضاً :

يَا بَنِي الحِصْنِ أُرْسِدُوا شِدَّةَ حِرْزاً يشوون من الأعداء مشجون ^(٤)
انظر إلى الدهر هل فاتته بغيته في مطمح السر أو في مشبح النون ^(٥)
ومن تحصن منخوباً على وجلٍ فإتما حصنه رجحاً لمسجون
أشكو إلى الله جهلاً قد أضربنا بل ليس جهلاً ولكن علم معسور
وقال الطائي :

وإن تُبْنِ حيطانٍ عليه فإتما أولئك عقلاً لآته لا معاقله

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير ، فأخبر أنه مشغول ، فرجع ، فبعث إليه الرشيد : خُنتني فأتهمتي ، فقال : إذا انقضت المدة كان الخُنتُ في الحيلة ، والله ما انصرفت إلا تخفيفاً .

أخذ ابن الرومي فقال وقد فصدته بعض الأطباء ، فزعم أن الفصد زاد في علته : غلط الطيبُ على غَلْطَةِ مُورِدٍ عجزت محالته عن الإصدار ^(٦)

-
- (١) ليلة القرب - بفتح القاف والراء جميعاً أن تسير الليل كله لترد الماء عندك (م) .
(٢) نعب - بضم ففتح - جمع نعبة ، وهي الجرعة (م) . (٣) الكتب : جمع كُتْبة ، وهو السير الذي تخز به قربة الماء (م) .
(٤) شلو : جزء ، ومشجون : مشعوب ومكسور (٥) النون : الحوت (٦) المحالة : الحيلة ، ومنه « المرء يعجز لا المحالة » ويخطئ ، من يقول : المرء يعجز لا محالة

والناسُ يَلْحَوْنَ الطيبَ، وإنما غَلَطَ الطيبُ إصابةَ المقدارِ

[وصف الثغور]

وقال أبو حَيَّةَ النَميرى :

لأى حية
النميرى

سَقَتْنِي بِكَأْسِ الْحَبِّ صِرْفًا مَرَوْقًا رَقَاقِ الثَنَائَا عَذْبَةً الْمَرْتَنَقِ^(١)
وَحُمَصَانَةٍ تَفَقَّرُ عَنْ مَتَشَقِّ كَنُورِ الْإِقَاحَى طِيبِ الْمَتَذَوِّقِ^(٢)
إِذَا امْتَضَتْ بَعْدَ امْتِنَاعِ مِنَ الضَّحَى أَنَايِبَ مِنْ عَوْدِ الْأَرَاكِ الْخَلْقِ^(٣)
سَقَتْ شُعْبَ السَّوَاكِ مَاءَ غَمَامَةٍ فَضِيضًا بَحْرُ طُومِ الرَّحِيقِ الْمَرَوْقِ^(٤)
وَأُنْشَدَ الثَّوْرَى :

تَرَى الدَّرَّ مَنُشُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ وَكَالدَّرِّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ
تُعَبِّدُ أَحْرَارَ الْقُلُوبِ بِدَلَّهَا وَتَمْلَأُ عَيْنَ الْفَاضِلِ الْمَتَوَسِّمِ

وَالْيَتِ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ كَقَوْلِ الْبَحْتَرَى :

فَمِنْ لَوْ لَوْ تَجَلَّوْهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ^(٥)
وَقَدْ تَقَدَّمَ .

لدى الرمة قال أبو الفرج الراشى : سمعت الأصمعى يقول : أحسن ما قيل فى وصف الثغر قول ذى الرمة :

وَتَجَلَّوْهُ بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنْ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبِحُ^(٦)

(١) المترنق : العين ، وتقول : رنق النوم فى عينيه خالطهما (٢) خصاصة : ضامرة
البطن ، والتشنق : الثغر ؛ لأنك تتشنق منه نكهته العطرة ، والمتذوق : هو الريق
لأنك لذ تذوقه (٣) المخلق : الدهون بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب
(٤) الفضيض : ما تنائر من الماء (٥) قبل هذا .

ولما التقينا واللوى موعدا لنا تعجب رأتى الدر حسنا ولاقط

(٦) أراد بفرع من أراك السواك تجلو به أسنانها ، وكفى بما وصف به السواك
عن طيب رائحة فيها (م) .

جُرَى أَقْحُوَان وَاجِهَ اللَّيْلَ وَارْتَقَى إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمُتْرُوحِ
هَجَانِ الثَّنَا يَا مُعَرِّبُ لَوْ تَبَسَّمتَ لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصِحُ^(١)
ومن قديم هذا المعنى وجيده قولُ النابغة الذبياني في صفة المتجردة امرأة

النعمان بن المنذر : للنابغة الذبياني

تَجَلُّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً بَرَدًا أَسِفَ لِنَاتِهِ بِالْإِنْمَدِ^(٢)
كَالْأَقْحُوَانِ غَدَاةً غِيبٌ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى
زَعَمَ الْهَمَامُ بَأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ عَذِبٌ مُقْبَلُهُ شَهِيٌّ الْمَوْرِدُ
زَعَمَ الْهَمَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ أَنَّهُ يَشْفِي بَرِيًّا رِيْقَهَا الْعَطِشَ الصَّدَى
ومن قوله : « ولم أذقه » أخذ كل من أتى بهذا المعنى ، ففتقه الناس بعده ،

قال المتوكل الليثي : للمتوكل الليثي

كَأَنَّ مُدَامَةً صِهْبَاءَ صِرْفًا تَرَقُّقُ بَيْنَ رَاوُوقٍ وَدَنٍّ
تَمَلُّ بِهَا الثَّنَا يَا مِنْ سَلِيمِي فِرَاسَةٌ مُقْلَتِي وَصَحِيحُ ظَنِّي
وقال بشار :

لبشار بن برد

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُحْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
قَدْ زُرْتِنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً فَنِّي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدَّيْكِ
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ حُسْلَى فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بَرَاثَةُ الْفَرْدُوسِ مِنْ فَيْكِ
وقيل لبشار: يا أبا معاذ ، كم بين قولك ، وأنشد هذه الأبيات. وبين أن تقول:

إِنَّمَا عَظُمَ سُلَيْمِي خَلَّتِي قَصَبُ الْكَرِّ لَا عَظُمَ الْجَمَلِي
وَإِذَا قُرْبٌ مِنْهَا بَصَلٌ غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

(١) هجان الثنايا : يريد أن ثناياها ناصعة البياض . من قولهم : إبل هجان ، أي بيض كرام

(٢) الإنمد . الكحل

فقال : إنما الشاعر المطبوع كالبحر : مرة يَقْذِفُ صَدْفَهُ ، ومرة يَقْذِفُ جَيْفَهُ^(١) .

[تفضيل السواد]

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن علي بن العباس الرومي من أقرَبِ تناول
قال وكشفه بأوضح عبارة - في صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح
السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها ، كان قد اقترح عليه ، ضُفياً :

لابن الرومي
في وصف
جارية

وَصَفْتُ فِيهَا الَّذِي هَوَيْتَ عَلَى السُّومِ وَلَمْ تَخْتَبِرْ وَلَمْ تَذُقِ
إِلَّا بِأَخْبَارِكَ الَّتِي رُفِعَتْ مِنْكَ إِلَيْنَا عَنْ ظِلْبَةِ الْبُرْقِ^(٢)
حَاشَا لِسُودَاءٍ مَنَظَرٍ سَكَنَتْ ذِرَاكَ إِلَّا عَنْ مَخْبَرٍ يَبْقَى^(٣)

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد ، واحتج بتفضيله على
البياض ، حتى أغلق فيه الباب بعده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، إلا كان
مقصر السهم عن غرض الإحسان . وقد تبه على بن عبدالله بن العباس [المسيب
على] فضائلها ، وأجاد التشبيه ، وكشف عن وجوه الإبداع ، وضروب الاختراع
وقد مدح الناس السواد والسود فأكثرُوا ؛ فمن جيد ما قالوا فيه قول
أبي حفص الشطرنجي :

لأبي حفص
الشطرنجي

أَشْبَهَكَ الْمِسْكُ وَأَشْبَهْتَهُ قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةٌ
لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَنْكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ

فأخذ ابن الرومي هذا المعنى ، وأضاف إليه أشياء أخر توسعاً واقتداراً ، فقال :

لابن الرومي

يَذْكُرُكَ الْمِسْكُ وَالْقَوَالِي وَالسَّكَّ ذَوَاتِ النَّسِيمِ وَالْعَبَقِ^(٤)

(١) يريد أن الشاعر المطبوع له سقطات ، ومن هنا كانت سقطات التنبي مثلاً
فاضة ؛ لأن الإجابة المطلقة فوق طاقة الإنسان ، وقد يطرد هذا الحكم في كثير من
نواحي الحياة الإنسانية . (٢) البرق : جمع برقة - بالضم - وهي مكان تكثر
فيه الطباء (٣) يقى : ناصع البياض (٤) السك : نوع من الطيب - والعبق ،
بفتح العين والباء جميعاً ، طيب الرائحة (م) .

وهذه الأشياء وإن كانت ناقصةً عن المك ، فهي ممدوحةٌ بالطيب ، خير مستغنى عن ذكرها في التشبيه ؛ فأما زيادته على جميع من تعاطى مدح السواد فقولوه : سوداء لم تنتسب إلى برص البشقر ولا كلفةٍ ولا بهق^(١) والأبيض الشديد البياض معيبٌ ، وقد دلّ عليه قوله :

وَبَعْضُ مَا فَضَّلَ السَّوَادُ بِهِ وَالْحَقُّ ذُو سُلْمٍ وَذُو نَفَقٍ
أَلَّا يَعْيبَ السَّوَادَ خُلْسَكُنْهُ وَقَدْ يُعَابُ انْبِيَاضُ الْبَاهِقِ^(٢)
قوله : « الحق ذو سلم وذو نفق » أراد أن الحق يتصرف في جهات ، وضرب الصعود والنزول لذلك مثلاً ؛ ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال في الصفة ؛ ومن عيب الشودان أن كفههم عابسة^(٣) متشققة ، وأطرافهم ليست بناعمة لينة ، وكذلك لا يزال الفلح في شفاههم ، وهي الشقوق المذمومة الموجودة في أكثر السوداء في أوساط الشفاه ، وأيضاً فإن الأسود مهجو بمحبث العرق ، فنفي هذه الصفات المذمومة الموجودة في أكثر السوداء عنها ، فقال :

لَيْسَتْ مِنَ الْعَبْسِ الْأَكْفَ وَلَا الْفُلَحِ الشَّفَاهِ الْخَبَائِثُ الْعَرَقِ
ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المذمومة ، فقال :
فِي لَيْنٍ سَمُورَةٍ تَخْرِهَا أَلْ فَرَاهُ أَوَّلِينَ جِيْدَ الدَّلَقِ^(٤)
ومن بديع مدح السوداء قوله :

أَكْسَبَهَا الْحَبُّ أَنَّهَا صُبِغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ
فَانصَرَفَتْ نَحْوَهَا الضَّمَائِرُ وَالْأَبْصَارُ يَنْشَقُّنَ أَتِمًّا عَشَقِ
فأخبر أن القلوب إنما أحببتها بالمجانسة التي بينها وبين حب القلوب من السواد ، وكذلك الحدق .

(١) الكلفة : النمش يوجد في الوجه ، والبرص والبهاق معروفان

(٢) الحلسكة : شدة السواد ، ومنه قولهم : ظلام حالك (٣) عابسة : يابسة ، وفله

عبس — من باب فرح — أى يبس (م) . (٤) الدلق : دوية كالسمورة

لأبي نواس

ومن جيّد تشبيهات أبي نواس وقد نبّه نديما لمصباح فأخبر عن حاله وقال :
 قدام والليل يُجْلُوهُ الصّباحُ كما جَلَا التّيسم عن غُر النّليّاتِ
 ولعلّ بن العباس عليه التّقدم بقوله :

لابن الرومي
أبنا

يَفْتَرُ ذاك السّوادُ عن يَقَيّ من ثغرها كاللّاليء النّسق^(١)
 كأنها والمــــــزاحُ يُصْحِكُها ليلٌ تَعَرَّى ذُجَاهُ عَنْ قَلَقٍ^(٢)
 وفضلُ هذا الكلام على ذاك أن هذا قدّمَ لمعناه في التشبيه مقدّمة أيّدته ،
 ووطأت له الآذان^(٣) ، وأصغت الأفهام إلى الاستحسان ، وهى قوله :
 * يَفْتَرُ ذاك السّوادُ عن يَقَيّ *

وفى هذه السّوداء يقول ، وقد سأله أبو الفضل الهاشمي أن يستغرق صفات
 محاسنها الظاهرة والباطنة ، فقال :

لها حِرٌّ يستعير وقْدته من قلب صبٍ وصدر ذى حنقٍ^(٤)
 كأنما حــــرُّه لِخَابِرِهِ ما ألْهَبَتْ في حشاه من حرِّقٍ
 يزْداد ضيقاً على المراس كما تَزْداد ضيقاً أنشوطَةُ الوَهَقِ^(٥)
 ثم فكَّرَ فيما فكَّرَ فيه النابغة ، وقد أمره التّعنان بوصف المتجرّدة ،
 فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا
 يسوغ بمثله أن يذكر منها ، فردّ الإخبار عن تلك الفضائل إلى صاحبها ، وهو
 الملك ، فقال :

زعمَ الهمام بأن فاها باردٌ عذبٌ إذا قبّلتَه قلتَ أزدَدِ
 فاحتذى على بن العباس هذا ، فقال بعد ما سأله أن يستغرق في وصف
 فضائلها الظاهرة والباطنة :

خُذْهَا أَبَا الْفَضْلِ كسوةً لك مِن خَزٍّ الأُمادِحِ لا مِن الخِرَقِ

(١) نسق : متسق (٢) تعرّى : تكشف (٣) وطأت : مهدت (٤) الحر - بكسر
 الحاء - هو الفرج (٥) الوهق : الحبل يرمى في أنشوطة فتؤخذ به الدابة والإنسان

وصفت فيها التي هويت على الوهم ولم تختبر ولم تذق
 إلا بأخبارك التي وقعت منك إلينا عن ظبية اليرق
 حاشا لسوداء منظر سكنت ذراك إلا عن خبر يقي
 وهذا المعنى أوما إليه النابغة إيماء خفيا تذهب معرفته عن أكثر الناس ،
 ولو أثر النابغة ترك الاختصار ، وهم بكشف المعنى وإيضاحه ، ما زاد على هذا
 الكشف الذى كشفه ابن الرومى :

وأصحاب المعانى ينشدون للفرزدق :

للفرزدق

وجفن سلاج قد رزئت فلم أنح عليه ولم أبعث عليه البواكيا
 وفي بطنه من داريم ذو حفيظة لو أن المنايا أنسأته لياليا^(١)
 ومعبأة عندهم أنه رثى امرأة توفيت حاملا ، فقال على بن العباس وقد وصف
 هذه المرأة السوداء :

لابن الرومى

أخلق بها أن تقوم عن ذكر كالسيف يفرى مضاعف الخلق
 إن جفون السيوف أكثرها أسود والحق غير مخلق
 فهذه زيادة بينة ، وعبرة واضحة ، لم تحتج إلى تفاسير أصحاب المعانى ،
 وقال مما لم ينشده المتنبي :

غصن من الأبنوس ركب في مؤثر معجب ومتطق
 يهتز من ناهديه في ثمر ومن دواحي ذراه في ورق
 وهذا معنى قد بلغ قائله من الإعجدة ، فوق الإرادة ، وامثل أبو الفضل الهاشمي
 ما أشار به ابن الرومى ، فأولدها ، فأنجبت .

وفي معنى معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذكروا لدين توأمين ماتا لعبد الله

ابن طاهر :

(١) الحفيظة : قوة الإباء - والمنايا : جمع منية ، وهى الموت ، وأنسأته : أخرته (م)

إن تَرُزَ في طَرَفِ نهارٍ واحدٍ رُزَأْنِ هاجاً لَوْعَةً وَبَلَايلاً
 فالثقلُ ليس مضاعفاً لمِطْيَةٍ إلا إذا ما كان وهماً بازِلاً^(١)
 لهنّ على تلك المشاهد منهما لو أمهاتٌ حتى تكون شمائلًا
 لقد أسكونهما حجبِي، وصباها حُكماً، وتلك الأريحيةُ نائلًا
 إن الهلالَ إذا رأيتَ نماءَهُ أيقنت أن سيكون بدرًا كاملاً

وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لأهل العصر في التهنته بتوأمين

تيسّرت مِنْحَتَانِ في وطنٍ ، وانتظمت مَوْهَبَتَانِ في قَرْنٍ^(٢) ، طلع في أفقِ
 الكمالِ نجمًا سَمَدً ، وشبهًا بآبِ عِزٍّ ، وكوكبًا بَجْدٍ ، فتاهلتَ بهما رُبوعُ الحاسنِ ،
 ووُطئتَ لهما أكنافُ المكارمِ ، واستشرفتَ إليهما صدورُ الأسرّةِ والمنابرِ . بلغنى
 خَبَرُ الموهبةِ المشفوعةِ بِمِثْلِهَا ، والنِّعْمَةُ المقرونة بِبِدْلِهَا^(٣) في الفارسينِ المقبلينِ ،
 ورضيَ العزّ والرفعةُ ، وقَرِبنِي المجدِ والنعمةُ ، فشملنِي من الاغتيابِ ما يُورِجِبُهُ
 ازْدِواجُ البُشرى ، واقترانُ غَادِيَةٍ^(٤) بِأُخْرَى .
 والشئُ يُذَكِّرُ بِمَا قاربَ ناحيةً من أنحائه ، وجاذبَ حاشيةً من
 رِدَائِهِ^(٥) .

[شئ من الهجاء يشتمل على تضمين]

وقال بعض أهل العصر يهجو رجلاً وضمن قول النابغة :

* كالأفحوان غداة غبَّ سَمَائِهِ *

(١) الوهم : الجمل الضخم القوى ، والبازل : المكتمل السن

(٢) القرن : الحبل المقتول من لحاء الشجر أو من الصوف

(٣) العدل - بالكسر - النظر .

(٤) الغادية : السحابة تمطر غدوة ، وفي نسخة « عارفة » (م) .

(٥) هذه العبارة من كلام المؤلف ، لبيان موجب الاستطراد في الكلام عن التوأمين

وأزاحه عن بابه ؛ فجاء مليحاً في الطبع ، مقبولا في السمع :
 يَسْأَلُنِي عَنْ جَعْفَرٍ ، عَمَدِي بِهِ رَطَبَ الْعِجَانِ وَكُفَّهُ كَالْجِلْدِ^(١)
 كَالْأَفْحُوَانِ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى^(٢)
 ومن مستحسن ما روى في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتاً لمهلل
 ابن ربيعة :

وَسَائِلُهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ وَعَمَّا فِيهِ مِنْ كَرَمٍ وَخَيْرٍ
 قُلْتُ هُوَ الْمَذْهَبُ ، غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ كَثِيرَ إِرْخَاءِ السُّتُورِ
 وَأَكْثَرَ مَا يَفْنِيهِ فَتَاهُ حُسَيْنٌ حِينَ يَخْلُو بِالسُّرُورِ
 فَوَلَا الرِّيحَ أَتَمِّعَ مِنْ بَحْرِ جُرٍّ صَلِيلِ الْبَيْضِ تُقْرِعُ بِالذُّكُورِ
 وهذا البيت لمهلل مما يعدونه من أول كذب العرب ، وكانت قبل ذلك
 لا تكذب في أشعارها^(٣) ، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي
 بالجزيرة وبين حُجْرٍ وهي قَصَبَةٌ باليمامة مسافةً بعيدةً ، فأخرجَه هذا الشاعر بقوة
 مُنْتَهَ ، ونفاذِ فُطْنَتِهِ ، إلى معنى آخر مستظرف في بابه. وهذا المذهب أحسنُ مذاهب

(١) العجان : الاست . والجلد : الصخر (٢) هذا التضمين يذكر بقول
 بعض المولدين :

تَصْدَى إِلَى إِرَى قُلْتُ لَهُ أَتَدُ وَعَيْشُكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُ وَهُوَ نَارٌ
 رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ
 وَالْأَصْلُ :

وَكُنْتُ إِذَا أُرْسِلْتُ ظَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتَعْبَتُكَ الْمُنَاطِرُ
 رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ، وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرٌ

(٣) هذا ترديد للفكرة الشهيرة من أن العرب في جاهليتهم كانوا لا يتجاوزون
 الواقع حين يصفون ، وهذا فيما أرى غلو في تقدير أهل البادية ، والمعقول أن طبيعة
 الناس تبيح المغالاة ، بلا تفريق بين الطبقات الاجتماعية

التضمين . ومن مليح ما في هذا الباب تضمينات الحمدوني في طيلسان أحد بن حرب المهلبى ، وسيأتى ما أختاره من ذلك في غير هذا الموضع .

[عَوَدَ إِلَى وَصْفِ الثُّغُورِ وَنَقَامِهَا]

وقد جاء في صفة الثُّغُورِ والأفواه والرِّيقِ شعرٌ كثير . قال جميل :

تَمْنَيْتُ مِنْهَا نَظْرَةً وَهِيَ وَاقِفَةٌ تُرِيكَ نَقِيًّا وَاصِحَّ الثُّغْرَ أَشَدَّ (١)

كَأَنَّ عَرِيضًا مِنْ فَضِيضِ غَمَامَةٍ هَزِيمُ الذُّرَى تَمْرِي لَهُ الرِّيحُ هَيْدَبًا (٢)

يُصَفِّقُ بِالمَسْكِ الذِّكْيُ رُضَابَهُ إِذَا النَّجْمُ مِنْ بَعْدِ الِهُدُوءِ تَصَوَّبًا (٣)

وقال :

لجميل بن معمر
العدري

وَكُنْ طَارِقَهَا عَلَى عِلَالِ الكَرَى وَالنَّجْمُ وَهْنًا قَدْ بَدَا لِتَنْغُورِ

يَسْتَأْفُ رِيحٌ مُدَامَةٍ مَعْلُولَةٍ رُضَابِ مَسْكٍ فِي ذِكْيِ العَنْبَرِ

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي :

يَمُجُّ ذِكْيَ المِسْكِ مِنْهَا مُفَلَّجٌ نَقِيَّ الثَّنَايَا دُوْ غُرُوبِ مُؤَشَّرِ (٤)

يَرِفُ إِذَا تَفَتَّرَ عَنْهُ كَأَنَّهُ حَصَى بَرَدٍ أَوْ أَقْحَوَانِ مُنَوَّرِ

وقال الهذلي :

لعمرو
ابن أبي ربيعة

وَمَا صَهْبَاءُ صَافِيَةٌ لَضَبٍ كُلُّونِ الصَّرْفِ مُنْجَابٌ قَذَاهَا

تُسَجُّ بِنُطْقَةٍ مِنْ مَاءِ مُزْنٍ أَحْلَتْهُ بَرَضْرَاضٍ عُرَاهَا

بِأَطْيَبِ مَشْرَعًا مِنْ طَعْمٍ فِيهَا إِذَا مَا طَارَ عَنْ سِنَةٍ كَرَاهَا

للهمذلي

(١) أشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعذوبة في الأسنان
(٢) العريض : القطعة من السحاب ، والفضيض : ماتتار من المطر والماء ، والهزيم : الصوت ، والذرى : الأعالي ، والهيدب : ذيل السحاب (٣) تصوب : انحدر (٤) مؤشر : من الأشر - بالتحريك - وهو تخزير أطراف الثنايا ، والغروب : جمع غرب - بالفتح - وهو الريق

وقال آخر :

وشقَّ عنها قناعَ الخُرِّ عن بَرَدٍ كالذُّرِّ لا كَسَسٍ فيه ولا نَعْلٍ^(١)
 كأنه أُنْحَوَانٌ باتَ بضربِهِ طَلٌّ من الدَّجَنِ سَقَاطُ النَّدى عَطْلُ
 كأنَّ صِرْفًا كَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً شَجَّتْ بماءِ سماءِ شَتَّهْ جَبِلُ^(٢)
 فوها إذا ما قَضَتْ من نومها سِنَّةً أو اعتراها سُبَاتُ النَّومِ والكسلِ

وقال الآخر :

هَجَانُ اللَّوْنِ وَاضِحَةٌ الْحَيَّا قَطِيعُ الصَّوْتِ آذِنَةٌ كَسُولُ^(٣)
 تَبَسُّمٌ عن أَغْرَ له غُرُوبُ فُرَاتُ الرِّيقِ لَيْسَ به فُلُولُ^(٤)
 كَانَ صَبِيبَ غَادِيَةٍ لَصِيبٍ تُشَجُّ به شَامِيَةٌ شَمُولُ
 على فيها إذا الجوزاء عَالَتْ مُحَلَّقَةٌ وَأُرْدَفَهَا رَعِيلُ^(٥)

وقال ابن المعتز :

يا ندييْ أَشْرَبَا واسْقِيَانَا قد بَدَا الصَّبْحُ لَنَا واستَبَانَا^(٦)
 واقتلَا هِي بِصَرْفٍ عَقَارٍ واتركَا الدَّهْرَ فَمَا شَاءَ كَانَا
 إِنِّ لِلْمَكْرُوهِ لَذَّةٌ شِرِّ فَإِذَا دَامَ على الْمَرْءِ هَانَا
 وامزجَا كَأْسِي بِرِيقَةٍ أَلْسَى طَابَ لِلْعَظْشَانِ وَرِدَاً وَحَانَا
 من فَمٍ قد غُرِسَ الدَّرُّ فِيهِ ناصحُ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَانَا^(٧)

وقال ابن الرومي :

يَارُبَّ رِيْقٍ باتَ بَدْرُ الدُّجَى يَمَجُّهُ بَيْنَ ثَنَائِيَا كَا
 لابن الرومي

- (١) الكس: قصر الأسنان . والتعل: زيادة سن أو دخول سن تحت سن .
 (٢) كيت اللون: فيها سواد وحمرة، وشجت: مزجت، وشنه: صبه متفرقا وبرده
 (٣) هجان اللون: بيضاء، وقطيع الصوت: هي التي يتكسر كلامها لرقته .
 (٤) فرات: عذب (٥) الرعيل: جماعة النجوم (٦) رواية الديوان « لا تملا
 حشا واسقيانا » (٧) ناصح الريق: لم تتغير نكهته

يُرَوِّى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شَرِّهِ وَالْمَاءُ يُزَوِّيكَ وَيَنْهَاكَ

ولقد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

عبد الله بن وإذا سألتك رشف ريقك قلت لي: أَخَشِي عُقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلَاكِ طاهر

ماذا عليك؟ جعلت قبلك في الثرى! من أن أكون خَلِيفَةَ الْمِسْوَاكِ
أَمْجُوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَكُونَ مُتِمٌّ صَبَّ بِحَبُّكَ دُونَ عُدِّ أَرَاكَ
وهذا المعنى يجاوز الإحصاء، ويفوت الاستقصاء؛ وكله مأخوذ من قول

امرى القيس:

كَانَ الْمُدَّامَ وَصَوَّبَ الْغَامَ وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشَرَ الْقَطْرُ^(١) لامرى القيس

يُمَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرَ^(٢)

فجمع ما فرقوه، وأخذ الجفري فقصر عنه:

كَانَ الْمُدَّامَ وَصَوَّبَ الْغَامَ وَرِيحَ الْخُزَامَى وَذَوَّبَ الْعَسَلَ للجفري

يُمَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا التَّجَمُّ وَسَطَ السَّمَاءِ اعْتَدَلَ

ويلحق بهذه المعاني من شعر أهل العصر قول أبي على محمد بن الحسين بن

للحائمي المظفر الحائمي - وذكر خمرًا:

مِنْ كَفِّ سَاقٍ أَهْيَفٍ حَرَكَاتُهُ قَتْنٌ تَقَنَّنَ بِالْمَلَاكِ وَاعْتَجَرَ^(٣)

ناولته كأسى وكسر جفونه يُوْحِي إِلَى أَنْ ارْتَقَبَهُمْ وَاضْطَبَّرَ

فَتَنَى لَهَا أَقْلَامَ دُرٍّ رَخَصَةٍ تَهْوَى إِلَى أَفْرَادِ دُرِّ ذِي أَشَرِ^(٤)

فتحدرت من كأسه في تغريه كالشمس تغرب في هلال من قر

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسواكا وكتب إليها:

قَدْ بَعَثَاهُ لَكَ تَجَلُّوْ بِهِ وَاضْحًا كَاللُّوْلُو الرَّطْبِ أَغْرَ

لأبي الفتح
كشاجم

(١) القطر - بالضم - العود الذي يتبخر به (٢) المستحرج: الحران

(٣) اعتجر: من الاعتجار، وهو لبسة خاصة بالنساء والغلمان (٤) رخصة: لينة

طَابَ مِنْهُ الْعَرَفُ حَتَّى خِلْتُهُ كَانَ مِنْ رَيْقِكَ يُسْقَى فِي الشَّجَرِ^(١)
 وَأَمَّا وَاللَّهِ لَوْ يَعْلَمُ مَا حَظَّهُ مِنْكَ لِأَثْنَى وَشَكَرَ
 لَيْتَنِي الْمَهْدَى فَيُرَوِّي عَطَشِي بَرَزْتُ أَنْيَابَكَ فِي كُلِّ سَحَرٍ^(٢)
 [شعر عمر بن أبي ربيعة ، وشعر الحارث بن خالد]

وكان ذُكِرَ بحضرة ابن أبي عتيق شعرُ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد الخزوميين ، فقال رجلٌ من وُلد خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة : صاحبنا الحارث أشعر ، فقال ابنُ أبي عتيق : دَعِ قولَكَ يَا بَنَ أَخِي ، فليسَ شعرُ ابنِ أبي ربيعة لَوِطَةٌ بِالْقَلْبِ^(٣) ، وَعَلَقَ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكَ لِلْحَاجَةِ لَيْسَ لَشِعْرِ الحارث ؛ وما عَصَى اللهُ بِشَعْرٍ قَطُّ أَكْثَرَ مما عَصَى بِشعر ابنِ أبي ربيعة ، فَخَذَّ عَنِّي مَا أَصِفُ لَكَ : أَشَعْرُ قَرِيشَ مَنْ رَقَّ مَعْنَاهُ ، وَلَطَفَ مَدْخَلُهُ ، وَسَهَّلَ مَخْرَجُهُ ، وَتَعَطَّقَتْ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَقَالَ الَّذِي مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ : صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ :

إِنِّي وَمَا نَحْرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَمَارِ تَتَوَدَّهَا الْعُقُلُ^(٤)
 لَوْ بَدُّتَ أَعْلَى مَنَازِلَهَا سَفَلًا وَأَصْبَحَ سَفَلُهَا يَعْلُو
 فَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُ^(٥)
 لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : يَا بَنَ أَخِي ، اسْتُرْ عَلَى صَاحِبِكَ ، وَلَا تَشَاهِدِ الْمُحَاضِرَ بِمِثْلِ هَذَا ، أَمَّا تَطَيَّرَ الحارثُ عَلَيْهَا حِينَ قَلَبَ رُبْعَهَا فَجَعَلَ عَلَيْهِ سَافَلَهُ ، مَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا . ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ لِلرَّبِّعِ مَخَاطَبَةً وَأَجْمَلَ مُصَاحَبَةً إِذْ يَقُولُ :

(١) لَا يَطِيبُ الرِّيقُ فِي السَّحَرِ إِلَّا عِنْدَ اكْتِمَالِ الْقُوَّةِ (٢) يَتَعْنَى لَوْ أَنَّهُ كَانَ الْمَسْوَاكُ
 (٣) لَوِطَةٌ بِالْقَلْبِ : عَلَاقٌ بِهِ (٤) الْعُقُلُ : جَمْعُ عَقَالٍ (٥) الْإِقْوَاءُ : خَلَاءُ الدِّيَارِ ،
 وَالْمَحَلُ : الْجَدْبُ

سَائِلًا الرَّبْعَ بِالْبَلَىِّ وَقَوْلًا هِجَّتْ شَوْقًا إِلَى الْغَدَاةِ طَوِيلًا
 أَيْنَ أَهْلُ حُلُوكَ إِذْ أَنْتَ مَسْرُورٌ رُبَّمَا أَهْلُ أَرَاكِ جَمِيلًا
 قَالَ: سَايُرُوا، وَأَمْعَنُوا، وَاسْتَقْلُوا وَبَكَرْهِي لَوْ اسْتَطَعْتُ سَيِيلًا
 سَمِعُونَا وَمَا سَمِعْنَا مُقَامًا وَاسْتَحْبَبُوا دَهَانَةً وَسَهُولًا^(١)

وهنا حكاية تأخذُ بطرفِ الحديث ، دخل مزيد المدني على مولى لبعض أهل المدينة ، وهو جالسٌ على سريرٍ ممدد ، ورجلٌ من ولد أبي بكر الصديق وآخرٌ من ولد عمر - رضى الله عنهما ! - جالسان بين يديه على الأرض ؛ فلما رأى للمولى مزيداً تجهمه ، وقال : يا مزيد ما أكثرَ سؤالك ! وأشدَّ إلخافك ! جئتَ تسألنى شيئاً ؟ قال : لا والله ، ولكنى أردتُ أن أسألك عن معنى قول الحارث بن خالد :

إِنِّي وَمَا تَحْرُوْا غِدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَمَارِ تَتَوَدَّهَا الْقُلُوبُ
 لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَىٰ مَنَازِلَهَا سِفْلًا وَأَصْبَحَ سِفْلَهَا يَبُولُ

فلما رأيتك ورأيتُ هذين بين يديك عرفتُ معنى الذى قال . فقال : اعزُبْ فى غيرِ حِفْظِ اللَّهِ ! وَضَجَّ أَهْلُ الْمَجْلِسِ .

وأخذ الحارثُ قوله :

لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
 مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ ؛ قَالَ عَلَىٰ بْنِ الصَّبَاحِ وَرَاقُ بْنُ أَبِي مُحَلَّمٍ قَالَ لِي أَبُو مُحَلَّمٍ : أَعْرِفُ لِامْرِئِ الْقَيْسِ أَيْبَاتًا سِينِيَةً قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ فِي قُرُوحِهِ وَالْحَلَةِ الْمَسْمُومَةِ ، غَيْرَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوْهَاهَا :

(١) فى الطبعة الثالثة من كتاب « حب ابن أبى ربيعة وشعره » شذرات مهمة عن الحارث بن خالد الخزومى ، الذى وقف شطرا من حياته وجاهه فى مغازلة لحيان ، وأخباره مع عائشة بنت طلحة تعين مذاهبه فى الحياة الوجدانية

* أَلِمَّا عَلَى الرَّبِّعِ الْقَدِيمِ بِعَسَسَا *

قلت : لا أعرف غيرها ، فقال : أنشدني جملة من الرواة :

لَمَنْ طَلَلُ دَرَسَتْ آيَهُ وَغَيْرَهُ سَالَفُ الْأَحْرُسِ^(١)
تَنَكَّرُهُ الْعَيْنُ مِنْ حَادِثٍ وَيَعْرِفُهُ تَغَفُّ الْأَنْفُسِ

لطريح الثقفي

وقد أخذه طريح بن إسماعيل الثقفي ، فقال :

تَسْتَخِيرُ الدَّمَّ مِنَ الْقِفَارِ وَلَمْ تَكُنْ لَتَرَدَّ أَخْبَارًا عَلَى مُسْتَخِيرٍ
فَقَلَّلْتَ تَحَكُّمَ بَيْنِ قَلْبٍ عَارِفٍ مَغْنَى أَحَبَّتِهِ وَطَرْفٍ مُنْكَرٍ

وقال الحسن بن وهب ، إشارة إلى هذا المعنى :

للحسن بن
وهب

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ فَمَا تَكَادُ الْعْيُونُ تُبْصِرُهُ
كَأَنَّهُ رَسْمٌ مَنَزَلٌ خَلَقِي تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَنْكَرُهُ

وقال يحيى بن منصور الدهلي :

ليحيى بن
منصور الدهلي

أَمَّا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا انْتَبَرَى لَهُ تَذَكُّرُ طَيْفٍ مِنْ سُعَادٍ وَمَرْبِعٍ
أُخَادِعٍ مِنْ عِرْفَانِهِ الْعَيْنُ ؛ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ

وقال آخر :

هِيَ الدَّارُ الَّتِي تَعْرِفُ لِمَ لَا تَعْرِفُ الدَّارَا
تَرَى مِنْهَا لِأَحْبَابِكَ أَعْلَامًا وَآثَارَا
فَيَبْدَى الْقَلْبُ عِرْفَانًا وَتَبْدَى الْعَيْنُ إِنْكَارَا

وقال أبو نؤاس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها لأبي نؤاس

لملاحمتها ؛ إذ كان الغرض في هذا التصرف هو إرادة الإفادة :

أَلَا لَا أَرَى مِثْلِي امْتَرَى الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ تَغْفُضُ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهْمِي^(٢)
أَتَتْ صُورُ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَظَنُّنِي كَلَّا ظَنًّا وَعِلْمِي كَلَّا عِلْمًا

(١) الأحرس : الدهر (٢) رواية الديوان « مثل امترائي في رسم »

فَطِبُّ بِحَدِيثٍ مِنْ حَبِيبٍ مُسَاعِدٍ ^(١) وَسَابِقِيَّةٌ بَيْنَ الْمَرَاهِقِ وَالْخُلَمِ ^(٢)
 ضَعِيفَةٌ كَخَرِّ الطَّرْفِ تَحْسِبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ
 يَفُوقُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ تَفُوقِي الصَّبَاءِ مِنْ حَلَبِ الْكَرَمِ ^(٣)
 وَإِنِّي لَأَتَى الْوَصْلَ مِنْ حَيْثُ يُبْتَغَى وَتَعْلَمُ قَوْسِي حِينَ أَنْزَعَ مَنْ أَرْمِي ^(٤)

[شعر أبي نواس]

وَرَوَى أَبُو هَفَانٍ قَالَ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيُّ ^(٥) بَطْنُ عَلِيٍّ
 أَبِي نَوَاسٍ ، وَيَعِيبُ شَعْرَهُ ، وَيَضَعُفُهُ ، وَيَسْتَلِينُهُ ؛ فَجَمَعَهُ مَعَ بَعْضِ رِوَاةِ شِعْرِ
 أَبِي نَوَاسٍ مَجْلِسُ الشَّيْخِ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ أَبِي نَوَاسٍ : أَتَعْرِفُ
 — أَعْرَاكَ اللَّهُ! — أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؟ وَأَنْشَدَهُ : «ضَعِيفَةٌ كَرَّ الطَّرْفِ...» الْآيَاتِ
 فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، فَلَمَنْ هُوَ؟ قَالَ : لِلَّذِي يَقُولُ :

رَسَمُ الْكَرَى بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلٌ عَنِّي عَلَيْهِ بَكَاءٌ عَلَيْكَ طَوِيلٌ
 يَا نَاطِرًا مَا أَقْلَمْتَ لِحَظَاتِهِ حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ
 فَطَرَبَ الشَّيْخُ ، وَقَالَ : وَنَحْكَ ! لِمَنْ هَذَا؟ فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَحْوَدَ مِنْهُ لَقْدِيمٍ

(١) رواية الديوان « من نديم موافق » (٢) بين المراهق والخلم: يريد أن سنّها
 قاربت سن الاحتلام، وليست مع ذلك طفلة، فهي كما قال صاحب البدائع: « طفلة في
 المنظر، وغادة في الخبر » (٣) تفوق مالى: تأكله، من قولهم « تفوق ناقته » حلبها،
 و « تفوق الفصيل اللبن » شربه (٤) رواية الديوان « وإني لآتي الأمر » وهي أدق
 (٥) هو ابن الأعرابي اتوفى سنة ٢٣١. وكان نحويًا عالمًا باللغة والشعر، ولم
 يكن أحد من الكوفيين أشبه برواية البصريين منه، وكان يزعم أن الأصمعي
 وأبا عبيدة لا يحسنان قليلا ولا كثيرا. قال ثعلب: شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر
 مجلسه زهاء مئة إنسان كل يسأله أو يقرأ عليه ويحجب من غير كتاب، قال: ولزمته بضع
 عشرة سنة ما رأيت يده كتابا قط، وما أشك في أنه أملى على الناس ما يحمل على أجمال

ولا لِحَدَّث ! فقال : لا أخبرك أو تكتبه ؛ فكتبه ، وكتب الأول ، فقال : للذي يقول :

رَكِبْ تَسَاقُوا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأْسُ الْكَرَى فَاتَشَى لِلْسَقَى وَالسَاقِ
كَأَنَّ أَرْوُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا عَلَى الْمَنَاكِبِ لَمْ تُخْلَقْ بِأَغْصَانِ
سَارُوا فَلَمْ يَقْطَعُوا عَقْدًا لِرَاحِلَةٍ حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ قَبْلَ إِبْرَاقِ
مِنْ كُلِّ جَائِلَةِ الطَّرَفَيْنِ نَاجِيَةٍ مُسْتَقْقَةٍ حَمَلَتْ أَوْصَالَ مُشْتَاقِ
فقال : لمن هذا ؟ وكتبه . فقال : للذي تَذُمَّهُ ، وَتَعِيبَ شَعْرَهُ ، أَبَى عَلَى
الْحَكْمَى ! قال : اكْتُمُ عَلَى ، فوالله لا أعود لذلك أبداً .

أخذ قوله : « كَأَنَّ أَرْوُسَهُمُ وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا » . أبو العباس بن المعتز ، فقال لابن المعتز
يصف شرباً :

كَأَنَّ أَبَارِيقَ اللَّجَيْنِ لَدِيهِمْ ظِلَاءُ بَأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامُ
وَقَدْ شَرَبُوا حَتَّى كَانَ رُؤُوسُهُمْ مِنَ اللَّيْنِ لَمْ يُخْلَقْ لَهُنَّ عِظَامُ
البيت الأول من هذين من قول علقمة بن عبدة^(١) :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَلَى عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ^(٢)
أراد بسبائب^(٣) ، فحذف . وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله :

إِبْرِيْقُنَا مَلَبَّ الْغَزَالَةِ جِيْدَهَا وَحَكَى لِلْدِيرِ بِمَقْلَتَيْهِ غَزَا لَا
يَسْتَقِيكُ بِالْأَلْحَاطِ كَأْسَ صَبَابَةٍ وَيُدِيرُهَا مِنْ كَفِّهِ جَزِيَالًا^(٤)



(١) هو علقمة الفحل ، أحد معاصري امرئ القيس

(٢) مقدم : مسدود ، والقدام هو : السدادة ، والمثلثوم : الذي وضع عليه اللثام

وهو كالقدام (٣) السبائب : جمع سبيبة ، وهي الجبل (٤) الجريال : الحجر

وأنشد الحارث بن خالد أبياته :

إني وما نَحْرُوا غَدَاةَ مِنِّي

لعبد الله بن عمر ، فلما بلغ إلى قوله :

لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

قال له ابن عمر : قل إن شاء الله ، قال : إذا فسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ،

فقال : لا خَيْرَ في شيء يُفسده إن شاء الله .

[تشييب الحارث بن خالد] -

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشييب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من ذلك ، وإنما يقوله تظرفاً وتخلعاً ؛ وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة ، فلما قُتِلَ عنها مُضَعَبُ بن الزبير قيل له : لو خطبتها ! قال : إني لا كُره أن يتوهم الناسُ عليّ أني كنت معتقداً لما أقول فيها ، وهو القائل :

يا أمَّ عمرانَ ما زِلْتِ وما بَرِحْتِ بنا الصَّبَابَةَ حَتَّى مَسَّنَا الشَّفَقُ^(١)

القلبُ تاقَ إليكم كى يلاقِيكم كما يتوقُ إلى مَنَجاتِهِ الفَرَقُ^(٢)

تُوفِيكَ شيئاً قليلاً وهي خائفةٌ كما يَمْسُ بِظَهْرِ الحَيَّةِ الفَرَقُ^(٣)

أخذ هذا الطائي لحسنه فقال :

تَأْتِي على التَّصْرِيدِ إِلَّا نَائِلًا إِلَّا يَكُنْ ماءً قَرَّاحًا يُمَذَّقُ^(٤)

نَزْرًا كما استبكرهت عابر نفجةٍ من قَارَةِ الْمِسْكِ التي لم تُفْتَقِ

وَحَجَّتْ عائشةُ بنتُ طلحة ، فوجَّه إليها يستأذنها في الزيارة ، فقالت : نحن

حَرَام ، فأخَّر ذلك حتى نَحَلَ ، فلما أحلتْ أَدْلَجَتْ ولم يعلم ، فكتب إليها :

ما ضَرَّكم لو قَلِمُ سَنَدًا إِنَّ المَنِيَّةَ عاجِلٌ غَدُهَا^(٥)

ولها علينا نِعْمَةٌ سَلَفَتْ لَنَا على الأيام نَجِدُهَا

(١) الشفق : الخوف (٢) تاق : اشتاق (م) (٣) الفرق : الحائف (٤) التصريد .

التقليل ، وإسقاء مالا يروى (م) . (٥) سدا : يريد كلاما مستقيما لا يغيره (م) .

لو تَمَّتْ أسبابُ نِعْمَتِها تَمَّتْ بِذلكَ عِندَنا يَدُها
إِنِّي وإياها كَفَتَتِني بالـنـسـارِ تَحْرِقُهُ وَيَعْبُدُها

[من أخبار ابن أبي عتيق وعائشة بنت طلحة]

وابنُ أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ،
رضي الله عنه ! وكان من أفاضل زَمَانِهِ عِلْماً وَعِفَافاً ، وكان أَخْلَى الناسِ فُكَاهَةً ،
وأظرفهم مَزَاحاً ، وله أخبارٌ مستظرفة سيمرُّ منها ما يُستحسن إن شاء الله .

روى الزبير بن أبي بكر أنه دخل على عائشة — يعني بنت طلحة ، رضي الله
عنهما ! — وهي لمابها ؛ فقال : كيف أنت جُعِلْتُ فذاك ؟ قالت : في الموت ، قال :
فلا إذاً ، إنما ظننت في الأمرُفُفحةً ، فضحكت ، وقالت : ماتدعُ مزحك بحال .
وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة القرشي :

ليت شعري هل أقولن لركب بفلاةٍ هُمُ لديها خُشوعُ
طالماً عرَّسْتُمُ فاستَقِلُّوا حان من نجمِ الثريا طُلوغُ
إنَّ هَمِّي قد نَقَى النومَ عَنِّي وحديثُ النفسِ مِنِّي يَرُوعُ
قال لي فيها عتيقٌ مقالاً فجرتُ مما يقولُ الدموعُ
قال لي : ودعْ سليمي ودعْها فأجاب القلبُ : لا أستطيعُ
لا تُلمني في اشتياقي إليها وابئك لي مما تجنُّ الضلوعُ

[مُثَلٌّ من التعريض]

قال أبو العباس محمد بن يزيد^(١) قوله : « حان من نجم الثريا طلوع » كناية ، وإنما

(١) أبو العباس محمد بن يزيد ، هو المعروف بالبرد ، كان شيخ أهل النحو
والعربية ، وإليه انتهى علمهما بعد طبقة أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني ، وقد أخذ
عنهما وعن أبي حاتم السجستاني وغيرهم ، ومات في شوال من سنة ٢٨٥ الهجرة (م)
(١٧ - زهر آداب ١)

يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت موصوفة بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، فنفلها إلى مصر، وفي ذلك يقول عمر، وضرب لها المثل بالنجمين :

أيها المنكح الثريا سُهَيْلاً عَمْرُكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقلَّ يَمَانِي

بين الثريا بنت علي والوليد بن عبد الملك
فمات سهيل عنها، أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة دمشق تطلب في دين عليها، فبينما هي عند أم البنين ابنة عبد العزيز إذ دخل الوليد فقال : مَنْ هَذِهِ عِنْدَكَ ؟ قالت : الثريا، جاءتك تطلب في دين ارتكبتها، فأقبل الوليد عليها، فقال : أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم، أما إنه رحمه الله كان غفيفاً، غفيف الشعر، أروى له قوله :

مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبُلَيْنِ لَوْ بَسَّيْنَ رَجَعَ السَّلاَمِ أَوْ لَوْ أَجَابَا
فإني قَصْرٌ ذِي الْعَشِيرَةِ بِالصَّا ثَفْ أُمْسَى مِنَ الْأَنْبِيسِ يَبَابَا
وَبِمَا قَدْ أَرَى بِهِ حَيَّ صِدْقٍ ظَاهِرِي الْعَيْشِ نَعْمَةً وَشَبَابَا
وَحَسَانًا جَوَارِيَا خِفَرَاتٍ حَافِظَاتٍ عِنْدَ الْهَوَى الْأَحْسَابَا
لَا يُكْثَرْنَ بِالْحَدِيثِ وَلَا يَتَبَعْنَ يَنْعَقْنَ بِالْبِهَامِ الظَّرَابَا^(١)

فلما خلا الوليد بام البنين قال : لله درُّ الثريا ؛ أندرين ما أرادت بإنشادها ما أنشدت من شعر عمر ؟ قالت : لا ، قال : فإني لما عرضت لها بعمر عرضت بأن أمي أعراية ؛ وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسي، وهي أم سليمان ، ولا تعلم امرأة ولدت خليفتين في الإسلام غيرها ، وغير الخيزران، وهي سبيبة من خرشنة ، ولدت موسى الهادي وهارون الرشيد ابني محمد الهدي ، وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز ؛ فإنها

(١) الظراب : جمع ظرب - بزنة كتف - وهو الجبل المنبسط ، أو الراية

الصغيرة (م)

ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد المخلوع ؛
جلس في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ، ثم جاء مروان بن محمد بن مروان
آخر ملوك بني أمية فخلعه ووُلّي بعده .

وشبهه بقول الثريا في باب التعريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن
مروان ، فقال لها : أنت عزة كثير ؟ قالت : أنا أم بكر الضميرية ، قال لها :
يا عزة ؟ هل تروين من شعر كثير شيئاً ؟ قالت : ما أعرفه ، ولكن سمعت
الرواة ينشدون له :

قضى كل ذي دين فوق غريمه وعزة مطول ممتى غريمها
قال : فتروين قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي ياعز لا يتغير
تغير حال والخلقة كالذي عهدت ولم يُخبر بسرك مخبر
قالت : ما سمعت هذا ، ولكن سمعهم ينشدون :

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العضم زلت^(١)
عضوباً فما تلقاك إلا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت^(٢)

[بعض أخبار عمر بن أبي ربيعة وغزله]

قال : وكل ما ذكر ابن أبي ربيعة في شعره من عتيق ، أو أبي عتيق ، فإنما
هو ابن أبي عتيق ، وكان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وأسم أبي ربيعة حذيفة ،
ابن المغيرة بن عبد الله [بن عمر] بن مخزوم ، ويكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد
سبية من حضرموت ، ويقال من حمير ، ومن ثم أتاه الغزل ؛ لأنه يقال : « عشق
يماني ، ودل حجازي » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

(١) كأنى أنادى صخرة : يريد أنها لا تجيب النداء ، والصم : جمع أصم أو صماء ،
والعضم : جمع أعصم ، وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدها يياض
وسائر أسود (م) (٢) في الأغاني وغيره « صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة » (م) .

إن قلبي بالتلّ تلّ عزازٍ مع ظبي من الظباء الجوازي^(١)
شادين لم ير العراق وفيه مع ظرف العراق دك الحجاز
وقال الطائي وذكر نفسه :

قد ثقفت منه الحجاز ، وسهلت منه العراق ، ورقفته المشرق^(٢)
وهجرت الثريا عمر ، فقال :

قال لي صاحبي ليعلم ما بي : أتحب القتل أخت الرباب ؟
قلت : وجدى بها كوجدك بالما إذا ما قددت برد الشراب
أزهقت أم نوقل إذ دعتهأ مهجتي ، ما لقاتلي من متاب
أبرزوها مثل الهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنونة تحذر منها في أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : بهراً عدد الرمل والحصى والتراب
ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله :

من رسولى إلى الثريا ؟ فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

قال : إياي أراد ، وبى هتف ونوه ، لا جرم لا ذقت طعاماً أو أشخص إليها ،
وأصلح بينهما ؛ قال مولى لبني تميم : فنهض ونهضت معه ، ثم خرج إلى السوق إلى
الضمرتين ، فأتى قوماً من بني الدليل بن بكرٍ يكرون النجائب ، فقال : بكم
تكرؤننى راحلتين إلى مكة ؟ قالوا : بكذا وكذا درهما ، فقلت لبعض التجار :
استوضعوا شيئاً ، فقال ابن أبي عتيق : ويحك ! إن المكاس ليس من أخلاق
الناس^(٣) . ثم ركب واحدة وركبت أخرى ، وأجد السير ، فقلت : ارفق بنفسك ،

(١) الجولوزى : هى الظباء التى تحتزىء بالعشب عن الماء

(٢) المشرق : خلاف باليمن (٣) المكاس : الشدة فى الأخذ والعتاء

فقال : ويحك ! أبادر حَبْلَ الوصل أن يتَقَضَّبَا . وما أملح الدنيا إذا تَمَّ الوصلُ
بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة وأتى بابَ الثريا ، فقالت : والله ما كنتَ لَنَارَ زَوَّارَا ،
فقال : أجل ، ولكن جئتُ برسالة ، يقول لك ابنُ عمك عمر : ضِقتُ ذُرْعًا
بهجرها والكِتابِ . فلامه عمر ، فقال ابنُ أبي عتيق : إنما رأيتك مبادراً تَلْتَمِسُ
رسولا ، تخففت في حاجتك ، فإنما كان ثوابي أن أشكر .

ووصف ابنُ أبي عتيق لعمر امرأةً من قومه ، وذكر جمالاً رائعا ، وعقلا
فاتقا ، فرآها عمر ، فشبَّبها ؛ فغضب ابنُ أبي عتيق وقال : تشبُّبُ بامرأة من
قومي ؟ فقال عمر :

لا تَلْمِني عتيقُ حَسْبِيَ الَّذِي بِي إِنَّ بِي يَا عتيقُ ما قد كَفَانِي
إِنَّ بِي مُضْمَرًا من الحب قد أَبْلَى عِظَامِي مَكْنُونُهُ وَبِرَانِي
لا تَلْمِني فَأَنْتَ زَيَّلْتَهَا لِي
فقال ابنُ أبي عتيق :

أَنْتَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

فقال عمر : هكذا وَرَبَّ الكعبة قلت .

فقال ابنُ أبي عتيق : إِنَّ شَيْطَانَكَ وَرَبَّ الْقَبْرِ بِمَا أَلَمَ بِي !
وَحَجَّتْ رَمْلَةٌ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفٍ أَخْتُ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ ، فقال
عمر فيها :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا مُقْصَدًا يَوْمَ فَارَقَ الظَّاعِنَا
وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ سِرًّا قَبْلَ وَشْكِ مِنْ بَيْنِكُمْ نَوْلِنَا
أَنْتَ أَهْوَى الْعِبَادِ قَرِيبًا لَوْ تَوَاتَيْنِ عَاشِقًا مُحْزُونَا
قَادَهُ الْحَيْنُ يَوْمَ سَرْنَا إِلَى الْحَجِّ جَهَارًا وَلَمْ يَخْفَ أَنْ يَحِينَا
فَإِذَا نَعْجَةٌ تَرَاوَى نَعَاجَا وَمَهَا نُجْلُ النَّوَظِرِ عَيْنَنَا
فَسَبْتَنِي بِمَقْلَةٍ وَبِحِيدٍ وَبِوَجْهِهِ يَضِيءُ لِلنَّاطِرِينَا

قلتُ من أنتمُ فصَدَّتْ وقالتُ أُمَيْدُ سؤَالِكَ الْعَالَمِينَ^(١)
 قلتُ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالَةِ مَا أَنْ تَبَلَّتِ الْفُؤَادَ أَنْ تَصْدُقِنَا
 أَيْ مِنْ تَجْمَعِ الْمَوَائِمُ أَنْتُمْ فَأَيُّنِي لَنَا وَلَا تَكْذِبِنَا
 فَرَأَتْ حِرْصِي الْفِتَاةُ ، فَقَالَتْ أَخْبِرِيهِ بِعَلْمٍ مَا تَكْتُمِينَا
 نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ ، وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَ
 قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ فَمَنْ أَنْتِ عَسَى يَجْرُ شَأْنُ شُؤُونَا
 وَنَرَى أَنَّ عَرَفْنَاكَ بِالذَّمِّ ظَنُونَا وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا

بِسُـوَادِ الثَّنِيَّتَيْنِ وَنَفْتٍ قَدْ نَرَاهُ لَنَاظِرٍ مُسْتَبِينَا
 قَوْلُهَا : « وَكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَ » أَرَادَتْ إِذْ كَانَتْ مَكَّةَ لِلْخَزَاعَةِ .

وكان آخر من نبذ مفتاح الكعبة من خُزَاعَةِ أَبُو غُبْشَانَ ، فباعه من قُصَيِّ زُرْقٍ
 غُبْشَانَ الَّذِي بَاعَ مِفْتَاحَ الكعبة صفقة أبي
 خمر ؛ فقيل في المثل : « أخسر صفقةً من أبي غُبْشَانَ » . وكان أبو غُبْشَانَ
 إِذْ بَاعَ الْمِفْتَاحَ قُصَيًّا مَرِيضًا قَدْ يَثْسُ مِنْ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ لَأَمَهُ قَوْمُهُ ،
 وَسَأَلُوهُ اسْتِرْجَاعَهُ ، وَذَلِكَ الَّذِي هَاجَ الْحَرْبَ بَيْنَ خُزَاعَةِ وَقُرَيْشٍ ، فَظَفَرَ قُصَيٌّ
 وَاسْتَوَلَى عَلَى مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قُرَيْشًا بِهَا ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ جَمْعًا ، قَالَ مَطْرَفُ الْخَزَاعِيِّ :
 أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ
 وَقَالَ الطَّائِي :

وَلَمَّا نَصَا نَوْبَ الْحَيَاةِ وَأَوْقَعَتْ بِهِ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ مَا يَتَوَقَّعُ
 غَدَا لَيْسَ يَذَرِي كَيْفَ يَصْنَعُ مُعْذِمٌ ذَرَى دَمْعُهُ فِي خَدِّهِ كَيْفَ يَصْنَعُ
 وَلَمْ أَنْسَ سَعْيَ الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِأَكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِلُّ وَيُظْلَعُ^(٢)
 وَتَكْبِيرُهُ خَسًا عَلَيْهِ مَعَا لَنَا وَإِنْ كَانَ تَكْبِيرَ الْمُصْلِينَ أَرْبَعُ
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي يَعْلَمُ اللَّهُ قَبْلَهَا بِأَنَّ النَّدَى فِي أَهْلِهِ يَتَشَبَّعُ

(١) أُمَيْدُ سؤَالِكَ الْعَالَمِينَ : أَيُّ هَلْ أَنْتِ مَقْسَمُهُ بَدَا وَتَفَارِقُ عَلَى النَّاسِ بَحِثْ

يَعْمَهُمْ جَمِيعًا (٢) يَسْتَقِلُّ وَيُظْلَعُ : يَنْهَضُ وَيَسْقُطُ

عَدَوْا فِي زَوَايَا نَعْسِهِ وَكَأَنَّمَا قَرِيشٌ قَرِيشٌ يَوْمَ مَاتَ مُجَمِّعٌ
وقال الشاعر في أمر قصي وأبي غبشان :

أَبُو غُبْشَانَ أَظْلَمُ مِنْ قَصِيٍّ وَأَظْلَمُ مِنْ بَنِي فَهْرِ خِزَاعِهِ
فَلَا تَلْحَوْا قُصَيًّا فِي شِرَاهُ وَلَوْ مَوَا شَيْخَكُمْ إِذْ كَانَ بَاعَهُ
وكان عمر أسود الثنيتين .

قال مولى ابن أبي عتيق بلال : أتيتُ الثريا مسلماً عليها ، فقالت : أنشدني
لعمر ، فأنشدتها :

* أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي الْحَبَالِ رَهِينًا *

فقالت الثريا : إى والله ، لئن سلمت له لأردن من شأوه ، ولأثنين من
عنانه ، ولأعرفنه نفسه ! فمررت فيها حتى انتهيت إلى قوله :

قُلْتُ مَنْ أَنْتُمْ فَصَدَّتْ وَقَالَتِ أُمُّ بَدْرٍ سَوَاءُكَ الْعَالَمِينَ
فقالت : أوقد أجابته بهذا ؟ أى وقت ؟ فلما انتهيت إلى قوله :

* وَتَرَى أَنَّنَا عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْتِ *

قالت : جاءت النوء كاءُ بأخِر ما عندها في مَوْقِفٍ واحد^(١) .

وسأله أخوه الحارث - وهو المعروف بالقباع ، وكان من أفاضل أهل دهره - أن
يترك الشعر ، ورغب إليه في ذلك ، ووعظه ، فقال : أما ما دمت بمكة فلا
أقدر ، ولسكنى أخرج إلى اليمن ، فخرج ؛ فلما سار إلى هناك لم تدعه نفسه وترك
الشعر ، فقال :

هِيَهَاتَ مِنْ أَمَةِ الْوَهَابِ مَنْزِلُنَا إِذَا نَزَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنٍ^(٢)
وَاحْتِلَّ أَهْلُكَ لُجِيادًا ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا التَّذَكُّرُ أَوْ حِظٌّ مِنَ الْحَزَنِ
بَلْ مَانَسَيْتَ غَدَاةَ الْخَلِيفِ مَوْقِفَهَا وَمَوْقِفِي ، وَكَلَانَا نِمْ دُو شَجَنِ

(١) النبوكاء : الحمقاء (٢) سيف البحر - بكسر السين - ساحله

وقولها للثريا وهي مطرقة^(١) والدمع منها على الخدين ذوسن^(٢)
 بالله قولي له في غير معتبة ماذا أردت بطول المكث في اليمن
 إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن
 فلما بلغ الشعر الحارث قال : قد علمنا أنه لا يفنى^(٣).

بين ابن جريج
 ومعن بن أوس

وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال : لزمني دين مرة فضاقت
 ساحتي وبلادي بي ، فتوجهت إلى معن بن زائدة باليمن ، فقال : ما أقدمك
 هذه البلدة ؟ قلت : دين طردني عن وطني . قال : يُقضى دينك ، وترد إلى
 وطنك محبواً محبوراً ، قال : فأمت عنده ، ثم رأيت الناس يرحلون إلى الحج ،
 فخننت إلى مكة ، وذكرت قول ابن أبي ربيعة ، وذكر الأبيات ... فأثيت باب
 معن ، فقلت للحاجب : استأذن لي على الأمير ، فلما دخلت عليه قال : إن
 لك لحادث خبر ! قلت : أستودع الله الأمير وأستحفظه عليه . قال : وما هاج
 هذا منك ؟ فقلت : رأيت خروج الناس إلى الحج ، وذكرت قول عمر ؛ فخننت
 إلى مكة ، فقال : أنت وحنينك ، وإن كنت بفراقك ضينا ، وسيتبعك
 ما تحتاج إليه ؛ فسير مصاحباً ، قال : فسرت إلى رجلي ، فأتبعني بمال وثياب
 ومطايا ودواب ، وسرت إلى مكة من فوزي .

عفة عمر

وكان عمر - على غزله ، وما يذكره في شعره - عفيفاً . حدث المفيرة بن عبد الرحمن
 عن أبيه قال : دخلت مع أبي مكة ، فجاءه عمر ، فسلم عليه ، وأنا غلام شاب
 وعلى جبة ، فجعل يأخذ بخصلة من شري فتمد في يده ، ثم يرسلها فترجع ،
 فيقول : واشباباه ! فقال لي : يا بن أخي ، قد سمعت قولي : « قلت لها وقالت لي » ؛
 وكل مملوك لي حرّ إن كنت قط كشفت عن فرج حرّام ! قال : فقممت وفي

(١) السنن : الطرائق (٢) ارجع إلى نقض هذا الرأي في كتاب « حب ابن
 أبي ربيعة وشعره » في الفصل الذي عنوانه « الجوانب الجديدة في حياة ابن أبي ربيعة »

نَفْسِي مِنْ يَمِينِهِ شَيْءٌ ؛ فَسَأَلْتُ عَنْ رَقِيقِهِ ، فَقِيلَ لِي : أَمَا فِي هَذَا الْحَوْلِ فَسَبْعُونَ .
ويستحسن قول عمر في المساعدة :

وَحَلَّ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمُسْتَمِعًا مُطِيعًا
أَطَافَ بَغِيَّةٍ فَهَيَّيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ : أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا أَبِي وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا
وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصَّمَةِ الْجُشَمَى ^(١) :

أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَتِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَا الْغَدِ
فَقُلْتُ لَهُمْ : ظَنُّوا بِالْفَى مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ ^(٢)
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتَى غَيْرُ مُهْتَدِي
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةٌ أَرَشُدِ
ومن جيد شعره :

يَقُولُونَ إِنِّي لَسْتُ أَصْدُقُ فِي الْهَوَى وَإِنِّي لَا أُرْعَاكِ حِينَ أُغِيبُ
فَمَا بَالُ طَرَفِي عَفَا عَمَّا تَسَاقَطْتُ لَهُ أَنْفُسٌ مِنْ مَعْشَرٍ وَقُلُوبُ
عَشِيَّةَ لَا يَسْتَنْكِرُ الْقَوْمُ أَنْ يَرَوْا سَفَاهَ حِجِّي مِمَّنْ يُقَالُ لِيْلِبُ
وَلَا فِتْنَةً مِنْ نَاسِكٍ أَوْ مُضْتٍ لَهُ بَعَيْنِ الصَّبَا كَسَلَى الْقِيَامِ الْكُؤُوبِ ^(٣)
تَرْوَحَ يَرْجُو أَنْ تَحْطَ ذُنُوبُهُ فَآبَ وَقَدْ زِيدَتْ عَلَيْهِ ذُنُوبُ
وَمَا النَّسْكُ أَسْلَانِي ، وَلَكِنْ لِلْهَوَى عَلَى الْعَيْنِ مَتَى وَالْفَوَادِ رَقِيبُ

ونظر عمر بن أبي ربيعة إلى فتى من قريش يكلم امرأة في الطواف ، فعاب ذلك عليه ، فذكر أنها ابنة عمه ، فقال : ذلك أشنع لأمرك ، قال : إني خطبتها

(١) أحد الشعراء الأبطال ، غزا نحو مئة غزوة ، ولم يخب في واحدة منها ، عمر طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين (٢) ظنوا ، هنا معناها تيقنوا . والمدجج : التام السلاح . والمسرد : الحكم الذئج . وهو صفة للمدح (٣) أومضت له : سارفته النظر

إلى عمى ، وإنه زعم أنه لا يزوجنى حتى أصدقها أربعمائة دينار ، وأنا غير قادر على ذلك ، وذكر من حاله وحبّه لها ؛ فأتى عمرُ عمّه ، فكلّمه فى أمرها ، فقال : إنه مُملق ، فزوّجه ، وساقُ عمرُ عنه المهر .

وكان عمر حين أسنّ حَلَفَ ألاّ يقول بيتا إلاّ أعتق رقبة ، فانصرف إلى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جاريته تكلّمه ولا يحببها ؛ فقالت : إن لك لشأنا ، وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال :

تقول وليدتي لما رأيته	طربتُ : وكنتُ قد أقصرتُ حيناً
أراك اليوم قد أخذتُ أمراً	وهاج لك الهوى داء دفيناً
وكنت زعمت أنك ذو عزاء	إذا ما شئت فارتق القريناً
لعمرك هل رأيت لها سمياً	فشاقك أم لقيت لها خديناً
فقلت : شكا إلى أخٍ مُحِبٍّ	كبهض زماننا إذ تعلّميناً
فقصّ على ما يلقى بهندٍ	فذكر بعوض ما كنا نسيناً
وذو الشوق القديم وإن تعزّى	مشوق حين يلقى العاشقيناً
فكم من خلةٍ أعرضت عنها	لغير قلى ، وكنت بهاضنيناً
أردت بعادها فصددت عنها	وإن جنّ الفؤادُ بها جنوناً

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم .

قال عثمان بن إبراهيم : حججت أنا وأصحاب لنا ، فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة ، فرأينا عمر بن أبى ربيعة ، وقد نسك وترك قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فملنا إليه ، وسلمنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له بعضنا : أيعجبك قول الفرزدق :

سرت لعينك سلمى بعد مفاتها	فبت مستلياً من بعد مسراها
فقلت : أهلاً وسهلاً من هداك لنا ؟	إن كنت تمثالها أو كنت إياها
تأتى الرياح التى من نحو بلدكم	حتى تقول : دنت منا برياًها

وقد تراخت بهم عَنانَوِي قَذْفٌ هِيَّاتُ مُصَبِّحَا مِنْ بَعْدِ مُسَاهَا (١)
 من أَجْلِهَا أَتَمَنَّى أَنْ يُبَلِّغَنِي من نحو بِلَدَتِهَا نَاعٍ فَيَنْعَاهَا
 كَمَا أَقُولُ: افْتِرَاقُ لَا اجْتِمَاعَ لَهُ، وَتَضْمِيرُ النَّفْسِ يُأَسِّسُ ثُمَّ تَسْلَاهَا
 وَلَوْ تَمُوتُ لِرَاعَتِي وَقَلْتُ لَهَا: يَا بُؤْسُ لِلدَّهْرِ لَيْتَ الدَّهْرَ أَبْقَاهَا

فلم يهش لذلك ! فقال الآخر : أيعجبك قول العذري :

لَوْ حَزَّ بِالسَّيْفِ رَأْسِي فِي مَوَدَّتِهَا لَمَّا يَهْوِي سَرِيعًا نَحْوَهَا رَأْسِي
 وَلَوْ بَلَى تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدِي لَكُنْتُ أُبَلِّى وَمَا قَلْبِي لَكُمْ نَاسِي
 أَوْ يَقْبُضُ اللَّهُ رُوحِي صَارَ ذِكْرُكُمْ رُوحًا أَعِيشُ بِهِ مَا عَشْتُ فِي النَّاسِ
 لَوْلَا نَسِيمٌ لَذَكَرَاكُمْ يُرَوِّحُنِي لَكُنْتُ مُحْتَرَقًا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي

فتحرك ثم قال : يَا وَيْحَهُ ! أبعاد ما يحز رأسه يميل إليه ؟

ثم أنشأ يحدثنا ، فقال : أتاني خالد الدليل ، فقال : إن هندا وأترابها بموضع
 كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع ، فقلت : كيف الحيلة ؟ فقال : تَتَلْتَمَسُ وَتَكْتَفِلُ (٢)
 كَانَتْ تَطَالِبُ ضَالَّةً ، ففعلت ، فدُفِعَتْ إِلَيْهِنَّ ، فقلن : يَا أَعْرَابِي ، مَا تَطَالِبُ ؟ قُلْتُ :
 ضَالَّةٌ لِي ، فقلن : قَدْ كَلِمْتُ يَا أَعْرَابِي ، فَلَوْ جَلَسْتَ فَأَصَبْتَ مِنْ حَدِيثِنَا وَأَصَبْنَا مِنْ
 حَدِيثِكَ ، وَلَعَلَّكَ تَرُوحُ إِلَى وَجُودِ ضَالَّتِكَ ، فَزِلْتُ ؛ فَلَمَّا امْتَدَّ الْحَدِيثُ بَنَّا حَسَرْتُ
 هِنْدٌ لِسَامِي ، وَقَالَتْ : أَتُرَاكَ خَدَعْتُنَا ؟ نَحْنُ وَاللَّهِ خَدَعْنَاكَ ، وَبَعَثْنَا إِلَيْكَ خَالِدًا ،
 رَأَيْنَا خَلَاءً وَمَنْظَرًا فَأَرَدْنَاكَ ، وَنَظَرْتُ فِي دِرْعِي فَأَعْجَبْنِي مَا رَأَيْتُ ، فقلت :
 يَا أَبَا الْخَطَّابِ ! قَالَ عَمْرٌ : قُلْتُ : لَبَّيْكَ ، وَفِي ذَلِكَ أَقُولُ :

أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا بِيَطْنِ حُلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَعَا (٣)

(١) نوى قذف : بعيدة

(٢) اكتفل : ركب فوق الكفل . بالكسر ، وهو شيء مستدير يتخذ من

خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير (٣) حليات : اسم موضع

إلى السَّرح من وادى الغمَّس بُدلت
 فيخَلَن أو يخبرن بِالْعِلْمِ بَعْدَمَا
 لَهْدِي وَأَتْرَابٍ لَهْدِي إِذِ الْهَوَى
 وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا نَرَى
 وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مِزَاجُهُ
 تُنَوِّعُن حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ خَبْلُهُ
 قُتِلَتْ لِمَطْرِهِنَّ بِالْحُسْنِ : إِنَّمَا
 وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشْرَى وَقَدْ كَانَ قَدْ صَحَا
 لَنْ كَانَ مَا حُدِّثْتُ حَقًّا فَأَرَى
 فَقَالَ : قُمْ فَانْظُرْ ، قُتِلَتْ : وَكَيْفَ لِي
 فَقَالَ : اكْتَفَلَ ثَمَّ التَّمَّ فَأَتِ بَاغِيَا
 فَأَقْبَلْتُ أَهْوَى مِثْلُ مَا قَالَ صَاحِبِي
 فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ
 تَبَاهَنَ بِالْعِرْفَانِ كَمَا رَأَيْتَنِي
 وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمَتِّمْ
 فَلَمَّا تَنَازَعَنَ الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي

مَعَالَهُ وَبَلَاءٌ وَنَكْبَاءٌ زَعَزَعَا^(١)
 نَكَأَنَّ فَوَادًا كَانَ قَدَمًا مُوجَعًا^(٢)
 جَمِيعٌ وَإِذْ لَمْ نَحْشُ أَنْ يَتَصَدَّعَا
 لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الْمَجْرَ مَطْمَعَا
 كَمَا صَفَّقَ السَّاقِ الرَّحِيقُ الْمُسْتَعْمَعَا
 وَحَتَّى تَذَكَّرْتَ الْحَيْبَ الْمَوْدَعَا
 ضَرَرْتُ ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا ؟
 فَوَادٌ بِأَمْثَالِ الْمَهَا كَانَ مُوَلَعَا^(٣)
 كَثَلَ الْأَلَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعَا^(٤)
 أَخَافُ حَدِيثًا أَنْ يَشَاعَ فَيَشْنَعَا
 فَسَلِّمْ وَلَا تُكْثِرْ بَأْنَ تَتَوَرَّعَا
 لِمَوْعِدِهِ أَبْنَى قُلُوصًا مَوْقَعَا^(٥)
 وَجُوهٌ زَاهَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا
 وَقَلْنَ : أَمْرُؤُ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَعَا^(٥)
 يَقِيسُ ذِرَاعَا كَمَا قَسَنَ إصْبَعَا
 أَخَفَّتْ عَلَيْنَا أَنْ نُغَرَّ وَنُخْدَعَا

- (١) الغمَّس : موضع قرب مكة في طريق الطائف، والنكباء : الريح التي تتكبد عن مهاب الرياح، وريح زعزع : شديدة
- (٢) نكأ الجرح : أصابه من جديد (٣) أشربته فاستشري : هجته فهاج، وشري الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشري زيد : غضب ولج ، ومثله استشري ، ومنه الشرة للخوارج ، سموا بذلك للجاجتهم وإمعانهم في الخروج ، لا لأنهم شروا أنفسهم وباعوها في الطاعة كما وهم بعض الناس (٤) الإطراء : البالغة في الثناء
- (٥) الموقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر (٦) أكل راحلته وأوضعها : أتعها

فبالأمس أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خالداً إليك ، وَبَيْنَا لَهُ الْأَمْرَ أَجْمَعاً
 فما جئتنا إِلَّا على وَفَى مَوْعِدٍ على مَلَأَ مِنَّا خَرْجُنا لَهُ مَعاً
 رأينا خلاءَ من عُيُونٍ ومنظراً دَمِيتَ الرُّبى سَهْلَ الحَلَّةِ مُمَرَّعاً^(١)
 وقلن : كَرِيمٌ نالَ وَصَلَ كَرَامٍ فحقَّ لَهُ في اليَوْمِ أَنْ تَمْتَعَا
 وقوله : « وجوه زهاها الحسن أن تنقعا » يقول : هذه الوجوه مُدَلَّةٌ بِجَهاها
 فلا تختمر ، فتستر شيئاً عن الناظرين إليها . وقد أشار إلى هذا المعنى الشماخ بن
 ضِرَارٍ^(٢) يصف ناقته :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعُ مُدَلَّةٍ بُعِيدَ الشَّبابِ حَاولَتْ أَنْ تُعَذِّرَ^(٣)
 من البيض أعطافاً إذا اتَّصَلَتْ دَعَتْ فِرَاسَ بَنِ غَنَمٍ أَوْ لَقِيطَ بَنِ يَمْرُأَ
 بها شَرَقَ من زعفرانٍ وَعَنْبِرٍ أَطَارَتْ مِنَ الحَسَنِ الرِّدَاءَ الحَبْرَا

[مَنْ لَا تَرَى سِتْرَ الوَجْهِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَاحْتِجَاجُهَا لِذَلِكَ]

قال : وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تَسْتُرُ وجهها ، فلما دخلت
 على مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ قالَ لَهَا في ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : إِنْ اللهُ تَعَالَى وَسَمَى بِمِيسَمِ جِمالٍ ،
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ ، وَاللهُ مَا بِي وَصُمةٌ اسْتَتَرْتُهَا .
 وقال علي بن العباس الرومي يصف قينة :

لَمْ يَمْتَصِّمْ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ وَلَا انْضَوَى وَجْهُهَا إِلَى السِّتْرِ
 وقد ردد معنى قوله : « لَمْ يَمْتَصِّمْ عَوْدُهَا بِزَامِرَةٍ » فقال : يصف برعة
 الكبيرة :

غنت فلم تحوج إلى زامِرٍ هَلْ تَحُوجُ الشَّمْسُ إِلَى شَمْعِهِ

(١) دميث : سهل ، والمرع : الخصب

(٢) هو معقل بن ضرار ، المتوفى سنة ٢٢ ، كان أرجز الناس على البداهة ، شهد

القادسية ، وتوفي في غزوة موقان (٢) في نسخة « ذراعا مدلة » (م)

كأنما غنت لشمس الضحى فالبستها حُسْنَهَا خَلَعَهُ
 كأنما رَنَتْ مَسْمُوعَهَا رَقَّةَ شَكْوَى سَبَقَتْ دَمْعَهُ
 تُهْدِي إِلَى قَلْبِكَ مَا يَشْتَهَى كأنها قد أَطْلَعَتْ طَلْعَهُ
 يَجْتَمِعُ الظَّرْفُ لَجَلَّاسِهَا والحسنُ والإحسانُ فِي بُقْعِهِ
 طَفُلٌ عَلَى مَنْ حَصَلَتْ عِنْدَهُ فبعضُ تَطْفِيلِ الْفَتَى رُفْعُهُ (١)
 رِيْعٌ غِيْثٌ فَاتْتَجِعُ رَوْضَهُ فلن يُعَابَ الحَرُّ بِالنَّجْعِهِ (٢)

[سَتْرُ الرَأْسِ لِإِخْفَاءِ الصَّلَمِ]

وكان ابن الرومي لا يزال معتمًا ، وكان يفضض إذا سُئِلَ عن ذلك ، وسأله
 بعضُ الرؤساء: لِمَ تَعْتَمُ ؟ فقال بديها :

يَأْتِيهَا السَّائِلِي لِإِخْبَرَهُ عَنِّي لِمَ لَا أَرَاكَ مُعْتَجِرًا
 أَسْتَرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي تَعْرِيفُهُ السَّائِلِينَ مَا سُتِرَا
 وقد بين العلة التي أوجبت اهتمامه في قوله :

تعممت إحصاناً للرأسي بُرْهَةً من القَرِّ يَوْمًا وَالْحُرُورِ إِذَا سَفَعُ
 فلما دَهَى طَوْلُ التَّعَمُّمِ لِمَتِي وأودى بها بعد الإطالة والْفَرَعِ
 عَزَمْتُ عَلَى لُبْسِ الْعِمَامَةِ حِيلَةً لتستر ما جَرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَمِ
 فيالك من جَانٍ عَلَى جِنَايَةٍ جعلت إليه من جنائته الْفَرْعِ
 وأعجب شيء كان دأى جعلته دَوَائِي عَلَى عَمْدٍ وَأَعْجَبُ بَأَن نَفَعُ
 وهذا كقولهِ ، وإن لم يكن في معناه ، وقد رأيت من ينسبه إلى كشاجم :

طَرُبْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَرَوَّعَتْنِي طَوَالِحُ مُبَيَّتِينَ أَلْمَتَا بِي
 فأما شَيْبَةٌ فَفَزَعَتْ مِنْهَا إِلَى الْمُقْرَاضِ حُبًّا لِلتَّصَابِي

(١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة

(٢) النجعة: الارتمال في سبيل الكلا

وَأَمَّا شَيْبَةٌ فَصَفَحْتُ عَنْهَا لَتَشْهَدَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ خِضَابِي
فَأَعْجِبْ بِالذَّلِيلِ عَلَى مَشْيِي أَقْتُ بِهِ الدَّلِيلَ عَلَى شَبَابِي
وهو القائل في صفة رجل أصلع :
يَجْذِبُ مِنْ نَقْرَتِهِ طُرَّةً إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ مِيلِهِ
فَوْجُهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ أَخَذَ نَهَارَ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ
وقال أعرابي :

قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ صَفَاتِي صَفْصَفًا فَصَارَ رَأْسِي جَبْهَةً إِلَى الْقَفَا^(١)
* كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ رَبْعًا فَعَنَّا *

[من كلام الأعراب]

قال أعرابيٌ لسليمان بن عبد الملك : إني أكلتك يا أمير المؤمنين بكلام
فاتحمله ، فإن وراءه إن قبلته ماتحبه ، قال : ها ترو يا أعرابي ؛ فنحن نجودُ بسعة
الاحتمال على مَنْ لَا تَأْمَنُ غَيْبَتَهُ ، وَلَا تَرْجُو نَصِيحَتَهُ ، وَأَنْتَ لِلْأَمُونِ غِيَا ، النَّاصِحُ
جَيِّبًا^(٢) . قال : فَإِنِّي سَأُطْلِقُ لِسَانِي بِمَا خَرِسْتَ عَنْهُ الْإِسْنُ ، تَأْدِيبَةً لِحَقِّ اللَّهِ
تَعَالَى ؛ إِنَّهُ قَدْ اكْتَشَفَكَ رِجَالُ أَسَاءُوا الْإِخْتِيَارَ لَأَنْفُسِهِمْ ، وَابْتَاعُوا دُنْيَاكَ مَدِينَهُمْ ،
وَرِضَاكَ بَسَخَطِ رَبِّهِمْ ، وَخَافُوكَ فِي اللَّهِ وَلَمْ يَخَافُوا اللَّهَ فِيكَ ، فَهُمْ حَرْبٌ
لِلْآخِرَةِ ، وَسَلَمٌ لِلدُّنْيَا ، فَلَا تَأْمَنُهُمْ عَلَى مَا أْتَمَنَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا
الْأَمَانَةَ تَضِيْعًا ، وَالْأَمَةَ كَسْفًا وَخَسْفًا ، وَأَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا اجْتَرَمُوا ، وَلَيْسُوا
مَسْئُولِينَ عَمَّا اجْتَرَمْتَ ؛ فَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاهُمْ بِفَسَادِ آخِرَتِكَ ؛ فَإِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ
عِنْدَ اللَّهِ غَبْنًا مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ .
فقال سليمان : أَمَا أَنْتَ يَا أَعْرَابِي فَقَدْ سَلَّمْتَ لِسَانَكَ وَهُوَ سَيْفُكَ ، قَالَ :
أَجَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَكَ لَاعَلِيكَ .

(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية عن

وصف للمطر
لاعرابي

وروى العتيبي عن أبيه عن مولى لعمر بن حريث قال : شخصت إلى سليمان
ابن عبد الملك ، فقيل لي : إنك ترد على أفصح العرب ، وسيألك عن المطر ، فانظر
ما تجيبه ، فقلت : ما عندي من الجواب إلا ما عند العامة ، فقيل لي : ما ذلك
بمُقنع عنده ، فلقيني أعرابي فقلت : هل لك في درهمين ؟ فقال : إني والله محتاج
إليهما ، حريصٌ عليهما ، فما شأنك ؟ فقلت : لو سألك سائل عن هذا المطر
بِمَ كنت تجيبه ؟ قال : أو يعنيا بهذا أحد ؟ قلت : نعم ، سألك ! قال : أتعنيا
أن تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها العرى ، وقامت منها
القدر ، وأنتك في مثل وجار الضبع ، فكتبت الكلام ، وأعطيتك درهمين :
فكان هجيراي على الراحلة ^(١) ؛ فإذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسي كأنني
واقف بين يديه ، وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألني عن المطر !

فلما انتهيت إليه سألني فاقصصت الكلام ، فكسر إحدى عينيه ، وقال :
إني لأسمع كلاما ما أنت بأبي عذرتك ^(٢) . قلت : صدقت ! وحياتك يا أمير المؤمنين
اشتريته بدرهمين ! فاستغرب ضحكا ، ثم أحسن صلاتي .

وقال أعرابي يمدح رجلا :

أعرابي
مدح رجلا

حليمٌ مع التقوى ، شجاعٌ مع الجدا
ندحِين لا يندى السحابُ سكوبُ
ويحملُ أمورا لو تصيَّقنَ غيره
لمات خفانا أو لكاد يذوبُ
شديدٌ مناطِ القلبِ في الموقف الذي
به لقلوبِ العالمينَ وجيبُ
فتى هو من غير التخلقِ ما جد
ومن غير تأديبِ الرجالِ أديبُ
وقال بعض المحدثين يمدح :

(١) كان هجيراه على الراحلة : أي لم يزل يكرره وهو سائر

(٢) ليس بأبي عذرتك : ليس صاحبه . والعذرة : البكارة ، وهو أبو عذرة هذا

البكارة : أي أول من اقتضى بكارتها . . يعني أنه مبدعه

فَتَى يَجْعَلُ المعروفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَيَجْعَلُ دُونَ الْعُذْرِ فَضْلَ التَّكْرُّمِ
أَغْرَى مَتَى تَقْصِدُ بِهِ فَضْلَ حَظِهِ تُصِيبُ وَمَتَى تَطْلُبُ بِهِ الْغَنَمَ تَغْنَمَ
عَلَى رَأْيِهِ يَنْضُمُ مُنْصَدِعُ الصَّافَا وَبِنَحْلٍ مِّنْ عَقْدِ الْعُرَى كُلِّ مُبَرَّمِ
لَهُ عَزْمَةٌ أَغْنَى مِنَ الْجَيْشِ فِي الْوَعَى وَخَطَرَةٌ رَامَ كَالْحُسَامِ الْمَصْمَمِ

جملة من كلام أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني^(١) بديع الزمان

وهذا اسمٌ وافق مُسَمَّاهُ ، وَلَفْظٌ طَابَقَ مَعْنَاهُ ، وكلام غَضُّ المَكَاثِرِ ،
أَرْنِيقُ الجَوَاهِرِ ، يَكَادُ الهَوَاءُ يَسْرِقُهُ لُطْفًا ، والهوى يَمُشِّقُهُ ظَرْفًا

ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي^(٢) أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر كيف استوحى
أنه استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار صنع المقامات
والبصائر ، وأهداها للأفكار والضائر ، في معارض أعجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء
أكثرُ ما أظهر تَنَبُّو عن قبوله الطباع ، ولا ترفعُ له حُجُبُهَا الأسماعُ ، وتوسَّعَ فيها ؛
إذ صرَّفَ ألفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها
بأربعائة مقامة في الكُدَيَّة ، تذوب ظَرْفًا ، وتقطر حُسْنًا ، لامناسبة بين
المقامتين لفظًا ولا معنى ، وعطف مُسَاجَلَتَهَا ، ووقفَ مناقلتها ، بين رجلين سَمَّى
أحدهما عيسى بن هشام والآخرَ أبا الفتح الإسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدُّر ،
ويتنافان السَّجَر ، في معانٍ تُضْجِكُ الحزِينَ ، وتحرك الرِّصِينَ ، يتطلع منها
كلَّ طريفة ، ويوقِفُ منها على كلِّ لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ،

(١) هو أشهر كتاب القرن الرابع ، وأبقاهم أثرًا . كانت وفاته سنة ٣٩٨ وسيتحدث
عنه صاحب زهر الآداب في مواطن متفرقة (٢) ابن دريد هو محمد بن الحسن
« لا الحسين كما ورد في الأصل » المتوفى سنة ٣٢١ ، كان فها وصفوه أعلم الشعراء
وأشعر العلماء

وخصَّ أحدهما بالرواية ؛ وسأذكر منها ما لا يُخِلُّ طوله بالشرط المعقود ، ولا ينافي حصوله الغرض المقصود^(١) .

كتب إلى أبي نصر أحمد بن علي الميكالي :

كتابي - أعز الله الأمير! - وبودى أن أكونه ، فأسعد به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاه . فرّق الله بين الأيام ، تفرقها بين الكرام ، وألهمها أن تورّد بعقل ، وتصدر بتمييز ، وما ذلك على الله بعزيز ، وأنا في مفاتيح الأمير ، بين ثقة تعد ، ويد ترّعد ، ولم لا يكون ذلك ؟ والبخر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد عاين أكثره ، والليث وإن لم ألقه ، فلم أجهل خلقه ، وما وراء ذلك من تاليد أضلّ وحسب ، وطارف فضّل وأدب ، وبُعد همة وصيت ، فمعلوم تشهد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تصدق به الآثار ، والعين أقلّ الحواس إدراكا ، والأذن أكثرها استمساكا ، وإن بعدت الدار فلا ضير ؛ إن أيسر البعدين بُعد الدارين ، وخير القرين قرب القلبين .

وكتب إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة :

الأمير الفاضل ، والشيخ الرئيس ، رفيع مناطر الهمة ، بعيد منال الحرمة ، وفسيح مجال الفضل ، رحيب منخرق الجود ، رطيب مكسر العود

كتاب
من البديع
لأبي نصر
الميكالي

ومن البديع
إلى الميكالي أيضا

(١) مؤدى هذا الكلام أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وأنه حاكى ابن دريد في أحاديثه ؛ وقد استغلت هذا النص في كتابي الذي وضعته بالفرنسية عن النثر في القرن الرابع . وقد دهش الميسومارسيه لهذه الفكرة ، وعجب كيف اتفق الناس إلى اليوم على أن البديع هو منشىء فن المقامات ، ولكني من جانب آخر أذكر أني لم أزم مثل هذا الكلام في غير زهر الآداب ، ولا أزال أتمسك له مصدراً آخر ، وم أعر على شيء إلى اليوم ، ويزيد في الدهشة أن صاحب زهر الآداب يروي المسألة على أنها مقبولة معروفة لم تمس بنقض ولا تكذيب ، وقد نقلها عنه ياقوب في معجم الأدباء

فلو نظمت الثريا والشعرَيْن قريضا
وكاهل الأرض ضربا وشعب رضوى عروضا
وضعتُ للادر ضدا وللهواء نقيضا
بل لو جَلَوْتُ عليه سُودَ النوايب ييضا
أو ادَّعيت الثريا لأخصيه حضيضا
والبحر عند لهاه يوم العطاء مغيضا

لما كنت إلا في ذمة القصور ، وجانب التقصير ، فكيف وأنا قاعدُ الحالة في المدح ، قاصِرُ الآلة عن الشرح ؟ ولستكني أقول : الثناء مُنْجِحٌ أُنَى سلك ، والسخرى جوده بما ملك ، وإن لم تكن غُرَّةً لائحة فَلَمَحَةٌ دالة ، وإن لم يكن صَدَاءُ ماء^(١) ، وإن لم يكن خمر فخل ، وإن لم يُصَبَّها وابل فَطَلَّ ، وبذلُ الموجود غاية الجود ، وبعض الجهد آخر المجهود ، وماش خير من لاش^(٢) ، ووجودها قلَّ خيرٌ من عدم ما جَلَّ . وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب ، وجهد المقل خيرٌ من عذر الخُل ، وحمار أيس خيرٌ من فرسٍ لَيْسَ^(٣) ، وكوخ في العيان خيرٌ من قصر في الوهم . وزيت^(٤) خير من ليت ، وما كان أجود من لو كان ، وقد قيل : عصفور في الكف أجودٌ من كركي في الجو ، ولأن^(٥) تقطف خيرٌ من أن تقف ، ومن لم يجد الجيم رعى الهشيم^(٦) ، ومن لم يحسن صهيلاً نهق ، ومن لم يجد ماء تيممَ ؛ والأمير الرئيس - أدام الله نعماءه ! - لا ينظر في قوافي صنيعته إلى رَكَاكَةِ ألفاظها ، وبُعْدِ أغراضها ، ولكن إلى كثرة جذرها^(٧) ، وثقل مهرها ، وقِلَّة

(١) صداء : ماء يضرب به المثل في الحلاوة ، ويقال : ماء ولا كصداء

(٢) لاش : لاشيء ، ويقال له ماش ، وهي عبارة مولدة

(٣) الأيس : القهر ، يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المعدوم

(٤) زيت : هي هكذا بالزاي في الأصول عامة ، وأنا أخسبه «زيت» بالذال ، وهي

من الألفاظ التي يكتنى بها فيقال «كيت وزيت» (م) . (٥) تقطف : تسير ببطء (م) .

(٦) الجيم : النبت الغزير ، والهشيم : اليابس (٧) الجذر : ما تكافأ به المغنية

كفّتها ، وإنّى منذ فارقت قَصَبَةَ جرجان ، ووطئت عَتَبَةَ خراسان ، ما زفقتها
إلا إليه ، ولا وقّفتها إلا عليه ، هذا على تمرغى فى أعطاف الحن ، وضرورتى
إلى أبناء الزمن ، وإن كان الأمير الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ، ويُفسيح
لكل شعر فناء طبعه ، فهناك من النثر ما ترى ، ومن النظم ما يترى :

أدّهِقِ الكاسَ فَعَرَفُ السَّفَجَرِ قَدْ كَادَ يَلُوحُ
فهو للناس صباحٌ ولذى الرأى صَبُوحُ
والذى يمرح بى فى حَلْبَةِ اللّهُو جَمُوحُ
فاسقنيها والأمانى لها عَرَفٌ يَفُوحُ
إنّ للأيام أسرا رأبها سوف تَبُوحُ
لا يغرّنكَ جسمٌ صادقُ الحس وروح
إنما نحن إلى الآ جال نَعْدُو ونروح
وثيك هذا العمر تَهْرِيجُ وهذا الروح ريجُ
بينما أنتَ صحيح الجسم إذ أنتَ طَرِيجُ
فاسقنيها مثل ما يلفظه الديك الذبيح
قبل أن يضرب فى الدَّهْرِ بِنِ القِدْحِ السَّيِّحِ^(١)
إنما الدَّهْرُ غَرُورٌ ولمن أَضَعَى نصيحُ
ولسان الدَّهْرِ بِالْوَعْظِ لَوَاعِيهِ فَصِيحُ
نستبيح الدَّهْرَ والأَيَّامَ منا تَسْتَبِيحُ
نحن لاهون وآجاء لُ المنايا لا تريح
يا غلامُ الكأسِ فالياً سُ من الناس مُرِيحُ
ضاع ما نحّميه من أنفسنا وَهُوَ مَبِيحُ

(١) هكذا ، وهو فى الرسائل « السفيح » بالغاء ، وهو صواب ملائم المعنى
المراد ، والسفيح : أحد ثلاثة أقداح من أقداح اليسر ليست تريح شيئاً ، وثانيها
يسمى الوغد ، وثالثها يسمى المنيح (م) .

وقنوعا فقام الذل بالمرء قبيح
 أنا يا دهر بأبنا نك شق وسطيح^(١)
 وبأبكار القوافي ٧ على كفء شجيج
 يا بني ميكال والجو د لعلاني زريح
 شرفا إن مجال الفضل فيكم نفسيح
 وعلى قدر سنا الممدوح يأتيتك المديح
 فهناك الشرف الأرفع والطرف الظموح
 والندي والخلق الطاهر والخلق^(١) الصبيح
 مرتقى مجد يحار الطرف فيه ويطيح
 أيهذا الكرم المائل والخلق السجيج^(٢)
 كان هذا الجود ميتا عاده منك المسيح

هذه - أطال الله بقاء الأمير! - هدية الوقت، وغفوة الساعة، وفيض البديهة،
 ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للفم، وجمرات الحدة، وثمرات المدّة، ومجاراة الخاطر
 للناظر، ومباراة الطنوع للسمع، ومجاذبة الجنان للبيان، والشعر إذا لم تقدمه روية،
 ولم تنضجه نية، لم يفتح له السمع بابه، ولم يرفع له القلب حجابيه، وإذا لبس الأمير
 هذه على علاتها رجوت أن يكون بعدها ما هو أفقن وأحسن وأرصن، فراه أيداه
 الله في الوقوف عليها موقفا إن شاء الله .

وله إليه معاتبه :

كئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرّني أني خطرتُ ببالك
 من البديع إن الميكالي
 الأمير الفاضل الشيخ الرئيس، أطال الله بقاءه إلى آخر الدعاء، في حال برّه
 وجفائه مُتَفَضِّل، وفي يومئذٍ إاداه وإذ نائه مُتَطَوَّل. وهنيئاله من حمانا ما يُحِلُّه،

(١) شق وسطيح : كاهنان من كهان الجاهلية كانوا يضربون بهما المثل في معرفة
 الغيب (٢) الخلق السجيج : السهل .

ومن عُرَانَا مَا يَحُلُّهُ ، ومن أَعْرَاضِنَا مَا يَسْتَحِلُّهُ ؛ بلغنى أَنَّهُ — أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ! — استزاد صَنِيعَتَهُ ، وكنت أَظُنُّني مَجْنِيًّا عَلَيْهِ ، مُسَاءً إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَانِي قِرَارَةُ الذَّنْبِ ، وبِمَثَابَةِ الْعُتْبِ ، ولِيتَ شَعْرَى أَىِّ مُحْضُورٍ فِي الْعَشْرَةِ حَضَرْتَهُ ، أوْ مَفْرُوضٍ مِنَ الْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ ، أوْ وَاجِبٍ فِي الزِّيَارَةِ أَهْمَلْتُهُ ؟ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ بَلَدٌ شَاسِعٌ ، وَأَدَّاهُ أَمَلٌ وَاسِعٌ ، وَحَدَّاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ ، وَهَدَّاهُ رَأْيٌ وَإِنْ ضَلَّ ، ثُمَّ لَمْ يُبَلِّغْ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ حَبْلَهُ ، وَلَمْ يَنْظِمْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ ، وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ شُكْرَهُ ؛ ثُمَّ مَا بَعُدْتُ صَحْبَةً إِلَّا دَنْتُ مَهَانَةً ، وَلَا زَادَتْ حُرْمَةً إِلَّا نَقَصَتْ صَيَانَةً ، وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنَّةٌ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنَزَلَةٌ ، وَلَمْ تَزَلِ الضَّعْفَةُ بِنَاحَتِي صَارَ وَابِلُ الْإِعْظَامِ قَطْرَةً ، وَعَادَ قَيْصُ الْقِيَامِ صُدْرَةً ، وَذَلِكَ التَّقَرُّبُ أَزْوَرَارًا ، وَطَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا ، وَالْاهْتِرَازُ إِيْمَاءً ، وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً ؛ وَحِينَ عَاتَبْتَهُ أَمَلُ إِعْتَابِهِ ، وَكَاتَبْتَهُ أَنْتَظِرُ جَوَابِهِ ، وَسَأَلْتَهُ أَرْجُو إِيْجَابَهُ ، أَجَابَ بِالسَّكُوتِ ، وَأَعْتَبَ بِالْقُنُوتِ ، فَمَا زِدْتُ إِلَّا لَهُ وَلَاءً ، وَعَلَيْهِ ثَنَاءٌ ؛ لَا جَرَمَ إِنِّي الْيَوْمَ أَيْبُضُ وَجْهِ الْعَهْدِ ، وَاضِحٌ مُحَجَّجَةُ الْوُدِّ ، طَوِيلُ عِنَانِ الْقَوْلِ ، رَفِيعُ حِكْمَةِ الْعُذْرِ ؛ وَقَدْ حَمَلْتُ فَلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ مَا تَجَافَى عَنْهُ الْقَلَمُ ؛ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ يُنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لِمَا يُوْرِدُهُ مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وله إليه في هذا الباب :

أَنَا فِي خِدْمَةِ الْأَمِيرِ الرَّئِيسِ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ! — مَتَرَجِّعٌ بَيْنَ أَنْ أَشْرَبَهَا رَقَّةً كتاب عتاب
وَلَا أُسَيِّفَهَا ، وَأَجْلُجُ مِنْهَا مُضْغَةً وَلَا أُجِيزُهَا ، وَبَيْنَ أَنْ أَطْوِيَهَا عَلَى عَرِّهَا ، وَلَا من البديع إلى
الْمِيكَالِ أَيْضًا أَرْتَضِعُ أَخْلَافَ دَرِّهَا . الميكال أيضا

فَلَا نَفْسِي تُطَاوَعُنِي لِرَفْضٍ وَلَا هِمَمِي تُوَطِّنُنِي لِنَقْضٍ
وَبَقِيَ أَنْ أَفْرُصَهُ بِأَنَامِلِ الْعُتْبِ ، وَأَخْشَمَهُ بِأَلْحَاطِ الْقَذْلِ ، وَأَعْرِفَهُ أَنِي مَا
أَطْوَى مَسَافَةَ مَزَارٍ إِلَّا مُتَجَشِّمًا ، وَلَا أَطَاعَتَبَةَ دَارٍ إِلَّا مُتَبَرِّمًا ؛ وَلَسْتُ كَمَنْ يَنْسُطُ
يَدَهُ مُسْتَجِدِّيًا ، أَوْ يَنْقُلُ قَدَمَهُ مَسْتَعْدِيًا ؛ فَإِنْ كَانَ الْأَمِيرُ الرَّئِيسُ — أَيْدَهُ اللَّهُ! —
يَسْرَحُ طَرْفَهُ مِنِّي فِي طَامَحٍ أَوْ طَامِمْ ، فَلْيُعِدْ لِلْفِرَاقَةِ نَظْرًا .

فما الفقرُ من أرضِ العشرةِ سَاقِييَ إليك ، ولكنا بِقُرْبَاكَ ننجحُ
وأجِدُنِي كما استفرزني الشوقُ إلى تلكِ المحاسنِ ، أَطِيرُ إليها بِجناحينِ عَجَلَا ،
وأرجعُ بَعْرَ جَاوَيْنِ خَجَلَا ، ولولا أَنَّ الرضا بِذلكِ ضربٌ من سقوطِ الهمةِ ، وأنَّ
العتابَ نوعٌ من أنواعِ الخدمةِ ، لَصُنْتُ مجلسه عن قَلَمِي ، كما أَصُونُه عن قَدَمِي ،
وَمِلْتُ إلى أرضِ الدعاءِ فهو أنجعُ ، وإلى جانبِ الثناءِ فهو أوسعُ ، وسأفعلُ
لتخفَّ مؤنتي ، ولا تثقلَ وطأتِي

إذا ما عَتَبْتُ فلم تُعْتَبِ وَهَنْتُ عَلَيْكَ فلم تُعْنِ بِي ^(١)
سَلَوْتُ ، ولو كان ماءُ الحياةِ لَعَفْتُ الْوَرُودَ ولم أَشْرَبِ

قطعة من مفردات الأبيات لأهل المصر في معان شتى

تجرى مجرى الأمثال

أبو فراس الحمداني :
إذا كان غيرُ اللهِ للمرءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايا من وُجوهِ الْمَكَايِبِ
وله :

عَفَاكَ عِيٌّ ، إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ عَنْ لَذَاتِهِ وَهُوَ قَادِرٌ ^(٢)
وقال المتنبي :

كُلُّ حِلْمٍ أَنِّي بغيرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لِأَجِيءُ إِلَيْهَا اللَّثَامُ
وله :

وإذا كانتِ النَّفُوسُ كِبَاراً تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

(١) أعتبه : أزال عتبه (٢) كذا ، وأحسبه « عفاك عجز » (م)

وله :

وإذا أتتك مَدَمَتِي من ناقصٍ فهي الشَّهادةُ لي بآني كاملُ

وله :

لا يُعْجِبُنِي مَضِيماً حُسْنُ بَرَّتِهِ وهل تَرُوقُ دُفِينَا جَوْدَةُ الْكَفَنِ ؟

وله :

من أطاق التماسَ شئٍ غِلاباً واغتصاباً لم يَلْتَمِسْهُ سِوَالاً

وله :

والظُّلُمُ مِنْ شِيمِ النفوسِ ، فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلَمُ

وله :

ماذا لقيتُ من الدنيا وأعجبه أني بما أنا بآكِ مِنْهُ مَحْسُودُ

وله :

ذَكَرُ الْفَتَى عُمرَهُ الثَّانِي ، وَحَاجَتَهُ مَا قَاتَهُ ، وَفُضُولَ الْعَيْشِ أَشْغَالَ
وَالْمُنْبِي أَكْثَرَ الْحَدِيثِ بَيْنَ افْتِنَانَا وَإِحْسَانَا فِي الْإِغْرَابِ بِهَذَا الْبَابِ ؛ وَالِاسْتِقْصَاءُ
يُخْرِجُ عَنْ شَرْطِ الْكِتَابِ .

وقال السري الموصلي :

للسري الرفاء

خُذُوا مِنَ الْعَيْشِ فَلْأَعْمَارِ فَائِتَةً وَالْدهرُ مُنْصَرِّمٌ وَالْعَيْشُ مُنْقَرِضٌ

وله :

فَإِنَّكَ كُلَّمَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا أَنْتُمْ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرِّيَاضِ

وقال أبو إسحاق الصابي :

للصابي

الضَّبُّ وَالْتُونُ قَدْ يُرْجَى التَّقَاؤُهُمَا وَلَيْسَ يُرْجَى التَّقَاءُ اللَّبِّ وَالذَّهَبِ^(١)

لابن نباتة

وقال ابن نباتة :

مَثَلٌ خَلَعْتُ عَلَى الزَّمَانِ زِدَاءَهُ عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

(١) الضب : من حيوان الصحراء ، والنون : الحوت ، من حيوان الماء .
واللب : العقل (م) .

وله :

يَهْـوَى الثَّناءَ مَبْرُورٌ وَمُقَصَّرٌ حَسْبُ الثَّناءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

للسلامي

وقال أبو الحسن السَّلامِي :

تَبَسَّطْـنَا عَلَى اللَّذَّاتِ لَمَّا دَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذَّنُوبِ

لابن لنكك

وقال ابن لنكك البصري :

وَمَاذَا أُرْجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامٍ نَأَمَ

للمأموني

وقال أبو طالب المأموني :

لِي فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ سِرٌّ كَمِنْ لَا بَدْءَ أَوْ نَسْتَلُهُ الْإِلَهَ—دَارَ

لبن العميد

وقال أبو الفضل بن العميد :

الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْخُصَامِ لِعَارِضٍ يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّنْكِيدُ

لأبي الفتح

وقال أبو الفتح :

يَطِرْ تَمْ فَطِرْ تَمْ وَالْهَاصَازَ جُرْ مِنْ عَصَى وَتَقْوِيمَ عَيْدِ الْهُونِ بِالْهُونِ رَادِعَ

وله .

إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَمَالَهُ فَلَيْسَ لَهُ بَعْدُهَا مُقْتَرَحٌ

لابن عباد

وقال صاحب إسماعيل بن عباد :

إِنْ أُمَّ الصَّقَرِ فِي الْوَدِّ دِ لَمِ قِلَاةٍ تَزُورُ

وله :

مَنْ لَمْ يَعُدَّنَا إِذَا مَرَضْنَا إِنْ مَاتَ لَمْ نَشْهَدْ الْجَنَاهُ

وله :

حِفْظُ اللِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ فَاحْفَظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِاحْسَانِ

للناشي

وقال إسماعيل الناشي :

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ فَخَانَتْ ثِقَاتُ النَّاسِ حَتَّى التَّحَارِبِ

وقال أبو الفتح البستي :

لا تَرْجُ شَيْئًا خَالصًا نَفْعُهُ فالغَيْثُ لا يَخْلُو من الغَيْثِ^(١)

وله :

ولم أر مثل الشكر جَنَّةَ غَارِسٍ ولا مثل حُسْنِ الصبر جَبَّةَ لَابِسٍ

وله :

وطول مُقَامِ الماءِ في مُسْتَقَرِّهِ يُفَـيـرُهُ رِيحًا وَلَوْنًا وَمَطْعَمًا

وله :

ما استقامت قَنَاءُ رَأْيِي إِلَّا بعد ما عَوَّجَ المَشِيبُ قَنَاتِي

وقال أبو الفضل الميكالي :

للميكالي

هو الشوك لا يُعْطِيكَ وافرَ منَّةٍ يدَ الدهرِ إِلَّا حينَ تَضُرُّ به جَلْدًا

وله :

ذو الفضل لا يَسْلَمُ من قَدَحٍ وإنْ غَدَا أَقْوَمُ من قِدَحٍ

وقال شمس المعالي :

الشمس المعالي

وفي السماءِ نَجْمٌ مَالِهَا عَدَدٌ وليس يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ والقَمَرُ

هذا مأخوذ من قول البطائي :

إن الرياحَ إذا ما استعصفت قَصَفَتْ عيدانَ نَجْدٍ فلمْ يعبَأَنَّ بالرَّثَمِ

بناتُ نَعَشٍ ونَعَشٌ لا كُوفَ لَهَا والشمسُ والبَدْرُ منها الدهرُ في الرِّقَمِ

وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضی :

للجرجاني

الهجر أَرْوَحُ من وَضَلٍ على حَذَرٍ والموتُ أَطْيَبُ من عَيْشٍ على غَرَرٍ

وقال أبو بكر الخوارزمي :

للخوارزمي

لا تَغْرَنَكَ هذه الأوجهُ الفُـرُّ فَيَا رَبَّ حَيَّةٍ في رِياضِ

(١) الغيث — بالعين المهملة — الإفساد (م) (٢) الرثم : نبت ضعيف

[من تَبَطَّره النعمة لم يؤسف على زوالها عنه]

قال أبو العيْناء : كان عيسى بن فرخان شاه يَتِيه على في ولايته الوِزارَة ، بين أبي العيْناء
فلما صُرِف رَهْبَتِي ، فلقيني فسَلَّم على فأخَفِي . فقلت لغلامي : مَنْ هذا ؟ قال : وابن فرخان
أبو موسى ؛ فدنوتُ منه وقلت : أعزَّكَ اللهُ ، والله لقد كنتُ أقنَعُ بِإيمانِكَ دون
بَيَانِكَ ، و بَلَحْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ ، فالحدُّ اللهُ على ما آتَى إليه حالُكَ ، فلئن كانت
أَخْطَأْتُ فِيك النِّعْمَة ، فلقد أَصَابَتْ فِيك النِّقْمَة ، ولئن كانت الدنيا أَبَدَتْ مَقَابِحَهَا
بِالإِقْبَالِ عَلَيْكَ ، لقد أَظْهَرَتْ مَحَاسِنَهَا بِالانْصِرَافِ عَنْكَ ، والله المِنَّة إِذْ أَغْنَانَا عَنْ
الكَذِبِ عَلَيْكَ ، وَنَزَهَنَا عَنْ قَوْل الزُّورِ فِيك ، فقد والله أَسَاتَ حَمَلَ النِّعَمِ ،
وما شَكَرْتَ حَقَّ المُنْعِمِ ، فقيل له : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ؛ لقد بالغت في السَّبِّ ،
فما كان الذَّنْب ؟ قال : سألته حاجةً أَقلَّ من قيمته ، فردَّ عنها بِأَقْبَحَ من خِلْقَتِهِ .

يقول ابن الرومي
وقال علي بن العباس الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق وأبي الصقر
ابن أحمد وألم في بعض قوله بقول أبي العيْناء :

لا زال يومك عِبرَةً لعدك	وبكت بشجوى عين ذى حسدك
فلئن نكبت لطلما نكبت	بك همة لجأت إلى سندك
لو تسجد الأمام ما سجدت	إلا ليوم فت في عضدك
يا نعمة ولت غضارتها	ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت برداً على كبدى	لما غدت حرّاً على كبدك
ورأيت نعمة الله زائدة	لما استبان النقص في عدك
واقف تمننت كل صاعقة	لو أنها ضبت على كعدك ^(١)
لم يبق لي مما برى جسدى	إلا بقاء الروح في جسدك

(١) الكند : مجتمع الكتفين

وله فيه أهج كثيرة لما نك ، منها قوله :

خَفَضَ أبا الصَّقَرِ فكم طائرٌ خَرَّ صَرِيحاً بَعْدَ تَحْلِيْقِ
رُؤِجَتَ نَعْمَى لَمْ تَكُنْ كُفَاهَا فَصَانَهَا اللهُ بِتَطْلِيْقِ
لَا قُدْسَتْ نَعْمَى تَسَرَّ بِلَتْمَا كَمْ حِجَّةٍ فِيهَا لِزِنْدِيْقِ^(١)

وكان أبو الصقر لما ولي الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها :

أَجْنِيْنِكَ الْوَرْدُ أَغْصَانٌ وَكُثْبَانٌ فِيْهِنَّ نَوْعَانُ تَفَاحٌ وَرِمَانٌ
وَفَوْقَ ذِيْنِكَ أَعْنَابٌ مُّهِدَّةٌ سَوْدٌ لَهْنٌ مِّنَ الظَّمَاءِ أُلْوَانٌ
وَتَحْتَ هَاتِيْكَ عَنَابٌ تَلُوْحٌ بِوِ غُصُونُ بَاتٍ عَلَيْهَا الزَّهْرُ فَكَاهَةٌ
وَنَرْجِسٌ بَاتَ سَارَى الْطَلِّ يَضْرِبُهُ وَأَقْعْوَانٌ مُّنِيرُ اللَّوْنِ رِيَّانٌ
أَلْفَنٌ مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٌ حَسَنٌ فَهِنَّ فَكَاهَةٌ شَتَّى وَرِيْحَانٌ
ثَمَارٌ صِدْقٍ إِذَا عَايَنْتَ ظَاهِرَهَا لَكِنَّهَا حِيْنَ تَبَلَّوْا الطَّعْمَ خُطْبَانٌ^(٢)
وَلَا يَدُمْنَ عَلَى عَهْدٍ لِّمُعْتَدٍ وَالْغَانِيَاتُ كَمَا شُبُهْنَ بَسْتَانَ
يَمِيْلُ طَوْرًا بِجَمَلٍ ثُمَّ يَعْدُمُهُ وَيَكْتَسِي ثُمَّ يُلْقَى وَهُوَ عُرْيَانٌ
وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ مَائَتِيْ بَيْتٍ ، مَرَّرَ لَهَا فِيْهَا إِحْسَانٌ كَثِيْرٌ ، فَأَنْشَدَهَا أَبُو الصَّقَرِ ،

فلما سمع قوله :

قَالُوا أَبُو الصَّقَرِ مِنْ شَيْبَانَ قُلْتَ لَهُمْ كَلَّا لِعُمْرِى وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانٌ
قَالَ : هَمَّانِي ، قِيلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَدْحِ ؛ أَلَا تَسْمَعُ مَا بَعْدَهُ :
وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنٍ ذُرَى شَرَفٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ عَدْنَانُ

(١) يريد أن النعم التي تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، مما تقوى به حجة الزنادقة في جحود الإله ؛ لأنه لو كان هناك عدالة إلهية لحيل بين اللثام وجميع الطيبات (٢) الخطبان : نبات مر ، يضرب به المثل ، فيقال : أمر من تقيع الخطبان ، وهو بضم الخاء المعجمة

مدحة
لابن الرومي
في أبي الصقر

قال : أنا بشيبان لا شيبان بى . ففيل له فقد قال :

ولم أقصر بشيبان التى باعت بها المبالغ أعراق^١ وأغصان
لله شيبان قوم لا يشوبهم روع إذا الروع شابت منه ولدان^٢
فقال : لا والله لا أثيبه على هذا الشعر ، وقد هجانى .

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : كنت يوما عند عبيد الله بن عبد الله
ابن طاهر ، وقد ذكروا قصيدة ابن الرومى هذه التونية ، فقال : هذه دار البطيخ ،
فاقرأوا تشبيهاها تعلموا ذلك ! فضحك جميع من حضر .

وفى هذه القصيدة يقول من المختار فى النسيب :

ياربَّ حُسَّانةٍ منهن قد فعلت سُوءاً ، وقد يفعلُ الأسوءاءُ إحساناً
تشكى الحبَّ وتلفى الدَّهرَ شاكِيةً كالقَوْسِ تُصمى الرِّمايا وهى مِرْنان^(١)
وهذا كقوله فى قصيدة يَصِفُ فيها قوس البندق :
لها رنةٌ أوَّلَى بها من تصيبه وأجدرُ بالإعوال مَنْ كان مُوجِعاً
يقول فيها :

لا تَلَحَّيانى وإياها على صَرَعى وزهوها ، ليجَّ مَفْتُونٌ وفَتَّانُ
إنى ملكت فبى الرِّقِّ مَسْكَنَةً ومُدَّكت فلها بالملك طُفْيَانُ
لى مُدَنَّاَتُ وجنةٌ رِياً بمشرَبها من عَبرتى وفمَّ ما عشتُ ظمَّانُ
وفىها فى مدح بنى شيبان :

قومٌ سَمَحَتهم غَيْثٌ ، وتجدَّتْهم غَوْثٌ ، وآراؤهم فى الخطبِ شُهْبَانُ
تَلَقَّاهُمُ ورِمَاحُ الخطِّ حولهم كالأسد ألبسها الآجامَ خَفَّانُ^(٢)
صانوا النفوس عن الفَحْشاءِ وابتدلوا منهنَّ فى سُبُلِ العلياء ما صَانُوا

(١) تشكى الحب : محمله بظلمها على الشكاية ، والرمايا : جمع رمية بمعنى مرمية ،
وتسمى : تقتل وتبيد (٢) خفان - بفتح الحاء المعجمة - أجمة فى سواد الكوفة

المنعون وما منوا على أحد يقول فيها في أبي الصقر :

يَفْدِيهِ مَنْ فِيهِ عَنْ مِقْدَارِ فِدْيَتِهِ
قَوْمٌ كَانَهُمْ مَوْتَى إِذَا مُدِحُوا
صَاحِي الطَّبَاعِ إِذَا سَابَّ هَوَاجِسُهُ
يُصْجِيهِ ذَهْنٌ وَيَأْبَى صَخْوَهُ كَرَمٌ
فَرَدَّ جَمِيعَ يَرَاهُ كُلُّ ذِي بَصَرٍ
وهذا كقول أبي الطيب :

وَلَقَيْتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وقد تقدم .

وقال :

فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مَكْرَمٍ انْقَضَى
مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ
وقال البحتري :

وَلَمْ أَرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوُتًا
لَدَى الْمَجْدِ، حَتَّى عُدَّ أَلْفُ بَوَاحِدٍ

ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجحت ، فمن ذلك قوله في قصيدة طويلة

لابن الرومي
في أبي الصقر
أيضاً
يمدحه :

فِي وَجْهِهِ رَوْضَةٌ لِلْحَسَنِ مَوْثِقَةٌ
طَلُّ الْحِيَاءِ عَلَيْهَا سَاقِطٌ أَبَدًا
ماراد في مثلها طَرْفٌ وَلَا سَرَحًا^(١)
كَالْلَوْلُو الرِّطْبِ لَوْ رَقَرْنَ قَتَهُ سَفَحًا

(١) مان : كذب ، والاسم المين ، بالفتح (٢) راد وارتاد معناهما واحد

أنا الزعيم لمكحول بغرته
 مهملأتى الناس من طول ومن كرم
 يُعطي المزاح ويعطي الجد حقهما
 وافي عطارد والمريح مولده
 إن قال : لا ، قالها للامريه بها
 في كفه قلم ناهيك من قلم
 يمحو ويثبت أرزاق العباد به
 كأنما القلم الملو في يده
 لما تبسم عنك المجد قلت له
 أننى عليك بنعماء التي عظمت
 أمطر بذلك جناني تكسه زهراً
 أنشدتها على متوالى الاختيار ، وكذلك أجرى في كثير من الأشعار .

وله إليه أيضاً

وقال يعاتبه ويستبطئه :

عقيد الندى ، أطلق مدائح جمه
 وكنت متى تنشد مديحا ظلمته
 عذرتك لو كانت سما تقشعت
 ولكنها سقيا حرمت رويها
 وأكلأ معروف حرمت مريمها
 عرضت لأورادى وبحرك زاهر
 فلو لم ترد أذواد غيري غماره
 حبايس حسرى قدأبت أن تسرحا
 يرى لك أهجى ما يرى لك أمدحا
 سحائبها أو كان روض تصوحا
 وعارضا ملق كلال كل جنحا^(٢)
 وقد عاد منها السهل والحزن مسرحا
 فلما أردن الورد ألفين ضحضحا
 لقلت : سراب بالميتان توضح^(٤)

(١) وحى : كتب ، قال رؤبة « لقدركان وحاه الواحى » (٢) النفل والقلح : فساد الأسنان (٣) السلال كل : الصدور ، وجنح : جمع جانح ، وهو المائل (٤) الأذواد : جمع ذود ، وهو من الإبل من الثلاثة إلى العشرة ، وفي المثل « الذود إلى الذود إبل » ووقع في نسخة « أوراد » وفي أخرى « أزواد » وكلاهما تحريف (م)

ممالك مائة أحد فيه مَشْرَبًا وإن كان غیری واجداً فيه مَسْبَحًا
 مَدِينِي عَصَا مُوسَى ، وذلك أني صرَبْتُ به بِحَرَ النَّدى فَتَضَحَضَحَا
 سَأْمُدَحْ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ لَعَنَهُ إِذَا اطَّرَدَ الْمِقْيَاسُ أَنْ يَتَسَمَّجَا
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي إِنْ صَرَبْتُ بِهِ الصَّفَا أُيْبَعْتُ لِي مِنْهُ حِدَاوِلُ شَيْجَا
 كَتَلْتُكَ الَّتِي أَبَدَتْ نَمْرِي الْأَرْضَ بِإِسَاءٍ وَشَقَّتْ عِيُونًا فِي الْحِجَارَةِ سَفْحَا
 مَلَكْتُ فَاسْجِجْ يَا أَبَا الصَّقَرِ إِنَّهُ إِذَا مَلَكَ الْأَحْرَارَ مِثْلُكَ اسْجِجَا
 وماضِعْ إِلَى أَحَدِ هَذِهِ الصَّرَاعَةِ ، وَلَا فِي طَوْقِهِ هَذَا الْإِحْتِمَالُ ؛ وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ
 الْأَخِيرَةُ إِمَّا وَلَدَ أَكْثَرُهَا مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ الطَّائِي لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ :
 فَلَوْ حَارَدْتُ شَوْلًا عَذَرْتُ لِقَاحَهَا وَلَكِنْ حَرَمْتُ الدَّرَّ وَالصَّرْعَ حَافِلُ
 أَكْبَرَنَا عَطْفًا عَلَيْنَا ؛ فَإِنَّا مَا ظَلَمْنَا رِزْحًا وَأَتَمْنَا مَنَاهِلَ
 وفيه بقول :

هَذَا مَقَامِي يَا كَتِي وَائِلِي مِنْ مُسْتَجِيرِكُمْ عَائِدِ
 أَشَبَّ فِيهِ الدَّهْرُ أَظْفَارَهُ وَعَضَّه بِالنَّابِ وَالنَّاجِدِ
 فَأَنْصِفْهُ مِنْهُ أَخَا خُرْمَةٍ لِأَذِّبْكُمْ مِنْهُ مَعَ اللَّائِدِ
 فَمَا أَرَدَ الدَّهْرُ عَلَى حَوْرِهِ يَخْرُجَ مِنْ حَكْمِكُمُ النَّافِدِ
 وقال أيضاً

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي هَمَّتْ أَنْصَارُ أَمْوَالِهِ وَلَمْ يَهِنْ فَأَصْبَحَتْ فِي يَدِ الضَّعِيفِ وَدَى الْقَفْوَةِ وَالْبَاقِلِي^(١) وَاللَّسِينِ
 غَيْرِي - عَلَى أَنْتَى مُؤْمَلِكِ الْإِقْدَمِ - سَائِلُ بِذَاكَ وَاسْتَحِنِ
 مَادِحَ عَشْرِينَ حِجَّةً كَمَلًّا مُحْرَمَهَا عَنْكَ غَيْرِ مُضْطَعِنِ
 فَضْلِكَ أَوْ عَدْلِكَ الَّذِي اتَّعَمَّنَ إِلَهُ عَلَيْهِ أَجَلَ مُؤْتَمِنِ
 إِنْ كُنْتُ فِي الشَّعْرِ نَاقِدًا فَطُنَا فَلْتَعْطِنِي حَقَّ حَصَّةِ الْهَطْنِ
 وَإِنْ أَكُنْ فِيهِ سَاقِطًا زَمْنَا فَلْتَعْطِنِي حَقَّ حَصَّةِ الزَّيْمَنِ

(١) الباقلي : المنسوب إلى باقل ، وهو مضرب المثل في العي (م)

سم بى ديوانك الذى عدلت جدواه بين الصحيح والضمن^(١)
 كثر بشخصى من استطعت من الناس فإن لم أزنك لم أشن
 ما حق من لأن صدره لك بالود لقاء بجانب خشن
 وقال أبو العباس الرومى لرجل مدحه فى كلمة :

أبعدَ لِقائى دونك كلَّ قفرٍ يَلِدُ الشخصُ فيه أن يُلاقَ لابن الرومى
 وإِعمالى إِيلىك به المطايا وقد ضَرَبَ الظلامُ له رِواقا
 ورَفَضِى النُومَ إلا أن ترائى أعانق واسط الكُورِ اعتناقاً
 تسوق بنا الحداة فليس تَدْرِى أسوقاً كان ذلك أم سيقا
 أصادف دِرَّةَ المعروف شُكْرِى لَدَيْكَ ولا أذوق لها ذواقاً^(٢)
 يقول فيها :

غدا يعلو الجياد وكان يعلو - إذا ما استقره - السبب الرقاقاً^(٣)
 أعنتها الشُّعُوعُ فإن عراها حفاء انكد أنعلها طراقاً^(٤)
 فزُوجَ بَعْدَ قَفَرٍ مِنْهُ نُعْمَى أَرانى الله هُبَحَّتْهَا الطَّلَاقاً

[ترجمة أبى العيناء وطرف من أحباره]

قال أبو القاسم على بن حمزة بن شمردل : حدثنى أبى قال : سألت أبا العيناء
 عن نسبه ، فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومى
 من بنى حنيفة من أهل اليمامة ، ولحقهم سبأ فى أيام المنصور ؛ فلما صار ياسر
 فى قيده أعنته ، فولأونا لبني هاشم ؛ وكان أبو العيناء ضير البصر ؛ ويقال :
 إن جده الأكبر لى على بن أبى طالب - رضى الله عنه ! - فأساء مخاطبته ؛ فدعا
 عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى منهم صحيح السب !

(١) الضمن - على وزن كتف - المريض (٢) شكى - على وزن سكرى - ملائنة

(٣) استقره : طلب الفاره القوى من الخيل ، والسبب - بكسر السين المهملة -

جلود البقر ، يريد أنه كان يركب الخيل من الدواب .

(٤) الطراق : جمع طرق ، وهو كل ما يحصف به النعل (م)

بين المتوكل
وأبي العيناء

قال الصولى : حدثني أبو العيناء ، قال : لما أُدْخِلْتُ على المتوكلِ فدعوتُ له وكلمته استحسن كلامي ، وقال لى : بلغنى أن فيك شرًّا ! فقلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إن يكن الشرُّ ذِكرَ المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد زكّى الله تعالى وذمَّ ، فقال فى التزكية : (نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ) ، وقال فى الذم : (هَمَّازٍ مَشَاءُ بَنَمِيمٍ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) . وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدحْ على الخير أهلهُ ولم أذمَّ الجبَسَ اللثيمَ المذمما^(١)
فقيمَ عَرَفْتُ الخيرَ والشرَّ باسمِهِ وشقَّ لى اللهُ المسامعَ والفما؟

وإن كان الشر كفعل العقرب التى تلتسعُ السنَّى والدنَّى بطبعٍ لا بتميز فقد صانَ اللهُ عبدك عن ذلك !

فقال لى : بلغنى أنك رافضىٌّ ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، وكيف أكون رافضياً وبلدى البصرة ومنشئى فى مسجد جامعها ، وأستاذى الأصمعى ، وليس يخلو القومُ أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ؛ فإن كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس على تقديم مَنْ أَخْرُوا ، وتأخير مَنْ قَدَمُوا ، وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنْتِ وآباؤك أمراء المؤمنين ، لا دينَ إلَّا بك ، ولا دنياً إلَّا معك .

قال : كيف ترى دَارِى هذه ؟ قال : قلت : رأيت الناس بَنَوْا دورهم فى الدنيا ، وأنت بنيتَ الدنيا فى دارك .

فقال لى : ما تقول فى عبيد الله بن يحيى ؟ قلت : نِعَمَ الْعَبْدُ لله ولك ؛ مقسَّم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رِضَاك على كل فائدةٍ ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذةٍ

قال : فما تقول فى صاحب البريد ميمون بن إبراهيم ؟ - وكان قد علم أنى

(١) الجبس : هو الدنىء الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال :
ماض إذا أجباس بعد الكرى تناكحت أزواج أحلامها

واجدٌ عليه بتقصير وقع منه في أمرى - فقلت : يا أمير المؤمنين ، يدٌ تسرق واستٌ تضرط ! وهو مثل اليهودى سرق نصف جزيتته ، فله إقدامٌ بما أدى ، وإحجامٌ بما أبقى ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكلف !

قال : قد أردتُك لمجالستي ، قلت : لا أطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلاً بمالى في هذا المجلس من الشرف ، ولكنى محبوب ، والمحجوب تختلف عليه الإشارة ، ويخفى عليه الإيحاء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راض أو بكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، قال : صدقت ، ولكن تلمزنا ، قلت : لزوم الفرض الواجب اللازم ، فوصلني عشرة آلاف درهم . ولأى العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها في بعض ، وسأورد مستظرفها إن شاء الله :

قال له المتوكل يوماً : يا أبا العيناء ؛ لا تُكثِرِ الواقعةَ في الناس ، قال : إن لى فى بصرى لشغلاً عن الواقعة فيهم ، قال : ذلك أشد لحيفك في أهل العافية ! وقال له يوماً : هل رأيت طاليباً حسن الوجه قط ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيت أحداً قط سأل ضريراً عن هذا ؟ قال : لم تكن ضريراً فيما تقدم ، وإنما سألتك عما سلف ، قال : نعم ، رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه ، قال المتوكل : تجده كان مؤاجراً ، وتجده كنت قواداً عليه ! فقال أبو العيناء : وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ، أترانى أدع موالى على كثرتهم ، وأقود على الغرباء ؟ قال : اسكت يامأبون ؟ قال : موالى القوم منهم ! قال المتوكل : أردت أن أشتى به منهم فاشتى لهم منى .

وكان أبو العيناء أحد الناس خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً ، وأبلغهم خطاباً .

والتوكل أول من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على شهوته ، أظهر الانهماك وكان أصحابه يتسخفون ويستخفون بحضرتة ، وكان يُهَيَّرُ الجلساء ، ويفأخِرُ الرؤساء ، على شهوته

وهو مع ذلك من قلوب الناس مُحَبَّب ، وإليهم مُقَرَّب ؛ إذ أَمَاتَ ما أحياءه
الوائق من إظهار الاعتزال ، وإقامة سوق الجدال .

قال محمد بن مكرم الكاتب : مَنْ زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي
العيناء إذا أحسن بكرم ، أو شرع في طمع ، فقد ظلم .

منزلة أبي العيناء
في الكتابة

كتب إلى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه العتمد ، وهما يُطالَبان
بمال يبيعان له ما يَمْنِكَانِهِ من عَقَارٍ وَأَثَاثٍ وَعَبْدٍ وَأَمَةٍ ، وقد أعطى بخادم أسود
لعبيد الله خمسون ديناراً :

قد علمت — أصلحك الله! — أن الكريم المنكوب أجراً على الأحرار من
الثلثم الموفور ؛ لأنَّ التلثم يزيدُ مع النعمة لوثماً ، والكريم لا يزيدُ مع المِحنة إلاَّ
كرماً ، هذامُتْ كُلُّ على رازقه ، وهذا يُسِيءُ الظنَّ بخالقه ، وعبدك إلى ملك «كافور»
فقيرٌ ، وثمنه على ما اتَّصلَ بي يسير ؛ لأنه بخدمته السلطان يعرفني الرؤساء والإخوان ؛
ولست بواجدٍ ذلك في غيره من الغلمان ؛ فإنَّ سمحتَ به فتلك عَادَتُكَ ، وإنَّ أمرتَ
بأخذِ ثمنه فالألك مادَّتِي ، أدام الله دولَّتَكَ ، واستقبل بالنعمة نكبتَكَ . فأمرله به .
وسمع ابن مكرم رجلاً يقول : من ذهب بَصْرُهُ قلتَ حيلته ، قال : ما أَغْفَلَكَ
عن أبي العيناء !

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان : أنا — أعزَّك الله تعالى ! —
وَوَلَدِي وعيالي زَرْعٌ من زَرْعِكَ ، إن سقيته راعٍ وزَكَا ، وإن جفوتَه ذَبَل
وذَوِي ؛ وقد مستنى مِنْكَ جَفَاءً بعد بَرٍّ ، وإغفالٌ بعد تعاھدٍ ، حتى تكلمَ عدوٌّ ،
وشمتَ حاسِدٌ ، ولعبتَ بي ظنونُ رجالٍ كُنْتُ مِهمَ لَاعِبًا ، ولهم مجرَّساً^(١) ، والله
در أبي الأسود في قوله :

من أبي العيناء
لعبيد الله بن
سليمان

لا تُهِنِّي بعد إذ أكرمتني وشديداً عادةً مُنْزَعَةً
فوقع في رفقته : أنا — أسعدك الله! — على الحال التي عهدتَ ، ومثلي إليك كما

(١) كنت لهم مجرَّساً : أى كنت أكثر التسميع بهم (م)

عامت ، وليس من أنسأناه أهملناه ، ولا من آخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسام زماننا ، وكان من حَقِّك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرَك ؛ وقد وقَّعت لك برزقي شهرين ؛ لتريح غلَّتكَ ، وتعرفني مبلغَ استحقاقك ، لِأُطْلَقَ لك باقى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام .
 وكان إذا خرج من داره يقول : اللهم إني أعوذُ بك من الرُّكْبِ والرُّكْبِ ، والآجرِّ والخشب ، والروايا والقرب .

قطعة من خطابه وجوابه :

دخل على أبى الصقر بعد ما تأخَّر عنه ، فقال : ما أخرَكَ عنا ؟ قال : سُرِقَ حمارى ، قال : وكيف سُرِق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ! قال : فلم تأتِنا على غيرِه ؟ قال : قعدتُ عن الشراء قلةً يسارى ، وكرهتُ ذلةَ المُكارى ، ومنه العواري وزجه رجل بالجسر على حماره ، فضرب يديه على أذنى الحمار ، وقال : يا فتى ، قلْ للحمار الذى قوَّكَ يقول : الطريق !

ودخل على إبراهيم بن المدبر ، وعنده الفضل بن اليزيدى ، وهو يلقي على ابنه مسائل من النحو ، فقال : فى أى باب هذا ؟ قال : فى باب الفاعل والمفعول به ، قال : هذا بابى وباب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل وانصرف ؛ وكان البحرى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته إلى إبراهيم بن المدبر التى أولها :
 ذَكَرْتُ نَبِيكَ رَوْحَةً لِلشُّمُولِ أَوْقَدْتَ لَوْعَتِي وَهَاجَتْ غَلِيلِي
 أَى شَىءٍ أَهْلَكَ عَنْ سِرِّ مَنْ رَأَى وَظِلٌّ لِلْعَيْشِ فِيهَا ظَلِيلٌ ^(١)
 وفيها يقول :

أَقْتَصَاراً عَلَى أَحَادِيثِ فَضْلِ وَهُوَ مُسْتَكْرَهُ كَثِيرِ الْفَضُولِ
 فَعَلَامِ اصْطِفِيَتْ مُنْكَسَفِ الْبَا لَ مَعَادَ الْمِخْرَاقِ نَزَرُ الْقَبُولِ ^(٢)

(١) سر من رأى : هى مدينة سر من رأى

(٢) فى ديوان البحرى « فعلام اصطفت منكشف الزيف » (م)

إِنْ تَزَرَّهُ تَجِدْهُ أَخْلَقَ مِنْ شَيْبِ الْفَوَاحِشِ وَمَنْ تَعَقَّى الظُّلُومَ
 مُسْرِجًا مَلْءِجًا وَمَا مَتَعَ الصُّبْحُ حِجًّا أَدْلَاجًا لِلشَّحْدِ وَالْتَّطْفِيلِ^(١)
 غَيْرَ أَنَّ الْمَعْلَمِينَ عَلَى حَالٍ قَلِيلٍ التَّمِيزِ ضَعْفُ الْعُقُولِ
 فَإِذَا مَا تَذَاكَّرَ النَّاسُ مَعْنَى مِنْ مَتَبِنِ الْأَشْعَارِ وَالْمَجْهُولِ
 قَالَ : هَذَا لَنَا وَنَحْنُ كَشَفْنَا غَيْبَهُ لِلتَّسْوَالِ وَالْمَسْئُولِ
 ضَرْبِ الْأَصْمَعِيِّ فِيهِمْ أُمُّ الْأَحْمَرِ أُمُّ الْقُحْوِ بِأَيِّرِ الْخَلِيلِ^(٢)
 جُلَّ مَا عِنْدَهُ التَّرَدُّدُ فِي الْفَا عِلِّ مِنْ وَالِدَيْهِ وَالْمَفْعُولِ

تعزية أبي العيناء بعض الأمراء ، فقال : أيها الأمير ؛ كان العزاء لك لا بك ، والفناء
 لبعض الأمراء لنا لا لك ، وإذا كنت البقية فالرزية عطية ، والتعزية تهنية .

سؤاله عن مالك بن طوق وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق ، فقال : لو كان في زمن بني إسرائيل
 و نزل ذئب البقرة ما ذبح غيره ! قيل : فأخوه عمر ؟ قال : كسرأب ببيعة
 يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

سؤاله عن موسى بن عبيد الملك وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شراب شر به عنده ،
 فقال المتوكل بعد ذلك لأبي العيناء : مات قول في نجاح بن سلمة ؟ قال : ما قال الله
 تعالى : فوكره موسى ففضى عليه ! فاتصل ذلك بموسى ، فلقى الوزير عبيد الله
 ابن يحيى ابن خاقان ، فقال : أيها الوزير ، أردت قتلي فلم تجد إلى ذلك سبيلا
 إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لي ؛ فعاتب عبيد الله
 أبا العيناء في ذلك ، فقال : والله ما استعذبت الواقعة فيه حتى دمت سريره
 لك ؛ فأمسك عنه .

ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعد ؟ قال :
 في أحوال مختلفة ، خيرها رؤيتك وشرها غيبتك ، فقال : قد والله اشتقتك !

(١) متع الصبح : ظهر ، والشحذ والتطفيل : التسول والسؤال

(٢) الأحمر : هو خلف الأحمر

قال : إنما يَشْتَأِقُ الْعَبْدُ ؛ لأنه يَتَعَذَّرُ عليه لقاء مولاه ، وأما السَّيِّدُ فمَن أرادَ عِبْدَهُ دعاه .

وقال له المتوكل : مَنْ أَسَخَى مَنْ رَأَيْتَ ؟ قال : ابنُ أَبِي دُوَادَ ، قال المتوكل : تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء ؟ قال : إنَّ الصدقَ يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ليس في موضعٍ من المواضع أُنْفَقَ منه في مجلسك ؛ وإنَّ الناسَ يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود ؛ لأنَّ سخاء البرامكة منسوبٌ إلى الرشيد ، وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوبٌ إلى المأمون ، وجودُ ابنِ أُنَى دُوَادَ منسوبٌ إلى المعتصم ؛ فإذا أنسب الناسُ الفَتْحَ وعبيد الله ابني يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قال : صدقت ؛ فمن أبخلُ من رَأَيْتَ ؟ قال : موسى بن عبد الملك ، قال : وما رَأَيْتَ من يُخْلِه ؟ قال : رأيتُه يخدم القريب كما يخدم البعيد ، وَيَعْتَذِرُ من الإحسان كما يعتذرُ من الإساءة ، فقال له : قد وَفَعْتَ فيه عندى مرتين ، وما أحبُّ لك ذلك ؛ فألقه واعتذر إليه ، ولا يعلم أنَّ وجهت بك ، قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، من يستكتمني بحضرة ألف ؟ قال : لن تخاف ، قال : على الاحتراس من الخوف .

فصار إلى موسى فاعتذر كلُّ واحدٍ منهما إلى صاحبه ، وافترقا عن صلح ؛ فلقيه بعد ذلك بالجعفرى ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد اصطلحنا ، فمالك لا تأتينا ؟ قال : أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟ فقال موسى : ما أرانا إلا كما كُنَّا .

وقال له المتوكل : إبراهيم بن نوح النصراني وَاجِدْهُ عليك ، قال : ولن تَرْضَى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبِعَ ملتهم ! قال : إن جماعة من الكتاب يلومونك ! فقال :

إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِثَامِهَا
قال المتوكل له : أكان أبوك في البلاغة مثلك ؟ قال : لو رأى أمير المؤمنين أني لراى عبدا له لا يَرْضَانِي عبدا له .

وقيل لأبي العيناء : إن المتوكل قال : لولا أنه ضرير البصر لنادمتُهُ ، فقال :
 إن أعفاني من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الفصوص ، فأنا أصلح للمنادمة .
 ولقية رجلٌ من إخوانه في السّحر ، فجعل يُعجّبُ من بُكوره ، فقال :
 أراك تشاركني في الفعل وتُفردني بالتعجب !

ووقف به رجلٌ من العامّة فأحسَّ به ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : رجل من
 بني آدم ! قال : مرحباً بك ، أطال الله بقاءك ! وبقيت في الدنيا ، ماظننتُ هذا
 النّسل إلا قد انقطع !

ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال : اقربُ مني يا أبا عبد الله ، فقال :
 أعزَّ الله الوزير ، تريبُ الأولياء ، وحزْمُمانُ الأعداء ، قال : تريبُك غنمٌ ،
 وحزْمُمانك ظلمٌ ؛ وأنا ناظرٌ في أمرك نظراً يُصلِحُ من حالك إن شاء الله .
 وقال له يوماً : اعذرني فإنّي مشغول ، فقال له : إذا فرغت من شغلك لم
 تَحْتَجْ إليك ، وأنشده :

فلا تَعْتَذِرْ بالشُّغْلِ عَنَّا ؛ فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْأُمَالُ مَا تَصِلُ الشُّغْلُ
 ثم قال : يأسيدى قد عذرتك ، فإنه لا يَصْلُحُ لشُكْرِكَ مَنْ لا يَصْلُحُ لِعُذْرِكَ .
 وأقبل إليه يوماً فقال : من أين يا أبا عبد الله ؟ قال : من مَطَارِحِ الجَفَاءِ !
 وقال له مرة : نحن في العطلة مَرَحُومُونَ ، وفي الوزارة محرومون ، وفي القيامة
 كلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ .

وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد ، فقيل : هو مشغولٌ يُصَلِّي ، قال : لكلِّ
 جديدٍ لَذَّةٌ ! وكان صاعداً نصرانياً قبل الوزارة .

ودخل إلى عبيد الله بن سليمان ، فشكا إليه حاله ، فقال : أليس قد كتبنا
 لك إلى إبراهيم بن المدبر ؟ فقال : كتبت إلى رجلٍ قد قصرَ من همِّه طولُ
 الفقر ، وذُلُّ الأسر ، ومعاناةُ محنِ الدَّهرِ ، فأخفقت في طَلِبَتِي ! قال : أنتَ
 اخْتَرْتَهُ ؟ قال : وما على - أعزَّ الله الوزير ! - في ذلك ؟ قد اختار موسى قومه سَبْعِينَ

جلا، فما كان منهم رَشِيدٌ ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابنَ أَبِي سَرَحٍ كاتباً ، فرجع إلى المشركين مرتدًّا ، واختار على بن أبي طالب أبا موسى حاكماً
ه فحكم عليه !

[إبراهيم بن المدبر]

وكان إبراهيم بن المدبر أَمْرُهُ صاحبُ الزنج بالبصرة وحَبَسَهُ ؛ فاحتال حتى
نقب السَّجْنَ وهَرَبَ ، فلذلك ذكر أبو العيْناء ذُلَّ الأَمْرِ ، وكان قد ضُرِبَ
في وجهه ضَرْبَةً بَقِيَ أثرها إلى أن مات ؛ ولذلك قال البحترى :

وَمُيِّنَةٌ شَهَرَ الْمَنَازِلُ وَسَمَّيْنَاهَا	وَالْخَلِيلُ تَكَبُّوْا فِي الْعَجَاجِ الْكَابِي
كَانَتْ بَوَاجِهَكَ دُونَ عِرْضِكَ إِذْ رَأَوْا	أَنَّ الْوُجُوهَ تُصَانُ بِالْأَحْسَابِ
وَلَمَّا أُسِرَتْ فَمَا الْإِسَارُ عَلَى أَمْرٍ	نَصَرَ الْإِسَارَ عَلَى الْفِرَارِ بَعَابِ ^(١)
نَامَ الْمُضَلُّ عَنْ سُرَاكٍ وَلَمْ تَخَفْ	عَيْنَ الرَّقِيبِ وَقَسْوَةَ الْبَوَابِ
فَرَكِبَتْهَا هَوْلًا مَتَى تُخْبِرُ بِهَا	يَقُلُّ الْجَبَانُ : أَتَيْتَ غَيْرَ صَوَابِ
مَا رَاعَهُمْ إِلَّا اسْتِرَاقُكَ مُصْلَتًا	فِي مِثْلِ بُرْدِ الْأَرْقَمِ الْمُنْسَابِ ^(٢)
تَحْمِي أَعْيِلِمَةً وَطَائِشَةَ الْخَطِي	تَصِلُ التَّلَفُّتَ خَشْيَةَ الطَّلَابِ
قَدْ كَانَ يَوْمَ نَدَى بِطَوْلِكَ بَاهِرًا	حَتَّى أَضْفَتَ إِلَيْهِ يَوْمَ ضِرَابِ ^(٣)
ذِكْرُكَ مِنَ الْبِأْسِ اسْتَعَدَّتْ إِلَى الَّذِي	أَعْطَيْتَ فِي الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ
وَوَحِيدَةً أَنْتَ انْفَرَدْتَ بِفَضْلِهَا	لَوْلَاكَ مَا كُتِبَتْ عَلَى الْكُتَّابِ

[حديث صاحب الزنج ، ودعواه ، وبطلانها]

قال أبو بكر الصولي : حدثني محمد بن أبي الأزهر ، وقد ذاكرته خبرَ علي
صاحب الزنج ، قال : ادَّعى أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي

(١) العَاب : العَيْب (٢) المصَلَّت : السيف ، والأَرْقَم : الحية

(٣) الضْرَاب : الطعان

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، فنظرت مولده ومولد محمد ابن أحمد الذي ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين ، وكان لمحمد بن أحمد ولد اسمه علي مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب فادعى أنه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن علي .

قال أبو عبيدة محمد بن علي بن حمزة : ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره ؛ لأنه قُتل ابن ثمانى عشرة سنةً ولا ولد له .

قال بشر بن محمد بن السري بن عبد الرحمن بن رحيب : هو ابن عم أبي لَحَا علي بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ، ورحيب رجل من العجم من أهل ورتين من ضياع الرى ، وهو القائل لبني العباس :

بني عمنّا إنا وأنتم أناملُ تضمناها من راجعها عُقودُها
بني عمنّا وليتمّ الترك أمرنا ونحن قديماً أصلها وعمودُها
فما بال عُجم الترك تقسم فيئناً ونحن لديها في البلادِ شهودُها
فأقسم لا ذقت القراح وإن أدق قبلغة عيشٍ أو يُباد عميدُها^(١)
وقال أيضاً :

كُفّ نفسى على قصورٍ ببغدا دوما قد حوتهُ مِن كلِّ عاصِ
وخمورٍ هُناك تُشربُ جهراً ورجالٍ على المعاصى حِراسِ
نستُبائن الفواطِم الزهرِ إن لم أقحم الخيل بين تلك العِراسِ
وله في هذا المعنى شعرٌ كثير قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين نجّم إلى أن قتل أربع عشرة سنةً ، وجملة من قتل ألف ألف وخمسمائة ألف .

(١) البلغة - بضم الباء وسكون اللام - ما يتبلغ به

[عَوْدٌ إِلَى مَسْحِ أَبِي الْعَيْنَاءِ]

وذكر أبو العيناء رجلاً ، فقال : ضَجَّكَ كَالْبِكَاءِ ، وتودَّد كالْعِزَاءِ ، ونوادر كَنَدَبِ المَوْتِ !

وكان يُهَاتِر ابن مكرم كثيراً ، وكتب إليه ابن مكرم يوماً : قد ابْتَعَتْ لَكَ غَلاماً من بنى ناشر ، ثم من بنى نَاعِظ ، ثم من بنى نَهْد . فسكتب إليه : فأتنا بما تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ من الصادقين .

وولد لأبي العيناء ولد ، فأتى ابن مكرم فسلم عليه ، ووضع حجراً بين يديه وانصرف ، فأحس به ، فقال : مَنْ وضع هذا ؟ فقيل : ابن مكرم ، قال : لعنه الله ! إنما عَرَّضَ بقول النبي صلى الله عليه وسلم : الولدُ للفراش وللعاهر الحجر .

وقال لابن مكرم ، وقد قدم من سفر : مالك لم يُهْدِ إلينا هدية ؟ قال : لم آت بشيء ، وإنما قدمت في خف . قال : لو قدمت في خف تَخَلَّفَتْ رُوحُكَ !

وأتى إلى باب إبراهيم بن رباح ، فحُجِبَ ، فقال : إذا شغل بكأس يمناء وبحر يُسْرَاهُ ، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه ، لا يَحْفِلُ بحِجَاب مَنْ أَتَاهُ .

وقدَّم إليه أبو عيسى بن المتوكل سِكْبَاحَةً ، فجعل لا تَقَعُ يدهُ إلا على عَظْمٍ ؛ فقال : جعلت فداك ! هذه قِدر أو قِبر ؟ .

ودعا ضريراً ليعيشه ، فلم يَدَعْ شيئاً إلا أكله ، فقال : يا هذا ، دعوتك رحمةً فتركتني رحمة .

قد تم — بحول الله وقوته ، وحسن دعوته — الجزء الأول من كتاب « زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبن إسحاق الحصري ، ويليهِ — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحةً بقول المصنف « ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام ومقدماته ، وموائد وآلاته » نسأل الله — جلت قدرته ! — أن يعين على إكماله ، إنه ولي ذلك .

فهرست الجزء الأول

من كتاب زهر الآداب

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٩	جواب علي شعر جرير	٤٠	مقدمة الطبعة الأولى
٥٩	فضل الشعر	٣٠	مقدمة الطبعة الثانية
٦٠	شذور من كلام الرسول	٤٠	مقدمة المؤلف
٦٣	شعراء الرسول	٤٠	إن من البيان لسحرا
٦٥	أبو سفيان بن الحارث	٤٠	عمرو بن الأهمم والزبرقان بن بدر
٦٥	شعر كعب بن مالك	٤١	بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
٦٥	قصة النضر بن الحارث	٤١	ترجمة عمرو بن الأهمم
٦٧	رثاء أبي بكر لرسول الله	—	ترجمة الزبرقان بن بدر
٦٧	مناقب أبي بكر	٤٢	غلام يتكلم في حضرة عمر بن عبدالعزيز
٦٨	خطبة أبي بكر يوم مات الرسول	٤٣	كتاب من ابن العميد لبعض إخوانه
٦٩	رثاء فاطمة الزهراء لأبيها رسول الله	٤٤	السحر الحلال
٧٠	عود إلى المختار من كلام أبي بكر	٤٤	وصف رجل محبوب
٧١	رثاء عائشة أم المؤمنين لأبيها	٤٥	عليه بنت المهدي
٧٢	عمر بن الخطاب	٤٨	قيد الأوابد
٧٤	بكاء عمر	٤٨	عود إلى حلاوة الحديث
٧٥	عائشة بنت زيد	٥٥	الشعر والبيان
٧٥	عثمان بن عفان	٥٥	تفسير حديث وضبطه
٧٨	علي بن أبي طالب	—	الحطيئة وبنو أنف النافعة
٨٣	عمرو بن عبدود	٥٦	بنو العجلان والنجاشي
٨٤	بيضة البلد	٥٦	حكومة عمر في الشعر
٨٥	هوان قبيلة عاملة	٥٧	جمرات العرب
٨٦	كلام الصحابة والتابعين	٥٧	انتقام امرأة
٨٦	آثار معاوية	٥٨	تعريض قادح

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٨٨	الأخف بن قيس ومعاوية	١٢٥	عبد الله بن معاوية
٩٠	شعر زهير	١٢٧	الحسن بن زيد
٩١	التهنئة والتعزية	١٢٩	إبراهيم بن هرمة
٩٤	أهل البيت	١٣٠	موسى بن عبد الله
٩٥	وصف قريش وبنى هاشم	١٣٠	بين علي بن محمد العلوي والحسين بن إسماعيل
٩٧	الحسن بن علي وجيب بن مسلمة	١٣١	العباس بن الحسين الهاشمي
٩٩	المصيبة بأبناء النبوة	١٣٣	موسى بن جعفر
١٠٠	بين الحسن ومحمد بن الحنفية	١٣٣	علي بن موسى
١٠٠	الدنيا في رأى الحسين	١٣٤	دعبل بن علي يرثي آل البيت
١٠١	معاوية والحسين	١٣٤	أوصاف الأشراف
١٠٢	ابن أبي ربيعة وسكينة بنت الحسين	١٣٨	الابتداء بحمد الله
١٠٢	علي بن الحسين زين العابدين	١٣٩	من شعر محمود الوراق
١٠٣	قصيدة الفرزدق في علي بن الحسين	١٤٠	البيان والبلاغة
١٠٦	لدى الرمة يمدح بلال بن أبي بردة	١٤٠	فضل القرآن على سائر الكلام
—	للبحترى يمدح الفتح بن خاقان	١٤١	ماهية البلاغة لابن الرمانى
١٠٩	عاقبة الحرب	١٤٢	ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن
١١٢	للبحترى في قتال الأقارب	١٤٣	أقوال في البلاغة
١١٢	لأبي تمام في المعنى	١٤٣	عمرو بن عبيد
١١٤	لابن الحياض يمدح مالك بن أنس	١٤٥	البلاغة عند أهل الهند
١١٥	لأشجع السلمي	١٤٥	البلاغة في رأى ابن المقفع
—	من شعر أبي تمام	١٤٦	الإطالة والإيجاز
١١٧	محمد بن علي بن الحسين الباقر	١٤٨	المعاني والألفاظ
١١٨	مصرع زيد بن علي	١٥١	بشار بن برد
١٢٠	عبد الله بن الحسن	١٥٢	وصية أبي تمام للبحترى
١٢١	بين عبد الملك بن مروان وعمر بن أبي ربيعة	١٥٣	فضل الليل للحاتمي
١٢٢	للعديل بن الفرخ	١٥٤	فضل التروى والأناة
١٢٢	عود إلى عبد الله بن الحسن	١٥٥	واجب النسخ
١٢٣	امراة محمد بن عبد الله	١٥٥	صور مختلفة للبلاغة
١٢٤	جعفر بن محمد		

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٦٠	صفة البلاغة والبلغاء	٢٠٠	فطنة إياس بن معاوية وفوة لسنه
١٦٤	وصف النثر والشعر	٢٠٠	الفرار من الحديث الملول
١٦٤	كتاب لابن العميد	٢٠١	طرف أدبية
١٦٧	كتاب للصاحب بن عباد	٢٠٢	ملح الغاضري
١٦٨	أبو الفضل الميكالي	٢٠٣	ملح أشعب
١٦٩	أبو منصور الثعالبي	٢٠٤	أبو نواس
١٧١	رسائل الميكالي	٢٠٥	الجزاز
١٧٣	وصف أبي الفضل الميكالي	٢٠٦	أبو تمام يمدح عمرو بن طوق
١٧٦	وصف البلاغة	—	ويمدح الحسن بن وهب
١٧٦	لأبي الفتح البستي	٢٠٧	رواية الشعر والنسب
١٧٧	لمطوع يمدح الميكالي	٢٠٨	عروة بن أدينة
١٧٨	لثعالبي يمدح الميكالي	١٧٧	أبو السائب الخزومي
١٧٩	لثعالبي في وصف فرس	٢٠٩	عود إلى عروة بن أدينة
١٧٩	لثعالبي يوجب الميكالي	٢١٠	حب الأحوص
١٨٠	للميكالي يوجب الثعالبي	٢١١	ظرف أهل الحجاز ورقمهم
١٨٠	الوزير المهلب	١٧٩	أبو حازم
١٨١	الحكمة ضالة المؤمن	٢١٢	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
١٨٢	وصف الكتاب للجاحظ	١٨٠	فقهاء المدينة السبعة
١٨٥	تهادى الكتب	٢١٣	بني نواس
١٨٨	أوصاف الكتب	١٨١	لأبي محمد بن أبي أمية
١٩٣	المحادثة والمجالسة	٢١٤	ظرف أهل المدينة
١٩٣	الفهم والإفهام	٢١٦	لتشبيب بأخت الحجاج
١٩٥	واجب الجائيس	١٨٥	وصف الدنيا لابن المعتز
١٩٦	الحديث المعاد	٢١٨	بين ابن المعتز وثعلب
١٩٦	أنواع الأدب	٢١٩	شعر ابن المعتز
١٩٨	تقسيم الأيام	٢٢٠	وصف النار للبيضاء
١٩٩	إياس بن معاوية يحتاج للاطناب	٢٢١	عود إلى شعر ابن المعتز
—	الجاحظ يرد عليه	١٦١	رثاء المنصور
—	ابن هبيرة يريد إياسا على القضاء	٢٢٣	وصاف الرجال
٢٠٠	أبو العيناء وقينة	٢٢٥	شعر ابن المعتز

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٥٨	كلام الخلفاء	٢٢٢	يصف الماء وما يتصل به
٢٥٩	مقتل المتوكل	٢٢٩	كفة الجعفرى للبحترى
٢٦٠	وفاء البحترى	١٩٩	قصور المتوكل لابن الجهم
٢٦١	رثاء المتوكل للمهلبى	٢٣١	وصف موضع للبحترى
٢٦٢	أبو حية النيمرى	٢٣٢	صنوبرى يصف موضعاً فى حلب
٢٣٣	وصف الشباب لهارون بن يحيى	٢٣٣	ليكالى يصف بركة
٢٦٥	قفر فى وصف الشباب	—	لعلى بن محمد الإيادى يصف داراً
٢٦٧	بين ابن مناذر وأبى حية النيمرى		بالمنصورية
٢٣٦	أعباء الكهولة لعمر بن قيس	٢٣٥	الماء والعدران
٢٦٨	للنمر بن تولب	٢٣٧	وصف الرعد والبرق
٢٦٩	من شعر حميد بن ثور	٢٤١	الشرب فى الصحو
٢٧٠	لمحمود الوراق	٢٤٢	وصف شدة الشوق
—	لمتنبى	٢١٠	وصف رجل حازم لابن المقفع
—	للبحترى	٢٤٣	إبراهيم بن أدهم
—	لابن هانى	٢٤٤	وصف التقي والزهد لابن كناسة
٢٧١	لابن الرومى	٢١٢	من أخبار ابن المقفع
—	لأبى تمام	٢٤٥	ترجمة الأصوص
٢٧٢	وصف الثغر	٢١٣	فهم المنصور
٢٧٤	وصف الجوارى السود	٢٤٦	بلية الحسد لابن المقفع
٢٧٥	لتهنئة بنو أميين	٢٤٧	ألسنة الحساد
٢٨٠	وصف الأفواه	٢١٦	وصف الحسد
٢٨١	شعر أبى نواس	٢٤٨	التلطف فى الطب
٢٨٢	طرفة أدبية	٢٤٩	من كلام على بن عبيدة الرياحى
٢٨٨	تظريف الحارث بن خالد	٢٥٠	بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن
٢٥٧	من أخبار عائشة بنت طلحة		أبى دواد وبختيشوع الطبيب
٢٨٩	مثل من التعريض	٢٥١	أردشير بن بابك
٢٩٠	الثريا بنت على	٢٥٢	أخلاق الملوك
٢٩١	عزة كثير	٢٥٣	أخت ملك الحزر
٢٩٢	ظرف ابن أبى عتيق	٢٥٤	أقوال للملوك والحكام
٢٩٣	كمثل الشيطان	٢٥٧	همة سعد بن ناشب

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٢٦١	رملة بنت عبد الله	٢٦١	أبيات مختارة في معان شقى
٢٩٤	صفقة أبي غبشان الذى باع مفتاح	٢٨٣	أبو العيناء
	الكعبة بزق خمر	٣١٥	بين أبي الصقر وابن الرومى
٢٩٥	عفة ابن أبي ربيعة	٣٢١	زجة أبي العيناء، وطرف من أخباره
٢٩٦	بين ابن جريج ومعن بن أوس	٣٢٢	أحاديثه مع المتوكل
٣٠١	عمائشة بنت طلحة	٣٢٣	المتوكل أول من أظهر الانكباب
٣٠٢	ممامة ابن الرومى		على الشهوات من العباسيين ..
٣٠٣	سليمان بن عبد الملك وأعرابى	٣٢٤	منزلة أبي العيناء فى الكتابة
٣٠٤	وصف رجل ماجد		— من أبي العيناء لعبيد الله بن سليمان
٣٠٥	البديع الهمداني ، وكيف استوحى	٣٢٥	نواده ، وفكاهاته ، وأجوبته
	صنع المقامات	٣٢٦	إبراهيم بن المدبر
٣٠٦	كتابه إلى أبي نصر الميكالى	٣٢٧	صاحب الزنج
٣٠٩	عتابه للميكالى	٣٣٠	عود إلى ملح أبي العيناء

تمت فهرس الجزء الأول من « زهر الآداب » والحمد لله أولا وآخرا
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

زَهْرُ الْأَعْيُنِ

زهرا الاطاب

وثمر الالباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني ، المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الثاني

دار الجيل

للنشر والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان

ص. پ. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

ألفاظ لأهل العصر في صفات الطعام

ومقدماته ، وموائد ، وآلاته

أَفْرِشْ طَعَامَكَ اسم الله ، وَأَلْحِفْهُ حَمْدَ اللَّهِ . لَا يَطِيبُ حُضُورَ الْخِوَانِ ، إِلَّا مَعَ الْإِخْوَانِ . الْبَخْلُ بِالطَّعَامِ ، مِنْ أَخْلَاقِ الطَّعَامِ . الْكَرِيمُ لَا يَخْطُرُ ، تَقْدِيمَ مَا يَخْضُرُ . قَدْ قَامَتْ خُطْبَاهُ الْقُدُورِ . قُدُورُ أَبْكَارٍ ، بِخَوَاتِمِ النَّارِ . قُدْرَةُ طَارِعْرِفُهَا ، وَطَابَ غَرْفُهَا . دَهْمَاءُ تَهْدِرُ كَالْفَنَيْقِ^(١) ، وَتَفُوحُ كَالْمِسْكِ الْفَتَيْقِ . مَائِدَةُ كِدَارَةِ الْبَدْرِ ، تَبَاعَدُ بَيْنَ أَنْفَاسِ الْجَلَّاسِ . مَائِدَةُ مِثْلُ عُرُوسٍ . مَائِدَةُ لَطِيفَةٍ ، مَخْفُوفَةٌ بِكُلِّ طَرِيفَةٍ . مَائِدَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى بَدَائِعِ الْمَائِدَاتِ كَوَلَاتٍ ، وَغَرَائِبِ الطَّيِّبَاتِ . مَائِدَةُ كَأَنَّهَا عَمَلُهَا صُنَاعُ صُنْعَاءَ ، تَجْمَعُ بَيْنَ أَنْوَارِ^(٢) الرَّيِّعِ ، وَثَمَارِ الْخَرِيفِ .

وَقَالَ الْجَمَازُ : جَاءَ نَا فُلَانٌ بِمَائِدَةٍ كَأَنَّهَا زَمَنُ الْبِرَامِكَةِ عَلَى الْعُقَاةِ !
وَذَمَّ آخَرَ رَجُلًا فَقَالَ : لَا يَخْضُرُ مَائِدَتُهُ إِلَّا أَوْ كَرُمُ الْخَلْقِ وَالْأَمَمِمْ - يَرِيدُ الْمَلَائِكَةَ وَالذُّبَابَ .

وَقَالَ ابْنُ الْحِجَاجِ لِرَجُلٍ دَعَاهُ وَأَخَّرَ الطَّعَامَ :
قَدْ جُنَّ أَصْحَابُكَ مِنْ جُوعِهِمْ فَاقْرَأْ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ
وَلِبَعْضِ أَهْلِ الْعَصْرِ يَذِمُّ رَجُلًا :
خِوَانٌ لَا يُبْلِغُ بِهِ ضُيُوفٌ وَعَرِضٌ مِثْلُ مَنْدِيلِ الْخِوَانِ
رُغْفَانٌ كَالْبِدُورِ الْمُنْطَقَةِ بِالنَّجُومِ . حَمَلٌ ذَهَبِيٌّ الدَّنَارُ ، فَضِيٌّ الشَّعَارُ . أَطِيبُ مَا يَكُونُ الْحَمْلُ ، إِذَا حَلَّتْ الشَّمْسُ الْحَمْلَ^(٣) . جَدَى كَأَنَّهَا نُذِفَ عَلَى جَبِينِهِ الْقَرْزُ . زِيرِبَاجَةٌ ، هِيَ الْمَائِدَةُ دِيْبَاجَةٌ ، تَشْفِي السَّقَامَ ، وَلَوْهَا لَوْنُ السَّقِيمِ . سِكْبَاجَةٌ تَفْتَقُ

(١) الفنيق : الفحل الهائج (٢) في الأصل « أنواع » وهو تحريف .

(٣) الحمل الأول : الصغير أولاد الضأن ، والحمل الثاني : برج في السماء (٢)

الشهوة ، واسفيدباجة تُغذّى القرم^(١) ، وطبَاهِجَة يُتَفَسِّكُه بها ، وخَبِيسٌ يَحْتَمُ
بِخَيْر. طَبَاهِجَة من شرط الملوک ، كأَعْرَافِ الديوک ، وَقَلِيَّةٌ كَالْعُودِ الْمُطَرَّى. مغمومة
تَفْرَجُ غَمَّ الْجَائِعِ . هريسة نَفِيسَة ، كأنَّهَا خِيوطُ قَزَمَشَبَكَة ، كأنَّ الْمُرِّيَّ^(٢) عَلَيْهَا
عَصَا رُمُوسٍ عَلَى سَبِيكَةِ الْفَضَّة . أرزَة مَلْبُونَة ، فِي السَّكْرِ مَدْفُونَة . شَوَاءٌ رَشْرَاشٌ^(٣)
وَقَالَوْذَجُ رَجْرَاجٌ^(٤) . طَبَاهِجَة تُغذَى ، وَفَالْوُدْجَة تُعْزَى ، وَاسْفِيدْبَاجَة تُصْفَعُ قَفَاً
الْجُوعِ^(٥) . لَا فِرَاشَ لِلنَّبِيذِ ، كَالْحَمَلِ الْحَنِيدِ^(٦) . دَجَاجَة سَمِيطَة ، لَهَا مِنَ الْفَضَّةِ
جَسْمٌ ، وَمِنَ الذَّهَبِ قَشْرَة . دَجَاجَة دِينَارِيَّةٌ ثَمْنَا وَلُونَا .

لابن الرومی
في وصف طعام
وهذا محلول من قول على بن العباس الرومی يصف طعاماً أكله عند أبي بكر
الباقطاني :

وَسَمِيطَةٌ صَفْرَاءُ دِينَارِيَّةٌ	ثَمْنَاً وَلُونَاً زَفَّهَا لَكَ حَزُونُ ^(٧)
عَظُمَتْ فَكَادَتْ أَنْ تَكُونَ أَوْزَةً	وَعَلَتْ فَكَادَ إِهَابُهَا يَتَفَطَّرُ
طَفَقَتْ تَجُودُ بِذَوْبِهَا جَوْذَابَةٌ	فَأَتَى لِبَابِ اللُّوزِ فِيهَا السَّكْرُ
ظَلْنَا نَقْشَ جِلْدِهَا عَنِ لَحْمِهَا	فَكَانَ تَبَرُّاً عَنِ كَبْجَيْنِ يُقَشَّرُ
وَتَقَلَّ مَتْنُهَا قَبْلَ ذَلِكَ ثَرَائِدُ	مِثْلَ الرِّيَاضِ بِمِثْلِ ذَلِكَ تُصَدَّرُ
وَمَرْقَقَاتُ كُلِّ هَنْ مَزْخَرَفُ	بِالْبَيْضِ مِنْهَا مَلْبَسٌ وَمُدَثَّرُ
وَأَتَتْ قَطَائِفُ بَعْدَ ذَلِكَ لَطَائِفُ	تَرْضَى إِلَهَاتُهَا بِهَا وَيَرْضَى الْحَنْجَرُ
ضَحَكَ الْوُجُوهُ مِنَ الطَّبْرِزْدِ فَوْقَهَا	دَمَعُ الْعِيَانِ مِنَ الدَّهَانِ يُعَصَّرُ

(١) في نسخة « تغزو القرم » والقرم : شديد الشهوة إلى أكل اللحم (م)

(٢) المرى : ضرب من الإدام (م)

(٣) الشواء : اللحم المشوى ، ورشراش : سمين (م) (٤) من كلام أبي بكر الخوارزمي

(٥) تلك أسماء الأطعمة التي كان يعرفها العرب لعهد الدولة العباسية ، وأكثرها

أسماء فارسية تغيب عنا مسمياتها الآن ؛ لأن للأطعمة اليوم أسماء جديدة أكثرها
تركية وفرنسية (٦) الحنيد : المشوى (م) (٧) الحزور : السريع إلى إكرام الضيف .

قال البديع : حدثني عيسى بن هشام قال : اشْتَهَيْتُ الْأَزَادَ ، وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ ^(١) ،
 وليس معي عَقْدٌ ، عَلَى نَقْدٍ ^(٢) ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهَزُ مُحَالَهُ ، حَتَّى أَهْلَنِي الْكَرْبُخَ ^(٣) ؛
 فإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَحْدُو بِالْجَبْدِ حِمَارَهُ ، وَيُطَرِّفُ بِالْعَقْدِ إِزَارَهُ ^(٤) ؛ فَقُلْتُ :
 ظَفِرْنَا وَاللَّهِ بَصِيدٍ ، وَحَيَّاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ ! مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتَ ؟ وَمَتَى
 وَافَيْتَ ، فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ . فَقَالَ السَّوَادِيُّ : لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ ، وَإِنَّمَا أَبُو عُبَيْدٍ !
 فَقُلْتُ : نَعَمْ لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ ، وَأَبْعَدَ النَّسْيَانَ ، أُنْسَانِي طُولُ الْعَهْدِ بِكَ ،
 كَيْفَ أَبُوكَ ، أَشَابْتُ كَعَهْدِي ، أَمْ شَابَ بَعْدِي ؟ ^(٥) قَالَ : قَدْ نَبَتَ الْمَرْعَى
 عَلَى دِمْنَتِهِ ^(٦) ، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ ، فَقُلْتُ : إِنَّ اللَّهَ ، وَلَا قُوَّةَ
 إِلَّا بِاللَّهِ ، وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ ، إِلَى الصَّدَارِ ^(٧) أُرِيدُ تَمْزِيْقَهُ ، وَأُحَاوِلُ تَحْرِيقَهُ ^(٨)
 فَقَبِضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ ^(٩) ؛ وَقَالَ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَا مَرْفَاقَتَهُ ، فَقُلْتُ :
 فَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نَصِبْ غَدَاءً ، أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتَرِ شَوَاءً ؛ وَالسُّوقُ أَقْرَبُ ، وَطَعَامُهُ

مقامة
 لبديع الزمان
 فيها وصف طعام

-
- (١) الأزاد : من أجود أنواع التمر ، وبغداد : هي بغداد
 (٢) ليس معي عقد على نقد : أى ليس معي تقود يعقد عليها الكيس والثوب
 (٣) المحال : جمع محل ، والكربخ : من الجانب الغربى من بغداد
 (٤) السوادى : الرجل من قرى العراق ، نسبة إلى السواد ، وسمى العراق سواداً
 لا كتساء أرضه بالخضرة ، ومعنى «يطرف بالعقد إزاره» أى يرد أحد طرفيه إلى الآخر
 (٥) كعهدي : أى كعهدي به حين عرفته
 (٦) الدمنة : آثار الديار ، ولا ينبت الربيع على الدمنة إلا حين يبعد عهدها
 بالخراب ، يريد أن أباه مات منذ زمن طويل .
 (٧) البدار : المسارعة ، والصدار : قيض صغير إلى البدن
 (٨) يريد أنه هم بتمزيق ثوبه من الحزن
 (٩) جمع الكف - بضم الجيم - قبضة .

أطيب ، فاستنزته حُمَةُ الْقَرَمِ^(١) ، وعطفته عطفة النّهم ، وطَمِعَ ، ولم يعلم أنه وقع ، ثم أتيت شَوَاءً يتقاطرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا ، ويتسائل جُودَابُهُ مَرَقًا^(٢) ، فقلت : أبرز لأبي زيد من هذا الشواء ، ثم زِنْ لَهُ من تلك الحُلُوءِ ، واختر من تلك الأطباق ، ونضد عليها أوراق الرقاق ، وشيئا من ماء السَّمَاقِ^(٣) ؛ ليأكله أبو زيد هنيا . فأنحى الشَّوَاءَ بساطوره^(٤) ، على زُبْدَةِ تَنْوَرِهِ ، فجعلها كالـكحل سَحَقًا ، وكالطحين دَقًا ، ثم جلس وجلست ، ولا نبس ولا نبست ، حتى استوفيناها . وقلت لصاحب الحُلُوءِ : زِنْ لأبي زيد من اللوزينج رطلين^(٥) ، فإنه أجرى في الحلو ، وأسرى في العروق ، وليكن ليلي العُمَرُ ، ويومى النّشْرُ^(٦) ، رقيق القشر ، كثيف الحشو ، لؤلؤى الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصّغ ، قبل المَضْغ ، ليأكله أبو زيد هنيا . فوزنه ، ثم قعد وقعدتُ ، وجرّد وجرّدتُ^(٧) . واستوفيناها ، ثم قلت : يا أبا زيد ، ما أحوجنا إلى ماء يُشعّشع بالثلج ، ليقمع هذه الصّارة^(٨) ، ويفثأ هذه اللّقم الحارة^(٩) ؛ اجلس أبا زيد حتى آتيك بسقاء ، يُخَيِّننا بشربة من ماء ، ثم خرجت ، وجلست بحيث أراد ولا يراني ، أنظر ما يُصنع به . فلما أبطأتُ عليه قام السّواديّ إلى حماره ، فاعتلق الشَّوَاءَ بإزاره .

-
- (١) الحمة : إبرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم
 (٢) الجوداب : خبز يوضع في التنورة ومعه طائر أو لحم
 (٣) السماق : حب أحمر صغير شديد الحموضة ، شجره يشبه الرمان
 (٤) الساطور : آلة يقطع بها الجزار الاجم
 (٥) اللوزينج : نوع من الحلواء يصنع من نوع من الجوز يسقى بدهن اللوز ، ويحشى بالجوز .

- (٦) ليلي العمر : صنع من ليلته ، ويومى النّشر : نشر في يومه
 (٧) جرد وجرّدت : يريد أن كلا منهما جرد يده من ثيابه استعداداً للمائدة
 (٨) الصارة العطش
 (٩) يفثأ : يسكن

وقال : أين ثمنُ ما أكلتَ ؟ قال : ما أكلتهُ إلا ضيفا ! قال الشَّوَاء : هاك وآك
متى دعوناك ؟ زِن يا أبا القحبة عشرين ، وإلا أكلت ثلاثا وتسعين ! فجعل
السوادى يبكي ويمسح دموعه بأردانه ، ويحُلُّ عُقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ ، ويقول : كم قلت
لذلك القُرَيْد ، أنا أبو عبيد ، وهو يقول : أنت أبو زيد ! ؟ فأنشدت :

اعمل لرزقك كلَّ آله لا تَقْعُدَنَّ بِذُلِّ حاله
وانهضْ بكلِّ عزيمة فالمرءُ يَعْجُزُ لا المَحَالَّةُ^(١)

لعلى بن يحيى
المنجم

ومن مليح ما قيل فى القطائف قول على بن يحيى بن أبى منصور المنجم :
قطائفٌ قَدْ حُشِيَتْ بِاللُّوزِ وَالسَّكْرِ الْمَازِي حَشَوَ الْمَوْزِ^(٢)
يسبح فى آذَى^(٣) دُهْنِ الْجَوْزِ سُرِرْتُ لَمَّا وَقَعْتُ فى حَوْزِ
سرور عَبَّاسٍ بِقُرْبِ فَوْزِ^(٤)

ومن ألفاظ أهل العصر فى الحلواء : فالودج بلباب الثبر ، ولعاب النحل ،
كَأَنَّ اللُّوزَ فِيهِ كَوَاكِبُ دُرٍّ ، فى سماء عقيق .

لابن الرومى
يصف اللوزينج

ولم يقل أحد فى صفة اللوزينج أحسن من قول ابن الرومى :
لا يُحِطُّنِي مِنْكَ لَوْزِينَجٌ إِذَا بَدَأَ أُعْجِبَ أَوْ عَجَبَا
لَوْشَاءُ أَنْ يَذْهَبَ فى صَخْرَةٍ لَسَهَّلَ الطَّيْبُ لَهُ مَذْهَبَا
لَمْ تُغْلِقِ الشَّهْوَةُ أَبْوَابَهَا إِلَّا أَبَتْ زُلْفَاهُ أَنْ يُحْجَبَا
يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فى جَامِهِ دَوْرًا تَرَى الدُّهْنَ لَهُ لَوْبَا^(٥)

(١) قد ترجمنا هذه المقامة الطريفة إلى الفرنسية فى كتابنا

La prose Arabe au IV siècle de l'Hégire

(٢) المازى : العسل

(٣) الآذى : الموج

(٤) فوز : هى معشوقة العباس بن الأحنف

(٥) اللوب : استدارة الماء

عَاوَنَ فِيهِ مَنَظَرٌ مَخْبَرًا مُسْتَحْسَنٌ سَاعِدًا مُسْتَعِذَا
 مُسْتَكْتَفٍ الْحُشْوِ وَلَكِنَّهُ أَرْقٌ جَلِيدًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا ^(١)
 كَأَنَّمَا قَدَّتْ جَلَابِيْبُهُ مِنْ نَقْطَةِ الْقَطْرِ إِذَا حَبَّيَا ^(٢)
 يُخَالُ مِنْ رِقَّةٍ خِرْشَائِهِ ^(٣) شَارَكَ فِي الْأَجْنَحَةِ الْجُنْدُبَا ^(٤)
 لَوْ أَنَّهُ صُورَ مِنْ حُبْرِهِ ثَغَرَ لَكَانَ الْوَاضِحَ الْأَشْنَبَا ^(٥)
 مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ يَوَدُّ الْفَتَى أَنْ يَجْعَلَ الْكَفَّ لَهَا مَرْكَبَا
 مَدْهُوْنَةً زَرْقَاءَ مَدْقُوقَةٍ ^(٦) صَهْبَاءَ تَحْكِي الْأَزْرَقَ الْأَشْهَبَا
 قَرَّةَ عَيْنٍ ^(٧) وَفَمٍ حُسْنَتَ وَطَيَّبَتْ حَتَّى صَبَا مِنْ صَبَا
 دِيفَ لَهُ اللَّوْزُ ؛ فَمَا مُرَّةً مَرَّتْ عَلَى الذَّائِقِ إِلَّا أَبِي ^(٨)
 وَانْتَقَدَ الشُّكْرَ نَقَادُهُ وَشَاوَرُوا فِي تَقْدِهِ الْمَذْهَبَا
 فَلَا إِذَا الْعَيْنُ رَأَتْهُ نَبَتْ وَلَا إِذَا الصَّرْسُ عَلَاهُ نَبَا
 لَا تُنْكِرُوا الْإِدْلَالَ مِنْ وَامِقٍ وَجَّهَ تَلَقَّاءُكُمْ الْمُطْلَبَا
 هذه الأبيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد
 ابن عبد الله بن بشر المرئدي ، ويهنيه بآبن ولده ، وأولها :
 شمسٌ وبدرٌ وَلَدَا كَوْكَبَا أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَجْجَبَا
 قال أبو عثمان سعيد بن محمد الناجم : دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذه

(١) رواية الديوان « أرق قشرا »

(٢) حب : صار ذا حب ، بالتحريك . ورواية الديوان « من أعين القطر
 الذي قبا » وفي رواية أخرى « طنبا »

(٣) الخرشاء : الجلدة الرقيقة (٤) الجندب : الجراد

(٥) الأشنب : من الشنب - بالتحريك - وهو رقة وبرد وعدوية في الأسنان

(٦) كذا في الأصل. وفي الديوان « مدفونة » (٧) رواية الديوان « ملذعين »

(٨) يريد أن صانع اللوزينج كان يختبر اللوزليطرح منه ما يجذفيه مرارة

القصيد ، فقلت : لوتفأأتَ فيها لأبى العباس بسبعة من الولد ؛ لأن أبا العباس منكوساً سابعٌ ، لجاء المعنى ظريفاً ، فقال :

وقد تفأأتُ له زاجراً كُنَيْتَه ، لا زاجراً تُعَلِّبَا
إِنِّي تَأَمَّلْتُ لَهُ كُنْيَةً إِذَا بَدَأَ مَمْلُوبُهَا أَعْجَبَا
يَضُوعُهَا الْعَكْسُ أَبَا سَابِعٍ لَا كَذَبَ اللَّهُ وَلَا خَبِيَا
بَلْ ذَاكَ قَالَ ضَامِنٌ سَبْعَةً مِثْلَ الصَّقُورِ اسْتَشْرِفَتْ مَرْقَبَا
يَأْتُونَ مِنْ صُلْبِ فَتَى مَا جَدٍ وَذَاكَ قَالَ لَمْ يَعُدْ مَعْطَبَا
وَقَدْ أَتَانَا مِنْهُمْ وَاحِدٌ فَلَنَنْتَظِرُهُمْ سِرَّةً غُيْبَا
فِي مُدَّةٍ تَغْرِهَا نِعْمَةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ لَهُ تَرْتُبَا (١)
حَتَّى نَرَاهُ جَالِسًا بَيْنَهُمْ أَجَلَ مَنْ رَضَوِي وَمَنْ كَبَّكْبَا (٢)
كَالْبَدْرِ وَافَى الْأَرْضَ مِنْ نُورِهِ بَيْنَ نَجْوِمٍ سَبْعَةٍ فَاجْتَبَا (٣)
وَلْيُشْكِرِ النَّاجِمُ عَنْ هَذِهِ فَإِنَّهَا مِنْ بَعْضِ مَا بَوَّبَا
سَدَى وَالْحَمْتُ أَخْ لَمْ أَزَلْ أَشْكُرُ مَا أَسْدَى وَمَا سَبَّيَا

وكان ابن الرومي منهوماً في الماء كل ، وهي التي قتلته ، وكان مُعْجَباً بهم ابن الرومي بالسملك ، فوعده أبو العباس المرئدي أن يبعث إليه كل يوم بوظيفة لا تَنْقَطِعُ ، وحب السملك فبعث إليه يوم سَبْتٍ ، ثم قطعه ، فقال :

مَا لِحَيَاتِنَا جَفَّتْنَا وَأَنْى أَخْلَفَ الزَّائِرُونَ مَنْتَظِرِيهِمْ
جَاءَ فِي السَّبْتِ زَوْرُهُمْ فَأَتَيْنَا مِنْ حِفَاطٍ عَلَيْهِ مَا يَسْكِفِيهِمْ (٣)

(١) الترتب - على وزن قنفذ وجندب - الشيء المقيم الثابت
(٢) رضى وكبكب : جيلان (م) (٣) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعامة ونحوها . وهي جلسة معروفة عند أشرف العرب - كذا ، والصواب « فاجتبي » بالجيـم - أى اختار واجتبي (م) (٤) الزور : الضيف

وجعلناه يوم عيد عظيم
وأراهم مُصَمِّينَ عَلَى الْهَجْرِ فَلِمَ يُسَخِّطُونَ مَنْ يُرْضِيهِمْ
قد سَبَّنا وما أَتَّنا وكانوا يوم لا يَسْتَبْتُونَ لا تَأْتِيهِمْ
فاتَّصل ذلك بالناجم ، فكتب إلى ابن الرومي :

من الناجم إلى
ابن الرومي

أبا حسن أنتَ مَنْ لا تزا لُ نَحْمَدُ فِي الْفَضْلِ رُجْحَانَهُ
فكم تُحَسِّنُ الظَّنَّ بِالْمُرْتَدِّ وقد قَلَّلَ اللهُ إِحْسَانَهُ
ألم تَدْرِ أَنَّ الْفَتَى كَالسَّرَابِ إِذَا وَعَدَ الْوَعْدَ إِخْوَانَهُ
فَبَجَرَ السَّرَابِ يَفُوتُ الطَّلُوبَ فَقُلْ فِي طِلَابِكَ حَيَاتَانَهُ

وخرج ابنُ الرومي إلى بعض المنزهات وقصدوا كَرَمًا رَازِقِيًّا ، فشرَبوا
هناك عَامَّةً يَوْمَهُمْ ، وكانوا يَتَهَمُونَهُ فِي شَعْرِهِ ، فقالوا : إن كان ما تُشِدُّنا لَكَ
فَقُلْ فِي هَذَا شَيْئًا ، فقال : لا تَرِيْمُوا حَتَّى أَقُولَ فِيهِ ، وأنشدهم لوقته :

لابن الرومي
يصف العنب
الرازقي

ورازقِيٌّ مُخْطَفِ الْخُصُورِ كَأَنَّهُ مَخْازِنُ الْبُلُورِ
قد ضُمَّتْ مَسْكَاً إِلَى الشُّطُورِ وَفِي الْأَعَالَى مَاءٌ وَرْدٍ جُورِيٍّ (١)
بلا فَرِيدٍ وَبلا شُدُورٍ لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ (٢)
وَبَرْدٌ مَسَّ الْخِصْرَ الْمُقْرُورِ وَنَكْهَةُ الْمِسْكِ مَعَ الْكَافُورِ (٣)
ورقة الماءِ عَلَى الصَّدُورِ بَاكَرَتْهُ وَالطَّيْرُ فِي الْوُكُورِ
بِفَتْيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ أَمْسَلًا لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُدُورِ
حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذَّرُورِ (٤)

(١) جورى : نسبة إلى جور ، وهى مدينة فيروزاباد

(٢) من «شار العسل يشوره» أى جناه

(٣) من الخصر - بالتحريك - وهو البرد ، والقر - بالضم - ومعناه البرد أيضا

(٤) الذرور : الطلوع ، والناطور : حافظ الكرم والنخل

فَانْحَطَّ كَالطَّائِرِ مِنَ الصُّقُورِ بِطَاعَةِ الرَّائِبِ لَا الْمَقْهُورِ
 وَالْحَرْثُ عَبْدُ الْحَلَبِ الْمَشْطُورِ حَتَّى أَتَانَا بِضُرُوعِ حُورِ ^(١)
 مَمْلُوءَةٍ مِنْ عَسَلٍ مَحْصُورِ وَالطَّلُّ مِثْلُ التَّوَلُّوِ الْمَشُورِ
 ثُمَّ جَلَسْنَا جِلْسَةَ الْمَجْهُورِ بَيْنَ حِفَافِي جَدُولِ مَسْجُورِ ^(٢)
 أَيْبُضٌ مِثْلُ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ أَوْ مِثْلُ مَتْنِ الْمُنْصَلِ الْمَشْهُورِ ^(٣)
 يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطِي شَجَرِ مَسْطُورِ ^(٤)
 نَاهِيكَ لِلْعُقُودِ مِنْ ظُهُورِ فَنِيَلَتِ الْأَوْطَارُ فِي سُرُورِ
 وَكُلُّ مَا يُقْضَى مِنَ الْأُمُورِ تَعَلَّةٌ مِنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
 وَمُتَعَةٌ مِنْ مُتَعِ الْغُرُورِ

ألفاظ تناسب هذا النحو لأهل العصر في صفات الفواكه والثمار

كَرَّمْ نُسْلِفُهُ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ، وَيَقْضِينَا أُمّهَاتِ الرَّاحِ. عَنْقُودٌ كَالثَّرِيَّةِ، وَعَنْبٌ
 كَمَخَازِنِ الْبَلُورِ، وَضُرُوبِ الثُّورِ، وَأَوْعِيَةِ السَّرُورِ. أُمّهَاتِ الرَّحِيقِ، فِي مَخَازِنِ
 الْعَقِيقِ. نَخْلٌ نُسْلِفُهُ الْمَاءَ، وَيَقْضِينَا الْعَسْلَ. رُطَبٌ كَأَنَّهَا شُهْدَةٌ بِالْعَقِيقِ مُقْتَنَّةٌ،
 وَبِالْعَقِيقَانِ مُقْتَنَّةٌ. رُمَّانٌ كَأَنَّهُ صُرَّرَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ. سَفَرَجُلٌ يَجْمَعُ طَيِّبًا، وَمَنْظَرًا
 حَسَنًا عَجِيبًا، كَأَنَّهُ زَيْبِرٌ ^(٥) الْخَزَّ الْأَغْبَرُ، عَلَى الدِّيْبَاحِ الْأَصْفَرِ. تَفَّاحٌ تَفَّاحٌ ^(٦)،
 يَجْمَعُ وَصْفَ الْعَاشِقِ الْوَجَلِ، وَالْمَعْشُوقِ الْخَجَلِ، لَهُ نَسِيمُ الْعَبِيرِ، وَطَعْمُ السَّكَّرِ،
 رَسُولُ الْحُبِّ، وَشَبِيهِ الْحَلِيبِ. تَيْنٌ كَأَنَّهُ سَفَرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى عَسَلٍ. مَشْمَشٌ
 كَأَنَّهُ الشَّهْدُ فِي بَيَادِقِ الذَّهَبِ.

(١) جمع أحور (٢) المحبور : المسرور ، ومسجور : مملوء

(٣) المهرق : الصحيفة (٤) السباط : الصف

(٥) الزئبر - بكسر الزاي وسكون الهمزة وكسر الباء الموحدة - هو ما يظهر من

درز الثوب (٦) ينفخ بالرائحة العطرة

[بعض ما جاء في وصف الليل]

قال بعضُ الرواة : أنشدت أعرابيا قولَ جرير بن عطية بن الحطّاف :
أَبْدَلَ اللَّيْلُ لَاتَسْرِي كَوَاكِبُهُ أَمْ طَالَ حَتَّى حَسِبْتَ النَّجْمَ حَيْرَانَا
فقال : هذا حسنٌ في معناه ، وأعوذ بالله من مثله ؛ ولكنني أنشدك في ضده
لأعرابي في
صف ليل لقاء
من قولي ، وأنشدني :

وليلٍ لم يُقْصِرْهُ رُقَادٌ وَقَصَّرَ طَوْلَهُ وَصَلُّ الحبيبِ
نَعِيمُ الحُبِّ أَوْ رَقَ فِيهِ حَتَّى تَنَاوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبِ
بِمَجْلَسٍ لَذَّةٍ لَمْ تَقْوِ فِيهِ عَلَى شَكْوَى وَلَا عَدَّ الذُّنُوبِ
بَحْلُنَا أَنْ نَقْطَعَهُ بِلَقْظٍ فَتَرَجَمَتِ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ

فقلت له : زدني ، فما رأيت أظرف منك شعراً ؛ فقال : أمّا هذا الباب
لأعرابي يصف
وفاءه لصاحبه
فحسبك ، ولكن أنشدك من غيره :

وَكُنْتُ إِذَا عَلِقْتُ حَبَالَ قَوْمٍ صَحْبَتُهُمْ وَشَيْدَتِي الْوَفَاءُ
فَأَحْسَنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُهُمْ وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا
أَشَاءُ سِوَى مَشِيَّتِهِمْ فَآتِي مَشِيَّتَهُمْ وَأَتْرَكُ مَا أَشَاءُ

قال الأصمعي : قرأتُ على أبي مُحَذَّرٍ خَلْفَ بْنِ حَيَّانٍ الْأَحْمَرِ شِعْرَ جَرِيرٍ ،
لجرير يصف
يوم صيد
فلما بلغت إلى قوله :

وَيَوْمَ كَأَيْهَامِ الْقَطَاةِ مُحَبَّبٍ إِلَى صَبَاءٍ غَالِبٍ لِي بِأَطْلُهُ
رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْعَزِيزَ وَلَمْ نَكُنْ كَمَنْ نَبَلَهُ مُحَرُّومَةً وَحَبَايِلُهُ
فِيَالِكَ يَوْمٍ خَيْرُهُ قَبْلَ شَرِّهِ تَغَيَّبَ وَاشْيَهُ وَأَقْصَرَ عَاذِلُهُ

فقال خالف : وَيَحَهُ ! فما ينفعه خيرٌ يؤول إلى شرٍّ ؟ فقلت له : كذا
قرأته على أبي عمرو بن العلاء ، فقال لي : وكذا قال جرير ، وما كان أبو عمرو
ليتروك إلا ما سمع ، قلت : فكيف كان يجب أن يكون ؟ قال : الأجود أن

يقول : خيرُهُ دون شرِّه ، فَأَرَوْهُ كذلك ، فقد كانت الرواة قديماً تُصْلِحُ أشعارَ الأوائل ، فقلت : والله لا أرويه بعدها إلاَّ كذا .

لإبراهيم بن
العباس يصف
قصر الليل

ومن أجود ما قيل في قِصْرِ الليل قول إبراهيم بن العباس :
وليلةٍ من الليالى العُرِّ قابلتُ فيها بَدَرَهَا ببدري
لم تَكُ غيرَ شفقٍ وفَجَرٍ حتى تَقَضَّتْ وهى بِكُرِّ الدَّهْرِ

للأصبهاني
يصف يوم لهُو

وقال محمد بن أحمد الأصبهاني فيما يتعلق بهذا المعنى وإن كان في ذكر النهار :

كيف يُرْجَى لِمُتَلَتَّى هُدُوٍّ ورُقَادَى لَطَرْفِ عَيْنِي عَدُوٍّ
بأبى مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ بِيَوْمٍ لم يَزَلْ للسرورِ فيه نَمُوٍّ
يومَ لهُوٍ قَدْ التَقَى طَرْفَاهُ فَكَانَ العَشِيِّ فِيهِ غُدُوٍّ
إِذْ لَشَخْصٍ الرَقِيبِ فِيهِ نَنَاءٌ وَلِبَدْرِ السَّمَاءِ مِنِّي دُنُوٍّ

لابن المعتز
يصف ليل
سرور

وقال ابن المعتز :

يا رب ليلٍ سَحَرَهُ كُلُّهُ مَفْتَضَحِ البَدْرِ عَلِيلِ النَّسِيمِ
تَلْتَقِطُ الأَنْفَاسُ بَرْدَ النَّدَى فِيهِ فَمَهْدِيهِ لِجَرِّ المَهْمُومِ
لا أَعْرِفُ الإِصْبَاحَ لَمَّا بَدَا فِي ضَوْئِهِ إِلاَّ بِسُكْرِ النَّدِيمِ
لَبَسْتُ فِيهِ بِالتَّذَاقُصِ الهَوَى وَلَذَّةِ الرِّيحِ ثِيَابَ النِّعَمِ

(١) وصف منبج

بين الرشيد
وعبد الملك بن
صالح

أخذ قوله : « سَحَرَهُ كُلُّهُ » من قول عبد الملك بن صالح بن عليّ ، وقد قال له الرشيد لما دخل منبج : أهذا منزلك ^(٢) ؟ قال : هو لك ، ولي بك يا أَمِيرَ المؤمنين ، قال : كيف بناؤه ؟ قال : دون منازل أهلى ، وفوق منازل الناس ، قال :

(١) بلد قديم ينسب إليه كثير من الشعراء أشهرهم البجترى وأبو فراس

(٢) رواية ياقوت : « أهذا البلد منزلك ؟ »

وكيف ذلك وقَدْرُك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خُلِقَ أمير المؤمنين أُنَاسَى به،
وأَقْفُو أُنْرَد، وأَخْذُو حَذْوَهُ، قال: فكيف طِيبُ مَنْمِج؟ قال: عَذَبَةُ الماء،
قليلة الأدواء، قال: فكيف لَيْلُهَا؟ قال: سحر كله^(١)؟

لأبي تمام

وأخذ هذا الطائي فقال:

أَيَامَنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ، وَالْيَالِي كُلُّهَا أَسْحَارُ

ولأهل العصر، قال أبو علي محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمي:

للحاتمي

يَا رَبَّ لَيْلٍ سُرُورٍ خِلْتَهُ قِصْرًا كَعَارِضِ الْبَرْقِ فِي أَفْقِ الدُّجَابِرِ قَا
قَدْ كَادَ يَعِثُرُ أَوْلَاهُ بِآخِرِهِ وَكَادَ يَسْبِقُ مِنْهُ فَجْرُهُ الشَّفَقَا
كَأَنَّ طَرَفَاهُ طَرَفُ انْفِقِ الْجَفْنَانِ مِنْهُ عَلَى الْإِطْبَاقِ وَافْتِرَاقَا

ألفاظ في هذا المعنى لأهل العصر

ليلةٌ من حسنات الدهر، هواؤها صحيح، ونسيمها عليل. ليلة كُبُرْدِ
الشباب، وبردِ الشراب. ليلة من ليالي الشباب، فضيئة الأديم، مسكّية
النسيم. ليلة هي لُمةُ العمر، وغرّة الدهر. ليلة مسكّية الأديم، كافورية النجوم.
ليلة رَقَدَ الدهر عنها، وطلعت سعودها، وغابت عذالها. ليلة كالمسك منظرها
ومخبّرها. ليلة هي باكورة العمر، وبكرُ الدهر. ليلة ظلماتها أنوار، وطوال
أوقاتها قصار.

(١) زاد ياقوت في معجم البلدان «قال: صدقت، إنها طيبة، قال: بل طابت بأمر
المؤمنين، وأين يذهب بها عن الطيب؟ وهي برة حمراء، وسنبلة صفراء، وشجرة خضراء، في
فيف فيح، بين قيصوم وشيح؟» قال الرشيد: هذا الكلام والله أحسن من الدر النظيم

[سعيد بن هريم ، وصِلته بالفضل بن سهل]

كان سببُ اتصال سعيد بن هُرَيْم بِذِي الرِّياسَتَيْنِ الْفَضْلِ (١) - وسُمي ذا الرِّياسَتَيْنِ لأنه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون - أنه دخل عليه يوماً ، فقال : « الْأَجَلَ آفَةُ الْأَمَلِ ، والمعروفُ ذُخْرُ الْأَبَدِ ، والبرُّ غَنِيمةُ الْحَازِمِ ، والتفريطُ مَصِيبَةُ أَخِي الْقُدْرَةِ ، وإِنَّا لَمْ نَصْنُ وَجوهَنَا عَنْ سؤَالِكَ ، فَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّنا ، وَضَعْنَا مِنْ إِحْسَانِكَ بَحِثَ وَضَعْنَا أَنْفُسَنَا مِنْ تَأْمِيلِكَ » .

فأمر أن يُكْتَبَ كَلَامُهُ ، وسماه سعيداً الناطق ، ووصله المأمون (٢) فخصَّ به . فلحقته في بعض الأوقات جَفَوَةٌ مِنَ الْفَضْلِ ، فكتب إليه : « يَا حَافِظَ مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ عِنْدَهُ ، وَيَا ذَا كَرَمٍ مَنْ نَسِيَ نَصِيْبِهِ مِنْهُ ، لَيْسَ كِتَابِي إِذَا كُتِبَتْ اسْتِبْطَاءً ، وَمَا إِسْكَاتِي إِذَا أَمْسَكَتُ اسْتِغْنَاءً ؛ فَكُتِبَتْ مَذْكَراً لِمُسْتَقْصراً فَعَلَاكَ » فوصله وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ

وقد رَوَى بعضُ هذا الكلام المنسوب إلى سعيد بن هريم لأبي حفص الكرماني مع ذِي الرِّياسَتَيْنِ .

ويقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

للتيمي يمدح
الفضل بن سهل

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَإِنْ عَظُمُوا لِلْفَضْلِ إِلَّا صَنَائِعُ
تَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَعًا إِذَا مَا بَدَأَ ، وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً وَكُلُّ جَلِيلٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

وقال إبراهيم بن العباس :

لإبراهيم بن
العباس يمدح
الفضل

لفضل بن سهل يد تقاصر عنها المشل

(١) هو الفضل بن سهل ، ولد سنة ١٥٤ في سرخس ، وتوفي بهاسنة ٢٠٢ ، اتصل بالمأمون في صباه ، وأسلم على يده سنة ١٩٠ ، وصحبه قبل أن يلي الخلافة ، فلما وليه جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً . وقد مات قتيلاً في الحمام وهو في سرخس . وقيل : إن المأمون أعان على قتله ليخلص من سلطانه (٢) كذا ، ولعله « ووصله بالمأمون » (م)

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ
وَبَسْطُهَا لِلْغنى وَسَطْوَتُهَا لِلْأَجْلِ

أخذه ابن الرومي فقال لإبراهيم بن المدبر :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ ضَرَاةٍ وَتَجْمَلٍ وَالْمَسْرَةِ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا

فَامْدَدَ إِلَى يَدَا تَعْوَدَ بَطْنُهَا بِذَلِ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْبِيلَا

وقال يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وزاد في هذا المعنى تشبيها ظريفاً :

مَقْبَلُ ظَهْرِ الْكَفِّ وَهَابُ بَطْنِهَا لَهَا رَاحَةٌ فِيهَا الْحَطِيمُ وَزَمْزَمُ

فَظَاهِرُهَا لِلنَّاسِ رُكْنٌ مَقْبَلٌ وَبَاطِنُهَا عَيْنٌ مِنَ الْعُرْفِ عَيْلِمُ^(١)

وكان ذو الرياستين يَقْبَلُ صَوَابَ الْقَائِلِينَ بِمَا فِي قُوَّتِهِ مِنْ صَفَاءِ الْغَرِيزَةِ ،

وَجُودَةِ النَّحِيزَةِ^(٢) فهو كما قال أبو الطيب :

مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ نَذِيهَ يَضَعُ الثَّوبَ فِي يَدَيْ بَرَّازٍ

وكانت مخايل فضاه ، ودلائل عقله ، ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين

المجوسية ، فقال له : أَسْلِمَ أَجْدُ السَّبِيلِ إِلَى اصْطِنَاعِكَ ، قال : فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ

الْمَأْمُونِ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي جَنَّتَيْهِ^(٣) ، إِلَى أَنْ رَقِيَ إِلَى رُتْبَتِهِ .

وذكره يحيى عند الرشيد فَأَجْمَلَ الثَّناء ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَفْجَحِمَ ؛ فَنَظَرَ

الرَّشِيدَ إِلَى يَحْيَى كَمَا اسْتَفْهَمَ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى

فَرَاهَةِ الْمَمْلُوكِ أَنْ تَمْلِكَ هَيْبَةً مَوْلَاهُ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : لَئِنْ كُنْتُ

سَكَتَ لَكَي تَقُولَ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنْتَ ، وَلَئِنْ كَانَ هَذَا شَيْئًا اعْتَرَاكَ عِنْدَ الْحَصْرِ

لَقَدْ أَجَدْتَ ؛ وَزَادَ فِي إِكْرَامِهِ وَتَقْرِيبِهِ ، وَجَعَلَ لَا يَسْأَلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا

أَجَابَهُ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ ، وَأَجُودِ بَيَانٍ .

(١) عيلم : كثيرة الماء ، والعيلم أيضاً : البحر

(٢) النحيزة : الطبيعة

(٣) جنبته جا : نبه (م) .

قال سهل بن هارون : ومما حُفِظَ من كلام ذي الرياستين مما رأينا تحييده
في السكتب : لِيُؤْتَمَّ بِهِ ، وَيُنْتَفَعَ بِمَقُولِ حَكَمَتِهِ ، قَوْلُهُ : مَنْ تَرَكَ حَقًّا فَقَدْ غَنِيَ
حَقًّا ، وَمَنْ قَضَى حَقًّا فَقَدْ أَحْرَزَ غَنًّا ، وَمَنْ أَتَى فَضْلًا فَقَدْ أَوْجَبَ شُكْرًا ،
وَمَنْ أَحْسَنَ تَوَكُّلاً لَمْ يَعدِمِ مِنَ اللَّهِ صُنْعًا ، وَمَنْ تَرَكَ لِلَّهِ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ لِمَا تَرَكَ
قَقْدًا ، وَمَنْ اِتَّمَسَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ حَمْدًا عَادَ ذَلِكَ عَلَى مُلْتَمَسِهِ ذِمًّا ، وَمَنْ طَلَبَ
بِخِلَافِ الْحَقِّ لَهُ دَرَكَ عَادَ مَا دُرِكَ مِنْ ذَلِكَ لَهُ مُوْبِقًا^(١) ؛ وَذَلِكَ أَوْجَبُ الْفَلَاحِ
لِلْمُحْسِنِينَ ، وَجَعَلَ سُوءَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسِيئِينَ الْمُقْصِرِينَ .

وَوَقَعَ فِي رُقْعَةٍ سَاعٍ : نَحْنُ نَرَى قَبُولَ السَّعَايَةِ شَرًّا مِنْهَا ؛ لِأَنَّ السَّعَايَةَ
دَلَالَةٌ ، وَالْقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وَلَيْسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ؛
فَاتَّقُوا السَّاعِيَ ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا لَكَانَ فِي صِدْقِهِ آثَمًا ؛ إِذْ لَمْ يَحْفَظْ
الْحُرْمَةَ ، وَلَمْ يَسْتِرْ الْعَوْرَةَ .

والشَّيْءُ يُقَرَّنُ مَعَ جَنْسِهِ : كَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ،
وَكَانَ وَالِيَا عَلَى أَرْمِينِيَةِ لِلرَّشِيدِ : إِنْ قَوْمًا صَارُوا إِلَى سَبِيلِ التُّصَحُّحِ فَذَكُرُوا ضِيَاعًا
بَأَرْمِينِيَةِ قَدْ عَفَتْ وَدَرَسَتْ^(٢) ، يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى السُّلْطَانِ مَالٌ عَظِيمٌ ، وَإِنِّي وَقَفْتُ
عَنِ الْمَطَالِبَةِ حَتَّى أَعْرِفَ رَأْيَكَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : قَرَأْتُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ الْمَذْمُومَةَ ، وَفَهَّمْتُهَا ، وَسَوَّقْتُ السَّعَايَةَ
بِحَمْدِ اللَّهِ فِي أَيَّامِنَا كَاسِدَةٍ ، وَالسَّيْنَةَ السَّعَايَةَ فِي أَيَّامِنَا كَلِيلَةٍ خَاسِئَةٍ ؛ فَإِذَا قَرَأْتَ
كِتَابِي هَذَا فَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَى قَانُونِكَ ، وَخُذْهُمْ بِمَا فِي دِيوَانِكَ ؛ فَإِنَّا لَمْ نُوَلِّكَ
النَّاحِيَةَ ، لِتَتَّبِعَ الرُّسُومَ الْعَافِيَةَ ، وَلَا لِإِحْيَاءِ الْأَعْلَامِ الدَّائِرَةِ ، وَجَنْبِي وَتَجَنَّبْ
بَيْتَ جَرِيرٍ يَخَاطِبُ الْفَرَزْدَقَ :

(١) الدُّرْكُ - بِالْتَحْرِيكِ - اللَّحَاقُ ، وَالْمُؤَبَّقُ : الْمُهْلِكُ (م)

(٢) عَفَتْ وَدَرَسَتْ : كَلَاهَا بِمَعْنَى ذَهَبَتْ مَعَالِمُهَا (م)

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارِ فَوْعٍ رَحَلْتَ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
وَأَجَرِ أُمُورِكَ عَلَى مَا يَكْسِبُ الدُّعَاءَ لَنَا لَا عَلَيْنَا ، وَاعْلَمْ أَنَّهَا مَدَّةٌ تَنْتَهَى ،
وَأَيَّامٌ تَنْقَضِي ، فَإِمَّا ذِكْرٌ جَمِيلٌ ، وَإِمَّا خِزْيٌ طَوِيلٌ .

رجل يريد أن
ينصح المهدي

وَقَالَ رَجُلٌ لِمَهْدِي: عِنْدِي نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : لِمَنْ نَصِيحَتُكَ
هَذِهِ ؟ لَنَا ، أَمْ لِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) ، قَالَ :
لَيْسَ الدَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةً وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَبْلِ سَعَايَتِهِ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ أَنْ
تَكُونَ حَاسِدَ نِعْمَةٍ ، فَلَا تَشْفِي غَيْظَكَ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا نَعَاقِبُ لَكَ عَدُوًّا ! ثُمَّ
أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا فِيهِ لِلَّهِ رِضًا ، وَلِلْمُسْلِمِينَ صَلَاحٌ ؛
فَإِنَّمَا لَنَا الْأَبْدَانُ وَلَيْسَ لَنَا الْقُلُوبُ ؛ وَمَنْ اسْتَتَرَ عَنَّا لَمْ نَكْشِفْهُ ، وَمَنْ بَادَانَا طَلَبْنَا
تَوْبَتَهُ ، وَمَنْ أَخْطَأَ أَقْلَنَّا عَثَرَتَهُ ؛ فَإِنِّي أَرَى التَّأْدِيبَ بِالصَّفْحِ أَبْلَغَ مِنْهُ بِالْعُقُوبَةِ ،
وَالسَّلَامَةَ مَعَ الْعَفْوِ أَكْثَرُ مِنْهَا مَعَ الْمُعَاجَلَةِ ، وَالْقُلُوبُ لَا تَبْقَى لِوَالٍ لَا يَنْعُطِفُ إِذَا
اسْتَعِطِفَ ، وَلَا يَعْفُو إِذَا قَدَّرَ ، وَلَا يَغْفِرُ إِذَا ظَفَرَ ، وَلَا يَرْحَمُ إِذَا اسْتَرْحَمَ .

وَوَقَعَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ إِلَى تَمِيمِ بْنِ خُزَيْمَةَ : الْأُمُورُ بِتَمَامِهَا ، وَالْأَعْمَالُ بِمَحْوَاتِمِهَا ،
وَالصَّنَائِعُ بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَإِلَى الْغَايَةِ يَجْرِي الْجَوَادُ ؛ فَهَنَّاكَ كَشَفَتْ الْخُبْرَةُ قِنَاعَ
الشَّكِّ ؛ فَحَمْدُ السَّابِقِ ، وَذَمُّ السَّاقِطِ

بعض توقعات
الفضل بن سهل

وذو الرياستين هو القائل :

أُضْيِيتِ أَحْرَفَ «لَا» مِمَّا لَفَظْتَ بِهَا فُحْشِي رَحَلَهَا عَنَّا إِلَى نَعَمٍ
أَوْ صَيَّرِيهَا إِلَيْهَا مِنْكَ مَنَعَةً إِنْ كُنْتَ حَاولْتَ فِيهَا خِيفَةَ الْكَلِمِ ^(٢)

(١) لَمْ تَرَفِي الْأَصْلَ ذِكْرًا لِلنَّصِيحَةِ . وَالظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ الْمَهْدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ «النَّاصِحُ»
ذَكَرَ أَصْحَابَ الْمَهْدِيِّ بِسَوْءٍ ؛ فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : لَيْسَ السَّامِعُ الْحُ . فَلْيَلَاظِ الْقَارِءُ
تِلْكَ الْجُمْلَةَ الَّتِي ضَاعَتْ لِيُظْهِرَ لَهُ رِبْطَ الْكَلَامِ . قُلْتُ : لَيْسَ هَذَا بِلَازِمٍ ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ الْمَهْدِيُّ قَدْ قَطَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى بِمَا أَجَابَ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ (م)

(٢) الضَّمِيرُ فِي صَيَّرِيهَا «يَعُودُ إِلَى «لَا» وَفِي «إِلَيْهَا» يَعُودُ إِلَى «نَعَمْ» وَكَأَنَّهُ
قَالَ : صَيَّرِي لَا إِلَى نَعَمْ (م)

قَسَّمُ عَلَيْنَا فَعَارَضْنَا قِيَاسَكُمْ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ
ولما قتل ذو الرياستين دخل المأمونُ على أمِّه فقال : لَا تَجْزَعِي فَإِنِّي ابْنُكَ
بعد ابنك . فقالت : أَفَلَا أَبْكِي عَلَى ابْنٍ أَكُسَبَنِي ابْنًا مِثْلَكَ ؟
[بعض أوصاف الخليل]

ووصف ابن القرية^(١) فرساً أهداه الحجاجُ إلى عبد الملك بن مروان فقال : لابن القرية
حَسَنُ الْقَدِّ ، أَسِيلُ الْخَدِّ ، يسبق الطَّرْفَ ، ويستغرق الوَصْفَ .

وأهدى عبد الله بن طاهر إلى المأمون فرساً وكتب إليه : قد بعثتُ إلى
أمير المؤمنين بفرسٍ يلحق الأرانب في الصَّعداء ، ويجاوزُ الظُّباءَ في الاستواء ،
ويسبق في الحُدُور جرَى الماء ، فهو كما قال تأبط شراً :

وَيَسْبِقُ وَفَدَّ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّهِ الْمُتَدَارِكِ

وقال رجل لبعض النخاسين : اشتر لي فرساً جيِّدَ القَميصِ ، حَسَنَ
الفُصوصِ ، وثيقَ القَصَبِ ، نَقِيَّ العَصَبِ ، يُشِيرُ بِأُذُنَيْهِ ، وَيَنْدِسُ بِرِجْلَيْهِ^(٢) ،
كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ .

جمع محمد بن الحسين^(٣) هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ وزاد فقال يصف فرساً : هُوَ حَسَنُ
القَميصِ ، جَيِّدُ الفُصوصِ ، وَثِيقُ القَصَبِ ، نَقِيَّ العَصَبِ ، يُبْصِرُ بِأُذُنَيْهِ ،
وَيَتَبَوَّعُ بِيَدَيْهِ^(٤) ؛ وَيُدْأَخِلُ بِرِجْلَيْهِ ، كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ ، أَوْ سَيْلٌ فِي حَدُورٍ ،
يَنَاهِبُ الْمَشَى قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبَلْحَقِ الْأَرَانِبِ فِي الصَّعْدَاءِ ، وَيجاوزُ جَوَارِي
الظُّبَاءِ فِي الْاِسْتَوَاءِ ، وَيَسْبِقُ فِي الْحُدُورِ جَرَى الْمَاءِ ، إِنْ عُطِفَ جَارَ ، وَإِنْ أُرْسِلَ
طَارَ ، وَإِنْ كَلَّفَ السَّيْرَ أَمْعَنَ وَسَارَ ، وَإِنْ حُبِسَ صَقَنَ^(٥) ، وَإِنْ اسْتَوْقَفَ فُطِنَ ،
وَإِنْ رَعِيَ ابْنٌ^(٦) ؛ فهو كما قال تأبط شراً ، وذكر البيت .

(١) هو أيوب بن زيد التتوفى سنة ٨٤ هـ (٢) يندس : يضرب (٣) سماه النويري
في نهاية الأرب (٦٩/١٠) محمد بن الحسن بن الحرون (م) (٤) التبوع : إبعاد خطو الفرس
في جريه (٥) صفن الفرس : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة (٦) ابن : ترقب

آيات لتأبط

شرا

وأول هذه الآيات :

وإني لمَهْدٍ من ثَنَائِي فَقَاصِدُ
أَهْزُ بِهِ فِي نَدْوَةِ الْحَيِّ عِطْفَهُ
قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْعِلْمِ يُصِيبُهُ
يَظَلُّ بِمَوْمَاةٍ وَيُنْسِي بَغِيرَهَا
وَيَسْبِقُ وَقَدْ الرِّيحُ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي
إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النُّومَ لَمْ يَزَلْ
إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْعَدُوِّ فَفَنَرُهُ
وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ رَيْبَةً قَلْبُهُ
إِذَا هَزَّهٗ فِي عَظَمِ قِرْنٍ تَهَلَّلَتْ
بِرَى الْوَحْشَةِ الْأَنْسِ الْأَنْسِ وَيَهْتَدِي
بِهِ لِابْنِ عَمِّ الصَّدَقِ شَمْسِ بْنِ مَالِكٍ
كَمَا هَزَّ عَطْفِي بِالْهَجَانِ الْأَوَارِكِ^(١)
كَثِيرُ الْهَوَى شَتُّ النُّوَى وَالْمَسَالِكِ
جَجِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَهَالِكِ^(٢)
بُنْخَرِقُ مِنْ شَدِّهِ الْمَتَدَارِكِ
لَهُ كَالِيٍّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانِ فَاتِكِ^(٣)
إِلَى سَلَّةٍ مِنْ صَارِمِ الْغَرْبِ بَاتِكِ
إِلَى ضَرْبَةٍ مِنْ حَدِّ أَخْفَى صَائِكِ^(٤)
نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الضَّوَّاحِكِ
بَحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ^(٥)

عقبة بن سنان

يصف خيلا

أهداها عمرو

ابن العاص

لمعاوية

وأهدى عمرو بن العاص إلى معاوية ثلاثين فرساً من سوابق خيل مصر ،
فعرّضت عليه ، وعندده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي ، فقال له معاوية : كيف
ترى هدايانا يا أبا سعيد ؟ فإن أخاك عمراً قد أظنّب في وصفها ، فقال : أراها
يا أمير المؤمنين على ما وصف ، وإنها لمُخَيَّلَةٌ^(١) بكل خير ؛ إنها لَسَائِمِيَّةُ الْعُيُونِ ،
لاحقة البطون ، مصغية الآذان ، قَبَاءُ الْأَسْنَانِ^(٢) ، ضِخَامُ الرُّكَبَاتِ ، مشرفات

(١) الندوة : المجتمع ، والهجان : الإبل الكريمة ، والأوارك : راعية الأراك

(٢) المومة : المفازة ينعدم فيها الماء ، وججيش : منفرد ، ويعروري : يركب

على العرى ، يريد أنه يركب ظهور المهالك بلا سرج وهو تعبير بدوي

(٣) الكلي : الحافظ ، والشيجان : الحازم ، يريد أن قلبه يقظ وإن نامت

عينه ، وفي الأصل « سبجان »

(٤) الربيثة : الرقيب ، والصائك : القاطع ، وفي الأصل « صابك »

(٥) أم النجوم الشوابك : هي الشمس (٦) مخيلة : مبشرة (٧) قباء : لها صرير

الحجبات^(١)، رَحَابُ الْمَنَاحِرِ، صِلَابُ الْخَوَافِرِ، وَقَعْمُهَا تَحْلِيلٌ، وَرَفْعُهَا تَعْلِيلٌ^(٢)
فهذه إِنْ طُلِبَتْ سَبَقَتْ، وَإِنْ طُلِبَتْ لَحِقَتْ. قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: أَصْرَفَهَا إِلَى
رَحْلِكَ؛ فَإِنْ بَنَى عَنْهَا غَنَى، وَبَفْتِيَانِكَ إِلَيْهَا حَاجَةٌ.

لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدَى

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدَى:

وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نُعَوِّدُ خَيْلَنَا إِذَا مَا التَّقَيْنَا أَنْ تَحْمِيدَ وَتَنْفِرَا
وَنُنْكَرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسَبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا^(٣)
فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحًا، وَلَا مُسْتَنْكَرٌ أَنْ تُعَقَّا

لِبَعْضِ الْعَرَبِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(٤)
فَدَعَا: نَزَالٍ! فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ
وَوَصَفَ أَعْرَابِي فَرَسًا فَقَالَ: لَمَّا أُرْسِلْتَ الْخَيْلَ جَاءُوا بِشَيْطَانٍ فِي أَشْطَانِ^(٥)،
فَأَرْسَلُوهُ، فَلَمَعَ لَمَعُ الْبَرْقِ، وَاسْتَهْلَّ اسْتِهْلَالَ الْوَدْقِ^(٦)، فَكَانَ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ
الَّذِي يَتَعُ عَيْنَهُ مِنْ بُعْدٍ عَلَيْهِ.

لِأَعْرَابِي

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ: عِنْدَهُ فَرَسٌ طَوِيلُ الْعِذَارِ، أَمِينُ الْعِثَارِ؛
فَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ ظَنَنْتُهُ بَازِيًا عَلَى مَرَبَأٍ، عَلَيْهِ رُمُحٌ طَوِيلٌ يَقْصُرُ بِهِ الْأَجَالُ.
وَقَالَ بَعْضُ الْحَدِيثِينَ فِي هَذَا التَّطَابُقِ:

لِأَعْرَابِي

لَتَقِينَاهُمْ بِأَرْمَاحٍ طَوَالٍ تُبَشِّرُهُمْ بِأَعْمَارٍ قِصَارٍ

- (١) جمع حجة - بالتحريك - وهى من الفرس ما أشرف على صفاء البطن من وركيه - (٢) التحليل والتعليل: من حركات الخيل
(٣) الجون: الأسود (٤) الأوظفة: جمع وظيف، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها، والهيكل: الفرس الطويل
(٥) الأشطان: جمع شطن - بالتحريك - وهو الجبال (٦) الودق: المطر

أعرابي يصف : ووصف أعرابي خيلا لبني يربوع فقال : خرجت علينا خيل من مستطير
خيلى يربوع نَقَعُ^(١) ، كأن هَوَادِيَهَا أعلام ، وأذَانُهَا أَقلام ، وفرسانها أسود آجام^(٢) .

ولما أنشد العماني الرشيد يصف فرسا :

كَأَنَّ أذُنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

ولحن ، ففهم ذلك أكثر من حضر ؛ فقال الرشيد : اجعل مكان « كأن »
تَحَال ، فعجبوا لسُرْعَةِ تَهْدِيهِ .

للطائيين في هذا النوع أشعار كثيرة منعت من اختبارها كثرة اشتهاها ؛
يصف فرسا : وسأشدد بعض ذلك ، قال أبو تمام :

ما مُقَرَّبٌ ^(٣) يَحْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ	مَلَانٍ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلْهُوقٍ ^(٤)
بِخَوَافِرِ حُفْرِ وَصَلَتْ أَصْلَتِ ^(٥)	وَأَشَاعِرِ شُعْرِ ^(٦) وَخَلَقِ أَخْلَقِ
ذُو أَوْلَقٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ ، وَإِنَّمَا	مِنْ صَحَّةٍ إِفْرَاطُ ذَلِكَ الْأَوْلَقِ ^(٧)
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسَتْهُ	مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتَبْرَقٍ
إِمْلِيسَةً إِمْلِيدَةً لَوْ عُلِّقَتْ	فِي صَهْوَتِيهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَعَلَّقْ ^(٨)
مُسَوَّدَ شَطْرِ مِثْلِ مَا سَوَّدَ الدَّجَى	مَبْيُضَ شَطْرِ كَايِبِضَاضِ الْمُبْرِقِ ^(٩)

(١) النقع : غبار الحرب

(٢) الآجام : جمع أجمة - بفتحات - وهي مسكن الأسود (م)

(٣) المقرب والمقربة - على صيغة المنعول - الفرس التي تدنى وتقرّب لئلا يطرقها

فحل لثيم (٤) التلهوق : بريق البياض في الفرس (٥) الصلت : اتّبين الواضح

(٦) الأشاعر : جمع أشعر ، وهو ما استدار بالحافر من منتهى الجلد

(٧) الأولق : الجنون (٨) الصهوة : موضع المرج من الفرس ، والشاعر

يصف الفرس بأنه إمليسة إمليدة أى ناعم الملمس براق .

(٩) المهرق : الصحيفة

وقال أبو عبادة :

للبحثري يصف
فرسا

وأَغَرَّ في الزَّمنِ البَهِيمَ مُحَجَّلٍ
وَإِفي الضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حِزَامِهِ
يَهْوَى كَمَا هَوَتْ الْعُقَابُ إِذَا رَأَتْ
مَتَوَحَّشٍ بِدَقِيقَتَيْنِ كَأَنَّمَا
كَالْأَمَحِ النَّشْوَانُ أَكْثَرُ مَشِيهِ
وَيُظَنُّ رِيْعَانُ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ
هَزَجُ الصَّهِيلِ كَانَ في نَبْرَاتِهِ
تُتَوَّهُمُ الْجُوزَاءُ في أَرْسَائِهِ
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُيِّنَتْ لَهُ
وَكَأَنَّمَا كَسَى الْخُدُودَ نَوَاعِمًا
وَكَأَنَّمَا نَفَضَتْ عَلَيْهِ صَبْغَهَا
قَد رَحْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرِ مُحَجَّلٍ (١)
يَوْمَ اللَّقَاءِ عَلَى مُعِمِّ مُخَوَّلٍ
صَيْدًا وَيَتَصَبُّ انْتِصَابُ الْأَجْدَلِ (٢)
تُرَيَانٍ مِنْ وَرَقٍ عَلَيْهِ مُوَصَّلٍ (٣)
عَرَضَ عَلَى السَّنَنِ الْبَعِيدِ الْأَطْوَلِ
مِنْ نَشْوَةٍ أَوْ جَنَّةٍ أَوْ أَفْكَلٍ (٤)
نَعْمَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ
وَالْبَدْرِ غُرَّةٌ وَجْهَهُ الْمَهْلِلِ
بِصَفَاءِ نُقْبَتِهِ مَدَاوِكُ صَيْقِلٍ (٥)
مَعَهَا تَلَا حِظَهَا بِلَخْظٍ يَنْجَلِ
صَهْبَاءُ لِلْبَرْدَانِ (٦) أَوْ قُطْرُبِلِ (٧)

(١) البهيم : المظلم ، والغرة والتحجيل : يياض في الجهة والقوائم ، والأغر المحجل هو الفرس ، وهو مجازاً الرجل الكريم

(٢) الاجدال : الصقر (٣) الدقيقتان : صفة للساقين (٤) الأفكل : الرعدة

(٥) المداوك : جمع مدوك ، وهو المصقلة بكسر الميم فهما ، يقال : داك الصيقل السيف وسنه بالمدوك . وأخذنا في الدوك وهو تسوية الحلية ونزينها

(٦) البردان ، بالتحريك ، اسم لعدة أما كن ، والمراد به هنا الموضع الذي كان بهذا الاسم قرب بغداد ، وكان مشهوراً بالخر ، وفيه يقول جحظة :

ادفع ورود الهم عنك بقهوة مخزونة في حانة الخمار
جازت مدى الأعمار ؛ فهي كأنها عند المذاق تزيد في الأعمار
يسعى بها خنث الجفون منعم في خده ماء النظارة جار
في رقة البردان بين مزارع محفوفة ببنفسج وبهار
بلد يشبه صيفه بخريفه رطب الأصائل بارد الأسحار

(٧) قطربل بضم فسكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام ، اسم قرية

مَلَكَ الْعِیُونَ ؛ فَإِنْ بَدَا أُعْطِیْنَهُ نَظَرَ الْمُحِبَّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ
 وقال إسحاق بن خلف النـروانی لأبی دُلْفَ ، وكان له فرسٌ أدهم
 یسمیه غرابا :

لإسحاق بن
 خلف یصف
 فرس أبي دلف

كَمْ كَمْ تَجَرَّعَهُ الْمُنُونُ وَيَسْلُمُ لو یستطیعُ شَكَا إِلَیْكَ لَهُ الْفَمُ
 مِنْ كُلِّ مَنِبْتِ شَعْرَةٍ مِنْ جِلْدِهِ خَطُّ يَنْقُمُهُ الْحُسَامُ الْمِخْدَمُ^(١)
 مَا تُدْرِكُ الْأَرْوَاحَ أَذْنَى جَرِيهِ حَتَّى يَفُوتَ الرِّيحَ وَهُوَ مُقَدَّمُ
 رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا وَاللَّوْنُ أَذْهَمُ حِينَ ضَرَجَهُ الدَّمُ
 وَكَأَنَّمَا عَقْدُ النُّجُومِ بِطَرْفِهِ وَكَأَنَّهُ يُعْرِى الْمَجْرَةَ مُلْجَمُ

وقال أبو الطيب :

جَفَنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا وَأَطْعَمَهُمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورِ الدُّهْمِ

وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبي الفتح
 كشاجم

قَدْ رَاحَ تَحْتَ الصُّبْحِ لَيْلٌ مُظْلَمٌ إِذْ لَاحَ فِي السَّرْجِ الْحَلَّى الْأَذْهَمُ
 دِيْبَاجُ أَلْوَانِ الْجِيَادِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُخَصَّ بِالْدِيْبَاجِ إِلَّا الْأَكْرَمُ
 ضَحِكَ اللَّجَيْنُ عَلَى سَوَادِ أَدِيمِهِ وَكَذَا الظَّلَامُ تُنِيرُ فِيهِ الْأَنْجَمُ
 فَكَأَنَّهُ بِنَاتِ نَعَشٍ مُلْبَبٌ وَكَأَنَّمَا هُوَ بِالْثَرِيَّا مُلْجَمُ

قلت : هذا من قول ابن المعتز :

لابن المعتز

أَلَا فَاسْتِقْيَانِي وَالظَّلَامُ مُقَوَّضٌ وَنَجْمُ الدُّجَى تَحْتَ الْمَغَارِبِ يَرَكُضُ

= بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الحمر . وكانت لها أخبار كثيرة تتسع لكتاب في عدة مجلدات كما قال ياقوت ، إذ كانت ملعبا للاهين من شعراء الحمر والمجون
 (١) الخدم : القاطع

لأبي الفتح
أيضاً

كَأَنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نَوْرٍ أَوْ لِحَامٌ مَفْضُضٌ
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ :

مَنْ شَكَّ فِي فَضْلِ الْكَمِيَّتِ فِيهِهُ
فِي مَنْظَرٍ مُسْتَحْسَنِ مَحْمُودَةٍ
مَاءٌ تَدْفُقُ طَاعَةً وَسَّلَاسَةً
وَإِذَا عَطَفَتْ بِهِ عَلَى نَاوِرْدِهِ
وَصَفَ الْخُلُوقَ أَدِيمَهُ فَكَأَنَّمَا
قَصَرَتْ قِلَادَةُ نَحْرِهِ وَعِذَارِهِ

وَكَأَنَّمَا هَادِيهِ جِدْعٌ مُشْرِفٌ
يَرِدُ الضَّحَاضِحَ غَيْرَ ثَانِي سُنْبُكِ
لَوْ لَمْ تَكُنِ لِلْخَيْلِ نِسْبَةً خَلَقَهُ
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَخَيْلٍ طَوَّاهَا الْقَوْدُ حَتَّى كَانَتْهَا
صَبِينَا عَلَيْهِمْ - ظَالِمِينَ - سَيَاطِنَا

قَوْلُهُ : « ظَالِمِينَ » مِنْ أَبْدَعَ حَشْوٍ جَرَى فِي بَيْتٍ ، وَكَأَنَّ ابْنَ الْمُعْتَزِ أَشَارَ

لأعرابي مولد

إِلَى قَوْلِ أَعْرَابِيٍّ مَوْلِدٍ :

وَعَوْدٍ قَلِيلِ الذَّنْبِ عَاوَدَتْ ضَرْبَهُ
فَقُلْتُ لَهُ : ذَلْفَاءُ وَيَوَيْحُكَ ! - سَبَبْتُ
إِذَا هَاجَ شَوْقِي مِنْ مَعَاهِدِهَا ذِكْرُ^(٤)
لَكَ الضَّرْبُ ، فَاصْبِرْ إِنْ عَادَ تِلْكَ الصَّبْرُ^(٥)

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَرَا جَعَلْتَنِي فِدَاكَ بِأَعْوَجَى كَقِدْحِ التَّبَعِ فِي الرِّيشِ اللَّوْامِ^(٦)

لأبي المعتر أيضاً

(١) الخلق : نوع من الطيب (٢) هاديته : صدره (٣) الضحاضح : بقايا الماء

(٤) العود : البعير (٥) ذلفاء : اسم امرأة ، يريد أن حب السرعة إلى لقاءها هو

السبب في ضرب راحلته (م) (٥) الأعوجى : الفرس الكريم ، منسوب إلى أعوج ،

واللؤام : المحكم

بأدهم كالظلام أغرَّ يجلو
ترى أحجاله يصعدن فيه
بغرته دياجير الظلام
صعود البرق في جو الغمام
وقال أيضاً :

قد أغتدى والضُّحُ كالشَّيبِ
بقارحٍ مُسَوِّمٍ يعبوبِ
في أفقٍ مثل مدالك الطَّيبِ
ذى أذن كخوصة العسب^(١)
أو آسة أوفت على قضيبِ
أسرع من ماء إلى تصويبِ
يسبق شأو النظر الرحيبِ
ومن رجوع لحظة المريب^(٢)
وقال :

رُبَّ رَكْبٍ عرَّسوا ثم هبوا
وعدونا بأعنة خيل
نحو إسراجٍ وشدَّ رجال
تأكل الأرض بأيدي عجال
زينتها غرر ضاحكات
كبدورٍ في وجوه ليال
وقال على بن محمد الإيادي :

أعلى الأيادي

مسح الظلام بعُرفه يده
وقال الناشئ أبو العباس عبد الله بن محمد :

لأبي العباس
الناشئ

أخوى عليه مسامح من ليطه
فكأنه متلفع قبطية
شهب تسيل على نواشر ساقه^(٣)
أنناؤها مشدودة بنطاقه
فسواده كالليل في إظلامه
صافي الأديم كريمة أنسابه
وبياضه كالضُّبح في إشراقه
أخلاقه عَيْنٌ على أعراقه

(١) القارح : الفرس القوى ، ومسوم : وضعت عليه السومة ، وهي العلامة ،
والعبوب : الفرس السريع الطويل ، والعسب : جريدة من النخل مستقيمة دقيقة
والذى لم ينبت عليه الخوص من السعف
(٢) تصويب : انحدار (٣) الليطه - بكسر اللام - قشر القصبه والقوس والقناة

كتب أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي إلى الأمير أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال ، وقد زاره الأمير في داره :

لأبي منصور
الثعالبي

لا زالَ مَجْدُكَ لِلسَّمَاءِ رَسِيلاً وعلو جَدِّكَ بالخلود كَفِيلاً^(١)
يا غُرَّةَ الزَّمنِ البَهِيمِ إذا غَدَا أهلُ العُلا لزمانهم تَحْجِيلاً
بازائراً مَدَّتْ سَحَابُ طَوَّلهُ ظلاً عَلَى مِنَ الجمالِ ظليلاً
وَأَتَتْ بِصَوْبِ جَواهِرٍ مِنْ لَفْظِهِ حتَّى انتَظَمْنَ لِلمُرقِ كِلِيلاً
بأبي وَغَيرِ أبي هِلَالٍ نُورُهُ يَسْتَعِجِلُ التَّسْيِيحَ وَالتَّهْلِيلَا
نَقَشَتْ حَوَافِرُ طَرَفِهِ فِي عَرَصَتِي نَقْشاً مَجَّوْتُ رَسومِهِ تَقْيِيلَا
وَلَو اسْتَطَعْتُ فَرَشْتُ مُسَقَطَ خَطْوِهِ بعيونِ عَيْنٍ لَا تَرَى التَّكْجِيلَا
وَنَثَرْتُ رُوحِي بَعْدَ مَا مَلَكَتْ يَدِي وَخَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيِ هَوَاهُ قَتِيلَا

وقال أبو القاسم بن هاني يصف خيل المعز :

لابن هاني
يصف خيل
المعز

لَهُ الْمُقَرَّبَاتُ الْجُرُودُ يُنْعِلُهَا دَمًا إِذَا فَرَعَتْ هَامَ الكِمَاةِ السَّنَابِكُ
يُرِيقُ عَلَيْهَا اللُّؤْلُؤُ الرُّطْبُ مَاءَهُ وَيَسْبِكُ فِيهَا ذَائِبَ التَّبْرِ سَابِكُ
صَقِيلَاتُ أَجْسَامِ البرُوقِ كَأَنَّمَا أَمَرْتُ عَلَيْهَا بِالشَّمُوسِ الْمَدَاوِكُ

وقال يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون :

ولابن هاني
أيضاً

تَهَلَّلَ مَصْقُولَ النَوَاحِي كَأَنَّهُ إِذَا جَالَ مَاهُ الحُسْنِ فِيهِ غَرِيقُ
مِنَ البُهِمِ وَرَدُّ اللُّونِ شَيْبَ بَكْمَتِهِ كَمَا شَيْبَ بِالمَسكِ الفَتِيقِ خَلُوقُ^(٢)
فَلَوْ مِيزَ مِنْهُ كُلُّ لَوْنٍ بِذَاتِهِ جَرَى سَبِجٌ مِنْهُ وَذَابَ عَقِيقُ^(٣)

وقال في قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيباني :

فَتَقَمَّتْ لَكُمْ رِيحُ الجِلَادِ بَعْتَبِرِ وَأَمَدَّكُمْ فَلَقُ الصَّبَاحِ المُسْفِرِ

(١) رَسِيل : قرين (٢) البهم : جمع بهم ، وهو الأسود ، وشيب : خلط

(٣) السبج : السواد ، والعقيق : أراد الأحمر

وجنيتُم ثمَرَ الوقاع يانعاً بالنَّصر من ورق الحديد الأخضرِ
أبْنى العوالى السَّمْهَرِيَّةَ والسيو ف المَشْرِقِيَّةَ والعديد الأَكْثَرِ
مَنْ مِنْكُمُ المَلِكُ المَطاعُ كَأَنَّهُ تحت السَّوابغِ تَبَعٌ في حَمِيرِ
القائد الخيلِ العِتاقِ شوازيباً خُزْراً إلى لحظِ السَّنانِ الأَخْزَرِ^(١)
شُعْثَ النَّواصِي حَسْرَةَ آذانِها قُبَّ الأياطلِ داميَّاتِ الأنْسرِ^(٢)
تنبؤ سنا بكهن عن غفرِ الثرى فيطْأَنَ في خَدِّ العَزيزِ الأصْغَرِ^(٣)
في فتية صدأ الحديدِ عَيرُهُم وخلقُهم عَلَقُ النَجِيعِ الأَحْمَرِ^(٤)
لا يأكل السَّرْحانُ شُلُو عَيرِهِم مما عليه من القَناءِ المتكسِّرِ^(٥)

وقال في قصيدة يمدح بها إبراهيم بن جعفر بن علي :

خُفِرَ لُطْفِ أعوجى أَنْتَ في صهواتِهِ والحسنِ والتَّطْهِيمِ^(٦)
يُمْدِدِي لِعِزِّكَ نَحْوَةً ، فَكَأَنَّهُ مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ المَلوكُ عَظِيمُ
هادٍ على الخيلِ العِتاقِ ، كَأَنَّهُ بين الدُّجَنَةِ والصَّباحِ مَرِيمُ^(٧)

(١) شوازب : جمع شازب ، وهو الفرس الضامر ، والخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه

(٢) الأياطل : جمع أياطل وهو الخصر ، وقب : جمع أقب وقباء من القب بالتحرريك وهو دقة الخصر وضمور البطن ، والأنسر : جمع نسر ، وهو ما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه .

(٣) الأصغر : الذى يصغر خده ويميله عن النظر إلى الناس تهاونا وكبرا

(٤) النجيع : دم الجوف ، والعلق : الدم الغليظ ، والخلق : الطيب

(٥) السرحان : الذئب ، والشلو : العضو والجسد

(٦) التطهيم : الحسن ، يقال : جواد مطهم ، ورجل مطهم ، وامرأة في خلقها تطهيم

(٧) العتاق : الخيل الجياد ، والدجنة : الظلمة ، والصريم : المنقطع ، وأصله

الرملة المنصرمة من الرمال . والمراد أن لونه وسط بين السواد والبياض فهو كميته

سَامِي الْقَذَالِ بِمِسْمَعِيهِ عِيَافَةً^(١) تَحْتَ الدُّجَى وَلَطَرَفِهِ تَنْجِيمٌ^(٢)
 أُذُنٌ مُؤَلَّلَةٌ ، وَقَلْبٌ أَصْمَعٌ^(٣) وَحَشًا أَقْبُ ، وَكَلْكَلٌ مَلُومٌ^(٤)
 فَالطَّوْدُ مِنْ صَهَوَاتِهِ مُتَزَلِّزٌ^(٥) وَالْجَيْشُ مِنْ أَنْفَاسِهِ مَهْزُومٌ^(٦)
 خَرَقَ الْعَيُونَ فَضْلَ عَنْهَا لَوْنُهُ وَصَفَا فُقُلْنَا مَا عَلَيهِ أَدِيمٌ^(٧)
 فَكَأَنَّمَا جَدَّتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ^(٨) وَاجْبَابَ عَنْهُ عَارِضٌ مَرَكْرَمٌ^(٩)
 وَكَأَنَّمَا نُحِرَتْ عَلَيْهِ بَوَارِقٌ^(١٠) وَكَأَنَّمَا كُسِفَتْ عَلَيْهِ نُجُومٌ^(١١)
 وَكَأَنَّكَ ابْنُ الْمَنْذَرِ النِّعْمَانُ فَوْقَ سِرَاتِهِ ، وَكَأَنَّهُ الْيَحْمُومُ^(١٢)

وقال علي بن محمد الإيادي يصف فرس أبي عبد الله جعفر بن أبي القاسم القائم :
 وَأَقْبَ مِنْ لَحْقِ الْجِيَادِ ، كَأَنَّهُ قَصْرُهُ تَبَاعَدَ رُكْنُهُ مِنْ رُكْنِهِ^(١٣)
 لَدَيْتُ قَوَائِمَهُ عَصَابَ فِضَّةٍ وَغَدَّتْ بِسُمرِ صَفَا الْمَسِيلِ وَدُكْنِهِ^(١٤)
 وَكَأَنَّمَا انْفَجَرَ الصَّبَاحُ بَوَجْهِهِ حُسْنًا ، أَوْ اخْتَبَسَ الظَّلَامُ بِمَتْنِهِ^(١٥)
 قَيْدُ الْعَيُونَ إِذَا بَصُرْنَ بِشَخْصِهِ وَرَضَا الْقُلُوبَ إِذَا اصْطَلَمْنَ بِضَغْنِهِ^(١٦)
 مُتَسَيِّطِرٌ بِالرَّاكِبِينَ ، كَأَنَّهُ بَازٍ تَرُوحُ بِهِ الْجَنُوبَ لَوْ كُنْهُ^(١٧)

علي بن محمد
الإيادي

- (١) القذال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية ، والعيافة : زجر الطير وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتتسعد أو تتشأم ، والعائف : المتكهن بالطير أو غيرها ، والتنجيم : النظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ، والمراد أن أذني هذا الجواد تدلانه على مواقع الخير والشر في الظلام
- (٢) مؤللة : من قولهم «أل الفرس» إذا نصب أذنيه وحددهما ، والقلب الأصمع : هو الذي التيقظ ، والأقب : الضامر ، والكلكل : الصدر ، ومن الفرس ما يين محزومه إلى مامس الأرض منه إذا ربض ،
- (٣) العارض : السحاب العترض في الأفق ، والمركوم : التراكم الذي جمع بعضه فوق بعض .
- (٤) اليحوم : علم على فرس النعمان بن المنذر (م)
- (٥) أقب : ضامر دقيق ، ولحق : ضمير (م) (٦) متنة : ظهره (م)
- (٧) الوكن : العش ومثله الوكنة .

يستوقف اللحظات في خطراته بكمال خلقتِه ودقة حُسنِه
 حُلُو الصَّهيل تخال في لهواتِه حادٍ يصوغُ بدائعاً من لَحْنِه (١)
 متجبرٌ يُنْذِي بعِيقِ نِجارِه إشرافُ كاهِلِه ودِقَّةُ أذْنِه (٢)
 ذو نَحْوَةٍ شَمَخَتْ بِهِ عن نَدِه وشهامةٍ طمحت به عن قِرْنِه (٣)
 وكأنَّه فَلَكَ إذا حرَّكتَه جارٍ على سَهْلِ البلادِ وحرْنِه
 قد راح يَحْمِلُ جعفرَ بن محمدٍ تحمِلُ النسيمِ لوابِلٍ من مِرْنِه

وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي :

لأبي الطيب
المتنبي

ويومٍ كَلَوْنِ العاشقين كَمَنَّتُه أراقِبُ فيه الشَّمْسَ أيَّانَ تَعَرُّبُ (٤)
 وعَيْنِي إلى أذُنِي أغرَّ كأنه مِنَ الليلِ باقٍ بين عَيْنِه كَوَّ كَبُ (٥)
 له فَضْلَةٌ عن جَسَمِه في إهابِه تَجِبُ على صَدْرٍ رَحِيبٍ وتَذَهَبُ (٦)
 شَقَقْتُ به الظَّامَاءَ ، أذْنِي عِنَانَه فَيُطْفِئُ ، وأُرْخِيهِ مِراراً فَيَلْعَبُ (٧)
 وأَصْرَعُ أيَّ الوَخْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وَأَنْزَلُ عَنْهُ مِثْلَه حينَ أَرْكَبُ (٨)
 وما الخيلُ إلا كالصَّديقِ قَلِيلَةٌ وإنْ كَثُرَتْ في بَيْنٍ مَن لا يُجَرِّبُ
 إذا لم تُشَاعِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيائِمِها وأَعْضَائِها فالحُسْنُ عَنْكَ مُغَيِّبُ (٩)

(١) اللهوات : مجازي الخلق

(٢) عتق النجار : كرم العنصر (٣) الند ، ومثله القرن : النظير

(٤) كمنته : أي كمننت فيه واستترت (٥) أغر : من الغرة وهي البياض في جهة الفرس

(٦) الإهاب : الجلد ، وهو يصف الفرس بعرض الصدر وسعة الجاد لتسهيل عليه

سرعة العدو

(٧) العنان : اللجام

(٨) قفئته : اتبعته ، ومثله : منصوب على الحالية من الضمير في (عنه). يريد وصف

الحصان بدوام النشاط فهو عند النزول مثله عند الركوب

(٩) الشيات : الألوان

وينخرط في سلك هذا المعنى مقامة^(١) من مقامات الإسكندري في مقامة لبديع
السكدي^(٢) مما أنشأه بديع الزمان وأملأه في شهور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .
الزمان في وصف فرس قال البديع :

حدثنا عيسى بن هشام قال : حضرنا مجلس سيف الدولة يوماً وقد عُرضَ
عليه فرسٌ * متى ماترقَّ العين فيه تسهل^(٣) * فلحظته الجماعة ؛ فقال سيف
الدولة : أيكم أحسن صفته ، جعلته صليته ؛ فكلَّ جَهدَ جهده ، وبذل ما عنده ؛
فقال أحد خدمه : أصلح الله الأمير ! رأيتُ بالأمس رجلاً يطأ الفصاحة
بنعلَيْه^(٤) ، وتقفُ الأبصارُ عليه ، يُسَلِّي الناس ، ويشفي الياس ، ولو أمر الأميرُ
ياحضاره ، لفضلهم بحضاره^(٥) .

فقال سيف الدولة : علىَّ به في هيئته ، فصار الخدمُ في طلبه ، فجاءوا للوقت
به ، ولم يُعلموه لأى حالٍ دُعِيَ به ، ثمَّ قُرَّب واستدنى ، وهو في طمرينٍ
قد أكل الدهرُ عليهم وشرب^(٦) ، وحين حضر السَّماط ، لثَمَّ البساط ، ووقف .
فقال سيف الدولة : بلغتنا عنك عارضة^(٧) ، فأغرَضها في هذا الفرسِ وصفه . فقال :
أصلح الله الأمير ! كيف به قبل ركوبه ووُثوبه ، وكشف عيوبه [وغُيوبه] ؟
فقال : اركبه ، فركبه وأجرأه ، ثم قال : أصلح الله الأمير ! هو طويل الأذنين ،

(١) هذه المقامة شرحها مؤلف زهر الآداب فليعد القارىء إلى شرحه في الصحيفة
التي تلى المقامة ، وليكتف منا بما نراه من الشرح القليل (وانظر مقامات البديع
١٥٠ بيروت) (٢) السكدي : قسوة الدهر ، والمراد هنا الاستجداء
(٣) يريد أن أعلاه وأدناه مستويان في الحسن ، وهذا التعبير مأخوذ من معلقة
امرئ القيس

(٤) كناية عن انقيادها له (٥) الحضار - بالكسر - أصله جودة السير وسرعته
(٦) الطمران : ثوبان باليان (٧) العارضة : سرعة البديهة

قليل الاثنين، واسع المراث^(١)، ثلث الثلاث، غليظ الأكرع^(٢)، غامض الأربع، شديد النفس، لطيف الخمس، ضيق القلت^(٣)، رقيق الست، حديد السبع، غليظ السبع، رقيق اللسان^(٤)، عريض الثمان، شديد الضلع^(٥)، قصير التسع، واسع السحر^(٦)، بعيد العشر، يأخذ بالسابع، ويطلق بالراح، ويطلع بلائح، ويضحك عن قارح، يحز وجه الكديد^(٧)، بمداق الحديد، يخضر كالبحر إذا ماج، والسيل إذا هاج.

فقال سيف الدولة: لك الفرس مباركاً فيه. فقال: لازلت تأخذ الأنفاس، وتمنح الأفراس، ثم انصرف، وتبعته، وقلت: لك على ما يليق بهذا الفرس من خلعة إن فسرت ما وصفت، فقال: سل عما أحببت.

فقلت: ما معنى قولك: بعيد العشر؟ فقال: بعيد النظر، والخطو، وأعلى الجنين^(٨)، وما بين الوقبين والجاعرتين، وما بين الغرائين، والمنخرين، وما بين الرجلين، وما بين النقرة والصفاق، وبعيد القامة في السباق.

فقلت: لا فض فوك! فما معنى قولك: قصير التسع؟ قال: هالك: قصير الشعرة، قصير الأطرّة، قصير العسيب، قصير القضيب، قصير العضدين، قصير الرضعين، قصير النسا، قصير الظهر، قصير الوظيف.

فقلت: لله أنت! فمات معنى قولك: عريض الثمان؟ قال: عريض الجبهة، عريض الصهوة، عريض الكتف، عريض الجنب، عريض الورك، عريض العصب، عريض البلدة، عريض صفحة العنق.

فقلت: أحسنت، فما معنى قولك: غليظ السبع؟ قال: غليظ الذراع،

(١) المراث: خوران الفرس، وهو المبر (٢) الأكرع: جمع كراع، وهو مادون الكعب (٣) القلت: النقرة في رأس الورك (٤) في المقامات «دقيق اللسان» (م) (٥) وفيها «مديد الضلع» (م) (٦) وفيها «واسع الشجر» وفي نسخة «واسع النحر» (م) (٧) الكديد: الأرض الغليظة، وفي المقامات «وجه الجديد» (م) (٨) بعد أعلى الجنين كناية عن متانة الخلق

غليظ المخزوم ، غليظ العكوة ، غليظ الشوى ، غليظ الرشح ، غليظ الفخذين ، غليظ الجبال^(١) .

فقلت : لله درك ! فما معنى قولك : رقيق الست ؟ فقال : رقيق الجفن ، رقيق السالفة ، رقيق الجحفة ، رقيق الأديم ، رقيق أعلى الأذنين ، رقيق الغرضين^(٢) .

فقلت : أجدت ، فما معنى قولك : لطيف الخمس ؟ قال : لطيف الزور ، لطيف النسر ، لطيف الجبة ، لطيف العجاية ، لطيف الركبة .

فقلت : حياك الله ! فما معنى قولك : غامض الأربع ؟ قال : غامض أعالي الكتفين ، غامض المرفقين ، غامض الحجاجين ، غامض الشطى .

قلت : فما معنى قولك : لين الثلاث ؟ قال : لين المردعتين ، لين العرف ، لين العنان

قلت : فما معنى قولك : قليل الاثنين ؟ قال : قليل لحم الوجه ، قليل لحم المتنين .

قلت : فمن أين نبت هذا العلم ؟ قال : من الثغور الأموية ، وبلاد الإسكندرية .

فقلت له : أنت مع هذا الفضل ، تعرض وجهك لهذا البذل ؟! فأنشأ يقول :

ساخف زمانك جدًّا فالدهر جدُّ سخيف

دع الحمية سنيًّا وعش بخير وريف

وقل لعبدك هذا يحبُّ لنا برغيف

سقط عنا تفسيره في « لين الثلاث »^(٣) ، وأكثر هذا التفسير يحتاج إلى

(١) الجبال : جمع جبل ، والمراد بها هنا العروق ، وهكذا وقع هذا « اللفظ » وسيكرره المؤلف في شرح ألفاظ هذه المقامة : ووقع في أصل المقامات (١٥٥) بيروت « غليظ الحاذ » والحاذ : الظهر ، أو موضع اللبد من الفرس (م)

(٢) في المقامات « العرضين » بالعين المهملة (م)

(٣) قول المؤلف : « سقط عنا تفسيره في لين الثلاث » يدل على أن المقامة التي

أثبتها لم يكن فيها تفسير « لين الثلاث » ولكن النص الموجود فيه تفسير ذلك ، فمن المرجح إذن أن يكون بعض النساخ أضاف هذا التفسير إلى المقامة تقلا عن إحدى نسخ المقامات ، وقد فات ذلك الناسخ أن يشير إلى أن المؤلف تقل عن نسخة لم يكن فيها تفسير « لين الثلاث »

تفسير، ولم يُردّ بما أورد إفهام القوام ، والبلاغة لحة دالة ، وبلاغة النثر أخت بلاغة الشعر ؛ وقد قال البحترى :

والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبته

وسأقول فى شرحه بكلام وجيز زيادة فى الإفادة : الوَقْبَان : نُقْرَتَان فوق العينين . والجاءِرتان من انفرس : موضع الرِّقَّتَيْن من الحمار ، وهما منتهى ضَرْبِهِ بذَنْبِهِ إذا حَرَّكَه . والغرابان : الناثان من أعلى الوركين ، وذكر النقرة هنا ، وهو الذى يُعرَف بالمنقَب ، وهو من الشَّرَّة حيث ينقب البيطار . والصفاق : الخاصرة ، وقد قيل : جلد البطن كله صفاق ، والذى أراد الخاصرة . وأراد ببُعْد القامة فى السباق امتدادَهُ إذا جرى مع الأرض . والأطرة هنا : طرف الأبهَر ، وهى طِفْطِفَةٌ غليظة . والأبهر : عِرْق يستبطن الظهر ، فيتصل بالقلب ، وقيل : هو الأكل . والعسيب : عظم الذنب . والرُشغ من الفرس : موضع القيد . والنَّسّا : عرق مستبطن الفخذين ، وقصره محمود فى جرى الفرس ، ولكنه لا يسمح بالمشى . والوظيف لكل ذى أربع : ما فوق الرُشغ إلى الساق . والصَّهوة : الظهر . والبُلدة : ما بين عينيه . والعكوة : مغرز الذَّنْب . والشوى : الأطراف . والحبال : حبال العاتق والظهر . والجَحْفَلَة من ذوات الحافر : كالشفة من الإنسان . والغُرْضَان من الفرس : ما انحدر من قَصَبَة الأنف من جانبيها . والزور : الصدر . والنَّسْر فى الحافر : لحة يابسة أسفلها يشبهها الشعراء بالنوى . والجَبَّة : التى فيها الحوشب . والحوشب : حشو الحافر . والعُجَاية : عَصَب فى قوائم الفرس والبعير مركب فيه فصوص من عظام كأمثال الكعاب تكون عند الرِّسغ . والحِجَابان : العظامان المُطِيفان بالعين . والشطى : عظم لاصق بالذراع . والمتنان : جانبا الظهر ؛ وسقط عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة^(١).

(١) تلك الثلاث هى « لين المردغتين » والمردغة : ما بين العنق إلى الترقوة ، ثم « لين العرف » وهو الشعر الغزير النابت على عنق الفرس ، ثم « لين العنان » وهو سير اللجام ، ولين العنان : كناية عن طاعة الجواد

[قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه]

قال الجاحظ : قال أبو القاسم بن معن السعودي لعيسى بن موسى : أيها الأمير ؛ ما انتفعتُ بك منذُ عرفتُك ، ولا إلى خيرٍ وصلتُ منك منذُ صحبتُك ، فقال : ولم ؟ ألم أُكَلِّمُ لك أميرَ المؤمنين في كذا وكذا ؟ قال : بلى ! فهل استنجرتَ ما وُعدتَ ، وعاودتَ ما ابتدأتَ ؟ فقال : حالتُ دون ذلك أمورٌ قاطعة ، وأحوالٌ عاذرة . قال : أيها الأمير ، فما زدَتني على أن نبهتَ الهمَّ من رقدتِه ، وأثرتَ الحزنَ من ربضتِه ، إنَّ الوعدَ إذا لم يصحبه إنجازٌ يحقِّقه كان كلفظٍ لا معنى له ، وجسمٍ لا روحَ فيه .

وكلمَ منصورُ بنُ زيادٍ يحيى بنَ خالدٍ في حاجةٍ لرجلٍ ، فقال : عِدْه قَضَاءَها . بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد
قال : فقلت : أصلحك الله ! وما يدعوك إلى العِدَّة مع وجود القدرة ؟ فقال : هذا قولُ من لا يعرفُ موضعَ الصَّنائع من القلوب ، إنَّ الحاجةَ إذا لم يتقدِّمها مَوْعدٌ يُنتظر به نُجْحُها لم تنجذبِ الأنفسُ سرورها ؛ إنَّ الوعدَ تطمئنُّه والإنجازُ طعامٌ ؛ وليس من فاجأه طعامٌ كمن وجدَ رائحته ، وتمتَّع به ، وتطعمه ثم طعمه ؛ فدفع الحاجة تُختمُ بالوعد ؛ ليكونَ بها عند المصطنع حُسْنُ موقع ، ولطفُ محلٍّ .

ووعد المهدى عيسى بن دأبٍ جاريةً ، ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مضعب الزبيري معرضاً يقول مضرّس الأسدي :

فلا تياسن من صالح أن تمألهُ وإن كان قدماً بين أيدي تبادره

فضحك المهدى ، وقال : ادفعوا إلى عبد الله فلانة ، لجاريةٍ أخرى ؛ فقال عبد الله بن مضعب :

أنجز خيرُ الناس قبل وعده أراح من مطلي وطول كده

فقال ابن دأب : ما قلت شيئاً ، هلا قلت :

حَلَاوَةُ الْفَضْلِ بُوْعْدٍ يُنْجِزُ لَا خَيْرَ فِي الْعُرْفِ كَهَبٍ يُنْهَزُ
فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

الْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ إِذَا تَقَدَّمَ بِهِ ضَمَانُ

وقد قال أبو قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد :
رَأَيْتُ يُحْيِي ، أَتَمَّ اللَّهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ ، يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ
يَنْتَسِي الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا إِلَى الرِّجَالِ ، وَلَا يَنْتَسِي الَّذِي يَعُدُّ
وقال أبو الطيب المتنبي :

قَوْمٌ بُلُوغُ الْغُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكِمَاةِ لَا الْحُلُمُ
كَأَنَّمَا يُوَلَّدُ النَّدَى مَعَهُمْ لَا صِفْرٌ عَادِرٌ وَلَا هَرَمٌ
إِذَا تَوَلَّوْا عِدَاوَةً كَشَفُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَمُوا
تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ اعْتِدَادَهُمْ أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)

ودخل أبو عليّ البصير على الفضل بن يحيى ، فأنشده :

وَصِفَ الصَّدُّ لَمَنْ أَهْوَى فَصْدُ وَبَدَا يَمْزَحُ بِالْهَجْرِ . فَجَدَّ
مَالَهُ يَعْدِلُ عَنِّي وَجْهَهُ وَهُوَ لَا يَعْدِلُهُ عِنْدِي أَحَدٌ
لَا رِيْدُوا غِرَّةَ الْفَضْلِ ، وَمَنْ يَطْلُبُ الْغِرَّةَ فِي خَيْسِ الْأَسَدِ^(٢)
مَلِكٌ نَدْفَعُ مَا نَخْشَى بِهِ وَبِهِ نُصْلِحُ مَنْنَا مَا فَسَدُ
يُنْجِزُ النَّاسُ إِذَا مَا وَعَدُوا وَإِذَا مَا أُنْجِزَ الْفَضْلُ وَعَدُ

وقال ابن الرومي في هذا المعنى :

لَهُ مَوَاعِدُ بِالْخَيْرَاتِ بَادِرَةٌ لَكِنَّا تَسْبِقُ الْمِعَادَ بِالْصَّفَدِ^(٣)
يُعْطِيكَ فِي الْيَوْمِ حَقَّ الْيَوْمِ مُبْتَدَأًا وَلَا يُصَيِّعُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَقَّ غَدٍ

لأبي قابوس
يمدح يحيى بن
خالد

لأبي الطيب
المتنبي

لأبي عليّ البصير
في الفضل
بن يحيى

لابن الرومي

(١) الاعتداد : الاهتمام ، وفي طبعة بولاق « اعدادهم »

(٢) خيس الأسد : عرينه (٣) الصفد : العطاء

[من عرف قدر النعمة استدامها]

خطب سليمان بن عبد الملك فقال : أيها الناس ، مَنْ لم يعلم أبوابَ مَدْخَلِهِ بين سليمان بن عبد الملك وأبي الكرامة ، وجَهَل طَريقَتَهُ التي وَقَعَتْ به على النِّعْمَةِ كانِ بَعْرُضٍ رُجُوعٍ إلى وائلة حاجبه دارِ هَوَانٍ ، وانقلابٍ بفادحِ خُسْرَانٍ .

فقام إليه أبو وائلة السدوسي ، وهو حاجبُه ، فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كُنَّا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا) ، ثُمَّ صِرْنَا كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ :

يَدُ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ تَنَاوَلَتْهُمْ بِإِحْسَانٍ فَلَيْسَ لَهَا مُزِيلُ
لَأَنَّ الْخَيْرَ أَجْمَعَ فِي يَدَيْهِ وَرَبِّي بِالْجَزَاءِ لَهُ كَفِيلُ

فقال سليمان : هذه والله المَعْرِفَةُ بِقَدْرِ النِّعْمَةِ ، والعَلْمُ بِمَا يَجِبُ لِلْمَنَعَمِ .

وروى يونس بن المختار في دار المأمون ، ومرتبتُه في أَعْلَى مَرَاتِبِ بَنِي العباس ، قاعداً على الأرض ، فقال الحاجبُ : اِرْتَفِعْ يَا أَبَا المَعْلَى إِلَى مَرْتَبَتِكَ ، قال : قد رفعني الله إليها بأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وليس لي عَمَلٌ يَنْبَغِي بها ، فَلِمَ لَا أَكْرِمُهَا عن القعود عنها^(١) إلى أن يَتَهَيَّأَ لي الشكر عليها ؟ فبلغ الكلامُ المأمونَ ؛ فقال : هذا والله غايةُ الشكر ، وبمثله تدرّ النِّعَمُ .

وقال رجل للمعلّى بن أيوب ، وقد رَفَعَهُ المَعْتَصِمُ إلى مَرْتَبَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ : ما يزيدُكَ التَّقَرُّبُ إِلَّا تَبَاعُداً . فقال : يا هذا ؛ إني أَصُونُ تَقَرُّبِيهِ إِيَّايَ بِتَبَاعُدِي منه ؛ لئلا يَفْسُدَ حُرْمَتِي عنده بِقِلَّةِ الشُّكْرِ على نِعْمته .

ولما استعان المنصورُ بالحارث بن حسان قال له : يا حارث ؛ إني قد مَكَّنْتُكَ من حُسْنِ رَأْيِي فِيكَ ، فَاحْفَظْهُ بِتَرْكِ إِغْفَالٍ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ ! قال : يا أَمِيرَ حسان

(١) في نسخة بولاق « عليها »

المؤمنين ، مَنْ أَغْفَلَ سَبَبَ حُلُولِ النِّعْمَةِ ، وَلَهَا عَنِ الْحَالِ الَّتِي أَصَارَتْهُ إِلَيْهَا ،
استصحبَ اليأسَ مِنْ نَيْلِ مِثْلِهَا ، وانقطعَ رجاؤه من الزيادة فيها ، فقال
أبو جعفر : مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ دَامَتْ النِّعْمَةُ لَهُ ، وَبَقِيَ الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ .

بين المأمون
وعبد الله بن
طاهر

ولما قال المأمون لعبد الله بن طاهر عند قدومه من مصر : ما سرّني اللهُ
مند وَلَيْتُ الْخِلَافَةَ بَشْيْءٍ عَظُمَ مَوْقِعُهُ عِنْدِي ، بعد جميل عافيةِ الله ، هوأ كثر
من سرورى بقدومك ، فقال عبدُ الله : إِيذَنْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَفْرِيقِ
أَمْوَالِي مِنْ طَارِفٍ وَتَالِدٍ . قال : ولم ؟ قال : شكراً على هذه الكلمة ؛ وإلا
قَصَّرَ بِي الْحَيَاءُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فقال المأمون لَمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ
بَيْتِهِ وَقَوَّادِهِ : مَا شِئْتُ مِنَ الْخِلَافَةِ يَنْبَغِي لِعَبْدِ اللَّهِ بِبَعْضِ شُكْرِهِ .

وقال أبو نواس :

لأبي نواس
في المعنى

قد قلتُ للعباس معتزلاً — عن ضعف شكرٍ بهِ ومُعْتَرِفاً
أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْمًا — أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا^(١)
فإِلَيْكَ مِنِّي الْيُسُومُ تَقْدِمَةً — تَلْقَاكَ بِالتَّصْرِيحِ مِنْكَشِفَا
لَا تَسْدِينَ إِلَى عَارِفَةٍ — حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

عارضه الناشئ واعترض معناه ، فقال :

للناشئ يعارض
أبا نواس

إِنْ أَنْتَ لَمْ تُحَدِّثْ إِلَى يَدَا — حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
لَمْ أَحْظَ مِنْكَ بِنَائِلٍ أَبَدًا — وَرَجَعْتُ بِالْخُرْمَانِ مُنْصَرِفَا

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

مَا قَنَا أَنْ نَعُودَ أَنْكَ أَوْ لَيْتَ أُمُورًا يَضِيقُ عَنْهَا الْجَزَاءُ
غَمَرْتَنَا مِنْكَ الْأَيَادِي اللَّوَاتِي — مَا لِمُعْشَارِهَا لَدَيْنَا كِفَاهُ

(١) جللتني نعماً : يريد غمرتني بها ، وأوهت : أضعفت (م)

فَنَهَانَا عَنْكَ الْحَيَاءَ طَوِيلًا ثُمَّ قَدْ رَدَدْنَا إِلَيْكَ الْحَيَاءَ
وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ قَرُبْتَ التَّنَائِي وَلَمَّا حَقَّ إِنَّ بَرَزْتَ الْجَفَاءَ
غَيْرَ أَنَا أَنْضَاءَ شُكْرٍ أُرِيحَتْ وَقَدِيمَا أُرِيحَتْ الْأَنْضَاءُ^(١)

ألفاظ لأهل المعصر

في المعجز عن الشكر لتكاثر الإِنعام والبر

عندي من برِّه ما ملك الاعتذار بأزمته ، وقبض السنة أمراء الكلام
وأتمته . عندى له مبار^(٢) أعجزنى شكرها ، كما أعوزنى حصرها . شكره
شأؤ بعيد لا تبلغه أشواطى ، ولا أتلاقى التفريط فى حقه بإفراطى . إحسانه
يُعِيد العرب عجباً ، والفصحاء بكما . قد زحمتى من مكارمه ما يحصر عنه
المبين ، ويصحبه العى وبئس القرين^(٣) .

وقال أعرابى :

رهنت يدي بالعجز عن شكر برِّه وما فوق شكرى للشكور مزيد
ولو كان شيئاً يستطاع استطعته ولكنَّ مالا يُستطاع شديد
وقال يحيى بن أكرم : كنت عند المأمون ، فأتى برجل ترعد فرائضه^(٤) ؛
فلما مثل بين يديه قال المأمون : كفرت نعمتى ، ولم تشكر معروفى ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ وأين يقع شكرى فى جنب ما أنعم الله بك على ، فنظر إلى
المأمون وقال متمثلاً :

ولو كان يستغنى عن الشكر ما جدَّ لرفعة قدر أو علو مكان
لأمر الله العباد بشكره فقال : اشكروا لى أيها القلان

(١) الأنضاء : المهازيل - واحدها نضو بكسر النون وسكون الضاد (م)

(٢) جمع مبرة (٣) نسخة بولاق « ويز القرين » وهو تحريف

(٤) الفرائض : أوداج العنق

ثم التفت إلى الرجل فقال : هلاً قلت كما قال أصرم بن حميد :

ملكْتِ حَمْدِي حَتَّى إِنِّي رَجُلٌ كُلِّي بِكُلِّ ثَنَاءٍ فِيكَ مَشْتَفِلٌ
خَوَّلْتُ شُكْرِي لِمَا خَوَّلْتُ مِنْ نَعْمٍ فَحُرُّ شُكْرِي لِمَا خَوَّلْتَنِي خَوَلٌ^(١)
وقال أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البستي

لَنْ عَجَزَتْ عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ قُوَّتِي وَأَقْوَى الْوَرَى عَنْ شُكْرِ بَرِّكَ عَاجِزُ
فَإِنَّ ثَنَائِي وَاعْتِقَادِي وَطَاقَتِي لِأَفْلَاكِ مَا أَوْلَيْتَنِيهَا مَرَاكِزُ
وقال أبو القاسم الزعفراني :

لِي لِسَانٌ كَأَنَّهُ لِي مُعَادِي لَيْسَ يُنْبِي عَنْ كُنْهِ مَا فِي فَوَادِي
حَكَّمَ اللَّهُ لِي عَلَيْهِ فُلُوءٌ أَنْصَفَ قَلْبِي عَرَفَتْ قَدْرَ وَدَادِي
وقال إسماعيل بن القاسم ، أبو العتاهية ، يمدحُ عمر بن العلاء :

بين أبي العتاهية
وعمر بن
العلاء

إِنِّي أُمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَبِّهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالَا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ لَحَذَوْا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نَعَالَا
مَا كَانَ هَذَا الْجُودُ حَتَّى كُنْتُ يَا عَمْرُ ، وَلَوْ يَوْمًا تَزُولُ لَزَالَا
إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَابًا وَرِمَالَا
فَإِذَا وَرَدْنَ بَنَاءَ وَرَدْنَ مُخَفَّةً وَإِذَا صَدَرْنَ بَنَاءَ صَدَرْنَ ثِقَالَا

وهي قصيدة سهلة الطبع ، سلسلة النظام ، قريبة المتناول .

وروي أن عمر بن العلاء وصله عليها سبعين ألف درهم ، ففسدته الشعراء ،
وقالوا : لنا بباب الأمير أعوامٌ نتخذُ من الآمالِ ، ماوصلنا إلى بعض هذا ! فاتصل ذلك
به ، فأمر بإحضارهم ، فقال : بلغني الذي قُلْتُمْ ؛ وإنَّ أحدكم يأتي فيمدحني بالقصيدة
يشبِّبُ فيها فلا يَصِلُ إلى المدحِ حتى تذهبَ لَذَّةُ حلاوته ، ورائقُ طلاوته ؛

(١) خولتني : أعطيتني وملكتني (م) - والحول : حاشية من العيد والإماء
للواحد والجمع والمذكر والمؤنث

وإنَّ أبا العتاهية أتى فشرب بآيات يسيرة ، ثم قال : إنَّ المطايا تشتكيك لأنها ...
وأنشد الأبيات . وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخَّر عنه برَّه قليلا ،
فكتب إليه يستبطئه :

أصابت علينا جودك العينُ يا عمرُ فنحن لها نبغي التمامَ والنشرَ^(١)
أصابتك عينٌ في سخائك صلبةٌ وياربَّ عين صلبةٌ تفلقُ الحجرَ
سنزقيك بالأشعارِ حتى تملأَ فإن لم تُفِقْ منها رقيبناك بالشَّورِ
وقال :

يأبْنَ العلاءَ ويأبْنَ القرمَ مرداسِ إني مدخُنتك في صَحْبي وجُلَّاسِ^(٢)
أثنى عليك ولي حالٌ تُكذِّبُنِي فما أقولُ فأستحجي من النَّاسِ
حتى إذا قيل : ما أولاك من صفدٍ طأطأتُ من سوءِ حالي عندها رايمِي^(٣)
فأمر حاجبه أن يدفع إليه المال ، وقال : لا تُدْخِلْهُ عَلَيَّ ، فإني أَسْتَحِي منه .
وذكر بعضُ الرواة أنَّ المهدي خرج متصيِّداً ، فسمع رجلاً يتغنَّى من القصيدة
التي مرَّت منها الأبيات في عمر بن العلاء آنفاً :

يا مَنْ تفرَّدَ بالجمالِ فما تَرَى عيني على أحدٍ سِوَاهُ جَمَلا
أكثرَ في قولي عليك من الرُّقَى وضربتُ في شِعْري لك الأمثالَ
فأبَيْتَ إِلَّا جَفْوَةً وقُطِيعَةً وأبيتُ إِلَّا نَخْوََةً ودَلالَةً
باللهِ قولي إنَّ سألْتَكَ واطدُّ في أوجَدْتُ قَتْلِي في الكتابِ حَلالَةً
أَمْ لَا ، ففيمَ جَفَوْتَنِي وظَلَمْتَنِي وجعلتني للعالمين نَكَالاً
كم لائِمٌ لو كنت أَسْمَعُ قولَه قد لائِمِي ونهَى وعدَّ وقالاً

(١) النشر : جمع نشرة بالضمه ، وهي الرقية يداوى بها المريض والمجنون .

(٢) القرم - بالفتح - الفحل .

(٣) الصفد - بالتحريك - العطاء .

فقال المهديّ : عَلَيَّ بِهِ ، فُجَاءَهُ ، فقال : لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قال : لِإِسْمَاعِيلَ .
ابن القاسم أبي العتاهية ، قال : لِمَنْ يَقُولُهُ ؟ قال : لِعُتْبَةَ جَارِيَةِ الْمَهْدِيِّ ، قال :
كَذَبْتَ ، لَوْ كَانَتْ جَارِيَتِي لَوَهَّبْتُهَا لَهُ ، وَكَانَتْ عُتْبَةُ لِرَيْطَةِ بِنْتِ أَبِي الْعَبَّاسِ
السَّفَّاحِ ، وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِهَا كُلِّ مَبْلَغٍ ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِيمَا زَعَمَ
الرَّوَاةُ تَصْنَعُ ، وَتَخْلُقُ ؛ لِيُذَكَّرَ بِذَلِكَ .

[مِنْ أَخْبَارِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ]

قال يزيد [بن] حوراء المغني : كَلَّمَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ أَنَّ أَكَلَمَ الْمَهْدِيَّ فِي عُتْبَةٍ ؛ وَلَوْعَهُ بِعُتْبَةٍ

فقلت : إِنَّ الْكَلَامَ لَا يُمْكِنُنِي ، وَلَكِنْ قُلْ شِعْرًا أَغْنِيهِ إِيَّاهُ ، فقال :

نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا مُعَلَّقَةٌ اللَّهُ وَالْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ يَكْفِيهَا
إِنِّي لِأَيَّاسٍ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمَعُنِي فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

فَعَمِلْتُ فِيهِ لَحْنًا وَغَنَيْتُهُ الْمَهْدِيَّ ؛ فقال : لِمَنْ هَذَا ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ،
فقال : نَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ ، فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ ؛ فَمَكَثَ أَشْهُرًا ، ثُمَّ أَتَانِي فَقَالَ :
هَلْ حَدَّثْتَ خَبَرَ ؟ فقلت : لَا ، فقال : غَنِّهِ بِهَذَا الشَّعْرِ :

لَيْتَ شِعْرِي مَا عِنْدَكُمْ لَيْتَ شِعْرِي إِنَّمَا آخِرُ الْجَوَابِ لِأَمْرِ
مَا جَوَابُ أُولَى بِكُلِّ جَمِيلٍ مِنْ جَوَابٍ يُرَدُّ مِنْ بَعْدِ شَهْرِ

قال يزيد : فَغَنَيْتُ بِهِ الْمَهْدِيَّ ، فقال : عَلَيَّ بِعُتْبَةٍ ، فَأَحْضَرْتُ ، فقال : إِنَّ
أَبَا الْعَتَاهِيَةَ كَلَّمَنِي فِيكَ ، وَعِنْدِي لَكَ وَلَهُ مَا تَحْبَبَانِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَلِمَ مَوْلَايَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَوْجَبَهُ مِنْ حَقِّ مَوْلَاتِي ، فَأُرِيدُ أَنْ أَذْكَرَ لَهَا ذَلِكَ ؛ قَالَ :
فَاعْمَلِي ؛ فَأَعْلَمْتُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ بِمَا جَرَى ، وَمَضَتْ الْأَيَّامُ ؛ فَسَأَلَنِي مَعَاوِدَةَ الْمَهْدِيِّ ،
فقلتُ لَهُ : قَدْ عَرَفْتُ الطَّرِيقَ فَقُلْ مَا شِئْتَ حَتَّى أَغْنِيَهُ ، فقال :

أَشْرَبْتُ قَلْبِي مِنْ رَجَائِكَ مَا لَهُ عَنَقٌ إِلَيْكَ يَخْبُ بِي وَرَسِيمٌ^(١)

(١) العنق والرسم : مِنْ أَنْوَاعِ السَّيْرِ السَّرِيعِ .

وَأَمَلْتُ نَحْوَ سَمَاءِ صَوْبِكَ نَاطِرِي أَرْعَى نَحَائِلَ بَرْقِهَا وَأَشِيمُ^(١)
 وَلَقَدْ تَنَسَّمْتُ الرِّيحَ لِحَاجَتِي وَإِذَا لَهَا مِنْ رَاحَتِكَ نَسِيمُ
 وَلرَبِّمَا اسْتِيَأَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ : لَا إِنَّ الَّذِي ضَمِنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ

فغنيتها بالشعر ، فقال : عَلَى بَعْتَبَةٍ ، فَأَتَتْ ؛ فقال : ما صنعت ؟ قالت : ذكرت ذلك لمولاتي فَأَبَتْهُ وَكَرِهَتْهُ ، فليفعلن أمير المؤمنين ما يريد ، فقال : ما كنت لأفعل شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال :

قَطَعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَأَرَحْتُ مِنْ حُلٍّ وَمِنْ تَرَاحَالِ
 مَا كَانَ أَشَامَ إِذْ رَجَاؤُكَ قَادَنِي وَبَنَاتُ وَعْدِكَ يَغْتَلِجْنَ بِنَائِي
 وَلَتَنْ طَمِعْتُ لِرَبِّ بَرْقِ خُلْبٍ مَالَتْ بِذِي طَمَعٍ وَلُوعَةِ آلِ^(٢)
 وَقَدْ نَقَلْتُ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ فِي ذَلِكَ .

المهدى يضرب
 أبا العتاهية
 مائة سوط

وضرب المهدي أبا العتاهية مائة سوط لقوله :

أَلَا إِنَّ ظَنِيًّا لِلْخَلِيفَةِ صَادَنِي وَمَالِي عَلَى ظَنِّيِ الْخَلِيفَةِ مِنْ عَدَوِي

وقال : أبنى يَتَمَرَّسُ^(٣) ، وَلِحَرْمِي يَتَعَرَّضُ ، وَبِنِسَائِي يَعْثُ ؟ وَنَفَاهُ إِلَى الْكَوْفَةِ .

وفي ضربه يقول أبو دُهْمَان :

لَوْلَا الَّذِي أَحْدَثَ الْخَلِيفَةُ لِلْعَشَّاقِ مِنْ ضَرْبِهِمْ إِذَا عَشَّقُوا
 لَبُحْتُ بِاسْمِ الَّذِي أَحَبُّ ، وَلَسَكُنِّي امْرُؤٌ قَدْ ثَنَانِي الْفَرْقُ^(٤)

(١) أَشِيم : أَنْظُر .

(٢) البرق الخلب : ما لامطر فيه ، والآل : السراب .

(٣) يقال : تَمَرَسَ بِالشَّيْءِ وَامْتَرَسَ ، إِذَا احْتَكَّ بِهِ .

(٤) الفرق - بالتحريك - الخوف - وثناني : صرفني ومال بي عما أريد (م) .

من شعرة
في عتبة
وكان أبو العتاهية بالكوفة لما نفي يذكُر عتبة ، ويكنى باسمها ، فمن
ذلك قوله :

قل لمن لستُ أسمى بأبي أنت وأمي
بأبي أنت لقد أصبَحْتَ من أكبر همي
ولقد قلت لأهلي إذ أذاب الحبُّ لَحْمِي
وأرادوا لي طيباً فاكْتَفُوا مِنِّي بعلمي :
من يكن يجهلُ ما أَلْقَى فَإِنَّ الحبَّ سُقِمِي
إنَّ رُوحِي لبغدا دَ ، وفي الكوفة جِسْمِي
وقوله :

أَمسى ببغداد ظَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ
إِنَّ الحبَّ إِذَا شَطَّتْ مَنَازِلُهُ
يَا رَبِّ لَيْلٍ طَوِيلٌ بَتُّ أَرْقَبِهِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ إِلَّا مَذْعَرَفَتِكُمْ
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَى
إِلَّا بَكَيْتُ إِذَا مَا ذِكْرُهُ خَطَرًا
عن الحبيب بكى أَوْ حَنَّ أَوْ ذَكَّرَا
حتى أضَاءَ عُمُودُ الصُّبْحِ فَانْفَجَرَا
أَنَّ المَضَاجِعَ مِمَّا تُنْبِتُ الْإِبْرَا
عَيْنِ الشَّجَى إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا

بين المهدي
وأبي العتاهية
ولما قدمت عتبة ببغداد قدم معها أبو العتاهية، وتلطّف حتى اتّصل بالرشيد في
خلافة أبيه المهدي ؛ وتمكّن منه ، وبلغ المهديّ خبره ، فأحضره ؛ فقال : يا بئس ؛
أنت مستقتل ، وسأله عن حاله ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

أَنْتَ الْمُقَابِلُ وَالْمُدَا بَرِّ فِي الْمُنَاسِبِ وَالْعَدِيدِ
بَيْنَ الْعُمُومَةِ وَالْخُشُوعِ وَالْأُبُوءَةِ وَالْجُدُودِ
فَإِذَا أَنْتَمَيْتَ إِلَى أَبِيكَ فَانْتَ فِي الْمَجْدِ الْمَشِيدِ
وَإِذَا أَنْتَمَى خَالٌ فَكَ خَالٌ بِأَكْرَمَ مِنْ يَزِيدِ

يريد يزيد بن منصور ؛ وكانت أم المهدي أم موسى بنت منصور الحميري
وأنشده :

عَلِمَ الْعَالَمُ أَنَّ الْمَنَايَا سَامِعَاتُ لَكَ فِيمَنْ عَصَاكَ
فَإِذَا وَجَّهَتْهَا نَحْوَ طَايِغٍ رَجَعَتْ تَرْغُفُ مِنْهُ قَنَاكَ^(١)
وَلَوْ أَنَّ الرِّيحَ بَارَتْكَ يَوْمًا فِي سَمَاحٍ قَصَّرتَ عَنْ نَدَاكَ

وأنشده:

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا
وَلَوْ تَطَّعَهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا

فقال له المهدي: إن شئت أدبناك بضربٍ وجميع ؛ لإقدامك على ما نهيت عنه ،
وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة على مدحك لنا . وإن شئت عفونا عنك فقط .
فقال : بل يُضَيِّفُ أميرُ المؤمنين إلى كريم عفوه جميل معروفه ؛ ومكرُمتان
أكثرُ من واحدة ، وأميرُ المؤمنين أولى من شفع نعمته وأتم كرمه . فأمر له
بثلاثين ألف درهم وعفا عنه .

ولما قدم الرشيدُ الرَّقَّةَ أظهر أبو العتاهية الزَّهد والتَّصوف وترك الغزل ، فأمره الرشيد يحبسه
الرشيد أن يتغزل ، فأبى ، فحبسه ، ففتى بقوله :

خَلِيلِي مَالِي لَا تَزَالُ مَضَرَّتِي تَكُونُ عَلَى الْأَقْدَارِ حَتْمًا مِنَ الْخَتَمِ
كَفَاكَ بِحَقِّ اللَّهِ مَا قَدْ ظَلَمْتَنِي فَهَذَا مَقَامُ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الظُّلَمِ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جِسْمِي وَقُوَّتِي أَلَا مُسْعِدٌ حَتَّى أَنْوَحَ عَلَى جِسْمِي

(١) ترغف : أراد به تسيل دما .

فأمر بإحضاره وقال : بالأمس ينهك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل ،
فتأبى إلّا لجاجاً ومَحْكاً ؛ واليوم آمرُك بالقول فتأبى جُرْأةً على وإقداماً ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الحسناتِ يُذهِبن السيئات ، كنتُ أقول الغزلَ ولى شبابٌ
وجِدَّةٌ ، وبى حَرَاك وقُوَّةٌ ، وأنا اليوم شيخٌ ضعيفٌ لا يحسن بمثلِ تصابٍ ؛
فردّه إلى حبسه ؛ فكتب إليه :

أنا اليوم لى ، والحمدُ لله ، أشهرٌ يَرُوح على الغمِّ منك وَيَبْكُرُ
تذكّرْ ، أمينَ الله ، حقّى وحُرْمَتِي وما كنتُ تُولِينِي ، لعلَّكَ تَذْكُرُ
ليالى تَدْنِي منك بالقُربِ مجلسي ووجهُك من ماء البشاشة يقطرُ
فمَنْ لِي بالعين التى كنتَ مرّةً إلىَّ بها من سالفِ الدَّهرِ تَنْظُرُ
فبعث إليه : لا بأس عليك ؛ فقال :

كَانَ الْخَلْقَ رَكِبَ فِيهِ رُوحٌ له جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسُ
أَمِينَ اللَّهِ إِنَّ الْحَبْسَ بِأَسْ وقد وَقَعْتَ : ليس عليك بأسُ

فأخرجه .

أخذ البيت الأول من هذين على بن جبلة وزاد فيه ، فقال لأبي غانم الطوسي :

دجلة تَسْقِي وأبو غانمٍ يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ
والخلقُ جِسْمٌ ، وإمام الهدى رَأْسٌ ، وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ

وكان عمر بن العلاء ممدّحاً ، وفيه يقول بشار بن برد :

إِذَا أَيْقَظْتَكَ حُرُوبُ الْعِدَى فَتَبَّهَ لَهَا عُمْراً ثُمَّ نَمَ
دَعَانِي إِلَى عُمْرٍ جَوْدُهُ وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بِحَرْ خِضَمِ

بشار يمدح
عمر بن العلاء

ولولا الذي ذكروا لم أكن لأمدح ريمانة قبل شم
فتي لا يبيت على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم^(١)

لأبي سعد
المخزومي

أخذ هذا البيت أبو سعيد المخزومي^(٢)، فقال :

وما يُريدون ، لولا الجبن ، من رجل بالليل مشتمل بالجمر مُسكتحل
لا يضرب الماء إلا من قليب دم^(٣) ولا يبيت له جار على وجل
وقال أبو الطيب :

تعود ألا تقضم الحب خيله إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق^(٤)
ولا ترد الصدران إلا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق^(٥)
وقال أبو القاسم بن هاني :

لأبي الطيب
المتنبي

(١) الدمنة هنا معناها الحقد الثابت .

(٢) كان أستاذنا المرحوم الشيخ سيد المرصفي أملانا أنه « أبو سعد » بدليل قول من هجاه :

إن أبا سعد فتى ماجد يعرف بالكنية لا الوالد .
ينشد في حى معد أبا ضل عن النشود والناشد
فرحمة الله على مسلم يرد مفقوداً على فاقد
(٣) القليب : البئر .

(٤) القضم : أكل اليابس ، والهام : الرؤوس ، والعلائق : جمع علاقة وهي ما يتعلق به الشيء ، والمراد الخالي . قال ابن جني : سألت أبا الطيب عن معنى هذا البيت ، فقال : القرس إذا علفت عليه الحلاة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم يأكل خيله أبدأ إذا أعطيت عليها جعلته على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة ما هناك منها .
(٥) الصدران : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل ؛ وفي الأصل « الغريان » ، والشقائق : جمع شقيق . وهو زهر أحمر

لاين هانيء

مَنْ لَمْ يَرِ الْمَيْدَانَ لَمْ يَرِ مَعْرَكَاً أَشْبَاهَ، وَيَوْمًا بِالْأُسْنَةِ أَكْهَبًا^(١)
 وَكَتَائِبًا تُرْدِي غَوَارِبَهَا الْعِدَى وَفَوَارِسًا تَعْدُو صَوَالِحَهَا الظُّبَا
 لَا يُورِدُونَ الْمَاءَ سُنْبُكَ سَابِجٍ أَوْ يَكْتَسِي بِدَمِ الْفَوَارِسِ طُحْلُبًا^(٢)
 [رجع إلى عمر بن العلاء]

قال : وبلغ عمر بن العلاء أن أبا العتاهية عاتبه عليه في هنات نالها منه في مجلس ، وكان كثير الانقطاع إليه ، فتخلف عنه ، فساء ذلك عمر ، فكتب إليه : قد بلغني الذي كان من تجنبك فيما استخفك به سوء الأدب عن علم حقيقة متى ، فصرت متردداً من العمى في يلاميع الشبهة^(٣) ؛ ولو كان معك من علمك دايع إلى لقائي لك كشفت لك موريد الأمر ومصدره ، لترجع إلى الصلة ، فتقال أو تأتي إلا الصريمة فتضرم ؛ وقد قال الأول :

بين عمر بن
العلاء وأبي
العتاهية

وَمُسْتَعْتَبٌ أَبْدَى عَلَى الظَّنِّ عَتْبَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْحَفِظَاتِ غَلِيلُ
 كَشَفْتُ لَهُ عُذْرًا فَأَبْصَرَ وَجْهَهُ فَعَادَ إِلَى الْإِنْصَافِ وَهُوَ ذَلِيلُ
 فَأَجَابَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : لَمْ أَجْزُ بَعَثِي الْحَقِيقَةَ إِلَى الشَّبْهَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ سَعَةً مَعَ عَظِيمِ قُدْرَتِكَ إِلَى حَمْلِ اللَّأْمَةِ ، فَقَصَّرَ بِي الْخَوْفُ مِنْ سَخَطِكَ ، عَلَى تَرْكِ مَعَاتِبَتِكَ ؛ لِأَنَّ الْمَعَاتِبَةَ لَا تَجْتَنِي إِلَّا مِنَ الْمَسَاوِي ، وَلَوْ رَغِبْتَ عَنِ الصَّلَةِ إِلَى الْقَطِيعَةِ لِنَقَاضِيَتِكَ ذَلِكَ عَنْ طَوْلِ الصُّحْبَةِ ، وَسَالَفِ الْمُدَّةِ ، وَأَنَا أَقُولُ :

رَضِيتُ بِبَعْضِ الذُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَلَيْسَ لِمُثْلِي بِالْمُلُوكِ يَدَانِ
 وَكُنْتُ امْرَأً أَخْشَى الْعِقَابَ وَأَتَّقَى مَعْبَةً مَا تَجَنَّبُنِي يَدِي وَلِسَانِي
 فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَضْمَنْ تَوْبَتِي فَإِنِّي امْرُؤٌ أَوْفَى بِكُلِّ ضَمَانِ
 فَتَرَاجَعَا إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَا عَلَيْهِ

(١) أشب: مختلط ، وأكهب: مظلم

(٢) الطحلب: خضرة تعلو الماء الزمن

(٣) اليلاميع: جمع يلمع ، وهو البرق الخلب والسراب ، ويشبه به الكذاب .

وإنما ألم أبو العتاهية في قوله « إن المطايا تشتكك ... وما يليه » بقول أبي الحُجَنْاء نُصِيبُ الأَكْبَرُ :

فَعَا جُوا فَأَتْنَوْا بِالذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنَتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
وقال أبو الطيب في أبي العشائر الحمداني :

للمتنبى

تُنْشِدُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ بِالسُّنِّ مَالَهِنَّ أَفْوَاهُ
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ
وهذا المعنى من النُصْبَةِ^(١) الدالة بذاتها التي ذكرتها عن الجاحظ في أقسام البيان .

وقال بعضُ الخطباء : أشهد أن في السموات والأرض آياتٍ ودلالاتٍ ،
وشواهدَ قَائِمَاتٍ ؛ كلُّ يُوْدِي عنك الحِجَّةَ ، ويشهد لك بالربوبية .
ونظيرُ هذا قولُ أبي العتاهية ، وروى أنه جلس في دكان ورَّاق ، وأخذ
كتاباً فكتب على ظهره :

لأبي العتاهية

فَوَاعِبْجَا كَيْفَ يُعْصَى الْمَلِكُ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُهُ الْجَاهِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ فِي الْوَرَى شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وانصرف ، فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الأبيات ، فقال : لِمَنْ هذا ؟ لأبي نواس
فلو ددتها لي بجميع شعري ، فقليل : لإسماعيل بن القاسم ، فوقع تحتها :
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ
فَصَاعَغَهُ مِنْ قَرَارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ
يَحُولُ شَيْئًا فَشَيْئًا فِي الْحُجْبِ دُونَ الْعِيُونِ^(٢)
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ مَخْلُوقَةٍ مِنْ سُكُونِ

(١) النُصْبَةُ : ما ينضب من العلامات لتدل على معان جري العرف بدلالاتها عليها (م)

(٢) يحول : يتحول من حال إلى حال أخرى (م)

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي : سَلِ الْأَرْضَ مَنْ غَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَشَقَّ
أَنْهَارَكَ ، وَجَنَى ثَمَارَكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا ، أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا .

وهذا شبيهٌ بقول عدي بن زيد ، وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سَرَحَةٍ^(١) ؛
فقال : أُنْذِرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ السَّرَحَةُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ قال : وما تقول ؟ قال : تقول :
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبِ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
ويروى « عَكَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَتَوَّاهُ^(٢) » . فتكدر حال الثُّمَّانِ وما كان
فيه من لَذَّةٍ .

ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة الحال

لوسكت الشَّاكِرُ لَنَطَقَتِ الْمَآثِرُ . لَوْصَمَتِ الْمُخَاطِبُ لِأَثْنَتِ الْحَقَائِبُ ،
وَلَشَهِدَتِ شَوَاهِدُ حَالِهِ عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ . إِنْ جَحَدْتُ مَا أَوْلَانِيهِ ، وَكَفَرْتُ
مَا أَعْطَانِيهِ ، نَطَقَتْ آثَارُ أَيَادِيهِ عَلَى ، وَلَمَعَتْ أَعْلَامُ عَوَارِفِهِ^(٣) لَدَى .

ولأبي الفضل الميكالي من رسالة : وَرَدَ فُلَانٌ فُتْعَاطِي مِنْ شُكْرِهِ عَلَى نِعْمِهِ
الَّتِي أَلْبَسَهُ جَمَالَهَا ، وَأَسْحَبَهُ أَذْيَالَهَا ، مَا لَوْ لَمْ يَتَحَدَّثْ بِهِ نَاشِرًا وَمُثْنِيًا ، وَمُعِيدًا
وَمُبْدِيًا ، لِأَثْنَتِ بِهِ حَالَهُ ، وَشَهِدَتْ بِهِ رِجَالَهُ ، حَتَّى لَقَدْ امْتَلَأَتْ بِذِكْرِهِ
الْحُفَافُ ، وَسَارَتْ بِجَبْرِ الرُّكْبَانِ وَالْقَوَافِلُ ، وَصَارَتِ الْأَلْسِنَةُ عَلَى الشُّكْرِ وَالنَّشَاءِ
لِسَانًا ، وَالْجَمَاعَةُ عَلَى النَّشْرِ وَالِدُعَاءِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا ، عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ بَالِغٌ فِي هَذَا
الْبَابِ ، وَجَاوَزَ حَدَّ الْإِكْثَارِ وَالْإِسْهَابِ ، نَهَايَتُهُ الْقُصُورُ دُونَ وَاجِبِهِ ، وَالسَّقُوطُ
عَنْ أَدْنَى دَرَجَاتِهِ وَمَرََاتِبِهِ .

لأبي الفضل
الميكالي

(١) السرحة : الشجرة العظيمة ، أو هي كل شجرة لاشوك لها (م) ، وقد تطلق
مجازاً على المرأة (٢) كذا ، ولا يستقيم وزنه ، ولو كان « عكف الدهر بهم ثم ثووا » لم
(٣) العوارف : جمع عارفة ، وهي النعمة (م)

لأن الفتح
البسقي

ومما يقتزن لهم بهذا المعنى من ذِكْرِ الشكر : قال أبو الفتح البسقي : الحرُّ نَحْلُ الشكر ، إن أجنّاه المرء من خيره شكراً أجنّاه من برّه شهداً .

غيره : الشكر ترجمانُ النِّية ، ولسانُ الطَّوَيَّة ، وشاهدُ الإخلاص ، وعنوان الاختصاص . الشكرُ نسيمُ النِّعم ، وهو السببُ إلى الزيادة ، والطريقُ إلى السعادة . الشكرُ قيْدُ النِّعمة ، ومفتاحُ المزيد ، وثمنُ الجنة . مَنْ شَكَرَ قليلاً ، استحقَّ جزيلاً . شُكْرُ المولى ، هو الأولى . الشكرُ قيْدُ النِّعم وشِكاؤها . وعِقاؤها ، وهو شبيه بالوخش التي لا تقيم مع الإيحاش ، ولا تريم^(١) مع الإيناس . مَوْقِعُ الشكرِ من النعمة مَوْقِعُ القَرى من الضيف ، إن وجده لم يريم^(١) ، وإن فقده لم يُقيم . الشكرُ غرسٌ إذا أودع سَمْعُ الكريم أثمر الزيادة ، وحفظُ العادة . الشكرُ تعرّض للمزيد السائغ ، والنِّعم السَّوائغ . شُكْرُهُ شكرُ الأسير من أطلقه ، والمملوك من أعتقه . أثنى عليه ثناء الرّوضِ المُحِل ، على العَيْثِ المُسْبِل . أثنى عليه ثناء لسان الزّهر ، على راحة المطر . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزّلال البارد . شُكْرُهُ شكرُ الأرض للديم^(٢) ، وزهْيُ لهرِم . بسَطَ لسانِ الثناء والادعاء ، وبلغ عنان الشكرِ عنان السماء . شَكَرَهُ شكراً ترتاح له المكارم ، وتهتزّ له المواسم . لأشكرته شُكْراً تشيع أنواعه ، وتنبسطُ أنواعه^(٣) ، ويلد ذكره وسماعه . شَكَرَ ملاً القلب والاسان ، كشكر حَسَّان لآل غَسَّان . أطال عِنان الشكر ، وفسح مجالَه ، ورفع أعْمِدته ، ومدَّ أروقتَه . شُكْرُ كَأْنفاسِ الأحباب ، أو أنفاسِ الأسحار ، أو أنفاسِ الرّياض غِبَّ القِطَار .

[من أخبار نصيب وشعره]

رجع ما انقطع :

كان سببُ قولِ نصيب :

(١) لا تريم : لا تطلق ولا تذهب ولا تفارق (م)

(٢) الديم : جمع ديمة - بكسر الدال - وهى السجاجة التى يدوم مطرها (م)

(٣) الأبواع : جمع باع ، وهو مسافة ما بين أطراف أصابع يديك حين تبسطهما موازيين لصدرك (م) .

* فَعَا جُوا فَأَتْنُوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ *

أنه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك، فقال سليمان بن عبد الملك : يا فرزدق ؛ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ، قال : لماذا ؟ قال بقولي :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تَرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرَوْا وَسَرَتْ نَسْكَاءٌ وَهِيَ تَلْفَهُمْ إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ ذَاتِ الْحَقَائِبِ^(١)
إِذَا آنَسُوا نَارًا يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ، وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبٍ

يريد أباه - وهو غالب بن صَعَصَعَةَ بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع - فأعرض عنه سليمان كالغضب ؛ لأنه إنما أراد أن يُنْشِدَ مدحاً فيه : ففهم نصيب مراده ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد قلتُ أبياتاً على هذا الروي ليست بدونها ، فقال : هَاتِهَا ؛ فَأَنْشَأَ نَصِيبٌ يَقُولُ :

أَقُولُ لِرَكِبٍ قَافِلِينَ لَقِيْتَهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبٌ^(٢)
فَقَدْ أَخْبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ أَنْتِي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبٌ^(٣)
فَعَا جُوا فَأَتْنُوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
فَقَالُوا : تَرْكَنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبٌ
وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفَعْلِ مِنْكَ يَقَارِبُ
لَقُلْنَا : لَهُ شِبْهُ ، وَلَكِنْ تَعَذَّرْتُ سِوَاكَ عَنِ الْمُسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبُ
هُوَ الْبَذَرُ وَالنَّاسُ الْكُوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ تُشَبِّهُ الْبَذَرَ الْمُنِيرَ الْكُوَاكِبُ

فقال سليمان : أحسنت ، والنفت إلى الفرزدق ، فقال : كيف تسمع يا أبا فراس ؟ قال : هو أشعرُ أهلِ جلدته ، قال : وأهل جلدتك ؛ فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) النكباء : هي الريح التي تميل عن مهاب الرياح ، والأكوار : جمع كور بالضم وهو الرجل ، والحقائب : جمع حقيبة ، وهي الرقعة في مؤخر القتب وكل ما شد في مؤخر رحل أو قتب .

(٢) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة - وقفا : منصوب تقديرًا على أنه ظرف مكان ، أي لقيتهم في هذا الموضع (م)
(٣) حفظي «قفوا خبروني» وهو أدق (م)

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رَجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

[من المديح]

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وهذا بابٌ في المدح حسن متجاوز مُبتدع لم يُسبق إليه .

قول نصيب : « من أهل ودّان » . قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ذكر محمد ابن كناسة والزبيدي أنّ نصيباً من أهل ودّان ، وكان عبداً لرجل من بني كنانة هو وأهل بيته ، وزعم أبو هفان أنه عبداً لعبد العزيز بن مروان ، وكان نصيبٌ شديد السواد ، وهو القائل :

كُتِبْتُ - ولم أملك - سَوَادًا ، وَتَحْتَهُ
فَمَا ضَرَّ أَثَوَابِي سَوَادِي ، وَإِنِّي

لسحيم

وقال سحيم عبد بن الحسحاس :

أَشْعَارُ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَمْنٌ لَهُ عِنْدَ الْفَخَّارِ مَقَامُ الْأَصْلِ وَالْوَرَقِ
إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَنَفْسِي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَبْيَضُ الْخُلُقِ

وقال أبو الطيب المتنبي لكافور الإخشيدي :

المتنبي

إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضُ الْخَلْقِ خَيْرٌ مِنْ أَبْيَضِ الْقَبَاءِ

وقال نصيب لبعض ملوك بني أمية : إن لي بنات نفضت عليهن من سوادى ،

فقال : ما أحسن ما تُلطّفت لهنّ ! وأمر له بصلّة .

وكان أبو تمام حبيب بن أوس لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات

بين أبي تمام وابن الزيات

بقصيدته التي أولها :

لَهَانٌ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا وَنَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتَفْضَلَا

وهي من أحسن شعره ، وقّع له على ظهرها :

رَأَيْتَكَ سَمَحَ الْبَيْعَ سَهْلًا ، وَإِنَّمَا يُغَالَى إِذَا مَاضَ بِالْشَيْءِ بَائِعُهُ

(١) القوهي : ثياب بيض تنسب إلى قوهستان . والبنائق : الجيوب ، مفردها بنية

فأما إذا هانت بضائعُ بَيْعِهِ فيوشك أن تبقى عليه بضائعُهُ
هو الماء إن أجمتته طاب ورْدُهُ ويفسد منه أن تباح مَشارِعُهُ
فأجابه بقصيدة طويلة ، واحتج عليه واعتذر إليه في مدحه لغيره ؛ فقال في
بعض ذلك :

أما القوافي فقد حصنتُ غرَّتَها فما يُصَابُ دَمٌ منها ولا سَلَبُ
منعتُ إلا من الأَكفاء أَيْمَها وكان منك عليها العُطفُ والحدبُ
ولو عضلتُ عن الأكفاء أَيْمَها ولم يكن لك في إظهارها أَرَبُ^(١)
كانت بناتِ نصيبٍ حين ضنَّ بها على الآوَالى ولم تحفل بها العَرَبُ
وقد قيل إن أبا تمام أجابه بقوله :
أبا جعفر إن كنتُ أصبحتُ شاعرا أَسامحُ في بَيْعِي له من أبايَعُهُ
فقد كنتُ قبلي شاعراً تاجراً به تَساهلُ من عادت عليك مَنافِعُهُ
فصِرتُ وزيراً والوزارة مَكْرَعُ يَفْصُ به بعد اللَذَاذة كَارِعُهُ^(٢)
وهم من وزير قد رأينا مُسَلَّطاً فعادَ وقد سُدَّتْ عليه مَطَالِعُهُ
ولله قَوْسٌ لا تطيشُ سِهامُها ولله سيفٌ لا تفلُ مَقاطِعُهُ

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى : ويقال إن هذه الأبيات منجولة لحبيب ،
وليس مثل أبي جعفر في جلالةِ قدره واصطناعه لحبيب يُعَامَلُ بمثل هذا الجواب ،

(١) عضل المرأة : منعها عن الزواج ظلماً ، والأيم : من لا زوج لها ، بكراً أو ثيباً .
ومن لا امرأة له ، وتأييم : مكث زماناً لم يتزوج .

(٢) المكرع : المكان الذى تشرب منه الدواب ، وكان كذلك لأن الحيوان
لا يكاد يشرب إلا بإدخال أكارعه فيه ، والسكرع - بالضم - هو ما دون الكعب
في الدابة وما دون الركبة من الإنسان ، وكرع في الماء : أدخل فيه أكارعه بالخوض
فيه ليشرب .

ولا يَنْتَهِي جَهْلُ حبيب أن يقابل مأموله ومن يَرْتَجِي جليل الفائدة منه
بهذه الأبياب .

وقد قيل : بل قالها ، ولم ينشدها أحداً ؛ وإنما ظهرت بعد موته .

وكان ابنُ الزيات كما قال شاعراً ، ومدح الحسن بن سهل في وزارته للمأمون ؛
وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال :

لَمْ أُمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لِيُتْلِسِنِي التَّحْجِيلَ وَالْفُرَا
مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا أَنتَى رَجُلٍ لَا أَقْرَبُ الْوَرْدَ حَتَّى أَعْرِفَ الصَّدْرَا

قال الصولي : وكان السببُ الذي أُوْجِدَ ^(١) أباه جمعاً على اني ممام حتى

قال « لقد رأيتك سَهْلَ البيع - الأبيات » قولَ أبي تمام قصيدته المشهورة في
ابن أبي دُوَادَ التي أولها :

سَقَى عَهْدَ الْحَمَى سَبْلُ الْعِهَادِ وَرَوَى حَاضِرَ مَنْهُ وَبَادِ ^(٢)

نَزَحَتْ بِهِ رَكْبِي الدَّمْعَ لَمَّا رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ ^(٣)

يقول فيها في مدحه :

هُمْ عَظَمُ الْأَثَافِي مِنْ نَزَارٍ وَأَهْلُ الْهَضْبِ مِنْهَا وَالنَّجَادِ ^(٤)

مُعَرَّسُ كُلِّ مُفْضَلَةٍ وَخَطْبٍ وَمَنْبِتُ كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَآدِ ^(٥)

(١) أُوْجِدَه : أثار موجدته ، وهي الغضب

(٢) العهادي : أمطار الربيع ، والواحدة عهدة .

(٣) الركي والركايا : الآثار ، والفرد ركية ، وارتكى على صديقه : غول عليه ،

والعتاد : العدة ، والعديد : المعد الحاضر .

(٤) الأثافي : جمع أثفية ، وهي الحجر أو الجبل .

(٥) المعرس : موضع التعريس وهو : نرول لئلا ، والآد والأيد : القوة ، وآد

يشيد أيدا : اشتد وقوى .

إذا حَدَّثُ القَبَائِلِ سَاجِلُوهمْ فإنهمُ بَنُو المَجْدِ التَّلَادِ^(١)
 تُفَرِّجُ عنهم الغَمَرَاتِ بِيضُ^(٢) جِلَادٌ تَحْتَ قَسْطَلَةِ الجِلَادِ^(٣)
 وحشو حَوَادِثِ الأَيَامِ منهمْ معاقلُ مِطْرَدٍ وَبَنُو طِرَادِ^(٣)
 لهمْ جَهْلُ السَّبَاعِ إِذَا المَنَـأِيَا تَمَشَّتْ فِي الوَغَى وَحُلُومُ عَادِ
 لَقَدْ أُنْسَتْ سُلُوى كُلِّ دَهْرٍ محاسنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي دُوَادِ
 مَتَى تَحُلُّنْ بِهِ تَحُلُّنْ جَنَابَا رَضِيعَا لِلسَّوَارِي وَالْعَوَادِي^(٤)
 وَمَا اشْتَبَهَتْ سَبِيلُ المَجْدِ إِلَّا هَذَاكَ لِقِبْلَةِ المَعْرُوفِ هَادِ
 وَمَا سَافَرْتُ فِي الآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدَّوَاكَ رَاحِلَتِي وَزَادِ
 مَقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَابِي فِي البِلَادِ
 وَهَذِهِ النِّسْكَتُ^(٥) الَّتِي أَحَقَّدْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ، وَأَعْتَبْتَهُ عَلَى أَبِي تَمَامٍ ، وَفِي هَذِهِ
 الْقَصِيدَةِ يَقُولُ مُعْتَذِرًا إِلَيْهِ فِي الَّذِي قُرِفَ^(٦) بِهِ عِنْدَهُ مِنْ هِجَاءٍ مُضِرٍّ :
 أَنَا نِي عَارُ الأَنْبَاءِ تَسْرِي عَقَارُهُ بِدَاهِيَةٍ نَادِ^(٧)
 نَتَاخَبَرَا كَأَنَّ القَلْبَ مِنْهُ يُجَرُّ بِهِ عَلَى شَوَاكِ القِتَادِ
 بَأَنِّي نِلْتُ مِنْ مُضَرٍّ وَخَبَّتْ إِلَيْكَ شَكَايَتِي خَبَبَ الجَوَادِ

(١) التلاد : جمع تلید ، وهو المجد القديم .

(٢) الغمرات : جمع غمرة وهي الشدة ، والبيض الجلال : هي السيوف القوية ،

وقسطة الجلال : شدة الحرب .

(٣) الطراد : القتال ، قال الزمخشري في الأساس : « وطارد قرنه ، وتطاردا ،

وبينهما طراد ومطاردة ، وهي حمل أحدهما على صاحبه ومقاتلته وإن لم يكن ثم طرد ،

كما قيل للمحاربة جلال ومجالدة وإن لم يكن ثم مسابقة » .

(٤) السواري : جمع سارية وهي السحابة تمطر ليلا ، والغوادي : جمع غادية وهي

السحابة تمطر نهاراً .

(٥) المراد بالنسكت الإشارات .

(٦) وقع في كافة المطبوعات « في الذي قرب به » تحريف ما أثبتناه (م)

(٧) نَاد : شديدة الأذى .

وما رُبَّ قَطِيعَةٍ لِي بَرَبِعٍ ولا نَادَى الْأَذَى مَتَى بِنَادٍ
وَأَيْنَ يَجُوزُ عَنْ قَصْدِي لِسَانِي وَقَلْبِي رَاحٌ بِرِضَاكَ غَادٍ
ومما كانت الحُكْمَاءُ قَالَتْ : لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ
وقد ما كنتُ معسولَ القوافي ومأدومَ المعاني بالسَّدادِ
[من أخبار ابن أبي دُوَاد]

وكان ابن أبي دُوَاد غالباً في التعصُّب لإياد وإلحاقها بنزار، على مذهب نَسَاب غلوه في التعصُّب
العدنانيين . قال : وكلُّ من بالعراق من إياد دخلوا في النَّخَع ، وإليهم يُنسَبون ؛ لإياد
ومن كان بالشَّام فلم^(١) على نسبهم في نزار ، وابن أبي دُوَاد يرمي بالدعوة ؛ والتكثير
من أخباره يُخْرِجُ إلى ما أخافه من تطويل التصرُّف ، في مملول التكلف .
وكان ابن أبي دُوَاد عالماً بضروب العلم والأدب ، متصرِّفاً في صناعة الجدال ،
على مذهب أهل الاعتزال ، وكانت العداوَّة بينه وبين ابن الزِّيَّات يَبْنة ، والنفاسة
في الرياسة بينهما متمكَّنة ، وقال له بعض الشعراء :

أَكَلَّ أبا دُوَادٍ مِنْ إِيَادٍ فَكَلَّ أبا ذُوَيْبٍ مِنْ هُدَيْلٍ
قال مسلم : ماتاه إلا وضع ، ولا فاخر إلا سقيط ، ولا تعصَّب إلا دَخِيل .
وقال مدني لرجل : بمن أنت ؟ فقال : من قريش ، والحمد لله ، قال : بأبي أنت !
التحميد هاهنا ريبية ! واسم أبي دُوَاد دُعَيْمٌ ، قال أبو اليقظان : وهم من قبيلة
يقال لها بنو زهرة إخوة بني جذان ، وقد ذكره الطائي في قوله :
والغيث من زهرٍ سِجَابَةُ رَافِقٍ والركنُ من شيبانٍ طَوْدُ حَدِيدٍ
ذكر شيبان ، لأن خالد بن يزيد الشيباني شَفَعَ له عند ابن أبي دُوَاد فيما
ينساق الحديث إليه من مَوْجِدَةٍ عليه .

قال محمود الوراق : كنتُ جالساً بِطَرْفِ الجُسْرِ مع أصحاب لي ، فمرَّ بنا
أبو تمام ، فجلس إلينا ، فقال له رجل منا : يا أبا تمام ، أئِى رجل أنْتَ لولم تكن
من اليَمَنِ ! قال : ما أَحِبُّ أئِى بغير الموضع الذى اختاره الله لى ، فَيَمِّنُ^(٢) تحبُّ أن

(١) هكذا ، وأحسبه « فهم على نسبهم - إلخ » (م)

(٢) فى جميع المطبوعات « فمن تحب - إلخ » (م)

أ كُونَ؟ قَالَ . مِنْ مُضَرٍّ ، قَالَ : إِنَّمَا شَرُفَتْ مُضَرٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قِيسُوا بِمُلُوكِنَا وَأَذْوَانِنَا ، وَفِينَا كَذَا ، وَمِنَّا كَذَا - يَفْخَرُ ؛ وَذَكَرَ
 أَشْيَاءَ عَابَ بِهَا مُضَرٌّ ، وَنَمِي الْخَبْرُ إِلَى ابْنِ أَبِي دُوَادٍ وَزَيْدٍ فِيهِ ، فَقَالَ : مَا أَحَبُّ
 أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ بِقَصِيدَةِ أُولَئِكَ :

سَعِدَتْ غُرْبَةُ النَّوَى بِسُعَادِ فِي طُلُوعِ الْإِتِهَامِ وَالْإِنْجَادِ
 يَقُولُ فِيهَا :

بَعْدَ أَنْ أَضَلَّتْ الْوُشَاةُ سُبُوحًا قَطَعَتْ فِي وَهْيٍ غَيْرِ حِدَادِ
 فَتَفَى عَنْكَ زُخْرَفُ الْقَوْلِ سَمْعٌ لَمْ يَكُنْ فَرَضُهُ لَغَيْرِ السَّدَادِ
 ضَرَبَ الْحِلْمُ وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ دُونَ غُورِ الْكَلَامِ بِالْأَسْدَادِ
 مَا لَتَكَ الْأَخْسَابُ أَيَّ حَيَاةٍ وَحَيَاةٍ أَرْزَمَةٍ وَحَيَّةٍ وَادِ
 عَاتَقَ مُعْتَقٌ مِنَ الرِّقِّ إِلَّا مِنْ مُقَاسَاةٍ مَغْرَمٍ أَوْ نَجَادِ
 لِلْحِمَالَتِ وَالْحِمَالِ فِيهِ كَلْحُوبِ الْمَوَارِدِ الْأَعْدَادِ^(١)

فَمَارَضَى عَنْهُ حَتَّى تَشَفَّعَ إِلَيْهِ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَرْزُوقِ الشَّيْبَانِي ، فَقَالَ
 فِي قَصِيدَةٍ :

أَسْرَى طَرِيدًا لِلْحَيَاءِ مِنَ الَّتِي زَعَمُوا ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ بِطَرِيدٍ^(٢)
 كُنْتُ الرَّبِيعَ ، أَمَامَهُ وَوَرَاءَهُ قَمَرُ الْقَبَائِلِ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ
 وَغَدَا تَبَيَّنَ مَا بَرَاءَةٍ سَاحَتِي لَوْ قَدْ نَفَضْتَ تَهَانِي وَنَجُودِي
 اللَّهُ دَرَكُ أَيُّ بَابٍ مُلَمَّةٍ لَمْ يُرَمَ فِيهِ إِلَيْكَ نَالِ الْقَلِيدِ^(٣)

(١) الأعداد : جمع عد بالكسر وهو الماء الجاري الذي لا ينقطع ، واللحوب :
 الوضوح . والمعنى أن عاتق الممدوح تظهر فيه آثار الحمالات والحمائل ظهور قنوات
 الماء الذي لا ينقطع (٢) الذي في الديوان « وليس لرهبه بطريد » (م)
 (٣) الإقليد . المفضح ، وكذلك المقلاد والمقلد

لما أَظْلَنَنِي عَمَامَكَ أَصْبَحْتَ تلكَ الشَّهَادَةُ عَلَيَّ وَهِيَ شَهَادَةُ
 مِنْ بَعْدِ مَا ظَنُّوا أَنَّ سَيَكُونُ لِي يَوْمُ بَزْعِمِهِمْ كَيَوْمِ عَبِيد
 يَرِيدُ عَبِيدَ بْنِ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِي ، وَكَانَ النِّعْمَانُ بْنُ الْمُنْدَرِ تَقِيهِ يَوْمَ
 بُؤْسِهِ فَقَتَلَهُ .

وكان ابن أبي دؤاد كريماً فصيحاً جزلاً . قال أبو العباس : كان عند ابن أبي
 دؤاد ومعنا محمود الورّاق وجاعةٌ من أهل الأدب والعلم ؛ فجاءه رسول إيتاخ
 فقال : إن الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام ، ويقول : القاضي يَتَعَنَّى (١)
 وَيَتَجَنَّبُ فِي الْأَوْقَاتِ ؛ وقد تفاقم الأمرُ بينه وبين كاتب أمير المؤمنين ، يريد ابن
 الزيات ، فصار يضربنا عند قَصْدِهِ القاضي ، وما أَحَبُّ أَنْ يَتَعَنَّى إِلَيَّ لِهَذَا السَّبَبِ ؛
 إِذْ كُنْتُ لَا أَصِلُ إِلَى مَكَافَاتِهِ . فقال : أَجِيبُوهُ عَنْ رِسَالَتِهِ ، فَلَمْ نَذَرْ مَا نَقُولُ ،
 وَنَظَرْنَا بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالَ : أَمَّا عِنْدَكُمْ جَوَابُ ! قُلْنَا : الْقَاضِي - أَعَزَّهُ اللَّهُ ،
 أَعْلَمُ بِجَوَابِهِ مِنَّا ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ : اقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : مَا أَتَيْتَكَ مَتَكَثِّراً
 بِكَ مِنْ قَلَّةٍ ، وَلَا مَتَعَزِّزاً بِكَ مِنْ ذِلَّةٍ ، وَلَا طَالِباً مِنْكَ رُتْبَةً ، وَلَا شَاكِياً
 إِلَيْكَ كُرْبَةً ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ سَاعِدَكَ زَمَانٌ ، وَحَرَّكَكَ سُلْطَانٌ ، وَلَا عِلْمَ
 يُؤَلِّفُ ، وَلَا أَصْلَ يُعْرِفُ ؛ فَإِنْ جِئْتِكَ فَبِسُلْطَانِكَ ، وَإِنْ تَرَكْتِكَ فَلِنَفْسِكَ !
 فَمَجَّيْنَا مِنْ جَوَابِهِ .

[مِنْ بَرَاةِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ]

صعد خالد بن عبد الله القسري المنبر يوم الجمعة ، فخطب وهو إذ ذاك أميرٌ
 على مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته ، وأثنى عليه خيراً ، فلما كان في الجمعة
 الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بِشْتَمِ الحجاج وذكر

عيوبه ، وإظهار البراءة منه ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن إبليس كان مَلَكًا من الملائكة ، وكان يُظهِر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلا ، وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفي عن الملائكة ، فإما أراد الله فضيحتَه ابتلاء^(١) بالسجود لآدم ؛ فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلا ، وكان الله عز وجل أطلع أمير المؤمنين من غلّه وخُبئته على ما خفي عنا ، فإما أراد الله فضيحتَه أجرى ذلك على يدى أمير المؤمنين ، فآلَعُنُوهُ ، لعنه الله .
ثم نزل .

وكان أبو تمام قد مدح الأفشين التركي، واسمه خيدر^(٢) بن كآوس ، وكان من أجَل قُوَادِ المعتصم ، وأبلى في أمر بابك الخرمي بلاءً حمده له ؛ فلما سَخِطَ المعتصم عليه لِمَا نُسِبَ إليه من سوء السيرة ، وقُبِحَ السريرة ، وأنه يخطب درجة بابك ، ويريد التحصن بموضع يَخْلَعُ فيه يده عن الطاعة ، وأظهر القاضي أحمد بن أبي دُواد عليه أنه على غير الإسلام ، قال أبو تمام معتذرا للمعتصم من تقديمه واجتبائه ، ولنفسه من مدحه وإطرائه :

ما كان لولا فحشُ غدره خيدر
ليكونَ في الإسلام عامُ فِجَارٍ
هذا الرسول وكان صفوة ربّه
من خيرِ بادٍ في الأنام وقَارٍ
قد خصَّ من أهل النفاق عصابةً
وهمُ أشدُّ أذى من الكفَّارِ
واختار من سعدٍ لعينِ بنى أبي
سَرِجٍ لعمر الله غيرَ خيارٍ
حتى استضاء بشعلةِ الشُّورِ التي
رَفَعَتْ له سَترا من الأستارِ
ثم ذكر في هذه القصيدة أن قتل الأفشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ، ولا لصحة سريرة ، فقال :

(١) ابتلاء : اختبره . (٢) في بعض الأصول «خيدر» وفي بعضها «حيدر» (م)

والهاشمون المستقلة ظعنهم عن كَرْبَلَاءَ بِأَثْقَالِ الْأَوْزَارِ
فشفاهم المختار منه ولم يكن في دينه المختار بالمختار
[المنافقون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم]

أما من ذكّر من أهل النفاق ، فقد كانوا يظهرُونَ غَيْرَ مَا يُسِرُّونَ ، حتى
أطلع الله نبيّه عليه السلام على أخبارهم ، ونشّر له مَطْوِيّ أسرارهم .
وأما ابنُ أبي سَرَحٍ فهو عبدُ الله بن سعد بن أبي سَرَحٍ بن الحسام بن الحارث بن
حبيب بن خزيمه بن نصر بن مالك [بن حِسل] بن عامر بن لؤي ، أسلم قبل الفتح ،
واستكتبه النبيّ عليه السلام ؛ فكان يكتبُ مَوْضِعَ « الغفور الرحيم » العزيزِ
الحكيم ، وأشبه ذلك ؛ فأطلع الله عليه النبيّ عليه السلام ، فهرب إلى مكة
مرتدّاً ؛ وأنزل فيه : (ومن قال سأُنزل مثل ما أنزل الله) . فأهدر النبيّ صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح دَمَهُ ، فهرب من مكّة ، فاستأمن له عثمانُ رضى الله عنه ؛ فأمنه
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو عثمان من الرّضاعة ، وأسلم فحَسَنَ
إسلامه ، وولّى مصر سنة أربع وعشرين ، فأقام عليها إلى أن حُصر عثمان ، ومات
بقيسارية الشام ، ولم يدخل في شيء من الفتن الحجازية في ذلك الوقت .

عبد الله بن
أبي سرح

المختار بن أبي
عبيد الحارثي

وأما المختارُ الذي ذكره فهو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عبيد
ابن عوف بن عفدة بن عروة بن عوف بن قسيّ وهو ثقيف ؛ وكانت لأبيه في
الإسلام آثارٌ جميلة ، وأختُ المختار صفية بنت أبي عبيد زوجُ ابن عمر ، والمختار
هو كذاب ثقيف الذي جاء فيه الحديث ، وكان يزعمُ أنه يُوحى إليه في قتلةِ
الحسين ؛ فقتلهم بكل موضع ، وقتل عبيد الله بن زياد ، وله أسجاع يصنّعها ،
وألفاظٌ يتبدعها ، ويزعمُ أنها تنزل عليه ، وتوحى إليه .

وقيل للأحنف بن قيس : إن المختار يزعمُ أنه يُوحى إليه ! فقال : صدق ،
وتلا : (وإن الشياطينَ ليُوحىَ بعضهم إلى بعضٍ) . وأخبارُه كثيرة ليس هذا موضعها .

بين أمية بن
خالد وعبد الله
بن الأهم

لما هُزم أمية بن خالد بن أُسَيْدٍ لم يَدْرِ الناس كيف يقولون له ، فدخل
عبدُ الله بن الأهم عليه ، فقال : الحمد لله الذي نظر لنسا أيها الأمير عليك ،

ولم ينظرُ لك علينا ، فقد تعرّضت للشهادة بجهديكَ ، إلّا أن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك ، فأبقاك لهم بخذلان مَنْ معك . فصدر الناسُ عن كلامه .

ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التّكاتب

كتب حمدون بن نهران إلى عاملٍ عزّل عن عمله :
بلغني أعزّك الله أنصيرافك عن عملك ، ورجوعك إلى منزلك ؛ فسُررت بذلك ، ولم أستفطعهُ وأجزع له ؛ لعلمي بأنّ قدرك أجلُّ وأعلى من أن يرفقك عملٌ تتولاه ، أو يضعك عزّلٌ عنه ؛ والله لو لم تختَر الانصراف وترُد الاعتزال لكان في إطفِ تدبيرك ، وثقوب رويّتك ، وحسن تآتيك ، ما تُزِيل به السبب الداعي إلى عزّلك ، والباعث على صرّفك ؛ ونحن إلى أن نهنتك بهذه الحال أولى بنامن أن نعرّيك ؛ إذ أردت الانصراف فأوتيتّه ، وأحببت الاعتزال فأعطيتّه ، فبارك الله لك في مُنْقَلَبِكَ ، وهنّاك النعم بدوامها ، ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها .

من حمدون
بن نهران لعامل
عزّل عن عمله

وكتب ابن مكرم إلى نصراني أسلم :

من ابن مكرم
نصراني أسلم

أمّا بعد فالحمد لله الذي وفّقك لشكره ، وعزّك هدايته ، وطهر من الارتباب قلبك . وما زالت تحاييلك ممثلةً لنا حتميّة ما وهب الله فيك ، حتى كأنك لم ترن بالإسلام مؤسوماً ، وإن كنت على غيره مُقبهاً ، وكنا مؤمّلين لما صرّت إليه ، مُشَفِّقين مما كنت عليه ، حتى إذا كاد إشفاقنا أن يستغلي رجاءنا أتت السعادة بما لم تزل الأنفسُ تعرّ منكَ ؛ فأسأل الله الذي أضاء لك سبيلَ رُشدك أن يوفّقك لصالح العمل ، وأن يؤثّيك في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً ، ويقيّك عذاب النار .

قال بعضُ الكتاب : من الحقّ ما يُستحسن ترّكه ، ويستهجّن عمله ، وقد يقع من ذلك فيما يُحِلّه الشرع ، ويكرهه الأدباء ؛ وكثيرٌ ممن يغلبُ على طبعه هذا المعنى يراد سموّ نفس ، وعلوّ همة . حتى رأينا من لا يحضر ترويج

بعض ما
يستحسن تركه
وإن كان حالاً

كريمته ، ويوتلى أمرها غير نفسه ، ورأينا من يجاوز ذلك إلى ألا يُنكح مستنكحاً ، وزاد به العلو إلى ترك ما ذكره أولى ؛ وكنا عرفنا حال إنسان تزوجت أمه ؛ فعظم لذلك همه ، وانفرد عن أودائه ، وتوارى عن أصفائه ؛ حياءً من لقائهم ، وكرهاً لتهنئتهم له أو عزائهم ، واضطرتته الوحشة إلى قصد من ظن به منهم المسكة في تحامى خطابه فيما اجتنب لأجله خلّائه ، وفارق بسببه إخوانه ، وتخيل ذلك المتصوّد أنه إنما لجأ إليه ليسليه ؛ فأفاض معه فيما قدر أنه قصد له من المعنى الذى جعله وحيداً خوف المفاوضة .

ثم مضت الأيام واختلف الحال ، ورجع إلى العشرة وأبناء المودة ؛ فكان عنده من لم يخاطبه أخفى ، وفي نفسه أوفى ، وعلى قلبه أخف ، وفي نفسه أشف ، وقم على ذلك الصديق وعتب ؛ إذ لكل من الناس - إلا من طاب محتدّه وطال سوءده - حال من الإنف والرغبة تحسن المساوى ، ثم حال من الملل والزّهادة تنبّح الحاسن ؛ واعتذر التكلف من التسلية بما لم يلزمه ، ولم يُرِده صفيه ، فإنه فعل ما أوجبه الأخوة ، وحقوق الخلطة ، وأسباب العشرة ، وانبساط المفاوضة ؛ ودبت عقاربُ الظنون والوشاية ، إلى أن خرجا بالملاحاة إلى المعادة ؛ فلما وقع بعضُ الناس بينهما من معاودة الحسنى ، ومراجعة الأولى ؛ جاهر هذا الماقت بقرع سين الأسف على تحمّل النهى والوقار من الممقوت ، وظاهر الممقوت بتقريع الماقت ، بتزويج أمّه الذى تجشّم من كلامه فيه فضلاً ، وتكلف من خطابه عليه ما من حسرة خلا ؛ فأفضى الأمرُ بينهما إلى الأوتار ، وطلب الثّار .

فإن اضطرّ إلى القول فى هذا المعنى أحدٌ بأمر قاهرٍ من السلطان ، أو حوادثِ الأزمان ، أو تطارح الإخوان ، فليقل وليكتب ما مثّلنا إن لم يجد منه بداً : أنت - بفضلِ الله عليك وإحسانِ تبصيره إليك - من أهل الدين ، وخلص اليقين ، فكما لا تتبع الشهوة فى محظورٍ تبيحه ، فكذلك لا تتبع الأنفة فى مباحٍ تحظره ؛ وقد اتّصل بنا اختارده الله والقضاء لذات الحقّ عليك ، المنسوبة - بعد نسبك إليها - إليك ،

ما يقال لمن
تزوجت أمه

مما كرهه إياؤك الدنيوى لك ولها ، [ورَضِيَه الحلالُ الدينى له ولها] ، فنجن
نعزيك عن فائت محبوبك ، ونهنتك فى الخيرة فى اختيار القدر لك ، ونسأل
الله أن يجعلها أبداً معك فيما رضيت وكرهت ، وأبيت وأتيت .

فهذا ونحوه أضوبُ وأسلم ، إن اضطرت إليه ، وتركه أحسن وأحزم .
إن ملكت رأيك فيه ؛ والتلفُّ للكتابة عما يُستَهجن ولا يستحسن التواجه به
من أحسن الأشياء وأسدها .

من أبى الفضل بن العميد فى باب: الحمد لله الذى كشف عنا سترَ الخيرة .
وهذا لنا لسترِ العورة ، وجدَّع بما شرع من الحلال أنفَ الغيرة ، ومنع من عَضَلِ
الأمهات ، كما منع من وأدِ البنات ، استنزأً للنفوس الأبية ، عن حمية الجاهلية .
ثم عرَّض للجزيل من الأجر من استسلم لمواقع قضائه ؛ وعوَّض جزيلَ الثواب
لمن صبر على نازلِ بلائه ؛ وهنَّاك الله ، الذى شرح للتقوى صدرك ، ووسَّع فى
البلوى صبرك ، ما ألهمك من التسليم بمشيئته ، والرضا بقضيته ، ووفقك له من
قضاء الواجب فى أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ؛ وجعل الله تعالى
حدَّه ^(١) ما تجرَّعته من أنفٍ ^(٢) ، وكظمته من أسفٍ ، معدوداً يعظمُ الله عليه
أجرُك ، ويُجزِلُ به ذُخرك ؛ وقرَن بالحاضر من امتعاضك لِفعلها المنتظر من
ارتِماضك لدَفَنِها ^(٣) ، وعوَّضك من أَمِرة فرَشها أعوادَ نَفْسِها ؛ وجعل
ما يُنعمُ به عليك من بعدها من نعمة مُعرَّى من نعمة ، وما يوليكَ بعد قَبْضِها
من منحة مبرأ من مِحَنَةٍ .

(١) الحد : البأس ، ومثله الجد .

(٢) الأنف والأنفقة : الحمية .

(٣) الارتماض : الحزن .

ألفاظ لأهل العصر في التهناني بالبنات

هنا الله سيدي ورَدَ الكريمة عليه ، وثمر بها أعداد النسل الطيب لديه ؛
وجعلها مؤذنةً بإخوة بررة ، يعمرون أندية الفضل ، ويعبرون ^(١) بقية الدهر .
اتصل بي خبر المولودة ، كرم الله غرتها وأنبتها نباتاً حسناً ، وما كان من
تغيرك بعد اتضاح الخبر ، وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر ، وقد
علمت أنهم أقرب من القلوب ، وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب ، فقال جل
من قائل : (يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) . وما سماه
هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى . أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ،
وأم الأبناء ، وجالبة الأضرار ، وأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ،
ونجباء يتلاحقون .

فلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي لَفُضِّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرَّجَالِ
فَمَا التَّائِيثُ لَأَسْمِ الشَّمْسِ غَيْبٌ وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلَالِ
والله يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة في موقعها ، فادّرع اغتباطا ،
واستأنف نشاطا . الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها . والنار مؤنثة ، والذكور
يعبدونها . والأرض مؤنثة ، ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية . والسماء
مؤنثة ، وقد خلّيت بالكواكب ، وزيّنت بالنجوم الثواقب . والنفس مؤنثة ،
وهي قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تنصرف الأجسام
ولا عُرِفَ الأنام . والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ؛ فهناك
الله ما أوليت ، وأوزعك شكر ما أعطيت ، وأطال الله بقاءك ما عُرِفَ
النسل والولد ، وما بقي العصر والأبد ؛ إنه فعال لما يشاء .

(١) يغبرون : ييقون (م) .

[بعض ما لا يُمدح النساء به]

والتصرف في النساء ضيق النطاق ، شديد الخناق ، وأكثر ما يُمدح به الرجال ذمهن ، ووهم عليهن ، قال ابن الرومي :

ما لِلْحِسَانِ مِسِيثَاتٍ بِنَا ، وَلَنَا إِلَى الْمِسِيثَاتِ طَوْلَ الدَّهْرِ تَحَنُّانُ
فَإِنْ يَبْحُنَ بَعْدَ قُلْنِ : مَعْدَرَةٌ إِنَّا نَسِينَا ، وَفِي النِّسْوَانِ نَسْيَانُ
لَا نُنْزِمُ الذِّكْرَ ، إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ وَلَا مُنْحَنَاهُ ، بَلْ لِلذِّكْرِ ذُكْرَانُ
فَضْلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنْ شِيمَتِهِمْ جُودٌ وَبَأْسٌ وَأَحْلَامٌ وَأُذْهَانُ
وَأَنْ مِنْهُمْ وِفَاءٌ لَا نُقَوْمُ لَهُ وَهَلْ يَكُونُ مَعَ التَّقْصَانِ رُجُحَانُ ؟
وقال أبو الطيب المتنبي :

بَنَفْسِي الْخِيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْعَةٍ وَقَوْلَتُهُ لِي : بَعْدَنَا الْفُضْضُ تَطْعَمُ
سَلَامٌ فَلَوْلَا الْبُخْلُ وَالْخَوْفُ عِنْدَهُ لَقُلْنَا أَبُو حَفْصٍ عَلَيْنَا الْمُسْلَمُ
أَلَا تَرَى أَنَّ الْجُودَ ، وَالْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ ، وَالشَّجَاعَةَ وَالْفُطْنَ ، وَمَا جَرَى فِي
هَذَا السَّنَنِ ، مِنْ فَضَائِلِ الرِّجَالِ ، لَوْ مُدِّحَ النِّسَاءِ بِهِ لَكَانَ تَقْصَاً عَلَيْهِنَ ،
وَذِمًّا لَهُنَّ ؟

ولمدح النساء أبواب تفرقت في الكتاب :

أشد رجل زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور :

أَزْزَبِيدَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ لُجُوبِي لَزَائِرِكَ الْمُنَابِ

تُعْطِينَ مِنْ رِجْلَيْكَ مَا تُعْطِي الْأَكْفُ مِنَ الرِّغَابِ

فوثب إليه الخدم يضربونه ، فمنعته من ذلك ، وقالت : أراد خيراً وأخطأ ،
وهو أحب إلينا من أراد شراً فأصاب ، سمع قولهم « شمالك أُنْدَى مِنْ يمين غيرك »
فظن أنه إذا قال هكذا كان أبلغ ، أعطوه ما أُمِّلَ ، وعرفوه ما جهل .

وقال كثير :

وَمَا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَا سَحَ

رجل يمدح
زبيدة أم
الأمين

لكثير عزة

وَشَدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَطَايِرِ حَالَنَا
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
نَقَعْنَا قُلُوبَنَا بِالْأَحَادِيثِ وَاشْتَقَفْنَا
وَلَمْ نَحْشَ رَبِّبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَلَا يَعْلَمُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
وَسَأَلْتُ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
بِذَلِكَ صَدُورُ مَنْصُجَاتٍ قَرَائِحُ (١)
وَلَا رَاعَنَا مِنْهُ سَنِيحٌ وَبَارِحُ

وقال :

ولكثيراً أيضاً

تَفَرَّقَ الْأَفُّ الْحَبِيجُ عَلَى مَنَى
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَالِكٌ بَطْنِ تَخْلَةٍ
فَلَمْ أَرَ دَاراً مِثْلَهَا دَارَ غِبْطَةٍ
أَوَّلَ مَقِيمَا رَاضِيًا بِمَكَانِهِ
فَأَصْبَحَ لَا تَلْقَى خَبَاءَ عِيْدَتِهِ
فَشَاقُوكَ لَمَّا وَجَّهُوا كُلَّ وَجْهَةٍ
وَشَدَّتْهُمْ شَخْطُ النُّوْيِ مَشَى أَرْبَعُ
وَأَخْرُ مِنْهُمْ جَارِعَ ظَهْرُ تَضَرُّعٍ
وَلَهُوَ إِذَا التَفَّ الْحَبِيجُ بِمَجْمَعٍ
وَأَكْثَرَ جَاراً ظَاعِناً لَمْ يُودَّعِ
بِمَضْرِبِهِ أَوْ تَادَهُ لَمْ تُنَزَّعِ
فَبَانُوا وَخَلَّوْا عَنْ مَنَازِلِ بَلَقَعِ

ودخل كثير على عزة يوماً ، فقالت : ما ينبغي أن تأذن لك في الجلوس ،
فقال : ولم ذلك ؟ قالت : لأنني رأيت الأحوص أَلَيْنَ جانباً عند الغواني منك في
شعره ، وأضرع خدّاً للنساء ، وأنه الذي يقول :

يَأْيُهَا اللَّائِي فِيهَا لِأَضْرِمَهَا
أَكْثَرُ فَلَسْتُ مُطَاعاً إِذْ وَشِنَتْ بِهَا
أَكْثَرْتُ لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ إِكْثَارُ
لَا الْقَلْبُ سَأَلَ وَلَا فِي حُبِّهَا عَارُ
وَيَعْبُونِي قَوْلُهُ :

أَدُورُ وَلَوْلَا أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ
وَمَا كُنْتُ زَوَّاراً ، وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى
لَقَدْ مَنَعَتْ مَعْرِفَهَا أُمَّ جَعْفَرٍ
بِأَبْيَاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ
إِذَا لَمْ يُرْزَ لَا بَدَةَ أَنْ سَيَزُورُ
وَإِنِّي إِلَى مَعْرِفِهَا لَفَقِيرُ

(١) تقع : روى ، ومنصجات قرائح : أنصجها الحزن وقرحها

عزة تفضل
الأحوص على
كثير

ويعجبنى قوله :

كم من دنى لها قد كنت أتبعه
لا أستطيع نزعاً عن محبتها
أدعو إلى هجرها قلبى فيتبعنى
وزادنى رغبة فى الحب أن منعت ،
ولو صحا القلب عنها كان لى تبعاً
أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
حتى إذا قلت هذا صادق نزعاً
أشهى إلى المرء من دُنياه ما منعاً
وقوله :

إذا أنت لم تعشق ولم تدّر ما الهوى
وما الغيش إلا ما تلدّ وتشتهى
وإنى لأهواها وأهوى لقاءها
علاقة حبّ لجّ فى سنن الصبا
فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا
كما يشتهى الصّادى الشراب المبرداً
فأبلى ، وما يزداد إلا تجدداً
هذان البيتان ألحقهما العتبي وغيره بشعر الأحوص ، وأنشدها أبو بكر بن
دريد لأعرابى ، فقال كثير : قد والله أجاد فما استقبلت من قولى ؟ قالت :
قولك :

وكنّت إذا ما حثت أجلىن مجلسي
يُحاذِرُن منى غيرة قد عرفنها
تراهنّ إلا أن يخالسن نظرة
كواظم لا ينطقن إلا منخورة
وأظهرن منى هيلة لا تجهما
قدماً ، فلا يضحكن إلا تبسما
بموخر عين أو يقبلن مغمصما
أمر الرضا فى نفسه وتحرّما
وقولك :

وددت ونيت الله أنك بكرة هجان ، وأنى مضعب ثم نهزب^(١)

(١) هجان : بيضاء ، والمضعب : الفحل ، ورواية صاحب الموهج :-

ألا ليتنا بلغز كنا لدى غنى بهرين نزعى فى الخلاء ونعزب

كِلَانَا بِهِ عُرْتُ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُنْدَى وَأَجْرَبُ^(١)
 نَكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مَغْفَلٍ فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ
 إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا نَنفَكُ نُوْذَى وَنُضْرَبُ^(٢)
 وَنُحْكُ ! لَقَدْ أَرَدْتَ بِي الشَّقَاءَ ، أَمَا وَجَدْتَ أُمْنِيَةً أَوْ طَأْمَنَ هَذِهِ ؟ فَخَرَجْ
 خَجَلًا .

[من الأمانى]

لأبي صخر
 الهذلي

وَقَدْ تَمَّتْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمْنِيَةِ الْفَرَزْدَقُ . وَأَغْرَبَ مِنْ هَذَا قَوْلُ أَبِي صَخْرٍ الْهَذَلِيِّ :
 تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عَلَيْهِ أَنَّنَا عَلَى رَمَثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفَرُ^(٣)
 عَلَى دَائِمٍ لَا يَعْبُرُ الْفَلَكَ مُوجُهُ وَمِنْ دُونِنَا الْأَهْوَالُ وَاللَّجَجُ الْخَضِرُ
 فَتَقْضَى هَمُّ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رِقْبَةٍ وَيُغْرَقُ مَنْ نَخَشَى نَيْمَتَهُ الْبَحْرُ
 وَقِيلَ : الْأَمَلُ رَفِيقُ مُؤْنِسٍ ؛ إِنْ لَمْ يُبْلَغْ فَقَدْ أَهْلَكَ .

وقال مسلم بن الوليد .

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّى الْأَمَانِي كَوَاذِبًا
 وَقَالَ آخَرُ :

مُتْنِي إِنْ تَسْكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَتْنِ وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا
 أَمَانِيٍّ مِنْ كَيْلِي حِسَانٍ كَأَمَّا سَقَتْنِي يَهَا كَيْلِي عَلَى ظَلَمٍ بَرْدًا
 وَقَالَ آخَرُ

رَفَعْتُ عَنْ الدُّنْيَا الْمَتْنِ غَيْرَ حَبْهَا فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أُسْتَزِيدُهَا
 وَقِيلَ لِأَعْرَابِي : مَا أَمْتَعَ لَذَاتُ الدُّنْيَا ؟ فَقَالَ : مِمَّا زَحَّةُ الْحُبِّ ، وَمِمَّا دَثَّةُ الصَّدِيقِ ،

(١) العر - بالفتح ويضم - الجرب

(٢) رواية صاحب الموشح :

إذا ما وردنا منها هاج أهله إلينا ، فلا تنفك نرمي ونضرب

(٣) الرمث بالتحريك خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب في البحر

وأمانى تقطع بها أيامك ، وأنشد :

علّيني بوعدي وأمطلي ما حيت به
ودعيني أفوز من ذك بنجوى تطلبه
ففسى يعثر الزمان بحظي فيمنّ به
[بعض أخبار كثير وعزة]

حق كثير وكان كثير بن عبد الرحمن بن أبي جهمّة الخزاعي — ويعرف بعزة ، على جدّة خاطره ، وجودة شعره — أحمق الناس .

دخل عليه نفر من قريش وهو عليل يهزمون به ، قال بعضهم : قتلته له : كيف تجدك ؟ قال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم ، سمعتمهم يقولون : إنك الدجال . فقال : والله لئن قلت ذلك إني لأجد في عيني النبي ضة بما منذ أيام .

كان رافضياً كان رافضياً وكان رافضياً يدين بالرجعة ، ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، والروافض يزعمون أنه دخل في شعب باليمن في أربعين من أصحابه ، ولا بدّ من ظهوره ، وفي ذلك يقول :

ألا إن الأئمة من قريش
عليّ والثلاثة من بنيهِ
فسيبُ سبُ إيمان وبرٍ
وسبُ غيبتهِ كز بلاه
ويقود الخيل يقدّمها اللواء
تعيّب لا يرى عنهم زماناً
برضوى عنده عسل وماء
وكان خلفاء بني أمية يعلمون ذلك منه ، ويلبسونه عليه .

دخل يوماً على عبد الملك بن مروان فقال : نشدتك بحق علي بن أبي طالب ، هل رأيت أعشق منك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو سألتني بحقك لأخبرتك ، نعم ، بينا أنا أسير في بعض القلوات إذا أنا برجل قد نصب حبائله ، فقلت له :

بين كثير
وعبد الملك
بن مروان

ما أَجْلَسَكَ هَاهُنَا؟ قَالَ : أَهْلَكُنِي وَأَهْلَى الْجُوعِ ، فَنَصَبْتَ حَبَائِلِي لِأَصِيبَ لَهْمٍ
وَلِنَفْسِي مَا يَكْفِينَا سَجَابَةَ يَوْمِنَا ، قُلْتُ : أَرَأَيْتَ إِنْ أَقَمْتُ مَعَكَ فَأَصْبَحْنَا صِيدًا
أَتَجْعَلُ لِي مِنْهُ جِزْءًا؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَتْ ظُبْيَةٌ ، فَخَرَجْنَا
مُبْتَدِرِينَ ، فَاسْرِعْ إِلَيْهَا خَلِّهَا وَأَطْلِقْهَا ؛ فَقُلْتُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ
دَخَلْتَنِي لَهَا رَقَّةٌ لَشَبْهٍ بِلَيْلِي ، وَأَنْشَأُ يَقُولُ :

أَيَا شِبْهَ لَيْلِي لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
أَقُولُ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا لِأَنْتَ - لِلَّيْلِ - مَا حَيَّتْ طَلِيقُ
وَرَوَى الْكَلْبِيُّ وَابْنُ دَأْبٍ أَنَّهُ لَمَّا حَلَّهَا قَالَ :

ادْهَبِي فِي كِلَاءَةِ الرَّحْمَنِ أَنْتِ مَنِي فِي ذِمَّةٍ وَأَمَانِ
لَا تُخَافِي بَأْسَ مُبْهَاجِي بِسُوءِ مَا تَغْنَى الْحَمَامُ فِي الْأَغْصَانِ
تَرْهَبُنِي وَالْجِدُّ مِنْكَ لِلَّيْلِ وَالْحَشَا وَالْبُعَامُ وَالْعَيْنَانِ؟

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ الْمُلَوَّحِ :

رَاحُوا يَصِيدُونَ الطَّيَّاءَ وَإِنِّي لَأَرَى تَصَايُدهَا عَلَى حَرَامَا
أَشْبَهَنَ مِنْكَ مُحَاجِرًا وَسَوَالِفًا فَأَرَى عَلَى لَهَا بِذَلِكَ ذِمَامَا
أَعَزُّزُ عَلَى بَأْسِ أَرْوَعِ شَبِيبِهَا أَوْ أَنَّ يَذُقْنَ عَلَى يَدَيَّ حِمَامَا
وَمِنْ جَيِّدِ شَعْرِ كَثِيرٍ :

وَكُنْتُ لِقَطْعِ الْخُبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا كَنَازِرَةٌ نَذْرًا فَأَوْفَتْ وَحَلَّتْ
فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّنْتَ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُبِّ مَمِيعَةً تَعْمُ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ
أَبَاحَتْ حَمِي لَمْ يَرَعْهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتْ
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءِ مُخَامَرِ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٍ إِنْ تَقَلَّتْ
وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدْتُ بِهِجْرٍ ، وَلَا اسْتَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلْتُ

لقيس بن
الملوح

من جيد
شعر كثير

وما مرَّ من يومٍ عليَّ كيومها وإن عظمت أيام أخرى وجلت
فيا عجباً للقلب كيف اعترافه والنفس لما وطئت كيف دلت
وإني وتهيامي بعزة بغداد ما تخلّيتُ مما بيننا وتخلّت
لكل المرتجى ظلّ الغمامة ، كلّمّا تبوأ منها للمقيّل اضمحلّت
وكان كثير قصيرا دميّا ، ولذلك قال :

كان كثير
قصير دميّا

فإن ألك معروق العظام فإنني إذا ما وزنت القوم بالقوم وازن^(١)
ودخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته ، فقال : أنت كثير ؟
فقال : نعم ، فاقنحه ، وقال : تسمع بالمعيديّ لا أن تراه^(٢) ! فقال :
يا أمير المؤمنين ، كلُّ إنسان عند محله رخبُ الفناء ، شامخُ البناء ، عالي
السّناء ، وأنشد يقول :

تري الرجل النحيف فتزدريه وفي أنوابه أسدٌ هصورُ
ويُعجبك الطيرُ إذا تراه فيخلف ظنك الرجلُ الطيرُ^(٣)
بغاثُ الطير أطولها رقاباً ولم تطلّ البزاة ولا الصقور^(٤)
خشاشُ الطير أكثرها فراحاً وأمّ الباز مقلّدة زور^(٥)

(١) قبل هذا البيت

رأت رجلاً أودى السقام بجسمه فلم يبق إلا منطق وجناجن

وبعده :

وإني لما استودعني من أمانة إذا ضيع الأسرار ياعز دافن

(٢) رواية القالي : « أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه »

(٣) رجل طير : له هيئة حسنة

(٤) البغاث : شرار الطير

(٥) خشاش الطير : هي العصافير ونحوها ، والمقلّدة : التي لا يحيا لها ولد ، والنزور :

قليلة الأولاد

ضِعَافُ الْأُسْدِ أَكْثَرُهَا زَيْبًا وَأَضْرَمَهَا اللَّوَاتِي لَا تَزِيرُ
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُنَوِّخُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِالْمِرَاوِي فَلَا عُرْفٌ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
يُقَوِّدُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ أَرْضٍ وَيَصْرَعُهُ عَلَى الْجَنْبِ الصَّغِيرِ^(١)
فَمَا عَظُمَ الرِّجَالُ لَهُمْ بَزِينٍ وَلَكِنْ زَيْنُهُمْ حَسَبٌ وَخَيْرُ^(٢)
قَالَ : قَاتَلَهُ اللَّهُ ! مَا أَطْوَلَ لِسَانَهُ ، وَأَمَدَ عِنَانَهُ ، وَأَوْسَعَ جَنَانَهُ ؛ إِنِّي
لَأَحْسِبُهُ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ^(٣) .

[قَوْلُهُمْ فِي الطُّوْلِ وَالْقَصْرِ]

وَأَنشَدَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ :
وَعَاذَلَهُ هَبَّتْ بَلِيلٌ تَلَوْمُنِي وَلَمْ يَغْتَمِرْنِي قَبْلَ ذَاكَ عَذُولُ^(٤) لَشَاعِرٍ قَدِيمٍ
تَقُولُ : اتَّئِدْ لَا يَدْعُكَ النَّاسُ مُمْلِقًا وَتُزَرِّي بَيْنَ يَابْنِ الْكِرَامِ تَعُولُ
فَقُلْتُ : أَبَتْ نَفْسٌ عَلَى كَرِيمَةٍ وَطَارِقُ لَيْلٍ عِنْدَ ذَاكَ يَقُولُ
أَلَمْ تَعْلَمْ يَا عَمْرُكَ اللَّهُ أَنِّي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكِرَامِ قَلِيلُ
وَأُنَى لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقُ سَخِيٌّ ، وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ
فَلَا تَتَّبِعِي النَّفْسَ الْغَوِيَّةَ وَانْظُرِي إِلَى غُنْصُرِ الْأَحْسَابِ كَيْفَ يَبُولُ
وَلَا تَذْهَبِي عَيْنَاكَ فِي كُلِّ شَرْمَحٍ لَهُ قَصَبٌ جَوْفُ الْعِظَامِ أُسِيلُ^(٥)
عَسَى أَنْ تَمَتِّي عِرْسُهُ أَنْتَى لَهَا بِهِ ، حِينَ يَشْتَدُّ الزَّمَانُ ، بِدِيلُ

(١) رواية القالي : « وينحره على التراب الصغير »

(٢) رواية القالي « كرم وخير »

(٣) روايه القالي « فقال عبد الملك : لله دره ! ما أفصح لسانه ، وأضبط جنانه ، وأطول عنانه ! والله اني لأظنه كما وصف نفسه » .

(٤) اغتمره يغتمره : عده غمرا - بالضم ويفتح - وهو من لم يجرب الأمور

(٥) الشرمح : الرجل الطويل .

إذا كنت في القوم الطوال فطُلتهم^(١) بعارقة حتى يقال طويل^(٢)
ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم تزن حسن الجسوم عقول
فكأن رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تحين أصول
فإلا يكن جسمي طويلاً فإني له بالفعال الصالحات وصول
ولم أر كالمعروف : أمّا مدّافه فخلو ، وأمّا وجهه فجميل
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

ونصيف من الرجال نحيف راجح الوزن عند وزن الرجال
في أناس أوتوا حُلومَ العصافير فلم تُغنيهم جُسومُ البغال
أخذه من قول حسان بن ثابت ، وقال له بنو الديان الحارثيون : قد كنا
ونحن نطول بأحسامنا على العرب حتى قلت :
دَعُوا التَّخَايُوءَ وَاْمْسُوا مِشْيَةَ سُجْحًا إِنَّ الرجال ذُو قَدٍّ وَتَذَكِير^(٣)
لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عِظَمٍ جِسْمُ البِغَالِ وَأَخْلَامُ الْعَصَافِيرِ
فتركتنا لا نرى أجسامنا شيئاً

والعرب تمدح الطول ، وتثني عليه ، وقال عنتر بن شداد :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْدِي نِفَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوَامٍ
قوله « ليس بتوأم » يريد ليس ممن زوحم في الرحم فضعف ، كمال قال
الشعبي ، وقد دخل على عبد الملك بن مروان ، فجعل ينظر إليه ، وكان الشعبي
قد ولد توأماً مع أخيه ، فكان نحيفاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني زوحت في
الرحم ، وقال :

لعنتر العبسي

(١) رواية القالي « فضلهم »

(٢) العارفة : المكreme ، وفسرها أبو بكر ابن الأنباري بالنفس العسيرة

(٣) التخيؤ : فتح الصدر عند المشي تها وكبرياء

ولما التقى الصفان واختلف القنا
تبين لي أن القماء ذلة
نهاًلاً ، وأسباب المنايا نهاها
وأن أعزاء الرجال طواها

لأبي نواس

وقال أبو نواس :

وكنا إذا ما الحائن الجدد غره
تردّى له الفضل بن يحيى بن خالد
بمضى الطّبي يزهاه طول نجاد
أمام خميس أرجسوان كأنه
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبي قوله :

وملؤمة زرد ثوبها
ولكنه بالقنا مخمل

[عود إلى أخبار كثير عزة]

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان وهو عليل ، وأهله يتمنون أن
يتبسم ، فقال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوت الله أن يصرف
مابك إلي ، ولكني أسأل الله أيها الأمير العافية لك ولي في كنفك ؛ فضحك
وأمر له بمال فخرح وهو يقول :

ونعود سيّدنا وسيّد غيرنا
لو كان يُقبل فدية لفديته
ليت التشكوى كان بالعواد
بالمصطفى من طارفي وتلاذي

قال محمد بن سلام الجمحي : قال أبي : ذاكرت مروان بن أبي حفصة شعر
جرير والفرزدق وكثير ، فذهب إلى تقديم كثير ، وجعل يطّريه ويقول : هو
أمدحهم للخلفاء ، فقلت : أمّن جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان :
تري ابن أبي العاصي وقد صفّ دونه
ثمانون ألفاً قد توافّت كموها
يقلب عيني حية بمفازة
إذا أمكنته شدة لا يقلها
فقال هذا للخليفة ودونه ثمانون ألفاً ، وجعله يقلب عيني حية .

وقوله :

وإن أمير المؤمنين هو الذي غزا كمانات الودّ مني فناها
زعم أن أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كمانات صدره .

وقوله لعبد العزيز بن مروان :

وما زالت رُقاك تَسْلُ ضِفْنِي وتُخْرِجُ من مكامنها ضِبابي
ويزرّ قيني لك الخاوون حتى أجابك حَيَّة تحت الحجاب
زعم أن عبد العزيز ترصّاه ، واحتال له ورقاه ، حتى أجابه ؛ أ كَذَا تُمدَح
الملوك ؟ فأنسكته (١) .

فصول قصار

من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ . العبد حرٌّ إذا قنع ،
والحرُّ عبدٌ إذا طمع . الأمانى تخذعك ، وعند الحقائق تدعك . إذا كان
الطمع هلاكاً ، كان اليأس إدراكاً . ليس يعدُّ حكيماً ، من لم يكن لنفسه خصيماً . تعرّ
عن الشيء إذا منعته ، بقلّة ما يصيبك إذا مدحتّه . تجرّع مَضَضَ الصبر تطفئ
نار الضر . الحكمة حِفْظُ ما كلفت ، وترك ما كفيت . الصبرُ عن محارم الله ،
أيسر من الصبر على عذاب الله .

شدور لأهل الصر في معانٍ شتى

قطعة من كلام الأمير قابوس بن وشمكير شمس المعالي في أثناء رسالته :
برّند الشفيع توري نار النجاح ، ومن كف المفيض يُنتظر فوز القيداح ،

من كلام
قابوس بن
وشمكير

(١) راجع ما أخذه الرواة على كثير في الصفحات ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ من
كتاب الموشح ؛ فإن ما هنا قد اقتبس من هناك

الوسائل أقدام ذوى الحاجات ، والشفاعات مفاتيحُ الطَّلِبَات . العفو عن المجرم من موجب الكرم ، وقَبُولُ المَعْدِرَةِ من محاسن الشِّيم . وبالقوادم والخوافي قُوَّةُ النجاح ، وبالأَسْنَةِ والعَوَالِي عمل الرماح . الدنيا دار تغرير وخداع ، وملتقى ساعة لوداع ، والناس مُتَصَرِّفُونَ بين كل ورد وصدَر ، وصائرون خَبَرًا بعد أثر . غايَةُ كل متحرِّك إلى سكون ، ونهاية كل متكون أَلَّا يكون ، وآخر الأحياء فَنَاءً ، والجَزَعُ على الأموات عَنَاءٌ ، وإذا كان ذلك كذلك ، فليَمِ التَّهْلُكُ على الهالك ؟ . حَشْوُ الدهر أحزان وهوم ، وصَفْوُهُ من غير كدر معدوم . إذا سمح الدهر بالحَبَاءِ ، فأبشِرْ بوشك الانقضاء ، وإذا أعار ، فاحسبه قد أعار . الدهر طعمان حلومرّ ، والأيام ضربان عُسرٌ ويسر . لكل شيء غاية ومنتهى ، وانقطاع وإن بلغ المدى . تَرَكُ الجواب ، داعية الارتياب ، والحاجة إلى الاقتضاء ، كسوف في وجه الرجاء . همّ المنتظر للجواب ثقيل ، والمدى فيه وإن كان قصيراً طویل . النجيب إذا جرى لم يشقّ غباره ، وإذا سرى لم تلحق آثاره . ومن أين للضباب صَوْبُ السحاب ، وللغراب هَوِيُّ العقاب ، وهيئات أن تَكْتَسِبَ الأرض اطافة الهواء ، ويصير البدر كالشمس في الضياء .

* * *

للشعالي يصف
شمس المعالي

وقد ترجم عن شمس المعالي أبو منصور الشعالي في كتاب ألقه له ؛ قال في أوله : أَمَّا عَلَى أَثَرِ تَحَدُّدِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ كِتَابِهِ ، وَآخِرُ دَعْوَى سَاكِنِي دَارِ ثَوَابِهِ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى خَيْرَتِهِ مِنْ بَرِيَّتِهِ ، وَعَلَى الصَّفْوَةِ مِنْ ذَرِيَّتِهِ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا شَغَلَ بِخِدْمَةِ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ عِزَّةَ الْمُلْكِ إِلَى بَسْطَةِ الْعِلْمِ ، وَنُورَ الْحِكْمَةِ إِلَى نَفْوَذِ الْحَكْمِ ، وَجَعَلَهُ مِمَّيزًا عَلَى مَلُوكِ الْعَصْرِ ، وَمُدَبِّرًا لِي الْأَرْضِ وَوَلَاةَ الْأَمْرِ ، بِمَخَصَّصٍ مِنَ الْعَدْلِ ، وَجَلَائِلَ مِنَ الْفَضْلِ ، وَدَقَائِقَ مِنَ الْكَرَمِ الْمَخْصُصِ ، لَا يَدْخُلُ أَيْسَرُهَا تَحْتَ الْعَادَاتِ ، وَلَا يُدْرِكُ أَقْلُهَا بِالْعِبَارَاتِ ؛ وَمَحَاسِنُ [سِيرِ] الْأَنَامِ ^(١) ، تَحْرُسُهَا أَسِنَّةُ الْأَقْلَامِ ، وَتَدْرُسُهَا أَلْسِنَةُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَهَذِهِ صِفَةٌ تُغْنِي

(١) فِي الْأَصُولِ كُلُّهَا « وَمَحَاسِنُ سِيرِ الْأَيَّامِ » تَحْرِيفٌ ، مَا أَثْبَتْنَاهُ (م)

عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمعناها ، واستحقاقه إياها ، واستثنائه على جميع الملوك بها ، ولعلم سامعها ببديهة السماع أنها للأمير ، شمس المعالي ، خالصة ، وعليه مقصورة ، وبه لائقة ، وعن غيره نادرة ؛ إذ هو - بمعانية الآثار ، ومهادة الأخيار ، وإجماع الأولياء ، واتفاق الأعداء - كافلُ المجد ، وكافي الخلق ، وواحدُ الدهر ، وغرّة الدنيا ، ومفزع الورى ، وحسنّة العالم ، ونكتة الفلك الدائر ؛ فبلغه الله أقصى نهاية العمر ، كما بلغه أقصى غاية الفخر ؛ وسلكه أزمنة الأمر ، كلما ملكه أعنة الفضل ؛ وأدام حسن النظر للعباد والبلاد ، بإدامة أيامه التي هي أعياد الدهر ، ومواسم المين والأمن ، ومطالع الخير والسعد ، وزاد دولته شباباً ونحواً ، كما زاده في الشرف علواً ، حتى تكون السعادات وفدابه ، والبشائر قرى سمع ، والمسار غداء نفسه ، ويتراعى به الإقبال إلى حيث لا يبلغه أمل ، ولا يقطعُه أجل .

نَحَافِي قَوْلِهِ « وَهَذِهِ صِفَةٌ تُغْنِي عَنِ الْمَوْصُوفِ » إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ يَرْثِي أُخْتَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخِي يَابَنْتَ خَيْرِ أَبٍ كُنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ
أَجَلٌ قَدَرَكِ أَنْ تُسَمِّيَ مُؤَثَّةً وَمَنْ دَعَاكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

وفي شمس المعالي يقول الأمير أبو الفضل الميكالي :

لَا تَقْصِصِينَ شَمْسَ الْعَلَا قَابُوسَا فَمَنْ عَصَى قَابُوسَ لَا قَى بُوسَا
وَلَهُ يَقُولُ بَدِيعُ الزَّمَانِ فِي قَصِيدَةٍ نَظَمَهَا فِي تَضَاعِيفِ رِسَالَةِ مَوْشِحَةٍ :
إِنَّ مَنْ كُنْتُ مِنْ مُنَاهُ بَمَرَأَى وَتَعَدَّكَ سَيِّءُ الْاِقْتِرَاحِ
بَيْنَ بَشَرٍ يَرُدُّ غَائِضَ جَاهِي وَقَبُولٍ يُعِيدُ رِيَشَ جَنَاحِي

مدائح في شمس
المعالي ابن
وشمكير

وبساطٍ وَرَدْتُ مُشْرَعَةً الْأُنْسُ بِهِ وَادَّرَعْتُ بُرْدَ النِّجَاحِ
فَاقْضُ أَوْ طَارًا التَّقْتُ وَالْمَعَالَى فِي نَظَائِمٍ مِنَ النُّهَى وَتَصَاحِ
مَلِكٍ دُونَهُ تَقَطَّعُ أَبْصَارُ اللَّيَالِي يَوْمًا نَدَى وَكِفَاحِ
مَلِكٍ لَوْ يَشَاءُ مَدَّ عَلَى النَّجْمِ رِوَاقًا وَرَدَّ وَفَدَّ الرِّيَّاحِ
تَارَةً فِي خُشُونَةِ الدَّهْرِ تَلَقَّا هُوَ وَطُورًا فِي حُسْنِ ذَاتِ الْوِشَاحِ
مَلِكٍ كُلَّمَا بَدَأَ نَقْفُ الْأَفلاكِ عُجْبًا بِهِ وَفَرَطَ ارْتِيَاحِ
هَكَذَا هَكَذَا تَكُونُ الْمَعَالَى طُرُقُ الْجَدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمَزَاجِ
وهي طويلةٌ ، كتبتها على طريق الاختيار .

[من رسائل بديع الزمان]

رقعة لبديع الزمان إلى شمس المعالي ، وقد ورد حضرته :

لَمْ تَزَلِ الْأَمَالُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ شَمْسِ الْمَعَالَى ، وَأَدَامَ سُلْطَانَهُ - تَعِدُنِي
هَذَا الْيَوْمَ ، وَالْأَيَّامُ تَمْطُلُنِي بِالْأَسْنَةِ صُرُوفِهَا ، عَلَى اخْتِلَافِ صُنُوفِهَا ، بَيْنَ حُلُوفِ
أُسْتَرْقَتِي ، وَمَرٍّ اسْتَخَفَّنِي ، وَشَرَّ صَارَ إِلَيَّ ، وَخَيْرٌ صِرْتُ إِلَيْهِ ، وَأَنَا فِي خِلَالِ
هَذِهِ الْأَحْوَالِ أَذْرَعُ الْآفَاقَ فَأَكُونُ طُورًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْأَقْصَى ، وَطُورًا
مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ ، وَلَا مَطْمَحَ إِلَّا حَضْرَتُهُ الرَّفِيعَةُ ، وَسُدَّتْهُ الْمَرْيَعَةُ ، وَلَا وَسِيلَةَ إِلَّا
الْمَنْزَعُ الشَّاسِعُ ، وَالْأَمَلُ الْوَاسِعُ ؛ وَقَدْ صِرْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ مَوْلَانَا - بَيْنَ
أَنْيَابِ النُّوَابِ ، وَتَجَشَّعْتُ هَوْلَ الْمَوَارِدِ ، وَرَكِبْتُ أَكْتَفَ الْمَكَارِهِ ، وَرَضَعْتُ
أَخْلَافَ الْعَوَائِقِ ، وَمَسَحْتُ أَطْرَافَ الْمَرَاحِلِ ، حَتَّى حَضَرْتُ الْحَضْرَةَ الْبَهِيَّةَ
أَوْ كِدْتُ ، وَبَلَغْتُ الْأُمْنِيَةَ أَوْ زِدْتُ ، وَلِلْأَمِيرِ السَّيِّدِ فِي الْإِصْغَاءِ إِلَى الْمَجْدِ ،
وَالسُّطْرِ مِنْ عَنَانِ الْفَضْلِ ، بِتَمَكِّينَ خَادِمِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ يَلْقَاهُ بِقَدَمِهِ ، وَالْبَسَاطِ
يُنْشِئُهُ بَفَمِهِ ، تَفَضُّلُهُ : فَلَهُ الرَّأْيُ الْعَالِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وله إلى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغداة وأمره أَنْ يَزِفَ إِلَيْهِ
مَا أَنْشَأَ ، فَبَعَثَ بِهِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ :

مَرْحَبًا بِسَلَامِ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَلَا كَلَمَ رَحَبِ

بَطْلَمَيْتِهِ ؛ وقد وصلت تَحِيَّتُهُ فشكرتها ، وَعِدَّتُهُ الجميلةُ بالحضورِ غداً فانتظرتها ؛ ودعوتُ اللهَ أَنْ يَطْوِيَ سَاعَاتِ النهارِ ، وَيَزِجَ الشمسَ فِي الْمَغَارِ ، وَيَقْرِبَ مَسَافَةَ الْفَلَكَ الدَّوَّارِ ، وَيَرْفَعَ الْبَرَكَةَ مِنْ سِيرِهِ ، وَيَجْهزَ الْحَرَكَةَ إِلَى دَوْرِهِ ؛ وَيُسِرَّنِي بِوَقْدِ الظَّلامِ وقد نزل ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رِيثًا رَحَلَ ؛ وقد بعثتُ بما طلبتُ سمعاً لَأَمْرِهِ وَطَاعَةٍ ، وَالنَّسَخَةَ أَسْقَمُ مِنْ أَجْفَانِ الْغَضْبَانِ ، وَالشَّيْخَ سَيِّدِي — أَدَامَ اللَّهُ عَزَّه — يُرْكِضُ قَلَمَهُ فِي إِصْلَاحِهَا ، وَحَبِّدَا هُوَ فِي غَدٍ ، وَقَدْ طَلَعَ كَالصَّبْحِ إِذَا سَطَعَ ، وَالْبَرْقِ إِذَا لَمَعَ :

يا مَرْحَبًا بَعْدِ يَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ لِلْمَأْمُورِ الْأَحْبَبَةِ فِي غَدٍ
وله إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ سَهْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلَهُ بِأَبِي إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ :
لَوْ كَانَ لِلْكَرْمِ عَنْ جَنَابِ الشَّيْخِ مُنْصَرَفٌ لَا نَصْرَفْتُ ، أَوْ لِلْأَمَلِ مُنْخَرَفٌ إِلَى سِوَاهُ لَا نُخْرَفْتُ ، أَوْ لِلنَّجْحِ بَابٌ سِوَاهُ لَوَجَلْتُ ، أَوْ لِلْفَضْلِ خَاطِبٌ غَيْرُهُ لَزُوجْتُ ، وَلَكِنْ أَبِي اللَّهِ أَنْ يَعْقِدَ إِلَّا عَلَيْهِ الْخَنْصَرُ ، أَوْ يَتَحَلَّى إِلَّا بِفَوَاضِلِ الدَّهْرِ ، وَلَا يَزَالُ كَذَا يَتَسَمَّى الْمَجْدُ بِسَمِيَّتِهِ ، وَيَجْذِبُ الْعِلَاءَ بِهَيْمَتِهِ ، وَيُسْعِدُ الدِّينَ بِنَظَرِهِ ، وَالدُّنْيَا بِجَاهِهِ ، وَغَلَامُهُ أُنَالُوا اسْتِعَارَ الدَّهْرُ لِسَانًا ، وَاتَّخَذَ الرِّيحُ تَرْجُمَانًا ، لِيُشِيعَ إِنْعَامَهُ حَقَّ الْإِشَاعَةِ ، لَقَصُرَتْ بِهِ يَدُ الْإِسْطَاعَةِ ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ يَلْبَسَ مَكَارِمَهُ صَافِيَةً سَابِغَةً ، وَيَرِدَ مِشَارِعَهُ صَافِيَةً سَائِغَةً ، وَيَحِيلَ الْجَزَاءَ عَلَى يَدِ قُصُورِ ، وَالشُّكْرَ عَلَى لِسَانِ قَصِيرٍ ؛ ثُمَّ إِنْ حَاجَتِي ، إِذَا لَمْ يَعْرِ مِنْ قَلَانِدِ الْمَجْدِ نَحْرُهَا ، وَلَمْ يَعْطَلْ مِنْ حَلِي الْمَجْدِ صَدْرُهَا ، كَبَرَمَ نَحْرُهَا ، وَعَزَّ كَفْوُهَا ، وَلَمْ أَجِدْ لَهَا إِلَّا وَاحِدًا أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ ، أَوْ مَا جَدًّا يَمْلَأُ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ^(١) . وَهَذِهِ حَاجَةٌ أَنَا أَزْفِيهَا إِلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ حَرَّصَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَسْوَقَهَا مِنْظُومَةً مِنَ الصَّدْرِ إِلَى الْعِجْزِ ، كَمَا يَسَاقُ الْمَسَاهُ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ^(٢) ؛ وَأَنَا مِنْ مَفْتَتَحِ الْيَوْمِ إِلَى مَخْتَمِهِ ، وَمِنْ

(١) الْكَرْبُ — بَفَتْحَتَيْنِ — الْحَبْلُ يَلِي الْمَاءَ .

(٢) الْجُرُزُ — بَضْمَتَيْنِ — الْأَرْضُ لَا تَنْبِتُ شَيْئًا .

قَرْنِ النَّهَارِ إِلَى قَدَمِهِ ، قَاعِدَ كَالْكُرْكِيِّ^(١) ، أَوِ الدِّيكِ الْهِنْدِيِّ ، فِي هَذَا الْأَذْحَى^(٢) ،
يَمْرُؤُ بِأُولَوِ الْحِلْيَةِ وَالْحُلْلِ ، وَيَحْتَازُ ذَوَوِ الْحَيْلِ وَالْخَوْلِ^(٣) ، وَمَا أَنَا وَالنَّظْرَ إِلَى مَا لَا
يَلِينِي ، وَالسُّؤَالَ عَمَّا لَا يَغْنِينِي ، وَالْيَوْمَ ، لَمَّا افْتَضَضْنَا عُذْرَةَ الصَّبَاحِ ، مَلَأْتُ
جَفُونِي مِنْ مَنْظَرٍ مَا أَخَوَجَهُ إِلَى عَيْبٍ يَصْرِفُ عَيْنَ كَالِهِ ، عَنْ جَمَالِهِ ، فَقُلْتُ لِمَنْ
حَضَرَ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَخَذُوا يَجْرُكُونَ الرَّهْوسَ اسْتَظْرَافًا لِحَالِي ، وَيَتَغَامَزُونَ تَعَجُّبًا
مِنْ سُؤَالِي ، وَقَالُوا : هَذَا الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَقُلْتُ :
حَرَسَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَدَامَ غَنِيَّتَهُ ؛ فَكَيْفَ الْوُصُولُ إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَأَيُّ مَا تَنَى
مَعْرِفَتِهِ ؟ قَالُوا : إِنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - يَضْرِبُ فِي مَوَدَّتِهِ بِالْقِدْحِ
الْمُعَلَّى ، وَيَأْخُذُ فِي مَعْرِفَتِهِ بِالْحِظِّ الْأَعْلَى ، فَإِنْ رَأَى الشَّيْخَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - أَنْ
تُجَمَّلَ عَنَابَتُهُ حَرْفَ الصَّلَةِ ، وَتَفْضَلَهُ لَامَ الْمَعْرِفَةِ ، فَقُلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

[مِنْ أَخْبَارِ الْبَرَامِكَةِ]

قَالَ الرَّشِيدُ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ : يَا أَبْتَ ، إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ الْخَاتَمَ الَّذِي فِي
يَدِ الْفَضْلِ إِلَى جَعْفَرٍ ، وَقَدْ احْتَشَمْتُ مِنْهُ فَكَيْفِيهِ .
فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِحْيَى : قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أَعْلَى اللَّهِ أَمْرَهُ - أَنْ يَحْوَلَ
الْخَاتَمَ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى شِمَالِكَ .

فَأَجَابَ الْفَضْلُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي ، وَقَدْ أَطَّلَعْتُ عَلَى
أَمْرِهِ ، وَمَا انْقَلَبْتُ عَنْ نِعْمَةٍ صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَلَا عَزَبْتُ^(٤) عَنْ رِثْبَةٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ .
فَقَالَ جَعْفَرٌ : اللَّهُ أَخِي ! مَا أَنْفَسَ نَفْسَهُ ، وَأَبَيَّنَ دَلَائِلَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ ،
وَأَقْوَى مِنَّةَ الْعَقْلِ فِيهِ ، وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ ذَرْعَهُ ، وَأَرْحَبَ بِهَا جَنَابَهُ . يُوجِبُ
عَلَى نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ ، وَيَحْمِلُ بِكْرَمِهِ فَوْقَ طَاقَتِهِ .

(١) الكركي : طائر يقرب من الوز ، أبتز الذنب ، رمادي اللون ، يأوي
إلى الماء أحياناً (م) (٢) الأدحى : المكان الذي تبيض النعام فيه من الرمل .

(٣) الخيل : أراد به الخيلاء ، والخول - بالتحريك - الخدم والعبيد والإماء (م)

(٤) كذا ، وعزبت معناه بعدت ، وأحسبه « غربت » لمقابلته يطلعت (م)

ثمالة بن أشرس
يصف جعفر بن يحيى
وذ كبر جعفر بن يحيى في مجلس ثمامة بن أشرس فقال : ما رأيتُ أحداً من خلق الله كان أبسطَ لساناً ، ولا ألحنَ بحجة ، ولا أقدر على كلام ، بنظم حسن ، وألفاظ عذبة ، ومنطق فصيح ، من جعفر بن يحيى ، كان لا يتوقف ، ولا يتحسس ، ولا يصل كلامه بحشو من الكلام ، ولا يعبد لفظاً ولا معنى ، ولا يخرج من فن إلى غيره ، حتى يبلغ آخر ما فيه ؛ وكان لا يرى شيئاً إلا حكاها ، ولا يحكى شيئاً إلا كان أكثر منه ، ولا يمرُّ بذهنه شيء إلا حفظه ، وكان إذا شاء أضحك الثكلى ، وأذهل الزاهد ، وخشن قلب العابد .

قلت : فكيف كانت معرفته ؟ قال : كان من أعلم الناس بالخبر الباهر ، والشعر النادر ، والمثل السائر ، والفصاحة التامة ، واللسان البسيط .

سهل بن هارون
يصف يحيى وابنه جعفر
قال سهل بن هارون ، وذ كبر يحيى بن خالد وابنه جعفر ، فقال : لو كان الكلام متصوِّراً درّاً ، ويُلقِيهِ المنطق جوهرّاً ، لكان كلامهما ، والمنتقى من ألفاظهما . ولقد غبرت معهما ، وأدركت طنقة المتكلمين في أيامهما ، وهم يرون البلاغة لم تستكمل إلا فيهما ، ولم تكن مقصورة إلا عليهما ، ولا انقادت إلا لهما . وإنيهما للباب الكرم ، عتق منظر ، وجودة مخبر ، وسهولة لفظ ، وجزالة منطق ، ونزاهة نفس ، وكال خصال ؛ حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهما ، والمأثور من خصائصها جميع أيام من سواهما من لدن آدم إلى أن يُنفخ في الصور ، ويُبعث أهل القبور - حاشا أنبياء الله الكرام ، وسلف عباده الصالحين - لما باهت إلا بهما ، ولا عوّلت في الفخر إلا عليهما ، ولقد كانا - مع تهذيب أخلاقهما ، ومغسول مذاقهما ، وسنا إشراقهما ، وكال الخير فيهما - في محاسن المأمون كالنقطة في البحر ، والخرَدَل في القفر .

توقيع جعفر
ابن يحيى
ووقع جعفر بن يحيى لرجل اعتذر عنده من ذنب : قد قدُمت طاعتك ، وظهرت نصيحتك ، ولا تغلب سيئة حسنتين .

وَوَقَّعَ - وقد قرأ كتاباً فاستحسن خطه - : اَلْخَطُّ خَيْطُ الْحِكْمَةِ ، يُنْظَمُ فيه منشورها ، ويفصل فيه شدورها .

واختصم رجلان بحضرته ، فقال لأحدهما : أنت خيلي ، وهذا شجيتي ؛ فكلامك يجري على برد العافية ، وجوابه يجري على حر المصيبة .

بين جعفر بن يحيى ومروان
ابن أبي حفصة

ودخل مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيى فأنشده :
أَبْرَ فَمَا تَرَجُّو الْحَيَادُ لِحَاقِهِ أَبُو الْفَضْلِ سَبَّاقُ الْأَضَامِ جَعْفَرُ
وَزِيرُهُ إِذَا نَابَ الْخِلَافَةُ حَدِثْ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْخِلَافَةُ تَصْدُرُ
فَقَالَ جَعْفَرُ : أَنَشَدَنِي مَرِيتُكَ فِي مَعْنٍ بِنِ زَائِدَةٍ ، فَأَنشَدَهُ :

أَقْمَنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مَقَامًا مَا نُرِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقَلْنَا : أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَانَوَالَا ؟
وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ - عِيَالَا

حتى فرغ من القصيدة ، وجعفر يرسل دموعه على خديّه ، فقال : هل أثابك على هذه المرمية أحدٌ من أهل بيتك وولده ؟ قال : لا ، قال : فلو كان معن حياً ، ثم سمعاً منك ، كم كان يُثيبك عليها ؟ قال : أربعمائة دينار ، قال : فإنّا كنّا نظنّ أنه لا يرزى لك بذلك ، وقد أمرنا لك عن معن - رحمه الله - بالضعف مما ظننّته ، وزدّ ناك مثل ذلك ؛ فاقبض من الخازن ألفاً وستمئة دينار قبل أن تخرج ، فقال مروان - يذكر جعفرأ وما سمح به عن معن - :

نَفَخْتَ مُكَافِئَاتِ عُنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجَوَّدُ بِهِ سَجَالَا
فَعَجَّلْتَ الْعَطِيَّةَ يَا بَنِي يَحْيَى لَنَا إِدْبَهُ وَلَمْ تُرِدِ الْمِطَالَا
فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بَأْجُودِ رَاحَةٍ بَذَلْتَ نَوَالَا
بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ يَحْيَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
كَأَنَّ الْبَرْمَكِيَّ لِكُلِّ مَالٍ تَجَوَّدُ بِهِ يَدَاهُ يُفِيدُ مَالَا (١)

(١) يفيد هنا : بمعنى يأخذ ، لا بمعنى يعطى (م)

أخذ هذا من قول زهير :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها :

وَذِي نِعْمَةٍ تَمَّتْهَا وَشَكَرْتَهَا وَخَضَمٌ يَكَادُ يَغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
دَفَعْتُ بِمَعْرُوفٍ مِنَ الْحَقِّ صَائِبٍ إِذَا مَا أَوْسَلَ الْقَاتِلِينَ مَفَاصِلُهُ
وَذِي خَطْلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فَمَا يُلَمِّمُ بِهِ فِهْرَ قَاتِلُهُ
عَبَّأْتُ لَهُ حُلْمًا ، وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ
وَأَبْيَضَ قِيَاضُ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُتَفَيْهِ مَا تُغِيبُ نَوَافِلُهُ (١)
غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدْوَةً فَرَأَيْتُهُ قُعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
يُقَدِّتُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَكْذَمُهُ وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِي أَيْنَ نَحَابِلُهُ
فَأَعْرَضَنْ عَنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَرًّا جُمُوحٌ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ
أَخِي ثَقَّةٌ لَا يُذْهِبُ الْخُمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهِبُ الْمَالُ نَارَهُ

من قصيدة
لزهير بن أبي
سلي

قال أبو الفرج قدامة بن جعفر ، في معنى أبيات زهير الأولى : لما كانت فضائلُ الناسِ من حيث هم ناس ، لا بمن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه أهلُ الألباب من الاتفاق في ذلك ، إنما هي العقلُ والعفةُ والعدلُ والشجاعةُ ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مُصِيبًا ، وبماسواها مخطئًا ؛ وقد قال زهير :

أَخِي ثَقَّةٌ لَا يُبْنِيفُ الْخُمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
فوصفه بالثقة لقلته إيمانه في اللذات ، وأنه لا يُبْنِيفُ فيها ماله ، وبالسَّخَاءِ لإهلاك ماله في النوال ، وانحرافه إلى ذلك عن اللذات ، وذلك هو العدل ، ثم قال :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

(١) المعتفون : طالبو عطاياه ، وما يُغِيبُ نَوَافِلُهُ : ما تتأخر عطاياه (م)

فَزَادَ فِي وَصْفِ السَّخَاءِ أَنَّهُ يَهْشَنُ وَلَا يَلْحَقُهُ مَضَضٌ وَلَا تَكْرُهُ لِفِعْلِهِ
ثُمَّ قَالَ :

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ ضَيْمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُجَاوِلُهُ
فَأَتَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْوَصْفِ مِنْ جِهَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْعَقْلِ ؛ فَاسْتَوْفَى ضُرُوبَ
الْمَدْحِ الْأَرْبَعَةَ ، الَّتِي هِيَ فَضَائِلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَزَادَ الْوَفَاءَ ، وَإِنْ كَانَ
دَاخِلًا فِي الْأَرْبَعَةِ ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ وَجْهَ دَخُولِهِ فِيهَا حَيْثُ قَالَ « أَخِي
ثِقَةٌ » فَوَصَفَهُ بِالْوَفَاءِ ؛ وَالْوَفَاءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْفَضَائِلِ الَّتِي قَدَّمَ مَنَاهَا .

وَقَدْ يَتَفَنَّنُ الشُّعْرَاءُ فَيَعِدُّونَ أَنْوَاعَ الْفَضَائِلِ الْأَرْبَعَ وَأَقْسَامَهَا ، وَكُلُّ ذَلِكَ
دَاخِلٌ فِي جَمَلَتِهَا ؛ مِثْلُ أَنْ يَذْكُرُوا ثِقَابَةَ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْحَيَاءَ ، وَالْبَيَانَ ، وَالسِّيَاسَةَ ،
وَالصَّدْعَ بِالْحِجَّةِ ، وَالْعِلْمَ ، وَالْحِلْمَ عَنْ سَفَاهَةِ الْجَهْلَةِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرَى
هَذَا الْجَرَى ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَقْلِ . وَكَذَلِكَ كَرِهَ الْقَنَاعَةَ ، وَقَلَّةَ الشَّرِّهِ ،
وِطْهَارَةَ الْإِزَارِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ أَيْضًا مِنْ أَقْسَامِ الْعِفَّةِ . وَكَذَلِكَ كَرِهَ الْحَمِيَّةَ ، وَالْأَخْذَ
بِالنَّارِ ، وَالِدِفَاعَ ، وَالنَّكَايَةَ ، وَالْمَهَابَةَ ، وَقَتْلَ الْأَقْرَانِ ، وَالسَّيْرَ فِي الْمَهَامِ
وَالْقَفَارِ ؛ وَمَا يَشَاءُ كُلُّ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الشَّجَاعَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَرِهَ السَّمَاحَةَ ،
وَالْتَغَابَ ، وَالْإِنْتَظَامَ ، وَالتَّبَرُّعَ بِالنَّائِلِ ، وَإِجَابَةَ السَّائِلِ ، وَقِرَى الْأَصْيَافِ ؛
وَمَا جَانَسَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَهُوَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَدْلِ .

فَأَمَّا تَرْكِيبُ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَتَحَدَّثُ مِنْهَا سِتَّةُ أَقْسَامٍ : يَحْدُثُ مِنْ تَرْكِيبِ
الْعَقْلِ مَعَ الشَّجَاعَةِ : الصَّبْرُ عَلَى الْمَمَاتِ ، وَنَوَازِلِ الْخُطُوبِ ، وَالْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ . وَعَنْ
تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ السَّخَاءِ : إِنْجَازُ الْوَعْدِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ
الْعِفَّةِ : التَّنَزُّهُ وَالرَّغْبَةُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى أَدْنَى مَعِيشَةٍ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ
تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ السَّخَاءِ : الْإِخْلَافُ ، وَالْإِتْلَافُ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ
الشَّجَاعَةِ مَعَ الْعِفَّةِ : إِنْكَارُ الْفَوَاحِشِ ، وَالْغَيْرَةُ عَلَى الْحَرَمِ . وَمِنْ السَّخَاءِ مَعَ الْعِفَّةِ :

الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ، وما شاكل ذلك . وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع وسط بين طرفين مذمومين^(١)

لحمد بن مناذر
في البرامكة

وقد قال أبو جعفر محمد بن مناذر لما حجَّ الرشيد مع البرامكة :

أَتَانَا بنو الأملاك مِنْ آلِ بَرْمَكٍ فَيَا طَيْبَ أَخْبَارٍ ، وَيَا حُسْنَ مَنَظَرٍ
لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعِدَا وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُشَهَّرِ
فَتَنُظِّلُ بَغْدَادُ ، وَيَخْلُولُنَا الدُّجَى بِمَكَّةَ مَا حَجَّ - وَثَلَاثَةُ أَقْمَرٍ
إِذَا نَزَلُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بِيَحْيَى وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لِجُودٍ أَكْفَهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مُنْبَرٍ
إِذَا رَاضَ يَحْيَى الْأَمْرَ ذَلَّتْ صِعَابُهُ وَحَسْبُكَ مِنْ رَاعٍ لَهُ وَمُدْبِرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالًا لَهُ وَكُنْهًا - غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصَرِّصٍ^(٢)

[مُثَلَّ مِنْ التَّجْنِيسِ]

قطعة من شعر الأمير أبي الفضل الميكالي في طرف اخذ بطرف من التجنيس
مستطرف في ضروب من الغزل ، قال :

لأبي الفضل
الميكالي

لَقَدْ رَاعَنِي بَدْرُ الدُّجَى بِصُدُودِهِ وَوَكَّلَ أَجْفَانِي بِرَعَى كَوَاكِبِهِ
فَيَا جَزَعِي ، مَهْلًا عَسَاهُ يَعُودُ لِي وَيَا كَيْدِي ، صَبْرًا عَلَيَّ مَا كَوَاكِبُهُ
وقال :

مَوَاعِيدُهُ فِي الْفَضْلِ أَحْلَامُ نَائِمٍ أَشْبَهَهَا بِالْقَفْرِ أَوْ بِسَرَايِهِ
فَمَنْ لِي بِوَجْهِهِ لَوْ تَحَيَّرَ فِي الدُّجَى أَخُو سَفَرٍ فِي لَيْلٍ غَيْمٍ سَرَى بِهِ

(١) راجع الباب السابع من كتاب « الأخلاق عند الغزالي » لتفهم هذا الحديث

(٢) الغرائق : جمع غرنوق ، وهو طير مائي أسود ، والبازي : الصقر

وقال :

صِلْ محباً أعياءَ وَصَفْ هواهُ
كلما راقهُ سِوَاكَ تَصَدَّتْ
فَضْلُهُ يَنْوِبُ عَنْ تَرْجَمَانِهِ
مُقَلَّتَاهُ دَمْعُهُ تَرْجُمَانُهُ

وقال :

يا ذا الذى أرسل من طَرْفِهِ
شفاه نفسى منك تَحْمِيشَةً
على سَيْفًا قَدَنِي لو فَرَا
تَغْرِسُ فى خَدِّكَ نِيلُو فَرَا

وقال :

يا مُبْتَلَى بَضْنَاهُ يَرْجُو رَحْمَةً
[أَوْصَاكَ سِحْرُ جَفُونِهِ بِتَسْمُدِ
من مَالِكٍ يَشْفِيهِ مِنْ أَوْصَابِهِ
وتَبَلَّدَ ، فَقَبِلْتَ مَا أَوْصَى بِهِ]
اضْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْهَوَى فَلَرَبَّمَا
تَحَلُّوْا مَرَارَةً صَبْرُهُ أَوْصَابُهُ

وقال :

كَدَبْتُ إِلَيْهِ أَسْتَهْدِي وَصَالاً
أَلَا لَيْتَ الْجَوَابَ يَكُونُ خَيْراً
فَعَلَّلَنِي بَوْعْدٍ فِي الْجَوَابِ
فِيَطْفَى مَا أَحَاطَ مِنَ الْجَوَى بِي

وقال :

إِنْ كُنْتَ تَأَنَسُ بِالْحَبِيبِ وَقُرْبِهِ
إِنَّ الرَّقِيبَ إِذَا صَبَرْتَ لِحُكْمِهِ
فَاضْبِرْ عَلَى حُكْمِ الرَّقِيبِ وَدَارِهِ
بَوَاكَ فِي مَثْوَى الْحَبِيبِ وَدَارِهِ

وقال :

شَكُوتُ إِلَيْهِ مَا الْإِ فِي فَقَالَ لِي :
فَلَوْ كَانَ حَقًّا مَا ادَّعَيْتَ مِنَ الْهَوَى
رُؤَيْدًا ، فَنَفَى حُكْمَ الْهَوَى أَنْتَ مُوتَلَى^(١)
لَقُلَّ بِمَا تَلَقَّى إِذَا أَنْ تَمُوتَ لِي

وقال :

نَوَى لِي بَعْدَ إِكْثَارِ السُّؤَالِ
فَلَمَّا رُمْتُ ، إِنْجَازًا لَوْعْدِي
حَبِيبٌ أَنْ يُسَامَحَ بِالنَّوَالِ
فَقَدْ قَضَتِ النَّوَابِ بِالنَّوَى لِي
وَكَانَ الْقُرْبُ مِنْهُ شِفَاءَ نَفْسِي

(١) أَنْتَ مُوتَلَى : مُتَصَرٍّ (م)

وقال :

سقيًا لدهرٍ مضى والوصلُ يجمعنا
ونحنُ نحكي عناقًا شكلَ تنوينِ
فصرتُ إذ عِلقتُ كفى حَبائِلِكُم
فسهمُ هجرَك تَرَمِي ثم تنويني

وقال :

صَدَفَ الحبيبُ بوَصَلِهِ
فجفا رُقَادِي إذ صَدَفَ
ونثرت لؤلؤ أدمعِ
أضحى لها جَفْنِي صَدَفَ

وقال :

يا مَنْ يَقولُ الشعرَ غَيْرَ مَهْدَبٍ
ويسومني التعذيبَ في تهديبهِ
لو أنَّ كلَّ النَّاسِ فيكَ مُسَاعِدِي
لعجزت عن تهذيبِ ما تهذِي بهِ

وقال :

أراد أن يُخفي هَوَاهُ وقد
نمَّ بما تُخفي أساريه
وكيف يُخفي داءَهُ مُدْنَفٌ
قد ذاب من فرط الأسى ريره^(١)

وقال :

وسهفهُ تَهْفُو بِلَبِّ المرءِ مِنْهُ شَمَائِلُ
فالزَّدْفُ دِعْصُ هائلُ والقَدْ غُصْنُ مائلُ
والخَدُّ نورُ شقائقِ تنشقُّ عنه خَمَائِلُ
والعَرَفُ نَشْرُ حَدايقِ تَمَّتْ بِهِنَّ شَمَائِلُ
والطَّرْفُ سَيْفُ مالهُ إلا العِذارُ حَمَائِلُ

ولأبي الفتح البستي في هذا المذهب :

لأبي الفتح
البستي

إن لي في الهوى لِسَانًا كَتُومًا
وجَنَانًا يُخفي حَرِيقَ جَوَاهُ
غيرَ أني أخافُ دَمْعِي عليه
سَتَرَاهُ يُفْشِي الذي سَتَرَاهُ

(١) الرير : الدم ، أو ذائب المخ

ولأبى الفتح البستي في مذهب هذا البيت الأخير :

نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاطِرَاهُ أَوْدَعَانِي أُمْتُ بَمَا أَوْدَعَانِي

وله :

خُذِ الْعَفْوَ وَأَمْرِ بَعْرِفِ كَمَا أَمِرْتُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
وَإِنْ فِي الْكَلَامِ لِكُلِّ الْأَنَامِ فَسَتَحَسِّنُ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ لَيْنُ

وله :

إِلَى حَتَّى سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَاكَ دَمِي
فَمَا أَنْفَكُ مِنْ نَدَمِي وَلَيْسَ بِنَافَعِي نَدَمِي

وله :

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمِلَهَا أَنْسَاكَ كُلَّ كَمْيٍّ هَرَّ عَامِلُهُ
وَإِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنْامِلُهُ أَقَرَّ بِالرَّقِّ كَتَّابُ الْأَنَامِ لَهُ
وَقَالَ لِمَنْ اسْتَدْعَاهُ إِلَى مَوَدَّتِهِ :

فَدَيْتُكَ قَلَّ الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ وَقَلَّ الْخَلِيلُ الْخَلِيقُ الْوَفَى
وَلِي رَاغِبٌ فَيْكَ إِمَّا وَفَيْتَ فَهَلْ رَاغِبٌ أَنْتَ فِي أَنْ تَفِي
وَلِلْأَمِيرِ أَبِي الْفَضْلِ :

أَهْلًا بَطْنِي حَوَاهُ قَعْرُ كَجَنَّةٍ قَدْ حَوَتْ نَعِيمًا
طَرَفَتْهُ لَا أَهَابَ سُوءًا أَبَاخَنِ حَبَّهِ الْحَرِيمَا
فَجَادَ مَنْ فِيهِ لِي بَرَّاحُ تَنْفِي حَرِيقًا بِهِ قَدِيمَا
أَفْدَى حَرِيقًا أَبَاحَ رِيْقًا لَا بَلْ حَرِيمًا أَبَاحَ رِيمَا

وله :

مَنْ لِي بِشَمْلِي الْمَمَى وَالْأَنْسُ أَجْمَعُ بِشَادِنٍ حَلَّ فِيهِ الْحَسَنُ أَجْمَعُ

ما زال يُعْرِضُ عَنْ وَضْلِي وَأَخَذَهُ
فَالآنَ قَدْ لَانَ بَعْدَ الصَّدِّ أَخَذَهُ (١)

وقال :

بِأَبِي غَزَلٍ نَامَ عَنْ وَصْبِي بِهِ وَمُرَاقٍ دَمَعِي لِلنَّوَى وَصْدِي بِهِ
يَالَيْتَهُ يَرْتِي عَلَى وَلَهِي بِهِ لَغْرَامٍ قَلْبِي فِي الْمَوَى وَلَهِي بِهِ
وله في هذا الباب من غير هذا النمط يصف غلاماً مخموراً خمش وجهه :
هَبْهُ تَغَيَّرَ حَائِلًا عَنْ عَهْدِهِ وَرَمَى فُؤَادِي بِالصَّدُودِ فَازْغَبَا
مَا بَالُ نَرْجِسِهِ تَحَوَّلَ وَرْدَةً وَالْوَرْدُ فِي خَدَّيْهِ عَادَ بِنَفْسَجَا
وله في هذا المعنى :

وَرِيمَ عَلَى الشُّكْرِ خَمَشْتُهُ بَقَرَضٍ بِعَارِضِهِ أَثْرَا
فَأَصْبَحَ نَرْجِسُهُ وَرْدَةً وَوَرْدَةُ خَدَّيْهِ نَيْلُوفَرَا
وقال في وصف العذار :

ظَنِي كَسَا رَأْسَ الشَّبَابِ بِعَارِضٍ نَمَّ الْعِدَارُ بِحَافَتَيْهِ فَلَا حَا
فَكُنَّا مَأْهُدَى لِعَارِضٍ خَدَّهِ شَعْرَى ظَلَامًا وَاسْتِعَاضَ صَبَاحَا
وقال في غلام افتصد :

وَمُهْنَفٍ غَرَسَ الْجَمَا لُ بَخَذَهُ رَوْضًا مَرِيحَا
فَصَدَّ الطَّيِّبُ ذِرَاعَهُ فَجَرَى لَهُ دَمْعِي ذَرِيحَا
وَأَمْسَنِي وَقَعُ الْحَدِيدِ بَعْرِقَهُ أَلْمَا وَجِيحَا
فَأَرَيْتَهُ مِنْ عَهْرِي مَا سَالَ مِنْ دَمِهِ نَجِيحَا

فَقَرُّ فِي ذِكْرِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ

العلماء ورثة الأنبياء . والعلماء أعلام الإسلام . العلماء في الأرض كالنجوم
في السماء .

(١) الأخدع : عرق ، وهو شعبة من الوريد

ابن المعتز - العلماء غرباء ، لكثرة الجهل . وله : العلمُ جمالٌ لا يخفى ، ونسب لا يُخفى . وله : زلَّةُ العالمِ كابكِسار سفينة تغرق ويفرق معها خلقٌ كثير .

غيره - إذا زلَّ العالم ، زلَّ بزلته عالم . غيره : الملوكُ حكامٌ على الناس ، والعلماءُ حكامٌ على الملوك . من لم يحتمل ذلَّ التعلم ساعة ، بقي في ذلَّ الجهل أبداً . ماصين العلم بمثل بذله لأهله . من كتم علماً فكأنه جاهله .

العلمُ يمنعُ أهله * أن يمنعوهُ أهله^(١)

ابو الفتح كشاجم :

لاتمنع العلم امرأً والعلمُ يمنعُ جانباً
أما الغبيّ فليس يفهم لطفه وغرائبه
وتكون حاضرة الفوائد عنده كالغائبه
وأخو الحصافة مستحجق أن ينال مطالبه
فبحقه أعطيته من فضل علمك واجبه

ومن رَقَّ وجهه عند السؤال ، رَقَّ علمه عند الرجال . علمٌ بلا عمل ، كشجرة بلا ثمر . كما لا يُنبِت المطرُ الكثيرُ الصَّخَر ، كذلك لا ينفع البليدُ كثرة التعلم . من ترفع بعلمه وضعه الله بعمله . الجاهلُ صغيرٌ وإن كان كبيراً ، والعالمُ كبيرٌ وإن كان صغيراً . من أكثر مذاكرة العلماء ، لم ينس ماعلم ، واستفاد ما لم يعلم . ابن المعتز : المتواضعُ في طلاب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفضُ أكثر البقاع ماء . إذا علمت فلا تذكرك من دونك من الجهال ، واذكرك من فوقك من العلماء . النارُ لا يُنْقِصُها ما أخذ منها ، ولكن يُنْقِصُها ألا تجد حطباً ، كذلك العلمُ لا يُفْنِيهِ الاقتباسُ منه ، وفقد الحاملين له سببُ عدمه .

(١) هذا بيت من الشعر يروى أن الشافعي كتب به إلى محمد بن الحسن الشيباني ، وكان قد استعار منه كتاباً فتأخر عن إعارته ، وقبله قوله :

قل لمن لم تر عين من رآه مثله (م)

مات خزانة الأموال وهم أحياء ، وعاش خزان العلم وهم أموات . مثل علم لا ينفع
ككنز لا ينفق منه . أزهّد الناس في عالم حيرائه .

وقيل للصّلت بن عطاء ، وكان مقدّماً عند البرامكة : كيف غلبت عليهم وعندهم
من هو أدب منك ؟ قال : ليس للقرّباء طرافة الغرّباء ، وكنت امرأ بعيد الدار ،
نأى المزار ، غريب الاسم ، قليل الجرم ، كثير الالتواء ، شحيحاً بالإملاء ؛
فرغبهم فيّ رغبتى عنهم ، وزهدنى فيهم رغبتهم فيّ .

علم لا يعبّر معك الوادى ، لا يعمر بك النادى . لو سكت من لا يعلم لسقط
الاختلاف . إذا ازدحم الجواب خفي الصواب . الغلط تحت اللّفظ . خرق الإجماع
خرق . المحجوج بكلّ شيء ينطق

استعارات فقهية تليق بهذا المسكان

بين أنى تمام دخل أبو تمام الطائى على أحمد بن أبى دؤاد فى مجلس حكمه ، وأنشده أبيتاً
وابن أبى دؤاد يستعطر نائله ، وينشر فضائله ، فقال : سيأتىك ثوابها يا أبا تمام ، ثم اشتغل
بتوقيعات فى يده ؛ فأحفظ ذلك أبا تمام ، فقال : أخضر أيدك الله فإنك غائب ،
واجتمع فإنك مفترق ، ثم أنشده :

إنّ حرّاماً قبُولُ مدحتنا وترك ما نرتجى من الصّفَدِ
كما الدنانير والدرهم فى الصّرف حرامٌ إلا يداً بيدٍ
فأمر بتوفير حباته ، وتعجيل عطائه .

بين طاهر بن عبد الله وابن تمام بن أبى تمام فأنشده :
ولما ولى طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهشونهُ ، وفيهم

هناك ربّ الناس هنا ما من جزيل الملك اعطاكا
قرت بما أعطيت إذا الحجى والبأس والإنعام عيناكا
أشرقّت الأرض بما نلتُهُ وأورق العود بجذواكا

فاستضعف الجماعة شعره ، وقالوا : يا بعد ما بينه وبين أبيه ! فقال طاهر

لبعض الشعراء : أجبته ، فقال :

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا إن الذي أمّلتَ أخطاكا
فقلتَ قولاً فيه ما زانهُ ولو رأى مدحاً لآساكا
فهاك إن شئتَ بها مدحةً مثل الذي أعطيتَ أعطاكَا

فقال تمام : أعز الله الأمير ، وإنَّ الشَّعْرَ بالشَّعرِ ربّاً ، فاجعل بينهما صنجا
من الدراهم ، حتى يحلّ لي ولك ! فضحك وقال : إلا يكن معه شعْرُ أبيه ، فعه
ظرف أبيه ؛ أعطوه ثلاثة آلاف درهم ! فقال عبد الله بن إسحاق : لو^(١) لم يعط
إلا لقول أبيه في الأمير أبي العباس - رحمه الله - يريد عبد الله بن طاهر :
يقولُ في قَوْمَسِي صَجِيي وقد أخذتُ مِنَّا السُّرَى وَخُطَا المَهْرِيَّةِ القُودِ :
أطلع الشمس تبغى أن تؤثِّمَ بنا ؟ فقلتُ : كلا ، ولكن مطلع الجودِ
فقال : ويعطى بهذا ثلاثة آلاف .

[ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان ، وسببها]

وكان سببُ ولاية طاهر خراسان بعد أبيه ما حدّث به أبو العيناء قال :
كنا عند أحمد بن أبي دواد ، فجاء الخبر أن الكتّابَ وردت على الواثق من خراسان
بوفاة عبد الله بن طاهر ، وأن الواثق يُعزّي عنه ، وأنه قد ولي مكانه خراسان إسحاق
ابن إبراهيم ، وكان عدواً له لانحراطه في سبكِ ابن الزيات ؛ فلبس ثيابَه ومضى ،
وقال : لا تبرحوا حتى أعود إليكم ؛ فلبث قليلاً ، ثم عاد إلينا فحدّثنا أنه دخل على
الواثق فعزّاه عن عبد الله وجلس ، قال : فقال لي الواثق : قد وليّنا إسحاق
خراسان ، فما عندك ؟ قلت : وفق الله أمير المؤمنين ولائذمه . قال : قل ما عندك
في هذا . قلت : أمرٌ قد أمضى ، فما عسيت أن أقول فيه . قال : لتفعلن . فقلت :
يا أمير المؤمنين ، خراسان منذ ثلاثين سنة في يد طاهر وابنه ، وكلٌّ من بها
صنائعهم ، وقد خلفَ عبد الله عشرَ بنين أكثرهم رجال ، وجميع جيش خراسان
(١) جواب لو هذه محذوف ، وتقدير الكلام : لو لم يعط إلا لقول أبيه لكان ذلك سائغاً (م)

لهم عبيدُ أَمْوَالٍ أَوْصَنَّا، وسيقولون : أَمَا كَانَ فِيْنَا مُصْطَنَعٌ ؟ وكان يجب أن
يُجَرَّبَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ وَفَيْنَا بِمَا كَانَ بَنَى بِهِ أَبُونَا وَجَدْنَا ، وَإِلَّا اسْتَبْدَلَ مِنَّا
بَعْدَ عُذْرٍ فِيْنَا ؛ وَيَقْدُمُ خِرَاسَانَ إِسْحَاقُ وَهُوَ رَجُلٌ غَرِيبٌ فِيْنَا فَسَهْ هَؤُلَاءِ ،
وَيَتَعَصَّبُ أَهْلُهَا لَهُمْ ؛ فَيَنْتَقِضُ مَا أُبْرِمَ ، وَبِفَسْدِ مَا أُصْلِحَ

قال : صدقت يا أبا عبد الله : والرأى ما قلت ، اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله
على خراسان . فكتبت كتب طاهر ، وخرقت كتب إسحاق ، فخرجت الزنج
تطيرُ بها ، ثم لقيني إسحاق داخلا ، فقلت : يا أبا الحسن ، لا عدمت عداوة رجل
أزال عنك ولاية خراسان بكلمة .

بين ابن الرومي و مدح ابن الرومي أبا العباس بن ثوابه ، فعارضه أخوه أبو الحسن بقصيدة
وابن ثوابه يمدح أخاه بها ، فقال ابن الرومي :

أَلَيْسَ الْقَوَافِي بَنَاتِ الْفَقَى إِذَا صَوْرَةُ الْحَقِّ لَمْ تُسَخَّرْ
فَلَا تَقْبَلَنَّ أَمَادِيحَهُ حَرَامُ نِكَاحُ بَنَاتِ الْأَخْرِ

ولما أنشد أبو تمام قصيدته في المعتصم : * السيف أصدق أنباء من الكتب *
قال له : لقد جَلَوْتَ عَرُوسَكَ يَا أَبَا تَمَامٍ فَأَحْسَنْتَ جَلَاءَهَا . قال : يا أمير المؤمنين ،
والله لو كانت من الخور العين لكان حُسْنُ إِصْغَانِكَ إِلَيْهَا مِنْ أَوْفَى مُهَوِّرِهَا .

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

أَقُولُ لِشَادِنٍ فِي الْحُسْنِ أَضْحَى يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْكَمِيِّ
مَلَكَتِ الْحُسْنَ أَجْمَعَ فِي قِوَامِ فَأَدَّ زَكَةَ مَنْظَرِكَ الْبَهِيِّ
وَذَلِكَ أَنْ تَجُودَ لِمُسْتَهَامٍ بِرِيقٍ مِنْ مُقْبَلِكَ الشَّهِيِّ
فَقَالَ : أَبُو حَنِيفَةَ لِي إِمَامٌ فَعَنْدِي لَا زَكَةَ عَلَى الصَّبِيِّ

لأبي الفضل
الميكالي

وربما أنشد هذه الأبيات على قافية أخرى فقال :

أَقُولُ لِشَادِنٍ فِي الْحُسْنِ فَرْدٍ يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْجَلِيدِ

ملكته الحسن أجمع في قوام
وذلك أن تجود مستهام
فقال : أبو حنيفة لي إمام
وقال :

بنفسي غزال صار للحسن قبله
دعاني الهوى فيه فلبيت طائعا
فطرفي بالتسبيد والدمع قارن
وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبي الفتح
كشاجم

فديت زائرة في العيد واصلة
فلم يزل خدّهار كئنا أطوف به
والهجر في غفلة من ذلك الخبر
والخاء في خدّها يغني عن الحجر
وينضاف إلى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان إلى أبي
نصر بن المرزبان :

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وأنا سالم ، والحمد لله رب العالمين ، كيف تقلّب لبديع الزمان
الشيخ في درع العافية ، وأحواله تلك الناحية ؛ فإنّي ببعده مُنْغَصُّ شِرْعة العيش ،
مقصود أجنحة الأنس . ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته ، على ما أَرغب إلى
الله في إدامته ، وسكنتُ إليه بعد انزعاجي لتأخره ؛ وقد كان رَسَمَ أن أعرفّه
سبب خروجي من جرجان ، ووُتِوعِي بِجُرَّاسان ، وسبب غضب السلطان ؛ وقد
كانت القصة أُنّ لما وردت من ذلك السلطان حضرته ، التي هي كعبة المحتاج ،
لا كعبة الحجاج ، ومستقر الكرم ، لا مشعر الحرم ، وقبلة الصلّات ، لا قبلة
الصلاة ، ومُنَى الضيف ، لا مَنَى الخيف ، وجدت بها ندماء من نبات العام ^(١) ، اجتمعوا

(١) من نبات العام : يريد أنهم حديثو العهد

قيضة كلب^(١) على تليفيق خطب ، أزعجنى عن ذلك الفناء ، وأشرف بي على
الفناء ، لولا ما تدارك الله بمجمل صنعه ، وحسن دفعه ؛ ولا أعلم كيف احتالوا ،
ولا ما الذي قالوا ؛ وبالجملة غيروا رأى السلطان ، وأشار على إخواني ، بمفارقة
مكاني ، وبقيت لا أعلم أئمةً أضرب أم شامة ، ونجداً أقصد أم تهامة !

ولو كنت في سلمى أجاوشعياً كان ليحجاج على دليل

وقد علم الشيخ أن ذلك السلطان سماه إذا تغيّر لم يرج صخوه ، وماله إذا تغيّر
لم يشرب صفوه ، وملك إذا سخط لم ينتظر عفوه ، وليس بين رضاه والسخط
عوجة ، كما ليس بين غضبه والسيوف فرجة ، وليس من وراء سخطه مجاز ، كما
ليس بين الحياة والموت معه حجاز ؛ فهو سيّد يغضبه الجرم الخلق ، ولا يرضيه
العدر الجلي ؛ وتكفيه الجناية وهي إرجاف ، ثم لا تشفيه العقوبة وهي إجحاف ،
حتى إنه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ، ويعمى عن العذر وهو أبين من
عمود الضئح ؛ وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ، ويحجب عن هذه
العذر وله برهان ؛ وذو يدين يسط إحداها إلى السفك والسفح ، ويقبض الأخرى
عن العفو والصفح ؛ ودو عينين يفتح إحداها إلى الجرم ، ويغمض الأخرى عن الحلم ،
ففرحه بين القدّ والقّطع ، وجده بين السيف والنّطع ، ومراده بين الظهور والكمون ،
وأمره بين الكاف والنون ؛ ثم لا يعرف من العقاب ، غير ضرب الرقاب ، ولا
يهتدى من التأنيب إلا لإزالة النعم ، ولا يعلم من التأديب غير إراقة الدم ، ولا
يحتمل الهنة على حجم الذرة ، ودقة الشعرة ، ولا يحلم عن الهفوة ، كوزن الهبوة ،
ولا يُغضى عن السقطة ، كجرم النقطة ؛ ثم إن النقم بين لفظه وقلمه ، والأرض
تحت يده وقدمه ، لا يلقاه الولي إلا بفمه ، ولا العدو إلا بدمه ؛ والأرواح
بين حبسه وإطلاقه ، كما أن الأجسام بين حله ووثاقه ؛ فنظرت فإذا أنا بين

(١) قيضة كلب: القيضة بالكسر هي العظم، والمراد تحقيرهم بوصفهم بعظام الكلب

جُودَيْنِ : إِمَّا أَنْ أَجُودَ بِبَاسِي ، وَإِمَّا أَنْ أَجُودَ بِرَأْسِي ؛ وَبَيْنَ رُكُوبَيْنِ : إِمَّا
الْمُفَازَةَ ، وَإِمَّا الْجَنَازَةَ ؛ وَبَيْنَ طَرِيقَيْنِ : إِمَّا الْغُرْبَةَ ، وَإِمَّا الْقُرْبَةَ ؛ وَبَيْنَ فِرَاقَيْنِ : إِمَّا
أَنْ أَفَارِقَ أَرْضِي ، أَوْ أَفَارِقَ عَرْضِي ؛ وَبَيْنَ رَاحِلَتَيْنِ : إِمَّا ظَهْرَ الْجِلَالِ ، وَإِمَّا
أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ؛ فَاخْتَرْتُ السَّمَاحَ بِالْوَطَنِ ، عَلَى السَّمَاحِ بِالْبَدَنِ ؛ وَأَنْشَدْتُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِلْنِّيَةِ مَرْكَبٌ فَلَا رَأْيَ لِلْمَحْمُولِ إِلَّا رُكُوبُهَا
وَلَدَّ مَا ذَكَرَ مِنْ « كَعْبَةِ [الْحَتَّاجِ] ، لَا كَعْبَةَ [الْحُجَّاجِ] » ، مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :
بَيْنَانِ حَجَّهُمَا الْأَنَامُ ؛ فَهَذِهِ حَجُّ الْغَنِيِّ ، وَتِلْكَ الْمُعْتَمِدِ

[أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ وَشَيْءٌ مِنْ أَدَبِهِ]

وَشَتَمَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَضْلَ بْنَ جَعْفَرِ الْبَصِيرِ ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَاللَّهِ
مَا نَعَيْتُ عَنْ جَوَابِكَ ، وَلَا نَعَجَزُ عَنْ مَسَابِكِكَ ؛ وَلَكِنَّا نَكُونُ خَيْرًا لِنَسِيكِكَ مِنْكَ ، وَأَبَى عَلَى الْبَصِيرِ
وَنَحْفَظُ مِنْهُ مَا أَضَعَّتْ ؛ فَاشْكُرْ تَوْفِيزَنَا مَا وَفَّرْنَا مِنْكَ ، وَلَا يُغْرِ نَكَ بِالْجَهْلِ عَلَيْنَا
حَلْمُنَا عَنْكَ .

وَسَأَلَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ حَاجَةً وَلَقِيَهُ ؛ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ سَنَ تَأْخَرَهَا ؛
فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : فِي شُكْرٍ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْسَانِكَ شَاغِلٌ مِنْ اسْتِبْطَاءِ مَا تَأَخَّرَ مِنْهُ .

وَأَبُو عَلِيٍّ أَحَدُ مَنْ جُمِعَ لَهُ حُظُّ الْبَلَاغَةِ فِي الْمَوْزُونِ وَالْمُنْثَوْرِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :
أَلَمْتُ بِنَا يَوْمَ الرِّحِيلِ اخْتِلَاسَةً فَأَضْرَمَ نِيرَانَ الْهَوَى النَّظَرُ الْخَلْسُ
تَأَبَّتْ قَلِيلًا وَهِيَ تُرْعَدُ خِيفَةً كَمَا تَتَأَنَّى حِينَ تَعْتَدِلُ الشَّمْسُ
فَخَاطَبَهَا صَمْتِي بِمَا أَنَا مُضْمِرٌ وَأَنْبَسْتُ حَتَّى لَيْسَ يُسْمَعُ لِي حِسُّ
وَوَلَّتْ كَمَا وَلَّى الشَّبَابُ لَطِيفَةً طَوَتْ دُونَهَا كَشْحًا عَلَى يَأْسِهَا النَّفْسُ

من شعر
أبي علي البصير

وَقَالَ يَصِفُ بَلَاغَةَ الْفَتْحِ بْنِ خَافَانَ وَشَعْرَهُ :

سَمِعْنَا بِأَشْجَارِ الْمُلُوكِ ؛ فَكَلَّمَهَا إِذَا عَضَّ مَتْنِيهِ الْتِفَافُ تَأَوَّدَا
سَوَى مَا رَأَيْنَا لِأَمْرِ الْقَيْسِ ؛ إِنَّا نَرَاهُ - مَتَى لَمْ يَشْرُ الْفَتْحُ - أَوْحَدَا

أقام زماناً يَسْمَعُ القولَ صامتاً ونحسبه إن رام أ كُدَى وأصلدا
[فلمـالمتطاه راكباً ذلـصعبه وسار فأضحى قد أغار وأنجدا]
والفتح بن خاقان يقول :

من شعر
الفتح بن خاقان
كتاب إلى
عبيد الله بن يحيى

وإني وإياها لكالخمر، والفـتى متى يستطع منها الزيادة يزدد
إذا ازددت منها زاد وجدى بقرُ بها فسكيف احترامى من هوى متجدد
وكتب إلى أبى الحسن عبيد الله بن يحيى : وإن أمير المؤمنين لما استخلصك
لنفسه ، وأئتمنتك على رعيته ؛ فنطق بلسانك ، وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد
وأصدر عن رأيك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانه إياك ، وتسليطه الحق على
الهوى فيك ، و بعد أن مثل بينك وبين الذين سموا المرء بتبك ، وجروا إلى غايتك ،
فأسقطهم مضاًؤك ، وخفوا في ميزانك ، ولم يزدك - أكرمك الله - رفعة وتشریفاً
إلا أزددت له هبةً وتعظيماً ، ولا تسليطاً وتمكيناً ، إلا زدت نفسك عن الدنيا
عزواً وتنزيهاً ، ولا تقريباً واختصاصاً ، إلا ازددت بالعامّة رافةً وعليها حداباً ،
لا يخرجك فرطُ النصيح له عن النظر لرعيته ، ولا إيثارُ حقه عن الأخذ بحقها
عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه ، ولا يشغلك معاناة كبار
الأمر عن تفقد صغارها ، ولا الجدُّ في صلاح ما يصلح منها عن النظر في عواقبها ؛
تمضي ما كان الرشد في إمضائه ، وترجي ما كان الحرزم في إرجائه ، وتبذل
ما كان الفضل في بذله ، وتمنع ما كانت الصلحة في منعه ، وتلين في غير
تكبر ، وتخص في خير ميل ، وتعم في غير تصنع ، لا يشقى بك الحق وإن كان
عدواً ، ولا يسعد بك المبطل وإن كان ولياً ؛ فالسلطان يعتد لك من الغناء
والكفاية ، والذنب والحيطة ، والنصح والأمانة ، والعفة والبراهة ، والنصب فيما
أدى إلى الراحة ، بما يراك معه - حيث انتهى إحسانه إليك - مستوجبا للزيادة .
وكافة الرعية - إلا من غمط منهم النعمة - مشنون عليك بحسن السيرة ، ويمن
النقبة ، ويعذون من ما ترك أنك لم تدحض لأحد حجة ؛ ولم تدفع حقاً

لشبهة ؛ وهذا يسيرٌ من كثير ، لو قصدنا لتفضيله ، لأنفذنا الزمان قبل تحصيله ، ثم كان قصدنا الوقوفَ دون الغاية منه

وله إلى عبيد الله بن يحيى : يقطعني عن الأخذِ بحظي من لقائك ، وتعريفك كتاب آخر إلى ما أنا عليه عن شكرِ إنعامك ، وإفرادي إياك بالتأميل دون غيرك ، نخلفي عن منزلة الخاصة ، ورغبتني عن الحلول محلّ العامة ، وأنى لستُ معتاداً للخدمة ولا الملازمة ، ولا قوياً على المغادرة والمراوحة ؛ فلا يمتنعك ارتفاع قدرك ، وعلو أمرك ، وما تعانيه من جلائل الأحوال الشاغلة ، من أن تتطوّل بتجديد ذكرى ، والإصغاء إلى من يحضُّك على وضلى وبرئى ، ويرغبك فى إسداء حُسن الصنيعة ندى .

وله إليه آخر فصلٍ من كتاب : وأنا أسألُ الله الذى رَحِمَ العبادَ بك ، على حين افتقارٍ منهم إليك ، أن يُعيدهم من فقدك ، ولا يُعيدهم إلى المكاره التى استبقذتهم منها بيدك .

[بعض ما يبعث على الرحيل]

ولقى رجلٌ رجلاً خارجاً من مصرَ يريد المغرب ، فقال : يا أخى ؛ أتتبع القطر ، وتدع مجرى السيول ؟ فقال : أخرجنى من مصر حقّ مضاع ، وشخّ مطاع ، وإفتار البكريم ، وحركة اللثيم ، وتغيّر الصديق ، بين السعة والضيق ، والمهرب إلى النزر بالعر ، خيرٌ من طلب الوفر بذر العجز .

[من الوصايا لمن اعتزم السفر]

وأوصى بعضُ الحكماء صديقاً له ، وقد أراد سَفراً ، فقال : إنك تدخلُ بلدًا لا يعرفُك أهله ؛ فممسكٌ بوصيتي تنفق بها فيه : عليك بحُسن الشائل فإنها تدلُّ على الحرية ؛ ونقاء الأطراف فإنها تشهد بالموكية ؛ ونظافة البرّة فإنها تنبئ عن النّشء فى النّعمة ؛ وطيب الرائحة فإنها تظهر المروءة ، والأدب الجليل فإنه يكسب المحبة . وليكن عقلك دون دينك ، وقولك دون فعلك ، ولباسك دون

قَدَّرِكَ ، وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنَفَةَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْقَضَاةِ اجْتَنَبْتَ الْخُسَاسَةَ ، وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْعَلْبَةِ ، لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظِيرٌ فِي مَرْتَبَةٍ .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يُوصِي آخرَ أرادَ سفرأ ؛ فقال : آثرَ بعملِكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدْعُ إِشْهُوَتَكَ رِشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرُكَ الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَجَنِّبَكَ مِنَ الرَّدَى ، وَاحْبِسْ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِشِ ، وَأُطْلِقْهُ فِي الْمَكَارِمِ ؛ فَإِنَّكَ تَبَرَّ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ بِهِ شَرَفَكَ .

وأوصت أعرابية ابنها في سفر ، فقالت : يَا بَنِي ؛ إِنَّكَ تَجَاوِرُ الْغُرَبَاءَ ، وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ ، وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ ؛ فَخَالِطِ النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبِشْرِ ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ .

وقال بعضُ الملوك لحكيم وقد أرادَ سفرأ : قَفْنِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْ حِكْمَتِكَ أَعْمَلُ بِهَا فِي سَفَرِي ؛ فقال :

اجْعَلْ تَأْنِيكَ أَمَامَ عَجَلَتِكَ ، وَحِلْمَكَ رَسُولَ شِدَّتِكَ ، وَعَفْوَكَ مَالِكَ قَدْرَتِكَ ، وَأَنَا ضَامِنٌ لَكَ قُلُوبَ رَعِيَّتِكَ ، مَا لَمْ تُخْرِجْهُمْ بِالشَّدَةِ عَالِيَهُمْ ، أَوْ تُبْطِرَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .

وقال أبان بن تغلب : شهدت أعرابيةً تُوصِي ولداً لها أرادَ سفرأ وهي تقول : أَيْ بَنِي ! اجْلِسْ أَمْنَحْكَ وَصِيَّتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، قَالَ أَبَانُ : فَوَقَفْتُ مُسْتَمِعاً لِكَلَامِهَا ، مُسْتَحْسِناً لَوْصِيَّتِهَا ، فَإِذَا هِيَ تَقُولُ : أَيْ بَنِي ! إِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ ، فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الضَّغِينَةَ ، وَتَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَبِيبِينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعَيُوبِ فَنَتَّخِذُ غَرَضاً ، وَخَلِيقُ الْأَلَا يَنْبُتُ الْغَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ؛ وَقَلَمَّا اعْتَوَرَتِ السَّهَامُ غَرَضاً إِلَّا كَلَمْتُهُ ، حَتَّى يَهَيَّ مَا شِئْتُ مِنْ قُوَّتِهِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَابْخَلْ بِمَالِكَ ؛ وَإِذَا هَزَزْتَ فَأَهْزَزْ كَرِيماً يَلِينُ لِمَهْزَنَتِكَ ؛ وَلَا تَهْزُزْ اللَّيْمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَتَفَجَّرُ مَآوُهَا ، وَمِثْلُ بِنَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ؛ وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشْرَهُ ، وَخَالَفَ مَعَهُ ذَلِكَ فَعَلُهُ ، كَانَ صَدِيقَهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا .

نم أسكت ، فدنوتُ منها ، فقلت لها : بالله يا أعرابية ، إلا ما زِدته في الوصية ؛ قالت : أو قد أعجبَكَ كلامُ العرب يا حَصْرَى ؟ قلت : نعم ! قالت : الغَدْرُ أقبح ما تعاملَ به الناسُ بينهم ، وَمَنْ جمع الحِلْمَ والسَّخَاءَ فقد أجَادَ الحِلَّةَ رَيَّطَهَا وَسِرَّ بِهَا .

فقر في مدح السفر

أبو القاسم بن عباد صاحب : الخبر المنقول أن المقبوضَ غريباً شهيداً . وفي الحديث : سافروا تَغْنَمُوا . السفرُ أحدُ أسباب العيش التي بها قوامه ، وعليها نِظَامُهُ . إنَّ الله لم يَجْمَعْ منافع الدنيا في الأرض ؛ بل فرَّقها وأحوجَ بعضها إلى بعض . المسافرُ يسمعُ العجائب ، ويَكْسِبُ التجاربَ ، ويَجْلِبُ المكاسبَ . الأسفارُ مما تَزِيدُك علماً بقدرة الله وحِكْمَتِهِ ، وتدعوكُ إلى شكر نعمته . ليس بينك وبين بلدٍ نَسَبٌ ؛ فخيرُ البلاد ما حلك . السفرُ يُسْفِرُ عن أخلاق الرجال . أَوْحِشُ أَهْلَكَ إذا كان في إِيحاشهم أنْسُكَ ، واهْجُرْ وَطَنَكَ إذا نَبَتَ عنه نفسك . ربما أسفرَ السفرُ عن الظُّفَرِ ، وتَعَذَّرَ في الوطن قضاء الوَطَرِ ، وأنشد :

ليس ارتحالُكَ تَزِيدُكَ الغنى سفرًا بلِ الْمَقَامُ على حَسْفٍ هو السفرُ
وهذا كقول الطائي :

وما القفرُ بالبيدِ الفضاء ، بلِ التي نَبَتَ بِي وفيها سَأَرَ كُنُوهَا هي القفرُ
أخذه المتنبي فقال :

إذا تَرَحَّلْتَ عن قومٍ وقد قَدَرُوا أَلَّا تُفَارِقَهُمْ فَالْرَّاحِلُونَ هُمُ

نقيض ذلك في ذم السفر والغربة

في الحديث إن المسافرَ وماله لَمَلَى ، قلت : إلا ما وَقَى الله ، أى على هلاك . شيئان لا يعرفهما إلا من ابتلى بهما : السفرُ الشاسع ، والبناءُ الواسع . السفرُ والسَّقَمُ والقتالُ ثلاث متقاربة ؛ فالسفرُ سفينة الأذى ، والسَّقَمُ حَرِيقُ الجسد ،

والقتالُ مَنْبِتُ المنايا . إذا كنتَ في غير بلدك فلا تنسَ نصيبك من الدّل . الغربةُ
كُرْبَةٌ . النقلةُ مَثَلَةٌ . الغريبُ كالغرسِ الذي زایل أرضه ، وفقدَ شِربَه ؛ فهو
ذَاوٍ لَا يُشِيرُ ، وذابلٌ لَا يَنْضُرُ . الغريبُ كالوَحْشِ النَّائِي عن وطنه ؛ فهو لكل
سَبْعٍ فَرِيسَةٌ ، ولكل رَاِمٍ رَمِيَّةٌ ؛ وأنشد :

لَقُرْبُ الدارِ في الإقْتَارِ خَيْرٌ من العيشِ الموسّعِ في اغْتِرَابِ
وقال أبو الفتح البُستِي :

لَا يَعمُ المرءُ شَيْئًا يَسْتَعِينُ بِهِ ومنعه بين أهْلِيهِ وأَصْحَابِهِ
ومن نَأَى عَنْهُمْ قَلَّتْ مَهَابَتُهُ كاللَّيْثِ يَحْقِرُ لَمَّا غَابَ عَنْ غَايَةِ

[العزل والإبعاد والحجب بعد التقريب والمؤانسة]

كتب أبو عبيد الله إلى المهدي بعد عَزْلِهِ إياه عن الدواوين : لم يُنْكَرْ أميرُ
المؤمنين حالي في قُرْبِ المؤانسة وخصوصِ الخلطة ، وحالي عنده قَبْلَ ذلك في قيامي
بواجبِ خدمته ، التي أدتني من نعمته ، فلم أَبْدَلْ - أعزَّ الله أميرَ المؤمنين -
حالَ التباعد ، ويقرَّب في محل الإقضاء ، وما يعلمُ الله مني فيما قلت إلا ما علمه أميرُ
المؤمنين ، فإن رأى أكرمهُ الله أن يُعَارِضَ قولي بعلمه بدءًا وعاقبةً فعل إن شاء الله .
فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه ، فقال : ظلمنا أبا عبيد الله ، فيردُّ إلى
حاله ، وَيُعْلَمُ ما تجدُّ دله من حُسْنِ رأيي فيه .

بين المهدي
وأبي عبيد الله

ولما أمر المأمون أن يُحْجَبَ عنه الفضل بن الربيع لسبب تألَّم قلبه منه كتب إليه :
يا أميرَ المؤمنين ! لم يُنْسيَنِي التقريبُ حالي أيامَ التباعد ، ولا أغفلتني
المؤانسةُ عن شكر الابتداء ؛ فعلى أيِّ الحالين أبعد من أمير المؤمنين ، وَيَنْحَقْنِي
ذمُّ التقصير في واجب خدمته ؟ وأميرُ المؤمنين أعْدَلُ شهودي على الصّدق فيما
وصفت ؛ فإن رأى أميرُ المؤمنين ألا يكتم شهادتي فعل إن شاء الله .

بين المأمون
والفضل بن
الربيع

وقال أبو جعفر المنصور لأبي مسلم حين أُرْمِعَ قَتْلُهُ : هل كنتَ قبل قيامك
بدوولتنا جائرًا الأمرِ على عبيدٍ ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . قال : فلمَ لَمْ تَعْرِضْ

بين المنصور
وأبي مسلم
الخراساني

حَالِيْ غُصْرَتِكَ وَمَهَاتِكَ عَلَى أَيْمَانَا ، وَتَعْرِفْ لَنَا مَا يَعْرِفُ غَيْرُكَ مِنْ إِجْلَالِنَا
وَإِعْظَامِنَا ، حَتَّى لَا يَنْزَعَكَ الْحَيْنَ عِنَّا الطَّمَأْنِينَةُ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ : وَلَكِنَّ الزَّمَانَ وَإِسَاءَتَهُ قَلْبًا مَا كَانَ مِنْ حُسْنِ صَنِيعَتِي ، قَالَ : فَلَا
مَرْغُوبَ فَيْكَ ، وَلَا مَأْسُوفَ عَلَيْكَ ، وَفِي اللَّهِ خَلْفٌ مِنْكَ ! وَأَمْرٌ بِقَتْلِهِ ^(١)

جملة من شعر أبي الفتح كشاجم في الأوصاف

- من قوله في
وصف أجزاء
من القرآن
الكريم

قال يصف أجزاء من القرآن :

مَنْ يَنْبُ خَشْيَةُ الْعِقَابِ فَإِنِّي تَبْتُ أَنْسًا بِهِذِهِ الْأَجْزَاءِ
بَعَثْتَنِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالنُّسْكَ وَمَا خِلْتُنِي مِنَ الْقِرَاءِ
حِينَ جَاءَتْ تَرْوُقُنِي بِاعْتِدَالٍ مِنْ قُدُودٍ وَصِيفَةٍ وَاسْتَوَاءِ
سَبْعَةٍ أَشْبَهَتْ لِيَ السَّبْعَةَ الْأَنْجَمَ جَمَّ ذَاتَ الْأَنْوَارِ وَالْأَضْوَاءِ ^(٢)
كُسِيتُ مِنْ أَدِيمِهَا خَالِكُ اللَّوْنِ ^(٣) غِشَاءٌ أَحْبَبَ بِهِ مِنْ غِشَاءِ
مُشْبِهًا صِبْغَةَ الشَّبَابِ وَلَمَّا تِ الْعِذَارَى وَلِئْسَةَ الْخَطْبَاءِ
وَرَأَتْ أَنَّهَا تَحْسُنُ بِالضَّدِّ فَتَاهَتْ بِحِلْيَةٍ بِيضَاءِ
فَهِيَ مَسْوَدَّةُ الظَّهْوَرِ ، وَفِيهَا نَوْرٌ حَقٌّ يَجْلُودُ جِي الظَّالِمَاءِ
مُطَبَقَاتٍ عَلَى صَحَائِفَ كَالرَّيِّطِ تُخَيَّرْنَ مِنْ مُسَوِّكَ الظُّبَاءِ ^(٤)
وَكَأَنَّ الْخَطُوطَ فِيهَا رِيَاضٌ شَاكِرَاتٌ صَنِيعَةَ الْأَنْوَاءِ
وَكَأَنَّ الْبَيَاضَ وَالثَّقَطَ الشُّوْ دَعَبِيرٌ رَشَشْتُهُ فِي مُلَاءِ
وَكَأَنَّ الْعَشُورَ وَالذَّهَبَ السَّاطِعَ فِيهَا كَوَاكِبٌ فِي سَمَاءِ

(١) انظر واجبات الملوك في كتاب « الأخلاق عند الغزالي »

(٢) رواية الديوان :

سبعة شبهت بها الأنجم السبعة ذات الأنوار والأضواء.

(٣) رواية الديوان « الجون »

(٤) المسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد . ورواية الديوان « متون »

وهي مشكولةٌ بعدَّةِ أشكا لٍ ومقروءةٌ على أنحاء
 فإذا شئتَ كان حمزةٌ فيها وإذا شئتَ كان فيها الكِسائي
 خُضرةٌ في خلالِ حُمْرٍ وضُفَرٍ بين تلك الأضعافِ والأثناء
 مثل ما أثر الدَّيبُ من الذَّرِّ على جِلْدٍ بَضَّةٍ عَذراءُ^(١)
 ضُمْتُ مُحْكَمَ الْكِتَابِ كِتَابَ اللَّهِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ
 فَحَقِيقٌ عَلَى أَنْ أَلْتَوِيَ الْقُرْآنَ فِيهِمْ مُصْبِحِي وَمَسَائِي
 وقال يصفُ التَّخْتَ الَّذِي يُضْرَبُ عَلَيْهِ حِسَابُ الْهِنْدِ :

من قوله
 في وصف
 تخت حساب

وَقَلَمٍ مِدَادُهُ تَرَابٌ فِي صُحُفٍ سَطُورُهَا حِسَابٌ
 يَكْثُرُ فِيهَا الْمَحْوُ وَالْإِضْرَابُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسَوِّدَ الْكِتَابُ
 حَتَّى يَبِينَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ وَلَيْسَ إِعْجَامٌ وَلَا إِعْرَابُ
 فِيهِ وَلَا شَكٌّ وَلَا اِرْتِيَابُ

من قوله
 يصف بركارا

وقال يصف بركاراً استهداه :^(٢)
 جُدُلِي بِبِرْكَارِكَ الَّذِي صَنَعَتْ
 مِلْبَتُكُمْ الشُّعْبَتَيْنِ^(٤) مَعْتَدِلٌ فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ^(٣) الْأَعَاجِيبَا
 شَخْصَانِ فِي شَكْلٍ وَاحِدٍ قَدْرَا
 وَرُكْبَا بِالْعُقُولِ تَرْكِيبَا
 أَشْبَهَ شَيْئَيْنِ فِي اشْتِكَاكُهَا^(٥)
 بِصَاحِبٍ لَا يَزَالُ مَصْحُوبَا
 أَوْثَقَ مَسَامَرُهُ وَعُيِّبَ عَنْ
 نَوَاطِرِ النَّفَاقِدِينَ تَغْيِيبَا
 فَعَيْنٌ مَنْ يَجْتَلِيهِ يَحْسَبُهُ
 فِي قَالِبِ الْإِعْتِدَالِ مَضْبُوبَا
 قَدْ ضَمَّ قُطْرِيَهُ^(٦) مُحْكِمًا لَهَا
 ضَمَّ مُحِبًّا إِلَيْهِ مَحْبُوبَا
 يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصِرُهُ
 مَا زَادَهُ بِالْبَنَانِ تَقْلِيبَا

(١) رواية الديوان « غضة غيداء » (٢) هو الرجل

(٣) رواية الديوان « القين » - والقين : الحداد ، أو كل صانع (م)

(٤) رواية الديوان « الشفرتين » (٥) رواية الديوان « اتتلافهما »

(٦) في الديوان « شطريه »

ذو مِلَّةٍ بِصْرَتِهِ مَذْهَبُهُ ^(١) لَمْ تَأَلُهُ رِقَّةٌ وَتَه — ذِيْبَا
يَنْظُرُ فِيْهَا إِلَى الصَّوَابِ فَمَا بِهَا يَزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبَا
لَوْلَا مَا صَبَحَ خَطُّ دَائِرَةٍ ^(٢) وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مُحْسُوبَا
[الْحَقُّ فِيْهِ فَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى سَوَاهِ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيْبَا]
لَوْ عَيْنُ إِبْلِيسَ بِهِ بَصُرَتْ خَرَّ لَهُ بِالسُّجُودِ مَكْبُوبَا
فَابْعَثْهُ وَاجْتَنِبْهُ لِي بِسُطْرَةٍ تُلْفِ الْهَوَى بِالْثَنَاءِ مَجْنُوبَا
وَقَالَ يَصِفُ بَيْكَاتَا ^(٣):

من قوله
يصف بيكاتا

رُوحٌ مِنَ الْمَاءِ فِي جِسْمٍ مِنَ الصُّفْرِ مُوَلَّدٌ بِلَطِيفِ الْحِسِّ وَالنَّظَرِ
مُسْتَعْبَرٌ لَمْ يَغِبْ عَنْ طَرَفِهِ سَكْنٌ وَلَمْ يَبْتَ مِنْ ذَوَى ضِغْنٍ عَلَى حَذَرِ
لَهُ عَلَى الظَّهْرِ أَجْفَانٌ مَحْجَرَةٌ وَمَقَالَةٌ ذَمُّهَا جَارٍ عَلَى قَدَرِ
تُنْشَأُ لَهُ حَرَكَاتٌ مِنْ أَسَافِهِ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ
وَفِي أَعَالِيهِ حِسَابٌ يُفَصِّلُهُ لِلنَّظَائِرِ بَلَا ذِهْنٍ وَلَا فِكْرِ
إِذَا بَكَى دَارَ فِي أَحْشَائِهِ فَلَكٌ خَافِي الْمَسِيرِ وَإِنْ لَمْ يَبْكْ لَمْ يَدُرْ
مُتَرْجِمٌ عَنْ مَوَاقِيتٍ يَخْبُرُنَا بِهَا فَيُوجَدُ فِيْهَا صَادِفُ الْخَبَرِ
تُقْضَى بِهِ الْخَمْسُ فِي وَقْتِ الْوُجُوبِ وَإِنْ غَطَّى عَلَى الشَّمْسِ سِتْرُ الْغَيْمِ وَالْمَطَرِ
وَإِنْ سَهَرَتْ لَأَوْقَاتٍ تَوَرَّقَنِي عَرَفْتُ مُقْدَارَ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهَرِ
مُحَدِّدٌ كُلَّ مِيقَاتٍ تَخَيَّرَهُ ذَوُو التَّخَيُّرِ لِلْأَسْفَارِ وَالْحَضَرِ
وَمُخْرَجٌ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ أَلْطَفَهَا مِنْ النَّهَارِ وَقَوْسُ اللَّيْلِ وَالسَّحَرِ
نَتِيجَةُ الْعِلْمِ وَالتَّفَكُّيرِ صَوْرَتُهُ يَاحْبِذَا أَبْدَعِ الْأَفْكَارَ فِي الصُّورِ

(١) في الأصل : « منسبة » ، والتصحيح عن الديوان .

(٢) في الديوان « شكل دائرة » .

(٣) روى صاحب نهاية الأرب هذه القطعة (١٥٥/١) وذكر أنه يصف فيها

طرجهارة ، وقال : هي من الآلات التي تعرف بها الساعات ، والأبيات نفسها تدل على ما قاله النويري (م)

من قوله يصف
اسطرلابا

وقال يصفُ اسطرلابا :

ومستدير كجرم البدر مسطوح
صلب يدّار على قطب يثبتهُ
ملء البنّان وقد أوفت صفائحهُ
تُلَفّي به السبعة الأفلاك مُحَدِّقَةً
تُنبئك عن طامع الأبراج هيئته
وإن مضت ساعة أو بعض ثانية
وإن تعرّض في وقت يُقدّره
مميز في قياسات الضلوع به
له على الظهر عينا حكمة بهما
وفي الدواوين من أشكاله حكم
لا يستقل لما فيه بمعرفة
حتى ترى الغيب فيه وهو مُنْغلقُ الأبوابِ
نتيجة الدهن والتفكير صوره
عن كل رافعة الأشكال مصفوح
تمثال طرف بشكر الحذق مكبوح
على الأقاليم من أقطارها الفيح^(١)
بالماء والنيار والأرضين والريح
بالشمس طورا ، وطورا بالمصاييح
عرفت ذاك بعلم فيه مشرويح
لك التشكك جلّاه بتصحيح
بين المشائم منها والمناجيح
يحوى الضياء وتنجيه من اللوح
تنقح العقل فيها أي تنقيح
إلاّ الحصيف اللطيف الحس والروح
أبوابِ عمن سراه جد مفتوح
ذو العقول الصحيحات المراجيح

أبو إسحاق
الصابي يهdy
اسطرلابا إلى
عضد الدولة
ويبعث معه
شعر

وكان أبو شجاع فناخسرو عضد الدولة قد نكب أبا إسحاق الصابي ،
على تقدمه في الكتابة ، ومكانه في البلاغة ، واستصفى أمواله من غير إيقاع
به في نفسه ، فأهدى إليه في يوم مهرجان اسطرلابا في دور الدرهم ،
وكتب إليه :

أهدى إليك بنو الحاجات واختشدوا في مهرجان عظيم أنت تعلمه

(١) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح أو فيحاء .

لَكِنَّ عَبْدَكَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ رَأَى مُؤَمَّوً قَدَّرَكَ عَنْ شَيْءٍ يُسَامِيهِ
لَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ يُدِيهَا إِلَيْكَ ، فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ

[من أوصاف النساء]

وقولُ أبي الفتح : « ملء البنان البيت » نظيرُ قولِ علي
ابن العباس الرومي يصف هن امرأة^(١) :

يَسْعُ السَّبْعَةُ الْأَقَالِيمَ طُرًّا وهو في أصبعين من إقليم
كَضْمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وتحويه دَفَّتًا حَزِزُوم
وإنما أخذه ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكرك كاتباً
في كفهِ آخِرَسْ ذُو مَنْطِقٍ بقافه واللام والميم
شَبْرٌ إِذَا قَيْسَ ، وَلَكِنَّهُ في فعلهٍ مِثْلُ الْأَقَالِيمِ
مَحْذَفُ الرَّأْسِ وَمُسْوَدُهُ كَابِرَةُ الرَّوْقِ مِنْ الرِّيمِ^(٢)

لبعض الشعراء
يصف القلم

وهذا البيت الأخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملي ، وقد وصف
قرن ريم ، وشبهه بقلم عليه مداد ، وذكر ظبية .

تُرْجِي أَغْنَى كَانَ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا
وقلبُ المعنى إذا تمكن الشاعرُ من إخفائه لا يَجْرِي مَجْرَى السَّرْقَةِ .
وقد ترى تكثيرَ الشعراءِ من تشبيه أوراك النسوان بالرَّمْلِ والكُثْبَانِ ،
قال الشاعر :

لشاعر يصف
نساء بالعبالة
والسمن

وَبَيْضُ نَضِيرَاتِ الْوُجُوهِ كَأَنَّمَا تَأَزَّرْنَ دُونَ الْأَزْرِ رَمَلَاتٍ عَالِجٍ
خِدَالِ الشَّوَى لَا تَحْتَشِي غَيْرَ خَلْقِهَا إِذَا الرُّشْحُ لَمْ يَصْبِرَنَّ دُونَ الْمَنَافِجِ^(٣)

(١) الهن : الفرج . (٢) روق الريم : قرن الظبي .

(٣) خدال الشوى : ممتلئة الأطراف ، والرسح : جمع رسحاء ، وهى قليلة اللحم

العجز والتخدين ، والمنافج : حشايا توضع فوق الأرداف .

يَذَرْنَ مُرُوطَ الْخَزِّ مَلَأَى كَانَهَا قِصَارُ وَإِنْ طَالَتْ بِأَيْدِي النَّوَاسِجِ
وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والإسلام ، فأغرب ذو الرمة في
قلبه وأحسن ، فقال يصف رملا :

ورمل كأوراك العذارى قطعتهُ وقد جَلَلَتْهُ الْمُظْلَمَاتُ الْخَنَادِسُ
وكذلك مدحهم ضُمُورَ الْكَشْحِ ، وجولان الوُشْحِ ، وصُمُوتِ الْقَلْبِ
والخلخال ، وامتناع الخِدام من المَجَال ؛ قال خالد بن يزيد بن معاوية ، وذ كر
رملة بنت الزبير بن العوام :

لخالد بن يزيد
معاوية

تَجُولُ خَلَائِلُ النِّسَاءِ ، وَلَا أَرَى لِرَمْلَةٍ خَلْخَالًا يَجُولُ وَلَا قَلْبًا^(١)
أَحِبُّ بَنِي الْعَوَّامِ طُرًّا لِحَبِّهَا وَمِنْ أَجْلِهَا أَحْبَبْتُ أَخْوَالَهَا كَلْبًا
وقال النابغة :

للنابغة

عَلَى أَنْ حَجَلَيْهَا وَإِنْ قَلْبٌ أَوْسَعَا صُمُوتَانِ مِنْ مَلءٍ وَقَلَّةٍ مَنْطِقِ
وقال الطائي :

لأبي تمام الطائي

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَكْ ذَوَابِلُ
مِنْ الْهَيْفِ لَوَأَنَّ الْخَلَائِلَ صُيِّرَتْ لَهَا وَشُجًّا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَائِلُ^(٢)
وقال ابن زُرْعَةَ الدمشقي :

لابن أبي زُرْعَةَ
الدمشقي

اسْتَسْكَمْتُ خَلَخَالَهَا وَمَشَّتْ تَحْتَ الظَّلَامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا
حَتَّى إِذَا رِيحُ الصَّبَا نَسَمَتْ مَلَأَ الْعَبِيرُ بِسِيرِهَا الطُّرُقَا
وقال المتنبي :

للمتنبي

وَحْصَرِي تَثْبُتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نِطَاقَا
قَابَ هَذَا كُلَّهُ أَبُو عَثْمَانَ النَّاجِمُ ، فقال يهجو قَيْنَةَ :

لأبي عثمان
الناجم

مَثَقَلٌ فَهِيَ عَنكَ بَوْتُ
وَوُشَّحَهَا كُطْمٌ صُمُوتُ

مَسْلُولَةُ الْكَلِّ غَيْرَ بَطْنٍ
حُبُّوْهَا الدَّهْرَ فِي اضْطِحَابٍ
وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ يَمْدَحُ قَيْنَةَ :

مَحْسَنَةٌ فِي كُلِّ أَلْحَانِهَا لَا كَالْتِي تَحْسَنُ فِي النَّدْرِ

ثُمَّ قَلْبُهُ فِي هِجَاءٍ ، فَقَالَ :

لمحمد بن مناذر
يهجو خالد بن
طليق

عَجِبْتُ مِنْهَا وَيَحْيَا كَيْفَ لَا تُخْطِئُ بِالْإِحْسَانِ فِي النَّدْرِ
وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَازِرٍ يَهْجُو خَالِدَ بْنَ طَلِيقٍ ، وَكَانَ قَدْ تَقَلَّدَ

قَضَاءَ الْبَصْرَةِ :

يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ
كَانَ قَضَاءُ النَّاسِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَهَذَا عَذَابٌ
وَهَذَا أَيْضًا مِنْ قَلْبِ الْمُهْجَاءِ مَدِيحًا ، وَالْمَدِيحُ هِجَاءٌ ؛ كَمَا قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ

لمسلم بن الوليد

يهجو قوما :

قَبَّحَتْ مَنَاظِرُهُمْ لَحِينَ خَبَرْتُهُمْ
حَسَنَتْ مَنَاظِرُهُمْ بِقُبْحِ الْخَبَرِ
قَلْبُهُ أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتْنَبِيُّ فَقَالَ :

للمتنبى

وَأَمْسَكَ كَثْرُ الْأَخْبَارِ قَبْلَ لِقَائِهِ
فَلَمَّا التَّقِينَا صَغَّرَ الْخَبَرَ الْخَبَرَ

لأبي تمام

وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

عَبَا الْكَمِينَ لَهُ فَضْلٌ لِحِينِهِ
وَكَيْنُهُ الْخَفَى عَلَيْهِ كَمِينُ

للبحترى

قَلْبُهُ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ :

لأبي تمام

لَا يِيَّاسُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْجِيَهُ
مَا يَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَظَبُهُ

وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

للبحترى

وَحَشِيَّةُ تَرْمِي الْقَاوِبَ إِذَا غَدَتْ
وَسَنَى فَمَا تَضْطَادُ غَيْرَ الصَّيْدِ

قَلْبُهُ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ :

عَلَى أَنْتَى أَخْشَى عَلَى دَارِ أَمْنِهَا
فَوَارِسُ يَصْطَادُ الْفَوَارِسَ صَيْدُهَا

لأبي تمام

وقال أبو تمام :

يُسْنَأُ الْغَيْثُ وَهُوَ جَدُّ حَبِيبٍ رَبُّ حَزْمٍ فِي بَغْضَةِ الْمَوْمِقِ
قلبه البحتري فقال :

للبحتری

يَسْرُنِي الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُكُمْ نَوَّهَ يَوْمًا بِخَامِلٍ لِقَبِّهِ
قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : المعنى في المصراع الأول أُبَيِّنُ مِنْهُ فِي
الثاني ؛ ألا ترى أنه لو قال : إنه ليسوءك الشيء قد يسر ، كان مثل ذلك المعنى
مستويا ، إلا أنه قلبه لحاجته .

لابن الرومی

قال ابن الرومي يهجو مغنية :

قَيْنَةُ مَلْعُونَةٍ مِنْ أَجْلِهَا رَفَضَ اللَّهُوَ مَعًا مَنْ رَفَضَهُ
فَإِذَا غَنَّتْ تَرَى فِي حَلَقِهَا كُلَّ عِرْقٍ مِثْلَ يَتِّتِ الْأَرْضَ
فقلبه ابن المعتز فقال يصف أَرْضَهُ أَكَلَتْ لَهُ كِتَابًا .

لابن المعتز

تَذْنَى أُنَايِبَ لَهَا فِيهَا سَبَلٌ مِثْلَ الْعُرُوقِ لَا تَرَى فِيهَا خَلَلٌ
وهذا كثير يُكْتَفَى مِنْهُ بِالسَّيْرِ .

[من المعاني ما لا ينقلب]

ومن المعاني ما لا ينقلب : ألا ترى أنك تقول : نام القوم حتى كأنهم موى ، ولا يحسن
أن تقول : ماتوا حتى كأنهم نيام ؛ وقد أخذ على أبي نواس قوله يصف داراً وقف بها :
كَأَنَّهَا إِذَا خَرَسَتْ جَارِمٌ بَيْنَ يَدَيْ تَفْنِيدِهِ مُطَرِّقٌ
قالوا : إنما يجب أن يشبه الجارم إذا عدلوه فسكت وانقطعت حجته بالدار
الخالية التي لا تحجب .

بعض ما أخذ
على أبي نواس

وأخذوا عليه قوله :

كَأَنَّ نِيرَانَنَا فِي جَنْبِ حَصْنِهِمْ مَعْصِفَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قَصَارٍ
وقد تبعه أبو تمام الطائي فقال في الأفشين لما أحرق :

مَازَالَ سَرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اضْطَلَى سَرَّ الزَّ نَادِ الْوَارِي
نَارُهُ يَسَاوِرُ جَسَمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَتْ شِقُّ إِزَارِ

طارت له شعلٌ يهدم لفحها أركانهُ هدمًا بغيرِ غبارِ
فصلن منه كلَّ مجمعٍ مفصلٍ وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقارِ
صلى لها حيًّا ، وكان وقودها مئيتًا ، ويدخلها مع الكفارِ
وكذلك أهلُ النارِ في الدنيا هم يومَ القيامةِ جُلُّ أهلِ النارِ
أردت البيت الثاني ، قالوا : وإنما تشبه الثيابُ المعصورة بالنار ؛ فهذا وما أشبهه
لا يتوازنُ انعكاسه ، وتضادّ قضاياه ؛ وإنما يصح القلبُ فيما يتحقق تضاده أو يتقارب .

قطمة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم

لأبي الفتح
البتي

قال أبو الفتح البستي :

قد غصَّ من أملٍ أنى أرى على أقوى من المشتري في أوّلِ الحَدَلِ
وأنتى راحِلٌ عَمَّا أحاولُهُ كأنتى أَسْتَدِرُّ الحِظَّ من زُحَلِ
وقال :

إذا غدا ملكٌ باللهوِ مشغلاً فاحكم على مُلكِهِ بالوَيْلِ والحَرْبِ
ألم تر الشمس في الميزانِ هابطةً لما غدا برجَ نجمِ اللهوِ والطَّرَبِ
وقال :

وقد تُدَنِّي الملوِكُ لدى رِضاها وتُبَعِدُ حينَ تحمقُ دُ احتقادا
كما المرَّيخُ في الثلثِ يُعطى وفي الترييعِ يَسْلُبُ ما أَفادا
وقال :

ألا فتنقوا بي فإني كما تمدحت فلئيمتحن من يُحبُ
فما كوكبي راجعاً في الوفاء ولا بُرجُ قلبي بالمتقلبِ^(١)
وقال :

إئن كسفونا بلا علة وفازت قداحهم بالظفرِ
فمد يكسفُ المرء من دونه كما يكسفُ الشمس جرمُ القمرِ

(١) في الأصول « ولا يرج فبي » بالحاء المهملة ، وما أثبتناه موافق لما في يتيمة الدهر (م)

وقال :

شَرَفُ الْوَعْدِ بَوْدٌ مِثْلُهُ مِثْلُ مَا فِيهِ بَزِيعٌ وَخَلَلٌ
وَدَلِيلُ الصَّدَقِ فِيمَا قُلْتُهُ شَرَفُ الْمَرِيخِ فِي بَيْتِ زُحَلِ

وقال :

قُلْ لِلَّذِي غَرَّتْهُ عِزَّةُ مُلْكِهِ حَتَّى أَخْلَلَ بِطَاعَةِ النَّصَحَاءِ
شَرَفُ الْمُلُوكِ بَعْلَهُمْ وَبِرَأْيِهِمْ وَكَذَلِكَ أَوْجُ الشَّمْسِ فِي الْجُوزَاءِ

وقال :

وَقَدْ يَفْسُدُ الْمَرْءُ بَعْدَ الصَّلَاحِ فَسَادُ الْأَمَّاكِنِ ، وَالشَّرُّ يُعْدِي
كَمَا السَّعْدُ يَقْبَلُ طَبْعَ النُّحُوسِ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ خَيْرٍ سَعْدِ

وقال :

مَا أَنْسُ ظَمَانٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْعَهْدِ بِالْمَوَارِدِ
إِلَّا كَأَنِّي بِكِتَابٍ وَارِدٍ مِنْ سَيِّدِ كَحْضِ النَّجَارِ مَا جِدِ

* كَأَنَّمَا اسْتَمْلَاهُ مِنْ عَطَارِدِ *

وقال :

يَا مَعْشَرَ الْكِتَابِ لَا تَتَعَرَّضُوا لِرِيَاسَةٍ ، وَتَصَاغَرُوا ، وَتَخَادَمُوا
إِنِ الْكُوَاكِبُ كُنَّ فِي أَشْرَافِهَا إِلَّا عَطَارِدُ حِينَ صُورَ آدَمُ

وقال :

دَعَانِي إِلَى بَيْتِهِ سَيِّدُ لَهُ الْخُلُقُ الْأَشْرَفُ الْأَطْرَفُ
فَلَا زَمْتُ بَيْتِي وَلَا طَفَقْتُهُ بَعْدَ هُوِ الْأَطْرَفِ الْأَطْرَفُ
عَطَارِدُ نَجَّيْ ، وَلَا شَكَّ أَنْ عَطَارِدَ فِي بَيْتِهِ أَشْرَفُ

وقال :

لَئِنْ تَنَقَّلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتُ بَعْدَ ثَوَاءِ رَهْنِ أَسْفَارِ
فَالْحَرْحَرُ عَزَّيْرُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ رُجْزٍ ذَاتُ أَنْوَارِ

وقال :

لئن صدع الدهرُ المشتتُ شملنا
وللدهرِ حكمٌ للجميعِ عدوْعُ
فلننَّجِمَ من بعد الرجوعِ استقامةً
وللشمسِ من بعد الغروبِ طلوعُ

وقال لخبوس :

حُبِسْتَ ومن بعد الكسوفِ تبلَّجُ
تضيءُ به الآفاقُ للبدرِ والشمسِ
فلا تعتقدُ للحبسِ غمًّا ووحشةً
فأولُ كونِ المرءِ في أضيقِ الحبسِ
وقال أيضاً :

يامن تولى المشتري تديره
حاشاك أن تنقادَ للمريخِ
وقال :

لا تفزعن من كل شيءٍ مُفزعٍ
ما كلُّ تديرِ البروجِ بضائرٍ
وقال يرى أبا القاسمِ صاحب :

فقدناه لما تمَّ واعتمَّ بالملأ

وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لأبي الفضل الميكالي :

إذا ما غاب وجهُ البدرِ عنا
فوجَّهك عندنا البدرُ المقيمُ
فإن رجعتْ نجومُ السعدِ يوماً
فوجَّهك نجمُ سعدٍ مستقيمٍ
وقال مسكويه الخالدي :

لا يعجبَنَّ حسنُ القمرِ تنزله
فضيلةُ الشمسِ ليست في منازلها
لوزيدت الشمسُ في أبراجها مائةً
ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها
وقال أبو بكر الخوارزمي :

رأيتك إن أيسرت خيمنتَ عندنا
لزاماً ، وإن أعسرت زُرْتَ لماساً
فما أنت إلا البدر : إن قلَّ ضوءه
أغْبَ ، وإن زاد الضياءُ أقاماً

وهذا كقول إبراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات :

أسدُّ ضارٍ إذا ما نعتته

وأبُّ برٍّ إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أترى ، ولا
يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

لابن المعتز

وقال ابن المعتز :

إذا ما أراد الخاسدون الهدامه بقاء إله غالب العز قاهره
وماذا يريد الخاسدون من امرىء تزينهم أخلاقه ومآثره
إذا ما هو استغنى اهتدى لافتقارهم ولا تهتدى يوماً إليهم مفارقة
وكانوا كرام كوكبا يبصافه فرد عليهم وبله ومواطره

وهذا البيت كما قال بعض العرب في إحدى الروايات :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى برياً ومن جال الطوى رمانى
الجول والجال : الناحية ، والطوى : البئر ؛ يريد رمانى بما عاد عليه ، والرواية
المشهورة : ومن أجل الطوى ، فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز .

[الأصمعى وبعض الأعراب]

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر رواية الأصمعى في رياض من المذاكرة
نَجَتَى ثمارها ، وَنَجَتِلِي أنوارها ، إلى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك بن
قريب الأصمعى ؛ فقال : رحم الله الأصمعى ! إنه لمعدن حكم ، وبحر علم ،
غير أنه لم يرقط مثل أعرابي وقف بنا فسلم ، فقال : أيكم الأصمعى ؟ فقال :
أنا ذاك ، فقال : أتاذنون بالجلوس ؟ فأذننا له ، وعجبنا من حسن أدبه مع جفاء
أدب الأعراب .

قال : يا أصمعى ، أنت الذى يزعم هؤلاء النفر أنك أثقبتهم معرفة بالشعر
والعربية ، وحكايات الأعراب ؟ قال الأصمعى : فيهم من هو أعلم منى ، ومن
هو دونى ، قال : تنشدوننى من بعض شعر أهل الحضر حتى أقيسه على شعر
أصحابنا ؟ فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك :

أمسلم أنت البحر إن جاء وارد وليث إذا ما الحرب طار عقابها
وأنت كيف الهند واني إن غدت حوادث من حرب يعب عباها
وما خلقت أكرممة في امرىء له ولا غاية إلا إليك مآبها

كَأَنَّكَ دِيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ بِهَا، وَعَلَى كَفِّكَ يَجْرَى حِسَابُهَا
إِلَيْكَ رَحْلُنَا الْعَيْسَ إِذْ لَمْ نَجِدْهَا أَخَا ثِقَةٍ يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

قال : فتبسّم الأعرابي ، وهزّ رأسه ، فظننا أنّ ذلك لاستخسانه الشعر ، ثم قال : يَا أَصْمَى ؛ هذا شعرٌ مُهْلَهْل خَلَقَ النَّسِجَ ، خطوؤه أكثرُ من صوابه ، يغطّي عيوبه حسنُ الرّوى ، وروايةُ المُنشد ؛ يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد أبخر شتيم المُنظر^(١) ، ورمما طرده شرّ ذمّة من إيماننا ، ونلّأع به صبياننا ، ويشبهونه بالبحر ، والبحرُ صَفْءٌ على مَنْ رَكَبه ، مُرٌّ على مَنْ شربه ، وبالسيف ورمما خان في الحقيقة ، ونبأ عند الضّريبة ! ألا أنشدتني كما قال صبيٌّ من حيننا ! قال الأصمى : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

إِذَا سَأَلْتَ الْوَرَى عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ لَمْ يُعْزَ إِكْرَامُهَا إِلَّا إِلَى الْهَوَلِ
فَتَى جَوَادُ أَذَابَ الْمَالَ نَائِلُهُ فَالْئِيلُ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةَ النَّيْلِ
الْمَوْتُ يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ فِي كَرٍّ عِنْدَ لَفٍّ الْخَلِيلِ بِالْخَلِيلِ
وَزَا حِمَّ الشَّمْسِ أَبْقَى الشَّمْسَ كَاسِفَةً أَوْ زَا حِمَّ الصُّمِّ أَجْلَاهَا إِلَى الْمَيْلِ
أَمْضَى مِنَ النِّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ
لَا يَسْتَرْجِحُ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَلَا تَرَاهُ إِلَيْهَا سَاحِبَ الدَّيْلِ
يَقْصُرُ الْمَجْدُ عَنْهُ فِي مَكَارِمِهِ كَمَا يَقْصُرُ عَنْ أَفْعَالِهِ قَوْلِي !

قال أبو نصر : فَأَبْهَتَنَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا مِنْ قَوْلِهِ ، قال : فتأتى الأعرابي ، ثم قال للأصمى : ألا تنشدني شعراً ترتاحُ إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟ فأنشده لابن الرّقاع العاملي :

وَنَاعِمَةٌ تَجْلُو بَعُودَ أَرَاكَةِ مُؤَشِّرَةٌ يَسْبِي الْمَعَارِقَ طَيْبُهَا
كَأَنَّ بِهَا خِمْراً بِمَاءِ غَمَامَةٍ إِذَا ارْتَشِفَتْ بَعْدَ الرِّقَادِ غُرُوبُهَا
أَرَاكَ إِلَى نَجْدٍ تَحْنُ ، وَإِنَّمَا مَنَى كُلُّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا

(١) شتيم المنظر : كرهه .

فتبسّم الأعرابي وقال : يا أصمعي ، ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ،
 ألا أنشدتني كما قلت ؟ قال الأصمعي : وما قلت ؟ جعلت فداك ! فأنشده :

تعلّقها بِكراً ، وعُلّقت حبّها فقلبي عن كلّ الورى فارغٌ بِكْرُ
 إذا احتجبت لم يكفك البدرُ ضوءها وتكفيك ضوء البدر إن حُجبَ البدرُ
 وما الصبرُ عنها ، إن صبرت ، وجدته جميلاً ، وهل في مثلها يحسن الصبرُ ؟
 [وحسبك من خمر يفوتك ريقها والله مامن ريقها حسبك الخمرُ]
 ولو أن جلد الذّر لا لمسَ جلدّها لكان لمس الذّر في جلدّها أثرُ
 ولو لم يكن للبدّر ضدّاً جالهاً وتفضله في حُسْنِها لصفا البدرُ

قال أبو نصر : قال لنا الأصمعي : اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المدى في
 رفاق الأكباد ! .

قال : وأقامَ عندنا شهراً ، فجمعَ له الأصمعيُّ خمسمائة دينار ، وكان يتعاهدنا
 في الحين بعد الحين ، حتى مات الأصمعي وتفرّق أصحابنا !

فقرّ من كلام الأعراب في ضروب مختلفة .

قال الجاحظ : ليس في الأرض كلامٌ هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آتق ،
 ولا ألد في الأسماع ، ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ،
 ولا أجود تقويماً للبيان ، من طولِ استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء .

قال ابن المقفع ، وقد جرى ذِكْرُ الشعرِ وفضيلته : أي حكمة تكون أبلغ ،
 أو أحسن ، أو أغرب ، أو أعجب ، من غلام بدوي لم ير ريفاً ، ولم يشع من
 طعام ؛ يستوحش من الكلام ، ويفزع من البشر ، ويأوي إلى القفر واليرابيع
 والطّباء ، وقد خالط الغيلان ، وأنس بالجنان ؛ فإذا قال الشعر وصف ما لم يره ،

ولم يغذَّ به ^(١) ولم يعرفه ، ثم يذكر محاسن الأخلاق ومساوئها ، ويمدح ويهجو ، ويذم ويعاتب ، ويشتب ويقول ما يكتب عنه ، ويروى له ، ويبقى عليه .

وقال بعض الأعراب :

وإني لأهدى بالأوانس كالدمى وإني بأطراف القنأ للعب ^(٢)

وإني على ما كان من عنجهميتي ولوثة أعرابيتي لأديب ^(٣)

كأن الأدب غريب من الأعراب ، فافتخر بما عنده منه .

وقال الطائي في فطنتهم ، يستعطف مالك بن طوق على قومه بني تغلب :

لأرقه الحضر اللطيف غدتهم وتباعدوا عن فطنة الأعراب

فإذا كشفتهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب

ووصف أعرابي رجلا فقال : هو أظهر من الماء ، وأرق طباعا من الهواء ،

وأمضى من السيل ، وأهدى من النجم .

ووصف أعرابي رجلا فقال : ذاك والله من ينفع سامة ، ويتوآصف حيلة ،

ولا يستمر أظلمه .

وقال أعرابي : جلست إلى قوم من أهل بغداد فما رأيت أرجح من

أحلامهم ، ولا أطيش من أفلامهم .

وذكر أعرابي من بني كلاب رجلا فقال : كان والله المهم منه ذا أذنين ،

والجواب ذا لسانين ؛ ولم أر أحدا أرثق لخلل رأى ، ولا أبعد مسافة رؤية ،

ومراد طرف منه ؛ إنما كان يرمى بهمة حيث أشار إليه الكرم ، وما زال

يتحنن مرارة أخلاق الإخوان ، ويسقيهم عذوبة أخلاقه .

وذكر أعرابي رجلا فقال : والله لكأن القلوب والألسن ربيضت له ،

فما تعقد إلا على ودّه ، ولا تنطق إلا بحمده .

(١) في طبعة بولاق «ولم يعده» . (٢) لأهدى : لأعرف ، أى أشد معرفة (م)

(٣) العنجية واللثة : السكر والحق .

وقال أعرابي : أقبح أعمال المقتدرين الانتقام ، وما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

قال الأصمعي : وخطبنا أعرابي بالبادية ، فقال : أيُّها الناس ! إن الدنيا دارٌ مفرّ ، والآخرة دار مقرّ ؛ فخذوا من مفرّكم لمقرّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تحفى عليه أسراركم .

قال المعافر بن نعيم : وقفتُ أنا ومعبد بن طوق العنبري على مجلس لبني العنبري ، وأنا على ناقة وهو على حمار ، فقاموا فبدؤا فسَلَّمُوا عليّ : ثم انكفئوا على معبد ، فقبض يده عنهم ؛ وقال : لا ، ولا كرامة ! بدأتم بالصغير قبل الكبير ، وبالمولّى قبل العربيّ ، وبالمفحّم قبل الشاعر ، فأسكت القوم ، فأنبرى إليه غلام ، فقال : بدأنا بالكاتب قبل الأُمّي ، وبالمهاجر قبل الأعرابي ، وبراكبِ الراحلة قبل راكبِ الحمار .

ووصف أعرابي قومه فقال : لُيُوثُ حَرْبٍ ، وَغُيُوثُ جَدَبٍ ، إِنْ قَاتَلُوا أَبْلَوْا ، وَإِنْ بَذَلُوا أَغْنَوْا .

ووصف أعرابي قوماً فقال : إِذَا اصْطَفَوْا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السِّهَامُ ، وَإِذَا تَصَافَحُوا بِالسِّیُوفِ قَفَرَ قَمَهُ الْحِمَامُ .

وسئل أعرابيٌّ عن صديق له ، فقال : صَفَرَتْ عِيَابُ الْوَدَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَائِهَا^(١) ، واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها .

وقال الأصمعي : وسمعت أعرابياً يقول : إِنَّ الْأَمَالَ قَطَعَتْ أَغْنَاكَ الرِّجَالَ ، كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ رَأَاهُ ، وَأَخْلَفَ مَنْ رَجَاهُ ، وَمَنْ كَانَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطِيئَتَهُ أَسْرَعَ السَّيْرِ وَالْبُلُوغِ بِهِ .

والمرء يفرح بالأيام يقطعها وكلّ يوم مضى يذني من الاجل

وذكر أعرابي مصيبة نأثته ، فقال : إنها والله مصيبة جعلت سُودَ المرءوس
بيضا ، وبيضَ الوجوه سودا ، وهونت المصائب ، وشيّبت الذرائب
وهذا كقول عبدالله بن الزبير الأسدي :

رَمَى الْحِدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنَ لَهُ سُمُودَا^(١)
فَرَدَّ شُمُورَهُنَّ الشُّودَ بَيْضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودَا
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بَكَاءَ هِنْدٍ وَرَمْلَةَ إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودَا
بَكَيْتَ بُكَاءَ مُعْوَلَةٍ حَزِينٍ أَصَابَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الْفَقِيدَا^(٢)
ونظيرُ هذا التطابق بين السواد والبياض ، وإن لم يكن من هذا المعنى ، قولُ
ابن الرومي :

يَا بَيَاضَ الْمَشِيبِ سَوَّدْتَ وَجْهِي عِنْدَ بَيْضِ الْوَجْهِ سُودَ الْقُرُونِ
فَلْعَمْرِي لِأَخْفِيكَ جَهْدِي عَنِ عَيَانِي وَعَنِ عِيَانِ الْعِيُونِ
وَلْعَمْرِي لِأَمْنَعِكَ أَنْ تَصُحَّحَكَ فِي رَأْسِ آسَفٍ مُحْزُونِ
بِسَوَادٍ فِيهِ ابْيَاضٌ لَوْجِي وَسَوَادٌ لَوْجِيكَ الْمَلْعُونِ
سأل أعرابيان رجلا ، فخرمهما ، فقال أحدهما لصاحبه : نزلتَ والله نواذيرَ غير
مطوّر ، وأنيتَ رجلا بك غيرَ مسرور ، فلم تدركَ ماسألتَ ، ولا نلتَ ماأمّلتَ ؛
فارتحلَ بندم ، أو أقمَ على عَدَم .
قال الأصمعي : وسمعتُ أعرابيا يقول : غَفَلْنَا وَلَمْ يَغْفُلِ الدَّهْرُ عَنَا ، فَلَمْ نَتَّعِظْ
بَغَيْرِنَا حَتَّى وَعِظَ غَيْرُنَا بِنَا ، فَقَدْ أَدْرَكَتِ السَّعَادَةُ مِنْ تَتَبِهِ ، وَأَدْرَكَتِ الشَّقَاوَةُ
مِنْ غَفَلٍ ، وَكَفَى بِالتَّجَرُّبَةِ وَاعِظًا
وقال أعرابي لرجل : أشكرُ للنعيمِ عليك ، وأنعمَ على الشاكرِ لك ،
تستوجبُ من ربك زيادته . ومن أخيك مُنَاصَحَتَه .

(١) سمدن له : تلوت له رؤوسهن - وسمد : قام متحجرا (م) .

(٢) رواية الحماسة « رأيت بكاء معولة حزين » (م)

ومدح أعرابي رجلاً فقال : ذلك والله فسيحُ الأدب ، مُستَخْكِمُ السبب ،
من أتى أقطاره أتيته تُذْنِي عليه بكرم فعال ، وحُسن مقال .

وذم أعرابي رجلاً فقال : أفسد آخرته بصلاح دُنياه ، ففارق ما أصلح غير
راجع إليه ، وقدم على ما أفسد غير منتقل عنه ، ولو صدق رجل نفسه ما كذبتَه ،
ولو أتى زمامه أو طأه راحلته .

وقال أعرابي : خرجت حين انحدرت أيدي النجوم ، وشألت أرجلها ، فما
زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر .

وقال أعرابي :

وقد تعاللت ذمير العنس بالسَّوطِ في ديمومة كالترس^(١)
إذ عرَّج الليلُ بُرُوجَ الشَّمسِ

ومن مליح الاستعارة في نحو هذا قولُ الحسن بن وهب : شربت البارحة
على وجهِ الجوزاء ؛ فلما اتبته الفجرُ نمت ، فماعقلت حتى لحفتي قميصُ الشَّمسِ .
وقال أعرابي لصاحبه في شيء ذكره : قل إن شاء الله ، فإنها ترضي الربَّ ،
وتسخطُ الشيطان ، وتذهب الحنث^(٢) ، وتقضي الحاجة .

وروى العتبي عن أبيه قال : سمعت أعرابياً يقول لأخيه في معاتبه جرتَ بينهما :
أما والله لرُبَّ يوم كتنَّور الطاهي ، رقاص بالهامة ، قد رميتُ نفسي في أجيج
سُمومِهِ ، أحتَمِلُ منه ما أكره لما أحب .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : وأحسب العتبي صنع هذا الكلام ، وأخذه
من قول بشار :

ويوم كتنَّورِ الإماء سَجَرْنَهُ وَأَوْقَدَنَ فِيهِ الْجَزْلَ حَتَّى تَضَرَّ مَا
رَمَيْتُ بِنَفْسِي فِي أَجِيجِ سُمُومِهِ وَبِالْعَيْسِ حَتَّى بَضَّ مَنَخرَهَا دَمًا

(١) تعاللت : أعطيت أقصى ما عندك من السير ، والديمومة : الصحراء الواسعة
البعيدة الأطراف (م) .

(٢) يعني أنك إذا حلفت وقلت « إن شاء الله » ثم لم تفعل ما حلفت عليه لم يحنث (م)

أخذ هذا المعنى بعض أصحاب أبي العباس ثعلب فقال يهجو المبرد :

ويوم كنتور الطهارة سَجَرْتُهُ على أنه منه أحرُّ وأوقدُ

ظلت به عند المبردِ جالساً فما زلت في ألفاظه أتبرّدُ

قال الأصمعي : حجّت أعرابيةٌ ومعهما ابنٌ لها ، فأصيّبت به ، فلما دُفِنَ قامت على قبره ، وهى مَوْجَعَةٌ فقالت : والله يا بنى لقد غَدَوْتُكَ رضيعاً ، وفقدْتُكَ سريعاً ، وكأنه لم يكن بين الحالين مدةً ألتذُّ بعيشك فيها ، فأصبحت بعد النّصارة والغضارة ورونى الحياة والتّسّم في طيب روائحها ، تحت أطباق الثّرى جسداً هامداً ، ورُفَاتنا سحيقاً ، وصعيداً جُرْزاً ؛ أى بنى ! لقد سَحَبْتَ الدنيا عليك أذيال الفناء ، وأسكنتك دارَ البلى ، ورمّنتى بعدك نكبة الرّدى ، أى بنى ! لقد أسفر لى وجه الدنيا عن صباح داجٍ ظلّامه .

ثم قالت : أى ربّ ومنك العدل ، ومن خلّك الجور ، وهبته لى قُرّة عين ، فلم تُمتّعنى به كثيراً ، بل سَابَتْنِيهِ وَشَيْكَا ؛ ثم أمرتنى بالصبر ، ووَعَدْتَنِي عليه الأجر ، فصدقت وَعْدَكَ ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترحم على من استودعته الرّدى ، ووَسَدْتُهُ الثّرى ؛ اللهم ارحم غربته ، وآئِسْ وَخْشَتَهُ ، واسترْ عَوْرَتَهُ ، يوم تُكشِفُ الهَنَاتِ والسَّوآت .

فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها وقفت على قبره ، فقالت ! أى بنى ! إني قد تزوّدت لسفري ، فليت شعرى ما زادك لبُعدِ طريقك ، ويوم معادك ؟ اللهم إني أسألك له الرضا برضائى عنه . ثم قالت : استودعْتُكَ مَنْ استودعَ عَيْنِكَ فى أَحْسَنَى جَنِيناً ؛ وأُكُلَ الوالدات ! ما أمضَ حرارة قلوبهنّ ، وأُفْلِقَ مضاجعهنّ ، وأطولَ لياهنّ ، وأقصرَ نهارهنّ ، وأقلَّ أنسهنّ ، وأشدَّ وحشهنّ ، وأبعدهنّ من السرور ، وأقربهنّ من الأحزان .

لم تزل تقولُ هذا ونحوه حتى أبكت كلَّ مَنْ سَمِعَهَا . وحمدت الله عز وجل واسترجعتُ وصلت ركعات عند قبره وانطلقت .

وَأَشَدُّ الْمُفَضَّلُ الضَّبِيُّ لَامِرَآةٍ مِنَ الْعَرَبِ تَرَى ابْنًا لَهَا :

يَا عَمْرُو مَا لِي عَنْكَ مِنْ صَبْرٍ يَا عَمْرُو يَا أَسْفَى عَلَى عَمْرُو .
 اللَّهُ يَا عَمْرُو ، وَأَيُّ فُتًى كَفَنْتَ يَوْمَ وَضِعْتَ فِي الْقَبْرِ ؟
 أَخْشَوُ التَّرَابَ عَلَى مَفَارِقِهِ وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِهِ النَّضْرِ ^(١)
 حِينَ اسْتَوَى وَعَلَا الشَّبَابُ بِهِ وَبَدَا مُنِيرَ الْوَجْهِ كَالْبَدْرِ
 وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنَاقِعُهُ وَرَأَوْا شَمَائِلَ سَيِّدِ غَمْرِ ^(٢)
 وَأَهْمَهُ هَمِّي فَسَاوَرَهُ وَغَدَاَ مَعَ الْغَادِينَ فِي السَّفَرِ
 تَغْدُو بِهِ شُـقْرَاهُ سَامِيَةً مَرَطَى الْجِرَاءِ شَدِيدَةُ الْأَسْرِ ^(٣)
 ثَبَتَ الْجَنَانَ بِهِ ، وَيَقْدِمُهَا فَلَيْحٌ يَقْلِبُ مُقْلَتِي صَقْرِ ^(٤)
 رَبَّيْتُهُ دَهْرًا أَفْتَقُهُ فِي الْيُسْرِ أَغْدُوهُ فِي الْعُسْرِ
 حَتَّى إِذَا التَّامِيلُ أُمَكْنِي فِيهِ قُبَيْلَ تِلَاحِ الثَّغْرِ
 وَجَعَلْتُ مِنْ شَغْفِي أَثْقَلُهُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَنَائِفِ غُبْرِ ^(٥)
 أَدْعَ الْمَزَارِعَ وَالْحَصُونَ بِهِ وَأَحِلَّهُ فِي الْمَهْمَةِ الْقَفْرِ
 مَا زِلْتُ أُضْعِدُهُ وَأُحْدِرُهُ مِنْ قَفَرٍ مَوْمَاقٍ إِلَى قُفْرِ ^(٦)
 هَرَبًا بِهِ وَالْمَوْتَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ انْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَدْرِي ^(٧)
 حَتَّى دَفَعْتُ بِهِ لِمَضْرَعِهِ سَوَاقِ الْمَعِيزِ تَسَاقٍ لِلْعَتْرِ ^(٨)
 مَا كَانَ إِلَّا أَنْ هَجَعْتُ لَهُ وَرَمَى فَأَغْنَى مَطْلَعَ الْفَجْرِ
 وَرَمَى الْكَرْوَى رَأْسِي وَمَالَ بِهِ رَمْسٌ يُسَاوِرُ مِنْهُ كَالشُّكْرِ

(١) المفارق : مواضع فرق الشعر من الرأس . (٢) غمر : جزيل العطاء .

(٣) مرطى : سريعة ، والأسر : القوة . (٤) فليح : حليف النصر .

(٥) التنايف : جمع تنوفة ، وهي الصحراء - والغبر : جمع غبراء ، وأراد المظلمة (م)

(٦) القفر : باضم : الجانب . (٧) انتويت : قصدت .

(٨) العتر : اسم نبات أو شجر صغير - لا . بل العتر هنا الذبح (م)

إِذْ رَاغَبَى صَوْتٌ هَبِيتَ بِهِ وَذُعِرْتُ مِنْهُ أَيَّمَا ذُعِرٍ
 وَإِذَا مَنِيتُهُ تَسَاوَرُهُ قَدْ كَدَّحَتْ فِي الْوَجْهِ وَالنَّجَرِ
 وَإِذَا لَهُ عُلُقٌ وَحَشْرَجَةٌ مِمَّا يَجِيشُ بِهِ مِنَ الصَّدْرِ
 وَالْمَوْتُ يَقْبِضُهُ وَيَسْطُهُ كَالثُوبِ عِنْدَ الطِّيِّ وَالنَّشْرِ
 فَدَعَا لِأَنْصُرَهُ وَكُنْتُ لَهُ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ حَاضِرَ النَّصْرِ
 فَمَجَزْتُ عَنْهُ وَهِيَ زَاهِقَةٌ بَيْنَ الْوَرِيدِ وَمُدْفَعِ السَّحَرِ
 فَضَى وَأَيٌّ فَتَى فُجِعْتُ بِهِ جَلَّتْ مَصِيبَتُهُ عَنِ الْقَدْرِ
 لَوْ قِيلَ تَفْدِيهِ بِذَلِكَ لَهُ مَالِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ وَفْرِ
 أَوْ كُنْتُ مُقْتَدِرًا عَلَى عُمرِي آثَرْتُهُ بِالشَّطْرِ مِنْ عُمرِي
 قَدْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ لَهُ ، فَعَدَا وَرَمَى عَلَيَّ وَقَدْ رَأَى فَقْرِي
 لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مَتَعْنَى يَا بَنِي وَشَدَّ بِأُزْرِهِ أَزْرِي
 مُنَبِّتٌ عَلَيْكَ مُبَيَّ ، أَحْوَجَ مَا كُنَّا إِلَيْكَ ، صَفَاخُ الصَّخْرِ
 لَا يَبْعُدُنكَ اللَّهُ يَا عُمَرُ إِمَّا مَضَيْتُ فَنَحْنُ بِالْإِثْرِ
 هَذِي سَبِيلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ لَا بَدَّ سَالِكَهَا عَلَى سَفَرِ
 أَوْلَا تَرَاهُمْ فِي دِيَارِهِمْ يَتَوَقَّعُونَ وَهُمْ عَلَى ذُعْرِ
 وَالْمَوْتُ يُورِدُهُمْ مَوَارِدَهُمْ قَسْرًا ؛ فَقَدْ ذَلُّوا عَلَى الْقَسْرِ

وقال أعرابي يمدح رجلا :

يَمْدُ نِجَادَ السَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَعْلَى سَنَامِي فَالِجٌ يَتَطَوَّحُ
 وَيُدْلِجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
 إِذَا اعْتَمَ بِالْبُرْدِ الْيَمَانِي حُسْبَتَهُ هَلَالًا بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَحُ
 يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَذْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

وأشد ابن أبي طاهر لأعرابي :

وقبلى أبكى كل من كان ذاهوى
هتوف البواكى والديارُ البلاقع^(١)
وهنّ على الأطلال من كل جانب
نوايح ما تخضّل منها المدامعُ
مزرجة الأعناق نمرّ ظهورها
مخجلة بالدرّ خضر روائع
ترى طرزا بين الخوا في كائنها
حواشي برّد زبتها الوشائع
ومن قطع الياقوت صيغت عُيونها
خواضب بالعناء منها الأصابع
ومن جيد ما قيل في الحمام قول ابن الرومي :

وقفت بمطراب العشيات والضحى
فقلت أسخّ الدمع منى وأسبجُم
حليفة شجوى هاج ما بي وما بها
تباريح شوق يشتكيها المتيم
فباح به فوها وأخفته عينها
وباحت به عيني وكتمه القم
ودخل أعرابي على الرشيد، فأنشده أرجوزة مدحه بها ، وإسماعيل بن صبيح
يكتب كتاباً بين يديه - وكان من أحسن الناس خطاً ، وأسرعهم يداً - فقال
الرشيد للأعرابي : صف الكاتب فقال :

رقيق حواشي العلم حين تبوره
يريك الهوينا والأمور تطير^(٢)
له قلما بؤسى ونعمى كلاهما
سحابته في الحالتين درور
ينأجيك عما في ضميرك خطه
ويفتح باب النجح وهو عسير
فقال الرشيد : قد وجب لك يا أعرابي عليه حق ، كما وجب لك علينا
يا غلام ؛ ادفع له دية الحرّ ، فقال إسماعيل : وعلى عبدك دية العبد .

وقال أعرابي من بني عقيل :

أحنّ إلى أرض الحجاز ، وحاجتي
خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري نحو الحجاز بنافعي
فتيلا ، ولكني على ذاك أنظر

(١) البلاقع : جمع بلقع ، وهى الخالية التى لا أنيس بها (م)

(٢) تبوره ، تختبره وتبلوه (م) .

أفنى كلَّ يومَ نَظْرَةً ثمَّ غِبْرَةً
لعمريك يجرى ماؤها يتحدَّرُ
متى يستريح القلبُ إمَّا مجاورُ
حزينٌ وإمَّا نازحٌ يتذَكَّرُ
وقال أعرابي :

وإني لأَغْضِي مَقْلَتِي عَلَى الْقَدَى
وَأَلْبَسُ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَبْيَضُ أَبْلَجَا
وإني لأدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقُ
عَلَيَّ ، فَمَا يَنْفَكُ أَنْ يَنْفَرَجَا
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه
أصاب لها من دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجَا
وقال آخر :

ذَكَرْتُكَ ذِكْرِي هَائِمٌ بِكَ تَنْتَهِي
إِلَيْكَ أَمَانِيهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَضَلُ
وَلَيْسَتْ بِذِكْرِي سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ
وَلَكِنهَا مَوْصُولَةٌ مَالَهَا فَضْلُ
وقال آخر :

أَرَيْتُكَ إِنْ شَطَّتْ بِكَ الْعَامَ نِيَّةٌ
وَعَالَكَ مُضْطَافُ الْحَيِّ وَمِرَابُعُهُ
أَتَرَعَيْنَ مَا اسْتَوْدَعْتَ أَمْ أَنْتَ كَالَّذِي
إِذَا مَا نَأَى هَانَتْ عَلَيْكَ وَدَائِعُهُ
أَلَا إِنْ حَسِيًّا دُونَهُ قَلَّةُ الْحَيِّ
مُنَى النَّفْسِ لَوْ كَانَتْ تُنَالُ شَرَائِعُهُ (١)
أَخَذْتُ أَزْدُ الْعَتِيكَ شَاعِرًا مِنْ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ اسْمُهُ الْمَعْدَلُ فِي دَمٍ ، فَأَتَاهُ
الْبَيْهَسُ بْنُ رُبَيْعَةَ الْخَمَلِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْجُوَ بِنَفْسِهِ ، وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ مَكَانَهُ ، فَقَالَ لَهُ
الْمَعْدَلُ : أَخَيْرُكَ بَيْنَ أَنْ أُمْدَحَكَ أَوْ أُمْدَحَ قَوْمَكَ ؛ فَاخْتَارَ مَدْحَ قَوْمِهِ فَقَالَ :

جَزَى اللَّهُ فِتْيَانَ الْعَتِيكَ ، وَإِنْ نَأَتْ
بِي الدَّارُ عَنْهُمْ ، خَيْرَ مَا كَانَ جَارِيَا
هُمْ خَلَطُونِي بِالنَّفُوسِ وَأَحْسَنُوا الصَّاحَةَ لِمَا حُمَّ مَا كَانَ آتِيَا
مَتَاعُهُمْ فَوْضَى فَضًّا فِي رَحَالِهِمْ
وَلَا مُحْسِنُونَ الشَّرَّ إِلَّا تَبَادِيَا
كَانَ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ
إِذَا الْمَوْتُ فِي الْأَبْطَالِ كَانَ تَحَامِيَا
وَذَكَرْتُ الرِّوَاةَ أَنَّ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ عَرَضَ جَنْدَهُ بِخُرَاسَانَ ، فَعَرَضَ جَيْشَ

(١) الحسى - بالفتح - السهل فيه ماء قليل ، والشرائع : جمع شريعة ، وهى

بكر بن وائل، فمر به المعتدل فقال : هذا المعتدل القيسي الذي يقول ، وأنشد الأبيات ، فقالوا : أيها الأمير ؛ احسبه علينا ، فانطلق مائة منهم ، فجاءوا بمائة وصيف ووصيفة ، فقالوا : أعطه هذا وليعذرنا .

قوله « كَأَنَّ دنانيراً على قسماهم » نظير قول أبي العباس الأعمى :
 ليت شعري من أين رائحة المسك وما إن إخال بالخياف إنسى ؟
 حين غابت بنو أمية عنه والبهليل من بني عبد شمس
 خطباء على المنابر ، فرسا ن عليها ، وقالة غير خرس
 في - لوم إذا الحلوم استفرزت . ووجوه مثل الدنانير ملس
 [بعض أخبار أبي نواس]

المامون يعير
 أخاه الأمين
 بصحبة أبي
 نواس

ولما خلع المأمون أخاه محمد بن زبيدة ووجه بطاهر بن الحسين لمحاربه ، كان
 يعمل كتباً بعبوب أخيه تقرأ على المنابر بخراسان ؛ فكان مما عابه به أن قال : إنه
 استخلص رجلاً شاعراً ماجناً كافراً ، يقال له الحسن بن هاني ، واستخلصه ليشرّب
 معه الخمر ، ويرتكب المآثم ، ويهتك المحارم ، وهو الذي يقول :
 ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرًا إذا أمكن الجهر
 وبخ باسم من تهوى ودعني عن الكنى فلا خير في اللذات من دونها منقر
 ويذكر أهل العراق فيقول : أهل فسوق وخمر ، وماخور وجور ؛ ويقوم
 رجل بين يديه فيشد أشعار أبي نواس في الحون ؛ فاتصل ذلك بابن زبيدة ؛
 فنهى الحسن عن الخمر ، وحسبه ابن أبي الفضل بن الربيع ؛ ثم كلمه فيه الفضل ،
 فأخرجه بعد أن أخذ عليه ألا يشرب خمرًا ، ولا يقول فيها شعرا ، فقال :

ما من سر في الناس واحد
 كسر العباس مولاها
 نام الثقات على مضاجعهم
 يسر إلى قصر وأحبها
 ثم كنت حنك ، ثم آس
 من أن أحانك ، خوفك الله
 فعذرت عني عني مقابر
 وحنت لله سر فأنساها

ومن قوله في ترك الشراب :

أَيْهَمَ الرَّاحِمَانِ بِاللَّوْمِ لَوْ مَا
لَا أَذِيقُ الْمُدَامَ إِلَّا شَمِيمًا
نَالَتْنِي بِالْإِسْلَامِ فِيهَا إِمَامٌ
لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مَحْتَمًا
فَاضْرِفَاها إِلَى سِوَايَ ؛ فَإِنِّي
لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمًا
جُلْتُ حَظِي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ
أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَ النَّسِيمَا
فَكَأَنِّي وَمَا أَزِيئُ مِنْهَا
قَعَسْدِي يُزِيئُ التَّحْكِيمَا
[كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ السِّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ
ب فَأوصى المَطِيقَ الْأَيَقِيَا]

الْقَعْدِيَّةُ : فرقة من الخوارج ، يأمرون بالخروج ولا يخرجون ؛ وزعم المبرد أنه لم يُسَبَقْ إلى هذا المعنى .

وقال :

عَيْنُ الْخَلِيفَةِ بِي مَوَكَّلَةٌ
صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى
وَلْتَن وَعَدْتِكَ تَرَكَهَا عِدَّةٌ
إِنِّي عَلَيْكَ لَخَائِفٌ خُلْفِي
سَلَبُوا قِنَاعَ الدَّنِّ عَنْ رَمَقِي
حَيِّ الْحَيَاةِ مُشَارِفِ الْخُتْفِ
فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجَتُ
كَتَنَفَسَ الرَّيْحَانُ فِي الْأَنْفِ

* * *

أَخَذَ قَوْلَهُ : « وَلْتَن وَعَدْتِكَ تَرَكَهَا عِدَّةٌ » الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ وَكَيْعٍ فَقَالَ :
مَتَى وَعَدْتِكَ فِي تَرْكِ الصُّبَا عِدَّةٌ
فَاشْهَدْ عَلَى عِدَّتِي بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ
أَمَّا تَرَى اللَّيْلَ قَدْ وَلَّتْ عَسَاكِرُهُ
وَأَقْبَلَ الصَّبْحُ فِي جَيْشٍ لَهُ لَجَبِ
وَجَدَّ فِي أَثَرِ الْجَوْزَاءِ يَطْلُبُهَا
فِي الْجَوِّ رَكْضًا هَلَالُ دَائِمِ الطَّلَبِ
كَصُورِ الْجَانِّ لُجَيْنٍ فِي يَدَيِّ مَلِكٍ
أَدْنَاهُ مِنْ كُرَّةٍ صَيَغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
فَقُمْتُ بِنَا نَضْطَبِخُ صَفَرَاءَ صَافِيَةٍ
كَالنَّارِ لَكِنَّا نَأْزُ بِهَا لَهَبِ
عَرُوسُ كَرِيمٍ أَتَتْ تَخْتَالُ فِي حُلْمِ
صُفْرِ عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مِنَ الْحَبَبِ

وقال أبو الفضل الميكالي في اقتران الهلال بالزهرة :

أَمَا تَرَى الزُّهْرَةَ قَدْ لَاحَتْ لَنَا تَحْتَ هِلَالٍ لَوْنُهُ يَحْكِي اللَّهَبَ
كَكَرَّةٍ مِنْ فِضَّةٍ مَجْلُوءَةٍ وَافَى عَلَيْهَا صَوْلُ جَانٍ مِنْ ذَهَبٍ
وعلى قول أبي نواس :

صَحَّتْ عَلَانِيَتِي لَهُ ، وَأَرَى دِينَ الضَّمِيرِ لَهُ عَلَى حَرْفٍ
كُتِبَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ الْمُعْتَزِ إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّمِيرِيِّ :
يَا يَهْيَا الْجَافِي وَيَسْتَجِفِي لَيْسَ تَجَنُّبُكَ مِنَ الظَّرْفِ
إِنَّكَ فِي الشَّوْقِ إِلَيْنَا كَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَلَى حَرْفٍ
مَحَوْتَ آثَارَكَ مِنْ وَدَّنا غَيْرَ أُسَاطِيرِكَ فِي الصُّخْفِ
فَإِنْ تَحَامَلْتَ لَنَا زَوْرَةً يَوْمًا تَحَامَلْتَ عَلَى صَفْفٍ

وحدث أبو عمر الزاهد قال : دَلَّكَ بعضُ الزَّهَادِ المَرَاتِينِ جَبَنَتَهُ بِشَوْمٍ
وعصبتها ، ونام ليُصْبِحَ بِهَا كَأَثَرِ السَّجُودِ ، فَأَنَحَرَتْ الْعِصَابَةُ إِلَى صُدْغِهِ ، فَأَخَذَ
الْأَثَرَ هُنَاكَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : مَا هَذَا يَا أَبَتِ ؟ فَقَالَ : أَصْبَحَ أَبُوكَ مِنْ يَغْبُدُ اللَّهَ
على حرف !

ضرب من
الرياء

وقال أبو نواس في الباب الأول :

غَنَّنَا بِالطَّلُولِ كَيْفَ بَلَيْنَا وَاسْتَقْنَا نُعْطِكَ الثَّنَاءَ الثَمِينَا
مِنْ سُلَافٍ كَانَهَا كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَنَّى مَخِيرٌ أَنْ يَكُونَا
أَكَلَ الدَّهْرُ مَا تَجَسَّمُ مِنْهَا وَتَبَقَّى لِبَابِهِ الْمَكُونَا
فَإِذَا مَا اجْتَلَيْتَهُمَا فَهَبَا يَمْنَعُ الْكَفَّ مَا يُبَيِّحُ الْعِيُونَا
ثُمَّ شَجَّتْ فَاسْتَضَحَكَتْ عَنْ لَالٍ لَوْ تَجَمَّعْنَ فِي يَدٍ لَاقْتَنِينَا
فِي كُتُوسٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ دَائِرَاتُ رُؤُوسِهَا أَيْدِينَا
طَالَعَاتٌ مَعَ السَّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

من خمریات
أبي نواس

لو ترى الشَّرْبَ حولها من بعيد
وغزال يُدِيرُها بينان
كلما شئتُ عَلَيَّ بِرِضَابٍ
ذاك عيشٌ، لودَّامَ لي، غيرَ أني
قلت قوماً من قِرَّةٍ يصطَلُونَا^(١)
ناعماتٍ يَزِيدُها العَمَزُ لينا
يَتْرُكُ القلبَ للسرورِ قرينَا
عِفَّتُهُ مَكْرَهَا وَخَفْتُ الأَمِينَا
وقال :

أعاذلَ أَعَيْتُ الإمامَ وأعتبا
وقلتُ لساقِها: أجزها فلم أكن
فجورَها عني سَلافاً تَرَى لها
إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلَّتَهُ
تري حينما كانت من البيتِ مَشْرِقا
يَدُورُ بها رَطْبُ البنانِ تری له
سقاها وَمَنائي بَعِينِيهِ مُنِيَّةً
وأعزَّبتُ عَمَّا في الضميرِ وأعزَّبا
ليأبى أَميرُ المؤمنينِ وأشربا
لدى الشَّرَفِ الأعلى شِعا عا مُطَنِّبا
يُقَبِّلُ في داج من الليلِ كوكبا
ومالم تكن فيه من البيتِ مَغْرِبا
على مستدارِ الخدِّ صُدْغًا مُعْقِرَا
فكانت إلى قلبي أَلَدَّ وأطيبا

قال الحسين بن الضحاك الخليلي : أنشدت أبا نواس قولي :

وشاطريَّ اللسانِ مَخْتاقِ التَّـكْرِيرِ شابَ المَجُونِ بالنُّسكِ
فلما بَلَغْتُ فيه :

كَأَنَّمَا نُضِبَ كَأَسِهِ قَمَرٌ يَكْرَعُ في بَعْضِ أَنْجُمِ الْفَلَكَ
نَعَرَ نَعْرَةً مَنكَرَةً ، فقلت : مالَكَ ، فقد رعتني ؟ قال : هذا المعنى أنا
أحقُّ به منك ؛ ولكن سترى لمن يُروى ! ثم أنشد بعد أيام :

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلَّتَهُ يُقَبِّلُ في داج من الليلِ كوكبا
فقلت : هذه مطالبة^(٢) يا أبا علي ! فقال : أتظنُّ أنه يُروى لك معنى مليح

وأنا في الحياة ؟

وقال ابن الرومي فكان أحسن منهما

ومَهْهَف كَمَلَتْ مَحاسِنُهُ حتى تجاوزَ مُنِيَّةَ النَفْسِ

(١) القرة : البرد الشديد ، ويصلون : يتدفئون بالنار (م) .

(٢) كذا ، ولعلها « مغالبة » (م) . (٩ — زهر الآداب ٢)

تَصْبُو الكؤس إلى مَرَّاشِفِهِ وَتَضِجُ في يده من الحَبِيسِ
أَبْصَرْتُهَا وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمٍّ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنَامِلٍ خَمْسِ
فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَرٌّ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كَشَاجِمُ :

وَسَحَابٌ يَحْرُقُ فِي الْأَرْضِ ذَيْلِي مُطْرَفٍ زَرَّهٌ عَلَى الْأَرْضِ زَرًّا^(١)
بَرَاقُهُ لَمَحَةٌ ، وَلَكِنْ لَهُ رَعْدٌ بَطِيءٌ يَكْسُو الْمَسَامِعَ وَقَرًّا
كَخَلِيٍّ مَنَاقٍ لِلَّذِي يَهْوَاهُ يَبْكِي جَهْرًا وَيَضْحَكُ سِرًّا
قَدَسَقَتْنِي الْمُدَامُ فِيهَا فَتَاةٌ سَحَرَتْنِي وَلَيْسَ تُحْسِنُ سِحْرًا
فَإِذَا مَا رَأَيْتُهَا تَشْرَبُ الرَّأ حَ أَرْتَنِي شَمْسًا تُقْبَلُ بَدْرًا
[مِنْ أَخْبَارِ بَشَارِ]

احتذاء أي نواس على مثاله
وَأِنَّمَا احْتَذَى أَبُو نَوَاسٍ فِي هَذِهِ الْأَشْعَارِ الَّتِي وَصَفَ فِيهَا تَرَكَ الشَّرَابَ وَطَاعَتَهُ
لَأَمْرِ الْأَمِينِ مِثَالَ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ ، وَصَبَّ عَلَى قَالِبِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ بَشَّارًا لَمَّا قَاتَلَ :
لَا يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مَخْبَأَةٍ قَوْلٌ تَغْلَظُهُ وَإِنْ جَرَحَلَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَعَا
بَلَغَ ذَلِكَ الْمَهْدَى فغَاظَهُ ؛ وَقَالَ : يَحْرُضُ النِّسَاءُ عَلَى الْفَجُورِ ، وَيَسْتَهْلُ
السَّبِيلَ إِلَيْهِ ! فَقَالَ لَهُ خَالُهُ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورِ الْحَمِيرِيِّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ فَتَنَ
النِّسَاءَ بِشَعْرِهِ ، وَأَيُّ امْرَأَةٍ لَا تَصْبُو إِلَى مِثْلِ قَوْلِهِ :

عَجِبْتُ فَطْمَةً مِنْ نَعْقِي لَهَا هَلْ يُجِيدُ النِّعْتَ مَكْفُوفُ النَّظَرِ
بَنَتْ عَشْرَ وَثَلَاثٍ قَسَمْتُ بَيْنَ غَضْنٍ وَكَثِيبٍ وَقَمَرِ
دُرَّةً بَحْرِيَّةً مَكْنُونَةً مَازَاهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدَّرَرِ
أَذْرَتِ الدَّمْعَ وَقَالَتْ : وَبِلَتِي مِنْ وَلُوعِ الْكَفِّ رِكَابِ الْخَطَرِ
أُمِّي بَدَّدَ هَذَا لُعْبِي وَوِشَاحِي حُلَّةً حَتَّى انْتَشَرَ

(١) المطرف - بضم الميم وفتح الراء مخففة - رداء من اخذ له أعلام. (م)

فَدَعَيْنِي مَعَهُ يَا أُمِّي عَلَّانَا فِي خَلْوَةٍ تَقْضِي الْوَطْرَ
أَقْبَلْتُ فِي خَلْوَةٍ تَضْرِبُهَا وَاعْتَرَاهَا كَجَنُونٍ مُسْتَعْرِ
بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ دَمْعَ عَيْنِ غَسَلِ الْكُحْلِ قَطْرُ
أَيُّهَا النَّوَامُ هُبُّوا وَنَحْكُمْ وَسَلُّوْنِي الْيَوْمَ مَا طَعِمَ السَّهَرُ
فَأَمَرَهُ الْمَهْدِيُّ أَلَّا يَتَغَزَلَ ، فَقَالَ أَشْعَارًا فِي ذَلِكَ ، مِنْهَا :

المهدي يأمر
بشارا بترك
الغزل

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
لَمَعْتُ إِلَى تَسْوِمِي تَوْبَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ
وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ
أَمْسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبِّمَا عَرَضَ الْبَلَاءُ وَمَا ابْتَغَيْتُهُ
إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبِي شَيْئًا أَيْتُهُ
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَيْبِ إِذَا غَدَوْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ فَصَبَرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ (١)
وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهَمَا مَ عَنْ النِّسَاءِ فَمَا عَصَيْتُهُ
بَلْ قَدْ وَفَيْتُ وَلَمْ أُضِعْ عَهْدًا ، وَلَا رَأْيًا رَأَيْتُهُ

وقال أيضاً :

وَاللَّهِ لَوْلَا رِضَا الْخَلِيفَةِ مَا أَعْطَيْتُ صَيِّمًا عَلَى فِي شَجَنِ
قَدَعَشْتُ بَيْنَ النَّدْمَانِ وَالرَّاحِ وَالْأُثْمَ نَهَانِي الْمَهْدِيُّ فَانْصَرَفْتُ
نَفْسِي ، مُصْنَعِ الْمَوْفِقِ اللَّقْنِ

وقال :

أَفْنَيْتُ عَمْرِي وَتَقَضَّى الشَّبَابُ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْجَوَارِي الْعَذَابُ
فَالآنَ شَفَعْتُ إِمَامَ الْهَدْيِ وَرَبِّمَا طُبْتُ لِحَبِّ وَطَابُ
لَهُوتِ حَتَّى رَاعَنِي دَاعِيًا صَوْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَابُ
لَيْبِكَ لَيْبِكَ ! هَجَرْتُ الصَّبَا وَنَامَ عُذَّالِي وَمَاتَ الْعِتَابُ

(١) قَلَيْتُهُ : كَرِهْتُهُ ، وَيُقَالُ «قَلَوْتُهُ» أَيْضًا ؛ فَالْفِعْلُ يَأْتِي وَآوَى (م) .

أبصرت رُشْدِي وتركت المني وربما ذلتُ لهنَّ الرِّقَابُ
في كلمة طويلة يقول فيها :

يا حامد القول ، ولم يَبْلُهُ سبقت بالسَّيْلُ مَسَاك السَّحَابِ^(١)
الفعلُ أُوْلَى ببناء الفتي ما جاءه من خطأ أو صَوَاب
دع قولَ واء وانتظر فَعَلَهُ يُذْنِي على اللَّقْحَةِ ما في الحِلَابِ^(٢)
إذا غدا المهديُّ في جُنْدِهِ وراح في آلِ الرسولِ الغِضَابِ
بدا لك المعروف في وجهه كالظِّلِّمْ يَجْرِي في الثنايا العِذَابِ^(٣)
ومن شعر بشار في الغزل :

من شعر بشار
في الغزل

أيها الساقيان صُبًّا شَرَابِي واسقياني من ريق بيضاء رُودِ^(٤)
إنَّ دأى الصَّدَى ، وإنَّ شَفَايَ شَرِبْتُ من رُصَابِ تَغْرِ بَرُودِ
عندها الصبرُ عن لقائِي ، وعندِي زَفَرَاتُ يَا كُلَّنْ قَلْبَ الْجَلِيدِ
ولها مَبْسَمٌ كَغَرِّ الْأَقَاخِي وحديثُ كَالْوُثَى وَشَى الْبُرُودِ
نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت : نَلْقَاكَ بعد لَيَالٍ والليالي يُبَيِّنُ كُلَّ جَدِيدِ
لا أَبَالِي مَنْ ضَنَّ عَنِي بَوْضَلِي إنَّ قَضَى اللَّهِ مِنْكَ لِي يَوْمَ جُودِ
وقال :

تُلْقَى بتسيحة من حسن ما خُلِقَتْ وتستفز حشأ الرائي يارُعَادِ
كأنما صُوِّرَتْ من ماءِ أوْلُوَّةٍ فكلُّ جارحةٍ وَجْهٌ بِمِرْصَادِ
وقال :

وهبت له على المسواك ريقاً فطاب له بطيب ثِيَّتِيكَ

- (١) المساك - بزنة السحاب - الموضع الذي يمسك فيه الماء (م)
(٢) واء ، من الوأى وهو الوعد - واللقة ، بالكسر ، الناقة الخلوب ، والحلاب :
الوعاء الذي يحلب فيه اللبن ، يريد أن اللبن الذي يكون في الحلاب يدل على مقدار ما تحلبه
الناقة ؛ فيكون هو الذي يثني عليها (م) (٣) الظم - بالفتح - الريق (م)
(٤) الرود - بالضم - الناعمة الحسنة (م)

أَقْبَلْهُ عَلَى الذِّكْرِ كَأَنِّي أَقْبَلُ فِيهِ فَاكْ وَمَقْلَتِكَ^(١)
وقال :

لَا أَسْتَطِيعُ الْهَوَى وَهَجَرْتَهَا قَلْبِي ضَعِيفٌ وَقَلْبُهَا حَجَرٌ
كَأَنَّ وَجْدِي بِهَا وَقَدْ حَجَبَتْ فِي الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَالْحَشَا سُكْرُ
وَأَنْشَدَ لَهُ أَبُو تَمَامٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ شِعْرًا أَغْزَلَ مِنْهُ :

زَوَّدِنَا يَا عَبْدَ قَبْلِ الْفِرَاقِ بَتْلَاقٍ ، وَكَيْفَ لِي بِالْبَتْلَاقِ^(٢)
أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهَى سِحْرَ غَيْنِكَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعِشَاقِ
أَمْتِي مِنْ بَنِي عَقِيلِ بْنِ كَعْبٍ مَوْضِعَ السَّلَكِ فِي طَلَا الْأَعْنَاقِ
وقال :

لَقَدْ عَشَقْتُ أَذْنِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ رَخِيًا ، وَقَلْبِي لِلْمَلِيحَةِ أَغْشَقُ
وَلَوْ عَايَنُوهَا لَمْ يَلُومُوا عَلَى الْبُكْلِ كَرِيمًا سَقَاهُ الْخَمْرَ بَذَرُ مُحَلَّقُ
وَكَيْفَ تَنَاسَى مَنْ كَانَ حَدِيثُهُ بِأَذْنِي وَإِنْ عَنَيْتُ قُرْطُ مُعَلَّقُ
وقال :

وَقَدْ كُنْتُ فِي ذَلِكَ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى أَزَارُ وَيَدْعُونِي الْهَوَى فَأَزُورُ
فَإِنْ فَاتَنِي إِلْفٌ ظَلَمْتُ كَأَنَّمَا يُدِيرُ حَيَاتِي فِي يَدَيْهِ مُدِيرُ
وَمُرْتَجَّةُ الْأُرْدَافِ مَهْضُومَةُ الْحَشَا تَمُورُ بِسِحْرِ غَيْنِهَا وَتَدُورُ
إِذَا نَظَرْتُ صَبَّتْ عَلَيْكَ صَبَابَةٌ وَكَادَتْ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَطِيرُ
خَلُوتُ بِهِ لَا يَخْلُصُ الْمَاءُ بَيْنَنَا إِلَى الصُّبْحِ دُونِي حَاجِبٌ وَسُتُورُ
وَمِنْ هَذَا أَخَذَ عَلَى بَنِ الْجَهْمِ قَوْلُهُ :

صَلِّينِي وَحَبْلُ الْوَصْلِ لَمْ يَتَشَعَّبْ وَلَا تَهْجُرِي أَفْذِيكَ بِالْأَمِّ وَالْأَبِّ
رَعَى اللَّهُ دَهْرًا ضَمْنًا بَعْدَ فُرْقَةٍ وَأَذْنِي فَوَادًا مِنْ فَوَادٍ مُعَذَّبِ
لعلى بن الجهم

(١) مِنْ هُنَا أَخَذَ ابْنُ زَيْدُونَ وَأَبْدَعَ وَأَجَادَ :

يَدْنِي خِيَالِكَ حِينَ شَطَّ بِهِ النَّوَى وَهُمْ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلَ فَاكْ

(٢) كَذَا ، وَرَبَّمَا كَانَ «مَخْلُقٌ» بِالْحَاءِ مَعْجَمَةٌ : أَيْ مَضْمُوحٌ بِالْخُلُوقِ .

عناقا وضماً والتزاماً كأنما يرى جسداً أنا جسم روح مركب
فَبِتْنَا وإنا لو تراق زجاجةٌ من الخمر فيما بيننا لم تسرب
وشعره في هذا المعنى كثير .

من شعر بشار
ومقداره

وروي أنه قال : أنا أشعرُ الناس ؛ لأن لي اثني عشر ألف قصيدة ، فلو اختير
من كل قصيدة بيتٌ لاستندر ، ومن ندرت له اثنا عشر ألف بيت فهو أشعرُ الناس ^(١) ؛
وقد نثرتُ نظمه في أضعاف الكتاب استدعاءً لنشاط القارئ وكرهية في إملاله .
وكان بشارٌ أرقَّ المحدثين ديباجةً كلام ، وسمى أبا المحدثين ؛ لأنه فتق بهم
أكام المعاني ، ونهج لهم سبيل البديع ، فاتبعوه ؛ وكان ابن الرومي يُقدمه ،
ويزعم أنه أشعرُ من تقدم وتأخر .

ولاؤه

وهو يتعلق في شعره بولاء عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ،
ويفتخر بالمضرية . قال له المهدي : فيمن تعزى ؟ قال : أمّا اللسان فعربي ،
أما الأصل فكما قلت في شعري ! قال : وما قلت ؟ فأنشدته :

وَنَبْتُ قوماً لهم إحنةٌ يقولون من ذا وكنتُ العَلَمُ
ألا أيها السائلُ جاهلاً ليَعْرِفَنِي أنا إلفُ الكَرَمِ ^(٢)
نمت في المكارم بي عامرٌ فرُوعي وأصلِي قُريشُ العَجَمِ
وإني لأغني مقام الفتى وأصبي الفتاة فلا تَغْتَصِمِ

البيت الأول من هذه الأبيات ينظرُ إلى قول جميل :

إذا مارأوني طالعاً من ثنيةٍ يقولون من هذا وقد عرفوني

(١) كان المسيو مرسيه أخبرني وأنا في باريس أنه توجد نسخة من ديوان بشار
عند أحد أدباء تونس ، فليت من يملك تلك النسخة يتفضل بنشرها لأننا في أشد الظمأ
إلى مجموعة كاملة من شعر بشار الذي عده القدماء إمام شعراء البديع - أقول : قد
بدأ ينشر هذه النسخة في مصر ، وقد ظهر منها الجزء الأول مطبوعاً طبعاً أليفاً في
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (م)

(٢) حفظي «أنا أنف الكرم» ولها وجه وجهه (م) .

وفي هذه القصيدة يقول بشار :

وبيضاء يضحكُ ماءُ الشبا ب في وجهها لك إِذ تَبَتَّسِمُ
دوار العذارى إِذا زُرْنِها أَطْفَنَ بِمَحْوَرَاءِ مِثْلِ الصَّمِ
يَرُخْنَ فَيَمْسَحْنَ أَرْكَانِها كما يَمْسَحُ الحَجَرُ المَسْتَلِمُ
أصفراء ليس الفتى صَخْرَةً ولكنه نُصِبَ هَمٌّ وَغَمٌ
صَبَبَتْ هَوَاكُ عَلَى قَلْبِهِ فضاقت وَأَعْلَنَ ما قد كَتَمَ

ويقال : إنه مولى لأم الظباء السدوسية ، ولذلك قال أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزالي رئيس المعتزلة لما هجاه بشار : أما لهذا الأعمى المُلحِدُ المَشَنَّفُ المكتنى بأبي معاذ مَنْ يَقْتُلُهُ ؟ والله لولا أَنَّ الغيلة من سَجَايَا النّالِيَةِ ، لبعثتُ إليه من يَبْعَجُ بطنه في جوف منزله ، ولا يكون إلا سَدُوسِيًّا ، أو عُقِيلِيًّا .

شئ من خبر
واصل بن عطاء
المعتزلي

وكان واصل بن عطاء أحد أعاجيب الدنيا ؛ لأنه كان ألغى في الرأى ، فأسقطها من جميع كلامه وخطبه ؛ إذ كان إمامَ مَذْهَبٍ ، وداعى نَحْلَةً ، وكان محتاجاً إلى جَوَدَةِ البَيَانِ ، وفصاحةِ اللِّسانِ . قال الجاحظ : فانظر كثرة ترداد الرأى في هذا الكلام وكيف أسقطها ؟ قال : الأعمى ، ولم يقل الضرير ، وقال : الملحد ، ولم يقل الكافر ، وقال : المشنف ، ولم يقل المرتث ، وقال : المكتنى : بأبي معاذ ، ولم يقل بشاراً ولا ابن برد ، وقال : الغالية ، ولم يقل المغيرية ، ولا المنصورية ، وهم الذين أَرَادَ ، وقال : لبعثت ، ولم يقل لأرسلت ، وقال : يبعج ، ولم يقل يبقّر ، وقال : في جوف منزله ، ولم يقل في داره ، وأراد بذلك عُقِيلٌ وسَدُوسٌ ما ذكر من اعتراضه إليهم .

وزعم الجاحظ أن بشاراً كان يَدِينُ بالرجعة ، وَيُكْفِرُ جميع الأُمة ؛ عود إلى أخبار بشار بن برد وأُشْدَلُهُ أشعاراً صَوَّبَ بها رَأْيَ إبليس في تقديم النار على الطين ، منها قوله :
الأَرْضُ مُظْلَمَةٌ ، والنَّارُ مُشْرِقَةٌ والنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

وقال داود بن رَزِين : أَتَيْنَا بشاراً ، فَأَذِنَ لَنَا والمُثَدِّدُ بين يديه ، فلم يَدْعُنَا إلى الطعام ، ثم جلسنا فحضر الظهر والعصر والمغرب فلم يصل ، ودعا بطست فَبَالَ

بحضرتنا ، قفلنا له : أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها ، قال : ماهي ؟
قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعنا ، قال : إنما أذنت لتأكلوا ، ولو لم
نرِدْ ذلك لم نأذن لكم ، قلنا له : ودعوت بالطست ونحن حضور ، قال : أنا
مكفوف ، وأتم مأمورون بغض الأبصار دوني ، قلنا : وحضرت الصلاة فلم تصل !
قال : الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة ! هذا وهو القائل :

كيف يبكي لمحبس في طول من سيفضي لِحبسِ يومٍ طويل
إنَّ في البعثِ والحسابِ لشُغلاً عن وقوفِ برسمِ دارِ محيل
وقال :

ذَكَرْتُ بِهَا عَيْشًا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : كَأَن لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ حِينَ يَزُولُ
وَمَا حَاجَتِي لَوْ سَاعِدَ الدَّهْرُ بِالْمَنَى كَعَابَ عَلَيْهَا لَوْ لَوَّ وَشَكُولُ
بَدَأَ لِي أَنَّ الدَّهْرَ يَقْدَحُ فِي الصَّفَا وَأَنَّ بَقَائِي إِنْ حَيَّيْتُ قَلِيلُ
فَعِشْ خَائِفًا لِمَوْتٍ أَوْ غَيْرِ خَائِفٍ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ لِلْحَمَامِ دَلِيلُ
خَلِيلِكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ تُثَقِّي وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الْمَنُونِ خَلِيلُ

بين بشار وعقبة بن روبة ابن العجاج
وكان بشارٌ حاضرَ الجواب ، سجاعاً ، خطيباً ، صاحبَ منشور ومزدوج
ورجَز ورسائل مختارة على كثير من الكلام ، ودخل على عقبة بن مسلم بن قتيبة ،
فأنشده مديحاً وعنده عقبة بن روبة ، فأنشده أرجوزة ، ثم أقبل على بشار فقال :
هذا طرازٌ لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال : والله لأننا أرجز منك ومن أبيك ! ثم غدا
على عقبة من الغد ، فأنشده أرجوزته :

يَاطْلُلُ الْحَيَّ بِذَاتِ الصَّمَدِ بِاللَّهِ خَبِرَ كَيْفَ كُنْتُ بَعْدِي
يقول فيها :

صَدَّتْ بِخَدٍّ وَجَلَتْ عَنْ خَدٍّ ثُمَّ انشَدَتْ كَالنَّفْسِ الْمُرْتَدِّ
وَصَاحِبِ كَالدَّمَلِ الْمُمَدِّ حَمَلَتْهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي
حَتَّى اغْتَدَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَقْدِ وَمَا دَرَى مَا رَغَبْتِي مِنْ زَهْدِي

وهذا كقول الآخر :

يُرَدُّونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ النُّفُوسُ الشَّحَاحُ
وفيهما يقول :

الْحَرُّ يُنَلِّحِي وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
أَسْلَمَ وَحُيِّتَ أَبَا الْمِلْدِّ مِفْتَاحُ بَابِ الْخُذِّ الْمُنْسَدِّ
وَالْبَسَ طِرَازِي غَيْرَ مُسْتَرَدِّ اللَّهُ أَيُّمُكَ فِي مَعَدِّ
وهي طويلة ، فأجزلَ صلته ، فلما سمع ابن رُوْبَةَ ما فيها من الغريب قال :
أنا وأبي وجدِّي فتحنا الغريبَ للناس ، وإني نلخيق أن أسدّه عليهم ، فقال
بشار : ارحمهم رحمة الله ! قال : تستخفّ بي ، وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟
قال : إذا أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا !
فضحك كلٌّ من حضر .

ودخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور الحميري ، فأنشده قصيدة ، فلما
أتمها قال له يزيد : ما صناعتك يا شيخ ؟ قال : أُنْقِبُ الْأَوَّلُوءَ ، فقال له المهدي :
أَتَهْزَأُ بِخَالِي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، فما يكون جوابي لمن يرى شيئا أعمى
يُنْشِدُ شعراً فيسأله عن صناعته ؟

وقال جَوَارِي المهدي للمهدي : لو أَذِنْتَ لبشار يدخلُ إلينا يؤانسنا ويُشِدُّنا
فهو محجوب البصر ، لا غيره عليك منه ، وأمره فدخل إليهن واستظرفنه ،
وقلن له : ودنا والله يا أبا معاذ أنك أبونا حتى لا نفارقك ، قال : ونحن على دين
كسرى^(١) ! فأمر المهدي ألا يدخل عليهن .

وكان النبي نظر إلى هذا فقال :

يَا أُخْتَ مَعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأَخُوكِ تَمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ
يَرْثُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْجَوْسَ تَصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ

(١) كان كسرى مجوسياً يستبيح زواج البنات والأخوات (م) .

[كلمات مأثورة]

قال على بن عبيدة الريماني : المودةُ تعاطفُ القلوب ، واثلافُ الأرواح ،
وحنين النفوس إلى مثابة السرائر ، والاسترواحُ بالمستكنات في الغرائز ، ووحشة
الأشخاص عند تبأين اللقاء ، وظاهر السرور بكثرة التزوار ، وعلى حسب مشاكلة
الجواهر يكون اتفاقُ الخصال .

وقال : العتابُ حدائقُ المتحابين ، وثمارُ الأوداء ، ودليل الظن ، وحركات
الشوق ، وراحةُ الواجد ، ولسانُ المُشفق .

قال بعض الكتاب : العتابُ علامةُ الوفاء ، وحاصّةُ الجفاء ، وسلاحُ الأكفاء .
وقال على بن عبيدة : التجنى رسولُ القطيعة ، وداعى القلى ، وسبب السلوة ،
وأولُ التجاني ، ومنزل التهاجر .

وقال : الصدقُ ربيعُ القلب ، وزكاةُ الخلق ، وثمرّةُ المروءة ، وشعاعُ الضمير
وعن جلالة القدر عبارته ، وإلى اعتدالِ وزنِ العقل يُنسبُ صاحبه ، وشهادتهُ
قاطعةٌ في الاختلاف ، وإليه ترجع الحكومات .

وقال : الكذبُ شعارُ الخيانة ، وتحريفُ العلم ، وخواطرُ الزور ، وتسويلُ
أضغاثِ النفس ، واعوجاجُ التركيب ، واختلافُ البنية ، وعن خمولِ الذكر
ما يكون صاحبه .

وعلى بن عبيدة كثيرُ الإغارة ، على ما كان غيره قد استنارَه .

فقر في الكذب لغير واحد

بعض الفلاسفة : الكذاب والميتُ سواء ؛ لأن فضيلة الحيِّ النطق ، فإذا
لم يؤثّق بكلامه فقد بطلت حياته .

الحسن بن سهل : الكذاب لصٌ ؛ لأن اللصَّ يسرقُ مالك ، والكذاب
يسرقُ عقلك ، ولاتأمن من كذب لك أن يكذب عليك ، ومن اغتاب غيرك عندك

فلا تأمن أن يغتابك عند غيرك .

قال إبراهيم بن العباس في هذا النحو .

إني متى أحقد بحقدك لا أضرب به سواك

ومتى أطعك في أخيك أطعتُ فيك غداً أخاك

حتى أرى متقسماً يومئذٍ لدا ، وغداً لذاك

حسب الكاذب بعقله سقماً وبقلبه خصماً

ابن المعتز : علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف ، وقال :

وفي اليمين على ما أنت فاعله ما دل أنك في الميعاد متهم

وقال : اجتنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطرت إليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه

أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه . يعترى حديث الكذاب

من الاختلاف ما لا يعترى الجبان من الارتعاد عند الحرب . لا تصح للكذاب

رؤيا ؛ لأنه يخبر عن نفسه في اليقظة بما لم ير ، فتريه في النوم ما لا يكون ، وأنشد :

لا يكذب المرء إلا من مهاتته أو عادة السوء ، أو من قلة الأدب

ولأهل العصر : فلان منغمس في عيبه ، يكذب لذيله على جيبه ، يقول بهتاً ،

وزوراً بحتاً ، قد ملأ قلبه ريناً ، وقوله مئناً ؛ يدين بالكذب مذهباً ، ويستثير

الزور مركباً . أقاويل يتمشى الزور في مناكبها ، ويبرز البهتان في مذاهبها .

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بني ، عجبت من الكذاب المشيد

بكذبه ، وإنما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ؛ فالآثام له عادة ،

والأخبار عنه متضادة ، إن قال حقاً لم يصدق ، وإن أراد خيراً لم يوفق ؛ فهو

الجاني على نفسه بفعله ، والدال على فضيحته بمقاله . فما صح من صدقه

نسب إلى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب إليه ، فهو كما قال الشاعر :

حسب الكذوب من المها نة بعض ما يحكى عليه

ما إن سمعت بكذبة من غيره نسبت إليه

[جزاء الشكر]

بين الحسن بن سهل
بن سهل
والمأمون

كتب الحسن بن سهل إلى المأمون ، بعد أن زُفَّت إليه بوران وتوهم القواد أن هذا التزويج قد أنسى الحسن حاله قبل ذلك : قد تولى أمير المؤمنين من تعظيم عبده في قبول أمته شيئاً لا يتسع له الشكرُ عنه إلا بمعونة أمير المؤمنين ، أدام الله عزّه ، في إخراج توقيعه بتزيين حالي في العامة والخاصة ، بما يراه فيه صواباً إن شاء الله .

فخرج التوقيع : الحسن بن سهل زمام على ما جمع أمور الخاصة ، وكفّ أسباب العامة ، وأحاط بالنفقات ، ونفذ بالولاية ، وإليه الخراج والبريد واختيار القضاة ، جزاء بمعرفته بالخال التي قرّبتّه منا ، وإثابة لشكره إيانا على ما أولينا .

[من خطب النكاح]

خطبة للمأمون

قال يحيى بن أكرم : أراد المأمون أن يزوّج ابنته من الرضا فقال : يا يحيى ؛ تكلم ، فأجلّته أن أقول : أنكحت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره .

أما بعد ، فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورَضِيَهُ حُكْماً ، وأنزله وَحْيًا ؛ ليكون سببَ المناسبة ؛ ألا وإنني قد زوّجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمهرتها أرْبَعَمِائَةِ درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و انتهاءً إلى ما دَرَجَ إليه السلفُ ، والحمد لله رب العالمين .

ما يستحب
من الخاطب
و الخطوب
إليه

قال الأصمعي : كانوا يستحبّون من الخاطب إلى الرجل حرّمته الإطالة ؛ لتدلّ على الرغبة ، ومن الخطوب إليه الإيجاز ، ليدلّ على الإجابة .

وخطب رجل من بني أمية إلى عمر بن عبد العزيز أخته ، فأطال ؛ فقال عمر :

الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ؛ أما بعد فإن
الرجبة منك دَعَمَتِكَ إلينا ، والرجبة منا فيك أَجَابَتْ ، وقد زوّجناك على كتاب
الله : إمساكٌ بمعروف ، أو تسريحٌ بإحسان .

وخطب رجل إلى قوم فأتى بمن يُخْطَبُ له ، فاستفتح بحمد الله وأطال ، وصلى
على النبي عليه السلام وأطال ، ثم ذكر البدء وخلق السموات والأرض ، واقتصر
ذِكْرُ القرون حتى صَجَرَ مَنْ حضر ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما اسمُكَ
أعزّكَ الله ؟ فقال : والله قد أنسيت اسمي من طول خطبتك ، وهى طالقٌ إن
تزوجتها بهذه الخطبة ؛ فضحك القوم ، وعَقَدُوا فى مجلس آخر .

[الكتب والأقلام والخط]

وقال ابن المعتز : الكتاب وَالِجُّ الأبواب ، جرى على الحجاب ، مُفهِمٌ
لَا يَفْهَمُ ، وناطقٌ لَا يَتَكَلَّمُ ، به يشخص المشتاق ، إذا أَعَدَّه الفراق ، والقلم مجَهَّرٌ
لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت وأقفاً ، وينطقُ
سائراً ، على أرض بياضها مُظْلِمٌ ، وسوادها مُضِيءٌ ، وكأنه يَقْبَلُ بِسَاطِ سلطان
أُوْفِتَحَ نُوراً بُسْتَان .

وهذا كقوله فى القاسم بن عبيد الله ، قال الصولى : اِذَا عُرِضَ الْقَاسِمُ بْنُ عَبِيدٍ
لِلْإِلهِ لِيُخْلَفَ أَبَاهُ : قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

قَلَمٌ مَا أَرَاهُ أَمْ فَلَكَ يَجْزِي بِمَا شَاءَ قَاسِمٌ وَيَسِيرُ
خَاشِعٌ فِي يَدَيْهِ يَلْبِسُ قِرْطَا سَاً كَمَا قَبَّلَ الْبَسَاطَ شُكُورُ
وَلَطِيفُ الْمَعْنَى جَلِيلٌ نَحِيفٌ وَكَبِيرُ الْأَفْعَالِ وَهُوَ صَغِيرُ
كَمْ مَنَايَا وَكَمْ عَطَايَا وَكَمْ حَتَفٍ وَعَيْشٍ تَضُمُّ تِلْكَ السُّطُورُ
نَقَشَتْ بِاللُّجَا نَهَاراً فَمَا أَدْرَى أَخْطَأَ فِيهِنَّ أَمْ تَعْمُورُ
هَكَذَا مِنْ أَبَوِهِ مِثْلُ عُيَيْدِ الْإِلَهِ يَنْمَى إِلَى الْعَلَا وَيَصِيرُ
عَظُمَتْ مِنْهُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ فَهَنَّاكَ الْوَزِيرُ وَهُوَ الْوَزِيرُ

وله فى القاسم
بن عبيد الله

لبعض البلغاء

وقال بعض البلغاء : صورةُ الخطِّ في الأبصار سواد ، وفي البصائر بياض .

وقال أبو الطيب المتنبي :

لمتنبي

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحِجَبُ وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّثْرُ
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرِ تَكَادُ بَيُوتُهُ إِذَا كَتَبْتَ يَبْيِضُ مِنْ نَوْرِهَا الْحَبْرُ

وقال ابن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

لابن المعتز

عَلِمْتُ بِأَعْقَابِ الْأُمُور ، كَأَنَّهُ بِمُخْتَلَسَاتِ الظَّنِّ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى
إِذَا أَخَذَ الْقِرَاطَاسَ خِلْتَ يَمِينَهُ يُفْتَحُ نَوْرًا أَوْ يُنْظَمُ جَوْهَرًا

مفاخرة بين
صاحب سيف
وصاحب قلم

فاخَرَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ ، فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَنَا أَقْتُلُ بِلَا غَرَرٍ ،
وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ ، إِنْ تَمَّ مَرَادُهُ
وِإِلَّا فِإِلَى السَّيْفِ مَعَادُهُ ؛ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بَيِضُ الصَّفَاحِ لَا سَوْدَ الصَّحَائِفِ فِي مُتَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
وقال أبو الطيب :

للمتنبي

مَا زِلْتُ أَصْحَكُ إِبْنِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ احْتَضَنْتُ أَخْفَاهَا بِدَمٍ
أَسِيرَهَا بَيْنَ أَصْنَانٍ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّغَمِ
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
اكْتُبْ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

هذا مقلوبٌ من قول علي بن العباس النوبختي ، وقد رواه أبو القاسم الزجاجي

لابن الرومي ، وإنما هم لاتفاق الأسمين :

لنوبختي

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ - وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُغَالِبُهُ - مَا زَالَ يَتَّبَعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
بِذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ أَنَّ السَّيُوفَ لَهَا - مَذْأَرْهَفَتْ - خَدَمُ

لابن الرومي

وقال ابن الرومي :

لَعَزُوكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخَوْفَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
 نَهْ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
 أَدَاةُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
 سِنَانُ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِ وَحَدُّ الْمَنِيَّةِ فِي جَانِبِ
 أَلَمْ تَرَ فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ وَفِي الرَّذْفِ كَالْمُرْهَفِ الْقَاضِبِ

وقال أبو الفتح البستي :

للبياتي

إِذَا أَقْسَمَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسِفْهِمِ وَعَدَوْهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَمِ
 كَفَى قَلَمُ الْكِتَابِ مَجْدًا وَرَفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
 وَقَدْ قِيلَ : صَرِيرُ الْأَقْلَامِ ، أَشَدَّ مِنْ صَلِيلِ الْحُسَامِ .

طلحة بن
عبيد الله

قال الصولي : أنشدني طلحة بن عبيد الله :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَهُ بِأَنَامِلٍ يَحْمِلْنَ شَخْتًا مُرْهَفًا^(١)
 مُتْقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُفَصَّلًا وَمَوْصِلًا وَمُشْتَتًّا وَمُؤَلَّفًا
 تَرَكَ الْعُدَاةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاؤَهَا وَقَلَّاعَهَا قِلَعًا هُنَالِكَ رُجَّافًا
 كَالْحِيَةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلْطَفًا
 يَرْمِي بِهِ قَلَمًا يَمِجُّ لُعَابُهُ فَيَعُودُ سِفًّا صَارِمًا وَمُثَقَّفًا

وقال محمود بن أحمد الأصبهاني :

لمحمود
الأصبهاني

أُخْرِسُ يُنْبِئُكَ بِإِطْرَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
 يُبْذِرِي عَلَى قِرْطَاسِهِ دَمْعَةً يُبْذِي بِهَا السَّرَّ وَمَا يَذْرَى
 كَعَاشِقٍ أَخْفَى هَوَاهُ وَقَدْ نَمَتْ عَلَيْهِ عِبْرَةٌ تَجْرِي
 تُبْصِرُهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ عُرْيَانٌ يَكْسُو النَّاسَ أَوْ يُعْرِى
 يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاةٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ

(١) المهاريق : التصحائف البيضاء ، واحدها مهريق - بزنة مكرم - والشخت :

الضامر الدقيق من غير هزال (م) .

أُخْرِقَ لَوْ لَمْ تَبْرِهِ لَمْ يَكُنْ
كَالْبَحْرِ إِذْ يَجْرِي ، وَكَاللَّيْلِ إِذْ
يَرُشِقُ أَقْوَامًا وَمَا يَبْرِي ،
يَقْشَى ، وَكَالضَّارِمِ إِذْ يَقْرِ

لأحمد بن جرار

وقال أحمد بن جرار :

أَهْيَفُ مَمْنُوقٌ بِتَحْرِيكِهِ
لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَدُّهُ
تَرَى بَسِيطَ الْفِكْرِ فِي نَظْمِهِ
كَأَنَّمَا يَسْحَبُ فِي إِثْرِهِ
يَحِلُّ عَقْدَ السَّرِّ إِعْلَانُ
مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ
شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجُثَّانُ
ذِيلاً مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهَدَى
وَلَا سَمَا لِلْمُلْكِ دِيْوَانُ

لأبي تمام

وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْقَلَمِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ لِحَمْدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ :
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشْبَاهُهُ
لَهُ رِيْقَةٌ طُلُّ وَلَكِنْ وَقَعَهَا
لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ
لَهُ الْخُلُوتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيْهَا
وَقَالَ الْأَمِيرُ تَمِيمُ بْنُ الْمَعزِ :

لتميم بن المعز
الفاطمي

وَذِي عَجَبٍ مِنْ طَوْلِ صَبْرِي عَلَى الْبَذَى
يَقُولُونَ : مَا تَشْكُو؟ قُلْتُ : مَتَى شَكَا
وَإِنَّ امْرَأً يَشْكُو إِلَى غَيْرِ نَافِعٍ
عَذَابِي أَنْ أَشْكُو إِلَى النَّاسِ أَنْتَى
وَيَمْنَعُنِي الشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ عِلْمُهُ
سَأَسْكُتُ صَبْرًا وَاحْتِسَابًا فَإِنِّي

وقال :

يَا دَهْرُ مَا أَقْسَاكَ مِنْ مَتَلَوْنَ
أَتَرَوْخَ لِلنَّكَسِ الْجَهْلُ مَهْدًا
فِي حَالَتِكَ ، وَمَا أَقَلَّكَ مُنْصِفًا
وَعَلَى اللَّيْبِ الْحَرِّ سَيْفًا مُرْهَفًا؟

وَإِذَا صَفَوْتَ كَدُرْتَ ، شِيمَةً بَاخِلٍ ، وَإِذَا وَفَيْتَ نَقَضْتَ أَسْبَابَ الْوَفَا
لَا أَرْضِيكَ ، وَإِنْ كَرِمْتَ ؛ لِأَنِّي أَذْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدُومُ عَلَى الصَّفَا
زَمَنْ إِذَا أُعْطِيَ اسْتَرَدَّ عَطَاءَهُ وَإِذَا اسْتَقَامَ بَدَّالَهُ فَتَحَرَّفَا
مَا قَامَ خَيْرُكَ يَا زَمَانُ بِشَرِّهِ أَوْلَى بِنَا مَا قَلَّ مِنْكَ وَمَا كَفَى

[الصدق في النصيحة]

وكان أحمد بن يوسف منصرفاً عن غسان بن عباد ، وجرت بينهما هنات
بمحضرة المأمون ، فقال يوماً بمحضرة خاصة أصحابه : أخبروني عن غسان بن عباد ؛
فإني أريده لأمرٍ جسيم ؛ وكان قد عزم على تقليده السند مكان بشر بن داود ؛
فتكلم كل فريق بما عنده في مدحه ؛ فقال أحمد بن يوسف : هو يا أمير المؤمنين
رجل محاسنه أكثر من مساويه ، لا يتطرف به أمر إلا تقدم فيه ، ومهما
تخوف عليه فإنه إن يأتي أمرًا يعقذر منه ؛ لأنه قسم أيامه بين أفعال الفضل ؛
فجعل لكل خلق نوبة ، إذا نظرت في أمره لم تدر أي حالته أعجب ؛ أما هذاه
إليه عقله أم ما اكتسبه بأدبه ؟

فقال له المأمون : لقد مدحته على سوء رأيك فيه ! قال : لأني في أمير المؤمنين
كما قال الشاعر :

كَفَى ثَمَنَا لِمَا أَسْدَيْتَ أُنَى نَصِيحَتُكَ فِي الصَّدِيقِ وَفِي عِدَائِي
وَأُنَى حَيْنٍ تَنْدُبُنِي لِأَمْرِ يَكُونُ هَوَاكَ أَغْلَبَ مِنْ هَوَائِي
قال الصولي : وقد روي هذا لغير أحمد ، ولعل أحمد استعاره ؛ فأعجب المأمون
ذلك منه ، وشكره غسان بن عباد له ، وتأكدت الحال بينهما .

وكان أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح مولى عجل بن لجيم عالي الطبقة
في البلاغة ، ولم يكن في زمانه أكتب منه ، وله شعر جيد مرتفع عن أشعار
الكتاب ، ووزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد ، وكان أول ما ارتفع به أحمد أن
من ترجمة أحمد
ابن يوسف
ومنزله في
البلاغة

المخلوع محمد بن الرشيد لما قتل أمر طاهر بن الحسين الكتاب أن يكتبوا إلى المأمون ؛ فأطالوا ، فقتل طاهر ؛ أريد أخصر من هذا ؛ فوصف له أحمد بن يوسف موضعه من البلاغة ، فأحضره لذلك ، فكتب : أما بعد فإن كان المخلوع قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة ، فقد فرّق بينهما حكم الكتاب في الولاية والخدمة ، بمفارقة عصمة الدين ، وخروجه عن الأمر الجامع للمسلمين ؛ لقول الله عز وجل فيما اقتص [علينا] من نبأ نوح وابنه : (إنه ليس من أهلِكَ إنه عملٌ غير صالح) ، ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة في ذات الله ؛ وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد أنجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده ، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلوم حقه ، الكائد له فيمن ختر عهده ، ونقض عهده ، حتى ردّ به الألفة بعد فرقتها ، وجمع به الأمة بعد شتاتها ، وأضاء به أعلام الدين بعد دُرويه ؛ وقد بعثت إليك بالدنيا وهي رأس المخلوع ، وبالأخرة وهي البردة والقضيب ؛ والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين حقه ، الراجع إليه تراث آباءه الراشدين .

وكان أحمد بن أبي خالد كثيراً ما يصف أحمد للمأمون ويحثه عليه ، فأمره المأمون بإحضاره ، فلما وقف بين يديه قال : الحمد لله يا أمير المؤمنين النبي استخصك فيما استخفظك من دينه ، وقلّدتك من خلافته ، بسوابغ نعمه ، وفضائل قسيمه ، وعرفك من تيسير كل عسير حاولك عليه متمرد ، حتى ذلّ لك ما جعله تكملة لما حبّاك به من موارد أموره بنجح مصادرها ، حمداً نامياً زائدا لا ينقطع أولاده ، ولا ينقضي آخره ، وأنا أسأل الله يا أمير المؤمنين من إتمام بلائه لديك ، ومنه عليك ، وكفايته ما ولّاك واسترعاك ، وتحصين ما حاز لك ، والتمكين من بلاد عدوك ، ما يمنع به بيضة الإسلام ، ويمزّ بك أهله ، ويبيح بك حي الشرك ، ويجمع لك متبائين الألفة ، وينجز بك في أهل العناد والضلالة وعده ؛ إنه سميع الدعاء ، فعّال لما يشاء .

فقال المأمون : أحسنت ، يورثك عليك ناطقنا وساكتنا ! ثم قال بعد أن
 بلاه واختبره : يا عجباً لأحمد بن يوسف ! كيف استطاع أن يكتُم نفسه !
 وكتب إلى المأمون يستعجدي لوزرائ على بابه : إن داعي ندائك ، ومُنَادِي
 جَدِّكَ ، جَمْعاً بِيَابِكَ الوُفُودَ ، يرجون نائلك العتيد ، فمنهم من يمتُّ بحُرْمَةٍ ،
 ومنهم من يُدلي بسالفِ خِدْمَةٍ ، وقد أوجفَ بهم المقام ؛ فإن رأى أمير المؤمنين
 أن ينصَحهم بِسَيِّئِهِ ، ويحققَ ظَنَّهُمْ بِظَوْرِهِ ، فَصَلِّ .
 فوقَّع المأمونُ في عرض كتابه :

الخيرُ متَّبِعٌ ، وأموالُ الملوكَ مَطَانٌ لطلابِ الحاجاتِ ؛ فَاكْتُبْ أَسْمَاءَهُمْ ،
 وَبَيِّنْ رِثَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، ليصيرَ إليه على قَدْرِ استحقاقه ؛ وَلَا تَكْذُرْهُ
 معروفنا بِالْمَطْلِ والحجاب ؛ فقد قال الشاعر :

فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى طَرْدًا لِحَرٍّ كَالِصَاقِ بِهِ طَرَفَ الْهَوَانِ
 وَلَمْ تَجْلِبْ مَوَدَّةُ ذِي وَفَاءٍ بِمَثَلِ الْوَدِّ أَوْ بَذْلِ اللِّسَانِ

قال أحمد بن يوسف : أمرني المأمون أن أكتبَ في زيادة قنابيل شهر
 رمضان ؛ فَأَعْيَا عَلَى ، ولم أَجِدْ مثلاً أُحْتَذَى عليه ؛ فبتَ مغموماً ، فأتاني آتٍ
 في النوم فقال : اكتب : فإن فيها إضاءة للمتَّجِدِّين ، ونقياً لمكان الرِّيبِ ،
 وأنساً للسَّابِلَةِ ، وتنزيهاً لبيوت الله من وَحْشَةِ الظُّلَمِ ، فأخبرت بذلك المأمون ،
 فاستظرفه ، وأمر أن تمضَى السُّكُتُ عَلَيْهِ .

وأهدى إلى المأمون في يوم نوروز طبقَ جَزْزَعٍ عليه ميل من ذهب ، فيه اسمه
 منقوش ، وكتب إليه :

هذا يوم جَرَتْ فيه العادةُ ، بِالطَّافِ الْعَبِيدِ السَّادَةِ ، وقد بعثتُ إلى أمير
 المؤمنين طبقَ جَزْزَعٍ فيه ميل .

فلما قرأ المأمون الرقصة قال : أ جاءت هديةُ أحمد بن يوسف ؟ قالوا : نعم .
 قال : هي في داري أم داري فيها ؟ فلما رُفِعَ المندِيلُ استظرف الهدية واسترجع مُهْدِيَهَا .

وأهدى إلى إبراهيم بن المهدي هدية وكتب إليه : الثقة بك قد سهلت
السييل إليك ، فأهديت هدية من لا يمتدش إلى من لا يعتنم .
وكتب إلى بني سعيد بن سلم : لولا أن الله عز وجل ختم نبوته بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، وكتبه بالقرآن ، لنزل فيكم نبي رفعة ، وأنزل فيكم
قرآن غدر ؛ وما عسيت أن أقول في قوم محاسنهم مساوى الشغل ،
ومساويهم فضائح الأمم ، وألسنتهم معقولة بالنعى ، وأيديهم معقودة بالبخل ، وهم
كما قال الشاعر :

لا يكبرون وإن طالت حياتهم ولا تبيد مخازيرهم وإن بادوا
وغنى من بحضرة أحمد بن يوسف ولم يكن حسنا ، فلم ينصتوا له ، وتحدثوا
مع غنائه ، فغضب المغنى ؛ فقال أحمد بن يوسف : أنت عافاك الله تحمل الأسماع
تقلا ، والقلوب مللا ، والأعين قباجة ، والأنف نتانة ، ثم تقول : اسمعوا منى ،
وأنصتوا إلى ! هذا إذا كانت أفهامنا مقللة ، وآذاننا صديئة ، فإما رضيت بالعفو
منا ، وإلا قت مذموما عنا .

ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين

يترنم فمتبع ولا يطرب . إذا غنى عنى ، وإذا أدى آذى .
يميت الطرب ، ويحيى الكرب . ضربه يوجب ضربه . من عجائب
غنائه أنه يورد الشتاء في الصيف . ماروى قط في دار مرتين . وحضر
جحلة مجلسا فيه على بن بسام ، ففترق القوم الحاد ، فقال جحلة : فما لى لم
تعطونى مخدة ؟ فقال على بن بسام : غن فالحاد كلها إليك تصير ! وفيه يقول
ابن بسام :

يا من هجونا فغنا أنت ، وبيت الله ، أهجانا
سيان إن غنى لنا جحلة أو مرة مجنون فرنانا

وكان خالد يُستَبرد ، فبعث بعض الظرفاء غلامه يشتري له خمسة أرطال
ثلج ، فأتاه بخالد وقال : يا مولاي ، طلبت خمسة أرطال ، وهذا حبل !
وتغنى بحضرة محموم ، فقال : ويحك ! دَعْنَا نغرق !
وقال بعض المحدثين في قريس المغنى :

ألا فاسقنى قدحاً وافراً يُعِينُ عَلَى الْبَلْغَمِ الْهَائِجِ
أكلنا قريسا وغنى قريس فنحن على شرف الفالج
ولقى أبو العباس المبرد برد الخيار المغنى في يوم نلج بالجسر ، فقال : أنت
المبرد وأنا برد الخيار ، واليوم كما ترى ، اعْبُرْ بنا لا يهلك الناس بالفالج بسببنا
وقال ابن عباد الصاحب في مغنى يعرف بابن عذاب :
أقول قولاً بلا احتشام يعقله كل من يعيه
إن عذاب إذا تغنى فإنتى منه في أبيه

[عود إلى أحمد بن يوسف]

ومن شعر أحمد بن يوسف :
ضَمِيرٌ وَجَدِ بَقْلِبٍ صَبٍّ تَرَجَمَ دَمْعِي بِهِ فَشَاعَا
فصار دَمْعِي لِسَانٍ وَجَدَى ضَمِيعَ سِرِّي بِهِ فَذَاعَا
لولا دموعى وفرط حُبِّي ما كان سِرِّي كذا مُضَاعَا
وقال :

وعامل بالفجور يَأْمُرُ بِالْبِرِّ كِهَادٍ يَخُوضُ فِي الظُّلَمِ
أو كطبيب قد شَفَهَ سَقَمٌ وَهُوَ يُدَاوِي مِنْ ذَلِكَ السَّقَمِ
يا واعظ الناس غير متعظٍ تَوَبَّكَ طَهْرٌ أَوْ لَا فَلَا تَلَمْ
وقال :

إذا ما التقينا والعيونُ نواظرة فَأَلْسُنُنَا حَرَبٌ وَأَبْصَارُنَا سَلَمٌ

وقال في الحزن :

كثيرُ هموم القلبِ حتى كأنما عليه سرورُ العالمينِ حرامٌ
إذا قيلَ ما أضناك! أسبَلَ دَمْعُهُ فأخبر ما يلقي وليس كلام

وقال :

كرِّمَ له نفسٌ يَلِينُ بِلِينِها يردِّعُ عَنْ سُلْطَانِهِ سُنَنَ الْكِبَرِ
إذا ذكَّرْتَهُ نَفْسُهُ عَظُمَ قَدْرُها دعاها إلى تسكينها عَظَمَ الْقَدَرِ
ووقع في كتاب رجل يحثُّه على استتمام صنائعه عنده : مستتمُّ الصنِيعَةِ من
عَدَلٍ زَيْفِها ، وأقام أودِها ، صيانةً لمَروفيها ، ونصرةً لرأيها ؛ فإن أولَ المَروفي
مستخفٌ ، وآخره مستنقِلٌ ، يكاد أول الصنِيعَةِ يكون للهوى ، وآخرها للرأى ،
ولذلك قيل : رَبُّ الصنِيعَةِ أَشَدُّ مِنْ ابْتِدَائِها^(١).

وكان أبو العتاهية له صديقاً^(٢) قبل ارتفاع حاله ، فأحس منه في حين وزارته
تغيراً ، فكتب إليه :

أمنت إذا استغنيت من سَوْرَةِ الْفَقْرِ فصرت ترى الإخوانَ بالنَّظَرِ الشَّرِّ
أبا جعفر إنَّ الشَّريفَ يَهِينُهُ تتأَيُّهُ دُونَ الْأَخْلَاءِ بِالْوَفْرِ
فإن تَهتَ يوماً بالذي نلتَ من غنى فإن غنائى بالتجمل والصَّبرِ
ألم تر أن الفقرَ يُرَجِّى له الغنى وأنَّ العِغْيَ يُحْشَى عليه من الفقرِ

وروى أبو بكر يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال : حجب أحمد بن
يوسف أبا العتاهية ، ثم عاد ، فقيل : هو نائم ، فكتب إليه :

لئن عدتُ بعد اليوم إلى لظالمٍ سأُضْرِفُ وَجْهِي حَيْثُ تُبْغَى الْمَكَارِمُ
متى يظفر الغادى إليكَ بِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ

(١) الرب : التعهد بالإصلاح .

(٢) في المطبوعات كلها « له صديق » بالرفع ، وليس بشيء (م) .

وقال :

في عداد الموتى وفي ساكني الدنيا أبو جعفر أخى وخليلى
ميت مات وهو في ورق التميد من مقيما في ظل عيش ظليل
لم يمت ميتة الوفاة ، ولكن مات عن كل صالح وجميل
وخاصم أحمد بن يوسف رجلا بين يدي المأمون ، وكان صفا المأمون إليه ^(١)
على أحمد ، ففطن لذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه يستملي من عينيك
ما يلقاني به ، ويستبين بحركته ما تحنه له ^(٢) ، وبلوغ إرادتك أحب إلي من
بلوغ أمني ، ولذة إجابتك أمتع عندي من لذة ظفري ؛ وقد تركت له ما نازعني
فيه ، وسأمت له ما طالبني به . فاستحسن ذلك المأمون .

ومن كلام أحمد بن يوسف : محاسبة البفضاء تُثيرُ الهموم ، وتَجَلِبُ
الغوم ، وتؤلم القلب ، وتقدح في النشاط ، وتطوى الانسباط .

ألفاظ لأهل العصر في صفات الثقلاء

فلان ثَقِيلُ الطَّلعة ، بغيضُ التفصيل والجُملة ، باردُ السكون والحركة ؛
قد خرج عن حدِّ الاعتدال ، وذهب من ذات اليمين إلى ذات الشمال . يحكى
ثقل الحديث المعاد ، ويمشي في القلوب والأكباد ، ولا أدري كيف لم تحمل
الأمانة أرضَ حَمَلته ؟ وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما أقلته ؟ كأن وجهه
أيامُ السائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قر به فقدُ الحباب ، وسوء العواقب .
وكانما وصله عدمُ الحياة ، وموتُ الفجأة ، وكأنما هجره قوة المنة ، وريحُ الجنة .
يا عجب من جسم كالخيال ، وروح كالجبال . كأنه ثقل الدين ، على وجمع
العين . هو ثَقِيلُ السكون ، بغيضُ الحركة ، كثيرُ الشؤم ، قليلُ البركة . هو
بين الخفق والعين قذاة ، وبين الأخمص والنعل حصاة . ما هو إلا غداةُ
الفراق ، وكتابُ الطلاق ، وموتُ الحبيب ، وطلوعُ الرقيب . ما هو إلا أرباء

(١) صفا إليه : ميله (م) . (٢) تحنه لي : تكتمه وتخفيه (م) .

لَا تَدُورُ فِي صَفَرٍ ، وَالْكَابُوسُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ، وَأَثْقَلُ مِنْ خَرَّاجٍ بِلا غِلَّةٍ ،
وَدَوَاءِ بِلا عِلَّةٍ ، وَأَبْغَضُ مِنْ مِثْلِ غَيْرِ سَائِرٍ ، وَأَجْمَعُ لِلْعُيُوبِ مِنْ بَغْلَةِ أَبِي
دُلَامَةِ ، وَحِمَارِ طَيَّارٍ ، وَطِيلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ ، وَأَيْرَ أَبِي حَكِيمَةٍ ، وَأَنْشُدُ :
مَشَى فِدْعَا مِنْ ثَقِيلِهِ الْحَوْتُ رَبَّهُ وَقَالَ : إِلَهِي زِيدَتِ الْأَرْضُ ثَانِيَهُ ^(١)
وَأَنْشُدُ :

تَحْمِلُ مِنْهُ الْأَرْضُ أَضْعَافَ مَا يَحْمِلُهُ الْحَوْتُ مِنَ الْأَرْضِ ^(١)
وَأَنْشُدُ :

مَشْتَمِلٌ بِالْبُغْضِ لَا تَنْفَنِي إِلَيْهِ لَحْظًا مُقَلَّةً الرَّامِقِ
يَظَلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاءً دَاءً أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقِ
وَقَالَ الْهَدُونِيُّ :

سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا صَدَقْتَ وَعِلْمِي بِأَنَّكَ لَا تَصْدُقُ
أَتُبْغِضُ نَفْسَكَ مِنْ ثَقْلِهَا وَإِلَّا فَأَنْتَ إِذَا أَحْمَقُ

وَكُتِبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيُّ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ :
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُرْسِلْ وَجِثَ فَلَمْ أَصِلْ مَلَأْتُ بَعْذِرٍ مِنْكَ سَمْعَ لَيْبِ
أَتَيْتُكَ مُشْتَقَاً فَلَمْ أَرِ حَاجِباً وَلَا صَاحِباً إِلَّا بِوَجْهِ قُطُوبِ
كَأَنِّي غَرِيمٌ مُقْتَضٍ ، أَوْ كَأَنِّي طُلُوعُ رَقِيبٍ أَوْ نَهْوضُ حَبِيبِ
وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى يَسْتَثْقِلُ جَلِيساً اسْمُهُ زُبَاعُ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ
يَوْمًا : مَا الزُّبُعَةُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : التَّثَاوُلُ ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى جَلِيسُنَا زُبَاعًا .
وَقَدْ كَثُرَ النَّاسُ فِي الثَّقَلَاءِ ، وَأَنَا أَسْتَحْسِنُ قَوْلَ جِحْظَةَ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ
قَدْ تَقَدَّمَ فِي مِثْلِهِ :

(١) إشارة إلى الخرافة التي تزعم أن الأرض يحملها حوت !

يا لفظَةَ النَّعَى بِمَوْتِ الْخَلِيلِ يا وقفة التَّوَدِّيعِ بَيْنَ الْحُمُولِ
يا شربةَ الْيَارِجِ يا أَجْرَةَ الـ مَنَزِلِ يا وَجْهَ الْعَذُولِ الْغَفِيلِ
يا طلعةَ النَّعَشِ يا مَنْزِلًا أَقْفَرٍ مِنْ بَعْدِ الْأُنَيْسِ الْخُلُولِ
يا نهضةَ الْمَحْبُوبِ عَنْ غَضَبِهِ يا نعمةً قَدْ آذَنْتِ بِالرَّحِيلِ
يا كتابًا جَاءَ مِنْ مُخْلِيفٍ للوعد مملوءًا بعذر طویلِ
يا بُكْرَةَ الشَّكْلِ إِلَى حُفْرَةٍ مستودِعٍ فِيهَا عَزِيزُ الشُّكُولِ
يا وثبةَ الْحَافِظِ مُسْتَعْجِلًا بَصْرُهُ الْقَيْنَاتِ عِنْدَ الْأَصِيلِ
يا طيبًا قَدْ أَتَى بِأَكْرَأَ عَلَى أَخِي سُقْمٍ بَمَاءِ الْبَقُولِ
يا شوكةً فِي قَدَمِ رَحْصَةٍ لَيْسَ إِلَى إِخْرَاجِهَا مِنْ سَبِيلِ
يا عِشْرَةَ الْمَجْدُومِ فِي رَحْلِهِ ويا صُعودَ السَّعْرِ عِنْدَ الْمَعِيلِ
يا رَدَّةَ الْحَاجِبِ عَنْ قَسْوَةٍ وَنَكْسَةَ مِنْ بَعْدِ بُرءِ الْعَلِيلِ

وَجَحْظَةٌ هَذَا هُوَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُوسَى بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ
بَرْمَكٍ ، وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَلَّةِ الْوَزِيرِ : سَأَلْتُ جَحْظَةَ مَنْ لَقِبَهُ بِهَذَا
اللقب ؟ فَقَالَ : ابْنُ الْمُعْتَزِّ ، لَقِيتَنِي يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : مَا جِئْتَنِي بِهِ ؟ أَنْكَسُوهُ أَنَا نَا آلَةَ
لِلْمَرَاكِبِ الْبَحْرِيَّةِ ، فَقُلْتُ : عَلَّقْتُ ، إِذَا أَنْكَسَ صَارَ قِلْعًا ، قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا جَحْظَةُ ؛
فَلَزِمْنِي هَذَا اللَّقْبَ ، وَكَانَ نَاتِيَّ الْعَيْنَيْنِ جَدًّا ، قَبِيحَ الْوَجْهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :
نَبْتُ جَحْظَةَ يَسْتَعِيرُ جُحُوظَهُ مِنْ فِيلٍ شَطْرَ نَجْدٍ وَمِنْ سُرْطَانِ
يَا رَحْمَتِي لِمُنَادِيهِ تَحْتِـ____ا أَلَمْ الْعَيُونَِ لِلذَّةِ الْأَذَانِ
وَكَانَ طَيِّبَ الْغَنَاءِ ، مُمْتَدِّ النَّفْسِ ، حَسَنَ الْمَسْمُوعِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ثَقِيلَ الْيَدِ
فِي الضَّرْبِ ؛ وَكَانَ حُلُوَ النَّادِرَةِ ، كَثِيرَ الْحِكَايَةِ ، صَالِحَ الشَّعْرِ ؛ وَلَا تَزَالُ تَنْدِرُهُ
الْأَبْيَاتُ الْجَيِّدَةُ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

جَانِبَ أَطْيَبِ لَدَّتِي وَشِرَابِي وَهَجَرْتُ بَعْدَكَ عَامِدًا أَصْحَابِي

فإذا كتبتُ لسكى أَرْزَه نَظَرِي في حُسْنٍ لَفْظُكَ لَمْ تَجِدْ بِجَوَابِ
 إِن كُنْتَ تَتَكَبَّرُ ذَلِكُ وَتَذَلُّي وَتُحَوِّلَ جِسْمِي وَامْتِدَادَ عَذَابِي
 فَانْظُرْ إِلَى بَدَنِي الَّذِي مَوَّهَتْهُ لِلْمُحَاطِرِينَ بِكَثْرَةِ الْأَنْوَابِ
 وقال :

وإذا جفاني صَاحِبُ لَمْ أُسْتَجِزْ مَا عَشْتُ قُطْعَةً
 وَتَرَكْتُهُ مِثْلَ الْقُبُورِ رَأَزُورَهَا فِي كُلِّ جُمُعَةٍ
 وقال :

ضَاقَتْ عَلَى وَجْهِهِ الرَّأْيُ فِي نَفَرٍ يَلْقَوْنَ بِالْجُحْدِ وَالْكَفَرَانِ إِحْسَانِي
 أَقْلَبَ الطَّرْفَ تَصْعِيداً وَمَنْعَدِراً فَمَا أَقَابِلَ إِنْسَانًا يَا نِسَانِي
 وقال :

لَقَدْ مَاتَ إِخْوَانِي الصَّالِحُونَ فَمَالِي صَدِيقٌ وَمَالِي عِمَادُ
 إِذَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ وَلَّى السَّرُورَ وَإِنْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَلَّى الرَّقَادُ
 وقال يهجو رجلاً :

لَا تَعْذِلُونِي إِنْ هَجَرْتُ طَعَامَهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنَ الْمَأْكُولِ
 فَمَتَى أَكَلْتُ قَتَلْتُهُ مِنْ بُخْلِهِ وَمَتَى قَتَلْتُ قَتَلْتُ بِالْمَقْتُولِ

ومن حكاياته ما حدثني خالد الكاتب قال : جاءني يوماً رسول إبراهيم
 ابن المهدي، فصرت إليه، فرأيت رجلاً أسوداً على فُرْشٍ قد غاص فيها، فاستجلسني
 وقال : أنشدني من شعرك، فأنشدته :

رَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي مِنْظَرَيْنِ كَمَا رَأَتْ مِنَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ الْمُنِيرِ عَلَى الْأَرْضِ
 عَشِيَّةَ حَيَّانِي بَوْرَدَ كَأَنَّهُ خَدُودُ أَضِيقتُ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ
 وَنَازَعْنِي كَأَسَا كَانَ حَبَابُهَا دُمُوعِي لَمَّا سَدَّ عَنْ مَقَلَّتِي غَمَضِي
 وَرَاحَ وَفَعَلَ الرَّاحُ فِي حَرِّ كَاتِهِ كَفَعَلَ نَسِيمَ الرِّيحِ بِالْعُصْنِ الْفَضِّ

فزحف حتى صار في ثلثي الفراش ، وقال : يا فتى ، شبهوا الخلدود بالورد ،
وأنت شبهت الورد بالخلدود ، زدني فأنشدته :

عائبتُ نفسي في هوا لك فلم أجدها تَعْبَلُ
وأطعتُ داعيها إليك فلم أطع من يَعْذِلُ
لا والذي جعل الوجُو هُ الحُسنَ وَجْهَكَ تَمَثِّلُ
لا قلتُ إن الصبرَ غنك من التَّصَابِي أجْمَلُ

فزحف حتى انحدر عن الفراش ثم قال لي : زدني ، فأنشدته :

عِشْ فَحُبِّيكَ سَرِيعاً قَاتِلِي والضَّيَّ إن لم تَصِلْنِي وَاصِلِي
ظَفِيرَ الْحَبِّ بَقْلَبْ دَنِفِ فيكَ وَالشُّقْمُ بِجِسْمِ نَاحِلِ
فها بين اِكتئابٍ وَضَيَّ تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّاكِلِ
وبكى العاذِلُ لي من رَحْمَةٍ فبكائي لبكاء العاذِلِ

فَنَعَرَ طَرَباً وَقَالَ : يَا يَلْبَقُ ؛ كم معك لنفقتنا ؟ قال : ثمانمائة وخمسون ديناراً .

قال : أقسمها بيني وبين خالد ، فدفع إلي نصفها

وأنشد جحظة أو غيره ولم يسمِ قائله :

لا يبعد الله إخواناً لنا سلفوا أفناهم سَدَثَانِ الدَّهْرِ وَالْأَبْدُ
نَمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلَا يُورِبُ إِلَيْنَا مِنْهُمْ أَحَدُ

[السكاكين]

وكان أحمد بن يوسف جالسا بين يدي المأمون ، فسأل المأمون عن السكّين
فناوله أحمد السكّين ، وقد أمسك بنصّابها ، وأشار إليه بالحدّ ، فنظر إليه المأمون
نظراً مُنْكَرٍ ؛ فقال : لعل أمير المؤمنين أنكر عليّ أَخَذِي النَّصَابَ ؛ وإشارتي إليه
بالحدّ ؛ وإِنَّمَا تَفَاعَلْتَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْحَدُّ عَلَى أَعْدَائِهِ ، فعجب المأمون من
سُرْعَةِ فِطْنَتِهِ ، ولطيف جوابه .

بين المأمون
وأحمد بن
يوسف

وقال بعضُ الكتاب : السكين مسُّ الأَقلام يشحذها إذا كَلت ، وَيَصْقُلُها إذا نَبَتْ ، وَيُطْلِقُها إذا وَقفت ، وَيَلْمِها إذا شَعِثت ، وَأَحْسَنُها ما عَرَضَ صَدْرُهُ ، وَأَرْهَفَ حَدُّهُ ، ولم يفصل على القبضَةِ نِصابَهُ .

وقال أبو الفتح كشاجم يرثى سكيناً سرقت له :

يا قاتل اللهُ كتابَ الدواوين	ما يستحلُّونَ من أخذِ السكاكينِ
لقد دهاؤى لطيفُ منهمُ ختلُ	في ذاتِ حدِّ كحدِّ السيفِ مَسْنُونِ
فأفقرتُ بعدَ عُمرانٍ بموقعها	منها دواةٌ فتى بالكُتبِ مَفْتُونِ
تبكى على مُدِيَةٍ أودى الزمانُ بها	كانت على جائرِ الأَقلامِ تُعَذِّبُنِي
كانت تقدِّمُ أَقلامِي وتَنَحَّطُها	نَحْطاً وتَسْخِطُها بَرِيّاً فترُضِنِي
وأضحك الطرس والقرطاس عن حللي	ينوب للعين من نورِ البساتينِ
فإن قشرت بها سوداء من صُحُفِي	عادت كبعضِ خدودِ الخُرَّدِ العَيْنِ
جزعُ النصابِ لطيفاتِ شَعائِرُها	محسَّاتِ بأصنافِ التَّحاسِينِ
هيفاء مُرَهَفَةٍ بيضاء مُدْهَبَةٍ	قال الإلهُ لها سبحانهُ : كُونِي
لكن مِقطِي أُمسى شامتاً جَدِلاً	وكان في ذِلَّةٍ منها وفي هُونِ
فَصِينِ حتى يُضاهِي في صيانتِهِ	جَاهِي لَصُونِيهِ عَمَّنْ لا يُدَانِينِي
ولستُ عنها بِسألٍ ماحِييتُ ، ولا	بواجِدٍ عَوْضاً منها يُسَلِّينِي
ولو يَرُدُّ فِدَاءً ما فِجِعْتُ بِهِ	منها فديناه بالدينِ والدينِ

ألفاظ لأهل المصر في صفات السكاكين

سكينٌ كأنَّ القَدَرَ سائِقُها ، أو الأَجَلَ سابِقُها ، مُرَهَفَةُ الصَّدْرِ ، مُخَطَّطَةٌ الخَضِر ، يحولُ عليها فِرندُ العِتق ، ويموج فيها ماء الجَوْهر ؛ كأنَّ المنيَةَ تبرق من حدِّها ، والأَجَلَ يلمعُ من مَتْنِها ، رَكِبَتْ في نِصابِ آبنوس ، كأنَّ الحَدَقَ قَفَضَتْ

عليه صَبَغَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبَ كَسْتَهُ لِبَاسِهَا . أَخَذَهَا حَدِيدُهَا النَّاصِحَ بِحِظٍّ مِنَ الرُّومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نَصَابِهَا الْحَالِكُ بِسَهْمٍ مِنَ الزُّنْجِ ، فَكَانَهَا لَيْلٌ مِنْ تَحْتِ نَهَارٍ ، أَوْ مَجْرَ أَبْدَى سَنًا نَارٍ ، ذَاتَ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٍ قَاضٍ . سَكِينٌ ذَاتُ مَنَسَرٍ بَازِيٍّ ، وَجَوْهَرُ هَوَائِيٍّ ، وَنِصَابُ زَنْجِيٍّ ، إِنْ أَرْضِيَتْ أُولَتْ مَتْنًا كَالدَّهَانِ ، وَإِنْ أَسْخِطَتْ انْقَطَعَ بِنَابُ الْأَفْعَوَانِ . سَكِينٌ أَحْسَنُ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعُ مِنَ الْفِرَاقِ ، تَفْعَلُ فِعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ ، وَأَنْفَذُ مِنَ الْقَدَرِ الْمُتَّاحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَّةِ السَّيْفِ الْحُسَامِ ، وَأَلْمَعُ مِنَ الْبَرْقِ فِي الْغَمَامِ . جَمَعَتْ حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَمَ الْمَخْبَرِ ، وَتَمَلَّكَتْ عِنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ ، وَلَمْ يُخَوِّجْهَا عَتَقُ الْجَوْهَرِ إِلَى إِنْهَاءِ الْحَجَرِ ^(١)

[السَّمَرُ وَالْمَنَادِمَةُ]

قال محمد بن أنس للقاسم بن صبيح : مَا زِلْنَا فِي سَمَرٍ نَصِلُ فُصُولَهُ بِتَشَوُّقِكَ ، قَيْدُ هَبِ ذِكْرِكَ مَلَلُ السَّامِرِ ، وَنَعْسَةُ السَّاهِرِ . فَقَالَ الْقَاسِمُ : مِثْلُكَ ذَكَرَ صَدِيقُهُ فَاطْرَاهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَأَرْضَاهُ ، وَلَوْ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي كُنْتُ أَحَدَكُمْ ، مُسْرُورًا بِمَا بِهِ سُرُورَتِي ، مُفِيضًا فِيهَا فِيهِ أَفْضَتِي .

قال بعضُ الظرفاء : شَرُطُ الْمَنَادِمَةِ قِلَّةُ الْخِلَافِ ، وَالْعَامِلَةُ بِالْإِنْصَافِ ، وَالْمَسَاحَةُ فِي الشَّرَابِ ، وَالتَّغَافُلُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ ، وَإِدْمَانُ الرِّضَا ، وَاطِّرَاحُ مَا مَغْنَى ، وَإِسْقَاطُ التَّحِيَّاتِ ، وَاجْتِنَابُ اقْتِرَاحِ الْأَصْوَاتِ ، وَأَكْلُ مَا حَضَرَ ، وَإِحْضَارُ مَا تَبَسَّرَ ، وَسَمَرُ الْعَيْبِ ، وَحِفْظُ الْغَيْبِ .

وقد أحسن أبو عبد الرحمن العطوي في قوله :

حَقُوقُ الْكَاسِ وَالنَّدَامَانُ خَمْسٌ فَأَوَّلُهَا التَّزْيِينُ بِالْوَقَارِ
وِثَائِيهَا مَسَامِحَةُ النَّدَامَى فَكَمْ حَمَتِ السَّمَاحَةُ مِنْ ذِمَارِ
وِثَائِهَا ، وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مَحْتَدًّا ، تَرَكْتُ الْفَخَارَ

(١) إمهاء : مصدر «أهمى السلاح» أى أحده ، وإضافته إلى الحجر من إضافة المصدر لفاعله ، والحجر : أراد به المسنن (م)

ورابعها ولذَّمانِ حقٍّ سوى حقِّ القراةِ والجُزارِ
 إذا حدثته فلا كَسُ الحديثِ الذي حدثته تَوَبَّ اختصارِ
 فما حُثَّ التَّيْبُ بِمَثَلِ حَسَنِ الْأَعَانِي والأَحَادِيثِ الْفَصَارِ
 وخامسةٌ يدلُّ بها أخوها على كرمِ الطبيعةِ والنَّجارِ
 حديثِ الْأَمْسِ نَسَاهُ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّذَّيْبَ فِيهِ لِلْعُقَارِ
 ومن حَكَمَتْ كَأَسْكَ فِيهِ فَانْجَمُ لَهُ بِإِقَالَةٍ عِنْدَ الْعِتَارِ
 وقال حسان بن ثابت :

نَوَّلِيهَا الْمَلَامَةَ إِنْ أَلَمْنَا إِذَا مَا كَانَ مَفْتًى أَوْ لَحْلَا^(١)
 وشرب اليزيدي عند المأمون فلما أخذت منه الكأس أقبل يعتز عليه
 بتعليمه إياه ، وأساء مخاطبته ؛ فلما أفاق من سُكْرِهِ عُرِفَ ماجرى ، فليس
 أ كفانه ، ووقف بين يدي المأمون فأنشده :

أَنَا الْمَذْنِبُ الْخَطَّاءُ وَالْعَفْوُ وَاسِعٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لِمَا عُرِفَ الْعَفْوُ
 تَمَلَّتْ فَأَبْدَتْ مَنَى الْكَاسِ بَعْضَ مَا كَرِهَتْ وَمَا إِنْ يَسْتَوِي السُّكْرُ وَالصَّخْوُ
 وَلَا سِيَّما إِنْ كُنْتُ عِنْدَ خَلِيفَةٍ وَفِي مَجْلِسٍ مَا إِنْ يَجُوزُ بِهِ الْقَوُ
 فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي أَلْفَ خَطْوَى وَاسِعاً وَإِلَّا يَكُنْ عَفْوٌ فَقَدْ قَصُرَ الْخَطْوُ
 فقال المأمون : لا تثرِيبَ عليك ، فالنبيذُ بساطٌ يُطَوَّى بما عليه .

وشرب كوران المغنى عند الشريف الرضى ، فافتقد رِداؤه ، وزعم أنه
 سُرِقَ . فقال له الشريف : ويحك ! مَنْ تَتَّهَمُ مِنَّا ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيذَ بِسَاطٌ
 يُطَوَّى بِمَا عَلَيْهِ ؟ قال : انشروا هذا البساط حتى آخذَ رِداؤى واطُورُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ !
 وكان أبو جعفر أحمد بن جَدَّار كاتب العباس بن أحمد بن طولون ينقل أخبارَ
 أبي حفص عمر بن أيوب كاتب أحمد بن طولون على الشراب إلى العباس ، فصار
 إليه أبو حفص فقال : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ؛ إِنَّمَا مَجْلِسُ الْمُدَّامِ مَجْلِسُ حُرْمَةٍ ، وداعيه أنس ،

(١) المغث : الشر والقتال ، واللحاء : الملاحة ، وهو قول ما يلام عليه

ومسرح لبانة ، ومذادهم ، ومزّاع لهم ، ومعهد سرور ، وإنما توسطته عند من لا يُشهم غيبه ، ولا يُخشى عتبه ، وقد اتصل بي ما تُنبيه إلى أميرنا أبي الفضل أعز الله أمره ، من أخبار مجالستي ، فلا تفعل ، وأنشده :

ولقد قلت للأخلاء يوماً قول ساع بالنصح لوسمعه
إنما مجلس الدّام بساطٌ للمودات بينهم وضوعه
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا من نعم ولفه رفعه
وهم أخرياء ، إن كان منهم حافظ ، ما أتوه أن يمنعه

فاعتذر ابن جدار وحلف ما فعل ، وقام من مجلسه .
وأنشد أبو حفص :

كم من أخ أوجست منه سجيةً فأنست بعد وداده بفرقه
لم أحمّد الأيام منه خليقةً فتركته مستمعاً بحلاقه

عول أبو حفص في أكثر كلامه على نقل كلام أبي العباس الناشيء في الشراب ، والأبيات التي أنشد أولاً له .

أبو القاسم صاحب : قدماً حلت أوزارُ الشكر ، على ظهور الخمر ، وطوى بساطُ الشراب ، على مافيه من خطأ أو صواب . متابعة العُقار ، تعذر في خلع العذار ، وتغنى عن الاعتذار . متابعة الأبطال ، تبطل سورة الأبطال ، وتدعُ الشيوخ كالأطفال .

كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى بعض الجلة يستدعيه :
من إسحاق
الموصلي إلى
بعض الجلة
يَوْمَنا يَوْمٌ كَيْنُ الحواشي ، وطىء النواحي ؛ وماؤنا قد أقبلت ، ورعدت بالخير
وبرقت ، وأنت قطبُ السرور ، ونظام الأمور ؛ فلا تُفردنا فنقل ، ولا تنفرد
عنا فنذل .

وكتب بعض أهل العصر - وهو السري الموصلي - إلى أخ له يستدعيه إلى

مؤانسته :

للسرى الموصلى

خِلَالُكَ، مَاخْتَلَّ الصَّدِيقُ، سَحَابٌ
وَأَنْتَ شَقِيقُ الرُّوحِ تُؤَثِّرُ وَصَلَهَا
وَنَحْنُ خِلَالُ الْقَصْفِ وَالْعَرْفِ نَجْتَنِي
وَعِنْدِي لَكَ الرِّيحَانِ زَيْنَ بَسَاطَةٍ
وَجَيْشٌ كَمَا انْجَرَّتْ ذُبُولُ غَلَارِلٍ
وَقَدْ أَطْلَقْتَ فِيهِ الشَّمَائِلَ، وَانْتَشَتْ
وَحَافِظَةُ مَاءِ الْحَيَاةِ لِفَتْحَةٍ
نَسَرَّ بِهَا أَخْفَى اللِّبَاسِ، وَإِنَّمَا
عَلَى جَسَدٍ مِثْلِ الزَّبَرَجَدِ لَمْ تَزَلْ
إِذَا اسْتَوْدَعْتَ حُرَّ اللُّجَيْنِ سَبَائِكَ
وَفَوْقَ رُءُوسِ الْقَوْمِ غَيْمٌ مَعْلَقٌ
بِوَارِقِهِ خَمَرُ الْكُثُوسِ وَرَعْدُهُ
وَلَاعَاتِي يَنْثَنِي عِنَانُكَ عَنْ هَوًى
فَبَادِرٍ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ صَافٍ مِنَ الْقَذَى،

وقال ابن المعتز

لابن المعتز

لَا شَيْءَ يُسَلِّي هَوًى سِوَى قَدَحٍ
فِي غَيْمٍ نَدَى يُزْجِي سَحَابَهُ
تَدَمَّى عَلَيْهِ أَوْ دَاجٍ يُزْرِيقُ
بَرْقٍ ابْتِسَامٍ وَرَعْدُ نَصْفِيقٍ

وقال الحسن بن محمد الكاتب يصف طيلا :

للحسن بن محمد
الكاتب

يَا حَبْدَا يَوْمَنَا نَلْهُو بِمُلْهِيَةٍ
قَدْ شُدَّ هَذَا إِلَى هَذَا كَأَنَّهُمَا
نَظْلٌ نَلْطُمُ حَذْيِهِ إِذَا ضَرَبَتْ
فَتَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْهُ حِينَ تَضْرِبُهُ
تُلْهِى بِشَيْءٍ لَهُ رَأْسَانِ فِي جَسَدٍ
مِنْ شِدَّةِ الشَّدِّ مَقْرُونَانِ فِي صَفْدٍ^(١)
بِكُلِّ طَاقَتِهَا لَطْمًا بِلَا حَرْدٍ^(٢)
كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مَا ضَعْنَى أَسَدٍ

(١) الصفد — بفتح الصاد والفاء جميعا — القيد والوثاق (م)

(٢) الحرد — بفتح الحاء والراء جميعا — الغضب (م)

ومن الفاظهم في الاستدعاء

نحن في مجلسٍ قد أبت راحه أن تصفو لنا أو تتناولها يمينك ، وأقسم غناؤه
لاطاب أو تعيه أذنك ، فأما حدود نارنج قد احمرت خجلا لإبطائك ، وعيون
نرجسه قد حذقت تأميلا للقائك ، فبحياتي عليك إلا تعجلت ، وما تمهلت .
نحن بغيبتك كعقد تغيت واسطته ، وشباب قد أخلقت جدته ؛ وإذ قد
غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تدنو الأرض منا . أنت من ينتظم به شمل
الطرب ، وبلقائه يبلغ كل أرب . طر إلينا طيران السهم ، واطلع علينا
طلوع النجم . ثب إلينا وثوب الغزال ، واطلع علينا طلوع الهلال ، في غرة
شوال . كن إلينا أسرع من السهم إلى مبره ، والماء إلى مقره . جشم إلينا
قدمك ، واخلع علينا كرمك ، وإن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد ،
ونحصل نقر بك في جنة الخلد ، وتسهم لنا في قر بك الذي هو قوت النفس ،
ومادة الأنس .

ولهم في استدعاء الشراب

قد تألف لي شمل إخوانٍ كاد يفترق لعوز المشروب ، واعتدنا فضلك
المعهود ، ووردنا بحرك المورد ، وأنا ومن ساحن الدهر بزيارته من إخواني
وأولياك وقوف بحيث يقف بنا اختيارك من النشاط والفتور ، ويرتضيه لنا
إيثارك من الهم والسرور ، والأمر في ذلك إليك ، والاعتماد في جمع شمل
السرة عليك ؛ فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنين بك فعلت . ألفت
المن موقعا ، وأجلها في النفوس موعدا ، ماعمر أوطان السرة ، وطرده عوارض
الهم والفكرة ، وجمع شمل المودة والألفة . قد انتظمت في رقة لي في سبط
الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام عذنا كبنات نعش ، والسلام .
فرايك في إرواء غلتنا بما ينقعها ، والطول على جماعتنا بما يجمعها .

ولهم في السكناية عن الشراب

قد نَشِطَ لتناول ما يستمدُّ البَشَرُ ، ويشرح الصَّدْرُ . قد استمطر سحابة
الأنس ، واستدرَّ حُلُوبَةُ السرور ، وقدَحَ زَنْدُ اللهو ، فهو يَمْرِي دِمَاءَ العناقيد ،
ويَقْصِدُ عروقَ الدَّنان ، وَيَنْظُمُ عَهْدَ النَّدْمَان .

من الحسن
بن سهل إلى
الحسن بن
وهب
كتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطبَحَ في يوم دَجْن لم
يمطر : أما ترى تكافؤَ هذا الطمع واليأس في يومنا هذا بقُربِ المطر وبعده ،
كأنه قول كثير :

وإني وَهَيَّيْ بَعْزَةَ بعدما تَحَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَحَلَّتْ
لكلِّمَرْتَجِي ظِلَّ الغمامة ، كلما تَبَوَّأَ منها لِلْمَقِيلِ اضمحلَّتْ

وما أَصْبَحْتَ أُمْنِيَّتِي إِلَّا فِي لِقَائِكَ ، فليت حِجَابَ النَّأْيِ هُتَكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ !
رُقِعَتِي هَذِهِ وَقَدْ دَارَتْ زَجَاجَاتُ أَوْقَعَتْ بَعْقِي وَلَمْ تَحْصِفْهُ ، وَبَعَثَتْ نَشَاطَا
حَرَكَ كُنِيَ لِلْكِتَابِ ؛ فَرَأَيْكَ فِي إِمطَارِي سروراً بِسَارٍّ خَبَرِكَ ؛ إِذْ حُرِمْتَ السرور
بِمَطَرِ هَذَا الْيَوْمِ ، مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

من الحسن
بن وهب إلى
الحسن بن
سهل
وكتب الحسن بن وهب : وصل كتابُ الأمير أَيْدَهُ اللَّهُ وَفِي طَاعِمٍ
وَيْدِي عَامِلَةٍ ؛ وَلِذَلِكَ تَأَخَّرَ الْجَوَابُ قَلِيلاً ، وَقَدْ رَأَيْتُ تَكَافؤَ إِحْسَانِ هَذَا الْيَوْمِ
وَإِسَاءَتِهِ ، وَمَا اسْتَوْجِبَ ذَنْبًا اسْتَحَقَّ بِهِ دَمًا ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَشْمَسَ حَكِي حُسْنُكَ
وَضِيَاءُكَ ، وَإِنْ أَمَطَرَ حَكِي جُودُكَ وَسَخَاءُكَ ، وَإِنْ غَامَ أَشْبَهَ ظِلُّكَ وَفَنَاءُكَ ،
وَسُؤَالُ الْإِمِيرِ عَنِّي نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أُعْغِي بِهَا أَثَارَ الزَّمَانِ السَّيِّئِ عِنْدِي ؛
وَأَنَا كَمَا يُحِبُّ الْأَمِيرُ صَرَفَ اللَّهِ الْحَوَادِثَ عَنْهُ ، وَعَنْ حَظِّي مِنْهُ .

وَذَمَّ رَجُلٌ رَجُلًا فَقَالَ : دَعَوَاتِهِ وَلَائِمٌّ ، وَأَقْدَاحُهُ مَحَاجِمٌ ، وَكُثُوبُهُ
مَحَابِرٌ ، وَنَوَادِرُهُ بَوَادِرُ .

لكشاجم
وقال أبو الفتح كشاجم : كَانَ عِنْدِي بَعْضُ الْمَجَانِّ مِنَ الْبَيْذِيِّينَ ، فَسَمِعُنِي

وَأَنَا أَحَدُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي وَسْطِ الطَّعَامِ لَشَيْءٍ خَطِرٍ بِأَلَى مِنْ يَنْعَمُ اللَّهُ الَّتِي لَا تُحْصَى، فَهَـؤُلاَءِ وَقَالَ : أَعْطَى اللَّهُ عَهْدًا إِنْ عَاوَدْتُ ! وَمَا مَعْنَى التَّحْمِيدِ هُنَا ؟ كَأَنَّكَ تُعَلِّمُنَا أَنَا قَدْ شَبَعْنَا . ثُمَّ مَالَ إِلَى الدَّوَاةِ وَالْقِرطَاسِ ، وَكَتَبَ ارْتِجَالًا :

وَحَمْدُ اللَّهِ يَحْسُنُ كُلَّ وَقْتٍ وَلَسِكِنْ لَيْسَ فِي أَوَّلَى الطَّعَامِ
لَأَنَّكَ تُحْسِنُ الْأَضْيَافَ فِيهِ وَتَأْمُرُهُمْ بِإِسْرَاعِ الْقِيَامِ
وَتُؤْذِنُهُمْ ، وَمَا شَبِعُوا ، بِشَبَعٍ وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْكَرَامِ

وَكُتِبَ الْمَرْيَمِي إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ وَقَدْ تَرَكَ النَّبِيذَ :

إِنْ كُنْتَ تُبْتَ عَنْ الصَّهْبَاءِ تَشْرِبُهَا نُسْكًَا فَمَا تُبْتَ عَنْ بَرٍّ وَإِحْسَانٍ
تُبُّ رَاشِدًا ، وَاسْقِنَا مِنْهَا ، وَإِنْ عَذَلُوا فِيمَا فَعَلْتَ نَقْلُ مَا تَابَ إِخْوَانِي
وَقَالَ بَعْضُ النَّبِيذِيِّينَ ، وَقَدْ تَرَكَ الشَّرْبَ :

تَحَامُونِي لِتَرْكِي شَرْبِ رَاحٍ أَقَمْتُ مَكَانَهَا الْمَاءَ الْقَرَّاحَا
وَمَا انْفَرَدُوا بِهَا دُونِي لِفَضْلِ إِذَا مَا كُنْتُ أَكْثَرَهُمْ مِرَاحَا
وَأَرْفَعُهُمْ عَلَى وَتَرٍ وَصَنَجٍ وَأُظَرِفُهُمْ وَأُظَرِفُهُمْ مِرَاحَا
إِذَا شَقُوا الْجُيُوبَ شَقَّتْ جَنَبِي وَإِنْ صَاحُوا عَلَوْتُهُمْ صِيَاحَا

فَقَرُّ النَّبِيذِيِّينَ

مَا جُحِشَتْ الدُّنْيَا بِأُظَرَفٍ مِنَ النَّبِيذِ ، مَا لِلْعُقَارِ وَالْوَقَارِ . إِنَّمَا الْعِيشُ مَعَ
الطَّيِّشِ ، الرَّاحِ تَرِيقِ سَمِّ الْهَمِّ . النَّبِيذُ سَتْرٌ فَانْظُرْ مَعَ مَنْ تَهْتَكُهُ . اشْرَبِ
النَّبِيذَ مَا اسْتَبَشَعْتَهُ ، فَإِذَا اسْتَطَبَّتْهُ فَدَعَهُ . لَوْلَا أَنَّ الْخَمُورَ يَعْلَمُ قِصَّتَهُ لَقَدَّمَ وَصِيَّتَهُ .
الصَّاحِي بَيْنَ السَّكَارَى كَالْحَيِّ بَيْنَ الْمَوْتَى : يَضْحَكُ مِنْ عَقْلِهِمْ ، وَيَأْكُلُ مِنْ
نَقْلِهِمْ . أَحَقُّ مَا يَكُونُ السَّكَرَانُ إِذَا تَعَاوَلَا . التَّبَذْلُ عَلَى النَّبِيذِ ظَرْفٌ ،
وَالْوَقَارُ عَلَيْهِ سُخْفٌ ، حَدَّ السَّكَرَانِ أَنْ تَقْرُبَ الْمَمُومَ ، وَيُظْهِرَ
السِّرَّ الْمَكْتُومَ .

وقال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب : ما نُصَفْتَهَا ، تَفْخُحْكَ
في وجهك ، وتَعْبِسُ في وَجْهِهَا .

وقال الطائي :

إذا ذاقها ، وهى الحياة ، رأيتها يُعْبَسُ تعبِسَ المقدّم للقتل

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال :

وَأَنْ أَقْطَبَ وَجْهِي حِينَ تَبْسِمُ لِي فَعِنْدَ بَسْطِ الْمَوَالِي يَحْفَظُ الْأَدَبُ

وترك رجل النبيذ ، ف قيل له : لم تركته ، وهو رسول السرور إلى القلب ؟

قال : ولكنه رسولُ بأسٍ يُبْعَثُ إلى الجوفِ فيذهب إلى الرأس .

وقيل لبعضهم : ما أصبكت بالتمر ! فقال : إنها تشرح في يدي بنورها ، وفي قلبي بسرورها

كأنّ الناشيء نظر إلى هذا الكلام فقال :

راحٌ إذا عُلّتِ الأُكفُ كَثُوبُهَا فَكَأَنَّمَا مِنْ دُونِهَا فِي الرَّاحِ^(١)

وَكأَنَّمَا الْكَاسَاتُ مِمَّا حَوْلَهَا مِنْ نَوْرِهَا يَسْبَحْنَ فِي ضَحَضَاحِ^(٢)

لَوْ بُثَّتْ فِي غَسَقِ الظَّلامِ ضِيَاؤُهَا طَلَعَ الْمَسَاءُ بَغْرَةً الْإِصْبَاحِ

نَفَضَتْ عَلَى الْأَجْسَامِ نَاصِعَ لَوْنِهَا وَسَرَتْ بِلَذَّتِهَا إِلَى الْأَرْوَاحِ

البيت الأول كقول البحتری :

يُخْفِي الزَّجَاجَةُ ضَوْءُهَا ، فَكَأَنَّمَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بغيرِ إناء^(٣)

وللناشء في هذا المعنى :

وَمُدَامَةً يَخْفَى النَّهَارُ لِنُورِهَا وَتَذِلُّ أَكْنَافُ الدُّجَا لَضِيائِهَا

صُبَّتْ وَأُخْذِقَ نَوْرُهَا بَرُجَاجِهَا فَكَأَنَّمَا جُعِلَتْ إِنْاءٌ إِنْاءُهَا

وَتُرَى إِذَا صُبَّتْ بَدَتْ فِي كَأْسِهَا مَتَقَاصِرَ الْأَرْجَاءِ عَنْ أَرْجَائِهَا

وَتَكَادُ أَنْ مُزِجَتْ لِرَقَّةِ لَوْنِهَا تَمْتَّازُ عِنْدَ مَزَاجِهَا مِنْ مَائِهَا

صَفراءُ تُضْحِي الشَّمْسُ ، إِنْ قِيسَتْ بِهَا فِي ضَوْئِهَا ، كَاللَّيْلِ ، فِي أَضْوَائِهَا

(١) الراح ، هنا : الكف (م) . (٢) الضحضاح : الماء القليل (م) .

(٣) الذي في الديوان « يخفي الزجاجه لونها » (م) .

وإذا تَصَفَّحْتَ الهَوَاءَ رَأَيْتَهُ كَدَرَ الأَدِيمَةَ عِنْدَ حُسْنِ صِفَائِهَا
تَزْدَادُ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ بَقْدَرٍ مَا نُودِيَ بِهِ الأَيَّامُ مِنْ أَجْزَائِهَا
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ تَوَلَّدَ بُرُئُهَا مِنْ سُفْمِهَا ، وَدَوَائِهَا مِنْ دَائِهَا
وقال :

إِنْ رُمْتَ وَصَفَ الرَّاحِ فَأَتِ بِمَا فِيهَا مِنَ الأَوْصَافِ مِنْ قُرْبِ
هِيَ مَا يَاقُوتٍ ، وَإِنْ مُزِجْتَ فِي كَأْسِهَا بِالْبَارِدِ التَّذَبُّبِ
فَكَانَهَا وَحِبَابُهَا ذَهَبٌ . كَلَّمْتَهُ بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ
ولأهل العصر : الدنيا معشوقةٌ رِيْقُهَا الرَّاحُ . أخذ هذا المعنى من قول ابن
الرومي في صاعد بن مخلد :

فَتَى هَاجَرَ الدُّنْيَا وَحَرَّمَ رِيْقَهَا وَهَلْ رِيْقُهَا إِلَّا الرِّحِيقُ المَوَرَّدُ
وَلَوْ طَمِعْتَ فِي عَطْفِهِ وَوَصَالِهِ أَبَاحَتْهُ مِنْهَا مَرَّ شَفَا لَا يُصَرَّدُ
الْخمرُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالدُّنْيَا ؛ لِاجْتِمَاعِ اللِّذَاتِ وَالْمَرَارَةِ فِيهَا . الْخمرُ مُصْبَاحُ السُّرُورِ ،
وَلَسْكَنُهَا مُفْتَاحُ السُّرُورِ . لِكُلِّ شَيْءٍ سِرٌّ ، وَسِرُّ الرَّاحِ السُّرُورُ . لَا يُطِيبُ المُدَّامُ
الصَّافِي ، إِلَّا مَعَ النَّدِيمِ المُصَافِي .

وَمِنْ أَفْظَاهُمْ فِي صِفَاتِ مَجَالِسِ الأَنْسِ وَآلَاتِ اللِّهْوِ وَذِكْرِ الْخمرِ
مَجْلِسُ رَاحِهِ يَاقُوتٍ ، وَنَوْرُهُ وَرْدٌ ، وَنَارُ نَجْوِهِ ذَهَبٌ ، وَنَرِجْسُهُ دِينَارٌ وَدَرَاهِمٌ ،
يَحْمِلُهُمَا زَبَرْجَدٌ . عِنْدَنَا أُتْرُجُجٌ كَأَنَّهُ مِنْ خَلْقِكَ خُلِقَ ، وَمِنْ شِمَائِلِكَ ^(١) سُرُقٌ ،
وَنَارُ نَجْمٍ كَكُرَاتٍ مِنْ سَفَنٍ ذَهَبَتْ ^(٢) ، أَوْ نَدَى أَبْكَارٍ خُلِقَتْ . مَجْلِسٌ أَخَذَتْ
فِيهِ الأَوْتَارُ تَتَجَاوَبُ ، وَالْأَقْدَاحُ تَتَنَازَبُ . أَعْلَامُ الأَنْسِ خَافِقَةٌ ، وَاللُّسُنُ المَلَاهِي

(١) الشَّائِلُ : السَّجَايَا وَالتَّبَاعُ ، وَاحِدُهَا شِمَالٌ (م) .

(٢) سَفَنٌ : جِلْدُ سَمَكٍ خَشِنٌ يَسْفَنُ بِهِ الخَشَبُ حَتَّى تَذْهَبَ عَنْهُ آثَارُ الْمِرْبَاطَةِ ،

شَبَّهُ مَا يُسَمَّى الْيَوْمَ « سَفْرَةَ » (م) .

ناطقة . ونحن بين بدور ، وكاسات تدور ، وبروق راح ، وشموس أقداح . قد
نشأت عمامة الندد ، على بساط الورد . مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس ،
وقاحت مجامير الأترج ، وفتقت فأرات النارج ، ونطقت ألسن العيدان ،
وقامت خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، وطلعت كواكب الندمان ،
وامتدت سماء الندد . مجلس من رآه حسب الجنان قد اضطفت عيونها ، فجعلت
في قدر من الأرض ، وتختيرت فصوصها ، فنقلت إلى مجلس الأنس واللاهو .
قد فض اللهو ختامه ، ونشر الأنس أعلامه . قد هبت للأنس ريح برقها الراح ،
ومحباها الأقداح ، وعودها الأوتار ، ورياضها الأقمار . قد فرغنا للهو والدهر
عنا في شغل .

جل هذا من قول بعض أهل العصر :

كم جووى مثله رسم مثل ودیم قد طل أنشاء طلل
ولال كلل الخلد بها لعب البين بربات الكلل
حبذا عيش الليالى باللوى لو تجافى الدهر عنا وغفل
إذ فرغنا فيه للهو وقد باتت الأقدار عنا في شغل
وأدرنا ذهباً في لهب كلما أخمده بالماء اشتغل

قد اقتعدنا غارب الأنس ، وجرينا في مئيدان اللهو . عمدنا إلى أقداح
اللهو فأجلناها ، ولما ركب السرور فامتطيناها . قد امتطينا غوارب
السرور بالأقداح . مُدامة تُورد ريح الورد ، وتحكى نار إبراهيم في
اللون والبرد ، ولست أدرى أشقى أم عقيق ، أم رحيق أم حريق . راح
كان الديوك صبت أحداقها فيها . راح كأنما اشتقت من الروح والراحة .

قال ابن الرومی :

والله ما ندرى لإيئة علة يدعونها في الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشى أم لازتياح تديما المراتح

راحٌ كالنارِ والثَّورِ والثَّوْرِ ، أَضْفَى مِنَ الْبَلَّورِ ، وَمِنْ دَمْعِ الْمَهْجُورِ . رُوحٌ
نُورُهَا مِنَ الْكَأْسِ جِسْمٌ ، كَأَنَّهَا شَمْسٌ فِي غِلَالَةِ سَرَابٍ . شَرَابٌ أَكَادُ أَقُولُ :
هُوَ أَضْفَى مِنْ مَوَدَّتِي لَكَ ، وَمِنْ نَعَمِ اللَّهِ عِنْدِي فَيْكِ ، وَأَطْيَبُ مِنْ إِسْعَافِ
الزَّمَانِ بِلِقَائِكَ . مُدَامَةَ قَدْ سَبَكِ الدَّهْرُ تَبَرَّهَا فَصَفَا . كَأَنَّهَا نُورٌ ضَمِيرُهُ
نَارٌ . رَاحٌ كِيَا قُوتُهُ فِي دُرَّةٍ ، أَضْفَى مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ ، وَدَمْعِ الْعَاشِقَةِ الْمَرْهَاءِ ^(١) ،
أَحْسَنُ مِنَ الدُّنْيَا الْمُقْبِلَةِ ، وَالنِّعَمِ الْمَكْمَلَةِ . أَحْسَنُ مِنَ الْعَافِيَةِ فِي الْبَدَنِ ، وَأَطْيَبُ
مِنَ الْحَيَاةِ فِي السَّرُورِ . أَرْقٌ مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا ، وَعَهْدِ الصَّبَا . أَرْقٌ مِنْ دَمْعِ
حُبٍّ ، وَشَكْوَى صَبٍّ . أَرْقٌ مِنْ دَمْعِ الْعَشَّاقِ ، مَرَّتَهَا لَوْعَةُ الْفِرَاقِ .
مُزِجَ نَارِ الرَّاحِ بِنُورِ الْمَاءِ . رَاحٌ كَأَنَّهَا مَعْصُورَةٌ مِنْ وَجْهِ الشَّمْسِ ، فِي
كَأْسٍ كَأَنَّهَا مَخْرُوطَةٌ مِنْ فَلَقَةِ الْبَذْرِ . كَأَنَّهَا مِلءُ الْيَدِ ، وَرِيحُهَا مِلءُ الْبَلَدِ ،
تَصُبُّ عَلَى اللَّيْلِ ثَوْبَ النَّهَارِ ، كَأَنَّهَا فِي الْكَأْسِ مَعْنَى دَقِيقٍ فِي ذَهْنٍ لَطِيفٍ .
كَأَنَّ الرَّاحَ مِنْ خَدِّهِ مَعْصُورَةٌ ، وَمَلَا حَةَ الصُّورَةِ عَلَيْهَا مَعْصُورَةٌ . وَهَذَا مِنْ
قَوْلِ الطَّائِي * كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تَعْصَرُ * وَقَالَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ رَغَبَانَ الْمَلَقَبُ
بِذِيكِ الْجَنِّ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ :

مَعْتَقَةٌ مِنْ كَفِّ ظَنَبِي كَأَنَّمَا تَنَاولَهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَدَارَهَا
تَمَشَّتِ الصَّبِيَاءُ فِي عِظَامِهِمْ ، وَتَرَقَّتْ إِلَى هَامِيهِمْ ، وَمَاسَتْ فِي أُعْطَافِهِمْ ،
وَمَالَتْ بِأَطْرَافِهِمْ . سَارَتْ فِيهِمُ الْكُتُوسُ ، وَنَالَتْ مِنْهُمْ سُورَةُ الْخَنْدَرِيسِ ^(٢) .
شَرِبَتْ عَقُولَهُمْ ، وَمَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ .

وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ ، وَهُوَ أَسْتَاذُ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّانِ :

صِفَةُ الطُّولِ بِلَاغَةُ الْقَدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَا بِنَةَ الْكَرَمِ
تَصِفُ الطُّولَ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا أَفْذُو الْعِيَانِ كَثَابَتِ الْمَلَمِ

(١) مرهء : بيضاء . (٢) الخندريس ، والصهباء : من أسماء الحمرة .

وإذا وصفت الشيء متبعاً لم تخلُ من غلطٍ ومن وهمٍ
وقال :

الكأس أهواها وإن رزأت صفراء مجدها مرانٍ بها
ذخرتُ لآدمَ قبل خلقته فاعذر أخاك فإنه رجلٌ
بُلغَ المعاشِ وقَلَّتْ فضلي^(١) جَلَّتْ عن النظراءِ والمثلِ
فتقدمته بخطوة القَبْلِ مرَّنتُ مَسامِعُه على العَذْلِ

وقال :

قتلَيْتُ بِشُرْبِ عُقَارٍ فتناساها الجديدان حتى
وافترعنا مرة الطعم بها واحتسبنا من رحيق عتيق
لم يُخِفْهَا مِيزْلُ القومِ حتى أو كعِرْقِ السامِ تنشقَّ منه
نشأتُ في حِجْرِ أمِّ الزمانِ هي أنصاف شطور الدَّنانِ
نَزَقُ البكرِ ولين العَوَانِ وشديد كاملٍ في لِيانِ
نَجَمَتْ مثلَ نجومِ السنانِ شُعْبٌ مثلَ انفراجِ البنانِ

وقال :

وخدين لذاتٍ معلل صاحب قال: أُبَغِي المصباحَ، قلتُ له: اتَّيْدُ
يَقْتَاتُ منه فكاهةً ومُزَاحاً حسبي وحسبك ضوءها مصباحاً
كانت له حتى الصباح صباحاً فسكبت منها في الزجاجِ شربةً

وهذا كقوله :

وَحَمَّارٌ أَتَخْتُ عَلَيْهِ لِيلاً وترجم والكرمى في مُقَلَّتِيهِ
قلائصٌ قد تَعَبَنَ من السَّفارِ^(٢) كخمورٍ شكا أَلَمِ الخُمَارِ
وَجَفَنُ اللَّيْلِ مَكْتَحِلٌ بِقَارِ أين لي كيف صرت إلى حريمي

(١) بلغ المعاش : مواد الرزق، واحدها بلغة ، بالضم (م) .

(٢) القلائص : جمع قلوص ، وهي الناقة الفتية ، يريد ألقى عنده عصا السفر ،

وفي الديوان « حططت عليه » وفيه « قدونين » (م) .

فقلت له : تَرَفَّقْ بِي ؛ فَإِنِّي
فَكَانَ جَوَابُهُ أَنْ قَالَ : كَلَّا
وَقَامَ إِلَى الدَّانِ فَسَدَّ فَاهَا
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

مَا زَالَ يَشْرِبُهَا وَتُشْرِبُ عَقْلُهُ
حَتَّى أَتَتْهُ مَتَوَسِّدًا يَمِينِهِ
وَقَالَ الصُّنُوبَرِيُّ وَذَكَرَ شَرِبًا^(١) :

نَازَعْتُهُمْ كَأَسَا تَخَالُ نَسِيمَهَا
شَقَّتْ قِنَاعَ الْفَجْرِ لَمَّا غَادَرَتْ
صَبَغَتْ سَوَادَ دُجَاهِ حَمْرَةَ لَوْنِهَا
وَقَالَ أَبُو الشَّيْصِ :

وَكَأْسَ كَسَا السَّاقِ لَنَا بَعْدَ هَجْعَةٍ
كَأَنَّ أَطْرَادَ الْمَاءِ فِي جَنَابَتِهَا
سَقَانِي بِهَا ، وَاللَّيْلُ قَدْ شَابَ رَأْسُهُ ،
وَقَالَ أَبُو عَدَى الْكَاتِبُ :

لَيْسَ لَهَا حَدٌّ تُحِيطُ بِوَصْفِهِ
وَلَكِنَّهُ كَالْبَرْقِ أَوْ مَضَى مَاضِيًا
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

أَلَا فَاسْقِنِيهَا قَدَمَتْنِي الصَّبْحَ فِي الدُّجَى
فَنَاولْنِي كَأَسًا أَضَاءَتْ بَدَانُهُ
وَلَمَّا أَرَيْنَاهَا الْمَزَاجَ تَسَعَّرَتْ
عُقَارًا كَمَثَلِ النَّارِ حَمْرَاءَ قَرَقَفَا
تَدَفَّقُ يَاقُوتًا وَدُرًّا مُجَوِّفَا
وَحِثَاتِ سَنَاهَا بَارِقًا قَدْ تَكْشَفَا

يطوف بها ظنبي من الإنس شادين
 يقلب طرفاً فاسقاً اللحظ مدنفاً
 عليم بأسرار الحبين حاذق
 بتسليم عينيه إذا ما تخوفاً
 فظل يُناجيني يُقلب طرفه
 بأطيب من نجوى الأمانى والألفاف
 وقال :

ألا عَجَّ على دار السرورِ فسلم
 وقل : ما حَلَّتْ بالعين بعدك لذة
 وقل : أينَ لَذَاتِي وأينَ تَكَلَّمِي؟
 سواكِ ، وإنْ لم تَعْلَمِي ذاك فاعلمي
 وصفراء من صبغ المِزاج برأسها ،
 إذا مَزَجَتْ ، إكليل دُرٍّ منظم
 قطعتُ بها عُمرَ الدُّجى وشرُّبها
 ظلامية الأحشاء نورية الدَّم

[من رسائل بديع الزمان الهمذاني]

كتب أبو الفضل بديع الزمان إلى أبي عدنان بن محمد الضبي^(١) يعزيه عن

بعض أقاربه :

تعمد

إلى أبي عدنان
 محمد الضبي

إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ حوادثه أناخَ بأخرينا
 فقل للشامتين بنا أفيقوا سيمَلَقِي الشامتون كما لقينا

أَحْسَنُ ما في الدهرِ عمومه بالنوائب ، وخصوصه بالرغائب ، فهو يدعُو
 الجفلى^(٢) إذ شاء ، ويخصُّ بالنعمة إذ شاء ، فليفكر الشامت ؛ فإن كان أفلت ، فله
 أن يَشْمَت ، ولينظر الإنسان في الدهر وضروفيه ، والموت وصنوفه ، من فاتحة أمره ،
 إلى خاتمة عمره ؛ هل يجدُ لنفسه ، أثراً في نفسه ؟ أم لتديره ، عوناً على تصويره ،
 أم لعمله ، تقديماً لأمله ، أم لحيله ، تأخيراً لأجله ؛ كلا ، بل هو التبدُّ لم يكن شيئاً
 مذكوراً ؛ خلق مقهوراً ، ورزق مقدوراً ، فهو ينجحاً جبراً ، ويهلك صبراً ،
 وليتأمل المرء كيف كان قبلاً ؛ فإن كان القدم أصلاً ، والوجود فضلاً ، فليعلم

(١) الذي في الرسائل (ص ٢١٢ بيروت) « إلى أبي عامر عدنان بن عامر

الضبي » وفي العبارات قليل من الاختلاف عما هنا (م) .

(٢) الجفلى - بفتح الجيم والفاء واللام - الدعوة العامة التي لا يخص بها واحد

دون آخر ، والدعوة الخاصة يقال لها « النقرى » بفتحات أيضاً (م) .

الموتِ عَدَلًا ؛ فالعاقل من رَقَعَ من جوانب الدهر ماساء بما سرّ، ليذهب ما نفع بما ضرّ ؛ فإن أحبّ ألاّ يحزن فليُنظر يَمَنَةً ، هل يرى إلاّ مِحْنَةً ، ثم ليعطف يَسْرَةً ، هل يرى إلاّ حَسْرَةً ؟ ومثلُ الشيخ الرئيس - أطل الله بقاءه ! - من فِطَنَ لهذه الأسرار ، وعَرَفَ هذه الديار ، فأعدّ لنعيمها صَدْرًا لا يملؤه فرحًا ، ولبؤسها قَلْبًا لا يطيره تَرَحًا ؛ وصحب البرية برأى من يعلم أن للمتعة حدًّا ، وللعارية ردًّا ، ولقد نُعي إلى أبو قبيصة قدس الله رُوحه ، وبرّد ضريحه ، فعُرِضت على آمالي قُعودا ، وأمانى سودًا ، وبكيت ، والسخى جوده بما يملك ، وضحكت ، وشرّ الشدائد ما يضحك ، وعضضت الأصبع حتى أدْمَيْتُهُ ، وذممت الموت حتى تَمَيَّتُهُ ؛ والموتُ أطل الله بقاء الشيخ الرئيس خُطْبُ قد عَظُمَ حتى هان ، وأمرقد خشن حتى لَانَ ، ونُكِرُ قد عَمَّ حتى عَادَ عُرْفًا ؛ والدنيا قد تنسّرت حتى صار الموت أخفّ خطوبها ، وقد خبثت حتى صار أقلّ عيوبها ، ولعل هذا السهم قد صاب آخر ما في كِنَانَتِها ، وأنكأ ما في خَزَانَتِها ، ونحنُ معاشرَ التَّبَعِ نتعلمُ الأدبَ من أخلاقه ، والجَمِيلَ من أفعاله ، فلا نُحْتَمِ على الجَمِيلِ وهو الصبر ، ولا نرغبه في الجَزِيلِ وهو الأجر ؛ فَكَلِّيرَ فِيهِمَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

كتاب منه
لبعض إخوانه

وله إلى بعض إخوانه جوابًا عن كتاب كتبه يهنّيه بمرض أبي بكر الخوارزمي وكانت بينهما مُقَارَعَةٌ ، ومنازعة ، ومنافرة ، ومهاجرة ؛ ولها مجالس مستظرفة قهره البديع فيها وبهره ، وبكته حتى أَسْكَتَهُ ، ليس هذا موضعها ، لكنني أذكر بعد هذه الرسالة بعضَ مكاتبات جرتَ بينهما ؛ إذ كان ما لهما من الابتداء والجواب آخذًا بوَصْلِ الحِكْمَةِ وَفَصْلِ الْخُطَابِ :

الحُرُّ أطل الله بقاءك - لا سيما إذا عرف الدهرَ معرفتي ، ووصف أحواله صفتي - إذا نظر علم أن نَعَمَ الدَّهْرُ ما دامت معدومة فهي أمانى ، وإن وُجِدَتْ فهي عَوَارِي ، وأنَّ مَحَنَ الأيامِ وإن طالّت فستنفد ، وإن لم تُصَبْ فكانَ قَدْ ، فكيف يشمت بالمِحْنَةِ مَنْ لا يَأْمَنُهَا فِي نَفْسِهِ ، ولا يَعُدُّهَا فِي جِنْسِهِ ، والشامت

إِنْ أَفْلَتَ فَلَيْسَ يَفُوتُ ، وَإِنْ لَمْ يَمُتْ فَسَيَمُوتُ ؛ وَمَا أَقْبَحَ الشَّمَاتَةِ ، بَيْنَ أَمِنْ
 الْإِمَامَةِ ، فَكَيْفَ بَيْنَ يَتَوَقَّعُهَا بَعْدَ كُلِّ لَحْظَةٍ ، وَعَقِبَ كُلِّ لَفْظَةٍ ، وَالذَّهْرُ
 غَرْنَانُ طَعْمُهُ الْخِيَارُ^(١) ، وَظَمَانُ شِرْبُهُ الْأَحْرَارُ ، فَهَلْ يَشْمَتُ الْمَرْءُ بِأَنْيَابِ آكِلِهِ ،
 أَمْ يُسَرُّ الْعَاقِلُ بِسِلَاحِ قَاتِلِهِ ؟ وَهَذَا الْفَاضِلُ شَفَاهُ اللَّهُ وَإِنْ ظَاهِرُنَاهُ بِالْعَادَاةِ قَلِيلًا ،
 فَقَدْ بَاطَنَاهُ وَدًّا جَمِيلًا ، وَالْحَرْءُ عِنْدَ الْحَيَّةِ لَا يَصْطَادُ ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْكَرِيمِ يَنْقَادُ ،
 وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الْأَحْقَادُ ، فَلَا تَتَصَوَّرُ حَالَتِي إِلَّا بِصُورَتِهَا مِنْ انْتَوَاجِ
 لَعَلَّتِهِ ، وَالتَّحَزُّنِ لِمَرْضَتِهِ ، وَقَاهُ وَاللَّهُ الْمَكْرُوهَ ، وَوَقَانِي سَمَاعَ الْحَذُورِ فِيهِ ، بِمَنْتِهِ
 وَحَوْلِهِ ، وَلُطْفِهِ وَطَوَّلِهِ .

قال البديع في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي :

أُولَاهُ أَنَا وَطِئْنَا خُرَّاسَانَ ، فَمَا اخْتَرْنَا إِلَّا نَيْسَابُورَ دَارًا ، وَإِلَّا جَوَارَ السَّادَةِ
 جَوَارًا ، لَا جَرَمَ أَنَا حَطَطْنَا بِهَا الرِّجْلَ ، وَمَدَدْنَا عَلَيْهَا الطُّنْبَ ، وَقَدِيمًا كُنَّا
 نَسْمَعُ بِحَدِيثِ هَذَا الْفَاضِلِ فَنَتَشَوَّقُهُ ، وَبِخَبْرِهِ عَلَى الْغَيْبِ فَنَتَعَشِّقُهُ ، وَنَقْدَرُ أَنَا
 إِذَا وَطِئْنَا أَرْضَهُ ، وَوَرَدْنَا بِلَدَهُ ، يَخْرُجُ لَنَا فِي الْعَشِيرَةِ عَنِ الْقَشِيرَةِ ، وَفِي الْمَوَدَّةِ
 عَنِ الْجِلْدَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ كُلُّهُ الْغُرْبَةَ جَمَعْتَنَا ، وَلُحْمَةَ الْأَدَبِ نَظَمْتَنَا ، وَقَدْ قَالَ
 شَاعِرُ الْقَوْمِ غَيْرِ مَدَافِعٍ^(٢) :

أَجَارَتْنَا إِنَّا غُرَبَاءُ هَاهُنَا وَكُلُّ غُرَبٍ لِلْغُرَبِ نَسِيبُ

فَأَخْلَفَ ذَلِكَ الظَّنَّ كُلَّ الْإِخْلَافِ ، وَاخْتَلَفَ ذَلِكَ التَّقْدِيرُ كُلَّ الْإِخْتِلَافِ ،
 وَكَانَ قَدْ اتَّفَقَ عَلَيْنَا فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْعَرَبِ اتِّفَاقٌ ، لَمْ يَوْجِبْهُ اسْتِحْقَاقٌ ، مِنْ بَرَّةِ
 بَرِّوْهَا ، وَفِضَّةِ فُضُوْهَا ، وَذَهَبَ ذَهَبُوا بِهِ ، وَوَرَدْنَا نَيْسَابُورَ بَرَاحَةٍ ، أَتَقَى مِنْ

(١) غرنان : جوعان ، والطعم : المطعوم (م) .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي (م) .

الراحة ، وَكَسَى أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ^(١) ، وَزَى أَوْحَشَ مِنْ طَلْعَةِ الْمَعْلَمِ ، بل
اطلاعة الرقيب ، فما حَلَلْنَا إِلَّا قَصْبَةَ جَوَارِهِ ، وَلَا وَطِئْنَا إِلَّا عَتَبَةَ دَارِهِ ؛ وهذا
بعد رُقْعَةٍ قَدْ مَنَّاها ، وَأَحْوَالِ أَنْسَى نَظْمِنَاها -

ونسخة الرقعة : أَنَا بِقُرْبِ الْأَسْتَاذِ أَطَالُ اللَّهُ بِقَاهُ كَمَا طَرِبَ الْبَشَوَانُ مَالَتْ
بِهِ الْحُمْرُ ، وَمِنْ الْارْتِيَاكِ لِلْقَائِهِ كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بِلَهْلَه الْقَطَرُ ، وَمِنْ الْاِمْتِزَاجِ بَوْلَانِهِ
كَمَا التَقَتِ الْقَهْمَبَاءُ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ ، وَمِنْ الْاِبْتِهَاجِ لِمَزَارِهِ كَمَا اهْتَزَتْ تَحْتَ الْبَارِحِ
الْعُصْنُ الرَطْبُ ، فَكَيْفَ نَشَاطُ الْأَسْتَاذِ سِيدِي لِصَدِيقٍ طَرَأَ إِلَيْهِ مِمَّا يَبِينُ
قَصَبَتِي الْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ ، بَلْ عَتَبَتِي نَيْسَابُورَ وَجَرَجَانَ ؟ وَكَيْفَ اهْتَزَا زَهْ لَصَيْفٍ :
رَثَ الشَّمَائِلِ مُخْلَقِ الْأَنْوَابِ بَكَرَتْ عَلَيْهِ مُعْيِرَةُ الْأَعْرَابِ
وَهُوَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ ! - وَلِيَّ إِنْعَامِهِ ، بِإِنْفَازِ غُلَامِهِ ، إِلَى مُسْتَقَرِّي ، لِأَفْضَى إِلَيْهِ
بِمَا عِنْدِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -

فَلَمَّا أَخَذْتَنَا عَيْنُهُ سَقَانَا الدُّرْدِيَّ مِنْ أَوَّلِ دَنِّهِ ، وَأَجْنَانَا سُوءَ
الْعِشْرَةِ مِنْ بَا كُورَةِ فَتْنِهِ ، مِنْ طَرَفٍ نَظَرَ بِشَطْرِهِ ، وَقِيَامٍ دَفَعَ فِي صَدْرِهِ ،
وَصَدِيقٍ اسْتَهَانَ بِقَدْرِهِ ، وَضَيْفٍ اسْتَخَفَّ بِأَمْرِهِ ؛ لَكِنَّا أَقْطَعْنَاهُ جَانِبَ
أَخْلَاقِهِ ، وَوَلَّيْنَاهُ خُطَّةَ نِفَاقِهِ ؛ فَوَاصِلْنَاهُ إِذْ جَانِبَ ، وَقَارَبْنَاهُ إِذْ جَاذِبَ ،
وَشَرَبْنَاهُ عَلَى كُدُورَتِهِ ، وَلَبَسْنَاهُ عَلَى خُسُوفَتِهِ ، وَرَدَدْنَاهُ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ إِلَى زِيَّ
اسْتَفْتَاهُ ، وَلِبَاسِ اسْتَرْثَاهُ ، وَكَاتِبْنَاهُ نَسْتَمِدُّ وَدَادَهُ ، وَنَسْتَلِينَ قِيَادَهُ ، وَنُقِيمُ مُنَادَاهُ ،
بِمَا هَذِهِ نَسَخْتُهُ :

الْأَسْتَاذُ أَبُو بَكْرٍ ، وَاللَّهُ يَطِيلُ بَقَاؤُهُ ، أَزَرَى بِضَيْفِهِ أَنْ وَجَدَهُ يَضْرِبُ إِلَيْهِ
آبَاطَ الْقَلَّةِ ، فِي أَطَارِ الْغُرْبَةِ ، فَأَعْمَلَ فِي رُتْبَتِهِ أَعْمَالَ الْمَصَارِفَةِ ، وَفِي الْاِهْتِزَازِ
إِلَيْهِ أَصْنَافَ الْمَضَايِقَةِ ، مِنْ إِيْمَاءِ بِنِصْفِ الطَّرْفِ ، وَإِشَارَةِ بِشَطْرِ السَّكْفِ ،

(١) الْحِمَارُ هُنَا يُقَالُ : هُوَ الْحَيَوَانُ الْمَعْرُوفُ ، وَخَلُو جَوْفِهِ كُنْيَاةٌ عَنْ كَوْنِهِ لَا
يَنْتَفِعُ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَقِيلَ : الْحِمَارُ رَجُلٌ مِنْ عَادَ ، وَجَوْفُهُ : وَادٌ كَانَ يَحْمِلُهُ وَكَانَ ذَا مَاءٍ
وَشَجَرٍ ، فَكَفَرَ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ وَأَقْفَرَ وَادِيَهُ (م) .

ودفع في صدر القيام عن التمام ، ومضغ للسلام ، وتكلف لرد السلام ؛ وقد قبلت ترتيبه صغراً ، واحتملته وزراً ، واحتضنته نكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آله عذراً ؛ فإن المرة بالمال وثياب الجلال ، ولست مع هذه الحال وفي الاسمال ، أتقرز من صف النعال ، فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت : إن بوادي ناسا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناسا يجرّون المطارف ، ولا يمنعون المعارف ؛ وفيهم مقامات حسان وجوههم وأنديّة يَنتابُها القولُ والفعلُ

فلو طوّحت بأبي بكر - أيده الله - إليهم مطارحُ الغربة ، لوجد منزل البشر رحيبا ، ومحطّ الرّخل قريبا ، ووجه المضيف خصبيا ؛ فرأى الأستاذ أبي بكر أيده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ودّ ، والمرّ الذي يتلوّه شهّد ، موفقٌ إن شاء الله .

فأجاب بما نسخته : وصلت رُقعة سيدي ورئيسي أطال الله بقاءه إلى آخر السكّابج^(١) ، وعرفت ما تضمّنه من خشنِ خطابه ، ومؤلمِ عتابه ، وصرفت ذلك منه إلى الضّجرة التي لا يخلو منها من مسّه عُسر أو نَبأ به دهر ؛ والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه ، ومظنة مشتكى مافي نفسه ، أما ماشكاه سيدي ورئيسي من مضايقتي إياه في القيام ، فقد وفيته حقّه - أيده الله - سلاما وقياما ، على قدرٍ ماقدّرت عليه ، ووصلت إليه ، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات [العلوي] أدام الله عزه ، وما كنت لأرفع أحداً على من أبوه الرسول ، وأُمّه البتول ، وشاهداه التوراة والإنجيل ، وناصراه التأويل والتنزيل ، والبشير به جبريل وميكائيل ؛ فأما القوم الذين صدر عنهم سيدي فكما وصف : حسن عشرة ، وسداد طريقة ، وجمال تفصيل وجملة ، ولقد جاوَزْتُهُمْ فأحمدت المراد ، ونلت المراد :

(١) السكّابج : طعام يتخذ من اللحم والخل والمرق . والمراد هنا ألوان العتاب الذي قدمه (م) .

فإن كنت قد فارقت نجداً وأهله فما عهد نجدٍ عندنا بديمٍ
والله يعلم نيتي الأحرار^(١) كافة، ولسيدي من بينهم خاصة؛ فإن أعانتى الدهرُ
على ما في نفسي بلغتُ له ما في النية، وجاوزتُ به مسافةَ القدرِ والأمنية، وإن
قطع على طريقِ عزمي بالمعارضة، وسوء المناقضة، صرفتُ عنائي عن طريق
الاختيار، بيد الاضطرار.

فما النفسُ إلّا نطفة بقرارةٍ إذا لم تُكدرْ كان صفواً غديرها^(٢)
وبعد، فخبذا عتابُ سيدي إذا استوجبتنا عتاباً، واقتربنا ذنباً؛ فاما أن
يسلفنا العربةَ فنحن نضوئه عز ذلك، ونضوون أنفسنا عن احتماله، واست
أسومه أن يقول: (استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين)، ولكن أسأله أن
يقول: (لا تتريبَ عليكم اليومَ يغفر الله لكم وهو أرحمُ الراحمين).
فحين وردَ الجواب وعينُ العذرِ رَمِدَ تركناه بعُره، وطويناه على غره،
وعمدنا إلى ذِكْرِهِ فسحونا، ومن صحيفتنا محوناه، وصيرنا إلى اسمه فأخذناه
وبذناه، وتنكبنا خطته، وتجنبنا خطته^(٣)، فلا طرنا إليه، ولا صيرنا به، ومضى
على ذلك الأسبوع، ودبت الأيام، ودرجت الليالي، وتناولت المدّة، وتصرّم
الشهرُ، وصيرنا لانبغيرُ الأسماعِ ذِكْرَهُ، ولا نودعُ الصدورَ حديثه؛ وجعل
هذا الفاضل يستزيد، ويستعيد، بالفاظ تقطعها الأسماع من لسانه، وتؤديها إلى،
وكلمات تحفظها الألسنة من فمه، وتعيدها على؛ فكاتبناه بما هذه نسخته:

أنا أريدُ من الأستاذ سيدي - أطال الله بقاءه - شريعةَ ودّه وإن لم تصفُ،
وألبسُ خلعة برّه وإن لم تصفُ، وقصاراى أن أكيه صاعاً عن مدٍّ؛ فأني وإن
كنتُ في الأدب دعيّ النسب، ضيق المضطرب، سيء المقلب، أمت إلى
عشرة أهله بنية، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة، ولكن بقي أن يكون
الخليطُ منصفاً في الوداد، إذا زرت زاراً، وإن عدتُ عاد، وسيدي - أبقاه الله -

(١) في الرسائل (ص ٣٤ بيروت) «للاخوان كافة» (م).

(٢) في الرسائل «كان صفواً بمعناها» (م). (٣) في الرسائل «وتجنبنا خطته» (م).

ناقشني في القبول أولاً^(١)، وصارماني في الإقبال آخرًا ؛ فأما حديث الاستقبال، وأمر الإنزال والأنزال^(٢)، فنطاق الطمع ضيق عنه ، غير متسع لتوقعه منه ، وبعد فكلفة الفضل بينة ، وفروض الود متعينة، وأرض العشرة ليثة ، وطرقها هيثة ، فلم اختار قعود التعالى مركبا ، وصعود النغالي مذهبا ؛ وهلا زاد الطير عن شجر العشرة ، وذاق الحلو من ثمرها ؛ فقد علم الله أن شوقي إليه قد قدَّ الفؤاد برحاً إلى برح، ونكاه قرحاً إلى قرح، ولكنها مرة مرة ، ونفس حرة ، لم تقد إلا بالإعظام، ولم تلق إلا بالجلال والإكرام، وإذا استعفاني من معاتبته ، فأغنى نفسه من كلف الفضل يتجشما ، فليس إلا غصص الشوق أنجرعها، وحل الصبر أتدرعها، ولم أعره من نفسي ، وأنا لو أعرت جناحي طائر لما طرت إلا إليه ، ولا وقعت إلا عليه :

أحبك يا شمسَ النهار وبدره وإن لأمنى فيك السها والفرأقد
وذاك لأن الفضلَ عندك باهر وليس لأن العيشَ عندك بارد
فلما وردت عليه الرقعة حشد تلاميذه وخدمه ، وجشم للإيجاب قدمه^(٣) ، وطلع علينا مع الفجر طلوعه ، ونظمتنا حاشيتا دار الأمير أبي الطيب ؛ فقلنا :
الآن تشرق الحشمة وتنور ، ونوجد في العشرة ونفور ، وقصدناه شاكرين
لما أتاه ، وانتظرنا عادة برّه ، وتوقعنا مادة فضله ؛ فكان خلبا شمناه ، وآلا
وردناه^(٤) ، وصرفنا في تأخره وتأخرنا عنه إلى ما قاله ابن المعتز :

إنّا على البعاد والتفرق كنلتقي بالذكري إن لم نلتق
وأنشدنا قول ابن عسرى^(٥) :

أحبك في البتول وفي أبيها ولكني أحببك من بعيد

-
- (١) في الرسائل « ناقشني في الحساب القبول أولاً وصارماني في الإقبال ثانياً » (م) .
(٢) الإنزال - بكسر الهمزة - مصدر أنزله ، والأنزال - بالفتح - جمع نزل ، وهو ما يقدم للضيف (م) . (٣) في الرسائل « وجشم الإيجاب قدمه » (م) .
(٤) الخلب - بزنة سكر - البرق الذي لا يعقبه مطر ، والآل : السراب (م) .
(٥) في الرسائل ذكر بعد هذه العبارة البيتين السابقين اللذين أولهما « أحبك

وبقينا نلتقي خيالا ، ونقنع بالذكر وصلا ، حتى جعلت عواصفه تهب ،
وعقار به تدب .

والجلس طويل تجداً .

قلت : إن كنت خرجتُ نطول هذا الكلام عن ضبط الشرط ، فلعل على
أسماع فيه لفضله ، وعدم مثله ، وهو وإن كان في باب الاتصال ، فهو بتقدير
الانفصال ، لقيام بكل رسالة بذاتها ، وانفرادها بصفاتها .

وكتب إلى رئيس هرة عدنان بن محمد يصف ما جرى بينه وبين الخوارزمي :
كتاب منه لرئيس هرة
ما ألوم هذا الفاضل على بساط شر طواه ، وموقد حرب اجتواه ، ولكني
ألومه على مانواه ؛ ثم لم يتبع هواه ، ورامه ، ثم لم يبلغ آثامه ، وأقول : قد ضرب
فأين الإجماع ؟ وأنذر فأين الإيقاع ؟ وهذه بوارقه ، فأين صواقعه ؟ وذلك وعيده ،
فأين عديده ؟ وتلك بنوده ، فأين جنوده ؟ وأنشد :

* هذى معاهده فأين عهوده ؟ *

وما أهول رعدَه ، لو أمطر بعده ! اللهم لا كفران ، ولعن الله الشيطان ،
فإنه أشفق لغريب أن يُظهِر عوارَه ، وإن طار طواره ^(١) ، وإن كان قصد هذا
القصد فقد أساء إلى نفسه من حيث أحسن إلى ، وأجحف بفضله من حيث أبقى
على ، وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه ، والأسد أن يرؤضه ، وشجعتني
على لقائه ، بعد ما برعني ^(٢) بإيمائه ، فبينما كنت أنشد :

* إن جنبي على الفراش لناب *

إذ أنشدت :

* طاب كيلى وطاب فيه شرابي *

(١) العوار - بزنة سحاب - العيب ، والطوار - بزنة سحاب أيضاً - الحوم
حول الشيء . (٢) برعنى : غلبنى ، والإيماء : الإشارة .

وبينا أنا أقول :

* ما قلبي كأنه ليس منى *

إذ قلت :

* أين من كلن موعداً إلى باني *

فلو أن هذا الفاضل قضى حقنا بالزيارة عند قدومنا أو الاستزارة ، لكان في الضرب أحسن ، وفي طريق المعاشرة أذهب . لا ، ولكنه وعد بالمباراة أولاً ، وهددنا بالمسائل ثانياً ، وأخلف بالتخلف ثالثاً ؛ فأبديع وجدى إليه ، وأعرض شوقى عليه ، وقل له إن كنت ندمت على النضال ، فلا تندم على الإفضال ، فإن طويتناحيث الجهاد ، قانشرناحيث الوداد ، وإن لم تلقنا في باب المكاشرة ، فأتنا من باب المعاشرة . وله إلى الإمام أبي الطيب سهل بن محمد : قد كان الشيخ يعِدُّنى عن هذه الحضرة عداتٍ أشمَّ لها الأنف ، لا ذهاباً بتلك القواضل عنها ، اكُن استحالةً من هذا الزمان أن يجودَ بها ؛ فحين أسرفتُ على الحضرة ماجتُ إلى أمواج الشرف منها ، وخلص إلى نسيم الكرم عنها ، وأتحفنى على رسم الإجلال بمركوب شامخ ، ومركب ذهب سابغ ، وجنيب^(١) شرف زائد ؛ وسرت بحمد الله مخفوفاً بأعيان الكتّاب ، وعيون الرجال ، حتى شافهت بساط العزّ ، مستقبلاً ملك الشرق أدام الله علوه ، فحذب بضبعى عن أرض الخدمة ، إلى جوارى ولّى النعمة ، حرس الله مكانه ، فاهتز اهتزازات سمة الإكرام ، وتجاوز اسم الإعظام إلى القيام ، فقبلت من يمينه مفتاح الأرزاق ، وفتّاح الآفاق ، ولحقت منه بقباب العقاب^(٢) ، وخاطبني بمخاطبات نشدتُ بها ضالّة الكرام ، وهلمّ جراً إلى ماتبعها من جميل الإنزال ، وسنّى الأجزال^(٣) .

كتاب منه
للإمام سهل
ابن محمد

(١) أصل الجنيب : الفرس تجنبه مع الذى تركبه لتركه إذا تعب المركوب ، وفي الرسائل « وحين شرف زائد » (م) .

(٢) قاب العقاب : هو يبيضه الذى يضرب به المثل فى عزة المنال .

(٣) الأجزال : النعم الجزيلة ، وسنها : شريفها ، وانظر ص ٤٨٠ هامشة ٢ .

وطرأت من الشيخ العميد على شَخْصٍ يَسْعُهُ الخاتم ، ولا يَسْعُهُ العالم ، ويهتزُّ
عند المكارم كالغصن ، ويثبت عند الشدائد كالركن ، وسلطانٍ يحلم حلمَ السيفِ
مُعَمَّداً ، ويغضب مجرّداً ، فهو عند الكرم لَيِّنٌ كَصَفْحَتِهِ ، وعند السياسة خَشِنٌ
كشَفَرَتِهِ ، وملك يَأْتِي الكرم نيةً ، والفضل سجيةً ، ويفعل الشرَّ كلفةً
أو خطيئةً ، فهو ضرور بالآلاته ، نفوع بذاته ، عطارد قلعه ودَوَاتِهِ ، والريح
سَيِّفُهُ وفَنَاتُهُ ؛ عَيْبُهُ أَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ ، فيصرف عَيْنَ الكمال عن معاليه .

وصادفت من الشيخ الموفق أَيْدَهُ اللهُ ملكاً يُشَاهِدُ عِيَاناً ، وجيلاً قد سُمِّيَ
إنساناً ، وحسناً قد مُلِيَ إحساناً ، وأسداً قد لُقِّبَ سلطاناً ، وبجراً قد أُمسِكَ
عِناً ، وحطَّطَتْ رَحْلِي بفناء الأمير الفاضل أبي جعفر أدام الله عزَّه ، فوجدت
حكماً في ماله أُنْفَذَ من حكمه ، وقَسَمِي من غِنَاهُ أَوْفَرَ من قَسَمِهِ ، واسْمِي في
ذاتِ يده مقدِّماً على اسمِهِ ، ويَدِي إلى خزانته أَسْرَعَ من يَدِهِ ، وإن قصدت أن أفرِدَ
الكلَّ مدحاً ، وأعبر الجملة شرحاً ، أطلت ، فهُلْ جَرَّأ إلى ما افتتحت الكتاب لأجله .
ورد للخوارزمي كتاب يتقلب فيه على جنبِ الحرد ، ويتقلَّى على جمر الضجَرِ ،
يتأوّه من نحر الخجل ، ويتعشَّرُ في أذْيَالِ السكَلِ ، ويذكر أن الخاصة قد
لهمت لأينا كان ^(١) الفلج ، فقلت : است البائن أعلم ، والخوارزمي أعرف ، والأخبار
لمتظاهرة [أعدل ، والآثار الظاهرة] أصدق ، وحلّة السباق أحكم ، وما مضى
بيننا أشهد ، والعودُ إن نشِطَ أحمد ، ومتى استزاد زدنا ، وإن عادت العقرب
عدنا ، وله عندى إذا ما شاء ، كلُّ ما شاء !

وهي طويلة فيها هنات ضنّت الكتاب عنها ، وقد أعاد البديع معنى قوله في
صدر حكايته مع الخوارزمي ، فقال في رقعة كتبها إلى سعيد الإسماعيلي ، وقد
وقفت به الضرورة على تلك الصورة من سلب العرب ماله :

كتابي ، بل رُقْعَتِي ، أطال الله بقاء الشيخ ، وقد بكرت على مُغِيرَةٍ
كتاب منه للإسماعيلي

الأعراب، كهلhel، وربيعة بن مُكَدَّم، وعتيبة بن الحارث بن هشام، وأنا أحمد الله إلى الشيخ الفاضل، وأدثم الدهر؛ فما ترك لي من فضّه إلا قَصَّها، ولا ذهب إلا ذهب به، ولا علق إلا علقه^(١)، ولا عقار إلا عقره، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا مال إلا مال إليه، ولا سبد إلا استبد به، ولا لبد إلا لبد فيه، ولا بزّة إلا بزّها^(٢)، ولا عارية إلا ارتجعها، ولا ودّيعه إلا انتزعها، ولا خِلعة إلا خلعها، وأنا داخل نيسابور ولا حلية إلا جلدة، ولا بُرْد إلا القشرة، والله ولي الخلف يعجّله، والفرج يسهّله، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وليس البديع بأبى عذرة هـ هذا الخطاب، وسترى نظير هذا المعنى في هذا الكتاب.

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح الإسكندري

قال : حدّثنى عيسى بن هشام قال : كنت في بعض بلاد بني فزارة مرتحلاً نجية، وقائداً جنّيبية، يسبحان سبّحاً، وأنا أهيّم بالوطن، فلا الليل يثنيني بوعيده، ولا البعد يذني بيديده، وظللت أخبط ورق النهار، بعصا التسيار، وأخوض بطن الليل، بحوافر الخيل، فبينما أنا في ليلة يضل بها الغطاء^(٤)، ولا يُنصر بها الوطواط، أسبح ولا سانح إلا السبع، ولا بارح إلا الضبع، إذ عن لي راكب تامّ الآلات، يطوى منشور القلوات، فأخذني منه ما يأخذ الأغزل من شاكي السلاح، لسكنى تجلّدت فقلت : أرضك لا أم لك ! فدونك شرط الحداد، وخرط القتاد، وخضمّ ضخم، وحمية أزدية، وأنا سلم إن شئت، وحرّب إن أردت، من أنت ؟ قال : سلماً أصبت، قلت : خيراً أجبته، قلت : فمن أنت ؟ قال : نصيح إن شاورت، فصيح إن حاورت، ودون اسمي

لقامة الفزارية
للبديع

(١) العلق - بالكسر - الشيء النفيس الذي يضمن به، وعلقه : أي أخذه (م)

(٢) بزّها : سلبها وغلب عليها (م) (٣) الذي في المقامات «ولا البعد يذني بيديده» (م)

(٤) الغطاء - بزّة سحاب - القطا، وهو مضرب المثل في الهداية .

لِثَامٍ ، لَا تُمِيطُهُ الْأَعْلَامُ . قلت : فما الطُّعْمَةُ ؟ قال : أَجُوبُ جُيُوبَ الْبِلَادِ ،
 حَتَّى أَقْعَ عَلَى جَفَنَةِ جَوَادٍ ، وَلِي فَوَادٍ يَخْدُمُهُ لِسَانٌ ، وَبَيَانٌ يَرْقُوهَ بَنَانٌ ،
 وَقَصَارَايَ كَرِيمٌ يُنْفِضُ إِلَى حَقِيبَتِهِ ، وَيُخَفِّفُ لِي جَنَابَتِهِ ، كَابِنُ حُرَّةٍ طَلَعَ إِلَى
 بِالْأَمْسِ ، طُلُوعِ الشَّمْسِ ^(١) ، وَغَرَبَ عَنِّي بَغْرُوبُهَا ؛ لَكِنَّهُ غَابَ وَلَمْ يَغِيبْ تَذْكَارُهُ ،
 وَوَدَّعَ وَشَيَّعَتْنِي آثَارُهُ ، وَلَا يَنْبُكُ عَنْهَا أَقْرَبُ مِنْهَا ، وَأَوْمَأَ إِلَى مَا كَانَ يَلْبَسُهُ ،
 فَقُلْتُ : شَحَازَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَخَازُ ، لَهُ فِي الصَّنْعَةِ نَفَازٌ ، بَلْ هُوَ فِيهَا أَسْتَازُ ،
 وَلَا بَدَأَ أَنْ تَرَشَّحَ لَهُ وَتَسِحَّ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : يَا فَتَى ، قَدْ أَجَلَيْتَ عِبَارَتَكَ ، فَأَيْنَ
 شَعْرُكَ مِنْ كَلَامِكَ ؟ فَقَالَ : وَأَيْنَ كَلَامِي مِنْ شِعْرِي ! ثُمَّ اسْتَمَدَّ غَرِيزَتَهُ ، وَرَفَعَ
 عَقِيرَتَهُ ، بِصَوْتٍ مَلَأَ الْوَادِي ، وَأَنشَأَ يَقُولُ :

وَأَرْوَعَ أَهْدَاهُ لِي اللَّيْلُ وَالْفَلَا وَخَمَسُ تَمَسُّ الْأَرْضُ لَكِنْ كَلَا وَلَا ^(٢)
 عَرَضْتُ عَلَى نَارِ الْمَكَارِمِ عُودَهُ فَكَانَ مُعَمًّا فِي السَّوَابِقِ مُخُولَا
 وَخَادَعْتُهُ عَنْ مَالِهِ فَخَدَعْتُهُ وَسَاهَلْتُهُ فِي بَرِّهِ فَتَسَهَّلَا
 وَلَمَّا تَجَالَيْنَا وَأَحْمَدَ مَنْطِقِي بَلَانِي فِي نَظْمِ الْقَرِيضِ بِمَا بَلَا ^(٣)
 فَمَا هَزَّ إِلَّا صَارِمًا حِينَ هَزَّنِي وَلَمْ يَلْقَنِي إِلَّا إِلَى السَّبْقِ أَوَّلَا
 فَلَمْ أَرَهُ إِلَّا أَغْرَّ مُحَجَّبًا وَمَا تَحْتَمُّهُ إِلَّا أَغْرَّ مُحَجَّلَا

فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ يَا فَتَى ، وَلَكَ مِمَّا يَصْحَبُنِي حَكْمُكَ . فَقَالَ : الْجَنَابَةُ ،
 قُلْتُ : إِنَّ ^(٤) وَمَا عَلَيْهَا . ثُمَّ قَبَضْتُ بِجُمُعِي عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَهْمَهَا
 لَمَسَا ، وَشَقَّهَا مِنْ وَاحِدَةِ خَمْسَا ، لَا تُزَايِلُنَا أَوْ تَعْلَمَ عِلْمُكَ ، لَخَذَرِ لَثَامِهِ عَنْ وَجْهِهِ ،
 فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ قُلْتُ :
 تَوَشَّحْتَ أَبَا الْفَتْحِ بِهَذَا السِّيفِ مُخْتَالَا

(١) طُلُوعِ الشَّمْسِ ، هُنَا : مُنْتَصِبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، وَلَيْسَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا ، وَيَدُلُّ
 لَهُ مَا ذَكَرَهُ بَعْدَهُ (م) (٢) كَلَا وَلَا : يَرِيدُ فِي غَايَةِ السَّرْعَةِ كَسَرْعَةِ النَّطْقِ بِلَفْظِ (م)
 (٣) بَلَانِي : اخْتَبَرَنِي (م) (٤) أَنْ ، هُنَا : بِمَعْنَى نَعَمْ .

وما تصنعُ بالسيف إذا لم تك قَتَلا ؟
[فصُعْماً أنتَ حليت به سيفك خلخالاً]

[من طرف الأدب]

وعلى ذكر قوله : « إن وما عليها » ال أبو عبيدة : وفَدَّ عبدُ الله بن الزبير
الأسدي على عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن بيني وبينك
رَحَماً من قَبْلِ فلانة الكاهلية ؛ هني أختنا ، وقد ولدتكم ، وأنا ابنُ فلان ؛
فلانة عمتي . فقال ابنُ الزبير : هذا كما ذكرت ، وإن فكرت في هذا أصبت ،
الناسُ كلهم يرجعون إلى أب واحد ، وأم واحدة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ نَفَقَتِي قد دَهَبَتْ . قال : ما كنت ضمنت لأهلك
أنها تكفيك إلى أن تَرَجِعَ إليهم . قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ناقتي قد نَقِبَتْ
وَدَبَرَتْ ^(١) . فقال له : أنجِدْ بها يَبْرُدْ خَفْها ، وارْقَعْها بِسَبْتٍ ، وإخْصِفْها بِهَلْبٍ ^(٢) ،
وسِرْ عليها البريدي . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما جئتُكَ مُسْتَحِملاً ، ولم آتِكَ مُسْتَوْصِفاً ^(٣)
لعن الله ناقةً حملتني إليك . قال ابنُ الزبير : إنَّ وراكِها ! فخرج وهو يقول :
أَرَى الحاجاتِ عند أبي حُبَيْبٍ نَكِذْنَ ، ولا أُمَيَّةَ في البلادِ
من الاعياصِ أو من آلِ حَرْبٍ أغرَّ كغُرَّةِ الفرسِ الجوادِ
ومالٍ حين أقطع ذاتَ عِرْقٍ إلى ابنِ الكاهلية من مَعَادٍ ^(٤)
وقلت لصحبتى أدنوا ركابي أفارقُ بطنَ مَكَّةَ في سَوَادٍ
فبلغ شعره هذا عبد الله بن الزبير ، فقال : لو علم أن لي أمًّا أَحْسَنَ من ^(٥) عمته
الكاهلية لنسبني إليها ، وكان ابنُ الزبير يكنى أبا بكر وأباً حُبَيْبٍ .

(١) نَقِبَتْ : رق خفها ، ودبرت : أصابتها قرحة (م) .

(٢) السَبْت : الجلد المدبوغ ، والهَلْب : الشعر ، أو شعر الخنزير خاصة (م) .

(٣) مُسْتَحِملاً : طالباً أن تحملني بأن تعطيني ركوبة ، ومستَوْصِفاً : أي طالباً

منك أن تصف الدواء (م) . (٤) في كل المطبوعات « من مفاد » تطبيع (م) .

(٥) في كل المطبوعات « أحسن » تطبيع (م) .

بين عبد الله
بن الزبير بن
العوام وشاعر

قال الصولي: أخذ المعتصم من محمد بن عبد الملك الزيات فرساً أشهب أحمر،
كان عنده مكيّنا، وكان به ضنينا، فقال يرثيه

قالوا: جزعت، فقلت: إن مصيبةً جلت يتيها، وضاق المذهب^(١)
قال أبو بكر: هكذا أنشدني ابن المعتز على أن (إن) بمعنى نعم، وأنشد النحويون:
قالوا: كبرت، فقلت: إن، وربما ذكر كبير شابة فتطربا

* * *

كيف العزاه وقد مضى لسبيله
دب الوشاة فباعدوه، وربما
لله يوم غدوت فيه ظاعنا
نفسى مقسمة أقام فريقتها
الآن إذ كملت أدانك كلها
وغدوت طنان الأجام كأنما
وكان سمرجك، إذ علاك غمامة
أنساك؟ لا زالت إذا منسية
أضمرت منك اليأس حين رأيتني
يا صاحبي لمشل ذا من أمره
إن تسعدا فصنيعة مشكورة
عوجا فقولاً: مرحبا، وتزودا
منع الرفاد جوى تضمّنه الحنى

عنا فودعنا الأحم الأشهب
بعد الفى وهو الحبيب الأقرب
وسلّبت فرك، أى علق أسلب؟
ومضى اطيّته فريق يحب
ودعا العيوب إليك حسن معجب
فى كل عضو منك صنع يضرب
وكأنا تحت الغمامة كوكب
نفسى ولا رحت بمثلك تنكب
وقوى حالى من حبالك تقضب
صحب الفى فى دهره من يصحب
أو تحذلا فصنيعة لا تذهب
نظراً وفل لمن تحب المرحب
مم كابدته وهم منصّب

[المزاح]

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية: ما زلت لحكاء تكره المزاح،
وتنهى عنه، فقال: المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب: المزاح
أوله فرح، وآخره ترح. المزاح نقائص السفهاء، كما سعى نقائص الشعراء. والمزاح

(١) تقدير الكلام « فقلت: نعم، هذه مصيبة عظمت رزيتها - إلخ » (م).

يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ ، وَيَنْفَرُ الرَفِيقُ . وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَّاءَ ؛ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ الْمَعَايِرَ .
وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ الْمَرُوءَةَ ، وَيُبْدِي الْخُلْيَ . لَمْ يَجُرَّ الْمَزَاحُ خَيْرًا ، وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
الْغَالِبُ بِالْمَزَاحِ وَاتِرٌ ، وَالْمَغْلُوبُ بِهِ نَائِرٌ . وَالْمَزَاحُ يَجْلِبُ الشَّتْمَ صَغِيرُهُ وَالْحَرْبَ
كَبِيرُهُ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ .

فَقَالَ الْحِجَابُ : حَسْبُكَ ، الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوٍ مَعَهُ قُدْرَةٌ .

وَذَكَرَ الْمَزَاحَ بِحُضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ : يُنْشِقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ
خَالِدِ ابْنِ صَفْوَانَ الْخَرَدَلِ ، وَيُفَرِّغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمَرْجُلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ . ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا
يَبِينُ مَسَاوِيءَ الْمَزَاحِ كُنْتُ أَمْرَحَ !

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ فَقَالَ :

تَلَقَّى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِذْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ : كُنْتُ مَازِحًا وَمُلَاعِبًا هِيَهَاتَ نَارُكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ !
أَوْ مَا عَلِمْتُ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا . أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْفَرُ

لِلْوَرَّاقِ فِي هَذَا
الْمَعْنَى

فَقَرَّ فِي هَذَا النُّجُو لِأَهْلِ الْعَصْرِ وَغَيْرِهِمْ

الْمَزَاحَةُ تَذْهَبُ بِالْمُهَابَةِ ، وَتُورِثُ الضَّغِينَةَ . الْإِفْرَاطُ فِي الْمَزَاحِ مُجُونٌ ، وَالْاِقْتِصَادُ
فِيهِ ظَرْفٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنْهُ نَدَامَةٌ . أَوْ كَدُ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ الْمَرَاءِ وَالْمَزَاحِ .

ابْنُ الْمَعْتَزِ - مَنْ كَثُرَ مَزَاحُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ اسْتِخْفَافٍ بِهِ أَوْ حَقْدٍ عَلَيْهِ .

لَا بِنَ الْعَتَزِ

قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبَةِ : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : عَاقِلٌ ، وَأَحْقَقٌ ، وَفَاجِرٌ ؛ فَالْعَاقِلُ

لَا بِنَ الْقُرَيْبَةِ

الدِّينُ شَرِيعَتُهُ ، وَالْحِلْمُ طَبِيعَتُهُ ، وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ ؛ إِنْ سُئِلَ أَجَابَ ، وَإِنْ

نُطِقَ أَصَابَ ، وَإِنْ سَمِعَ الْعِلْمَ وَعَى ، وَإِنْ حَدَّثَ دَرَى . وَأَمَّا الْأَحْقَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ

عَجِلَ ، وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ ^(١) ، وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ نَزَلَ ، فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ

حَمَلَ . وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنْ ائْتَمَّتْهُ خَانُكَ ، وَإِنْ حَدَّثَتْهُ شَانُكَ ، وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ

يَرْعَكَ ، وَإِنْ اسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمْ ، وَإِنْ عَلَّمَ لَمْ يَعْلَمْ ، وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ ، وَإِنْ فُتِمَ لَمْ يَفْقَهْ .

[الطيرة والزجر]

في التناول
لأبي حية
النمري

قال أبو حية النمري :

جَرَى يَوْمَ رُحْنًا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا سَنِيحٌ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : مَرَّ سَنِيحٌ
فَهَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ فَتَعَيَّفُوا فقلت لهم : جَارِي إِلَى رِيحٍ
عُقَابٌ بِأَعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَمَا نَأَتْ نَائَةً بِالظَّاعِنِ بْنِ طَرِيحٍ
وَقَالُوا : حَمَامَاتٌ ، فَحَسَمَ لِقَاؤَهَا وَطَلَحَ فَنِيلَتِ الْمَطِيُّ طَلِيحُ
وَقَالَ صَحَابِي : هَذِهِ فَوْقَ بَانَةٍ ، هَدَى وَيِيَانٌ بِالنَّجَاحِ يُلُوحُ
وَقَالُوا : دَمٌ ، دَامَتْ مَوَاتِيقُ بَيْنِنَا وَدَامَ لَنَا حُلُوُ الصَّفَاءِ صَرِيحُ
لَعَيْنَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَسْرَعُ وَكَفَا مِنَ الْفَنَنِ الْمَطُورِ وَهُوَ مَرُوحُ
وَنَسُوءِ شَحْشَاحٍ غَيُورٍ يَخْفَنُهُ أَخَى ثَقَةٍ يَلْهُونَ وَهُوَ مُشِيحُ
يَقْلَنَ ، وَمَا يَدْرِينِ أَلَى سَمْعَتُهُ وَهَنَّ بِأَبْوَابِ الْخِيَامِ جُنُوحُ :
أَهَذَا الَّذِي غَنَّى بِسَمَاءٍ مَوْهِنًا أُنَاحَ لَهُ حَسَنَ الْغِنَاءِ مُتِيحُ
إِذَا مَا تَغَنَّى أَنْ مِنْ بَعْدِ زَفَرَةٍ كَمَا أَنَّ مِنْ حَرِّ السَّلَاحِ جَرِيحُ
وَقَائِلَةٍ : يَادَهُمْ وَيَحْكُ ! إِنَّهُ عَلَى مَا بِهِ مِنْ عُنَّةٍ لِلْمَلِيحِ^(١)
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَجْرَحُ الْجِلْدَ قَدْ بَدَا بِجِلْدِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ قُرُوحُ
وهذا من غريب الزجر مليح التناول .

قال أبو العباس محمد بن يزيد : أنشدني أعرابي في قصيدة ذى الرمة التي
لدى الرمة مما ينسب

وَلَهَا :
أَلَا يَا أَسْلَمَى يَادَارْحَى عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَعَائِكَ الْقَطَرُ
يَتَيْنِ لَمْ يَرَوْهَا الرِّوَاءُ فِي دِيْوَانِهِ ، وَهِيَ :
رَأَيْتُ غَرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ قَضْبَةٍ مِنَ الْقَضْبِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَرَقٌ خُضْرُ
فقلت : غَرَابٌ لَا غَرَابَ ، وَقَضْبَةٌ لِقَضْبِ النَّوَى هَذِي الْعِيَافَةُ وَالزَّجَرُ

(١) لعله « على ما به من غنة » فقد وردت في الأما إلى ٦٩/١ « على غنة في صوته »

وقال آخر :

دعا صُرْدٌ يوماً على غُصْنٍ بَانَةٍ وصاح بذات البين منها غُرَابُهَا
فقلت: أَنْصَرِيدُ وشَحَطُ وغُرْبَةٌ؟ فهذا لعمرى نَائِيهَا واغْتَرَابُهَا

وقد أكرثت العرب من ذكر الطيرة ، والزجر ، وكانت تقتدى بذلك
وتجرى على حكمه ، حتى ورى النهى في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
لا عدوى ولا طيرة ، وقد فال الأول :

لعمرك ما تدرى الصَّوَارِبُ بالخصى ولا زاجرات الطَّيْرِ ما الله صانعُ
وقال ضابي بن الحارث البرجمي :

وما عاجلات الطير، تُدْنِي مِنَ الْفَقَى نجاحاً ولا عن رَيْثِنَّ يَحْيَبُ^(١)
ولا خيرَ فيمن لا يوطنُ نفسهُ على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حين تنوبُ
ورُبَّ أمورٍ لا تُضِيرُكَ ضَيْرَةٌ وللقلب من مَخْشَاتِهِنَّ وَجِيبُ
وقال الكميت بن زيد الأسدي :

ولا أنا ممن يَزْجُرُ الطيرَ همهُ أصاح غرابُ أم تعرَّضَ ثعلبُ
ولا السانحات البارحات عشيّةً أمرَ سليمُ القرنِ أم مرَّ أعْضَبُ
وقال شاعر قديم :

لا يَمْنَعُنْكَ مِنْ بُغَا والخيرُ تَعْقَادُ التَّمَائِمِ
ولا التَّشَاوُمُ بِالْعُطَا س ولا التَّيَامُنُ بِالْمَقَائِمِ
فلقد عَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ^(٢)
فَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنَ وَالْأَيَامُنُ كَالْأَشْأَمِ
وكذاك لا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمِ
قَدْ خُطَّ ذَلِكَ فِي الزُّبُو رِ الْأَوَّلِيَّاتِ الْقَدَائِمِ

عادة الجاهلية
والنهي عنها

للكميت
ابن زيد

(١) وقع في نسخة «تدرى من الفقى» و «ولا عن ريثنن نجيب» تحريف (م)

(٢) الواقي : الصرد ، والحاتم : الغراب (م) .

ولقد أحسن ابن كناسة في رثاء ولده يحيى ، أنشده أبو العباس ثعلب : لابن كناسة
 تيممت فيه الفأل حتى رزته ولم أدر أن الفأل فيه يفيْلُ
 فسميته يحيى ليحيا ؛ فلم يكن إلى ردِّ أمر الله فيه سبيلُ
 وروى المدائني قال : خرج كثير من الحجاز يريد مصر ، فلما قرب منها نزل بين كثير
 بمنزل ، فإذا هو بغراب على شجرة بأن ينتف ريشه وينعب ؛ فأسرع الرحيل ،
 ومضى لوجهه ؛ فلقية رجل من بني نهد ، فقال : يا أخا الحجاز ؛ ما لي أراك
 كاسف اللون ؟ قال : ما علمت إلا خيرا ، قال : فهل رأيت في طريقك شيئا
 أنكرته ؟ قال : لا والله إلا في منزلي هذا ، فإني رأيت غرابا ينتف ريشه على
 بانه وينعب . قال : أما إنك تطلب حاجة لا تدركها .

فقدم مصر والناس منصرفون من جنازة عزة ، فقال :

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ بانهٍ يُنتَفُ أعلى ريشه ويطايره
 فقلت - ولو أنى أشاء زجرته بنفسى - للنهدى : هل أنت زاجره ؟
 فقال : غراب لا غراب من النوى وفي البان بين من حبيب تجاوره
 فما أعيف النهدى ، لأدر دَرُّه ! وأزجره للطير ، لا عز ناصره
 ثم أتى قبر عزة فأناخ به ساعة ثم رحل ، وهو يقول :

أقول ونضوى واقفٌ عند رأسها عليك سلامُ الله والعينُ تسفحُ
 فهذا فراق الحق لأن تُزيرنى بلادك فتلاء الذراعين صيدح^(١)
 وقد كنت أبكى من فراقك حية وأنت لعمرى اليوم أنأى وأنزحُ

وقال جرير :

بأن الخليلُ برامتين فودَّعوا أو كَلَمَّا نعبوا لبين تجزعُ
 إن السَّوانح بالصَّحَى هيَجَنى في دار زَيْدَبَ والحمامُ الوقعُ
 لجرير

وقال عوف الراهب خلاف هذا :

لعوف الراهب

غلط الذين رأيتم بجهالة يَلحَوْنَ كلهم غراباً ينَعَقُ

(١) فتلاء الذراعين : قويهما ، وصيدح : فرس شدد الصوت (م) .

ما الذنبُ إِلَّا للأباعر؛ إنها مما بُشِتَّ جميعهم ويفترق
 إنَّ الغرابَ يُمْنِه تَدْنُو النَّوَى وتُشْتَتُّ الشَّمْلَ الجَمِيعَ الأَيْنَتُ
 وقد تبعه في هذا المذهب أبو الشيص فقال :

لأبي الشيص

ما فَرَّقَ الأَحْبَابَ بَعْدَ اللَّهِ إِلَّا الإِبْلُ
 والناسَ يَلْحَوْنَ غُرَا بَ البينَ لَمَّا جَهِلُوا
 وما على ظَهْرٍ غُرَا بَ البينِ تَطْوِي الرِّجْلَ
 ولا إذا صَاحَ غُرَا بٌ في الدِّيارِ احْتَمَلُوا
 وما غَرَابُ البينِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ
 وما أَمْلَحَ ما قالَ القائلُ :

زَعَمُوا بَأْنَ مطيهم عَوْنَ النَّوَى والمؤذِنَاتُ بِفُرْقَةِ الأَحْبَابِ
 وَلَوْ أَنَّهُا خَتَنِي لَمَّا أَبْغَضْتُهَا ولها بهم سَبَبٌ من الأسبابِ

بن الرومي
 كان شديد
 الطيرة

وكان علي بن العباس الرومي مُفْرِطَ الطَّيْرَةِ ، شديد الغلو فيها . قال علي بن
 عبد الله بن المسيب : وكان يحتجُّ لها ، ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 يُحِبُّ الغَال ، وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ ؛ أفتراه كان يتفائلُ بالشئ ، ولا يتطيَّر من ضده ؟
 ويقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ برجل وهو يَرَحُلُ نَاقَةً ويقول ؛
 يا ملعونة ، فقال . لا يَصْحَبُنَا ملعون ، وإن علياً رضى الله عنه كان لا يَغْزُو غَزَاةً
 والقمرُ في العُقْرَب ، ويزعم أن الطيرة موجودة في الطباع قائمة فيها ، وأن بعض
 الناس هي في طباعهم أظهر منها في بعض ، وأن الأكثر في الناس إذا لقي ما يكرهه
 قال : على وجه من أصبحت اليوم ؟ .

فدخل علينا يوم مهرجان سنة ثمان وسبعين وقد أهدى إلى عدة من جواري
 القيان ، وكانت فيهن صبيةٌ حَوَلَاءٌ ، وعجوزٌ في إحدى عينيها نكتة ، فتطيَّر من
 ذلك ، ولم يُظْهِرْ لى أمره ، وأقام باقي يومه ؛ فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لى

من بعض السطوح ، وجفاه القاسم بن عبيد الله ؛ فجعل سبب ذلك المعنيين الغنيتين ،
وكتب إلى :

أيها المتحفي بحولٍ وعُورٍ أين كانت عنك الوجوه الحسنُ
قد لَعَمْرِي رَكِبْتَ أَمْرًا مَهِينًا ساءَ في فيك أيها الخُلَصَانُ
فَتَحَكَّ المهرجان بالحولِ والعُورِ أرانا ما أعقَبَ المهرجانُ
كان من ذاك فقدك ابنتك الحُرَّةُ مصبوغَةٌ بها الأَكْفَانُ
وتجافِي مؤمِلٍ في جَلِيلٍ لَجَّ فيه الجفاه والهجرانُ
وعزِيزٍ على تَقْرِيعِ خَلٍّ لا يُدَانِيهِ عُنْدِي الخُلَانُ
غير أني رأيت إذكاره الحزَمَ وإشعاره شِعَارًا يُصَانُ
لا تهاوَنَ بطيرة أيها النظار واعلم بأنها عُنْوَانُ
قف إذا طيرة تلقَّتك وانظُرْ واستمع ثم ما يقول الزَّمانُ
قلما غاب من أموركَ عَنَّا ن مبین ولزَّمانٍ لِسَانُ
لا تكن بالهوى تكذب بالأخبار حتى تهين مالا يُهَانُ
لا يَقْدُكَ الهوى إلى نصره الأخبارِ حتى يَقْدَمَ البرهانُ
إن عُقْبَى الهوى هُوِيٌّ ، وعُقْبَى طول تلك المهوَّات هَوَانُ
لا تصدق عن النبیین إلَّا بِحديث يُلَوِّحُ فيه البيانُ
خبر الله أنَّ مشامَةً كانت لقومٍ وخبر القرآنُ
أَفْزُورَ الحديثِ تقبل أم ما قاله ذو الجلال والفرقان ؟
أترى من يرى البشيرُ بشيرا يَمْتَرِي في النذير يا وَسْنَانُ
فدع الهزل والتضاحك بالطيرة والنصح مُثْمَنٌ مَجَّانُ

وقد فرَّقَ خُذَّاقُ أهل النظر في المقال ، بين الطيرة والقال ، فقالوا : الطيرة الفرق بين
كانت العرب ترجعُ إلى ما تمضيها ، وتجري على تقضيها ، وكان الذي يهْمُ بهم
إذا ما رأى ما يتطير منه رجع عنه ؛ وفي ذلك ما يصرف عن الإحالة على المقادير

الجارية بيد مُمضِيها، النازلة على حكم قاضيها، والفأل لا يرد المريد عما يريد إنما يُقَوِّى مُنتَهه، وَيَسْرُّ مَهْجَتَه؛ وس هذا موضع تطويل، في إيراد الدليل.

وفي جفاء القاسم بن عبيد الله إياه يقول معاتباً :

من ابن الرومي
للقاسم بن
عبيد الله

ألم ترني أفرضتكَ الودَّ طاعياً ولم تر قبلي مُعسراً قطّ أقرضاً
لعمرى لقد صوّرت أبيض مسرفاً فلم لا تُريني وَجَهَ نَعْمَاك أبيضاً
فيا ويح مولاك استغاث بمسب فأشرق فاستشفى شفاء فأفرضاً^(١)
ولولا اعتقادي أنك الخير كله لأزمنتُ توديعاً، قضى الله ما قضى
وإني وإن دارتْ عليّ دوائر لأعرض عمن صدّ عني وأعرضاً
وما زلت عراًفا إذا الزاد بي بجنبٍ وعيافاً إذا الماء عَرَمَضاً^(٢)
وهذا البيت كقول الآخر

وإني للماء المخالط للقدى

وفي ابنة المسيبي يقول ابن الرومي يعزّيه :

ابن الرومي
يرثي ابنة المسيبي

أخا ثقتي أعزّز عليّ بنسكبة منك بها صرّفُ القضاء المقدّر
صبتْ، وما للمرء من حكمٍ به محيدٌ، وأمر الله أعلى وأقمّر
وقد مات من لا يخلف الدهر مثله عليك من الأسلاف والحقّ يبهّر
تعزيت عن أثمرتك حياته ووَشك التعزّي عن ثمارك أجدر
لأن اختيال الدهر في ابن وفي ابنة يسيرٌ وكرّ الدهر شيخيك أعسر
تعذر أن نعتاض من أمهاتنا وآبائنا، والنسل لا يتعذر

(١) أفرض : شرب من المشرع، والمشرع يسمى الفرضة (م).

(٢) عر مض الماء : خبث وطحلب.

فلا تهلِكُنْ حُزْناً على ابنة جنةٍ مضت وهي عند الله تحيا وتُخَبَّرُ
 لعلَّ الذي أعطاك ستر حياتها كساها من اللِّحْدِ الذي هو أَسْتَرُ
 فكم من أخى حرية قد رأيتُهُ بنارِ ذوى الأَصْهَارِ يَكْوَى وَيُصْهَرُ
 فلا تتهم الله فيها ولايةً ولا نظراً فالله للعبد أنْظُرُ
 وأنتِ وإن أبصرت رشك مرةً فذو النظرِ الأعلى برشدك أبْصُرُ
 ومن مليح تعازيه عن أُنْتَهَ قوله لعلَّ بن يحيى المنجم :

وله يعزى على
 بن يحيى في ابنته

لا تَبْعِدَنَّ كَرِيمَةً أودعتها صِهْرًا من الأَصْهَارِ لا يَخْزِيكَ
 إني لأَرْجُو أن يكونَ صداقُها من جنة الفردوس ما يَرْضِيكَ
 لا تَيَأْسَنَّ لها فقد زَوَّجْتَهَا كَفَوْا وَضَمَّنْتَ الصَّدَاقَ مَلِيكَ

[الرغبة في موت البنات]

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله بن
 عبد الله بن طاهر

لكل أبى بنت يَرْجَى بقاؤها ثلاثة أَصْهَارِ إذا ذُكِرَ الصَّهْرُ
 خِيتَ يَغْطِيهَا، وَبَعْلٌ يَصُونُهَا، وقبر يُوَارِيهَا، وخيرها القَبْرُ
 وقال عقيل بن^(١) علفَةَ وكان أغير العرب .

لعقيل بن علفَة

إني وإن سِيقَ إلى المهرِ ألفٌ وعُبدانٌ وذوْدُ عَشْرُ
 أَحَبُّ أَصْهَارِي إلى القَبْرِ

ومنه أخذ عبيد الله ، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : دخل علينا ابن خلف البهراني فأنشدنا :

لولا أُمَيَّةٌ لم أَجْزَعْ من العدمِ ولم أَجِبْ في الليالي حِنْدِسَ الظلمِ
 وزادني رغبةً في العيش معرفتي أنَّ اليَتِيْمَةَ يَحْفُوها ذَوو الرِّحْمِ
 أحاذِرُ الفقرَ يوماً أن يُلَمَّ بها فيهلك السَّترَ عن لَحْمٍ على وَضْمِ

(١) في المطبوعات «عقيل بن علفمة» تحريف ، وعلفة بوزن سكرة (م) .

تهوى حياتي وأهوى موتها شققا والموت أكرم نزال على الحرم
وكانت أميمة بنت أختها ، وكان قد تبناها ، ثم غابت غيبة ، فسألناه
عنها ، فأنشد :

أُمست أميمة مغموراً بها الرَّجَمُ لدى صعيدٍ عليه الثُّربُ مُرْتَكَمُ
يا شِقةَ النفسِ ، إنَّ النفسَ والهةً حرّى عليك ، ودَمَعَ العينَ مُنْسَجَمُ
قد كنت أخشى عليها أن يؤخرها عن الحِمامِ فيبْذِي وجهها العُدمُ
فالآن نمت فلا همَّ يُورِّقُنِي تَهْداَ العيونُ إذا ما أودَّتَ الحَرَمُ
فالآن نمت ، فلا همَّ يُورِّقُنِي بعد الهدوء ؛ ولا وَجد ولا حُلُمُ
للموت عندى أيادٍ لست أنكرها أحيا سروراً وبى مما أتى ألمُ

[عَوْدٌ إِلَى تَطْيِيرِ ابْنِ الرُّومِيِّ]

بين ابن الرومي وأبي الحسن الأخفش، عاد ذكر ابن الرومي — وكان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام أبي العباس المبرد في عصر ابن الرومي شاباً مترفاً ، ومليحاً مستظرفاً ، وكان يعبث به ، فيأتيه بسحر ؛ فيقرع الباب ، فيقال له : مَنْ ؟ فيقول : قولوا لأبي الحسن مِرَّةً بن حنظلة ، فيتطير لقوله ، ويقيم الأيام لا يخرج من داره ، وذلك كان سبب هجائه إياه ، فمن أول ما عاتبه به :

قولوا لنحوينا أبي حسن إن حسامى متى ضَرَبْتُ مَضَى
وإنَّ نبلى إذا هممت بأنَّ أرْمِي نَصَلْتُهَا بِجَمْرِ غَضَا
لا تحسبنَّ الهجاء يحفل بالرفع ولا خَفَضِ خَافِضِ خَفَضَا
ولا تَحَلْ عودتى ككباديتي سَأَسْمِطُ السَّمَّ من أبي الخَضَا
أعرف في الأشقياء بى رجلا لا يَتَهَيَّى أو يصير لى غَرَضَا
يليح لى صَفْحَةَ السلامة والسلم ويخفى فى قلبه مَرَضَا

أضحى مغيطاً على أن غضب الله عليه ، ونلت منه رضا
 وليس تجدي عليه موعظتي إن قدر الله حينه وقضى
 كأنني بالشقي معتذرا إن القوافي أذقته المصنفا
 ينشدني العهد يوم ذلك والعهد خضاب إذا له قبضا^(١)
 لا يأمنن السفية بأدريتي فإنني عارض لمن عرضا
 عندي له السوط إن تلوم في الـ ير وعندي اللجام إن ركضا^(٢)
 أسمعت إنباضتي أبا حسن والصفح لاشك نصيح من محضا^(٣)
 وهو معافي من السهاد فلا يحمل فيمسي فراشه قضا^(٤)
 أقسمت بالله لا غفرت له إن واحد من عروقه نبضا
 فاعتذر إليه ، وتشفع عنده بجماعة من أهل بغداد - وكان الأخفش أكثر
 الناس إخوانا - فقبل عذره ، ومدحه بقصيدته التي يقول فيها :

ذكر الأخفش القديم قفلنا : إن للأخفش الحديث لفضلا
 وإذا ما حكمت - والروم قومي - في كلام مُعَرَّب كنت عدلا
 أنا بين الخصوم فيه غريب لا أرى الزور للمُحَابَاة أهلا
 ومتى قلت باطلا لم ألقب فيلسوفا ولم أسم هرقلا

الأخفش القديم هو أبو الخطاب ، وكان أستاذ سيبويه ، وهو من المتقدمين
 في النحو ، ويُعرف بالأخفش الكبير ، وكان في عصر سيبويه [أيضا] أبو الحسن
 سعيد بن مسعدة ، وهو الأخفش الصغير ، وهو الذي قال : كان سيبويه يعرض
 ما وضع من النحو على ، ويرى أني أعلم منه ، وكان في وقته ذلك أعلم مني .

(١) في نسخة « وللعهد خضاب أذاله فضا » (م)

(٢) تلوم : تمهل وتمسكت ، وركض : أسرع (م) (٣) إنباضتي : أراد صوتي (م)

(٤) القبض التراب أو صغار الحصى ، والمراد أنه لا يتمكن من النوم (م) .

ثم عاد على بن سليمان إلى أذاه ، واتصل به أن رجلا عرض عليه قصيدة
من شعره فطعن عليها ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

أعتقتُ عبديَّ في القريض معا عبدةَ والفحل من بني عبدة
إن أنا لم أرمِ بالإساءة مَنْ زاعَ عن القصد أو أبى سدة
قلت لمن قال لي عرضت على الـ أخفش ما قلته فـاحـدة
قصرت بالشعر حين تعرضه على مبین العمى إذا انتقده
أنشدته مَنْطقي ليشهده فغاب عنه عَمَى وما شهده
ما بلغت بي الخطوب رتبة مَنْ تفهمُ عنه الكلابُ والقرده
ولا أنا المفهم البهائم والطير سليمانُ قاهرُ المرده
فإن يقل إنني حفظت فكالـ فتر جهلاً بكل ما اعتقده
سأسمع الناسَ ذمَّهُ أبداً ما سَمِعَ اللهُ حمدَ مَنْ حمده

عبدة بن الطيب، وعلقمة بن عبدة الفحل، وكنا شاعرين مجيدين ، وقال علقمة
ابن عبدة لرجل ورأى آخر يعتذرُ إليه وهو معبس في وجهه : إذا اعتذر إليك المعتذر
فتلقه بوجه مُشرق ، و بِشْر مطلق ؛ لينبسط المتذلل ، ويؤمن المتنصل .
ولابن الرومي في الأخفش إخفاش صُدتُ الكتاب عنه :

من آثار تطير قال علي بن إبراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت بداري جالسا فإذا حجارة
ابن الرومي سقطت بالقرب مني ، فبادرتُ هاربا ، وأمرتُ الغلام بالصعود إلى السطح ، والنظر إلى
كل ناحية ؛ من أين تأتينا الحجارة ، فقال : امرأةٌ من دارِ ابن الرومي الشاعر !
قد تشوّفتُ وقالت : اتقوا الله فينا ، واسقونا جرّة من ماء ، وإلا هلكنا ، فقد
مات مَنْ عندنا عطشا .

فتقدمتُ إلى امرأةٍ عندنا ذات عقل ومعرفة أن تصعدَ إليها وتخطبها ،
ففعلتُ وبادرتُ بالجرّة ، وأتبعتهَا شيئا من الماء كقول ؛ ثم عادت إلى فقالت :

ذَكَرَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الْبَابَ عَلَيْهَا مُقْفَلٌ مِنْ ثَلَاثِ بِسْبِ طَيْرَةِ ابْنِ الرُّومِيِّ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْبَسُ ثِيَابَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَتَعَوَّذُ ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْبَابِ ، وَالْمِفْتَاحُ مَعَهُ ،
فَيَضَعُ عَيْنَهُ عَلَى ثَقْبٍ فِي خَشَبِ الْبَابِ ، فَتَقَعُ عَيْنُهُ عَلَى جَارٍ لَهُ كَانَ نَازِلًا بِإِزَائِهِ ،
وَكَانَ أَحَدُ بَاقِي يَوْمٍ عَلَى بَابِهِ ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ رَجَعَ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ ، وَقَالَ :
لَا يَفْتَحُ أَحَدٌ الْبَابَ .

فَعَجِبْتُ لِحَدِيثِهَا ، وَبَعَثْتُ بِخَادِمٍ كَانَ يَعْرِفُهُ ، فَأَمَرْتُهُ بِأَنْ يَجْلِسَ بِإِزَائِهِ
- وَكَانَتِ الْعَيْنُ تَمِيلُ إِلَيْهِ - وَتَقَدَّمْتُ إِلَى بَعْضِ أَعْوَانِي أَنْ يَدْعُوَ الْجَارَ الْأَحَدَ ؛
فَلَمَّا حَضَرَ عِنْدِي أُرْسِلْتُ وَرَاءَ غُلَامِي ؛ لِيَنْهَضَ إِلَى ابْنِ الرُّومِيِّ ، وَيَسْتَدْعِيَهُ الْحُضُورَ ؛
فَإِنِّي لَجَالِسٌ وَمَعِيَ الْأَحَدُ إِذْ وَافَى أَبُو حَذِيفَةَ الطَّرْسُوسِيَّ وَمَعَهُ بَرْدَعَةُ الْمُسُوسُ
صَاحِبُ الْمَعْتَصِدِ ، وَدَخَلَ ابْنُ الرُّومِيِّ ، فَلَمَّا تَخَطَّى عَتَبَةَ بَابِ الصَّخْنِ عَثَرَ فَانْقَطَعَ
شِسْعُهُ تَعْلَهُ ، فَدَخَلَ مَذْعُورًا ؛ وَكَانَ إِذَا فَاجَأَهُ النَّازِرُ رَأَى مِنْهُ مَنْظَرًا يَدُلُّ عَلَى
تَغْيِيرِ حَالٍ ؛ فَدَخَلَ وَهُوَ لَا يَرَى جَارَهُ الْمُنْتَظَّرَ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ،
أَيَكُونُ شَيْءٌ فِي خُرُوجِكَ أَحْسَنَ مِنْ مَخَاطَبَتِكَ لِلْخَادِمِ ، وَنَظَرْتُ إِلَى وَجْهِهِ الْجَمِيلِ ؟
فَقَالَ : وَقَدْ لَحَقَنِي مَا رَأَيْتُ مِنَ الْعَثَرَةِ ، لِأَنِّي فَكَّرْتُ أَنَّ بِهِ عَاهَةً ! وَهِيَ قَطَعَ
اِنْثِيَاءَهُ ، قَالَ بَرْدَعَةُ : وَشَيْخُنَا يَتَطَيَّرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَيُفِرُّطُ ، قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟
قُلْتُ : عَلَى بْنِ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : الشَّاعِرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَأَنشَدَهُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يُؤْذِنُ صَرَفُهُ	بِتَفْرِيقِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبَائِبِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَوَطَّنْتُهَا عَلَى	رُكُوبِ جَمِيلِ الصَّبْرِ عِنْدَ النُّوَابِ
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا عَلَى جَوْرِ حُكْمِهَا	فَأَيَّامُهُ مَحْجُوفَةٌ بِالْمَصَائِبِ
فَخَذَ خُلْسَةً مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَعِيشُهُ	وَكُنْ حَذِرًا مِنْ كَامِنَاتِ الْعَوَاقِبِ
وَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ الْقَالِ وَالزَّجْرَ وَاطَّرَحَ	تَطْيِيرَ جَارٍ أَوْ تَفَاوُلَ صَاحِبِ

فَبَقِيَ ابْنُ الرُّومِيِّ بَاهِتًا يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّهُ شَغَلَ قَلْبَهُ بِحِفْظِ مَا أَنشَدَهُ ، ثُمَّ
قَامَ أَبُو حَذِيفَةَ وَبَرْدَعَةُ مَعَهُ ، فَخَلَفَ ابْنُ الرُّومِيِّ لَا يَتَطَيَّرُ أَبَدًا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ

غيره ، وأوماً إلى جاره ، فقلت : وهذا الفكر أيضاً من التطير ، فأمسك ، وعجب من جودة الشعر ومعناه ، وحسن مأتاه ، فقلت له : ليتنا كتبناه ؟ قال : اكتبه فقد حفظته ، وأملأه على .

من ابن الرومي
إلى ابن ثوبة
في التطير

ومن شدة حذره ، وعظيم تطيره ، قوله لأبي العباس بن ثوبة ، وقد ندبه إلى الخروج إليه وركوب دجلة :

حَضَضْتُ عَلَى حَطِييِ لِنَارِي فَلَا تَدَغْ
وَمَنْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتُ فِي كُلِّ مُجْتَنَى
أَذَاقْتَنِي الْأَسْفَارُ مَا كَرَّهَ الْغَنَى
وَمِنْ نَكْبَةٍ لَا قَيْتَهَا بَعْدَ نَكْبَةٍ
فَصَبْرِي عَلَى الْإِقْتَارِ أَيْسَرُ مَطْلَبًا
لَقَيْتُ مِنْ الْبَرِّ التَّبَارِيحَ بَعْدَمَا
سَقَيْتُ عَلَى رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطْرَرَةٍ
وَلَمْ أَبْغِهَا ، بَلْ سَاقَهَا لِمَكِيدَتِي
أَبَى أَنْ يُغِيثَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا زَمَتْ
سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِي فَأَضْحَتْ مَزَلَّةً
فَعِلْتُ إِلَى خَانَ مُرْتٍّ بِنَاوُهُ
فَازَلْتُ فِي جَوْعٍ وَخَوْفٍ وَوَحْشَةٍ
يُورِقُنِي سَقْفٌ كَأَنِّي تَحْتَهُ
يَظَلُّ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ
وَكَمْ خَانَ سَفَرٍ خَازَ فَاثْقَصَ فَوْقَهُمْ
وَمَا زَالَ ضَاحِي الْبَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ
فَإِنْ فَاتَهُ قَطْرٌ وَثَاجٌ فَإِنَّهُ

لَكَ الْخَلِيزُ ، تَحْذِيرِي سُرُورَ الْمَحَاطِبِ
مِنْ الشَّوْكِ يَزْهَدُ فِي الثَّمَارِ الْأَطْيَابِ
إِلَى ، وَأَغْرَانِي بَرَفِضِ الْمَطَالِبِ
رَهْبْتُ اعْتِسَافِ الْأَرْضِ ذَاتِ الْمَنَاقِبِ
عَلَى مِنَ التَّغْرِيرِ بَعْدَ التَّجَارِبِ
لَقَيْتُ مِنَ الْبَحْرِ ابْيَاضَ الذَّوَابِ
شَغِفْتُ لِبُغْضِهَا بِحُبِّ الْمَجَادِبِ
تَلَاعَبُ دَهْرٍ جَدَّ بِي كَلِّ الْمَلَاعِبِ
بَرَحَلِي أَتَاهَا بِالْغُيُوثِ السَّوَاكِبِ
تَمَائِلَ صَاحِبِهَا تَمَائِلَ شَارِبِ
مَمِيلَ غَرِيقِ الثَّوْبِ لَهْفَانَ لَا غِبِ
وَفِي سَهَرٍ يَسْتَغْرِقُ اللَّيْلَ وَاصِبِ
مِنَ الْوَكْفِ تَحْتَ الْمُدْجَنَاتِ الْهَوَاصِبِ
تَصِرُّ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الْجَنَادِبِ
كَمَا انْقَضَ صَقْرُ الدَّجَنِ فَوْقَ الْأَرَانِبِ
بِسَوْطِي عَذَابٍ جَامِدٍ بَعْدَ ذَائِبِ
رَهِينٍ بِسَافٍ تَارَةٍ وَمَحَاصِبِ

فَذاكَ بَلاهُ الْبَرُّ عِنْدِي شَاتِيًا
أَلَا رَبُّ نَارٍ بِالْفَضَاءِ اضْطَلَبْتُهَا
فَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ الْبَرِّ إِنِّي رَأَيْتُهُ
وَمَا زَالَ يَبْغِينِي الْخُتُوفَ مُوَارِبًا
فَطَوَّرًا يُغَادِينِي بِلَصِّ مُصَلَّتٍ
وَأَمَّا بَلَاهُ الْبَحْرِ عِنْدِي فَإِنَّهُ
وَلَوْ ثَابَ عَقْلِي لَمْ أَدْعُ ذِكْرَ بَعْضِهِ
وَلَمْ لَا وَلَوْ أُلْقَيْتُ فِيهِ وَصَخْرَةً
وَلَمْ أَتَعْلَمْ قَطُّ مِنْ ذِي سِبَاخَةٍ
وَأَيْسَرُ إِشْفَاقٍ مِنَ الْمَاءِ أَنْتَى
وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ وَقَدْ رَأَى التَّمَسَّاحَ بِمَصْرَ أَخَذَ رَجُلًا :
أُضْمِرْتُ لِلنَّيْلِ هَجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً
فَمِنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ عَنْ كَثْبٍ
مُذْقِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمَسَّاحُ فِي النَّيْلِ
فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَرَاقِيلِ (٣)

رجع

أَظْلَلْتُ إِذَا هَزَّتْهُ رِيحٌ وَلَا لَأْتُ
كَأَنِّي أَرَى فِيهِنَّ فُرُسَانَ بِهَمَّةٍ
فَإِنْ قُلْتُ لِي قَدْ يُرَكَّبُ الْيَمُّ طَامِيًا
لَهُ الشَّمْسُ أُمُوجًا طَوَالَ الْغَوَارِبِ
يَلِيحُونَ نَحْوِي بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ (٤)
وَدِجْلَةٌ عِنْدَ الْيَمِّ بَعْضُ الْمَذَانِبِ (٥)

(٢) واقب : مستكن (م)

(٤) يليحون : يشيرون

(١) الضح - بكسر الضاد - الشمس

(٣) البراقيل : أواني الشرب

(٥) المذانب : القنوات

فلا عُذِرَ فيها لا مَرِيءٌ هَابَ مِثْلَهَا وفي اللّجّةِ الخضرَاءِ عُذْرٌ لَهَا ثَبِ
لِدَجَلَةٍ خَبٌ لَيْسَ لِلَّيْمِ؛ إِنَّهَا تَرَأَى بِحِلْمٍ تَحْتَهُ جَهْلٌ وَاثِبِ
تَطَامُنٌ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَتَغْضَبُ مِنْ مَرْحِ الرِّيَّاحِ اللّوْاعِبِ
وَلَّيْمٌ إِنْذَارٌ بَغُوصٍ مُتَوْنِهِ وَمَا فِيهِ مِنْ آذِيَةِ الْمُتْرَاكِبِ^(١)
وهي طويلة، وفيما مرّ كفاية تنبيء عنه وتبدل عليه، ولو مدت أطناب الاختيار
لتتبّع هذا النحو من شعره لخرجت عن غرض الكتاب.

[من مليح العيافة والزجر]

أبو نواس ومن مليح العيافة والزجر ما رواه الصّولي ، قال : كان لأبي نواس إخوانٌ
وبعض أصحابه لا يُفَارِقُهُمْ ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفّوه عنه ، ووجّهوا إليه برسولٍ معه ظهْرُ
قرطاس أبيض ، لم يكتبوا فيه شيئاً ، فخرّموه بزير^(٢) ، وختّموه بقار ، وتقدّموا إلى
رسولهم ليبرئ بالكتاب من وراء الباب ؛ فلما رآه استعلم خبرهم ، وعلم أنه من
فعلهم ، فتعرّف موضعهم وآثارهم ، فاتّاهم فأنشدهم :

وجدتُ كتابكم لما أتاني يمرُّ بسائح الطيرِ الجوّاري
نظرتُ إليه مخزوماً بزيرٍ على ظهْرٍ ، ومختوماً بقارٍ
فقلتُ : الزيرُ مُلْهِبٌ وَلَهُوَ وَخِلْتُ القارَّ من دَنِّ العفّارِ
وَخِلْتُ الظهْرَ أَهْيَفَ قُرْطِيقًا يحيلُ العقلَ منه باحورار^(٣)
فَهِمْتُ إِلَيْكُمْ طَرَبًا وَشَوْقًا فما أخطأتُ دَارَكُمْ بدارِ
فكيف ترونني وترون وجدِي أَلَسْتُ مِنَ الفلاسفةِ الكِبَارِ؟
وقال الطائي :

لأبي تمام

أَنْضَعَضْتَ عِبْرَاتُ عَيْنِكَ أَنْ دَعَتْ وَرَقَاءُ حِينَ تَضَعُضُ الإِظْلَامَ^(٤)

(١) الآذی : الموج

(٢) الزير : الوتر

(٣) القرطقي : الذي يلبس القرطقي ، وهو ضرب من رقيق اللباس

(٤) في الديوان (٢٧٩) « أتحدّرت عبرات عينك »

لا تنسجن لها ؛ فإن بُكَّاءها ضحكٌ ، وإن بكاءك استغرامٌ
هنَّ الحمام وإن كسرت عيافةً من حائنين فإنهنَّ حمامٌ

وروى يموت ابن المزرع قال : كان أحمدُ بن المديبر إذا مدحه شاعرٌ فلم أحمد بن المديبر
يرضَ شعْرَه قال لغلامه : امضِ به إلى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يُصلى والجلل الشاعر
مائة ركعة ، ثم خله ؛ فتحاماه الشعراءُ ، إلا الأفراد المجيدين ؛ فجاءه أبو عبد الله المصري
الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجلل ، فاستأذنه في الشيد ، فقال : قد
عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، وأنشده :

أردنا في أبي حسن مديحاً كما بالمدح يُنتجعُ الولايةُ
فقلنا : أكرمُ الثقلين طراً ومن كفاه دجلةُ والفراتُ
فقلوا : يقبل المدحات لكن جوائزهُ عليهنَّ الصلاةُ
فقلت لهم : وما تُغني صلاتي عيالي ! إنما الشأنُ الزكاةُ
[فأنما إذ أبي إلا صلاتي وعافتي الموم الشاغل]
فيأمر لي بكسر الصاد منها فتصبح لي الصلاةُ هي الصلاتُ

فضحك واستظرفه ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال : من قول
أبي تمام الطائي :

هنَّ الحمامُ فإن كسرت عيافةً من حائنين فإنهنَّ حمامٌ
فأحسن صلته .

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي لقوم من أهل مرو واخلعوا عن طاعته :
يارا كبا أضحى يخبُّ بعنسه ليومٌ مرو على الطريق المهيع
أبلغ بها قوماً أثاروا فتنةً ظلت لها الأكبَادُ رهنَ تقطع
إذ أقدموا ظمأً على سلطانهم بالغدرِ والخلعِ الذميمة المفضع
وبحلَّ عقدِ لوائه وإباحةٍ لجنابه وحاً — ريمه المتمنع

لأبي الفضل
الميكالي في أهل
مرو

ابلغهم أنى اتخذت لفعلمهم
أما اللواء وحله فمخير
والخلم يخبر أن ستخلمع عنهم الـ
والغدر يني أن تغادر في الوغى
والفرقتان فشاهاه معناه
فتسعموا لمقاتلي وتأهبوا
فالله ليس بغافل عن أمركم
قال أبو عثمان الجاحظ : سمعت النظام ، وذكر عبد الوهاب الثقفي ، قال :
هو أخل من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خضب بعد جذب ، وغنى
بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصال الدائم ،
والشباب الناعم .

الثقفي يصف
رجلا يرتاح
إليه

[ابن أبي دواد يعفو عن الجاحظ]

وكان الجاحظ مائلا عن ابن أبي دواد إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما
نكب محمد بن عبد الملك ، أدخل الجاحظ على ابن أبي دواد مقيدا ، فقال له أحمد :
والله ما أعلمك إلا متناسيا للنعمة ، كفورا للصنيعة ، معددا للمساوى ، وما فتني
باستصلاحك لك ، ولكن الأيام لا تصلح منك ؛ لفساد طويتك ، ورداءة
دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغالب طباعك .

ابن أبي دواد
والجاحظ

فقال الجاحظ : خفف عليك ، أصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر
على خير من أن يكون لي عليك ، ولأن أسى وتحسن أحسن في الأحدث
من أن أحسن نفسي ، ولأن تعفو عني على حال قدرتك على أجمل بك من
الانتقام مني ، فعفا عنه^(١) .

(١) انظر بقية هذا المجلس في إرشاد الأريب (٦ / ٥٩) .

[عتبة بن أبي سفيان وأعرابي]

قال سعد مولى عتبة بن أبي سفيان : خطب عتبة الناس في الموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس إذ ذاك حديثو عهد بالفتنه ؛ فقال : قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر ، وللمسيء الوزر ؛ ونحن على سبيل قصد ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ؛ فإنها تقطع دوننا ؛ فرب ستمن أمراً حثفه في أمنيته ؛ فاقبلوا منا العافية ما قبلناها منكم ^(١) ؛ وأنا أسأل الله أن يعين كلاً على كل .

فناداه أعرابي من ناحية المسجد : أيها الخليفة ، فقال : لست به ولم تبعه ، قال : يا أخاه ، قال : سمعتُ فقل ، فقال : والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير من أن تسيئوا وقد أحسننا ، فإن كان الإحسان منكم فما أولاً لكم بإتمامه ، وإن كان منا فما أولاً لكم بمكافأتنا عليه ، وأنا رجل من بني عامر بن صعصعة يمت بالعمومة ويختص بالخوالة ، كثر عياله ، ووطئه زماؤه ، [وبه فقر] وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال له عتبة : أستغفر الله منك ، وأستعين به عليك ، وقد أمرت لك بفنائك ، فليت إسراعي إليك يقوم بإبطائي عنك !

[بين الجاحظ وابن الزيات]

قال الجاحظ : تشاغل مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب النبيذ أياماً ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته ، فأخبر باتصال شغلي مع الحسن ابن وهب ، فتنكر لي ، وتلوّن عليّ ؛ فكتبتُ إليه رقعة نسختها : أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك من القوة إلى حب الإنصاف ، ورجح في قلبك إشار الاناة ، فقد خفتُ — أيديك الله ! —

(١) زاد في الأمالى (٢٣٦/١) « وأياكم ولوا ؛ فإنها أتعبت من كان قبلكم ، ولن

تريح من بعدهم » .

أن أكون عندك من المنسوين إلى نَزَقِ السفهاء ، ومُجَانِبَةِ سُبُلِ الحكماء ،
وبعدُ ، فقد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وإن امرأً أُمسى وأصبحَ سألماً من الناس إلا ما جَنَى لَسَعِيدُ
وقال الآخر:

ومن دعا الناس إلى ذمِّهِ ذمُّهُ بِالْحَقِّ وبِالْبَاطِلِ

فإن كنتُ اجترأتُ عليك — أصلحك الله! — فلم اجترئُ إلا لأنَّ دوامَ
تغافلِكَ عني شبيهٌ بالإهمال ، الذي يُورِثُ الإغفال ، والعمو المتتابع يؤمنُ من
المكافأة ، ولذلك قال عُيَيْنَةُ بنِ حِصْنِ بنِ حذيفة لعُمانَ رحمه الله : عمر كان خيراً لي
منك ، أرهبنِي فأتقاني ، وأعطاني فأغتناني ، فإن كنت لا تهَبُ عقابي — أيدك الله! —
لخدمَةِ فُهْبِهِ لأَياديكَ عندي ؛ فإنَّ النعمةَ تشفعُ في النَّقمةِ ، وإلا تفعلْ ذلك
لذلك فعدْ إلى حُسْنِ العادة ، وإلا فافعلْ ذلك لحُسْنِ الأحداثِ ؛ وإلا فات
ما أنتَ أهلُهُ من العفو دون ما أنا أهلُهُ من استحقاقِ العقوبة ، فسبحان مَنْ
جعلكَ تعفو عن المتعمد ، وتتجافى عن عقابِ المُصرِّ ، حتى إذا صرت إلى مَنْ
هَفَوْتَهُ ذِكْرٌ ، وذَنَبَهُ نسيان ، ومن لا يعرف الشكرَ إلا لك ، والإنعامَ إلا منك
هجمتَ عليه بالعقوبة . واعلم — أيدك الله! — أن شَيْنَ غَضَبِكَ على كَرِيْنٍ
صَفَحِكَ عني ، وأن موتَ ذِكْرِي مع انقطاعِ سببي منك كحياةِ ذِكْرِكَ مع اتصالِ
سببي بك ، واعلم أن لك فطنة عليم ، وغفلة كَرِيم ، والسلام .

[من كلام علي - رضي الله عنه ! - في أعجب ما في الإنسان]

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أعجَبُ ما في الإنسان قلبُهُ ، وله
مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها ؛ فإن سَنَحَ له الرجاء أذَلَّهُ الطمع ، وإن
هاجَه الطمعُ أهْلَكَه الحرص ، وإن مَلَسَكَ اليأسُ قَتَلَهُ الأسف ، وإن عَرَضَ له
الغضب اشتدَّ به الغَيْظ ، وإن أُسْعِدَ بالرضا نَسِيَ التحفظ ، وإن أتاه الخوفُ

شغلته الحذر ، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرّة ، وإن أصابته مصيبة فضحه
الجزع ، وإن استفاد مالا أطعاه الغنى ، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء ، وإن
جهد به الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة ، فكل
تقصير مضر ، وكل إفراط له قاتل .

* * *

البيت الذى أنشده الجاحظ لعبد الرحمن بن حسان فى أبيات يقول فيها :
لعبد الرحمن بن حسان

متى ما يرى الناس الغنى وجاره فقير يقولوا : عاجز وجليد
وليس الغنى والفقير من حيلة الفتى ولكن أحاط قُسمت وجدود
وإن امرأ يميني ويصبح سالماً من الناس إلا ما جرى لسعيد

والبيت الذى أنشده بعده لـ محمد بن حازم الباهلى فى أبيات يقول فيها :
محمد بن حازم الباهلى

إن كنت لا ترهب ذمى لما تعلم من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوته آذناً منصتاً فيك لمسمع خبى القائل^(١)
فسامع الشر شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من متحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
فلا تهيج ، إن كنت ذا إربة ، حرب أخى التجربة الغافل
فإن ذا العقول إذا هجته هجته به ذا خبيل خابيل
تبصر فى عاجل شداته عليك غيب الضرر الآجل

وفى ابن الزيات يقول الجاحظ :

بدأ حين أترى لإخوانه فقلل منهم شبة العدم
وأبصر كيف انتقال الزمان فبادر بالعرف قبل الندم

[الجاحظ ورجل من البرامكة فى مرضه]

قال بعض البرامكة : كنت أنقلد السند ، فاتصل بى أنى صرقت عنها ،

(١) حفظى « فاخش سكوته إذ أنا منصت » (م)

وكنْتُ كسبت ثلاثين ألف دينار ، فَخِفْتُ أَنْ يَفْجَأَنِي الصَّارِفُ ، وَيُسْعَى إِلَيهِ بِالْمَالِ ، فَصُعُتُهُ عَشْرَةُ آلَافِ إِهْلِيلِجَةٍ ^(١) فِي كُلِّ إِهْلِيلِجَةٍ ثَلَاثَةُ مِثْقَالٍ ، وَجَعَلْتُهَا فِي رَحْلِي ، وَلَمْ أَبْعُدْ أَنْ جَاءَ الصَّارِفُ ؛ فَرَكِبْتُ الْبَحْرَ ، وَانْحَدَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ ؛ فَخَبَّرْتُ أَنَّهَا الْجَاهِظُ ، وَأَنَّهُ عَلِيلٌ ؛ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ ، فَأَفْضَيْتُ إِلَى بَابِ دَارِ لَطِيفٍ ، فَفَرَعْتُهِ ، فَخَرَجْتُ إِلَى خَادِمٍ صَفْرَاءَ ، فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتِ ؟ فَقُلْتُ : رَجُلٌ غَرِيبٌ أَحَبُّ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى الشَّيْخِ فَيَسِّرَ بِالْإِنْظَرِ إِلَيْهِ ، فَأَدَّتْ مَا قُلْتُ ، وَكَانَتْ الْمَسَافَةُ قَرِيبَةً لَصَغَرِ الدَّهْلِيْزِ وَالْحَجْرَةِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : قَوْلِي لَهُ : وَمَا تَصْنَعُ بِشَقِّ مَائِلٍ ، وَلَعَابِ سَائِلٍ ، وَلَوْ نَحْنُ ؟ فَأَخْبَرْتَنِي ، فَقُلْتُ : لَا بَدَّ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ قَدْ اجْتَازَ بِالْبَصْرَةِ ، فَسَمِعَ بِي وَبِعِلَّتِي ، فَقَالَ : أَرَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ ؛ لِأَقُولُ : قَدْ رَأَيْتَ الْجَاهِظَ .

فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ فَرَدًّا رَدًّا جَمِيلًا وَاسْتَدْنَانِي ، وَقَالَ : مَنْ تَكُونُ ؟ أَعَزَّكَ اللَّهُ ! فَاتَّسَبَّتُ لَهُ ، فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ وَقَوْمَكَ الْأَسْخِيَاءَ الْأَجْوَادَ ، الْكِرَامَ الْأَمْجَادَ ، لَقَدْ كَانَتْ أَيَّامُهُمْ رَوْضَ الْأَزْمَنَةِ ، وَلَقَدْ انْجَبَرَبَهُمْ خَلْقٌ ، فَسَقِيًّا لَهُمْ وَرَعِيًّا ؛ فَدَعَوْتُ لَهُ ، وَقُلْتُ : أَنَا أَسْأَلُ الشَّيْخَ أَنْ يُنْشِدَنِي شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ أَذْكَرُهُ بِهِ ، فَأَنْشَدَنِي :

لَئِنْ قَدَّمْتُ قَبْلِي رَجُلًا فَطَالَمَا مَشَيْتُ عَلَى رِسْلِي فَكُنْتُ الْمَتَدَمًّا ^(١)

وَلَكِنْ هَذَا الدَّهْرُ تَأْتِي ضُرُوفُهُ فَتُبْرِمُ مَنْقُوضًا ، وَتَنْقُضُ مُبْرِمًا

ثُمَّ نَهَضْتُ ، فَلَمَّا قَارَبْتُ الدَّهْلِيْزَ صَاحَ بِي فَقَالَ : يَا فَتَى ؛ أَرَأَيْتَ مَفْلُوجًا يَنْفَعُهُ الْإِهْلِيلِجُ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : فَأَنَا يَنْفَعُنِي الْإِهْلِيلِجُ الَّذِي مَعَكَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيَّ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، وَخَرَجْتُ مُفْرِطَ التَّعَجُّبِ مِنْ وَقُوعِهِ عَلَى خَبْرِي ، حَتَّى كَأَنَّ بَعْضَ أَحِبَّائِي كَاتِبَهُ بِحَبْرِي حِينَ صُفِّتُهُ ، فَأَنْفَذْتُ إِلَيْهِ مِائَةَ إِهْلِيلِجَةٍ .

(١) الإِهْلِيلِجُ : ثَمَرٌ قَرِيبُ الشَّكْلِ مِنَ الْبَلَحِ ، وَالْوَاحِدَةُ بَهَاءٌ ، يُرِيدُ أَنَّهُ صَاغَ

الذَّهَبَ عَلَى شَكْلِ الْإِهْلِيلِجِ (م)

المقامة الجاحظية

مقامة من إنشاء البديع تتعلق بذكر الجاحظ [

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : جمعتني مع رُفقة وُلَيْمة ، وأَجَبْتُ إليها للحديث المأثور فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دُعيتُ إلى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ ، ولو أُهْدِيَ إلىَّ ذراعٌ لقبلتُ » ، فأفْضَى بنا المسيرُ إلى دارٍ قد فُرشَ بساطُها ، وبُسِطَ أنماطُها ، ومُدَّ سَمَاطُها ، وقومٌ قد أخذوا الوقتَ بين آسٍ مخضود ، وورْدٍ منضود ، ودَنٍّ مَفْصود ، ونأى وعود ؛ فصِرْنَا إليهم وصاروا إلينا ، ثم عَكفْنَا على خِوَانٍ قد مُلِئَتْ حياضُه ، ونوَرَّتْ رِياضُه ، واصطفت جِفَانُه ، واختلفت ألوانُه ؛ فمن حَالِكٍ بإزائه ناصع ، ومن قَانٍ في تلقائه فاقع ، ومعنا على الطعام رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُه على الخِوَانِ ، وتَسْفِرُ بين الألوان ، وتأخذُ وجوهَ الرُغْفَانِ ، وتَقْفَا عِيونَ الجِفَانِ ، وترعى أَرْضَ الجِيرَانِ^(١) ؛ يَرْحَمُ اللَقْمَةَ باللقمة ، ويهزِمُ المَضْغَةَ بالمضغة ، وهو مع ذلك ساكتٌ لا يَنْمِسُ ، ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذِكْرِ الجاحظ وخطابته ، ووصف ابن المقفع وذرايته ، ووافق أول الحديث آخِرَ الخِوَانِ ، وزُلْنَا عن ذَلِكَ المكان ، فقال الرجلُ : أين أنتم من الحديث الذي فيه كنتم ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولَسَنِهِ ، وحُسْنِ سَنَنِهِ في الفصاحة وسُنَنِهِ فيما عرفناه ؛ فقال : يا قوم ؛ لكلِّ عملٍ رجالٌ ، ولكلِّ مقامٍ مَقَالٌ ، ولكلِّ دارٍ سُكَّانٌ ، ولكلِّ زمانٍ جاحظٌ ، ولو انتقدتم ، لبطلَ ما اعتقدتم ، فكلُّ كَشَرَته عن نابِ الإنكار ، وشَمٌّ بأنفِ الإكبار ، وضجِكتُ إليه ، لأجلَبَ ما لديه ، وقلت : أفِدْنَا وزِدْنَا ، فقال : إنَّ الجاحظَ في أحدِ شقَيِ البلاغة يَقْطِفُ ؛ وفي الآخر يَقِفُ ، والبلِغُ من لم يُقَصِّرْ نظْمُه عن نَدَثِهِ ، ولم يُزِرْ كلامُه بشعرِه ، فهل تَرَوُون

(١) في المقامات « تجول في القصعة ، كالرخ في الرقعة » - والرخ : قطعة في لعبة

الشطرنج تسير يمينا وشمالا وخلفا وأماما من أول الرقعة إلى آخرها (م)

للجاحظ شعرا رائعا؟ قلنا: لا، قال: فهموا إلى كلامه؛ فهو بعيدُ الإشارات، قريبُ العبارات، قليلُ الاستعارات، متقادُّ لعرِيان الكلام يستعملُه، نفورٌ من مُغتاصِه يُمِله، فهل سمعتم له بكلمةٍ غيرِ مسموعة، أو لفظةٍ غيرِ مصنوعة؟ فقلت: لا، فقال: هل تحبُّ أن تسمعَ من الكلام ما يخففُ عن مَنْ كِبَيْك، ويَنيمُ على مافي يَدَيْك؟ فقلت: إى والله، قال: فأطلق لى عن خِنَصْرِكَ ما يعين على شُكْرِكَ، فأثنته ردائى، فقال:

لَعَمْرُ الَّذِي أَلْقَى إِلَى ثِيَابِهِ لَقَدْ كَسَبْتَ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهِ مَجْدًا
وَقَدْ قَمَرَتْهُ رَاحَةُ الْجُودِ بَرَّةً فَمَا ضَرَبَتْ قِدْحًا وَلَا نَصَبَتْ نَزْدًا
أَعِيدُ نَظْرًا يَا مَنْ كَسَانِي ثِيَابَهُ وَلَا تَدْعِ الْأَيَّامُ تَهْدِمُنِي هَذَا
وَقُلْ لِلْأَلَى إِنْ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضُحَى وَإِنْ طَلَعُوا فِي غَمَّةٍ طَلَعُوا وَرْدًا
صَلُّوا رَحِمَ الْعَلِيَّا وَبُلُّوا لَهَا تَهَا فَخَيْرُ النَّدَى مَا سَحَّ وَابِلُهُ نَقْدًا
قال عيسى بن هشام: فارتاحت الجماعة إليه، واثالت الصَّلَاتُ عليه، وقلت لما تَأَنَّنَا: من أين مطلع هذا البدر؟ فقال:

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لَوْ قَرَّ: فِيهَا قَرَارِي
لَكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدِي وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي

[من كلام الملوك]

من كلام
أردشير
ابن بابك

تظلمت رعيّة أردشير بن بابك إليه في سنة مُجْدِبَةٍ لَعَجَزَهم عن الخراج، وسألته أن يخففه عنهم؛ فكتب لهم ما نسخته: من أردشير المزيّد بالبهاء، ابن الملوك العظماء، إلى الفقهاء الذين هم حَفَظَةُ الْبَيْضَةِ، والكَتَّابُ الَّذِينَ هم سَاسَةُ الْمَمْلَكَةِ، وذوَى الْحَرْثِ الَّذِينَ هم عِمْرَةُ الْبِلَادِ، أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّا نَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى نَحْمَدُ الصَّالِحِينَ، وقد وضعنا عن رعيّتنا بَفَضْلٍ رَأْفَتَنَا إِتَاوَتْنَا الْمُؤَظَّفَةَ عَلَيْهِمْ سَنَتَنَا هَذِهِ، وَنَحْنُ كَاتِبُونَ مَعَ ذَلِكَ مُعْلِمِهِمْ بِوَصِيَّةِ تَنْفَعُ الْكُلَّ: لَا تَسْتَشْعِرُوا الْحِقْدَ

لئلا يَغْلِبَ عليكم العدو ، ولا تحبوا الاحتكار لئلا يشملكم القحط ، وكونوا
لغير باء مؤوَّين ، لتؤووا غدا في المعاد ، وتزوَّجُوا في القربة فإنه أَحْسَنُ للرحم ،
وأُثْبِتُ للنَّسَبِ ، ولا تعدُّوا هذه الدنيا شيئاً فإنها لا تُبْقَى على أحد ، ولا تَرُفُضُوها
مع ذلك ؛ فإن الآخرة لا تُنَالُ إلا بها .

من كلام
بزرجمهر وقيل لبزرجمهر : أى الاكتساب أفضل ؟ قال : العلم والأدب كنزان
لا ينفدان ، وسراجان لا يُطفآن ، وحُلَّتَانِ لا تَبْلَيَان ؛ مَنْ نالهما نال أسباب
الرشاد وعرفَ طريق المعاد ، وعاش رفيعاً بين العباد .

من كلام
أنوشروان وقال أنوشروان لبزرجمهر لما ظفر به : الحمد لله الذى أَظْفَرَنِي بك ، قال له :
فكافئْهُ بما يحبُّ كما أعطاك ما تحبُّ . قال : وبم أَكْفِئُهُ يا فاسق ؟ قال :
بالعفو عمن أَظْفَرَكَ به اليوم كما تحب أن يعفو عنك غدا ..
ونظيرُ هذا الكلام قد تقدّم لعلّى رضى الله عنه .

وقيل لكسرى : أى الملوك أفضل ؟ قال : الذى إذا جاورته وجدته علياً ،
وإذا خبرته وجدته حكيماً ، وإذا أغضب كان حليماً ، وإذا ظفر كان كريماً ،
وإذا استمنح منح جسيماً ، وإذا وعد وفى ، وإن كان الوعد عظيماً ، وإذا شكى
إليه وجد رحماً .

[من رسائل الميكالى]

كتب الأمير أبو الفضل الميكالى إلى أبى منصور عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل النعمانى : كتابى وأنا أشكو إليك شوقاً لو عاجله الأعرابى لنا صَبَاً إلى
رَمَلٍ عاجل ، أو كابده الخليل لا نَدْنَى على كَيْدِ ذَاتِ حُرْقٍ وَلَوْ أَعَجَ ؛ وأذمُّ زماناً
يَفْرُقُ فلا يحسن جمعاً ، ويخرق فلا ينوى رَقْعاً ، ويُوْجِعُ القلب بتفريق شَمْلٍ
ذوى الوِداد ، ثم يبخلُ عليهم بما يَشْفِى الصدور والأَكْبَاد ؛ قاسى القلب فلا

كتاب منه
للنعمانى

يلينُ لاستعطاف ، جائر الحكم فلا يميلُ إلى إنصاف ، وكم أَسْتَعْدِي على صَرَفِهِ
وَأَسْتَنْجِدُ ، وَأَتَلَطَّى غِيظًا عَلَيْهِ وَأَنْشُدُ :

مَتَى وَعَسَى يَنْثَنِي الزَّمَانُ عِنَانَهُ بَعْثَرَةَ حَالٍ وَالزَّمَانُ عَثُورُ
فَتَذُرُّكَ آمَالُ وَتُقْضَى مَارِبٌ وَتَحْدُثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

وَكَلَّا ، فَمَا عَلَى الدَّهْرِ عَتَبٌ ، وَلَا لَهُ عَلَى أَهْلِهِ ذَنْبٌ ؛ وَإِنَّمَا هِيَ أَقْدَارُ تَجْزَى
كَمَا شَاءَ مُجْبِرِيهَا ، وَتَنْفُذُ كَالِإِسْهَامِ إِلَى مَرَامِيهَا ؛ فَهِيَ تَدُورُ بِالْمَكْرُوهِ وَالْمُحْبُوبِ ،
عَلَى الْحُكْمِ الْمَقْدُورِ وَالْمُسَكْتُوبِ ، لَا عَلَى شَهْوَاتِ النُّفُوسِ وَإِرَادَاتِ الْقُلُوبِ ؛
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أُذُنَ فِي تَقْرِيْبِ الْبَعِيدِ النَّازِحِ ، وَتَسْهِيلِ الصَّعْبِ الْجَامِحِ ،
فَيَعُودُ الْأَنْسُ بِلِقَاءِكَ الْإِخْوَانَ كَأَنَّمَا لَمْ يَزَلْ مَعَهُودًا ، وَيَجِدُ لِلْهَذَا كَرَّةَ وَالْمُؤَانَسَةِ
رِسُومًا وَعَهْدًا ؛ إِنَّهُ الْمَلْبِيُّ بِهِ ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ .

كتاب منه
إلى أبيه

وَلَهُ إِلَى أَبِيهِ : وَلَوْ مَلَكَتْ عِنَانٌ اخْتِيَارِي ، وَأَسْعَفَنِي بِيَعُضٍ مَا اقْتَرَحَهُ
الْقَدَرُ الْجَارِي ، لَمَا غَبَّتْ عَنْ حَضْرَتِهِ - آتَسْمَا اللَّهُ ! - سَاعَةٌ مِنْ دَهْرِي ، كَمَا لَا أُعَدُّ
سَاعَاتٍ بُعْدِي عَنْهَا وَإِخْلَائِي لِبَابِهَا مِنْ أَيَّامِ عَمْرِي ؛ وَلَكِنِّي أَبْدَأُ مَائِلًا بِهَا
فِي زَمْرَةِ الْخُلْدِ وَالْعَبِيدِ ، جَامِعًا بَيْنَ حَاشِيَتِي الْعِزِّ الْمَدِيدِ ، وَالشَّرَفِ الْعَتِيدِ ؛
لَا سِيَا فِي هَذَا الْوَقْتِ وَقَدْ أَشْرَقَتِ الْبِلَادُ بِنُورِ طُلُوعِهَا الَّتِي هِيَ فِي ظِلْمَةِ الدَّهْرِ صَبَاحُ ،
وَعِزِّ مَطَالَعَتِهَا الَّتِي فِيهَا لَصُدُورُ ذَوِي الشَّنِّ شَجًّا وَلِزْنُ الْأَمَالِ اقْتِدَاحُ ، وَمَعَاوِدَةُ
ظِلِّهِ الَّتِي أَضْحَتِ الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ ، وَالزَّمَانُ مِنْ عَدَدِ سَاكِنِيهِ وَعَتَادِهِ ،
إِلَّا أَنْ الْحَرِيصَ - كَمَا عَلَيْهِ مَوْلَانَا - يُخْلِي عَنْ أَعْذَابِ مَوَارِدِهِ ، وَمَمْنُوعٍ بِالْعَوَائِقِ
عَنْ أَكْرَمِ مَطَالَعِهِ وَمَقَاصِدِهِ .

وله يستفتح مكاتبة بعض إخوانه :

كتاب منه
يستفتح به
مكاتبة أخ

أَنَا وَإِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْمَكَاتِبَةُ ، وَعَادَةُ الْمَسَاجِلَةِ وَالْمُفَاوِضَةِ ، مِنْ فِرْطِ
حِرْصِي عَلَى افْتِتَاحِهَا وَتَعَاطِيهَا ، وَاعْتِرَاضِ الْعَوَائِقِ دُونَ الْمُرَادِ وَالْغَرَضِ فِيهَا ، فَإِنْ

قلبي بودّه مغمور ، وضميرى على مصافاته مقصور ، فاعتداده لفضائله التى أصبح فيها أوحدى العنان ، وزاحم فيها منسكب العنان^(١) ، واستأثر فيها بالغرر والالواح ، ما أوفى بها على غرة الصباح ، حتى تشاهدت بها ضامر القلوب ، وتهادت أنبياءها السنة البعيد والقريب ، اعتداد من يجمع بالاعتداد لها بين شهادة قلبه ولسانه ، ومن ينظم فى إجلال قدرها صفقة إسراره وإعلانه ، فهو يتنسم الريح إذا هبت من ناحيته شوقاً ونزاعاً ، ويستلمى الوارد والصادر خبر سلامته انصياعاً بالود إليه وانقطاعاً .

شذور من كلامه فى أثناء رسائل شتى : أياديه التى غمرتنى سجالها ، واتسع عندى مجالها ، وأغيا شكرى عفوها وانثيالها ، تناولت فيها المني دانية القطوف ، واجتليت أنوار العيش مأمونة الكسوف ، ليس يكاد يبرد غليل شوق وحنيني ، أو ترجع نافرة انسى وسكوني ، أو تخلو من الاهتمام والفكرة فيه خواطري وظنوني ، إلا بالتقاء يدنو أمده ، ويتقرب مواعده ، وتلوعلى الفراق يده ، فنعاود العيش طلقاً غزيراً ، ونحتي ثمر المني غصاً نضيراً ، ونجتلى وجه الزمان مشرقاً منيراً . فوائده لها عندى أثر الغمام أو أنفع ، ومحل السمك أو أرفع . حالى فى مفارقة حضرته حال بنات الماء قد نضب عنها الغدير ، ونبات الأرض^(٢) أخطأها النوء المطير . لطفى على دهر الحداثة إذ غصن شبابي غض وريق ، ونقل شرابي عض وريق . كلام أحلى من ريق النحل ، وأصفى من ريق الوبل . من تسود قبل وقته وآلته ، فقد تعرض لمقته وإذالته . نظمه له :

إن من يلمس الصد ر بلا وقت وآله

لحقيق أن يلقى كل مقت وإذاله

الشكل للكتاب ، كالحلى للكعب . لو كان الشباب فضة لكان الشيب له خبثاً . النعمة عروس مهرها السكر ، وثوب صوته الذشر . الخضاب تذكرة الشباب . لا تناس المهاوى بالمرآق ، ولا الأقدام بالتراقى ، ولا البحور بالسوافى .

(١) العنان بكسر العين : أصله ما تقاد به الدابة ، وفتح العين : السحاب (م) .

(٢) فى المطبوعات كلها « ونبات الأرض » (م) .

كم أبلاني من عُرْفٍ جَزِيلٍ لَا يُبْلِي الدَّهْرُ جِدَّةَ رِدَائِهِ ، وقضاني من دَيْنٍ
تَأْمِيلٍ لَا يَقْضِي الشُّكْرُ حَقَّ نِعَائِهِ . الشكر للنعمة نتاج ، والكفران لها رِثَاج ،
وكلما زدت النعمة شُكْرًا ، زادت طيبًا ونَشْرًا .

قطعة من شعره في تجنيس القوافي

قال في أبيه :

مبدعاً في شمائل الجَدِّ خِيماً • ما اهتدينا لأخذه واقتباسه^(١)
فهو فظٌّ بالمالِ وقت نداءه • وجوادٌ بالعفو في وقتِ بَاسِهِ
وقال فيه :

إذا ما جَادَ بالأموالِ ثَنَى • ولم تُذَرِكُهُ في الجودِ الندامةُ
وإنْ هَجَسَتْ خواطرُهُ بَجمَع • لَرَيِبِ حوادثٍ قال الندى مَه^(٢)
وقال فيه :

ولما تنازعَ صَرَفُ الزمانِ • فزَعَنَّا إلى سيدِ نَابِهِ
إذا كَثُرَ الدَّهْرُ عَنْ نَابِهِ • كَشَفْنَا الحوادثَ عَنَّا بِهِ
وقال فيه :

إنْ نابنا خَطْبُ فَاَرَاؤُهُ • تغنى عن الجيشِ وتَسْرِيبِهِ
وإنْ دَجَا لَيْلٌ بَدَا نُورُهُ • للركبِ نَجْمًا فهو يَسْمُرِي بِهِ
وقال يفتخر :

وكم حاسدٍ لي أنْ بَرَى فأنذني • لِعَضَّةِ نَفْسٍ شَجَّاهَا شَجَّاهَا
ومن أينَ يَسْمُو لَنَيْلِ العُلا • وما بَثَّ مَالًا وَلَا رَاشَ جَاهَا
ومنها قوله :

وسائلُهُ تَسْأَلُ عن عَالِي • وعَمَّا حازَ في الدنيا جَمَالِي

(١) الخيم - بكسر الخاء - السجية والطبع (م).

(٢) الندى : الجود والبر ، ومه : اسم فعل معناه اكفف (م).

فقلت : إلى المعالي حَنَّ قلبي
وللعلياء نَهَجٌ مستقيمٌ
إذا أَسْرَجْتُ في فَنَرٍ سَمَابِي
وقال في نوع من هذا الجنس :

وَمَنْ يَسْرِفُ فَوْقَ الْأَرْضِ يَطْلُبُ غَايَةً
وَمَنْ يَخْتَلِفُ فِي الْعَالَمِينَ نِجَارُهُ
وَمَنْ يَتَجَرَّ فِي الْمَالِ يَكْسِبُ رُبْحَهُ
من المجد يسرى فوق جُمُجُمَةِ النَّسْرِ
فإنَّ من العلياء نَجْرِي على نَجْرِ^(١)
فبالمال نَشْرِي رابحَ الحُمْدِ والنَّشْرِ

وعلى نحو هذا الحذو يقول أبو الفتح البستي :

لأبي الفتح
البستي

أبا العباس لا تحسب بَأْنِي
ولى طَبْعٌ كَسَلَسَالٍ المَجَارِي
إِذَا مَا أَكْبَتِ الْأَدْوَارُ زَنْدًا
وقال أبو الفتح البستي أيضًا :

بَسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَقَتْ أُمُورُ
سَمَا وَحَى بَنِي سَامٍ وَحَامٍ
رَأَيْنَاهَا مُبَدَّدَةَ النِّظَامِ
فَلَيْسَ كَمَثَلِهِ سَامٍ وَحَامٍ

[أدب الحاجب]

بين ملك
وحاجبه

قال بعضُ الملوكِ لحاجبه : إنك عيني التي أَنْظَرُ بها ، وَجُنَّتِي التي أُسْتَنِمُ
إليها ؛ وقد وَلَّيْتُكَ بَأْنِي ، فما نراك صانعًا برعيتي ؟

قال : أَنْظُرْ إليهم بعينك ، وأحلمهم على قَدَرِ منازلهم عندك ، وأضعهم لك
في إبطائهم عن بابك ولزومهم خِدْمَتِكَ مواضع استحقاقهم ، وأرْتَبهم حيث
جعلهم ترتيبك ، وأحْسِنُ إبلاغَكَ عنهم ، وإبلاغهم عنك .

(١) النجر : الأصل ، ومثله النجار ، بزنة الكتاب .

قال : قد وَفَيْتَ بما عليك قولاً ، إن وَفَيْتَ به فعلاً ؛ والله وليّ كفايتك

ومعونتك .

وصية المهدي
للفضل
ابن الربيع

قال المهدي للفضل بن الربيع : إني قد وَلَّيْتُكَ سَتْرَ وجهي وكَشَفْتُهُ ، فلا تجعل الستر بيني وبين خواصِّي سبباً لضغفهم بِفُجْحِ رَدِّكَ ، وعُبُوسِ وَجْهِكَ ؟ وقدَّم أبناء الدعوة ؛ فإنهم أَوْلَى بالتقديم ، وثَنُّ بالاولياء ، واجعل للعامة وقتاً إذا دَخَلُوا أعْجَلَهُمْ ضَيْقُهُ عن التلبُّث ، وصَرَفَهُمْ عَنِ التمسُّك .

للحسن بن سهل

وقال الحسن بن سهل : إذا كان الملك محتججاً عن الرعية ، ولم ينزل الوزير نفسه منزلةً تكون وسائلُ الناس إليه أنفسهم واستحقاقهم دون الشفاعات والحرمات ، حتى يختصَّ الفاضلُ دون المفضول ، ويرتّب الناس على أقدارهم وأوزانهم ومعرفةهم ، امتزج التديير ، واختلّت الأمور ، ولم يميّز بين الصدور والاعجاز ، والنواحي والأذنان ، وكان الناس فَوْضَى ، ووهت أسبابُ الملك ، وانتقضت مَرَاثِرُهُ ، وشاعت سرائره ، وإن أَقْرَبَ ما أرجو به صلاح ما أتولاه استماعي من المتنسّمين بأنفسهم ، المتوسلين بأفهامهم ، المتوصلين بكفائتهم ، وابتدالُ نفسى لهم ، وصبرى عليهم ، وتصفحي ما توسلوا به وانتحلوه : من العقول والآداب ، والحماية والسكفاية . فمن ثبتت له دَعَوَاهُ أَنْزَلْتَهُ تلكَ المنزلة ، ولم أَتَحَيِّفْهُ حَقَّهُ ، ولا نَقُصُّهُ حَظَّهُ ، ومن قَصَّرَ عما ادَّعى كانت منزلته منزلةً للمقصرين ، ولم أَخَيِّبْ أَمَلَهُ من مقدار ما يستحقّه .

لبعض البلاء

وقال بعضُ البلاء : إذا أسدَل الوالى على نفسه سِتْرَ الحِجَاب ، وهى عمودُ تدييره ؛ واسترخت عليه حمائلُ الحَزْم ، وازدلفت إليه وفودُ الذم ، وتولّى عنه رشد الرّاجي ، ونال أموره خَلَلُ الانتشار ، وآفة الإهمال ، وتسرع إليه العابثون بلواذع ألسنتهم ودَيِّب قوارضهم .

بين سعيد بن
عبد الملك وعبيد
الله بن سليمان

وحُجِبَ سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان فكتب إليه : سِرْتُ إلى بابك — أعزك الله — عند ما حدث من أمرك ، فلم يُقْضَ لقاؤك ، وعلمت أن

ثَقَّتْكَ بِمَا عِنْدِي، قَدْ مَثَلَتْ لَكَ حَالِي مِنَ السُّرُورِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَأَرْثَاكَ
مَوْضِعِي مِنَ الْاِعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا خَصَّكَ وَوَصَّلَ إِلَيْكَ ، فَوَكَلْتُ الْعُذْرَ إِلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ إِنَّا نَأْتِيكَ مَتِيْمَيْنِ بَطْلَمَعَتِكَ ، مُشْتَاقَيْنِ إِلَى رُؤْيَيْكَ ، فَيُحْجِبُنَا عَنْكَ مُلَاحَظُ .
وَهُوَ كَمَا عَلِمْتَ زَنِيمُ الصَّنِيعَةِ ، لَيْثِيمُ الطَّبِيعَةِ ، يُحْجِبُ عَنْكَ الْكِرَامَ ، وَيَأْذَنُ
عَلَيْكَ لِلْأَنَامِ ، كَلِمًا نَجَمَتْ لَهُ يَدٌ بِيضَاءُ ، أَتْبَعَهَا يَدَا سُودَاءُ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ — أَعْرَكَ
اللَّهُ — أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْ بَابِ مَكَارِمِكَ فَعَلْتَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

لأبي السمط

بن أبي حفصة

وقال أبو السمط بن أبي حفصة :

فَقِيَ لَا يُبَالِي الْمُدْلِجُونَ بِنُورِهِ إِلَى بَابِهِ إِلَّا تَضَيَّ الْكَوَاكِبُ
لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ خَيْرٍ يُعِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنِ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ^(١)

لمروان بن

أبي حفصة

أَخَذَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ قَوْلِ جَدِّهِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ الْأَكْبَرِ :

إِلَى الْمُصْطَفَى الْمَهْدِيِّ خَاضَتْ رَكَابُنَا دُجَى اللَّيْلِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَ الْمُخْدَمًا^(٢)
يَكُونُ لَهَا نُورُ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا بِهِ تَسْرِي إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

لإدريس بن

أبي حفصة

وَقَالَ إِدْرِيسُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ ، وَذَكَرَ إِبْلَا :

هَـا أَمَامُكَ نُورٌ تَسْتَضِي بِهِ وَمِنْ رَجَائِكَ فِي أَعْنَاقِهَا حَادِي
لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرِكَ أَشْغَلَهَا عَنِ الرُّتُوعِ وَتُلْهِمَهَا عَنِ الزَّادِ

لعمر بن

شأس الأسد

وَأَصْلُهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ شَأْسِ الْأَسَدِيِّ :

إِذَا نَحْنُ أَدْجَلْنَا وَأَنْتَ أَمَامُنَا كَفَى لِمَطَايِنَا بَوَجهُكَ هَادِيَا
أَلَيْسَ يَزِيدُ الْعَيْسَ خِفَةً أَذْرُعُ ، وَإِنْ كُنَّ حَسْرَى ، أَنْ تَكُونَ أَمَامِيَا^(٣)

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَصْرِ :

وَلَيْلٌ وَصَلْنَا بَيْنَ قُطْرَيْهِ بِالشُّرَى وَقَدْ جَدَّ شَوْقٌ مُطْمِعٌ فِي وَصَالِكَ

(١) حَفْظِي * لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرِيْعِيهِ * وَهُوَ كَذَلِكَ فِي كُتُبِ الْبَلَاغَةِ (م)

(٢) الْمُخْدَمُ : ذَا الْخِدْمَةِ ، وَهُوَ سِيرَ يَشْدُ فِي رَسْغِ الْبَعِيرِ (م)

(٣) حَسْرَى : مُتَعَبَاتٌ .

أَعَدَّنَ الطَّرِيقَ النَّهْجَ وَغَرَّ الْمَسَالِكَ^(١)
وَأَسْفَرَ مِنْهَا كُلُّ أَسْوَدَ حَالِكٍ
وَقَدْ نَشِبَتْ فِينَا أَكْغُفَةُ الْمَهَالِكِ
وَإِنْ كُنْتَ لَمَّا تُخْطِرُنِي بِبَالِكِ

أَرَبَّتْ عَلَيْنَا مِنْ دُجَاهُ حَنَادِسُ
فَنَادَيْتُ يَا أَسْمَاءُ ، بِاسْمِكَ ، فَانْجَلَتْ
بِنَا أَنْتَ مِنْ هَادٍ نَجْوُنَا بِذِكْرِهِ
مُنْتَحَتِكَ إِخْلَاصِي وَأَصْفَيْتِكَ الْهُوَى
وَقَالَ الْقَطَامِي :

لِلْقَطَامِي

دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ عَنْهُ دَيَاجِرُهُ
لَذِكْرَاكُمْ أَمْ يَسْجُرُ اللَّيْلَ سَاجِرُهُ

ذَكَرْتُكُمْ لَيْلًا فَنَوَّرَ ذِكْرُكُمْ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَضْوَاءَ مُسَجَّرَةٍ
وَقَالَ الْقَيْنِي :

لِلْقَيْنِي

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَاقِبُهُ

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
نَجُومُ سَمَاءٍ كُلِّهَا انْقَضَ كَوَكَبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَقَالَ الْحَطِيطَةُ :

لِلْحَطِيطَةِ

كَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِي
مِنْ الْأَيَّامِ مُظْلِمَةُ أَضَاءُوا
وَكَلَامُ الْقَاسِمِ بْنِ حَنْبَلِ الْمَدَنِيِّ مِنْ هَذَا ، حَيْثُ يَقُولُ :

نَمَشَى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْأَانِ لَنَا
وَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ :
هَمُّ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِذَا أَلَمَّتْ
وَكَلَامُ الْقَاسِمِ بْنِ حَنْبَلِ الْمَدَنِيِّ مِنْ هَذَا ، حَيْثُ يَقُولُ :

لِلْقَاسِمِ بْنِ حَنْبَلِ
الْمَدَنِيِّ

لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا
وَمَكْرُمَةٌ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ
وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُوا

مِنَ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَنَى سِنَانٍ
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ
هُمْ حَازُوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ :

كَفَّوْا خَاطِبَ الظُّلُمَاءِ فَقَدْ الْمَصَابِحُ
فَكَمْ تَمَّ مِنْ آسَى جِرَاحٍ وَجَارِحِ
وَقَالَ أَبُو بَدِيلٍ الْوَضَّاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ فِي الْمُسْتَعِينَ :

إِذَا أَشْرَقَتْ فِي جُنْحِ لَيْلٍ وَجُوهُهُمْ
وَإِنْ نَابَ خَطْبُ أَوْ أَلَمَتْ مُلِمَةٌ

(١) أَرَبْتُ : زَادَتْ وَلَزِمَتْ ، وَالدَّجَى : جَمْعُ دَجِيَّةٍ ، وَهِيَ الظَّلَامُ ، وَالْحَنَادِسُ :
الظُّلُمَاتُ ، وَاحِدُهَا حَنْدَسُ (م) .

وقائلة والليل قد نشر الدجى
أرى بارقاً يبْدو من الجوسق الذى
أضاءت له الآفاق حتى كأنما
فضل عذارى الحى ينظم تحتة
فقلت : هو البدر الذى تعرفونه
فعطى بها ما بين سهل وقرد^(١)
به حل ميثاث النبى محمد
وأيناً بنصف الليل نور ضحى غد
سلوكاً من الجزع الذى لم يسرد
وإلا يكن فالثور من وجه أحد

[حث الاشتياق]

وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة فى معنى قول عمرو بن شأس فى حث
الاشتياق :

خليلى ما بال المطايا كأنما
فقد أتعب الحادى سراهن ، وانحنى
وقد قطعت أعناقهن صباية
يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا
وقال بعض الرجاز ، وذكر إبلا :

إن لها لسائقاً خدجاً^(٢) لم يدلج الليلة فيمن أدلجاً

يريد امرأة يحبها فيحثه ما يجده من الشوق على إجهاد مطايا بالسوق . كما
أنشد إسحاق الموصلى :

صعب يحث مطايا بذكركم
لو يستطيع طوى الأيام نحوكم
يرجو النجاة من البلوى بقر بكم
هذا البيت يناسب أبيات ابن أبى ربيعة . يقول : كلما دنا ازداد حرصاً

على اللقاء .

(١) القردد : ما ارتفع من الأرض ، والجمع قراديد .

(٢) خدج : ممتلئ الذراعين والساقين .

إسحاق
الموصلی

وشخصَ إسحاقُ الموصلی إلى الواثق بُسرَّ من رأى ، وأهلهُ ببغداد ، فتصيد
الواثق وهو معه إلى نواحي سُكَبْرَاءَ ، فلما قرب من بغداد قال :
طربتَ إلى الأَصِيْمِيَّةِ الصَّغارِ وهابَكَ منهم قُرْبُ المَزَارِ
وكلَّ مسافرٍ زَدَّ شوقاً إذا دَنَّتِ الديارُ من الديارِ
واحْنَه وغنَّاه الواثق ، فاستحسنه وأطرب به ، فصرفه إلى بغداد على ما أَحَبَ
وكان إسحاقُ قال أولاً :

وكلُّ مسافرٍ بِشْتاقُ يوماً إذا دَنَّتِ الديارُ من الديارِ
فعابوا قوله «يوماً» ، وقالوا : هي لفظة قَلِقة في هذا الموضع ، لم تحلَّ
بمركزها ، ولا لها هنا موقع . قال : فضعُوا مكانها مثلاً لا خيراً منها . فما استطاعوا
ذلك ، فغيرها إلى ما أنشدت أولاً .

وقال أبو نواس :

لأبي نواس

أما الديارُ فقلما لَبِثُوا بها بين اشتياقِ العيسِ والركبانِ
وضعوا سياطَ الشَّوقِ فوق رِقابِها حتى طلعنَ بها على الأوطانِ
وقال مَخْلَدُ بن بكار الموصلی :

لمخلد بن بكار
الموصلی

أقولُ لِنِضْوٍ أَفْدَ السَّيرُ نَيْهاً^(١) ولم يُبقِ منها غَيْرَ عَظَمٍ مَجْلَدٍ
خِدِي بِي ابْتِلَاكَ اللهَ بالشَّوقِ والهوى وشاقَكَ تَحْنَانُ الحَمامِ المَغْرَدِ^(٢)
فمَرَّتْ سَريعاً خَوْفَ دَعْوَةِ عاشِقٍ تَشَقُّ بِي المَوَمَّةَ في كلِّ فَدَدٍ^(٣)
فلما وَنَتْ في السَّيرِ ثَنَيْتُ دَعْوَتِي فكانت لها سَوَطاً إلى ضَحْوَةِ العَدِ

وكان مَخْلَدُ حلو الطبع ، وهو القائلُ يمدحُ رجلاً :

بَطْلَعُ النَجْمِ على صَعْدَتِهِ فإذا واجَهَ نَحْراً أَفْلا
مَعَشَرٍ إِنْ ظَمِئَتْ أَرْماحُهُمْ أَوْرَدُوهُنَّ مُجَاجَاتِ الطَّلِي

(١) إلى : الشحم — والنضو ، بكسر النون وسكون الضاد ، الذي نال منه الهزال

من الإبل (م) .

(٢) خدى : فعل أمر من الوخذ ، وهو السير السريع . (٣) الفدغد : الصحراء .

تَحْسُنُ الْأَلْوَانُ مِنْهُمْ فِي الْوَعْيِ حِينَ تَسْتَنْكِرُ لِلرُّعْبِ الْحُلَى
 مِخْطُ عَبْدِ اللَّهِ يُدْنِي الْأَجَلَا وَرِضَاهُ يَتَعَدَّى الْأَمَلَا
 يُعْشِبُ الصَّلْدُ إِذَا سَامَهُ وَإِذَا حَارَبَ رَوْضًا أَمْحَلَا
 [مَلِكٌ لَوْ نُشِرَتْ آلاؤُهُ وَأَيَادِيهِ عَلَى الْيِلِّ الْبَحْلَى]
 حَلَّ بِالْبَاسِ ابْنُ عَمْرٍو مِنْزَلًا طَالَ حَتَّى قَصُرَتْ فِيهِ الْعَمَلَا
 حَطَّ رَحْلِي فِي ذَرَاهُ جُودُهُ وَتَمَشَّى فِي نَدَاهُ الْخَيْرُ زَلَا^(١)

[جَوْدَةُ الْخَط]

صفة الخط
الجيد

سُئِلَ بَعْضُ الْكِتَابِ عَنِ الْخَطِّ : مَتَى يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ ؟ فَقَالَ :
 إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ ، وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَا مُمُهُ ، وَاسْتَقَامَتْ سَطُورُهُ ، وَضَاهَى صَعُودُهُ
 حُدُورُهُ ، وَتَفْتَحَتْ عَيُونُهُ ، وَلَمْ تَشْتَبِهْ رَأْوُهُ وَنُونُهُ ، وَأَشْرَقَ قِرْطَاسُهُ ، وَأُظْلِمَتْ
 أَنْقَاسُهُ ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ أَجْنَاسُهُ ، وَأَسْرَعَ إِلَى الْعَيُونِ تَصَوُّرُهُ ، وَإِلَى الْعُقُولِ تَثْمَرُهُ ،
 وَقُدِّرَتْ فَصُولُهُ ، وَانْدَجَجَتْ وَصُولُهُ ، وَتَنَاسَبَ دَقِيقُهُ وَجَلِيلُهُ ، وَخَرَجَ مِنْ نَمَطِ
 الْوَرَّاقِينَ ، وَبَعْدَ عَنْ تَصْنَعِ الْحَرَرِينَ^(٢) ، وَقَامَ لِصَاحِبِهِ مَقَامُ النِّسْبَةِ وَالْحِلْمِيَّةِ ، كَانَ
 حِينَئِذٍ كَمَا قَالَ صَاحِبُ هَذَا الْوَصْفِ فِي صِفَةِ خَطِّ :

إِذَا مَا تَجَالَلَ قِرْطَاسُهُ وَسَاوَرَهُ الْقَلَمُ الْأَرْقَشُ
 تَضَمَّنَ مِنْ خَطِّهِ حُلَةً كَنَقَشِ الدَّنَانِيرِ ، بَلْ أَنْقَشُ
 حُرُوفَ تُعِيدُ لِعَيْنِ الْكَلِيلِ نَشَاطًا وَيَقْرُوهَا الْأَخْفَشُ

وراق يصف
عيشه

قَالَ أَبُو هَفَّانَ : سَأَلْتُ وَرَاقًا عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : عَيْشِي أَضْيِيقُ مِنْ مِجْبَرَةٍ ،
 وَجِسْمِي أَدَقُّ مِنْ مِسْطَرَةٍ ، وَجَاهِي أَرْقُ مِنْ الزَّجَاجِ ، وَوَجْهِي عِنْدَ النَّاسِ أَشَدُّ
 سَوَادًا مِنَ الْخَبْرِ بِالزَّاجِ ، وَحَظِّي أَخْفَى مِنْ شَقِّ الْقَلَمِ ، وَيَدَايِ أَضْعَفُ مِنْ قَصَبَةِ
 وَطْعَامِي أَمْرٌ مِنَ الْعَفْصِ ؛ وَشَرَّابِي أَحَرُّ مِنَ الْخَبْرِ^(٣) ، وَسَوْءُ الْحَالِ أَلْزَمُ لِي مِنَ
 الصَّمْغِ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : عِبْرَتَ عَنْ بَلَاءٍ بِبَلَاءٍ !

(١) الحزلي : مشية فيها تشاقل . (٢) في نسخة « المحذرين » (م) .
 (٣) كذا ، وفي ديوان المعاني (ص ٨٢) « أسود من الخبر » وهي أحسن (م) .

وقال الحدوني :

نِثْنَانِ مِنْ أَدَوَاتِ الْعِلْمِ قَدْ نَثْنَا
عَنَّانَ شَاوِيَّ عَمَارُمْتُ مِنْ هِمَمِي
أَمَّا الدَّوَاةُ فَأَدَمِي جَرْمُهَا جَسَدِي
وَقَلَمُ الْحِطِّ تَحْرِيفٌ مِنَ الْقَلَمِ
وَحَبَّرْتُ لِي صُحُفَ الْحَرْفِ مِخْبَرَةً
تَذُدُّ عَنِّي سَوَامَ الْمَالِ وَالنَّعَمِ
وَالْعِلْمُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَ أَخَذُهُ
لِعَصْمِي نَافِرٌ خِلْوٌ مِنَ الْعَصَمِ

وللحدوني في الحرفة أشعار مستظرفة ، وكان مليح الافتنان ، حُلُوَ التصرف ؛
وهو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، وحمدويه جدّه ، وهو صاحب الزنادقة في
أيام الرشيد ، والحدوني القائل :

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ
فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَرْمُقُهَا مِنْ كَثَبٍ حَسْرَةٍ
كَأَنَّا لَفْظٌ بِلَا مَعْنَى

وقال :

قَدْ قُلْتُ إِذْ خَرَجُوا لِكِي يَسْتَمْطِرُوا:
لَا تَقْنَطُوا وَاسْتَمْطِرُوا بَثِيَابِي
لَوْ فِي حَزِيرَانٍ هَمَمْتُ بَعْسَهَا
غَطَى ضِيَاءَ الشَّمْسِ جَوْ سَحَابِ
فَسَكَنَهَا الْعَبَّاسُ يُسْتَسْقَى بِهِ
عُمَرُ فَيُرِيهِمْ ——— دُعَاءُ مُجَابٍ (١)

[حرفة الأدب]

لبعض الشعراء

وقال آخر في المعنى الأول :

لَمَّا أُجِدَّتْ حُرُوفُ الْخَطِّ حَرَّافِي
عَنْ كُلِّ حِفْظٍ وَجَاءَتْ حِرْفَةُ الْأَدَبِ
أَقْوَتْ مَنَازِلُ مَالِي حِينَ وَطَنَهَا
نَحْيًا سَفَطُ الْأَقْلَامِ وَالْكِتَبِ
وَقَالَ يَعْقُوبُ الْخَرِيمِي:

للخريمي

مَا أزدَدْتُ فِي أدَبِي حَرْفًا أَسْرُّ بِهِ
إِلَّا تَزِيدَتْ حَرْفًا تَحْتَهُ شُومُ
كَذَلِكَ مَنْ يَدَّعَى حِدْقًا بَصْنَعَتَهُ
أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهَوَ مَخْرُومُ

(١) احتبس المطر بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، فاستسقى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بالعباس بن عبدالمطلب ، فسقاهم الله تعالى .

ولما قتل المقتدر أبا العباس بن المعتز، وزعم أنه مات حَتَفَ أنفه، قال علي بن لعلى بن بسام
محمد بن بسام :

للهِ دركٌ مِنْ مَيِّتٍ بِمَضِيقَةٍ نَاهِيكَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَابِ وَالْحَسَبِ
مَا فِيهِ لَوْ لَا لَيْتَ فَيَنْقُصُهُ وَإِنَّمَا أَدْرَكْتَهُ حِرْفَةُ الْأَدَبِ

[رزق الحمقى والعقلاء]

قال ابن الرومي :

يَا لَيْتَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِذْ حُرِّمُوا عَصِمُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْفِتَنِ
لَكُنْهُمْ حُرِّمُوا وَمَا عَصِمُوا فَقُلُوبُهُمْ مَرْضَى مِنَ الْحَزَنِ
وَهُمْ أَطْبَّ عَلَى بَلِيَّتِهِمْ — من غيرهم بِمَضَاظَةِ الشَّجَنِ (١)
وقال جعفر بن محمد : إِنْ اللَّهَ وَسَّعَ أَرْزَاقَ الْحَمَقَى لِيَعْتَبَرَ الْعُقَلَاءَ ، وَيَعْلَمُوا
أَنَّ الدُّنْيَا لَا يُنَالُ مَا فِيهَا بِعَقْلِ وَلَا حِيلَةٍ ؛ أَلَا إِنَّ كَسْبَ الْمَسَالِ بِالْحِفْظِ ،
وَحِفْظَهُ بِالْعَقْلِ .

قال إبراهيم بن سيار النظام : الذَّهَبُ لَيْمٌ ؛ لِأَنَّ الشَّكْلَ يَصِيرُ إِلَى شَكْلِهِ ،
وَهُوَ عِنْدَ اللُّثَامِ أَكْثَرُ مِنْهُ عِنْدَ الْكَرَامِ . قَالَ الْمُتَنَبِّي - وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى :
وَشَبَّهَ الشَّيْءَ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهَنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ

وكان النظام له نظرٌ بوجوه التصرف ، وكان السلطان يَصِلُهُ بالكثير ، وكان
محظوظا ؛ فإذا اجتمع له مالٌ حَبَسَ لِنَفْسِهِ مُبْلَغَةً ، وَفَرَّقَ الْبَاقِي فِي أَبْوَابِ الْمَعْرُوفِ ؛
فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مِنْ حَقِّ الْمَسَالِ عَلَى أَنْ أَطْلُبَهُ مِنْ مَعْدِنِهِ ، وَأَصِيبَ بِهِ
الْفُرْصَةُ عِنْدَ أَهْلِهِ ؛ وَمِنْ حَقِّ عَلَيْهِ أَنْ يَقِينِي السُّوءَ بِنَفْسِهِ ، وَيَصُونَ عِرْضِي

(١) المضاضة : وجع المصيبة ، والشجن - بالتحريك - الحزن (م)

بابتذاله ، ولا يفعل ذلك إلا بأن أسمح به ؛ ألا ترى ذا الغنى ؛ ما أدومَ نصَّبه ^(١) ،
وأقلَّ راحته ، وأخسَّ من ماله حظَّه ، وأشدَّ من الأيام حذرَه ، وأغرى الدهرَ
بثلبه ونقصه ، ثم هو بين سلطان يرَّعاه ، وذوى حقوق يسبُّونه ، وأكفاء ينافسونه ،
وولد يريدون فراقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه العناء ، ومن أ كفائه
الحسد ، ومن أعدائه البغى ، ومن ذوى الحقوق الذمَّ ، ومن الولدِ المسالَل ،
وذو البلغة قنعَ فدام له السرور ، ورفض الدنيا فسلمَ من المخذور ، ورَضِيَ
بالكفاف فتكسبته الحقوق . :

[أفكار الوراقين]

وصف الوراق قال الصولى أنشدنى محمد بن أحمد بن إسحاق :

أدُمى البكا جفنى والمآقى فظلتُ ذَاهِمٌ وذا احتِراقِ
ما إن أرى فى الأرض والآفاقِ أدنى ولا أشقى من الوراقِ
إذا أتى فى القمُصِ الأخلاقِ رأيتَه مطيرة العُشِّاقِ ^(٢)
يفرح بالأفلام والأوراق كفرحة الجندي بالأرزاق

وقال بعض الوراقين :

إذا كنتُ بالليل لا أكتبُ وطول النهار أنا أَلعبُ
فعلسوراً يبطلنى مأكلٌ وطوراً يبطلنى مشربُ
فإن دام هذا على ما أرى فبئسَ أوَّل ما يخرَّبُ

وقيل لورّاق : ما تشتهى ؟ فقال : قلماً مشافاً ، وحبراً برّافاً ، وجلوداً رقاقاً .
وكل امرئ فأمّنته على ما يطابقُ غريزته ، ويوافقُ نَحِيْزته ^(٣) .

(١) النصب : التعب ، وزنا ومعنى (م) .

(٢) القمص : جمع قميص ، والأخلاق : جمع خلق - بالتحريلك - وهو البالى (م) .

(٣) الغريزة والنحيزة : الطبيعة والسجية .

[أطيّب اللذات عند الشعراء]

قال عليّ بن جبلة العكوك : قال الأصمعي : سئِلَ امرؤ القيس : ما أطيّب لذات الدنيا ؟ قال : بيضاء رُعبوبة^(١) ، بالحسن مكبوبة ، بالشَّحْم مكروبة^(٢) ، بالمِسْك مَشْبُوبة .

وسئِلَ الأعشى عن ذلك ، فقال : صَهْبَاء صافية^(٣) ، تمزُجُها ساقية ، من لذات الأعشى صَوْب غادية^(٤) .

وسئِلَ طرفة عن ذلك ، فقال : مركب ، وطىّ ، وثوبٌ بهيّ ، ومطعم شهى .

لذات طرفه

لذات أبي دلف

قال العكوك : فحدّثُ بهذا أبا دلف ، فقال :

أطيّبُ الطيبات قتلُ الأعادي واختيالُ على مُتونِ الجيادِ
ورسولُ يأتني بوعدِ حبيبٍ وحبيبٌ يأتني بلا ميعادِ

وحدّثت بذلك حميدا الطوسي ، فقال :

فلولا ثلاثُ هنَّ منَ لذةِ الفتى ، وجدّك ، لم أخفلُ متى قام عودِي
فمنهنَّ سَبَقُ العاذلاتِ بشربةٍ كميّتٍ ، متى ما تُعل بالماء تزبد^(٥)
وكُرى إذا نادى المضافُ مُحَنَّباً كسيدِ الغضا ذى السَّوْرةِ المتورّد^(٦)
وتقصيرُ يومِ الدّجنِ ، والدّجنُ مُعْجَبٌ ببهْكَنَةٍ تحتِ الخِباءِ المعمّد^(٧)

الشعر لطرفة بن العبد .

(١) رعبوبة : حلوة ناعمة حسنة ، وفي نسخة « بالحسين مكتوبة » (م) .

(٢) مكروبة : ممتلئة (م) (٣) الصهباء : الخمر (م)

(٤) الغادية : السحابة (م) (٥) الكميّت - بالتصغير - الخمر ، وتزبد :

تعلوها الرغوة (م) .

(٦) المضاف : البائس الذي أحيط به ، والمحب : أراد به الفرس الشديد .

(٧) الدجن : الغيم ، والهكنة : الخفيفة الروح الطيبة الرائحة من النساء ، والخباء : أراد الخيمة ، والمعمد : ذى الأعمدة (م) .

لذات يزيد
ابن عبد الله

وحدثت بذلك يزيد بن عبد الله ، فقال : ما أدري ما قالوا ، ولكني أقول :
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرَّةٍ عَيْنًا بَعِيشَهُ نَفْعَهُ
فكان أسدَّهم .

من شعر
الأضبط بن
قريع

والبيت للأضبط بن قريع ، أنشده أبو العباس ثعلب ، قال : وبلغني أن هذه
الآيات قيلت قبل الإسلام بدهرٍ طويل :

لكل ضيقٍ من الأمورِ سَعَةٍ والصَّيْحُ والمُسْنَى لا فلاحَ مَعَهُ (١)
ما بالُ مَنْ سرَّه مصابك لا يملك شيئاً من أمرِهِ وَزَعَهُ
أذود عن حَوْضِهِ ويدْفَعُنِي يا قوم ، مَنْ عاذِرِي مِنَ الخُدْعَةِ؟
حتى إذا ما انجلت عَمَائَتُهُ أَقْبَلَ يَلْحَى وَغِيَّهُ فَجَعَلَهُ (٢)
قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِهِ وَيَأْكُلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمَعَهُ
ويقطعُ الثوبَ غيرُ لابسِهِ ويلبسُ الثوبَ غيرُ مَنْ قَطَعَهُ
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مِنْ قَرَّةٍ عَيْنًا بَعِيشَهُ نَفْعَهُ
وَصَلَ حَبَالَ البعيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلَ ، وَأَقْصَى القريبِ إِنْ قَطَعَهُ
ولا تُعَادِ الفقيرَ عَلكَ أَنْ تَرَكَمَ يوماً والدَّهْرُ قد رَفَعَهُ (٣)
هذا البيت شبيه بما روى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يستنشدني قول اليهودى :
ارفع ضعيفك لا يحزرك بك ضعفه يوماً فتذركه العواقب قد نما (٤)
يَحْزِيكَ ، أو يُثْنِي عليك ، وإِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى
فأنشده ، فيقول : إني فِطْنٌ لَهَا :

(١) في الأُمالي (١٠٧/١) « لكل هم من الهموم سعة » (م)

(٢) عَمَائَتُهُ : ضلالتُهُ ، ويلحى : يلوم أشد اللوم (م) .

(٣) يرويه النحاة « لا تهين الفقير علك أن - إلخ » (م) .

(٤) لا يحزرك ضعفه : يريد أنه قد يرجع الضعف إليك وينتعثى هو (م)

وكان الأضبط سيد بنى سعد ، وكانوا يشتمونه ويؤذونه ، فانتقل إلى حيٍّ من العرب فوجدهم يؤذون سادتهم ، فقال : حينما أوجه ألق سعداً ! فذهبت مثلاً قال الطائي :

فلا تحسبنَ هندا لها العذرُ وحدها سجيةً نفسٍ ، كلُّ غانيةٍ هندا
[وصف المحابر والأقلام]

لبعض الكتاب
يصف محبرة

قال بعضُ الكتاب يصف محبرة :

ولقد مضيتُ إلى المحدث آفأً
وإذا ظبأه الإنس تكتبُ كل ما
يتجاذبون الخبرَ من مَلُومةٍ
من خالص البلورِ غيرَ لَوْنِها
إنْ نكسوها لم تسِلْ ، ومليكيها
ومتى أملوها لرشفِ رُضابها
وكانها قلبى يَضُنُّ بَسرَهُ
يَمْتَاحُها ماضى الشبابة مُذَلِّقُ
رجلاه رأسٌ عنده أَلَكْنَهُ
وكانه والخبرُ يَحْضِبُ رأسه
لَمْ لا ألاحظه بعينِ جلاله
وقال أبو الفتح كشاجم :

مِخْبَرَةٌ جَادَ لِي بِهَا فَمِرٌ
جوهرة خَصَنِي بِجْـ وَهَرَةٌ
بيضاء والحِـبْرُ في قَرَارَاتِهَا
مثل بياضِ العيونِ زِينُهُ

لأبى الفتح
كشاجم

(١) مَلُومة : مستديرة (م) (٢) السبج : الحرز الأسود (م)
(٣) أصل المتح نزع الماء من البئر ، والشبابة : حد كل شيء ، والمذلق : المحدث ،
أوراد القلم (م)

كَأَنَّمَا جَبَرُهَا إِذَا كَثُرَتْ أَقْلَامُ سَنَا ظَلَّهُ عَلَى الْوَرَقِ
كُحْلٌ مَرَّتَهُ الْعُيُونُ مِنْ مُقْلٍ نُجْلٍ فَأَوْفَتْ بِهِ عَلَى يَتَقَى^(١)
خَرَسَاءَ لَكِنَّهَا تَكُونُ لَنَا عَوْنًا عَلَى عِلْمٍ أَفْصَحَ التُّطْقُ
وقال عبد الله بن أحمد : القلم أمره ، ما لم يَكْتَحِلْ بِإِثْمِ الدَّوَاةِ^(٢) .

وكتب إبراهيم بن العباس كتاباً فأراد محو حرف فلم يجد منديلاً ، فحاه بكُمّه ،
فقليل له في ذلك ، فقال : المالُ فرْعٌ ، والعلمُ أصلٌ ؛ وإنما بلغنا هذه الحال ، واعتقدنا
هذه الأموال^(٣) بهذا القلم والمداد ، ثم قال :

إِذَا مَا الْفِكْرُ أَضْمَرَ حُسْنَ لَفْظٍ وَأَدَّاهُ الضَّمِيرُ إِلَى الْعِيَانِ
وَوَشَّاهُ وَتَمَنَّمَهُ مُسَدَّدٌ فَصِيحٌ بِالْمَقَالِ وَبِاللَّسَانِ
رَأَيْتُ حُلَى الْبَيَانِ مَنْوَرَاتٍ تَضَاحَكُ بَيْنَهَا صُورُ الْمَعَانِي

ألفاظ لأهل العصر في أوصاف آلات الكتابة والدوى والأقلام
الدواة من أنفع الأدوات ، وهى للكتابة عتاد ، وللخاطر زناد ، غدير لا يردّه
غَيْرُ الْأَفْهَامِ ، ولا يمتح بغير أُرْشِيَةِ الْأَقْلَامِ^(٤) ، دواة أنيقة الصَّنْعَةِ ، رَشِيقَةُ
الصَّبْغَةِ ، مَسْكِيَةِ الْجِلْدِ ، كَافُورِيَةِ الْحَلِيمَةِ . غدير تفيض ينابيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ أَقْطَارِهِ ،
وَتَنْشَأُ سَحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ . دواة تُدَاوِي مَرَضَ عَفَاتِكَ ، وَتُدْوِي قُلُوبَ
عِدَاتِكَ ، عَلَى مَرَفَعٍ يُؤْذِنُ بِدَوَامِ رِفْعَتِكَ ، وَارْتِفَاعِ النَّوَابِ عَنْ سَاحَتِكَ ،
وَمَدَادٍ كَسَوَادِ الْعَيْنِ ، وَسُوَيْدَاءِ الْقَلْبِ ، وَجَنَاحِ الْغُرَابِ ، وَلُعَابِ اللَّيْلِ ، وَأَلْوَانِ
دُهِمِ الْخَلِيلِ . وهذا من قول ابن الرومي :

حَبْرُ أَبِي حَفْصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ كَأَنَّهُ أَلْوَانُ دُهِمِ الْخَلِيلِ

- (١) مرته العيون : استخرجته ، والمقل : جمع مقلة ، وهى العين ، والنجل :
جمع نجلاء ، وهى الواح ، واليقق - بالتحريك - الأبيض (م)
(٢) الأمره : وصف من المره - بالتحريك - وهو خلو العين من الكحل (م)
(٣) اعتقدنا بهذه الأموال : تأملناها وجمعناها (م)
(٤) الأُرْشِيَةُ : جمع رشاء ، وأصله جبل الدلو (م)

قال العاصر: مبدأ ناسب خافية الغراب، واستعار لونه من شَرِخ الشباب،
وأقلام جمة المحاسن، بعيدة من اللطائف، تعاصى الكاسى، وتمايع الغامز
القاسى. أنايب ناسبت رماح الخط في أجناسها، وشاكت الذهب في ألوانها،
وضاقت الحديد في لمعانها؛ كأنها الأميال استواء، والآجال مضاء، بطيئة الحفى،
قوية القوى، لا يشظيها^(١) القَطُّ، ولا يتشعبُ بها الخط. أقلام بحرية موشية
الليط^(٢)، راققة التخطيط. قلم معتدل الكعوب، طويل الأنوب، باسِقُ
الفروع، روى الينبوع، هو أولى باليد من البنان، وأخفى للسر من اللسان.
هو للأنامل مطية، وعلى الكتابة معونة مرصية. نعم العدة القلم: يقلم أظافر
الدهر، ويملك الأقاليم بالنهى والأمر، إن أردتَ كان مسجوناً لا يمل الإسار،
وإن شئتَ كان جواداً جارياً لا يعرف العثار، لا ينبو إذا نبت الصقاع^(٣)،
ولا يُنجم إذا أحجمت الرماح.

لأبى الفتح
كشاجم

قال أبو الفتح كشاجم، يصف محبرة ومقامة وأقلاماً وسكيناً:

جِسْمِي مِنَ اللَّهِوَ وَأَلَاتِ الطَّرَبِ	وَمِنْ عَتَادِ وَثَرَاءِ وَنَشَبِ
وَمِنْ مُدَامِ وَمَثَانِ تَصْطَحِبِ	وَهَمَّةٍ طَمَاحَةٍ إِلَى الرُّتَبِ
مَجَالِسُ مَصُونَةٍ مِنَ الرِّيبِ	مَعْمُورَةٍ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وَأَدَبِ
تَكَادُ مِنْ حَرِّ الْحَدِيثِ تَلْتَهَبِ	شِعْراً وَأَخْبَاراً وَنَحْواً يَقْتَضِبِ
وَلُغَةً تَجْمَعُ أَلْفَاظَ الْعَرَبِ	وَفَقْراً كَالْوَعْدِ فِي قَلْبِ الْمُحِبِ
أَوْ كَتَاتِي الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ	أَجَلٍ، وَحَسَنِيٍّ مِنْ دُورِي تُلْتَحَبِ
مَحَلِّيَاتٍ بُلْجَيْنِ وَذَهَبِ	مُخَبَّرَةٍ يُزْهِى بِهَا الْحَبْرُ الْأَلْبِ ^(٤)
مَنْقُوبَةٍ آذَانُهَا، وَفِي الثَّقَبِ	مِثْلَ شُنُوفِ الْخُرْدِ الْبَيْضِ الْعُرْبِ ^(٥)

(١) لا يشظيها: لا يقطعها شظايا (م) (٢) الليط، بالكسر: القشر.

(٣) الصفاح: السيوف (م) (٤) الحبر، بالكسر: العالم (م).

(٥) العرب، بضم العين والراء: جمع عروب. وهى المرأة المتحجبة إلى زوجها.

بصن قطراً فيه للكتب عشب
 لا تنضب الحكمة إلا إن نضب
 كالقُرط في الجيد تدلى فاضطرب
 كأنه يودع نبلاً من قصب
 لا تضحك الأوراق حتى ينتحب
 رمياً متى أقصد به السمّ أصب
 غصبي على الأقلام من غير سبب
 وإما ترضيك في ذاك الغضب
 والظرف في الآلات مما يستحب
 أسود يجري بمان كالشهب
 نبطت إلى يسرى يدى سبب
 تصحبها ، والأخوات تضطحب
 لم يعلها ريش ولم تحمل عقب^(١)
 ترمى بها يمنى أغراض الكتب
 ومذبة كالغضب ما مس القصب
 تسطو بها في كل حين وتنب
 فتلك آلاتي ، وآلاتي تحب
 لا سيما ما كان منها للادب

[عمال المأمون]

تظلم رجل إلى المأمون من عامل له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما ترك لي
 فضة إلا فضها ، ولا ذهباً إلا ذهب به ، ولا غلة إلا غلها ، ولا ضيعة إلا
 أضاعها ، ولا علقاً^(٢) إلا علقه ، ولا عرضاً إلا عرض له ، ولا ماشية إلا امتشها^(٣) ،
 ولا جليلاً إلا أجلاه ، ولا دقيقاً إلا أدقه . فعجب من فصاحته وقضى حاجته .
 قال عمرو بن سعد بن سلم : كانت على نوبة أنوبها في حرس المأمون ،
 فكنت في نوبتي ليلة فخرج متفقداً من حضر ، فعرفته ولم يعرفني ، فقال : من
 أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك الله .
 فقال : تكلونا منذ الليلة . قلت : الله يكلوك قبلي ، وهو خير حافظا وهو
 أرحم الراحمين .

فقال المأمون :

إن أخاك الحق من يسعى معك ومن يضرب نفسه لينفعك
 ومن إذا صرف زمان صدعك بدد شمل نفسه لجمعك

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار (م) .

(٢) العلق ، بالكسر ، النفيس من كل شيء . (٣) امتشها : ذهب بها كلها .

[الورد والرجس]

لابن الرومي

وقال علي بن العباس الرومي :

خَجَلْتُ خُدُودُ الْوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ خَجَلًا تَوَرَّدَهَا عَلَيْهِ شَاهِدُ
لَمْ يَخْجَلِ الْوَرْدُ الْمُرْدُ لَوْنُهُ إِلَّا وَنَاحِلُهُ الْفَضِيلَةُ عَانِدُ
لِلرَّجْسِ الْفَضْلُ الْمُبِينُ إِذَا بَدَأَ بَيْنَ الرِّيَاضِ طَرِيفُهُ وَالتَّالِدُ
وَكَانَ ابْنُ الرُّومِيِّ مُتَعَصِّبًا لِلرَّجْسِ ، كَثِيرَ الدَّمِّ لِلْوَرْدِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي

الحسن ابن المسيب :

أَدْرَكَ ثِقَاتَكَ إِنَّهُمْ وَقَعُوا فِي نَرْجِسٍ مَعَهُ أُنْبَةُ الْعَنْبِ
فَهُمْ بِحَالٍ لَوْ بَصُرَتْ بِهِمَا سَبَّحَتْ مِنْ عُجْبٍ وَمِنْ عَجَبِ
رِيحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرَرٍ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبِ
فِي رَوْضَةٍ شَتْوِيَّةٍ رَضَعَتْ دِرًّا الْحَيَا حَلَبًا عَلَى حَلَبِ
وَالْيَوْمُ مَدْجُونٌ مُحَرَّتُهُ فِيهِ بِمُطْلَعٍ وَمُحْتَجِبِ^(١)
ظَلَّتْ تَسَامِرُنَا وَقَدْ بَعَثَتْ ضَوْءًا يُبْلِغُ ظَنًّا بِلا لَهَبِ
وَكَانَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانِ مُسْتَهْتَرًّا بِالنَّجْسِ^(٢) ، وَكَانَ يَقُولُ : هُوَ يَقُولُ

أصفر ، بين درّ أبيض ، على زمرّد أخضر . نقله بعض المحدثين فقال : بعض المحدثين

وَيَا قُوْتَةَ صَفْرَاءَ فِي رَأْسِ دُرَّةٍ مَرْكَبَةٍ فِي قَائِمٍ مِنْ زَبَرْجَدِ
كَمِثْلُ بَهْيِ الدَّرِّ عَقْدَ نَفْلَامِهَا نَثِيرُ فِرْنِدٍ قَدْ أَطَافَ بِعَسَجَدِ
كَأَنَّ بَقَايَا الطَّلِّ فِي جَنَابَاتِهَا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فَوْقَ خَدِّ مُورَدِ

رجع ابن الرومي :

رجع
لابن الرومي

فَضْلُ الْقَضِيَةِ أَنَّ هَذَا قَائِدُ زَهَرِ الرَّبِّيعِ وَأَنَّ هَذَا طَارِدُ
شَتَّانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ : هَذَا مُوعِدُ بَتَصَرُّمِ الدُّنْيَا ، وَهَذَا وَاعِدُ

(١) مَدْجُون : قَدْ غَطَى سَمَاءَهُ الْغَيْمُ ، وَحَرَّتُهُ : شَمْسُهُ ، وَمُطْلَع : اسْمُ لِمَكَانِ
الطَّلُوعِ ، وَمُحْتَجِب : اسْمُ لِمَكَانِ الْإِحْتِجَابِ (م) .
(٢) مُسْتَهْتَرًّا : مُوَلَعًا (م) .

فإذا احتفظت به فأمّتعُ صاحب
ينهى النديم عن القبيح بلحظه
اطلب بمقلك في الملاح سميّه
والورد إن فتشت فرد في اسمه
هذي النجوم هي التي ربّينها
فانظر إلى الولدين ، من أدناها
أين الخدود من العيون نفاسة
بحياته ، لو أن حياً خالد
وعلى الدامة والسماع يساعِدُ^(١)
أبداً ؛ فإنك لا محالة واحد
ما في الملاح له سميّ واحد
بحياً السحاب كما يرّبي الوالد^(٢)
شبهاً بوالده فذاك الماجد
ورياسة ، لولا القياسُ الفاسدُ

وقد ناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم في هذا المذهب ، وذهبوا إلى تفضيل
الورد ؛ فمادّونّه وما استطاعوه .

لأحمد بن يونس
الكاتب رد على
ابن الرومي

قال أحمد بن يونس الكاتب راداً عليه :
يا من يشبه نرجساً بنواظري
إن القياس لمن يصحّ قياسه ،
والورد أصدق للخدود حكاية
ملك قصير عمره مستأهل
إن قلت إن الورد فرد في اسمه
فالشمس تُفرد باسمها والمشتري
أو قلت إن كواكبها ربيبتها
قلنا أحقهما بطبع أبيه في
زهر النجوم تروّقنا بضياءها
وكذلك الورد الأنيق يروّقنا
وخليفه إن غاب ناب بنفعه
جدوى هو الزاكي النجيب الراشد
وله منافع جمة وعوائد
وله فضائل جمة وفوائد
وبنفعه أبداً مقيم راكِدُ

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا ذَكَرْنَا بَعْدَهَا وَضَحَّتْ عَلَيْهِ دَلَائِلُ وَشَوَاهِدُ
فَانْظُرْ إِلَى الْمُصَفَّرِ لَوْنًا مِنْهُمَا وَاظْنِ فَمَا يَصْفَرُّ إِلَّا الْحَاسِدُ

نبت من النظم والنثر

في صفات النور والزهر

لعلي بن الجهم

قال علي بن الجهم :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أَعْجَبَهُ حُسْنُ الرِّيَاضِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
بَدَا فَأَبْدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مُحَاسِنَهَا وَرَاحَتِ الرَّاحُ فِي أَثْوَابِهَا الْجُدِّ
وَقَابَلَتْهُ يَدُ الْمُشْتَاقِ تُسَنِّدُهُ إِلَى التَّرَائِبِ وَالْأَخْشَاءِ وَالْكَبِدِ
كَأَنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ صَبَابَتِهِ أَوْ مَانِعًا جَفَنَ عَيْنِهِ مِنَ الشُّهْدِ
بَيْنَ النَّدِيمِينَ وَاللَّيْلِينَ مَضْرَعُهُ وَسَنَرُهُ مِنْ يَدِ مَوْصُولَةٍ بِيَدِ
مَا قَابَلَتْ طَلْعَةَ الرِّيحَانِ طَلْعَتَهُ إِلَّا تَبَيَّنَتْ فِيهِ ذِلَّةُ الْحَسَدِ
قَامَتْ بِحُجَّتِهِ رِيحٌ مُعَطَّرَةٌ تَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْكَبِدِ
لَا عَذَابَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ يُعَذِّبُهُ بِمُسْمَعٍ بَارِدٍ أَوْ صَاحِبِ نَكِيدِ^(١)

وكان أردشير بن بابك يصفُ الورد ويقول : هو درُّ أبيض ، وياقوتٌ أحمر ،
على كراسي زبرجد أخضر ، توسطه شذورٌ من ذهبٍ أصفر ، له رِقَّةٌ الخمر ،
ونفحات العطر^(٢) أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال :

لمحمد بن عبد الله
بن طاهر

كَأَنَّهُنَّ يَوَاقِيتُ يُطِيفُ بِهَا زُمُرُودٌ وَسَطُهُ شَذَرٌ مِنَ الذَّهَبِ
فَاشْرَبْ عَلَى مَنْظَرٍ مُسْتَظَرٍّ حَسَنٍ مِنْ خَمْرٍ مَرَّةً كَالْجَمْرِ فِي اللَّهَبِ^(٣)

المتوكل

وقال يزيد المهلبی : أَحَبُّ الْمُتَوَكِّلِ أَنْ يَنَادِمَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، الْخَلِيعُ وَابْنُ الضَّحَّاكِ

(١) المسموع - على زنة اسم الفاعل - المعنى (م) .

(٢) مرة : لذيذة الطعم (م) .

البصري ، وأن يرى ما بقي من ظرفه وشهوته لما كان عليه ؛ فأخضره وقد كبر
وضَعَفَ ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : اسقِه ؛ فسقاه وحياء بوردة ،
وكانت على شفيع أثوابٌ ، فمدَّ الحسين يده إلى درع شفيع ، فقال المتوكل :
أتخمش غلامِي بحضرتي ؟ كيف لو خَلَوْتَ به ! ما أحوجك يا حسينُ إلى أدب !
وكان المتوكل غمز شفيعا على العبث به ، فقال حسين : سيدى ، أريد دواة وقرطاسا ؛
فأمر له بهما ، فكتب :

وكالوردة البيضاء حياءً بأحمرٍ من الوردِ يسعى في قرَاطقِ كالوردِ^(١)
له عبثاتٌ عنـد كلِّ تحيةٍ بكفيه يستدعى الخليَّ إلى الوجدِ
تمنيتُ أنْ أسقى بكفيه شربةً تذكرني ما قد نسيتُ من العهدِ
سقى الله عيشا لم أتم فيه ليلةً من الدهر إلا من حبيب على وعدِ

ثم دفع الرقعة إلى شفيع ، وقال : ادفعها إلى مولاك ؛ فلما قرأها استملحها ،
وقال : لو كان شفيع ممن تجوز هيبته لو هبته لك ، ولكن بجياتي يا شفيع إلا كنت
ساقيه بقيّة يومه ! وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف .

قال يزيد المهلبى : فصرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام ،
فقلت : ويحك ! أتدرى ما صنعت ؟ قال : لا أدعُ عادتي بشيء ، وقد
قلت بعدك :

لا رأى عطفة الأجنبَةِ من لا يصرحُ
أضغرُ الساقين أشـكـلُ عندى وأملحُ
لو تراه كالظبي يسـنـح طورا ويبرحُ
خلت غصنا على كثير بنور يوشحُ

(١) القراطق : جمع قرطق ، وهو ضرب من اللباس .

قال الصولى : وكان الأول من أبيات الحسين من قول العباس بن الأحنف :

بيضاء فى حُمْرِ الثيابِ كورْدَةٍ بيضاء بين شقائق النعمانِ
تهتزُّ فى غَيْدِ الشبابِ إذا مَسَتْ مثل اهتزازِ نَواعِمِ الأغصانِ

ظبي ياكل
نيلو فرا

قال أبو بكر الصولى : كان عند الخصى الوزير ظبي داجن زبيب فى داره ،
فعمد إلى نيوفر فأكله ، فاستملح الغزال وأنسه ، وقال : لو عمل فى أنس هذا
الغزال وفعله بالنيوفر لاشتمل العمل على معنى مليح ! فبلغ الخبر أبا عبد الله إبراهيم
ابن محمد بن عرفة نفطويه ، فبادر لئلا يُسبق ، وعمل أبياتا أولها :

جرتْ ظَبْيَةٌ غَناءَ ترعى برَوْضَةً تنوشُ لَدَى أفنانِها ورقًا خُضرا^(١)
فى أبيات غير طائفة ، فاستبرد ما أتى به ، قال الصولى : فقلت :

ونيلوفر يحكى لنا المِسْكَ طيبُهُ تراه على اللذاتِ أَفْضَلَ مُسْعِدِ
قد اجتنى خوفَ الحادثاتِ بَجْنَةً تروقُ كُثوبِ الراهبِ المتعبِدِ
تُرَكَّبُ كالكَسائِبِ فى ذَهَبِيَّةٍ على قُضْبٍ مخضرةٍ كالزَّبَرَجَدِ
وألبس ثوبًا يَفْضُلُ اللَّحْظَ حُسْنُهُ كما عَيْتَ عَيْنٌ بِخَدٍّ مُورَدِ
غَذَّتْهُ أَهَاضِيبُ السَّمَاءِ بِدَرِّها تروحُ عليه كلَّ يومٍ وتفتدي
تلبسُ لِلأنوارِ ثوبَ سَمائِهِ ففَضَّلَ عنه الحَسَنُ فى كلِّ مَشْهَدِ
وفى وسطه مِنْهُ اصْفِرارٌ يَزِينُهُ كياقوتةٍ زرقاءٍ فى رَأْسِ عَسْجَدِ
أطاف به أَخَوَى المدامعِ شَادِنٌ حَكى طَرْفَ من أَهْوَى وحُسْنَ المَقْلَدِ^(٢)
كما أَخَذَ الظَّمآنُ بالقَمِّ كاسَهُ ولم يَسْتَعِنْ فى أَخْذِهِ الكاسَ بِالْيَدِ

[وصف أيام الربيع]

وقال أبو محمد الحسن بن على بن وكيع^(٣) :

لابن وكيع

يومٌ أَنَاكَ بوجْهِهِ المتهلَّلُ ناهيك من يومٍ أغرَّ مُحجَّلِ

(١) تنوش : تتناول (م) .

(٢) أحوى : وصف من الحوة وهى السمرة ، والمقلد : الموضع الذى تلبس
فيه القلادة ، يريد أن الظبية حكى من الملاح عينها وجيدها (م) .

(٣) فى نسخة « أبو الحسن محمد بن على » .

خَلَعَ الْغَمَامُ عَلَى اخْضِرَارِ سَمَائِهِ
وَكَسَا الرُّبَى حُلَلًا تَخَالَفَ شَكْلَهَا
وَتَمَايَلَتْ فِيهِ قَدُودُ غُصُونِهِ
وَعَلَا عَلَى الْأَشْجَارِ قَطْرُ سَمَائِهَا
يَحْكِي قَبَابَ زُمُرْدٍ قَدْ كَمَلَّتْ
وَأَتَاكَ نَوْرُ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّمَا
الْوَرْدُ يُنْجِلُ كُلَّ نَوْرٍ طَالَعِ
وَحَكِي بَيَاضُ الطَّلَعِ فِي كَافُورِهِ
فَكَأَنَّمَا الدُّنْيَا عَرُوسٌ أَقْبَلَتْ
فَاشْرَبَ مُعْصَفَرَةَ الْقَمِيصِ سُلَافَةً
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ :

لَأَبَى الْفَتْحِ
الْبُسْتِيُّ

يَوْمٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَيَّامِ
فَالْبَرْقُ يُخَفِّقُ مِثْلَ قَلْبِ هَائِمٍ
وَكَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدٌّ مَتِيمٌ
فَاطْلُبْ لِيَوْمِكَ أَرْبَعًا : هَنَّا الْمَنَى
وَجْهَ الْحَبِيبِ ، وَمَنْظَرًا مُسْتَشْرِقًا ،
وَقَالَ الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ :

لَأَبَى الْفَضْلِ
الْمِيكَالِيُّ

سَلَّ الرَّبِيعُ عَلَى الشِّتَاءِ صَوَارِمًا
وَبَكَتْ لَهُ عَيْنُ السَّمَاءِ بِأَدْمُعٍ
وَبَدَتْ شَقَائِقُهَا خِلَالَ رِيَاضِهَا
تَرَكَتْهُ مَجْرُوحًا بِلَا إِغْمَادٍ
ضَحِكَتْ لِسَاجِمِهَا رَبَّى الْأَنْجَادِ
تُرْهِى بِثَوْبِي مُحَرَّةً وَسَوَادِ

(١) أقبل: وصف من القبل - بالتحريك - وهو إقبال سواد العين على جهة الأنف.

فَكَأَنَّهَا بِنْتُ الشَّاءِ تَوَجَّعَتْ لَمَصَ—أَبَهُ كَشَقِيقَةِ الْأَوْلَادِ
فَقَنُوهُ حُمْرَتَهَا خِضَابُ نَجِيعِهِ وَسَوَادُ كُسُوتِهَا لِبَاسُ حِدَادِ

وقال :

تَصَوَّغُ لَنَا كَفُّ الرِّيعِ حَدَائِقَا كَعَقْدِ عَقِيقٍ بَيْنَ سِمْطٍ لَالِي
وَفِيهِنَّ أَنْوَارُ الشَّقَائِقِ قَدْ حَكَّتْ خُدُودَ عِذَارِي نُقْطَتِ بَغْوَالِي

وقال :

كَأَنَّ الشَّقَائِقَ إِذْ أَبْرَزَتْ غِلَالَةَ دَادٍ وَثَوْبًا أَحْمَرًا^(١)
قَطَاعٌ مِنَ الْجَمْرِ مَشْبُوبَةٌ فَأَطْرَافُهَا لَمَعَتْ مِنْ حَمَمٍ

وقال في حديقة ريجان :

أَعَدَدْتُ مُحْتَفِلًا لِيَوْمِ فَرَاعِي رَوْضًا غَدَا إِنْسَانَ عَيْنِ الْبَاغِي^(٢)
رَوْضُ يَرَوْضُ هُمُومِ قَلْبِي حُسْنُهُ فِيهِ لِكَأْسِ الْأَنْسِ أَيْ مَسَاغِرُ
فَإِذَا بَدَتْ قَضْبَانُ رِيجَانٍ بِهِ حَيَّتْ بِمِثْلِ سِلَاسِلِ الْأَضْدَاغِ

وقال في النرجس :

أَهْلًا بِنَرْجِسِ رَوْضٍ يَزْهَى بِحُسْنٍ وَطِيبٍ
يَزْنُو بِعَيْنِي غِزَالٍ عَلَى قَضِيبٍ رَطِيبٍ
وَفِيهِ مَعْنَى خَفِيٌّ يَزِينُهُ لِلْقُلُوبِ
تَصْخِيفُهُ إِنْ نَسَقَتْ الْحُرُوفَ بِرُحْبٍ حَبِيبٍ

وقال :

وَمَا ضَمَّ شَمْلَ الْأَنْسِ يَوْمًا كَنَرْجِسٍ يَقُومُ بُعْذَرِ اللَّهِوِ عَنْ خَالِجِ الْعُذْرِ^(٣)
فَأَحْدَاقُهُ أَحْدَاقُ تَبْرِ ، وَسَافُهُ كَقَامَةِ سَاقٍ فِي غِلَالَةِ الْخُضْرِ

(١) داد : مولع باللهو واللعب ، واللعب يقال له : دد ، والأحمر : الأسود (م).

(٢) الباغى : قيم البستان . (٣) العذر : جمع عذار .

سَقَى الْغَيْثُ أَكْنَافَ اللَّوَى مِنْ مَحَلَةٍ إِلَى الْخِصْفِ مِنْ رَمْلِ اللَّوَى الْمُتَقَاوِدِ
 وَلَا زَالَ مَخْضَرٌ مِنَ الرُّوضِ يَانِعٌ عَلَيْهِ بِحَمَرٍ مِنَ النُّورِ جَاسِدِ
 شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
 وَمَنْ لَوْ لَوْ فِي الْأَفْجُوانِ مَنْظَمٌ وَمِنْ نُكْتِ مَصْفَرَّةٍ كَالْفَرَائِدِ
 كَانَ جَنَى الْخُودَانِ فِي رَوْنَقِ الضَّحَى دَنَائِرِ تَبَرٍّ مِنْ تُؤَامٍ وَفَارِدِ
 إِذَا رَاوَحَتَهَا مُزْنَةٌ بِكَرْتٍ لَهَا شَأْيِبُ مُجْتَازٍ عَلَيْهَا وَقَاصِدِ
 رِبَاعٌ تَرَدَّتْ بِالرِّيَاضِ مَجُودَةً بِكُلِّ جَدِيدِ الْمَاءِ عَذْبِ الْمَوَارِدِ^(١)
 كَانَ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتِلْكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

[في مجلس المبرد]

قال أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه : قال لى البحترى وقد اجتمعنا على خلوة عند المبرد وسلكنا مسلكا من المذاكرة : أشعرت أنى سبقت الناس كلهم إلى قولى :

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ التَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخِرَائِدِ
 كَانَ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتِلْكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ
 هَكَذَا أَنشَدَ ، فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْمَبْرِدُ اسْتِحْسَانًا أَسْرَفَ فِيهِ ، وَقَالَ : مَسَمِعْتُ
 مِثْلَ هَذِهِ الْأَلْفَافِ الرُّطْبَةِ ، وَالْعِبَارَةِ الْعَذْبَةِ ، لِأَحَدٍ تَقَدَّمَكَ وَلَا تَأْخِرَنَّكَ . فَأَعْتَرَتْهُ
 أَرِيحِيَّةٌ جَرَّبَهَا رِداءُ الْعُجْبِ ؛ فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَنِي مَا يُعْجِبُ النَّاسَ مِنْ مُرَاجَعَةِ
 الْقَوْلِ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبَا عُبَادَةَ ، لَمْ تَسْبِقْ إِلَى هَذَا ، بَلْ سَبَقَكَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ الْكَاتِبُ
 إِلَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ :

عَذْبَ الْفِرَاقِ لَنَا قَبِيلٌ وَدَاعِنَا ثُمَّ اجْتَرَعْنَاهُ كَسْمٍ نَاقِعِ

وكانما أثرُ الدموعِ بخدَّها طَلَّ تساقط فوق وَرْدٍ يانعٍ
وشركك فيه صديقنا أبو العباس الناشئ بما أنشدنيه آنفا :

بَكَتَ للفراق وقد راعَى بكاء الحبيب لبُعْدِ الديارِ
كَأَنَّ الدَّمْعَ على خَدِّها بقيَّة طَلٍّ على جُلُنار^(١)

وما أساء على بن جريج ، بل أحسن في زيادته عليك بقوله :

لو كنتَ يومَ الوداعِ شاهِدَنا وهنَّ يُطْفِئْنَ غُلَّةَ الْوَجْدِ
لم تَرَ إِلَّا دَمْعَ باكِيةٍ تَبْفَحُ من مُقْلَةٍ على خَدٍّ
كَأَنَّ تلكَ الدَّمْعَ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ من رُجْسٍ على وَرْدٍ

وسبقك أبو تمام إلى معنى البيتين معاً بقوله :

من كل زاهرَةٍ تَرْقُرُقُ بالنَدَى فكأنها عينٌ إليه تَحَدَّرُ
تبدو ويحجبها الجيمُ كأنها عَذْرَاءُ تبدو تارةً وتحْفَرُ^(٢)
خَلَقُ أَطْلَ من الربيعِ كأنَّهُ خَلَقَ الإمامَ وهَمْدُهُ المُنْشَرُ
في الأرضِ من عَدَلِ الإمامِ وجُودِهِ ومن الربيعِ الغضُّ سَرَحُ يَزْهَرُ^(٣)
يُنْسِي الربيعُ وما يروِّضُ جودهُ أَبْدَأُ على مَرٍّ الـيـالـى يَنْدُكُرُ

قال : فشق ذلك عليه ، وحلَّ حَبَوْتَهُ ونهَضَ ، فكان آخرَ عهدٍ بمؤانسته
وغلَّظ ذلك على محمد بن يزيد ، وقدح ذلك في حالي عنده .

للبحترى في
المدح

وقال البحترى يمدح الهيثم بن عثمان الغنوى :

ألست ترى مدَّ الفُراتِ كأنَّهُ جبالَ شَرَوْرَى جِئْنَ في البجرِ عُوْما
وما داك من عاداته غير أنه رَأَى شِيمَةً من جاريهِ فتعلَّما

(١) الجلنار : زهر الرمان ، وهو فارسي معرب . (٢) الجيم : التبت الغزير .

(٣) السرح : كل شجر طال .

وقد نبّه النوروزُ في غبشي الدجى
يُفتّحها بردُ الندى فكانه
ومن شجرِ ردّ الربيعِ لباسه
أحلّ فأبدى للعيونِ بشاشة
فما يمنع الراح التي أنت خلها
وما زلتِ خلّاً للندى إذا اغتدوا
تكرّمت من قبل الكئوس عليهم
فما استطعن أن يحدثن فيك تكرّما

حيثك عنا شمال طاف طائفها
هبت سحيراً فنجى الغصن صاحبه
ورق تغنى على خضر مهذلة
تخال طائرها نشوان من طرب
بجنته ففرت راحاً وريحاً
سيراً بها وتداعى الطير إعلاناً
تسمو بها وتمس الأرض أحياناً
والغصن من هزه عطية نشواناً

ولابن المعتز في أرجوزته البستانية التي ذم فيها الصبوح صفة جامعة ، إذ قال :

أما ترى البستان كيف نوراً
وضحك الورد إلى الشقائق
في روضة كحلية العروس
وياسمين في ذرى الأغصان
والسرو مثل قصب الزبرجد
على رياض وثرى ندى
وفرّج الخشخاش جيئاً وفتق
أو مثل أقداح من البلور
وبعضه عريان من أثوابه
قد خجل اليابس من أصحابه

لابن المعتز
ذم الصبوح

مثل الدبايس بأيدي الجنـد
كقطنٍ قد مَسَّهُ بعضُ بَلل
ودخل الميـدان في ضَمَانِه
كأنها جَـمَاجِمٌ من عَنَبَرٍ
جُـمُـمَةٌ كِهَامَةِ الشَّـمَاسِ
وجوهرٍ مِن زَهَرٍ مُخْتَلَفٍ
أو مثل أغراف ديوك الهند
قد صُقِلَتْ أنواره بالقطر

لأبي الفتح
كشاجم

كما رَضِيَ الصَّدِيقُ عن الصديقِ
أَتَمَّ لَهُ الصَّنِيعَةَ فِي الْعَبُوقِ
كَأَنَّ ثَرَاهُ مِنْ مِسْكِ فَمِيقِ
بقايا الدَّمْعِ فِي خَدِّ مَشُوقِ
فَالَتْ مِثْلَ شُرَابِ الرَّحِيقِ
مُخَصَّرَةً شَقَائِقُ مِنْ عَمِيقِ
صَنِيعِ اللَّطَمِ فِي الْخَدِّ الرَّقِيقِ

مُتَّصِلَ الْوَبْلِ سَرِيعِ الرَّكْضِ
مُتَّصِلًا بِطَوْلِهِ وَالْعَرَضِ
ثُمَّ سَمَا كَاللَّوْثِ الْمَرْفُضِ
فِي حَلِيمَيَا الْحَمَرِّ وَالْمَبْيُضِ
مِثْلَ الْخُدُودِ نُقِشَتْ بِالْعَضِّ

تُبْصِرُهُ عِنْدَ انْتِشَارِ الْوَرْدِ
وَالسَّوْسَنُ الْآزَارُ مَنْشُورُ الْحُلَلِ
نَوَّرَ فِي حَاشِيَتِي بُسْتَانِه
وَقَدْ بَدَتْ فِيهِ ثَمَارُ الْكُنْكَرِ
وَحَلَّقَ الْبَهَارُ بَيْنَ الْأَسْرِ
خِلَالَ شَيْخٍ مِثْلَ شَيْبِ النَّصْفِ
وَجُلُنَارٍ كَأَجْمَرِ الرَّارِ الْوَرْدِ
وَالْأَقْحَوَانِ كَالثَنَائِيَا الْغُرِّ
وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كَشَاجِمُ :

وَرَوْضٍ عَنِ صَنِيعِ الْغَيْثِ رَاضٍ
إِذَا مَا الْقَطْرُ أَشْرَعَهُ صَبُوحًا
يُعِيرُ الرِّيحَ بِالْفَنَاحَاتِ رِيحًا
كَأَنَّ الطَّلَّ مُنْتَشِرًا عَلَيْهِ
كَأَنَّ غَصُونَهُ سَقَيْتَ رَحِيقًا
كَأَنَّ شَقَائِقَ النِّعَامِ فِيهِ
يَذْكُرُنِي بِنَفْسٍ جَهْ بَقَايَا
وَقَالَ :

غَيْثُ أَتَانَا مُؤَذِّنًا بِالْخَفْضِ
دَنَا فَنِلْمَنَاهُ دُؤَيْنَ الْأَرْضِ
إِلْفًا إِلَى إِلْفٍ بِسَرٍّ يُفْضِي
فَالْأَرْضُ تُجْحَلِي بِالنَّبَاتِ الْغَضِّ
مِنْ سَوْسَنِ أَخْوَى وَوَرْدٍ غَضِّ

وَأَقْحُوَانٍ كَاللَّجَيْنِ الْمُحْضِ وَتَرْجِسَ ذَاكِي النِّسِيمِ بَضَّ
مِثْلَ الْعَيُونِ رَنَقَتْ لِلْعَمَضِ تَرْنُو فَيَعْشَاهَا الْكَرَى فَتَغْضِي

جملة من هذا النوع لأهل العصر

قال أبو فراس الحمداني :

لأبي فراس
الحمداني

وَجَلَنَّا بِمُشْرِقٍ عَلَى أَعَالِي شَجَرَةٍ
كَأَنَّ فِي رُؤُوسِهِ أَحْمَرَهُ وَأَصْفَرَهُ
قُرَاضَةً مِنْ ذَهَبٍ فِي خِرْقَةٍ مَعْصَرَةٍ

وقال :

وَيَوْمَ جَلَّافِيهِ الرَّبِيعِ رِيَاضُهُ بِأَنْوَاعٍ حَلَّى فَوْقِ أَثْوَابِهِ الْخَضِرُ
كَأَنَّ ذُبُولَ الْجَلَنَارِ مُطْلَعَةً فَضُولُ ذُبُولِ الْغَانِيَاتِ مِنَ الْأَزَرِ

لابن هاني
يصف زهرة
رمان

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هَانِيٍّ ، يَصِفُ زَهْرَةَ رُمَّانٍ قَطَطَتْ قَبْلَ عَقْدِهَا :
وَبَنَتْ أَيْكٍ كَالشَّبَابِ النَّضْرِ كَأَنَّهَا بَيْنَ الْعُصُونِ الْخَضِرِ
جَنَانُ بَارِزٍ أَوْ جَنَانُ صَقْرِ قَدْ خَفَّتْهُ لَقْوَةٌ بَوَكْرٍ (١)
كَأَنَّمَا سَحَّجَتْ دَمًا مِنْ نَحْرِ أَوْ نَبَتَتْ فِي تَرْبَةٍ مِنْ جَمْرِ
[أَوْ سَقِيتْ بِجَدْوَلٍ مِنْ نَحْرِ] لَوْ كَفَّ عَنْهَا الدَّهْرُ صَرَفَ الدَّهْرُ
جَاءَتْ كَمِثْلِ النَّهْدِ فَوْقَ الصَّدْرِ تَفَتَّرُ عَنْ مِثْلِ اللَّثَاثِ الْحُمْرِ
فِي مِثْلِ طَعْمِ الْوَصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ

ولهم في هذا المعنى

روضة رَقَّتْ حَوَاشِيهَا ، وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا . رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ الْمُنَظَّمَةِ ، عَلَى الْبُرُودِ
الْمُنَمَّئَةِ . رَوْضَةٌ قَدَرَا ضَمَّتْهَا كَفُّ الْمَطَرِ ، وَدَبَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى . أَخْرَجَتْ الْأَرْضُ

أسرارها، وأظهرت يد الغيث آثارها، وأبدت الرياض أزهارها. الرياض كالعراس في حلها وزخارفها، والقيان في وشيها ومطارفها، باسطة زرايتها وأنماطها، ناشرة حبراتها ورياطها، زاهية بمحمراتها وصفرائها، نائمة بعيداتها وغدرانها، كأنما احتفلت لوفد، أو هي من حبيب على وعد. روضة قد تضيوت بالأرج الطيب أرجاؤها، وتبرجت في ظلل الغمام صحراؤها، وتنافجت بنوافج المسك أنوارها، وتعارضت بغرائب النطق أطيارها. بستان رق نور النضيد، وراق عوده النضير. بستان عوده خضر، ونوره نضر، ويثعه خضيل، وماؤه خضر. بستان أرضه للقل والريحان، وسماؤه للنخل والرمال. بستان أنهاره مفروزة بالأزهار، وأشجاره موقرة بالثمار. أشجاره كأن الحور أعارتها قدودها، وكستها برودها، وحلتها عقودها. الربيع شباب الزمان، ومقدمة الورد والريحان. زمن الورد مر موق، كأنه من الجنة مسروق. قد ورد كتاب الورد، بإقباله إلى أهل الود. إذا ورد الورد، صدر البرد. مرحباً بإشراف الزهر، في أطراف الدهر، وأنشد:

سقى الله ورداً صار خد ربيعنا فقد كان قبل اليوم ليس له خد
كان عَيْن النرجس عَيْن، وورقه ورق^(١) النرجس نُرّة الطرف، وظرف الطرف، وغذاء الروح: شقائق كتيجان العقيق على رؤوس الزوج، كأنها أضداع المسك على الوجنات الموردة. شقائق كالزنج تجارحت وسالت دماؤها، وضعت فسال دماؤها. كأن الشقيق جام من عقيق أحمر، ملئت قرارته مسك أذفر. الأرض زمردة، والأشجار وشتى، والماء سيوف، والطيور قيّمان. قد غردت خطباء الأطيار، على منابر الأنوار والأزهار. إذا صدح الحمام، صدع الحمام قلب المستهائم. انظر إلى طرب الأشجار لغناء الأطيار. ليس للبلابل كغناء البلابل^(٢)، وتخمر بابل.

(١) العين المشبه بها: الذهب، والورق - بكسر الراء - الفضة (م).

(٢) البلابل الأول: الأشجان، والثانية الطيور الغردة واحداً بلبل (م).

ولهم فيما يتعلق بهذا النحو في وصف أيام الربيع

يوم سماءه فأختية ، وأرضه طاوسية . يوم جلايب غيومه رواق ، وأردية
نسيمه رفاق . يوم ممسك السماء ، مضمفر الهواء ، معنبر الروض ، مصندل
الماء . يوم زرر عليه جيب الضباب ، وانسحب فيه ذيل السحاب . يوم سماءه
كالخز الأدكن ، وأرضه كالديباج الأخضر

شادن يرعى القلوب ببغدا د ولا يرعى الكلا بالنجاج
أقبلت والربيع يختال في الروض وفي المزن ذى الحيا الثجاج^(١)
ذو سماء كأذ كن الخرز قد غيمت وأرض كأخضر الديباج
فتجلى عن كل ما يتمنى موعد الكدخداة والهلاج
فطلنا في نزهتين وفي حُسنيين بين الأرمال والأهراج
بفتاة تسرنا في الثاني وعجوز تسرنا في الزجاج
أخذت من رءوس قوم كرام ثارها عند أرجل الأغلاج
يوم حسن الشائل ، ممتنع الخايل ، سَجَسَجَ الهواء ، مؤنق الأرجاء .
يوم تبسم عنه الربيع ، وتبرج عنه الروض الربيع . يوم كأن سماءه مائتم تباكي ،
وأرضه عروس تتجلى . يوم مشهر الأوصاف ، أغر الأطراف . يوم يُغنى فيه
النور وينتبه ، وتُسفر فيه الشمس وتنتقب ، وتعتنق العصور وتفتق ، ويوشى
النسيم وينسكب . يوم غاب نجسه وهوى ، وطلع سعده واعتلى ، والزمان ساقطة
جواره ، مُفَمِّمة أنهاره ، موفقة أشجاره ، مغردة أطياره . نحن في غب سماء ،
قد أقلمت بعد الارتواء ، وأقشعت عند الاستغناء ، فالنبت خضيل ممطور ،
والنقع ساكن محصور . يوم جوّه طاروني ، وأرضه طاوسى . يوم دجنه عاكف ،
وقطره وإكف . يوم من أعياد العمر ، وأعيان الدهر .

(١) الحيا : المطر ، والشجاج : كثير السيالان (م) .

[الربيع والرفاق]

ولهم في تشبيه محاسن الربيع بمحاسن الإخوان والسادة :
 غَيْثٌ مِثْلُهُ بِكَفِّكَ ، واعتداله مُضَاهٍ لَخُلُقِكَ ، وزَهْرُهُ مُوَارٍ لِلشَّرِكِ^(١) ،
 كأنما استعار حُلَّله من شِمتِكَ ، وحَلِيَّه من سَجِيَّتِكَ ، واقتبس أنواره من محاسن
 أيامِكَ ، وأمطاره من جُودِكَ وإِنعامِكَ . قدِمَ الربيعُ مُنْتَسِباً إلى خَلْقِكَ ،
 مُكْتَسِباً محاسِنَه من طَبْعِكَ ، متوشحاً بأنوار لَفْظِكَ ، متوضِّحاً بآثار لسانِكَ
 ويَدِكَ . أنا في بستانٍ أذكُرُني وَرْدُهُ المَفْتَحُ بِخَلْقِكَ ، وَجَدَوْلُهُ السابِحُ بِطَبْعِكَ ،
 وزَهْرُهُ الجَنِيُّ بِقَرْبِكَ . أنا في بستانٍ كأنه من شمائلِكَ سُرقَ ، ومن خَلْقِكَ خَلِقَ ،
 وقد قابلتني أشجارٌ تَتَمَّائِلُ فندكرُني تَبْرِيجَ الأحبابِ ، إذا تداوَلَتْهم أَيْدِي
 الشرابِ ، وأنهار كأنها من يدِكَ تَسِيلُ ، ومن راحتيك تَفِيضُ . أنا على حَافَةِ
 حَوْضٍ أَزْرَقَ كصفاء مودَّتِي لَكَ ، وَرِقَّةَ قَوْلِي فِي عَتَبِكَ .

[الصوم في الربيع]

وقال ابن عون الكاتب :

جاءنا الصومُ في الربيعِ فَهَلَّا اخْتَارَ رُبْعاً من سائرِ الأرباعِ^(٢)
 وكأنَّ الربيعَ في الصومِ عِقْدٌ فوقَ نَحْرِ غَطَاه فَضْلُ قِنَاعِ

[يوم الشك]

وكتب أبو الفتح كشاجم إلى بعض إخوانه يستدعيه إلى زيارته في يوم شك :
 هو يومُ شَكٍّ يا علِيَّ وبِشرُهُ مُذْ كان يُحَذَّرُ
 والجوُّ حُلْمَتُهُ مَسَّكَةٌ ومُطرُهُ مُعْنَبَرٌ
 والماءُ فُضِّي القَمِيصِ وطَيْلَسَانُ الأرضِ أخضرُ
 نَبْتُ يَصْعَدُ زَهْرُهُ في الرِّوْضِ قَطَرٌ نَدَى تَحَدَّرُ
 ولنا فُضَيْلاتٌ تَكُونُ لِيَوْمِنَا قَوْتاً مُقَدَّرُ

(١) النثر - بالفتح - الرائحة الطيبة (٢) كل فصل ربيع من السنة

ومُدَامَةٌ صَفْرَاهُ أَذْ رَكَ عُغْرَهَا كِسْرَى وَقِصْرُ
فَانْشَطْ لَنَا لِنَحْتَ مِنْ كَاسَاتِنَا مَا كَانَ أَكْبَرُ
أَوْ لَا فَإِنَّكَ جَاهِلٌ إِنْ قُلْتَ إِنَّكَ سَوْفَ تُعْذَرُ

وكتب بديع الزمان إلى بعض أهل همدان :

من بديع
الزمان لبعض
أهل همدان

كتابي - أطال الله بقاءك - عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة مقدمه ،
وَيَمْنِ مُحْتَمَمِهِ ، وَخَصَمِكَ بِتَقْصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَإِتِمَامِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ ؛ فَهُوَ -
وَإِنْ عَظُمَتْ بَرَكَتُهُ - ثَقِيلٌ حَرَكَتُهُ ، وَإِنْ جَلَّ قَدْرُهُ بَعِيدَ قَعْرِهِ ، [وَإِنْ
عَمَتْ رَأْفَتُهُ ، طَوِيلَ مَسَافَتِهِ ، وَإِنْ حَسُنَتْ قَرَبَتُهُ ، شَدِيدَ صَحْبَتِهِ ، وَإِنْ
كَبُرَتْ حَرَمَتُهُ كَثِيرَ حَشْمَتِهِ ، وَإِنْ سَرَّنا مُبْتَدَاهُ فَلَنْ يَسُوءَنَا مُنْتَهَاهُ] فَإِنْ حَسُنَ
وَجْهُهُ فَلَيْسَ يَقْبَحُ قَفَاةً ، وَمَا أَحْسَنَهُ فِي الْقَدَالِ ، وَأَشْبَهَ إِدْبَارَهُ بِالْإِقْبَالِ ،
جَعَلَ اللَّهُ قَدُومَهُ سَبَبَ تَرْحَالِهِ ، وَبَدْرَهُ فِدَاءَ هَلَالِهِ ، وَأَمَدًا فَلَكِهِ
تَحْرِيكَ ، بِتَقْضَى مُدَّتِهِ وَشَيْكَ ، وَأَظْهَرَ هَلَالَهُ نَحِيْفًا ، لِيَزِفَ إِلَى اللَّذَاتِ
زَفِيْفًا ، وَعَفَا اللَّهُ عَنْ مَرْحِ يَكْرِهِهِ ، وَمُجُونِ يُسْخِطُهُ .

عول البديع في هذا الكلام على قول أبي الفضل بن العميد في رسالة له في
لابن العميد
مثل ذلك :

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَرِّفَنِي بَرَكَتَهُ ، وَيُلْقِيَنِي الْخَيْرَ فِي بَاقِي أَيَّامِهِ وَخَاتَمَتِهِ ؛ وَأَرْغَبُ
إِلَيْهِ فِي أَنْ يَقْرَبَ عَلَى الْفَلَكَ دَوْرَهُ ، وَيَقْصُرَهُ سَيَرَهُ ، وَيُخَفِّفَ حَرَكَتَهُ ،
وَيَجْعَلَ نَهْضَتَهُ ، وَيَنْقُصَ مَسَافَةَ فَلَكِهِ وَدَائِرَتِهِ ، وَيَزِيلَ بَرَكَתَ الطَّوْلِ عَنْ
سَاعَاتِهِ ، وَيَرُدَّ عَلَى غُرَّةِ شَوَالٍ ، فَهِيَ أَسْنَى الْغُرَرِ عِنْدِي ، وَأَقْرَبُهَا لَعَيْنِي ؛
وَيُطْلِعَ بَدْرَهُ ، وَيُرِيَنِي الْأَيْدِيَّ مُتَطَلِّبَةَ هَلَالِهِ بَبْشَرٍ ، وَيَسْمَعُنِي النَّعْيَ لَشَهْرِ
رَمَضَانَ ، وَيَعْرِضَ عَلَى هَلَالِهِ أَخْفَى مِنَ السَّخْرِ ، وَأَظْلَمَ مِنَ الْكُفْرِ ، وَأَنْخَفَ
مَنْ تَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ ، وَأَهْلَى مِنْ أَسِيرِ الْمَجَرِّ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ جَلَّ وَجْهُهُ مِمَّا قُلْتُ
إِنْ كَرِهَهُ ، وَأَسْتَغْفِيهِ مِنْ تَوْفِيقِي لِمَا يَذْمُهُ ، وَأَسْأَلُهُ صَفْحًا يُفِيضُهُ ، وَعَفْوًا
بُوسِعَهُ ، إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .

[عَوَاقِبُ الطِّيشِ]

طاهر

ابن الحسين
يصف الأمين

قال المأمون لطاهر بن الحسين : صِفْ لِي أَخْلَاقَ الْخُلُوعِ . قال : كان واسعَ الصَّدْرِ ، ضَيِّقَ الْأَدَبِ ، يُبِيحُ مِنْ نَفْسِهِ مَا تَأْتِيهِ هِمَمُ الْأَحْرَارِ ، وَلَا يُضْغِي إِلَى نَصِيحَةٍ ، وَلَا يَقْبَلُ مَشُورَةٍ ، يَسْتَبْدُّ بِرَأْيِهِ ، وَيُبْصِرُ سُوءَ عَاقِبَتِهِ ؛ فَلَا يَرُدُّهُ ذَلِكَ عَمَّا يَهْمُهُمْ بِهِ . قال : فكيف كانت حروبُهُ ؟ قال : كان يجمعُ الكُتَّابَ بالتبذيرِ ، ويفرُّقُهَا بسوءِ التدبيرِ . فقال المأمون : لذلك حلَّ ما حلَّ به ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ ذَاقَ لَذَاتِ النَّصَاحِ ، واختارَ مَشُورَاتِ الرِّجَالِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ عَنْ شَهَوَاتِهَا ، لَمَا ظَفِرَ بِهِ .

[الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ]

ولما عقد الرشيدُ البيعةَ لِلْأَمِينِ وهو أصغرُ من المأمون لأجل أُمِّهِ زُبَيْدَةَ ، وكلامِ أَخِيهَا عِيسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، وَقَدَّمَهُ عَلَى الْمَأْمُونِ ، جعل يري فَضْلَ عقله فيندم على ذلك ، فقال :

لَقَدْ بَانَ وَجْهُ الرَّأْيِ لِي غَيْرَ أَنْتَى غَلِمْتُ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا
فَكَيْفَ يَرُدُّ الدَّرَّ فِي الضَّرِّعِ بَعْدَمَا تَوَزَّعَ حَتَّى صَارَ نَهَبًا مَقْسَمًا
أَخَافُ التَّوَاءِ الْأَمْرِ بَعْدَ اسْتَوَائِهِ وَأَنْ يَنْقُضَ الْحَبْلُ الَّذِي كَانَ أُبْرَمًا

قال أسد بن يزيد بن مزيد : بعث إلى الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن الأنباري ، قال : فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي صَحْنِ دَارِهِ ، وَفِي يَدِهِ رُقْعَةٌ قَدْ غَضِبَ لِمَا نَظَرَ فِيهَا ، وَهُوَ يَقُولُ : يَنَامُ نَوْمَ الظَّرْبَانِ ، وَيَنْتَبَهُ انْتِبَاهَ الذُّئْبِ ، هِمَّتُهُ بَطْنُهُ ، وَلَذَنَتُهُ فَرْجُهُ ، لَا يَفْكَرُ فِي زَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَلَا يَتَرَوَّى فِي إِمْضَاءِ رَأْيٍ وَلَا مَكِيدَةٍ ، قَدْ شَرَّ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ سَاقِهِ ، وَفَوَّقَ لَهُ أَسَدٌ سَهَامِهِ ، يَرْمِيهِ عَلَى بُعْدِ الدَّارِ بِالْحَتَفِ النَّافِذِ وَالْمَوْتِ الْقَاصِدِ ، قَدْ عَبَّى لَهُ الْمَنَايَا عَلَى مُتُونِ الْخَلِيلِ ، وَنَاطَ لَهُ الْبَلَاءُ فِي أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ وَشِفَارِ السِّيُوفِ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ بِشَعْرِ الْبَعِيثِ :

يُقَارِعُ أُنْرَاكَ ابْنَ خَاقَانَ لَيْلَهُ إِلَى أَنْ يَرَى الْإِصْبَاحَ لَا يَتَلَعَّمُ
فَيُصْبِحُ فِي طُولِ الطَّرَادِ وَجِسْمُهُ نَحِيلٌ ، وَأُضْحَى فِي النِّعَمِ أَصَمُّ

فستان ما بيني وبين ابن خالد أمية في الرزق الذي الله يقسم
ثم قال : يا أبا الحارث ، أنا وأنت تجرى إلى غاية إن قصرنا عنها ذمنا ،
وإن اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ؛ وإنما نحن شعبة من أصل ، إن قوى قوينا ،
وإن ضعف ضعفنا ؛ إن هذا الرجل قد أتى بيده إلقاء الأمة الوكفاء : يشاور النساء ،
ويعتمد على الرؤيا ، وقد أمسكن أهل اللهو والخسارة من سمعه ؛ فهم يمتنونه
الظفر ، ويعيدونه عواقب الأيام ؛ والهلاك إليه أسرع من السيل إلى قيعان
الرمل ؛ وقد خشيت أن نهلك بهلاكه ، ونعطب بعطبه ، وأنت فارس العرب
وابن فارسها ، وقد فزع إليك في لقاء طاهر لأمرين : أحدهما صدق طاعتك ،
وقضل نصيحتك ؛ والثاني يمين تقينتك ، وشدة بأسك ؛ وقد أمرني أن أبسط يدك ،
غير أن الاقتصاد رأس النصحية ، ومفتاح البركة ؛ فبادر ما تريد ، وعجل النهضة ،
فإني أرجو أن يوليكَ الله شرف هذا الفتح ، ويلم بك شعث الخلافة . .
فقلت له : أنا لطاعتك وطاعة أمير المؤمنين مُقدم ، ولما وهن عدو كما مؤثر ؛
غير أن الحارث لا يفتح أمره بتقصير ؛ وإنما ملاك أمره الجنود ، والجنود
لا تكون بلا مال ، وقد رفع أمير المؤمنين الرغائب إلى قوم لم يجدوا عليه ،
ومتى سُمِت مَنْ أقدُرُ به الانتفاع له الرضا بدون ما أخذه غيره ممن لم يكن عنده
غناء ولا معونة ، لم ينتظم بذلك التدبير ، وأحتاج لأصحابي رزق سنة قبضاً ،
وحملًا إلى ألف فرس لحمل من لا أرخص فرسه ، وإلى مال أسنظهر به ، لا ألام
على وضعه حيث رأيته . فقال : شاور أمير المؤمنين ؛ فأدخلني عليه ، فلم تدر
بيني وبينه كلمتان حتى أمر بحجسي .

ويروى أن الأمين لما أعيته مكاييد طاهر قال :

بليت بأشجع الثقلين نفساً تزول الراسيات وما يزولُ
له مع كل ذي بدن رقيبٌ يشاهده ويعلم ما يقول
فليس بمنغٍ لأمراً عناهُ إذا ما الأمر ضيعة الجهول

الأمين
يصف طاهر
ابن الحسين

الفضل
بن الربيع
وابنه وأبوه

وفي الفضل بن الربيع يقول بعض الشعراء :

كَمْ مِنْ مَقِيمٍ بِبَغْدَادٍ عَلَى طَمَعٍ لَوْلَا رَجَاءُ أَبِي الْعَبَّاسِ لَمْ يُقِمِ
الْبَدْرُ إِنْ نَظَرُوا، وَالْبَحْرُ إِنْ رَغَبُوا وَالْحِصْنُ إِنْ رَهَبُوا، وَالسَيْفُ ذُو الْقَهْمِ
وقال عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع : ما مدحنا شاعراً بشعر أحب

إلينا من قوا، أبي نواس :

ساد الملوك ثلاثة ما منهم إِنْ حُصِّلُوا إِلَّا أَعَزَّ قَرِيبِ
ساد الربيع وساد فضل بعده وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس إذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع
وقيل للعتابي : أمدحت أحداً ؟ قال : لا ، وليس لي على ذاك قدرة ، ف قيل له :
فقد مدحت الربيع ، فقل : ذلك ليوم يستحق فيه المدح ، فقلت :

ومعضلة قام الربيع إزاءها ليعمد ركن الدين لما تهدياً
بمكة والمنصور رهن كما أني أخا الوحى داعى ربه فتقدماً
غداة عداة الدين شاحذة المدى إليه وغول الحرب فإغرة فما

[بيعة المهدي]

وكان المنصور قد توفى بمكة وهو حاج في ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة،
فأخذ الربيع للمهدي البيعة على الناس ، وأخذ بتجديدها عن المنصور على أنه حي ،
وأدخل إليه قوماً فرأوه من بعيد وقد جلاه بثوب ، وأقعد إلى جنبه من يحرك يده
وكأنه يؤمى بها إليهم ، فلم يشكوا في حياته ؛ فما خالف أحد ؛ فشكره المهدي
لذلك ، وفي ذلك يقول أبو نواس في مدحه الفضل بن الربيع :

أبوك جلي عن مضر يوم الرواق المحتضر
والحرب تقرى وتذر لما رأى الأمر اقمطر
قام كريمة فانتصر كهزة القضب الذكّر

مأس من شيء هبّ وأنت تفتاف الأثر
من ذي حُجُولٍ وعرّز

وقال أيضاً :

آلَ الرّبيع فضلتُم فضل الخُميس على العَشير^(١)
من قاس غيركم بكم قاس الثّماد إلى البُجور
أين القليل بنو القليل من الكثير بنى الكثير
أين النجوم التّاليا ت من الأهلّة والبدور
قومٌ كفوا أيام مَكّة نازل الخطب الكبير
وتداركوا نَصَرَ الخِلا فة وهى شاسعة النّصير
لولا مقامهم بهم هَوّت الرواسى من ثبير
ومن قول أبى نواس : « من قاس غيركم بكم ... » البيت ، أخذ

أبو الطيب المتنبي :

قواصد كافورٍ توارك غيره . ومن قصّد البحر استقلّ السواقياً
فتى ما سرّيناً فى ظهورٍ جُودناً إلى عصره إلا نرّجى التّلاقياً
[وقت كلام الملوك]

من كلام الفضل بن الربيع : من كلّ الملوك فى الحاجات فى غير وقت الكلام
ابن الربيع لم يظفر بحاجته ، وضاع كلامه ، وما أشبههم فى ذلك إلا بأوقات الصلوات لا تُقبل
الصلاة إلا فيها ، ومن أراد خطاب الملوك فى شيء فليترصد الوقت الذى يصلح
فى مثله ذكر ما أراد ، ويسبّب له شيئاً من الأحاديث يحسن ذكره بعقبه .

وقال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يا فضل ؛ أكان فى حقى عليك ،
بين المأمون والفضل بن الربيع
وحق أبائى ونعمهم عندأبيك وعندك ، أن تثلبنى^(٢) وتسبّئى ، وتحرض على دى ؟
أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عذرى يُحقّدك إذا كان واضحاً جليلاً ، فكيف

(١) الخُميس : الخمس ، العشير : العشر . (٢) تثلبنى : تنقصنى وتعيبنى (م) .

إذا حَفَّتْهُ العيوب ، وَبَحَّتْهُ الذنوب ؛ فلا يَضِيقُ عَنِي من عَفْوِكَ ما وسعَ غيرِي منك ،
فَأَنْتَ كما قال الشاعر فيك :

صَفْوَحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ من العفو لم يَعْرِفْ من الناس مُجْرِمًا
وَلَيْسَ يُبَالَى أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إذا ما الْأَذَى لم يَعْشَ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا
والشعر للأحسن بن رجاء بن أبي الضحاك .

[بين المنصور والربيع]

وقال سعيد بن مسلم بن قتيبة : دعا المنصور بالربيع ، فقال : سَلْنِي ما تُرِيدُ ،
فقد سَكَّتْ حَتَّى نَطَقْتُ ، وَخَفَّفَتْ حَتَّى ثَقَلْتُ ، وَأَقْلَمْتُ حَتَّى أَكْثَرْتُ .
فقال : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ما أَرَهَبُ بُحْلَكَ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ غَمْرَكَ ،
وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَغْتَنِمُ مَالَكَ ؛ وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَيَّ أَحْسَنُ مِنْ
أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ؛ وَلَوْ جاز أَنْ يَشْكُرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ
الْخِدْمَةِ وَالْمُنَاصَحَةِ ما سَبَّحَنِي لَدُنْكَ أَحَدٌ .

قال : صدقت ، عَلمِي بهذا مِنْكَ أَحْلَكَ هَذَا الْحُلَّ ؛ فَسَلْنِي ما شِئْتَ
قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْرُبَ عَبْدَكَ الْفَضْلَ ، وَتُؤَثِّرَهُ وَتَحِبَّهُ .
قال : ياربِّيعُ إِنَّ الْحُبَّ لَيْسَ بِمالٍ يُوهَبُ ، وَلَا رُتْبَةٌ تُبَدَّلُ ؛ وَإِنَّمَا تَوَكَّدُهُ الْأَسْبَابُ .
قال : فَاجْعَلْ لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ ، بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ

قال : صدقت ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرِ
عَمُومَتِي ؛ لِتَعْلَمَ ما لَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ ما يَسْعُدُنِي بِهِ مَحَبَّتِي ، ثُمَّ قال :
وَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْحَبَّةَ ياربِّيعُ ؟

قال : لِأَنَّها مُفْتاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِغْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسْتَرَبَّها عِنْدَكَ عِيوبُهُ ،
وَتَصِيرُ حَسَنَاتِ ذُنُوبِهِ .

قال : صدقت وَأَتَيْتُ بِما أَرَدْتُ فِي بابِهِ .

لأبي تمام يمدح
ابن الزيات

أخذ قوله : « خففت حتى ثقلت » أبو تمام فقال لمحمد بن عبد الملك الزيات :
على أن إفراط الحياء استمالني إليك ، ولم أعدل بعرضي معدلاً
فثقلت بالتخفيف عنك ، وبعضهم يخفف في الحاجات حتى يُثَقِّلَا

[سهل بن هارون والرشيذ]

ودخل سهل بن هارون على الرشيذ ، وهو يُصَاحِكُ المأمون ، فقال : اللهم
زِدْهُ من الخيرات ، وابسُطْ له من البركات ، حتى يكونَ في كلِّ يوم من أيامه
مُرَبِّياً^(١) على أمسه ، مُقَصِّراً عن غده .

فقال له الرشيذ : يا سهل ، من رَوَى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن
الحديث أفصحَه وأوضحَه ، إذا رام أن يقول لم يُعْجزه القول .

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ؛ ما ظننت أن أحداً تقدّمنى إلى هذا المعنى .
قال : بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتك أمسٍ خَيْرَ بنى لوى وَأَنْتَ اليومَ خَيْرُ مَنْكَ أَمْسٍ
وَأَنْتَ غداً تَزِيدُ الْخَيْرَ ضِعْفاً كَذَاكَ تَزِيدُ سَادَةَ عَبْدِ شَمْسٍ

[من شعر الفضل بن الربيع]

ومن شعر الفضل بن الربيع ما أنشده الصولى :

إِنِّى امرؤٌ من هاشمٍ بَفِنَاءٍ مَعْمُورِ النَّوَاحِى
أهل الهدى وذوى الثَّقَى وأولى البَسَالَةِ وَالسَّامِحِ
أهل المعالم والمساكِمِ رِمَ فى المَسَاءِ وفى الصَّبَاحِ

(١) مريبيا : اسم الفاعل من «أربى» إذا زاد (م) .

أهل النبوة والخلافة والكمال برغم لاجي
يتألمون من الضدود ويصبرون على الجراح
[بين ابن خاقان وأبي العيناء]

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زعم أنها غير فاره^(١)،
فكتب إليه : أعلم الوزير ، أعزه الله ، أن أبا علي محمد أراد أن يبرني فعتني ،
وأن يركني فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنبرة^(٢) ، وتعتش بالبرّة ، كالقضب
اليابس عجباً^(٣) ؛ وكالعاشق المهجور دنفاً ، قد أذكرت الرواة عذرة العذرى ،
والجنون العامري ، مساعد أعلاه لأسفله ، حباقة مقرون بسعالة ، فلو أمسك
لترجيت ، ولو أفرد لتعزيت ، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس
المشهور ، كأنه خطيب مرشد ، أو شاعر مُنشد ، تضحك من فعله النسوان ،
وتتناغي من أجله الصبيان ؛ فمن صائح يصيح : داوه بالطباشير ، ومن قائل
يقول : نوله الشعير ، قد حفظ الأشعار ، وروى الأخبار ، ولحق العلماء في
الأمصار ، فلو أعين بنطق ؛ لروى بحق وصدق ، عن جابر الجعفي ، وعامر
الشعبي ؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور ، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر ،
وإن اختار لغيره أخبث وأنزر ؛ فإن رأى الوزير أن يبدلني به ، ويريني منه
بمركوب يضحكني كما ضحك مني ، يمحو بحسنه وفراسته ، ماسطره العيب
بقبحه ودمامته ؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه ؛ فإن الوزير أكرم من أن
يسلب ما يهديه ، أو ينقض ما يضييه .

فوجه عبيد الله إليه برزونا من براذينه بسرجه ولجامه ، ثم اجتمع مع محمد
ابن عبيد الله عند أبيه ، فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني الآن أنه
يشتريه منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه لا يشتكي .

(١) فاره : أي جيدة قادرة على السير (م)
(٢) النبرة : الصيحة (م)
(٣) العجب : الهزال (م)

فقال : أبجز الله الوزير ، لو لم أكذب مستزيداً ، لم انصرف مستفيداً ، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز : « الآن حَصَّصَ الحقَّ ، أنا رَاوَدْتُهُ عن نفسه وإنه لمن الصادقين » . فضحك عبيدُ الله ، وقال : حَجَّتِكَ الداحضة بِمَلَاَحَتِكَ وظَرْفِكَ أبلغُ من حجة غيرك البالغة .

قطعة من رسالة أجاب بها أبو الخطاب الصابي

عن أبي العباس بن سابور إلى الحسين بن صبرة

عن رقعة وردت منه في صفة حَمَلْ أَهْدَاه

وصلت رُفُوعَتَكَ ، ففَضَضْتُهَا عن خَطِّ مُشْرِفٍ ، ولفظ مُونِقٍ ، وعبارة مُصِيبَةٍ ، ومعانٍ غريبة ، واتساع في البلاغة يَعْجِزُ عنه عبدُ الحميد في كتابته ، وقَسَّ وَسَجَبَانُ في خطابته ؛ وتصرف بين جدِّ أَمْضَى من القَدَر ، وهَزَلٍ أَرْقَ من نَسِيمِ السَّجَر ، وتقلَّب في وجوه الخِطَاب ، الجامع للصَوَاب ؛ إلا أَنَّ الفعلَ قَصَّرَ عن القول ، لأنك ذكرت حَمَلًا ، جعلته بصفتك جَمَلًا ، فكانَ الْمُعَيَّدِيَّ الذي تسمعُ به ولا أنْ تراه . وحضر فرأيت كَبِشًا مُتَقَادِمَ المِيلَاد ، من نِتَاجِ قَوْمِ عَاد ، قد أَفْنَنَتْهُ الدَّهَوْر ، وتَعَاقَبَتْ عليه العصور ، فظننته أَحَدَ الزَّوْجِين اللذين جعلهما نوح في سفينته ، وحَفِظَ بهما جِنْسَ الغنم لذرِّيَّته ؛ صَغُرَ عن الكبر ، وَلَطُفَ عن القدم ، فبَانَتْ دِمَامَتُهُ ، وتَقَاعَصَتْ قَامَتُهُ ، وعاد ناحلا ضئيلا ، باليًّا هزِيلًا ، بِأَدَى السَّقَام ، عارى العِظَام ، جامعا للعمايب ، مشتملا على المثالب ، يَعْجَبُ العاقلُ من حلول الحياة به ، وتَأْتَى الحركة فيه ، لأنه عَظُمَ مجلِّد ، وصوف مُلَبَّد ، لا تجدد فوق عظامه سَلْبًا ، ولا تَلْتَقِي يدك منه إلا خَشْبًا ، لو أُلْقِيَ إلى السَّبْعِ لَأَبَاه ، ولو طرح للذئب لَعَافَهُ وَقَلَاه ، قد طال للسَّكَلَاءُ فَقْدُهُ ، وبعدَ بِالمرْعَى عَهْدُهُ ، لم يرَ أَلْتَمَّ إلا نَامًا ، ولا عرف الشعيرَ إلا حَالِمًا ، وقد خيَّرتني بين أن أَقْتَنِيهِ فيكون فيه غِنَى

الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه خِصْب الرَّحْل ؛ فَمِلْتُ إلى استبقائه لما تعرف من محبتي في التوفير ، ورغبتي للتشمير ، وجمعي للولد ، وادخاري للغد ، فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً للفناء ؛ لأنه ليس بأثني فتَحْمِل ، ولا بفتي فَيَنْسُل ، ولا بصحيح فَيَرْعَى ، ولا بسليم فَيَبْقَى ؛ فَمِلْتُ إلى الثاني من رأيك ، وعولت على الآخر من قَوْلِكَ ، وقلت : أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام قديد الغزال ، فأنشأ ——— دني وقد أَضْرَمَت النار ، وحدثت الشفار ، وثمر الجزار :

أَعْمِدْ هَذَا نَظْرَاتِ مِنْكَ صَادِقَةً . . . أَنْ تَحْسِبَ الشَّجَمَ فِيهِمْ شَحْمَهُ وَرَمُ
وقال : ما الفائدة لك في ذبحي ؟ وأنا لم يَبْقَ مني إلا نفس خافت ، ومُقلَّة
إنسانها باهت : لَسْتُ بذي لحْم ، فأصلح للأكل ؛ لأن الدهر قد أَكَلَ كل لحمي ،
ولا جِلْدِي يصلح للدِّبَاغ ؛ لأن الأيام قد مرَّ قَتْ أديمي ، ولأني صوف يصلح
للغزل ؛ لأن الحوادث قد خَصَّت وَبَرِي ؛ فإن أردتني للوفود فكفْ بَعْرَ أبق
من نارِي ، ولن تَبْقَ حرارةُ جهرِي بريح قُتَارِي ، فلم يبق إلا أن تطلبني بِذَحْلٍ (١)
أو بيني وبينك دَم . فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً في مشورته ، ولم أعلم من
أى أَمْرِيهِ أعجب ؛ أَمِنْ مَاطَلَتِهِ للدهر بالبقاء ، أم من صبره على الضَّرِّ واللاؤاء (٢) ،
أم من قدرتك عليه مع إعواز مثله ، أم من تأهيلك الصديق به مع خَسَاسَةِ قُدْرِهِ ؟
وباليت شعري إذ كنت — وإليك سوق الغنم ، وأمرُك يَنْفُذُ في الضأن والمعز ،
وكلُّ كبش سمين وحمل بطين مجلوبٌ إليك ، مقصورٌ عليك — تقول فيه قولاً
فلا تَرَدَّ ، وتريده فلا تُصَدِّ ، وكانت هديتك هذا الذي كأنه نَاشِر من القبور ،
أو قائم عند النفخ في الصور ، فما كنت مُهْدِياً لو أنك رجل من عُرْضِ
الكَتَّاب ، كَأبي عليٍّ وأبي الخطاب ، ما كنت تهدي إلا كلباً أجرب ، أو
قرداً أحمق .

[الحمدوني وشاة سعيد بن أحمد]

وقال الحمدوني في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداڤ :

أَسْعِيدُ قَدْ أُعْطِيتَنِي أَضْحِيَّةً مَكَّنْتُ زَمَانًا عِنْدَكُمْ مَا تَطْعَمُ
نِصْوَاً تَعَاوَرَتِ الْكِلَابُ بِهَا وَقَدْ شَدَّوْا عَلَيْهَا كَيْ تَمُوتَ فَيُؤْلُوا
فَإِذَا الْمَلَأَ ضَجَّكَوْا بِهَا قَالَتْ لَهُمْ : لَا تَهْزِءُوا بِي وَارْحَمُونِي تُرْحَمُوا
مَرَّتْ عَلَى عِلْفٍ فَقَامَتْ لَمْ تَرِم عَنْهُ ، وَغَنَّتْ وَالْمَدَامِيعُ تَسْجَمُ
وَقَفَ الْهُوْىُ بِي حَيْثُ أَنْتَ فُلَيْسَ لِي مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مَنَقْدَمٌ ^(١)

وقال أيضاً :

أَبَا سَعِيدٍ لَنَا فِي شَاتِكَ الْعَبْرُ جَاءَتْ وَمَا إِنْ لَهَا بَوْلٌ وَلَا بَرٌّ
وَكَيْفَ تَبْعُرُ شَاةٌ عِنْدَكُمْ مَكَّنْتُ طَعَامُهَا الْأَبْيَضَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَوْ أَنَّهَا أَبْصَرَتْ فِي نَوْمِهَا عِلْفًا غَنَّتْ لَهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ تَنْحَدِرُ
يَا مَانِعِي لَذَّةَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا إِنِّي لَيَفْتِنَنِي مِنْ وَجْهِكَ النَّظَرُ

وقال أيضاً :

شَاةٌ سَعِيدٍ فِي أَمْرِهَا عِبْرُ لَمَّا اتَّخَذْنَا قَدْ مَسَّهَا الضَّرُّ
وَهِيَ تَغْنِي مِنْ سَوْءِ حَالِهَا حَسْبِي بِمَا قَدْ لَقِيتُ يَا عَمْرُ
مَرَّتْ بِقُطْفِ خَضِرٍ يَنْشُرُهَا قَوْمٌ فَظَنَنْتُ بِأَنَّهَا خَضِرُ
فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهَا لَتَأْكُلَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَبَيَّنَ الْخَبَرُ
وَأَبْدَلَتْهَا الظُّنُونُ مِنْ طَمَعٍ يَا سَاتِغَنَّتْ وَالْدَّمْعُ مِنْ خَدْرٍ
كَانُوا بَعِيدًا وَكُنْتُ آمُلُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَقَرَّبُوا هَجَرُوا

قال :

لِسَعِيدٍ شُوَيْهَةٌ سَلَّهَا الضَّرُّ وَالْعَجَفُ
قَدْ تَغَنَّتْ وَأَبْصُرَتْ رَجُلًا حَامِلًا عِلْفُ

(١) هذا البيت من شعر دعبل الخزاعي

بَأْبَى مَنْ بَكَفَهُ بُرْءُ مَا بِي مِنَ الدَّخَفِ
فَأَتَاهَا مَطْمَعًا وَأَتَتْهُ لَتَعْتَلِفَ
فَتَوَلَّى فَأَقْبَلَتْ تَتَغْنَى مِنَ الْأَسَفِ
لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفَ عَذَّبَ الْقَلْبَ وَأَنْصَرَفَ

[الحمدوني وطيلسان ابن حرب]

[قال]: وإذ قد جَرَتْ بعضُ تضمينات الحمدوني في هذا الموضع فأنا أذكر هنا قطعةً من شعره في الطيلسان ، وأنعطف في غير هذا الموضع إياها وأكر عليها؛ وكان أحمد بن حرب المهلبى من المنعمين عليه ، والحسين إليه ، وله فيه مدائح كثيرة ، فوهب له طيلساناً أخضر لم يَرْضَهُ ، قال أبو العباس المهزّذ : فأُنشدنا فيه عشر مقطعات ، فاستحلّينا مذهبَه فيها ، فجعلها فوق الخمسين ؛ فطارت كل مطّار ، وسارت كل مسّار ، فمنها :

يَا بْنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَا
فَحَسِبْنَا نَسْجَ الْعَنَاكِبِ قَدْ حَا لَ إِلَى ضَعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَا
طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرَّفْرِ حَتَّى لَوْ بَعَثْنَاهُ وَخُدَّاهُ لَتَهَدَّى
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

يَا طِيلَسَانُ ابْنُ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتَ بَأَنْ تُودِيَ بِجِسْمِي كَمَا أُوْدِيَ بِكَ الزَّمَانُ
مَا فَيْدُكَ مِنْ مَلْبَسٍ يَغْنَى وَلَا ثَمَنٍ قَدْ أَوْهَنْتَ حِيلَتِي أَرْكَانَكَ الْوُهْنُ
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى الرَّقَاءِ مُرْتَبَطًا كَأَنِّي فِي يَدَيْهِ الدَّهْرَ مُرْتَهَنُ
أَقُولُ حِينَ رَأَى النَّاسُ الزُّمَّةَ كَأَنَّمَا إِلَى فِي حَانَوْتِهِ وَطَنُ
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا فَالْأَقْصَوَانَةُ مِنَّا مَنْزِلُ قَعْنُ
وَقَالَ :

قُلْ لَابْنِ حَرْبٍ طِيلَسَا نُنْكِرُ قَوْمُ نُوحٍ مِنْهُ أَحَدٌ

أَفَنِي الْقُرُونِ وَلَمْ يَزَلْ عَمَّنْ مَضَى مِنْ قَبْلِ يُوْرَثْ
وَإِذَا الْعَيُوفُ لَحَظْنَهُ فَكَأَنَّهُ بِاللَّحْظِ يُخْرَثْ
يُودِي إِذَا لَمْ أَرْفُهُ فَإِذَا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثْ
كَالْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْمَثْ

وقال :

قُلْ لَابْنَ حَرْبٍ طِيلَسَانُكَ قَدْ أَوْهَى قَوَايَ بِكَثْرَةِ الْغُرْمِ
مُتَبِّينٌ فِيهِ لِمُبْصِرِهِ آثَارُ رَفْوٍ أَوَائِلِ الْأُمِّ
وَكَأَنَّهُ الْخَمْرُ الَّتِي وَصَفَتْ فِي «يَاشْتَقِيْقُ الرُّوحُ مِنْ حَكْمِ»
فَإِذَا رَمَمْنَاهُ فَقِيْلَ لَنَا : قَدْ صَحَّ ، قَالَ لَهُ الْبَلَى : انْهَدِمِ
مِثْلَ السَّقِيمِ بَرًّا فَرَا جَعَهُ نُسْكَسُ فَا لَسَلَمَهُ إِلَى سَقَمِ
أَنْشَدْتَ حِينَ طَغَى فَأَعْجَزَنِي «وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ»

«الخمرة التي وُصِفَتْ» من قول أبي نواس :

يَاشْتَقِيْقُ النَّفْسِ مِنْ حَكْمِ نِمَتْ عَنْ لَيْلٍ وَلَمْ أَمِّ
فَاسْتَقْنِي الْبَكْرُ الَّتِي اعْتَجَرَتْ بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ
نُمَّتْ أَنْصَاتُ الشَّبَابِ لَهَا بَعْدَ أَنْ جَازَتْ مَدَى الْهَرَمِ
فَهِيَ لِلْيَوْمِ الَّذِي بُرِلَتْ وَهِيَ تَلُو الدَّهْرَ فِي الْقِدَمِ
عُنُقَتْ حَتَّى لَوْ اتَّصَلَتْ بِلِسَانٍ نَاطِقٍ وَفَمِ
لَاخْتَبَتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً ثُمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمَمِ
فَرَعَتْهَا بِالْمَزَاجِ يَدٌ خُلِقَتْ لِلْكَاسِ وَالْقَلَمِ

وقال المحدثون :

طِيلَسَانُ لَابْنِ حَرْبٍ جَاءَنِي خِلْعَةً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ
فَإِذَا مَا صِيحَتْ فِيهِ صَيْحَةٌ تَرَكْنَاهُ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظَرِّ

وإذا ما الريح هبَّتْ نحوه
مُهْطِعِ الدَّاعِي إِلَى الرَّافِي إِذَا
وإذا رَفَاوُهُ حَاوَلَ أَنْ
وقال :

أَيَا طَيْلَسَانِي أَغْنَيْتَ طَبِّي
وَيَارِيحُ صَيَّرْتَنِي أَتَقِيكَ
وَمُسْتَخْبِرُ خَبَرِ الطَّيْلِيسَانِ
وقال فيه :

طَيْلَسَانُ لَابَنَ حَرْبٍ جَاءَنِي
أَنَا مِنْ خَوْفٍ عَلَيْهِ أَبَدًا
يَابْنَ حَرْبٍ خُذْهُ أَوْ فَابْعَثْ بَمَا
فَلَعَلَّ اللَّهَ يُحْيِيهِ لَنَا
فَهُوَ قَدْ أَدْرَكَ نَوْحًا ، فَمَسَى
أَبَدًا يَقْرَأُ مَنْ أَبْصَرَهُ
وقال فيه :

يَابْنَ حَرْبٍ أَطَلَّتْ فَقَرَى بَرَفَوِي
فَهُوَ فِي الرَّفْوِ آلُ فُرْعَوْنَ فِي الْعَرِ
زُرْتُ فِيهِ مَعَانِمًا فَازْدَرَوْنِي
جِئْتُ فِي زِيٍّ سَائِلٌ كَيْ أَرَاكُمْ
وقال فيه :

وَهَبْتَ لَنَا ابْنَ حَرْبٍ طَيْلَسَانَا
نِسْلُ صَاحِبِي فَيَعِيدُ شَتْمِي
أُجِيلُ الطَّرْفِ فِي طَرَقِيهِ طَوْلًا
يَرِيدُ الْمَرْءَ ذَا الضَّعْفَةِ اتِّضَاعًا
لَأَنَّ الرُّوحَ يَكْسِبُهُ انْصِدَاعًا
وَعَرَضًا مَا أَرَى إِلَّا رِقَاعًا

فلست أشك أن قد كان قديماً
 أنوح في ســــــــــــــــفينة شراعا
 فقد غنيت إذ أبصرت منه
 جوانبه على بدني تداعى
 فني قبل التفريق يا ضُباعاً
 ولا يلك موقف منك الوداعاً
 [المأمون والحسن بن رجاء]

دخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلاً على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين الناشئ في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك الحسن بن رجاء . فقال : أحسنت يا غلام ، وبالإحسان في البديهة تفاضلت العقول . فأمر أن يرفع عن مرتبة الديوان .
 قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : قال لي أبو العباس المبرد :
 ما رأيت في أصحاب السلطان مثل إسماعيل والحسن ؛ كنت إذا رأيته رأيت رجلاً كأنما خلق لدروة منبر ، أو صدر مجلس ، يتكلم وكأنه يتنفس ، يُسهب ويُطنب ، ويُعرب ويُعرب ، ولا يعجب ويعجب .
 أراد القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد ، والحسن ابن رجاء بن أبي الضحاك .

[بديهة المبرد]

وكان أبو العباس يُعَدُّ في البلغاء ، وقال : لما دخلت على المتوكل اختار لي الفتح ابن خاقان وقت ثُربيه ، وكان الشراب قد أخذ منه ، فسألني وقال : يا بصرى ، رأيت أحسن وجهاً مني ، فقلت : لا والله ولا أسمح راحة ، ثم تجاسرت فقلت :

المبرد عند المتوكل

جهرتُ بخلفه لا أتقيها بشك في اليمين ولا ارتياب
 بأنك أحسن الخلفاء وجهها وأسمح راحتين ، ولا أحابي
 وأن مطيعك الأعلى محلاً ومن عاصاك يهوى في تباب^(١)

(١) التباب - بوزن سحاب - الهلاك والخسران

فقال : أحسنت وأجملت في حُسن طبعك وبديهتك ، فقلت : ما ظننتني أبلغُ هذا الشرف ، ولا أنال هذه الرتبة ؛ فلا زال أميرُ المؤمنين يسمو بخدمة إلى أعلى المراتب ، ويصرفهم في المذاهب .

[من أدب المبرد]

وكان ابنُ المعتز قد غضبَ على بعض وكلائه ، فصار إلى أبي العباس المبرد يسأله أن يكلمه له ؛ فكتب إليه المبرد : أنتَ والله كما قال مسلم بن الوليد في جدك الرشيد :

بابي وأمي أنتَ ما أُنْدَى يداً وأبرَّ ميثاقاً ، وما أُرَّ كما
يَعْدُو عدوك خائفاً ، فإذا رأى أن قد قدرت على العقاب رجاً كما
وهذا معنى كثير .

[في المدح]

أنشد أحمد بن يحيى ثعلب الأعرابي :

كريم يغض الطرفَ فضلَ حيائه وَيَدْنُو وأطرافُ الرماح دَوَانِي^(١)
وكالسيف إن لا يَنْتَه لَانِ مَتْنُهُ وَحَدَاهُ إِنِ خَاشَتُهُ خَشِنَانِ

وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته :

وَيَجْرَحُ أَحْشَائِي بَعَيْنٍ مَرِيضَةٍ كَالْأَنْ مَتْنُ السيفِ وَالْحَدُّ قَاطِعُ

وقال الأخطل في بني مروان :

صُمُّ عَنِ الْجَهْلِ ، عَنْ قِيلِ الْخَنَا أَنْفٌ إِذَا أَلَمَتْ بِهِمْ مَكْرُوهَةٌ صَبَرُوا
شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا^(٢)

وقال إبراهيم بن علي بن هرمة يمدح أبا جعفر المنصور :

كريمٌ لَهُ وَجْهَانِ : وَجْهُ لَدَى الرضا طَلِيقٌ ، وَوَجْهُ فِي الْكُرْهِيَةِ بَاسِطٌ
وَلَيْسَ بِمُعْطَى الْحَقِّ حَتَّى غَيْرَ قَدْرَةٍ وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكْنَتْهُ الْمَقَاتِلُ
لَهُ لِحَظَاتٌ مِنْ حِفَافٍ سِرْبِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

(١) فضل حيائه : منسوب على أنه معمول لأجله . (م)

(٢) شمس العداوة : يعني أنهم لا يرجعون إلى الرضا إلا بعد أن يؤخذ لهم بحقهم . (م)

فَأَمَّ الذِي أَمَنْتَ آمِنَةً الرَّدَى وَأَمَّ الذِي حَاوَلَتْ بِالشَّكْلِ تَاكَلُ
 وقال الطائي في أبي سعيد محمد بن يوسف : لأبي تمام

هو السيلُ إن واجهته انقذت طَوْعَهُ وتقتادهُ من جَانِبَيْهِ فَيَتِمُّ
 وكان عصابة الجرجاني ، واسمه إسماعيل بن محمد ، منقطعا إلى الحسن بن رجاء لعصابة
 الجرجاني في
 الحسن بن رجاء
 متصلا به ، وهو القائل فيه :

ومحجَّبٌ بالنور ليس بمدركٍ إلا بما تَأْتِي به الأنباء
 ملك يُحِبُّ اللهَ فهو بُحِيهٌ وَيُطِيعُهُ فتطيعه الأشياءُ
 يمشي المَوْثِقَا للصلاة يُقِيمُهَا وإذا مشى للحَرْبِ فالخِيَلَاءُ
 لله دركُ أيما ابنِ عزيمةٍ يشوى الزمانَ ومالهُ إَشْوَاءُ
 ثم عتب عليه في بعضِ الأمرِ ، فهجاه هجاءً قبيحا ؛ فهرب إلى عُمان ، ثم
 اعتذر إليه بقصيدته التي أولها :

لا تَحْضِنَنَّ عَوَالِي المَرَّانِ إلا من العلقِ النَّجِيعِ الآنِ^(١)
 وهي أجود شعر قيل في معناه ، وهي التي يقول فيها :

أقرَّ السلام على الأمير ، وقل له : إن المَنَامَةَ الرضاعُ الثَّانِي
 ما إن أَتَى حَشَمِي بِأَنَّكَ سَاخِطٌ حتى استخفَّ بِمَوْضِعِي غِلْمَانِي
 وَغَدَت على مَظاعمي وَمَشَارِبِي وملابسي من أَعْوَنِ الأعْوَانِ
 فكتب إليه الحسن :

أُبلغ أبا إسحاق أَنَّ محلَّهُ مني بحيث الرأسُ والعينانِ
 لا تبعدَنَّ بك الديارُ لِزَغَةِ وَكُتُبِعدَنَّ نَوَازِغَ الشَّيْطَانِ
 فَلْيُفْرِخِ الرُّوْعَ الذِي رُوِّعَتْهُ إن الحُلَّ محَلٌّ كُلُّ أَمَانِ

[بين جميل وعمر بن أبي ربيعة]

اجتمع جميل بن معمر العذري بعمر بن أبي ربيعة الخزومي ، فأنشده جميل
 قصيدته التي أولها :

(١) عوالى المران : أطراف الرماح ، والعلق : الدم ، والنجيع : الضارب إلى
 السواد ، والآن : الحار (م)

لَقَدْ فَرَحَ الرَّاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي
يَقُولُونَ : مَهْلًا يَا جَمِيلُ ، وَلِمَ نَتِي
خَلِيلًا فِيمَا عَشْنَا هَـ _____ لِنَ رَأَيْتَا
نَقْلُهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ، فَقَالَ :

يَا مَنْ رَأَى قَبْلِي قَتِيلًا بَكَى
فَلَمَّا أَتَمَّهَا قَالَ لِعَمْرٍ : يَا أَبَا الْخَطَّابِ ، هَلْ قُلْتَ فِي هَذَا الرَّوْيِ شَيْئًا ؟ قَالَ :
نَعَمْ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِيِّ وَبَيْنَهَا
فَمَا أُنْسَمَ الْأَشْيَاءُ لَا أُنْسَ قَوْلُهَا
فَلَمَّا تَوَاقَفْتَا عَرَفْتُ الَّذِي بِهِمَا
فَسَأَلْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةً أَنْ يَرَى
وَأَقْبَلَ أَمْثَالُ الدَّمَى يَكْتَنِفْنَهَا
فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السَّيْرِ : إِنَّمَا
فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِيَ لَهَا مِنْ تَرْقُبٍ
فَاسْتَخَذَى جَمِيلٌ وَصَاحَ : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي طَلَبْتَ الشَّعْرَاءَ فَأَخْطَأْتَهُ ، فَتَعَلَّلُوا
بِوصْفِ الدِّيَارِ ، وَنَعَتْ الْأَطْلَالِ .

وَلَمَّا مَاتَ عَمْرٌ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ نَعَى لَامْرَأَةً مِنْ مَوْلِدَاتِ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ بِالشَّامِ ،
فَبَكَتْ وَقَالَتْ : مَنْ لَا بَاطِحَ مَكَّةَ ؟ وَمَنْ يَمْدَحُ نِسَاءَهَا ، وَيَصِفُ مُحَاسِنَهَا ،
وَيُبَكِّى طَاعَتَهَا ؟! فَقِيلَ لَهَا : قَدْ نَشَأَ فُتًى مِنْ وَلَدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ^(١) عَلَى طَرِيقَتِهِ ،
فَقَالَتْ : أَنْشِدُونِي لَهُ ، فَأَنْشَدُوهَا :

وَقَدْ أُرْسَلَتْ فِي السَّرِّ أَيْلَى بِأَنْ أَقِمَ
لَعْلَ الْعَيُونَ الرَّامِقَاتِ لَوْضَلِنَا
أُنَاسٌ أَمَّنَّاهُمْ فَبَثُوا حَدِيثَنَا
فَلَمَّا كَتَمْنَا السَّرَّ عَنْهُمْ تَقَوَّلُوا

(١) هُوَ الْعَرَجِيُّ ، وَسَيَأْتِي بَعْدَ هَذَا نَسَبُهُ وَبَعْضُ خَبْرِهِ (م)

فما حفظوا العهد الذي كان بيننا ولا حين همّوا بالقطيعة أجمّلوا
فنسلّت وقالت : هذا أجلّ عوضٍ ، وأفضل خلف ، فالمدّ لله الذي خلف
على حرمه وأمته مثل هذا .

من شعر
العرجى

وقال عمرو بن أذينة : أنشدت ابن أبي عتيق للعرجى :
فما ليلةً عندي وإن قيل ليلةٌ ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الإثنين ، عندي وبالحرى يكونُ سواء مثلها ليلة القدر
وما أنسَ من الأشياء لا أنسَ قواها لجارتها : قومي سلي عن الوتر
فجاءت تقول الناس في ست عشرة ولا تعجلي عنه فإنك في أجر
فقال ابن أبي عتيق : هذه أفقه من ابن أبي شهاب ؛ أشهدكم أنها حرة
من مالى إن أجاز أهلها ذلك .

والعرجى هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان ينزل بعرج
ونسب العرجى وبعض أخباره الطائف فنسب إليه ، وهو القائل :

هل في أدّ كآرى الحبيب من حرج أم هل لهم الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى مسيرنا حرماً يوم حللنا بالنخل من أمج^(١)
يوم يقول الرسول قد أذنت فات على غير رقية فلدج^(٢)
أقبلت أهوى إلى رحا لهم أهدى إليها بريجها الأريج
وكان محمد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم واليا على مكة - وهو
خال هشام بن عبد الملك - بلغه أنّ العرجى هجاه ، فضر به ضرباً برحاً ، وأقامه
على أعين الناس ، فجعل يقول :

سيغضب لى الخليفة بعد رقى ويسأل أهل مكة عن مساقى
على عباءة برقاء ليست من البلوى تجاوز نصف ساقى
وتغضب لى بأسرتها قصى ولالة الشعب والطرف العماق

(١) أمج : قرية كثيرة النخل والزرع يسكنها قوم من قضاة (م)

(٢) رقية - بكسر الراء - رقب وحذر ، ولج - بوزن صف وعد - أمر من الولوج (م)

خلف محمد بن هشام ألا يخرج به مادامت له ولاية ؟ فأقام في السجن سبع سنين حتى مات ، وهو القائل في سجنه :

أضاعوني وأنى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسدادٍ تُغري
وخلّوني ومعترك المنايا وقد شرّعت أسنتهم لنجري
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تك نسبتي في آل عمرو
أجرّ في الجوامع كل يوم ألا لله مظلمتي وهضري
عسى الملك الحبيب لمن دعاه سيُنجزني فيعلم كيف شكرى
فأجزى بالكرامة أهل ودّى وأجزى بالضعفان أهل ضرّى

جملة من الفصول القصار لابن المعتز .

البشر دالّ على السخاء كما يدلّ النور على الثمر . إذا اضطرت إلى الكذاب فلا تصدّقه ، ولا تُعلّمه أنك تكذّبه ، فينتقل عن ودّه ، ولا ينتقل عن طبعه . كما أن الشمس لا يخفى ضوءها وإن كانت تحت السحاب كذلك الصبي لا يخفى غريزة عقله وإن كان مغموراً بأخلاق الحداثة . كرم الله عز وجل لا ينفّض حكمته ، ولذلك لا يجعل الإجابة في كل دعوة . كما أن جلاء السيف أهون من صنّعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . إذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة . لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب . الحوادث المصّة مكسبة لحظوظ جزيلة : من صواب مدّخر ، وتطهير من ذنب ، وتذنيه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرون على مقارعة الدهر .

ومثل هذا الفصل محفوظ عن ذى الياستين ، قاله بعقب علة فأغار عليه ابن المعتز .

وكتب إلى أحمد بن محمد جواباً عن كتاب استزاده فيه : قيّد نعمتي عندك

بما كنت استدعيتها به ، ودُبَّ عنها أسباب سوء الظن ، وأُستدِمَّ ما تحبُّ منى
بما أحبُّ منك .

وكتب إليه : والله لا أقابل إحسانك منى كفر ، ولا تبع إحساني إليك
من ، ولك عندى يد لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك ،
فتجنب ما يسخطنى ؛ فإنى أصون وجهك عن ذل الاعتذار .

وكان أحمد بن سعيد يؤدبه فتحمل البلاذرى على قبيحة أم ابن المعتز بقوم
سألوا أن تأذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار ، فأجابت أو كادت
تجيب ، قال ابن سعيد : فلما اتصل الخبر بى جلست فى منزلى غضبان لما بلغنى
عنها ، فكتب إلى ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة .

أصبحت يا بن سعيد خدن مكرمة	عنها يقصر من يخفى ويتعل
سر بلتنى حكمة قد هذبت شيمى	وأججت نار ذهني فهي تشتعل
أكون إن شئت قساً فى خطابته	أو حارثاً وهو يوم الخفل مرّجّل
وان أشأ ففكر زيد فى فرائضه	أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل
أو الخليل عروضياً أخا فطن	أو الكسانى نحوياً له عذل
تفلو بدهة ذهني فى مراكبها	كمثل ما عرفت أبائى الأول
وفى صارم ماسله أحد	من غمده فدرى ما العيش والجذل
عقبك شكر طويل لا نقاد له	ينقى بجدته ما أطت الإبل

وقسّ الذى ذكر : هو قسّ بن ساعدة الإيادى ، وقد سمع النبى صلى الله
عليه وسلم شعره ، وعجب منه .

وحارث : هو الحارث بن حلزة الشكرى ، وصف ارتجاله يوم فخره بقصيدته
التي أشدها بحضرة عمرو بن هند التي أولها :

آذنتنا ببينها أسماء ربّ ثاوٍ يملّ منه الثواء

وزيد : هو زيد بن ثابت الأنصارى ، وإليه انتهى علم الفرائض . ونعمان : هو

أبو حنيفة النعمان - رضى الله عنه - بن ثابت، سبق أهل العراق في الفقه. والخليل بن أحمد القرطوبى، ويقال: القرطوبى، مسوب إلى حى من الأزدي، اليمى. والكسائى: على بن حمزة الكوفى.

[من ابن العميد إلى بعض إخوانه]

وكتب أبو الفضل محمد بن العميد إلى بعض إخوانه :
أنا أشكو إليك - جعلني الله فداك - دهر أخو وناغدوراً، وزماناً خدوعاً غروراً،
لا يمنح ما يمنح إلا ريث ما ينتزع، ولا يبق فيما يهب إلا ريث ما يرتجع، يبدو
خير له لمعاً ثم ينقطع، ويحلو ماؤه جراً ثم يمتنع. وكانت منه شيمة مألوفة،
وسجية معروفة، أن يشفع ما يُبرمه بقرب انتقاض، ويهدى لما يبسطه وشك انقباض،
وكنا نلبسه على ما شرط، وإن خان وقسط؛ وترضى على الرغم بحكمه، ونستقيم
بقضده وظلمه، ونعتد من أسباب المسرة ألا يجىء محذوره مصمتاً بلا انفراس، ولا يأتى
مكروهه صرفاً بلا مزاج، وتعلل بما نختلسه من غفلاته، ونسترقه من ساعاته.
وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشريعة متبعة، وأعد لكل صالحة
من الفساد حلاً، وقرن بكل خلة من المكروه خللاً. وبيان ذلك - جعلني
الله فداك - أنه كان يقنع من معارضته الإلفين، بتفريق ذات البين، فقد
أثنى ممنواً فيك بجميع ما أوغره، وما أطويه من البلوى منك أكثر مما أنشره،
وأحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه، وألزمته جرماً لم يكن قدره بما يحيط
به، وقدرته ترقى إليه، ولو أنك أعنته وظاهرته، وقصدت صرفه وآزرته،
وبعيتي بيع الخلق وليس فيمن زاد ولكن فيمن نقص، ثم أعرضت عنى إعراض
غير مراجع، وأطرحنى أطراح غير مجامل؛ فهلاً وجدت نفسك أهلاً للجميل
حين لم تجدنى هناك، وأنفذت من جل ما عقدت من غير جريمة، ونكثت
ما عهدت من غير جريرة، فأجبتني عن واحدة منهما؛ ما هذا التعالى بنفسك،

والتعالى على صديقك ؟ ولم نَبْذُ تَنِي نَبْذَ النّوَاة ، وطرَحَتْنِي طَرَحَ القَدَاة ؟ ولم تَلْفِظْنِي مِن فِيك ، وتمَجَّنِي مِن خَلْقِك ؟ وأنا الحلال الحُلُو ، والبارد العذب ، كيف لا تُخَطِرُنِي بِبَالِك خَطَرَة ، وتُصَيِّرُنِي مِن أَشْغَالِك مَرَة ؛ فترسل سلاما إن لم تتجشم مُكَاتَبَة ، وتذكركني فِيمَنْ تَذْكُرُ إن لم تكن مخاطبة ؟ وأحسب كتابي سِرْدُكَ عَلَيْكَ فتنكره حتى تثبّت ، ولا تجمع بين اسم كاتبه وتَصَوِّرُ شخصه حتى تذْكُرْ ؛ فقد صرت عندك مِمَّنْ كَحَا النسيانُ صورَتَهُ مِن صدركَ ، واسمهُ مِن صحيفة حِفْظِكَ ، ولعلك أيضاً تتعجب من طمعى فيك وقد تولّيت ، واستمّلتى لك وقد أبيت ، ولا عجب فقد يتفجّر الصَّخْرُ بالماء الزلال ، ويلين مَنْ هُوَ أَقْسَى مِنْكَ قلبا فيعود إلى الوصال ، وآخر ما أقوله أَنْ وَدَى وَقْفُ عَلِيكَ ، وَحَبَسَ فِي سَبِيلِكَ . ومتى عدت إليه وجدته غَضّاً طَرِيّاً ، فخرّبهُ في المعادودة فإنه في العود أَمَحَدُ .

اجتليت هذا الكلام على اختيار الاختصار .

حلّ قوله « فقد يتفجّر الصَّخْرُ بالماء الزلال » من قول ابن الرومي :

يا شبيهه البدر في الحسن وفي بُعدِ المآلِ
جُدْ فقد تنفجر الصَّخْرَة بالماء الزُّلالِ

وفي هذه الرسالة في ذكر فَتَحَ وإن لم يستبق منه المعنى :

وقد خصنا الله تعالى عاشرَ عُبدِ الأميرِ عضد الدولة بنعمة يَعْلُو مراتب النعم موقِعُهَا ، ويفوتُ مقدار المواهب موضعها ، فباسمِهِ - أبقاه الله - فَتَحَ الفَتْحَ ، وبشاره استُنْزِلَ النَّجْحَ ، ويؤمنُ نَقِيْبَتَهُ فُرجَ الكَرْبِ ، وبسعادة جَدّه كُشِفَ الخُطْبُ ، وباهتزازهِ للدولة وحمايته عاد إليها مأوئها ، وراجمها بهاؤها ، فعزّ الملك ونُصِرَ ، وذللّ العدو وقُهرَ ، وحُمِيتْ أطرافُ الدولة ، وحُفِظَتْ أكنافُ المِلَّةِ ، واستجدّ نظام النعمة ، وسُدِلَتْ ستورُ الصيانة دون الحرمة ؛ ولو جعل المولى - تقدّس اسمه - لنعمته إذا تناهت على عبيده جزاءَ غَيْرِ الإخلاص في شكره ، وقبل ما في مقابلة المَوْهبة التي يستجدها عند خلقه غيرَ

الإغراق في حَمْدِهِ ، لرأيت ألا أقتصر في قضاء حقّه على بعض الملوك دون بعض :
ولجملت في صَدْرٍ ما أبذل عن هذه النعمة الأعزّين : الأهل والولد ، والأنصّرين :
الساعد والعُصْد ، بل العميدين : القلب والسكبد ؛ بل النفس كلها ، والمُهْجَة
بأسرها .

[من بديع ما قيل في العتاب]

لسعيد بن حميد

وقال سعيد بن حميد يعاتبُ بعض إخوانه :

أقلُّ عتابك فالبقاء قليلُ والدَّهرُ يُعَدِّلُ تارةً ويميلُ
لمُأبِكَ من زمنٍ ذَمْتُ صُروفهُ إلّا بكيتُ عليه حينَ يزُولُ
ولِكُلِّ نائبةٍ أَلَمْتُ مُدَّةً ولكلِّ حالٍ أَقْبَلْتُ تَحْوِيلُ
والمتنمون إلى الإخاء جماعةٌ إنْ حُصِّلُوا أفنَاهم التحصيلُ
ولعل أحداثَ المنيّةِ والرّدى يوماً ستَصْدَعُ بيننا وتحوّلُ
فلئن سَبَقْتُ لتبكين بحسرةٍ وليكثرنَّ علىّ منك عَويلُ
ولتفجعنَّ بمُخْلِصٍ لك وامقٍ حَبِلُ الوفاءِ بِحَبْلِهِ موصولُ
ولئن سَبَقْتُ - ولا سَبَقْتُ - ليمضنَّ مَنْ لا يُشَاكِلُهُ لدىّ خليلُ
وليزهبنَّ بهاءُ كلِّ مروءةٍ وليُفْقَدَنَّ جَواهرُ المأهولِ
وأراك تكلفُ بالعتابِ ووُدُّنا ضافٍ عليه من الوفاءِ دليلُ
ودُّ بدا لذوى الإخاء جمالهُ وبدت عليه بهجّةٌ وقبولُ
ولعل أيامَ الحياةِ قليلةٌ فعَلَامَ يكثرُ عَتْبُنَا وَيَطُولُ
وقال أيضاً :

نقدسأني أن ليس لي عنك مذهبُ ولا لك عن سوء الخليفة مرّغبُ
أفكر في ودِّ تقادم بيننا وفي دونه قُرْبِي لمن يتقربُ
وأنت سقيمُ الودِّ رثَّ حبالهُ وخيرٌ من الودِّ البقيمِ التجنبُ

(١) في نسخة «جمالها المأمول» (م) .

تُسِيءُ وَتَأْتِي أَنْ تَعْقِبَ بَعْدَهُ بِحُسْنِي، وَتَلْقَانِي كَأَنِّي مُذْنِبٌ
وَأَحْذَرُ إِنْ جَازَيْتَ بِالسُّوءِ وَالْقِلَى مَقَالَةَ أَقْوَامٍ هُمْ مِنْكَ أَنْجَبُ
أَسَاءَ اخْتِيَارًا أَوْ عَرَّتَهُ مَلَالَةً فَعَادَ يُسِيءُ الظَّنَّ أَوْ يَتَعَتَّبُ
فَخِيتَ مِنَ الْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا كَمَا خَابَ رَاجِي الْبَرْقِ وَالْبَرْقُ خُلِبُ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله بن عبد
الله بن طاهر

إِلَى كَمْ يَكُونُ الصَّدُّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِمَ لَا تَمَنَّ الْقَطِيعَةَ وَالْمَجْرَأَ؟
رَوَيْدِكَ ! إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لَتَفْرِيقِ ذَاتِ الْبَيْنِ فَانْتَظِرِ الدَّهْرَ
آخر :

وَلَقَدْ عَلِمْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَجَنِّبًا أَنَّ الصَّدُودَ هُوَ الْفِرَاقُ الْأَوَّلُ
حَسَبَ الْأَحِبَّةِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمْ صَرَفُ الزَّمَانِ، فَمَا لَنَا نَسْتَعْجِلُ؟
آخر :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَسَعْمًا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمَفْتَرِقُ جَارَانِ دَارَهُمَا الْعَمْرُ
ويقرب من المعنى قول المتنبي أيضاً :

للمتنبي

زَوِّدْنِي مِمَّنْ حُسْنُ وَجْهِكَ مَا دَا مَ لِحُسْنِ الْوُجُودِ حَالٌ يُحَوِّلُ
وَصِلِينَا نَصْلَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلُ

[من كلام الأعراب]

وقف أعرابي يسأل، فعَبِثَ به فتى، فقال : ممن أنت؟ فقال : من بنى عامر
ابن صعصعة، فقال : من أيهم؟ فقال : إن كنت أردت عاطفة القرابة فليكنك
هذا المقدار من المعرفة، فليس مقامى بمقام 'مجادلة ولا مفاخرة، وأنا أقول :
فإن لم أكن من هاماتهم فلست من أعجازهم. فقال الفتى : ما رويت عن فضيلتك إلا النقص
في حبسك. فامتعض الأعرابي لذلك؛ فجعل الفتى يعتذر، ويخاطب الهزل والدعابة باعتذاره،

وأطال الكلام ، فقال له الأعرابي : يا هذا ، إنك منذ اليوم آذيتني بمزحك ، وقطعتني عن مسألتى بكلامك واعتذارك ، وإنك لتكشف عن جهلك بكلامك ما كان السكوت يستتره من أمرك ، ويحك ! إنَّ الجاهل إن مزح أسخط ، وإن اعتذر أفرط ، وإن حدث أسقط ، وإن قدر تسلط ، وإن عزم على أمر تورط ، وإن جلس مجلس الوقار تبسّط ؛ أعودُ منك ومن حالٍ اضطرتني إلى احتمالٍ مثلك !

وقال إسحاق الموصلي : قال أعرابي لرجل كان يعتمد به بالعطية : أسأل الذي رحمني بك أن يرحمك بي .
وسأل أعرابي رجلاً ، فأعطاه ، فقال : الحمد لله الذي ساقني إلى الرزق وسألك إلى الأجر :

[المقامة البلخية]

ومن انشاء البديع من مقامات الإسكندري :

قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : أفضتُ بي إلى بلخ تجارة البزّ ، فوردتها وأنا بفرقة الشباب^(١) وبأل الفراغ ، وحلية الثروة ، لا يهمني إلا نزهة فكر أستفيدها^(٢) وشريدة من الكلام أصيدها ؛ فما استأذن على سمعي مسافة مقامي ، أفصحُ من كلامي . ولمّا حنى التفرقُ بنا قوسه أو كاد ، دخل إلى شابٍّ في زى ملء العين ، وحلية تشوكُ الأخْدَيْنِ^(٣) ، وطرفٍ قد شرب بماء الرّافدين^(٤) ، ولقيني من البرِّ في السناء ، بما زِدْتُه من الشكر والثناء ؛ ثم قال : أظعنًا تريد ؟ قلت :

(١) الفروة : الشعر ، وفي إحدى روايات المقامات « وأنا بعذرة الشباب »

والعذرة : الناصية ، وهي الحصلة من الشعر في مقدم الرأس

(٢) في إحدى روايات المقامات « مهرة فكرة أستفيدها »

(٣) الأخْدعان : عرقان في صفحة العنق

(٤) الرافدان : دجلة والفرات . والكلام هنا كناية عن وفرة الشباب

إلى والله ، فقال : أَخَصَبَ اللهُ رَائِدَكَ ، ولا أَضِلَّ قَائِدَكَ ، فمتى عَزَمْتَ ؟ فقلت :
غداة غد ، فقال :

صَبَّاحُ اللهِ لا صُبْحُ انْطِلَاقٍ وَطَيْرُ الْوَصْلِ لا طَيْرُ الْفِرَاقِ
قال : أين تريد ؟ قلت : الوطن ، قال : بُلِّغْتَ الْوَطَنَ ، وَقَصَيْتَ الْوَطَرَ ،
فمتى الْعَوْدُ ؟ قلت : الْقَابِلَ ، قال : طَوَّيْتَ الرِّيبَ^(١) ، وَثَنَيْتَ الْخَيْطَ ، فَأَيْنَ أَنْتَ
مِنَ الْكُرْمِ ؟ قلت : بِحَيْثُ أَرَدْتُ ، قال : إِذَا رَجَعْتَ اللهُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ ،
فاسْتَضْجِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ ، مِنْ نَجَّارِ الصُّفْرِ ، يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ ،
وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ ، كَدَّارَةَ الْعَيْنِ ، يَحْطُ ثِقَلَ الدِّينِ ، وَينَافِقُ بَوَجهين !
فعلمت أنه يلتبس دينارا ، قلت : لك ذلك نقدا ، ومثله وعدا ، فأنشأ يقول :

رَأَيْتُكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى لا زلت للمكرُمات أهلا
صَلَبْتُ عَوْدًا وَفَقْتُ جُودًا وَطَبْتُ فِرْعَا وَطَبْتُ أَصْلًا
لا أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمْلًا ولا أَطِيقُ السُّؤَالَ ثَمَلًا
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا وَطَلْتُ عَمَّا ظَنَنْتُ فَعَلًا
يَا رَحْمَةَ اللهِ وَالْمَعَالَى لا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ مُكَمَّلًا^(٢)

قال عيسى بن هشام : فُتِلَتْهُ الدِّينَارُ ، وقلت : من أين نَبَتَ هَذَا الْفَضْلُ ؟
قال : نَمَتْنِي قَرِيشَ ، وَمُهَدَى الشَّرَفِ فِي بَطْحَاءِهَا . فقال بعض من حضر :
أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ السَّكَنْدَرِي ؟ أَلَمْ أُرْكَ بِالْعِرَاقِ ، تَطُوفُ بِالْأَسْوَاقِ ، مُكَدِّيًا
بِالْأَوْرَاقِ^(٣) ؟ فأنشأ يقول :

(١) الرِّيبُ : جمع رِبْطَة ، وهى الملاءة - وهذه العبارة كناية ، يدعو له
بأن يطوى أيام البعد عن أهله (م)

(٢) فى إحدى روايات المقامات « يا رَحْمَةُ الدَّهْرِ وَالْمَعَالَى » والرجمة - بضم
الراء وسكون الجيم - ما يبني تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه إذا ثقل حملها أو
ضعف احتمالها (م)

(٣) كدى الرجل تكديية : أى سأل

إِنَّ اللَّهَ عَيَّدَا أَخَذُوا الْعُمَرَ خَلِيطًا
فَهُمْ يُمْسُونَ أَعْرَا بَا وَيُضْحُونَ نَبِيطًا^(١)
[من البديع إلى الميكالى]

وله إلى أبي نصر الميكالى يشكو إليه خليفته بهرارة :

كُتِبَ إِلَى أَطَالِ اللَّهِ بَقَاءَ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ ، وَالْمَاءُ إِذَا طَالَ مُكْنُهُ ، ظَهَرَ خُبْنُهُ ، وَإِذَا
سَكَنَ مَتْنُهُ ، تَحَرَّكَ تَنَنُهُ ، كَذَلِكَ الضَّيْفُ يَسْمُجُ لِقَاؤُهُ ، إِذَا طَالَ ثَوَاؤُهُ ، وَيَثْقُلُ
ظِلُّهُ ، إِذَا انْتَهَى مَحَلُّهُ ، وَقَدْ حَلَبْتُ أَشْطَرَ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ بِهَرَاةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَارَ
مَثَلِي لَوْلَا مُقَامُهُ ، وَمَا كَانَتْ تَسْعَنِي لَوْلَا ذِمَامُهُ ، وَلِي فِي بَيْتِي قَيْسٌ مِثْلُ صَدَقٍ ،
وَإِنْ صَدَرَ مَصْدَرٌ عِشْقٍ :

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي بِقَوْلِ مُحَلِّ الْعُصْمِ سَهْلِ الْأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَيْثُ لَا لِي حَيَاةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

نعم . قنصتني نعمُ الشيخ الجليل ، فلما علقَ الجناح ، وقلِقَ البرّاح ، طرت
مطارَ الريح ، بل مطارَ الروح . وتركتني بين قوم ينقض مسهم الطهارة ،
وتوهن أكتفهم الحجارة . وحُذِّثت عن هذا الخليفة ، بل الخيفة ، أنه قال :
قضيت لفلان خمسين حاجةً منذ ورد هذا البلد ، وليس يقنع ، فما أصنع ؟ فقلت :
يا أحمق ، إن استطعت أن ترائى محتاجاً ، فاستطع أن أراك محتاجاً إليك . أف
لقولك ولفعلك ، ولدهر أخوج إلى مثلك ! وأنا أسأل الشيخ الجليل أن يبيّض
وجهي بكتاب يسود وجهه ، ويعرفه قدره ، ويملاّ رعباً صدره ، إلى أن تبين
على صفحات جنّبه ، آثارُ ذنبه .

وله إليه يعاتبه :

قد عرف الشيخ الجليل أنسامي بعبوديّته ، ولو عرفت وراء العبوديّة مكاناً
لبلغته معه ، وأراني كلما قدمت صُحْبَةً ، رجعت رُتْبَةً ، وكلما طالت خِدْمَةٌ ، قصُرت

(١) النبيط : جماعة من العجم يسكنون سوادا لعراق (م).

حِشْمَةٌ، ولست ممن يذهب عليه أن للسلطان أن يرفع عَبْدًا حبشيًّا، وَيَضَعُ قُرَشِيًّا، ولكن أحب أن أقف من مكاني على رُتْبَةٍ كوكبها لا يغور، ومغزلة لَوِّبِهَا لا يدور؛ فإذا عرفت، قَدَرِي وخطه، لم أنخطه، ثم إن رأيت محسلي وحده، لم أتعدّه، إن قدّمني يوماً عليها علمت أن عنايةً قد متني، وإن أخرني عنها علمت أن جنابةً أخرتني. رفع على اليوم فلانٌ ولست أنكر سنّه وفضله، ولا أجد بينه وأصله، ولكن لم تجرِ العادة بتقدّمه، لا في الأيام الخالية، ولا في هذه الأيام العالية؛ وشديده على الإنسان ما لم يعود؛ فإن كان حاسدٌ قد همّ، أو كاشح قد نهمّ، أو خطبٌ قد ألمّ، أو أمرٌ قد وقع وتمّ، فالشيخُ الجليلُ أولى من يعرفه ويعرفني، وإلا فما الرأي الذي أوجب اصطناعي، ثم ضياعي، والسبب الذي اقتضى بنيي بعد ابتياعي؟

[بين المأمون وإبراهيم بن المهدي]

ولما رضى المأمون عن إبراهيم بن المهدي أمر به فأدخل عليه، فلما وقف بين يديه قال: ولّى الثأر محكم في القصاص، ومن تناوله الاغترار بما مدّله من أسباب الرجا، أمّن عادية الدهر من نفسه، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب، كما جعل كل ذى ذنب دونك، فإن أخذتَ فبحقك، وإن عفوت فبفضلك. ثم قال:

ذَنبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَخُذْ بِحَقِّكَ، أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَعَالِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فقال لى: إني شاورتُ أبا إسحاق والعباس في قتلك، فأشارا به، قال: فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين؟ قال: قلتَ لهما: بدأناه بإحسان، ونحن نستأمره فيه، فإن غيرَ فالله يغير ما به، قال: أما أن يكونا قد نصحا في عظيم ما جرّت عليه السياسة

فقد فعلا وبلغا ما يبلغك، وهو الرأي السديد، ولكنك أبيت ألا تستجلب النصر إلا من حيث عودك الله. ثم استعبر باكيًا، فقال له المأمون: ما يبكيك؟ قال: جدًا! إذ كان ذنبي إلى من هذه صفته في الإنعام، ثم قال: إنه وإن كان قد بلغ جرmy استحلال دمي، فعلم أمير المؤمنين وفضله بلغاني عفوه، ولي بعدها شفاعة الإقرار بالذنب، وحق الأبوة بعد الأب. فقال: يا إبراهيم، لقد حُببَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أوجر عليه، أما لو علم الناسُ مالنا في العفو من اللذة لتقرَّبوا إلينا بالجنايات، لا تَتَرَيَبَ عليك، يغفر الله لك، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك لبلَّغك ما أملت حسنُ تنصُّلك ولطفُ توصلك ثم أمر بردَ ضياعه وأمواله، فقال:

رددت مالي ولم تبخلْ عليَّ به وقبل ردِّك مالي قد حَقَّنتَ دمي
وقام علمك بي فاحتجَّ عندك لي مقام شاهدٍ عدلٍ غيرِ متهمٍ
فلوبذلتُ دمي أبتى رضاكَ به والمالَ حتى أسلَّ النعلَ من قدَّمي
ما كان ذاك سيوى عارية سَلَفَتْ لولم تهبها لكنت اليوم لم تَلَمْ
أخذ معنى قول المأمون: «لقد حُببَ إلى العفو حتى خفتُ ألا أوجر عليه»
أبو تمام الطائي فقال:

لو يعلمُ العافون كم لك في الندى من لذة وقرينةٍ لم تخمِدِ
فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس المعتز في القاسم بن عبيد الله:
إذا ما مدحناه استعنا بفعله فنأخذ معنى قولنا من فعاله
وكان تصويبُ إبراهيم لرأى أبي إسحاق المعتصم والعباس بن المأمون أطفَ في طلب الرضا ودفع المسكروه واستمالتهما إلى العاطفة عليه من الإزراء عليهما في رأيهما، وكان إبراهيم يقول: والله ما عفا عني لرحم ولا لحنة؛ ولكن قامت له سوق في العفو كره أن يفسدها [بي].

وكان المأمون شاور في قتل إبراهيم أحمد بن أبي خالد الأحول، فقال:

إِنْ قَتَلْتَهُ فَلَاكَ نَظِيرٌ ؛ وَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ فَلَا نَظِيرَ لَكَ ؛ فَأَخْتَارَ لَكَ الْعَفْوَ .

[بَيْنَ الْمَأْمُونِ وَإِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ]

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِإِسْحَاقَ بْنِ الْعَبَّاسِ : لَا تَحْسِبْنِي أَغْفَلْتُ أَمْرًا مِنْ الْمَهْدَى وَتَأْيِيدِكَ لَهُ ، وَ إِيْقَادَكَ لِنَارِهِ .

قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا جَرَامُ قَرِيشَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْظَمُ مِنْ جُرْمِي إِلَيْكَ ؛ وَلَرَحِي أَمْسَ بَكَ مِنْ أَرْحَامِهِمْ ؛ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ ؛ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَخَوْتِهِ : « لَا تَتْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » . وَأَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقُّ وَارِثٍ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي الطَّوْلِ ، وَمِمَثَلٍ خِلَالِ الْعَفْوِ وَالْفَضْلِ .

قَالَ : هِيَاهُ ! تِلْكَ أَجْرَامُ جَاهِلِيَّةٍ عَفَا عَنْهَا الْإِسْلَامُ ، وَجُرْمُكَ جُرْمٌ فِي إِسْلَامِكَ ، وَفِي دَارِ خِلَافَتِكَ .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَوَاللَّهِ لِلْمُسْلِمِ أَحَقُّ بِإِقَالَةِ الْعَشِيرَةِ وَغُفْرَانِ الذَّنْبِ مِنَ الْكَافِرِ . وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِذْ يَقُولُ : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . وَالنَّاسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسَبَةٌ دَخَلَ فِيهَا الْمُسْلِمُ وَالْكَافِرُ ، وَالشَّرِيفُ وَالْمَشْرُوفُ .

قَالَ : صَدَقْتَ ، وَرَيْتُ بَكَ زَنَادِي ، وَلَا بَرِحْتُ أَرَى مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ .

[رَجُلٌ يَسْتَغْطِفُ بَعْضَ الْمُلُوكِ]

وَقَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ وَقَدْ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ : أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَنْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ غَدًا أَذِلُّ مِنْ نَيْنِ يَدَيْكَ الْيَوْمَ ، وَهُوَ عَلَى عِقَابِكَ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى عِقَابِي ، إِلَّا مَا نَظَرْتَ فِي أَمْرِي نَظَرَ مَنْ بُرِّنِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ سُقْمِي ، وَبِرَاءَتِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَلِيَّتِي .

[بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَرُوحِ بْنِ زُبَاعٍ]

وَأَرَادَ مَعَاوِيَةُ عَقُوبَةَ رُوحِ بْنِ زُبَاعٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَنْشِدْكَ اللَّهُ تَعَالَى

أَلَا تَضَعُ مَنِيَّ حَسِيصَةً أَنْتَ رَفَعْتَهَا ، أَوْ تَنْقُضُ مَنِيَّ مَرِيرَةً ^(١) أَنْتَ أَبْرَمْتَهَا ، أَوْ تَشْتُمُ بِي عَدُوًّا أَنْتَ كَبَيْتَهُ ، وَحَاسِدًا بِكَ وَقَمْتُهُ ^(٢) ؛ وَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِلَّا أُرْبِي ^(٣) حِلْمُكَ عَلَى خَطِيئِي وَصَفْحِكَ عَلَى جَهْلِي .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا اللَّهُ ثَنَّى عَقْدَ شَيْءٍ تَبَسَّرَا .

أَشَارَ إِلَى هَذَا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي إِذْ قَالَ :

أَزَلَّ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكَبَيْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حَسَدًا
إِذَا شَذَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِي يَدِي ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغْمَدًا
[عَفْوُ الْمُلُوكِ]

وَعَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى بَعْضِ خَاصَّتِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ قَدِيمَ الْحَرَمَةِ الْمَأْمُونُ وَبَعْضُ خَاصَّتِهِ حَدِيثُ التَّوْبَةِ يَمْحُوَانِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِسَاءَةِ . قَالَ : صَدَقْتَ ، وَعَفَا عَنْهُ .

وَكَانَ فِي مُلُوكِ فَارَسٍ مَلِكٌ عَظِيمُ الْمُلْكَةِ ، شَدِيدُ النِّقْمَةِ ، فَقَرَّبَ لَهُ صَاحِبُ الْمَطْبَخِ طَعَامَهُ ، فَنَقَطَتْ نُقْطَةً مِنَ الطَّعَامِ عَلَى الْمَائِدَةِ ، فَرَزَى لَهُ الْمَلِكُ وَجْهَهُ ، وَعَلِمَ صَاحِبُ الْمَطْبَخِ أَنَّهُ قَاتَلَهُ ، فَعَمِدَ إِلَى الصَّحْفَةِ فَكَفَّأَهَا عَلَى الْمَائِدَةِ ثُمَّ وَلَّى ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سَقُوطَ النَّقْطَةِ أَخْطَأَتْ بِهَا يَدُكَ وَلَمْ يُجَرِّبْهَا تَعَمُّدُكَ ، فَمَا عِنْدَكَ فِي الثَّانِيَةِ ؟ قَالَ : اسْتَحْيَيْتُ لِمَلِكٍ أَنْ يُوجِبَ قَتْلِي ، وَيُبَيِّحَ دَمَ مِثْلِي ، فِي سَنَى وَحُرْمَتِي ، وَقَدِيمِ اخْتِصَاصِي وَخِدْمَتِي ، فِي نُقْطَةِ أَخْطَأْتُ بِهَا يَدِي ، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْظُمَ ذَنْبِي لِيَحْسُنَ بِالْمَلِكِ قَتْلِي .

قَالَ : لَئِنْ كَانَ اعْتِدَارُكَ يُنْجِيكَ مِنَ الْقَتْلِ ، فَلَيْسَ يُنْجِيكَ مِنَ التَّأْدِيبِ ؛ أَجْلَدُوهُ مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَاخْلَعُوا عَلَيْهِ الرِّضَا .

وَخَرَجَ بِهِرَامُ جَوْرٌ مُتَصِيدًا فَعَنَّ لَهُ حِمَارٌ وَخَشٍ ، فَاتَّبَعَهُ حَتَّى صَرَعَهُ ، وَقَدْ بَهَرَامُ جَوْرٌ انْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ ، فَانْزَلَ عَنْ فَرَسِهِ يَرِيدُ ذَبْحَهُ ، وَبَصُرَ بِرَاعٍ فَقَالَ : أُمْسِكْ عَلَى فَرَسِي ، وَتَشَاغِلْ بِذِمْحِ الْحِمَارِ ، وَحَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ ، فَنَظَرَ إِلَى الرَّاعِي يَقْطَعُ جَوْهَرَ عِذَارِ فَرَسِهِ ، فَحَوَّلَ بِهِرَامُ جَوْرٌ وَجْهَهُ وَقَالَ : تَأَمَّلُ الْعَيْبَ عَيْبٌ ، وَعَقُوبَةُ

(١) أَصْلُ الْمَرِيرَةِ الْحَبْلُ لِلْحَكْمِ الْقَتْلِ (م)

(٢) وَقَمْتُهُ : قَهَرْتَهُ وَأَذَلَّاهُ (م)

(٣) أُرْبِي : زَادَ (م)

من لا يستطيع الدفاع عن نفسه سَفَهَ ، والعفوُ من أفعال الملوك ، وسُرْعَةُ العقوبة من أفعال العامة .

ثم قال : يا غلام ، ما بال شَرِيًّا نَكَ يضطربُ لِعَلَّكَ آذاك تكسيرُنا أَرْضَكَ بحوافر خَيْلِنَا ، فقال : نعم ، وقد عَزَمْتُ على أن أقتلع مائةَ فرسخ ، فقال بهرام : لا تُرْع ؛ فهذا الموضع وما فيه لك ، وكان الراعي خبيثًا ، فقال : إن الملوك إذ قالت قولاً تَمَّتْ على قولها ، فرجع بهرام إلى عسكره وقال : اتبعني لأوثقَ لك من هذه الأرض ، فاتَّبعه ، فلما بَصُرَ به الوزير قال : أيها الملك السعيد ، إني لأرى جَوْهَرَ عِذارِ فرسِكَ مُقَلَّمًا ، فتبسَّم وقال : أخذه من لا يردُّه ، ورآه من لا ينمُّ به ، فَمَنْ أخذه صاحبُنَا ولا نطلبه به .

نقل ابن الرومي قول بهرام : « تأمل العيب عَيْبٌ » كما اتفق موزونًا فقال :

تَأْمَلُ الْعَيْبِ عَيْبُ	مَا فِي الذِّى قُلْتُ رَيْبُ
وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ	دُونِ الْعَوَاقِبِ غَيْبُ
وَرَبِّ جِلْبَابٍ هَمٍّ	فِيهِ مِنَ الصَّنْعِ جَيْبُ
لَا تَحْقِرَنَّ سَيْنِيًّا	كَمْ قَادٍ خَيْرًا سَيْبُ ^(١)

أخذ البيت الأخير من قول الطائي :

رُبَّ قَلِيلٍ غَدًا كَثِيرًا كَمْ مَطَرٍ بَدَوُهُ مَطِيرُ

وقوله :

لَا تَزِيلَنَّ صَغِيرَ هَمِّكَ وَانْظُرْ كَمْ بَذَى الْأَثَلِ دَوْحَةً مِنْ قَضِيبِ

وقد أعاد ابن الرومي قوله :

وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ دُونِ الْعَوَاقِبِ غَيْبُ

(١) سيب : تصغير سيب ، والسيب - بالفتح - العطاء .

في قصيدته التي مدح بها أحمد بن محمد بن ثوبة حين ساوره ، وقال : لو أتى لبید
لتعجب منه ، فاستجزله وقال :

وَلَمَّا دَعَانِي لِلْمُتُوبَةِ سَيِّدٌ يَرَى الْمَدْحَ عَارًا قَبْلَ بَذْلِ الْمَثَاوِبِ
تَنَازَعْنِي رَغْبٌ وَرَهْبٌ كِلَاهُمَا قَوِيٌّ ، وَأَغْيَانِي طُلُوعُ الْمَعَايِبِ
فَقَدَّمْتُ رَجُلًا رَغْبَةً فِي رَغِيْبَةٍ وَأَخَّرْتُ رَجُلًا رَهْبَةً لِمُعَاطِبِ
أَخَايَ عَلَى نَفْسِي وَأَرْجُو مَفَازَهَا وَأَسْتَأْثِرُ غَيْبِ اللَّهِ دُونَ الْعَوَاقِبِ
أَلَا مَنْ يُرِينِي غَايَتِي قَبْلَ مَذْهَبِي وَمِنْ أَيْنَ وَالْغَايَاتُ بَعْدَ الْمَذَاهِبِ

[من اعتذارات البديع]

نسخة رقعة كتبها بديع الزمان إلى أبي علي إسماعيل يعتذر إليه :
سوء الأدب من سكر التدب، وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة ،
وتسببها المعذرة ، وقد جرى بحضرة الشيخ ما جرى ، وقد أفنيت يدي عضاً ،
وأسناني رصاً ، وإن لم أوف ما جرى فالعذر أمدّ خطا ، فإن كان بساطاً يطوى ،
وحديثاً لا يروى ، فأولى من عذر البلاعب ، وأخرى من غفر الصاحب ؛ وإن
كان ميتاً ينشر ، وسبباً يذكر ، فليكن العقاب ما كان ، إن لم يكن الهجران ،
على أني قد أخذت قسطن من العقاب ، واستفدت من ردّ الجواب ، ما كفى وأوجع
اللقا ؛ فكان من موجب أدب الخدمة ، إبقاء الحشمة لولي النعمة ، باحتمال الشتم ،
والإغضاء عن الخضم ، لكنني أخذت بي ثلاثة أحوال لا يسلم صاحبها : اللعب
وسكره ، والخضم وهجره ، والإدلال والثقة ، وهنّ اللواتي حملنني على ماء الوجه
فهرقته ، وحجاب الحشمة فخرقته ، وقد منعتني الآن فرط الحياء من وشك
اللقاء ، وعهدى بوجهي وهو أضيق من العدم الذي حملني على جهله ، وأوقع
من الدهر الذي أحوجني إلى أهله ؛ لكن النعم إذا توالّت على وجه رقت
قشرته ، وألأنت بشرته ؛ وأنا منتظر من الجواب ما يرش جناحي إلى خدمته ،
فإن رأى أن يكتب فعل ، إن شاء الله .

وله رقعة إلى أبي علي بن مشكويه أولها :

ويا عَزَّ إِن وَاشٍ وَشَى بِيَ عِنْدَكُم فَلَا تُمְهِلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ : مَهْلًا
 كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بَعِزَّةً عِنْدَنَا لَقُلْنَا : تَزَحْزَحْ لِقَرِيبًا وَلَا أَهْلًا
 بلغني أطال الله بقاء الشيخ أن قِيضَةَ كَلْب^(١) وافته بأحاديث لم يُعْرِها
 ألحق نورَه ، ولا الصدقُ ظهورَه ، وأنه — أدام الله عزَه — أذن لها على مجال
 أذنه ، وفسح لها فناء ظنّه ، ومعاذ الله أن أقولها ، وأستجيز معقولها ؛ بل قد كان بيني
 وبين الشيخ عتابٌ لا ينزل كنفه ولا يحذف ، وحديث لا يتعدى النفسَ وضميرها ،
 ولا يعرف الشفةَ وسميرها ، وعزْ بَدَّة كَعَرْ بَدَّة أهل الفضل ، لا تتجاوزُ الدلال
 والإدلال ، ووحشة لا يكشفها عتابٌ خَطَّة ، ككتاب جَحَظَة ، فسبحان مَنْ رَبِّي
 هذا الأمرَ حتى صارَ أمرًا ، وتأبطَ شرًّا ، وأوجبَ عُدْرًا ، وأوحشَ حُرًّا .
 وسبحان مَنْ جعلني في حَيِّزِ العدو أشيمَ بَارِقَتِهِ ، وأتخوفَ صَاعِقَتِهِ ، وأنا المَسَاءُ
 إليه ، والجَنَى عليه ، ولكن من بُلي من الأعداء بمثل ما بُليت ، ورُمي من الحسد
 بما رُميت ، ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت ، واجتمع عليه من المكاريه
 ما وصفت ، اعتذر مظلومًا ، وضحك مشتومًا ، ولو علم الشيخُ عددَ أولاد الجدِّ ،
 وأبناء العدد ، بهذا البلد ، ممن ليس له همٌّ إلا في سعاية أو شكاية أو حكاية أو
 نكاية ، لضنَّ بعشرة غريب إذا بدر ، وبعيد إذا حضر ، ولصان مجلسه عن
 لا يصونه عما رقى إليه ، وهبني قد قلت ما حكى ، أليس الشاتمُ مَنْ أسمع ، والجاني
 مَنْ أبلغ ؟ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفسًا
 لا تستفز ، وجبلا لا يهز ، وشوا إلى خدمه بما أرثوا نارهم^(٢) ، وورد على ما قالوه فما
 لبثت أن قلت :

فإن تلكُ حربٌ بين قومي وقومها فإنني لها في كلِّ نائبة سلمٌ

(١) القيضة ، بالكسر : قطعة صغيرة من العظم ، والكلام على التشبيه (م)

(٢) أرثوا نارهم : أججوها وأشعلوها (م)

وليعلم الأستاذ أن في كبد الأعداء منى جحرة ، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة ،
 وفُصَّارهم نارٌ يشبُّونها ، وعقرب يدبُّونها ، ومكيدة يطلُبونها ، ولولا أن العذرَ
 إقرار بما قيل ، وأكره أن أستقيل ، لبسطتُ في الاعتذار شاذراً وانا ، ودخلت في
 الاستقالة ميداناً ، لكنه أمرٌ لم أضعُ أوله ، فلم أتدارك آخره .

وقد أبى الشيخ أبو محمد — أيده الله — إلا أن يوصلَ هذا النثر الفاتر
 بنظم مثله فيها كه يلعنُ بعضه بعضا :

مولاي إن عدتُ ولم ترض لي	أن أشرب البارد لم أشرب
أمتطِ خدى وانتعل ناظري	وصد بكفى حمة العُرب
تالله ما أنطقُ عن كاذبٍ	فيك ، ولا أبرقُ عن خلبٍ
فالصفو بعد الكذب المفترى	كالصحو عقب المطر الصيب ^(١)
إن أجتَن الغلظة من سيدي	فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفسد الزورُ على ناقدٍ	فالخر قد يعصب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد — أيده الله — يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلمُ
 واللسان ؛ فنعم رائد الفضل هو ، والسلام .

فقر من كلام سهل بن هرون للمأمون

كان المأمون استبقل سهل بن هرون ، فدخل عليه يوماً ، والناسُ على
 مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ؛ فلما فرغ من كلامه
 أقبل سهل بن هرون على الجُمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون
 ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تُنصفون ؟ والله إنه ليقول
 ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عرّبكم كعجمكم ،
 وعجمكم كعبيدكم ، وليكن كيف يعزف الدواء من لا يشعر بالداء ؟ فرجع
 المأمون فيه إلى الرأي الأول .

(١) في الرسائل (١٦٠ بيروت) « فالصفو بعد الكدر المفترى »

[من ترجمة سهل بن هرون ، وأخباره]

وكان أبو عمرو سهل بن هرون من أهل ميسان^(١) نزل البصرة فنُسب إليها ،

وهو القائل :

يأهل ميسان السلام عليكم الطيبون الفرعُ والجذمُ
أما الوجوهُ ففِضَّةٌ مُزِجَتْ ذهباً وأيدٍ سَحَّةٌ هُضِمُ^(٢)
أترِيدُ كَلْبٌ أن أناسها قد قلَّ من كَلْبٍ بَيَ الْعِلْمِ
أجعلت بيتاً فوق رابية فرعُ النجومِ كأنه نَجْمُ
كَبِيتِ شَعْرٍ وسطِ مِجْهَلَةٍ بفنائهِ الْجَمْلَانُ والبهْمُ

وكان سهل شعوبيا ، والشعوبية : فِرْقَةٌ تتعصب على العرب وتنقضها ، وكان

أبو عبيدة يُزْمِي بذلك .

وسهل ظريفٌ عالمٌ حسنُ البيان ، وله كتبٌ ظريفةٌ صَنَفَهَا معارضاً للأوائل

في كتبهم بما لا يَسْتَصُو به منهم ، حتى قيل له « بزجر جمهور الإسلام » وقال يمدح رجلاً :

عَدُوٌّ تِلَادِ الْمَالِ فيما يَنْوِبُهُ مَنْوَعٌ إِذَا مَا مَنَعُهُ كَانَ أَحْزَمًا
مَذَلَّ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى مَكَارَةً مَا تَأْتِي مِنَ الْعَيْشِ مَغْنَمًا

وهذا نظير قوله في كتاب « ثَغْلَةٍ وَغَفَرَةٍ » الذي عارض به كليله ودمنه : اجعلوا

أداء ما يَجِبُ عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم ؛ فإن

تَقْدِيمَ النَّافِلَةِ مع الإبطاء عن الفريضة مظهر على وَهْنِ الْعَقِيدَةِ ، وتقصير

الروية ، ومُضَرُّ بالتدبير ، مَحْلٌ بالاختيار ، وليس في نفع محمدته عَوَاضٌ من

فساد المروءة ولزوم النقيصة . وكتابه هذا مملوء حكماً وعِلْماً . وسهل القائل :

تَقَسَّمَنِي هَمَّانٌ قَدْ كَسَفَا بِالِ وَقَدْ تَرَكَ قَلْبِي مَحْـلَةً بِأَبَالِ
هَمَّا أَذْرِيَا دَمْعِي ، وَلَمْ تَذَرْ عَبْرَتِي رَهِينَةً خِذْرَ ذَاتِ سِمَطٍ وَخَلْخَالِ
وَلَا قَهْوَةَ لَمْ يَمِيقَ مِنْهَا عَلَى الْمَدَى سِوَى أَنْ تَحَاكِيَ النُّورَ فِي رَأْسِ ذِيَالِ
تَحَلَّلَ مِنْهَا جِرْمُهَا وَتَمَاسَكَتْ لَهَا نَفْسٌ مَعْدُومٌ عَلَى الزَّمَنِ الْخَالِي

(١) ميسان - بفتح فسكون - بين واسط والبصرة (م)

(٢) هضم : جمع هضوم ، واليد الهضوم : التي تجود بما لديها (م)

ولكما أبكى بعين سخيّة على حدّث تبكى له عَيْنُ أمثالي
فراق خليل لا يقوم به الأسى وخَلَّةٌ حُرٌّ لا يُقُومُ لها مالى
فوا حسرتى حتّى متى القلبُ مُوجِع لفَقْدِ خليل أو تَعَذُّرِ إِفْضال
وما الفضلُ إلا أنْ تجودَ بنائلٍ وإلا لقاء الخُلّ ذى الخُلُقِ العالى
وهو القائل :

إذا امرؤُ ضاق عني لم يَضِقْ خُلُقِي من أنْ يرانى غنياً عنه باليأسِ
لا أطلبُ المالَ كي أَغْنِي بفضلته ما كان مَطْلَبُهُ قَفْراً إلى الناسِ
وأشدُّ له الجاحظُ يهجو رجلاً :
من كان يَعْمُرُ ما شادَتْ أوائلُهُ فأنتَ تَعْمُرُ ما شادُوا وما سَمَكُوا
ما كان فى الحق أنْ تحوى فعالهمُ وأنتَ تحوى من الميراثِ ما تركوا
وقال محمد بن زياد الزيادى : وجدتُ ^(١) على سهل بن هرون فى بعض الأمر،
فهجوته ، فكتب إلى : أما بعد فالسلامُ على عهدك وداعِ ذى ضنِّ بك ، فى غير
مَقْلِيَةٍ لك ^(٢) ، ولا سَلَوَةٍ عنك ، بل استسلامٌ للبلوى فى أمرك ، وإقراراً بالمعجزة
فى استعطافك ، إلى أوان فيئتك ^(٣) ، أو يجعل الله لنا دَوْلَةً من رجعتك ، والسلام .
وكتب فى أسفل الكتاب :

إنْ تَغْفُ عن عبدك المسىءِ ففى عفوك مأوئى للفضل والمنِّ
أتيتُ ما أستحقُّ من خطإٍ فجدُّ بما تستحقُّ من حسنٍ

[من عِظَاتِ الحسن البصرى]

وقال الحسن البصرى رحمه الله فى يوم [فطر] وقد رأى الناسَ وهياتِهِمْ :
إنَّ اللهَ تبارك وتعالى جعل رمضانَ مضمّاراً تَخْلُقُهُ ، يَسْتَبِقُونَ فيه بطاعته إلى
مَرْضَاتِهِ ، فسبقَ قومٌ ففازوا ، وتخلفَ آخرونَ فخابوا ، فالحجب من الضاحكِ اللاعبِ

(١) وجدت عليه : حقدت أو غضبت (م) (٢) اللقية : الكراهية (م)

(٣) فيئتك : رجوعك (م)

في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، وَيَحْسَرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ ، أما والله لو كشف
الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومُسيء بإساءته .

ونظر إلى قوم منصرفين من صلاة الفِطْرِ يتدافعون ويتضاחקون ، فقال :
الله المستعان ! إن كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن صومهم قد تُقبَّل فما هذا محلُّ
الشَّاكرين ، وإن علموا أنه لم يتقبل فما هذا محلُّ الخائبيين .

وكان الحسن من الخطباء النَّسَّاك الفقهاء الأجواد ، ويقال : إنه لم يكن تابعيًّا
أفضل منه .

هذا قول أهل العراق جميعاً ، وأهل الحجاز يقدمون سعيد بن المسيب
عليه ، وكان سعيدٌ أَحْسَنَ من الحسن وَرَعًا ، وَأَشَدَّ النَّاسِ حَذَرًا ، وَأَقْلَهُمُ
كَلَامًا .. وكان الحسن لا يدع أن يتكلَّم بما هَجَسَ في نفسه ، وجَاشَ في صدره .
وعلى ذكر الحسن شهرَ رمضان نقول :

ألفاظ لأهل العصر ، في التهنئة بإقبال شهر رمضان

مع ما يتصل بها من الأدعية

ساق الله تعالى إليك سعادة إلهاله ، وعَرَّفَكَ بركة كماله . قسم الله لك من
فَضْلِهِ ، ووفَّقَكَ لقرضه وَنَفَلِهِ . لَقَاكَ الله مَترجوه ، ورقاك إلى ما تحبُّه فيما
تَتْلُوهُ . جعل الله ما أَظْلَكَ من هذا الصوم مقرونًا بأفضلِ القبول ، مُؤْذِنًا
بدرِّكَ البُغْيَةِ ونُجْحِ المَأْمُول ، ولا أَخْلَاكَ من برٍّ مرفوع ، ودعاء مسموع . قابلَ
الله تعالى بالقبول صيامك ، وبعظيمِ المثوبة تهجُّدك وقيامك . عَرَّفَكَ الله من
بركاته ما يُرِي على عدد الصَّائمين والقائمين ، ووفَّقَكَ الله لتحصيل أَجْرِ
المتهجِّدين . أسأل الله تعالى أن يضاعِفَه بمنه لك ، ويجعله وسيلة بقبوله إلى مَرْضَاتِهِ
عَنكَ . أعاد الله إلى مولاي أمثاله ، وتَقَبَّلَ فيه أعماله ، وأصلح في الدين والدنيا
أحواله ، وبلغه منها آماله . أسعده الله بهذا الشهر ، ووفاه فيه أَجْزَلَ المثوبة
والأجر ، ووفَّرَ حظَّهُ من كل ما يرتفع من دُعاء الدَّاعِينَ ، وينزل من ثواب العاملين ،

وقبل مساعيه وزكاها ، ورفع درجاته وأعلاها ، وبلغه من الآمال مُنتهاها ، وظفر بأبعدها وأقصاها .

وقال الحسن : من أخلاق المؤمن قوة في دين ، وحزم في لين ، وحرص أخلاق المؤمن على العلم ، وقناعة في فقر ، ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ، وفقه في يقين ، وكسب في حلال .

وقال محمد بن سليمان لأبي السماك : بلغني عنك شيء ، قال : لأباليه ، قال : صفة الأخ الصادق ولم ؟ قال : لأنه إن كان حقاً غفرت له ، وإن كان باطلاً كذبت له .

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن السماك : خير الإخوان أفلقهم مصانعة في النصيحة ، وخير الأعمال أحلاها عاقبة ، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرف السلطان ما لم يخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا ، وخير الإخوان من لم يخاصم ، وخير الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يختبر ود الرجال عند الفاقة والحاجة .

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال : إنه بسيط الكف ، رَحْب الصدر ، موطأ الأكناف ، سهل الخلق ، كريم الطباع ، غيث مُغيث ، وبحر زخور ، ضحوك السن ، بشير الوجه ، بادي القبول ، غير عبوس ، يستقبل بطلاقة ، ويحيي بك بشر ، ويستدرك بكرم غيب ، وجميل سر ، تهجك طلاقة ، ويرضيك بشره ، ضحكك على مائدته ، عبد لضيافته ، غير ملاحظ لأكيله ، بطين من العقل ، تخيم من الجهل ، راجح الحلم ، ثاقب الرأي ، طيب الخلق ، محض الضريبة ، معطاء غير سائل ، كاس من كل مكرمة ، عار من كل ملامة ، إن سئل بذلك ، وإن قال فعل .

قال أبو الفتح كشاجم :

مزاجك للمثني من العود والصبا
من الریح والصابي الرقيق من الخمر
فلو كنت ورداً كنت ورداً مضاعفاً
ولو كنت طيباً كنت من غير الشجر

ولو كنت لحناً كنت تأليف معبدٍ . ولو كنت عوداً ما افتقرت إلى زميرٍ

وقال أعرابي :

ألا حبّذا البردُ الذي تلبّسِينهُ ويا حبّذا مَنْ باعكَ البردَ من تجرٍ^(١)
 فلو كنت ماءً كنت ماء غمامةٍ ولو كنت درّاً كنت من دُرّةٍ بكرٍ
 ولو كنت لهواً كنت تعليل ساعةٍ ولو كنت نوماً كنت إغفاء الفجرِ
 ولو كنت ليلاً كنت قمرآء جُنُدت نحوّس ليالي الشَّهرِ أو ليلة القدرِ

(١) التجر - بالفتح - اسم جمع ، واحده تاجر ، ومثله شرب وسفر

تم - بحمد الله تعالى ومعاونته - تحقيق الجزء الثاني من « زهر الآداب ،
 وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى . ويليه - إن شاء واهب التوفيق
 والسداد ، ورازق القدرة والعون - الجزء الثالث مفتتحاً بـ « نبذ من ألفاظ بلغاء
 العصر تجرى في المدح مجرى الأمثال ؛ لحسن استعاراتها ، وبراءة تشبيهاتها » .
 نسأله - سبحانه - أن يعين على إكماله بمنّة وفضله ، آمين .

فهرس الجزء الثانى من كتاب

« زهر الآداب ، وثمر الألباب »

لأبى إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
للتيمى يمدح الفضل بن سهل		٣٤١ ألقاظ لأهل العصر فى وصف الطعام ،	
— لإبراهيم بن العباس فيه		ومقدماته ، وموائده ، وآلاته	
٣٥٤ لابن الرومى يمدح إبراهيم بن المدبر		٣٤٢ من شعر ابن الرومى فى وصف طعام	
— لابن الرومى يمدح ابن طاهر		٣٤٣ مقامة لبديع الزمان فى وصف الطعام	
من ترجمة الفضل بن سهل		٣٤٥ لعلى ابن يحيى النجم	
٣٥٥ مختارات من كلام الفضل بن سهل		— لابن الرومى يصف اللوزينج	
— من محمد بن على إلى محمد بن يحيى		٣٤٧ منهم ابن الرومى وحبه للسمك	
— جواب محمد يحيى بن خالد		٣٤٨ من الناجم إلى ابن الرومى	
٣٥٦ رجل يريد أن ينصح المهدي		— لابن الرومى يصف العنب الرازق	
— توقعات للفضل بن سهل		٣٤٩ ألقاظ لأهل العصر فى وصف	
٣٥٧ بعض أوصاف الخيل		القوابك والثمار	
— ابن القرية يصف فرسا		٣٥٠ بعض ماجاء فى وصف الليل	
— لعبد الله بن طاهر		— لأعرابى يصف ليل لقاء	
— رجل يريد شراء فرس		— لأعرابى يصف وفاء الصعبة	
— لمحمد بن الحسن بن الحرون		— لجرير يصف يوم صيد	
٣٥٨ أبيات لتأبط شراً		٣٥١ لإبراهيم بن العباس يصف قصر الليل	
— لعقبة بن سنان يصف خيلاً أهدها		— للأصبهاني يصف يوم لهُو	
عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان		— لابن المعتز يصف ليل سرور	
٣٥٩ للناعبة الجعدى		— بين الرشيد وعبد الملك بن صالح	
— لبعض العرب		٣٥٢ لأبى تمام	
— لأعرابى		— للحائى	
— لأعرابى آخر		— لأهل العصر	
٣٦٠ أعرابى يصف خيل بنى يربوع		٣٥٣ سعيد بن هريم وصلته بالفضل بن سهل	

ص	الموضوع	س	الموضوع
	لأبي تمام يصف فرساً	٢٧٥	من عرف قدر النعمة استدامها
٢٦٦	للمجتري يصف فرساً	—	بين سليمان بن عبد الملك وحاجبه
٢٦٧	لإسحاق بن خلف يصف فرساً	—	بين يونس بن الخثار وحاجب المأمون
—	أبي دلف	—	بين رجل والمعل بن أيوب
—	لأبي الفتح كشاجم	—	بين المنصور والحارث بن حسان
—	لابن المعتز	٢٧٦	بين المأمون وعبد الله بن طاهر
٢٦٨	لأبي الفتح	—	لأبي نواس في هذا المعنى
—	لابن المعتز	—	للنائب يعارض أبا نواس
—	لأعرابي مولد	—	لابن الرومي
—	لابن المعتز أيضاً	٢٧٧	ألفاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر
٢٦٩	لعل بن محمد الإيادي	٢٧٨	لأبي الفتح البستي
—	لأبي العباس النائشي	—	بين أبي العتاهية وعمر بن العلاء
٢٦٥	لأبي منصور الثعالبي	٢٨٠	من أخبار أبي العتاهية
—	لابن هاني يصف خيل المعز	—	ولوعه بعتبة
—	وله يصف فرساً لجعفر بن علي بن حمدون	٢٨١	المهدي يضرب أبا العتاهية مائة سوط
٢٦٦	وله يصف فرساً لإبراهيم بن جعفر	٢٨١	من شعر أبي العتاهية في عتبة
—	ابن علي	—	بين المهدي وأبي العتاهية
٢٦٧	لعل بن محمد الإيادي يصف فرساً	٢٨٢	الرشيد يحبس أبا العتاهية لترك الشعر
—	جعفر بن القاسم	٢٨٣	بشار يمدح عمر بن العلاء
٢٦٨	لأبي الطيب المتنبي	٢٨٤	لأبي سعيد الخزومي في معنى بشار
٢٦٩	مقامة لبديع الزمان فيها وصف فرس	—	لأبي الطيب المتنبي
٢٧٠	قولهم في الوعد ومنزلة إنجازها	٢٨٦	لابن هاني
—	بين أبي القاسم المسعودي وعيسى	٢٨٧	رجع إلى عمر بن العلاء
—	ابن موسى	—	بينه وبين أبي العتاهية
—	بين منصور بن زياد ويحيى بن خالد	٢٨٩	للمعتبي في أبي العشائر الحمداني
—	بين المهدي وابن دأب	—	لأبي العتاهية في الزهد
٢٧١	لابن قابوس يمدح يحيى بن خالد	—	لأبي نواس
—	لأبي الطيب المتنبي	٢٨٨	ألفاظ لأهل العصر في الشكر بدلالة
—	لأبي علي البصير في الفضل بن يحيى	—	الحال
—	لابن الرومي		

ص	الموضوع
٤٠٢	من ابن العميد لمن تزوجت أمه
٤٠٣	الناظر لأهل العصر في التهانى بالبنات
٤٠٤	بعض ما لا يمدح به النساء
—	لابن الرومي
—	للمتنبى
—	رجل يمدح زبيدة أم الأمين
—	لكثير عرة
٤٠٥	عزة تفضل الأحوص على كثير
٤٠٦	من الأمانى
—	لأبى صخر الهذلى
—	لمسلم بن الوليد
—	لآخر
٤٠٨	بعض أخبار كثير عرة
—	حمقه
—	كان رافضيا
—	بين كثير وعبد الملك بن مروان
٤٠٩	لقيس بن الملوح
—	من جيد شعر كثير
٤١١	قول العرب في الطول أو القصر
—	لشاعر قديم ، وأنشده أحمد بن عبيد الله
٤١٢	لابن الرومي
—	لعنرة العيسى
٤١٣	لأبى نواس
—	عود إلى أخبار كثيرة سزة
—	كثير عند عبد العزيز بن مروان
—	وهو مريض
—	نقد سلام الجحى لشعر كثير

ص	الموضوع
٣٥٥	لأبى الفضل الميكالى
٣٥٥	لأبى الفتح البسى
٣٩٠	بين نصيب والفرزدق
٣٩١	لسحيم عبد بنى الحساس
—	للمتنبى
—	بين أبى تمام وابن الزيات
٣٩٣	لابن الزيات يمدح الحسن بن سهل
—	لأبى تمام يمدح ابن أبى دواد
٣٩٥	من أخبار ابن أبى دواد
—	غلوه في التعصب لإياد
—	علمه ، وعداوته لابن الزيات
—	أصله
٣٩٦	غضبه على أبى تمام ، ثم رماه عنه
٣٩٧	بين ابن أبى دواد والحاجب أبى منصور
—	من براءة خالد بن عبد الله القسرى
٣٩٨	اعتذار أبى تمام للمعتصم عن سابق مدحه للأفشين
٣٩٩	المنافقون في عهد النبى صلى الله عليه وسلم
—	عبد الله بن أبى سرح
—	المختار بن أبى عبيد الخارجى
—	بين أمية بن خالد بن أسيد وعبد الله بن الأهم
٤٠٠	فصل في غرائب التكتاب
—	من حمدون ابن نهران لعامل عزل عن عمله
—	من ابن مكرم لنصرانى أسلم
—	بعض ما يحسن تركه وإن كان حلالا
٤٠١	ما يقال لمن تزوجت أمه

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤١٤	فصول قصار	٤٢٠	من شعره
—	من كلام قابوس بن وشمكير	٤٢٦	من شعر الفتح بن خاقان
٤١٥	للثعالبي يصف شمس المعالي قابوساً	—	كتاب منه إلى عبيد الله بن يحيى
٤١٦	للميكالي يمدح قابوساً	٤٢٧	مما يبعث على الرحيل
٤١٧	من رسائل بديع الزمان إلى قابوس	—	من الوصايا لمن اعتزم السفر
٤١٩	من أخبار البرامكة	٤٢٧	قفر في مدح السفر
٤٢٠	ثمامة بن أشرس يصف جعفر بن يحيى	—	في ذم السفر والغربة
—	سهل بن هرون يصف يحيى وابنه جعفرآ	٤٢٨	بين المهدي وأبي عبيد الله
—	توقيع لجعفر بن يحيى	—	بين المأمون والفضل بن الربيع
٤٢١	بين جعفر بن يحيى ومروان بن أبي حفصة	—	بين المنصور وأبي مسلم الخراساني
٤٢٢	من قصيدة لزهير بن أبي سلمى	٤٤١	جملة في الأوصاف من شعر كشاجم
—	تعليق على هذه القصيدة لقدماء بن جعفر	٤٤٤	الصابي يهذي اسطرلاباً لعبد الدولة
٤٢٣	لمحمد بن منذر في البرامكة	—	ويبعث معه بشعر
—	مثلاً من التجنيس لأبي الفضل الميكالي	٤٤٥	من أوصاف النساء
٤٢٦	لأبي الفتح البستي في هذا المذهب	—	لابن الرومي
٤٢٨	قفر في ذكر العلم والعلماء	—	لبعض الشعراء يصف العلم
٤٣٠	استعارات فقهية تليق بهذا المكان	—	قلب المعنى ليس بسرقة
—	بين أبي تمام وابن أبي دؤاد	—	لشاعر يصف نساء بالعبالة
—	بين طاهر بن عبد الله وابن أبي تمام	٤٤٨	من المعاني ما لا ينقلب
٤٣١	ولاية طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان وسببها	—	بعض ما أخذ على أبي نواس
٤٣٢	بين ابن ثوابة وابن الرومي	٤٤٩	قطعة من شعر أهل العصر في ذكر النجوم
—	بين المعتصم وأبي تمام	—	لأبي الفتح البستي
—	لأبي الفضل الميكالي	٤٥١	لابن درست
٤٣٣	لأبي الفتح كشاجم	—	لمسكويه
—	لبديع الزمان الهمذاني	—	للخوارزمي
٤٣٥	أبو علي البصير، وشيء من أدبه	—	للصولي
—	بينه وبين بعض الطالبين	٤٥٢	لابن المعتز
—	بينه وبين بعض الرؤساء	٤١٨	الأصمعي وبعض الأعراب

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٤٥	لابن المعتز	٤٥٤	قعر من كلام الأعراب في ضروب مختلفة
—	وله في القاسم بن عبيد الله	٤٦٠	لامرأة من العرب ترثي ابنها
٤٨٠	لبعض البلغاء	٤٦١	لأعرابي يمدح رجلاً
—	للمتنبى	٤٦٤	بعض أخبار أبي نواس
—	لابن المعتز	٤٦٥	للحسن بن وكيع ، وقد أخذه من أبي نواس
—	مفاخرة بين صاحب سيف وصاحب قلم	٤٦٦	ضرب من الرياء
—	للمتنبى	٤٦٨	من خمرات أبي نواس
—	للتوبختي	٤٦٩	من أخبار بشار بن برد
٤٨١	لابن الرومي	—	احتذاء أبي نواس على مثال بشار
—	للبسقي	٤٢٥	المهدي يأمر بشاراً بترك الغزل
—	لطلحة بن عبيد الله	٤٧٠	من شعر بشار في الغزل
—	لحمود الأصماني	٤٧١	لعلى بن الجهم ، وأخذه من بشار
٤٨٢	لأحمد بن جدار	٤٧٢	منزلة شعر بشار ومقداره
—	لأبي تمام	—	ولاء بشار
—	لتميم بن المعز الفاطمي	٤٧٣	من أخبار أبي حذيفة واصل بن عطاء
٤٨٣	الصدق في النصيحة	—	عود إلى أخبار بشار
—	بين أحمد بن يوسف وغسان بن عباد	٤٧٦	كلمات مأثورة
—	من ترجمة أحمد بن يوسف العجلي	—	فقير في مساوي الكذب لغير واحد
٤٨٦	ألفاظ لأهل العصر في ذم المغنين	٤٧٨	جزاء الشكر
٤٥٢	عود إلى أحمد بن يوسف العجلي	—	بين الحسن بن سهل والمأمون
٤٨٦	ألفاظ لأهل العصر ، في صفات الثقلاء	—	من خطب النسكاح :
٤٩١	من ترجمة جحظة البرمكي ومن شعره	—	خطبة للمأمون
٤٩٢	السكاكين	—	ما يستحب من الخطب والمخطوب إليه
—	بين أحمد بن يوسف والمأمون	٤٧٩	الكتب والأقلام والخط
٣٦٤	لأبي الفتح كشاجم يصف سكيناً سرقته منه		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٦٤	ألفاظ لأهل العصر في صفات السكاكين	٥١٠	مما كتبه في سياقة أخباره مع أبي بكر الخوارزمي
٤٩٥	السمر والمنادمة	٥١٥	كتاب منه لرئيس هراة
—	بين محمد بن أنس والقاسم بن صبيح	٥١٦	كتاب منه للإمام سهل بن محمد
—	شرط المنادمة	٥١٧	كتاب منه للإسماعيلي
٤٦٦	بين اليزيدي والمأمون	٥١٨	المقامة الفزارية للبديع
—	بين كوران المغني والشريف الرضي	٥٢٠	بين شاعر وعبدالله بن الزبير
—	بين أحمد بن جدار وعمر بن أيوب	٥٢١	فرس ابن الزيات
٤٩٧	من إسحاق الموصلي إلى بعض الجلة	—	المزاج
—	من السري الموصلي إلى أخيه يستدعيه	—	بين الحجاج وابن القرية
٤٦٨	لابن المعتز	٥٢٢	خالد بن صفوان يذكر مساوي المزاج
—	للحسن بن محمد الكاتب	—	للوراق في مساوي المزاج
٤٩٩	من ألفاظ أهل العصر ، في الاستدعاء	—	فقر في هذا النحو لأهل العصر
—	ولهم في استدعاء الشراب	٥٢٣	الطيرة والزجر
٥٠٠	ولهم في الكناية عن الشراب	—	لأبي حية النيمري في التفاؤل
—	من الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب	—	مما ينسب لذى الرمة
—	من الحسن بن وهب إلى الحسن بن سهل	٥٢٤	عادة الجاهلية والنهي عنها
—	للكشاجم	—	للحكيت بن زيد الأسدي
٥٠١	فقر للنبيذيين	—	لشاعر قديم
٥٠٣	من ألفاظ أهل العصر . في صفات مجالس الأنس	٥٢٥	لابن كناسة
٥٠٥	من شعر أبي نواس : وهو أستاذ هذا الشأن	—	بين كثير عزة ورجل نهدي
٥٠٨	من رسائل بديع الزمان الهمداني	—	لجريح
—	تعزية منه إلى أبي عامر عدنان بن عامر الضبي .	—	لعوف الراهب
٥٠٩	منه لبعض إخوانه جوابا عن كتاب	٥٢٦	لأبي الشيص
		—	ابن الرومي كان شديد الطيرة ،
		٥٢٧	وبعض أخباره في ذلك
		—	الفرق بين الطيرة والقال
		٥٢٨	من ابن الرومي للقاسم بن عبيدالله
		—	ابن الرومي يرثي ابنة المسيبي
		٥٢٩	وله يعزى على بن يحيى في ابنته

الموضوع	ص	الموضوع	ص
كتاب منه للشعالى	٥١١	الرغبة فى موت البنات	٥٣٩
كتاب منه إلى أبيه	٥٤٦	لعبد الله بن عبد الله بن طاهر	—
كتاب منه يستفتح به مكاتبة أخ	—	لعقيل بن علفة	—
قمر من كلامه فى أثناء رسائل شقى	٥٤٧	لابن خلف البهرانى	—
قطعة من شعره فى تجنيس القوافى	٥٤٩	عود إلى تطير ابن الرومى	٥٣٠
لأبى الفتح البسى	٥١٥	بينه وبين أبى الحسن الأخفش	—
أدب الحاجب	—	من آثار تطير ابن الرومى	٥٣٢
بين مالك وحاجبه	—	من ابن الرومى إلى ابن ثوبة فى التطير	٥٣٤
وصية المهدي للفضل بن الربيع	٥٥٠	من مليح العيافة والزجر	٥٣٦
للحسن بن سهل	—	أبو نواس وبعض أصحابه	—
لبعض البلغاء	—	لأبى تمام	—
بين سعيد بن عبد الملك وعبيد الله	—	أحمد بن المدر والجل الشاعر المصرى	٥٣٧
بن سليمان	—	لأبى الفضل الميكالى فى أهل مرو	—
لأبى السمط بن أبى حفصة	٥٥١	عبد الوهاب الثقفى يصف رجلا	٥٣٨
لمروان بن أبى حفصة	—	يرتاح إليه	—
لإدريس بن أبى حفصة	—	ابن أبى دوداد والجاحظ	—
لعمرو بن شاس الأسدى	—	بين الجاحظ وابن الزيات	٥٣٩
للقطامى فى ضياء الوجوه والأحساب	٥٥٢	من كلام على رضى الله عنه فى أعجب	٥٤٠
للقينى	—	مافى الإنسان	—
للحطيئة	—	لعبد الرحمن بن حسان	٥٤١
للقاسم بن حنبل المدنى	—	لمحمد بن حازم الباهلى	—
للو ضاح التيمى	٥٥٣	للجاحظ فى ابن الزيات	—
حث الاشتياق	—	الجاحظ ورجل من البرامكة	—
لعمر بن أبى ريعة	—	المقامة الجاحظية للبديع	٥٤٣
مما أنشده إسحاق الموصلى	—	من كلام الملوك :	٥٤٤
لإسحاق الموصلى	٥٥٤	من كلام أزدشير بن بابك	—
لأبى نواس	—	من كلام بزرجمهر	٥٤٥
لخلد بن بكار الموصلى	—	من كلام أنو شروان	—
جودة الخط	٥٥٥	من رسائل الميكالى :	—
صفة الخط الجيد لبعض الكتاب	—	كتاب منه للشعالى	—

الموضوع	ص	الموضوع	ص
لابن الرومي	٥٦٨	وراق يصف عيشه	٥٢١
لبعض المحدثين	—	لإسماعيل الحمدوني	٥٥٦
عود لابن الرومي	—	حرفة الأدب	—
أحمد بن يونس الكاتب يرد على	٥٦٦	لبعض الشعراء	—
ابن ارموي	—	للخريعي	—
نبذ من النظم والنثر في صفات النور	٥٦٧	لعل بن محمد بن بسام	٥٥٧
والزهر	—	رزق الحق والعقلاء	—
لعل بن الجهم	—	لابن الرومي	—
لمحمد بن عبد الله بن طاهر	—	لجعفر بن محمد	—
المتوكل وابن الضحاك	—	لنظام	—
ظبي يأكل نيلوفرأ	٥٦٩	بعض أخبار النظام وكلامه	—
وصف أيام الربيع :	—	أفكار الوراقين	٥٥٨
لابن وكيع	—	أطيب اللذات عند الشعراء	٥٥٩
لأبي الفتح البستي	٥٧٠	امرى القيس	—
لأبي الفضل الميكالي	—	الأعشى	—
للبحتری	٥٧٢	طرفة	—
في مجلس المبرد	—	أبي دلف	—
للبحتری في المدح	٥٧٣	حميد الطوسي والشعر لطرفة	—
لابن المعتز ينم الصبوح	٥٧٤	يزيد بن عبيد الله	٥٦٠
لأبي الفتح كشاجم	٥٧٥	من شعر الأصبط بن قريع	—
جملة من هذا النوع لأهل العصر	٥٧٦	من أخبار الأصبط بن قريع	٥٦١
لأبي فراس الحمداني	—	وصف الحابر والأقلام :	—
لابن هانيء يصف زهرة رمان	—	لبعض الكتاب يصف محبرة	—
قطع ثرية لهم في هذا المعنى	٥٧٧	لأبي الفتح كشاجم	—
ولهم أيضاً في وصف الربيع	٥٧٨	ألفاظ لأهل العصر ، في أوصاف	٥٦٢
الربيع والرفاق	٥٧٩	آلات الكتابة والدوى	—
الصوم في الربيع	—	أبو الفتح كشاجم يصف آلات	٥٦٣
يوم الشك	—	الكتابة	—
من بديع الزمان الهمداني لبعض	٥٨٠	عمال المأمون	٥٦٤
أهل همدان	—	وصف الورد والزرجير :	٥٦٥

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٥٤٦	لابن العميد	٥٩٦	لأبي تمام
٥٨١	عواقب الطيش	—	لعصابة الجرجاني في الحسن بن
—	طاهر بن الحسين يصف الأمين	رجاء	
—	الأمين والمأمون	—	بين جميل بن معمر وعمر بن
٥٨٢	الأمين يصف طاهر بن الحسين	أبي ربيعة	
٥٨٣	الفضل بن الربيع وابنه وأبوه	٥٩٨	من شعر العرجي
—	بيعة المهدي	—	نسب العرجي، وبعض أخباره
٥٨٤	وقت كلام الملوك	٥٩٩	جملة من الفصول القصار
—	من كلام الفضل بن الربيع	لابن المعتز	
—	بين المأمون والفضل بن الربيع	٦٠١	من ابن العميد إلى بعض إخوانه
٥٨٥	بين المنصور والربيع	٦٠٣	من بديع ما قيل في العتاب :
٥٨٦	لأبي تمام يمدح ابن الزياد	—	لسعيد بن حميد
—	سهل بن هارون والرشيد	٦٠٤	لعبد الله بن عبد الله بن طاهر
—	من شعر الفضل بن الربيع	—	من كلام الأعراب
٥٨٧	بين ابن خاقان وأبي العيلاء	٦٠٥	المقامة البلخية لبديع الزمان
وصف دابة		٦٠٦	كتاب من بديع الزمان لأبي نصر
٥٨٨	قطعة من رسالة من إنشَاء	الميكالي يشكو إليه خليفته بهراة	
أبي الخطاب الصابي		٦٠٧	من البديع للميكالي يعاتبه
٥٩٠	المجدوني وشاة سعيد بن أحمد	٦٠٨	بين المأمون وإبراهيم بن المهدي
٥٩١	المجدوني وطيلسان ابن حرب	٦١٠	بين المأمون وإسحاق بن العباس
٥٩٤	المأمون والحسن بن رجاء	—	رجل يستعطف بعض الملوك
—	بديهة البرد	—	بين معاوية وروح بن زنباع
—	البرد عند التوكل	٦١١	عفو الملوك :
٥٩٥	أدب أبي العباس البرد	—	المأمون وبعض خاصته
—	بين البرد وابن المعتز	—	بعض ملوك فارس وطباخه
—	في المدح :	—	بهرام جور وراع
—	لأعرابي	٦١٢	من شعر ابن الرومي
—	لابن المعتز	٦١٣	من اعتذارات بديع الزمان
—	للأخطل	٦١٥	قعر من كلام سهل بن هارون
—	لابن هرمة	للمأمون	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أخلاق المؤمن	٦١٩	٦١٦ من ترجمة سهل بن هارون	
خير الإخوان	—	وأخباره	
وصف رجل	—	٦١٧ من عظات الحسن البصري	
لأبي الفتح كشاجم	—	٦١٨ ألفاظ لأهل العصر في التهنية بإقبال	
لأعرابي	٦٢٠	شهر رمضان	

تمت فهرس الجزء الثاني من زهر الآداب للحصري ، والحمد لله أولاً وآخراً
وصلاته وسلامه على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه

زَهْرُ الْأَلْبَابِ

ونثر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الحصري ، القيرواني
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم
الركنور زكي مبارك

الجزء الثالث

دار الجيل

للنشر والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان
ص. پ. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

نبد من ألقاظ بلغاء أهل العصر

تجى فى المدح مجرى الأمثال ؛ لحسن استعارتها ، وبراعة تشبيهاتها
فلان مسترضعٌ ثدىَ الجدى ، مُفترشٌ حِجْرَ الفضل ، له صدرٌ تضيق به
الدَّهْناء ، وتفرع إليه الدهماء ، له فى كل مكرمة غرة الإصباح^(١) ، وفى كل فضيلة
قادمة الجناح^(٢) ، له صورة تستنطق الأفواه بالتسبيح ، ويتفرق فيها ماء الكرم ،
وتقرأ فيها صحيفة حُسن البشر ، تحيا القلوب بلقائه ، قبل أن يميت الفقر بعطائه ،
له خلقٌ لو مزج به البحرُ لنفى مُلوحتَه ، وكفى كدورته . هو غذاه الحياة ،
ونسيم العشق ، ومادة الفضل ، آراؤه سكاكين فى مفاصل الخطوب ، له همه
تعزل السمك الأعزل ، وتجر ذيلها على الحجر ، هو راجح فى موازين العقل ،
سابق فى ميادين الفضل ، يفتزع أبكار المكارم ، ويرفع منار الحاسن . ينابيع الجود
تتفجر من أنامله ، ويربع السماء يضحك من فواضله . هو بيت القصيدة ، وأول
الجريدة ، وعين الكتبية ، واسطة القلادة ، وإنسان الحدقة ، ودرة التاج ،
ونقش الفص ! وهو ملح الأرض ، ودرع الملّة ، ولسان الشريعة ، وحصن الأمة .
هو غرة الدهر والزمان ، وناظر الإيمان . له أخلاقٌ خلقن من الفضل ، وشيمٌ
تشام منها بوارقُ المجد^(٣) ، أريج الزمان بفضله ، وعقم النساء عن الإنيان بمنله .
الجميل لديه مُعتاد ، والفضل منه مبدوء ومُعاد ، ماله للعفاة^(٤) مباح ، وفعله فى ظلمة
الدهر مضباح ، كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع ، يرى بأوّل رأيه آخر الأمر ،
جوهر من جواهر الشرف لا من جواهر الصّدَف ، وياقوتة من يواقيت الأحرار

(١) فى نسخة « غرة الأوضح » (م)

(٢) القادمة : واحدة القوادم ، وهى ريشات فى مقدم جناح الطائر ويقابلها الحوافى (م)

(٣) الشيم : جمع شيمة ، وهى الحصلة . وتشام : تنظر ، والبوارق : جمع بارق ،

والمراد به البرق (م) (٤) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب الحاجة (م)

لا يوافق الأبحار ، طلعتُ للبشاشة عليها ديباجة خُسْرٍ واثية ، وفيها للطلاقة روضة ريعية . وَجْهٌ كَانَ بَشَرَتُهُ نَشْرَ البَشَرِ ، ومواجهته أمانٌ من الدَّهْرِ . يصل يبشيره ، قبل أن يَصِلَ ببرّه ، قد لحظت من وجهه الأنوار ، ومن بَنَانِهِ النّوَار . أنا من كرم عشرته ، وطلاقة أَسْرَتِهِ ، في روضةٍ وغدير ، وجَنَّةٍ وحرير ، وهو بَحْرٌ من العلم ممدود بسبعة أبحر ، ويومُهُ من يوم الأدب كعمر سبعة أنسُر . العلم حَشْوُ ثِيَابِهِ ، والأدب مِلءُ إِهَابِهِ . هو شَخْصُ الأدب مائلا ، ولسانُ العلم قائلا . شَجَرَةُ فَضْلِ عودِها أدب ، وأغصانها عِلْمٌ ، وثمرتها عَقْلٌ ، وعروقها سِرْوٌ ، تسقيها سماه الحريرة ، وتغذيها أرضُ المروءة . هم ملح الأرض إذا فسدت ، وعارة الأرض إذا خربت ، ومعرض الأيام إذا احتشدت ؛ وهم جمالُ الأيام ، وخواصُّ الأنام ، وفرسان الكلام ، وفلاسفة الإسلام . فلان غَضْنُ طَبْعِهِ نَضِيرٌ ، ليس له في مَجْدِهِ نظير ، قد جمع الحِفْظَ الغزير ، والفَهْمَ الصحيح ، والأدب القوي القويم ، وما يُؤْنِسُهُ مِنَ الْوَحْشَةِ إِلَّا الدَّفَاتِر ، ولا يَصْحَبُهُ فِي الْوَحْدَةِ إِلَّا الْحَابِر . فلان يَحِلُّ دَقَائِقُ الْأَشْكَال ، وَيُزِيلُ مَعْتَرِضَ الْإِشْكَال . له خَلْقٌ كَنَسِيمِ الْأَشْحَار ، على صفحات الأنوار . كالماء صَفَاءً ، والمسك ذِكَاءً . أخلاق قد جمعت المروءة أطرافها ، وحرست الحرية أكنافها . أخلاق تجمع الأهواء المنفرقة على محبته ، وتؤلّف الآراء المتشتتة على مودّته . أخلاق أعذب من ماء الغمام ، وأحلى من ريق النحل ، وأطيب من زمان الورد . أخلاق أحسن من الدرّ والعقيان ، في نحور الحسان ، وأذكى من حركات الروح والريحان . فلان يَسْتَحِطُّ التَّمَرُّ (١) بِطَرَفِهِ ، ويستنزل النّجم بلطفه (٢) . هو خُلُو المذاق ، سهل المساغ . أجمل الناس في جدّ ، وأحلام في هزل . يتصرّف مع القلوب ، كتصرّف السحاب مع الجُبوب . ذو جدّ كعلو الجدّ (٣) ، وهزل كحديقة الورد . له عِشْرَةٌ ماؤها يقطر ، وصَحْوٌ ماها من

(١) في نسخة « يستحط العصم » وهي أفضل مما في الأصل (م)

(٢) في نسخة « بلفظه » (م)

(٣) الجد ، بالكسر : الاجتهاد ، والجد ، بالفتح : الحظ واليخت (م)

الغضارة يعطر^(١). هو رِيحانة على القدح ، وذريعة إلى الفرح . عشرته أَلْطَفُ من نسيم الشمال ، على أديم الزلال ، وألصقُ بالقلب ، من علائق الحب . إذا أردت فهو سُبْحَة ناسك ، أو أُحِبَّت فهو تَفَّاحَة فاتك ، أو اقترحت فهو مدرعة راهب ، أو آثرت فهو نخبة شارب . أخباره زكية ، وآثاره ذكية . أخباره تأتينا كما وشى بالمسك ريّاه ، ونمّ على الصباح مُحْيَاه . قد انتشر من طيب أخباره ما زاد على المسك الفتيق ، وأوفى على الزّهر الأنيق . مناقب تشدّخ في جبينها غرّة الصباح ، وتمهّد في أنباءها وفودُ الرياح . فلان أخباره آثاره ، وعينه فراره^(٢) ، قد حصل له من حميد الذكر ، وجميل النّشر ، مالا تزال الرواة تدرسه ، والتواريخ تحرسه . سألت عن أخباره فكأنني حرّكت المسك فتيقاً ، أو صبّحت الروض أنيقاً . أخباره متضوعة كتضويع المسك الأذفر ، ومُشرقة إشراق الفجر الأنور . أحببته بالخبر ، قبل الأثر ، وبالوصف قبل الكشف . هو ممن يثقل ميزانُ ودّه ، ويُخَصِّف ميثاق عَهْدِهِ . هو كريم العهد ، صحيح العقد ، سليم الصدر في الودّ ، حميد الورد فيه والصدر . هو لإخوانه عدّة تشدّم وتقويمهم ، ونورٌ يسعى بين أيديهم . هو ركن الإخاء ، صافي شرب الوفاء ، حافظٌ على الغيب ما يحفظه على اللقاء . هو ممن لا تدوم المداهنة في عَرَصات قلبه ، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره . هو يسرى إلى كرم العهد ، في ضياء من الرشد . عهده نقشٌ في صخر ، وودّه نسبٌ ملآن من فخر . يقبلُ من إخوانه العفو ، كما يوليهم من إحسانه الصّفو . في ودّه غنى للطالب ، وكفاية للراغب ، ومرآة للصّخب ، وزاد للركب . هو في حبل الوفاء حاطب ، وعلى فرض الإخاء مواظب . النّجحُ معقودٌ في نواصي آرائه ، واليُمْنُ معتادٌ في ذاهب أنحائه . له الرأى . الثاقب الذي تخفى مكايده ، وتظهر عوائده ، والتدبيرُ النافذ الذي تنجّع بمباده ، وتبهج تواليه . رأى

(١) الغضارة : النعمة (م) (٢) هذا من المثل «إن الجواد عينه فراره» (م)

كَالسَّبْهِمْ أَصَابَ غِرَّةَ الْمَدْفِ ، ودهاء كالبحر في بُعد النور وقرب المغترف ،
لا يضع رأيه إلا مواضع الأصالة ، ولا يصرف تدبيره إلا على مواقع السداد
والإصابة . يعرف من مبادئ الأقوال خواتم الأفعال ، ومن صدور الأمور أعجاز
ما في الصدور . رؤيته رأى صليت ، وبديته قدر مصيب . يسافر رأيه وهو داني
لم يبرح ، ويسير تدبيره وهو نائي لم ينزح . له رأى لا يخطئ شاكلة الصواب ،
[ولا يخشى بادرة العثار . فلان يحتمر الرأى ويحمّله ، ويحمّد الفكر ويحمّله ، حتى
يحصل على لب الصواب] ^(١) ، ومحض الرأى . إذا أذكى سراج الفكر ، أضاء
ظلام الأمر ، هو قطب صواب تدور به الأمور ، ومستنبط صلاح يرث إليه
التدبير . يرى العواقب في مرآة عقله ، وبصيرة ذكائه وفضله . وله رأى يرث
الخطب مصمماً ، والرمح مقلماً . [آراؤه سكاكين في مفاصل الخطوب] ، كأنه
ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق ، ويطالعه بعين السداد والتوفيق . يستنبط
حقائق القلوب ، ويستخرج ودائع الغيوب . قد سرّينا من مشورته في ضياء ساطع ،
ومن رأيه الصائب في حكم قاطع .

نبذة من مفردات الآيات في فرائد المدهح

أبو نواس :
وَكَلَّتْ بِالْذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ مِنْ جُودِ كَفِيكَ تَأْسُو كَلِّمَا جَرَحَا
الطائي :
فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
البحري :
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهِمَا فَلَئِمَتْ قِيَّ اللَّهِ سَائِلُهُ
وله :
وَلَمْ أَرِ أَثْمَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتُوا لَدَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ

كشاجم :

عرف القاضون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد

المتنبى :

شخص الأنام إلى كمالك فاستعد من شر أعينهم بعين واحد

وله :

ولما رأيت الناس دون محلهم تيقنت أن الدهر للناس ناقد

وله أيضاً :

إن خوطبوا أو لقوا أو كتبوا وجدوا في اللفظ والخط والهيجاء فرسانا

وله أيضاً :

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد في أبياتها

أبو العباس الناشئ :

خلقت كما أردتكم المعالي فانت لمن رجاكم كما يريد

المأمونى :

وخلائق كالنحر دون فعليه حبب لهن وما لهن خمار

[فى مجالس الخلفاء والملوك والحكام والأمراء]

وقال إبراهيم الموصلى لموسى الهادى ، وهو نديمه ، وقد غناه صوتاً فأعجبه : إن من كان محله من أمير المؤمنين محلى فى الانبساط وتقدم الندام جراه البسط على الطلب ، وبعثته المنادمة على الرجاء ، وقد نصب لى أمير المؤمنين بقربى منه مشارع الرغبة إليه ، وحتى محلى عنده على الكروع فى المنهل بين يديه . فقال : سل شفاها ؛ فإنى جاعل فعلى عن إجابتك إليه حاضراً ؛ فسأله ما قيمته خمسون ألف درهم ؛ فأمر له بمائة ألف درهم .

بين الموصلى
والهادى

بين الإسكندر ودارا بن دارا قال له : بم أجترأ عليك صاحبُ شرطتك ؟
 قال : بتركي ترهيبه وقت إساءته وتفريطه ، وإعطائه وقت الإحسان اليسير من
 فعله نهايةَ رغبته . فقال الإسكندر : نعم العونُ على استصلاح القلوب الموغرة
 الترييبُ بالأموال ، وأصلح منه عاجلا الترهيبُ وقت الحاجة إليه .

حكيم يصف
 أحزم الملوك
 وقال الحسن بن سهل : خرج بعضُ ملوكِ الفرس متزها ، فلقى بعضَ
 الحكماء ، فسأله عن أحزم الملوك ، فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لثبه
 هواه ، وأعرب لسانه عن ضميره ، ولم يتخذعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن
 صدقه . فقال الملك : لا ، بل أحزمُ الملوكِ من إذا جاع أكل ، وإذا عطش
 شرب ، وإذا تعب استراح . فقال الحكيم : أيها الملك ، قد أجدتَ الفطنة .
 هذا العلم مستفاد أم غريزي ؟ قال : كان عندنا معلمٌ من حكماء الهند ، وكان هذا
 نقشَ خاتمة . قال : فهل علمك غير هذا ؟ قال : ومن أين يوجبُ مثل هذا عند
 رجل واحد ؟ ثم قال له الملك : علمني من حكمتك أيها الحكيم . قال : نعم ،
 احفظْ عني ثلاثَ كلمات . قال : ما هن ؟ قال : صقلك السيفَ ليس له جوهرٌ
 من سنخه ^(١) خطأ ، وصبتك الحب في الأرضِ السبخة ترجو نباته جهلٌ ، وحمك
 المسن على الرياضة عناء .
 قال أبو تمام الطائي :

والسيفُ مالم يلف فيه صيقلٌ من سنخه لم ينتفع بصقال
 وقيل لبعض الحكماء : ما الدليل الناصح ؟ قال : غريزة الطبع . قيل : ما القائدُ
 المشفق ؟ قال : حسن المنطق . قيل : فما العناء المعنى ؟ قال : تطيعك مالا طبع له .
 وكان أنوشروان يقول : الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات :
 [طبقة من خاصة الأحرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان ، و] طبقة من
 خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف والشدة ، وطبقة من العامة تسوسهم
 باللين والشدة ، لثلا تُخرجهم الشدة ، ولا يُبظروهم ^(٢) اللين .

أنوشروان
 يبين سياسة
 لدولة

وقال واصل بن عطاء : ألا قاتل الله هذه السفلة ! تَوَادُّ مَنْ حَادَّ الله واصل بن عطاء
ونبيّه ، وتحدّ من وادّ الله ونبيّه ، وتذمّ من مدحه الله ، وتمدح من ذمه الله ؛ يصف أخلاق
على أنه بهم علم الفضل لأهل الطبقة العالية ، وبهم أعطيت الأوساط حظاً السفلة
من النبيل .

وقيل لبعض الملوك ، [وقد بلغ في القدر ما يبلغه أحد من ملوك ما يبلغ أقصى
زمانه] : ما الذى بلغ بك هذه المنزلة ؟ قال : عَفَوُى عند قدرتى ، ولينى
عند شدّتى ، وبذلى الإنصاف ولو من نفسى ، وإبقائى فى الحب والبغض مكاناً
لموضع الاستبدال .

وقال الإسكندر لأحد الحكماء ، وأراد سفرّاً : أرشدني لأحزم أمرى . أحزم الرأى
قال : لا تملأن قلبك من محبة الشيء ، ولا يستولين عليك بغضه ، واجعلهما
قصداً^(١) ؛ فإن القلب كاسمه ينزع ويرجع ، واجعل وزيرك التثبت ، وسميرك
التيقّظ ، ولا تقدّم إلا بعد المشورة ؛ فإنها نعم الدليل ، فإذا فعلت ذلك ملكت
قلوب رعيتك .

وقيل لبعض الحكماء : ما الحزم ؟ قال : سوء الظن . قيل : فما الصواب ؟ قال : حكيم يصف
المشورة . قيل : فما الرأى الذى يجمع القلوب على المودة ؟ قال : كفّ بذول ،
وبشر جميل . قيل : فما الاحتياط ؟ قال : الاقتصاد فى الحب والبغض .

وسئل بزرجمهر : ما المروءة ؟ قال : ترك ما لا يعنى . قيل : فما الحزم ؟ قال : بزرجمهر
انتهاز الفرصة . قيل : فما الحلم ؟ قال : العفو عند المقدرة . قيل : فما الشدة ؟ قال :
ملك الغضب . قيل : فما الخرق ؟ قال : حب مُعْرِق ؛ وبغض مُفْرِط .

قال معاوية رضى الله عنه لزياد حين ولّاه العراق : يا زياد ؛ ليكن حبك
وبغضك^(١) قصداً ؛ فإن العثرة فيهما كامنة ، واجعل للنزوع والرجوع بقية من
قلبك ، واحذر صولة الانهماك ، فإنها تؤدى إلى الهلاك .

(١) قصداً : أى بغير إفراط ولا تفريط

ومن كلام بلغاء أهل العصر في ذكر السلطان

للساحب

أبو القاسم صاحب : مَرْصَاةُ السُّلْطَانِ ، لَا تَعْلُو بِشَيْءٍ مِنَ الْأَثْمَانِ ، وَلَا يَبْدُلُ
الروح والجَنَان . تَهَيَّبَ السُّلْطَانُ فَرَضَهُ وَكَيدَ ، وَحَمَّ عَلَى مَنْ أُلْقِيَ السَّمْعُ
وهو شهيد .

للسابي

أبو إسحاق الصابي : الْمَلِكُ أَحَقُّ بِاصْطِفَاءِ رِجَالِهِ مِنْهُ بِاصْطِفَاءِ أَمْوَالِهِ ؛ لِأَنَّهُ
مَعَ اتِّسَاعِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ لَا يَكْتَفِي بِالْوَحْدَةِ ، وَلَا يَسْتَفْنِي عَنِ الْكَثَرَةِ ؛
وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْمَسَافِرِ فِي الطَّرِيقِ الْبَعِيدِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَيْنُهُ بِفَرْسِهِ
الْمَجْنُوبِ ، كَهَيْئَتِهِ بِفَرْسِهِ الْمُرْكُوبِ .

فصل للصابي : الْمَلِكُ بَيْنَ غُلُطٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ فَاتَّعَظَ مُشَدِّدًا انْتِفَاعًا مِنْهُ بَيْنَ لَمْ
يَغْلُطْ وَلَمْ يَتَّعَظْ ؛ فَالْأَوَّلُ كَالْقَارِحِ ^(١) الَّذِي أَدْبَتُهُ الْغَرَّةُ ، وَأَصْلَحَتْهُ الْفَدَامَةُ ،
وَالثَّانِي كَالْجَذَعِ الْمُتَهَوِّكِ ^(٢) الَّذِي هَوَّرَا كِبَ لِلْغَرَّةِ وَرَأَى كُنْ إِلَى السَّلَامَةِ .

وقيل : إِنْ الْعَظَمُ إِذَا جَبَرَ مِنْ كَثَرِهِ عَادَ صَاحِبُهُ أَشَدَّ بَطْشًا وَأَقْوَى أَيْدًى .

أبو بكر الخوارزمي : لَا صَغِيرَ مَعَ الْوَلَايَةِ وَالْعِمَالَةِ ، كَمَا لَا كَبِيرَ مَعَ الْمُطْلَةِ
وَالْبَطَالَةِ ؛ وَإِنَّمَا الْوَلَايَةُ أَنْتَى تَصْغُرُ وَتَسْكِبُ بِوَالِيهَا ، وَمُطَيَّةٌ تَحْسَنُ وَتَقْبَحُ
بِمُتَّطِيهَا ، وَالصَّدْرُ لِمَنْ يَلِيهِ ، وَالذَّسْتُ لِمَنْ جَلَسَ فِيهِ ، وَالْأَعْمَالُ بِالْعَمَالِ ، كَمَا
أَنَّ النِّسَاءَ بِالرِّجَالِ .

للخوارزمي

فصل له : إِنْ وَلَايَةَ الْمَرْءِ ثَوْبُهُ ؛ فَإِنْ قَصُرَ عَرِي مِنْهُ ، وَإِنْ طَالَ عَبَّرَ فِيهِ .
قَلِيلُ السُّلْطَانِ كَثِيرٌ ، وَمُدَارَاتُهُ حَزْمٌ وَتَدْيِيرٌ ، وَمَكَاشِفَتُهُ غُرُورٌ وَتَغْيِيرٌ .

أبو الفتح البستي : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ عَلَى السُّلْطَانِ مُدْلًا ، وَلِلْأَخْوَانِ مُدْلًا .

أبو الفضل ابن العميد : الْإِبْقَاءُ عَلَى حَشَمِ السُّلْطَانِ وَتَعْمَالُهُ عَدْلُ الْإِبْقَاءِ ^(٣)
عَلَى مَالِهِ ، وَالْإِشْفَاقُ [عَلَى حَاشِيَتِهِ وَحَشَمِهِ مِثْلُ الْإِشْفَاقِ عَلَى دِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ] .

للبستي

لابن العميد

(١) القارح : الذي تمت قوته واستحكمت شدته ، وأصله في الإبل (م)

(٢) الجذع - بالتحريك - الحدث ، وأصله أيضاً في الحيوان (م)

(٣) هذا عدل هذا : أي مساويه ومكافئه (م)

وله من رسالة طويلة ، جواب لأبى شجاع عضد الدولة عن كتاب اقتضاه فيه صَدَرَ كتاب ألفه أبو الحسن الصوفى فى نوع من علوم الهيئة .

أنا أقدم الإجابة بحمد الله تعالى جدّه ، على ما وهب لنا معاشر عبيده وخدمه خاصة ، بل لرعاياه عامة ، بل لأهل الأرض كافة ، من عظيم النعمة بمكانه ، وجسيم الموهبة بإنفاق أعمارنا فى زمانه ، حتى شاركناه فى أسباب السعادة التى لم تزل مَذْخُورَةٌ عليه ، حتى صارت إليه ، وساهمناه فى موادّ الفضيلة التى لم تزل محفوظة له حتى انصَلَّتْ به ؛ فإن المرء أشبه شىء زمانه ، وصفات كل زمان من نسخة من سجايا سُلْطَانِهِ ؛ فإن فضلَ شاعِ الفضل فى الزمان وأهله ، وتحلّى الدَّهْرُ بأفضل حليته ، وتجلّى للعيون والقلوب بأحسن زينته ، وكسا يديه والناشئين فيه بشرف جوهره ، وأورثهم نبيل فضله ، وعزّ العلم وأهله ، وعرف لمقتبسه قدره ، وتوجّهت الأذهان نحوه ، وتعلّقت الخواطر به ، وصرفت الفكر فيه ، ونشدت ضوآله ، ونظم أشنّاته ، وجمعت أفراده ، ووقّعت نفوس الساعين فى استفادته بحسن عائدته ، فحرصت عليه ، وصرفت نظرَها إليه ، وأيقنت فى بضاعتها بالنفاق ، وفى تجارتها بالإرفاق ؛ فصار ذلك إلى تَمَاءِ العلوم وزيادتها داعية ، ولتسكير قليلها وإيضاح مجهولها سببا وعلّة ، وإلى انخراط جواهرها المتفرقة فى سلوك التصنيف سبيلا ، وإلى تقييد شواردها بمُقْلٍ ^(١) التأليف طريقا . وإن رذل السلطان أثبتت الرذيلة اتباعا ، وذهبت الفضائل ضياعا ، وبطلت الأقدار والقيم ، وسلبت الأخطار والهمم ، وزال العلم والتعلم ، ودّرس الفهم والتفهم ، وضرب الجهل بجراحه ، ووطىء بمنسمه ، واستغلى الخمول على النباهة ، واستولى الباطل على الحق ، وصار الأدب وبالاً على صاحبه ، والعلم نكالا على حامله . وبحسب عظيم الحنة بمن هذه صِفَتُهُ ، والبلوى مع مَنْ هذه صورته ، تعظّم النعمة بمُلكِ سلطان عالم ، كالأمير الجليل عضد الدولة ، أطال الله تعالى بقاءه ، وأدام قدرته ، الذى أحله الله عزّ وجل من الفضائل بملتقى طرقها ومجتمع فرقها ، فهى نواذ من لاقت

(١) العقل : جمع عقال - بزنة كتاب وكتب - وهو فى الأصل ما تربط به الدابة (م)

حتى تصير إليه ، وشوارِدُ نوازِعٍ حيث حلت حتى تقع عليه ، تتلفت تتلفت
الرامي ، وتتشوفُ إليه تشوف الصب العاشق ، قد ملكها أنى توجهت وحشة
المضاع وحيرة المرتاع .

فإن تعشَ قومًا غيرة أو ترزهم فكالوحش يدنيها من الأنس المخل^(١)
حتى إذا قابلته أسرعت إليه إسراع السيل ينصب في الحذور ، والطير ينقض
إلى الوكور .

وقال أبو الطيب المتنبي :

لأبي الطيب
المتنبي

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهَمِّمْ أَخَذْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقِدَمُ^(٢)
وَإِنَّمَا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ ، وَمَا تُفْلِحُ عَرَبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا يُهَوِّدُ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمَمٌ تَرْعَى بَعِيدَ كَأَنَّمَا غَنَمُ
يَسْتَخْشِنُ الْخَرَّ حِينَ يَلْمَسُهُ وَكَانَ يُبْرَى بِظُفْرِهِ الْقَلَمُ

وقال الزبير بن بكار : قَدِمَ ابْنُ مِيَادَةَ ، واسمه الرَّمَّاحُ بْنُ أَبَرْدَ ، زَائِرًا
عبد الواحد بن سليمان ، وهو أمير المدينة ، فكان عنده ليلة في سَمَارِهِ ؛ فقال عبد الواحد
لأصحابه : إني لأهم أن أتزوج فابغوني أيما ، قال ابن ميادة : أنا - أصلحك الله -
أدلك ، قال : على مَنْ يَا أَبَا بَشَرٍ تَمِيلُ ؟ قال : قدمت عليك أيها الأمير ، فلما
قدمت ألفتُ المسجد وإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنة ومن فيها ، فبينما أنا أمشي
إذ قادتني رائحة رجلٍ عطر حتى وقفت عليه ، فلما وقع بصرى عليه استلهمي حُسْنَهُ
ناظري ، فما أقلت ناظري حتى تكلم فما زال يتكلم كأنما يندثر دُرًّا ، ويتلو
زَبُورًا ، ويدرس إنجيلًا ، ويقرأ فُرْقَانًا ، حتى سكت ، فلولا معرفتي بالأمير
ماشكت أنه هو ، ثم خرج من مُصَلَّاهُ إلى داره ، فسألت عنه ، فأخبرت أنه

بين ابن ميادة
وعبد الواحد
ابن سليمان

(١) هذا البيت من قصيدة جيدة لمسلم بن الوليد (٢) العافي : المنزل الدارس

من الحسن بمكانة ، وأنه للخليفتين ، وأنه قد نالتَه ولادَة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ساطعٌ من غُرَّتِه ؛ فإن اجتمعتَ أنتَ وهو على ولدٍ ساد العبادَ ، وجابَ ذِكرُه البلادَ .

فلما قضى ابنُ مِيَادَة كلامه قال عبد الواحد ومَنْ حضر : ذلك محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان رضى الله تعالى عنه لفاطمة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم ، وقال ابن ميادة :

لهم سيرةٌ لم يُعْطِها الله غيرَهم وكلُّ قضاءٍ الله فهو مُقَسَّمٌ
هذا فى تقابلِ نسبه ، وكال منصبه ، كقول عُويْفِ القَوافى فى طلحة بن
عبد الله الزهرى :
لعويْفِ القَوافى
يمدح طلحة
الزهرى

يُصَمُّ رِجالٌ حينَ يَدْعَوْنَ للندى ويدْعَوْنَ ابنَ عوفٍ للندى فيجيب
وذاك امرؤٌ من أئِ عِطْفِيهِ يَلْتَفِتُ إلى المجدِ يَحْوِى المجدَ وهو قَرِيبُ

وعبد الواحد بن سليمان هذا هو الذى يقول فيه القطامى :
أقولُ للحَرْفِ لما أنْ شَكَتْ أصلاً طولَ السَّفارِ وأَفْنَى نِيَّها الرِّحْلُ (١)
إنْ ترجى من أبى عثمانَ منجِجَةً فقد يَهْوُنُ على المستنجحِ العملُ
أهلُ المدينة لا يحزنُكَ شأنُهُم إذا تَخَطَّأَ عَبْدَ الواحدِ الأَجَلُ
ومن قول القطامى : « إنْ ترجى من أبى عثمانَ منجِجَةً » أخذ الآخرُ قوله :
إذا ما تَعَنَّى المَرءُ فى إثرِ حاجَةٍ فَأَنْجَحَ لم يثقلَ عليه عِناؤُهُ

وهو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، قال الكلبي : هو عبد الواحد
ابن الحارث بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، والأول قول ابن السكيت .
نسب
عبد الواحد

والقصيدة التي منها هذه الأبيات من أجود قوله ، وفيها يقول مما يتمثل به :
 والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرر به عَيْنٌ ولا حالٌ إلا سوف يَنْتَقِلُ
 والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له ما يَشْتَهِي ولأُمِ الخطيئة الهَبْلُ^(١)
 قد يُدْرِكُ المتأنّي بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المستعجل الزَّلَلُ
 قوله : « والناسُ مَنْ يَلْقَى خيراً قائلون له » مأخوذٌ من قول المرقش :
 وَمَنْ يَلْقَى خيراً محمدُ الناسُ أمرُهُ وَمَنْ يَغْوُ لا يَعدُمُ على الغيِّ لأنما

وقال عمرو بن سعيد للأخطل : أيسرك أن لك بشعرك شعراً ؟ قال : لا ،
 ما يسرني أن لي بقولي مقولاً من مَقَاوِيلِ العرب ، غير أن رجلاً من قومي قال
 أبياتاً حسدته عليها ، وإيم الله ، إنه لمُعْذِفُ القناع ، ضيقُ الذراع ، قليلُ السماع ،
 قال : وَمَنْ هو ؟ قال : القَطامي ، قال : وما هذه الأبيات ؟ فأنشد له يَصِفُ إبلا
 من هذه القصيدة :

منزلة
شعر
القطامي

يمشِين رَهْواً فلا الأعْجَازُ خاذِلَةٌ ولا الصدورُ عَلَى الأعْجَازِ تَتَكَلَّمُ^(٢)
 فهن معترِضاتٌ والخَصَا رَمِضٌ^(٣) والريحُ ساكِنةٌ والظلُّ معتدلٌ^(٤)
 يتبعن سَامِيَةَ العَيْنَيْنِ تحسبها مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبلُ

[نغم الألفاظ ونغم الألحان]

قال أبو العتاهية لمخارق : أنت بنغم ألفاظك دون نغم ألحانك ، تُطْرِبُ
 إذا تكلمت ، فكيف إذا ترنمت !

بين مخارق
وأبي العتاهية

وقال له يوماً : يا حكيم هذه الأقاليم ؛ أصبب في هذه الآذان من جيد
 تلك الألحان ، فأقسِمُ لو كان الكلامُ طعاماً ، لكان غناؤك له إداماً .

(١) الخطيئة : الذي أخطأه الغنى ونحوه ، والهبل - بالتحريك : الشكل (م)

(٢) الرهو : السير السهل (٣) رمض : حار - من الرمضاء (م)

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلتُ على المعتصم يوماً وقد خلا ، وعنده إسحاق الموصلي جارية تُقْنِيهِ ، وكان معجباً بها ، فلما جلست قال لي : يا أبا إسحاق ، كيف تراها ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أراها تقهره بحذق ، وتختله برفق ، ولا تخرج من حسن إلا إلى أحسن منه ، وفي حلقها شذورُ نَعَمٍ أحسنُ من دوام النعم ، قال : يا إسحاق ؛ هن غاياتُ الأمل ، ومُنْسياتُ الأجل ، والسقم الداخلي ، والشغل الشاغل ، وإن صِفَتِكَ هذه لو سمعها مَنْ لم يَرَهَا لفقد لبّه ، وقَضَى نَحْبَهُ .

وسُئِلَ إسحاق عن المجيد من المغنين ، فقال : مَنْ لَطَفَ في اختلاسه ، وتمكّن من أنفاسه ، وتفرّع في أجnasه ، يكادُ يَعْرِفُ ضَمَائِرَ مُجَالِسِيهِ ، وشهواتِ مُعَاشِرِيهِ ، يَقْرَعُ مسمع كلِّ واحد منهم بالنحو الذي يُوَافِقُ هَواهُ ، ويُطَاقِبُ معناه .

وكان إسحاق بن إبراهيم قد جمع إلى حِذْوِهِ بصناعتِهِ حُسْنَ التصرف في العلوم ، وجَوَادَةَ الصنعة للشعر ، وحَدَّثَ عن نفسه فقال : كُنتُ أيامَ الرشيد أُبَكِّرُ إلى هُشَمٍ ووَكيع فَأَسْمَعُ منهما ، ثم أنصرف إلى عائكة بنت شهيد ؛ فخطارحني صوتين ، ثم أُصِيرُ إلى زلز الضارب فأخذُ منه طريقتين ، ثم أسير إلى منزلي فأبعث إلى أبي عبيدة والأصمعي ، فلا يَزَالانِ عِنْدِي إلى الظهر ، ثم أذهبُ إلى الخليفة .

ونزل أبوه بالموصل وليس من أهلها فنُسِبَ إليها ، وهو مولى خزيمه بن خازم^(١)

التميمي ، وفي ذلك يقول إسحاق :

إذا مضى الجراء كانت أرومتي وقام بنصري خازم وابن خازم
عطستُ بأنني شائخاً وتناولتُ بنائي الثريا قاعداً غير قائم

وفيه يقول محمد بن عامر الجرجاني يرثيه :

على الجدث الشرق عوجاً فلما يبغداد لما صد عنه عوائده
أإسحاق لا تبعده ، وإن كان قد رمى بك الموت رمي ليس يصدر وارده
متى تأتبه يوماً تحاولُ منفساً من الدين والدنيا فإنك واجده

(١) في نسخة « خزيمه بن أبي حازم التميمي »

إذا هزل اخضرت فروع حديته ورقت حواشيه وطابت مشاهدته
وإن جدَّ كان القول جدًّا وأقسمت بخارجه ألا تلين شددائه
ومن جديد شعر إسحاق قصيدته في إسحاق بن إبراهيم المصعبي بعد
إيقاعه بالحرمة :

تَقَضَّتْ لِبَانَاتُ وَجَدِّ رَحِيلُ وَلَمْ يُشَفَّ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيلُ
وَمُدَّتْ أَكْفٌ لِلودَاعِ فَصَافَحَتْ وَفَاضَتْ عَيُونٌ لِلْفِرَاقِ تَسِيلُ
وَلَا بَدَّ لِلآلَفِ مِنْ فَيْضِ غَبَرَةٍ إِذَا مَا خَلِيلُ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ^(١)
فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ أَوَانِسُ لَا يُودَى لَهْنٍ قَتِيلُ^(٢)
غَدَاةً جَعَلَتْ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيَتْهُ وَأَعُولْتُ لَوْ أَجْدَى عَلَى عَوِيلُ^(٣)
وَلَمْ أُنْسَ مِنْهَا نَظْرَةً هَاجَ لِي بِهَا هَوًى مِنْهُ بَادٍ ظَاهِرٌ وَدَخِيلُ
كَأَنَّ نَظْرَتَ حَوْرَاهُ فِي ظِلِّ سِدْرَةٍ دَعَاهَا إِلَى ظِلِّ الْكِنَاسِ مَقِيلُ
فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ تَلَفَاهُ أَيْنَقُ عِتَاقٌ مَمَاهَا شَدَقَمٌ وَجَدِيلُ^(٤)
إِذَا قَلْبَتْ أَجْفَانُهَا بِتَنُوفَةٍ طَوَى الْبَعْدَ مِنْهَا هَزَّةً وَذَمِيلُ^(٥)
تَفَرَّدَ إِسْحَاقُ بِنُصْحِ أَمِيرِهِ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الْإِمَامِ عَدِيلُ
يَفْرَجُ عَنْهُ الشُّكَّ صِدْقُ عَزِيمَةٍ وَلُبُّ بِهِ يَمْلُؤُ الرِّجَالَ أَصِيلُ
أَغْرَى بِحَبِيبِ الْوَالِدِينَ كَأَنَّهُ حَسَامٌ جَلَّتْ عَنْهُ الْعَيُونُ صَقِيلُ
بَنَى مُضْعَبٌ لِلْمَجْدِ فَيْكَمْ إِذَا بَدَتْ وَجُوهُكُمْ لِلنَّاطِرِينَ دَلِيلُ
كُرُمْتُمْ فَمَا فَيْكَمْ جَبَانٌ لَدَى الْوَعْيِ وَلَا مِنْكُمْ عِنْدَ الْعَطَاءِ بَخِيلُ
غَلَبْتُمْ عَلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ فَرَأَقَكُمْ ثَنَاءُ بِأَفْوَاهِ الرِّجَالِ بَجِيلُ

(١) الألف : جمع آلف ، وبان عنه : فارقه ، والخليل : الصديق (م)

(٢) طل - بالبناء للمجهول - أهدر ، والأوانس : جمع آنسة ، وهى التى
يؤنس إليها ، ولا يودى قتيلين : لا يعطى ديتيه (م) (٣) أعولت : بكيت (م)

(٤) شدم وجديل : فخلان من خولة الإبل المعروفة ، كانا للنعمان بن المنذر (م)

(٥) التنوفة : الصحراء المترامية الأطراف ، والذميل : ضرب من السير السريع (م)

إذا استكثر الأعداء ماقلتُ فيكمُ
وهذا نط الخذاق الفحول ، وقال :
ومدرجة للريح غبراء لم يكن
يصلُ بها السارى وإن كان هادياً
تعسفت أبرى جوزها بشملة
كان شرار المرو من نبذها به
إذا ضمتها والسفر ليل فغيبت
تناذوا فصاروا تحت أكناف رخلها
وقال :

ولما رأيتُ البينَ قد جدَّ جدُّه
دنوناً فلمنا سلاماً مخالسا
تصدُّ بلا بغضٍ ونخلس لمحَّة
نُذاد إذا حننا لنشفي غلة
ولما أحسن ما قال أبو العباس الناشئ في هذا المعنى :

ولما رأيتُ البين زمت ركبهُ
طلبتُ على الركب المجدين علة
فلما تلاقينا كتبتُ بأعين
فلما قرأناهن سراً طوينهن
وقال إسحاق :

ألا من لقلب لا يزال رميةً
للمحَّة طرف أول كسرة حاجب

- (١) مدرجة للريح : مكان هبوبها ، وأراد الصحراء ، والزملة : الجبان (م)
(٢) تعسفت : قطعت ، وجوزها : وسطها ، والشملة : الناقة السريعة (م).
(٣) المرو : حجارة بيض براقة تورى النار إذا قدحت (م)

وللخمر اللاتي تساقط لونها فتور الخطا عن واردة الذوائب

[استطراد في ذكر جمال الذوائب]

وعلى ذكر الذوائب قال ابن المعتز :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةٌ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالذُّجَى وَخَمْرَيْنِ مِنْ رَاحٍ وَخَدٍّ حَيْبٍ
وقال بكر بن النطاح :

لابن المعتز

لابن النطاح

بِيضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ شَعْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهْوٌ جَنَلٌ أَسْحَمٌ^(١)
فَكَانَهَا فِيهِ نَهَارٌ مَبْصُرٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مَظْلُمٌ
وقال المتنبي :

للمتنبي

نَشَرْتُ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرَهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَّتْ لَيْلَى أَرْبَعًا
وَاسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَّتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

وَفَاحِمٌ وَارِدٍ يُقْبَلُ تَمَسُّ شَاهٍ إِذَا اخْتَالَ مُسْبِلًا غُدْرَةً^(٢)
أَقْبَلَ كَاللَّيْلِ فِي مَفَارِقِهِ مِنْحَدِرًا لَا يُرَامُ مِنْحَدْرُهُ
حَتَّى تَنْهَى إِلَى مَوَاطِنِهِ يَلْتَمُ مِنْ كُلِّ مَوْطِئٍ غَفْرَةً
كَأَنَّهُ عَاشِقٌ دَنَا شَغْفًا حَتَّى قَضَى مِنْ حَبِيْبِهِ وَطْرَةً
يُبْشِي غَوَاشِي قُرُونِهِ قَدَمًا بِيضَاءُ لِلنَّظَائِرِ مُقْتَدِرَةً
مِثْلَ الثَّرْيَا إِذَا بَدَتْ سَحْرًا بَعْدَ غَمَامٍ وَحَاسِرٍ حَصْرَةً

أخذه - عض أهل العصر - وهو محمد بن مطران - فقال :

لمحمد

ابن مطران

(١) الشعر الجتل - بالفتح - الكثير اللين، ويروى «وهو وحف» وهو الأسود

الكثيف (م) .

(٢) غدرة - بضم الغين والذال جميعاً : جمع غديرة ، والغديرة : الدؤابة ،

وتجمع على غدائر (م)

ظِلَالاً أَعَارَتْهَا الظَّبَا حُسْنَ مَشْيِهَا كَمَا قَدَّ أَعَارَتْهَا الْعِيُونَ الْجَاذِرُ
فَمِنْ حُسْنِ ذَلِكَ الْمَشْيِ قَامَتْ فَقَبِلَتْ مَوَاطِءَ مِنْ أَقْدَامِهَا الْقَدَائِرُ

وقال مسلم بن الوليد :

أَجْدَكَ هَلْ تَدْرِينَ أَنَّ رَبَّ لَيْلَةٍ كَانَ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
نَصَبَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَعُرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُبْذَرُ كَرَجَفَرٍ

[وَخُذَةُ الْقَصِيدَةِ وَاتِّسَاقُهَا]

قال الحاتمي : مثلُ القصيدةِ مثلُ الإنسانِ في اتِّصالِ بعضِ أعضائه ببعض ؛
فمتى انفصلَ واحدٌ عن الآخرِ وَابْنَهُ في صِحَّةِ التركيبِ ، غادرَ الجسمَ ذَا عَاهَةٍ تَتَخَوَّنُ^(١)
محاسنه ، وَتَعْتَفِي مَعَالِمَهُ ؛ وقد وجدتُ خُذًا قِيَمَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَأَرْبَابَ الصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ
يَحْتَرِسُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ احْتِرَاسًا يَحْتَنِبُهُمْ شَوَائِبُ النِّقْصَانِ ، وَيَقِفُ بِهِمْ عَلَى
مَحْجَةِ الْإِحْسَانِ ، حَتَّى يَقَعَ الْإِتِّصَالُ ، وَيُؤْمِنُ الْإِنْفِصَالُ ، وَتَأْتِي الْقَصِيدَةُ فِي تَنَاسُبِ
صُدُورِهَا وَأَعْجَازِهَا وَانْتِظَامِ نَسِيبِهَا بِمَدِّحِهَا كَالرَّسَالَةِ الْبَلِيغَةِ ، وَالْخُطْبَةِ الْمَوْجِزَةِ ،
لَا يَنْفَصِلُ جُزْءٌ مِنْهَا عَنْ جُزْءٍ ، وَهَذَا مَذْهَبُ اخْتِصَاصِ بِهِ الْمُحَدِّثُونَ ؛ لِتَوْقُودِ خَوَاطِرِهِمْ ،
وَلُطْفِ أَفْكَارِهِمْ ، وَاعْتِمَادِهِمُ الْبَدِيعَ وَأَقَانِيْنَهُ فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَكَأَنَّهُ مَذْهَبُ سَهْلَوَا
جَزْنَهُ^(٢) ، وَنَهَجُوْا رِسْمَهُ ؛ فَأَمَّا الْفُحُولُ الْأَوَائِلُ ، وَمِنْ تَلَاهُمْ مِنَ الْخُضْرَمِينَ
وَالْإِسْلَامِيِّينَ فَذَهَبُ الْمُتَعَالَمِ « عَدَّ عَنْ كَذَا إِلَى كَذَا »^(٣) وَقُصَّارَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
وَصَفُّ نَاقَتِهِ بِالْعَتَقِ ، وَالنَّجَابَةِ وَالنَّجَاءِ ، وَأَنَّهُ امْتَطَّأَهَا ؛ فَادَّرَعَ عَلَيْهَا جِلْبَابَ
الَلِيلِ ؛ وَرَبَّمَا اتَّفَقَ لِأَحَدِهِمْ مَعْنَى لَطِيفٍ يَتَخَلَّصُ بِهِ إِلَى غَرَضٍ لَمْ يَتَعَمَّده إِلَّا أَنْ
طَبِعَهُ السَّليْمُ ، وَصِرَاطُهُ فِي الشَّعْرِ الْمُسْتَقِيمِ ، نَصَبَا مَنَارَهُ^(٤) وَأَوْقَدَا بِالْيَفَاعِ نَارَهُ ؛
فَمِنْ أَحْسَنِ تَخَلُّصِ شَاعِرٍ إِلَى مَعْتَمِدِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي .

(١) تتخول محاسنه : تنتقصها (م) (٢) الحزن : ضد السهل (م)

(٣) من ذلك قول زهير بن أبي سلمى عذد التخلص بعد النسيب :

دع ذا ، وعد القول في هرم خير البداة وسيد الحضرم (م)

(٤) في نسخة « نفى تياره ، وأوقد باليفاع ناره » (م)

فكفكفتُ متى عَبْرَةٌ فردَدْتُها على النَّحْرِ منها مستهلٌ وداعمُ
على حين عابتُ المشيبَ على الصَّبَا وقلتُ : أَلَمَّا أَضْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ
وقد حالَ همٌّ دونَ ذلكَ شاغِلُ مكانَ الشَّغافِ تَبْتَفِيهِ الأصابعُ
وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهِهِ أتاني ودوني رَاكِسَ فالضَّوَّاجُ

وهذا كلام متناسخ^(١) تقتضى أوائله أواخره ، ولا يتميز منه شيء عن شيء :
أتاني ، أبيتَ اللعن ، أنك لُمْتَنِي وتلك التي تَسْتَكُّ منها المَسَامِعُ
مقالة أن قد قلتَ سوف أنا له وذلك من تِلْقَاءِ مثلك رَائِعُ

ولو توصل إلى ذلك بعض الشعراء المحدثين الذين واصلوا تفتيش المعاني ، وفتحوا
أبوابَ البديع ، واجتنبوا ثمرَ الآداب ، وفتحوا زَهَرَ الكلام لكان معجزا عجبا ،
فكيف بجاهلٍ بدويٍّ إنما يغترفُ من قليبِ قلبه ، ويستمدُّ عفوَ هاحسه .
وقال علي بن هارون المنجم عن أبيه : لم يتوصل أحدٌ إلى مدحٍ بمثل قول
[ابن] وهيب :

ما زال يُلِثِمُنِي مراشفهُ وَيُعِثِّلُنِي الإبريقُ والقَدَحُ
حتى استردَّ اللَّيْلُ خُلْمَتَهُ وبَدَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ^(٢)
وبَدَا الصَّبَاحُ كَأَن غُرَّتَهُ وَجْهُ الخليفة حين يُمْتَدِّحُ

وقال علي بن الجهم :

وليسَ لِي كَلَّتْ بالنَّفْسِ مُقْلَتَهَا أَلَقْتُ قِنَاعَ الدُّجَى في كلِّ أَخْدُودِ^(٣)
قد كاد يُغْرِقُنِي أمواجُ ظُلْمَتِهَا لولا اقْتِباسِي سَنَاءَ وَجْهِ ابنِ دَاوُدِ
قوله : « كَلَّتْ بالنَّفْسِ مُقْلَتَهَا » مأخوذ من قول أعرابي : « واللَّيْلُ قد
صَبَغَ الحَصَى بِمِدَادٍ » .

(١) لعله « متناسق » (م) (٢) الوضوح : البياض (م)

(٣) النفس ، بالكسر : المداد

وقد أخذ هذا أبو نواس فقال :
 أَيْنَ لِي كَيْفَ صِرْتَ إِلَى حَرِيمِي وَجَفَنُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ
 وقد أخذ هذا أبو تمام فقال :
 إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنَحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِمْدٍ
 وقد أخذ لفظَ الأعرابي المتقدم أبو نواس فقال :
 قَدْ أَغْتَدَى وَاللَّيْلُ كَالْمِدَادِ وَالضَّبْحُ يَنْفِيهِ عَنِ الْبِلَادِ
 طرد المشيبِ حالِكِ السَّوَادِ

وإنما نظرَ في هذا إلى قول الأعرابي^(١) :

أَقُولُ وَاللَّيْلُ قَدْ مَالَتْ أَوَاخِرُهُ إِلَى الْغُرُوبِ : تَأَمَّلْ نَظْرَةً حَارِ
 أَلْحَةً مِنْ سَنَا بَرَقِ رَأْيٍ بَصْرِي أَمْ وَجْهٌ نُعْمٍ بَدَأَ لِي أَمْ سَنَا نَارِ
 بِلِوَجْهِ نُعْمٍ بَدَأَ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلَاحَ مَا بَيْنَ حُجَابٍ وَأَسْتَارِ
 وَمِنْ بَدِيعِ الْخُرُوجِ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ وَذَكَرَ سَحَابَةً :

وَسَارِيَّةٌ تَزْدَارُ أَرْضًا بِجُودِهَا شَقَلَتْ بِهَا عَيْنَا طَوِيلًا هَجُودُهَا^(٢)
 أَتَنَّا بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَكَأَنَّمَا فَتَاةٌ تَرْجِيهَا عَجُوزٌ تَقُودُهَا
 فَمَا بَرَحَتْ بَغْدَادَ حَتَّى تَفْجَرَتْ بِأُودِيَةٍ مَا تَسْتَفِيقُ مُدُودَهَا [
 أَقْضَتْ حَقَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلَهُ أَتَاهَا مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ بَرِيدُهَا
 فَمَرَبَتْ تَغُوتُ الطَّيْرِ سَبَقًا كَأَنَّهَا جُنُودُ عِبِيدِ اللَّهِ وَلَتْ بُنُودُهَا

يريد انصراف أصحاب عبيد الله بن خاقان عن الجعفرى إلى سُرٍّ من رأى
 عند قتل التوكل . وقد أخذ هذا التشبيه معكوساً من قول أبي العتاهية :

وَرَايَاتُ يَحْمِلُ النُّصْرُ فِيهَا تَمُرٌ كَأَنَّهَا قَطَعُ السَّحَابِ

(١) الأبيات للـ بـ ، وقد رواها له صاحب الجهرة ، وهى فى ديوانه (م) .

(٢) السارية : السحابة ، وتزدار : تطلب الزيارة ، والجود : المطر (م) .

وقال ديك الجن :

وغرير يقضى بحكين : فى الرا ح مجور ، وفى الهوى بمحال
للفنار دفه ، وللخوط ما حُمِّلَ لينا ، وجيده للغزال^(١)
فعلتْ مُقلَّته بالصَّبِّ ما تفعل جدوى يدَّيك بالأموالِ

ومن بارع الخروج قول المتنبي :

مررتُ بنا بينَ ترَينها فقلتُ لها : من أينَ جانَسَ هذا الشاذنُ العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يُرى لَيْثَ الشَّرِّ وهو من عَجَلٍ إذا انتسبا
واشتهار شعره ، يمنعنى من ذكره .

[السر فى الابتداء بالنسيب]

قال ابن قتيبة^(١) : سمعت بعضَ أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما
ابتدأ بوصف الديار والدِّمَنِ والآثار ؛ فبكى وشكا ، وخاطَبَ الربع ، واستوقف
الرفيق ؛ ليَجْمَلَ ذلك سبباً لذكر أهله الطاعنين ؛ إذ كانت نازلة العمد فى الحلول
والظُّلَمِ على خلاف ما عليه نازلة المدر ؛ لاتقاهم من ماء إلى ماء ، وانتجاعهم
السَّكَلَا ، وتنبُّعهم مساقط الغيث حيثُ كان ؛ ثم وصل ذلك بالنسيب ، فبكى
شدة الوجد ، وألم الصبابة والشوق ؛ لِيَمِيلَ نحوه القلوب ، وَيَصْرِفَ إليه الوجوه ،
ويستدعى إصغاء الأسماع ؛ لأن النسيب قريبٌ من النفوس ، لائط بالقلوب^(٢) ،
لما جعل الله تعالى فى تركيب العباد من محبة الغزل ، وإلف النساء ، فليس أحدٌ
يخلو من أن يكون متعلقاً منه يسبب ، وضارباً فيه بسهم ، حلال أو حرام . فإذا
استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له ؛ عَقَّبَ بإيجاب الحقوق ؛ فرحل فى شعره ،
وشكا النَّصَبَ والسهر ، وسرَّى الليل [وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير ،

(١) النقا : كشيء الرمل ، والخوط - بالضم - الغصن الناعم الرقيق (م)

(٢) اختصر المؤلف هذا الفصل من مقدمة كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (م)

(٣) لائط بالقلوب : لاصق بها (م)

فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمام التأميل [، وقرّر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة ، وفضّله على الأشباه ، وصغّر في قدره الجزيل ، وهزّه لفعل الجليل ؛ فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام ، فلم يجعل واحداً أغلب على الآخر ، ولم يطل فَيْعِلَ السامعين ، ولم يقطع وفي النفوس ظمأ إلى المزيد .

[موازنة بين أبي تمام والبحتري]

ويتعلق بهذه القطعة ما حدث به الخاتمي عن نفسه ، وإن كانت الحكاية طويلة فهي غير ممولة ؛ لما لبسته من حُلل الآداب ، وتزينت به من حُلّ الألباب ، قال : جمعني ورجلا من مشايخ البصرة ممن يؤمّأ إليّ في علم الشعر مجلسٌ بعض الرؤساء ، وكان خبره قد سبق إليّ في عصبتيه للبحتري ، وتفضيله إياه على أبي تمام ، ووجدت صاحب المجلس مؤثراً لاستماع كلامنا في هذا المعنى ، فأنشأت قولاً أنحيت فيه على البحتري إنحاءً أسرفت فيه ، واقتدحت زناد الرجل ، فتكلّم وتكلّمت ، وخُصّنا في أفانين من التفضي والمائلة ، غلوت في جميعها غلواً شهد به جميع من حضر المجلس ، وكانوا جة الوقت ، وأعيان الفضل ، فاضطر إلى أن قال : ما يحسن أبو تمام يبتدىء ، ولا يخرج ، ولا يحتم ، ولو لم يكن للبحتري عليه من الفضل إلا حسن ابتداءاته ، ولطفُ خروجه ، وسرعة انتهائه ، لوجب أن يقع التسليم له ، فكيف بأوابده التي تزداد على التكرار غصارة وجدة ثم أقبل عليّ ، فقال : أين يُذهب بك عن ابتداءه :

عارضتنا أصلاً فقلنا الرَّبُّ حَتَّى أَضَاءَ الْأَقْحَوَانَ الْأَشْنَبُ^(١)
واخضرَ مَوْشَى الْبُرُودِ وَقَدْ بَدَأَ مِنْهُنَّ دِيْبَاجُ الْخُلُودِ الْمَذْهَبُ

(١) الأصل : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى الغروب ، والربوب : جماعة البقر الوحشية ، والأقحوان : نبت له زهر أحمر تشبه به اللثا ، والأشنب : وصف من الشنب — بفتح الشين والنون مسوّه رقة وعذوبة ويرد في الأسنان (م)

وأنى لأبى تمام مثل خروجه حيث يقول :
 أَدَارَهُمُ الْأَوَّلَى بِدَارَةِ جُلْجُلٍ سَقَاكَ الْحَيَا رَوْحَانَهُ وَبَوَا كَرَهُ^(١)
 وجاءك يحكى يوسف بن محمد فروتكَ رِيَاءُهُ وَجَادَكَ مَاطِرُهُ
 وقد كرر هذا وزاد فيه فقال :
 تنصّب البرقُ مختالاً قُلتَ له : لَوُجُدْتَ جُودَ بَنِي يَزْدَانَ لَمْ تَزِدْ
 ومن ذا الذى لَطَفَ لأن يخرج من وصف روض إلى مدح ، فقال أحسن
 من قوله :

كَأَنَّ سَنَاها بِالْعَشَى لَصَحْبَهَا تَبَلَّجَ عَيْسَى حِينَ يَلْفَظُ بِالْوَعْدِ^(٢)
 وأنى لأبى تمام مثلُ حسن انتهائه حيث يقول :

إِلَيْكَ الْقَوَافِي نَازِعَاتٍ شَوَارِدَا يُسَيِّرُ ضَاحِي وَشِيهَا وَيُنَمِّمُ
 ومشرقةً فى النظم غُرّاً يَزِيدُهَا بهاءً وحسناً أَنهَا لَكَ تُنْظِمُ
 وقوله فى هذا المعنى :

أَلَسْتُ الْمَوَالِي فِيكَ نَظْمَ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجَمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا
 نِئَاءَ تَخَالُ الرُّوضَ فِيهِ مَنْوَرَا ضَحَى ، وَتَخَالُ الْوَشَى فِيهِ مُنَمَّا
 ولقد تقدم البحتري الناسَ كلهم فى قوله :

لو أن مشتاقاً تكلف فوق ما فى وسعِهِ لسمى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ
 قال أبو على : وكنت ساكناً إلى أن استتم كلامه ، فكانَّ الجماعةُ أعجبهم
 ذلك ، عصيةً على لا على أبى تمام ؛ لأننى كنت كالشَّجَى معترضاً فى لهواتهم ،
 وأسرَّ كل واحد منهم إلى صاحبه سرّاً يومئذ به إلى استيلاء الزجل على ؛ فلما
 استتم كلامه وبرقت له بارقة طمع فى تسليمى له ابتدأت قُلت : لست ممن

(١) الحيا : المظر (م)

(٢) سناها . ضوءها ، وتليجها : إشراق وجهه (م)

يَقَعُّعُ لَهُ بِالشَّعَانِ ، وَلَا يُقَرِّعُ لَهُ بِالْعَصَا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! اسْتَنْتَ الْفَصَالُ حَتَّى الْقَرَعَى ! هَلْ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا عَوْنٌ مُفْتَرَعَةٌ^(١) ، قَدْ تَقَدَّمَ أَبُوتَمَامُ إِلَى سَبْكِ نَضَارِهَا ، وَافْتِضَاضِ أَبْكَارِهَا ، وَجَرَى الْبَحْتَرَى عَلَى وَتِيرَتِهِ فِي انْتِزَاعِ أَشْهَالِهَا وَاتِّبَاعِهَا ، فَأَمَّا قَوْلُهُ : « عَارِضُنَا أَصْلًا قَفَلْنَا الرَّبِّ » ، فَمِنْ قَوْلِ أَبِي جُوَيْرِيَةَ الْعَبْدَى :

سَلَّمْنِ نَحْوَى لِلْوَدَاعِ بِمَقْلَةٍ فَكَأَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْنَا الرَّبِّ
وَقَرَأْنِ بِالْحَدَقِ الْمِرَاضِ تَحِيَّةً كَادَتْ تَكَلِّمُنَا وَإِنْ لَمْ تُعْرِبْ

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي صِفَةِ الْغَيْثِ مُخَاطَبًا لِلدَّارِ : « وَجَاءَكَ بِحِكْمِي يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ »

وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْمَقْنَى : « لَوْ جَدْتَ جُودَ بَنِي يَزْدَانَ لَمْ تَزِدْ » فَمِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

وَلِنُؤْيِيهَا فِي الْقَلْبِ نُؤْيٌ شَفَهُ وَآهٌ بِظَآئِعِهَا وَبِالْمُتَخَلِّفِ
وَكَأَمَّا اسْتَسْقَى لَهْنَ مُحَمَّدٍ مِنْ سَوْمِهِنَّ مِنَ الْحَيَافِ زُخْرَفٍ
وَمِنْ قَوْلِهِ الَّذِي تَقَدَّمَ فِيهِ كُلُّ أَحَدٍ لَفْظًا رَشِيْقًا وَمَعْنَى رَقِيْقًا^(٢).

دِيْمَةٌ سَمَّحَةٌ الْقِيَادِ سَكُوبٌ مَسْتَغِيثٌ بِهَا التَّرَى الْمَكْرُوبُ
لَوْ سَعَتْ بَقْعَةٌ لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ

وَمِنْ هُنَا أَخَذَ الْبَحْتَرَى : « لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرِ » :

[أَيُّهَا لَيْسَتْ حَتَّى أَهْلًا بِمَقْدَاكَ وَعِنْدَ السَّرَى وَحِينَ تَتَوْبُ
لَأَنْيِ جَعْفَرٍ خَلَاتُكَ تَحْكِيهِنَّ قَدْ يَتَّبِعُهُ النَّجِيبُ النَّجِيبُ
أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الْأَوَانِ غَرِيبٌ وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبٌ]^(٣)
وَأَمَّا قَوْلُهُ :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشَى لِصَحْبِهَا تَبْلُجُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ
فَإِنَّمَا نَظَرَ فِيهِ إِلَى قَوْلِ دِرْعَبِلِ بْنِ عَلِيٍّ :

وَمِثْلَاءُ خَضْرَاءَ زَرْبِيَّةَ بِهَا النَّوْرُ يَلْمَعُ فِي كُلِّ فَنٍ^(٤)

(١) العون من النساء : غير البكر (م) (٢) هذه الأبيات من قصيدة أبي تمام وليست بثابتة في أكثر نسخ زهر الآداب (م)

(٣) الميثاء من الأرض : السهلة اللينة ، وزريرة : قد اخضر نبتها واصفر واحمر (م)

ضحوكا إذا لاعتبته الرياح تأوّد كالشارب المرجح
فشبهه صحبي سنا نورها بديباج كسرى وعصب الين
قلّت : بُدّتم ، ولكنى أشبهه بجناح الحسن
فنى لا يرى المال إلا العطاء ولا الكنز إلا اعتقاد المين

وأما قوله في صفة الغواني « يسير ضاحي وشيها وينم » وقوله في وصفها :
« وتخال الوشى فيه منمنا » فمن قول أبي تمام :

حلّوا بها عقد النسيب ، وتمنّوا من وشيها نثراً لها وقصيذا
ومن قوله الذي أبدع فيه :

ووالله لا أنفك أهدى شوارداً إليك تحمّلن الثناء المنخلاً^(١)
تخال به بُرداً عليك محبّراً وتحسبه عقداً عليك مفصّلاً
ألدّ من السلوى وأطيب نفحة من المسك مفتوقاً وأيسر مَحْمَلاً
أخفّ على قلبي وأثقل قيمة وأقصر في قلب الجليس وأطولاً
وقول البحترى * هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما * مأخوذ من قول أبي
تمام مقصراً عنه كلّ تقصير عن استيفاء إحسانه حيث يقول :

أصيحّ تستمع حرّ القوافي ؛ فإنها كواكبُ إلاّ أنهنّ سُودُ
ولا تمكن الإخلاق منها فإنما يلدّ لباسُ البُردِ وهو جديدُ

فهذه خصال صاحبك فيما عدته من محاسنه التي هتكت بها ستور عوّاره ،
ونشرت مطوى أسرارهِ ، حتى ستوضحت الجماعة أنّ إحسانه فيها عارية مرتجعة ،
ووديمة منزّعة ، فاسمع ما قال أبو تمام في نحو أبياتك التي أوجبت الفضل لصاحبك
حين قال مبتدئاً :

(١) الشوارد : جمع شاردة ، وأراد قصائد المدح ، والثناء المنخل : أراد به الذي
فنى عنه كل غريب عنه (م)

لأنت أنت ، ولا الديارُ ديارُ خفَّ الهوى ، وتقصَّت الأوطارُ^(١)
كانت مجاورةً البطولِ وأهلها زمناً عذابَ الورْدِ فهي بحارُ
وقوله :

رقت حواشي الدهرِ فهي تمرُّ وغدا الثرى في حليهِ يتكسرُ
وقوله :

أرأيتَ أيَّ سوافٍ وخُودٍ عنتَ لنا بين اللوى وزرودٍ
وهل يستطيعُ أحدٌ أن يبتدىءَ بمثل ابتدائه :

طللَ الجميعَ لقد عفوتَ حميدا وكفى على رُزئي بذاك شهيدا
دمنُ كأن البين أصبحَ طالبا دمناً لدى آرامِها وحقودا^(٢)
أو مثل قوله مبتدئاً :

يادارُ درَّ عليك إرهامُ الندى واهتزَّ روضك للثرى فترأدا^(٣)
وكسيت من خلع الحيا مستاسداً أنفاً يغادرُ وحشهُ مستاسداً
أو مثل قوله متبدئاً :

غدَّت تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غَد وعادَ قَمَداً عندها كل مَرَقَد
فاذري لها الإشفاقُ دمعاً مورداً من الدم يجري فوق خدٍّ مورَد
ولقد أحسن حين ابتداء فقال :

نوارُ في صواحِبها نوارُ كما فاجاك سِرْبُ أو صُوار
تكدَّب حاسدٌ فنأتُ قلوبُ أطاعتَ واشياً ونأتُ ديارُ
وحيث يقول :

ما في وقوفك ساعةٍ منْ بَاسٍ تقضي ذِمَامَ الأربعِ الأذراسِ

(١) الأوطار : جمع وطر - بفتح الواو والطاء جميعها - والوطر : الحاجة (م)

(٢) دمن الأول : جمع دمنة ، وهي آثار الديار د ، ومن الثاني : الذحول (م)

(٣) إرهام الندى : أراد نزول المطر ، وترأد : اهتز من النعمة (م)

فلعلَّ عينك أن تجودَ بدَمْعِها والدمعُ منه خاذِلٌ ومُواسِي^(١)
وحيث يقول :

ما عهدنا كذا تحيبَ المشوق كيف والدمعُ آيةُ المعشوق
وحيث يقول :

دِمنَ أَلَمٍ بها فقال : سلامٌ ، كم حلَّ عقدةَ صَبْرِهِ الإلمام ؟
بحرَّت ركابَ الركب حتى يعبرُوا رجلا ، وقد عنفوا على ولاؤوا
وحيث يقول :

أما الرسوم فقد أذْكَرَن ماسلفا فلا تكفن عن شانيك أو يكِفَا
لا عذر للصب أن يقفَى السَلَو ولا للدمع بعد مضي الحى أن يقِفَا
ومن اقتضاباته المعيدة قوله :

لها أن علينا أن نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا
وقوله أيضاً مقتضيا :

الحقُّ أبلجُ والسيوفُ عواري فحذارٍ من أسدِ العرين حذارٍ
ومما تقدم فيه كلٌّ واحدٍ في حسنِ التخلُّص إلى المدح قوله :
إساءةَ الحادثات استنبطى نفقا فقد أظلاك إحسانُ ابنِ حسان
وقوله :

إذا العيسُ لاقتْ بي أبادُلفٍ فقد تقطَّع ما بيني وبين النوائب
وقوله :

لم يجتمع قطَّ في مصر ولا طرف محمد بن أبي مروان والثوب^(٢)
وقوله المنقطع دونه كل قول في هذا المعنى :

(١) الذي في ديوان أبي تمام « فلعل عينك أن تعين بمائها » (م)

(٢) في نسخة « لم يجتمع قط في مصر ولا بلد » (م)

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَىٰ لَهَا
الْقَوْمَ ظَلَّ اللَّهُ أَسْكَنَ دِينَهُ
وقوله :

عَامِي وَعَامُ الْعَيْسِ بَيْنَ وَدِيقَةٍ
حَتَّى أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَلَاحِ
هِيَهَاتَ مِنْهَا رَوْضَةٌ مَحْمُودَةٌ
بِعَرَّسَ الْعَرَبِ الَّذِي وَجَدَتْ بِهِ
ومن أبدع ابتدائه قوله :

سَقَى دِيَارَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٍ
وَعَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةً وَنَعِيمٍ
جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عَهَادُ سَحَابَةٍ
مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ ذَمِيمٍ
ثم تخلص إلى المدح فقال وأحسن كل الإحسان :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى
مَازَلْتُ عَنْ سَتَنِ الْوُدَادِ وَلَا غَدْتُ
نَفْسِي عَلَى إِلْفٍ سِوَاكَ تَحُومٍ
ثم عاد إلى المدح ، فقال :

لِمُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَبَابَةَ
مَلِكٍ إِذَا نُسِبَ النَّدَى مِنْ مَلْتَقَى
مَجْدٌ إِلَى حَيْثُ السَّمَاءِ مَقِيمٍ
طَرْفِيهِ فَهُوَ أَخٌ لَهُ وَحَمِيمٍ
وأبو تمام الذى وصف القوافى بما لم يستطع وصفها به أحد فقال :
فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنَى صَاغِرًا
عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدٍ
بَسِيحًا تَسْأَقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ
وَتَنْقَادُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(١) فى نسخة «أسكن ظله فيهم» (م) (٢) العيس : الإبل ، والوديقة : شدة
الحمر ، والتنوفة : الصحراء المترامية الأطراف . والمسجورة : الموقدة ، و صيهود :
الفلاة التى لا ينال ماؤها (م) (٣) يرويه علماء اللغاة « أن النوى صير » (م)

محببة ما إن تزال تَرَى لها
مخلقة لما تَرَدُّ أذنَ سامع
والذى قال أيضاً في صفتها

جاءتكَ من نَظْمِ اللسانِ قِلَادَةٌ
إنسية وحشية كثرت بها
حذيت حذاء الحضرمية أرهفت
ينبوعها خَصِلٌ، وحلى قريضا
أخذاً كما صنع الضمير يمدُّه
أما المعاني فهي أبكارٌ إذا
وقد أبدع في وصفها فقال :

لم أبق حلية منطقٍ إلا وقد
أبقين في أعناق جودك جواهرًا
هل يستطيع أحد أن ينسب هذا أو شيئاً منه إلى السَّرَقِ والاحتذاء؟ وهل
يستطيع ماثلته بشيء من شعر البحتری ، أو أشعار المحدثين في عصره ومن قبله ؟
فمضى عن الجواب قصوراً ، وأحجم عن المساجلة تقصيراً ، وحكمت الجماعة لى
بالقهر ، وعليه بالنصر ، ولم ينصرف عن المجلس حتى اعترف بتقديم أبي تمام في
صنعة البديع واختراع المعاني على جميع المحدثين . وكان يوماً مشهوداً .

[أَثَرُ الغناء والجمال]

وقال ثُمَامَةُ بن أَشْرَس : كنتُ عند المأمون يوماً ، فاستأذن الغلام لعمير المأموني
فكرهت ذلك ، ورأى المأمون الكراهية في وجهي ، فقال : يا ثُمَامَةُ ، مابك ؟

(١) موزون : قد ثنى بعضه فوق بعض (م)

(٢) صنع الضمير : أراد أنه ماهر ، وفي الديوان « يمد جفر » والجفر : البثر (م)

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إذا غنَّانا عمير ذكرت مواطن الإبل ، وكُثِّبَنا الرمل ،
وإذا غنَّتنا فلانة انبسط أُملى ، وقوى جَدلى ، وانشرح صدرى ، وذكرت الجنان
والولدان ، كم بين أن تغنيك جارية غادة كأنها غصن بَان ، ترنو بمقلة وسنان ؛
كأنما خلقت من ياقوتة ، أو خرطت من فضة ، بشعر عكاشة العمى حيث يقول :
من كفَّ جارية كأن بنَّانها من فضة قد طُرِفَتْ عُنابا
وكانَ يَمناها إذا ضربت بها تلقى على الكفِّ الشمال حسابا
وبين أن يغنيك رجل كُثِّ اللحية ، غليظ الأصابع ، خشن الكف ، بشعر
ورقاء بن زهير حيث يقول :

رأيت زهيراً تحت كلِّ كلِّ خالد فأقبلت أسمى كالعجول أبادره ^(١)
وكم بين أن يحضرك من تشهى النظر إليه ، وبين من لا يقف طرفك
عليه ؟ فتيسم المأمون ، وقال : الفرق بينهما واضح ، والمنهج فسيح ؛ يا غلام ،
لا تأذن له ، وأحضر أطيَّب قَيْنَاتِه ، فظلمنا فى أمتع يوم .

وعكاشة هذا هو عكاشة بن عبد الصمد البصرى ، نقي الديباجة ، ظريف
الشعر ، وكان شاعرا مجيذاً . وقد أخذ معنى قوله أبو العباس الناشئ ، وزاد
فيه ، فقال :

وإذا بصُرت بكفها اليسرى حكمت يد حاسب تلقى عليك صنوفا
فكأنما المضرب فى أوتاره قلم يجمع فى الكتاب حروفا
ويجسده إبهامها فكأنما فى النقر تنفى بهزجا وزوفا
أخذ هذا البيت من قول أبي شجرة السامى وذكر ناقته :

تطيرُ عنها حصَى الطران من بلد كما تنوِّد عند الجهبذ الورق ^(٢)

(١) العجول : الشكى والواله من الإبل والنساء

(٢) الطران ، بضم الطاء وكسر ها ، جمع طرر ، بزنة صرد ، وهو الحجر ،

وقيل : الدور المحدد منه ، والجهبذ : الحبير ، والورق : الفضة (م)

وأصله قول امرئ القيس :

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرْوَحِينَ تُشَدُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بَعْبَقَرًا^(١)

وقال أبو الفتح كشاجم :

لَوْلَمْ تَحْرَكْهُ أَنْامِلُهَا كَانَ الْهَوَاءُ يُعِيدُهُ نَطْقًا
جَسَّتْهُ عَالِمَةٌ بِحَالَتِهِ جَسَّ الطَّيِّبُ لِمَدْنَفٍ عِرْقًا
غَنَّتْ فُخَاتُ أَظُنُنِي طَرَبًا أَسْمُو إِلَى الْأَفْلَاكِ أَوْ أَرْقَى
وَحَسِبْتُ يُنْمَاهَا تَحْرَكُهُ رَعْدًا وَخِلْتُ يَسَارَهَا يَهْرَقًا

وأنشد الخاتمي لأبي بكر الصولي :

وِغْنَاءُ أَرْقٍ مِنْ دَمْعَةِ الصَّبِّ وَشَكْوَى التَّيِّمِ الْمَهْجُورِ
يَشْفَلُ الْمَرْءُ مِنْظَرُهُ نِمَ نَطَقُ فَهُوَ يُصْنَعِي بِظَاهِرِ وَضْمِيرِ
صَافِحَ السَّمْعِ بِالَّذِي يَشْتَهِيهِ وَأَذَاقَ النَّفُوسِ طَعْمَ السَّرُورِ
لَيْسَ بِالْقَائِلِ الضَّعِيفِ إِذَا مَا رَاضٍ نَعْمًا وَلَا الشَّنِيعِ الْجَهِيرِ

وقال أبو نُوَّاس :

وَأَهْيَفُ مِثْلُ طَاقَةِ يَاسِمِينَ لَهُ حَفَظَانِ مِنْ دُنْيَا وَدَيْنِ
يَحْرَأُ حِينَ يَشْدُو سَاكِنَاتِ فَتَنْبَعُثُ الطَّبَائِعُ لِلسَّكُونِ
وَهَذَا مَلِيحٌ ، يَرِيدُ حَرَكَةَ الْجَوَانِحِ لِلْغَنَاءِ ، وَسَكُونِ الْجَوَارِحِ لِلْإِسْتِمَاعِ

وقال الحمدوني يصف عوداً :

وَنَاطِقٍ بِلِسَانٍ لَا ضَمِيرَ لَهُ كَأَنَّهُ لَخَذٌ نَيْطَتْ إِلَى قَدَمِ-
يُبْدِي غَمِيرَ سِوَاهُ لِلْقُلُوبِ كَمَا يَبْدِي ضَمِيرَ سِوَاهُ مِنْطَقِ الْقَلَمِ

(١) الصليل : الصوت ، والمرو : حجارة بيض براق ، وعبقر : بلد بنسب العرب

إليها كل ما يتعاضمون صنعة ، وزعموا أنها مقر الجن (م)

[من وصف القيان]

لابن الرومي

ومن أحسن ما قيل في صفة القيان قول ابن الرومي :

وقيان كأنها أمهات^١ عاطفات على بذيها حواني
 مُطَفِّلات وما حملن جنيناً مرضعات ولسن ذات لبان
 مُلَقِمَات أطفالهن ندياً ناهدات كأحسن الرمان
 مفعمات كأنها حافلات وهن صفر من درة الألبان
 كل طفل يدعى بأسماء شتى بين عود ومزهر^(١) وكران^(٢)
 أمه دهرها تترجم عنه وهو بادي الغنى عن الترجمان

لكشاجم

وقال أبو الفتح كشاجم :

جاءت بعود كان نغمته صوت فتاة تشكو فراق فتى
 محففت حفت العيون به كأنما الزهر حوله نبتا
 دارت ملاويه فيه فاختلفت مثل اختلاف العيون مذنبنا
 لو حركته وراء منه-زم على بريد لعاج والتفتنا

وقال :

يقولون تب والكأس في كف أغيد وصوت المشاي والمثالث على
 فقلت لهم لو كنت أزمعت توبة وشاهدت هذا في المنام بدا لي^(٣)

وقال :

أفدى التي كلف الفؤاد من أجلها بالعود حتى شفى أطرابا
 تاهت بجمع صناعتين ، وأظهرت كبرا بذاك ، وأعجبت إعجابا
 قالت : فضلتك بالغناء وأنت لا تشدو ، وكنا مثلكم كتابا

(١) الكران - بوزن كتاب - آلة من آلات اللهو تشبه العود أو الصنج (م) .

(٢) أزمعت : اعتزمت ، وفي ديوانه «أضمرت» (م) .

(٣ - زهر الآداب ٣)

فُعِينَتِ بِالْأُوتَارِ حَتَّى لَمْ أَدَعِ نَعْمًا وَلَمْ أَغْفِلْ لَهَا حَسَابًا
وَأَلْفَتَهَا فَأَغَارَ ذَاكَ عَلَى يَدِي قَلَمِي وَعَاتَبَهَا عَلَيْهِ عَتَابًا
فَجَعَلْتُ لِلْقِرَاطِ جَانِبَ صَدْرِهِ وَجَعَلْتُ جَانِبَ عَجْزِهِ مِضْرَابًا
وقال :

جَاءَتْ بَعُودٍ كَأَنَّ الْحَبَّ أَثَحَلَهُ فَمَا يُرَى فِيهِ إِلَّا الْوَهْمُ وَالشَّبَحُ
فَحَرَكْتُهُ وَغَنَتُ بِالثَقِيلِ لَنَا صَوْتًا بِهِ الشَّوْقُ فِي الْأَحْشَاءِ يَنْقَدِحُ
بِيضَاءٍ يَحْضُرُ طِيبُ اللَّهِ وَمَا حَضَرَتْ فَإِنْ نَأَتْ عَنْكَ غَابَ اللَّهُ وَالْفَرَحُ^(١)
كُلَّ اللِّبَاسِ عَلَيْهَا مَعْرُضٌ حَسَنٌ وَكُلُّ مَا تَتَغَنَّى فَهُوَ مَقْتَرَحُ
هذا من قول ابن المعتز :

وَوَغَنَتْ فَأَغْنَتْ عَنِ الْمَسْمُوعِ نِ وَارْتَجَّ بِالطَّرْبِ الْمَجْلَسُ
مَحَاسِنُهَا رُؤْيَا لِلْعُيُونِ وَمَعْرِضُهَا كُلُّ مَا تَلْبَسُ
وقال أيضاً: ^(٢)

أَشْتَهَى فِي الْغَنَاءِ بُحَّةَ حَلْقِي نَاغِمِ الصَّوْتِ مُتَعَبٍ مَكْدُودِ
كَأَنِّي الْحَبَّ أَضْعَفُهُ الشَّوْقُ قُ فُضَاهَى بِهِ أَنْيْنَ الْعُودِ
لَا أَحِبُّ الْأُوتَارَ تَعْلُو كَمَا لَا أَشْتَهَى الضَّرْبَ لَازِمًا لِلْعُمُودِ
وَأَحِبُّ الْمَجْنِبَاتِ كَحَبِي لِلْمَبَادِي مَوْصُولَةٍ بِالنَّشِيدِ
كَهَبُوبِ الصَّبَا تَوْسُطَ حَالًا بَيْنَ حَالِينَ شِدَّةٍ وَرُكُودِ
وقال :

أَهْ مِنْ بُحَّةٍ بَغِيرِ انْقِطَاعِ افْتَاتِ مَوْصُولَةٍ الْإِيقَاعِ
أَتَعَبْتُ صَوْتَهَا وَقَدْ يُجْتَنَى مِنْ تَعَبِ الصَّوْتِ رَاحَةِ الْأَسْمَاعِ

(١) «ما» في قوله «ما حضرت» هي المصدرية الظرفية : أي مدة حضورها ،

وفي الديوان « يحضر طيب العيش إن حضرت (م) »

(٢) هذا القائل هو أبو الفتح كشاجم (م) .

فَعَدَّتْ تَكَثَّرَ الشَّجَاجَ وَحَطَّتْ طَبَقَاتِ الأوتار بعد ارتفاع^(١)
كَأَنِّينَ الحَبِّ خَفَضَ مِنْهُ صَوْتُ شَكْوَاهُ شِدَّةُ الأوجاعِ

وقال بعض أهل العصر ، وهو أبو الحسن بن يونس :

لأبي الحسن
ابن يونس

غَمَّتْ فَأَخَفَتْ صَوْتَهَا فِي عُوْدِهَا فَكَأَنَّمَا الصَّوْتَانِ صَوْتُ العودِ
غَيْدَاءَ تَأْمُرُ عُوْدَهَا فِيطِيعُهَا أَبْدَاءً ، وَيَتَّبِعُهَا اتِّبَاعُ وَدُودِ
أَنْدَى مِنَ الثَّوَارِ صُبْحًا صَوْتُهَا وَأَرْقَ مِنْ نَشْرِ الثَّنَا المَعْبُودِ
فَكَأَنَّمَا الصَّوْتَانِ حِينَ تَمَازَجَا مَاءَ النِّعَامَةِ وَابْنَةَ العُنُقُودِ

وأبو الحسن هذا هو : علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى
صاحب عبد الله بن وهب الفقيه ، وكان لأبي الحسن في الشعر مذهب حسن ،
وطبعٌ صحيح ، وحوكٌ مليح ، وكان عالماً بالنجوم وما يتعلق بها من علوم الأوائل
وهو القائل :

سَقَى اللهُ أَوْ كَنَافَ اللَّوَى كَمَا سَقَى بِضَرْبٍ مِنَ الْمَزَنِ الْكَنْهَوْرَ هَامِلٍ^(٢)
إِذَا نَشَرْتُ رِيحُ جُحَانٍ سَحَابَةٍ غَدَاً وَهُوَ حَلَّى لِلرِّيَاضِ الْعَوَاطِلِ
بِهِ وَجَدْتُ رَعْدَ لَيْسَ بَيْنَ جَوَانِحِ وَوَسْوَاسُ وَدَقِّ لَيْسَ بَيْنَ مَفَاصِلِ
إِذَا كَانَ خَدُّ الْبَرْقِ يَلْمَسُ نَبْتَهُ تَلْقَاهُ دُرُّ النُّورِ فَوْقَ الْخَمَائِلِ
وقال ، وذكر غلاماً :

يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَى غِلَائِلِ خَدَمٍ وَأَرْقَ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ
نَاولَتْهُ الْمَرَاةُ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَكَسَتْهُ فَتْنَةٌ نَاطِرِيهِ إِلَيْهِ

لابن المعتز
في المرأة

وقال ابن المعتز - وذكر المرأة :

تَبَيَّنَنِي لِي كَمَا رُمْتُ نَظْرَةً وَنَاصِحَتِي مِنْ دُونِ كُلِّ صَدِيقِ

(١) في الديوان « تكثر الشجاج » (م) .

(٢) الكنهور - بزة السفرجل - المتروك من السحاب (م) .

يقابلني منك الذي لا عدته بلجة ماء وهو غير غريق
وقال أبو الفتح كشاجم يصف امرأة أهداها :

كشاجم
يصف امرأة

أخت شمس الصفاء في الحسن والإشراق غير الإعشاء للأجفان
ذات طوق مشرف من لجين أجريت فيه صفرة العقيان
فهو كالهالة المحيطة بالبد ر لست مضين بعد ثمان
وعلى ظهرها فوارس تلهو ببزاة تعدو على غزالان
[لك فيها إذا تأملت فال حسن مخبر بنيل الأمان]
لم يكن قلبها من الماء جرم حاصر نفسه بغير أوان
عدت عكسها الشعاع فبدا ه إليها ورجمه ستيان
وهي شمس وإن مثالك يوماً لاح فيها فإنها شمسان
أينما قابلت مثالك من أر ض فيها تقابل النيران
فالقها منك بالذي ما رآه خائف فاشئ بغير أمان

ومن ألفاظ أهل العصر في مدح الغناء

غناؤه كالغنى بعد الفقر ، وهو جبر للسكر^(١) . [غناؤه] يبسط أسيرة
الوجه ، ويرفع حجاب الإذن ، ويأخذ بمجامع القلب ، ويحرك النفوس ،
ويرقص الرؤوس . فلان طبيب القلوب والأسماع ، ومحى موات الخواطر والطباع ،
يُطعم الأذان سروراً ، ويقدر في القلوب نوراً . القلوب من غناؤه على خطر ؛
فكيف الجيوب ؟! السكر على صوته شهادة . كل ما يغنيه مقترح . لغناؤه في
القلب ، موقع القطر في الجذب . نعمة نغمته تطرب ، وضروب ضربه لا تضرب .
وقيل : السماع مُتعة الأسماع ، وإدام المدام .

(١) في نسخة « وهو عذر للسكر » (م) .

[الأقلام]

أهدى بعضُ الكتابِ إلى أخٍ له أقلاماً وكتب إليه : إنه — أطال الله
بقاءك ! — لما كانت الكتابةُ قوامَ الخلافة ، وقرينةَ الرياسة ، وعمودَ المملكة ،
وأعظمُ الأمورِ الجليلةِ قدراً ، وأعلاها خطراً ، أحببتُ أن أتحفَكَ من آلاتها بما
يخفُّ عليك حمّله ، وتثقل قيمته ، ويكثر نفعه ؛ فبعثتُ إليك أقلاماً من القصب
النابت في الأعذاء ^(١) ، المغدوّ بماء السماء ، كاللآلى المكنونة في الصّدَف ،
والأنوار المحجوبة بالسّدَف ، تنبؤ عن تأثير الأسنان ، ولا يثنيها غمَرُ البَنان ،
قد كستها طباعها جوهرأ كالوشى المحبّر ، وفرند الديباج النثير ، فهي كما
قال السكيت :

وبيض رقاقٍ صِباح المتو نِ تَسْمَع للبيض فيها صريراً
مُهَنّدة من عتادِ الملوك يكاد سَنَاهُن يُعْشِي البصيرا

وكقبح النبل في ثقل أوزانها ، وقُضِب الخيزُرَان في اعتدالها ، وشيخ الخط
في اطرادها ، تمرّ في القراطيس كالبرقِ اللائح ، وتجري في الصحف كالماء
السائح ، أحسن من العُقيان ، في نحورِ القِيان .

من عبيد الله
ابن طاهر إلى
إسحاق بن
إبراهيم

وكتب عبيد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم من خراسان إلى بغداد
يسأله أن يوجّه إليه بأقلام قصبيّة : أما بعد ، فإنّا على طول الممارسة لهذه الصناعة
التي غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوسم ، فخلّت محل الأنساب ، وجرت
بحرّى الألقاب — وجدنا الأقلام القصبيّة أسرع في الكَوَاغِد ، وأمر في الجلود ،
كما أن البحريّة منها أسلس في القراطيس ، وألين في المعاطف ، وأكلّ عن
مزيقها ، والتعلق بما ينبو من شظاياها . ونحن في بلاد قليلة القصب ، ردىء ما يوجد

(١) الأعذاء : جمع عذى ، وهو الزرع الذى لا يسقى بغير ماء المطر (م) .

بها منه ؛ فأحببت أن تتقدّم في اختيار أقلام قصية ، وتتناق في انتقائها قبلك ،
 وطلبها في منابتها ، من شُطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيّم باختيارك
 منها الشديدة المحسّ ، الصلبة المعصّ ، الغليظة الشحوم ، المكتنزة الجوانب ،
 الضيقة الأجواف ، الرزينة الوزن ، فإنها أبقى على الكتاب ، وأبعد من الخفاء ،
 وأن تقصد بانتقائك منها للرقاق القضبان ، اللطاف المنظر ، المقومات الأود ، الملس
 العقد ، ولا يكون فيها التواء عوج ولا أمت ؛ وضمّ الصافية القشور ، الخفية
 الأبن^(١) ، الحسنة الاستدارة ، الطويلة الأنايب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة
 الجواهر ، المعتدلة القوام ، تكادُ أسافلها تهتزّ من أعلاها ، لاستواء أصولها
 برءوسها ، المستحكمة ييساً ، القائمة على سوقها ، قد تشربّت الماء في إحائها ، وانتهت
 في التضجّر منهاها ، لم تعجل عن تمام مصلحتها ، وإبان يُنعمها ، ولم تؤخر في
 الأيام الخوفة عاهاتها ؛ من خَصَر الشتاء ، وعَفَنِ الأنداء ، فإذا استجمعت عندك
 أمرتَ بقطعها ذِراعاً ذراعاً ، قطعاً رقيقاً تتحرّز معه أن تتشعب رءوسها ،
 أو تنشق أطرافها ، ثم عبأت منها حزمًا فيما يصونها من الأوعية ، وعليها
 الخيوط الوثيقة ، ووجهتها مع من يحتاط في حراستها وحفظها وإيصالها ؛ إذ
 كان مثلها يتوّانى فيه ، لقلة خطرِها عند من لا يعرف فضلَ جوهرها ؛
 واكتب معه بعدّتها وأصنافها وأجناسها وصفاتها ، على الاستقصاء ، من غير
 تأخير ولا إبطاء .

جواب إسحاق ابن إبراهيم
 فأجابه ووجه إليه مع الأنايب : أتاني كتاب الأمير - أعزّه الله ! - بما أمر
 به وخلصه ، من البعث بما شا كل نفعته ، وضاهى صفته ، من أجناس الأقلام ،
 فتيّمت بُغيته قاصداً لها ، وانهجتُ معالم سُبُلِهِ آخذاً بها ، فأنفذتُ إليه حزمًا
 أنشئت بلطف السقيا ، وحسن المهد والبقيا ، لم تعجل بإخراجها ، ولا بؤدورت

(١) الأبن : جمع أبنة ، وهي العقدة في العود (م) .

قبل إدراكها؛ فهي مستوية الأنابيب معتدلتها ، مثقفة الكعوب مقومتها ؛
لا يُرى فيها أمت زور ، ولا وسم صغر ولا عوج ، وقد رجوت أن يجدّها الأمير
عند إرادته وحسب بُغيته .

لمنصور بن عمار
يصف القلم

ومن كلام منصور بن عمار في صفة القلم ، ويقال إنه لسليمان بن الوليد
الكتاب : أو ليس من عجائب الله في خلقه ، وإنعامه على عباده ، تعليمه إياهم
الكتاب المفيد للباقيين حكم الماضي ، والمحاطب للعيون بسرائر القلوب ، على
لغات مختلفة ، بمعان مفترقة معقودة ، وأحرف مقلوبة ، من ألف وتاء ، وجيم
وباء ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكير ، ونتاجها
التأليف ، تخرس مفردة ، وتنطق مزدوجة ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن
محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، بل قلم حَرَفَ باريه قطّته ، ليعلق المدادُ به ،
وأرْهَفَ جانيه ليردّ ما انتشر عنه إليه ، وشقّ في رأسه ليحتبس الاستعداد عليه ،
ورفع من شعبتيه لتجتمع حواشي تصويره ؛ فمثالك روى القلم في شقه ، وقذف
المادة إلى صدره ، فإذا علقتها العيون حكمتها الألسن ، فالقوبُ حينئذ راعية ،
والآذان واعية ، لكلام سدّاه العقل ، وألمحه اللسان ، وأدته اللّهوات ،
ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، على اختلاف أنحاء ، من صفات وأسماء ؛
فتبارك الله أحسن الخالقين .

للنجيرمي
في وصف القلم

حمل من رسالة كتبها بعض أهل العصر ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله
النجيرمي ، في القلم إلى أبي عمران بن رباح :

إنه لما كان القلم مطيعة الفكر والبيان ، ومُخْرِجَ الضمير إلى العيان ، ومستنبطاً
ماتواريه ظلم الجنان إلى نور البيان ، ومُريجَ الفطن العواذب ، وجالب الفكر
الغرائب [ولسان الغائب ، وبزالكاتب ، ومكتب السكتائب] ، ومفرق الجلائب ،
وعمد السّلم ، وزناد الحرب ، ويد الحدّثان ، وخليفة اللسان ، ورأس الأدوات التي

خصَّ الله بها الإنسان ، وشرَّفه بها على سائر أصناف الحيوان ، ومركباً لآلة قد تقدَّمت كلَّ آلة ، وحِكْمة سبقت في الإنسان كلَّ حكمة ، وقوَّاماً لهندسة عقلية ، ومصدراً للعقل العاقل ، وجهل الجاهل . الناقل إلينا حكم الأولين ، وحاملها عنا إلى الآخرين ، الحافظ علينا أمر الدنيا والدين ، أول شيء خلقه الله بأمره وسبَّحه ، وتَجَدَّده وحمده وسجده له ، فكان له فرسانٌ خَلَقَ لهم ، وكُنْتَ عبيدهم ، وأقرانٌ قُضِرَ عليهم ، وأنت صنيديهم ، وميدان كنت زينه ، ومضمار كنت عينه ، وخليفة كنت سابقها ومعجزها ، وغاية كنت مالِكها ومُحرِّزها ، وورثت بي الأيام إلى معدنه الذي كلفت به وعنيت بطلبه ، فانفردت منه بتمدح فذَّ أوَّحد ، فزدد في منبته ، قد ساعدت عليه السعود في فلك البروج حولاً كاملاً ، مُختلفة يُؤلِّفه أركانها وطباعها ، ومتباين أنوائها وأنحائها ، وتؤيده بقواها وجواهرها ، حتى غَذَّته عِرْقاً في الثرى معرقاً ، وأرضعته ناجماً ، وسقته مكعباً ، وأروته مقصباً ، وأظلماته مكتهاً ، ولوحته مستحصداً ، وجلته بهاءها ، وألقت عليه عنوانها ، وأودعته أعراقها وأوراقها وأخلاقها ، حتى إذا شق بازله ، ورقَّت شمائله ، وابتسم من غشائه ، ونادى من إحائه ، وتعرى^(١) عن خز المصيف ، بانقضاء الخريف ، وانكشف عن لون البيض المكنون ، والصدف المحزون ، ودر البحار ، وفتَّات الجمار ، دعا منه نَفَق العَاج بنقبة الديباج ، وقميص الدرر بطراز النساج ، فاجتمعت له زينة الأيدي البشرية ، إلى الأيدي العلوية ، والأنساب الأرضية ، إلى الأنساب السماوية ، فلما قاده السعادة إلى ، ورأيت نسيجَ وَخْدِهِ في الأقلام ، رأيت أولى الناس به نسيجَ وَخْدِهِ في الأنام ، فأثرتك به مؤثراً للصنيعة ؛ عالماً أن زين الجياد فرسانها ، وزين السيوف أقرانها ، وزين بزة لابسها ، وزين أداة ممارسها ،

(١) في نسخة « وتفرى عنه » .

فالآن أعطيت القوس باريها ، وزناد المكارم موريها ، والصمصامة مُصلّتها ،
والقناة مُعلمها ، وحلّة المجد لايسها .

من أخبار
النجيري

وكان النجيري جَيِّدَ الروية والبديهة في نظمه ونثره ، حلّو التصريف ، مليح
التأليف ، وكان يوماً عند أبي المسك كافور الإخشيدي ، فدخل عليه أبو الفضل
ابن عياش فقال : أدام الله أيام سيدنا الأستاذ — بالخلف — فتبسّم كافور إلى
أبي إسحاق ، فقال ارتجالاً :

لا غرّو إن لحن الدّاعي لسيدنا وغصّ من هَيْبَةٍ بالريقِ والبهَرِ
فمثل سيدنا حالت مهَابَتُهُ بين البليغ وبين القول بالحصرِ
فإن يكن خفَضَ الأيام من دَهِشٍ من شدة الخوف لا مِنْ قَلَّةِ البَصْرِ
فقد تَفَاءَلَتْ في هذا لسيدنا والقال مأثرة عن سيّد البشرِ
بأن أيامه خَفَضَ بلا نَصَبٍ وأن دولته صَفَوَتْ بلا كَدَرٍ
فأمر له بثلثمائة دينار ، ولابن عياش بمائتين .

لحمدان الدمشقي
يصف قلماً

وقال حمدان الدمشقي يصف قلماً :

للأيم بعثته وشقّ لِسَانِهِ وله إذا لم تجرِه إطراقُهُ
كالْحَيَّةِ النَّضْنَانُضِ إِلَّا أَنَّهُ من حيث يجري سمّه تَرِياقُهُ

وصف القلم
الصالح للكتابة

قال العتّابي : سألتني الأصمعي فقال لي : أي الأنايب أَصْلَحُ للكتابة وعليها
أصبر ؟ فقلت : ما شِفَ بالهجير ماوّه ، وستره عن تلويحه غشاوّه ، من التّبرية القشور
الدريّة الظهور ، الفضية السكسور ، قال : فأى نوع من التّبري أكتب وأصوب ؟
قلت : البرية المستوية القطّ ، عن يمين سنّها ، برية تأمن معها الحجة عند المط^(١) .

الهواء في مَشَقِّها فتيق ، والريح في جوفها خريق ، والمِدَاد في خرطومها رقيق ،
قال : فبقى الأصمى شاخصاً إلى ضاحكا لا يُحِيرُ مسألة ولا جوابا .

[من ترجمة العتاني وأدبه وأخباره]

والعتابي : هو كلثوم بن عمرو بن الحارث التغلبي ، يُكْنَى أبا عمرو ، قال
أبو عثمان الجاحظ : كان العتابي ممن اجتمع له الخطابة ، والبيان ، والشعر
الجيد ، والرسائل الفاخرة ، وعلى ألفاظه وحَذْوُهُ يقول في البديع جميع من
يتكلف ذلك من شعراء المولدين كنجو منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد
الأنصارى ، وأشباههما ، وكان العتابي يَحْتَذِي حَذْوَ بشار في البديع ، ولم يكن
في المولدين أجودُ بديعاً من بشار وابن هرمة

والعتابي من ولد عمرو بن كلثوم ابن مالك بن عتّاب بن سعد ،
ولذلك قال :

إني امرؤُ هدم الإقترار ما ثرتي واجتاح ما أبدت الأيام من خطري
أنا ابنُ عمرو بن كلثوم يسوده حياً ربيعة والأحياء من مضري
أرومة عطلتني من مكارمها كالقوس عطلها الرامي من الوتر

وكان صاحبَ بديهة في المنظوم والمنثور ، حسن العقل والتمييز ، والعربُ
تقول : من تَمَنَّى رجلاً حسنَ العقل ، حسنَ البيان ، حسنَ العلم ، تَمَنَّى شيئاً عسيراً .
وقد اجتمع ذلك كله للعتابي .

وعاتبه يحيى بن خالد على لباسه ، وكان لا يُبَالِي أى ثوبيه ابتذل !
فقال : أبعد الله رجلاً مهمته أن يكون جماله في لباسه وعطره . إنما ذلك حظُّ
النساء ، وأهل الأهواء ، حتى يرفعه أكبراه : همته ، ولبه ، ويعلو به معظاه :
سأته ، وقلبه .

ودخل على الرشيد فقال : تكلم يا عتّابي ! فقال : الإيناس قبل الإبسّاس ، لا يُمدَحُ المرءُ بأوّلِ صوابه ، ولا يُذَمُّ بأوّلِ خطئه ؛ لأنّه بين كلامِ زوَره ، أو عى حَصَره .

وذكر أبو هفّان أنّ الرشيد لقيه بعد قتل جعفر بن يحيى وزوال نِعَمته ، قال : ما أحدثت بعدُ يا عتّابي ؟ فأنشده ارتجالاً :

تلومُ على تركِ الغنى باهليّةً طوى الدهرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتألّد
رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا منظمَةً أحيّادها بالقلائد
أسرّك أنى نلتُ ما نال جعفرُ من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصني مغصّهما بالمرهفاتِ البوارِد
فإن رفيعات المعالي مشوبةٌ بمستودعاتٍ في بطونِ الأسودِ

وكان متحرّفاً عن البرامكة ، وفيهم يقول :

إنّ البرامِك لا تنفكُ أنجيّةٌ بصفحة الدّين من نجواهم ندب^(١)
تجرّمتُ حجّجٍ منهم ومُصلّمهم مضرّجٍ بدم الإسلام مختضب^(٢)

اجتاز عبد الله بن طاهر بالركة بمنزل العتّابي ، فقال : أليس هذا منزل كلثوم ابن عمرو ؟ قيل : نعم ، فثنى رجله ، ودخل إليه ، فألفاه جالسا في بيتِ كتبه ، فحادثه وذاكره ، ثم انصرف ، فتحدّث الناسُ في ذلك ، وقالوا : إن الأمير لم يقصده ، وإنما اجتاز به فأخطر ذلك الزيارة ، فكتب إليه :

يا مَنْ أفادتنى زيارتهُ بعدَ الجول نباهةَ الذكرِ
قالوا الزيارةُ خطرةٌ خطرت ومجاز خطرِكَ ليس بالخطر
فادفعْ مقاتلهم بثلاثة تستنفدِ المجهودَ من شكري

(١) أنجيّة : متناجين متسارين . والندب : الجروح (م)

(٢) تجرّمت : مضت وانقضت ، وفي نسخة «تصرمت» والمنصل : السيف (م) .

لا تجعلَنَّ الوترَ واحدةً . إن الثلاث تنمةُ الوترِ

فبعثته الأبياتُ إلى أن زارَهُ ثلاثاً .

وكان يميل إلى المأمون ، فلما خرج المأمون إلى خراسان شيَّعه حتى وصل معه إلى سندان ^(١) كسرى ، فقال له المأمون : سألتك بالله يا عتّابي إلا عملتَ على زيارتنا إن صار لنا من هذا الأمر شيء ، فلما ولي المأمون الخلافة ، ودخل بغداد سنة أربع ومائتين توصلَ إليه العتّابي ، فلم يمكنه الوصول ، فقال للناضى يحيى بن أكرم : إن رأيتَ أن تعلمَ أميرَ المؤمنين بمكانى ! فقال : لستُ بمحاجب ! قال : قد علمت ، ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ! فقال : سلكتَ بى غير طريق ! قال : إن الله تعالى ألحقك بحاجٍ ونعمة ، وهما يقيمان عليك بالزيادة إن شكرت ، والتغيير إن كفرت ، وأنا اليوم لك خيرٌ منك لنفسك ؛ أدعوك لما فيه زيادة نعمتك ، وأنت تأبى ذلك ؛ ولكلِّ شيء زكاة ، وزكاةُ الجاهِ بذلُّ للمستعين ، فدخل يحيى على المأمون فقال : أجِرْنى من لسان العتّابي ، فلها عنه ، ولم يأذن له ، فلما طال عليه كتب إليه :

ما على ذلك افترقنا بسندا ن ولا هكذا عهدنا الإخاء

لم أكن أحسب الخلافة يزدا د بها ذو الصفاء إلّا صفاء

تضرب الناس بالثقفه السـ على غدّهم وتنسى الوفاء

يعرّض بقتله لأخيه على غدّره ، ونسكته لما عقد الرشيد ؛ فلما قرأ المأمون والأبيات أمر أن يُدخَلَ عليه . فلما سلم قال : يا عتّابي ، بلغتنى وفادتك فسرّتنى ، وقد كانت بلغتنى وفاتك فساءتنى ، وإنى لحرى بالنعيم لبعدك ، والسرور بقربك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لو قسم هذا الكلام على أهل الأرض لوسعهم عدلاً

(١) هكذا ، وربما كانت « سنداد كسرى » (م) .

وأعجزهم شكراً ، وإن رضاك لغاية المني ؛ لأنه لا دينَ إلا بك
إلا معك ، قال : سَلْنِي ، قال : يَدُكَ بالعطية أطلق من لسانى بالمسألة ،
بمحسين ألفا .

وقال العنابي وودّع جارية له :

ما غَنَاهُ الحِذَارُ والإشفاقِ	وشَأْيَبَ دَمْعِكَ المَهْرَاقِ
ليس يَقْوَى الفؤادُ منك على الله	دُءٌ ولا مَقْلَتًا طَلِيحِ المَأَقِ
غدرات الأَيَّامِ منزعَّاتٌ	ما غَنِمْنَا من طول هذا العناقِ
إِنْ قَضَى اللهُ أَنْ يَكُونَ تَلَاقِ	بعد ما قد ترين كان تَلَاقِ
هُوَ نِي ما عليك وَأَقْنِي حَيَاءِ	لستِ تَبْقِينَ لِي ولستِ بِيَمَاقِ
أَيُّنا قَدَّمَتْ صُرُوفُ المَنَايا	فَالذِي أَخَرْتُ سَرِيعُ اللِّحَاقِ
وَيَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بَمُرَّ	تِ من العِيشِ مُضْهِراتِ المَذَاقِ
عُرٍّ مَنْ ظَنُّ أَنْ يَفُوتَ المَنَيا	وَعُرَّاهَا قَلَانْدُ الأَعْنَاقِ
كَمْ صَفِيَّيْنِ مُتَعًا بانْفَاقِ	نَمْ صَارَا لَعْرُبَةً وافترَاقِ
قَلْتُ للفرَاقِينِ واللَّيلِ مُلْقِ	سُودَ أَكْنافِهِ على الآفاقِ
ابْقِيَا مَا بَقِيَا سوف يُرْمَى	بَيْنَ شَخْصِيكُمَا بِسَمِّهِمُ الفِرَاقِ
بَيْنَا المَرَّةَ فِي عَضَارَةِ عَيْشِ	وَصَلَاحِ مِنْ أَمْرِهِ واتِّفَاقِ
عَطَفْتُ شِدَّةُ الزَّمانِ فَأَدَّتْ—هـ إِلَى فَاقَةٍ وَضِيقِ خِنَاقِ	
لا يَدُومُ البَقَاءُ لِلخَلْقِ لَكِنْ دَوَامَ البَقَاءِ لِلخَلْاقِ	

وقال في الرشيد :

إِمامٌ لَهُ كَفٌّ تَضُمُ بَنَانُهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعًا مِنَ الْبَرْئِ عَوْدُهَا

وعينٌ محيطٌ بالبرية طَرَفُهَا سواها عليها قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا
وقال فيه :

رعى أمة الإسلام فهو إمامها وأدّى إليها الحقّ فهو أَمِينُهَا
مقيمٌ بمستنّ الفلاح حيثُ تلتقى طَوَارِقُ أبكارِ الخطوبِ وعُونُهَا

وكان منصور النمرى سعى به إلى الرشيد فخافه ، فهرب إلى بلد الروم . وله قصائد يمتدّر فيها جيدة مختارة ، وهو مشبهٌ في حسن الاعتذار بالناطقة الديباني ، ومن جيد اعتذاره قوله للرشيد ، ويقال : بل قالها على لسان عيسى بن موسى الهاشمي يخاطب الرشيد :

جعلتُ رجاءَ العفو عذراً وشُبّهتُ بهيبةٍ إمّا غافِرٍ أو مُعَاتِبٍ
وكنْتُ إذ ما خفتُ حادثَ نبوةٍ جعلتكَ حصناً من حِذَارِ النوائِبِ
فأنزلَ بي هجرانك اليأس بعدما حلتُ بوادٍ منك رَحْبِ المِشَارِبِ
أظلّ ومرّ عاى الجديبُ مكانه وآوى إلى حافاتٍ أكَدَرِ ناصِبِ
ولم يثن عن نفسى الردى غير أنها تنوء بياق من رجائك نائبٌ (١)
هى النفسُ محبوسٌ عليك رجاءُها مقيدة الآمالِ دون المطالبِ
وتحت ثياب الصبر منى ابنِ لوعةٍ بطلٌ ويُمسِي مستلين الجوانبِ
فتى ظفرتُ منه الليالى بزلةٍ فأقلعن عنه دَامِيَاتِ الخالِبِ
حنّانِيكَ إني لم أكن بعثُ عِزّةٍ بذلٍ ، وأحرزتُ المنى بالمواهبِ
فقد سُمّيتني المهجران حتى أدقنتى عقوبة زلاتى وسوءِ مناقِبِ
فها أنا مقصّى فى رِضَاكَ ، وقابضٌ على حدِّ مصقولِ الدمايين قاضِيبِ
ومنتزعٌ عما كرهتُ وجاعلٌ هواك مثالا بين عيني وحاجبى

(١) تنوء به : يشغل عليها ، وفي نسخة « شوب » وثائب : راجع (م)

وفي هذه القصيدة مما يختار أهل الصناعة :

وأشعثَ مشتاقَ رمى في جفونه
سحبته له ذيلَ الشرى وهو لا يس
ومن فوق أكوارِ المهاري لبانة
وكلت فنتى عادته قصر شوقه
يسير الموى لم يُبده نعت فرقة
إذا أدرع الليلى أنجلي وكأنه
بركب ترى كسر الكرى في جفونه
وقال أيضاً :

لورأتني بذى المنجاة فرداً
أطفئ الحزن بالدموع إذا ما
خامع الطرف قد توشحنى الضر
تربُّ بُوس أخاهموم كأن أ
وكانى استعرت ما لفظ النا
أنصدى الردى وأدرع اللي
حظ عيني من الكرى خفقات
أوحش الناس جانبي فما آ
قد رددت الذى به أتقى النا
قاستهلت على تمطرني الشو
وقال :

أما راع قلبَ العامرية أنى غدوت ومرجوعُ السقامِ قرينى

(١) فى نسخة «بذى المجادة» وفى أخرى «بذى المجادة» وأبنة الفلاة : الناقة (م)

وقال :

أَكَاتِمُ لَوَاعَتِ الْهَوَىٰ وَيُبَيِّنُهَا تَحُلُّ مَاءَ الشَّوْقِ بَيْنَ جُفُونِي
ومطروفة الإنسان في كل لوعة لها نظرة موصولة بَحْنين
[من آداب آل وهب]

وقال الحسن بن وهب بن سعيد :

أَبْكُ فَمِنْ أَحْسَنِ مَا فِي الْبَكْيِ أَنَّ الْبَكْيَ لِلْوَجْدِ تَحْلِيلُ
وهو إذا أنت تأملتَهُ حزن على الخدين محلول
وقد أعرق بنو وهب في الكتابة وأنجبوا ، ولهم في هذا الكتاب ما يشهد
لهم بما نسب إليهم ، وفيهم يقول الطائي :

كل شعب كنتم به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أديب^(١)
إن قلبي لكم كالكبِدِ الْحَرَّى وقفاي لغيركم كالقلوبِ

وفي هذه القصيدة يقول في مدح سليمان بن وهب :

مَا عَلَى الْوُسْجِ الرَّوَاتِكِ مِنْ عَيْبٍ إِذَا مَا أَتَتْ أَبَا أَيُّوبَ
حَوْلَ لَا فَعَالَهُ مَرْتَعُ الدَّمِّ وَلَا عَرَضُهُ مَنَاخُ الْعُيُوبِ
واجد بالصدق من برحاء الشَّوقِ وجدانَ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ
أَخَذَ سُلَيْمَانُ مِنْهُ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ الْآخِرِ ، فَقَالَ فِي رِسَالَةٍ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ :
ظَرَفُ الصَّدَاقَةِ ، أَرْقُ مِنْ ظَرْفِ الْعِلَاقَةِ ، وَالنَّفْسُ بِالصَّدِيقِ ، آنَسَ مِنْهَا
بِالْعَشِيقِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو تَمَامٍ : كَلَامُكَ هَذَا أَرْقُ مِنْ شَعْرِي .

والحسن بن وهب حسن الشعر والبلاغة ، جيد اللسان ، حلو البيان ، وكان
يحب بنان جارية محمد بن حماد ، وله فيها شعر جيد ، ولها يقول :

(١) أصل هذا هو قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو سلك الناس

شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكك شعب الأنصار » (م)

(٢) الوسج : جمع واسجة ، وهي الناقة السريعة السير ، والرواتك : جمع

راتكة وهي متقاربة الخطو (م)

أقول وقد حاولتُ تقبيلَ كفِّها وبى رعدةً أهتزُّ منها وأسكن
ليهنئك أتي أشجعُ الناسِ كلِّهم لدى الحربِ إلا أننى عنك أخبئُ
وحضرتُ مجلسه وبين يديه نارُ فامرتُ بإزالتها ، فقال :

بأبى كرهتُ النارَ حتى أبعدتُ فعلتُ ما بمعناكِ فى إبعادها
هى ضرةٌ لكِ فى التِّماعِ ضيائها وهبوبِ نَفْحَتِها لدى إيقادها
وأرى صميمك فى القلوبِ صنيعةً بسمائها وأراكها وعِزِّادها^(١)
شركتكِ فى كلِّ الأمورِ بفعلها وضيائها وصلاحيها وفسادها
وإلى هذا ينظر قول الأمير تميم بن العز :

ما هجرتُ المدامَ والوردَ والبِد رَ بطونِ ، لكن برغمٍ وكرهٍ
منعتنى من الثـلاثةِ مَنْ لَوْ قتلتنى لم أحكِ واللهِ مَنْ هِى
قالت الوردُ والندامةُ والبِد رُ ضيائى ولونُ خدى ووجهى
قلت بخلاً بكلِّ شىءٍ فقالت لا ولكن بختِ بى وبِشْبِهى
قلت يا أيتنى شبيهُكِ قالت إنما يقتل الحبَّ التَّشْبِهُى
ولما مات الحسينُ بن وهب - وكان موته بالشام - عَزَى عنه أخوه سليمان
فجاء أبو العيناء ، فقال : أنشدنى أبو سعيد الأصمعى :

لعمرى لننعمَ انره من آل جعفر بجوران أُنسى أعلقتَه الحبائلُ
لقد فقدوا عَزْماً وحزماً وسودداً وعِلماً أصـيلاً خالفتَه المجاهِلُ
فإن عِشتُ لم أملل حياتى وإن تمت فما فى حياتى بعد موْتِكَ طائلُ
فقال سليمان : أحسن اللهُ جزاءك ، ووصل إخاءك ، إن هذا من أحسن
الشعر ، وقد تمثل به قتيبة حين بلغه موتُ الحجاج ، ولكنى أقول كما قال كعب
ابن سعد الغنوى يرثى أخاه أبا الخوار :

(١) السيال - بزة السحاب - شجر سبط الأغصان ، والأراك : الشجر الذى
تتخذ من أغصانه المساويك ، والعراد : شجر صلب ، واحدته عرادة .

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرَعَ عِنْدَ الْقَاءِ هَيُوبُ
 حَلِيمٌ إِذَا مَا سَوْرَةَ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ حُبِّي الشَّيْبُ ، لِلنَّفْسِ الْأَجُوجِ غَلُوبُ
 حَبِيبٌ إِلَى الزَّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ جَمِيلٌ الْحَيَا شَبٌّ وَهُوَ أَرِيبُ
 إِذَا مَا تَرَاةَ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا فَلَمْ تُنْطَقِ الْعَوْرَاهُ وَهُوَ قَرِيبُ

فانصرف الناس يعجبون من علم سليمان ، وحسن جوابه ، وصحة تمثله .
 والأبيات التي أشدها الأصمعي للحطيئة ، واسمه جرّول بن أوس بن جويّة
 ابن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيفة بن عبّس بن بغيض ، يقولها في علقمة
 ابن عُلاّثة وفيها يقول :

فَمَا كَانَ يَبْنِي لَوْ لَقَيْتُكَ سَالِمًا وَبَيْنَ الْغَنَى إِلَّا لِيَالٍ قَلَالٍ

قال سليمان بن وهب : لما جار علينا بالنكبة السلطان ، وجفاناً من أجلها
 الإخوان ، أنصفنا ابن أبي دُوَادَ بتطوُّله ، وكفانا الحاجة إليهم بتفضله ، فكنا
 وإياه كما قال الحطيئة :

جَاوَرْتُ آلَ مَقْلَدٍ فَحَمِدْتُهُمْ إِذَا لَا يَكَادُ أَخُو جَوَارٍ يُحْمَدُ
 أَيَّامَ مَنْ يُرَدُّ الصَّنِيعَةُ يَصْطَنِعُ فِينَا ، وَمَنْ يُرَدُّ الزَّهَادَةُ يَزْهَدُ
 وله فصل إلى بعض إخوانه :

لَكَ أَنْ تَعْتَبَ ، وَشَبِيهَكَ أَنْ يَعْذَرَ ؛ فَهَبْ أَقْلَ الْأَمْرَيْنِ لِأَكْثَرِهَا ، وَقَدِّمْ
 فَضْلَكَ عَلَى حَقِّكَ ، وَبَقِيْنِكَ عَلَى شَكِّكَ .

ووصف رجلاً بليغاً فقال : كَانَ وَاللَّهِ وَاسِعَ الْمَنْطِقِ ، جَزَلَ الْأَلْفَاظِ ، لَيْسَ
 بِالْهَذِرِ فِي لَفْظِهِ ، [وَلَا الْمَظْلَمُ فِي مَقْصَدِهِ ؛ مَعْنَاهُ إِلَى الْقَلَمِ أَسْرَعَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى السَّمْعِ] .
 وهذا ضدّ قول محمد بن عبد الملك الزيات في عبید الله بن يحيى بن خاقان :
 هُوَ مَهْزُولُ الْأَلْفَاظِ ، غَلِيظُ الْمَعَانِي ، سَخِيفُ الْعُقُلِ ، ضَعِيفُ الْعَقْدَةِ ، وَاهِيُ
 الْعَزْمِ ، مَأْفُونُ الرَّأْيِ

ألفاظ لأهل العصر في ذم الكتاب والكتّاب والنثر والشعر

الخرسُ أحسنُ من كلامه ، والعَيّ أبغُ من بيانه ، حاطره يَنْبُو ، وقلمه يَكْبُو ، ويسهو ويغلط ، ويخطئ ويُسْقِط . هو قصير باع الكتابة ، قاصِر سَعَى الخطابة ، وكتبه مضطربة الألفاظ ، متفاوتة الأبعاد ، منتشرة الأوضاع ، متباينة الأغراض . الجلمُ أولى بكفه من القلم ، والطَّاسُ أليقُ بها من القرطاس . - كلامٌ تنبو عن قبوله الطباع ، وتتجافى عن استماعه الأسماع . ألفاظٌ تنبو عنها الأذان فتمجّجها ، وتنكرها الطباع فتزجّجها . كلام لا يرفعُ الطبعُ له حجاباً ، ولا يفتحُ السمعُ له باباً . كلام يصدى ^(١) الرّيان ، ويصدى الأفهام والأذهان . كلام قد تعمل فيه حتى تبذل ، وتكلف حتى تعسف . طبع جاسٍ ، ولفظ قاسٍ ، لامساغ له في سَمْع ، ولا وصول له مع خلود زرع . كلام لا الروية ضربت فيه بسهم ، ولا الفكرة جالت فيه بقدح . كلام تتعثرُ في حزوته ، وتتحيّرُ الأفهامُ من غورته . كلمات ضعيفة الإلتقان ، قليلة الأعيان ، مضمحلة على الامتحان . ألفاظ تستعارُ من الدياجي ، ومعانٍ تقدرُ من الأثافي . كلام بمثنه بنسلي الآخرس عن كلمه ، ويفرح الأصم بصممه ، أثقل من الجندل ، وأمرّ من الحنظل ، هو هذيان الحموم ، وسوداء الموم . كلام رث ، ومعنى غث ، لا طائل فيهما ، ولا طلاوة عليهما . أبيات ليست من محكم الشعر وحكمه ، ولا من أحجال الكلام وغرره . شعر ضعيف الصنعة ردى الصيغة بغيبض الصفة [وقد جمع بين إقواء ^(٢) وإبطاء ، وإبطاء وإخطاء . ما قطع في شعره شفرة] ولا سقى قطرة . لو شعر بالنقص ، ما شعر .

(١) الصدى : العطش ، وأصداء : أعطشه ، ولربان : المقتلى - ريا (م) .

(٢) الإقواء والإبطاء : ضربان من عيوب القافية ، فالإقواء : هو تغير حركات

الروى ، والإبطاء : إعادة كلمة الروى افظاً ومعنى (م)

لا يميز بين خبيث القول وطيبه ، ولا يفرق بين بكره وثيبه . هو باردُ العبارة ، ثقيل الاستعارة . هو من بين الشعراء منبوذ بالعرءاء . لم يلبس شعره حلّة الطلاوة . له شعر لا يطيب دَرَسه ، ولا يخف سرّده ، وخطُّ مضطرب الحروف ، متضاعف التضعيف والتحريف . خطُّ يُقْذَى العين ويُسْحَى الصدر . خط منحنٍ ، كأنه أرجل البطّ ، وأنامل السرطان ، على الحيطان . قلمه لا يستجيب بريّه ، ومداده لا يساعد جريّه . قلمه كالولد العاق ، والأخ المشاق ، إذا أدْرَته استطال ، وإذا قوّمته مال ، وإذا بعثته وقف ، وإذا وقفته انحرف . قلم مائل الشق ، مضطرب المشق ، متفاوت [التبرى ، معدوم الجزى ، محرف القط . قلم لم يُقَلِّمْ ظفره فهو] يَخْدش القِرطاس ، وينقش الأَنْقاس ^(١) ، ويأخذ بالأنفاس . قلم لا يُبْعَث إذا بعثته ، ولا يقف إذا وقفته . قد وقف اضطرابُ [بريّه ، دون استمرار] جريّه ، واقتطع تفاوت قطه ، عن تجويد خطه .

[وصف الكلام]

وصف كلام
العرب لثبة
ابن أبي سفيان ذكر عتبة بن أبي سفيان كلام العرب فقال : إن للعرب كلاماً هو أرق من الهواء ، وأعذب من الماء ، مرق من أفواههم مُروق السهام من قسيها ، بكلمات مؤتلفات ، إن قُسرَت بغيرها عطّلت ، وإن بدلت بسواها من الكلام استصعبت ؛ فسهولة ألفاظهم توهّمك أنها ممكنة إذا سمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت . هم اللطيف فهمهم ، النافع علمهم ، بلفتهم نزل القرآن ، وبها يدركُ البيان ، وكلُّ نوع من معناه مُبينٌ لما سواه ، والناسُ إلى قولهم يصيرون ، وبهداهم يأتون ، أكثر الناس أحلاماً ، وأكرمهم أخلاقاً .
وكان يقال : خير الكلام المُطامع الممتنع .

(١) الأَنْقاس : جمع نقس - بكسر النون وسكون القاف - وهو المداد (الجب) (م) .

وأشد إبراهيم بن العباس الصُّوليُّ لخاله العباس بن الأحنف :

إليك أشكوب ما حلَّ بي من صدِّ هذا العاتب المذنب
إن قال لم يفعل ، وإن سئل لم يبدل ، وإن عُوتب لم يُعتب
صبَّ بعضياني ، ولو قال لي لا تشرب البارد لم أشرب

ثم قال : هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ، الصعب الممتع ، العزيز النظير ، القليل الشبيه ، البعيد مع قرْبه ، الحزن مع سهولته ، فجعل الناس يقولون : هذا الكلام أحسن من الشعر .

وقال أبو العباس الناشئ يصف شعره :

الناشئ ،
يصف شعره

يتحير الشعراء إن سمعوا به في حُسن صنعته وفي تأليفه
فكانه في قرْبه من فهمهم ونكولهم في العجز عن ترصيفه
شجرٌ بدا للعَيْن حُسن نباته ونأى عن الأيدي جنى مقطوفه
فإذا قرنت أبيه بمطيعه وقرنته بعريبه وطريفه
ألفيت معناه يطابق لفظه والنظم منه جليته بلطيفه
فأتاه متيسراً على إحسانه قد نيط منه رزينه بخفيفه
هذبته فجعلته لك باقيا ومنعت صرف الدهر عن تصريفه

وقال الناشئ في فصل من كتابه في الشعر : الشعرُ قيْدُ الكلام ، وعقلُ الآداب ، وسورُ البلاغة ، ومعدنُ البراعة ، ومجالُ الجنان ، ومسرحُ البيان ، وذريعةُ المتوصل ، ووسيلةُ المتوصل ، وذمامُ الغريب ، وحرمةُ الأديب ، وعِصمةُ الهارب ، وعدةُ الراهب ، ورحلةُ الدَّاني ، ودَوْحةُ المتمثل ، وروحةُ المتحمّل ، وحاكمُ الإعراب ، وشاهدُ الصواب .

وقال في هذا الكتاب : الشعرُ ما كان سهلاً المطالع ، فصل المقاطع ، فخل

الديح ، جَزَلُ الافتخار ، شَجَى النسيب ، فَيْكِهِ الغزل ، سَأَرَ المثل ، سليم الزلل ،
 عديم الخلل ، رائع الهجاء ، موجب المذرة ، مُحَبِّبُ المقتبة ، مُطْمِئِنِّعُ المسالك ،
 فائت المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعاني ، نَأَى الأغوار ، ضاحي القرار ، نقي
 المستشف ، قد هُرِيقَ فيه ماء الفصاحة ، وأضاء له نور الزجاجة ، فانهل في صادي
 الفهم ، وأضاء في بهيم الرأي . لتأمله ترقق ، ولستشفه تألق ، يروق المتوسم ،
 ويسر المترسم ؛ قد أبدت صدوره مُتُونُهُ ، وزهت في وجوهه عيونه ، وانقادت
 كواوله لهواديهِ ، وطابقت [ألفاظه معانيهِ ، وخالفت أجناسه مبانيهِ ، فاطرد
 لتصفحه ، وأنار] لمستوضحه ، وأشبه الروض في وَشَى ألوانهِ ، وتعمم أفنانهِ ،
 وإشراق نواره ، وابتهاج أنجاده بأغواره ؛ وأشبه الوشى في اتفاق رُقُومِهِ ، واتساق
 رُسُومِهِ ، وتسطير كفوفهِ ، وتحبير فُوفهِ ؛ وحكى العقد في الثام فُصولهِ ، وانتظام
 وُصولهِ ، وازديان ياقوته بَدْرِهِ ، وفريده بشَدْرِهِ ، فلوا كتف الإيجاز موارده ،
 وصقلت مدَاوِسُ الدربة مناصله ، وشحذت مدارس الأدب فياصِلُهُ ، جاء سليماً
 من المعاييب ، مهذباً من الأدناس ، تتحاشاه الأبن ، وتتخاماه الهجن ، مُهْدِياً إلى
 الأسماع بهنجته ، وإلى العقول حِكْمَتِهِ .

لَمُؤَلَّفٍ فِي
الشعر

وقد قلت في الشعر قولاً جعلته مثلاً لقائليه ، وأسلوباً لسالكيه ، وهو :

الشعر ما قومت زَيْغَ صدوره وشددت بالتهذيب أسْرَ مُتُونِهِ
 ورأبت بالإطباب شَعْبَ صدوعه وفتحت بالإيجاز غور عُيُونِهِ
 وجمعت بين قريبه وبعيده ووصلت بين مجمه ومَعِينِهِ
 وعقدت منه لكل أمر يقتضى شهباً به فقرنته بقَرِينِهِ
 فإذا بكيت به الديار وأهلها أَجْرَيْتَ للمحزون ماء شُؤْنِهِ
 ووكلته بهمومه وغمومه دهرأ فلم يسر الكرى بجفونه

وإذا مدحت به جواداً ماجداً وقضيت به بالشكر حق دونه
أصفيته بنفسه ورصينه ومنحته بخطيره وغمينه
فيكون جزلاً في اتفاق صنوفه ويكون سهلاً في اتساق فنونه
وإذا أردت كناية عن ريبية باينت بين ظهوره وبطلونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه ببيانه وظنونه بيقينه
وإذا عتبت على أخ في زلة أدمجت شدته له في لينه
فتركته مستأنساً له مائة مستئساً لو عونه وحزونه
وإذا نبذت إلى التي علقتها إن صار منك بغفات شتونه
تيمناً بلطفه ورققه وشغفتها بخفيته وكينه
وإذا اعتذرت إلى أخ في زلة واشكت بين محيله وميئه
فيجور ذنبك عند من يعتده عتبا عليك مطالباً بيمينه
والقول يحسن منه في منشوره مالمس يحسن منه في مؤزونه

وقال الخليل بن أحمد : الشعراء أمراء الكلام ، بصرفونه أنى شاءوا ؛ للخليل بن أحمد
في الشعراء وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم : من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريح اللفظ
وتعقيده ، ومدّ مقصوره ، وقصر ممدوده ، والجمع بين لغاته ، والتفريق
بين صفاته

وقال : الشعر حلية اللسان ، ومدرجة البيان ، ونظام الكلام ، مقسوم
غير محذور ، ومشارك غير محصور ، إلا أنه في العرب جوهري ، وفي
العجم صناعي .

قال أعرابي لشاعر من أبناء الفرس : الشعر للعرب ، فكل من يقول
الشعر منكم فإنما نزا على أمه رجل منا ! فقال الفارسي : وكذلك من لا يقول
الشعر منكم ، فإنما نزا على أمه رجل منا !

بين أعرابي
وفارسي

لعمار بن عقيل
وللجاحظ

وقال عمار بن عقيل : أجود الشعر ما كان أَمْلَسُ المتون ، كثيرَ العيون ،
لا يَمِجُّهُ السمع ، ولا يَسْتَأْذِنُ على القلب . وأنشد الجاحظ شعرَ أبي العتاهية فلم
يَرْضَهُ ، وقال : هو أَمْلَسُ المتون ، ليس له عيـونٌ . كأنه وعماره تجاذبا
كلاماً واحداً .

وقال ابن عقيل : الشعرُ بضاعةٌ من بضائع العرب ، ودليلٌ مِنْ أدلَّةِ
الأدب ، وأثارةٌ من أثارات الحسب . ولن يهزَّ الشعرُ إلا الكريمَ المَخْدِ ،
الكثيرَ السوداء ، الكلفُ بِذِكْرِ اليومِ والغد .

لبشار وقد
مدح المهدي
فلم يحزه

ومدح بشار المهدي فلم يُعطِه شيئاً ، فقيل له : لم تُجِدْ في مدحه . فقال :
لا والله ، لقد مدحته بشعرٍ لو قلت مثله في الدهر لما خيف صرْفُه على حرٍّ ،
ولكني أَكْذِبُ في العمل ، فأَكْذِبُ في الأمل .

نظمه الناجم فقال :

ولى في أحمدٍ أملٌ بعيدٌ ومدحٌ حين أنشده طريفُ
مدائحٍ لو مدحتُ بها الليالي لما دارتْ على لها صروف

خالد بن صفوان
يصف جريراً
والفرزدق
والأخطل

قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان : صِفْ لى جريراً والفرزدق والأخطل ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، أما أعظمهم فخرًا ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عُدراً ،
وأسيَرُهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم عِللاً ، البحر الطامى إذا زَخَرَ ، والهامى
إذا ذعر ، والسامى إذا خطر ، [الذى إذا هدر جال ، وإذا خطر صال ، الفصيح
اللسان ، الطويل العنان ، فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم
فوتاً ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رَفَعَ ، فالأخطل . وأما أغزَرُهم بحراً ،
وأرقهم شعراً ، وأكثرهم ذكراً ، الأغرُّ الأبلق ، الذى إن طَلَب لم يُسَبَق ، وإن
طُلب لم يُلْحَق ، فجرير . وكلهم ذكى الفؤاد ، رفيع العباد ، وارى الزناد .

قال مسامة بن عبد الملك ، وكان حاضراً : ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان فى الأولين
ولا فى الآخرين ، أشهدُ أنك أحسنهم وصفاً ، وأليَنهم عِطفاً ، وأخفهم مقالا ،

وأكرمهم فعلاً . فقال خالد : أتم الله عليك نعمه ، وأجزل لك قسمه . أنت والله أيها الأمير - ما علمت - كريم الغراس ، عالم بالناس ، جواد في الخل ، بسام عند البذل ، حلیم عند الطيش ، في الذروة من قریش ، من أشرف عبد شمس ، وبومك خير من الأمس .

فضحك هشام وقال : ما رأيت مثلك يا بن صفوان لتخلصك في مدح هؤلاء ، ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم .

بين العجاج
وعبد الملك
بن مروان

ودخل العجاج على عبد الملك بن مروان فقال له : بلغني أنك لا تحسن الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ قَدَّرَ على تشييد الأبنية ، أمكنه خراب الأبنية ، قال : ما يمنعك من ذلك ؟ قال : إن لنا عزاً يمنعنا من أن نُظلم ، وحلماً يمنعنا من أن نَظلم ، قال : لكلماتك أحسن من شعرك ! فما العز الذي يمنعك أن تظلم ؟ قال : الأدب [البارع ، والفهم الناصع . قال : فما الحلم الذي يمنعك من أن تظلم ؟ قال : الأدب] المستطرف ، والطبع التآلد ، قال : لقد أصبحت حكماً . قال : وما يمنعني من ذلك وأنا نجي أمير المؤمنين ؟

قال أبو إسحاق : وليس كما قال العجاج ، بل لكثير من الشعراء طباع تذبُّو عن الهجاء كالطائي وأضرابه ، وأصحاب المطبوع أقدر عليه من أهل المصنوع ، إذ كان الهجو كالنادرة التي إذا جرت على سجيئة قائلها ، وقربت من يد متناولها ، وكان واسع العطن ، كثير الفطن ، قريب القلب من اللسان ، التهمت بنار الإحسان .

المقامة القريضية
من مقامات
البيديع يصف
الشعراء

ومما ينحُو هذا النحو من مقامات أبي الفتح الإسكندري إنشاء بديع الزمان قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : طرحتني النوى مطارحاً ، حتى إذا وطئت جرجان الأقصى ، فاستظهرت على الأيام بضيايح أجلت فيها يد العمارة ، وأموال وقفها على التجارة ، وحانوت جعلته مثابة ^(١) ، ورُققة اتخذتهم صحابة ، وجعلت للدار حاشيتي النهار ، والحانوت ما بينهما ؛ فجلسنا يوماً ننذاكر الشعر والشعراء ،

(١) الحانوت : دكان الحمار ، ومثابة : مكان يرجع إليه كلما أراد .

وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد ، يُنصت وكأنه يفهم ، ويسكت وكأنه لا يعلم ،
حتى إذا مال الكلامُ بنا مئيله ، وجَرَ الجدَلُ فينا ذيله . قال : أصبتم عذيقه ^(١) ،
ووافيتم جُذيله ، ولو شئتُ للفظت [فأفضت] ، وو أردت لسردت ، ولجلت الحقُّ
في معرض بيان يُسمعُ الصم ، ويُنزلُ العُصم . فقلت : يا فاضل ، أدنُ فقد منيت ،
وهات فقد أثنيت ، فدنا وقال : سلوني أجيبكم ، واستمعوا أعجبكم .

قلنا : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها ،
واغتدى والطيرُ في وكُناتها ، ووصف الخيلَ بصفاتها ، ولم يقل الشعرَ كاسباً ،
ولم يجد القولَ راغباً ، ففضل من تنقَّ للجميله لسانه ، وانتجع للرغبة بنائه .
قلنا : وما تقول في النابغة ؟ قال : ينسب إذا عَشِق ، ويثْلُبُ إذا حَنَق ،
ويمدح إذا رَغِب ، ويعتذر إذا رَهَب ، فلا يرمى إلا صائباً .

قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافي
ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرارُ دفائنه ، ولم تطلق عتاق خزائنه .
قلنا : فما تقول [في زهير ؟ قال : يُذيب الشعرَ والشعرُ يذيبه ، ويدعو القولَ
والسَّخَرُ يُجيبه .

قلنا : فما تقول [في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جرير أرق شعراً ،
وأغزر غزراً ، والفرزدق أمتنُ صخراً ، وأكثرُ فخراً ، وجرير أوجع هَجْواً ،
وأشرف يوماً ، والفرزدق أكثرُ رَوْماً ، وأكثرُ قوماً ، وجرير إذا نسب أشجى ،
وإذا ثَلَبَ أرْدَى ، وإذا مدح أَسْنَى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى ، وإذا وصف
أوفى ، وإذا احتقر أزرى .

قلنا : فما تقول في الحداثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون
أشرفُ لفظاً ، وأكثرُ في المعاني حظاً ، والمتأخرون أَلطفُ صنْماً ،
وأرقُ نسْجاً .

(١) عذيقه : مصغر عذق - بالكسر - وأصله النخلة يحملها

قلنا: فلو أريت من أشعارك، ورويت من أخبارك، قال: خذهما في معرض واحد، وأنشد:

أَمَا تَرَوْنِي أَنْغَشِي طِمْرًا مُلْتَحِفًا فِي الضَّرِّ أَمْرًا إِمْرًا
مُنْطَوِيًا عَلَى الْيَلْبِ إِلَى غَمْرًا مَلَا قِيًّا مِنْهَا صُرُوفًا خُمْرًا
أَقْصَى أَمَانِي طُلُوعُ الشَّعْرَى فَقَدْ عُنِينَا بِالْأَمَانِي دَهْرًا
وَكَانَ هَذَا الْحُرُّ أَعْلَى قَدْرًا وَمَاءُ هَذَا الْوَحْيِ أَعْلَى سِعْرًا
ضَرَبْتُ لِلْسُرُورِ قِبَابًا خُضْرًا فِي دَارِ دَارًا وَإِوَانِ كِسْرَى
فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنِ ظَهْرًا وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرًا
لَمْ يُبْقِ مِنْ وَفْرِي إِلَّا ذِكْرًا ثُمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلُمَّ جَرًا
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسُرٍّ مَنْ رَا وَأَفْرَخَ دُونَ جِبَالِ بَصْرَى
قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ شَرًّا قَتَلْتُ يَا سَادَةَ نَفْسِي صَبْرًا!

قال عيسى بن هشام: فقلتُ ما تاح^(١)، وأعرض عني فراح، وجعلتُ أنفيه وأثبتته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دلتني عليه ثناياه، فقلت: الإسكندري والله! فلقد كان فارقتنا خشفًا، ووافانا جلفًا^(٢)، ونهضتُ على إثره، ثم قبضتُ على خصره، وقالت: ألسنتُ أبا الفتح؟ ألم تكن فينا وليدا، ولبت فينا من عُمرِكَ سنين؟ فأى عجزٍ لك بسرٍّ من رأى؟ فضحك وقال:

ويحك هذا الزمانُ زورُ فلا يفرَّتْكَ الغُرُورُ
غرقٌ وبرقٌ وكلٌ وطرقُ وأسرقُ وطلِّيقُ لمن تزورُ
لا تلزم حَالَةً وَلَكِنْ دُرٌّ لِي إِلَى كَمَا تَدُورُ

(١) نلته: أعطيته، وماتاح: ما تهيأ وكان خاضراً عندى (م).

(٢) الحشف - بالكسر - ولد الظبية، والجلف: الغليظ الجافى (م).

ومن إنشائه مقامة ولدها على لسان عصمة وذى الرمة قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا نحن في مجتمع لنا ومعنا يومئذ رجلٌ العرب حِفْظًا ورِوَايةً عِصْمة ابن بَدْرَ الفَزَارِي ، فَأَفْضَى الكلامُ إلى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْها ، أو أَعْرَضَ عَنْهُ خَصْمُهُ احتقارًا ، حتى ذكر الصَّلَتَانِ العَبْدِيُّ واللَّعِينُ المنقري ، وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما . فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عيني ، ولا أحدثكم عن غيري : بينا أنا أسيرُ في بلاد تميم مرتحلاً نجيبية ، وقائداً جَنِيبية ، عَنِّي رَاكِبٌ عَلَى أَوْرَقِ جَعْدِ اللُّغَامِ^(١) ، فاجتاز بي رافعاً صَوْتَهُ بِالسَّلام . فقلت : مَنْ الرَّاكِبُ الجَهِيرُ الكلام ، الْحَيِّيُّ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَام ؟ فقال : أَنَا غَيْلَانُ ابنُ عُقْبَةَ . فقلت : مرحباً بِالكَرِيمِ حَسَبُهُ ، الشَّهِيرِ نَسَبُهُ ، السَّائِرِ مَنْطِقُهُ . فقال : رَحْبٌ وَادِيكَ ، وَعَزٌّ نَادِيكَ ، فَمَنْ أَنْتَ ؟ قلت : عَصْمَةُ بِنُ بَدْرِ الْفَزَارِي . فقال : حِيَاكَ اللَّهُ ، نَعَمْ الصَّدِيقُ ، وَالصَّاحِبُ الرَّفِيقُ . وَسِرْنَا فَلَمَّا هَجَرْنَا قَالَ : أَلَا نَعُورُ^(٢) يَا عَصْمَةُ فَقَدْ صَهَرَتْنَا الشَّمْسُ ؟ فقلت : أَنْتَ وَذَاكَ ، فَمَلْنَا إِلَى شَجَرَاتِ الْأَلَاءِ^(٣) كَأَنَّهُنَّ عِذَارِي مَتَبَرَّجَات ، قَدْ نَشَرْنَ الْغِدَائِرَ ، وَسَرَحْنَ الضَّفَائِرَ ؛ لِأَثَلَاتٍ مَتَنَاوَحَات ؛ فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا ، وَنَلْنَا مِنَ الطَّعَامِ ، وَكَانَ ذُو الرِّمَةِ زَهِيدَ الْأَكْلِ . وَزَالَ كُلُّ مَنَّا إِلَى ظِلِّ أَمْلَةٍ يَرِيدُ الْقَائِلَةَ ، وَاضْطَجَعَ ذُو الرِّمَةِ وَأَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ صَنِيعَهُ ، فَوَلَّيْتُ ظَهْرِي الْأَرْضَ ، وَعَيْنَايَ لَا يَمْلِكُهَا غُمُضٌ ، فَظَنَرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى نَاقَةٍ كَوْمَاءَ ، ضَحِيَّتْ وَغِيِيْطُهَا مُلَقًى^(٤) ، وَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يَكَاوُهَا كَأَنَّهُ عَسِيفٌ أَوْ أَسِيفٌ^(٥) ، فَلَمَّيْتُ عَنْهُمَا ، وَمَا أَنَا وَالسُّؤَالُ عَمَّا

(١) أراد أنه يمتطي جملاً ، والأورق : الذي لونه الورقة وهى يياض وسواد ، وجعد اللغام : كثير الزبد (م) .

(٢) نعور : نقيل (م) . (٣) الألاء - كسحاب - شجر عظيم الظل (م) .

(٤) الكوماء : العظيم سنامها ، وضحييت : أصابها الشمس بحرها (م) .

(٥) العسيف . الأجير ، والأسيف : العبد المملوك (م)

لَا يَعْزِينِي ! ونام ذو الرمة غِرَارًا ، ثم انتبه ، وكان ذلك في أيام مُهَاجَاتِهِ لذلك المَرْتَى . فرفع عقيرته ينشد فيه :

أَمِنْ مَيِّةَ الظَّلَالِ الدَّارِسُ	أَلْظَّ بِهِ الْعَاصِفُ الرَّامِسُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَجِيجُ الْقَذَالِ	وَمُسْتَوْقَدْ مَالِهِ قَابِسُ
وَحَوْضٌ تَنَلَّمَ مِنْ جَانِبِهِ	وَمُخْتَفَلٌ دَائِرُ طَامِسُ
وَعَهْدِي بِهِ وَبِهِ سَكَنُهُ	وَمَيِّةُ وَالِإِنْسِ وَالْآنَسِ
سَتَانِي امْرَأَ الْقَيْسِ مَأْثُورَةٌ	يَغْنَى بِهَا الْعَابِرِ الْجَالِسُ
أَلَمْ تَرَانِ امْرَأَ الْقَيْسِ قَدْ	أَلْظَّ بِهِ دَاوُدُ النَّاجِسُ
هُمْ الْقَوْمُ لَا يَأْلَمُونَ الْهَجَاءَ	وَهَلْ يَأْلَمُ الْحَجَرُ الْيَابِسُ ؟
فَمَا لَهُمْ فِي الْفَلَا رَاكِبُ	وَلَا لَهُمْ فِي الْوَعَى فَارِسُ
إِذَا طَمَحَ النَّاسُ لِلْمَكْرَمَاتِ	فَطَرَفُهُمُ الْمَطْرِقُ النَّاعِسُ
تَعَافُ الْأَكَارِمُ إِصْهَارَهُمْ	فَكُلْ نَسَائِهِمْ عَانِسُ

فلما بلغ هذا البيت جعل ذلك النائم يمسح عينيه ويقول : أذو الرُّمَيَّةَ يمنعني النوم بشعر غير مثقف ولا سائر . فقلت : يا غيلان ، من هذا ؟ فقال : الفرزد ، يعنى الفرزدق ، وحي ذوالرمة :

وَأَمَّا مُجَاشَعٌ الْأَرْذَلُونُ	فَلَمْ يَسْقِ مَيَّتَهُم رَاجِسُ
سَيَقْلُهُمْ عَنْ مَسَاعِي الْكِرَامِ	عِقَلٌ ، وَيُحْدِسُهُمْ حَاسِسُ

فقلت : الآن [يشرق فيثور ، و] يعم الفرزدق هذا وقبيله بالهجاء . فوالله ما زاد على أن قال : قبحاً لك يا ذا الرُّمَيَّةَ ! أتعرض لمثلئ بمنال مُنْتَحِل ! ثم عاد في نومه كأن لم يسمع شيئاً ، وسار ذو الرمة وسيرت ، وإني لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا .

قوله فيما ولد على الفرزدق « بمقال مُنتحل » ، يريد أن البيت الأخير منقول من قول جرير :

ألم تر أن الله أخزى مجاشعاً إذا ما أفاضت في الحديث المجالسُ
وما زال معقولاً عقلاً عن الندى وما زال محبوباً عن المجد حابسُ

عقال: ابن محمد بن [سعيد بن] مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، وهو جد الفرزدق . وحابس: ابن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم ، وهو أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفة قلوبهم .

فقر في الشعر

قيل لابن الزبيري : لم تقصّر أشعارك ؟ فقال : لأنها أغلقت بالمسامع ، وأجول في الحافل .

وقيل ذلك لعقيل بن علفة في أهاجيه ، فقال : يكفيك من القلادة مما أحاط بالعنق .

غيره : لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى تستسلف المطر ، وما ظنك بهوم الاقتصار محمود بلا فيهم ، والكذب مذموم إلا منهم . إياكم والشاعر فإنه يطلب على الكذب مئوبة ، ويقرع جليسه بأدنى زلة .

أبو القاسم صاحب بن عباد : النثر يتطاير ككتطاير الشرر ، والظم يبقى بقاء النّفس في الحجر .

أبو عبيدة : الزحاف في الشعر كالرخصة في الدين ، لا يُقدّم عليها إلا فقيهه . وقال أبو فراس الحمداني :

تناهض الناس للمعاني لَمَّا رَأَوْا نَحْوَهَا نُهْوضِي
تكلفوا المكرمات كذا تكلف الشعر بالعرُوضِ

وقد مدح الجاحظ العروض وذمها ، فقال في مدحها : العروض ميزان ،
ومعارض بها يعرفُ الصحيح من السقيم ، والعليل من السليم ، وعينها مَدَارُ الشعر ،
وبها يسلم من الأودِ والكسر . وقال في ذمها : هو علم مؤلّد ، وأدب مستبّرّد ،
ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستنكر^(١) العقل بمستفعلن وفعلول ، من غير
فائدة ولا محصول .

ومن مفردات الأبيات في هذا المعنى قول دعبيل :

يموتُ رديُّ الشعرِ من قبل أهلهِ وجيّدُهُ يَبْقَى وإن مات قائلُهُ
البحترى :

أعْيَا على ؛ فلا هيّابةَ فَرِقْ يَخْشَى الهِجَاءَ ، ولا هَشَّ فَيَمْتَدَحْ
آخر :

[و] مما يَقْتُلُ الشعراءَ غَمًّا عداوةٌ من يُغَالٍ عن الهِجَاءِ
أحمد بن أبي فَنَنْ :

وإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ باللُّؤْمِ شاعرٌ يَلُومُ على البخلِ اللثامَ ، وَيَبْخُلُ
وهذا كقول علي بن العباس الرومي في أبي الفياض سَوَّار بن أبي شراعة ،
وكان سَوَّار شاعراً مجيداً :

يا مَنْ صنّاعته الدِّعَاءُ إلى العُلا ناقَضَتْ في فِعْليكَ أَى نِقَاضِ
عجباً لِحِصَّاضِ الكِرَامِ على الذّى هو فيه محتاجٌ إلى حِصَّاضِ
وصَفَّ المكارِمِ وهوَ فيها زاهِدٌ ورأى الجميلَ وفيه عنه تَقَاضِ
لم ألقَ كالشعراءِ أكثرَ حارِضاً واشدَّ مَعْتَبَةً على الحَرَّاضِ^(٢)

(١) في نسخة « يستكد العقل بمستفعلن » وهي خير مما أثبتناه .

(٢) الحارِض : الكثير المصوم .

كم فيهم من أمرٍ برشيدةٍ لم يأتها ، ومرغبٍ رفاضٍ
يا حسرتي لمودّةٍ أديبةٍ لم تفرق عنها افتراقَ ترّاضٍ
ليس العتابُ بِنافعٍ في قاطعٍ أغيا المشيبُ تنبّاعٍ للمقراضِ

ثم قال بعد هذا التبكيت والعتاب ما منعه أن يتوّهم أنه هجاء :

ولمّا هجوتك ، بل وعظمتك إنّي لا أجعلُ الأعراضَ كالأغراضِ^(١)
فاكفُفِ مهامك عن أخيك فإنما آسفته ، فرماك بالمعراضِ
فمتى حلت ووجدت أحنفَ دهره ومتى جهلتُ مُنيتَ بالبراضِ
فأعذر أخاك على الوعيد ؛ فإنما أنذرت قبل الرميّ بالإنباضِ
[واعلم وقيت الجهل أن خسارة بطرُ الغنى ومذلة الإبعاض]
ثم هجاء بقوله :

وما تكلمت إلا قلت فاحشةً كأن فكّيك للأغراضِ مقرّاضُ
مهما تقل فيسهاّم منك مرّسلةً وفؤوك قوسك والأعراضِ أغراضُ^(٢)
وابن الرومي هذا كما قال مسلم بن الوليد الأنصاري في الحكم بن قنبر المازني :
عابني من معائب هُنَّ فيه حكم فاشتفي بها من هجاني
وكما قال الآخر :

ويأخذ عيبَ الناس من عيبِ نفسه مُرادٌ لعمري ما أرادَ قريبُ

[الأحنف بن قيس]

وروي عيسى بن دأب قال : أوّل ما عرف الأحنف بن قيس وقُدّم أنه وفد على
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان أحدثَ القوم سناً ، وأقبحهم منظرأً ، فتكلم كل

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو — بالنحريك — ما يجعله الراعي هدفاً
يقصد برميّه إليه .

رجل من الوَفْدِ بِحاجته في خاصته ، والأحنف سَاكِتٌ ، فقال له عمر : قل يافتي !
 فقام فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ العرب نزلت بمساكن طيبة ، ذات ثمار وأنهار
 عَذَاب ، وأَكَنَّة ظليلة^(١) ، ومواضع فسيحة ، وإنا نزلنا بِسَبِيحَةِ نَشَاشَةٍ ، مأوَّهاً
 مِلْحٍ ، وأفنيتها ضيقة ، وإِنَّمَا يَأْتِينَا الْمَاءُ فِي مِثْلِ حَلَقِ النِّعَامَةِ فَلَا تَدْرِكُنَا يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ بِحَقَرِ نَهْرٍ يَفْزِرُ مَأْوَهُ ، حَتَّى تَأْتِيَ الْأَمَّةُ فَتَغْرِفَ بِجَرَّتِهَا وَإِنَّا نَهَا أَوْشَكَ أَنْ
 نَهْلِكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : تَزِيدُ فِي صَاعِنَا وَمُدَّنَا ، وَتَثْبِتُ مِنْ تَلَّاحِقٍ فِي الْعَطَاءِ مِنْ
 ذَرِيقَتِنَا . قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : تَخَفُّفٍ عَنْ ضَعِيفِنَا ، وَتَنْصَفِ قَوَيْنَا ، وَتَتَعَاهَدُ نَعُورِنَا ،
 وَتَجْهَزُ بَعَثِنَا ، قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : إِلَى هَاهُنَا انْتَهَى الْمَطَالِبُ ، وَوَقَفَ الْكَلَامُ .
 قَالَ : أَنْتَ رَئِيسُ وَفْدِكَ ، وَخَطِيبُ مِصْرِكَ ، قُمْ عَنْ مَوْضِعِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ .
 فَأَدْنَاهُ حَتَّى أَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ نَسَبِهِ ، فَانْتَسَبَ لَهُ ، فَقَالَ : أَنْتَ سَيِّدُ
 تَمِيمٍ ، فَبَقِيتَ لَهُ السِّيَادَةُ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وهو الأحنف ، واسمُه الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَصِينٍ بْنِ حِصْنٍ نَسَبُ الْأَحْنَفِ
 ابْنِ عِبَادَةَ بْنِ النَّزَالِ بْنِ مَرَّةَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ مِقَاعٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ بْنِ [سَجْدِ بْنِ]
 زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ

وقال بعض بني تميم : حَضَرْتُ مَجْلِسَ الْأَحْنَفِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ مَجْتَمِعُونَ لَهُ فِي
 أَمْرِ لَهُمْ ، لِحَمْدِ اللَّهِ وَأَمْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْكِرْمَ مَنَعُ الْحَرَمِ ، مَا أَقْرَبَ النِّقْمَةَ
 مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ ، لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ تُعْقِبُ نَدَمًا ، لَمْ يَهْلِكْ مِنْ اقْتِصَادٍ ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ
 مِنْ زَهْدٍ ، رَبُّ هَزْلٍ قَدْ عَادَ جِدًّا ، مِنْ أَمْنِ الزَّمَانِ خَانَهُ ، وَمَنْ تَعَطَّلَ عَلَيْهِ
 أَهَانُهُ ، دَعُوا الْمِرْزَاحَ فَإِنَّهُ يُورَثُ^(٢) الضَّغَائِنَ ، وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْفِعْلُ ، احْتَمَلُوا
 لِمَنْ أَدْلَ عَلَيْكُمْ ، وَاقْبَلُوا عُذْرَ مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ ، أَطِيعْ أَخَاكَ وَإِنْ عَصَاكَ .
 وَصِلْهُ وَإِنْ جَفَاكَ ، أَنْصِفْ مِنْ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْتَصَفَ مِنْكَ ، يَا كُمْ وَمِشَاوَرَةَ

(١) الأكنة : جمع كن ، وهو الستر الواقع من الحر والبرد ، والظليلة : دات الظل (م) .

(٢) يورث الضغائن : يوقدها ، ويشعلها ، ويؤجج نارها ، والمراد أنه ينشئها

ويزيدها (م) .

النساء ، واعلم أن كُفْرَ النِّعَمِ لُومٌ ، وصُخْبَةُ الجَاهِلِ شُومٌ ، ومن الكرم الوفاء ،
بالذِّمِّ ، ما أَقْبَحَ القطيعةَ بعد الصلة ، والجفاء بعد اللطف ، والعداوة بعد الودِّ ،
لا تكونَنَّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البُخلِ أسرع منك إلى
البذل ، واعلم أن لك من دُنْيَاكَ ما أصلحت به مَثْوَاكَ ، فأنفق في حقِّ ،
ولا تكن خازِنًا لغيرك ، وإذا كان الغدُّ موجوداً في الناس فالثقةُ بكلِّ أحدٍ
عَجْزٌ ؛ اغْرِفِ الحقَّ لمن عَرَفَهُ لك ، واعلم أن قطيعةَ الجاهلِ تعَدِلُ صلةَ العاقلِ .
قال : فما سمعتُ كلاماً أبلغَ منه . فقامت وقد حفظته .

كلام للأحنف
في مجلس معاوية

ودخل الأحنف على معاوية ، ويزيدُ بين يديه ، وهو ينظرُ إليه إعجاباً ، فقال :
يا أبا بَحرٍ ، ما تقولُ في الولدِ ؟ فلم ما أراد ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هم عمادُ
ظهورنا ، وثمرُ قلوبنا ، وقرّةُ أعيننا ، بهم نصولُ على أعدائنا ، وهم الخلفُ مِنَّا
بَعْدَنا ، فكن لهم أرضاً ذليلةً ، وسماً ظليلةً ، إن سألوك فأعطهم ، وإن استعَبوك
وأَعْتَبهم^(١) . ولا تَمْنَعهم رِفْدَكَ فيمَلّوا قُرْبَكَ ، ويستثقلوا حَيَاتَكَ ، ويتمنوا وفاتَكَ .
يقال : لله درُّك يا أبا بَحرٍ ، هُم كما قلت !

وزعمت الرواة أنها لم تسمع للأحنف إلا هذين البيتين :

فلو مدَّ سَرَّوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ جُلِدتُ وَكُنْتُ لَهُ بَازِلًا

فإنَّ المروءةَ لا تَسْتَطَاعُ إذا لم يَسْكُنْ مَالُهَا فَاضِلًا

صفة الأحنف

وكان يُبَحِّلُ . وقال لَبْنِي تَمِيمٌ : أُنزِعْهُمُ أَنِي بِخَيْلٍ ! والله إني لأشيرُ بِالرَّأْيِ
قِيمَتُهُ عَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ! فقالوا : تقويمك لرَأْيِكَ بِخُلٍ . وكان الأحنفُ من
الفضلاء الخطباء النَّسَّاك ، وبه يُضْرَبُ المثل في الحِلْمِ

ذكر للنبي
فاستغفر له

وقد ذُكِرَ للنبي صلى الله عليه وسلم فاستغفرَ له ؛ فقد بعث النبي صلى الله عليه
وسلم رجلاً إلى قومه بنِي سَعْدٍ يَعْرِضُ عليهم الإسلام ، فقال الأحنف : إنه يدعوكم

(١) استعَبوك : طلبوا رضاك ، وأَعْتَبهم : أعطاهم الرضا (م)

إلى خَيْرٍ ، ولا أسمعُ إلا حسناً . فذَكَرَ للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم اغفرِ
للأحنف . وكان الأحنفُ يقول : ماشىء أَرْجَى عندي مِنْ ذلك .

من أوصاف
الأحنف

قال عبدُ الملك بن عُمر : قدم إلينا الأحنفُ ، فما رأينا خصلةً تَدُمُ في رجلٍ
إلا رأيناها فيه ، كان أصلع الرأسِ ، متراكب الاسنان ، أشدق ، مائل الذقنِ ،
ناتئُ الوجنتين ، باخق العينين^(١) ، خفيف العارضين ، أحنف الرجلين ، وكانت
العينُ تفتحُهم دَمَامَةً وقلة رُوءاء ، ولكنه إذا تكلم جَلَّى عن نفسه . وهو الذي
خطب بالبصرة حين اختلفت الأحياء ، وتنازعت القبائل ؛ فقال بعد أن حمد الله
وأثنى عليه : يا معشرَ الأزد [وربيعه] ، أتم إخواننا في الدين ، وشركاؤنا في
الصهرِ ، وأكفأؤنا في النسب ، وجيراننا في الدار ، ويدنا على العدو ، والله لأزدُ
البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، [ولأزد الكوفة أحبُّ إلينا من تميم
الشام] ، وفي أموالنا وأحلامنا معة لنا ولكم .

جارية لآل
المهلب تنظر إلى
الأحنف

وقد قام خطباه بالبصرة في هذا اليوم وتكلموا وأسهبوا ، فلما قام الأحنف أصفَت
القبائلُ إليه ، واثالت عليه ، وقال الناس : هذا أبو بَجْرٍ ، هذا خطيب بني تميم ،
وحضر ذلك الجمعُ جارية لآلِ المهلب ، فذهبتُ ترومُ النظرَ إليه ، فاعتاص ذلك
عليها ، فأشرقتُ عليه من دارِها ، فلما رآته والأبصارُ خاشعةٌ لكلامه ، ورأت
دمامةً خلَّقه ، وكثرةَ آفاتِ جوارحه ، قالت : فقَدَتُ هذه الخَلقة ولو افترَّتْ
عن فضلِ الخطاب

الأحنف يجد
على معاوية

وذكر المدائني أَنَّ الأحنفَ بن قيسَ وَفَدَ على معاوية رضى الله عنه مع أهل
العراق ، فخرج الآذِنُ ، فقال : إنَّ أميرَ المؤمنين يعزم عليكم ألاَّ يتكلم أحدٌ
إلا لنفسه . فما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عَزَمَةُ أمير المؤمنين لأخبرته أن
دافَّةً دَفَّتْ ، ومازلةً نَزَلَتْ ، ونابئةً نَبَتَتْ ، كلهم بهم حاجة إلى معروفِ أمير
المؤمنين وبرّه . قال : حسبك يا أبا بحر ، فقد كفيت الشاهدَ والغائب .

(١) البخق في العين : ألا يلتقي جفناها (م)

كلامه معاوية
وقصاراد البيعة
ليزيد

ولما عزم معاوية على البيعة ليزيد كتب إلى زياد أن يوجه إليه وفد أهل العراق ، فبعث إليه وفد البصرة والكوفة ، فتكلم الخطباء في يزيد ، والأحنف ساركت ، فلما فرغوا قال : قل يا أبا بحر ، فإن العيون إليك أشرع منها إلى غيري فقام الأحنف فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنك أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ، وإعلانه وإسراره ، فإن كنت تعلمه الله رضا فلا تشاور فيه أحداً ، ولا تُقيم له الخطباء والشعراء ، وإن كنت تعلم بعده من الله فلا تزوده من الدنيا وترحل أنت إلى الآخرة ؛ فإنك تصير إلى يوم يفر [فيه] المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه . قال : فكانه أفرغ على معاوية ذنوب ماء بارد . فقال له : اقعذ يا أبا بحر ؛ فإن خيرة الله تجري ، وقضاء الله يمضي ، وأحكام الله تنفذ ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه ؛ وإن يزيد فتى قد بلوناه ^(١) ، ولم نجد في قرش فتى هو أجدر بأن يجتمع عليه منه . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت تحكي عن شاهد ، ونحن نتكلم على غائب ، وإذا أراد الله شيئاً كان .

ابن الرومي
يذكر حق
الشاعر على
الكرام

قال ابن الرومي :
إن اسراً رقص المكاسب واغتدى يتعلم الآداب حتى أحكما
فكساً وحلّى كل أروع ماجد من خراً ما حال القريض ونظماً
ثقة برغى الأكرمين حقوقه لأحق ملتبس بالآي مخزماً
قال أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار : ومن نادر شعر أبي الحسن في هذا المعنى قوله ، ووصف إمتاع الشعراء أنفسهم بدوهم في صناعتهم ، وما يتصرم من أعمارهم ، وأن إلحاحهم في طلب ما في أيدي من أسلفوه مديحتهم لو كان رغبة منهم إلى ربهم كان أجدى عليهم ، وأقرب من درك بغيتهم ، ونجح طلبتهم ، ثم انحرف إلى توبيخ من مدحه فخرمه بأحسن عبارة ، وأرضى استعارة ، فقال :

للناس فيما يكلفون مَغَارِمَ عند الكِرَامِ لها قَضَاءُ ذَمَامِ
ومغارم الشعراء في أشعارهم إنفاقُ أعمارٍ وهَجْرُ مَنَامِ
وجفاء لذاتٍ ورفضُ مكاسب لو حُولَتْ حرست من الإعدامِ
وتَشَاغُلٌ عن ذكر ربٍّ لم يَزَلْ حَسَنَ الصَّنَائِعِ سَابِغِ الْإِنْعَامِ^(١)
من لو بخدمته تشاغل معشرُ خدموكم أجدى على الخدامِ
أفما لذلك حُرْمة مرعيّة إنَّ الكرامَ إذا لَفِيزُ كِرَامِ
لم أَحْتَسِبْ فيك الثوابَ بِمِدْحِي إياك يابنَ أكارِمِ الأقوامِ
لو كان شعري حِسْبَةً لم أَكُ أحداً أحقَّ به من الأيتامِ
لا تقبلنَّ المذحَ ثم تعافه فتنام والشعراءُ غيرُ نيامِ
واحذرنَّ معرَّتَهم إذا دَنَسْتَهُمْ فلمهم أشدُّ مَعْرَةَ العُرَامِ
واعلمْ بأنهمُ إذا لم يُنْصَفُوا حكموا لأنفسهم على الأحكامِ
وجناية العادي عليهم تنقضي وعقابُهم يَبْقَى مع الأيامِ
أبو الطيب المتنبي :

وفاة الأحنف
ورثاء امرأة له

ومكايد السفهاء واقعةٌ بهم وعداوةُ الشعراءِ بئسَ المقتنى

مات الأحنف بن قيس بالكوفة ، فمضى مصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء ، وقال : اليوم مات سرُّ العرب ؛ فلما دُفِن قامت امرأة على قبره فقالت : لله درُّك من مُجَنٍّ في جَنٍّ^(٢) ، ومُدْرَج في كَفَنٍ ، نسألُ الذي فجعنا بموتك ، وابتلانا بفقدك ، أن يجعلَ سبيلَ الخيرِ سبيلَكَ ، ودليلَ الرشدِ دليلَكَ ، وأن يوسعَ لك في قبرك ، ويغفرَ لك يومَ حَشْرِكَ ؛ فرائه لقد كنت في المحافل شريفاً ، وعلى الأرامِلِ

(١) سابغ الإنعام : من إضافة الصنعة للموصوف ، والإنعام السابغ : الكثير الوافي (م) . (٢) مجن : م-تور ، والجنن - بالتحريك - القبر ، وجمعه أجنان (م)

عَطُوفًا ، ولقد كنت في الحى مُسَوِّدًا ، وإلى الخليفة مُوفِّدًا ، ولقد كانوا لقولك
مُسْتَمِعِينَ ، ولرايك متبِعِينَ ؛ ثم أقبلت على الناس فقالت : ألا إن أولياء الله في
بلادِهِ ، شهود على عباده ، وإني لقائلةٌ حقًا ، ومثنيةٌ صِدْقًا ، وهو أهلُ الحُسْنِ
النَّاءِ ، وطيب النَّشَأِ^(١) ، أما والذي كنت من أجله في عُدَّةٍ ، ومن الحياة إلى مدَّةٍ ،
ومن المقدار إلى غايةٍ ، ومن الإياب إلى نهايةٍ ، الذى رفع عملك ، لما قَضَى أَجَلَكَ ،
لقد عِشتَ حميداً مودوداً ، ومُتَّ سعيذاً مفقوداً ، ثم انصرفت وهى تقول :
للهِ درك يا أبا بَحرٍ ما ذا تَغَيَّبَ مِنْكَ فى القَبْرِ ؟
للهِ درك أى حَشَوِ ثَرَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُرْفٍ وَمِنْ نُكْرِ
إِنْ كَانَ دَهْرٌ فَيْكَ جَرًّا لَنَا حَدَّثًا بِهِ وَهَمَّتْ قُوَى الصَّبْرِ^(٢)
فَلَكُمْ يَدِ أَسَدِيَّتِهَا وَيَدِ كَانَتْ تَرُدُّ جَرَائِرَ الدَّهْرِ^(٣)
ثم انصرفت فسُئِلَ عنها ، فإذا هى امرأتُه وابنةُ عمه . فقال الناس : ما سمعنا
كلامَ امرأةٍ قطَّ ولا أصدق منه .

قال : وكان الأحنفُ قدم السكوفة في أيام مصعب بن الزبير ، فرآه رجلٌ
أعورَ دميًا قصيرًا أخنَفَ الرجلين ، فقال له : يا أبا بَحرٍ ؛ بأى شىء نأمتَ في الناس
ما أرى ؛ فوالله ما أنتَ بأشرف قومك ، ولا أجودِهِمْ ؟ ! فقال : يا ابن أخى ، بخلاف
ما أنت فيه ! قال : وما هو ؟ قال : تَرَكَى من أمرك ما لا يعنينى ، كما عَنَّاكَ من
أمرى ما لا تتركه .

[منصور النمرى]

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم : مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَحْسِنُ أَنْ يَقُولَ

مثل قول منصور النمرى فى أمير المؤمنين الرشيد :

المعتصم

ومحمد بن وهيب
الشاعر

(١) فى رواية « وطيب الدعاء » (م) (٢) وهنت : ضعفت (م)

(٣) أسديتها : أعطيتها ومنحتها ، والجرائر : جمع جريرة ، وهى الجريمة ،

والخطيئة ، والذنب (م)

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أودية أحلَّكَ اللهُ منها حيثُ تجتمعُ
إذا رفعتُ أمراً فاللهُ رافعُهُ ومن وضعتُ من الأتوام متَّضِعُ
من لم يكن بأمين الله معتصماً فليس بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ
إن أخلف الغيثُ لم تخلفِ أناملُهُ أوضاعُ أمرٍ ذكرناه فیتسعُ

فلیدخل ، فقال محمد بن وهيب : فينا من يقولُ خيراً منه ، وأنشد :

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمرُ
يحكى أفاعيله في كل نائبةٍ الغيثُ والليثُ والصمصامة الذِّكرُ
فأمر بإدخاله وأحسن صلاته .

أخذ معنى البيت الأول من بيتي محمد بن وهيب أبو القاسم محمد بن هانيء
الأندلسي :

المدفنَانِ من البرية كلها قلبي وطرفُ بابلٍ أخورُ^(١)
والمشرقاتُ البيراتُ ثلاثةٌ الشمسُ والقمرُ المنيرُ وجعفرُ
وبيت أبي القاسم [الأول] مأخوذ من قول ابن الرومي :

يا عليلاً جعل العلة مفتاحاً لسقمي
ليس في الأرض عليلٌ غير جفنيك وجسيمي

ومر النمرى بالعتابي مغموماً فقال : ماله ، أعزك الله ؟ فقال : امرأتى بطلقٍ^(٢) منصور النمرى
والعتابي

منذ ثلاث ونحن على يأسٍ منها . فقال له العتابي : وإن دواءها منك أقربُ من
وجهها ، قل : هارون الرشيد ، فإن الولد يخرج ! فقال : شكوت إليك ما بي ،
فأجبتني بهذا ؟ فقال : ما أخذت هذا إلا من قولك :

إن أخلف الغيثُ لم تخلفِ أناملُهُ أوضاعُ أمرٍ ذكرناه فیتسعُ

(١) المدفنَان : مثنى مدنف ، وهو اسم مفعول من «أدنفه الرض» أى أضعفه
والطرف - بالفتح - أراد به العين ، والبابلي : المنسوب إلى بابل ، وهى بلد
السحر ، وهم يصفون عيون الغواني بالفتور . كما يصفونها بأنها تفعل بالأبواب ما لا يفعله
السحر (م) ٦ (٢) كذا ، وأحسب أن أصلها « امرأتى تطلق » أى يأتيها الخاض
وهو وجع الولادة ، ولما فى الأصول وجه (م)

وأبيات منصور بن سَلَمَة بن الزبرقان النمرى التى ذكرها المعتصم من قصيدة
له وهى أحسن ما قيل فى الشيب أوالها :

ما تنقضى حَسْرَةٌ منى ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ
بانَ الشبابِ وفاتَتْنى بغيرته خطوبُ دَهْرٍ وأيامُ لها خُدَعُ^(١)
ما كنتُ أو فى شبابى كُنته غِرَّةً حتى انقضى فإذا الدنيا له تَبَعُ
تعجبتُ أن رأتُ أسرابَ دمعته فى حلبة الخدِّ أجراًها حَشَى وَجِعُ
أصبحتُ لم تطعمى تُكَلِّ الشَّبابَ ولم تَسْجَى بَغُصَّتِهِ فالعذرُ لا يَقَعُ
لا ألحينَ فتاتى غيرَ كاذبةٍ عينَ الكذوبِ فما فى ودِّكم طَمَعُ
ما واجهَ الشيبَ من عَيْبٍ وإنْ ومَقَتُ إلا لها نَبْوَةٌ عنه ومُرْتَدَعُ^(٢)
إنى لمعترفٌ ما فى من أَرَبِ عندَ الحسانِ فما للنفسِ تَنَخُّدُ عِ
قدكدتُ تنقضى على فَوْتِ الشَّبابِ أَسَى لولا تَعزِّيكَ أنَّ الأمرَ مَنقَطِعُ
وذُكِرَ أنَ الرشيدَ لما سمعَ هذا بكى ، وقال : ما خيرَ دنيا لا تخطرَ فيها بريد
الشباب ! وأنشد متمثلاً :

أَتَأْمَلُ رَجَمَةَ الدُّنْيَا سَفَاهَا وقد صارَ الشبابُ إلى ذَهَابِ

فليتِ الباكياتِ بكلِّ أرضٍ مُجِغِنَ لَنَا فَنُحْنَ عَلَى الشَّبابِ

وكان الرشيد يقدم منصوراً النمرى بجودة شعره ، ولما يمت إليه من النسب من
العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وكانت نثيلة أم العباس من النمر بن قاسط ؛ ولما
كان يُظهِرُ من الميل إلى إمامة العباس وأهله ، والمنافرة لآل على رضى الله عنه وبقول :

بني حسن وقل لبنى حُسَيْنِ عليكم بالسَّدادِ من الأمورِ
أُمِيطُوا عَنْكُم كَذِبُ الْأُمَانِي وأحلاماً يَعِدْنَ عِدَاةَ زُورِ^(٣)

تقديم الرشيد
للنمرى
وأسابه

(١) غرة الشباب : غفلته وسهوه ، والخدع : جمع خدعة : وهى ما تنخدع به (م)

(٢) ومقت : ودت وأحبت ، والمرتدع : الارتداد والانزجار (م)

(٣) أميطوها عنكم : أبعدوها عنكم (م)

تَسْمُونَ النَّبِيَّ أَبَا وَيَّابِي مِنْ الْأَحْزَابِ سَطْرٌ فِي سَطُورٍ
 يريدُ قولَ اللَّهِ تعالى: (ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ). وهذا إنما نزلَ في
 شأنَ زيد بن حارثة ، وكان رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم تبنَاهُ ، فقال له الرشيدُ :
 ما عدوتَ ما في نفسي ، وأمره أن يدخلَ بيتَ المالِ فيأخذَ ما أحبُّ .
 وكان يضمُرُ غيرَ ما يظهرُ ، ويعتقدُ الرِّفْضُ ، وله في ذلكَ شعْرٌ كثيرٌ لم يَظْهَرْ النَّمْرِيُّ رافِضُو

إِلَّا بعدَ موته ، وبلغَ الرشيدُ قوله :

آلُ النَّبِيِّ وَمَنْ يُحِبُّهُمْ يَتَطَامَنُونَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ
 أَمِنْ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَمَنْ مِنْ أُمَّةٍ التَّوْحِيدِ فِي أَزْلِ (١)
 إِلَّا مَصَالَاتٌ يَنْصُرُونَهُمْ بَطْبًا الصَّوَارِمَ وَالْقَنَا الذُّبْلُ (٢)

فأمر الرشيدُ بقتله [وكان حينئذ برأس العين] ، فمضى الرسولُ فوجده قدمات
 فقال الرشيدُ : لقد هممت أن أنبشَ عظامه فأحرقها . وكان يُبلغُ في مدحه لهرون ،
 وإنما يريد قول النبي صلى اللَّهُ عليه وسلم لعليّ رضوان اللَّهُ عليه : أنت مني بمنزلة
 هرون من موسى . وقال الجاحظ : وكان يذهب أولاً مذهب الشُّرَّة (٣) ، فدخل
 الكوفة وجلس إلى هشام بن الحكم الرافضى وسمع كلامه ، فانتقل إلى الرِّفْضِ ،
 وأخبرني مَنْ رآه على قبر الحسين بن عليّ رضى اللَّهُ عنهما ينشد قصيدته التي يقول فيها :

فما وَجَدْتُ عَلَى الْأَكْتافِ مِنْهُمْ وَلَا الْأَقْفَاءِ آثَارُ النَّصُولِ (٤)
 وَلَكِنَّ الْوَجُوهَ بِهَا كَلُومٌ وَفَوْقَ حُجُورِهِمْ مَجْرَى السِّيُولِ
 أَرِيقُ دَمِ الْحُسَيْنِ وَلَمْ يَرَأَوْا وَفِي الْأَحْيَاءِ أَمْوَاتُ الْعُقُولِ
 فَدَتْ نَفْسِي جَبِينَكَ مِنْ جَبِينِ جَرَى دُمُهُ عَلَى خَدِّ أَسِيلِ
 أَيْخَلُو قَلْبُ ذِي وَرَعٍ وَدِينِ مِنْ الْأَحْزَانِ وَالْأَلَمِ الطَّوِيلِ

(١) الْأَزْلُ : الشدة والضيق (م) (٢) المصالت : جمع مصلت ، وهو التقديم
 الشجاع ، والظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والصوارم : السيوف واحدها
 صارم (م) (٣) الشُّرَّة : الخوارج ، سموا أنفسهم بذلك لأنهم زعموا أنهم شروا
 أنفسهم بأن لهم الجنة ، والروافض : فرقة من الشيعة (م)
 (٤) يريد أنهم لا يفرون فيقع الطعن في ظهورهم (م)

وقد شرقت رِمَاحُ بنى زيادٍ يرى من دماء بنى الرسول^(١)
 بقرية كركمٍ بلاءٌ لهم ديارٌ نيامُ الأهل دارِسةُ الظُّلولِ
 فأوصال الحسين ببطنِ قاع ملاعبُ للدُّبورِ وللقبولِ
 تحياتٌ ومغفرةٌ وروحٌ على تلك الحِملة والحلولِ^(٢)
 برثنا يارسول الله من أصابك بالأذية والدُّحُولِ^(٣)

[ابنا المعذل]

وقال أحمد بن المعذل :

أحمد

بن المعذل

أخو دَنَفٍ رَمَتْهُ فَأَقْصَدَتْهُ سِهَامٌ مِنْ جَفُونِكَ لَا تَطِيشُ
 كَثِيبٌ إِنْ تَرَحَّلَ عَنْهُ جَيْشٌ مِنَ الْبَلَوَى أَلَمَ بِهِ جَبُوشُ
 وكان أحمد بن المعذل بن غيلان العبدى فى اللغة والبيان والأدب والحلاوة غايةً .
 قال : دخلتُ المدينة فتحملت على عبد الملك بن الماجشون برجل ليخصنى
 ويُغنى بى ، فلما فاتحنى قال : ماتحتاجُ أنت إلى شفيع ، معك من الخداء والسقاء
 ماتاً كلُّ به لبِّ الشجر ، وتشرب صفوَّ الماء .

بين أحمد
وأخيه

وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوّه ، فكتب إليه أحمد : أما بعدُ
 فإنَّ أعظم المَكروه ما جاء من حيث يُرَجى المحبوب ، وقد كنت مؤملاً
 مَرَجوا ، حتى شمل شرك ، وعمَّ أذاك ، فصرت فيك كَأبى العاق : إن عاش
 نَفَّسه ، وإن مات نَفَّسه ، واعلم لقد خَشَّنت صَدْرَ أَخٍ جَبَّيْهٍ لك ناصحٌ ، والسلام .
 وكان يقول له : أنت كالأصبع الزائدة : إن تُرِكَتْ شَانَتْ ، وإن
 قُطعت آلمت !

ومثلُ هذا قولُ النعمان بن شمر الغساني :

- (١) شرقت الرماح بدمائهم : كناية عن كثرة ما أسالته منها (م)
 (٢) الحِملة : الموضع الذى يحلون به ، والحلول : جمع حال (م)
 (٣) الدُّحول : جمع ذحل ، وهو الوتر (م)

وصالُ أبي بردٍ عَنَّا ، وتركهُ
 إذا زُرْتَهُ يومين ملَّ زيارتي
 بلاء ، فما أذرى به كيف أصنمُ
 وإن غبت عنه ظلت العينُ تَدُمعُ
 وقول الضحاك بن همام الرقاشي :
 وأنتَ امرؤٌ منا خلقت لغيرنا
 حياتك لا ترجى وموتك فاجِعُ
 وأنتَ على ما كان منك - ابنُ حرةٍ
 وإني لما يرضى به الخصمُ مانِعُ
 وفيك خصالٌ صالحاتٌ يَشِينُهَا
 لديك جفاءٌ عندهُ الودُّ ضائعُ
 وقال بعضُ المحدثين :

إذا ساءنى في القولِ والفعلِ جاهِدًا
 وفي كلِّ حالٍ مَنْ أَحَبَّ وَأَمَحَضُ^(١)
 فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَا يَعْمَلُنِي بِهِ
 على كلِّ ذنبٍ مَنْ أَعَادِي وَأَبْغَضُ

أخذ أحمد بن
 المعذل للصدا

وقال أبو العباس المبرد : وكان أحمد بن المعذل من الأئمة ، والتمسك بالمهاج ،
 والتجنب للعيب ، والتعرض للإشفاق لما في^(٢) أيدي الناس ، وإظهار الزهد فيه ،
 والتباعد عنه ، على غاية ، حتى حُمِلَ في فقهاء وأدباء من أهل البصرة ؛ فأخذَ
 الصلة غيرَ مُتَمَتِّعٍ ولا مُنْكَرٍ . ووصله إسحاق بن إبراهيم فقبل ، واستدعى اجتباؤه
 إياه ، وتحلَّى له جهده ، فقال عبد الصمد :

عذيري من أيخ قد كان يُبْدِي
 على مَنْ لابس السلطانَ عَتْبَهُ
 وكان يذمهم في كلِّ يومٍ
 له بالجهل والهذيان خُطْبَهُ
 فلما أن أنته دُرِيهَمَاتُ
 من السلطان باعَ بهنَّ رَبَّه
 وقال فيه :

لي أنخ لا تَرَى لَهُ
 سبائلا غيرَ عاتِبِ
 أنجعُ الناسِ كلَّهمُ
 للنيمِ المَذَاهِبِ

(١) من أحب : هو فاعل «سأنى» (م) (٢) للإشفاق : هو مفعول لأجله
 وأصل الكلام : والتعرض لما في أيدي الناس لأجل الإشفاق (م)

دون معـروفٍ كفـه لئـسُ بمـضِ الكواكبِ
ليت لي منـك يا أخـي جـارَةً مـنْ مُحـاربِ
نارها كل شـتوَةٍ مـثـلُ نارِ الحـبـاحـبِ

* * *

ذهب إلى قول القطامي ، وقول القطامي من خبيث الهجاء ، وكان نزل
بامرأة من محارب بن خصة بن قيس بن عيلان بن مضر ، فذم مثنواه
القطامي يهجو امرأة من محارب
عندها ، فقال :

وإني وإن كان المسافر نازلاً
فلا بد أن الضيف يُخبرُ ما رأى
لمخبرك الأنباء عن أمّ منزل
تلفعت في طللٍ وريح تلفني
إلى حينزبون توقد النار بعدما
تصلي بها برّد العشاء ولم تكن
[فما راعها إلا بغام مطيقي
فجئت فنونا من دلائل مناخية
سرى في حليكِ الليل حتى كأنما
تقول وقد قربت كوري وناقتي
فسلمت والتسلم ليس يسرها
فردت سلاماً كارهاً ثم أعرضت
فلما تنازعنا الحديث سألتها

وإن كان ذا حق على الناس واجب
مُخبرٌ أهل أو مُخبرٌ صاحب
تضيفتها بين العذيب فراسب
إلى طرمساء غير ذات كواكب^(١)
تلفعت الظلماء من كل جانب^(٢)
تخال وميض النار يندو ولراكب
تريح بمحسود من الصوت لاغب^(٣)
ومن رجلٍ عارى الأشاجع شاحب^(٤)
تخزم بالأطراف شوك العقارب
إليك ، فلا تدعز على ركابي
ولكنه حق على كل جانب
كما انحاشت الأفعى مخافة ضارب
من الحي؟ قالت: معشر من محارب

(١) الطرمساء : الظلمة الشديدة (م) (٢) الحيزبون : العجوز .

(٣) بغام مطيقي : صوتها (م) (٤) الدلائل : السريع من النوق والجمال وغيرها (م)

من المشتوين القَدَّ مما تَرَامُ جِيَّاعاً وريِّفُ الناسِ ليس بِنَاضِبٍ
 فلما بدا حرمانُها الضيفَ لم يكنْ على مبيتِ السوءِ ضربةَ لآزبِ
 وقُفْتُ إلى مَهْرِيَّةٍ قد تَعَوَّدَتْ يَدَاهَا ورِجْلَاهَا حَيْثُ المَرَاكِبِ
 إلا إنما نيرانِ قيسٍ إذا شتَوْا لطارقٍ ليلٍ مثلُ نارِ الحُبَّاحِبِ
 ومحارب : قبيلة منسوبة إلى الضعف ، وقد ضربت العربُ بها المثل . قال
 الفرزدق الجري :

وما استعهد الأقوام من زوج حُرَّةٍ من الناسِ إلا منكِ أو من مُحَارِبِ
 أى يأخذون العهدَ عليه أنه ليس من كليبٍ ولا من محاربٍ .
 وقال أبو نواس في قصيدته التي فخر فيها باليمانية وهجا قبائل معد :
 وقيس عيلان لا أريدُ لها من الحجازي سِوَى مُحَارِبِهَا

وكانت أم عبد الصمد بن المعدل طباحةً ، فكان أحمد يقول إذا بلغه هجاؤه : أم عبد الصمد
 ماعسيتُ أن أقول فيمن أُلْفَحَ بين قدر وتَنُورٍ ، ونشأ بين زق وطُنُبور^(١) ؟ وعبد الصمد ابن المعدل
 شاعر أهل البصرة في وقته ، وهو القائل :

تكلفني إذلالَ نفسي لِعِزِّهَا وهان عليها أن أهانَ لتُكْرَمَا
 تقول : سل المعروف يحبي بن أكرم فقلت : سَلِيهِ رَبِّ يحبي بن أكرم

قال أبو شُرَاعَةَ القَيْسِي : كنتُ في مجلسِ العُتْبِي مع عبد الصمد بن المعدل ، لأبي حَكِيمَةَ
 فتذاكرنا أشعارَ المولدين في الرقيق ، فقال عبد الصمد : أنا أشعر الناس فيه وفي
 غيره ، فقلت : أحذق منك والله بالرقيق الذي يقول ، وهو راشد بن إسحاق
 أبو حَكِيمَةَ الكوفي :

(١) الزق : أراد به الحمر ، والطنبور : من آلات اللهو ، يعنى أنه رديء
 اللقحة سيء التنشئة ، فلن يخرج إلا نكداً (م)

ومستوحش لم يُمنس في دار غربة
 طواه الهوى واستشعر الوصل غيره
 سلامٌ على الدار التي لا أزورها
 وإن حُجبت عن ناظري ستورها
 هوى تصحك الذات عند حضوره
 تنثى به الأعطاف حتى كأنه
 ألم تر صمتي حين يجرى حديثه
 رضيت بسقى الدهر بيني وبينه
 أحاذر إن واصلته أن ينالني
 أرى دون من أهوى عيوناً ترينني
 أداري جليسي بالتجلد في الهوى
 وأخبر عنه بالذي لا أحبّه
 مخافة أن تغرّي بنا السن العدا
 كأن مجال الطرف في كل ناظر
 أرى خطرات الشوق يبيكين ذا الهوى
 وكم قد أذل الحب من متمنع
 وإن خضوع النفس في طلب الهوى
 فلم ينطق بحرف .

لأبي شراعة

ولأبي شراعة يمدح بني رياح :

بني رياح أعاد الله نعمتكم خير المعاد وأسقى ربكم ديماً^(٢)

(١) شطت : بعدت . ونواه : نبته ، أو بعده ، وهم يسندون الفعل إلى مصدره
 فيقول : جد جدّه ، وشعر شعره (م) (٢) الديم : جمع ديمة ، وهو المطر الدائم (م)

فكم به من فتى حُلوشمائه^(١) يكاد ينهل من أعطافه كَرَمًا
لم يلبسوا نعمةَ اللهِ مُذْ خلقوا إلاَّ تلبسها إخوانهم - نعمًا

لابن المذل
في إبراهيم
بن رياح

وفي إبراهيم بن رياح يقول عبد الصمد بن المذل :

قد تركت الرياح يابن رياح وهي حَسْرَى إن هبَّ منها نسيم
نهكت مالكَ الحقوق فأضحى لك مالٌ نِضْوٌ وفعلٌ جَسِيمٌ^(١)

وكان عبد الصمد [بن المذل] متصلاً بإبراهيم وبنيه ، وأفاد منهم أموالاً
جليلة ، واعتقد عقداً نفيسة ، فما شكر ذلك ولا أصحابه بما يجب عليه من الثناء
عند نكته ، وكان الوراق عزَّله عن ديوان الضياع ، ودفعه إلى عمر بن فرج
الرخجى ، فحبسه فهباه عبد الصمد .

صفات
عبد الصمد
بن المذل

قال أبو العباس محمد بن يزيد^(٢) : وكان عبد الصمد شديد الإقدام على
ردى السريرة فيما بينه وبين الناس ، خيىث النية ، يرصد صديقه بالمكروه ،
تقديرًا أن يعاديه فيسوء بأمر يعرفه ؛ ولا يكاد يسلم لأحد ، وكان مشهوراً في
ذلك الأمر ، يُلبس عليه^(٣) ، ويحمل على معرفة ، عجباً بظرف لسانه ، وطيب
مجلسه ، وأيضاً لقبح مسبته ، وشائن معرفته .

قال أبو العيناء : ولما حبس الوراق إبراهيم بن رياح ، وكان لى صديقاً ، صنعتُ
له هذا الخبر رجاء أن ينتهى إلى أمير المؤمنين فينتفع به ، فأخبرنى زيد بن على
ابن الحسين أنه كان عند الوراق حين قرىء عليه فضحك واستظرفه . وقال : ما صنع
هذا كله أبو العيناء إلا فى سبب إبراهيم بن رياح ، وأمر بتخليته ، والخبر : قال
لقيتُ أعرابياً من بنى كلاب فقلت له : ما عندك من خبر هذا العسكر ؟ فقال :
قتل أرضاً عالمها ، قال : فقلت : فما عندك من خبر الخليفة ؟ قال : تجنح بعزه ، وضرب

(١) نهكت : انت عليه واجتاحته ، والنضو - بالكسر - الضعيف السقيم (م)

(٢) هو المرد (م) (٣) يلبس عليه . أى يخالطه الناس مع علمهم به (م)

بِحِرَانِهِ ، وَأَخَذَ الدَّرْهَمَ مِنْ مِصْرِهِ ، وَأَرْهَفَ قَلَمَ كُلِّ كَاتِبٍ بِجَبَابَتِهِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ ؟ قَالَ : عُضْلَةٌ ^(١) لَا تُطَاقُ ، وَجَنْدَلَةٌ لَا تُرَامُ ، يَنْتَحِي بِالْمَدَى لَتَحْزَهُ فَيَجُورُ ، وَتَنْصَبُ لَهُ الْجَبَائِلُ حَتَّى تَقُولَ : الْآنَ ، ثُمَّ يَضْبِرُ ^(٢) ضَبْرَةَ الذُّئْبِ ، وَيَخْرُجُ خُرُوجَ الضَّبِّ ، وَالْخَلِيفَةُ يَخْنُو عَلَيْهِ ، وَالْقِرَآنُ آخِذٌ بِضَبْعَيْهِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي عَمْرِ بْنِ فَرَجٍ ؟ قَالَ : ضَخَمَ حِضْجَرُ ^(٣) ، غَضُوبٌ هَزَبَرُ . قَدْ أَهْدَفَهُ الْقَوْمُ لَبْفِهِمْ ، وَاتَّضَلُّوا لَهُ عَنْ قِسِيَّتِهِمْ ، وَأَخْرَجَ لَهُ بِمَثَلٍ مِصْرَعٌ مِنْ يَصْرَعِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَبَرِ ابْنِ الزُّيَّاتِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ رَجُلٌ وَسَّعَ الْوَرَى شَرَّهُ ، وَبَطَنَ بِالْأُمُورِ خَيْرَهُ . فَلَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَرِيحٌ ، لَا يَظْهَرُ فِيهِ أَثَرُ نَابٍ وَلَا مِخْلَبٍ ، إِلَّا تَسْدِيدُ الرَّأْيِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَبَرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رِيَّاحٍ ؟ قَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ أَوْبَقَهُ كَرْمُهُ ، وَإِنْ يَقْزُ لِلْكَرَامِ قَدَحٌ ، فَأَحْرَ بِمَنْجَاتِهِ ، وَمَعَهُ دَعَاءٌ لَا يَخْذَلُهُ ، وَرَبٌّ لَا يَسْلَمُهُ ، وَفَوْقَهُ خَلِيفَةٌ لَا يَظْلَمُهُ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَبَرِ نِجَاحِ بْنِ سِلْمَةَ ؟ قَالَ : اللَّهُ دَرَهُ مِنْ نَاقِصٍ أَوْتَارَ ، يَتَوَقَّدُ كَأَنَّهُ شَعْلَةٌ نَارٌ ، لَهُ فِي الْقَيْنَةِ بَعْدَ الْفَيْنَةِ ، عِنْدَ الْخَلِيفَةِ خَلْسَةٌ كَخَلْسَةِ السَّارِقِ ، أَوْ كَحَسْوَةِ الطَّائِرِ ، يَقُومُ عَنْهَا وَقَدْ أَفَادَ نِعْمًا ، وَأَوْقَعَ نِقْمًا . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَبَرِ ابْنِ الْوَزِيرِ ؟ قَالَ : إِخَالَهُ كَنْبَشُ الزَّنَادِقَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْخَلِيفَةَ إِذَا أَهْمَلَهُ خِصَمَ وَرَعَ ، وَإِذَا أَمَرَ بِتَقْصِيهِ أَمَطَرَ فَأَمْرَعِ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ الْخَصِيبِ أَحْمَدٍ ؟ قَالَ : ذَاكَ أَحَقُّ ، أَكَلُ أَكَلَةِ نَهْمٍ ، فَاخْتَلَفَ اخْتِلَافَ بَشْمٍ . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ فِي خَبَرِ الْمُطَّلِيِّ بْنِ أَيُوبَ ؟ قَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ قَدَّ مِنْ صَخْرَةٍ ، فَصَبَّرَهُ صَبْرُهَا ، وَمَشَّاهُ مَشَاهَا ، وَكُلَّ مَا فِيهِ بَعْدَ فَنَائِهَا وَلَهَا . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : كَتُومٌ غُرُورٌ ^(٤) ، وَجِلْدٌ صَبُورٌ ، رَجُلٌ جِلْدُهُ جِلْدُ نَمْرٍ ، كَلَّمَاءُ خَرَقُوا لَهُ إِهَابًا ، أَنْشَأَ اللَّهُ لَهُ إِهَابًا . قُلْتُ : فَمَا عِنْدَكَ مِنْ خَبَرِ الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ ؟ قَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ اتَّخَذَ السُّلْطَانَ أَخًا ،

(١) العضلة - بالضم - الداهية (م)

(٢) يضبر ضبرة : يثبت وثبة . وفي نسخة « يطفر طفرة » (م)

(٣) الحضجر : عظيم البطن ، والهزبر : الأسد ، ووزنهما واحد (م)

(٤) في نسخة « غدور » (م)

فاتخذهُ السلطانُ عبداً ، قال : قلت : فما عندك من خبر أخيه سليمان بن وهب ؟
قال : شَدَّ ما استوفيتَ مسألتك أيها الرجل ! ذاك حرمة حبست مع صواحبها
في جريرة محرمة ، ليس من القوم في وِرْدٍ ولا صَدَرٍ ، هيهات :

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذبول

قال : قلت : فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب ؟ قال : أمواتٌ غير
أحياء ، وما يشعرون أَيْانَ يبعثون .

قلت : فإين نزلت فأؤمِّك ؟ قال : مالى نزل تأمُّه . أنا أَسْتَرِ في الليل إذا
عَسَسَ^(١) ، وَأَتَشِرُ في الصبح إذا تنفَّس .

ومن مليح شعر راشد بن إسحاق بن راشد، وهو أبو حُكَيْمَة، وكان قَوِيًّا من شعر راشد
ابن إسحاق
ابن راشد
أشَرِ الشعر :

تَحِيْرْتُ في أَمْرِي وإني لواقف أَجِيلُ وجوه الرأى فيكَ وما أدري^(٢)
أَأْعْزِمُ عَزَمَ اليأس فالموتُ راحةٌ أَمْ أَقْنَعُ بِالْإِعْراضِ والنَّظَرِ المُزْرِ
وإني وإن أعرضت عنك لَمُنْطَوِي على حُرْقٍ بين الجوانح والصدْرِ
إذا هاج شوقي مثلتك لي المني فألقاك ما بيني وبينك في سِتْرِ
فديتك لم أصبر ولي فيكَ حيلةٌ وَلَكِنْ دَعَانِي اليأسُ فيكَ إلى الصبر
تَصَبَّرْتُ مَغْلُوباً وإني لموجَعٌ كما صَبَرَ الظَّمآنُ في البلدِ القَفْرِ
وقال :

عَتَبْتُ عَلَيْكَ في قطع العتاب فَمَا عَطَفْتِكَ ألسنة العتاب

(١) أَخَذَهُ من قوله تعالى : (والليل إذا عَسَسَ والصبح إذا تنفَّس) في سورة
التكوير وعَسَسَ الليل : أَقْبَلَ ظلامه ، أو أدبر ، ضد (م)

(٢) أَجِيلُ وجوه الرأى : أَدِيرُها ليظهر لي الصواب (م)

وفيما صرت تظهر لي دليل
وما خطر دواعي الشوق إلا
على عتب الضمير المسقرب
هزرت إليك أجنحة التصابي
وقال أيضاً :

ضحكت ولو تدرين ما بي من الهوى
لمن لم ترح عيناه من فيض غيرة
بكيت لحزون الفؤاد كتيب
ولا قلبه من زفرة ونحيب
لمستأنس بالهم في دار وخشة
ألا بأبي العيش الذي بان فانقضى
ليالى يدعونا الصبا فنحيبه
نردد مستور الأحاديث بيننا
إلى أن جرى صرف الحوادث في الهوى
وله مذهب استفرغ فيه أكثر شعره، صنت الكتاب عن ذكره .

[عبد الملك بن صالح]

دعا الرشيد بعبد الملك بن صالح - وكان معتقلاً في حبسه - فلما مثل بين يديه
التفت إليه ، وكان يحدث يحيى بن خالد بن برمك وزيره ، فقال متمثلاً :
أريد حياته ويريد قتيلى عذيرك من خليلك من مراد^(١)
ثم قال : يا عبد الملك ، كأنى أنظر إلى شؤبوبها^(٢) قد همع ، وإلى عارضها قد
لَمَعَ ، وكأنى بالوعيد قد أورى^(٣) ، بل أذى ، فأبرز عن راجم بلا معاصم^(٤) ، ورءوس
بلا غلاصم ، فهلاً بنى هاشم ، فبي والله سهل لكم الوغر ، وصفا لكم الكدر ،
وألقت إليكم الأمور أثناء أزماتها ، فنذار لكم نذرا قبل حلول داهية خبوط باليد
والرجل ، فقال عبد الملك : أفذاً أتكلم أم توأما ؟ قال : بل فذاً ، قال : أتق

(١) عذيرك : أى اطلب من يعذرك (م)

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر (م)

(٣) من قولهم «أورى الزند» إذا قدحته فأخرج ناراً (م)

(٤) البراجم : الأصابع (م)

اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا وَلَاكَ ، وَاحْفَظْهُ فِي رِعَايَاكَ الَّتِي اسْتَرْعَاكَ ، وَلَا تَجْعَلِ
الْكُفْرَ بِمَوْضِعِ الشُّكْرِ ، وَالْعِقَابَ بِمَوْضِعِ الثَّوَابِ ، فَقَدْ وَاللَّهِ سَهَّلْتَ لَكَ الْوَعُورَ ،
وَجَمَعْتَ عَلَى خَوْفِكَ وَرَجَائِكَ الصَّدُورَ ، وَشَدَدْتَ أَوْاخِيَّ مِلْكِكَ بِأَوْثَقَ مِنْ
رُكْنِي يَلَمَّامَ ، وَكُنْتُ لَكَ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ - يَعْنِي لَبِيدًا :

وَمَقَامٍ ضَيِّقٍ فَرَجْتَهُ بِلِسَانٍ وَبَيَانٍ وَجَدَلُ

لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أَوْ فَيَالُهُ زَلَّ عَنْ مِثْلِ مَقَامِي وَزَحَلُ

فَأَعَادَهُ إِلَى مَجْلِسِهِ^(١) ، وَقَالَ : لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى مَوْضِعِ السَّيْفِ مِنْ عَاتِقِهِ مَرَارًا ،
فَيَمْنَعُنِي عَنْ قَتْلِهِ إِبْقَائِي عَلَى مِثْلِهِ .

[مدح الحقد وذمه]

عبد الملك
يمدح الحقد

وَأَرَادَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ أَنْ يَضَعَ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ لِيُضَيِّ الرِّشِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ
الْمَلِكِ ، بَلَغْنِي أَنْكَ حَقُّودٌ ! فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، إِنْ كَانَ الْحَقْدُ هُوَ
بِقَاءُ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ ، إِنِّهِمَا لِبَاقِيَانِ فِي قَلْبِي ! فَقَالَ الرِّشِيدُ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا احْتَجَّ
لِلْحَقْدِ بِأَحْسَنَ مِمَّا احْتَجَّ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ .

وَقَدْ مَدَحَ ابْنُ الرُّومِيِّ الْحَقْدَ ، وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَزَادَ فِيهِ ؛ لَا ابْنَ الرُّومِيِّ

فَقَالَ لِعَائِبٍ عَا بِهِ بَدَلَاتُ :

لَئِنْ كُنْتُ فِي حِفْظِي لِمَا أَنَا مُودَعٌ مِنْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ انْتَحَيْتَ عَلَى عَرْضِي
لَمَّا عِبْتَنِي إِلَّا بِفَضْلِ إِبَانَةٍ وَرَبِّ أَمْرِي يَزْرِي عَلَى خُلُقِي مَحْضُ^(٢)
وَلَا عَيْبَ أَنْ تُجْزَى الْقُرُوضُ بِمِثْلِهَا بَلِ الْعَيْبُ أَنْ تَدَّانَ دِينَا وَلَا تَقْضَى
وَأَخِيرُ سَحِيَّاتِ الرِّجَالِ سَجِيَّةٌ تَوْفِيكَ مَا تَسْدِي مِنَ الْقَرْضِ بِالْقَرْضِ
إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ مِنْ الْبَذْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ

(١) قد يكون الصواب «فأعاده إلى محبسه» (م)

(٢) في ديوانه «لما عبتني بما ليس عائي * وكم جاهل يزرى ...» وأزرى عليه :

ولولا الحقود المستكنات لم يكن
وما الحقود إلا توأم الشكر في الفتي
لينقض وتراً آخر الدهر ذو قيص
و بعض السجايا ينتمين إلى بعض
فحيث ترى حقداً على ذى إساءة
وقال يرد على نفسه، ويذم ما مدح، توسعاً واقتداراً :

يا ماحدِ الحقْدِ محتالاً له شهباً
لقد سلكت إليه مسلماً وعناً
إن القبيح وإن صنعت ظاهره
يعود ما لم منه مرة شعناً^(١)
كم زخرَف القول ذو زور ولبسه
على القلوب ولكن قل ما لبثا
قد أبرم الله أسباب الأمور معاً
فلن ترى سبباً منهن متسكناً^(٢)
يادافنِ الحقْدِ في ضعفى جوانبه
سأه الدفين الذى أضحت له جدتا
الحقد داء دوى لا دواء له
يرى الصدور إذا ما بجره حُرثا
فاستشف منه بصفح أو معاتبه
فإنما يبرىء المصدور ما نفثا
واجمل طلابك بالأوتار ما عظمت
ولا تكن بصغير القول مكثرتا
فالعفو أقرب للتقوى وإن جرم
من مجرم جرح الأ كباد أو فرثا
يكفيك فى العفو أن الله قرظه
شهدت أنك لو أذبت ساءك أن
إذا وسرك أن تلقى الذنوب معاً
إنى إذا خلط الأتوام صالحهم
جملت قلبى كظرف السبك حينئذ
بسيء الفعل جداً كان أو عبثاً
ولست أجعله كالخوض أمدحه
يستخلص الفضة البيضاء لا الخبثا
بمحفظ ما طاب من ماء وما خبثا

والبيت الذى تمثل به الرشيد هو لعمر بن معد يكرب يقوله لقيس بن

(١) صنعت ظاهره : زينته وحسنه ، من قولهم « صنع الجارية » إذا أحسن إليها حتى سمت (م) (٢) متسكناً : منقوضاً (م)

للكشوح المرادى ، وقد تمثل به على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رأى عبد الرحمن ابن ملجَم المرادى فقال له : أنت تخضب هذه من هذه ، وأشار إلى لحيته ونقرته ^(١) .
فقال له : يا أمير المؤمنين ، ألا تقتله ! فقال : كيف يقتلُ المرء قاتله ؟

وكان بين مسلمة بن عبد الملك وبين العباس بن الوليد تباعد ، فبلغ العباس أن مسلمة ينتقصه ، فكتب إليه يقول :

بين مسلمة
ابن عبد الملك
والعباس
ابن الوليد

ألا تَقْنَى الحياءَ أبا سعيدٍ وتَقْصِرُ عن مُلاحَاقى وَعَدْلِي
فلولا أَنَّ فِرْعَاكَ حينَ تُنْمَى وأصلكَ منتهى فرعى وأصلِي
وأنى إن رَمَيْتُكَ هِضْتَ عَظْمِي ونالتنى إذا نالَكَ نَبْلِي
لقد أنكرتني إنكارَ خوفٍ يَضُمُّ حشاك عن شَتْمِي وأَكْلِي
فكم من سَوْرَةٍ أَبْطَأَتْ عنها بنى لك مجدَهَا طَلَبِي وَخَفْلِي
ومُبْهَمَةٌ عَيَّتَ بها فأبدى عَوِيلِي عن مَخارجها وَقَفْلِي
كقول المرءِ عَمْرٍو فى القوافي لِقَيْسٍ حينَ خالفَ كُلَّ عَدْلِي
عذيرى من خليلي من مرادٍ أريدُ حَيَاتِهِ ويريدُ قَتْلِي

لم يتفق له فى القافية كما قال عمرو ، فغتره .

[رَجَعَ إلى عبد الملك بن صالح]

من أخبار
عبد الملك
ابن صالح

وعبد الملك هذا هو ابن صالح بن على ، وكان بليغاً جَهِيراً فاضلاً عاقلاً .
وقال الجاحظ : قال لى عبد الرحمن مؤدب عبد الملك بن صالح : قال لى عبد الملك ،
بعد أن خصننى وصيّرني وزيراً بدلا من قُمامة : يا عبد الرحمن ، انظر فى وجهي ؛
فأنا أعرفُ منك بنفسك ولا تُؤمِدُنِي على ما يقيح ؛ دع [عنك كيف الأمير ؟] ،
وكيف أصبح الأمير ؟ وكيف أُمسى ؟ واجعل مكانَ التقرِيط حُسْنَ الاستماع

(١) فى نسخة « ونقرته » وهى فقرة النحر بين الترقوتين ، والقرة - بالضم - أيضاً -
منقطع القمحدوة فى القما (م)

منى ، واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول ، وإذا حدثتك حديثاً فلا يفوتك شيء منه ؛ وأرني فهمك في طرفك ؛ إني اتخذتك وزيراً بعد أن كنت معلماً ، وجعلتك جليساً مقرباً بعد أن كنت مع الصبيان مُبَعِّدًا ، ومنى لم تعرف نقصان ما خرجت منه لم تعرف رُجْعَان ما صرت إليه .

يقين الرشيد

وعبد الملك

وكانا يتسيران

وساير الرشيدُ عبدَ الملك ، فقال له قائل : طأطأ من إشرافه ، واشدُّد من حكائمه ، وإلّا فسَدَ عليك ، فقال له الرشيد : ما يقولُ هذا ؟ قال : حاسدُ نعمة ، ولافس رُتبة ، أغضبه رِضَاكَ عني ، وباعدَه قُرْبُكَ مني ، وأساءه إحسانُكَ إليّ . فقال له الرشيدُ : انخفض القومُ وعلوتهم ؛ فتوقدت في قلبهم بحجرة التأسف . فقال عبد الملك : أضرمها الله بالتزيد عندك ! فقال الرشيدُ : هذا لك وذاك لهم .

اعتذار

عبد الملك

وقد أرتج عليه

وصعد المنبر ، فأرتج عليه فقال : أيها الناس ، إن اللسان بضعة من الإنسان تكلُّ بكلامه إذا كلَّ ، وتنفسح [بانفساحه] إذا ارتجُل ، إن الكلامَ بعد الإخام كالإشراق بعد الإظلام ، وإنا لانسكتُ حَصراً ، ولا ننطقُ هذراً ؛ بل نسكتُ مفيدين ، وننطقُ مُرْشِدِينَ ، وبعد مقامنا مقام ، ووراء أيامنا أيام ، بها فضل الخطاب ، ومواقع الصواب ، وسأعودُ فأقول ، إن شاء الله تعالى

يقين يدي

الرشيد

بعد حبه

وقال الأصمعي : كنتُ عند الرشيد فدعا بعبد الملك بن صالح من حَبْسِهِ ، فقال : يا عبد الملك ، أكَفَرًا بِالنِّعْمَةِ^(١) ، وَغَدْرًا بِالسُّلْطَانِ ، وَوَثُوًّا بِأَعْلَى الْإِمَامِ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، بُوتُ بِأَعْبَاءِ النَّدَمِ ، وَاسْتَحْلَالَ النَّقَمِ ، وما ذاك إلّا من قولِ حاسِدٍ ، ناشدتك الله والولاية ، ومودة القربة . فقال الرشيد : يا عبد الملك ، تَصْنَعُ لِي لِسَانَكَ ، وَتَرْفَعُ لِي جَنَانَكَ ، بِحَيْثُ يَحْفَظُ اللَّهُ لِي عَلَيْكَ ، وَيَأْخُذُ لِي مِنْكَ ، هَذَا كَاتِبُكَ قِمَامَةُ نَبِيِّ عَنْ غُلَّكَ^(٢) ، فَالْتَفَتَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى قِمَامَةٍ وَكَانَ قَائِمًا ، فَقَالَ :

(١) كُفِرَ بِالنِّعْمَةِ : جُودَآ لَهَا وَإِنْكَارَ (م)

(٢) غُلَّكَ : حَقْدُكَ وَفَسَادُ قَلْبِكَ (م)

أحقا يا قامة ؟ قال : حقاً ، لقد رُمْتُ خَنْزَرٌ^(١) أمير المؤمنين ! فقال عبد الملك : وكيف لا يكذب عليّ يا أمير المؤمنين في غيبي من يَهْتَنِي في حضرتي ؟ فقال الرشيد : دَعُ قامة ، هذا ابنك عبد الرحمن ينيء عليك بمثل خبر قامة ، فقال عبد الملك : إن عبد الرحمن مأمور أو عاق ؛ فإن كان مأموراً فهو معذور ، وإن كان عاقاً فما أتوقع من عقوبته أكثر .

[في مقام الخوف]

وقال الرشيد للحسن بن عمران وقد أُدْخِلَ عليه يَرْسُفُ في قُبُودِهِ : وليتك دمشق وهي جنة موقرة ، تحيط بها غدر كاللجين^(٢) ، فتكف على رياض كالزرايبي ، وكانت بيوت أموال فما برح بها التعدي ، حتى تركتها أجرد من الصخر ، وأوحش من القفر ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ما قصدت لغير التوفيق من جهته ، ولسكني ولّيت أقواماً نَقَلُ على أعناقهم الحق ، فنفر غوا في ميدان التعدي ، ورأوا أن المراجعة بترك العِمارة أوقع بإضرار السلطان ، وأنوّه بالشنعة ؛ فلا جرّم أن مَوْجِدَةَ أمير المؤمنين قد أخذت لهم بالخطّ الأوفر من مساءتي ! فقال عبد الله ابن مالك : هذا أجزل كلام سميع لخائف ، وهذا ما كنا نسمعه عن الحكماء « أفضل الأشياء بديهة آمن وردت في مقام خوف » .

ولما رَضِيَ الرشيدُ عن يزيد بن مزيد دخل عليه فقال : الحمد لله الذي سهّل لي سُبُلَ الكرامة بلفظك ، وردّ عليّ النعمة بوجه الرضا منك ، وجزاك الله في حال سُخْطِكَ حقّ المتبئين المراقبين ، وفي حال رضاك حقّ المنعمين المتطولين ؛ فقد جعلك الله - وله الحمد - تثبت [تحرّجاً] عند الغضب ، وتطول [تمتناً] بالنعم ، وتسدّ بقى المعروف عند الصنائع تفضلاً بالقفو .

(١) رمت : أردت ، والخنزير : الغدر والخيانة (م)

(٢) الغدر - بضمّتين - جمع غدير ، وهو ما احتجته السيل من الماء ، واللجين :

الفضة (م)

[من الرثاء]

لمسلم بن الوليد وفي يزيد بن يزيد يقول مسلم بن الوليد مرثيته، وقد رُويت له في يزيد بن
في يزيد بن يزيد أحمد السليبي :

قَبْرُ بَيْرِ ذَعَا اسْتَسْرَّ ضَرْيَحُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ^(١)
نَفَضْتَ بِكَ الْأَحْلَاسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ وَاسْتَرْجَعْتَ نَزَاعَهَا الْأَمْصَارُ
فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَتْنِي عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ
سَلَكْتَ بِكَ الْعَرَبَ السَّيْلَ إِلَى الْعَلَا حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا
وقال أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عطية يرثي أخاه :

لحمد بن
أبي عطية
يرثي أخاه

حَنَطْتُهُ يَانْصَرُ بِالْكَافُورِ وَزَفَفْتُهُ لِلْمَنْزِلِ الْمَهْجُورِ
هَلَا بِيَعُضْ خِصَالِهِ حَنَطْتُهُ فَيَضُوعُ أَفْقُ مَنَازِلِ وَقُبُورِ
وَاللَّهِ لَوْ بَنَسِمِ أَخْلَاقٍ لَهُ تُعْزِي إِلَى التَّقْدِيسِ وَالتَّطْهِيرِ
حَنَطْتُ مِنْ وَطْئِ الْحَصَى وَعَلَا الرِّي لَتَزُودَ بِلِ عُدَّةٍ لِنَشُورِ
فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ فَإِنَّهُ [قَدْ كَانَ خَيْرَ مُجَاوِرٍ وَمُجِيرِ]
[وَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْوَفَاءُ فَإِنَّهُ] عَصَفْتُ بِهِ رِيحًا صَبَاً وَدُبُورِ
وَاللَّهِ مَا أَتْبَنَتْهُ لِأَزِيدِهِ شَرْقًا وَلَكِنْ تَفَنَّتْ الْمَصْدُورِ
وَمَاتَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ يَعْوَلُ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَلَمَّا حُلَّ عَلَى سَرِيرِهِ

لأعصابي
يرثي أعصابيا

صَرَ، فقال بعض من حضر:

وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْسِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ^(٢)
وَلَيْسَ فَتِيقُ الْمَسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْخَلْفُ

وقال عبد الله بن المعتز في عبيد الله بن سليمان بن وهب يرثيه :

لابن المعتز

يَا بْنَ وَهْبٍ بِالْكَرْهُ مَنَى بَقِيَّتُ عَجَبِي يَوْمَ مَتَّ كَيْفَ حَيَّتُ

(١) في الأمازي (٢٧٦/١) «قبر بعلوان استسر» واستسر: أخفى وستر (م)

(٢) الصرير: الصوت، وصر: صوت، وتقصف: أصله تقصف، ومعناه

تكسر وتحطم (م)

إنما طيب الثناء الذي خلقت لا منك تفتك المفتوت
وأختصرت الطريق بعدك للموت فلاقته ولست أفوت
كيف يَبْقَى على الحوادث حتى بيد الدهر عوده منحوت
وقال أيضاً :

ذكرت ابن وهب فله ما ذكرت وما غيبوا في الكفن
تقطر أقلامه من دم ويعلم بالظن ما لم يكن
وظاهر أظرافه ساكن وما تحته حرركات الفطن
وقال :

ذكرت عبيد الله والتراب دونه فلم تحبس العينان منى بكاهما^(١)
وحاشاه من قول «سقى الغيث قبره» يداؤه تروى قبره من نداءها
وهذا مأخوذ من قول الطائي :
سقى الغيث غيثاوارت الأرض شخصه
وكيف اختمالي للسحاب صنعة
وقال ابن المعتز :

لم تمت أنت ، إنما مات من لم يُبْقَى في المجد والمكارم ذكرا
لست مستقيما لقبرك غينا كيف يظما وقد تضمن بحرا
والبيت الثاني من هذين من بيت الطائي .

وقال :

محمد بن حميد أخلقت رمة أريق ماء المعالي إذ أريق دمه
وأيته بنجار السيف محتيا كالبدريح انجلت عن وجهه ظلمة
في روضة حفا من حولها زهر أيقنت عند انتباهي أنها نعمة

(١) في الديوان « فلم تملك العينان إلا بكاهما » (م)

(٢) الغيث الأول : المطر ، والغيث الثاني : الجواد الكريم ، أراد به المرئي (م)

فقلتُ والدمعُ من وَجْدٍ ومن حُرْقٍ يَجْرِي وقد خدَّ الخلدِين منسجُمُهُ :
ألم تمت ياسليلَ المجد من زمنٍ ؟ فقال لي : لم يمت من لم يمت كرمُهُ
وقال بعض أهل العصر :

عُمُرُ الفتى ذِكْرُهُ ، لا طولُ مدَّتِهِ وموتُهُ موتُهُ لا موتُهُ الدَّانِي
فأخى ذِكْرُكَ بالإحسان تزرعُهُ تُجمَعُ به لك في الدنيا حَيَاتَانِ
وقال عبد السلام بن رَغَبَان الحُمْصِي (١) :

سقى الغيثُ أرضاً ضُمَّنتك وسَاحَةً لَقَبْرُكَ فيه الغيثُ والليثُ والبَدْرُ
وما هي أهلٌ إِذْ أَصَابَتْكَ بِالْبَلَى لَسْتُمْ قِيَا ، ولكن من حَوَى ذلك القَبْرُ
أخذ هذا البيت [الأول] الراضى فقال يرئى أباهُ المقتدر :

بنفسى تَرَى ضُمَّنت في سَاحَةِ البَلَى لقد ضَمَّ منك الغيثُ والليثُ والبَدْرُ
فلو أن عمرى كان طوعَ مشيئتي وأَسْعَدَنِي المَقْدُورُ قَاسِمَتُكَ العَمْرُ
ولو أن حَيًّا كان قَبْرًا لَمِيت لَصَيَّرْتُ أَحْشَائِي لِأَعْظَمِهِ قَبْرًا
هذا البيت ينظر إلى قول المتنبي :

حتى أَتَوْنَا جَدْنَا كَأَن ضَرِيحَهُ في قَلْبٍ كُلِّ مَوْحِدٍ مَحْفُورُ

لما حُمِلَتْ قَطْرُ الندى بنتُ حُمَارَوَيْه بن [أحمد بن] طولون إلى المعتضد كتب
معهما أبوها إليه يذكره بجرمة سلفها [بسلفه] ، ويذكر ما تردُّ عليه من أهبة
الخلافة ، وجلالة الخليفة ، ويسأل أيناسها وبسَطَها ، فبلغت من قَلْبِ المعتضد
لما زُفَّت إليه مبلغاً عظيماً ، وسُرَّ بها غاية السرور ، وأمر الوزير أبا القاسم عبيد الله
ابن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو
الحسين بن ثَوَابَةِ أن يؤثِّره بذلك ففعل ؛ وغاب أياماً وأتى بنسخة يقول في فصل

قطر الندى
والخليفة المعتضد

منها : وأما الودِيعَةُ فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عنايةً بها ، وحِياطةً عليها ، ورعايةً لمودتك فيها . ثم أقبل عبيد الله يُعجب من حُسن ما وقع له من هذا ، وقال : اسميتي لها بالودِيعَة نصفُ البلاغة ، فقال عبيد الله : ما أقبحَ هذا ! تفاءلتَ لامرأةٍ زُفَّتْ إلى صاحبها بالودِيعَة ، والودِيعَةُ مستردة . وقولك « من يمينك إلى شمالك أقبح » لأنك جعلت أباها اليمين وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت : « وأما الهدية فقد حسن موقعها منّا ، وجلّ خطرُها عهدنا ! وهي وإن بدتْ عنك ، بمنزلة من قربتْ منك ؛ لتفقّدنا لها ، وأنسنا بها ، ولسرورها بما وردتْ عليه ، واغتنباطها بما صارت إليه » لكان أحسن ، فنفذ الكتاب .

وكانتْ قَطْرُ الندى مع جمالها موصوفةً بفضل العقل ، خلاها المعتضد يوماً للأنس بها في مجلسٍ أفردَه لم يُحضِرْهُ غيرها ، فأخذتْ منه الكأس ، فنام على فخذاها ، فلما استثقل^(١) وضعتْ رأسه على وسادة ، وخرجت فجلست في ساحة القصر على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدْها ، فاستشاط غضباً^(٢) ، ونادى بها فأجابته على قرب ، فقال : ما هذا ؟ أخليتك إكراماً لك ، ودفعتُ إليك مهجتي دون سائر حظائِي ، فتصمّين رأسي على وسادة ! فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما جهلتُ قدرَ ما أنعمتَ به عليّ ، وأحسنْتَ فيه إليّ ، ولكن فيما أدّيتُ به أبي أن قال لي : لا تنامي مع الجلوس ، ولا تجلسي بين النيام .

[رجع إلى الرثاء .]

لابن المعتز يري
ابن ثوابه

وفي أبي الحسين بن ثوابه يقول ابن المعتز يريته :

ليس شيءٌ لصحةٍ ودوامٍ علبَ الدهرُ حيلةَ الأقوامِ
وتولى أبو الحسين حميداً فعلى رُوحه سلام السلامِ

(١) استثقل : كناية عن تمكن النوم منه (م) .

(٢) استشاط غضباً : غضب غضباً شديداً ، وأصل معنى « استشاط » احترق (م)

حين عاقده على الحفظ للعهد وصافحته بكف الذمام^(١)
 واصطفته على الأخلاء نفسي كاصطفاء الأرواح للأجسام
 كان ریحانة الندامى وميزا ن القوافى شعراً وبحر كلام
 ومكان السهم الذى لا يرى الشك ولا يستغيث بالأوهام
 ساحر الوحي فى القراطيس لا تحبس عنه أعتة الأقلام
 فإذا ما رأيت به خلت فى خديته صبحاً منقياً بظلام
 نفس صبراً لا تجزعى إن هذا خلق من خللق الأيام

[أيام الشباب]

لرجل من
بنى كلاب

وأشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب لرجل من بنى كلاب :
 سقى الله دهرًا قد تولت غياطه^(٢) وفارقنا إلا الحشاشة باطله^(٣)
 ليلى خدنى كل أبيض ماجد يطعم هوى الصابى وتغصى عواذله
 وفى دهرنا والعيش فى ذاك غرة ألا ليت ذاك الدهر تثنى أوائله
 بما قد غفينا والصبا جل همنا يمايلنا ريعانه ونمايله
 وجبر لنا أذياله الدهر حنمة يطاولنا فى غييه ونطاولة
 فسقياً له من صاحب خذلت بنا مطيننا فيه وولت رواحله
 أصد عن البيت الذى فيه قاتلى وأهجره حتى كانى قاتله

هذا البيت يناسب قول ذى الرمة ، وإن لم يكن فى هذا المعنى ، يصف ظبية
 وولدها :

إذا استودعته صفصفاً أو صريمه^(١) تنحت ونصت جيدها بالمناظر^(٢)
 حذر أراعى وسنمان يصرعه الكرى بكل مقيل عن ضعاف فواتر

(١) الدمام - بكسر الدال - العهد (م)

(٢) غياطه : ظلماته ، واحدها غيطل (م)

(٣) الصفصف : المستوى من الأرض ، والصريمة : الرملة المنقطعة من الرمال

وتهجره إلا اختلاسا نهارها
وقال أبو حية النخري :

لأبي حية
النخري

أما وأبي الشاب لقد أراه
إذ الأيام مقبلة علينا
ججيلا ما يراد به بديل
وظل أراك الدنيا ظليل

لابن بسام

وقال علي بن بسام :

بشاطي نهر قبرك فالمصلّى
معاهد لهنونا والعيش غصّ
فما والآها فالتقرّيتين
وصرف الدهر مقبوض اليدين

وكان ابن بسام هذا -- وهو علي بن محمد بن منصور بن بسام مليح من ترجمة ابن بسام وأخباره المقطعات ، كثير الهجاء خبيثه ، و [ليس] له حظ التطويل ، وهو القائل :

كم قد قطعت إليك من ديمومة
في ليلة فيها السماء مرّدة^(٢)
نطف المياه بها سواد الناظر^(١)
سوداء مظلمة كقلب الكافر^(٣)
والبرق يخفق من خلال سخابه
والقطر منهمل يسح كأنه
خفق الفؤاد لموعده من زائر
دمع المودع إثر ألف سائر

وقال في العباس [بن الحسين] لما وّرّز للمكتفى :

وزارة العباس من تحسبها
شبهته لما بدأ مقبلا
ستقلع الدولة من أسبها
في خلع يخجل من لبسها
جارية رغاء قد قدرّت
ثياب مولاهها على نفسها

وقال في علي بن يحيى المنجم يرثيه :

(١) الظف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي (م)

(٢) مرّدة : اسم الفاعل من قولهم «أرد المطر» إذا هطل ، وفي نسخة « فيها

السماء مزادة » (م)

قد زرتُ قبرك يا عليّ مسلماً ولكَ الزيارة من أقلِّ الواجبِ
ولو استطعت حملتُ عنك تُرابَهُ فطالما عني حملتَ نوائهِ
وكان مولعاً بهجاء أبيه ، وفيه يقول وقد ابتنى داراً :

شدتَ داراً خلتها مكرُمةٌ سلَّطَ اللهُ عليها الفَرَقا
وأرانيك صريعاً وسطها وأرانيها صعيداً زَلَقاً
وقال أبو العباس بن المعتز يهجوهُ :
من شاء يَهْجُو عليّاً فشمرهُ قد كفاهُ^(١)
لو أنه لأيِّهِ ما كان يَهْجُو أمَاهُ

[مع الخلفاء]

بين المأمون وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد ، وهو يخلف الحسن بن سهل ، وقد أشار
وأحمد - إليه برأى استرجعته : قد اعتلَّ الحسنُ ولزم بيته ، ووكلَ الأمرَ إليك ، فأنا إلى
ابن أبي خالد راحته وبقائه ، أحوجُ [مى] إلى إتاعبه وفنائه ، وقد رأيتُ أن أستوزرك ؛ فإن الأمرُ
مادُمتَ أنت تقوم به ، وقد طالعتُ رأيه في هذا الأمر ، فما عدَّاك . فقال :
يا أمير المؤمنين ، أعفني من التسمي بالوزارة ، وطالبنى بالواجب فيها ، واجعلْ
بينى وبين الغاية ما يرجوئى له ولأبي ، ويخافنى له عدوئى ، فما بعد الغايات إلا
الآفات . فاستحسن كلامه ، وقال : لا بد من ذلك ، واستوزره .

المأمون ومحمد ورأى المأمونُ خطَّ محمد بن داود فقال : يا محمد ، إن شاركتنا في اللفظ ،
ابن داود في فقد فارقناك في الخط ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن من أعظم آياتِ النبي صلى الله
حسن الخط عليه وسلم أنه أدَّى عَنِ الله سبحانه وتعالى رسالاته ، وحفظ عنه وَحْيَهُ ، وهو

أَمْي لا يعرف من فنون الخط فنّا ، ولا يقرأ من سائر حَرَفا ، فبقى عمود ذلك في أهله ، فهم يَشْرُقون بالشَّبّه الكريم في نَقْص الخط ، كما يشرف غيرهم بزيادته ؛ وإن أمير المؤمنين أخصّ الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوارث لموضعه ، والمتقلّد لأمره ونهيه ؛ فعلقت به المشابهة الجليلة ، وتناهت إليه الفضيلة فقال المأمون : يا محمد ، لقد تركتني لا آسي على الكتابة ، ولو كنت أُميا .

وهذا شبيهٌ بقول سعيد بن المسيب ، وقد قيل له : ما بال قریش أضعفُ العرب شعراً ، وهى أشرفُ العرب بيتاً ؟ قال : لأنّ كَوْن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قطع مَنّ الشعر عنها .

من رافة
المأمون بعماله

وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل : كنّا في مجلس المأمون وعمرو بن مسعدة يقرأ عليه الرقاع ، فجاءته عطسةٌ ، فلوى عنقه فردّها ، فرآه المأمون فقال : يا عمرو ، لا تفعل فإن ردّ العطسة وتحويل الوجه بها يُورِثان انقطاعاً في العنق . فقال بعض ولد المهدي : ما أحسنها من مولى لعبده ، وإمام لرعيته ! فقال المأمون : وما في ذلك ؟ هذا هشامٌ اضطربت عمامته فأهوى الأبرش الكلبي إلى إصلاحها ، فقال هشام : إنا لا نَحْذُ الإخوان خولاً^(١) ! فالذى قال هشام أحسن مما قلته . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين : إنَّ هشاماً يتكلّف ما طُبِعَتْ عليه ، [ويظلم] فيما تعدل فيه ، ليس له قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قيامك بحق الله ، وإنك والملك لكما قال النابغة الذبياني :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
لَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ
أَخَذَ النَّابِغَةُ هَذَا مِنْ قَوْلِ شَاعِرٍ قَدِيمٍ مِنْ كَنْدَةَ :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لَعَمْرُو بْنِ هِنْدٍ غَضَبَهُ وَهُوَ عَاتِبُ
هُوَ الشَّمْسُ وَافَتْ يَوْمَ دَجْنٍ فَأَفْضَلْتُ عَلَى كُلِّ ضَوْءٍ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ^(١)

بين يزيد بن معاوية وجميل بن أوس ، وكان أكرمه واجتباؤه : لم كرهت الإفراط في تقديمي ، وتطامنت عن الدرجة التي سما بك إليها مكانك مني ؟ فقال : [أيد الله سلطانك ، وأعلى مكانك] ، إن الذين كانوا قبلنا من أهل العلوم والآداب ، والعقول والألباب ، كانوا أطول أعماراً منا ، وأكثر للزمان صُحْبَةً ، وأكثر للإيام تجربة ، وقد قال الحكيم : بقدر الثواب عند الرضا يكون العقاب عند السخط ، وبقدر السمو في الرفعة تكون وجبة الرفعة ، ولا خير فيمن لا يسمع الموعدة ، ولا يقبل النصيحة ، وأنا يا أمير المؤمنين وإن كنت آمناً من التعرض لسخطك والدنو مما يقرب منه ، فلست بأمر من طعن المساوي في الدرجة عندك ، وحقر المشاركة في المنزلة منك ، وليس من تقديمك قليل ، ولا من تعظيمك سير ، فإن أقل ذلك فيه النباهة ، والفخر ، [والثناء] والذكر ، وحسبي مما بذلته من أموالك استحقاق عندك لإكرامك ، وحسبي من تقديمك خالص رضاك ، وصفاء ضميرك

مختار من أقوال الحكماء عند وفاة الإسكندر

لما جعل الإسكندر في تابوت من ذهب تقدم إليه أحدُهم فقال : كان الملكُ يحبُّ الذهب ، وقد صار الآن الذهبُ يحبُّه ، وتقدم إليه آخر ، والناسُ سيكونون ويجزعون ، فقال : حرّ كنا بسكونه ، أخذه أبو العتاهية فقال : يا عليّ بن ثابت بن مَنى صاحبُ جَلٍّ فَقَدْهُ يَوْمَ بَنَنَّا

(١) الدجن : الظلمة ، ووقع في نسخة « وافت يوم سعد » وأفضلت : زادت (م)

قد لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَّ كُتْنِي لَهَا وَسَكَنَتْنَا
وتقدم إليه آخر فقال : كَانَ الْمَلِكُ يَعْظُنُنَا فِي حَيَاتِهِ ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ
أَمْسٍ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا
وتقدم إليه آخر فقال : قَدْ طَافَ الْأَرْضِينَ وَتَمَلَّكَهَا ، ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَذْرَعٍ . وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخِرُ فَقَالَ : مَالِكٌ لَا تُثْقَلْ عَضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ ، وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَقِلُّ مَلِكَ الْعِبَادِ . وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخِرُ فَقَالَ : انْظُرْ إِلَى حِلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ
انْقَضَى ، وَإِلَى ظِلِّ الْغَنَامِ كَيْفَ انْتَجَلَى . وَقَالَ آخِرُ : مَالِكٌ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ عَنْ
ضَيْقِ الْمَكَانِ ، وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ (١) الْبِلَادِ . وَقَالَ آخِرُ : [كَانَ
الْمَلِكُ غَالِبًا فَصَارَ مَغْلُوبًا ، وَآ كَلَا فَصَارَ مَا كُولَا . وَقَالَ آخِرُ] : أَمَاتَ هَذَا الْمَيِّتُ
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَشَلَالِ مَيِّتٍ ، وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . وَقَالَ آخِرُ : مَا كَانَ أَقْبَحَ
إِفْرَاطِكَ فِي التَّجَبُّرِ أَمْسٍ ، مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ الْيَوْمَ . وَقَالَتْ بِنْتُ دَارَا : مَا عَلِمْتُ
أَنْ غَالِبَ أَبِي يُغْلَبَ . وَقَالَ رَئِيسُ الطَّبَاخِينَ : قَدْ نَضَدْتَ النُّضَائِدُ ، وَأُلْقَيْتَ
الْوَسَائِدَ ، وَنُصِبْتَ الْمَوَائِدَ ، وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ الْمَجْلِسِ !

جَمَلَةٌ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْمُعْتَزِ فِي الْفُصُولِ الْقُصَارِ فِي ذِكْرِ السُّلْطَانِ
أَشَقَّى النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ صَاحِبُهُ ، كَمَا أَنَّ أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ إِلَى النَّارِ أَسْرَعُهَا
احْتِرَاقًا . لَا يُدْرِكُ الْغَنَى بِالْإِسْلَامِ إِلَّا نَفْسُ خَائِفَةٍ ، وَجَنَسٌ تَعِبَ ، وَدِينٌ مُثَلَّمٌ .
إِنْ كَانَ الْبَحْرُ كَثِيرَ الْمَاءِ فَإِنَّهُ بَعِيدُ الْمَهْوَى ، وَمَنْ شَارَكَ السُّلْطَانَ فِي عِزِّ الدُّنْيَا
شَارَكَهُ فِي ذُلِّ الْآخِرَةِ . فَسَادُ الرِّعَايَةِ بِإِسْلَامِ الْمَلِكِ كَفْسَادِ الْجَسَمِ بِإِسْلَامِ الرُّوحِ . إِذَا
زَادَكَ السُّلْطَانُ تَأْنِيسًا فَرَدَّهُ إِجْلَالًا . مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ صَبَرَ عَلَى قَسْوَتِهِ كَصَبْرِ

(١) الرَّحْبُ : الْوَاسِعُ (م)

الفواص على ملوحة بحرِه . الملك بالدين يبقى ، والدينُ بالملكِ يَقْوَى . من نصح
لخدمة نصحتَه المجازاة . لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطرابِ الأمور عليه ؛ فإن
البحر لا يكادُ يسلم صاحبه في حالِ سكونه ، فكيف عند اختلافِ رياحه ،
واضطرابِ أمواجه ؟ .

ومن كلام أهل العصر وغيرهم في هذا النحو

الأوطانُ حيثُ يعدلُ السلطان . إذا نطق لسان العدل في دار الإمارة ، فلها
البُشرى بالعرز والإمارة . أخرَ بالملك العادل أن يستقلَّ سريره في سُرة الأرض .
ريحُ السلطان على قومٍ سُموم^(١) ، وعلى قومٍ نَسيم . أخْلِقْ بدم المستخف بالجبايرة أن
يكون جُبَّاراً^(٢) . من غس يده في مال السلطان فقد مشى بقدمه على دمه . الملك
خليفةُ الله في عبادِه وبلادِه ، ولن يستقيم أمرُ خلافته مع مخالفته . الملك من
ينشرُ أبواب الفضل ، ويبسطُ أنواعَ العدل . السلطانُ كالنارِ : إن باعدتها بطل
نفْعُها ، وإن قاربها عَظُم ضررها . إقبالُ السلطان تَعَبٌ وفِتْنَةٌ ، وإعراضُه حَسرةٌ
ومذلةٌ . صاحبُ السلطان كراكب الأسد يهابُه الناسُ وهو لمركبه أهيبُ .
السلطانُ إذا قال لعمَّاله : هاتوا ، فقد قال لهم : خذوا . ثلاثة لا أمان لهم : السلطان ،
والبحر ، والزمان . ليكن السلطان عندك كالنار : لا تدنُ منها إلا عند الحاجةِ
إليها ، وإن اقتبست منها فعلى حذر . مثل أصحاب السلطان كقومٍ رَقُوا جبالهم
وقعوا منه ، فكان أقربهم إلى التلف أبعدهم في المرقى . مثل السلطان كالجليل
الصَّعب الذي فيه كلُّ ثمرة طيبة ، وكل سَبْع حَطوم ، فالارتقاء إليه شديد ،
والمقام فيه أشدُّ . ابنُ عزِّ الملوك في الدنيا بالجور ليدلُّن في الآخرة [بالعدل] .
لابن عَبَّاد الصَّاحِب :

إذا ولَاكَ سلطانٌ فزده من التعظيم واخْذَرُهُ ورَاقِبْ

(١) سموم — بفتح السين — حارة محرقة (م)

(٢) جبار — بضم الجيم وفتح الباء مخففة — هدر ، ليس له من يأخذ به (م)

فما السلطانُ إلا البحرُ عظماً وقربُ البحرِ تحذُورُ القَوَاقِبِ

[وصف كاتبة]

ووصف أحمد بن صالح بن شيران^(١) كاتبة فقال: كَانَ خَطُّهَا أَشْكَالَ صُورَتِهَا ، وَكَانَ مِدَادُهَا سَوَادُ شَعْرِهَا ، وَكَانَ قِرْطَاسُهَا أُدِيمٌ وَجْهَهَا ، [وَكَانَ قَلَمُهَا بَعْضُ أَنْعَامِهَا ، وَكَانَ بَنَاتُهَا سِخْرُ مُقْلَتِهَا ، وَكَانَ سِكِّينُهَا غُنْجٌ لِحْظُهَا] وَكَانَ مِقْطُهَا قَلْبُ عَاشِقِهَا .

[وصف غلام كاتب]

وقال بعضُ الكتَّابِ يصفُ غلاماً كاتباً :

انظر إلى أثر المِدادِ بِخَدِهِ كِبْنَفْسِجِ الرُّوضِ الْمَشُوبِ بِوَرْدِهِ
ما أخطأتُ نُونَاتُهُ مِنْ صُدُغِهِ شَيْئاً ، وَلَا أَلِفَاتُهُ مِنْ قَدِهِ
أَلَقْتُ أَنْعَامَهُ عَلَى أَقْلَامِهِ شَبْهًا أَرَاكَ فِرْنْدَهَا كَفِرْنْدِهِ^(٢)
وَكُنَّا أَنْعَاسُهُ مِنْ شَعْرِهِ وَكُنَّا قِرْطَاسُهُ مِنْ خَدِهِ^(٣)

وقال أحمد بن أبي سمره الدارمي فيما ينظر إلى هذا من طَرْفِ خَفِي :

[سَرَابُ الْفَيَافِي صَادِقٌ عِنْدُ وَعْدِهَا وَسَمُّ الْأَفَاعِي مُبْرِئٌ عِنْدَ صَدِّهَا]
رَمَتْنِي وَلَمْ أَسْعَدْ بِأَيَّامٍ وَصَلَهَا بَعِينِي مَهَامٍ أَنْحَسْتَنِي بِيَعْدِهَا
فَعَلَّقَتْ قَلْبِي كَمَا قَدْ تَعَلَّقَتْ صَوَالِجُ صَدُغِهَا بِتَفَاحِ خَدِهَا
فَقَلْبِي لَمْ أَضْعِفْتَهُ كَخَصْرِهَا وَدَمْعِي أَمَّا نَظْمَتُهُ كَمَقْدِهَا
وَنِيلُ الثُّرَيَّا مِمَّا مَكَنُّ عِنْدَ وَصْلِهَا وَأَسْرَعُ مِنْ بَرْقِ تَنَاقُضِ وَعْدِهَا

[من بديع الزمان إلى ابن العميد]

رقعة كتبها بديع الزمان إلى ابن العميد يستنجزه : أَيْنَ تَكْرَمُ الشَّيْخُ الْعَمِيدُ
أَيْدِهِ اللَّهُ عَلَى مَوْلَاهُ ؟ وَكَيْفَ مَعْدِلُهُ إِلَى سِوَاهُ ؟ أَيْقُصِرُ فِي النِّعْمَةِ ، لِأَنِّي قَصَّرْتُ

(١) في نسخة « بن بشير » (م) (٢) فرند السيف — بكسر الفاء والراء —

خده (م) (٣) الأنقاس : جمع بقس — بكسر فسكون — وهو الجبر (م)

فى الخدمة ؟ إذَنْ فقد أساء المعاملة ، ولم يحسن المقابلة ، وعثر فى أذيال السهو ، ولم ينعمش بيدِ العفو ، أم يقول : إن الدهر بيننا خُدَع ، وفيما بعد مُتَمَسِّع ، فقد أزف رَحِيلِي^(١) ، ولا ماء بعد الشطِّ ، ولا سطح وراء الخط ؛ أم ينتظر سؤالى ؟ وإنما سألته ، يوم أملتَه ، واستمَنَحْتُهُ^(٢) ، يوم مدحته ، واقتضيته ، يوم أتيتَه ، وانتجعت سحابه ، لما قرعت بابه ، وليس كل السؤال أعطى ، ولا كل الرد أعفى ؛ أم يظن - أيده الله تعالى - أنى أردت صِلَتَه ، ولا ألبس خلعتَه ؟ وهذه فِرَاسَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَّا أَنهَابُهَا ، وَنَحِيلَةُ الْعَارِفِ إِلَّا أَنهَابُهَا فَاسِدَةٌ ؛ أم ليس يجد فى مَكَانًا لِلنَّعْمَةِ يَضَعُهَا ، وَأَرْضًا لِلْمَنَةِ يَزْرَعُهَا ؟ فلا أقل من تجربة دفعة ، والخطارة بإفناذ خلعة ، ليخرج من ظلمة التَّخْمِينِ ، إلى نور اليقين ، وينظر أشكر أم أكره ؛ أم يتوقع - أيده الله - صاعقة تملكنى ، أو باقية تهلكنى^(٣) ، فلهذا أملُ موفَّر ، لأن شيخ السوء باق مُعَمَّرٌ ؛ أم يقدر - أيده الله - أنى أشكره إذا اصطنع ، وأعذر إذا منع ، وتالله لو كنت ينبوع المَعاذِيرِ ما حظى منها بجرعة ، فليُرْحَنِ بِسُرْعَةٍ .

[بين البديع وأبى القاسم الهمداني]

وكتب أبو القاسم الهمداني إلى البديع : قد كتبت لسيدي حاجة إن قضاها وأمضاها ، ذاق حلاوة العطاء ، وإن أباهها وفلَّ شَبَاهَا^(٤) لَقِيَّ مَرَارَةَ الْإِسْتِبْطَاءِ ، فَأَيُّ الْجُودِينَ أَخْفَ عَلَيْهِ ؟ أَجُودٌ بِالْعَلَقِ^(٥) ، أم جُودٌ بِالْعَرَضِ ؟ وَنَزُولٌ عَنِ الطَّرِيفِ ، أم عَنِ الْخَلْقِ الشَّرِيفِ ؟

فأجابه : جعلت فداك هذا طيبخ ، كله توبيخ ، وثريد ، كله وَعِيد ، ولقم ، إلا أنها نَقَمٌ ، ولم أُرْقِدْ رَأً أَكْثَرَ مِنْهَا عَظْمًا ، ولا أَكَلًا أَكْثَرَ مِنْى كَظْمًا ، ولم أَرِ شَرْبَةً أَمَرَ مِنْهَا طَعْمًا ، ولا شاربًا أَتَمَّ مِنْى حَلْمًا ، ما هذه الحاجة ؟ ولكن حاجتك من بعدُ أَلَيْنَ جَوَانِبِ ، وَأَلْطَفَ مَطَالِبِ ، توافق قضاءها وترانق ارتضاءها ، إن شاء الله تعالى .

(١) أزف رَحِيلِي : قرب (م) (٢) استمَنَحْتُهُ : طلبت منحة ، أى عطاءه ؛ وفى نسخة « استمَنَحْتُهُ » بدون نون (م) (٣) الباقية : المهلكة (م) (٤) فل : كسر وحطم ، وشباهها - بفتح الشين - حدها (م) (٥) العلق - بالكسر - النفيس الذى يغالى فيه (م)

وفي مقامات أبي الفتح^(١) الإسكندري من إنشائه ، قال :

حدثنا عيسى بن هشام قال : أخطى جامع بخارى يوم ، وقد انتظمت مع رُقعة
 في سَمَطِ الثريا ، وحين احتفل الجامعُ بأهله طلع علينا ذو طَمَرَيْن^(٢) ، قد أرسل
 صوانًا ، واستتلى [طِفْلاً] عُرْيَانًا ، يضيق بالضرِّ وسُنعهِ ، ويأخذهُ القُرْءُ ويدَعُهُ ،
 لا يملك غَيْرَ القِشرة^(٣) بُرْدَةً ، ولا يلتقي لَحْيَاهُ رَغْدَةً ، ووقف الرجل وقال : لا ينظر
 لهذا الطفل إلّا مَنْ رَحِمَ طفله ، ولا يرقُّ لهذا الضَّرِّ إلّا مَنْ لَا يَأْمُنُ مثله ، يا أصحاب
 الجُدودِ المفروزة ، والأزْدِيَةِ المطروزة ، والدورِ المنجّدة ، والقصور المشيدة ، إنكم
 لن تأمنوا حادثًا ، ولن تعدموا وارثًا ، فبادرُوا الخيرَ ما أمكن ، وأحسنوا مع
 الدهر ما أحسنَ ، فقد والله طَعِمْنَا السَّكَبَاجَ^(٤) ، وركبنا الهِمْلَاجَ^(٥) ، ولبسنا الديباجَ ،
 وافترشنا الحشايَا بالعشايَا ، فما راعنا إلّا هبوبُ الدهرِ بغَدَرِهِ ، وانقلابُ الحِجْنِ لظهره ،
 فعاد الهِمْلَاجُ قَطُوفًا^(٦) ، وانقلب الديباجُ صُوفًا ، وهلمَّ جرا ، إلى ما تشاهدون من
 خَالِي وزَيٍّ ؛ فها نحن نرضع من الدهرِ تَدْمَى عَقيم ، وتركب من الفقرِ ظهرَ بَهِيم ،
 ولا نَزْنُو إلّا بعينِ اليتيم ، ولا نمد إلّا يدَ العديم ، فهل من كريمٍ يجلو عفا غياهب
 هذه البؤوس ، ويفلُّ شبا هذه النحوس ؟ . ثم قعد مرتفقًا ، وقال للطفل : أنت
 وشأنك . فقال : وما عسى أن أقول ، وهذا الكلامُ لو لقي الشعرَ لحلقه ،
 أو الصخرَ لفلقه ، وإن قلبًا لم يُنضِجْهُ ما قلتَ لَنِي ؛ ! قد سمعتم يا قوم ، ما لم
 تسمعوا قبل اليوم ، فليشغل كلَّ منكم بالجوْدِ يده ، وليذكر غَدَهُ ، وإِقْيَا بِي ولَدَهُ ،
 واذكروني أذكركم ، وأعطوني أشكركم !

قال عيسى بن هشام : فما آتسنى في وَخْدَتِي إلّا خاتمَ خَتَمْتِ به خنصره ،
 فلما تناوله أنشأ يقول :

وَمِنْطَاقِي مِنْ نَفْسِهِ بِقِلَادَةِ الْجُوزَاءِ حُسْنًا

-
- (١) المراد المقامات التي وضعها البديع على لسان أبي الفتح الإسكندري (م)
 (٢) طمرين : مثنى طمر - بالكسر - وهو الثوب الخلق البالي الرث (م)
 (٣) القشرة : الجلدة (م) (٤) السكَبَاج : ضرب من الطعام ، لحم بخل (م)
 (٥) الهِمْلَاج : الفرس السريع (م) (٦) القَطُوف : البطء السير (م)

كُنْزِي لَقِيَ الْحَيْبَ فَضَمَّهُ شَفَقًا وَحَزَنًا
مَتَأَلَّفٍ مِنْ غَيْرِ أُسْرَتِهِ عَلَى الْأَيَّامِ خِذْنًا
عَلَّقَ سَنِيَّ قَدْرُهُ لَكِنْ مَنْ أَهْدَاهُ أُسْنَى
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي الْمَجْدِ لَفَطًا كُنْتُ مَعْنَى

قال عيسى بن هشام : فتبعته حتى سَفَرَتِ الْخُلُوةَ عَنْ وَجْهِهِ ، فإذا والله شيخنا
الإسكندري ، وإذا الصبي غلامٌ له ، قلت :

أَبَا الْفَتْحِ شَبَبْتُ وَشَبَّ الْغَلَامُ فَأَيْنَ الْكَلَامُ ، وأين السلام ؟^(١)
فقال :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعْتُمَا الطَّرِيقَ أَلِفًا إِذَا نَظَّمْتُمَا الْحَيَّامَ
فَعَلْتُ أَنَّهُ كَرِهَ لِقَائِي ، فَتَرَكْتُهُ وَانصَرَفْتُ .

[وصف فص وخاتم]

وقال أبو الفتح كشاجم يصف فصًا :

لَأَبَى الْفَتْحِ
كشاجم

سَاجِلٌ بِفَضْلِكَ مَنْ أَرَدْتُ وَبَاهِهِ فَكُنِي بِهِ كَدًّا لِقَلْبِ الْحَاسِدِ
مَتَأَلَّفٌ فِيهِ الْفِرْنَدُ كَأَنَّهُ وَجَعِي غَدَاةَ نَدْيٍ وَضَيْفٍ قَاصِدِ
لَوْ أَنَّ ظَلْمًا مِثْلَ مَنْ عُلْتُ لَارْتَوَتْ بِهِرَ الْعَيُونِ إِضْآءًا فِي رِقَّةٍ
فَكَأَنِّي مَتَخَنَمٌ بِمُطَارِدِ
وقال بعضُ المحدثين يصف خاتمًا :

لبعض المحدثين

وَوَحِيدُ الْكِيَانِ صَنِيعٌ بَدِيعًا فَإِذَا تَمَّ صَنِيعٌ مِنْ جَوْهَرَيْنِ
خَلَقْتُ خَجَلَةَ الْخُدُودِ عَلَيْهِ خِلْمًا قَدْ لَبَسَ فَوْقَ الْأَجِينِ

(١) في نسخة «شبت وشاب الغلام» (م)

(٢) علت : أصله شربت بعد شرب ، والمراد هنا شربت مطلقا (م)

فإذا ما رأيتَه في بَنانٍ قد كساها من حُسْنِه حُلَّتِينِ
قلت نجمٌ هَوَى من الجَوْحِ حتى صارَ بحرى بُرُوجِه في اليَدَيْنِ

للبحترى

وقال البحتري يستهذى المعتز فصا :

فهل أنت يابن الراشدين مختمى بياقوتُه تبهى على وتُشرقُ
يفار احمرار الورْد من حُسْنِ صبغها ويحكىه جادى الرحيقِ المَعْتَقُ
إذا برزت الشمس قلت تجاريا إلى أمدٍ أو كادت الشمسُ تسبقُ
إذا التهبَت في اللَّحْظِ ضاهى ضياؤها جبينك عند الجودِ إذ يتألقُ^(١)
أُسرِبَلُ منها ثوبَ فخرٍ معجلٍ فيبقى بها ذِكْرٌ على الدهرِ مخلَقُ

لأبى الفتح
كشاجم

وعلى ذكر الخاتم قال أبو الفتح كشاجم :

عرَضَنَ فعرَضَنَ القلوبَ من الهوى لأشْرَعَ من كَى القلوبِ على الجمرِ
كانَ الشفا اللّمسَ منها خواتِمٌ من التَّبَرِ مخْتومٌ بهنَّ على الدُّرِّ^(٢)
وقال الناظم :

يروعُ مناجيه بهاروتٍ لحظهٍ ويؤنسُه منـه بصورةِ آدمِ
ترى فيه لأمّا فردةً فوق ورْدَةٍ وفصاً من الياقوتِ من فوق خاتمِ

[مفاضلة بين الكلام والصمت]

وقال أبو تمام الطائي : تذاكرنا في مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلامَ
وفضله ، والصمتَ ونبله ، فقال : ليس النّجْمُ كالقمر ؛ إنك إمام تمدحُ السكوتَ
بالكلام ، ولا تمدحُ الكلامَ بالسكوت ، وما أنبأ عن شيء فهو أكبرُ منه .
قال الجاحظ : كيف يكونُ الصمتُ أنفعَ من الكلام ، ونفعه لا يكادُ يجاوزُ

(١) ضاهى : أشبه ، ويتألق : يضيئ . (م) .

(٢) اللّمس : جمع لعماء ، وهى التى فيها خيط أسمر ، وهو مما يتمدح به . (م) .

صاحبه ، ونفعُ الكلامِ يعمّ ويخصّ ، والرواةُ لم تروِ سكوتَ الصامتين ، كما روت كلامَ الناطقين ؛ فبالكلامِ أرسل اللهُ تعالى أنبياءه لا بالصمتِ ، ومواضعُ الصمتِ المحمودَةُ قليلةٌ ، ومواضعُ الكلامِ المحمودَةُ كثيرةٌ ، وبطول الصمتِ يفسدُ البيان . وكان يقال : محادثةُ الرجال تلقيحُ لألبانها .

وذُكر الصمتُ في مجلسِ سليمان بن عبد الملك فقال : إنَّ مَنْ تكلمَ فأحسنَ قدَّر أن يسكتَ فيُحْسِنَ ، وليس مَنْ سكتَ فأحسنَ يتكلمُ فيُحْسِنَ . قال بعضُ النساك : أسكتتني كلمةُ ابن مسعود عشرين سنةً ؛ وهى : من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوتخ بنفسه .

[الحنين إلى الأوطان]

قال أبو عمرو بن العلاء : مما يدلُّ على حرية الرجل وكرم غريزته حينئذٍ إلى أوطانه ، وتشوقه إلى متقدم إخوانه ، وبكاؤه على ماضى من زمانه . وقالوا : الكريم يحنُّ إلى جنابه ، كما يحنُّ الأسدُ إلى غابه . وقالوا : يشواق الليبُ إلى وطنه ، كما يشواق النجيب إلى عَظَنه^(١) .

ألفاظ لأهل المصر في ذكر الوطن

بلد لا تؤثّر عليه بلدًا ، ولا تصير عنه ألدًا . هو عشهُ الذى فيه دَرَجَ ، ومنه خرج . جمع أسرته ، ومقطع سُرَّتِه . بلد أنشأته تربته ، وغذاؤه هواؤه ، ورباه نسيمةً ، وحلَّتْ عنه التمايمُ فيه .

قالوا : وكان الناسُ يتشوقون إلى أوطانهم ، ولا يفهمون الملةَ فى ذلك ، حتى أوضحها على بن العباس الرّومى فى قصيدته لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستمدّيه على رجل من التجّار ، يعرف بابن أبى كامل ، أجبره على بينم داره واغتصبه بعض جُدرها ، بقوله :

(١) النجيب : هنا الجبل الأصيل ، والعطن - بفتح العين والطاء جميعا - مبرك الإبل . أى مكان بروكها (م)

لابن الرومي
في تحليل الحنين
إلى الوطن

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعهُ
عهدتُ به شَرخَ الشبابِ ونعمةً
وحبَّ أوطانَ الرجالِ إليهمُ
إذا ذكروا أوطانهم ذكَّرتهمُ
فقد ألفتَهُ النفسُ حتى كأنهُ
يقول له فيها :

وقد عزتني فيها لثيمٌ وسامي
وما هو إلا نسجك الشعر ضلة
بصيرٍ بدسَّالِ الملوكِ ، ولم يكن
وإني وإن أضحتُ مدلاً بماله
فإن لم تُصِبنِي من يمينك نعمةٌ
فكم لقي العافون بدءاً وعودةً
فقال لي اجهدني جهداً احتياليكا^(١)
وما الشعرُ إلا ضلة من ضلالِكا
بعار على الأحرار مثل سوءِكا
لأملُ أن أضحي مدلاً بمالِكا
فلا تُخطِئَنهُ نعمةٌ من شمالِكا
نوالك والعادون من نكالِكا

وقال علي بن عبد الكريم النصيبي : أتاني أبو الحسن بن الرومي بقصيدته
هذه ، وقال : أنصفني ، وقل الحق : أيهما أحسن قولي في الوطن أو قول الأعرابي :
أحبُّ بلادِ الله ما بين منعِجٍ إلى وسلمى أن يصوبَ سحابها
بلادٌ بها نيطتُ على تمانى وأول أرضٍ مسَّ جِلدي تُرابها^(٢)
فقلت : بل قولك ؛ لأنه ذكر الوطنَ ومحَبته ، وأنت ذكرت العلة التي
أوجبت ذلك .

وله يشناق
إلى بغداد

وقال ابن الرومي أيضاً يتشوق إلى بغداد ، وقد طال مقامه بسرٍّ من رأى :
بلدٌ صحبتُ به الشبيبة والصبا ولبستُ ثوبَ العيش وهو جديدُ
فإذا تمثل في الضمير رأيتَهُ وعليه أغصانُ الشبابِ تميدُ^(٣)

(١) عزني : غلبني (م) (٢) نيطت : علفت ، والتامم : جمع تيمة ، وهي للعانة
تعلق على الصبي تمنع عنه العين في زعمهم (م) (٣) تميد : تتحرك وتنايل .

وقال أبو العباس : ولما احتفل القائل في هذا المعنى السابق إليه قال :

* بلادُها حلَّ الشبابُ تماهى *

وقد تقدّم . وإذا كانت تمامه قطعت بأبرق العزّاف ، وكان الترابُ
الذي مَسَّ جلدَه ترابَ جزيرة سيراف ، وجب أن يحنَّ إليه حنينَ المتأسفين على
غُوطَةِ دمشق ، وقصور مدينة السلام ، ونجف الجزيرة ، ومستشرفِ الخورنق ،
وجوْسق سرّ مَنْ رأى ، لَمَّا بعد عنها ، وطال مقامه بغيرها ، كلاً ، ولكن هذا
الرجل علم أن الحنينَ إلى الأوطانِ لما تَدَكَّرَ من معاهد اللّهُ فيها ، بحدّة الشباب
الذي ذكر أن غول سَكْرَتِه ، يغطى على مقدار فضيلته ، في قوله :

لا تلحْ مَنْ يَبْكِي شيبَتَه إلا إذا لم يَبْكِهَا بَدَمَ
عَيْبُ الشَّيْبَةِ غُولُ سَكْرَتِهَا ومقدار ما فيها من النعم
لَسْنَا نراها حقَّ زُوَيْتِهَا إلا أوان الشيبِ والهَرَمِ
كالشمس لا تبدو فضيلتها حتى تُغشَى الأرضُ بالظلمِ
ولرُبَّ شَيْءٍ لا يَدِينُهُ وجدانه إلاَّ مع العدمِ

أخذها هذا من قول الطائي :

راحتْ وفودُ الأرضِ عَنْ قَبْرِه فارغَةً الأيدي ملاء القلوبِ
قد علمتْ مارِثَتُ ، إنما يعرفُ فَقْدُ الشمسِ بعد الغروبِ
وأخذ ابنُ الرومي قوله في صفة الوطن من قول بشّار :

لبشار بن برد
في حب الوطن

متى تعرف الدارَ التي بَانَ أهلُها بسعدى فإن العهدَ منك قريبُ
تذكركُ الأهواءُ إذْ أَنْتَ يافِعٌ لَهِيا فَمَعْنَاهَا لَدَيْكَ حَبِيبُ^(١)
أو من قول بعض الأعراب :
ذَكَرْتُ بِلادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِي بشوقِي إلى عَهْدِ الصبا المُتَقَدِّمِ^(٢)

لبعض
الأعراب

(١) يافع : أراد صغير السن ، ومعناها : موطن الإقامة منها (م)

(٢) استهات مدامي : انهمرت ، وهطلت ، وسالت (م)

حَفَنْتُ إِلَى أَرْضٍ بِهَا اخْضَرْتُ شَارِبِي وَقَطَعْتُ عَنِّي قَبْلَ عَقْدِ التَّمَامِ
 وَأَنْشَدَ ثَعْلَبُ لِرَجَاءِ بْنِ هُرُونِ التَّسْكِي :
 أَحْنُ إِلَى وَادِي الْأَرَاكِ صِبَابَةً لَعَهْدِ الصَّبَا فِيهِ وَنَذَارَ أَوَّلِ
 كَانَ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهِ نَسِيمُ حَبِيبٍ أَوْ لِقَاءِ مُؤَمِّلِ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ الصَّوْلِي : وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ رَجَاءٍ أَخَذَ ، وَبِهِ أَلَمْ ،
 وَعَلَيْهِ عَوَّلَ ؛ لِأَنَّهُ فِي تَنَاوُلِهِ الْمَعْنَى غَرِيبُ الْأَخْذِ ، غَايِرُ السَّهْمِ ^(١) ، لَا يِعَارِضُ
 مَعْنَى مَعْرُوفًا إِذَا أَنْشَدَ عِلْمُ النَّاسِ أَنَّهُ مَعْدِنُهُ الَّذِي انْتَحَتْهُ مَتَهُ .

وَقَدْ اخْتَلَسَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :
 فَقَدْ أَقْبَسَ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غُودِرَ هَالِكًا
 أَخَذَهُ عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِبَادِي وَقَالَ فَأَحْسَنَ الْأَخْذَ وَلَطَفَ فِي السَّرْقَةِ :
 بِالْجَزَعِ فَالْخَبْتَيْنِ أَشْلَاءَ دَارِ ذَاتِ لَيْالٍ قَدْ تَوَلَّتْ قِصَارُ
 بَانُوا فَمَاتَ أَصْفَا بَعْدَهُمْ وَإِنَّمَا النَّاسُ نَفُوسُ الدَّارِ
 وَقَالَ أَعْرَابِي :

أَيَا حَمْدًا مَحْدُوطِيبَ تُرَابِهِ تَصَافِحُهُ أَيْدِي الرِّيَاحِ الْفَرَاثِ
 وَعَهْدُ صَبَا فِيهِ يَنَازَعُكَ الْهَوَى بِدَلِّكَ أَتْرَابُ عَذَابُ الْمَشَارِبِ
 تَنَالُ الْمَنَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ عَذَابُ الثَّنَا يَا وَارِدَاتِ الذُّوَابِ ^(٢)
 وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ يَخَاطَبُ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ .

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِحَمْرَةٍ لَيْلَى خَيْتَ رَبَّتَنِي أَهْلِي
 بِلَادٍ بِهَا نَيْطَتْ عَلَى تَمَائِي وَقُطْمَنَ عَنِّي حِينَ أَذَرَ كَفِّي عَقْلِي
 فَإِنْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ مَانِي فَأَنْفَسَ عَلَى الرِّزْقِ وَاجْتَمَعَ إِذَا شَمَلِي
 وَقَالَ سَوَارُ بْنُ الصَّرِيرِ ^(٣) ، وَرُوِيَ لِلْمَلِكِ بْنِ الرِّيبِ :

(١) السَّهْمُ الْعَاثِرُ : الَّذِي لَا يَعْرِفُ رَأْيَهُ (م) .
 (٢) الذُّوَابُ : جَمْعُ دَوَابَّةٍ ، وَأَرَادَ الشَّعْرَ ، وَوَرُودَهُ : اسْتَرْسَلَهُ (م) .
 (٣) فِي نَسْخَةِ «-سَوَارِ بْنِ الْمَضْرِبِ» (م) .

سقى اللهُ اليمامة من بلادِ
وجوًّا زاهراً للريح فيه
به سُمْتُ الشباب إلى زمانٍ
نوائجها كأرواحِ الغواني^(١)
نسيمٌ لا يروُّعُ التربِ وإني
يقبحُ عندنا حسنَ الزمانِ

وقال أعرابي :

لأعرابي

أقول لصاحبي والعيسُ تَخْدِي
نَمْتَعُ مِنْ نَسِيمِ عَرَارِ تَجْدِي
ألا يا حَبْذا نفحاتِ تَجْدِي
[وأهلك إذ يحلُّ القومُ نجدا]
شهورٌ يَنْقَضِينَ وما شـهرنا
بأنصافٍ لهن ولا سِرَارِ
وهذا البيت كقول الآخر :

سقى اللهُ أياماً لنا قد تنابعتْ
ليالي أُعْطِيتُ البَطَالَةَ مِقْوَدِي
وسقياً لَعَصْرِ العَامِرِيَّةِ من عَصْرِ
تمرُّ الليالي والشهورُ لولا أذْرِي

وتخلفَ سليمان عن نصرة ابن الرومي ؛ فذاك الذي هاجه على هجائه ، فمن
ذلك قواه ، وقد خرج في بعض الوجوه فرجع مهزوماً :

ابن الرومي
يهجو سليمان
ابن عبد الله
ابن طاهر

جاء سليمان بنى طاهر
كانَ بغداد وقد أبصرتْ
فاجتاح معتز بنى المعتصم
طلعتْ نائحةً تلتدِمُ^(٢)
مستقبل منه ومستدبر
وجه بخيلٍ وفقاً منهزمٍ

وقال :

قرن سليمان قد أضربَ به
شوقٌ إلى وجهه سيتلفهُ

- (١) في نسخة « نوافجها كأرواح الغواني » والأرواح : جمع ريح (م)
(٢) العيس : الإبل ، وتخدي : تسرع في سيرها ، والنيفة : ماء للثيم (م)
(٣) غب القطار : بعد المطر (م)
(٤) تلتدم : تلطم وجهها (م)

كَمْ يَعِدُّ الْقِرْنَ بِالْأَقْيَامِ وَكَمْ
يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ

لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ . وَيَرَى قَفَاءَ مَنْ قَرَسَتْخٍ ، فَيَعْرِفُهُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض الخوارج ، وقد قال له أبو جعفر المنصور :
أخبرني أي أصحابي كان أشد إقداماً في مُبارزتك ، فقال : ما أعرفُ
وجوههم ، ولكنني أعرفُ أقفائهم ، فقل لهم يدبروا أعرفك .

وفي هذه المنازعة يقول ابن الرومي لمواليه بني هاشم وكان ولاؤه لعبيد الله بن
عيسى بن جعفر بن المنصور :

تَحِذْتُكُمْ دِرْعًا عَلَى لَتْدَفَمُوا نَبَالَ الْعِدَى عَنِي فَكُنْتُمْ نَصَالَهَا

وقد نلتُ أرجومكم خيرَ ناصر علي حين خذلانَ اليمينِ شِمَالَهَا

فإن أنتم لم تحفظوا المودتي ذِمَامًا فَكُونُوا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

قِفُوا مَوْقِفَ الْمَعْدُورِ عَنِي بِمَعَزِلٍ وَخَلُّوا نَبَالَيَ وَالْعِدَا وَنَبَالَهَا

ألفاظ لأهل العصر ، في وصف الأمانة والأزمة

بلدة كأنها صورةُ جنةِ الخلد ، منقوشة في عَرْضِ الأرض . بلدةٌ كأن
محاسنَ الدنيا مجموعةٌ فيها ، ومحصورةٌ في نواحيها . بلدةٌ كأن ترابها عنبرٌ ،
وحَصْبُها عقيقٌ ^(١) ، وهواها نسيمٌ ، وماءها رحيقٌ . بلدةٌ معشوقة السُّكنى ،
رحبةُ المشوى ^(٢) ، كوكبها يقطان ، وجَوَّها عُريان ، وحَصَاها جَوْهر ، ونسيمُها
مُعطرٌ ، وترابها منك أدفَر ، ويومها غداةٌ ، وليلها سحرٌ ، وطعامها هنيءٌ ،
وشرايها مَرِيءٌ . بلدةٌ واسعةُ الرقعة ، طيبةُ البقعة ، كأن محاسنَ الدنيا عليها
مفروشة ، وصورةُ الجنةِ فيها منقوشة ، واسطةُ البلادِ وسرَّتُها ، ووجهها وغرَّتُها .

(١) الحصباء : صغار الحصى (م)

(٢) اللثوى : مكان الإقامة ، ورجبته : أي واسعته (م)

ولهم في ضد ذلك

بلد مُتَضَائِقُ الحدود والأفنية ، متراكب المنازل والأبنية . بلد حرُّها مؤذٍ ، وماؤها غير مفذ . بلدة وَسخة السماء ، رَمِدة الهواء ، جوُّها غبار ، [وأرضها خَبَارٌ ^(١)] ، وماؤها طين ، وترابها سِرْجِين ^(٢) وحيطانها تَرُوز ، وتشرينها تموز ^(٣) ، فكم في شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق . بلدة ضيقة الديار ، سيئة الجوار ، حيطانها أخصاص ، وبيوتها أققاص ، وحشوشها مسايل ، وطرقتها مَزَابِل .

ولهم في صفات الحصون والقلاع

حصن كأنه على مَرَقَبِ النجم ، يحسردونه الناظر ، ويقصر عنه العقابُ السكائرُ ، يكادُ مَنْ علاه يفرق في حوض الغمام . حصن انتطلق بالجوزاء ، وناجَتْ أبراجُه بُرُوجَ السماء . قلعة حُلِّقَت بالجو تناجي السماء بأسرارها . قلعة بَعْدَ في السماء مُرْتَقَاهَا ، حتى تساوى ثَرَاها مع تَرَيَّاهَا . قلعة تتوشح بالغيوم ، وتَحْمِلُ بالنجوم . قلعة عالية على المرتقى ، صماء عن الرقي ، قد جاوزت الجوزاء سَمْتًا ، وعزات السماء الأعرل سَمَكًا ، هي متناهية في الحصانة ، موثوقة بالوثاقة ، ممتنعة على الطلب والطالب ، منصوبة على أضيق المسالك وأوعر المناصب ، لم تزدْها الأيامُ إِلَّا نُبُوَ أعطاف ، واستصعب جوانب وأطراف ، قد ملَّ الوَلَاةُ حِصَارَهَا ، ففَارَقُوا عَنْ طَنُوحِ منها وشماس ، وسُمَّتِ الجيوشُ ظِلَّهَا ، ففادَرَتْهَا بعد قنوطِ وياسٍ ، فهي حَتَّى لَا يُرَاغَ ^(٤) ، ومَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاع ، كَأَنَّ الأيامَ صَالَحَتْهَا عَلَى الإِعْقَاءِ مِنَ الْحَوَادِثِ وَاللَّيَالِي عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ . قلعة تَحْوِي مِنَ الرَّفْعَةِ قَدْرًا لَا تَسْتَهَانُ مَوَاقِمَهُ ، وتلوي في المنعة جيدًا لَا تَسْتَلَانُ أَخَادِعَهُ ، ليس لَوَلَّوْهُمُ قَبْلَ الْقُدُومِ إِلَيْهَا مَسْرَعَى ، وَلَا لِلْفِكَرِ قَبْلَ الْخَطْوِ مَحْوَهَا مَجْرَى .

(١) الخبار - بفتح الخاء المعجمة، بزنة السحاب - اللين المسترخى من الأرضين (م)

(٢) أراد أن ترابها نجس ؛ لأن السرجين عذرة البهائم (م)

(٣) تشرين وتموز : من أسماء الشهور الرومية ، وتشرين في الشتاء ، وتموز في

الصيف ، يريدانها شديدة الحر (م) (٤) لا براغ : لا يطلب لأنه لا سبيل إليه (م)

ولهم في صفات القصور والدور

قصر كان شُرُفَاتِهِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعُيُوقِ^(١)، كَأَنَّهُ يُسَامِي الْفَرَقْدَ، وَقَدْ اكْتَسَتْ لَهُ الشَّعْرَى الْعَبُورَ ثَوْبَ الْغُبُورِ . قَعْرُ طَالِ مَبْنَاهُ ، وَطَابَ مَفْهَاهُ ، كَأَنَّهُ فِي الْحَمَانَةِ جَبَلٌ مَنِيعٌ ، وَفِي الْحَسَنِ رَبِيعٌ مَرِيعٌ . شُرُفَاتُ كَالْعَذَارَى شَدَدْنَ مَنَاطِقَهَا ، وَتَوَجَّنَ بِالْأَكْلِيلِ مَفَارِقَهَا . قَصْرٌ أَقْرَتْ لَهُ الْقُصُورُ بِالْقُصُورِ^(٢) ، كَأَنَّهُ سَحَابٌ فِي بَحْرِ السَّمَاءِ . دَارُ قَوْزَاءَ تُوسِّعُ الْعَيْنَ قُرَّةً ، وَالنَّفْسَ مَسْرَةً . كَأَنَّ بَانِيهَا اسْتَسْلَفَ الْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ . دَارُ تَخْبَلُ مِنْهَا الدُّورُ ، وَتَقْتَصِرُ عَنْهَا الْقُصُورُ ؛ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ انْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ . دَارٌ قَدْ اقْتَرَنَ الْيُمْنُ بِبَيْمَانِهَا ، وَالْيُسْرُ بِبُيُسْرَاهَا ، الْجِسْمُ مِنْهَا فِي خَصَرٍ ، وَالْعَيْنُ عَلَى سَفَرٍ . دَارُ هِيَ [دَائِرَةُ الْمِيَامَنِ ، وَ] دَائِرَةُ الْحَاسَنِ . دَارٌ دَارٌ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا ، وَفَازَ بِالْحَسَنِ سَهْمُهَا . دَارٌ يَخْدُمُهَا الدَّهْرُ ، وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ ، وَيَكْنُفُهَا النَّصْرُ ، هِيَ مَرْتَعُ النَّوَظِرِ ، وَمَتْنَفَسُ الْخَوَاطِرِ . دَارٌ قَدْ أَخَذَتْ أَدَوَاتِ الْجِنَانِ ، وَضَحَكَتْ عَنِ الْعَبَقْرِىِّ الْحِسَانِ .

[من رسائل الميكالى وشعره]

فصل لأبى الفضل الميكالى إلى بعض إخوانه :

مَا ابْتَدَأْتُ بِمَخَاطَبَةِ سَيِّدِي حَتَّى سَرَّتِ الْمَسْرَةَ فِي نَفْسِي ، وَقَوِيَتْ أَرْكَانُ هَهْجَتِي وَأُنْسِي ، وَحَتَّى أَقْبَلْتُ وَجْهَهُ الْمِيَامَنِ تَهَلَّلَ إِلَيَّ ، وَبَدَّرَ الْمُسَاعِدِ تَنَالُ عَلَى^(٣) ، وَكَيْفَ [لَا يَمْلِكُنِي الْجَذَلُ وَالْفَرَحُ ، وَكَيْفَ] لَا يَهْزُنِي النَّشَاطُ وَالْمَرَحُ ، وَقَدْ زَفَقْتُ وَدَّيَّ إِلَى كُفٍّ كَرِيمٍ ، وَعَرْضَتُهُ لِحْظَةً مِنَ الْجَمَالِ جَسِيمٍ ، وَأَرْجُو أَنْ يَرِدَ مِنْهُ عَلَى حُسْنِ قَبُولٍ وَإِقْبَالٍ ، وَيَحْطَى مِنْ ارْتِيَا حِوَالِهِ لِيَبْزُدَ

(١) النسْر والعيون والشعري : أسماء نجوم في السماء (م)

(٢) القصور الأول : جمع قصر ، والثاني بمعنى التقصير (م)

(٣) تنال على : تتوالى وتكثر (م)

أَشْتَمَال، وَيُصَادَفُ مِنْ اهْتِزَازِهِ وَإِنْشَائِهِ، وَعِمَارَتِهِ وَإِنَّمَائِهِ، وَتَحْصِينِ أَطْرَافِهِ مِنْ شَوَائِبِ الْخُلَلِ، وَشَوَائِنِ الْإِوهَنِ وَالْمِيلِ، وَمَا تَسْتَحْكُمُ بِهِ مَرَّاثُ الْوِصَالِ، وَتُؤْمِنُ عَلَى قُوَاهَا عَوَادِي الْإِتْقَاضِ وَالْإِنْخِلَالِ .

وله : إِذَا لَمْ يُؤْتِ الْمَرْءُ فِي شُكْرِ الْمُنْعَمِ إِلَّا مِنْ عِظَمِ قَدْرِ الْإِنْعَامِ وَالْإِصْطِنَاعِ، وَاسْتِفْرَاقِهِ مِنْهُ قُوَى الْإِسْتِقْلَالِ وَالْإِصْطِلَاحِ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي الْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ عَتَبٌ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِيهِ تَقْيِصٌ وَلَا عَيْبٌ . وَلَنْ ظَهَرَ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ فَإِنِّي أَحِيلُ بِحَسَنِ الثَّنَاءِ عَلَى مَنْ لَا يُعْجِزُهُ حِمْلُهُ، وَلَا يُؤْودُهُ ثِقَلُهُ، وَلَا يَزُكُّو الشُّكْرَ إِلَّا لَدَيْهِ، وَلَا تُضَرِّفُ الرِّغْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ لِمُجْدِيهِ بِقِيمِ أَعْلَامِهِ، وَفَضْلِهِ يَقْضِي ذِمَّتَهُ، وَعُرْفِي يَبْثُ أَقْسَامَهُ، وَوَلِيُّ يُوَالِي إِكْرَامَهُ، وَعُدُوِّي يُدِيمُ قَمْعَهُ وَإِرْغَامَهُ

وله : وَلَوْ وَفِيَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ الْجَسِيمَةُ حَقَّهَا لَمَشَيْتُ إِلَى حَضْرَتِهِ - آتَسْهَأُ اللَّهُ تَعَالَى - حَبْوًا [لَا] ^(١) عَلَى الْقَدَمِ، وَلَآثَرْتُ فِيهِ خِدْمَةَ اللِّسَانِ عَلَى خِدْمَةِ الْقَلَمِ، وَلِمَارَضِيَتْ لَهُ بِيَاعِي الْقَصِيرِ، وَعِبَارَتِي الْمَوْسُومَةَ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ، حَتَّى أَسْتَعِيرَ فِيهِ أُلْسِنَةَ تَحْمِلُ شُكْرًا وَثْنًا، وَتَوْسِيعَ نَشْرًا ^(٢) وَدَعَاءَ، ثُمَّ لَا أَكُونُ بَلْفَغْتُ مُبْلَغًا كَافِيًا، وَلَا أَبْلَيْتُ عُذْرًا شَافِيًا؛ إِلَّا أَنَّ عَدَمَ الْإِذْنِ تَبَطَّنِي ^(٣) عَنْ مَقْصُودِ الْغَرَضِ، وَعَاقَفَنِي عَنْ الْوَاجِبِ الْمَفْتَرَضِ؛ فَأَقْتُ عَاكِفًا عَلَى دَعَاءِ أَرْفَعُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَبْتَهَلًا، وَأَوَاصِلُهُ مُجْتَمِدًا فِي لَيْلِي وَنَهَارِي مُحْتَفَلًا .

وله : أَحَقُّ النِّعْمَةِ بِالزِّيَادَةِ نِعْمَةٌ لَمْ تَزَلْ الْعَيُونُ إِلَيْهَا مُسْتَشْرِفَةً ^(٤)، وَالْقُلُوبُ إِلَيْهَا مُتَشَوِّفَةً، وَالْأَيَّامُ بِهَا وَاعِدَةً، وَالْأَقْدَارُ فِيهَا مُسَاعِدَةً، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي نِصَابِهَا، وَأَلْقَتْ عَصِيَّ اغْتِرَابِهَا، فَهِيَ لِلنَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ مَتَرَشِّحَةٌ، وَبِالْعَزِّ وَالسَّعَادَةِ مَتَوْشِحَةٌ، وَبِالْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ مُسْتَدَامَةٌ مَرْتَهَنَةٌ، وَبِاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ وَالْأَهْوَاءِ عَلَيْهَا مَرْتَبُطَةٌ مُحَصَّنَةٌ .

(١) « لَا » هَذِهِ لَيْسَتْ فِي الْأَصُولِ، وَلَكِنْ الْمَعْنَى يَتَطَلَّبُهَا أَلْبَتَّةُ (م) .

(٢) الشَّرْ، هُنَا : الْإِدَاعَةُ بَيْنَ النَّاسِ (م) .

(٣) تَبَطَّنِي : أَقْدَمَنِي (م) . (٤) مُسْتَشْرِفَةٌ، وَكَذَلِكَ مُتَشَوِّفَةٌ : مُتَطَلِّعَةٌ (م) .

وله فصل من كتاب تعزية بالأمر ناصر الدين :

أقدارُ الله تعالى في خلقه لم تزل تختلفُ بين مكروهه ومحبوبه ، وتنصرفُ بين مؤهوبه ومسلوبه ، غاديةً أحكامها مرةً بالمصائب والنوائب ، رائحة أقسامها تارةً بالعطايا والרגائب ، ولكن أحسنها في العيون أثراً ، وأطيبها في الأسماع خيراً ، وأحرأها بأن تكسب القلوب عزاءً وتنسبها ، ما إذا انطوى نُشْر ، وإذا انكسر جُبر ، وإذا أخذ بيد ردةً بأخرى ، وإذا وهب بيمين سلب يسرى ، كالمصيبة بفلان التي قرحت الأكباد ، وأوهنت الأعضاد^(١) ، وسودت وجوه المكارم والمعالى ، وصورت الأيام في صور الليالى ، وغادرت المجد وهو يلبس حداده ، والعدل وهو يبكي عماده ، والدين وهو يندب جهاده ، حتى إذا كاد اليأس يغلب الرجاء ، ويرد الظنون مظلمة النواحي والأرجاء ، قيض الله تعالى من الأمير الجليل من اجتمعت عليه الأهواء ، ورضيت به الدهماء ، فأنتى به حادث الكلم ، وسد بمكانه عظيم النلم ، ورد الآمال والنفوس قد استبدلت بالحيرة قوة وانتصاراً ، وصارت للدولة المباركة أعواناً وأنصاراً

من شعر الميكالى
في تجنيس
القوافى

ومن شعره في تجنيس القوافى ، في معان مختلفة :

إذا لم تكن نكال النصيح سميماً ولا عاملاً أنت به
يُذَبِّهكَ الدهرُ من رقة المَلاهى وإن قلت لا أنتبه

وقال :

تفرق الناس في أرزاقهم فرقاً فلا يس من ثراء المال أو عارى
كذا المعاش في الدنيا وساكنها مقسومة بين أوعاث وأوعار

وقال :

حوى القدر عمراً فقلت اعتقد رضا بالقضاء ولا تحتقد

(١) أوهنت : أضعفت ، والأعضاء : جمع عضد ، وهو من اليد ما بين الكف والذراع ، ويرمز به إلى القوة ، ومنه قولهم « فت في عضده » ، ويطلق العضد على الناصر والمعين ، مجازاً مأخوذاً من ذلك (م) .

فإِذَا احْتَدَّتْ قَضَاءَ الْإِلَهِ فَأَقْبَحَ بِمَحْتَدٍ تَحْتَ فِدِ
وقال :

تَمَّتْ مَحَاسِنُهُ فَمَا يُزْرِي بِهَا مَعَ فَضْلِهِ وَنَمَانِهِ وَكَمَالِهِ
إِلَّا قُصُورُ وَجُودِهِ عَنْ جُودِهِ لَا عَوْنَ لِلرَّجُلِ الْكَرِيمِ كَمَالِهِ
انْصُرْ أَخَاكَ إِذَا اجْتَدَاكَ فَوَاسِيَهُ وَإِنْ اسْتَغْنَاكَ وَاتَّقَا بِكَ مَالَهُ (١)
وقال أيضاً :

إِذَا تَغَدَّيْتُ صَدْرَ يَوْمِي نِمَ تَأْذَيْتُ بِالْعَدَاءِ
فَقُلْتُ إِذْ مَسَّنِي أَذَاهُ أَرَى غَدَائِي أَرَاغَ دَائِي
وله في هذا [الصوغ] :

لَنَا صَدِيقٌ يُجِيدُ لَقَاءَ رَاحَتُنَا فِي أَذَى قَفَاءِ
مَا ذَاقَ مِنْ كَسْبِهِ ، وَلَكِنْ أَذَى قَفَاءِ أَذَاقَ فَاءِ
وقال يهجو رجلاً :

يَبْرِدُ يَوْسَعٌ فِي بَيْتِهِ وَيَأْتِي لَهُ الضِّيقُ فِي صَدْرِهِ
فَتِي سَخِطَ النَّصَبُ فِي قَدْرِهِ كَمَا رَضِيَ الْخَفْضُ فِي قَدْرِهِ
يَحْدَرُ أَوْصَالُ أَضْيَافِهِ وَلَا يُبْرِزُ الْخُبْرُ مِنْ خَدْرِهِ

وقال في غير هذا المذهب يصفُ كتاباً وَرَدَ عَلَيْهِ :

قَدْ أَتَانَا مِنْ صَدِيقٍ كَلَامٌ كَلَالٍ زَاهِنٌ نِظَامٌ
فَسَرَى فِي الْقَلْبِ مَنَى سُرُورٌ مَطْرَبٌ يَعْجَزُ عَنْهُ الْمُدَامُ
مَنْ لَمْ يَرْتَحِ رَبُّ بَنَاتِ حَوْلَهُ مِنْ جَهْمِ زِحَامِ

له في وصف
كتاب ورده

(١) اجتدك : طلب جدواك ، والجدوى : العطاء ، و « ماله » أصله « ماله »
فخفف الهمزة بقلبها ياء ثم حذفها كما تحذف لام المنقوص (م) .

فرعى الله طويلا يُرجى خلفا من نسله لا يُفام
وأناه بعد يأسٍ بشير قال يا بشرى هذا غلامٌ

وقال يصف الشمع :

وليلٍ كلونٍ المهجر أو ظلمةِ الخبرِ نصَبْنَا لراجيه عموداً من التَّبَرِ
بشقٍّ جلايبِ الدُّجى فكانما ترى بين أبدينا عموداً من القَجَرِ
يُحاكى رِواءَ العاشقين بلوَّنه وذوب حشاه والدموع التى تجرى
خلاً أن جارى الدمع ينحله قوى وعهدى بدمعِ العين ينحلّ إذ يجرى
تبدى لنا كالغصن قدأ وفوقه شمعٌ كأننا منه فى ليلةِ البدرِ^(١)
تحمل نورا حتفه فيه كامنٌ وفيه حياةُ الانس والنهر لو يدرى
إذا ما علته علةٌ جرَّ رأسه فيختالُ فى ثوبٍ جديدٍ من العمر

وقال :

ياربِّ غُصْنِ نوره يزرى بنور الشفقِ
يظلُّ طولَ عمره يَبْكِي بِجفنٍ أرقِ
نارُ الحب فى الحشا وناره فى المفرقِ
لاح لنا فى مغربٍ فردنا فى مشرقِ

وقال :

وقضيبٍ من بنات النحل فى قدِّ السكابِ^(٢)
يُشبه العاشق فى لو نِ ودمعِ ذى أنسكابِ
كسى الباطن منه وهو عريانُ الإهابِ^(٣)

(١) فى نسخة « كأننا منه فى ليلة القدر » وليلة البدر : هى الليلة الرابعة عشر من ليلالى الشهر العربى ، وفيها يكتمل البدر نوره (م) .

(٢) من بنات النحل : يريد أنه من الشمع الذى يؤخذ من النحل (م) .

(٣) وقع البيت فى بعض الأصول « قد كسى - إلخ » وكلمة « قد » فى أوله زائدة عن الوزن ، وتقرأ كلمة « كسى » بالبناء للمجهول فتم البيت وزنا ومعنى (م) .

فإذا ما أنعم الأب دان ملبوس الثياب
فهو للشقوة منها في بلاء وعذاب

وكشاجم في وقال كشاجم يصف شمعاً أهدها [إلى بعض الملوك] :

وصف الشمع

[و] ^(١) صُفِرَ من بَنَاتِ النَّحْلِ تُكْسَى
عذارى يُفْتَضُّنَ مِنَ الْأَعَالَى
وأمت تنتج الأضواء حتى
كواكب لسنّ عنك بآفلاتٍ
بعثتُ بها إلى مَلِكٍ كَرِيمٍ
فأهديت الضياءَ بها إلى مَنْ
بواطئها وأظهرها عَوَارِي
إذا افتضت من الشُّفْلِ القَدَارِي
تلقح في ذوائبها بِنَارٍ
إذا ما أشرقت شمسُ المُقَارِ
شريف الأصل محمود الثَّجَارِ
محاسنه تُضِيءُ لكل سَارِي

وقال :

يَشْتَمِي الْفَتَى بِخِلَافِ كُلِّ مُعَانِدٍ
يَقْدِي إِذَا أَصْنَى الْإِنَاءَ لَشُرْبِهِ
يُوْذِيهِ حَتَّى بِالْقَدَى فِي مَائِهِ
ويروغ عنه عِنْدَ سَكْبِ إِنَائِهِ ^(٢)

وقال :

أُطَالِبُ أَيَّامِي بِإِنْجَازِ مَوْعِدِي
أَقُولُ عَسَاهَا أَنْ تَلِينَ لِمَطْلَبِي
وَهَا هِيَ تَلَوِي بِالْوَفَاءِ وَتَجْمَعُ
قليلا فبعض الشوك بالمن يَسْمُخُ

وقال :

أَرَى وَصَالِكَ لَا يَصْنُفُو لَأَمَلِهِ
كَالْقَوْسِ أَقْرَبُ سَهْمِيهَا إِذَا عَظِفَتْ
وَالْهَجْرُ يَتْبَعُهُ رَكْضًا عَلَى الْأَثَرِ
أُخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ وَذَكَرَ رَجُلَانِ مِثْلَهُ :

رَأَيْتُكَ بَيْنَا أَنْتَ - خِلٌّ وَصَاحِبٌ إِذَا بَكَ قَدْ وَلَّيْتُنَا ثَانِيَا عِطْفًا

لا بن الرومي
يذكر متلونا

(١) لا بد من هذه الواو ليم وزن البيت ، وهي ساقطة من بعض النسخ (م) .

(٢) أصفى الإناء : أماله ، وفي نسخة « يهودى إذا - إلخ » (م) .

وأنت إذ أخى حنوك مُوجِبٌ بعداً لمن بادلتَهُ الودَّ والطفًا
لكالقوس أخى ماتكونُ إذا انحَتَّ على السهم أنأى ماتكونُ له قذفاً
وله في نحو ذلك :

تودَّذت حتى لم أجِدْ متودِّداً وأنعتب أفلامى عتسها مُردداً
كأنى أَسْتَدعى لك ابن حَنِيَّةٍ إذا النزغ أذناه من الصدر أبعداً

[في وصف أبي الفضل الميكالى]

وذكر عمر بن على بن محمد المطوعى أبا الفضل الميكالى فى كتاب الله فى منظومه ومنشوره فقال : قد أصبحتُ حضرته - لازالت أَرْجَاةُ الأَرْجَاءِ بطيب شمائله ، راضية الرضا عن صوبِ أنامله - مَوْسِمُ الآمالِ ، ومحط الرحال ؛ وعَبْدَهُ أحرار الكلام ، كما خدمته أحرارُ الأيام ، وأطاعته المعانى والمعالى ، كما أطاعه صَرَفُ الأيام والليالى ، فهو - أدامَ اللهُ تمكينه - شهابُ المجدِ الذى لا يخبو واقده ، وروَضَ الكرم الذى لا يجذب رائدُه ؛ إن أردتَ البلاغة فهو مالكُ عنانها ، وفارسُ ميدانها ، وناظمُ دُرِّها ومرجانها ، وصانعُ لُجَيْنِها وعِغْيَانِها ؛ وإن أردتَ السباحة فهو محلُّها ومكانها ، وتاريخُها وعنوانها ، ويدُّها ولسانها ، وحدِّقُها وإنسانها ، وحديقُها وبستانُها ؛ وإن أردتَ شرف الأصل والنسب ، والجمع بين الموروث [من المجد] والمكتسب ، فناهيك بأوائله شرفاً سابقاً ، وفضلاً باسماً ، ومجداً فى فلكِ الفخر سامقاً^(١) ؛ فهم الجَحَاجِحَةُ القُرُ ، والكواكبُ الزُّهر ، ومن بهم يفتخِرُ الفخر ، ويتشرف الدهر ، زحوا مناكِبَ الكواكب من بُعد أقدارهم ، وصكروا فَرَقَ الفِرَقْدِ وصَدَرَ البَدْرِ بشرف أخطارهم ، فما فيهم إلا قمر فضلٍ دارَ فى فلكِ علم ، وهلال مجدٍ لاح فى سماء فهم ، توارثوا المجد كابرأ عن كابر ، وباقياً عن غابر ، وسافرت أخبارهم فى البُعد والغُرب ، وطارت فى أقاصى

(١) سامقاً : عالياً شديداً العلو (م) .

الشرق والغرب ، وسارت مسير الشمس في كل بلد ، وهبت هبوب الرياح في البر والبحر ، فهم كما قال أبو عبادة البحري في الشاه بن ميكال وأهله فأحسن وأجاد وبلغ ما أراد :

بى أخوذى يغمر الطرف مؤفياً يسطه السيف وافي الحائل^(١)
تضيئ الدروع الثمنيات منهم على كل رخب الباع سبط الأنامل
عراعر قوم يسكن الغرآن مشوا على أرضه والغر جم الزلازل^(٢)
فكم فيهم من منعم متطول بالآله أو مشرف متطول
إذا سئلوا جادت سيوف أكفهم [نظائر جمات التلاع السوائل
خليقون سراً أن تلين أكفهم] عرائك أحداث الزمان الجلائل
وما زال لخط الراغبين معلقاً إلى قر فيهم رفيع المنازل
وفيه ، أو في أبيه ، يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب :

وإلى الأمير ابن الأمير تواهقت رزحى الركاب برازحى الركاب^(٣)
شيم أرق من الهواء بل الهوى وألذ من ظفر بعقب ضراب
وعزائم لو كن يوماً أسهماً لنقذن في الأيام غير نواب^(٤)
مائة الجريان إلا أنها ناربة الإقدام والإلهاب
يخطر بين سياسة ورياسة ويتهن بين مئوية وعقاب

[ابن أبي دواد بين يدي الوائق]

قال أبو عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيت الملوك في مقاصيرها ، ومجامع

(١) الأخوذى : الحاذق الخفيف المشمر للأموال الجاد فيها (م) .

(٢) العراعر - بضم أوله - الشريف ، وجمعه عراعر بفتح أوله (م) .

(٣) تواهقت : تبارت ومدت أعناقها في سيرها ، والرزحى : الساقطة تبعاً

وهزأ (م)

(٤) نواب : جمع ناب ، وهو اسم الفاعل من « نبا السيف والرمح » إذا حاد

عن ضريقته (م) .

حفلة ، فـأرأيت أغزر أدبا من الـوائـق ؛ خرج علينا ذات يوم وهو يقول : لقد
عرض عرصة من عرصة لقول الخراعى ، يريد دُعَبَلًا :

خليلي ما ذا أرتجى من غد امرئ طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وإن امرأ قد ضن عني بمنطق يسد ، من غلغلي لظنين

فأنبرى أحمد بن أبى دؤاد يسأله كأنما نسط من عقال فى رجل من أهل
اليمامة فأطنب وأسهب ، وذهب فى القول كل مذهب ؛ فقال الـوائـق : يا أبا عبد الله

لقد أكرت فى غير كبير ، ولا طيب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه صديقى :
وأهون ما يعطى الصديق صديقته من الهين الموجود أن يتكلما

فقال : وما قدر اليمامى أن يكون صديقك ، وإنما أحسبه أن يكون من
عرض معارفك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه شهرى بالاستشفاع إليك ، وجئنى

بمرأى ومسمع من الرد والإسعاف ، فإذا لم أقم له هذا المقام أكون كما قال أمير
المؤمنين آنفا :

خليلي ما ذا أرتجى من غنى امرئ طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
فقال الـوائـق : بالله يا محمد بن عبد الملك إلا عجلت لأبى عبد الله حاجته ،

ليسلم من هجنة المطل ، كما سلم من هجنة الرد .

[من صفة ابن أبى دؤاد ، وأخباره]

وكان ابن أبى دؤاد من أحسن الناس تأتيا ، وكان يقول : ربما أردت أن

أسأل أمير المؤمنين الحاجة بمحضرة ابن الزيات فأؤخر ذلك إلى وقت مفيبه ؛ لئلا
يتعلم حسن التلطف منى ؛ وكان بينه وبين محمد بن عبد الملك عداوة عظيمة

وأمر الـوائـق أصحابه أن ينهضوا قايما لأبى جعفر إذا دخل ؛ ولم يرخص فى ذلك
لأحد ، فاشتد الأمر على ابن أبى دؤاد ، ولم يجد خلافا للـوائـق سبيلا .

فوكّل بعض غلمانه بمراقبة موافاته ، فإذا أقبل أخبره فنهض يركم ، فقال
ابن الزيات :

صَلَّى الضُّحَى لَمَّا اسْتَفَادَ عِدَاوَتِي وَأَرَاهُ يَنْسُكُ بَعْدَهَا وَيَصُومُ
لَا تَعْدَمَنَّ عِدَاوَةَ مُوسِمَةٍ تَرَكْتِكَ تَقَعَّدُ بَعْدَهَا وَتَقُومُ
وَقَالَ الْوَائِقُ يَوْمَا لَابْنِ أَبِي دُوَادٍ تَضَجُّرًا بِكَثْرَةِ حَوَائِجِهِ : قَدْ أَخْلَيْتَ بَيْوتَ
الْأَمْوَالِ بِطَلْبَاتِكَ لِلْأَنْذِينَ بِكَ ، وَالتَّوَسَّلِينَ إِلَيْكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَنَاجِجُ
شُكْرَهَا مُتَّصِلَةٌ بِكَ ، وَذَخَائِرُهَا مُوصُولَةٌ لَكَ ، وَمَالِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عَشَقُ اتِّصَالِ
الْأَلْسَنِ بِخُلُودِ الْمَدْحِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا مَبْنَعَنَّاكَ مَا يَزِيدُ فِي عَشْقِكَ ، وَيَقْوَى فِي
هَمَّتِكَ فِينَا وَلَنَا ؛ وَأَمْرٌ فَأُخْرِجَ لَهُ خَمْسَةَ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

[بَيْنَ أَبِي الْعِيْنَاءِ وَابْنِ أَبِي دُوَادٍ]

قَالَ أَبُو الْعِيْنَاءِ : [قُلْتُ] لَابْنِ أَبِي دُوَادٍ : إِنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَدِمُوا
إِلَى سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ يَدَأُ عَلَى ، فَقَالَ : يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . فَقُلْتُ : إِنَّ لَهُمْ مَكْرًا ،
فَقَالَ : وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَقُلْتُ : لَهُمْ كَثِيرٌ . قَالَ : كَمْ مِنْ
فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ، فَقُلْتُ : اللَّهُ دَرُّ الْقَاضِي
فَهُوَ كَمَا قَالَتِ الصَّمُوتُ الْكَلَابِيَّةُ :

لِللَّهِ دَرْكُ أَى جَنَّةٍ خَافٍ وَمَتَاعُ دُنْيَا أَنْتَ لِالْحَدَثَانِ
مَتَخَمِّطُ يَطَّأُ الرِّجَالَ شَهَامَةً وَطَاءُ الْفَنِيْقِ مَدَارِجُ الْقِرْدَانِ^(١)
وَيَكْتَبُهُمْ حَتَّى تَظَلَّ رُؤُوسُهُمْ مَأْمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِلْغُرْبَانِ
وَيُفْرَجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رَمَاحُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ

وَكَانَتْ هَذِهِ الْجَاوِبَةُ بَيْنَ أَبِي الْعِيْنَاءِ وَبَيْنَ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَنْقَرِيِّ ، وَكَانَ قَدْ
اسْتَجَاشَ عَلَيْهِ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

(١) التَّخَمُّطُ : التَّكْبَرُ ، وَالْفَنِيْقُ : الْفَحْلُ مِنَ الْإِبِلِ الْمَسْكُومِ عِنْدَ أَهْلِهِ ،
وَالْقِرْدَانُ : جَمْعُ قِرَادٍ ، مِثْلُ غُرَابٍ وَغُرْبَانٍ ، يُرِيدُ أَنَّهُ يَذُلُّ الرِّجَالَ وَيَقْهَرُهُمْ وَلَا
يَأْبَاهُ لَهُمْ (م) .

قطعة من شعر الأعراب في الغزل

ابن ميادة :

ألا ليت شِعري هل يَحُلُّنْ أَهْلُنَا وَأَهْلَكَ رَوْضَاتِ بَيْطِنِ اللَّوَى خُضْرَا
وهل تَأْتِينِ الرِّيحُ تَدْرُجُ مَوْهِنَا بَرِيَّاكِ تَعْرُورِي بِنَا بِلْدَا قَفْرَا
بَرِيحُ خُرَامِي الرَّمْلِ بَاتَ مُعَانِقَا فَرُوعِ الْأَفَاحِي تَنْضُبُ الطَّلَّ وَالْقَطْرَا
أَلَا لَيْتَنِي أَلْقَاكِ يَا أُمَّ جَحْدَرٍ قَرِيْبَا ، فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْكَ فَلَا صَبْرَا

وقال :

وَمَا رَوْضَةُ بَاتِ الرِّيحُ يَجُودُهَا عَلَى مَا بَهَا مِنْ حَنَوَةٍ وَعَرَارٍ ^(١)
بِأَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْقَرْنَفْلِ مَوْهِنَا بِمَا التَّفَّ مِنْ دِرْزِعٍ لَهَا وَخِمَارٍ

وقال آخر :

تَجَالِسُنَا بِنْتُ الدَّلَالِ تَعَلَّقَتْ عَرَاهُ بِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ الْهَوَاثِمِ
وَبَيْنَ مَا تَخْفَى مِنَ الْوَجْدِ رَدَّهَا غَرِيقُ الْأُنَاسِي فِي الدَّمِوعِ السَّوَاجِمِ
جَرَى الدَّمْعُ مَجْرَى مَائِهِ فَكَفَفْنَهُ بِمُنَابِ أَطْرَافِ الْأَكْفِ النَّوَاعِمِ
وَرَدَّ التَّحِيَّاتِ الْهَوَايَ مِنْ عَيُونِهَا بَيَقْظَانِ طَرْفٍ فِي مَخِيلَةٍ نَائِمِ

وقال العلاء بن موسى الجهني :

وَلَمَّا رَأَتْنِي مَخْطَرًا شَوْكَةَ الْعِدَى رَدَى النِّفْسِ مُجْتَنِبًا إِلَى غَيْرِ مَوْعِدِ
جَلَّتْ دَاجِي الظُّلُمَاءِ مِنْهَا بَسْنَتِي وَنَحَرَ مَشُوبٍ لَوْنُهُ بِالزُّبْرِجِدِ ^(٢)

(١) مجودها : يطررها ، والحنوة : الرحانة ، والعرار — بفتح العين — وزد أصفر ذو رائحة طيبة .

(٢) داجي الظلماء : أراد سواد الليل ، والسنة — بضم السين — الجبين ، جعلها بيضاء الجبين مشرقته حتى أنارت له في الظلام (م) .

وبالشذر منبؤ كما كان التهاية
وجاءت كمثل السيف لومر مشيها
فبتنا ولم نكذبك لو أن ليلنا
نذود النفوس الصاديات عن الهوى
فلما بدا هبوب الصباح وزاعنا
نهضنا بشخص واحد في عيونهم
إلى جنة منهم وسلمت غاديا
وولت وأغباش الدجى مرججة
وقال أعرابي من طيء :

وأحور يسطاد القلوب وما له
وما كنت أخشى الفتك ممن سلاحه
وأشرب برّاق النيايا غروبهُ
خليل بالله أقعدا فتبتنا
يعكش أعراض السحاب كأنه
فبت على الأجيال ليلاً أشيمهُ
من الريش إلا زعفران وإميد
نوار وخلاخال وطوق منضد
من البرد الوسمى أضنى وأبرد
وميضاً نرى الظلماء منه تقدد
صفحة هندي تسلى وتقمّد
أقوم له حتى الصباح وأقمّد

هذا في البرق كقول الطرماح في النور :

يبدو وتضمرة البلاد كأنه
سيف على شرف يسلى ويقمّد

[زيارة طيف الخيال]

وقال بشار :

أعددت لي عتباً بحبكم
يا عبد طال بحبكم عتي

(١) الشذر : جبات صفار من الذهب أو اللؤلؤ ، وأراد عقدها (م)

(٢) الهاتف المتشهد : المؤذن ، لأنه يأتي في أذانه بالشهادتين (م) .

(٣) نطا : أصله نطا — مهموز الآخر ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا (م) .

ولقد تعرض لي خيالكُم في القرطِ والخلخال والقلب
فشربت غير مباشرٍ حرجاً برضاب أشنبٍ بلوردٍ عذبٍ

وقال المتنبي :

بِقَنَّا يُنَاوِلُنَا الْمُدَامَ بِكَفِّهِ مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ نَرَاهُ بِبَالِهِ
نَجْنِي السَّكْوَاكِبَ مِنْ قَلَانْدٍ جِيدِهِ وَنَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ

وأول شعر أبي الطيب :

لَا الْحُلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بَمَثَالِهِ لَوْلَا أَدَّكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ
إِنْ الْمَعِيدُ لَنَا النَّامُ خَيَالُهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خِيَالَ خَيَالِهِ
إِنِّي لَا بَغْضُ طَيفٍ مِنْ أَحَبَّتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُ نَازِمَانَ وَصَالِهِ

يقول : التمثيل والتخيل له في اليقظة أعاد خياله في المنام ، فكان الخيال
الذي في النوم تصوّر في اليقظة . وأظهر من هذا قول الطائي :

زَارَ الْخِيَالَ لَهَا لَا بَلَّ أَزَارَكُهُ فِكْرُهُ إِذَا نَامَ فَكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَتِمَّ
ظَهِيَ تَقَنُّصَتُهُ لَنَا نَصَبَتْ لَهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَاً مِنَ الْحَلْمِ
أَمَّا بَيْتُهُ الْأَوَّلُ فَمِنْ قَوْلِ جَمِيلٍ :
حَيْثُ طَيفُكَ مِنْ طَيفِ الْمَ بِه حَدَّثَتْ نَفْسُكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْفُوعُ

وقال ذو الرمة :

نَأَتْ دَارِمِيَّ أَنْ تَزَارَ ، وَزَوْرُهَا إِذَا مَا دَجَا الْإِظْلَامُ مِنَّا وَسَاوَسَ^(١)
إِذَا نَحْنُ عَرَّسْنَا بِأَرْضٍ سَرَى لَنَا هَوَى لِبَسْتَهُ بِالْقُلُوبِ اللَّوَابِسُ^(٢)
وبينه الثاني ألم فيه بقول قيس بن الملوّح :

(١) في ديوانه (ص ٤٦) جاء عجز البيت « إلى صبحي بالليل هادموا عس » (م)

(٢) عرّسنا : نزلنا ليلا ، وسرى : سار ، ولبسته : خلطته (م) .

وإني لأستغشى وما بي نَفْسَةٌ لعلَّ خيالاً منك يَلْقَى خيالاً
وأخرج من بين الجُلوس لعلني أحدثُ عنك النفسَ في السرِّ خالِياً
تَقَطُّعُ أنفاسي لذكرك أنفاساً يَرِدُنْ فما يَرِجُنْ إلا صَوادِياً
وقد قال فيه قيس بن ذريح :

وإني لأهوى النومَ في غير نَفْسَةٍ لعلَّ لقاءَ في المنام يكونُ
تُخَبِّرُنِي الأحلامُ أني أراكم فياليت أحلامَ المنام يقينُ
وكان البحترى أكثرَ الناس إبداعاً في الخيال ، حتى صار لاشتهاره مثلاً
يقال له « خيال البحترى » ، وفي بعض ذلك يقول :

أَلَمْتُ بنا بعد الهدوء ، فسأحتُ بوَضِّل متى تَطْلُبُهُ في الجدِّ تَمَنُّعُ
فما بَرَحْتُ حتى مضى الليلُ وانقضى وأَعْجَلَهَا دَائِي الصَّبَاحُ المَلَمُّعُ
فولتُ كأنَّ البينَ يَخْلِجُ شَخْصَهَا أو أن تَوَلَّتْ من حشايَ وَأَضْلَمِي^(١)
وقال :

سقى الغيثُ أجزاءً عهدتُ بجوِّها غزلاً تراعيهِ الجَاذِرُ أغْيِدا
إذا ما الكرى أهدي إلى خيالِهِ شَقَى قُرْبَهُ التَّبْرِيحُ أو نَقَعَ الصِّدى^(٢)
فلم نر مثليتنا ولا مثل شأنا نُعَذِّبُ أَيْقَاطًا ونَنعَمُ هُجَّدا
وقال :

بلى وخيال من أُمِّيَّةٍ كَلِمَا تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدِي تَعَرَّضَ يُطْمَعُ
يُرَى مَقَلَّتِي مَالاً تَرَى مِنْ لِقَائِهِ وَتَسْمَعُ أُذُنِي رَجَعَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
[ويكفيك من حق تَحْيِيلِ باطل تَرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهِيْفِ فَتَرْجِعُ]

قوله في البيت الأخير من قول الحسين بن الفتحالك :

(١) يخلج شخصها : يجذبه وينزعه (م)

(٢) نَقَعَ الصِّدى : أروى العطش (م)

وماذا يفيدك طيفُ الخيا لوالمجرُ حظك من تحب
غنا قليل ، ولكنى تمليتُه بقـوع الحـب

وللحسين في هذا المعنى وإن لم يكن في ذكر الخيال :

وصفَ البدرُ حُسْنَ وجهك حتى خلت أنى ، وما أراك ، أراكا
وإذا ما تنفسَ الترجسُ الفُضسُ توهَّمْتَه نسيَمَ جناكا
خُدَعُ للمعنى تُعَلِّئى فيك بإشراقِ ذَا ونكهة ذاك^(١)
وأول من طرد الخيالَ طرفة بن العبد ، فقال :

قلل خيال الحنظلية ينقلبُ إليها فإني واصلُ حبلَ مَنْ وَصَلُ
فتبعه جرير في قوله فقال

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حينُ الزيادةِ فارَّجى بسلام
قال البحتري ، ونفى هذا المعنى بقوله :

قد كان منى الوجدُ غبَ تذكّر إذ كان منك الصدُّ غبَ تناسى
تجرى دموعى حين دمعك جامدُ ويأينُ قأبي حين قلبك قاسى
ما قلت للطف المسالم لا تعدُ تغشى ، ولا نهنتُ حائلَ كاسى
وقال ابن هانى الأندلسى :

ألا طرقتنا والنجومُ ركودُ وفى الحى أيقاظٌ ونحن هُجودُ^(٢)
وقد أعجلَ الفجرُ للدمعِ خطوها وفى أخريات الليل منه عمودُ
سرت عاطلا غَضَبى على الدروحة فلم يدِرِ نَحْرُ مادَاهُ وجيلدُ^(٣)
فما برحت إلا ومن سلكِ أدْمى قلائدُ فى لبائِها وعُقودُ
لم يأنها أنا كبرنا عن الصبا وأنا بلينا والزمانُ جديدُ

(١) النكهة : أصلها ربح الفم (م) . (٢) هجود : نيام (م) .

(٣) عطلت المرأة فى عاقل : أى أنها ليست بذات حلى (م) .

وقال علي بن محمد الإيادي :

أما إنه لولا الخيالُ المراجعُ
لأشفق واستحيا من النوم والهُ
وعاصٍ يُرى في النوم وهو مطاوع
يُرى بعد روعاتِ الهوى وهو هاجع
وقال أيضاً :

طيفٌ يزورك من حبيبٍ هاجر
شمةً الدجى وسرى فأمعن في السرى
أهلاً به وبطيفه من زائرٍ
حتى ألم فبات بين محاجري
حُدو به هيف القوام المنثني
لله درك من خيالٍ واصلٍ
عَلَّتْ علة قلب صبَّ هائمٌ
وقال عبد الكريم بن إبراهيم

لم أذرِ مفناك لولا المسكُ والقطرُ
سرى بعارض أنفاس الرياح بما
وزرةً للملمٍ عهده غفر^(١)
تحمّر الوردُ منه وانتشى الزهرُ
ومن تقنّع صبغاً كيف يستتر
فيه فيدمج أخباري فيختصر
يخفي بثوب الدجى مآثره مستتراً
كان أعينَ واشيه تراقبه
وقال :

أهلاً به من زائرٍ معتادٍ
يتجاوزُ الرايانَ يخفقُ ظلها
والليلُ يرقلُ في ثيابِ حِدادٍ^(٢)
وبشقْ ملتف القنأ المنادٍ
حتى تيمّم بالعرّاء وسأدى
في حيث ينبو الحارث بن عبادٍ^(٣)
والحلى نمامٌ على العوادِ
معتمدة أميت نمامٌ حليها

(١) في نسخة « الملم عنده خفر » (م)

(٢) يرقل في ثياب حداد : أراد أنه أسود شديد السواد (م)

(٣) الحارث بن عباد — بزنة غراب — هو فارس النعامة الذي اعتزل حرب

البسوس حتى قتل المهلهل بن ربيعة ابنه (م)

وكانما ياقوتها في نحرها متوقد مما يحن فؤادي

[عقال بن شبة بين يدي المنصور]

خطب صالح بن أبي جعفر المنصور في بعض الأمر فأحسن ، فأراد المنصور أن يقرظه وينثي عليه ، فلم يجسر أحد على ذلك لمكان المهدي ، وكان مرشحاً للخلافة ، وخافوا ألا يقع الثناء على أخيه بموافقة ، فقام عقال بن شبة ، فقال : ما رأيت أبين بيانا ، ولا أفصح لسانا ، ولا أحسن طريقا ، ولا أغمض^(١) عروقا ، من خطيب قام بحضرتك يا أمير المؤمنين ، وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه ، والمهدي أخاه ، أن يكون كما قال زهير :

يطلبُ شأوَ امرأتينِ قَدَّما حَسَنًا بَرَّ الملوكةَ وبرَّ هذه السُّوقَا^(٢)
هو الجوادُ فإن يَلْحَقَ بشأوهما على تكاليفه فيمثله لحقا
أو يسبقاهُ على ما كان من مهملٍ فبالذي قَدَّما من صالح سَبَقَا
فمُعْجَبُ الناسُ من حُسْنِ تَخْلَصه ، فقال أبو جعفر : لا ينصرف التيمي إلا بثلاثين ألفاً .

قال أبو عبد الله كاتب المهدي : ما رأيت مثل عقال قط في بلاغته ؛
[مدح الغلام ، و] [أرضى المنصور ، وسلم من المهدي .

[زهير وهرم بن سنان]

وفي قصيدة زهير هذه يمدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المري :

فد جعلَ المَبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرَمٍ والسائلون إلى أبوابه طرُقا
من يَلْقَى يوماً على عِلاتِهِ هَرماً يَلْقَى السَّامِحةَ منه والندى خُلُقَا

(١) في نسخة « ولا أعيس عروقا » (م) .

(٢) بَرَّ الملوكة : فاقاها ، وفي نسخة الديوان « نالا الملوكة » (م) .

وليس مانع ذى قُرْبى وذى رَحِمٍ يوماً ولا مُعْديماً من خَابطٍ وَرَقاً^(١)
 ليثٌ بعَثَرٌ يصطادُ الرجالَ ، إذا ما الليثُ كَذَبَ عن أَقرانه صَدَقاً^(٢)
 يقطعُنهم ما ارتموا حتى إذا اطَّعنُوا ضارب حتى إذا ماضاً ربُّوا اعتنقا
 فَضْلُ الجِوَادِ على الخيلِ البِطَاءِ فلا يُعْطَى بذلك ممنونا ولا نَزِقاً
 هَذَا وليس كُنْ بعياً بِحُجَّتِهِ وَسَطَ الندى إذا ما ناطقٌ نطقاً
 لو نال حَيٌّ من الدنيا بِمَكْرَمَةٍ أَفْقَ السماءِ لَنَسَلَتْ كَفَّهُ الأَفْقَا

وكان زهيرٌ كثير المدح لهم ، ويروى أن بنتا لسان بن أبي حارثة رأتا
 بنتا لزهير بن أبي سلمى فى بعض المحافل ، وإذا لها شارةٌ وحالٌ حسنة ، فقالت :
 قد سرنى ما أرى من هذه الشارة والنعمة عليك [فقالت : إنها منكم] . فقالت :
 بلى والله لك الفضل ، أعطيناكم ما يَفْتَنى ، وأعطيتُمونا ما يبقى !

وقد قيل : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنة هرم بن سنان :
 ما وهب أبوك لزهير ؟ قالت : أعطيناه مالا وأثانا أفناه الدهر . قال : لكن
 ما أعطاكموه لا تُفْنِيه الدهور . وقد صدق عمر رضى الله عنه ، لقد أبقى زهير
 لهم ما لا تفنيه الدهور ، ولا تُخْلِقُه العصور ، ولا يزال به ذكر المدوح سامياً ،
 وشرفه باقياً ، فقد صار ذكراً معلماً منضوباً ، ومثلاً مصروباً ، قال الطائى ،
 وذكركم فى شعره :

مالى ومالك شَيْبُهُ حين أذكرُهُ إلا زهيرٌ وقد أضغى له هرم
 وقال يوسف الجوهري يمدح الحسن بن سهل :
 لو أَنَّ عَيْنِي زهيرٍ أَبْصَرْتُ حَسَنًا وكيف يصنعُ فى أموالِهِ السَّكْرُمُ
 إذن لقال زهيرٌ حين يُبْصِرُهُ هذا الجِوَادُ على العلاتِ لا هَرَمُ

(١) المراد بالخابط ، هنا : طالب المعروف ، وأصله الذى يخطب الشجر لينزل ورقه
 فَيأْخُذُه لعلب ماشيته ، كنى بذلك زهير عن كرمه (م) . (٢) عثر : مكان بعينه (م) .

وقال آخر ، ويدخل في باب تفضيل الشعر :
الشعرُ يحفظُ ما أودَى الزمان به والشعرُ أفضل ما يجنى من الكرم
لولا مقالُ زهير في قصائده ما كان يعرف جودُ كان من هرم

وقيل : أعطى هرم [العطاء الجزيل] عوض قول زهير فيه :
تالله قد علمت سرّاةُ بنى ذُبْيَانُ عَامَ الْخَبْسِ وَالْأَضْرِ
أَنْ نِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ^(١)
حامى الذّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ الْجُلَى أَمِينُ مَغِيبِ الصَّدْرِ^(٢)
حَدَبٌ عَلَى الْمَوَالِي الضَّرِيكَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ^(٣)
وَمَرَهَقُ النِّيرَانِ يُحْمَدُ فِي اللَّأْوَاءِ غَيْرُ مَلْعَنِ الْقَدْرِ^(٤)
والستر دونَ الفاحشات ، وما يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ
وقال :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَسَكُنَ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمُ
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ يَفْقَهُ ، وَيُظَلِّمُ أَحْيَانًا فَيُظَلِّمُ
وإن أتاها خليلٌ يومَ مسألة يقولُ : لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمِ
الخليل : الذى أخلّ به الفقر ؛ إلى غير ذلك من مُختارٍ مدحه فيه .

[فضل الشعر]

ولما امتدح نُصَيْبٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْرَهُ بِإِبْلِ وَخَيْلٍ ، وَثِيَابٍ وَدَنَانِيرٍ
وَدِرَاهِمٍ ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ : أُنْعِطْنِي لِمِثْلِ هَذَا الْعَبْدِ الْأَسْوَدِ هَذَا الْعَطَاءُ ؟ فَقَالَ : إِنْ كَانَ أَسْوَدَ فَإِنْ
شِعْرُهُ أَيْضُ ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا فَإِنْ ثَنَاءُ الْحُرِّ ، وَلَقَدْ اسْتَحَقَّ بِمَا قَالَ أَكْثَرُ مَا أُعْطِيَ وَهَلْ
أُعْطِيَنَاهُ إِلَّا ثِيَابًا تَبْلَى ، وَمَالًا يَفْنَى ، وَمَطَايَا تَنْضَى ، وَأَعْطَانَا مَدِيحًا يُرَوِّى ، وَثَنَاءً يَبْقَى .

(١) نزال : اسم فعل أمر بمعنى انزل ، وهى كلمة تقال عند القتال يدعو بها القرن قرنه .
(٢) الجلى : النائبة الشديدة - وأمين مغيب الصدر : أراد أنه مأمون في غيبه كما
هو مأمون في حضوره لا ينال من صديق في حال غيبته عنه (م) .

(٣) الضريك : المحتاج (م) . (٤) مرهق النيران : تغشى الضيفان نيرانه ،
واللأواء : الشدة ، وغير ملعن القدر : لا تنسب قدره لأنه يطعم ما يشتهيه الناس (م) .
(٩ - زهر الآداب ٣)

وقال الأخطل يعتدُّ على بنى أمية بِمَدْحِهِ لَهُمْ :
 أبْنَى أُمِيَّةٍ إِنْ أَخَذْتَ نَوَالِكُمْ فَلَمَّا أَخَذْتُمْ مِنْ مَدِيحِي أَكْثَرُ
 أبْنَى أُمِيَّةٍ لِي مَدَاخُ فِيكُمْ تَنْسَوْنَ إِنْ طَالَ الزَّمَانُ وَتَذَكَّرُ
 ولما مدح أبو تمام الطائي محمد بن حسان الضبي بقصيدته التي أولها :
 أَسْقَى طُلُوعَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمُ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَبَعِيمُ^(١)
 وَصَلَهُ بِمَالٍ كَثِيرٍ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خُلْعَةً نَفِيسَةً ، فَقَالَ يَصِفُهَا :

قَدْ كَسَانَا مِنْ كَسْوَةِ الصَّيْفِ خِرْقٌ مُسَكَّنَسٍ مِنْ مَكَارِمِ وَمَسَاجٍ^(٢)
 حُلَّةٌ سَابِرِيَّةٌ وَكِسَاءٌ كَسَحَا الْقَيْضِ أَوْ رَدَاءِ الشَّجَاعِ^(٣)
 كَالسَّرَابِ الرُّقْرَاقِ فِي الْحُسْنِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْخِدَاعِ
 قَصِيًّا تَسْتَرْجِفُ الرِّيحُ مَتْنِيهِ بِأَمْرِ مِنَ الْمُهْبُوبِ مَطَاعِ
 رَجَفَانَا كَأَنَّهُ الدَّهْرُ مِنْهُ كَيْدُ الصَّبِّ أَوْ حَشَى الْمُرْتَنَاعِ^(٤)
 لَازِمًا مَا يَلِيهِ تَحْسِبُهُ جِزَاءً مِنَ الْمُتَنِينِ وَالْأَضْلَاعِ
 كَسْوَةٌ مِنْ أَعْرَ أَرْوَعِ رَحْبِ الصَّبِّ دَرَّحِبِ الْفُؤَادِ رَحْبِ الذَّرَاعِ
 سَوْفَ أَكْسُوكَ مَا يَعْنَى عَلَيْهَا مِنْ ثَنَاءٍ كَالْبَرْدِ بَرْدِ الصَّنَاعِ
 حَسَنُ هَاتِيكَ فِي الْعِيُونِ ، وَهَذَا حَسَنُهُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ
 فَقَالَ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى إِنْ بَقِيَ عِنْدِي ثَوْبٌ أَوْ يَصِلَ إِلَى أَبِي تَمَامٍ ؛ وَأَمَرَ
 بِحَمْلِ مَا فِي خَزَائِنِهِ إِلَيْهِ .

بعض الأخبار قال إبراهيم بن العباس الصولي لأبي تمام : [أمراه] الكلام يا أبا تمام رعيّة
 عن أبي تمام لإحسانك ، قال : [ذاك] لأنني أستضيءُ بنورك ، وأردُ شريعتك .

- (١) أراد بأجش هزيم : المطر ، وأصل الأجش الحسن الصوت ، والهزيم : الذي له صوت شديد (م) . (٢) الحرق - بكسر الحاء - الفقى الحسن الكريم الطبايع (م) .
 (٣) السحا : كل ما انقشر عن شيء ، والقَيْضُ القشرة العليا اليابسة على البيضة ،
 والشجاع هنا : الحية ، يريد أن الثوب الذي كساه إياه رقيق (م) .
 (٤) انتصاب «الدهر» ها على الظرفية الزمانية ، والمشبّه به هو «كيد الصب - إلخ - (م)» .

وكان الطائي مع جَوْدَةِ شعره بليغَ الخطاب، حاضرَ الجواب، وكان يقال :
فنتان قَلَمًا يجتمعان : اللسانُ البليغُ ، والشعرُ الجيد .

وقال الحسن بن جُنَادَةَ الوشاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب
السلطان ، فوقف على^(١) ، فقلت : من أين؟ فقال : كنت عند بعض الملوك فأكلنا
طعاماً طيباً ، وفاكهة فاضلة ، وبُخْرَنا وُغْلَفْنَا ؛ فخرجتُ هارباً من المجلس ، نافرأ
إلى التسلي ، ومافى منزلى نبئذ [فإن كان عندك منه شيء فامنحنى ، فقلت : ما عندي
نبئذ] ، ولكن عندي خمرٌ أريده لبعض الأدوية ، فقال : دع اسمه ، وأعطنا
جِسْمَهُ ، فليس يشيننا عن المدام ، ما هَجَّجْتَهُ^(٢) به من اسم الحرام .

[استنجاز أعرابي مَوْعِدَةً]

قال عبيدالله^(٣) بن محمد بن صدقة : كُنَّا عند أبي عبيدالله^(٢) ، فدخل عليه أعرابي
قد كان له عليه وعد ، فقال له : أيها الشيخ السيد ، إني والله أَتَسَحَّبُ على كرمك ،
وأستوطي . فراشَ مجدك ، وأستمعين على نعمك بقدرك ؛ وقد مضى لي موعدان ،
فاجعل النَجَجَ ثالثاً ، أفدُ لك الشُّكْرَ في العرب شادخ الغُرَّة ، بادی الأوضاح .
فقال أبو عبيدالله^(٣) : ما وعدتك تغريراً ، ولا أخرتُك تقصيراً ، ولكن الأشغال
تقطّعنِي ، وتأخذ بأوفرَ الحظِّ مِنِّي ، وأنا أبلغ لك جهد الكفاية ، ومتنهي الوُسْعِ
بأوفر مأمول ، وأحمد عاقبة ، وأقرب أمدٍ ، إن شاء الله تعالى

فقال الأعرابي : يا جاساء الصَّدَق ، قد أحصرني التطول ، فهل من معين
مُنْجِدٍ ومساعدٍ منشد ؟ فقال بعضُ أحداث الكتاب لأبي عبيدالله^(٢) : والله
— أصلحك الله — لقد قصدك ، وما قصدك حتى أمَلَّكَ ، وما أمَلَّكَ إلا بعد أن
أجال النظر ، فأمن الخطر ، وأيقن بالظفر ، لحقق له أمله بتهيئة القليل ، وتهنئة
التعجيل . قال الشاعر :

إذا ما اجتلاه المجد عن وَعْدِ آمِلٍ تبَلَّجَ عن بشرٍ ليستكمل البشرى
ولم يَنْدِرْ مَطْلَ العداة عَنِ التي تصونُ له الحمدَ الموقرَ والأجرا

(١) هجنته : قبحته (م) . (٢) في نسخة «عبدالله» في المواضع كلها (م) .

فأحضر أبو عبيد الله^(١) للأعرابي عشرة آلاف درهم ، وقال الأعرابي للفتى :
خُذْهَا فَأَنْتَ سَبِيهَا . فقال : شَكَرْتُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا ، فقال له أبو عبيد الله^(١) : خُذْهَا
قَدْ أَمَرَ نَالَه بِمَثَلِهَا . فقال الأعرابي : الآنَ كَمُلْتَ النِّعْمَةَ ، وَتَمَّتْ الْمُنَّةُ .

[معاوية بن يسار]

وكان أبو عبيد^(١) الله واسع الذِّرع ، سابع الدرع في السِّكْرَم والبلاغة ، واسمه
معاوية بن يسار^(٢) .

وكان يقول : إِنْ نَخَوَةَ الشَّرَفُ تُنَاسِبُ بَطَرَ الْفَتَى ، وَالصَّبْرُ عَلَى حَقُوقِ السَّزْوَةِ
أَشَدُّ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى أَلَمِ الْحَاجَةِ ، وَذَلِكَ الْفَقْرُ يَسْعَى عَلَى عِزِّ الصَّبْرِ ، وَجَوْرُ الْوَلَايَةِ مَانِعٌ
مِنْ عَدْلِ الْإِنصَافِ ، إِنْ لَمْ يَنْسَبْ بَعْدَ الْمَهْمَةِ ، وَكَانَ لِسُلْطَانٍ عِزُّهُ قُوَّةٌ عَلَى شَهْوَتِهِ .
وكان يقول : لَا يَكْسِرُ رَأْسُ صِنَاعَةٍ إِلَّا فِي أَحْسَرُ رُتَانٍ ، وَأَرْذَلِ سُلْطَانٍ ،
وَلَا يَعْيبُ الْعِلْمُ إِلَّا مَنْ أَنْسَلَخَ عَنْهُ ، وَخَرَجَ مِنْهُ .

وكان يقول : حُسْنُ الْبِشْرِ عِلْمٌ مِنْ أَعْلَامِ [النِّجَاحِ] وَرَأْدٌ مِنْ [رَوَادِ
الْفَلَاحِ] ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ زَهِيرٌ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَهْلِكًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ ابْنَتَهُ عَلَى الزَّنْدَقَةِ : لَا يَمْنَعُكَ مَا سَبَقَ [بِهِ] الْقَضَاءُ فِي وَلَدِكَ ،
مِنْ [ثَلَجِ صَدْرِكَ] وَتَقْدِيمِ نَصِيحِكَ ؛ فَإِنِّي لَا أَعْرِضُ لَكَ رَأْيًا عَلَى شُهْمَةٍ ، وَلَا أُؤْخِرُكَ قَدَمًا
عَنْ رَتْبَةٍ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَانَ [وَلَدِي حَسَنَةً] مِنْ نَبْتِ إِحْسَانِكَ أَرْضُهُ ،
وَمِنْ تَقْطُوعِ سَمَاوِهِ ، وَأَنَا طَاعَةُ أَمْرِكَ ، وَعَبْدُ نَهْيِكَ ، وَبَقِيَّةُ رَأْيِكَ لِي أَحْسَنُ الْخَلَافِ عِنْدِي
وَكَانَ يَقُولُ : الْعَالَمُ يَمْشِي الْبَرَّازَ آمِنًا ، وَالْجَاهِلُ يَهْبِطُ الْفَيْطَانَ كَامِنًا ،
وَلِلَّهِ دَرَّ زَهِيرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

الْستَرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ
وَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ^(١) : ذَاكَ رَأْيُ الْمَنْصُورِ فِي أَمْرِ الْحَسَنِ^(٣) بْنِ قَحْطَةَ ، فَقَالَ : كَانَ

(١) فِي نَسْخَةِ « أَبُو عَبْدِ اللَّهِ » (م) . (٢) فِي نَسْخَةِ « مُعَاوِيَةُ بْنُ بَشَارٍ » (م) .

(٣) فِي نَسْخَةِ « الْحَسَنِ » .

أوثق الناس عندي ، وأقربهم من قلبي ، فلما لقي أبا حنيفة انتكث ، فقلت : إن فسدت نيته فسيضمه الباطل كما رفعه الحق ، وتشهد بخايله عليه كما شهدت له ، فتعدل في أمره من شك إلى يقين . ثم قال لي : اكتبتم علي ما ألقيت عليكم .

قال عمران بن شهاب : استعنت على أبي عبيد الله في أمر ببعض إخوانه وكان قد تقدم سؤالي إياه فيه ، فقال لي : لولا أن حَقَّكَ لا يُجَدِّد ولا يضاع ، لحجبت عنك حسن نظري ؛ أظفنتني أجهل الإحسان حتى أعلمه ، ولا أعرف موضع المعروف حتى أعرفه ؛ لو كان يُنَالُ ما عندي إلا بغيري لكنت مثل البعير الذلول ؛ يحمل عليه الحمل الثقيل ، إن قيد انقاد ، وإن أنيخ برك ، ما يملك من نفسه شيئا ، فقلت : معرفتك بموضع الصنائع أثبت معرفة ، ولم أجعل فلانا شفيعا إنما جعلته مذكرا . قال : وأى إذكاراً بلغ عندي في رعي حَقِّكَ من مسيرك إليه وتسليمك عليه^(١) ، إنه متى لم يتصفَّح المأمول أسماء مؤمليه غدوة ورواحا لم يكن للأمل محلا ، وجرى عليه القدار لمؤمليه على يديه بما قدر ، وهو غير محمود على ذلك ولا مشكور ، ومالي إمام بعدوردي من القرآن إلا أسماء رجال أهل التأمل ، حتى أعرضهم على قلبي ، فلا تستعن على شريف إلا بشرفه ؛ فإنه يرى ذلك عيبا لعرفه ؛ وأنشد :

وذاك امرؤ إن تأتته في عزيمة إلى بابه لا تأتته بشفيع

ومن توقيعاته : الحق يُعَقِّبَ قلبا أو ظفرا ، والباطل يُورث كذبا ونداما . وكتب إليه رجل : والنفس مولعة بحب العاجل . فكتب إليه : لكن العقل الذي جعله الله للشهوة زماما وللهوى رباطا موكل بحب الآجل ، ومستصفر لكل كثير رائل .

قال مصعب بن عبد الله الزبيري : وقد زياد الحارثي على المهدي وهو بالرتي ولي عهد ، فأقام سنتين لا يصل إليه شيء من برّه ، وهو ملازم كاتبه أبا عبيد الله ، فلما طال أمره دخل إلى كاتبه فأنشدته :

(١) في نسخة « من سيرك إلى ، وتسليمك على » وهي أدق من جهة المعنى (م) .

ما بعد حولين مرًا من مطالبة ولا مقامَ لدى دين وذى حسب
لئن رحلتُ ولم أظفر بفائدة - من الأمير لقد أعذرت في الطلبِ
فوقع أبو عبيد الله : يصنعُ الله لك ! فكتب إليه :
ما أردت الدعاء منك لأنى قد تيقنت أنه لا يُجابُ
أجباب الدعاء من مستطيل جُلُ تسيجه الخنما والسبابُ

ألفاظ لأهل العصر ، في ذكر الاستطالة والكبر

مع ما يشاكل ذلك من معانيها ، ويطرق نواحيها من المساوى والمقايح
فلان لسانه مِقْرَضٌ للأعراض ، لا يأكل خبزَه إلا بلحوم الناس . هو
غرضٌ يرشَقُ بسهام الغيبة ، وعلم يقصد بالوقية ، قد تناولته الألسن العاذلةُ ،
رتناقلت حديثه الأنديةُ الحافلة . قد لزمه عار لا يُمَحِّى رَسْمُه ، ولزمه شفار لا يزولُ
وَسْمُه ، فأصبح [نَقَلَ كُلَّ لِسَانٍ ، وَضَحَكَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ ^(١)] ، وصار دولة الألسن ،
ومُثَلَّةُ الأعين . وقد عَرَضَ عرضه [غرضاً لسهام الغائبين ، وألسنة القاذفين ، وقد
نفسه عظيم العار والشنار ، والسَّتَبَةُ الخالدة على الليل والنهار . قد أسكرته خمره
الكبر ، واستغرقته عُرَّةُ التَّيِّه ، كأن كسرى حامل غاشيته ، وقارون وكيل
نفقته ، وبلقيس إحدَى داياته ، وكأنَّ يوسف لم ينظرُ إلا بطلعته ، [وداود
لم ينطق إلا بنغمته] ، ولقمان لم يتكلم إلا بحكمته ، والشمس لم تطلع إلا من جبينه ،
والنمام لم يندَ إلا من يمينه ، وكأنه امتطى السَّمَاكِين ، وانتعل الفرقدين ، وتناول
النَّيِّرِينَ بيدين ، وملك الخافقين ، واستعبد الثقلين ، وكأن الخضرأ له عرشت ،
والغبراء باسمه فرشت .

(١) النقل - بفتح النون وسكون القاف - ما يتناول به على الشراب ، والضحكة :
الذى يضحك منه الناس (م) .

فلان له من الطائوس رِجلُهُ ، ومن الوردِ شَوْكُهُ ، ومن الماءِ زَبْدُهُ ، ومن النارِ دخانها ، ومن الخمرِ خمارها ، قد هَبَّتْ سَائِمُ نَمَائِمِهِ ، ودَبَّتْ مَكَايِدَ عَقَارِيهِ ، والنَّامُ يضربُ بِسَيْفٍ كَلِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ يَقْطَعُ ، ويضربُ بَعْضُ وَاهِنٍ إِلَّا أَنَّهُ يَوْجِعُ . هو تَمَثُّلُ الْجَبَنِ ، وصورةُ الْخَوْفِ ، ومَقَرُّ الرَّعْبِ ؛ فلو سَمَّيْتُ لَهُ الشَّجَاعَةَ لَخَافَ لَفْظُهَا قَبْلَ مَعْنَاهَا ، وَذِكْرُهَا قَبْلَ لُحْوَاهَا ، وَفَزَعُ مَنْ اسْمُهَا دُونَ مَسْمَاهَا ، فَهُوَ يَهْلِكُ مِنْ تَخَوُّفِهِ أَضْفَاثَ أَحْلَامٍ ، فَسَكِيفٌ بِمَسْمُوعِ الْكَلَامِ ؟ إِذَا ذَكَرْتَ السَّيُوفَ لَمْسَ رَأْسِهِ هَلْ ذَهَبَ ، وَمَسَّ جَبِينَهُ هَلْ ثَقُبَ ؟ كَأَنَّهُ أَسْلِمَ فِي كِتَابِ الْجُبْنِ صَبِيًّا ، وَلَقَدْ كَانَ كِتَابُ الْفِشْلِ أَعْجَمِيًّا . وَغَدُهُ بَرَقَ تَحْلَبَ ، وَرَوَّغَانُ ثَعْلَبَ . غَيْمٌ وَعَدَهُ جَهَامٌ ، وَحَدُّ سَيْفِهِ كَهَامٌ . حَصَلَتْ مِنْهُ عَلَى مَوَاعِيدِ عَرْقَوِيَّةٍ ^(١) ، وَأَحْزَانِ يَعْقُوبِيَّةٍ ^(٢) ، قَدْ حَرَسْنِي ثَمَرَ الْوَعْدِ ، وَجَرَّئَنِي عَلَى شَوْكِ الْمَطْلِ . فَتَى لَهُ وَعْدٌ أَخَذَ ^(٣) مِنَ الْبَرَقِ الْخَلْبَ خَلْقًا ، وَقَدْ تَنَاوَلَ مِنَ الْعَارِضِ الْجَهَامَ طَبْعًا ، وَتَرَكَنِي أَرْغَى رِيَاضَ رَجَاءٍ لَا يُنْبِتُ ، وَأُخْجِنِي ثَمَارَ أَمَلٍ لَا يُورِقُ ؛ فَأَنَا فِي ضِمَانِ الْإِنْتِظَارِ ، وَإِسَارَةِ عِدَّةِ ضِمَارٍ ^(٤) . هُوَ يَرْسِلُ بَرَقَهُ ، وَلَا يَسِيلُ تَوَدُّقَهُ ، وَيَقْدُمُ رَعْدَهُ ، فَلَا يَمْطُرُ بَعْدَهُ . وَغَدُهُ الرُّقْمُ عَلَى بَسَاطِ الْمَوَاءِ ، وَالْخَطُّ فِي بَسِيطِ الْمَاءِ .

حَلَّ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ :

لَا أَسْتَفِيقُ مِنَ الْغَرَامِ ، وَلَا أَرَى	خَلَوْا مِنَ الْأَشْجَانِ وَالْبَرْحَاءِ
وَصُرُوفُ أَيْلَامٍ أَقْنَى قِيَامَتِي	بَنَوَى الْخَلِيطِ وَفُرْقَةِ الْقُرْنَاءِ
وَجَفَاءَ خَلٍّ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ	عَوْنِي عَلَى السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ
ثَبَّتَ الْعَزِيمَةَ فِي الْعُقُوقِ ، وَوَدَّه	مَتَنَقَّلٌ كَمَتَنَقَّلِ الْأَحْيَاءِ
ذِي خَلَةٍ يَأْتِيكَ أَثْبَتُ عَهْدِهِ	كَالْخَطِّ يُرْسِمُ فِي بَسِيطِ الْمَاءِ

(١) عَرْقَوِيَّةٌ : نَسَبَةٌ إِلَى عَرْقُوبَ ، وَهُوَ مُضْرَبُ الْمَثَلِ فِي الْخَلْفِ وَالْمَطْلِ (م) .

(٢) يَعْقُوبِيَّةٌ : نَسَبَةٌ إِلَى يَعْقُوبَ نَبِيِّ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي حَزَنَ عَلَى ابْنِهِ يُوسُفَ وَبَكَاهُ

حَتَّى ابْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ (م) .

(٣) فِي الْمَطْبُوعَاتِ « لَهُ وَعْدٌ أَخَذَ مِنَ الْبَرَقِ الْخَلْبَ خَلْقًا » وَمَا أَثْبَتْنَاهُ أَشَدَّ

تَوَافُقًا وَالتَّشَامَا بِمَا بَعْدَهُ (م) . (٤) الضَّارُ : الْغَائِبُ الَّذِي لَا يَرْجَى (م) .

أردت هذا البيت .

هو صخرة خَلَقَاء^(١) ، لا يستجيبُ للمرتقى ، وحتية صماء لا تسمع للرقيق ، كأنى أستنفر بالجوَّ رعدًا ، وأهزَّ منه بالدعاء طودا ، هو ثابت العطف [نابي العطف] ، عاجز القوة ، قاصر المنة ، يتعلّق بأذناب المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير . هو كالنعامة تكونُ جملاً إذا قيلَ لها طيري ، وطائراً إذا قيلَ لها سيري . يفاض له بذل ، ولا يفوتض إليه شغل ، ويملاً له وطب ، ولا يُدفع به خطب ، قد وفر همه على مطعم بحوِّده ، وملبس بحوِّده ، ومرقَد بيمده ، وبنيان بشيده ، هذا كقول الخطيئة :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبَغْيَتَيْهَا واقعدْ فإليك أنتِ الطاعمُ الكاسي
قَلْبَ نَيْلٍ ، وَصَدْرُ دِغْلٍ ، وَطَوِيَّةٌ مَعْلُولَةٌ ، وَعَقِيدَةٌ مَذْخُولَةٌ ، صَفْوُهُ رُنُقٌ^(٢) ، وَرَمَّةٌ مَأَقٌ ، قَدْ مُلِيَ قَلْبُهُ رَيْنًا ، وَشُحِنَ صَدْرُهُ مَيْنًا^(٣) . يدعى الفضل وهو فيه دَعَى ، دَأْبُهُ بَثُّ الخدائع ، والنَّفَثُ فِي عَقْدِ الْمَسْكَيدِ ، ضَمِيرُهُ حُبْثٌ ، وَيَمِينُهُ حِنْثٌ ، وَعَهْدُهُ نَسْكَثٌ . هو سحابة صَيِّفٌ ، وَطَارِقُ صَيِّفٍ ، قُوَّتُهُ غَنِيمَةٌ ، وَالظَّفَرُ بِهِ هَزِيمَةٌ . هو العَوْدُ الْمُرْكُوبُ ، وَالْوَتَرُ الْمَضْرُوبُ ، يَطْوُهُ الْخَفُّ وَالْحَافِرُ ، وَيَسْتَضِيئُهُ الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ . [يغمض عن الذكر] ، وَيَصْفُرُ عَنِ الْفِكْرِ . ذَاتُهُ لَا يَوْسَمُ أَغْفَالُهَا ، وَصَفْتُهُ لَا تَنْفَرُجُ أَقْفَالُهَا . هُوَ أَقْلٌ مِنْ تَبْنَةٍ فِي لَبْنَةٍ ، وَمِنْ قَلَامَةٍ فِي قَمَامَةٍ . وَهُوَ بِيَذْقُ الشُّطْرَنْجِ فِي الْقِيَمَةِ وَالْقَامَةِ ، جَهْلُهُ كَثِيفٌ ، وَعَقْلُهُ سَخِيفٌ ، لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْعَقْلِ بِسِجْفٍ ، وَلَا يَشْتَمِلُ إِلَّا عَلَى سَخْفٍ . يَمْدُ يَدَ الْجَنُونِ فَيَمْرُكُ بِهَا أُذُنَ الْحَزْمِ ، وَيَفْتَحُ جِرَابَ السَخْفِ فَيَصْفَعُ بِهِ قَفَا الْعَقْلِ . لَا تَزَالُ الْأَخْبَارُ تَوْرِدُ سَفَائِحَ جَهْلِهِ وَخُرُوقَهُ ، وَالْأَنْبَاءُ تَنْقَلُ نَتَائِجَ سُخْفِهِ وَخُفْهِ . قَدْ ظَلَّ يَتَعَثَّرُ فِي فَضُولِ جَهْلِهِ ، وَيَتَسَاقَطُ فِي ذُبُولِ عَقْلِهِ . هُوَ سَمِينُ الْمَالِ مَهْزُولُ النَّوَالِ . ثَرَوَةٌ فِي الثَّرْيَا وَهَمَّةٌ فِي الثَّرَى .

(١) خَلَقَاء : ملساء (م) . (٢) رُنُق : كدر (م)

(٣) الرين : الدنس ، وأراد الحقد والضغن ، والمين : الكذب (م) .

وَجْهَهُ كَهَوْلِ المَطْلَعِ ، وزوالِ النِّعْمَةِ ، وقضاءِ السَّوءِ ، وموتِ الفَجَاءَةِ . هو
 قَدْى العَيْنِ ، وشَجَى الصَّدْرِ ، وأَذَى القلبِ ، وُحْمَى الروحِ ، وَجْهَهُ كَأَخْرِ الصِّكِّ ،
 وظلمِ الشَّكِّ ، كَأَنَّ النِّحْسَ يَطْلُعُ مِنْ جَبِينِهِ ، والخلَّ يَقْطُرُ مِنْ وَجْتِهِ . وَجْهَهُ
 طَلْعَةُ الهَجَرِ ، ولَفْظُهُ قِطْعُ الصَّخَرِ . وَجْهَهُ كحُضُورِ الغَرِيمِ ، ووصُولِ الرَّقِيبِ ،
 وكتابِ العَزْلِ ، وفراقِ الحَبِيبِ . له من الدِّينَارِ نَضْرَتُهُ ، ومن الوَرْدِ صُفْرَتُهُ ،
 ومن السَّحَابِ ظُلْمَتُهُ ، ومن الأَسَدِ نَكْمَتُهُ^(١) . هو عَصَاةُ لَوْثٍ فِي قَرَارَةِ خُبْثٍ .
 أَلَمٌ مَهْجَةٌ فِي أَسْقَطِ جَنَّةٍ . حَدِيثُ النِّعْمَةِ ، خَبِيثُ الطَّعْمَةِ ، خَبِيثُ المَرْكَبِ ،
 لَيْثٌ المُنْتَسَبِ ، يَكَادُ مِنْ لَوْثِهِ يُعْذَى مِنْ جِلْسٍ إِلَى جَنْبِهِ ، أَوْ تَسْمَى بِاسْمِهِ . قَدْ
 أَرْضِعَ بِلَبَانِ اللُّوْثِ ، وَرُبِّي فِي حِجَرِ الشُّوْمِ ، وَفُطِمَ عَنْ ثَدْيِ الخَلِيرِ ، وَنَشَأَ فِي
 عَرَصَةِ الخُبْثِ ، وَطَلَّقَ الكَرَمَ ثَلَاثًا لَمْ يَنْطِقْ فِيهِ اسْتِنَاءٌ ، وَأَعْتَقَ الجَدَّ بَنَاتًا
 لَمْ يَسْتَوْجِبْ عَلَيْهِ وِلَاءٌ . هُوَ حَمَارٌ مَبْطُنٌ بِشُورٍ مَفْرُوزٌ بِتَيْسٍ ، مَطْرَزٌ بِطُرٍّ ،
 [أَنَّى مِنَ اللُّوْثِ بِنَادِرٍ] ، لَمْ تَهْتَدِ لَهُ قِصَّةُ مَادَرٍ^(٢) . هُوَ قَصِيرُ الشَّيْرِ ، صَغِيرُ القِدْرِ ،
 قَاصِرُ القَدْرِ ، ضَيِّقُ الصَّدْرِ ، رَدَّ إِلَى قِيَمَةٍ مِثْلِهِ فِي خُبْثٍ أَضْلُهُ ، وَفَرْطُ جَهْلِهِ ،
 لَا أَمْسَرَ لِيَوْمِهِ ، وَلَا قَدِيمَ لِقَوْمِهِ ، سَائِلُهُ مَحْرُومٌ ، وَمَالُهُ مَكْتُونٌ ؛ لَا يَحِينُ إِنْثَاقُهُ ،
 وَلَا يَحِلُّ خَنَاقُهُ . خَيْرُهُ كَالْعِنَقَاءِ تَسْمَعُ بِهَا وَلَا تَرَى . خُبْرُهُ فِي حَالِقٍ ، وَإِدَامُهُ
 فِي شَاهِقٍ . غِنَاهُ فَقْرٌ ، وَمَطْبَخُهُ فَقْرٌ ، يَمْلَأُ بَطْنَهُ وَالْجَارُ جَائِعٌ ، وَيَحْفَظُ مَالَهُ
 وَالْعَرِضُ ضَائِعٌ ، قَدْ أَطَاعَ سُلْطَانَ البُخْلِ وَانْخَرَطَ كَيْفَ شَاءَ فِي سِلْكِهِ . هُوَ مِنْ
 لَا يَبْيَضُ حَجَرُهُ ، وَلَا يَشْمُرُ شَجَرُهُ ، سُكَيْتُ الحَلْبَةِ^(٣) ، وَسَاقَةُ الكَتِيْبَةِ ، وَآخِرُ
 الجَرِيدَةِ . أُلْفَتُهُ العَائِبُ ، وَعَرَضَةُ الشَّاهِدِ وَالغَائِبُ . هُوَ عَيَّةُ العِيُوبِ ، وَذَنُوبِ
 الذُّنُوبِ . وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ المِيكَالِيُّ :

(١) النِّكْمَةُ : رِيحُ الْفَمِ ، وَالْأَسَدُ مَعْرُوفٌ بِالْبَخْرِ ، وَهُوَ ثَنِي الْفَمِ (م) .

(٢) مَادَرٌ : مُضْرَبُ المِثْلِ فِي البُخْلِ ، كَانَ لَهُ حَوْضٌ يَمْلَأُهُ مَاءٌ لَيْسَقَى دَوَابَّهُ ،

فَإِذَا فَرِغَ قَذَفَ فِيهِ الحَصَى الكَثِيرَ لئَلَا يَسْتَقَى غَيْرَهُ (م) . (٣) الحَلْبَةُ : مَوْضِعُ

جَرَى الحَيْلِ التَّسَابِقَةِ . وَسُكَيْتُهَا : أَرَادَ أَنَّهُ يَأْتِي فِي آخِرِ التَّسَابِقِينَ (م) .

وطلمةٍ بقبحها قد شهِرتْ تحكى زوالَ نعمةٍ ما شكرتْ
 كأنها عن لهما قد قشرتْ أقبح بها صحيفةٌ قد نشرتْ
 عنوانها إذا الوحوش حُشرتْ يلغنها ما قدّمتْ وأخرتْ
 صاحبها ذو عورةٍ لو سترتْ إن سار يوماً فالجبال سُيرتْ
 أوراَمَ أكلا فالجحيم سُمرتْ

ويختص بهذه الأنواع رسالة بديع الزمان إلى القاضي على بن أحمد يشكو
 من بديع الزمان
 أبابكر الحيرى القاضي ويذمه - وقد أطلتُ عنان الاختيار فيها لصحة مبانيها ،
 يشكو الحيرى
 والقاضى
 وارتباط ألفاظها بمعانيها :

الظُلّامة - أطال الله بقاء القاضي - إذا أتت من مجلس القضاء ، لم ترق
 إلّا إلى سيّد القضاء . وما كنت لأقصر سيادته على الحكم ، دون سائر الأنام ،
 لولا اتصّالهم بسببه ، واتّسامهم بقلبه ، وهبهم مطلقين على قسَمِهِ ، مغيرين على
 اسمه ، ألهم فى الصّحة أديم كآديمه^(١) ، أو قديمٌ فى الشرف كقديمه ، أو حديث
 فى السّكرم كطريفه ؛ فهنيئاً لهم الأسماء ، وله المعانى ، ولا زالت لهم الطّواهرُ ،
 وله الجواهر . ولا غرو أن يسمّوا قضاءً ، فما كلُّ مائع ماء ، ولا كلُّ سَقَفٍ
 سماء ، ولا كلُّ -يرة عدل العُمَرَيْن^(٢) ، ولا كلُّ قاض قاضى الحرمين ، وبالثّارات
 القضاء ! ما أرخص ما يبيع ، وأسرع ما أضيع ! والسنةُ الإنذار ، قبل خلو الديار ،
 وموت الخيار ، ألا يُفَار حلّى الحسناء ، على السوداء ، ومركب أولى السياسة ،
 تحت السّاسية ، ومجلس الأنبياء ، من تصدّر الأغبياء ، ورحمى البزاة من صيد البغاث ،
 ومرتع الذكور^(٣) من تسلّط الإناث ؟ ويا للرجال ، وأين الرجال ! ولى القضاء من
 لا يملك من آلانه غير السّبال^(٤) ، ولا يعرف من أدواته غير الاعتزال ، ولا يتوجّه

(١) الأديم : الجلد (م) .

(٢) العمرين : أبى بكر وعمر بن الخطّاب ، رضى الله عنهما (م) .

(٣) فى نسخة «ومربع الذكور» (م) . (٤) السبال - بكسر السين - جمع

سبلة - بالتحريك - وهو الشارب ، ويقال : مقدّم اللحية وما أسبل منها على الصدر (م) .

في أحكامه إلا إلى الاستحلال ، [ولا يرى التفرقة إلا في العيال] ولا يُحْسِنُ من
 الفقه غير جمع المال ، [ولا يتقن من الفرائض إلا قلة الاحتفال ، وكثرة الافتعال]
 ولا يدرس من أبواب الجدال إلا قبيح الفعل ، وزورَ المقال ، ذاك أبو بكر
 القاضي ، أضاعه الله كما أضاع أمانته ، وخانَ خزانته ، ولا حاطه من قاضٍ في
 صَوْلَة جندي ، وسبلة كُردى ... إلى أن قال : أيكفي أن يُضَيِّحَ المرء بين الرِّقِّ
 والعود ، ويمسَى بين موجبات الحدود ، حتى يكمل شبابه ، وتشيب أترابه . ثم
 يلبس دَنِيَّتَهُ ^(١) ، ليخلع دينيته ، ويسوى طيلسانه ، ليحرف يده ولسانه ، ويقصر
 سَبَالَهُ ، ليطيل حباله ، ويُظهِر شَقَاشِقَهُ ، لِيَسْتَرْخَاقَهُ ، ويبيضَ لحيته ، ايسودَّ
 صحيفته ، ويبدى ورَّعه ، ليخفي طمعته ، ويفشى مَخْرَابَهُ ، لِيَمْلَأَ جِرَابَهُ ، ويكثر
 دُعَاةً ، ليحشَوْ وعاءه ، ثم يخدم بالنهار أمعاءه ، ويمالج بالليل وجعَاءه ، ويرجو
 أن يخرج من بين هذه الأحوال عالماً ، ويقعد حاكماً ؟ هذا إذا المجد كالوه بقفزان ^(٢)
 وباعوه في سوق الخسران ! هيهات حتى ينسى الشهوات ، ويَجُوبَ القلوات ،
 ويعتصد الحابر ، ويحتضن الدفاتر ، وينتج الخواطر ، ويُحَالِفَ الأسفار ، ويعتاد
 القِفَارَ ، ويصل الليلة باليوم ، ويعتاض السهر من النوم ، ويحمل على الروح ،
 ويحنى على العين ، وينفق من العيش ، ويخزن في القلب ، ولا يستريح من النظر
 إلا إلى التحديق ، ولا من التحقيق إلا إلى التعليق ؛ وحامل هذه السَّكَلِ إن
 أخطأه رائدُ التوفيق ، فقد ضلَّ سواء الطريق ، وهذا الخيريُّ رجل قد شغله طلبُ
 الرياسة عن تحصيل آلائها ، وأعجله حصولُ الأمنية عن تحمل أدواتها ^(٣) :

والكلبُ أحسن حالةً وهو النهاية في الخساسة
 من تصدَّى للرياسة قبل إبانِ الرياسة

(١) الدنية - بفتح الدال وتشديد النون مكسورة - قلنسوة كان القضاة يلبسونها ،
 وقد جاء في مقامات الحريري « فضحك القاضي حتى هوت دينته » (م) .
 (٢) قفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال . (٣) في نسخة « عن تنخل أدواتها » (م) .

فولّى المظالم وهو لا يعرف أسرارها ، وحمل الأمانة وهو لا يدرى مقدارها ؛ والأمانة عند الفاسق خفيفة الحمل على العاتق ، تُشفيق منها الجبال ، ويحملها الجهال ، وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حديثه يروى ، وكتاب الله يُتلى ، وبين البينة والدعوى ، فقبّحه الله تعالى من حاكم لا شاهد عنده أعدل من السّلة والجام^(١) ، يُدلى بهما إلى الحكم ، ولا مزكى أصدق لديه من الصّفر^(٢) ، ترقص على الظفر ، ولا وثيقة أحبّ إليه من غمرات الخصوم ، على الكيس المحتوم ، ولا كفيل أوقع بوفائه من خبيثة الذّيل ، وحمال الليل ، ولا وكيل أعز عليه من المذيل والطبق ، في وقت النّسق والفلق ، ولا حكومة أبغض إليه من حكومة المجلس ، ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفسّس ، ثم الويل للفقير إذا ظلم ، فما يغنيه موقف الحكم إلا بالقتل من الظلم ، ولا يجيره مجلس القضاء إلا بالنار من الرّمضاء . وأقسم لو أن اليتيم وقف بين أنياب الأسود ، بل الحيات السود ، لكانت سلامته منهما أرجى من سلامته إذا وقع من هذا القاضي بين عقاربه وأقاربه ؛ وما ظنّ القاضي بقوم يحملون الأمانة على متّونهم ، ويأكلون النار في بطونهم ، حتى تغلظ قصراتهم^(٣) من مال اليتامى ، وتسمن أكفاهم من مال الأيامى ، وما رأيته في دار عملتها خراب الدور ، وعطلة القدور ، وخلاء البيوت ، من الكسوة والقوت ، وما قوله في رجل يعادى الله في الفلّس ، ويبيع الدّين بالثمن البخس ، وفي حاكم يبرز في ظاهر أهل السّمّت ، وباطن أصحاب السبّ ، فله الظلم البحت ، وأكله الحرام السّحت . وما قوله في سوس لا يقع إلا على صوف الأيتام ؛ وجراد لا يقع إلا على الزرع الحرام ، ولصّ لا ينقب إلا خزانة الأوقاف ، وكردى لا يُغير إلا على الضعاف ، وليث لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود ، وخارب^(٤) لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود .

(١) السّلة - بفتح السين - السرقة ، والجام : الوعاء الذى تشرب به الخمر (م) .

(٢) الصفر : جمع أصفر ، وهو الدينار (م) . (٣) القصرات : جمع

قصرة - بالتحريك - وهى أصل العنق . (٤) الحارب : السارق (م) .

وذكر في هذه الرسالة فصلاً في ذكر العلم - وهو مستطرف البلاغة ،
مستعذب البراعة - قال :

والعلم - أطل الله بقاء القاضى - شئ كما تعرفه ، بعيد المرام ، لا يصادُ
بالسهام ، ولا يقسم بالأزلام^(١) ؛ ولا يرى في المنام [ولا يضبط باللجام ، ولا نورث
عن الأعمام ، ولا يكتب للنام] ، وزرع لا يزكو^(٢) حتى يصادف من الحزم -
ثمرى طيباً ، ومن التوفيق مطرا صيباً ؛ ومن الطبع جوا صافياً ، ومن الجهد روحاً
دائماً ، ومن الصبر سقياً نافعا ، والعلم علق^(٣) لا يباع ممن زاد ، وصيد لا يالف
الأوغاد ، وشئ لا يذكر إلا بنزع الروح ، وعون الملائكة والروح ، وغرض
لا يصاب إلا بافتراش المدر^(٤) ، وأتساد الحجر ، وردة الضجر ، وركوب الخطر ،
وإذمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر ، ثم هو
معتاص إلا على من زكا زرعه ، وخلا ذرعه ، [وكرم أضله وفرغه ، ووعى
بصره وسمعه] ، وصفا ذهنه وطبعه ، فكيف يناله من أنفق صباه على الفحشاء ؛
وشبابه على الأحشاء ، وشغل نهاره بالجمع ، وليله بالجمع ، وقطع سلوته بانغى ،
وخلوته بالفناء ، وأفرغ جده على الكيس ، وهزل في الكأس ؛ والعلم ثمر لا
يصلح إلا للغرس ، ولا يغرس إلا في النفس ، وصيد لا يقع إلا في الندر ، ولا
ينشب إلا في الصدر ، وطائر لا يخذله إلا قنص اللفظ ، ولا يعلقه إلا شرك
الحفظ [ولا ينشب إلا في الصدر] ، وبحر لا يخوضه إلا الملاح ، ولا تطيقه إلا ألواح ،
ولا تهيجها إلا رياح ، وجبل لا يتسنى إلا بحط الفكر ، وسما لا يصعد إلا بمفرج
الفهم ، ونجم لا يلمس إلا بيد المجد .

(١) الأزلام ، هنا : قدام الميسر (م) .

(٢) لا يزكو : لا ينمو (م)

(٣) العلق - بالكسر - النفس الذى يتعالى فيه (م)

(٤) المدر - بالتجريك - صغار الحصى (م) .

ومن مفردات الآيات في المعاييب والمقايح

قول أبي تمام :

مَسَاوٍ لَوْ قَسِمْنَ عَلَى الْغَوَانِي لَمَا أَثْمَرْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

آخر :

قَوْمٌ إِذَا جَرَّ جَانٍ مِنْهُمْ أَمِنُوا مِنْ لَوْثٍ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا قَوْدًا^(١)

البحترى :

نَبَا فِي يَدِي ، وَابْنُ اللَّيْمَةِ وَاجِدٌ وَيَنْبُو الْخَبِيثُ الطَّلِيعُ وَهُوَ صَقِيلٌ

ابن الرومي في رجل يعرف بابن رمضان :

رَأَيْتَكَ تَدْعِي رَمْضَانَ دَعْوَى وَأَنْتَ نَظِيرُ يَوْمِ الشُّكِّ فِيهِ

وله في أعمى :

كَيْفَ يَرْجُو الْحَيَاءُ مِنْهُ صَدِيقٌ وَمَكَانُ الْحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابٌ

غيره :

هُوَ الْكَلْبُ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ مَلَالَةٌ وَسُوءُ مَرَاةٍ وَمَا ذَاكَ فِي الْكَلْبِ

آخر :

أَبَا ذَلْفٍ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلَّهُمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِينِكَ أَكْذَبُ

أبو الفضل الميكاكي :

هُوَ الشُّوْكَ لَا يُعْطِيكَ وَافِرَ مَنَّةٍ يَدُ الدَّهْرِ إِلَّا حِينَ تَضُرُّ بِهِ جُلْدًا

(١) جر : اكتسب جريرة ، يريد أنهم لا يساوون أحدا من الناس ،

ومن شرط القود — وهو الاقتصاص من القاتل بقتله — التكافؤ . فليسوا يقتلون

أصلا (م) .

[قولهم في اللحن وتعلم العربية]

قال المأمون ابعض وَلَدِه وسمع منه لحنا : ما على أحدكم أن يتعلم العربية ،
 فيقيم بها أودَه^(١) ، ويزينُ بها مشهده ، ويفلُ^(٢) حُجَجَ خَصْمِه ، بمس كتاب
 حكمه^(٣) ، ويملك مجلس سلطانه . بظاهر بيانه ؛ ليس لأحدكم أن يكونَ
 لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدهر أسيرَ كلمته .

وقال رجلٌ للحسن البصرى يا أبو سعيد ، قال : كَسِبُ الدرام شغلك
 أن تقولَ يا أبا سعيد ، ثم قال : تعلّموا العلم للأديان ، والنحو للسان ، والطلب
 للأبدان .

وكان الحسن كما قال الأعرابي وسمع كلامه : والله إنه لفصيحٌ إذا لفظ ، نصيحٌ
 إذا وعظ . وقيل له : يا أبا سعيد ، ما نراك تلحن ، قال : سَبَقْتُ اللحن . أخذه
 أبو العتاهية ، وقيل له : إنك تخرج في شعرك عن العَرُوض ، فقال : سبقت العروض ،
 وقال إسحاق بن خلف البهراني :

الفحو يصلح من لسان الأَلَكَنِ والمرءُ تُعْظِمُهُ إذا لم يلحنِ
 فإذا طلبت من العلوم أجَلَهَا فأجَلُهَا منها مقيمُ الأَلَسَنِ

وقال علي بن بسام :

رأيتُ لسانَ المرءِ رائدَ علمِهِ وعنوانه قَا نَظَرُ بِمَاذَا تُعَنَوْنَ
 ولا تَعُدُّ إِصْلَاحَ اللسانِ فَإِنَّهُ يُخَبِّرُ عما عنده ويبين
 على أن للإعراب حَدًّا ، وربما سمعت من الإعراب ما ليس يحسنُ
 ولاخيرَ في اللفظ الكريهِ استِماعُهُ ولا في قبيح اللّحنِ والقصد أن ين

(١) أوده : اعوجاجه (م) .

(٢) يفل : يكسر ويضعف (م) . (٣) في نسخة « بمسكتات حكمه » (م) .

وقال بعضُ أهل المعمر ، وهو أبو سعيد الرستمي :

أفي الحق أن يُعطى ثلاثون شاعراً ويحرم مادون الرضا شاعراً مثلي
كما ساحتوا عمراً بواو زيادة وضويق بسم الله في ألف الوصل
أبو الفتح البستي :

حُدِفَتْ وغيرى مثبت في مكانه كَأَنِّي نون الجمع حين يُضَافُ
وقال :

أفدى الغزال الذي في النحر كَلَمَنِي مُنَاطِرًا فَاجْتَنَيْتِ الشَّهَدَ مِنْ شَفَتَيْهِ
فَأَوْرَدَ الْحَجَجَ الْمَقْبُولَ شَاهِدُهَا مُحَقِّقًا لِيَرِنِي فَضْلَ مَعْرِفَتِهِ
ثم انفقتُ على رَأْيٍ رَضِيتُ بِهِ وَالرَّفْعَ مِنْ صِفَتِي وَالنَّصَبَ مِنْ صِفَتِهِ
الحسن اللحام^(١) :

أنا من وجوه النحر فيكم أفعلُ ومن اللغات إذا تُعَدُّ المَهْمَلُ^(٢)

. [لَوْعَةُ الشوق]

وقال أحمد بن يوسف :

كتب غلامٌ من ولد أنوشروان ممن كان أحد غلمان الديوان ، إلى آخرتهم
وكان قد علق به ، وكان شديد الكلف به والمحبة له : ليس من قَذَرِي - أدام
الله سعادتك - أن أقولَ لثلك جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ لأنني أراك فوق كل قيمة خطيرة
وتمنٍ مُعْجِز ، ولأنَّ نفسي لا تُساوِي نفسك ، فتُقبَلُ في فِدَتِكَ ، وعلى كل
حال ؛ فجعلني الله فِدَاءَ ساعة من أيامك ، اعلم أيها السيد العليُّ المنزلة ، أنه لو
كان لعبدك من شدة الخطب أمرٌ يَقِفُ على حده النعت^(٣) ، لاجتهدت أن يُضَعِفَ^(٤)

(١) في نسخة « أبو الحسن اللحام » (م)

(٢) أفعل : يريد أنه غير منصرف ، وسقطت هذه الكلمة من بعض النسخ (م) .

(٣) النعت : الوصف ، نعته ينعته : وصفه يصفه (م) .

(٤) في نسخة « لاجتهد أن يصف » (م) .

من ذلك ماعسى أن يعطف به زمام قلبك ، وتحنو له على الرقة به والتحفى أنماء
جوانحك ، ولكن الذى أمسيت وأصبحت ممتحنًا به فيه شمع^(١) على كل بيان ،
ونزع عن كل اسان ؛ والحب أيها المالك لم يشبه قذى ريبية ، ولم يختلط به قلب
معاب ، فلا ينفى لمن كرمته أخلاقه أن يعاف مقاربة صاحبه المدل بحمرة نيته ،
والذى أنماه أيها المولى اللطيف مجلس أقف فيه أمامك ، ثم أبوح بما أضنى جسدى ،
وفت كبدى . فإن خف ذلك عليك ورأيت نشاطا من نفسك إليه كنت كنت
فك أسيراً وأبرأً عليلاً ، ومن الخير سلك سبيلاً ، يتوَعَّرُ سلوكها على من كان
قبله ، ومن يكون بعده ؛ ثم أضاف إلى ذلك منه لا يطيقها جَبَلُ راس ، ولا فلك
دائر ، فرأيتك أيها السيد المعتمد فى الإسعاف ، قبل أن يَبْدُرَنى الموت ؛ فيحول
بينى وبين مانزعت إليه النفس مواصلاً برًا إن شاء الله تعالى .

فأجابه : تولى الله تعالى ما جرى به لسانك بالزيد ، ولا أوحش ما بيننا
بطائر فرقة ، ولا صافر تشتت ، وضمناً وإياك فى أوثق حبال الأنس ، وأؤكد
أسباب الألفة ؛ وقفت على ماخلصته من العجز عن بلوغ ماخامر قلبك^(٢) ، وانطوى
فى ضميرك ، من الشغف المقلق ، والهوى المضرع ، ولعمرى لو كشفت لك عن
مِعْشَار ما شتمل عليه مضمهر صدرى لأيقنت أن الذى عندك إذا قستته إلى ما عندى
كلتلاشى البائد ، ولكنك بفضل الإناعام سَبَقْتَنَا إلى كشف ما فى الضمير .
وأما طاعنى لك ، وذمامى إليك ؛ فطاعة العبد المقتنى ، الطائع لما يحكم له وعليه
مولاه وما لكه ، وأنا صائرٌ إليك وقت كذا ؛ فتأهب لذلك بأحمد عافية ، وأنتم
عُقْدَة^(٣) ، وأسعد نجم جرى بالألفة ، إن شاء الله تعالى .

وكتب بعض الكتّاب : إني لأكره أن أفديك بنفسى استحياء من التقصير

(١) شمع : بعد ، وفى نسخة « منع من كل بيان » (م) .

(٢) خامر قابك : خانظه (م) (٣) فى نسخة « وأنتم عافية » (م) .

(١٠ — زهر لآداب ٣)

في المعاوضة ، ومن التخلف في الموازنة ، وعلى الأحوال كلها ، فقدّم الله رُوحى
عنك ، وصاننى عن رؤوية المكروه فيك .

وقال المتنبي :

فَدَى لَكَ مِنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلَكُ إِذْنُ إِلَّا فِدَاكَ
وَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مِنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لَمَنْ قَلَاكَ
وَأَمَّا فِدَاكَ كُلَّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَلِكَةٍ مِلَاكَ

[وقال عبيد الله بن شبيب : كتب إلى بعض إخواني من أهل البصرة
كتابا ملح فيه وأوجز ، وهو : أطل الله بقاءك ، كما أطل حباءك ، وجعلنى
فداك إن كان فى فداؤك .

كُتِبْتُ وَلَوْ قَدَرْتُ هَوًى وَشَوْقاً إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي كِتَابِي [
وكتب آخر إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر ، وقد أصابتهما محنة ثم أردفتها
نعمة : لو قُبلت فيكما ، ودانيتُ قدريكما ، لقلت : جعلنى الله فداكما ، ولكنى
لا أجزى عنكما ، فلا أقبل بكما ، وقد بلغتني الحنة التي لومات إنسان غمّا بها
لكنته [ثم اتصلت النعمة التي لو طار اسرؤ برحابها لكنته] وكتب تحته :
وليس بتزويق اللسانِ وضوؤه ولكنّه قد خالط الأخيم والدما

وكتب ابن ثوبة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر في ترك مكاتبتة بالتفدية
[الله يعلم ، وكفى به علما ، لقد وددت مكاتبتك بالتفدية] فرأيت عيا أن
أفديك بنفس لا بدّ لها من فناء ، ولا سبيل لها إلى بقاء ، ومن أظهر لك شيئا
وأضر لك خلافه فقد غش ؛ والأمر إذا كانت الضرورة توجب أنه ملق^(١)
لا يحقق ، وإعطاء لا يتحصل ، لم يجب أن يخاطب به مثلك ، وإن كان عند قوم
نهاية من نهايات التعظيم ، وذليلا من دلالات الاجتهاد ، وطريقا من طرق التقرب .
قال الزبير بن أبى بكر : قال لى مسلمة بن عبد الله بن جندب الهذلى : خرجت أريد العقيق
ومعى زيان السواق ؛ فلقيتنا نسوة فيهن امرأة لم أر أجمل منها فأشدت بيتين لزبان :

(١) في المطبوعات « توجب أنه ملك لا يحمق » تحريف ما أثبتناه (م) .

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ هَذَا أَخْوَكُمْ قَتِيلٌ ، فهل فيكم له اليوم نَأْرٌ؟
 خُذُوا بَدْمِي ، إِنْ مِتُّ ، كُلَّ خَرِيدَةٍ مَرِيضَةٍ جَفَنِ الْمَبْنِ وَالطَّرْفِ سَاحِرٌ
 ثم قال : شَأْنُكَ بِهَا يَا بَنَ الْكَرَامِ فَالطَّلَاقُ لَهُ لَازِمٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ دَمُ أَيْيِكَ فِي
 نَقَابِهَا . فَأَقْبَلْتُ عَلَى وَقَالَتْ : أَنْتَ ابْنُ جَنْدَبٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . قَالَتْ : إِنْ قَتَلْنَا
 لَا يُرْدِي ، وَأَسِيرْنَا لَا يَفْدَى ، فَاعْتَنِمِ لِنَفْسِكَ ، وَاحْتَسِبْ أَبَاكَ .

قال أبو عبيدة : قال رجل من فزارة لرجل من بني عذرة : تعذون موتكم بنوعذرة
 من الحب مزية ، وإنما ذاك من ضَعْفِ الْمَنَةِ ، وَعَجْزِ الرُّوْيَةِ . فقال العذري :
 أَمَا لَكُمْ لَوْ رَأَيْتُمْ الْحَاجِرَ الْبُلْجَ ^(١) ، تَرشَقُ بِالْأَعْيُنِ الدُّعْجَ ^(٢) ، فَوْقَهَا الْحَوَاجِبُ
 الزُّجُجُ ^(٣) ، [وَتَحْتَهَا الْمِبَاسِمُ الْفُلْجُ] ، وَالشَّفَاهُ الشُّمُرُ ، تَفْتَرُّ عَنِ الثَّنَايَا الْغُرُ ، كَأَنَّهَا
 بَرَدُ الدُّرِّ ، لَجَعَلَتْموها اللَّاتِ وَالْعُرَى ، وَرَفَضْتُمُ الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ :
 وقال أعرابي : دخلتُ بَغْدَادَ فَرَأَيْتُ فِيهَا عَيُونًا دُعْجًا ^(٢) ، وَحَوَاجِبَ وَصَفِ الْحَسَنِ
 زُجْجًا ^(٣) ، يَسْحَبْنَ الثِّيَابَ ، وَيَسْلُبْنَ الْأَلْبَابَ .

وذكر أعرابي نساء فقال : ظُفُفْنَ فِي سَوَالِفِ طُولٍ ، غَيْرَ قِيَّيْحَا الْعُطُولِ ^(٤) ،
 إِذَا مَشَيْنَ أَسْبَلْنَ الذُّيُولَ ، وَإِنْ رَكَبْنَ أَثْقَلْنَ الْحُمُولَ .

ووصف آخر نساء فقال : يَتَلَمَّنَّ عَلَى السَّبَائِكِ ، وَيَتَشَخَّنَ عَلَى الْبِيَاظِ ^(٥) ،
 وَيَتَزَرَّنَ عَلَى الْعَوَاتِكِ ، وَيَرْتَفِقْنَ عَلَى الْأَرَائِكِ ، وَيَتَهَادَيْنِ عَلَى الدَّرَائِكِ ^(٦) ،
 ابْتِسَامُهُنَّ وَمَيْضُ ، عَنْ تَفَرُّ كَالِإِغْرِيزِ ، وَهَنْ إِلَى الصَّبَا صُورٍ ، وَعَنْ اتِّخَا حُورٍ ^(٧) .

(١) المحاجر : جمع محجر . وهو بزة مجلس : الموضع يكون عليه النقاب ، وهو
 أيضا مادار بالعين ، والبليج : جمع أبلج أو بلجاء ، والأبلج : الأبيض المشرق (م)
 (٢) الدعج : جمع دعجاء ، وهي العين الشديدة البياض مع السواد (م) .
 (٣) الزج : جمع أزج ، وهو الدقيق من الحواجب (م) . (٤) العطول : أراد
 التجرد من الحلى (م) . (٥) النيازك : الرماح ، واحدها نيزك (م) . (٦) الدرائك :
 البسط ، واحدها درنك (م) . (٧) صور : مآلات ، وحور : راجعات (م) .

(وصف الهوى ، وأمره)

سئل بعض الحكماء عن الهوى ، فقال : هو جليسٌ مُتَمَتِّعٌ ، وأليفٌ مؤنسٌ ، أحكامه جائزة ^(١) ، ملكٌ الأبدانَ وأرواحها ، والقلوبَ وخواطرها ، والعيونَ ونواظرها ، والنفوسَ وآراؤها ، وأعطى زمام طاعتها ، وقيادَ مملكتها ، تَوَارَى عن الأبصار مَدْخَلُهُ ، وغمض عن القلوب مَسْلَكُهُ .

وسئلت أعرابية عن الهوى فقالت : لا مُتَمَتِّعَ الهوى بملكه ، ولا مُلْكِيَّ بسلطانه ، وقبض الله يده . وأَوْهَنَ عَضُدَهُ ؛ فإنه جائر لا ينصف في حكم ، أعمى ما ينطق بعدل ، ولا يقصر في ظلم ، ولا يَرْعَوِي لِلَّوْمِ ، ولا يَنْقَادُ لِلْحَقِّ ، ولا يَبْقَى على عقل ولا فهم ، لو ملك الهوى وأطيع لَرَدَّ الْأُمُورَ على أدبارها ، والدنيا على أعقابها .

ووصف أعرابي الهوى فقال : هُوَ لَا تَدَوَّى بِهِ النُّفُوسُ الصَّحَّاحُ ، وتسيل منه الأرواح ، وهو سقم مكتم ، وجمر مضطرم ؛ فالقلوبُ له منصبة ، والعيون ساكنة ^(٢)

قال [أبو] عبيد الله بن محمد بن عمران المرزباني : أخبرني المغيرة بن يحيى ، قال : أحب رجل امرأةً دونه في القدر ، فعذله عمه ، فقال : يا عم ، لا تَلُمُ مُجْبِرًا على سَقَمِهِ ؛ فإن المقر على نفسه مستغنى عن منازعة خصمه ، وإنما يُلام من اقترف ما يقدر على تركه ، وليس أمرُ الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ؛ بل قُدْرَتُهُ أَغْلَبُ ، وجارِبُهُ أَعَزُّ من أن تنفذ فيه حيلة حازم ، أو لطف محتال .

وقال بعضهم : رأيت امرأتين من أهل المدينة تعاتب إحداهما الأخرى على هَوَى لهما ، فقالت : إنه يقال في الحكمة الغابرة ، والأمثال السائرة : لا تلومنَّ من أساء بك الظنَّ إذا جعلتَ نفسك هدفًا للهمة ، ومن لم يكن عونًا على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عُقْدَةِ الرَّأْيِ ، ومن أقدم على هَوَى وهو يعلم

(١) في نسخة وفي تزيين الأسواق « جائزة » (م) .

(٢) في نسخة « ساكنة » أى تسيل للسمع (م) .

ما فيه من سوء المغيبة سلط على نفسه لسان العذلي ، وضعي الحزيم . فقالت المذولة :
ليس أمرُ الهوى إلى الرأي فيملكه ، ولا إلى العقل فيدبره ، وهو أغلب قدرةً ،
وأمنع جانباً من أن تنفذ فيه حيلة الحازم ، أو ماسمعت قول الشاعر :

ليس خطبُ الهوى بخطبٍ يسير لا ينتبِك عنه مثلُ خيلٍ خبير
ليس أمرُ الهوى يدبُّ بالراءِ ولا بالقياس والتفكير
إنما الأمرُ في الهوى خطراتٌ محدثاتُ الأمورِ بعدَ الأمورِ

قال المرزباني : أخبرني الصولي أن هذه الأبيات لعلية بنت المهدي ، ولها
فيها لحنٌ .

وقيل لعبد الله بن المقفع : مبالُ العاقل المميز الذهن ، واللييب الفطن ، يتعرض
للحُب وقد رأى منه مواضع الهلكة ، ومصارع التلّف ، وعلم مايؤول ^(١) إليه عُقباء ،
وترجع به أخراه على أولاه ؟ فقال : زُخرف ^(٢) ظاهرُ العشق بجمال زينة يستدعي
القلوب إلى ملامسته ، وملى بعاجل حلاوة يطبي ^(٣) النفوسَ إلى ملابسته ، كظواهر
زخرف الدنيا ، وبهاء رونقها ، ولذيد جنى ثمرها ، وقد سكرت أبصارُ قلوبِ أبنائها
عن النظر إلى قبيح عيوب أفعالها ، فهم في بلائها منغمسون ، وفي هلكة فتنها
متورطون ، مع علمهم بسوء عواقب خطبها ، وتجسّع مرارة شربها ، وسرعة
استرجاعها ماوهبت ، وإخراجها ممّا ملكت ، فليس ينجّونها إلا من حذرّها ،
ولا يهلك فيها إلا من أمِنها ، وكذلك صورةُ الهوى ؛ هما في الفتنة سواء .

[بعض ما جاء في العفاف]

وقال ابن دُرَيْد : قال بعضُ الحكماء : أغلق أبواب الشبهات بأفصال
الزهادة ، [وافتح أبواب البر بمفاتيح العبادة] فإنّ ذلك يُدْزِنُكَ من السعادة ،

(١) يؤول : يرجع (م) . (٢) زخرف : زين (م) .

(٣) يطبي النفوس : يدعوها (م) .

وتستوجب من الله الزيادة .

وقال غيره : إنَّ اللذة مشوبةٌ بالقُبْح ؛ ففكروا في انقطاع اللذة وبقاء

ذكر القُبْح

قال أبو عبد الله بن إبراهيم بن عرفة [نفلوا به] :

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكونَ عن الحرام عفيفاً
فإذا تعفَّفَ عن محارمِ رَبِّه فهناك يُدعى في الأنامِ ظريفاً

وقال :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ وخوفُ اللهِ والحذرُ
وكم خلوتُ بمن أهوى فيمنعني منه الفكاهةُ والتقبيلُ والنظرُ
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم وليس لي في حرامِهم وطَرُ
كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةٍ لا خيرَ في لذةٍ من بعدها سقرُ

وقال العباس بن الأحنف :

أتأذنونَ لِحَبِّ في زيارتكم فعندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصَرِ
[لا يبصر السوء إن طالتْ إقامته عَفَ الضمير ولكن فاسق النظر]^(١)

وقال بعضُ الطالبين :

رموتني وإياهم بشنْءٍ مُهم بها أحوُّ ، أدالَ اللهُ منهم وعجلاً
بأمرٍ تركناه وربَّ محمدٍ جميعاً فإما عفةٌ أو تجملُ لا

وقال سعيد بن حميد :

زائرُ زارنا على غَيْرِ وعد مُحطَف الكَشْح مُثْقَلُ الأردافِ
غالبَ الخوفِ حينَ غالبه الشوقُ وأخفى الهوى وليس بخافي
غضٍّ طرَفِي عنه تُنقى اللهُ فاختَرْتُ على بذله بقاءَ التَّصافي
نم ولَّى والخوفُ قد هزَّ عِظْفَيْهِ ولم يخلُ من لباسِ العفافِ

(١) سقط هذا البيت من بعض النسخ ، وحفظ في « لا يضر السوء إن طال

وفي الحديث الشريف : « مَنْ أَحَبَّ فَعَفَّ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » .
 والعفافُ مع البَذْل ، كالأستطاعة مع الفعل ، كما قال صريع الغواني :
 وما ذمى الأيام أن لستُ مادحاً لعهدٍ لياليها التي سلفتُ قبلُ
 ألا ربَّ يومٍ صادقِ العيشِ نيلتهُ بها وندامى العفافةُ والبذلُ^(١)
 وأنشد الصولي لأبي حاتم السجستاني في المبرد ، وكان يلزم حلقته ،
 وكان من الملاح وهو غلام :

ماذا لقيتُ اليومَ من مُتمجِّن خِثِّ الكلامِ^(٢)
 وقفَ الجمالُ بوجهِهِ فسمتُ له حدقُ الانامِ
 حرَّكَاته وسُكونه يُجَنِّى بها ثمرُ الأثامِ
 فإذا خلوتُ بمنله وعزمتُ فيه على اعترامِ
 لم أعدُ أخلاقَ العفا فوذاك أوكدُ للغرامِ
 نفسي فداؤك يا أبا العباسِ جلَّ لك اعتصامِ
 فارحهم أخاك فإنه نزرُ الكرمي بادي السقامِ
 وأنله مادونَ الحرامِ فليس يرغبُ في الحرامِ

وكان أبو حاتم يتصدق كلَّ يوم بدرهم ، ويختم القرآن في كل أسبوع .
 وذكر أنه اجتمع أبو العباس بن سريج الشافعي ، وأبو بكر بن داود العباسي
 في مجلس على بن عيسى بن الجراح الوزير ، فتناظرا في الإيلاء ، فقال ابن سريج :
 أنت بقولك : « من كثرت لحظاته دامت حسراته » أبصرُ منك بالكلام في
 الإيلاء ، فقال أبو بكر : لئن قلت ذلك فإني أقول :

أنزه في روضِ المحاسن مُقلتي وأمنعُ نفسي أن تنالَ مُحرمًا

(١) الندامى : جمع نديم ، وأصله الذي يحالسك على الشراب (م) .

(٢) المتمجِّن : الكثير المجون ، وخثِّ الكلام : أى لينه متكسره (م) .

وَأَحِلُّ مِنْ ثِقَلِ الْهَوَى مَا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ تَهْدِمًا
وينطلق طرقي عن مترجم خهلري
رَأَيْتُ الْهَوَى دَعَايَ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
فلولا اختلاسي رَدَّهُ لَتَكَلَّمَا
فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : بِمِ تَفْتَخِرُ عَلَيَّ ؟ وَأَنَا لَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ :

وَمُطَاعِمٍ لِلشَّهْدِ مِنْ نَفَاتِهِ قَدْ بَتُّ أَمْنُهُ لَذِيذَ سِنَاتِهِ
صَبًّا بِحُسْنِ حَدِيثِهِ وَكَلَامِهِ وَأُكْرِرُ اللَّحَظَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ
حتى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ وَلِي بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْوَزِيرَ ، تَحْفَظُ عَلَيْهِ مَا قَالَ حَتَّى يَقِيمَ شَاهِدِينَ
عَدْلِينَ أَنَّهُ وَلِي بِخَاتَمِ رَبِّهِ ! فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : يَلْزَمُنِي فِي هَذَا مَا يَلْزَمُكَ فِي قَوْلِكَ :
أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْحَاسَنِ مُقْلَاتِي ... الْبَيْت . فَضَحِكَ الْوَزِيرُ ، وَقَالَ : لَقَدْ جَمَعْتُمَا
ظَرْفًا وَلُطْفًا وَفَهْمًا وَعِلْمًا .

ألفاظ لأهل العصر، في محاسن النساء

هي روضة الحسن ، وضرة الشمس ، وبدر الأرض . هي من وجهها في
صباح شامس ، ومن شعرها في ليل دامس^(١) ، كأنها فلقة قمر على برج فضة .
بدر التميمي ، تحت نقابها ، وغصن البان يهتز تحت ثيابها ، ثغرها يجمع الضرب
والضرب^(٢) ، كأنه نثر الدر ، كما قال البحرى :

إِذَا نَضَّوْنَ شُفُوفَ الرِّيْطِ آوِنَةً قَشَرْنَ عَنْ لَوْلُؤِ الْبَحْرَيْنِ أَصْدَافًا
قد أنبت صدرها نمر الشباب ، خرطت لها يد الشباب حقين^(٣) من عاج ،
كأنها البدر قرط بالثرى ، ونيط بها عقد من الجوزاء ، أعلاها كالفضن مئال ،

(١) شامس : ذى شمس ، على النسب ، ودامس : مظلم (م) .

(٢) الضرب : اللين ، والضرب : غسل النحل (م) .

(٣) حقين : ثنية حق ، وهو العلبة ، وأراد ثديها (م) .

وأَسْفَلُهَا كَالدَّعْسِ^(١) مُنْهَالٌ ، لَهَا عُنُقٌ كَأَبْرِيقِ اللَّجَيْنِ ، وَسُرَّةٌ كَذَهْنِ الْعَاجِ ،
نِطَاقُهَا مُجْدِبٌ ، وَإِزَارُهَا مُخْصِبٌ . مَطْلَعُ الشَّمْسِ مِنْ وَجْهِهَا ، وَنَبْتُ الدَّرِّ
مِنْ فِيهَا ، وَمَلَقَطُ الْوَرْدِ مِنْ خَدَّهَا ، وَمَنْبَعُ السَّحْرِ مِنْ طَرَفِهَا ، وَمِبَادِي اللَّيْلِ
مِنْ شَعْرِهَا ، وَمَغْرَسُ الْفَصْنِ مِنْ قَدَّهَا ، وَمِهْيَلُ الرَّمْلِ مِنْ رِذْفِهَا

وَلَهُمْ فِي مُحَاسِنِ الْغُلَامَانِ وَالْمَعْدَرِينَ

زَادَ جَمَالُهُ ، وَأَقْرَبَ هِلَالُهُ . تَرَفَّقَ فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْحُسْنِ ، شَادِنٌ فَاتِرٌ
طَرَفُهُ ، سَاحِرٌ لَفْظُهُ . غَلَامٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، وَيَقْبَلُهُ الْقَلْبُ ، وَيَأْخُذُهُ الطَّرْفُ ،
وَتَرْتَاحُ إِلَيْهِ الرُّوحُ . تَكَادُ الْقُلُوبُ تَأْكُلُهُ ، وَالْعَيُونُ تَشْرَبُهُ . جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ
فِي عَوْدِهِ فِتَائِلَ كَالْفُصْنِ ، وَاسْتَوَفَى أَقْسَامَ الْحُسْنِ ، وَلَبِسَ دِيبَاجَةَ الْمَلَاخَةِ ،
كَأَنَّ الْبَدْرَ قَدْ رَكِبَ أَزْرَارَهُ ، لَا يَشْبَعُ مِنْهُ النَّظَرُ ، وَلَا يَرَوِي مِنْهُ الْخَاطِرُ ،
كَأَدُّ الْبَدْرِ يُحْكِيهِ ، وَالشَّمْسُ تُشَبِّهُهُ وَتُضَاهِيهِ ، صُورَةٌ تَجْلُو الْأَبْصَارَ ، وَتُخْجِلُ
الْأَفْقَارَ ، شَادِنٌ مُنْتَقِبٌ بِالْبَدْرِ ، وَمُكْتَحِلٌ بِالسَّحَرِ . مَا هُوَ إِلَّا تَرْهَةُ الْأَبْصَارِ ،
وَمُخْجِلُ الْأَفْقَارِ ، وَبِدْعَةُ الْأَمْصَارِ ، غَمَزَاتُ طَرَفِهِ تُخَيِّرُ عَنْ ظَرَفِهِ ، وَمِنْطَقُهُ
يَنْطِقُ عَنْ وَصْفِهِ . تَحَالُ الشَّمْسُ تَبْرِقَمَتْ غُرَّتُهُ ، وَاللَّيْلُ نَاسِبٌ أَصْدَاغَهُ وَطَرَفَتَهُ
الْحُسْنُ مَافُوقُ أَزْرَارِهِ ، وَالطَّيِّبُ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ ، شَادِنٌ يَضْحَكُ عَنِ الْأَفْحْوَانِ ،
وَيَتَنَفَّسُ عَنِ الرِّيحَانِ ، كَأَنَّ خَدَّهُ سَكْرَانٌ مِنْ خَمْرِ طَرَفِهِ^(٢) ، وَبَغْدَادٌ مَسْرُوقَةٌ
مِنْ حُسْنِهِ وَظَرَفِهِ ، أَعْجَمَتْ يَدُ الْجَمَالِ نُونََ صُدُغِهِ بِخَالٍ ، هَذَا مُحْلُولٌ مِنْ قَوْلِ
ابْنِ الْمُعْتَزِ :

غِلَالَةُ خَدِّهِ صُبُغَتْ بَوَرْدٍ وَنُونُ الصَّدُغِ مُعْجَمَةٌ بِخَالٍ

(١) الدَّعْسُ - بِالْكَسْرِ - الْكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ (م)

(٢) فِي نَسْخَةٍ « مِنْ خَمْرَةٍ فِيهِ » وَهِيَ - وَإِنْ كَانَتْ أَشْهَرُ فِي كَلَامِهِمْ - أَبْعَدُ

مِنْ انْسِجَامِ أَسْلُوبِ الْمُؤَلِّفِ (م) .

له عينان حشوّ أجفانهما السّحرُ، كأنه قد أعار الظنبيّ جِده، والغصنُ قدّه، والراح ريجّه، والورْدَ خدّه، الشّكل^(١) من حرّ كانه، وجميعُ الحسنِ بعض صفاته. قد ملك أزيمة القلوب، وأظهر حجّة الذنوب، كأنما وسمّه الجلالُ بنهايته، ولحظه الفلكُ بعنايته، فصاغه من ليله ونهاره، وحلاه بنجومه وأقماره، ونقّبه ببدايع آثاره، ورَمَقه بنواظر سُعوده، وجعله بالجمال أحدَ حدوده. وقد صبّغ الحياه غلالة وجهه، ونشّر لؤلؤ العرق عن ورْد خدّه. تكادُ الأخطأُ تسفك من خدّه دمَ الخجل. له طرّة كالفسق، على غرّة كالفلق. جاءنا في غلالة تمّ على ما يستره، وتجنّف مع رِقمتها عما يظهروه^(٢). وجهٌ بماء الحسنِ مغسول، وطرفٌ بمزود السّحرِ مكحول. ثمرُ حَي حامية الثغور، وجُملُ ضرة لقلائد النحور. السّحرُ في الحافظه، والشهدُ في الفاظه. اختلس قامة الغصن، وتوشّح بمطارف الحسن، وحكى الروض غبّ المزن^(٣). الأرضُ مشرقة بنور وجهه، وليل السرارِ في مثل شفره^(٤). الجنةُ مجتناة من قرْبهِ، وماء الجلالِ يترقّق في خدّه، ومحاسنُ الربيع بين سحره ونحره، والقمرُ فضلة من حُسْنِه. ماهو إلا خالٌّ في خدّ الظرف، وطرازٌ على علم الحسنِ، وورْدَةٌ في غصنِ الدهر، ونقشٌ على خاتم الملك، وشمسٌ في فلك اللطف. هو قمرٌ في التصوير، شمسٌ في التأثير. منظرٌ يملأ العيون، ويملكُ النفوس، زرافين أصداعه^(٥) معاليق القلوب. كأنّ صدغه قرط من المسك على عارض البدر. وجهه عرس، وصدغه مأتم، ووصله جنة، وهجره جهنم. أصداعه قد اتخذت شكلَ العقارب، وظلمت ظلم الأقارب. إن كان عقرب صدغه تلسع، فترياق ريقه ينفع. كأن شاربَه زئبِرُ الخبز الأخضر، وعذاره طراز المسك والعنبر [الأذفر]، على الورْدِ الأحمر. إذا تكلم تكشّف حجابُ الزمرد والعقيق،

(١) الشكل : الدلال (م). (٢) في نسخة «وتجنّف مع رقتها على ما يستره» (م).

(٣) المزن : المطر (م). (٤) ليل السرار : آخر ليالى الشهر العربى (م).

(٥) الزرافين : جمع زرفين ، وهو الحلقة ، أو خاص بحلقة الباب ، ويقولون

« زرفن صدغيه » أى جعلهما على شكل الزرفين (م) .

عن يَمِطِ الدرَّ الأنيق . قد همَّ أرقمُ الشَّعر على شاربِهِ ، وكاد فمُ الحُسن يقبِّله .
 كأنَّ العِذارَ ينتشِ فِصَّ وَجْهِهِ ، ويحرقُ فِضَّةَ خَدِّهِ . طرَّزَ الجِمالُ دِيباجَ وَجْهِهِ ،
 وأبانَ عِذارُهُ العِذرَ في حُبِّهِ . [لعب الرِّبعُ بخَدِّهِ ، فأنبَت البنفسجَ في وَرْدِهِ .
 لما احترقتُ فضةُ خَدِّهِ ، احترق سوادُ القلب من حُبِّهِ] .

كيف لا يخضرُّ شاربُهُ ومياهُ الحُسنِ تسقيه

ولهم في تقيُّض ذلك ، في ذم خروج اللحية

قد انتقب بالديَّيجورِ ، بعد النور ؛ فدَوَّلَهُ حُسنُهُ قد أعرضتْ أيامُهُ ، وانقرضتْ
 دَوَلَّتُهُ وأحكامُهُ . استحالَ خَدُّهُ دُجَا ، وزمرَّد خَدُّهُ سُبُجَا^(١) ؛ وأخذت نارُ حُسنِهِ
 بعد الإيقاد ، ولبس عارضُهُ ثوبَ الحِداد . ذَبُلَ وَرْدُ خَدِّهِ ، وتشوَّك زعفرانُ
 خطهِ . فارقنا خُشفاً ، ووافانا جِلْفاً ، وفارقنا هلالاً وغزَّالاً ، وعادوبالاً ونسكالاً .
 مالى أرى الآباطَ جائِشةً ؛ والآثافَ مُعشِبةً ، والعيونَ منورةً ، والأزرارَ مرعى ،
 والأظفارَ حمى ، والالحى لبوداً ، والأسنانَ حُضراً وسوداً .

من رسائل البديع ومقاماته

من رسالة
 لمن طلب
 وداده

وكتب إلى بديع الزمان بعضُ من عُزل عن ولايةِ حسنة يستمدُّ وداده ويستميل
 فؤاده ؛ فواجهه بمِ نِسخته : وردَّت رِقمَتُكَ أطلالَ الله بقاءك فأعزَّتْها طرفُ التعرُّز
 ومددت إليها يدَ التعرُّز ، وجمعت عليها ذيلَ التعرُّز ، فلم تند على كبدى ، ولم
 تحطَّ بناظرى ويدي ؛ ولقد خطبت من مودتى ما لم أجِدْكِ لها كِفِيًّا ، وطلبت
 من عِشرتى ما لم أرك لها رِضيًّا ؛ وقلت : هذا الذى رفع عنَّا أجفان

(١) فى نسخة «وزمرَّد خطه سُبُجَا» والخط من قولهم «خط الغلام» إذا نبت
 عذاره ، والسُّبُج : جمع سُبُجَة أو سُبُجَة ، وهى كسَاء أسود ، والمراد أن شعر
 عارضيه قد نبت (م) .

طَرَفَه ، وشال بشعرات أنفه ، وتآه بِحُسْنِ قَدِّه ، وزها بوزد خَدَّه ، ولم يَسْقِنَا مِنْ قُوَّتِهِ ، ولم نَسِرْ بِضَوْئِهِ ؛ فَالآنَ إِذْ نَسَخَ الدَّهْرُ آيَةَ حُسْنِهِ ، وَأَقَامَ مَائِلَ غُصْنِهِ ، وَفَلَّلَ غَرْبَ عُجْبِهِ^(١) ، وَكَفَّ شَأْوَ زَهْوِهِ ، وَانْتَصَرَ لِنَامِنِهِ بِشَعْرَاتِ قَدِّهِ كَسَفَتِ هِلَالَهُ ، وَأَكْسَفَتْ بَالَهُ ، وَمَسَخَتْ جَمَالَه ، وَغَيَّرَتْ حَالَهُ ، وَكَدَّرَتْ شِرْعَتَهُ^(٢) ، وَكَثَّرَتْ طَلَمَتَهُ ، جَاءَ يَسْتَقِي مِنْ جَرَفِنَا جَرَفًا ، وَيَغْرِفُ مِنْ طِينَتِنَا غَرَفًا ، فَهَلَا يَا أَبَا الْفَضْلِ مَهْلًا :

أُرِغِبْتَ فِينَا إِذْ عَلَا لَكَ الشَّعْرُ فِي خَدِّ قَعْلٍ
وَخَرَجْتَ مِنْ حَدِّ الظُّبَا ۖ وَصَبَرْتَ فِي حَدِّ الْإِبِلِ
أَنْشَأْتَ تَطْلُبُ عِشْرَتِي عُدَّ لِلْعِدَاوَةِ يَا خَجَلٍ
أَنْسَيْتَ أَيَّامَكَ ؛ إِذْ تَكَلَّمْنَا نَزْرًا^(٣) ، وَتَنْظَرْنَا شَرْرًا^(٤) ، وَتَجَالَسُ مِنْ حَضَرٍ ، وَنَسْرِقُ إِلَيْكَ النَّظَرَ ، وَنَهْتَزُ لِكَلَامِكَ ، وَنَهْشُ لِسْلَامِكَ :

فَمَنْ لَكَ بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيْكَ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَنْظَرُ
أَيَّامَ كُنْتُ تَمَائِلُ ، وَالْأَعْضَاءُ تَتَزَايَلُ ، وَتَتَفَانِجُ ، وَالْأَجْسَادُ تَتَفَالَجُ ، وَتَتَفَلَّتُ ،
وَالْأَكْبَادُ تَتَفَتَّتُ ، وَتَخْطُرُ وَتَرْفُلُ ، وَالْوَجْدُ بِنَا يَعْلُو وَيَسْفُلُ ، وَتَذْهَبُ وَتَقْبَلُ ،
فَتَمْنَى وَتَحْبَلُ ، [وَتَصْدُ] وَتُعْرِضُ ، فَتَضْنَى وَتَمْرُضُ :

وَتَبْسَمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مَنْوَرًا تَخْلُلُ حَرَّ الرَّمْلِ دَعَصَ لَهُ نَدًى
فَأَقْصِرِ الْآنَ فَإِنَّهُ سَوْقٌ كَسَدَ ، وَمَتَسَاعٍ قَسَدَ ، وَدَوْلَةٌ أَعْرَضَتْ ، وَأَيَّامٌ
انْقَضَتْ :

وَعَهْدٌ يَفَاقُ مَضَى وَسَوْقٌ كَسَادٍ نَزَلُ
وَحَدٌّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَحَظٌّ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ

(١) فُلل: كسر، والغرب: الحد . وفي نسخة «وفنا غرب عجب» وفنا: سكن (م).
(٢) الشرعة بالكسر - موضع ورود الماء ، وتكديرها: تصييرها كدرا (م).
(٣) النزر: القليل (م) . (٤) الشزر: النظر من ناحية شأن المتكبرين (م) .

ويوم صارأمس ، وحسرة بقيت في النفس ، وثغر غاض ماؤه فلا يرشف ،
وريق خدع فلا ينشف ، وتمايل لا يعجب ، وتئن لا يطرب ، [ووجه زال
سهاؤه] ، ومقلة لا تجرح الحاظها ، وشفة لا تفتن ألقاظها ، فحتام تدل ، وإلام
نحتمل وعلام ؟ وآن أن تذعن الآن ، وقد بلغني ما أنت متعاطيه من تمويه
يجوز بعد العشاء في العسق ، وتشبيه يفتضح عند ذوى البصر والصدق ؛ من
إنائك لتلك الشرعات جفاً وحصاً ، وإنحائك عليها نقصا وقصا . وسيكذينا الدهر
مؤونة الإنكار عليك ، بما يرف من بنات الشعر وأمهاته إليك ؛ فأما ما استأذنت فيه
رأي من الاختلاف إلى مجلسي فما أقل إليك نشاطي ، وأضيق عنك بساطي ،
وأشنع قلقي منك ، وأشد استغنائى عن حضورك ، فإن حضرت فأنت دالة
نروض عليه الحلم ، وتعلم به الصبر ، وتتكلف فيه الاحتمال ، وتغضى منه الجفن
على قذى ، ونطوى منه الصدر على أذى ، ونجعل للقلوب تأنيبا ، وللعيون تأديبا .
ومالك إلا أن تعترض من الرغبة عنا رغبة فينا . ومن ذلك التدلل علينا تذلا
لنا ، ومن ذلك التعالى تبصبا ، ومن ذلك التغالى ترخصا ، وما بال الدهر
أعقبك من التزايد تنقصا^(١) ، ومن التسحب على الإخوان تقمضا ، ولئن اعتضت
من الذهب رجوعا ، لقد اعتضنا من النزاع نزوعا^(٢) ، فأننا برحلك وجانبك ،
ملقى حبلك على غاربك ، لا أوزر قرربك ، ولا أئده سيربك ، والسلام .

المقامة الأسدية
من إنشاء
البدیع

ومن إنشاء بدیع الزمان في مقامات الإسكندري ولعل ما فيها من الطول
غير مملول . قال : حدثنا عيسى بن هشام قال : كان يبلغني من مقامات الإسكندري
ما يُصنفي له النور ، ويُنقَضُ له المصفور ، ويرَوى لي من شعره ما يمتزج
بأجزاء الهواء رقة ، ويُغمض عن أوهام الكهنة دقة ، وأنا أسأل الله بقاءه ،

(١) يقولون « بصيص الكلب بذنبه » إذا حركه يتملق به صاحبه (م) .

(٢) نزع النفس إلى كذا نزاعا : اشتاقت له ، ونزعت عنه روعا :

حتى أَرْزَقَ لقاءَه، وأَتَعَجَّبَ من قَمُودِ هِمَّتِهِ بِحالَتِهِ، مع حُسْنِ آلَتِهِ، وقد ضربَ الدهرُ شَوْوَنَهُ أَسَدًا^(١)، وهَلَمْ جَرَأَ. إلى أَنْ اتَّفَقَتْ لِي حَاجَةٌ بِمَحْنِصٍ، فَشَحَذْتُ إِلَيْهَا الْحَرِصَ، فِي صُحْبَةِ أَفْرَادِ كَنَجُومِ اللَّيْلِ، أَخْلَاسَ^(٢) لظَهْوَرِ الْخَلِيلِ، فَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَذْتَهَبُ مَسَافَتَهُ، وَنَسْتَأْصِلُ شَأْفَتَهُ، وَلَمْ نَزَلْ نَفَرِي أَسْنَمَةَ الدَّجَادِ^(٣)، بَتَلَكِ الْجِيَادِ، حَتَّى صِرْنَا كَالْعِصَى، وَرَجَعْنَا كَالْقِصَى، وَتَاحَ لَنَا وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ، ذِي آلَاءٍ وَأَثَلٍ، كَالْعَذَارَى يُسَرِّحُنَ الضَّفَائِرَ، وَيَنْشُرُنَ الْغَدَائِرَ، فَمَاتَ الْمَاجِرَةُ بَنَّا إِلَيْهَا، فَتَرَانَا تُغَوِّرُ وَتَغُورُ، وَرَبَطْنَا الْأَفْرَاسَ بِالْأَمْرَاسِ، وَمِلْنَا مَعَ الثُّعَاسِ، فَمَارَعْنَا إِلَّا صَهِيلَ الْخِيُولِ، وَنَظَرْتُ إِلَى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنِيهِ، وَطَمَحَ بَعِينِيهِ، يَحْذُو قُوَى الْحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ، وَيَخْذُخَذُ الْأَرْضَ بِجَوَافِرِهِ، ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الْخَلِيلُ، فَأَرْسَلْتُ الْأَبْوَالَ، وَقَطَعْتُ الْحَبَالَ، وَصَارَ كُلُّنَا إِلَى سِلَاحِهِ، فَإِذَا الْأَسَدُ فِي فَرْوَةِ الْمَوْتِ، قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ، مُنْتَفِجًا فِي إِهَابِهِ، كَاشِرًا عَنْ أَنْيَابِهِ، بِطَرَفٍ قَدْ مَلَأَ صَلَفًا، وَأَنْفٌ قَدْ حَشَى أَغْفًا. وَصَدَرَ لَا يَبْرَحُ الْقَلْبَ، وَلَا يَسْكُنُهُ الرَّعْبَ، فَقُلْنَا: خُطِبُ وَاللَّهِ مَلَمٌ، وَحَادِثٌ مَهْمٌ، وَتَبَادَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ سَرَّعَانِ الرُّفْقَةِ فَتَى :

أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

بِقَلْبٍ سَاقَهُ قَدْرٌ، وَسَيْفٍ كُلَّهُ أَثَرٌ، فَلَسَكْنَتُهُ سُورَةُ الْأَسَدِ، فَخَاتَتُهُ أَرْضُ قَدَمِهِ، حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفِهِ، وَتَجَاوَزَ الْأَسَدُ مَضْرَعَهُ، إِلَى مَنْ كَانَ مَعَهُ، وَدَعَا الْحَيْنُ أَخَاهُ، إِلَى مِثْلِ مَادَعَاهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ، وَعَقَلَ الرَّعْبُ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ أَرْضَهُ وَافْتَرَسَ اللَّيْثُ صَدْرَهُ، وَلَكِنْ شَغَلَتْ بَهَامَتِي فِيهِ، حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ، وَقَامَ الْفَتَى فَوْجًا بَطْنُهُ حَتَّى هَلَكَ مِنْ خَوْفِهِ، وَالْأَسَدُ بِالْوَجَاءِ فِي جَوْفِهِ، وَنَهَضْنَا

(١) فِي الْمَقَامَاتِ «ضَرَبَ الدَّهْمُ شَوْوَنَهُ، بِأَسَدَادٍ دُونَهُ» (م)

(٢) أَحْلَاسٌ لظَهْوَرِ الْخَلِيلِ : يُرِيدُ أَنَّهُمْ يَلْزَمُونَ ظَهْوَرَهَا، كُنَايَةً عَنْ شَجَاعَتِهِمْ

وَفَرُوسِيَّتِهِمْ (م) (٣) النِّجَادُ : جَمْعُ نَجْدٍ، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، ضِدَّ السَّهْلِ (م)

على أثر الخيل ، فتألفنا منها ما ثبت ، وتركنا ما أفلت ، وعدنا إلى الرفيق لنجهزه .

فلما حَثَوْنَا التَّربَ فَوْقَ رَفِيقِنَا جَزَعْنَا وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةَ سَجَزَعْ
 وعدنا إلى الفلاة ، فهبطنا أرضها ، وسرنا حتى إذا ضمرت المزاد ، ونفدَ
 الزادُ ، أو كاد يدركه النفاذ ، ولم تملك الذهاب ولا الرجوع ، وخفنا القاتلين
 الظمأ والجوع ، عن لنا فارسٌ فصمَدٌ صمَدُهُ ، وقصدنا قصده ، ولما بلغنا نزلَ
 عن حاذ فرسه ينقشُ الأرضَ بشفتيه ، ويلقى الترابَ بيديه ، وعمدني من بين
 الجماعة ، فقبل ركابي ، وتحرمُ بتيابي ، ونظرتُ فإذا وجه يبرق برق العارض
 المتملل ، وفرس متى ما ترقَّ الدينُ فيه تسهل ، وعارضٌ قداخضرٌ ، وشاربٌ قد
 طر ، وساعدٌ ملاّن ، وقضيب رِيَّان ، ونجار تركي ، وزى ملكي ، فقلت :
 ما جاء بك ؟ لا أبالك ! فقال : أنا عبد بعض الملوك ، هم من قتلى بهمٍ ، فهمت
 على وجهي إلى حيث تراني ، وشهدت شواهدُ حاله ، على صدق مقالته ،
 ثم قال : أنا اليوم عبدك ، ومالي مالك ، فقلت : بشرى لك وبك ، أذاك
 سيرك إلى فناء رَحْب ، وعيش رَطْب ، وهنأتني الجماعة ، بحسب الاستطاعة ،
 وجعل ينظرُ فتفتلنا الحاظله ، وينطقُ فتفتلنا ألقاظه ، والنفس تناجيني فيه بالمحذور ،
 والشیطان من وراء الغرور ، فقال : ياسادة ، إن في سفح هذا الجبل عيناً ، وقد
 ركبتم فلاة عَوْرَاء^(١) ، فخذوا من هنالك الماء ، فلوينا الأعنة إلى حيث أشار ، وبلغناه
 وقد صهرت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادبُ العیدان^(٢) ، فقال : ألا تقيلون
 في هذا الظل الرَّحْب ، على هذا الماء العذب ؟ فقلنا : أنت وذاك ، فنزل عن فرسه ،
 ونحى منطلقته ، وحلَّ قرطقتة^(٣) ، فما استترعنا إلا بغلالةٍ [تنم] على بدنه ،

(١) فلاة عوراء : صحراء ليس بها ماء (م)

(٢) ركبت الجنادب العیدان : كناية عن اشتداد الحر (م)

(٣) القرطق : ضرب من الكساء (م)

فما شككنا أنه خاسم الولدان ، ففارق الجنان ، وهرّب من رضوان ،
وعمد إلى السروج لخطها ، وإلى الأفراس فحشها^(١) ، وإلى الأمكنة ففرشها ، وقد
حارت البصائر فيه ، ووقعت الأبصار عليه ، ووتد كل مناشباً ، وخنث اللفظ
ملقاً . وقلت : يا فتى ، ما أطفك في الخدمة ! وأحسنك في الجملة ! فالويل لمن
فارقت ، وطوبى لمن رافقته ، فكيف نشكر الله على النعمة بك ؟ ! فقال :
ما سترونه أكثر ، أتعجبكم خفتي في الخدمة ، فكيف لو رأيتموني في الرثقة ؟
أريكم من جذقي طرفاً ، لتزدادوا بي شغفاً ؟ قلنا : هات ، فعمد إلى قوس
[أحداً] فأوتره ؛ وفوق سهماً فرماه في السماء ، وأتبعه بآخر فشقه في الهواء ،
وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عمد إلى كنانتي فأخذها ، وإلى فرسى فعلاه ،
ورمى أحداً بسهم أثبتته في صدره ، وآخر طيره من ظهره ، فقلت : ويحك !
ما تصنع ؟ قال : اسكت يا ألسع ، والله ليشدن كل منكم يد رفيقه ، أو لأغصنه
بريقه ، فلم نذر ما نصنع ، وأفراسنا مربوطة ، وسرؤجنا محطوطة ،
وأسلحتنا بعيدة ، وهو راكب ونحن رجالة ، والقوس في يده يرشق بها
الظهور ، ويمشق بها^(٢) البطون والصدور ، وحين رأينا منه الجِدَّ ، أخذنا^(٣) القِدَّ ،
فشد بعضنا بعضاً ، وبقيت وحدي لأجد من يشدني ، فقال : اخرج بإهابك^(٤) ،
عن ثيابك ، ثم نزل عن فرسه ، وجعل يصفع الواحد منا بعد الآخر ، ويقول :
أقت قضيبك ، فخذ نصيبك ، [ونزع ثيابه] وصار إلى وعلى خفان جديدان
فقال : اخلعهما لا أم لك ، فقلت : هذا خف لبسته رطباً ، فليس يمكنني خلعه
فقال : على نزع ، ثم دنا لينزع الخلف ، ومددت يدي إلى سكين فيه

(١) حشها : قدم لها الحشيش (م) (٢) يمشق : يضرب في سرعة (م) .

(٣) القد - بكسر القاف - السير من جلد يربط به الأسير (م) .

(٤) الإهاب : الجلد (م) .

وهو مشغول ، فأُثْبِتَتْهُ في بطنه ، وأبْنَتْهُ من مَتْنِهِ ^(١) . فإِذَا دَعَى فَمَ فَعَرَهُ ^(٢) ، وَأَلْقَمَهُ حَجَرَهُ ، وَقُمْتُ إِلَى أَصْحَابِي فَخَلَلْتُ أَيْدِيَهُمْ ، وَتَوَزَّعْنَا سَابَ الْمَقْتُولَيْنِ ، وَأَدْرَكْنَا الرِّفِيقَ ، وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ ، وَصَارَ إِلَى رَمْسِهِ ^(٣) ، وَصِرْنَا إِلَى الطَّرِيقِ فَوَرَدْنَا خَصَّصَ بَعْدَ لَيْالٍ ، فَلَمَّا أَتَيْنَا إِلَى فَرْصَةٍ مِنْ سَوْقِهَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَدْ قَامَ عَلَى رَأْسِ ابْنِ وَبْنِيَّةٍ ، بِجِرَابٍ وَعَصِيَّةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ حَشَا فِي جِرَابِي مَسْكَارِمَهُ
رَحِمَ اللَّهُ مَنْ رَتَّى لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَتُهُ
لَهُ خَادِمٌ لَكُمْ وَهِيَ لَا شَكَّ خَادِمَتُهُ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : قُلْتُ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْإِسْكَانْدَرِيُّ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ هُوَ ، فَدَلَّغْتُ إِلَيْهِ ، فَقَامَتْ لَهُ : أَحْكَمَكَ حَكَمَكَ ، فَقَالَ :
دِرْهَمٌ ، قُلْتُ :

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ مَا دَامَ يُسْعِدُنِي النَّفْسُ
فَاخْسَبْ حِسَابَكَ وَالتَّمَسْ كَيْمَا تَنَالَ الْمَلْتَمَسْ

لَكَ دِرْهَمٌ فِي اثْنَيْنِ ، وَفِي ثَلَاثَةٍ ، وَفِي أَرْبَعَةٍ ، فِي خَمْسَةٍ حَتَّى بَلَغْتَ الْعَشْرِينَ ، ثُمَّ قُلْتُ : كَمْ مَعَكَ ؟ قَالَ : عَشْرُونَ رَغِيْفًا ، فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا ، وَقُلْتُ : لَا نَصْرَةَ مَعَ الْخِذْلَانِ ، وَلَا حِيلَةَ مَعَ الْخِرْمَانِ .

وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْهَمْدَانِيُّ :

سَكَرْتُ مِنْ لَحِظَةٍ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَائِلُهُ
وَمَا الشَّلَافُ دَهَنَتْنِي بِلِ سَوَالِفِهِ وَلَا الشَّمُولُ دَهَنَتْنِي بِلِ شِمَائِلِهِ
أَلْوَى بِصَبْرِي أَضْدَاغُ لُؤَيْنَ لَهُ وَغَالِ عَقْلِي ^(٤) مِمَّا تَحْوِي غَلَائِلُهُ

(١) أبنته : أظهرته ، وأراد أنفذه ، ومته : ظهره (م) .

(٢) فعره : فتحه (م) . (٣) رمسه : قبره (م) .

(٤) ألوى به : ذهب به ، وغال عقلي : أضاعه وأهلكه (م) .

لابن المعتز
في الغزل

وقال ابن المعتز ، وقد تقدّم عنه في هذه الألفاظ :

ويوم فاختي الدّجن مُرّخ عَزَّالِيَهُ سَهْلِيْ وانهمال^(١)
أَبَحْتُ سرورَه وظلّت فيه برغم العاذلات رَحِيَّ بَالِ
وساقٍ يجعلُ المندبل منه مكان حائلِ السيفِ الطوالِ
غلالة خَذَه صَبَغَتْ بورْدٍ ونون الصّدغ مُعْجَمَةٌ بِخَالِ
بدا والصبحُ تحت الليل بادٍ كطُرفٍ أبلقٍ مرخٍ الجلالِ
بكأسٍ من زجاجٍ فيه أسدٌ فرائسهن ألبابُ الرجالِ
أقولُ وقد أخذت الكأس منه وَقَتَكَ السوء رَبَاتُ الحجالِ

وقد أحسنَ ما شاء في قوله : * فرائسهن ألبابُ الرجالِ * وإن كان أصل

المعنى لأبي نواس في ذكر تصاوير الكاس .

لأبي نواس
في وصف يوم
شرب

قال الصولي : مرَّ أبو نواس بالمداخن فعدل إلى سَابَاط^(٢) ، فقال بعضُ أصحابه :
ندخلُ إيوان كسرى ؛ فرأينا آثاراً في مكانٍ حسنٍ تدلُّ على اجتماع كان لقوم
قبلنا ، فاقفنا خمسة أيام نشربُ هناك ، وسألنا أبا نواس صِفَةَ الحالِ ، فقال :

ودارٍ نَدَامَى عَطَلُوهَا وَأَذْلَجُوا بها أثرٌ منهم جَدِيدٌ ودارِسُ
مَسَاحِبُ من جَرَّ الزَّفَاقَ على التَّرى وَأَضْفَاثُ رِيحَانٍ جَنِيٌّ وَيَاسِسُ
ولم أرَ منهم غيرَ ما شَهِدْتُ بِهِ بشرقى سَابَاطَ الدِّيارِ البَسَاسِ
حَبَسْتُ بها صَخْبِي فُجِّعْتُ شَمْلَهُمْ وإني على أمثال تلك الحَابِسِ
أَقَمْنَا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويومٌ له يوم الترحُّلِ خَامِسُ
تُدَارُ علينا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بأنواعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ

(١) فاختي: منسوب إلى الفاخنة ، واحدة الفواخت ، وهي من ذوات الأظواق من الحمام يشبه لونها ضوء القمر ، والدجن - بالفتح - الغيم ، وهو المطر الكثير ، وفي نسخة « فاحمي الدجن » والعزالي : جمع عزلاء ، وأصلها مصب الماء من الراوية . ويقال : « أرخت السماء عزالها » إذا أريد الكناية عن اشتداد المطر (م) .

(٢) سابات : موضع بمدائن كسرى (م) .

قَرَارَتُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَّبَاتِهَا مَهْيٌ تَدْرِيهَا بِالْقِسْيِ الْفَوَارِسُ^(١)
 فَلِلرَّاحِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 وقال علي بن العباس النوبختي : قال لي البحترى : أتدرى من أين أخذ
 الحسن قوله : * ولم أرَ منهم غير ما شهدتُ به * ؟ . . البيت - فقلت : لا ،
 قال : من قول أبي خراش :

ولم أدر من ألقى عليه رِداءهُ سوى أنه قد سُلَّ عن مَاجِدٍ مَحْضٍ
 فقلت : المعنى مختلف ، فقال : أما ترى حَدْوَ الكلامِ واحداً ، وإن
 اختلف المعنى ؟ !

قال الجاحظ : نظرنا في الشعر القديم والمحدث فوجدنا المعاني تُقلَّبُ ويؤخذ
 بعضها من بعض ، غير قول عَنترَةَ في الأوائل :

وخلَا الذبابُ بها يُغْفَى وَحَدَهُ غَرَدًا كَفِعْلِ الشاربِ المَتَرَمِّ
 هَرَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكِبِّ عَلَى الزنادِ الْأَجْدَمِ
 وقول أبي نواس في المحدثين :

قَرَارَتُهَا كَسْرَى وَفِي جَنَّبَاتِهَا مَهْيٌ تَدْرِيهَا بِالْقِسْيِ الْفَوَارِسُ
 فَلِلرَّاحِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
 أخذه أبو العباس الناشيء فقال وولَدَ معنَى زائداً :

وَمُدَامَةً لَا يَبْتَغِي مِنْ رَبِّهِ أَحَدٌ حَبَاهُ بِهَا لَدَيْنِهِ مَزِيداً
 فِي كَأْسِهَا صُورٌ تُظَنُّ لِحُسْنِهَا عُرْبًا بَرَزْنَ مِنَ الْخِيَامِ وَغِيْدًا^(٢)
 وَإِذَا الْمَرَاةُ أَثَارَهَا فَتَقَسَّمتْ ذَهَبًا وَدُرًّا تَوَّأماً وَفَرِيداً
 فَكَأَنَّ بَيْنَ لِبْسِنِ ذَاكَ مَجَاسِيداً وَجَعَلْنَ ذَا لِنُحُورِهِنَّ عَقُوداً
 وأبياتُ أبي خراش ، وكان خراش عروّة غزواً ثَمالةً فَأَسْرَوْهُمَا ، وأخذوهما لأبي خراش

(١) قَرَارَتُهَا كَسْرَى : يريدان في قرارة الكأس صورة كسرى ، وفي جوانبها
 صور مهى ، وتدريها : تختلها ، والقسي : جمع قوس ، والفوارس : جمع فارس (م).
 (٢) عرب : جمع عروب - بفتح أوله كصبور - وهي المرأة للتعبية إلى زوجها (م) .

وهموا بقتلها ، فنهاهم بنو رزام ، وأبى بنو هلال إلا قتلها ، وأقبل رجل
من بنى رزام فالتقى على حراش رداءه ، وشغل القوم بقتل عروة ، وقال الرجل
لحراش : انجبه ، فنجأ إلى أبيه ، فأخبره الخبر ، ولا تعرف العرب رجلا مدح
من لا يعرفه غيره :

حَدَّثُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فَوَاللهِ لَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزْنَتُهُ بِجَابِ قَوْمِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
بَلَى لِمَتِهَا تَغْفُو الْكَلُومُ ، وَإِنَّمَا نُوكِّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمِضُ ^(١)
وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَخْضٍ
وَلَمْ يَكْ مِثْلُوجَ الْفَوَادِ مَهَبَجًا أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرِّيَالَةِ وَالْخَفْضِ ^(٢)
وَلَكِنَّهُ قَدْ لَوَّحَتْهُ نَخَامِصُ عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ
كَأَنَّهُمْ يَشْتَبُونَ بَطَاطِرَ خَفِيفِ الْمَشَاسِ عَظْمُهُ غَيْرُ ذِي نَخْضِ
يُبَادِرُ قُوَّةَ اللَّيْلِ نَهْوً مُهَابِذًا يَمُتُّ الْجَنَاحَ بِالنَّبَسِطِ وَالْقَبْضِ
الرِّيَالَةُ : الْخَفْضُ وَالِدَبْعَةُ ، وَالْمُهَابِذُ : الْمُجْتَهِدُ فِي الْقَدْوِ وَالطَّيْرَانِ .

أبو خراش
يرى أخاه
عروة

وقال أبو خراش يرى أخاه عروة :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةٍ لَا هَيَا وَذَلِكَ رُزْنٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنْ صَبْرِي يَا أُمِّمَ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلُنَا خَلِيلًا صَفَاءَ مَالِكٍ وَعَقِيلُ
وَأَنِّي إِذَا مَا الصَّبْحُ أُنْسَيْتُ ضَوْءَهُ يَعَاوِدُنِي قِطْعٌ عَلَى ثَقِيلُ
[أَبِي الصَّبْرِ أَنِّي لَا أَزَالُ يَهِيْجُنِي مَيِّتٌ لَنَا فِيَا مَضَى وَمَقِيلُ]

مالك وعقيل اللذان ذكرهما نديما جذيمة الأبرش ، وكانا أيتاه باني أخته عمرو ،

(١) حفظي « على أنها تغفو الكلوم » (م) .

(٢) مهيجاً : ثقيلاً ، والرِّيَالَةُ : كثرة اللحم ، يريد لم يكن متشاقلاً إذا دعى

ولم يضيع أيامه في اكتساب اللحم والشحم (م) .

وكان قد استهوته الجنّ، فتأها فتمنّيا مُنادمته ، وهما اللذان غنى متمم
ابن نُويَرةَ في مريّة أخيه مالك :

وكنّا كندَمائِي جَذِيمةَ حِقْبَةٍ من الدهرِ حتى قيل لن يتصدّعا
فلما تفرّقنا كَأَنِي ومالكاً لطولِ اجتماع لم نَبِتْ ليلَةً معا
وقول عنّرة في وصفِ الذبابِ أوحد فرد ، ويتم فذّ ، وقد تعلّق ابن الرومي
بذيله وزاد معنّى آخر في قوله :

إذا رنقت شمسُ الأصيلِ ونَفَضَتْ على الأفقِ الغربيّ وَرْساً مُرْغَزا^(١) لابن الرومي
ولاحظتِ الثَّوَارَ وهي مريضةٌ وقد وضعتْ خدّاً على الأرضِ أضرّعا
كما لاحظتِ عَوَادَها عَيْنُ مُدَنَفٍ توجّع من أوصابه ماتوجعاً^(٢)
وبين إغضاء الفراقِ عليهما كأنهما خِلاً صَفاه تودّعا
وقد ضربتْ في خُضرةِ الرّوضِ صُفْرةٌ من الشمسِ فاخضرّ اخضرّاً مشغشعاً
وظلّتْ عيونُ النّورِ تخضّلُ بالندى كما اغرورقتْ عَيْنُ الشَّجِيّ لتدَمّعاً
وأذكي سيم الرّوضِ ريعانُ ظلّه وغنى مُغْنَى الطيرِ فيه مُرْجَعاً
وغرّد ربي الذبابِ خِلاله كما حنّحتِ النّشوان صَنْجاً مشرّعا
فكانت أرائين الذبابِ هناكم على شدّواتِ الطيرِ ضَرْباً موقعا

وذكر أبو نواس معنّى قوله في تصاوير الكئوس في مواضع من شعره فن ذلك :
بنينا على كسرى سماءَ مُدَامَةٍ مكَلَّةٌ حافاتها بنجوم
فلو رُدّ في كسرى بن ساسان رُوحه إذا لا صُظفاني دون كلّ نديم

[وصف الدمن والأطلال]

وأول هذا الشعر :

لِمَنْ دِمْنٌ تَزْدَادُ طَيْبَ نَسِيمٍ على طولِ ما أَقَوْتُ وحُسنِ رُسُومِ^(٣)

(١) الورس - بالفتح - نبت ذو نور أصفر يصبغ به (م) .

(٢) المدنف : المريض (م) .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الديار ، وأقوت : أفقرت (م) .

تجافى البلى عنهم حتى كأنما . لبسن على الإقواء ثوبَ نعيم
وهذا معنى مليح وإن أخذه من قول أعرابي :

شطت بهم عنك نية قذف^(١) غادرت الشعب غير ملتئم^(٢)
واستودعت سيرها الديار فما تزداد طيباً إلا على القدم

وهذا ضد قول محمد بن وهيب :

طللان طال عليهما الأمد دَرسا فلا علم ولا قصْدُ
لبسا البلى فكأنما وجبداً بعد الأجابة مثل ما وجدوا
وقال الأخطل :

لأسماء مُحْتَلٌّ بناظرة البشر قديمٌ ولما يعفه سالف الدهر
يكاد من العرفان يضحك رشمه^(٣) وكَم من ليالٍ للديار ومن شهر
هذا أيضاً كقول أبي صخر الهذلي :

لأنلى بذات الجليش دار عرقها وأخرى بذات البين آياتها سطر
كانهما م الآن لم يتغيرا وقد مرَّ للدارين من بعدنا عصر^(٤)
وقد قال مزاحم القيلي :

تراها على طول القواء جديدةً وعهد المغاني بالحلول قديم
وقرأ الزبير بن بكار أخبار أبي السائب [الخزومي] فلما بلغ إلى قول
مالك بن أسماء الفزاري :

بصكت الديار لفقد ساكنها أفعدت قلبي أبتغي الصبراً ؟
هذا البيت نظير قول ابن وهيب :

بيناهم سكن بجيرتهم ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا
فظلت ذا ولم يعاتبني من لا يرى أمرى له أمرا

(١) نية قذف : بعيدة .

(٢) م الآن : أصله « من الآن » خذف النون للتخفيف ، ومثله قول المتنبي :
نحن قوم ملجن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال (م) .

لابن وهيب

للأخطل

لأبي صخر

لمزاحم القيلي

لابن وهيب

وإن أبا السائب قال عند سماع البيت الأوسط : ما أسرع هذا ! أما اعتدوا !
أما قدّموا ركابا ! أما ودّعوا صديقاً ! فقال الزبير : رحم الله أبا السائب ! فكيف
لو سمع قول العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم فقرّنا وداعنا بالسوءال
ما أنحنّا حتى ارتحلنا فما فرقنا بين النزول والإرتحال^(١)

هكذا رواه الزبير بن بكار لمالك بن أسماء، ورواها غيره لأيوب بن شبيب الباهلي.

ومن ألفاظ أهل العصر، في صفة الديار الخالية

دارٌ لبست البلى، وتعلّلت من الخلى . دار قد صارت من أهلها خالية ، بعد
ما كانت بهم حالية . دار قد أنفذ البين سكانها ، وأقعد حيطانها ، شاهد اليأس
منها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر . كأن عُمرانها يُطوى وخرابها يُنشر ،
أركانها قيام وقعود ، وحيطانها رُكْعٌ وهُجود .

يشبه الأول من قول مالك بن أسماء قول مزاحم العقيلي .

بكت دارهم من قديم فهللت دموعي ، فأى الجار عيني ألوم؟^(٢)
أستعبر ينيكى على الهون والبلى أم آخر ينيكى شجوه فيهميم

للمتنبي

أبو الطيب المتنبي :

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أو اهل
يعلمن ذاك ، وما علمت ، وإنما أولا كما ينيكى عليه العاقل

لعل بن جبلة

وقال علي بن جبلة ، في معنى قول العباس بن الأحنف :

زائرٌ نَمَّ عليه حسنه كيف يخفى الليل بذراطلما
بأبي من زارني مكتما خائفاً من كل أمر جزعا

(١) هكذا بقطع همزة « الإرتحال » - وهى همزة وصل - لضرورة إقامة

الوزن (م) . (٢) تهللت دموعي : انهلت وانصبت (م) .

رَصَدَ الْفَلَّةَ حَتَّى أُمَكَّنَتْ وَرَعَى الْحَارِسَ حَتَّى هَجَعَا
رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ نَمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

وقال الحسين بن الضحاك :

للحسن
ابن الضحاك

[بأبي زورٍ تَلَفْتُ لَهُ فَتَنَّفَسْتُ عَلَيْهِ الصُّعْدَا (١)
بَيْنَمَا أَضْحَكُ مَسْرُوراً بِهِ إِذْ تَقَطَّعْتُ عَلَيْهِ كَدَا (٢)

أبو الطيب المتنبي :

للمتنبي

بَأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتِمَاعَا
فَافْتَرَقْنَا حَوْلًا ، فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ الْوَدَاعَا

وقال أبو الحسن جحظة : قال لي خالد الكاتب : دخلت يوماً بعض الديارات
فإذا أنا بشابٍ موثقٍ في صِفَادِ حَسَنِ الْوَجْهِ ؛ فَسَأَلْتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ :
مَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ، فَقَالَ : صَاحِبُ الْمُقَطَّعَاتِ الرِّيقَةِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ :
إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُفَرِّجَ عَنِّي بَعْضَ مَا تُنْشِدُنِي مِنْ شَعْرِكَ فَافْعَلْ ، فَأَنْشَدْتُهُ :

تَرَشَّفْتُ مِنْ شَفَتَيْهَا عَقَاراً وَقَبَّلْتُ مِنْ خَدِّهَا جُلْنَاراً (٣)
وَعَانَقْتُ مِنْهَا كَثِيباً مَهِيلاً وَغَضَضْنَا رَطِيباً وَبَدراً أَنَارَا
وَأَبْصَرْتُ مِنْ نُورِهَا فِي الظَّلَامِ لِكُلِّ مَكَانٍ بَلِيلٍ نَهَارَا

فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ! لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَآكَ ، ثُمَّ قَالَ : أَجِزْ لِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

رَبِّ لَيْلٍ أَمَدٍّ مِنْ نَفْسِ الْعَمَا شِقِّ طُـوْلَا قَطْعَتُهُ بَاتِحَابِ
وَحَدِيثِ أَلَدٍّ مِنْ نَظَرِ الْوَا مَقِّ بَدَأْتُهُ بِسُوءِ الْعِتَابِ

فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْمَلْتُ فِكْرِي فَمَا قَدَرْتُ أَنْ أَجِيزَهَا . [وَيُمْكِنُ أَنْ يَجَازِيَ هَذَا الْبَيْتَ :

وَوَصَالَ أَقْلٍ مِنْ لَمَحَةِ الْبَا رِقِّ عَوْضَتْ عَنْهُ طُولَ اجْتِنَابِ]

(١) الزور - بالفتح - الزائر ، وأصله مصدر فوصف به ، والصعدا - بضم

الصاد وفتح العين - أصله الصعداء ممدودا فقصره ضرورة (م) .

(٢) الكمد - بالتحريك - الحزن (م) .

(٣) العقار - بوزن غراب - الحجر (م) .

[طول الليل]

لابن الرومي

وقال ابن الرومي في طول الليل :

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الدَّهْرُ طَوْلًا قَدْ تَنَاهَى فَلَيسَ فِيهِ مَزِيدُ
ذِي نَجُومٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ الشَّيْبِ لَيْسَتْ تَغِيبُ لَكِنْ تَزِيدُ

لبشار

وهذا من أجود ما جاء في هذا المعنى ، وقد قال بشار :

لَخَذَّكَ مِنْ كَفِّكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى وَجْهَ الصَّبَاحِ وَبَادُ
تَبَيَّتُ تُرَاعَى اللَّيْلُ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْعَاشِقِينَ نَفَادُ^(١)

وقال :

خَلِيلِي مَا بَالُ الدُّجَى لَا تَرْحُحُ وَمَا بَالُ ضَوْءِ الصَّبَحِ لَا يَتَوَضَّحُ
أَضَلَّ النَّهَارُ الْمُسْتَنْيرُ سَبِيلَهُ أَمْ الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرَحُ
كَأَنَّ الدُّجَى زَادَتْ وَمَا زَادَتِ الدُّجَى وَلَكِنْ أَطَالَ اللَّيْلَ هَمٌّْ مَبْرَحُ

وقال [أيضاً] :

طَالَ هَذَا اللَّيْلُ ، بَلْ طَالَ السَّهَرُ وَلَقَدْ أَعْرِفُ لَيْلِي بِالْقَصْرِ
لَمْ يَطُلْ حَتَّى جَفَانِي شَادِنُ^(٢) نَاعِمُ الْأَطْرَافِ فَتَانُ النَّظَرِ^(٣)
لِي فِي لَيْلِي — لِي مِنْهُ لَوْعَةٌ مَلَكَتْ قَلْبِي وَسَمِعِي وَالْبَصَرُ
فَكَانَ الْهَمُّ شَخْصٌ مَائِلُ^(٤) كَلِمَا أَبْصَرَهُ النَّوْمُ نَقَرُ^(٥)

وقال أيضاً :

كَأَنَّ فَوَادَةَ كَرَّةً تَنْزَى حَذَارَ الْبَيْنِ إِنْ نَفَعَ الْحَذَارُ^(٦)
يَرْوَعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ خَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَارُ
[كَأَنَّ جَفُونَهُ سَمِلَتْ بِشَوْكٍ] فَلَيسَ لِنَوْمِهِ فِيهَا قَرَارُ
أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طَوْلًا : أَمَّا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

(١) ترجو نفاذه : تمنى زواله ، أو انتهاءه (م) .

(٢) الشادن : الظبي إذا قوى وترعرع (م) .

(٣) شخص مائل : قائم (م) . (٤) تنزى : تثب ، وأصله تنزى (م) .

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا فِيهَا قِصَارُ
 قِيلَ لِبِشَارٍ : مِنْ أَيْنَ سَرَقْتَ قَوْلَكَ : * يَرَوْعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ شَيْءٍ *
 فَقَالَ : مِنْ قَوْلِ أَشْعَبِ الطَّمْعِ ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ : مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ
 اثْنَيْنِ يَتَسَارَتَانِ إِلَّا ظَنَنْتُهُمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَأْمُرَا إِلَى شَيْءٍ . وَأَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ :
 لَا تَبِيحَنَّ حُرْمَةُ السَّكْمَانِ رَاحَةَ الْمُسْتَهَامِ فِي الْإِعْلَانِ
 قَدْ تَسَرَّتْ بِالسَّكُوتِ وَبِالْإِطْرَاقِ جَهْدِي فَنَمَتِ الْعَيْنَانِ
 تَرَكْتَنِي الْوُشَاةَ نَضَبَ الْمَشِيرَيْنِ وَأَحْدُوَّةَ بِكُلِّ مَكَانٍ
 مَا نَرَى خَالِيَيْنِ فِي النَّاسِ إِلَّا قُلْتُ مَا يَحْلُوَانِ إِلَّا إِشَانِي
 وَمِثْلُ قَوْلِ بِشَارٍ : * جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ * ... الْبَيْتَ ، قَوْلُ الْآخَرِ :
 كَأَنَّ الْحُبَّ بِطُولِ الشَّهَادِ قَصِيرُ الْجَفَوْنَ وَلَمْ تَقْصُرْ
 وَقَدْ تَنَاوَلَ هَذَا الْمَعْنَى الْعَتَابِيُّ [فَأَفْسَدَهُ وَقَالَ] :

وَفِي الْمَآثِرِ انْتِبَاضٌ عَنْ جَفَوْنِهَا وَفِي الْجَفَوْنَ عَنِ الْآمَاقِ تَقْصِيرُ
 وَقَالَ الْمَتَنِيُّ :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ وَرَدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لَحْظُ الْحَبَائِبِ
 كَأَنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مَدْلَهْمَةٌ عَلَى مُقْلَةٍ مِنْ فَقْدِكُمْ فِي غِيَابِ
 بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجَفَوْنَ كَأَنَّمَا عَقْدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هُذْبٍ بِحَاجِبِ

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ : تَشَاجَرُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمُسْلَمَةُ أَخُوهُ فِي شَعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ
 أَيُّهُمَا أَوْصَفَ ؟ وَالنَّابِغَةُ فِي طَوْلِ اللَّيْلِ ، أَيُّهُمَا أَشْعَرُ ؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ : النَّابِغَةُ أَشْعَرُ ، وَقَالَ مُسْلَمَةُ :
 بَلْ امْرُؤُ الْقَيْسِ ، فَفَرَضِيَا بِالشَّعْبِيِّ ، فَأَحْضَرَاهُ ، فَأَنشَدَهُ الْوَلِيدُ :

كَلَيْتَنِي لَهْمٌ يَا أُمَيَّةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيَهُ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ^(١)
 تَطَايَلُ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمَنْقُضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرْعَى النُّجُومَ بَأَيِّبٍ^(٢)

(١) كَلَيْتَنِي : اَتَرَكْنِي ، وَنَاصِبٌ : صَاحِبُ نَصَبٍ ، عَلَى النَّسَبِ ، وَالنَّصَبُ
 - بِالْتَحْرِيكِ - التَّعَبُ (م) .

(٢) أَيِّبٌ : رَاجِعٌ ، وَالْقِيَاسُ أَنْ يَقَالَ « آتِبْ » بِالْهَمْزِ ، وَلَكِنْهُمْ قَدْ يَخْفَوْنَ
 الْهَمْزَةَ بَقَلْبِهَا يَاءً لِأَنَّ الْيَاءَ بِجَانِبِ الْكُسْرَةِ (م) .

وَصَدَّرَ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(١)
 وَأَنْشَدَهُ مَسْأَلَةَ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
 وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُوكَهُ عَلَى أَنْوَاعِ الْمَمُومِ لَيْبَتَلِي
 فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِجَوَازِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكُلِّ كَلٍّ
 أَلَا أَتِيهَا اللَّيْلُ الْعَاوِيلُ أَلَا انْجَلَى بِصُبحٍ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
 فَيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ يَبْذُلُ
 فَطَرِبَ الْوَلِيدَ طَرِبًا ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : بَانَتِ الْقَضِيَّةُ .

معنى قول النابغة : * وصدر أراح الليل عازب همّه *
 أنه جعل صدره مأوى للموم ، وجعل الموم كالنعم السارحة العادية ،
 تسرحُ نهاراً ثم تأتي إلى مكانها ليلاً . وهو أول من استثار هذا المعنى ،
 ووصف أن الموم مترادفة بالليل لتقييد الألفاظ عما هي مطلقة فيه بالنهار ،
 واشتغالها بتصرف اللحن عن استعمال الفكر ، وامرؤ القيس كره أن يقول : إن الهم
 يخفُّ عليه في وقت من الأوقات فقال : وما الإصباح منك بأمثل .

للطرماع

وقال الطرماع بن حكيم الطائي :
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِي طَالَ أَصْبَحُ يَوْمٌ ، وَمَا الْإِصْبَاحُ فَيْكَ بِأَرْوَحَ
 عَلَى أَنْ لِلْعَيْنَيْنِ فِي الصُّبْحِ رَاحَةٌ لَطَرَحَهُمَا طَرَفَيْنِهَا كُلَّ مَطَرَحَ
 فَفَقُلْ لَفْظِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَمَعْنَاهُ ، وَزَادَ فِيهِ زِيَادَةً اغْتَفَرَ لَهُ مَعَهَا فَخُشَّ السَّرِقَةَ
 وَإِنَّمَا تَتَّبَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ ، إِلَّا أَنَّ النَّابِغَةَ لَوْحٌ ، وَهَذَا صَرَحَ .
 وقال ابن بسام :

لابن بسام

لَا أَظْلَمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعَى أَنْ نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُورُ ^(٢)
 لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ ، فَإِنْ لَمْ تَزُرْ طَالَ ، وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ
 وَإِنَّمَا أَغَارَ ابْنُ بَسَامٍ عَلَى قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ الْخَلِيلِ فَلَمْ يَغْيِرْ إِلَّا الْقَافِيَةَ :

(١) أراح : رد ، والعازب : البعيد (م) .

(٢) ليست تغور : لا تغرب (م) .

لعل
ابن الخليل

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليل ليست تزولُ
ليلي كما شئت ، قصيرٌ إذا جادت ، وإن ضنت فلئيلي طویلُ

وهذه السرقة كما قال البديع في التنبيه على أبي بكر الخوارزمي في بيت
أخذ رويّه وبعض لفظه: « وإن كانت قضية القطع تجب في الربع ، فما أشد شفقتي
على جوارحه [أجمع] ؛ ولعمري إن هذه ليست سرقة ، وإنما هي مكابرة محضة ،
وأحسب أن قائله لو سمع هذا لقال : هذه بضاعتنا ردت إلينا ، فحسبت أن ربيعة
ابن مكدم وعُتيبة بن الحارث بن شهاب كانا لا يستحلان من البيت ما استحلّه ،
فإنهما كانا يأخذان جُلّه^(١) ، وهذا الفاضل قد أخذ كله ، وقد أخذ على بن الخليل
من قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

لا أسألُ اللهَ تغييراً لما صنعتُ نامت وإن أسهرت عينيَ عيناها
فالليلُ أطولُ شيء حين أفقدها والليلُ أقصرُ شيء حين ألقاها
وابن بسام في هذا [الشعر] كما قال الشاعر :

وفتي يقول الشعر إلا أنه في كل حال يسرقُ المسروقا

ألفاظ لأهل العصر في طول الليل والسهرة

وما يعرض فيه من الهموم والفكر

ليلة من غصص الصّدر ، ونقم الدهر . ليلة هموم وغوم ، كما شاء الحسود ،
وساء الودود . ليلة قصّ جناحها ، وضلّ صباحها . ليل ثابت الأطناب ، طابى
العوارب ، طامح الأمواج^(٢) ، وافى الذوائب . ليل ليست لها أسحار ، وظلمات
لا تتخللها أنوار . بات بليلة نابغة ، يراد قوله :

(١) جله - بضم الجيم وتشديد اللام - معظمه (م) .

(٢) في نسخة « طاغى الأمواج » (م) .

فبت كأننى سأورثننى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السَّمُّ نَاقِعٌ^(١)
 [يُسَهِّدُ من ليل التمام سليعها لِحَلَى النساء فى يديه قعاقعُ]
 بات فى الصيف بليلة شتوية . سَامَرَتْهُ الهموم ، وعَا نَفَقَتُهُ الغوم ، واكتحل
 المهاد ، وافترش القتاد^(٢) ، فاكتحل^(٣) بِمُلْمُولِ السهر ، وتلمل على فراش الفكر .
 قد أَقْضَى مِهاده ، وَقَلِقَ وساده . هوم تفرَّقُ بين الجَنبِ والمهاد ، وتَجْمَعُ بين
 العين والشهاد . طَرَفَ بَرَعِي النجوم مطروف ، وفراش بشعار الهم مخموف .
 كأنه على النجوم رقيب ، وللظلام نقيب .

ولهم فيما يتصل بضد ذلك من ذكر [إقبال] الليل
 وانتشار الظلمة، وطلوع الكواكب

أَقْبَلْتُ عَسَاكِرُ الليل ، وخفقتَ رايات الظلام . وقد أُرَخِي الليلُ علينا
 سُدُولَهُ ، وسحب الظلام فينا ذيو له . تَوَقَّدَ الشفقُ فى ثوب الفسق . أقبلت وفودُ
 النجوم [وجاءت مواكب الكواكب . تفتحت أزاهير النجوم] ، وتوردت
 حداثقُ الجو ، وأذْكَى الفلكُ مصايحه . قد طفت النجومُ فى بَحْرِ الدُّجَى ،
 ولبس الظلامُ جلباباً من القار . ليلة كغراب الشباب ، وَحَدَّقَ الحِسان ، وذوائب
 العذارى . ليلة كأنها فى لباسِ بنى العباس^(٣) ليلة كأنها فى لباس الثكالى ، وكأنها
 من الغَبَشِ فى مواكب الحَبَشِ . ليلة قد حلك إهابها ، فكأن البحر يهاها .

ولهم فى ذكر النوم والنعاس

شَرِبَ كَأْسَ النعاس ، وانتشى من سحر الكرى^(٤) ، قد عَسَكَرَ النعاسُ
 بِطَرَفِهِ ، وخيم بين عينيه . غرق فى لُجَّةِ الكرى ، وتميل فى سَكْرَةِ النوم .
 قد كحل الليلُ الورى بالرقاد ، وشامت الأعين أجفانها فى الأغماد .

(١) الرقش : جمع رقشاء ، وهى الحية (م)

(٢) القتاد - بزة السحاب - الشوك (م) .

(٣) كان العباسيون قد اتخذوا السواد شعاراً فى لباسهم وفى راياتهم وبندودهم (م) .

(٤) الكرى : النوم (م) .

وفي انتصاف الليل وتناهيه ، وانتشار النور ، وأقول النجوم

قد اكتمل الظلام . قد انتصفنا عُمرَ الليل ، واستغرقنا شبابه . قد شاب رأسُ الليل ، كاد ينمُّ النسيمُ بالسَّحَرِ . قد انكشف غطاءه الليل . انتهك^(١) سترُ الدَّجى ، وشمطت ذَوَائِبُهُ ، وتقوَّسَ ظهرُهُ ، وتهدَّم عُمرُهُ . قوَّضت خيامُ الليل ، وخلع الأفق ثوبَ الدَّجى . أعرض الظلامُ وتولى ، [وتدَلَّى] عنقودُ الثريا طرُّزَ قيصُ الليل بفرقة الصبح ، وباح الصبح بسرِّهِ . خلع الليل ثيابه ، وحَدَّر الصبحُ نِقَابَهُ . لاحت تباشيرُ الصبح ، وافتَرَّ الفجرُ عن نواجذه ، وضرب النورُ في الدَّجى بعموده . بَثَّ الصبحُ طلائِعه . تبرَّقَع الليلُ بفرقة الصبح . أطار بأزى الصبح غرابَ الليل^(٢) ، وعزلت نوافج الليل^(٣) بجامات الكافور ، وانهزم جُنْدُ الظلام عن عَسْكَرِ النور . خلعتنا خلعة الظلام ، ولبسنا رداء الصباح ، وملاً الآذان بِرَقِّ الصباح ، وسطع الضوء ، وطلع النور ، وأشرقت الدنيا ، وأضاءت الآفاق . مالت الجوزاء للغروب ، وولت مواكبُ الكواكب ، وتناثرت عقود النجوم ، وفَرَّتْ أسرابُ النجوم من حدَقِ الأنام ، وهى نطاقُ الجوزاء ، وانطلقاً قنديلُ الثريا . قال بعضُ الأعراب : خرجنا في ليلة حِنْدِسٍ قد أَلَقَتْ على الأرض أكارِعَها ، فمَحَتْ صورة الأبدان ، فما كنَّا نتعارف إلا بالآذان .

قال ابن محكان السعدي :

وليل يقول الناسُ في ظلماته سواءَ صحيجات الميون وغورها
كَأَن لَنَا مِنْهُ بِيوتًا حصينةً مُسوحاً أعالِها وساجاً ستورها^(٤)

وهذا بارع جداً . أراد أن أعلاه أشدُّ ظلاماً من جوانبه .

وقال أعرابي في صفته : خرجتُ حين انحدرت النجومُ ، وشالت أَرْجُلُها ،

(١) في إحدى المطبوعات « ستر الدجى هرم الليل » وليس بشئ . (م) .

(٢) في نسخة « أطار منادى الصبح غراب الليل » وليست بذلك (م) .

(٣) في نسخة « نوافج المسك » (م) .

(٤) المسوح : جمع مسح - بالكسر - وهو ثوب من شعر أسود يشبه ثوب الرهبان ،

والساج : خشب شجر ينبت بالهند ، ولونه أسود ، وفي نسخة « وساجا كسورها » (م) .

فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر .

ومن بدیع الشعر في صفة الليل قول الأعرابي :

والليل يُطرده النهار ولا ترى كالليل يطرده النهار طريداً
فترام مثل البيت ماله رواقه هتك المقوض ستره الممدوداً
ومن اليدیع :

على حين أننى القوم خيراً على الشرى وطارت بأخرى الليل أجنحة الفجر
آخر :

وليل ذى غياطل مُدْلِهِمْ رَمِيتُ بِفَجْمِهِ عَرْضَ الْأَفُولِ
يردُّ الطرف منقبهاً كليلًا ويملاً هوْلُهُ صَدَرَ الدَّلِيلِ
ابن المعتز :

هَامَتْ رَكَائِبُنَا إِلَيْكَ بَنَّا بِظُلِيلِ أَهْلِ النَّارِ وَالْمَنَحِ
فكَانَ أَيْدِيهِمْ دَائِبَةً يَفْخَصْنَ لَيْلَتَهُنَّ عَنْ صُبْحِ
وقال كشاجم :

سَيَّأَ لِلَّيْلِ قَصْرَتْ مُدَّتُهُ بِدِيرِ مَرَّانَ مَرَّ مَشْكُورَا
وبات بدر الدجى يشعشعها نُورِيَّةٌ تَمْلَأُ الدُّجَى نُورًا^(١)
غَارَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَقَدْ سَفَرَتْ فَعَادَ جِيبُ الْحَبَابِ مَرْزُورَا
حتى رَأَيْتُ الظَّلَامَ يَدْرَجُهُ الشُّغْرُبُ وَدَرَجَ الصَّبَاحُ مَنْشُورَا^(٢)
فاختلط الليل والنهار كما تَخْلُطُ كَفٌّ مَسْكََا وَكَافُورَا
وقال على بن محمد البكوفى :

مَتَى أُرْتَجَى يَوْمًا شَفَاءً مِنَ الضَّنَا إِذَا كَانَ جَارِنِي عَلَى طَيْبِي
ولى عَائِدَاتٌ ضِفَّتِهِنَّ لِحْنٌ فِي ابْأَسِ سَوَادٍ فِي الظَّلَامِ قَشِيبِ^(٣)
نَجُومٌ أَرَاغَى طُولَ لَيْلٍ بَرُوجَهَا وَهَنَّ لِبَعْدِ السَّيْرِ ذَاتُ أُنُوبِ

(١) يشعشعها : يمزجها ، وأراد الحمر (م) .

(٢) في نسخة « وبرد الصبح منشوراً » (م) . (٣) قشيب : جديد (م)

خوافقُ في جُنَحِ الظلام كأنها
ترى حوتها في الشرق ذات سباحة
إذا ما هوى الإكليل منها حسنة
كانت التي حولَ المجرَّة أوردت
كان رسول الصبح يخلط في الدجى
كان أخضرار البحر صرح ممرّد
كان سواد الليل في ضوء صبحه
كان نذير الشمس يحكي بيشره
ولولا اتقأى عتبه قلت سيدى
جواد بما تحوى يداه مهذب
نسب إخاء وهو غير مناسب
ونسبة ما بين الأقارب وحشة

قلوبٌ معذاة بطولٍ وجيب^(١)
وعقرها في القرب ذات ديب^(٢)
تهدل غصن في الرماض رطيب
لتكرع في ماء هناك صبيب
شجاعة مقدام بجبن هيوب
وفيه لال لم تشن بثقوب^(٣)
سواد شباب في بياض مشيب
على بن داود أخى ونسبي
ولكن يراها من أجل ذنوبى
أديب غدا خلا لكل أديب
قريب صفاء وهو غير قريب
إذا لم يؤنسها انتساب قلوب

[أخو الصفاء قريب]

وهذا البيت كقول الطائي :

وقلت أخى قالوا أخ من قرابة
[نسبي في رأي وعزى ومذهبي]
وقال عبد السلام بن رغبان^(٤) ، وسلك طريق الطائي [فاضل عنها] :
أخ كنت أبكيه دماً وهو حاضر
بكاء أخ لم تحوه بقرابة
فمات فما شوقى إلى الأجر واقف
وأظلمت الدنيا التي أنت نورها

قلت لهم إن الشكول أقارب
وإن باعدتنا في الأصول المناسب
حذاراً ، وتغنى مقلتي وهو غائب
بلى إن إخوان الصفاء أقارب
ولا أنا في عمرى إلى الله راغب
كأنك للدنيا أخ ومناسب

(١) الوجيب : خفقان القلب واضطرابه (م) .

(٢) الحوت والعقرب والإكليل والمجرة : نجوم في السماء (م) .

(٣) صرح : قصر عال ، وممرّد : مطول أى عال ، ولم تشن : لم تعب (م) .

(٤) هو ديك الجن (م) .

يُبرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنْتِ أرى زماناً لم تبقِ فيه مصائبُ
وفي هذه القصيدة :

ترشفتُ أيامي وهُنَّ كوالحُ ودافعتُ في كيدِ الزمانِ ونَحْرِهِ
وقلتُ له : خلَّ ابنُ أُمِّي لِعُصْبَةٍ فواللهِ إخلاصاً من القولِ صادقاً
لو أن يَدِي كانتَ شِفَاءَكَ أودِمِي لسمتُ تَسْلِيمَ الرِّضَا واتخذتها
فتى كان مثل السيف من حيث جِثَّتُهُ فتى همهُ حَذُّ هُلِّ الدهرِ رانح
شمانل إن تشهدُ فهنَّ مشاهد وقال الطائي لعلَى بن الجهم :

إن يُكْذِرَ مُطَرِّفُ الإخاءِ فَإِنَّا نَفْدُو ونَسْرِي في إخاءِ تالِدٍ^(١)
أو يَفْتَرِقُ نَسَبٌ يُولَفُ بَيْنَا أَدَبٌ أَقْنَاهُ مقامَ الوالدِ
أو يَخْتَلِفُ ما هِ الوصالِ فَمَاؤُنَا عَذَبٌ تَحْدَرُ من غَمَامٍ وَاحِدٍ^(٢)

وقال محمد بن موسى بن حماد : سمعتُ علي بن الجهم ، وذَكَرَ دِعْبِلًا
فلعنه ، وكفّره ، وقال : وكان يطعنُ علي أبي تمام ، وهو خيرُ منه دينًا
وشعرًا ، فقال رجلٌ : لو كان أبو تمام أخاك ما زدتَ علي مَدْحِكَ له .
فقال : إلّا يكن أخا نَسَبٍ فهو أخو أدب ، أما سمعتَ ما خاطبني به ؟
وأنشد الأبيات :

(١) المطرف والطارف والطريف : الجديد الحديث ، ويقابله التالِد والتلید (م)
(٢) لأبي تمام في استعارة الماء عبارات غريبة كماء الوصال هنا ، وماء اللام ،
ونحو ذلك (م)

وقال رجل لابن المقفع : إذا لم يكن أخى صديقى لم أحبيه ، قال :
نعم صدقت ، الأخ نسيبُ الجسم ، والصديق نسيبُ الروح .
وقال أبو تمام مخاطب محمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفرَ إن الجهالةَ أمهم — ولودٌ ، وأمُّ العلمِ جداءُ حائل^(١)
أرى الحشَوَ والدهاءَ أضحووا كأنهم شعوبٌ تلاقَتْ دوننا وقبائل
غدوا وكانَ الجهلُ يجمعهم أباً وحظ ذوى الآداب فيهم نوافل
فكن هضبةً تأوى إليها وحرّةً يُعزّد عنها الأعوجى المناقل^(٢)
فإن الفتى فى كل حال مناسبٌ مناسبٌ روحانيةً من يشاكل

وقال البحتري لأبى القاسم بن خرداذبه :

إن كنتَ من فارسٍ فى بيتٍ سوددها — وكنت من بحتري البيت والنسب^(٣)
فلم يضرنا تنأى المنصبين وقد رُحنا نسيبين فى علمٍ وفى أدبٍ
إذا تقاربت الآدابُ والتأمت دنت مسافة بين العُجم والعُربِ

[وصف النجوم]

وقد احتذى طريقه أبو القاسم محمد بن هانىء ، فقال يمدحُ جعفر بن على ،
وذكر النجوم ، فقال :

لابن هانى
الأندلسى

جعلنا حشايانا ثيابَ مُدامنا — وقدت لنا الظلماء من جلدِها لحفا
فمن كبد تُدنى إلى كبد هوى ومن شفة تُوحى إلى شفة رشفة
بعيشك نبيه كاسه وجفونه فقد نبه الإبريق من بعد ما أغنى
وقد فكّت الظلماء بعض قيودها — وقد قام جيش الليل للفجر فاصطفا

(١) جداء : صغيرة الثدى قليلة الدر ، وفى نسخة « جيداء » تطبيع (م)

(٢) يعزّد عنها : يميل عنها وينفر منها ويهرب ، والأعوجى : الفرس المنسوب

إلى أعوج وهو فرس مشهور (م)

(٣) فى ديوانه « وكنت من طيء فى البيت - إلخ » وفى نسخة « وكنت من

محتدى فى البيت - إلخ » وإعل أصل ما فى الأصل « وكنت من بحتري - إلخ » (م)

وولت نجومٌ للثريا كأنها
 ومرة على أنارها دبراً أنها
 وأقبلت الشمرى العبور ملبسة
 وقد بادرتها أختها من ورائها
 تخاف زئير الليث يقدم نثره
 كأن السما كين الذين تظاهرا
 فذا رامح يهوى إليه سنانه
 كأن رقيب النجم أجدل مرقب
 كأن سهيلاً في مطالع أفعو
 كأن بنى نفيس ونفشاً مطافول
 كأن سهاها عاشق بين عود
 كأن معلى قطبها فارس له
 كأن قدامى السر والنسر واقع
 كأن أخاه حين دوّم طاراً
 كأن الهزيع الآبنوسى مؤهنا
 كأن ظلام الليل إذ مال منيلة
 كأن عمود الفجر خاقان عسكر
 كأن لواء الشمس غرة جعفر
 خواتم تبدو فى بنان يد تخفى
 كصاحب رداء أكنت خيله خلفاً^(١)
 بمرزها اليعسوب نجبه طرفا
 لتخرق من ندى مجرتها سحفا
 وبربر فى الظلماء ينسها نسفاً
 على لبدة تيه ضامنان له الخنفا
 وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
 يقلب تحت الليل فى ريشه طرفا
 مفارق ألف لم يجد بعده إلها
 بوجرة قد أضلن فى مهمه خشفاً
 فأونة يبدو وأونة يخفى
 لواء ان مر كوزان قد كره الزخفا
 قصصن فلم تنم الخوافى به صففاً
 أتى دون نصف البدر فاختطف النصفاً
 سرى بالنسيج الخسروانى ملتفاً^(٢)
 صريع مدايم بات يشر بها صرفاً
 من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
 رأى القرن فازدادت طلاقته ضففاً

وقال ابن طباطبا [العلوى] :

كأن اكتتام المشتري فى سحابه
 كأن سهيلاً والنجوم أمامه
 وذبيعة مرة فى ضمير مديع
 يعارضها رايح وراء قطيع

لابن طباطبا
 العلوى

(١) الدبران : منزل القمر ، والشمرى العبور : نجم (م)

(٢) الهزيع : الجزء من الليل ، والآبنوسى : أراد الأسود (م) .

وقد لاحَتِ الشُّعْرَى العُبُورَ كأنها تَقْلُبُ طَرْفَ بالدُمُوعِ هُمُوعِ
وأضحمت الجوزاء في أفقِ غَرْبِها فباتت كَنَشْوَانٍ هناك صَرِيعِ
إلى أن أجاب الليلُ دَاعِيَ صُبْحِهِ وكان يُنَادِي منه غيرَ سَمِيعِ
وقال :

وكانَ "أهلُلال" لما تَبَدَّى شَطَرُ طُوقِ المِراةِ ذى التذهيبِ
أو كَقُوسٍ قد اِخْتَبَتَ طَرْفاهُ أو كَكُتُونٍ في مُهْرَقٍ مَكْتُوبِ
وقال على بن محمد العلوى يصف القمرَ ، وقد طرح جرمه على دجلة :

على بن محمد
العلوى

لم أنسَ دِجْلَةَ والدُّجَى مُتَهَيِّئُ والبَذْرُ في أفقِ السماء مغرَبُ
فكانها فيه رداً أزرقُ وكأنه فيها طرازُ مُذهَّبُ

وقال [الأمير] تميم بن المِز ، وكان يحتذى مثل ابن المعتز ، ويقف في

تميم بن المِز

التشبيهات بجانبه ، ويفرغ فيها على قلبه ، ويتبعه [في] سلوك ألفاظ الملوك :

اسْقِيَايِ فِلَسْتَ أَضْعَى لَعْدَلٍ ليسَ إِلَّا تَعْلَةً النفسِ شُغْلِي
أَطِيعِ العَذُولَ في تَرْكِ ما هُوَ كَأَنِّي اتَهَمْتُ رَأْيِي وَعَقْلِي
عَلَانِي بِهَا فَقَدْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ كَأَوْنِ الصَّدُودِ مِنْ بَعْدِ وَضَلِي
وَانْجَلَى الْغَيْمُ بَعْدَ مَا أَضْحَكَ الرُّؤُ ض بَكَاءِ السَّحَابِ جَادَ بَوْبَلِ
عَنْ هَلَالِ كَصَوِّ لُجَانٍ نُضَارٍ فِي سَمَاءِ كَأَنَّهَا جَامُ ذَبَلِ
وقال :

رَبِّ صَفراءَ عَلَّمَتْنِي بِصَفراءِ وَجُنْحُ الظَّلَامِ مُرْخَى الإِزَارِ
بَيْنَ ماءٍ وَرَوْضَةٍ وَكُرومِ وَرَوَابٍ مَنِيفَةٍ وَصَحَارِ^(١)
تَتَنَّى بِهِ الْغُصُونُ عَلَيْنَا وَتَجِيبُ الْقِيَانُ فِيهَا الْقَهَارِ^(٢)

(١) في نسخته «بين ماء وبركة» والرواى: جمع رابية، وهو ما ارتفع من الأرض (م)

(٢) تتننى: تتمايل، والقيان: جمع قينة، وهى الأمة المغنية، والقهارى: جمع

قهرى، وهو ضرب من الحمام (م)

وكان الدُّجَى غَدَاثُ شَعْرِ
وانجَلَى النِّيمُ عن هَلَالٍ تَبَدَّى
وكان النُّجُومَ فيها مَدَارِي^(١)
في يَدِ الْأَفْقِ مثل نِصْفِ سَوَارِ
وقال :

عَبْتُ فَأَشَى عَلَيْهَا الْعِتَابُ ودَعَا دَمْعَ مَقْلَتَيْهَا انْسِكَابُ
وَضَعْتُ نَحْوَ خَدَّهَا بِيَدَيْهَا فَالْتَقَى الْيَاسَمِينُ وَالْعُنَابُ^(٢)
رُبَّ مُبْدِي تَعْتَبٍ جَمَلَ الْعَتَبِ رِيَاءُ وَهَمَّهُ الْإِعْتَابُ
فَاسْقَنِهَا مُدَامَةً تَضْبِغُ الْكَأَ سَ كَمَا يَصْبُغُ الْخُدُودَ الشَّبَابُ
مَاتَرَى اللَّيْلَ كَيْفَ رَقَّ دُجَاهُ وَبَدَا طَلَسَاؤُهُ يَنْجَابُ ؟
وَكَانَ الصَّبَاحُ فِي الْأَفْقِ بَارِ وَالدُّجَى بَيْنَ مِخْلَبَيْنِ غُرَابُ
وَكَانَ السَّمَاءُ جَلَّةً بِجَرِّ وَكَانَ النُّجُومَ فِيهَا حَبَابُ
وَكَانَ الْجُوزَاءُ سَيْفٌ صَقِيلُ وَكَانَ الدُّجَى عَلَيْهَا قِرَابُ
من وصف الشراب والكوؤس والسِّقَاة في الليل

وقال :

وَرَنْجِيَّةُ الْآبَاءِ كَرَحِيَّةُ الْجَلْبِ عَيْبَرِيَّةُ الْأَنْفَاسِ كَرَمِيَّةُ النَّسَبِ^(٣)
كَمِيتَ بَزْلَنَا ذَنْهَا فَتَفَجَّرَتْ بَأْتَحَرَ قَانَ مِثْلَ مَا قَطَرَ الذَّهَبُ
فَلَمَّا شَرِبْنَاهَا صَبَوْنَا كَأَنَّنَا شَرِبْنَا السُّرُورَ الْمَخْضُ وَاللَّهُمَّ وَالطَّرَبُ
وَلَمْ نَأْتِ شَيْئًا يَسْخَطُ الْمَجْدَ فَعَلَهُ سَوَى أَنَّنَا بَعْنَا الْوَقَارَ مِنَ اللَّعِبِ
كَانَ كُؤُوسُ الشَّرْبِ وَهِيَ دَوَائِرُ قَطَائِعُ مَاءِ جَامِدٍ تَحْمِلُ اللَّهَبِ
يَمْدُ بِهَا كَفَا خَضِييَا مُدِيرُهَا وَلَيْسَ بِشَيْءٍ غَيْرُهَا هُوَ مَخْتَضِبُ
فَبِتْنَا نُسْقَى الشَّمْسَ وَاللَّيْلَ رَاكِرُ وَنَقْرَبُ مِنْ بَذْرِ السَّمَاءِ وَمَا قَرَبُ

(١) المدارى : جمع مدرى ، وهى خشبة يمشط بها الشعر [المشط] (م)

(٢) فى نسخة « وسعت نحو خدها بيديها » وهى أليق مما هنا (م)

(٣) فى نسخة « عناية الأنداس » (م)

وقد حجب الغيمُ الهلالَ كأنه
[كأن الثرياَ تحت حُلْمكة لونها
وقال :

كأنَّ السحابَ الغمرُ أضبحن أكوُسا
إلى أن رأيتُ النجمَ وهو مغربٌ
كأن سوادَ الليلِ والصبحُ طالعٌ
وقال :

وكأنَّ يُعَيْدُ العُسرُ يُسرًا، ويحتنى
يولد فيها المزجُ دُرًّا منصفًا دأً
صفار وكبرى في الكؤوس كأنها
إذا حنَّ الساقِ الأغَرَ حسبتها
صبحت بها صخبى وقد رندج الدجى
وقد أزهرت بيضُ النجوم كأنها
وقال :

ألا فاسقيانى قهوةَ ذهبيةَ
كأنَّ الثريا والظلامُ يحفُّها
كأنَّ نجومَ الليلِ تحت سوادهِ
وقال :

أيا دَيرَ مرحنا سَمَتَكَ رعودُ
فكم واصلتنا فى رَبَّكَ أوانِسُ
من الغَيمِ يهوى مَزنُها ويمُودُ
يَظفَنَ علينا بالمُدَامَةِ غِيدُ

(١) فى نسخة « نقطة القطر » والقطر - بالفتح - للطر (م)

(٢) رندج : سود ، مأخوذ من اليرندج ، وهو مايسود به الخف (م)

(٣) السبج - بالتحريك - خرز أسود (م)

[وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسم
وماست على السكبان قضبان فضة
وإذ لعتي لم يوقظ الشيب ليلها
ليالى أغدو بين ثوبى صباية
وقال :

سألته قبله منه على عجل
واعتل ما بين إسعاف يرققه
وقال : وجهى بذر لا خفاء به
وهذا ينظر إلى قوله :

أباح لمفلتى السهرا
غزال لو جرى نفسى
ولكن عينه حشدت
ومن أودى به قر
وجار على واقتدرا
عليه لذاب وانفطرا
على الفنج والخورا
فكيف يعاتب القمر

كانه ذهب إلى قول أبى نواس :

كان نياحه أطلع من أزراره قمر
يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدتَه نظرا
بعين خالط التفثير من أجفانها الخورا
ووجه سابري لو تصوب ماؤه قطرا^(٢)

قيل للجاحظ : من أنشد الناس وأشعرهم ؟ قال : الذى يقول : وأنشد هذه
الآيات .

ونظير قوله :

(١) فى نسخة « إسعاف يرققه » (م)

(٢) السابري أصله الثوب الرقيق الجيد ، شبه به الوجه فى ملاسته ونعموته (م)

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَقْنَ مِنْ أَزْوَارِهِ قَمَرَا

قَوْلُ الْحَكَمِ ^(١) بَن قَنْبَرِ الْمَازِنِي :

وَتَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ فَاْمْتَعَا وَزَادَ قَلْبِي إِلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
وَقَالَ تَمِيمُ :

نَقَبْتُ وَجْهَهَا بِخَزَزَةٍ وَجَاءَتْ بِمُدَامٍ مُنْقَبٍ بِزُجَاجٍ
فَتَأَمَّلْتُ فِي النِّقَاطَيْنِ مِنْهَا قِرَاءَ طَالِعَا وَضَوْءَ سِرَاجٍ
فَاسْتَقْيَانِي بِلَا مِرَاجٍ فَإِنِّي فِي الْمَعَالِي صِرْفٌ بَغِيرِ مِرَاجٍ
وَانْظُرَا الْآفَاقَ كَيْفَ بَدَّلَهُ الْإِصْبَاحُ مِنْ بَعْدِ آبَنُوسٍ بِعَاجٍ

وَقَالَ :

إِذَا حَذَرْتَ زَمَانًا لَا تُسَرُّ بِهِ كَمْ قَدَاتِي سَهْلُ دَهْرٍ بَعْدَ أَصْغَبِهِ ^(١)
فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَعْطَاكَ مَخْتَلَطًا لَعَلَّ مُرَّكَ يَحْمِلُوكَ فِي ثَقْلَبِهِ
خُذْهَا إِلَيْكَ، وَدَعْ لَوْمِي، مَشْفُوعَةً مِنْ كَفِّ أَقْنَى أُسَيْلِ الْخُدِّ مُذْهَبِهِ ^(٢)
فِي كُلِّ مَقْعِدٍ حَسَنٍ فِيهِ مُعْتَرِضٌ عَلَيْهِ يَحْمِيهِ مِنْ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهِ
فَكُخْلُ عَيْنِيهِ مَمْنُوعٌ بِخَنْجَرِهِ وَوَرْدُ خَدَيْهِ يَحْمِيُّ بِمَقَرِّهِ
لَا تَتْرِكِ الْقَدَحَ الْمَلَانَ فِي يَدِهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ تَلْهِبِهِ
فَصُنْهُ عَنْ سَقِينَا ؛ إِنِّي أَغَارُ بِهِ وَسَقَةٍ وَاسْتَقْنِي مِنْ فَضْلِ مَشْرَبِهِ
وَانْظُرْ إِلَى اللَّيْلِ كَالزَّنَجِيِّ مِنْهَرِمًا وَالصَّبْحُ فِي إِثَرِهِ يَعْدُو بِأَشْهَبِهِ
وَالْبَدْرُ مُنْتَصِبٌ مَا بَيْنَ أَنْجُمِهِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مَا بَيْنَ مَوَازِينِهِ

مِنَ الْمُخْتَارِ مِنْ شِعْرِ تَمِيمِ بْنِ الْمَعْنِ

وَإِذَا أَفْضَيْتَ إِلَى ذِكْرِهِ ، فَهَآكَ مِنْ مُخْتَارِ شِعْرِهِ ، [قَالَ] :

(١) فِي نَسْخَةِ « الْحَكِيمِ بْنِ قَنْبَرٍ » (م)

(٢) فِي نَسْخَةِ « وَكَمَ أَتَى سَهْلُ دَهْرٍ - الْخ » (م)

(٣) فِي نَسْخَةِ « مِنْ كَفِّ ظَلِي أُسَيْلِ الْخُدِّ - الْخ » وَالْأَفْنَى : الْوَصْفُ مِنَ الْقَنَآ

وَهُوَ ارْتِفَاعُ قَصَبَةِ الْأَنْفِ ، وَأُسَيْلِ الْخُدِّ : مُسْتَطِيلُهُ فِي رَقَّةٍ (م)

سَتَقْبَلُ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الذُّنُوبُ وَمَقْبُولٌ بِمَا صَنَعَا
فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْخُؤُ إِسَاءَتَهُ مِنْ الْقُلُوبِ وَجْهِهِ حَيْثَا شَفَعَا
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ أَثْوَابِهِ بَرَزَتْ حَسَنَةً، أَوِ الْبَدْرُ مِنْ أَزْوَارِهِ طَلَعَا
استعارة [مأخوذة] من قول الآخر ، وهو ابن زُرَيْق :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادٍ لِي قُرَا بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْوَارِ مَطْلَعُهُ
وَمِنْ قَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْفَرَّانِ :

بَدَا فَكَأَنَّمَا قَرُّ عَلَى أَزْوَارِهِ طَلَعَا

يَحِثُّ الْمَسْكَ مِنْ عَرَقِ السَّجَبِينَ بَنَانُهُ وَأَعْمَا

وقال أبو ذر أستاذ سيف^(١) الدولة :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَازِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقَبَائِهِ
الشَّمْسُ تَظْهَرُ فِي أَسِيرَةٍ وَجْهِهِ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِهِ^(٢)
وقال تميم :

أَعْذِلْ قَلْبِي وَهُوَ لِي غَيْرُ عَازِلٍ وَأُعْصِي غَرَامِي وَهُوَ مَا بَيْنَ أَضْغَلِي
وَمَنْ لِي بِصَبْرٍ أَسْتَزِيلُ بِهِ الْجَوَى وَلَا جِلْدِي طَوْعِي وَلَا كَبْدِي مَمِي
فَأَوَّلُ شَوْقِي كَانَ آخِرَ مَلَوْتِي وَآخِرُ صَبْرِي كَانَ أَوَّلَ أَذْمِي
وقال :

وَرَدُّ الْخُدُودِ أَرْقَى مِنْ وَرْدِ الرِّيَاضِ وَأَنْعَمُ
هَذَا تَنْشَقُّهُ الْأَنْوُفُ وَذَا يَقْبَلُهُ الْقَمُّ
وَإِذَا عَدَلْتُ فَأَفْضَلُ الْوَرْدَيْنِ وَرَدُّ يُنَلِّمُ
لَا وَرْدَ إِلَّا مَا تَوَلَّى صَبَغَ حُمْرَتِهِ الدَّمُ
هَذَا يُشَمُّ وَلَا يُضَمُّ وَذَا يُضَمُّ وَيُشَمُّ^(٣)

(١) في نسخة « وقال سيف الدولة » وفي أخرى « وقال أبو دارسان »

تحريف (م) (٢) في نسخة « والبدر يطلع من خلال قفائه » (م)

(٣) كان من حق العربية عليه أن يقول « ويشم » بالإدغام ، لكنه فك

الإدغام إقامة لوزن البيت (م)

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخُدُودَ دَ شَقَاتَنَا تَنْتَسِمُ
وَأَعَارَهَا الْأَصْدَاغَ فَهِيَ بِهَا شَقِيقٌ يُعْلَمُ
وَأَسْتَنْطَقَ الْأَجْفَانَ فَهِيَ بِلَحْظِهَا تَتَكَلَّمُ
وَتُبَيِّنُ لِلْمَحْيُوبِ عَنْ سِرِّ الْحَبِيبِ فَيَفْهَمُ
وَتَشِيرُ إِنْ رَأَتْ الرَّقِيبَ بِلَحْظِهَا فَتُسَلِّمُ
وَأَعَارَهَا مَرَضًا تَصِحُّ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُسَقِّمُ
فَتَنْ الْعَيُونَ أَجَلٌ مِنْ فَتَنِ الْخُدُودِ وَأَعْظَمُ

وقال :

إِنْ كَانَتْ الْأَلْحَاطُ رُسُلَ الْقُلُوبِ فِينَا فَا أَهْوَنَ كَيْدَ الرَّقِيبِ
قَبَّلْتُ مَنْ أَهْوَى بَعْضِي وَلَمْ يَعْلَمْ بِتَقْبِيلِي خَدُّ الْحَبِيبِ
لَكِنَّهُ قَدْ فِطَّانَتْ عَيْنُهُ بِلَحْظِ عَيْنِي فِطْنَةَ الْمُسْتَرِيبِ
إِنْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ مُسْتَخْفِيًا عَنَّا فَعِنْدَ اللَّحْظِ عِلْمُ الْغُيُوبِ

وقال :

قَالُوا الرِّجْلُ خَلْسَةٌ تَأْتِي سَرِيعًا مِنْ جِمَادِي
فَأَجَبْتُهُمْ إِنْ اتَّخَذْتُ لَكَ الْأَسَى وَالْحُزْنَ زَادًا^(١)
سُبْحَانَ مَنْ قَسَمَ الْأَسَى بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْبَعَادَا
وَأَعَارَ لِلْأَجْفَانِ حُسْنًا تَسْتَرِيقُ بِهِ الْعِبَادَا

وقال :

عَقْرَبُ الصَّدُخِ فَوْقَ تَفَاحَةِ الْخُدَى نَعِيمٌ مُطَوَّرٌ بِعَذَابِ
وَسِیُوفِ اللَّحَاطِ فِي كُلِّ حِينٍ بِأَنْعَمَاتٍ جَنَى الثَّنَايَا الْعِذَابِ^(٢)
وَعَيُونَُ الْوَشَاةِ يُفْسِدُنَ بِالرَّقِيبَةِ وَالْمَنْعِ رُؤْيَا الْأَحْبَابِ^(٣)

(١) الأسى : الحزن الشديد (م) (٢) جنى الثنايا : أراد به الريق (م)

(٣) الرقبة - بالكسر - المراقبة (م)

فَتِي يَشْتَفِي الْحُبُّ وَتُطْفِئُ
بِالتَّدَانِي حَرَارَةُ الْإِكْثَابِ
وقال :

تَرَى عَذَارِيَّهَ قَدْ قَامَا بِمَعْذَرَتِي عِنْدَ الْعَذُولِ فَيَعْذُو وَهُوَ يَعْذِرُنِي
رَيْمٌ كَأَنَّ لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ
كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ لُطْفِهِ عَرَضٌ
وَاللَّهِ مَا فَتَنَتْ عَيْنِي مُحَاسِنُهُ
مَا تَصْدُرُ الْعَيْنُ عَنْهُ لِحَظِّهَا مَلَأَ
يَا مَنْتَهَى أَمَلِي لَا تُدْنِ لِي أَجَلِي
إِنْ كَانَ وَجْهُكَ وَجْهًا صَيِّغَ مِنْ قَمَرٍ
وقال :

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ عَرَّجَ مُسَلِّمًا عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الْبَعِيدِ الْمَوْدَّعِ
وَهَبَّ عَلَى مَنْ شَفَّ جِسْمِي بِعَاقِدُهُ سَمُوْ مَا بَمَا اسْتَعْلَيْتَ مِنْ نَارٍ أَضْلَعِي^(١)
فَإِنْ قَالَ: مَا هَذَا الْحَرُورُ؟ فَقُلْ لَهُ : تَنْفَسُ مُشْتَقًا بِحَبِّكَ مُوجِعِ
ومختار شعره كثير ، وقد تفرَّق منه قطعة كافية في أعراض الكتاب .

[عَوْدٌ إِلَى وَصْفِ النُّجُومِ]

رجع ما انقطع

قال صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد :

لَقَدْ رَحَلْتَ سَعْدَى فَهَلْ لَكَ مُسْعِدُ؟ وَقَدْ أَنْجَدْتَ دَارًا فَهَلْ أَنْتَ مُنْجِدُ؟
رَعِيْتُ بِطَرْفِي النَّجْمَ لَمَّا رَأَيْتُهَا تَبَاعَدُ بَعْدَ النَّجْمِ بَلْ هِيَ أَبْعَدُ
تُنِيرُ الثَّرِيَّا وَهِيَ قُرْطُ مُسَدِّلٍ وَيَشْفُلُ مِنْهَا الطَّرْفُ دُرٌّ مُبَدَّدُ^(٢)
وَتَعْتَرِضُ الْجُوزَاءُ وَهِيَ كَكَاعِبٍ تَمْتَلِ مِنْ سَكْرِ بَهَا وَتَمِيدُ^(٣)

للصاحب
ابن عباد

(١) السموم - بفتح السين - الريح الحارة تهب في النهار ، غالباً ، ومراده الريح الحارة مطلقاً ؛ بدليل أنه سماها حروراً في البيت التالي ، وأصل الحرور الريح الحارة تهب بالليل ، غالباً (م) (٢) في نسخة « ويطرف عنها الطرف در منضد » وفي أخرى « ويطرد عنها الطرف در منضد » (م) (٣) في نسخة « وهي كواكب - إلخ » (م)

وتحسبها طَوْراً أَسِيرَ جِنَايَةٍ
ولاحَ سُهَيْلٌ وهو للصُّبْحِ رَاقِبٌ
أَرَدَّدُ طَرَفِي فِي النُّجُومِ كَأَنَّهَا
رَأَيْتُهَا، وَالصُّبْحُ مَا حَانَ وَرَدُّهُ،
وفيه لنا من مِرْبَطِ الشَّمْسِ أَشْقَرُ
وقال أبو علي الحاتمي :

لأبي علي الحاتمي

وليلٍ أَقْمَنَا فِيهِ نَعْمَلُ كَأَسْنَا
وَنَجْمُ الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِلصُّبْحِ فِي اللَّيْلِ عَسْكَرُ
عَلَى حُلَّةٍ زَرْقَاءَ جَبَبٌ مُدَنَّرٌ^(١)
البحترى :

البحترى

ولقد سَرَيْتُ مَعَ السُّكُوكِ رَاكِبًا
وَاللَّيْلُ فِي لَوْنِ الْغُرَابِ كَأَنَّهُ
وَالْعِيسُ تُنْصَلُ مِنْ دُجَاهٍ كَمَا انْجَلَى
حَتَّى تَبْدَى الْفَجْرُ مِنْ جَنَابَاتِهِ
وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

للميكالي

أَهْلًا بِفَجْرِ قَدْ نَضَى ثُوبَ الدُّجَى
أَوْ غَادَةَ شَقَّتْ صِدَارًا أَزْرَقَا
وقال رجلٌ من بني الحارث بن كعب يصف الشمس :

لرجل من بني
الحارث
ابن كعب

مُخْبِئَةٌ أَمَّا إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتْهَا
إِذَا انْشَقَّ عَنْهَا سَاطِعُ الْفَجْرِ وَانْجَلَى
وَأَلْبَسَ عَرْضَ الْأَرْضِ لَوْنًا كَأَنَّهُ
تَجَلَّتْ وَفِيهَا حِينَ يَبْدُو شِعَاعُهَا
فَتَخَفَى وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَتَظْهَرُ
دُجَى اللَّيْلِ وَانْجَابَ الْحِجَابُ الْمُسْتَرُ
عَلَى الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ ثُوبٌ مُعْصَفَرُ
وَلَمْ يَعْلُ لِلْعَيْنِ الْقَصِيرَةِ مَنَظَرُ^(٢)

(١) الجراز - بالضم بزة غراب - السيف القاطع ، والمهند : المصنوع في الهند - (م)

(٢) الخضراء : السماء ، والصرح الممرد : القصر الرفيع

(٣) في نسخة « جيب مدثر » تطبيع (م) (٤) قراب السيف : غمده

(٥) في نسخة « صداراً أوزقا » تطبيع (م) (٦) في نسخة « ولم يحل للعين - إلخ »

عليها كَرَدْعُ الزعفرانِ يشبهُ
فلما علتْ وَابيضَ منها اصفرارُها
وجللتْ الآفاقَ ضوءاً يَنيها
ترى الظلَّ يُطَوِّي حينَ تَبْدُو وتارةً
كما بدأتْ إذْ أشرقتْ في مَفيها
وتدنفُ حتى ما يكادُ شعاعُها
فأفنتْ قرونا وهى في ذاك لم تزلْ
شعاعُ تَلالَافهو أبيضُ أَصفرُ^(١)
وجالتْ كما جالَ المنيحُ المشهرُ^(٢)
بحرَ لها وَجَهَ الصُّحَى: تنسقرُ^(٣)
تراه إذا زالتْ عن الأرضِ يُنشرُ
تعود كما عادَ الكبيرُ المعمرُ
يَبين إذا ولَّتْ لمن يتبصرُ
تموتُ وتَحْيَا كلَّ يومٍ وتُنشرُ

[أجمل ما قال العرب]

وقال عبد الملك بن مروان لبعض جلسائه يوما : ما أحكم أربعة أبياتٍ قالتها
العرب في الجاهلية ؟ فأنشده :

منع البقاءَ تقلُّبُ الشمسِ وطلوعُها من حيث لا تسمى
وطلوعُها بيضاءَ صافيةً وغروبُها صفراءَ كالورسِ
تجرى على كبدِ السماءِ كما يجرى حمامُ الموتِ في النفسِ
اليومَ تعلَّم ما يحى به ومضى بفضلِ قضائه أُمسِ

قال : أحسنت ، فأخبرني بأمدح بيتٍ قالته العرب في الشجاعة ، قال : قول
كعب بن مالك الأنصاري :

نَصِلُ السِّيفَ إِذَا قَصُرْنَ بِحُطُونِنا قُدُماً ، ونلحقها إذا لم تلحقِ
قال : فأخبرني بأفضل بيتٍ قيل في الجود ، فأنشده لحاتم طي :

(١) في نسخة « كدرع الزعفران » تطبيع ؛ وردع الزعفران : أظره (م)
(٢) المنيح : أحد ثلاثة أقداح من أقداح الميسر لانصيب لواحد منها ، والآخران :
السفيح ، والوعد (م) (٣) وجه الضحى : أوله ، وانتصابه على الظرفية (م)

أماوى ما يُغنى الثراءُ عن الفقى إذا حشرت يوماً وضاق بها الصدر
 ترى أن ما أبقيت لم أك ربه وأن يدي مما بخلت به صفرُ
 ألم تر أن المال غدير ورائح ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ
 غنينا زمانا بالتصمك والغنى فكلأ سقناه بكأسهما الدهرُ
 فازادنا بغياً على ذى قرابة غنانا، ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ
 قال : فأخبرني عن أحسن الناس وصفا ، قال : الذى ^(١) يقول :

كانَّ قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً لدى وكبرها العنَّابُ والحشَفُ البالي
 والذى يقول :

كانَّ عبونَ الوَحشِ حولَ خِباننا وأرحلنا الجزعُ الذى لم يُثَقِّبِ
 والذى يقول :

وتعرفُ فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيد ومن حُجْرُ
 سماحة ذاء، مع برِّ ذاء، ووفاء ذاء ونائل ذاء إذا صحَّ وإذا سكرُ
 يريد امرأ القيس .

ومن ألفاظ أهل المصر فى طلوع الشمس وغروبها

ومتوع النهار ^(٢) وانتصافه ، وابتدائه ، وانتهائه
 بدا حاجِبُ الشمسِ ، ولمعتْ فى أجنحةِ الطيرِ ، وكشفتْ قناعها ، ونثرتْ
 شعاعها ، وارتفع سُرادقُها ، وأضاءتْ مشارِقُها ، وانتشرَ جناحُ الضوءِ فى أفقِ
 الجو . طَنَّبَ شعاعُ الشمسِ فى الآفاقِ ، وذهبتْ أطرافُ الجدرانِ . أَيْنَعَ النهارُ ^(٣)
 وارتفع . استوى شَبَابُ النهارِ ، وعلا رونقُ الضحى ، وبلغتْ الشمسُ كبد السماء

(١). الأبيات الآتية فى الوصف كلها لامرئ القيس بن حجر الكندى (م)
 (٢) تقول « متع النهار » من باب فتح - إذا ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه قبل
 الزوال (م)
 (٣) كذا ، وفى نسخة « أَيْنَعَ النهار » وما أراها شيئاً (م)

انتعل كل شيء ظلّه ، وقام قائمُ الهاجرة ، ورمّت الشمسُ بحمّراتِ الظهر . اصفرّت غلالةُ الشمسِ ، وصارت كأنها الدينارُ يلمعُ في قرارِ الماء ، ونفضتِ تبراً على الأصيل ، وشدّت رَحْلَهَا للرحيل ، وتصوّبت الشمسُ للمغيب ، وتضيّقت للغروب ^(١) فأذن جنّبها للوجوب ^(٢) . شاب النهارُ ، وأقبل شبابُ الليل ، ووقفت الشمسُ للعيان ، وشافه الليلُ لسانَ النهار . الشمسُ قد أشرقت بروجها ، وجنحت للغروب ، وشافته دَرَجُ الوجوب . الجوُّ في أطوار منهجة من أصائله ^(٣) ، وشفوف مورّسة من غلالته . استتر وجهُ الشمسِ بالنقّاب ، وتوارت بالحجاب . كان هذا الأمرُ من مطلع الفلق ، إلى مجتمّع الفسق . فلانُ يركبُ في مقدمة الصّبح ، ويرجع في ساقّة الشفق ، ومن حين تفتحُ الشمسُ جفّنها ، إلى أن تغمض طُرّفها ، ومن حين تسكنُ الطيرُ أوكارها ، إلى حين ينزلُ السّراةُ من أكواريها

* * *

مقامة لأبي الفتح الإسكندري من إنشاء البديع ، اتّصلتْ بذكري الليل والنهار قال عيسى بن هشام : كنت وأنا قتيّ السنّ أشدُّ رَحْلِي لـكَلِّ عَمَايَةِ ، وأركضُ طِرْفِي لـكَلِّ غَوَايَةِ ، حتى شربتُ من العُمُرِ سائغهُ ، ولبستُ من الدهرِ سَابِقَهُ ، فلما صاح النهارُ بجانب ليلى ، وجمعتُ للمعادِ ذَبِيلِي ، وططتُ ظهرَ المَرُوضَةِ ، لأداءِ المفروضة ، وصحّيتني في الطريقُ رَجُلٌ لم أنكره من سوء ، فلما تخالينا ، وحين تجالينا ، سَفَرَتِ القِصَّةُ عن أصلِ كوفيّ ، ومَذْهَبِ صوفيّ ، وسِرْنَا فلما حللنا الكوفةَ ملنا إلى داره [ودخلناها] وقد بَقِلَ وجهُ النهار ، واخضرَّ جانبُهُ ، ولما اغتمض جَفَنُ الليلِ وطَرَّ شاربُهُ قُرْعَ علينا البابُ ، فقلنا : من القارعُ المُنتَابُ ؟ فقال : وَفَدُ الليلِ وبريده ، وفَلَّ الجوعَ وطريده ، وأسير

(١) تضيقت للغروب : مالت نحو المغرب (م)

(٢) أذن جنّبها : استمع ، وأراد أطاع ، والوجوب : السقوط (م)

(٣) الأطوار : جمع طمر - بالكسر - وهو الثوب البالي ، ومنهجة : نمزقة بالية ، والأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت الذي قبل غروب الشمس ، وفي نسخة

« الجو في أطيار بهجة - إلخ » (م)

الفر ، والزمن المر ، وضيْفٌ وطَوْهٌ خفيف ، وضالته رَغِيف ، وجارٌ يستَعْدِي على الجوع ، والجَيْبِ المَرْقُوع ، وغريب أوقِدَت النارُ على سفره ، ونَبَحَ العَوَاءُ في أنْزِه^(١) ، ونُبِذَت خلفه الحُصَيَاتُ ، وكُنِسَتْ بعده العَرَصَات ، فنِضُوهُ طَلِيح ، وعَيْشُهُ تَبْرِيح^(٢) ، ومن دون أفراخه مَهَامِه فيح^(٣) .

قال عيسى بن هشام : فقَبِضْتُ من كَيْسِي قَبْضَةً اللَّيْثِ وبعثتها إليه ، وقلتُ زِدْ نَاسُوا لَا تَزِدْكَ نَوَالَا ، فقال : مَاعْرِضْ عَرْفُ العودِ ، على أَحْرَبٍ من نارِ الجُودِ ، وَلَا لُقَيْيَ وَفَدِ البرِّ ، بأحسن من يريد الشكر ، ومن ملك الفضل فليواس ، فلا يَذْهَبُ العُرْفُ بين الله والناس ، وأما أَنْتَ فحقَّقَ اللهُ أَمْلَكَ ، وجعل اليَدَ العُلْيَا لك . قال عيسى بن هشام : ففتحتنا البابَ ، فإذا شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فقلنا : يا أبا الفتح ، شَدَّ ما بَلَغْتَ بك الخِصَاصَةَ ، وهذا الزى خاصة ! فتبسم وأنشأ يقول :

لَا يَغْرُنْكَ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبِ
أَنَا فِي بُرْدَةٍ تُشَقُّ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبِ
أَنَا لَوْ شِئْتُ لَا تَتَّخِذُ تَشَقَّاقًا مِنَ الْاَذْهَبِ

[من رسائل البديع]

وكتب البديعُ إلى بعض إخوانه : غضبُ العاشقِ أقصرُ عمرٍ أم أن ينتظرَ عَذْرَاءَ ، وإن كان في الظاهر مَهَابَةً سَيْفٍ ، إنه في الباطن سحابةٌ صَنِيفٌ ، وقد رَأَى بِي إِعْرَاضَهُ صَفْحَا ، أَخْجَدُ أَقْصَدَ أُمِّ مَرْحَا ، ولو التبس القلبان حقَّ التباسهما ما وجد الشيطانُ بينهما مَسَاغَا ، ولا والله لا أُرِيكَ رَدًّا ، أَجْدُ مِنْهُ بَدًّا ، وإن محبة تحتل شكًّا لأَجْدُرُ محبة ، أَلَّا تُشْتَرَى بِمَحَبَّةٍ ، وإن كان

من البديع
إلى بعض
إخوانه

(١) نبح الكلب نباحا : صاح ، والعواء : الكلب الكثير العواء (م)

(٢) نضوه — بالكسر — أراد به مطيته ، وطلّيح : هزيل مريض ؛ وتبريح

من قولهم « برج به المرض ونحوه » إذا شق عليه وأجهد (م)

(٣) المهامه : جمع مهمه ، وهى الصحراء ؛ والفيح : جمع فيح . وهى الواسعة (م)

قَصَدَ مَرْحَا فَمَا أَغْنَانَا عَنْ مَرْحٍ يَحُلُّ عُقْدَ الْفَوَادِ [حتى تقف على المراد ، ولا تسعنا إلا العافية] والسلام .

رسالة أخرى
من البديع
إلى صديق له

وله إليه : المودة - أعزك الله - غيب ، وهو في مكان من الصّدْر ، لا ينفذه بصر ، ولا يذركه نظر ، ولكنها تُعرَف ضرورة ، وإن لم تظهر صورة ، ويدركها الناس ، وإن لم تدركها الحواس ، ويستملئ المرء صحتها من صدره ، ويعلم حال غيره من نفسه ، ويعلم أنها حبٌّ وراء القلب ، وقلب وراء الخلب^(١) ، وقلب وراء العظم ، وعظم وراء اللحم ، ولحم وراء الجلد ، وجلد وراء البُرد ، وبرد [وراء البعد] . زلو كانت هذه الحجبُ قوارير لم ينفذها نظر ، فيستدل عليها بغير هذه الحاسة بدليل إلا أن أزوره ، والله لو التبتت به التباساً ، يجعل رأسينا رأساً ، مازدته ودّاً ، ولو حال بيني وبينه سورُ الأعراف ، ورملُ الأحقاف ، ما نقصته حقاً .

لأبي الفضل
الميكالي

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

وَعَزَّالٍ مَنخَتُهُ ظَاهِرَ الْوَدِّ فَجَارَى بِالنَّصْدِ وَالْإِتِّحَابِ
لَمْ أَلَمْهُ إِنْ رَدَّنِي لِحِجَابِ رَدَّنِي وَإِلَهُ الْفَوَادِ لِمَا بِي^(٢)
هُوَ رُوحٌ وَلَيْسَ يُنْكَرُ لِلرُّوحِ حِجَّ تَوَارِيهِ عَنِ الْوَرَى بِحِجَابِ

وللبديع إلى أخيه :

من البديع
إلى أخيه

كتابي أطال الله بقاءك ، ونحن وإن بعدت الدارُ فرعاً نَبْعَةً ، فلا يَجْنِينَا
بُعْدِي عَلَى قُرْبِكَ ، وَلَا تَمَحْوَنَ ذِكْرِي مِنْ قَلْبِكَ ، فَلَا أَخَوَانِ ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهَا
بِخَرَّاسَانَ وَالْآخَرُ بِالْحِجَازِ ، مَجْتَمِعَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ مُفْتَرِقَانِ عَلَى الْحِجَازِ ، وَالْإِثْنَانِ ، فِي

(١) الخلب - بكسر الخاء وسكون اللام - لحة رقيقة تصل بين الأضلاع .

(٢) في نسخة :

« لم أله إذ أزوى في حجاب * رَدَّنِي وَإِلَهُ الْحِشَادِ التَّهَابِ » (م)

(١٣ - زهر الآداب ٣)

المعنى واحد وفي اللفظ اثنان ، وما بيني وبينك إلا ستر، طوله فترٌ ، وإن صاحبي رفيق ، اسمه بوفيق ، لثلاثين سريعاً ولنسعدن جميعاً ، والله وليُّ المأمول .

من ابن العميد
لبعض إخوانه

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى بعض إخوانه :

قد قُربَ - أيدك الله - محمك على تراخيه ، وتَصَافَ مستقرُّك على تنائيهِ ؛
لأنَّ الشوقَ يَمثلُك ، والذكرُ يَحْتَلِكُ ؛ فنحنُ في الظاهر على افتراق ، وفي الباطن
على تلاقٍ ، وفي التسمية مُتباينون ، وفي المعنى متواصلون ، وإن تفرقت الأشباحُ ،
لقد تعانقت الأرواح .

جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار

الدهرُ سريعُ الوتية ، شنيعُ العترة . أهلُ الدنيا كَرَكِبٍ يُسَارُهم وهم
نِيام . والناسُ وَفْدُ البلي ، وسكانُ التَّرى ، وأقرانُ الرَّدَى . المرءُ نُصْبُ الحوادثِ
وأسيرُ الاغترار . الآمانُ حَصَانِدُ^(١) الرجالِ . الحِرْصُ يُنْقِصُ المرءَ من قَدْرِهِ ، ولا يَزِيدُ
في رِزْقِهِ . الكذبُ والحسدُ والنفاقُ أُمْنافِي الذلِّ . التَّامُّ جَسْرُ الشرِّ . الحاسدُ
اسمه صديقٌ ومعناه عدوٌّ الحاسدُ سَاخِطٌ على القَدَرِ ، مُغْتَاطٌ على من لا ذَنْبَ له ، بخيلٌ
بما لا يَمْلِكُهُ ، يَشْفِيكَ [منه] أنه يَغْتَمُّ في وقتِ سرورِكَ . الفُرْصَةُ سريعةُ القَوْتِ
بَطِيئَةُ العَوْدِ . الصبرُ من ذِي المصيبةِ مصيبةٌ على ذَوِي الشَّمَاتِ . التواضعُ سُلْمُ
الشرفِ ، والجُودُ صَوَانُ العَرَضِ من الدَّمِ . القَدْرُ قَاطِعُ [الأسرار] إذا كَثُرَ^(٢)
خَزَائِنُهَا ازدادت ضياعاً السوءُ كشجرة النارِ يَحْرِقُ بعضها بعضاً . عَجْبُ الشهوةِ
أَذْلٌ من عبد الرِّقِّ . وعاءُ الخطأِ بالصَّمتِ يَحْتَمُ ، والخرقُ بِالرِّفْقِ يَلْحَمُ . الوَعْدُ
مرضُ المعروف ، والإنجازُ برؤهُ ، والمَطْلُ تلفهُ . إذا حَضَرَ الأجلُ ، افتضح

(١) في نسخة « الآمال مصابر الرجال » ولا نصح لفظاً ولا معنى (م)

(٢) في نسخة « كنوز السر إذا كثرت خزائنها - إلخ » (م)

الأمَل . لَا تَشْنُ وَجْهَ الْعَفْوِ بِالتَّقْرِيعِ . لَا تَنْكُحْ خَاطِبَ سِرِّكَ . وَمَنْ زَادَ أَدَبُهُ عَلَى عَقْلِهِ كَانَ كَالرَّاعِي الضَّعِيفِ مَعَ شَاءٍ كَثِيرَةٍ .

قال أبو العباس الناشئ لأبي سهل بن نوبخت :

زَعَمْتَ أَبَا سَهْلٍ بِأَنَّكَ جَامِعٌ ضُرُوبًا مِنَ الْأَدَابِ يَجْمَعُهَا الْكَمَلُ
وَهَبَكَ تَقُولُ الْحَقُّ أَيُّ فَضِيلَةٍ تَكُونُ لَدَى عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ
وَالْهَمُّ حَبْسُ الرُّوحِ . قُلُوبُ الْعُقَلَاءِ حَصُونُ الْأَسْرَارِ . مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ
هَانَ عَلَيْهِ مَالُهُ . مَنْ جَرَى فِي عَنَانِ أَمَلِهِ ، عَثَرَ بِأَجَلِهِ . مَا كُلُّ مَنْ [يُحْسِنُ] وَعَدَهُ
يُحْسِنُ إِنْجَازَهُ . رُبَّمَا أَوْرَدَ الطَّمَعُ وَلَمْ يُصْدِرْ ، وَضَمِنَ وَلَمْ يُوفِ . وَرُبَّمَا شَرَقَ شَارِبُ
الْمَاءِ قَبْلَ رِيَةٍ . مَنْ تَجَاوَزَ الْكَفَافَ لَمْ يُفْنِعْهُ إِلَّا كَثَارٌ . كَلَّمَ عَظُمَ قَدْرُ الْمُنَافَسِ
فِيهِ عَظُمَتِ الْفَجِيعَةُ بِفَقْدِهِ ، وَمَنْ أَرْحَلَهُ الْحَرْصُ أَنْضَاهُ الطَّلَبِ . الْأُمَانِيُّ تَعْمَى
أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ ، وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَمْ يُوْثِقْهُ . وَرُبَّمَا كَانَ الطَّمَعُ وَعَاءَ حَشْوَةِ الْمُتَالِفِ ،
وَسَائِقًا يَدْعُو إِلَى النَّدَامَةِ . مَا أَخْلَى تَلَقَّى الْبَغِيَّةِ ، وَأَمْرٌ عَاقِبَةُ الْفِرَاقِ . مَنْ لَمْ
يَتَأَمَّلِ الْأَمْرَ بَعَيْنِ عَقْلِهِ ، لَمْ تَنْفَعْ حِيلَتُهُ إِلَّا عَلَى مَقَاتِلِهِ .

[رثاء المعتضد ، وتعزيتة]

وقال أبو العباس يَرْتِي المعتضد :

قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِمْ ثُمَّ قَدَّمُوا إِمَامًا إِمَامًا الْخَلْقُ بَيْنَ يَدَيْهِ (١)
وَصَلَوْا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَانَهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ
وَقَالَ يَرْتِيهِ :

قَالَتْ شَرِيرَةٌ مَا لَجُفْنِكَ سَاهِرًا قَلِقًا ، وَقَدْ هَدَأَتْ عَيُونُ النَّوْمِ (٢)
مَا قَدْ رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ أَحْلَى بِي . هَذَا ، وَتَحْتَ الصَّدْرِ مَا لَمْ تَعْلَمِي

(١) في نسخة « ثم قدموا * إماما إمام الحق - إلخ » (م)

(٢) في نسخة « قالت سريرة » بالسین المهملة (م)

يأنفس صبراً للزمان ورَيْبِهِ
 إن الذي حازَ الفضائلَ كلَّها
 أما السيوفُ فمن صنائعِ بَأْسِهِ
 وكانَ أحداثَ الزمانِ عبيدهُ
 يَقْظَانِ من سِنَةِ المضيِّعِ قَلْبِهِ
 يَرَعَى الضغائنَ قبلَ ساعةِ فرصةٍ
 كم فرصةٍ تُرِكَتْ فَصَارَتْ غَصَّةً
 ولرب كَيْدٍ ظَلَّ يَسْجُدُ بعدها
 وهى المنايا إن رمينَ بَنِيهَا
 للهِ دَرْكُ أَى لِيثٍ كَتَبَتْهُ
 ولقد عمرت ولا حريمَ معاند
 وقال للمعتضد يعزّيه بآبَنِهِ هرون :

يأناصرَ الدينَ إذ هُدَّتْ قواعِدُهُ
 وقائدَ الخيلِ مَذْشُدَّتْ مآزِرُهُ
 كأنهم قنّا لَيْسَتْ لها عُقْدَةٌ
 قُبَّ كَطَى ثِيَابِ العَصْبِ مَضْمُورَةٌ
 وسائسَ الملكِ يَرْعَاهُ وَيَكْلُؤُهُ
 تَمْرِي أَنَامِلُهُ الدُّنْيَا لِصَاحِبِهَا
 كالسَّهْمِ يَبْعَثُهُ الرَّايِ فِصْفَحَتُهُ
 لَا يَشْتَكِي الدَّهْرُ إِنْ خَطَبَ أَلَمَّ بِهِ
 صَبْرًا، فَذَيْنَاكَ إِنْ الصَّبْرَ عَادَتُنَا
 وَأُضِدَّقَ النَّاسِ فِي بُؤْسِي وَإِنْعَامِ
 مَذَلَّلَاتِ يَأْسِرَاجِ وَإِلْجَامِ
 يَهْرُهَا الزَّجْرُ فِي كَرٍّ وَإِقْدَامِ
 تَقَرَّبُ النَّارُ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالْهَامِ^(١)
 إِذَا حَلَا الْغَمُضُ فِي أَجْمَانِ نَوَامِ
 وَنَضَلَهُ مِنْ عِدَاهُ قَاطِرٌ دَائِمِ^(٢)
 تَلْقَى الرَّدَى دُونَهُ، وَالْفَوْقَ لِلرَّايِ^(٣)
 إِلَّا إِلَى صَعْدَةٍ أَوْ حَذِّ صَمَامِ^(٤)
 وَإِنْ طَوِينَا عَلَى حُزْنٍ وَهَيْامِ

(١) في نسخة « قب كطى ثياب القصر » تطبيع ، والعصب - بالفتح - برد
 يعنى يجمع غزله ويشد ثم يصنع وينسج ، وقبل : هى برود مخططة (م)

(٢) تمرى : أصله قولهم « مرى فلان الضرع يمرى » إذا استخرج لبنه (م)

(٣) فوق السهم : موضع الوتر منه (م) (٤) الصمصام : السيف (م)

فبادِرِ الاجْرَ نحو الصَّبْرِ مُحْتَسِبًا إِنَّ الجزوعَ صَبُورٌ بعد أيام
ولما ماتت دُرَيْدَةُ^(١)، وهى جَارِيَةٌ [المعتضد، و] كانت مَكِينَةً عنده، جزِعَ تعزته في
عليها جزعا شديداً، فقال له عبيد الله بن سليمان : مثلك يا أمير المؤمنين تهون عليه
المصائبُ ؛ لأنك تجدُ من كل فقيدٍ خلفاً، وتنالُ جميع ما تريد من العِوَضِ ،
والعِوَضُ لا يوجد منك، فلا ابتلى الله الإسلامَ بفقدك، وعمره بطولِ بقاءِ عُمرِكَ،
وكان الشاعر عَنَى أمير المؤمنين بقوله :

يُنَبِّئُنِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ الْإِبِلِ
فضحك المعتضد وتسلَّى وعاد إلى عادته .

قال محمد بن داود الجراح : فلقينى عبيدُ الله فأخبرنى بذلك ، وقال : أردت
شعراً فى معنى البيت الذى أنشدته فما وجدته ؛ فقلت له قد قال البطين البجلي :
طوى الموت ما بينى وبين أحبةٍ بهم كُنتُ أُعْطِى مَنْ أشاء وأمنعُ
فلا يحسب الوأشون أن قناتنا تَلِينُ، ولا أنا من الموتِ نَجْزَعُ
ولكن للآلافِ - لآبدٍ - لَوَعَةٌ إذا جعلت أقرانها تنقطعُ^(٢)
فكتبه ، وقال : لمو حفظته لما عدلتُ عنه .

[من شعر ابن المعتز]

وقال ابن المعتز ، وذكر الموتى :
وَسُكَّانِ دَارٍ لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ عَلَى قُرْبٍ بَعْضٍ فِي الْحَلَةِ مِنْ بَعْضٍ
كَأَنَّ خَوَاتِمًا مِنَ الطَّيِّينِ فَوْقَهُمْ فَلَيْسَ لَهَا حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ فَضَةٍ
وقال يمدح عبيد الله بن سليمان :

(١) فى نسخة « دويرة » (م)

(٢) فى نسخة « إذا جعلت أقرانها تنقطع » (م)

أَيَا مُوَصِّلَ الثُّغَمَى عَلَى كُلِّ حَالَةٍ إِلَى قَرِيبًا كُنْتُ أَوْ نَازَحَ الدَّارِ
 كَمَا يَلْحَقُ الْغَيْثُ الْبِلَادَ بِسَيْلِهِ وَإِنْ جَادَ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا بِأَمْطَارِ
 وَيَا مَقْبَلًا وَالْدَّهْرُ عَنِّي مُعْرَضٌ يَقْتَسِمُ لَحْمِي بَيْنَ نَابٍ وَأَظْفَارِ
 وَيَا مَنْ يَرَانِي حَيْثُ كُنْتُ بِقَلْبِهِ وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ لَا يَرَوْنَنِي بِأَبْصَارِ
 لَقَدْ رُمْتُ فِي آمَالِ نَفْسِي كُلِّهَا فَيَا لَهْفَ نَفْسِي لَوْ أُعْذِتَ بِمَقْدَارِ
 ذَكَرْتُ مَنَى سَمْعِ الْإِمَامِ وَعَيْنِهِ وَرَفَعْتُ نَارِي كِي يَرَى ضَوْءَهَا السَّارِ
 وَكَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ فِي صَرْفِ نِقْمَةٍ تَرْجَى وَمَكْرُومٍ حَلَاً بَعْدَ إِمْرَارِ
 وَمَا كُلُّ مَا تَهْوَى النُّفُوسُ بِنَافِعٍ وَلَا كُلُّ مَا تَخْشَى النُّفُوسُ بِضَرَارِ

قوله : * كَمَا يَلْحَقُ الْغَيْثُ الْبِلَادَ بِسَيْلِهِ * مأخوذ من قول سهيل بن حري
 وقد بعث إليه كثير بن الصَّلْتِ كُسُوةً ومالا من المدينة :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ بَنِي الصَّلْتِ إِخْوَانُ السَّمَاحَةِ وَالْمَجْدِ
 أَنَانِي وَأَهْلِي بِالْعِرَاقِ نَدَاهُمُ كَمَا انْقَضَ سَيْلٌ مِنْ تَهَامَةٍ أَوْ مَجْدِ
 وَقَالَ ابْنُ الْمَوَلَى :

سُرِرْتُ بِمُجْعَفٍ إِذْ حَلَّ أَرْضِي كَمَا سُرَّ الْمُسَافِرُ بِالْإِيَابِ
 كَمْ طَوَّرَ بِلَدَتِهِ فَأَضْ—حَى غَنِيًّا عَنْ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ

وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى أَبِي الْجَنُوبِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ وَهُوَ بِبَغْدَادَ عَشْرِينَ
 أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ :

لَمَرَرْتُ لِنَعَمِ الْغَيْثُ غَيْثٌ أَصَابَنَا بِبَغْدَادَ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَآبِلُهُ ^(١)
 وَنِعْمَ الْفَتَى وَالْبَيْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَعَثَرِينَ أَلْفًا صَبَحَتْني رَسَائِلُهُ ^(٢)

(١) الوايل : المطر الغزير (م)

(٢) البید : الصحارى ، واحدها يبداء (م)

فكنا كحي صبح الفيت أهله ولم تنتجع أظفائه وحابله
أني جود عبد الله حتى كفت به رواحلنا سير الفلاة رواحله
[أبو شجاع]

وكانت بنو كلاب ومن والآها من العرب بنواحي الكوفة تجتمعوا وعزموا
على أخذ الكوفة سنة اثنتين وخسين وثلاثمائة، فبعث أبو شجاع عضد الدولة ديزر^(١)
ابن لشكروز فأصلحهما، وكان أبو الطيب المتنبى بها فوصله وبعث إليه خلعاً وقاد
إليه فرساً بسرّيج ثقيلاً، فقال في قصيدة :

فلو لم يسر سِرنا إليه بأنفس غرائب يؤثرن الجياد على الأهل
وما أنا من يدعى الشوق قلبه ويعتدل في ترك الزيارة بالشغل
ولكن رأيت الفضل في القصد شيركة فكان لك الفضلان في القصد والفضل
وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل
[الموفق العباسي]

وكان ابن المعتز يمدح أبا أحمد بن المتوكل، ويلقب بالناصر والموفق،
وكانت حاله ترامت في أيام المعتضد إلى غاية لم يبلغها الخليفة، وقد ذكرها
الصولي في قصيدة [إصاحب المغرب]، فقال وقد اقتصّ خلفاء بني العباس من أولهم:

ومعتضد من بعده وموفق يرُدُّ من إرث الخلافة مذهب
موازٍ لهم في كل فضل وسودد وإن لم يكن في العدم منهم لمن حسب^(٢)
وقال المعتضد، أو قيل على لسانه، لما غلب الموفق على أمره:

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما هانَ ممتنعاً عليه
وتؤخذ بأسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
وشعر ابن المعتز فيه :

(١) في شرح ديوان المتنبى « دلير » باللام مكان النون (م)

(٢) في نسخة « ينازلهم في كل فضل - إلخ » (م)

إليك امتطينا العيس تنفخ في البرى
صدّين من التّهجير حتى كأنها
فبتنا ضيوفاً للفلاة قرام
يهزّ برود العصب فوق متونها
ولما طغى أمر الدّعى رميته
وجرد من أغماده كل مرهف
جرى فوق متنيه الفرند كأنما
وأعلمته كيف التصافح بالقنا
سريع إلى الأعداء، أما جنباه
وبقرى السؤال العذر من بعد ماله
أخذ معنى قوله : « نسيم كنفث الراقيات عليل » عبد الكريم بن إبراهيم،

فقال :

سلام على طيب روائحنا
إلى مزبد الموج طامى العبا
تخال به قطعاً مقرماً
ويسجّو فيسحب في ذائل
كأن الشمال على وجهه
ضعيفة رشّ كنفث الرقى
إذا درجت فوقه درجته
وقد جلّته بأوراقها
علتها الحمام بتغريدها
إلى القصير والنهر الخضر (٣)
ب يقذف بالبان والسام (٤)
يكر على قطع مقرم
يمان تسهم بالأنجم
بها سقم وهى لم تسقم
على كبد المذنب المقرم
إذا درجت فوقه درجته
وقد جلّته بأوراقها
علتها الحمام بتغريدها

(١) العنيق ، والنص ، والذميل : ضروب من السبر السريع (م)

(٢) العصب : السيف القاطع ، وفليل : مكسور (م)

(٣) الخضر : العظيم (م) (٤) الساسم : شجر أسود، ويقال: هو الابنوس.

كَأَنَّ شِعَاعَ الضَّحَى بَيْنَهَا عَلَى السَّوْسَنِ الْغَضَّ وَالْخُرْمَ
وَشَائِعَ مَنْ ذَهَبَ سَائِلَ عَلَى خَسِرَوَانِيَّةٍ نَعَمَ
رُبًّا تَتَفَقَّأُ مِنْ فَوْقِهَا عَزَّ إِلَى الرَّبِيعِ لَهَا الرُّمُ (١)
عَلَى كُلِّ مَحْبِيَّةٍ خَلَّةٌ تَسَدَّى عَلَى جَدُولٍ مَفْعَمَ
كَافَقِلَ الْوَقْفَ صَوَّأَهُ وَكَالْأَرْقَمَ انْسَابَ لِلْأَرْقَمِ

[صاحب الزنج]

وقول ابن المعتز «ولما طفا أمرُ الدعي» يريد صاحب الزنج بالبصرة ، وكانت شوكتة قد انشطت وظفر به بعد واقعة كثيرة ، وفي ذلك يقول ابن الرومي في قصيدة طويلة جدا يمدح فيها أبا أحمد [الموفق بن المتوكل ، وصاعد بن خالد ، والعلاء بن صاعد ابنه ، وهي من أجود شعره ، فقال] :

أَبَا أَحْمَدَ أَبْلَيْتَ أُمَّهُ أَحْمَدُ بَلَاءَ سِرْضَاهُ ابْنُ عَمِّكَ أَحْمَدُ
حَصْرَتْ عَمِيدَ الزَّيْجِ حَتَّى تَحَاذَلَتْ قَوَاهُ ، وَأَوْدَى زَادَهُ الْمَرْوَدُ (٢)
فَظُلٌّ ، وَلَمْ تَقْتَلْهُ ، يَلْفِظُ نَفْسَهُ وَظَلٌّ ، وَلَمْ تَأْسِرْهُ ، وَهُوَ مَقِيدُ
وَكَانَتْ نَوَاحِيهِ كَثَافًا فَلَمْ تَزَلْ تَحْيِفُهَا شَحْدًا كَأَنَّكَ مَبْرَدُ (٣)
تَفَرَّقَ عَنْهُ بِالْمَكَايِدِ جُنْدُهُ وَيَزْدَادُهُمْ جُنْدًا وَجُنْدُكَ مَحْصَدُ (٤)
وَلَا يَسُ سَيْفِ الْقُرْنِ بَعْدَ اسْتِلَابِهِ أَضْرُّ لَهُ مِنْ كَاسِدِيهِ وَأَكِيدُ
فَمَا رُمْتَهُ حَتَّى اسْتَقْلَّ بِرَأْسِهِ مَكَانَ قَنَاةِ الظَّهْرِ أَسْمَرُ أَجْرَدُ

[هذا مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

ورأس مهراق قد ركبت قلته
ولم تال إنذاراً له غير أنه
سكنت سكونا كان رهناً بوثبة
هذا مأخوذ من قول النابغة :

(١) في نسخة « عزالى الربيع لدى المرم » (م)
(٢) أودى : هلك (م) (٣) في نسخة « وكانت نواحيه كفافاً » تطبيع (م)
(٤) في نسخة « وجندك يحصد » (م) (٥) عماس : شديدة (م)

وقلت يا قوم إن الليث منقبض على برائيه للوثبة الضاري
ويقول في مدح صاعد :

يقرّظ إلا أن ما قيلَ دونه . ويوصف إلا أنه لا يحمد^(١)
أرق من المساء الذي في حسامه طباعاً ، وأمضى من شباه وأنجد
له سورة مكتنة في سكينه كما اكنن في الغمد الجراز المهند
كان أباه حين سماه صاعدا رأى كيف يرتقى في العالى ويصعد

[لما سمع البحترى هذا البيت قال : منى أخذه ، في قوله في العلاء بن

صاعد] :

سماه أسرته العلاء وإنما قصدوا بذلك أن يتم علاه
وهذا في قوله ، كما قال [ابن] المرزبان وقد أنشد لابن المعتز في مناقضة

الطالبيين :

دعوا الأسد تسكن في غابها ولا تدخلوا بين أنيابها
فنحن ورثنا ثياب النبي فلم تجذبون بهديابها
[قال :] قد أخذه من [قول] بعض العباسيين :

دعوا الأسد تسكن أغياها ولا تقر بها وأشبأها
ولكنه سرق ساجاً ، ورد عاجاً ، وغل قطيفة ، ورد درياجا .

ومن قصيدة ابن الرومي :

تراه على الحزب العوان بمنزل وآثاره فيها ، وإن غاب ، شهد
كما احتجب للمقدار والحكم حكمه على الخلق طراً ليس عنه معر^(٢)

البحترى :

ولى الأمور بنفسه ، ومحملها متقارب^(٣) ، ومرأها متباعد^(٣)

(١) في نسخة « ويوصف إلا أنه يتجدد »

(٢) ليس عنه معر : ليس عنه مهرب (م)

(٣) في نسخة « ربي الأمور بنفسه » وليست بشيء (م)

يتكفل الأدنى، ويُذركُ رأيه إلْ أقصى، ويتبعه الأبي العائدُ
 إن غار فهو من النباهة منجد أو غاب فهو من المهابة شاهد
 وقال أعرابي يصف رجلاً : كان إذا ولّى لم يطابق بين جفونه ، ويرسل
 العيون على عيونه ؛ فهو غائبٌ عنهم ، شاهد معهم ، والمحسنُ آمن ، والمسيءُ خائف .
 فتى رُوحه روحٌ بسيطٌ كيانه ومسكن ذاك الروح نورٌ مجسّدٌ
 صفًا ونفى عنه القدّى فكأنه إذا ما استشفته العقولُ مصدّ
 كرمتم لجش المفعمون بمدحكم إذا رَجَزُوا فيكم أثبتتم فقصّدوا
 أرى مَنْ تعاطى ما بلغتكم كرائمٍ منالَ الثريّا وهو أكمه متعّد
 كما أزهرت جناتُ عدنٍ وأنمرت فاضحت وعُجمُ الطيرِ فيها غرّد
 وفي هذه القصيدة يقول :

لِمَا تُؤْذِنُ الدنيا به من صروفها يكون بكاءُ الطفلِ ساعةً يُولدُ
 وإلا فما يُبكيه منها وإنها لأفسحُ مما كان فيه وأرغدُ
 إذا أبصر الدنيا استهلّ كأنه بما سوفَ يلقى من رداها يُهدّدُ
 قال الصولي : افتتح ابنُ الرومي هذه القصيدة على ما يلزمه ^(١) من فتح ما قبل
 حرّفِ الروي اقتداراً، فعمله ذلك على أن قال :

متاحٌ له مقداره فكأنما نقوضُ شِهْلانَ عليه وصنّددُ ^(٢)
 شِهْلان : اسم جبل ، وهذا لا يصح ، إنما هو صنّدد بكسر الدال ؛ لأن
 فعلاً لم يحىء إلا في أربعة أحرف : درم ، وهجرع [للأحق] ، وهبلع للذي
 يبلعُ كثيراً . وقلمم للذي يقطع الأشياء .

وقول ابن المعتز في وصف السيف ^(٣) : * كأنما تنفس فيه القينُ وهو صَقِيلُ *
 معنى بديع في وصف الفرند ، وقد قال :

(١) في نسخة « على ما يلزمه » والسلام بعده يؤيد أن الأصل ما أثبتناه (م)

(٢) متاح : مهياً ومقدر (م) (٣) أنظر ص ٧٩٦

ولى صارمٌ فيه النايَا كوامنٌ فَمَا يُنْتَضَى إِلَّا لِسَفْكِ دِمَاءِ
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدَ كَأَنَّهُ بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقٌّ دُونَ سَمَاءِ
وَقَالَ أَيْضًا إِسْحَاقُ بْنُ خَلْفٍ :

أَلْقَى بِجَانِبِ خَصْرِهِ أَمْضَى مِنَ الْأَجْلِ الْمَتَاحِ
وَكَأَنَّمَا ذَرَّ الْهَبَا • عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيحِ

ولما صار سيفُ عمرو بن معد يكرب الذى كان يسمَّى الصمصامة إلى الهادى ،
— وكان عمرُو وهبه لسميد بن العاص ، فتوارثه ولده إلى أن مات المهدي ،
فاشتراه موسى الهادى منهم بمال جليل ، وكان أوسعُ بنى العباس كفاً ، وأكثرم
عطاءً — ودعا بالشعراء ، وبين يديه مكتل فيه بذرة ، فقال : قولوا فى هذا السيف ؛
فبدر ابن يامين البصرى فقال :

حَازَ صَمَصَامَةً الزُّبَيْدِيُّ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْأَنَامِ مُوسَى الْأَمِينُ
سَيْفٌ عَمَرُو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا خَيْرَ مَا أَعْمَدَتْ عَلَيْهِ الْجَفُونُ
أَخْضَرَ اللَّوْنَ بَيْنَ خَدَيْهِ بَرْدٌ مِنْ ذُعَافٍ يَمِيسُ فِيهِ الْمُنُونُ^(١)
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ الصَّوَاعِقُ نَارًا ثُمَّ شَابَتْ فِيهِ الذُّعَافُ الْقِيُونُ^(٢)
فَإِذَا مَا سَلَّتْهُ بِهِرُ الشَّمْسِ ضِيَاءٌ فَلَمْ تَكُدْ تَسْتَبِينُ
مَا يُبَالَى مَنْ أَنْتَضَاهُ لِحَرْبٍ أَشْهَالٌ سَطَّتْ بِهِ أَوْ يَمِينُ
يَسْتَطِيرُ الْأَبْصَارُ كَالْقَبَسِ الْمَشْعَلِ مَا تَسْتَقِرُّ فِيهِ الْعِيُونُ
وَكَأَنَّ الْفِرْنَدَ وَالْجَوْهَرَ وَالْجَا رَى عَلَى صَفْحَتَيْهِ مَا لَا مَعِينُ
نِعْمَ مَخْرَاقُ ذِي الْحَفِیْظَةِ فِي الْهَيْبِ جَاءَ يَعْصَى بِهِ وَنِعْمَ الْقَرِينُ

قال موسى : أصبت ما فى نفسى ، واستخفَّه [الفرخ] فأمر له بالمِكتَلِ
والسيف ؛ فلما خرج قال للشعراء : إنما حرمت من أجلى ، فشأنكم المِكتَلِ

(١) الذعاف — بضم الدال بزة غراب — السم ، ويميس : يتبختر ، والنون :
الموت (م)

(٢) شابت : خلطت ، والقيون : جمع قين ، وهو الحداد (م)

وفي السيف غناى [فقام موسى] فاشترى منه السيف بمالٍ جليل .

البحترى :

قد جُدَّتْ بِالطَّرْفِ الْجَوَادِ فَشَنَّهُ لَأَخِيكَ مِنْ جَدْوَى يَدَيْكَ بِمَنْصُلٍ^(١)
يتناول الروحَ البعيدَ مناله عفواً ، ويفتح في الفضاءِ المَقْفَلِ
بإنارةٍ في كلِّ حَتَفٍ مَظْلَمٍ وهدايةٍ في كلِّ نفسٍ مَجهَلِ
يَفْشَى الوغى فالترس ليس بِجَنَّةٍ مِنْ حَدَّةٍ ، والدَّرْعُ أَيْسُ بِمَعْقِلِ
ماضٍ وإِنْ لَمْ تُنْمِضْهُ يَدُ فَارَسٍ بطلٍ ، ومَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ
مُضْغِعٍ إِلَى حُكْمِ الرَّدَى إِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفِتْ ، وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ
مَتَوَقَّدٌ يَفْرِى بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوْ أَمَّهَا فِي يَدُبِلِ^(٢)
فَكَأَنَّ فَارِسَهُ إِذَا اسْتَعَصَى بِهِ الزَّ حَفَانٌ يَعِصَى بِالسَّمَاءِ الْأَعْزَلِ^(٣)
إِذَا أَصَابَ فَكُلَّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلِ
حَلَّتْ حَمَالُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذُبِلِ
وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هَانِيٍّ لِلْمَعَزِ :
عَجَبًا لِمَنْصُلِكَ الْمُقَلَّدَ كَيْفَ لَمْ تَسِيلِ النُّفُوسُ عَلَيْكَ مِنْهُ مَسِيلًا
لَمْ يَخْلُ جِبَارُ الْمُلُوكِ بِذِكْرِهِ إِلَّا تَشَحَّطَ فِي الدَّمَاءِ قَتِيلًا
فَإِذَا رَأَيْنَاهُ رَأَيْنَا عِلَّةَ لِلنِّيرَاتِ وَنِيرًا مَغُولًا
بِكَ حَسَنَهُ مِنْقَلَدًا وَبِهَآؤُهُ مَتَنَسَكَبًا وَمَضَاؤُهُ مَسْلُولًا
فَإِذَا غَضِبْتَ عَلْتَهُ دُونَكَ رُبْدَةٌ يَغْدُو بِهَا طَرْفُ الزَّمَانِ كَحِيلًا
وَإِذَا طَرَبْتَ إِلَى الرِّضَا أَهْدَى إِلَى شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ عَارِضًا مَصْقُولًا
كَتَبَ الْفَرِيدُ نَدْعَاهُ عَلَيْهِ بَعْضَ صِفَاتِكَ فَعَرَفْتُ فِيهِ التَّسَاجُ وَالْإِكْلِيلَا

(١) الطرف - بلاكسر - الفرس ، والجدوى : العطاء ، والمنصل : السيف

(٢) يفرى : يقطع ، وفي نسخة « يبرى بأول ضربة » ولها وجه (م)

(٣) في الديوان « فكأن شاهره » وهى خير مما هنا ، وفي نسخة « استعصى

به في الزحف » (م)

وقال :

هل يدنيتي من فنائك ساجحٌ مَرَحٌ وجائلة التسويع أمونٌ
ومهندٌ فيه الفريدُ كأنه درّ له خلفُ الفراتِ كمينٌ
غضب المضارب مقفرا من أعين لكنه من أنفس مسكون
وأهدى الكندي إلى بعض إخوانه سيفاً، فكتب إليه : « الحمد لله الذي
خصلك بمنافع كمنافع ما أهديت ، وجعلك تهتزُّ للمكارم اهتزاز الصارم ، وتمضي
في الأمور مضاه حده الماثور ، وتصون عرضك بالإرفاد ^(١) ، كما تُصانُ السيوفُ
بالأغاد ، ويطرد ماء الحياء في صفحات خدك المشوف ، كما يشف الرونقُ
في صفائح السيوف ، وتصلُّ شرفك بالعطيات ، كما تصقلُ متونُ
المشرفيات .

[وفد الشام بين يدَي المنصور]

قدم على أبي جعفر المنصور وفدٌ من الشام بعد انهزام عبد الله بن علي ، وفيهم
الحارث بن عبد الرحمن الغفاري ، فتكلّم جماعة منهم ، ثم قام الحارث فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ إنا لسنا وفدٌ مباهاة ، ولكننا وفدٌ توبة استخفّت حليمنا ؛ فنحن
بما قدمنا معترفون ، وبما سلف منا مُعتذرون ، فإن تعاقبنا فيما أجرمنا ، وإن
تعفُّ عنا فطالما أحسنت إلى من أساء ، فقال المنصور : أنت خطيب القوم ، وردّ
عليه ضياعه بالغوطة .

وقال رجلٌ من أهل الشام للمنصور : يا أمير المؤمنين ، من انتقم فقد شفى
غيطه وانتصف ، ومن عفا تفضل ، ومن أخذ حقه لم يحبّ شكره ولم يذكر
فضله ، وكظم الغيظ حلم ، والتشفي طرفٌ من الجزع ، ولم يمدح أهل التقى والنهى
من كان حليماً بشدة العقاب ، ولكن بحسن الصفح والاعتذار وشدة التغافل ،

وبعدُ فالعاقِب مستدِيعٌ لعداوةِ أوليائِ المذنبِ ، والعاقِب مستدِيعٌ لشكرهم آمينٌ من مكافأهم ، ولأنَّ يُذَنِّي عليكِ بِاتِّسَاعِ الصدرِ خيرٌ من أن توصفَ بِضيقِهِ ، على أنَّ إقبالكَ عِثراتِ عبادِ الله موجبٌ لإفالةِ عِثرتِكَ من ربِّهم ، وموصولٌ بصفوه ، وعقابُكَ إياهم موصولٌ بمقابهِ ، قال الله عز وجل : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

[بعض ما قيل في العفو]

وقال بعض الكتاب لرئيسه وقد عتب عليه : « إذا كنتَ لم تَرْضَ مِنِّي بالإساءةِ فلم رضيت من نفسك بالمكافأة » .

وأذنب زجلٌ من بنى هاشم فقبضه المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ حمل مثلَ دالتي ، ولم يسُ قَوْبٌ حرمتي ، غُفِرَ له مثلُ زَلَّتِي ، قال : صدقتَ وعفا عنه . ولما دخل بعضُ الكتاب على أميرٍ بعد نكبةٍ نالتَه فرأى من الأمير بعضَ الازدراء ، فقال له : لا يَصْغِي عندكَ خولُ النبوةِ ، وزوالُ البروةِ ؛ فإنَّ السيفَ العتيق إذا مسَّهُ كثيرُ الصدا أَسْتَغْنَى بِقَلِيلِ الْجَلَاءِ حَتَّى يَعُودَ حَدُّهُ ، ويظهر فِرْنَدُهُ ؛ ولم أَصِفْ نَفْسِي عَجَبًا ، لكن شكرًا . وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرفُ ولدِ آدمَ ولا خِرَ » ؛ فجهر بالشكر ، وترك الاستِطالةَ بالكبر .

[تميم بن جميل والمعتصم]

وكان تميم بن جميل السدوسي [قد أقام] بشاطئ الفرات ، واجتمع إليه كثيرٌ من الأعراب ، فعظُم أمرُهُ ، وبمَدِّ ذكرِهِ ؛ فكتب المعتصمُ إلى مالك بن طوق في النهوض إليه ، فتبدَّد جمْعُهُ ، وظفر به فحملَهُ مَوْثَقًا ^(١) إلى باب المعتصم ، فقال أحمد بن أبي داود : مارأيتُ رجلًا عاين الموت ، فهاهنا ولا شغلَهُ عما كان يجبُ عليه أن يفعلَهُ إلا تميم بن جميل ؛ فإنه لما مثلَ بين يدي المعتصم وأحضر

(١) في نسخة « من حمل مثل جمالي » (م)

(٢) تبدد جمعه : تفرق المجتمعون إليه (م)

(٣) في نسخة « حملهُ مستوثقًا » وليس بذلك (م)

السيف والنطع ، ووقف بينهما ، تأمله المعتصم — وكان جميلا وسيما — فأحب أن يعلم أين لسانه من منظره ، فقال : تكلم يا تميم ، فقال :
 أما إذ أذنت يا أمير المؤمنين فأنا أقول : الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه
 وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، [يا أمير
 المؤمنين :] جبر [الله] بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأوضح
 بك سبل الحق ، وأخذ بك شهاب الباطل ؛ إن الذنوب تخرس الألسن
 الفصيحة ، وتغيب الأفئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريمة ، وانقطع الحجة
 وساء الظن ، فلم يبق إلا عفوك وانتقامك ، وأرجو أن يكون أقربها مني
 وأسرعها إلى أشبههما بك ، وأولاهما بكرمك ، ثم قال :

أرى الموت بين السيف والنطع كما نأى
 وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي
 وأي امرئ يأتي بعذر وحجة
 وما جزعي من أن أموت وإني
 ولكن خافي صبيحة قد تركتهم
 فإن عشت عاشوا سالمين يغبطة
 وكم قاتل لا يبعد الله داره
 فتبسم المعتصم وقال : يا جميل ، قد وهبتك للصبيحة ، وغفرت لك الصبوة ،
 ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه ، وعقد له على شاطئ الفرات .

[من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر]

وكتب المعتصم — حين صارت إليه الخلافة — إلى عبد الله بن طاهر : عافانا الله
 وإياك ، قد كانت في قلبي منك هنات غفرها الاقتدار^(٣) ، وبقيت حزازات أخاف
 منها عليك عند نظري إليك ؛ فإن أتاك ألف كتاب أستقدمك فيه فلا تقدم ،

(١) أصلت السيف : أخرجه من غمده (م)

(٢) موقت : له وقت محدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر (م)

(٣) في نسخة « هفوات غفرها الاقتدار » (م)

وَحَسْبُكَ مَعْرِفَةً بِمَا أَنَا مُنْظَوْرٌ لَكَ عَلَيْهِ إِطْلَاعِي إِيَّاكَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِي مِنْكَ ،
والسلام .

[الخليفة المعتصم]

قال العباسُ بن المأمون : وَلَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ دَخَلْتُ ، فَقَالَ :
هَذَا مَجْلِسٌ كُنْتُ أَكْرَهُ النَّاسَ الْجُلُوسَ فِيهِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْتَ
تَعْفُو عَمَّا تَيَقَّنْتَهُ ، فَكَيْفَ تَعَاقِبُ عَلَى مَا تَوَهَّمْتَهُ ؟ فَقَالَ : لَوْ أُرِدْتُ عِقَابَكَ
لَتَرَكْتُ عِقَابَكَ .

وكان المعتصم شهماً ، شجاعاً ، عاقلاً ، مفوَّهاً ، ولم يكن في [خلفاء] بني العباس
أُمِّيٌّ غَيْرُهُ ؛ وَقِيلَ : [بل كان يكتبُ خطاً ضعيفاً ، و] كان سبب ذلك أنه رأى
جنازة لبعض الخدم ، فقال : لَيْتَنِي مِثْلُهُ لَأُتَخَلَّصَ مِنَ الْكُتَّابِ ! فقال الرشيد :
وَاللَّهِ لَا عَذَابَ لَكَ بِشَيْءٍ تَخْتَارُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ .

قال أبو القاسم الزجاجي : وهذا شيء يُخَسِّكِي مِنْ غَيْرِ رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ ،
إِلَّا أَنْ جَمَلْتُهُ أَنَّهُ كَانَ ضَعِيفَ الْبَصَرِ بِالْعَرَبِيَّةِ .

وَقَرَأَ أَحْمَدُ بْنُ عِمَارٍ الْمَذْرُوعُ^(١) - وَكَانَ يَتَقَلَّدُ الْعَرَضَ عَلَيْهِ فِي الْحَضَرَةِ - كِتَابًا فِيهِ :
« وَمَطَرْنَا مَطَرًا كَثُرَ عَنْهُ الْكَلَاءُ » فَقَالَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ : مَا الْكَلَاءُ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي .
فَقَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! خَلِيفَةُ أُمِّيٍّ وَكَاتِبُ أُمِّيٍّ ! ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَقْرُبُ
مَنَا مِنْ كِتَابِ الدَّارِ ؟ فَعَرَفَ مَكَانَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ ، وَكَانَ يَتَوَلَّى قَهْرَمَةَ
الدَّارِ ، وَبُشْرِفُ عَلَى الْمَطْبُخِ ، فَأَحْضَرَهُ ، فَقَالَ : مَا الْكَلَاءُ ؟ فَقَالَ : النَّبَاتُ كُلُّهُ
رَطْبُهُ وَيَابِسُهُ ؛ فَارْطَبْ مِنْهُ خَاصَّةً يُقَالُ لَهُ خَلَاءٌ ، وَمِنْهُ سَمِيَّتِ الْخَلَاءَةُ ، وَالْيَابِسُ
يُقَالُ لَهُ حَشِيشٌ ؛ ثُمَّ انْدَفَعَ فِي صِفَاتِ النَّبَاتِ مِنْ ابْتِدَائِهِ إِلَى اكْتِمَالِهِ إِلَى هَيْجِهِ ،
فَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ الْمُعْتَصِمُ ، وَوَلَّاهُ الْعَرَضَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَلَمْ يَزَلْ وَزِيرًا مَدَّةَ خِلَافَتِهِ
[وَخِلَافَةِ الْوَائِقِ] ، حَتَّى نَكَبَهُ الْمُتَوَكِّلُ بِحَقْدِهِ عَلَيْهِ أَيَّامَ أَخِيهِ الْوَائِقِ .

(١) فِي نَسْخَةِ « أَحْمَدُ بْنُ عِمَارٍ الشَّيْذَرِيُّ » (م)

المعتصم يكتب
ملك الروم
وقال الرياشي : كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه ، فأمر بجوابه ،
فلما قرئ عليه لم يَرْضَ ما فيه ، وقال لبعض الكتاب : اكتب « أما بعد فقد
قرأت كتابك ، وفهمت خطابك ، والجواب ما ترى ، لا ما تسمع ، وسيعلم
الكافر لمن عُفِيَ الدار » .

بين الحجاج
وقطرى
بن الفجاءة
وهذا نظير قول قطرى للحجاج ، وقد كتب إليه كتاباً يتهدده ، فأجابه
قطرى : أما بعد ، فالحمد لله الذي لو شاء لجمع شخصيناً : فعلت أن مُثاقفة
الرجال [أقوم] من تَسْطِيرِ المَقَال ، والسلام ^(١) .

[كتب بن معدان الأشعري عند الحجاج]

[ووصفه بنى المهلب بن أبي صفرة]

ولما افتتح المهلبُ خراسان ، وَتَقَى الخوارج عنها ، وتفرقت الأزارقة كتب
الحجاجُ إليه أن اكتب لي بخبر الواقعة ، وشرح لي القصة حتى كأني شاهدها ؛
فبعث إليه المهلبُ كتب بن معدان الأشعري ، فأنشده قصيدة فيها ستون بيتاً
تقتصُّ خبرهم لا يخرم منه شيئاً ؛ فقال له الحجاج : أخطيب أم شاعر ؟ قال له :
كلاهما ، أعزَّ الله الأمير ! قال : أخبرني عن بنى المهلب ، فقال له : المغيرة سيدهم ،
وكفالك يزيد فارساً ، وما لقي الأبطال مثل حبيب ، وما يستحي شجاع أن يفرَّ
من مُدْرِك ، وعبد الملك موتٌ [ذُعاف وسم] نافع ، وحسبك بالفضل في
التجدة ، واستجهز قبيصة ، ومحمد ليث غاب ، فقال الحجاج : ما أراك فضلت
عليهم واحداً منهم ؛ فأخبرني عن جلتهم ومن أفضلهم ؟ فقال : هم - أعزَّ الله
الأمير! - كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها ، قال : إن خبرَ حرِّكم كان يبلغني
عظيماً ، أفكذلك كان ؟ قال : نعم أيها الأمير ، والسماع دون العيان . قال :
أخبرني كيف رَضَا المهلبُ عن جنده ورَضَا جنده عنه ؟ قال : أعزَّ الله الأمير ،

(١) في نسخة « من تَسْطِيرِ المَقَال والقلم » وفي أخرى « من تَسْطِيرِ المَقَال
والسلم » وكلاهما تحريف ما أثبتناه (م)

له عليهم شفقة الوالد ، ولهم به برّ الولد . قال : أخبرني كيف فاتكم قطري ؟ قال : كدناؤه في منزله فتحول عنه ، وتوهم أنه كادنا بذلك ، قال : فهلا اتبعتموه ، قال : الكلب إذا أجحز عقر ، قال : المهلب كان أعلم بك حيث أرسلك .

[بشر بن مالك عند الحجاج]

[يصف أبناء المهلب أيضاً]

وقد روى أن المهلب لما فرغ من قتل عبد ربه الحروري دعا بشر بن مالك فأنفذه بالبشارة إلى الحجاج ، فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشر بن مالك ، فقال الحجاج : بشارة وملك ! وكيف خلقت المهلب ؟ قال : خلفته وقد أمن ما خاف ، وأدرك ما طلب ، قال : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كانت البداء لهم ، والعاقبة لنا ، قال الحجاج : العاقبة للمتقين ، ثم قال : فما حال الجند ؟ قال : وسهم الحق ، وأغناهم النفل ، وإني لمع رجل يسوسهم سياسة الملوك ، ويقا تلُ بهم قتال الصعلوك ، فلهم منه برّ الوالد ، وله منهم طاعة الولد ، قال : فما حال ولد المهلب ؟ قال : رعاة البيات حتى يؤمنوه ، وحماة السريح حتى يردوه ، قال : فأيهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أيهم ، قال : وأنت أيضاً ، فإني أرى لك لساناً وعبرة ، قال : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها ، قال : ويحك ! أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله .

[أبو الصقر وصاعد بن مخلد]

ودخل أبو الصقر قبل وزارته على صاعد بن مخلد ، وهو الوزير حينئذ ، وفي المجلس أبو العباس بن ثوابة ، فسأل الوزير عن رجل ، فقال : أننى ، يريد نفي ، فقال ابن ثوابة : فى الحرء ، فتضاحك به أهل المجلس ، فقام أبو الصقر مُغَضَّباً^(١) .

(١) هذه القصة قد وردت بعبارات مختلفة فى نسخ هذا الكتاب ، وقد اخترنا أقرب هذه العبارات إلى الاستقامة (م)

[أبو العيناء وابن ثوابة]

وكان أبو العيناء يُعَادِي ابنَ ثَوَابَةِ لِمُعَادَاتِهِ لِأَبِي صَقْر ؛ فَاجْتَمَعَا فِي مَجْلِسٍ صَاعِدٍ فِي غَدِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَتَلَا حَيًّا ، فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَةِ : أَمَا تَعْرِفَنِي ؟ فَقَالَ : بَلَى أَعْرِفُكَ ضَيِّقَ الطَّمَنِ ، كَثِيرَ الْوَسَنِ ، خَارًّا عَلَى الذَّقَنِ ، وَقَدْ بَلَغَنِي تَعْدِيكَ عَلَى أَبِي الصَّقْرِ ، وَإِنَّمَا حَلَمْتُ عَنْكَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْذِلْكَ عِزًّا فَيَذَلَّهُ ، وَلَا عُلُوًّا فَيُضَعِّمَهُ ، وَلَا يَجِدُ أَفْهَمَهُ ؛ فَعَافَ لِحَمَلِكَ أَنْ يَأْكُلَهُ ، وَدَمَكَ أَنْ يَسْفِكَهُ ، فَقَالَ ابْنُ ثَوَابَةِ : مَا تَسَابَ إِنْسَانَانِ إِلَّا غَلَبَ الْأَمَهَا ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ : فَلِهَذَا غَلِبْتَ بِالْأَمْسِ أَبَا الصَّقْرِ !

[من مكارم أبي الصقر]

وَمَا يُعَدُّ مِنْ مَكَارِمِ أَبِي الصَّقْرِ أَنَّ ابْنَ ثَوَابَةَ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي وَزَارَتِهِ ، فَقَالَ : تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ، فَقَالَ أَبُو الصَّقْرِ : لَا تُثْرِبَ عَلَيْكَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ [وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] ، فَمَا قَصَّرَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ ، مَدَّةَ وَزَارَتِهِ .

[أبو الصقر وأبو العيناء]

وَمَا وَلَّى أَبُو الصَّقْرِ الْوِزَارَةَ خَيْرَ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِيمَا يُحِبُّهُ حَتَّى يَفْعَلَهُ بِهِ ، فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ [لِی الْوَزِيرَ] إِلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّائِي يَعْرِفُهُ مَكَانِي ، وَيُلْزِمُهُ قَضَاءَ حَقِّ مِثْلِي .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا بِخَطِّهِ ، فَوَصَّلَهُ إِلَى الطَّائِي ، فَسَبَّبَ لَهُ فِي مَدَّةِ شَهْرٍ مَقْدَارَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعَاشِرَهُ أَجَلَ عَشْرَةٍ ، فَانصَرَفَ بِمَجْمِيعِ مَا يُحِبُّهُ

وَكُتِبَ إِلَى أَبِي الصَّقْرِ كِتَابًا مَضمُنُهُ : أَنَا - أَعَزُّكَ اللَّهُ - طَلِيقُكَ مِنَ الْفَقْرِ ، وَنَقِيزُكَ مِنَ الْبُؤْسِ ، أَخَذْتَ بِيَدِي عِنْدَ عَثْرَةِ الدَّهْرِ ، وَكُنْبُورَةِ الْكِبَرِ ، وَعَلَى أَيْةِ حَالٍ حِينَ فَقَدْتَ الْأَوْلِيَاءَ وَالْأَشْكَالَ وَالْإِخْوَانَ وَالْأَمَثَالَ ، الَّذِينَ يَفْهَمُونَ فِي غَيْرِ تَعَمُّبٍ ، وَهُمْ النَّاسُ الَّذِينَ كَانُوا غِيَاثًا لِلنَّاسِ ، فَحَلَّتْ عَقْدَةُ الْخَلَّةِ ، وَرَدَدَتْ إِلَى بَعْدِ النِّفُورِ النِّعْمَةَ ، وَكُتِبَتْ لِي كِتَابًا إِلَى الطَّائِي ، فَكَأَنَّمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْكَ ، أَتَيْتُهُ وَقَدْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَى الْأُمُورِ ، وَأَحَاطَتْ بِي النَّوَائِبُ ؛ فَكَثُرَ مِنْ بَشْرِهِ ، وَبَذَلَ مِنْ يُسْرِهِ ، وَأَعْطَى مِنْ مَالِهِ أَكْرَمَهُ ، وَمِنْ بَرِّهِ أَحْكَمَهُ ، مُكْرِمًا لِي

كتاب من
أبي العيناء
إلى أبي الصقر

مدة ما أقمت ، ومنقلاي من فوائده لما ودّعت ، حكمتي في ماله فتحكمت ،
وأنت تعرف جوري إذا تمكنت ، وزادني من طوله فشكرت ؛ فأحسن الله
جزاءك ، وأعظم جباك ، وقدمني أمامك ، وأعاذني من فقدك وحاميك ؛ فقد
أنفقت على مما مملكتك الله ، وأنفقت من الشكر ما يسره الله لي ، والله
عز وجل يقول : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ .) فالحمد لله الذي جعل لك اليد
الغالبة ، والرتبة الشريفة ، لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسط فيها من عدل ،
وبث فيها من ريفك .

[أبو العيناء يذم ابن الخصيب]

قطعة مختارة من نسخة الكتاب الذي عمله أبو العيناء في ذم أحد بن الخصيب
لما نكب على السنة الكتاب والقواد وأرباب الذولة [في ذلك الوقت] .
قال : ذكره محمد بن عبد الله بن طاهر فقال : ما زال يخرق ولا يرقع . ومازلت
أتوقع له الذي وقع فيه . [وذكره أنا مش ، فقال : غدر بمن آثره ، وتخطى إلى
مالا يقدره ، فحل به ما يحذر . وذكره بغاء فقال : أبطرت النعمة ، ففجأت النعمة]
وذكره وصيف فقال : ترك العقلاء على يأس مرتبته ، والحُمقى على رجاء درجته ؛
وذكره موسى بن بغاء فقال : لولا أن القدر يعشى البصر ، لما نهى فينا ولا أمر . وذكره
فارس بن بغاء فقال : لم تتم له نعمة ؛ لأنه لم تكن له في الخير همة . وذكره الفضل
ابن العباس فقال : إن لم يكن تاريخ البلاء فما أعظم البلوى . وذكره هرون بن عيسى
فقال : كانت دواة من دُول المجانين ، خرجت من الدنيا والدين . وذكره المعلّى بن
أيوب ، فقليل له : ما أعجب ما نكب ، فقال : نعمته أعجب من نكبتة ! وذكره
ميمون بن إبراهيم ، فقال : لو تأمل فماله فاجتنبها ، لاستغنى عن الآداب أن يطلبها !
وذكره محمد بن نجاح فقال : لئن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد عظمت
المصيبة على قوم نزل فيهم ! وذكره علي بن [يحيى بن] المنجم ، فقال : لم يكن له أول

يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَلَا آخِرَ يَعُودَ عَلَيْهِ ، وَلَا عَقْلَ فَيَزْكُو لَدَيْهِ ! وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرِ الْمَنْجَمِ فَقَالَ : [قَبَّحَهُ اللَّهُ] إِنْ ذَكَرْتَ ذَا فَضْلٍ تَنْقُصُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ ضِدِّهِ ، أَوْ ذَكَرْتَ ذَا نَقْصٍ تَوْلَاهُ لِمَا فِيهِ مِنْ شَكْلِهِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ ثَوَابَةِ فَقَالَ : أَمْرٌ أَسَاءَ عِشْرَةَ الْأَحْرَارِ ، فَأَصْبَحَ مَقْفِرَ الدِّيَارِ . وَذَكَرَهُ حُجَّاجُ بْنُ هُرُونَ فَقَالَ : مَا كَانَ لَهُ فِي الشَّرَفِ أَسْبَابٌ مِثْلَانِ ، وَلَا فِي الْخَيْرِ عَادَاتٌ حَسَنَانِ . وَذَكَرَهُ [أَحْمَدُ بْنُ حَمْدُونَ] فَقَالَ : إِنْ مَنَحَتْهُ الْقُدْرَةُ لَقَدْ حَمَلَتْهُ النِّكْبَةُ . وَذَكَرَهُ [مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ] فَقَالَ : مَا زَالَ يَسْتَوْحِشُ بِالنِّعْمَةِ حَتَّى أَنْسَ بِالنِّعْمَةِ وَذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرَّاسٍ فَقَالَ : كُنْتُ إِذَا نَصَحْتُهِ زَنَانِي ، وَإِذَا غَشِشْتُهُ مَنَانِي . وَذَكَرَهُ أَبُو صَالِحٍ بْنُ عِمَارٍ فَقَالَ : ثَلَاثٌ عَلَا بِحِظِّ لَقْدِ انْحَطَّ بِحَقِّ . وَذَكَرَهُ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ فَقَالَ : إِذَا أَصَابَ أَحْجَمٌ ، وَإِذَا أَخْطَأَ صَمٌّ .

[أَبُو بَكْرٍ سَيُوبَةُ وَأَهْلُ مِصْرَ]

وَكَانَ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِمِصْرَ أَبُو بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ بِسَيُوبَةَ نَاقِلَةُ الْبَصْرَةِ يُشَبِّهُهُ فِي حَضُورِ جَوَابِهِ وَخَطَابِهِ ، وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ ، وَكَثْرَةِ رِوَايَتِهِ ، وَكَانَ قَدْ تَنَاوَلَ الْبِلَازُورَ^(١) ؛ فَمَرَضَتْ لَهُ مِنْهُ لُؤْثَةٌ^(٢) ، وَكَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ وَيَكْتُبُونَ عَنْهُ مَا يَقُولُ .

قَالَ يَوْمًا لِلْمِصْرِيِّينَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، أَصْحَابُنَا الْبَغْدَادِيُّونَ أَحَزَمُ مِنْكُمْ ، لَا يَقُولُونَ بِالْوَلَدِ ، حَتَّى يَتَّخِذُوا لَهُ الْعُقْدَ وَالْمَدَدَ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَعْتَزَّلُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْعَقَارِ خَوْفًا أَنْ يَمْلِكَهُمْ سِوَهُ الْجَوَارِ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَكْنِزُونَ . وَلَا يَقُولُونَ بِاتِّخَاذِ الْحِرَائِرِ خَوْفًا أَنْ تَتَوَقَّ نَفْسُهُمْ إِلَى السَّرَّارِيِّ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَتَسَرَّوْنَ . وَلَا يَقُولُونَ أَوَّلًا بِإِظْهَارِ الْغِنَى [فِي مَكَانٍ] عُرِفُوا فِيهِ بِالْفَقْرِ ؛ فَهَمُّ أَوَّلًا يَسَافِرُونَ .

وَوَقَفَ يَوْمًا بِالْجَامِعِ وَقَدْ أَخَذَتْ الْخَلْقَ مَأْخِذَهَا ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ مِصْرَ ، حَيْطَانُ

(١) الْبِلَازُورُ : شَجَرٌ هِنْدِيٌّ يَعْلُو كَالْجُوزِ ، وَرَقُهُ عَرِيضٌ أَغْبَرُ سَبْطُ حَادِ الرَّائِحَةِ

إِذَا نَامَ تَحْتَهُ شَخْصٌ سَكِرَ ، وَرَبَّمَا عَرِضَ لَهُ السَّبَاتُ ، وَهُوَ يَضُرُّ الْمَحْرُورِينَ . وَيُثَرِّقُ

الْقَمَّ وَالْبَدْنَ ، وَيَقْرَحُ ، وَيُورِثُ الْبَرَسَامَ وَالْمَالِيخُولِيَا (م)

(٢) الْلُؤْثَةُ - بَضْمُ اللَّامِ - الْحُمَقُ ، وَالْهَيْجُ ، وَمَسُّ الْجَنُونِ (م)

المقابر أنفعُ منكم ، يُسْتَنْزَهُ بِهَا مِنَ النَّعْبِ ، وَيُسْتَدْفَأُ بِهَا مِنَ الرِّيحِ ، وَيُسْتَغْلَى بِهَا مِنَ الشَّمْسِ . وَالبَهَائِمُ خَيْرٌ مِنْكُمْ تُنْمَتُ عَلَى ظُهُورِهَا ، وَتُخْتَذَى جُلُودُهَا ، وَتُؤْكَلُ لَحُومُهَا . وَكَانَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ خَنْزَابَةَ الْوَزِيرُ ، رَبَّمَا رَفَعَ أَنْفَهُ تَيْهًا ، فَقَالَ لَهُ سَيَبُويَه ، وَقَدْ رَأَى فِعْلَ ذَلِكَ : أَشَمُّ مِنْ الْوَزِيرِ رَائِحَةً كَرِيهَةً فَشَمَّرَ أَنْفَهُ ، فَأَطْرَقَ وَاسْتَعْمَلَ السَّهْوُضَ ، فَخَرَجَ سَيَبُويَه ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ عِنْدِ الزَّاهِي بِنَفْسِهِ ، الْمَدْلُ بِفَرَسِهِ ^(١) ، الْمُسْتَطِيلُ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ .

وَاسْتَأْذَنَ عَلَى مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْعُلُويِّ ، وَمُسْلِمٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ نَزَلَ مِصْرَ ، فَحُجِبَ عَنْهُ ، فَقَالَ : قُولُوا لَهُ : يَرْجِعُ إِلَى لِبْسِ الْعَبَاءِ ، وَمَصِّ النَّوَى ، وَوُسْكَئِي الْفَلَا ، فَهُوَ أَشْبَهُهُ بِهِ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا .

وَكَانَ عَلَى شَرْطٍ كَافُورُ الْإِخْشِيدِي أَحَدُ الْخَاصَّةِ ، فَوُجِدَ عَلَيْهِ سَيَبُويَه فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ، فَعُزِّلَ عَنِ الشَّرْطَةِ ، فَوَلِيَهَا رَكِي ^(٢) صَاحِبُ الرَّاضِي ، فَلَمْ يَحْمَدْهُ أَيْضًا ، فَوَقَّفَ لِكَافُورٍ وَهُوَ مَارٌّ إِلَى الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الْأُسْتَاذُ ، وَلَيْتَ ظَلَمًا ، وَعُزِّلْتَ ظَالِمًا ، قَلِيلُ الْوَفَاءِ ، كَثِيرُ الْخِفَاءِ ، غَلِيظُ الْقَفَا . فَتَبَسَّمَ ابْنُ بَرْكٍ الْبَغْدَادِيُّ ، وَكَانَ يَسَابِرُ كَافُورًا ، فَقَالَ : وَهَذَا ابْنُ بَرْكٍ مِمَّنْ يَغْرُكُ ، لَنْ يَنْفَعَكَ وَلَنْ يَضُرَّكَ .

وَأَخْلَى الْحَمَامُ لِمَفْلَحِ الْحُسَيْنِيِّ ، فَأَتَى سَيَبُويَه لِيَدْخُلَ ، فَمُنِعَ ، وَقِيلَ : الْأَمِيرُ مَفْلَحٌ بِهِ ، فَقَالَ : لَا أَنْتَ اللَّهُ مَغْسُولُهُ ، وَلَا بَلْفُهُ سُؤْلُهُ ، وَلَا وَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ مَهْوُولُهُ ، وَجَلَسَ حَتَّى خَرَجَ ، فَقَالَ : إِنْ الْحَمَامُ [لَا يُخْلَى إِلَّا] لِأَحَدٍ ثَلَاثَةً : مَبْتَلَى فِي قُبْلِهِ ، أَوْ مَبْتَلَى فِي دُبُرِهِ ، أَوْ سُلْطَانٌ يَخَافُ مِنْ شَرِّهِ ، فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْمَقْدَمُ .

وَأَحْضَرَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَازَنُ فَقَالَ : قَدْ بَلَغَنِي بَذَاهُ لِسَانِكَ ، وَقَبِيحُ

(١) فِي نَسْخَةِ « الْمَدْلُ بِطَقْسِهِ » (م) (٢) فِي نَسْخَةِ « زَكِي » (م)

معاملتك للأشراف ؛ فاحذَر أن تعودَ فينالك منى أشدُّ العقوبة ؛ فخرج [متحزنا فكان] الولدان يتولّعون به ويذكرون له الخازن ، فيشتدّ عليه ذلك ، فينصرف ولا يكلمهم ؛ فرّبه رجل يكنى أبا بكر من ولد عقبة بن أبي معيط ، و غلامٌ قد ألحَّ عليه^(١) بذلك ، فضحك المعيط ، فقال للغلام : ضرب الله عنق الخازن كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عنق عقبة بن أبي معيط على الكفر ، وضرب ظهرَ أبيك بالسوط كما ضرب عليّ بن أبي طالب بأمر عثمان رضى الله عنهما ظهر الوليد بن عقبة على شرب الخمر ، وألحقك يا صبيّ بالصّدبة ، يريد قولَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له عتجة لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بقتله : « فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ » ؟ قال : النارُ لك ولهم فانصرف المعيط و بطنُ الأرضِ أحبُّ إليه من ظهرِها .

[رَجَعَ إِلَى أَبِي الْعِيَاء]

وقال أبو العيَاء : أنا أوّل من أظهر العقوقَ لوالديه بالبصرة ، قال لى أبي : إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِي ، فقال تعالى : (أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) فقلتُ : يا أبت ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَنَنِي عَلَيْكَ ، وَلَمْ يَأْمَنْكَ عَلَى ، فقال تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) .

وقال أعرابي لأبيه : يا أبت ، إن كبيرَ حَقِّكَ لا يبطل صغيرُ حَقِّكَ عَلَيْكَ ، والذي تَمَتَّ به إلى أمتٍ مثله إليك ، ولست أزعُمُ أناسواء ، ولكن لا يحلُّ لك الاعتداه .

ودخل على عبيد الله بن سليمان فضمّه إليه ، فقال : أنا إلى ضمِّ الكفاية أحوجُ منى إلى ضمِّ اليدين .

وقال له مرة : أنا معك مقبوض الظاهر ، مرحوم الباطن^(٢) .

(١) في نسخة « و غلام قد ألح عليه بذلك » (م)

(٢) في نسخة « أنا معك مقبوض الظاهر موجود الباطن » (م)

قال أبو الطيب المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها أنى بما أنا بك منه محسود
وقال له رجل : يا مخنثُ ، فقال : وضربَ لنا مثلاً ونسيَ خلقه !

[كلمات لأبي العيناء]

وذكر أبو العيناء محمد بن يحيى بن خالد بن برمك، فقال : بأبى وأمى دَامَ
الْوَجْهُ الطَّلَقُ ، والقول الحق ، والوعد الصدق ، نيته أفضلُ من علانيته ، وفعله
أفضل من قوله . وقال له المتوكل : ما أشدَّ ما مرَّ عليك من فَقْدِ بصرِكَ ؟ فقال :
ما حُرِّمَتْ منه من النظر إليك أيها الأمير ! وقال لعبيد الله بن يحيى : مسنا وأهلنا
الضرَّ ، وبضاعتنا الحمدُ والشكر ، وأنت الذى لا يخيب عنده حرٌّ . وقال له يوماً :
قد اشتدَّ الحجاب ، وفحش الحرمان ، فقال : ارفق يا أبا عبد الله ، فقال : لورفقي
فعلك لرفق بك قولى ! وقال له : أيها الوزير ، إذا تغافل أهلُ التفضل هلك أهل
التجمل . وذم رجلاً فقال : لا يعرفُ الحقَّ فينصره ، ولا الباطلَ فيُنكره .
وقيل له : ما أبلغ الكلام ؟ فقال : ما أسكتَ المَبْطِلَ ، وحَيَّرَ الحقَّ . وقيل له :
مات الحسن بن سهل ، فقال : والله لئن أتعب المادحين ، لقد أطلَّ بكاء الباكين
والله لقد أصيب بموته الأنام ، وخرست بفقده الأقلام .

[مما قيل فى الرثاء]

لأشجع بن
عمر والسلى

قال أشجع بن عمرو السلى :

مضى ابنُ سعيدٍ حين لم يَبْقَ مَشْرِقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مادِحٌ
وما كنتُ أدرى ما فواضلُ كفه على الناس حتى غيَّبته الصفايحُ
فأصيحُ فى الحَدِيدِ من الأرض مَيِّتاً وكانت به حَيًّا تَضِيْقُ الصَّحَاحِصُ (١)
كأن لم يميت ميتٌ سواك ولم تَقَمْ على أحَدٍ إلاَّ عليك النوايحُ

(١) الصَّحَاحِصُ : ما استوى من الأرض ، واحدها صحصح بوزن جعفر (م)

فما أنا من رُزءٍ وإنَّ جَلَّ جازعٌ ولا بسرورٍ به — دَ موتِكَ قَارحٌ
 لئن حَسَنْتُ فيكَ المرائي وذَكَرُها لقد حَسَنْتُ من قَبْلُ فيكَ المَدائحُ
 سَأبِكُكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي، فَإِنْ تَغَضُّ فحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُكِنُّ الجَوَارِحُ
 قوله : * وكانت به حياً تَضيقُ الصَّحاحُ * يتعلق بقول الحسين بن مطير

للحسين بن في مَعْن بن زائدة :

مطير في معن
ابن زائدة

أَمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَابِهِ : سَقَمْتُكَ الْغَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
 فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّاحَةِ مَضْجَعًا
 وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ مُتْرَعًا
 بَلَى قَدْ وَسَعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِغْتَ حَتَّى تَصْدَعَا
 فَتَيَّ عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ بَحْرَاهُ مَرْتَعًا
 وَلَمَا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

وهذا كقول عبد الصَّمد بن المَعْدِل في عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي :

لعبد الصمد
ابن المعذل في
عمرو بن سعيد

أَقْبَرُ أَبِي أُمَيَّةَ لَوْ عُلَاهُ حَمَلَتْ إِذَا لَضَغْتَ بِهِ ذِرَاعَا
 حَوَيْتَ الْجُودَ وَالتَّقْوَى وَعَمْرًا فَكَيْفَ أَطَقْتَ يَا قَبْرُ اضْطِلَاعَا
 لِمَوْتِهِمْ — أَمُّ أَطَقْتَ لَهُمْ ضَمَانَا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تُطِقْ اتِّسَاعَا

وقول أشجع : * لئن حَسَنْتُ فيكَ المرائي وذَكَرُها * من قول الخنساء :

للخنساء في
أخيها صخر

يَا صَخْرُ بَعْدَكَ هَاجَنِي اسْتِعْبَارِي شَانِيكَ بَاتَ بِذَلَّتِي وَصَغَارِي
 كُنَّا نَعِدُكَ لَكَ الْمَدَائِحَ مَدَّةً فَالْيَوْمَ صَرْتَ تُنَاحُ بِالْأَشْعَارِ

وقالت جَنُوبُ أُخْتِ عَمْرٍو [ذِي الْكَلْبِ] :

للجنوب في
أخيها عمرو

سَأَلْتُ بَعْمِرٍ أَخِي صَحْبَهُ فَأَفْطَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّوءَ الْآ

فَقَالُوا : أَتَيْحَ لَهُ نَأْمًا
 أَتَيْحَ لَهُ نَمْرًا أَجْبِلُ
 فَأَقْسَمُ يَاعَمْرُو لَوْ بَنَيْكَ
 [إِذَا نَبَهَا لَيْثٌ عَرِيْسَةٌ
 إِذَا نَبَهَا غَيْرَ رَعِيْدَةٍ
 مَا مَعَ تَصْرِفِ رَبِّ الْمَنُونِ
 وَقَالُوا : قَتَلْنَاهُ فِي غَارَةٍ
 فَهَلَّا إِذَا قَبَلَ رَبِّ الْمَنُونِ
 وَقَدْ عَلِمْتَ فَهَمَّ عِنْدَ الْلِقَاءِ
 كَانَهُمْ لَمْ يَحْشَوْا بِهِ
 وَلَمْ يَنْزِلُوا بِمَحْوِلِ السَّنِينِ
 وَقَدْ عَالَ لَمْ الضَّيْفُ وَالْمُرْمُلُونَ
 وَخَلَّتْ عَنْ أَوْلَادِهَا الْمِرْضَعَاتُ
 بِأَنَّكَ كُنْتَ الرِّبِيعُ الْمَقِيثُ
 وَخَرَقَ تَجَاوَزَتْ بِمَجْهَوْلِهِ
 [فَكُنْتَ النَّهَارَ بِهِ شَمْسَهُ
 وَحَى صَبَحَتْ وَحَى أَبْخَتْ
 وَكَمْ مِنْ قَبِيلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
 قَالَ عَمْرُو بْنُ شُبَّةَ : وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ هَذَا يَقْرُؤُ فَهَمَّا فَيَصِيبُ مِنْهُمْ ،
 فَوَضَعُوا لَهُ رَصْدًا عَلَى الْمَاءِ ، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ مَرُّوا بِأَخْتِهِ جَنْوَبَ ، فَقَالُوا : أَخَاكَ !
 فَقَالَتْ : لَيْتَنِي طَلَبْتُمُوهُ لَتَجِدُنَّهُ [مَنِيعًا ، وَلَيْتَنِي ضَفَقْتُمُوهُ لَتَجِدُنَّ مَرِيْعًا ، وَلَيْتَنِي وَعَدْتُمُوهُ

(١) يروى « أعز السباع عليه أحالا » (م)

(٢) يعتفك : يطلب حاجته منك (م)

(٣) الحرق نه الصحراء الواسعة الأطراف ، والوجناء : الناقة ، والسكلال : التعب (م)

لتجدنه [سريعا ! فقالوا : قد أخذناه فقتلناه ، وهذا نبه . فقالت : والله أن
سلبتموه لا تجدون ثنته وافية ، ولا حجرتة جافية ، ولرب ندى منكم قد افترشه ،
وسهب قد احتوشه ؛ ثم قالت الآيات المتقدمة الذكر .

وانشد أبو حاتم ولم يقل قائله :

ألا في سبيل الله ماذا تضمّنت بطون الثرى واستودع البلد القفر
بدور إذا الدنيا دجّت أشرق بهم وإن أجذبت يوما فأيديهم القطر
فيا شامتا بالموت لا تسمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر
أقاموا بظهر الأرض فاخضر عودها وصاروا بطن الأرض فاستوحش الظهر
وقال أبو عبد الله العتيبي ، وتوفي له بنون فجمع بهم ومات في آخرهم ابن

لأبي عبيد الله العتيبي يرقى ابنه له يكنى أبا عمرو كان يقول الشعر ؛ فقال يرثيه :

لقد شمت الواشون بي وتغيرت وجوه أراها بعد موت أبي عمرو
تجرتي على الدهر لما فقدته ولو كان حيا لاجترأت على الدهر^(١)
أسكان بطن الأرض لو يقبل الفدى فديناء وأعطيناكم ساكني الظهر
فياليت من فيها عليها، وليت من عليها ثوى فيها مقيما إلى الحشر
وقاسمني دهرى بنى مشاطرا فلما توفى شطره مال في شطري^(٢)
فصاروا كأن لم يعرف الموت غيرهم فنكل على نكل وقبر على قبر
وقال في ابن توفي صغيرا .

إن يكن مات صغيرا فالأسى غير صغير
كان ريمحاني فأمسى وهو ريمحان القبور
غرسته في بساتين البلى أيدي الدهر

(١) تجرى : أصله تجرا فسهل الهمز بقلبها ألفا (م)

(٢) توفي : استوفى (م)

ومن هنا أخذ أبو الطيب المنذبي قوله :

فإن تَكُ في قبر فأُنك في الحشا وإن تَكُ طِفْلاً فالأُسى ليس بالطفَل

لخلف بن خليفة
الأقطع

وقال خلف بن خليفة الأقطع :

أُعَاتِبُ نفسي إن تَبَسَّمتُ خَالِياً وقد يَضْحَكُ الموتور وهو حَزِينٌ

وبالبدِّ أشجاني وكم من شَجٍ لَهُ دُؤِينِ المصلى والبقيع ، شَجُونُ

رُبِّي حولها أمثالها إن أتيتها قَرِينِكَ أشجاناً وهن سَكُونُ

كفى المهجر أنا لم يَصِحْ لك أمرنا ولم يأتنا عمّا لديك يَقين

لأبي عطاء
السندی

وقال أبو عطاء السندی في ابن هبيرة :

ألا إنَّ عينا لم تجدْ يوم واسطٍ عليك بياقي دَمَعِهَا لَجَمُودُ

عشية قام النائماتُ وشَقَّقتُ جيوبُ بَأبدى ما تَمَّ وخَدُودُ^(١)

فإن تَمَسَّ مهجورَ الفنا فربما أقام به بعد الوفودِ وفُودُ

فإنك لم تَبْعُدْ على متعمِّدٍ بلى كلُّ ما تحت الترابِ بعيدُ

لأعرابي

أعرابي :

ومن عجب أن بتَّ مستودع الثرى وبثُّ بما زودتني متممعا

فلو أننى أنصفتك الودَّ لم أبتْ خلافاً حتى نَطَوَى في الثرى معا

سأحى الكرى عيني وأفترش الثرى يعني إذا صار الثرى لك مضجعا

وبعدك لا آسى لعظم رزيةٍ قَصِيَّةٍ فهونت المصائب أجمعا

ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظماً ونثراً .

[قال أبو نواس في الأمين]

طوى الموت ما بيني وبين محمدٍ وليس لما تطوى المنية ناسِرُ

لئن عَمِرْتَ دُونََ بَنِي لَا أَحَبَّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ مِنْ أَحِبِّ الْقَابِرِ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَخْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَازِرُ
وَقِيلَ لَأُمِّ الْهَيْمِ السَّدُوسِيَّةِ : مَا أَسْرَعَ مَاسِلُوتَ عَنْ ابْنِكَ الْهَيْمِ ! قَالَتْ :
أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ رُزِئْتُه كَالْبَدْرِ فِي بَهَائِهِ ، وَالرَّمْحَ فِي اسْتَوَائِهِ ، وَالسَّيْفَ فِي مَضَائِهِ ؛
وَلَقَدْ فَتَنَتْ مَصِيبَتُهُ كَبِدِي ، وَأَفْنَى فَقْدُهُ جَلْدِي ، وَمَا اعْتَصَمْتُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا
أَمْنُ الْمَصَائِبِ لِفَقْدِهِ .

أم الهيم
السدوسية

وَعَزَّى أَبُو الْعِيَاءِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ عَنْ وَلَدِهِ لَهُ ، فَقَالَ : مَا أَصِيبُ مِنْ أَثِيبِ
يَعَزِّي . وَاللَّهِ لَقَدْ هَانَ لِفَقْدِهِ ، جَلِيلُ الْمَصَائِبِ مِنْ بَعْدِهِ .

أبو العيَاء
يعزى

وَدَخَلَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَادِيَةِ الْبَصْرَةِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ بَنُونَ ، فَلَمَّا كَانَ بِقَنْسَرِينَ
بَنُوهُ بِالطَّاعُونَ مَاتَ بَنُوهُ بِالطَّاعُونَ فَقَالَ :

لأعرابي مات

أَبْعَدُ بَنِي الدَّهْرِ أَرْجُو غَضَارَةَ مِنْ الْعَيْشِ أَوْ آسَى لِمَافَاتٍ مِنْ عُمرِي
غَطَارِقَةُ زُهْرٍ مَضُوءِ السَّيْلِمِ فَلَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْفَطَارِقَةِ الزُّهْرِ
سَقَى اللَّهُ أَجْسَادًا وَرَأَى تَرْكُتُهَا بِحَاضِرِ قَنْسَرِينَ مِنْ صَيْبِ الْقَطْرِ
يَذْكُرْنِهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٍّ ، فَمَا أَنْفَكَ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ
هَذَا الْبَيْتِ كَقَوْلِ الْآخِرِ :

رَعَاكَ ضِمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يَرْعَاكَ أَوْلَى وَأَوْسَعُ
يَذْكُرُ نِيكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ
وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

مسلم
ابن الوليد

وَأَنَّى وَإِسْمَاعِيلُ يَوْمَ وَدَاعِهِ لِكَالْفَمْدِ يَوْمَ الرُّوعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ
أَمَّا وَالْحَبَالَاتُ الْمَمَرَاتُ بَيْنَنَا رَسَائِلُ أَذْنَاهَا الْمَوْدَةُ وَالْوَصْلُ^(١)
لَمَّا خُنْتُ عَهْدًا مِنْ إِخَاءٍ وَلَا نَأَى بِذِكْرِكَ نَأَى عَنْ ضَمِيرِي وَلَا شُغْلُ

وإني في مالى وأهلى كأننى لفقدك لاسالٌ لدى ولا أهلُ
 يذكرك الخيرُ والشرُّ والحجبا وقيلُ الخنى والحلمُ والعلمُ والجهلُ
 فإلقاك عن مذمومها متنزهاً وألقاك في محمودها ولك الفضلُ
 وأحدٌ من إخلالِك البخلُ إنه بعرضك لا بالمال حاشى لك البخلُ
 أمنتجماً مرواً بأثقال همةٍ دع الثقلِ وأخيلُ حاجةً ما لها ثقلُ
 ثناء كمرّف الطيب يهدى لأهله وليس له إلاّ بنى برمك أهلُ
 فإن أغشّ قوماً بعدهم أو أزورهم فكالوحش يذّنيها من القنص الخللُ
 ومن ألفاظ أهل العصر في التمازى وما يتعلق بمعانيها

من ذكر البكاء والجزع وعظم المصائب

خبرٌ عز على النفوسِ مسمّعه، وأترقى القلوب موقّعه . خبر تصطكُ
 له النامعُ ، وترتجّ به الأضالع ، وتسقط له الحبالى ، وتضحو منه السكارى
 خبرٌ كادت له القلوبُ تطيرُ ، والعقولُ تطيشُ ، والنفوسُ تطيحُ . خبر يخفض
 البصر ويقذيه ، ويقيض الأملَ ويقدح فيه . الخبر فى أثناء الرجاء قد انقطع ،
 وأصمّ به الناعى وقد أسمع . ناعى الفضائل قائم ، وأنفُ المحاسنِ راغم . خبرٌ
 أخرج الصّدْرَ ، وأحلّ البكاء ، وحرّم الصبر ، وأطار وافع السكون ، وأثار
 كامنَ الوجوم ، وثقلت وطأته على أجزاء النفس ، وتآدت معرته إلى سرّ
 القلب . كتبتُ والأرضُ واجفةٌ ، والشمسُ كاسفةٌ ، للرزء العظيم ، والمصائب
 الجسيم ، فى فلك الملك ، ورُكنِ المجد ، وقريع الشّرق والغرب ، وما عسى
 أن يُقال فى الفلك الأعلى إذا انّهأز من جوانبه ، وتهافت على مناكبه .
 أتى الناعى^(١) ، فندب المساعى ، وقامت بواكى المجد ، وكسفت شمسُ الفضلُ ،

وعاد النهارُ أسودَ ، والعيشُ أنكدَ . غربَ لموته نجمُ الفضلِ ، وكسدت سوقُ
الأدبِ ، وقامت نواذب الساحة ، ووقف فلكُ الكرمِ ، ولطمت عليه المحاسن
خودها ، وشقت له المناقب جيوبها [وبُرودها] ، قد كانت الرزيةُ بحيث مارت
السماءَ موزاً ، وسارت الجبالُ سيرا ، حتى شوهدت الكواكبُ ظهراً ، ثم تهافتت
شفعاً ووتراً ، فارتاعت الأمةُ ، وأنبسطت الظلمةُ ، وارتفعت الرَّحمةُ ، واضطربت
الملةُ ، وقامت نواذبُ المجدِ ، وأصبح الناسُ من القيامةِ على وَعْدٍ . إن المجدَ بعده
لجاري الدمعِ ، وإن الفضلَ لمزعجِ النفسِ ، وإن الكرمَ لحرجِ الصدرِ ، وإن
الملكَ لواهنِ الظهرِ^(١) . كتابي وأنا من الحياة متذمّمٌ ، وبالعيش مُتَبَرِّمٌ ، بعدما ماد الطَّوْدُ
الشامخُ ، وزال الجبلُ الباذخُ ، ونطقت نواذبُ المجدِ ، وأقيمت ما تَمُّ الفضلِ .
نمي فلان فتكرَّ وجهُ الدهرِ ، وقبضت مُهْجَةُ الفَخْرِ ، فلا قلبَ إلا قد تباين
صدَّعه ، ولا عينَ إلا وهى ترشحُ بالدمِ بعده . كتبتُ والأحشاءُ محترقةُ ، والأجفانُ
بمائها غرقةُ ، والدمعُ واكِفُ ، والحزنُ عاكفُ . مصابُ أطلقُ أنرابَ الدموعِ
وفرقها ، وأقلقُ أعشارَ القلوبِ وأحرقها ، مصابُ فضَّ عقودَ الدموعِ ، وشبَّ
النارَ بين الضلوعِ . مصابُ أذاب دموعَ الأحرارِ ، فتخلبت^(٢) - حائبُ الدموعِ
الفيزارِ ، وانسَدَّتْ مسالكُ السكونِ والاستقرارِ . كتبتُ عن عينِ تَدْمَعٍ ، وقابِ
يجزعِ ، ونفسٍ تهلَعِ^(٣) ، وقد أذَلَّتْ مَصُونُ العَبْرَةِ ، وحجبتُ وأفادَ الحيرةُ ، ومدَّ
المُهمُّ إلى جسمي يَدَ السقمِ ، وجرَّ الدمعُ على خدي ذبولَ الدمِ . لولا أن العينَ
بالدمعِ أنطقُ من كلِّ لسانٍ وقلمٍ ، لأخبرتُ عن بعضِ ما أَوْهَنَ ظَهْرِي ، وأَوْهَى
أُزْرِي . إِنَّ الفجیعةَ إذالم تحاربُ بجيشٍ من البكاءِ ، ولم يخفَّفْ من أنقائها بالاشتكا ،
تضاعفَ دأوها ، وازدادتْ أعباؤها ، وعزَّ دأوها . قد شفيتُ غليلي بما استذرتُهُ

(١) واهن : ضعيف ، وواهن الظهر : كناية عن ضعف احتماله الأعباء (م)

(٢) تخلبت : سالت وانهمرت (م) (٣) تهلع : تحزن (م)

من أسراب الدموع المتحيرة ، وخففتُ عنى بعض البرحاء بما امتريتُهُ من أخلافها المتحدرة . إن فى إسبال العبرة ، وإطلاق الزفرة ، والإجهاش بالبكاء والنشيج ، وإعلان الصياح والضجيج ، تنفيساً عن برحاء القلوب ، وتخفيفاً من أثقال السكروب . قد أتى الدهرُ بماهد الأصاب ، وأطار الأبواب ، من النازلة الهائلة ، والفجعة الفظيعة . زُرُّهُ أضعفَ العزائم القوية ، وأبكى العيون البكية . مصيبة زلزلت الأرض ، وهدمت الكرم المحض ، وسلبت الأجنان كراهاها ، والأبدان قواها . نجية لا يدأوى كلمها آس^(١) ، ولا يسد نملها تناس . مصيبة تركت العقول مدلهة ، والنفوس مولهة . زُرُّهُ هضّ وهاض^(٢) ، وأطال الانخزال والانخفاض ، ولم يرض بأن فضّ الأعضاء ، حتى أفاض الدماء . زُرُّهُ ملأ الصدر ارتياعا ، وقسم الأبواب شعاعا ، وترك الجفون مقروحة ، والدموع مسفوحة ، والقوى مهدودة ، وطرق العزاء مسدودة . زُرُّهُ نكأ القلوب وجرحها ، وأحرّ الأكبَادَ وقرحها ، مالى يد تخطّ إلّا بكلفة ، ولا نفس تردد إلّا فى غصة ، ولا عين تنظر إلى من وراء قذى ، ولا صدر ينطوى إلّا على أذى ؛ فالدموعُ واكفة ، والقلوب واجفة ، والهَمُّ وارِد ، والانسُ شارد .

والناسُ مأثمهم عليه واحدٌ فى كل دار رنةٌ وزفيرُ
 كانى كنفدة وهى تلهفُ على خجر^(٣) ، والخنساء تبكى على صخر . أنايين
 عبّرة وزفرة ، وأنة وحسرة ، وتملّل واضطراب ، واشتعال والتهاب . مصيبة
 أصبحت لِعَمَّتْها قيذا ، وإسكربتْها أخيدا . كتبت وقد ملك الجزعُ عزائى ،
 وحصل ناظرى فى إسار بكائى ، فالقلبُ دهش ، والبنان يرتعش ، وأنا من البقاء
 متوحش . قد انتهى بى الملح إلى حيث لا التأسى مُصحب ، ولا التناسى مصاحب ،
 بى انزعاج يحلّ عقد الخزم ، واكتئاب ينقض شروط العزم . قد بلغ الحزن مبلغاً

(١) السكَم : الجرح ، والآسى : المعالج (م)

(٢) هض : كسر ودق ، وهاض العظم : كسره (م)

(٣) حجر : كان ملك كنفدة ، وقتله بنو أسد ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر (م)

لم أبتذله للنواب ، وإن جلت وقفاً ، ونالت منى مثلاً لم يعتد طرق المصائب ،
وإن عظمت فجعا . كتبتُ عن اضطرابِ نفس ، واضطرابِ صدر ، والتهابِ
قلب ، وانتهابِ صبر ؛ فما أعظمه مفقوداً ! وما أكرمه ملحوداً ! إني لأنوح عليه
نوح^(١) المناقب ، وأرثيه مع النجوم الثواقب ، وأبكيه مع المعالي والحاسن ، وأثنى
[عليه] ببناء المساعي والمآثر . ليت يمين الزمان شلت قبل أن فتكت بمهجة
الفضل ، وعين الزمان كفت قبل أن رأت مضرع الفخر . لقد رزينا من فلان
علماً في شخص ، وأمة في نفس . مضى والحاسن تبكيه ، والمناقب تعزى فيه .
العيون لما قرّت به أسخنها فيه ريب المنون ، ولما شريحت به الصدور قبضها
بفقدته المقدور . قد ركب على الأعناق ، بعد العتاق ، وعلى الأجياد بعد الجياد ،
وفاح فتيت المسك من مآثره ، كما يفوح العنبر من مجامره . كان منزله مألف
الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنتجع الركب ، ومقصد الوفد ، فاستبدل
بالأنس وخشة ، وبالغضارة غبرة ، وبالبياض ظلمة ، واعتاض من ترأحم المراكب
تلادّم المآتم ، ومن صجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل . هذى المبكّرم
تبدي شجوها لفقدته ، وتلبس حدادها من بعده ، وهذى الحاسن قد قامت
نوابها مع نوادبه ، واقترنت مصائبها بمصائبه . لو قبلت الفدية لوقيته بنفسى
وأيايم عمرى ، علماً بأنّ العيش بمثله من إخوان الصفا يصفو ، وبظمنه عن الدنيا
يكدر ويغفو . لو وقى من الموت عزيز قوم لعزته ، أو كبير بأولاده وأسرته ،
أو ذو سلطان باستطالته وقدرته ، أو زعيم دولة بمجده وعُدته ، لكان الماضي
أحق من وقى وأولى من فدى ، وكنا أقدر على دفع ما حدث ، ودب ما كرث
وأزحق ؛ لكنه الأمر المسوى فيه بين من عزّ جانبه وذلل ، وكثر ماله وقل ،
حتى لحق الفضول بالفاضل ، والناقص بالكامل .

(١) في نسخة « بنوح المناقب » والمناقب : جمع منقبة ، وهى الحصلة من خصال

ولهم فيما يطابق هذا النحو من وصف الدهر وذم الدنيا
هو الدهرُ لا يُعْجَب من طوارقه ، ولا ينكر هجوم بوائقه . عطاؤه في ضمانِ
الارتجاع ، وحباؤه في قرآن الانتزاع . من عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان ،
وتصرف الحوادث ، بين الموروث والوارث . الدهرُ مشحون بطوارق الغير ،
مشوب صفو إيامه بالكدر ، ممزوج صأبه بالعسل ، موصولة حبال الأمن فيه
بأسباب الأجل . قد جعل الله الدنيا دار قلعة ، ومحل نُقْلَةٍ^(١) ، فمن راحل ليومه ، ومن
مؤخر لغده ، وكلُّ متشوفٍ لأجله ، وجارٍ لأمدِهِ . ما الدنيا إلا دار النقلة ،
ولا المقام فيها إلا للرحلة ، إن المرءَ حقيق إذا طرقه ما يتحيف صبره [وينطرق
صدره] ، أن يعود إلى علمه بالدنيا كيف نُصِبَت على الثقل ، وجنبت طويل
المهلة ، وابتدئت بالفناء ، وشُفِعَ كونها بالفساد ، وأن الثاوي فيها راحل ، والأيام
فيها مرّاحل . موهوب الدنيا مسلوب وإن أُرْجِيَء إلى مهل ، وممنوحها مجذوب
وإن أُخِّرَ إلى أجل . لو خلد من سبق ، لما وسعت الأرض من لحق ؛ ولذلك
جعلت الدنيا دار قلعة^(٢) ، ومحل نجمة .

سُبِقْنَا إلى الدنيا فلو عاش أهلها . مُنِعْنَا بها من جَيْئَةٍ وذُهِوب
تملكها الآتي تملك سالب . وفارقها الماضي فراق سليب
وقال عتبة بن هارون : كنتُ مع فضل الرقاشي ، فمرّت بمقبرة ، فقال : يا أهلَ
الديار الموحشة ، والحال المقفرة ، التي نطق بالخراب فناءؤها ، وشُيِّدَ بالتراب بناؤها ،
ساكنها مُغتَرِب ، ومحلها مُغتَرِب ، أهل هذه المنازل متشاغلون ، لا يتواصلون
تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكل كليله البلى ،
وأكلهم الجندل والثرى .

(١) دار قلعة - بضم القاف وسكون اللام ، وعلى الإضافة - أي دار تحول
وانتقال ، وقد وردت هذه العبارة في كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (م)

وقال خافان بن مُصَبِّح : لَوْ خَشِيَ الشُّكَّ التَّمَسَّنَا أُنْسَ الْيَقِينِ ، ومن ذلَّ
الجهل هربنا إلى عزِّ المعرفة ، ولخوفِ الضلالةِ لزمنا الجادة .

وقال بعضُ الحكماء : كَمُونُ الْمَصَائِبِ وَسَكُونُ النَوَائِبِ وَبَقَاتُ الْمَنَائِمِ مَطْوِيَّاتٌ
فِي السَّاعَاتِ ، متحركَاتٌ فِي الْأَوْقَاتِ ، وَرَبٌّ مَغْتَبِطٌ بِسَاعَةِ فِيهَا انْقِضَاءُ أَجَلِهِ ،
وَمُتَمَتِعٌ بِوَقْتِ صَارَ فِيهِ إِلَى قَبْرِهِ ، وَمُنْتَظَرٌ وَرُودَ يَوْمٍ فِيهِ مَنِيَّتُهُ .

ووعظ أعرابيٌّ ابناً له أَفْسَدَ مَالَهُ فِي الشَّرَابِ ، فَقَالَ : لَا الدَّهْرَ يَعْظُكَ ،
وَلَا الْأَيَّامُ تَنْذِرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ تُعَدُّ عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُعَدُّ مِنْكَ ، وَأَحَبُّ أَمْرٍ يَكُ
إِلَيْكَ ، أَرَدُّهَا لِلْمُضَرَّةِ لَدَيْكَ .

[من مقامات بديع الزمان الهمذاني]

ومن إنشاء بديع الزمان في المقامات : حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي
الْأَهْوَازِ فِي رُقَّةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسْهَلُ ، لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا أَمْرٌ بِكُرِّ الْأَمَالِ ،
بُضْ الْجَمَالِ ، أَوْ مَخْطُتٌ حَسَنُ الْإِقْبَالِ ، مَرْجُوَّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ؛ فَأَفْضُنَا فِي الْعِشْرَةِ
كَيْفَ [نَضَعُ قَوَاعِدَهَا ، وَالْأَخْوَةَ كَيْفَ] نَحْكُمُ مَعَاقِدَهَا ، وَالسَّرُورَ فِي أَى وَقْتٍ
تَتَعَاطَاهُ ، وَالْأُنْسَ كَيْفَ تَتَهَادَاهُ ، وَفَائِتُ الْحِطِّ كَيْفَ تَتَلَفَاهُ ، وَالشَّرَابَ [مِنْ
أَيْنَ نَخْلُصُهُ ، وَالْمَجْلِسَ كَيْفَ نَرْتَبُهُ ؟] فَقَالَ أَحَدُنَا : عَلَى الْبَيْتِ وَالْمَنْزِلِ ، وَقَالَ آخَرُ :
عَلَى الشَّرَابِ وَالنَّقْلِ [، وَقَالَ بَعْضُنَا : إِلَى السَّمَاعِ وَالْجَمَاعِ ، وَقَنَا نَجْرَ أَذْيَالِ الْفَسُوقِ ،
حَتَّى انْسَلَخْنَا مِنَ السُّوقِ ، وَاسْتَقْبَلْنَا رَجُلًا فِي طَيْرَيْنِ ، فِي يُمْنَاهُ عَكَّازَةٌ ، وَعَلَى
كَتِفِهِ جِنَازَةٌ ^(١) ؛ فَطَيَّرْنَا لِمَا رَأَيْنَا الْجِنَازَةَ ، وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا ، وَطَوَيْنَا دُونَهَا
كَشْحًا ، فَصَاحَ بِنَاصِيحَةٍ كَادَتْ الْأَرْضُ لَهَا تَنْفَطِرُ ، وَالنَّجْمُ تَنْكَدِرُ ، وَقَالَ :
لَتَرَوْنَهَا صُغْرًا ، وَلَتَرَكِبْنَهَا قَسْرًا . مَا لَكُمْ تَكْرَهُونَ مِطْيَةَ رُكْبَتِهَا أَسْلَافَكُمْ ، وَسِيرَتِهَا
أَخْلَافَكُمْ ، وَتَتَقَذَّرُونَ سَرِيرَ أَوْطَانِهَا أَبَاؤُكُمْ ، وَسَيَطُوهَا أَبْنَاؤُكُمْ ؟ أَمَا اللَّهُ لَتُخْمَلُنَّ عَلَى

لمقامة
الأهوازية

(١) الجنَازة - بكسر الجيم - سرير الميت (النعش) ما دام فيه (م)

هذه العيذان ، إلى تلسم الديدان ، ولتقلن بهذه الجياد ، إلى تلسم الوهاد .
ويحككم تطيرون^(١) ، كأنكم مخيرون ، وتكروهون ، كأنكم مرهون ، هل تنفع
هذه الطيرة ، يا جرة ؟

قال عيسى بن هشام : فقد نقض علينا ما كنّا عقدهناه ، وأبطلنا ما
كنّا أردناه ؛ فملنا إليه ، وقلنا : ما أحوجنّا إلى وعظك ، وأعشقنا للفظك !
ولو شئت لزدت ، قال : إن وراءكم موارد أنتم واردوها ، وقد سرّتم إليها
عشرين حجة :

وإن امراً قد سار عشرين حجة إلى منهل من وزده لقریب
وفوقكم من يعلم أسراكم ، ولو شاء لهتك أستاذكم ، يعاملكم في الدنيا بحلم ،
ويقضي عليكم في الآخرة بعلم ، فليكن الموت منكم على ذكر ، لئلا تأتوا بنكر ؛
فإنكم متى استشعرتموه لم تجمحو ، ومتى ذكرتموه لم تمزحوا ، وإن نسيتموه فهو
ذاكركم ، [وإن نتمم عنه فهو نائركم ، وإن كرهتموه فهو زائركم] قلنا : فما
حاجتك ؟ قال : هي أطول من أن تحدد ، وأكثر من أن تعد ، قلنا : فسانح
الوقت ؟ قال : ردّ فائت العمر ، ودفع نازل الأمر ، قلنا : ما إلى ذلك سبيل ،
ولكن لك ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها ، قال : لا حاجة لي فيها .
قوله * وإن امراً قد سار عشرين حجة * محرف عن قول قائله :

* وإن امراً قد سار خمسين حجة * والبيت لأبي محمد التيمي ،

أنشده دعبل :

إذا ماضى القرن الذي أنتَ فيهم وخُلفتَ في قرنٍ فأنتَ غريبُ
والبيت بعده . قال دعبل : وتزعم الرواة أنه لأعرابي من بني أسد . وقال
خلاد الأرقط : كنّا على باب أبي عمرو بن العلاء ومعنا التيمي ، فذكرنا كتاب

(١) تطيرون - بتشديد الطاء ، والياء جميعاً - أصله تطيرون ، قلب التاء الثانية

طاء ثم أدغمها (م)

الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : إني وإياك لِدَتَانُ^(١) ، وإن أمراً قد سار
خمسین حجة لَقَمِنَ أن يَرده . فأصلحنَاهُ بيتاً ، فاجتَلَبِه التيمي في شعره .

[من رسائل بديع الزمان الهمذاني]

وكتب البديع إلى أبي القاسم الكرخي : أنا وإن لم ألق تطاول الإخوان إلا
بالتطاول ، ونجمل الأحرار إلا بالتجمل ، أحاسب الشيخ على أخلاقه ضناً
بما عقدتُ يدي عليه من الظن به ، والتقدير في مذهبه ، ولولا ذلك لقلتُ : في
الأرضِ مجالٌ إن ضاقتْ ظلالُهُ ، وفي الناس واصلٌ إن رثتْ حبالُهُ ، وأواخذُهُ
بأفعاله ؛ فإن أعارني أذنًا واعيةً ، ونفساً مراعيةً ، وقلبا متعظاً ، ورجوعاً عن
الذهاب ، ونزوعاً عما يقرعُه من هذا الباب ، فرشت لمودته صدري^(٢) ، وعقدت
عليه جوامعَ حَضْرِي ، ومجامعَ عُمرِي ؛ وإن ركب من التعلّٰى غيرَ مركب ،
وزهب من التّغَالٰى في غيرِ مذهب ، أقطعتُه خطّة أخلاقه ، ووليتُه جانبَ إعراضه ،
فكنتُ امرأً :

من البديع
لأبي القاسم
الكرخي

لا أذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ قد بلوتُ المرّة من ثمره
فإني — أطال الله بقاء الشيخ مولاي — وإن كنتُ في مقتبل السن والعمر ،
فقد حلبتُ شَطْرِي الدهر^(٣) ، وركبتُ ظهري البرّ والبحر ، ولقيتُ وفدى الخير
والشر ، وصاغتُ يدي النفع والضر ، وضربتُ إبطي العُسْر والبُسْر ، وبلوتُ
طعمي الخلو والمُر ، ورضعتُ ثدي العُرف والنُّسكر ؛ فما تكادُ الأيامُ تربيَنِي من
أفعالها غريباً ، وتسمُعُنِي من أقوالها عجيباً ، ولقيتُ الأفراد ، وطارَحتُ الأحاد ؛
فما رأيتُ أحداً إلّا ملأتُ حافتي سمعه وبصره ، وشغلتُ حيزي فكره
ونظّره ، وأثقلتُ كفه في الحزن ، وكفّته في الوزن ؛ وودّ لو بَارَزَ القرنَ

(١) لدة الإنسان — بكسر اللام وفتح الدال مخففة — المساوي له في السن (م)

(٢) في نسخه « فرشت لمودته خوان صدري » (م)

(٣) حلبت شطري الدهر : كناية عن التجربة والاختبار (م)

بصفحتي ، أو لَقِيَ الْفَضْلُ بِصَحِيفَتِي ، فإلى صَغُرَتْ فِي عَيْنِهِ ؟ وما الذي أُرْزَى بِي عنده ؟ حتى احتجبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ ، وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ حَضَرْتَهُ ، وَأَنَا أَحَاشِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ ، أَوْ يَجْجِدَ فَضْلَ الْعِلْمِ ، أَوْ يَمْتَطِيَ ظَهَرَ النَّبِيِّ ، عَلَى أَهْلِيهِ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَخْتَصَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِنْعَامٍ إِنْ زَلْتُ بِي مَرَّةً قَدَّمَ رَأْيَ فِي قَصْدِهِ ، وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْخَاطِبَةِ الْمُجْجِفَةِ ، وَالرَّتَبَةِ الْمُتَحَيِّفَةِ ، وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرُ ، وَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ إِلَى الْوَفَاءِ ، وَنَزَعَ عَنْ شِمِيمَتِهِ فِي الْجَفَاءِ ؛ فَأُطَالُ اللَّهُ بَقَاءَ الْأُسْتَاذِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ

وله إليه رقعة :

كتاب آخر
من البديع
إلى أبي القاسم

يَعْرِثُ عَلِيٌّ — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ — أَنْ يَنْوِبَ فِي خِدْمَتِهِ قَلَمِي ، عَنْ قَدَمِي ، وَيَسْعِدَ بَرُوقَتَهُ رَسُولِي ، دُونَ وَصُولِي ، وَيَرِدَ شِرْعَةَ الْأُنْسِ بِهِ كِتَابِي ، قَبْلَ رِكَابِي ، وَلَكِنْ مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَاقِقُ جَمَّةٌ :

وَعَلَى أَنْ أَسْعَى وَلِيَسْعَى عَلَى إِدْرَاكِ النَّجَاحِ

وَقَدْ حَضَرَتْ دَارَهُ ، وَقَبِلَتْ جِدَارَهُ ، وَمَا بِي حُبُّ الْجُدْرَانِ ، وَلَكِنْ شَغَفًا بِالْقُطَّانِ ، وَلَا عِشْقَ الْحَيَّطَانِ ، وَلَسَكُنْ شَوْقًا إِلَى السَّكَّانِ ، وَحِينَ عَدَّتِ الْعَوَادِي عَنْهُ ، أَمْلَيْتُ ضَمِيرَ الشَّوْقِ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ ، مُعْتَذِرًا إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، عَنْ تَقْصِيرِ وَقَعٍ ، وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَّضَ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ :

إِنْ يَكُنْ تَرَكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكُنْ أَلَا أَرَاكَ عِقَابًا

كتاب منه
إلى رئيس
هراة

وله جواب إلى رئيس هراة عدنان بن محمد : ورد كتابُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ سَيِّدِي ، فَظَلْتُ وَفُودُ النِّعَمِ تَتَرَى عَلَيَّ ، وَمِثْلَتْ لَدَيَّ وَبَيْنَ يَدَيَّ ، وَقَدْ أَخَذَ مَكَارِمَ نَفْسِهِ ، فَجَعَلَهَا قِلَادَةَ غَرَسِهِ ، وَتَتَبَعَ الْحَاسِنَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَخَلَّى بِهَا نَحْرَ عَبْدِهِ ^(١) ، وَمَا أَشْبَهَ رَائِعَ حُلِيِّهِ ، فِي نَحْوِ لَيْلِيهِ ، إِلَّا بِالْغُرَّةِ اللَّائِحَةِ ^(٢) ، عَلَى [الدَّهْمَةِ] الْكَالِحَةِ

(١) في نسخة «فكساها لبعده» (م)

(٢) أصل الغرة البياض في وجه الفرس ، وأراد البياض مطلقا ، واللآلحة :

الظاهرة ؛ والكالحة : العابسة (م)

لا آخذَ اللهَ الشيخَ بوصفٍ نَزَعَهُ عن عراضه ، وزَرَعَهُ في غير أرضه ، ونعتَ
 سَلَخَهُ من خَلْقِهِ وخُلُقِهِ ، وأهداه إلى غير مستحقّه ، وفَضَّلَ استفادته من فَرَعِهِ
 وأصله ، وأوصله إلى غير أهله . ذكر حديث الشوقِ ولو كان الأمرُ بالزيارة حتماً ،
 أو الإذن [جَزْماً] أطلق عزمًا ، لكان آخر نظري في الكتاب ، أول نظري
 إلى الركاب ، ولاستعنت على كَلَفِ السير ، بأجنحة الطير^(١) ، لكنه - أدام الله
 عزّه - صرعى بين يدي سرعة النُبْذ ، ورجل وشيكة الأخذ ، وأراني زهداً في
 ابتغاء ، كسوى في ارتغاء ، وزاعاً في نزوع ، كذهاب في رُجوع ، ورغبة في
 كرهية عني ، وكلاماً في الغلاف ، كالضرب تحت اللحاف . فلم أصرِّحْ بالإجابة
 وقد عَرَّضَ بالدعاء ، ولم أعلنْ بالزيارة وقد أسرَّ بالنداء ، ولم يدعني بلسان
 المحاجة ، ولم يجاهرني بفهم المناجاة ، لـكنتُ أسرعُ إليه ، من الكرم إلى عطفيه ،
 وفـسـكـرتُ في مُرادِ الشيخ ، فوجدتُه لا يتعدى الكرم يشبُّ ناره ، والفضل
 يدرك ناره ، وإذا كان الأمرُ كذلك فما أولاه بترفيه مولاه ، عن زَفَرَةٍ صاعدة ،
 بسفرة باعدة^(٢) ، ونكباء جاهدة وقد زاد سيدى في أمرِ الخطابية ، وما أحسن
 الاعتدال ، وقد كفانا منه الأستاذ ، وأسأله ألا يزيد ، وقد بدأ ويجب ألا يعيد ،
 فلا تنفع كثرة العدّ مع قلة المعدود ، والزيادة في الحدّ مع نقصان المحدود نقص
 من الحدود ، وربّ ربح أدى إلى خُسْران ، وزيادة أفضت إلى نُقصان ، ورأى
 الشيخ في تشريفه بجوابه موفق إن شاء الله تعالى .

اجتنبَ قولَه في أول هذه الرسالة من قول أبي إسحاق الصابى في جواب

كتاب لبعض إخوانه :

وصل كتابك مشحوناً بلطيف برّك ، موشحاً بغامر فضلك ، ناطقاً بصحّة

كتاب
 من الصابى
 لبعض إخوانه

(١) في نسخة « استعنت على السير ، أجنحة » (م)

(٢) في نسخة « بزفرة قاصدة » (م)

عهدك ، صادقاً عن خلوص ودِّك ، وفهمته وشكرتُ الله تعالى على سلامتك
شكراً المخصوص بها ، ووقفتُ على ما وصفته من الاعتدالِ بي ، وتناهيتُ إليه
من التفریط لي ، فهازدتُ على أن أعزّيتني خِلالَكَ ، ونحلتني خِصَالَكَ ، لأنَّكَ
بِالْفَضَائِلِ أَوْلَى ، وهى بكَ أُخْرَى ، ولو كنتُ فى نفسى ممن يشتملُ على وصفه
حدّى إذا حددت ، أو يحيط بكِماله وصْفى إذا وصفت ، لَشَرَعْتُ فى بلوغها والقرب
منها ، اسكن المادح لك مستنقداً لك وسُعه وقد بحسبك ، ومستغرق طَوْفَهُ وقد
تَقَمَّصَكَ ، فأبلغُ ما يأتى به المُثْنِى عليك ، ويتوصل إليه المَطْرِبُ لك ، الوقوف فى
ذلك دون منتهاه ، والإقرار بالعجز دون غايته ومدّاه .

ونقل البديع ما ذكره من ترك السفر والبغية بما حضر من قول ابن الرومى
ابن الرومى :

أما حقُّ حامى عرضٍ مثلك أن ترى له الرِّفْدَ والتَّرفِيهَ أوجبَ وأجبَ
أقمتُ لكى تزدادَ نِعْمَاكَ نعمةً وتغنى بوجهٍ ناضِرٍ غيرِ شاحبٍ
وكى لا يقولَ القائلونَ أثابهُ وعاقبه والقولُ جَمُّ المساغِبِ
وليسَ عَجِيباً أنْ يَنُوبَ تَكَرُّمٌ عُدِيتَ به من آمَلِ لك عائب
ذِمَامِى تَرعى لا ذِمَامَ سَفِينَةٍ وَحَقِّى لا حَقَّ القِلاصِ النِجَابِ^(١)

ودخل على أبى العتاهية أبنه ، وقد تصوف ، فقال : ألم أكن قد نهيتك عن
هذا ؟ فقال : وما عليك أن أتعوّد الخير ، وأنشأ عليه ا فقال : يا بنى ، يحتاجُ
المتصوف إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى ، وأنت ثقيلُ الظل ، مظلم
الهواء ، راكِدُ النسيم ، جامدُ العينين ، فأقبل على سوقك ؛ فإنها أعوّدُ عليك .
وكان بزازاً .

(١) الذمام - بكسر الدال - العهد ، والقلاص : الإبل الفنية : واحدها قلوص ،
والجائب : السريعة السير ، والمفرد نجيب ونجبية (م)

فقر من كلام المتصوفة والزهاد والقصاص

نور الحقيقة ، أحسن من نور الحقيقة . الزهد قطع العلائق ، وهجر الخلاق .
الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة . التصوف ترك التكلف . قيل للتصوف : أتبيع
مراقعتك ؟ قال : أرايتم صياداً يبيع شبكته ! وقيل لبعضهم : لو تزوجت ! قال :
لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها ، وأنشد :

تجرّد من الدنيا فإنك إنما سقطت إلى الدنيا وأنت مجرد
الدنيا نَوْمٌ والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، ونحن في أضغاث أحلام .
ذو النون : العبد بين نعمة وذنوب ، لا يصلحهما إلا الشكر والاستغفار .
غيره : ينبغي للعبد أن يكون في الدنيا كأنه يرض لا بد له من قوت ، ولا يوافقه
كل طعام . ايس في الجنة نعيم أعظم من علم أهلها أنها لا تزول .

ابن المبارك : الزهد إخفاء الزهد . إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، وإذا طلبهم
فاهرب عنه . من أطلق طرفه كثّر أسفه . من سوء القدر فضل النظر من طواع طرفة ،
تابع حتمه ، ومن نظربعين الهوى حار ، ومن حكم على الهوى جار ، ومن أطال
النظر لم يدرك الغاية ، وليس لناظر نهاية . ربما أبصر الأعمى رؤدته ، وأضلّ
البصير قَصْدَه . وقيل : ربّ حرب جُنيت من لفظه ، وربّ حبّ غُرِسَ من
لحظة ، وأنشد :

نظرت إليها نظرة لو كسوتها سراييل أبدان الحديد الممرّد
لرقت حواشيها وقض حديدها ولأنت كما لأنت لداود في اليد^(١)
وقال سعيد بن حميد :

نظرت فقادتنى إلى الختف نظرة إلى بضمون الضمير تشير^(٢)

(١) في نسخة « لرق حواشيها » والحواشي : جمع حاشية . وحاشية الثوب :

جانبه (م)

(٢) الختف : الموت (م)

فلا تصرفن الطرفَ في كل منظرٍ فإنَّ معارِضَ البلاءِ كثير
ولم أرَ مثلَ الحبِّ أسقمَ ذا هوًى ولا مثلَ حُكْمِ الحبِّ كيفَ يحوُّرُ
لقد صُنْتُ مابى في الضميرِ لوَّ أنه يُصان لدى الطرفِ النجومِ ضميرُ
غيره :

اليوم أيقنت أن الحبَّ متلفَةٌ وأن صاحبه منه على خطرٍ
كيف الحياةُ لمن أَمسى على شرفٍ من المنيةِ بين الخوفِ والحدَرِ
يلومُ عينيه أحياناً بذنبهمـا ويحملُ الذنبَ أحياناً على القدرِ
إذا نأى أو دَنَا فالقلبُ عندكم وقلبه أبداً منه على سَفَرِ
ونظر محمد بن أسباط الصوفي إلى أبي المثنى الشيباني وقد نظر في وجه غلام
مليح ، فقال : [إياك و] إذْمانَ النظرِ [فإنه] يكشفُ الخبرَ ، ويفضحُ البشرَ ،
ويطول به المكثُ في سقر .

وقال المتعلِّى الصوفي : شكوتُ إلى بعض الزهاد فسأداً أجدهُ في قلبي ، فقال : هل
نظرتَ إلى شيء فتأقتَ إليه نفسك ؟ قلت : نعم ، قال : احفظْ عينيك ؛ فإنك إن
أطلقتهما أوقعْتَكَ في مكروه ، وإن ملكتَهما ملكْتَ سائرَ جوارحك .
وقال مسلم الخوَّاص لمحمد بن علي الصوفي : أوزنى ، فقال : أوصيك بتقوى
الله في أمرِك كله ، وإيثار ما يحبُّ على محبتك ، وإيّاك والنظر إلى كل ما دعاك إليه
طرْفُكَ ، وشوَّتْكَ إليه قلبك ؛ فإنهما إن ملكاك لم تملك شيئاً من جوارحك ، حتى
تبلغ لهما ما يطالعانك به^(١) ، وإن ملكتهما كنت الداعي إلى ما أردت ، فلم يعصيا لك
أمراً ولم يردّا لك قولاً .

قال بعض الحكماء : إن الله عزَّ وجل جعل القلبَ أميرَ الجسدِ ، ومَلِكَ
الأعضاء ؛ فجميعُ الجوارحِ تنقادُ له ، وكُلُّ الحواسِ تُطِيعُه ، وهو مديرُها^(٢)

(١) في نسخة « حتى يطلب بهما ما يطالبانك به » (م)

(٢) وتقرأ « مدبرها » بالباء الموحدة (م)

ومصرّ فيها ، وقائدُها وسائقها ، وإيرادته تنبعثُ ، وفي طاعته تتقلبُ ؛ ووزيره العقل ، وعاضدُه الفهمُ ، ورائدُه العيان ، وطليعته الأذنان . [وهما في النقل سواء ، لا يكتماه أمرًا ، ولا يطويانِ دونه سرًّا ، يريد العين والأذن] .
وقيل لأفلاطون : أيهما أشدّ ضررًا بالقلب السمع أم البصر ؟ فقال : هما للقلب كالجنّاحين للطائر ، لا يستقلّ إلا بهما ، ولا ينهض إلا بقوتهما ، وربما قصّ أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة . قيل : فما بالُ الأعمى يعشق ولا يرى ، والأصم يعشق ولا يسمع ؟ قال : لذلك قلت : إن الطائر قد ينهضُ بأحد جناحيه ولا يستقلّ بهما طيرانًا ، فإذا اجتمعا كان ذهابه أمضى ، و [طيرانه] أَوْحَى ^(١) .

وقال الأسود بن طالوت الجارودي : نظر إلى أبو الغمر الصوفي وقد أطلتُ النظرَ إلى غلامٍ جميل ، فقال : ويحك ! إنَّ طَرَفَكَ لعظيم ما اجتنبى من البلاء قد عَرَضَكَ للمكروه وطول العناء ، لقد نظرت إلى خَتَفٍ قاتل للقلوب ، وبلاء مُظْهِرٍ للعيوب ، وعارٍ فاضحٍ للنفوس ، ومكروه مُذْهِلٍ للعقول ، أكل هذا الاغترار بالله جرأكَ عليه حتى أمنتَ مَكْرَهُ ، ولم تخَفْ كَيْدَهُ ؛ أعلم أنك لم تكن في وقت من أوقاتك ، ولا حالةٍ من حالاتك ، أقرب إلى عقوبة الله منك في حالتك هذه ، ولو أخذك لم يتخلّصك الثقلان ، ولم يقبَلْ فيك شفاعَةُ إنس ولا جان .

ونظر محمد بن ضوء الصوفي إلى رجل ينظرُ إلى غلامٍ مليح ، فقال : كفى بالعبد نقصا عند الله ، وضعة عند ذوى العقول ، أن ينظرَ إلى كل ما سَنَحَ له من البلاء .

ونظر [أبو] مسلم الخشوعي فأطال النظر ، فقال : إنَّ في خَلْقِ السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . ثم قال : سبحان الله ! ما أهجمَ طَرَفِي على مكروه نفسه ، وأدمنه على تسخط سيده ،

وأغراه بما نهى عنه ، وألهجه بما حذر منه ! لقد نظرت إلى هذا نظراً شديداً خشيتُ أنه سيفضحني عند جميع مَنْ يعرفني في عَرَصَةِ القيامة ؛ ولقد تركني نظري هذا وأنا أَسْتَحْيِي من الله تعالى إن غفر لي ! ثم صقق .

ونظر غالبُ المضرور^(١) إلى غلام جميل على فرس رائع ، فقال : لا أدري بمِ أداوى طَرَفِي ، ولا بمِ أعالج قلبي ؟ ما أتوبُ إلى الله من ذنبٍ إلا رجعت فيه ، ولا أَسْتَغْفِرُهُ من أمرٍ إلا أُتيتُ أعظم منه ، حتى لقد استحييتُ أن أسأله المغفرة لما يلحق قلبي من القنوط من عفوه ، لعظيم حالي بالمنكر الذي أصنعه . فقال له قائل : وأيّ منكر أتيت ؟ فقال : أنريدُ مني أكثرَ من نظري هذا ! والله لقد خشيت أن يبطل كلُّ عمل قدمته ، وخير أسلفته ، ثم بكى حتى ألصق خدّه بالأرض .

ورأى بعضُ الزهاد صوفياً يضحكُ إلى غلام جميل ، فقال له : يا خارب القلب ، ويا مفتضح الطرف ؛ أما تستحي من كَرَامِ كاتبين ، وملائكة حافطين ، يحفظون الأفعال ، ويكتبون الأعمال ، وينظرون إليك ، ويشهدون عليك ، بالبلاء الظاهر ، والغِلِّ الدخيل الخامر ، الذي أقمت نفسك فيه مقام مَنْ لَا يُبَالَى من وقف عليه ، ونظر من الخلق إليه .

وقال أبو حمزة بن إبراهيم : قلت لمحمد بن العلاء الدمشقي — وكان سيدَ المتصوفة ، وقد رأيته يمشي غلاماً وضيئاً مدة ثم فارقه — : لِمَ هجرتَ ذلك الفتى بعد أن كنتَ له مواصلاً ، وإليه مأثلاً ؟ فقال : والله لقد فارقتُه من غيرِ قَلْبٍ ولا مَلَلٍ ؛ ولقد رأيتُ قلبي يدعوني إذا خلوت به ، وقربت منه ، إلى أمر لو أتيتُه لسقطت من عين الله عز وجل ؛ فهجرتُه تنزيهاً لله ولنفسى عن مصارع الفتن ، وإني لأرجو أن يعقبني سيدي من

مفارقة ما أعقب الصابرين عن تحارمه عند صدق الوفاء بأحسن الجزاء ؛ ثم
بكى حتى رحته .

قال أبو حمزة : رأيتُ مع أحمد بن علي الصوفي بيت المقدس غلاماً جميلاً ،
فقلتُ : منذ كم صحبتك هذا الغلام ؟ فقال : منذ سنين ، فقلت : لو سرتما إلى
بعض المنازه فكنتما فيه كان أحمد لكما من الجلوس في المسجد بحيثُ يراكما
الناس ؟ فقال : أخافُ احتيالَ الشيطان علىَّ به وقت خلوتي ، وإني لأكره أن
يراني الله فيه على معصية فيفترق بيني وبينه يوم يظفر المحبون بأحبابهم
قال أبو الفتح البستي :

تنازع الناسُ في الصوفيّ ، واختلفوا فيه وظنّوه مشتقاً من الصوفِ
ولست أنحل هذا الاسمَ غيرَ فتى صافي فُصوفيّ حتى لقب الصوفي
ورأى بقرط رجلاً من تلامذته يتفرّس في وجه أوحياً ، وكانت فائقة
الجمال ، فقال : ما هذا الشغل الذي منعك الرويّة والفكرة ؟ فقال : التعجبُ
من آثار حكمة الطبيعة في صورة أوحيا ، فقال : لا تجعلنَّ نظرك لشهوتك مركباً ،
فيجمع لك في الوحول الأذية ^(١) ؛ ولتكنْ نفسُك منه على بال ، إنَّ آثار
الطبيعة في وجه أوحيا الظاهرة تمحق بصرك ، وإن فكرت في صورتها الباطنة
تحد نظرك .

وقال بعضهم : رأيتُ جاريةً حسناء الساعد ؛ فقلت : يا جارية ،
ما أحسن ساعدك ! فقالت : [أجل ، لكنه] لم تختص به ، ففضَّ بصرَ جسمك
عما ليس لك ؛ لينفتح بصرُ عقلك فتَرى مالك .

(١) في نسخة « ليجمع لك ذحول الأذية » (م)

الرأى والهوى

وقال بعضُ الفلاسفة اليونانيين : فضلُ ما بين الرأى والهوى أنَّ الهوى يُخَصُّ والرأى يعمُّ ، وأنَّ الهوى فى حيز العاجل ، والرأى فى حيز الآجل ، والرأى يبقى على طول الزمان ، والهوى سريع الدثور^(١) والاضمحلال ، والهوى فى حيز الحس ، والرأى فى حيز العقل .

وقال بعضُ الحكماء : من انقاد لهواه عرضته الشهوات .

وقال آخر : من جرّى مع هواه طلقاً^(٢) ، جعل عليه للذل طرقاً .

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعضُ الحكماء رجلاً فقال : أَمْرُكَ بِمُجَاهَدَةِ هَوَاكَ ؛ فإنه يقال : إنَّ الهوى مفتاحُ السيئات ، وخَصِيمُ الحسنات ، وكلُّ أهوائك لك عدو ، وأعداها هوى يَكْتُمُكَ نَفْسَهُ ، وأعدى منه هوى يَمَثُلُ لك الإثمُ فى صورةِ التقوى ، ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بجزءٍ لا يشوبه وهنٌ^(٣) ، وصِدْقٌ لا يطمع فيه تكذيبٌ ، ومَضَاءٌ لا يقاربه التثبيط ، وصبر لا يفتاله الجزع ، وهمة لا يتقسمها التضييع

وقال أبو العتاهية :

لا تَأْمَنُ المَوْتَ فى طَرْفِ وفى نَفْسٍ	ولو تَمَنَّعتْ بالحِجَابِ والحِرسِ
فَمَا تَزَالُ سِهَامُ المَوْتِ نَافِذَةً	فى جَنْبِ مُدْرِعٍ مِنَّا وَمُتَرَسٍ ^(٤)
مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تَدْنَسَهُ	وَتُوْبِكَ الدَّهْرُ مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا	إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى يَبَسٍ

[من البد بدائه فى مجالس الخلفاء]

خرج شبيب بن شيبه من دار المهدي ، فقبل له : كيف رأيت الناس ؟ قال :

(١) الدثور : الهلاك (م)

(٢) طلقاً - بفتح الطاء واللام ساكنة أو مفتوحة - شوطاً (م)

(٣) الوهن - بالتحريك - الضعف (م)

(٤) الدرع : لابس الدرع ، وأصله متدرع ، والمترس : لابس الترس (م)

رَأَيْتُ الدَّاحِلَ رَاجِيًا وَالخَارِجَ رَاضِيًا . نَحْنُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى رَبِيعَةُ الرِّقَى فَقَالَ :

قَدْ بَسَطَ الْمَهْدَى كَفَّ النَّدَى لِلنَّاسِ وَالْعَفْوُ عَنِ الظَّالِمِ

فَالرَّاحِلُ الصَّادِرُ عَنْ بَابِهِ مَبْشَرٌ لِلوَارِدِ الْقَادِمِ

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي نَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى :

جَزَاءُ مَقَرٍّ بِالصَّنِيعَةِ شَاكِرٍ جَزَيْتَ ابْنَ مَنْصُورٍ عَلَى نَأَى دَارِهِ

فَتَّى رَاغَمَ الْأَمْوَالَ وَاصْطَنَعَ الْعُلَا وَأَرَثَ نِيرَانَ النَّدَى لِلْعَشَائِرِ ^(١)

[تَرَى النَّاسَ أُرْسَالًا عَلَى بَابِ دَارِهِ] [عَلَى أَمِنْ يَحْدُو بِهِ حِمْلُ صَادِرٍ ^(٢)]

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

وَأَتَى الْفَمَ الضَّحَّاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِي الْكُفِّ الْمَفْدَاةِ عَهْدُهُ

دَخَلَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَعِنْدَهُ أَخُوهُ مِنْ بَنِي

أَخْوَالِ
السَّفَّاحِ

الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي أَخْوَالِي ؟ فَقَالَ : هُمْ هَامَةُ الشَّرَفِ ، وَعِرْنَيْنُ

الْكُرْمِ ، وَغَرَسُ الْجُودِ ، إِنْ فِيهِمْ لَخَصَالًا مَا اجْتَمَعَتْ فِي غَيْرِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ :

إِنَّهُمْ لِأَطْوَلُهُمْ أَمَّا ، وَأَكْرَمُهُمْ شَيْئًا ، وَأَطْيَبُهُمْ طَعْمًا ، وَأَوْفَاهُمْ ذِمًّا ، وَأَبْعَدُهُمْ هَمًّا ،

الْجُرَّةُ فِي الْحَرْبِ ، وَالرِّقْدُ فِي الْجَدْبِ ، وَالرَّأْسُ فِي كُلِّ خَطْبٍ ، وَغَيْرُهُمْ بِمِثْلَةِ

الْعَجَبِ ^(٣) . فَقَالَ : وَصَفْتَ أَبَا صَفْوَانَ فَأَحْسَنْتَ ، فَزَادَ أَخْوَالُهُ فِي الْفَخْرِ ؛ فَعُضِبَ

أَبُو الْعَبَّاسِ لِأَعْمَامِهِ ، فَقَالَ : أَفَرَّخْتُ يَا خَالِدُ ؟ قَالَ : أَعْلَى أَخْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : وَأَنْتَ

مِنْ أَعْمَامِهِ ؟ قَالَ : كَيْفَ أَفَاخِرُ قَوْمًا هُمْ بَيْنَ نَاسِجٍ بَرْدٍ ، وَسَائِسٍ قَرْدٍ ، وَدَابِغٍ جَسَدٍ ^(٤) ،

دَلَّ عَلَيْهِمْ هَدُودٌ ، وَغَرَّقَهُمْ جُرْدٌ ، وَمَلَكَتْهُمْ أُمٌّ وَلَدٌ ! فَأَشْرَقَ وَجْهُ أَبِي الْعَبَّاسِ .

قَالَ يَمُوتُ ابْنُ الْمَرْزُوعِ : سَمِعْتُ خَالِي الْجَاحِظَ ، وَذَكَرَ كَلَامَ خَالِدِ

هَذَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ فَكَّرْتُ فِي جَمْعِ مَعَايِبِهِمْ ، وَاخْتِصَارِ اللَّفْظِ فِي مَثَالِبِهِمْ ،

(١) أَرَتِ النَّارَ : أَوْقَدَهَا ، وَفِي كَافَةِ النُّسخِ « وَأَثْبَتَ نِيرَانًا - إلخ » (م)

(٢) صَدَرَ هَذَا الْبَيْتُ مَذْكُورٌ فِي نَسْخَةٍ ، وَعُجِزَ عَنْ دِيْوَانِ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ (م)

(٣) الْعَجَبُ - بِالْفَتْحِ - أَصْلُ الذَّنْبِ وَمَوْخَرُ كُلِّ شَيْءٍ

(٤) فِي نَسْخَةٍ زِيَادَةُ « وَرَأَى كَبَّ عَرْدٍ » وَالْعَرْدُ - بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الرَّاءِ - الْحِمَارُ (م)

بعد ذلك المدح للهدب سنةً لكان قليلاً ، فكيف على بديته لم يرُضْ له فكراً .
هكذا أورد هذه الحكاية الصولى ، وقد جاءت بأطول من هذا ،
وليس من شَرِطْنَا .

لمن بن أوس

قال معن بن أوس الهذلى :

لعمرك ما أدري وإني لأوجَلُ على أيُّنا تأنى المنيّة أولُ
وإني أخوك الدائمُ الودُّ لم أحُلْ إذا ناب خطبُ أو نبأ بك منزلُ ^(١)
كأنك تشفى منك داءُ مسامتي وسُخِطِى ، وما فى ربيتي ما تمَجَّلُ
وإن سُوأتى يوماً صبرتُ إلى غدٍ ليعقبَ يوماً آخرُ منك مُقبِلُ
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى يمينك فانظرُ أى كفت تبدَّلُ
وفى الناس إن رثتُ حبالك واصلُ وفى الأرض عن دارِ القلى مَتَحَوَّلُ
إذا أنت لم تنصِفْ أخاك وجدتهُ على طرف المجران إن كان يعقلُ
ويركب حدَّ السيف من أن تَضِيههُ إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مَرَحَلُ
وكنتُ إذا ما صاحبُ رامٍ ظنتى وبدَّلَ سوءاً بالذى كان يفعلُ
قلبتُ له ظَهَرَ المِجَنِّ ولم أَدُمُ عليه العهد إلا ريثما أتحوَّلُ
إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد على بوجهٍ آخر الدهر تُقبَلُ

ودخل عبد الله بن الزبير على معاوية بن أبي سفيان وأُشْدَ شعراً معن ، فقال :
لمن هذا ؟ فقال : لى يا أمير المؤمنين ، قال : لقد شَعُرْتَ بعدى يا أبا بكر ! ثم
دخل عليه معن فأنشد الشعر بعينه ، فقال : يا أبا بكر ، ألم تقل إنه شعرك ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إنه ظنرى ^(٢) فما كان له فهو لى . أراد معاوية معاوية فعاتبه بشعر
معن ؛ ليلبغ ما فى نفسه ، وليس ادِّعَاؤُهُ له على حقيقة منه .

(١) حفظى « الدائم العهد لم أحن * إن ابزأك خصم - إلخ » (م)

(٢) ظنر الرجل - بكسر الظاء وسكون الهمزة - ابنه من الرضاع (م)

(١٦ - زهر الآداب ٢)

وقال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، فاستدنايَ حتى كنتُ أقربَ الناسِ إليه ، ثم تنفّس الصعداء ، وقال : يا خالد ، ربّ خالدٍ جلس مجلسك هو أشهى إلى حديثنا منك ! فعلمتُ أنه أراد خالداً القسريّ ، فقلت : أفلا تعيده يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هيهات ! إن خالداً أدلّ فأملّ ، وأوجب فأعجب ، ولم يدعْ لراجع مرجعاً . وتمثل بهذا البيت :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكّد عليه بوجه آخر الدهر تُقيلُ
وروى أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان في سمرّه مع أهل بيته وولده وخاصته ، فقال لهم : ليقُلْ كلُّ واحدٍ منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفصل [مَنْ] رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : [امرؤ القيس ، وقال بعضهم :] النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشعرُ الناس والله من هؤلاء الذي يقول ، وأنشد بعض هذه الأبيات التي أنشد ، وهي لمعن بن أوس :

وذى رَحمٍ قَلَمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ	بَحَلَوٍ عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
يَحَاوِلُ رَغْمِي لَا يَحَاوِلُ غَمِيرَهُ	وَكَاالْمَوْتُ عِنْدِي أَنْ يَحْمِلَ بِهِ الرِّغْمُ
فَإِنْ أَعْفُ عَنْهُ أَغْضُ عَيْنًا عَلَى قَدِّي	وَلَيْسَ لَهُ بِالصَّفْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمٌ
وَإِنْ أَتَصَرَّ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَأْسِي	سَهَامَ عَدُوٍّ يُسْتَهَاضُ بِهَا الْعِظْمُ
صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	وَمَا يَسْتَوِي حَرْبُ الْأَقَارِبِ وَالسَّلْمُ
وَبَادَرْتُ مِنْهُ النَّأْوَ وَالْمَرَّةَ قَادِرٌ	عَلَى سَهْمِهِ مَا كَانَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ
وَيَشْتُمُ عِرْضِي فِي الْمَغِيبِ جَاهِدًا	وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلَا شَتْمٌ ^(١)
إِذَا سُمِّتُهُ وَصَلَّ الْقَرَابَةَ سَامِي	قَطِيعَتَهَا ، تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالْإِنْمُ
فَإِنْ أَدْعُهُ لِلنَّصْفِ يَأْبَى إِجَابَتِي	وَيَدْعُو لِحُكْمِ جَائِرٍ غَيْرُهُ الْحُكْمُ ^(٢)

(١) في المغيب : لئى حين أكون غائبا عنه (م)

(٢) للنصف : أى للعدل والنصفمة ، ويأبى إجابتي : يرفضها ويمتنع عنها (م)

فولاً اتقاء الله والرحم التي
إذا لم آله بارق وخطمته
ويسمى إذا أبني ليهدم صالحى
يوذ لو أبى معدم ذو خصاصة
ويعتد غمنا فى الحوادث نكبتى
فما زلت فى لبنى له وتعطفى
وحفضى له منى الجناح تألقا
وصبرى على أشياء منه ترينى
لاستقل منه الضغن حتى استلته
رأيت انسلاماً بيننا فرقمته
وأبرأت غل الصدر منه توسعا
فأطقت نار الحرب بينى وبينه

رعايتها حق وتعطيها ظم
بوسم شنار لا يشابهه وسم^(١)
وليس الذى بينى كمن شأنه الهدم
وأكره جهدى أن يخاطبه العدم
وما إن له فيها سناء ولا غم
عليه كما تحنو على الولد الأم
لتدنيه منى القرابة والرحم
وكظمى عن غيظى وقد ينفع الكظم
وقد كان ذا ضغن يصوبه الحزم^(٢)
برفق أحيانا وقد يرفع النلم
بحلى كأيشفى بالأذوية الكلم
فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

[من رسائل أبى الفضل بن العميد]

وكتب أبو الفضل بن العميد إلى أبى عبد الله الطبرى :

وصل كتابك فصادفنى قريب عهد بانطلاق ، من عنت الفراق ، إلى أبى عبد الله
وأوقفنى مستريح الأعضاء والجوانح من حر الاشتياق ، فإن الدهر جرى
على حكمه السالوف فى تحويل الأحوال ، ومضى على رسمه المعروف فى
تبديل الأبدال ، وأعتقنى من مخالذك عتقا لاستحق به ولاء ، وأبرأنى من
عهدتك براءة لا تستوجب معادركا ولا استثناء ، ونزع من عنتى ربة
الذل فى إخالك بيدى جفائك ، ورش على ما كان يحتدم فى ضميرى
من نيران الشوق ماء السلوة ، وشن على ما كان يلهب فى صدرى من الوجد

(١) يروى « بوسم شنار لا يشابهه وسم » والمعنى واحد (م)

(٢) يروى « وقد كان ذا ضغن يضيق به الحزم » وهى أظهر (م)

من ابن العميد
إلى أبى عبد الله
الطبرى

ماءَ اليأس، ومسح أعشار قلبي فَلَا مَ فُطُورَها بِجَمِيلِ الصبر^(١)، وشعبَ أفلادِ كبدي
فلاحم صدوعها بِحُسْنِ العزاء، وتغلغل في مسالكِ أنفاسي فعوض نفسي من النزاع
إليك تَزُوعاً عنك^(٢)، ومن الذهاب فيك رجوعاً دونك، وكشفَ عن عيني ضبابات
مألقاه الهوى على بصرى، ورفع عنها غيابات ماسدَ له الشك دُونَ نظرى، حتى
حدرَ النقاب عن صفحاتِ شيمك، وسفرَ عن وجوه خليقتك؛ فلم أجدُ إلا
منكراً، ولم ألق إلا مستكبراً، فوليتُ منها فراراً، ومُلِيتُ رُعباً، فاذهب فقد
أَلقيت حَبْلَكَ على غار بك، ورددتُ إليك ذمياً عهدك .

وفي فصل من هذه الرسالة : وأما عذرُك الذى رُمْتُ بَسْطَه فانتقبض، وحاولتَ
تمهيدَه وتقريره فاستَوْفَزَ وأعرض، ورفعتَ بِضْبِعِهِ فانخفض، فقد ورد ولقيته
بوجهٍ يؤثر قبوله على رَدِّه، وتركته على جرحه، فلم يَفِ بما بذلته لك من نفسه،
ولم يَقم عند ظنك به، أُنَى وقد غطى التذمُّمُ وجهه، ولفَّ الحياءُ رأسه، وغضَّ
الحجلُ طرفه؛ فلم تتمكن من استكشافه، وولَّى فلم تقدر على إيقافه، ومضى يعبرُ
في فضولٍ ما يغشاه من كرب حتى سَقَطَ، فقلنا : للبدِّ والفم : ثم أمر بمطالعة
ما صحبه فلم أجده إلا تَأَبَّطُ شراً، أو تَحَمَّلَ وزراً .

وقوله هذا محلول من عقد نظمه إذ يقول :

أقرَّ السلامَ على الأميرِ وقل له قَدْكَ انْتَبَ أُرَيْيْتَ فى الغُلُوءِ
أنتَ الذى شَتَّتْ شَمْلَ مَسَرَّتِي وَقَدْخَتْ نارَ الشوقِ فى أحشائِي
ورضيتَ باليمنِ اليسيرِ معوضةً مني ، فهَلَا بِمَعْتَى بَغْلَاءِ
وسأنتك المُعْتَبَى فلم تَرَنِ لها أهلاً ، فجُدْتُ بِعِذْرَةٍ شَوْهَاءِ^(٣)
ورَدَّتْ مَوَهةً فلم يرفع لها طرف ، ولم ترزق من الإِسْفَاءِ

(١) لَأَم : ضم وجمع ولحم ، والفطور : جمع فطر ، وهو الشق (م)

(٢) النزاع إليك : أى الشوق إليك ، والنزوع عنك : الانصراف عنك (م)

(٣) العتيبي : الاسترضاء ، والعذرة - بالكسر - الاعتذار (م)

وأعار منطقها التذم سكتة فتراجعت تمشي على استحياء
لم تشف من كدٍ ، ولم تبرّد على كدٍ ، ولم تَمْسَحْ رجوانب داء
دَاوَتْ جووى بجوى ولبس بحازم من يستكف النار بالخلفاء
من يشف من كد بآخر مثله أثرت جوارحه على الأدواء

وله إليه رسالة : أخطب الشيخ سيدى - أطال الله بقاءه - مخاطبة مُخْرَجِ
بروم الترويح عن قَلْبِهِ ، ويرى التفرّج^(١) من كَرْبِهِ ؛ فأكتبه مكاتبة مصدر ،
يريدُ أن ينفث بعض ما به ، ويخفف الشكوى من أوصابه ، ولو بقيت في
التصبر بقية لسكت ، ولو وجدت في أثناء جدى نخرجة يتحللها تجلّد لأمسكت ؛
فقدما لبست الصديق على علاته ، وصفحت له عن هَنَاتِهِ ، ولكنى مغلوب
على العزاء ، مأخوذ عن عادتي في الإغضاء ، فقد سلّ من جفائك مترك احتمالى
جفاءً ، وذهب في نفسى من ظلمك ما أنزف حلى فجعله هباءً ، وتوالى على
من قُبِحَ فعلك في هجر يستمر على نسق ، وصدّ مطرّد متّسق ، ما لوفض
على الورى ، وأفيض على البشر لامتلات منه صدورهم ، فهل أقدرُ على ألا أقول ،
وهل نكلك إلى مراعاتك ، وهل نشكوك إلى الدهر حليفك على الإضرار ،
وعقيدك على الإفساد^(٢) ، وأشكوه إليك ، فإنكما وإن كنّا في قطيعة الصديق
رضيعيّ إبان ، وفي استيطاء مركب العقوق شريكي عنان ، فإنه فاصرُ عنك في
دقائق مخترعة ، أنت فيها نسيجٌ وحْدِك ، وقاعد عما تقوم به من لطائف مبتدعة ،
أنت فيها وحيدٌ عصرك ، أنّا متفقان في ظاهرٍ يسرُّ الناظر ، وباطنٍ يسوء الخابر ،
وفي تبديل الأبدال ، والتحول من حالٍ إلى حال ، وفي بثّ حبال الزور ،
ونصب أشراك الغرور ، وفي خلف الموعد ، والرجوع في الموهوب ، وفي فظاعة
اهتضام ما يعير ، وشناعة ارتجاع ما يمنع ، وقصدٍ مُشارّة الأحرار^(٣) ، والتعامل

(١) بروم ، ويرى ، كلاهما بمعنى يطاب ، ووقع في نسخة « يريد » في مكان
« يرى » والمعنى واحد (م) (٢) عقيدك : معاهدك ومعاقدك ، يريد أنها متفقان (م)
(٣) المشارّة : المحاصمة (م)

عند ذوى الأخطار ، وفى تكذيب الظنون ، والليل عن النباهة للحمول ، إلى كثير من شيمكما التى أسندتما إليها ، وسنتكما التى تعاقدتما عليها ، فأين هو من لا يجارى فيه نقض غرى اليهود ، ونسكت قوى العقود ؟ وأنى هو عن النيمة والنية ، ومشى الضراء^(١) فى الغيلة ، والتنفق بالنفاق فى الحيلة ، وأين هو من ادعى ضروب الباطل ، والتحلّى بما هو منه عاطل ، وتنقص العلماء والأفاضل ؛ هذا إلى كثير من مسأو منشورة أنت ناظمها ، ونحاز متفرقة أنت جامها . أنت أيدك الله إن سويته بنفسك ، ووزنته بوزنك ، أظلم منه لذويه ، وأعق منه لبيه ؛ وهبك على الجملة قد زعمت - مفترياً عليه - أنه أشد منك قدرة ، وأعظم بسطة ، وأتم نصرة ، وأطلق يدا فى الإساءة ، وأمضى فى كل نكابة شباه^(٢) ، وأحد فى كل عاملة شدة^(٣) ، وأعظم فى كل مكروه متغلاً ، وآلف إلى كل محذور متوصلاً ، إن الدهر الذى ليس ثمة من يجزع ، وإن العتبى منك مأمولة ، ومن جهتك مرقوبة ، وهيات ! فهل توهم أنه لو كان ذا روح وجثمان ، مصوراً فى صورة إنسان ، ثم كاتبته أستعطفه على الصلة ، وأستغفیه من الهجر ، وأذكره من المودة ، وأستعمل به إلى رعاية المقة ، وأستمد على ما أشاعه الفراق فى نفسى من اللوعة ، وأضرمه بالبعد فى صدرى من الحرقة ، كان يستحسن ما استحسنته من الاضطراب عند جوائى ، ويستجيز ما استجزته من الاستخفاف بكتابى .

وله فصل فى هذه الرسالة ، وقد ذكر دعواه فى العلم :
وهبك أفلاطون نفسه فأين ما سنفته من الدياسة ، فقد قرأناه ، أنجد فيه إرشادا إلى قطيعة صديق ، وأحسبك أرسطاطاليس بعينه ، أين ما رسمته من الأخلاق ؟ فقد رأينا فلم نرفيه هداية إلى شيء من العقوق ، وأما الهندسة فإنها باحة عن المقادير ، ولن يعرفها إلا من جهل مقدار نفسه ، وقد رآه الحق عليه وله ؛ بل لك فى رؤساء الآداب العربية [من تاريخ مضطرب ، ولست أنشأحك ، لكن أتحب أن تتحقق

(١) مشى فلان الضراء - بزة السحاب - أى مشى مستخفياً فيما يواريه من من شجر وعوه ، ويقال ذلك لمن يوصف بأنه يختل ويخدع (م)

(٢) شباه السنان : حده (م) (٣) الشدة : بقية القوة ، وحد كل شيء (م)

بالغريب من القول ، دون الغريب [من الفعل ؟ وقد أغربت في الذهاب بنفسك إلى حيث لا تهتدى للرجوع عنه . وأما الفحو فلن تدفع عن حذق فيه ، وبَصَرٍ به ، وقد اختصرته أوجز اختصار ، وسهلت سبيل تعليمه على من يحملك قدوة ، ويرضى بك أسوة ، قلت : النذر والباطل وما جرى مجراها مرفوع ، والصدق والحق وما صاحبهما مخفوض ، وقد نصب الصديقُ عندك ، ولكن غرضاً يُرْشَقُ بسهام النية ، وعلمًا يقصد بالوقية ، ولست بالعروضي ذى اللّهِجة فأعرف قدرَ حذقك فيه ، إلا أنى لا أراك تتعرضُ لكامل فيه ، ولا وافر ، وليتك سبحت في بحر المجتث حتى تخرج منه إلى شطّ المتقارب .

وفي فصل منها أيضا :

وهنى سكتٌ لدعواك سُكوتَ متعجب ، ورضيتُ رضاَ متسخط ،
أيرضى الفضلُ اجتذابك بأهدانه ، من يدي أهليه وأصحابه ، وأحسبك لم تراحِمْ
خطابه ، حتى عرفت ذلةَ نَفَرِهِ وقلةَ بصره ، فاصدقني هل أنشدك :

لو بأبائين جاء يخطبها ضرج ما أنفَ خاطبٍ بدم^(١)

وليت شعري بأى حلى تصدّيت له ، وأنت لو تتوجت بالثريا ، وقلدت
قِلادة الفلك ، وتمنّطت بمنطقة الجوزاء ، وتوشّحت بالهجرة لم تكن إلا عطلا ،
ولو توشّحت بأنوار الربيع الزاهر ، وسرّجت جبينك غرةَ البدرِ الباهر ،
ما كنت إلا عطلا ، سيما مع قلة وفانك ، وضغف إخالك ، وظلمة ماتتصرف
فيه من خصالك ، وتراكم الدجى على ضلالك ، وقد ندّمتُ على ما أعرتك من
ودى ، ولكن أى ساعةٍ منّدم ، بعد إفناء الزمان في ابتلائك ، وتصفّحي
حالاتِ الدهر في اختيارك ، وبعد تضييع ما غرسته ، ونقض ما أسستّه ، فإن
الودادَ غرسٌ إذا لم يوافق نرى نريا ، وجواً عذياً^(٢) ، وماء رويًا ، لم يُرْجَ
زكاؤه ، ولم يجر نماؤه ، ولم تفتح أزهاره ، ولم تجن ثماره ، ولبت شعري ، كيف

(١) هذا بيت لمهلل بن ربيعة أخى كليب بن ربيعة ، وقبل هذا البيت قوله :

أنكحها فقدها الأرقم في جنب ، وكان الحباء من آدم

يقول ذلك في ابنته وقد زوجها ممن لم يره كفتا (م) (٢) جوا عذيا : طيب الهواء (م)

ملك الضلال قيادى حتى أشكل على ما يحتاجُ إليه المزوجان ، ولا يستغنى
 عنه المتآلفان ، وهما مازجة طبع ، وموافقة شكل وخلق ، ومطابقة خيم^(١) وخلق ،
 وما وصلتنا حال تجمعنا على اختلاف ، وحمئنا من اختلاف ، ونحن فى طرفى
 ضدّين ، وبين أمرين متباعدين ، وإذا حصلت الأمر وجدتُ أقل ما بيننا من
 البعاد ، أكثر مما بين الوهاد والنجاد^(٢) ، وأبعد مما بين البياض والسواد ، وأيسر
 ما بيننا من الانفار أقل [ما بيننا من النصار ، وأكثر ما] بين الليل والنهار ، والإعلان
 والإسرار

[حسن التأتى للأمور]

قال أسد بن عبد الله لأبى جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، قرطُ الخيلاء ،
 وهيبةُ العزة ، وظلُّ الخلافة ، يكفُّ عن الطلب من أمير المؤمنين إلا عن
 إذنه ، فقال له : قل ، فقد والله أصبتَ مملَكَ الطلب ؛ فسأل حوائج كثيرة
 قضيت له .

وقال عمرو بن نهيك لأبى جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ، قد حضر خدمك
 الإعظام والهيبة عن ابتدائك بطليأتهم ، وما عاقبة هذين لهم عندك ؟ قال : عطاء
 يزيدم حياة ، وإكرامٌ يكسوم هيبة الأبد

قال عيسى بن على : ما زال المنصور يشاورُنا فى أمره حتى قال إبراهيم بن هرمة فيه :

إذا ما أراد الأمر ناجى ضميره فناجى ضميراً غير مختلف العقل
 ولم يُشرك الأدين فى جلّ أمره إذا اختلفت بالأضعفين قوَى الخبل

فقر فى ذكر المشورة

المشورة إقاحُ العقل ، ورائدُ الصواب ، وحزْمُ التدبير . المشاورة قبل
 المساورة . والمشورة عينُ الهداية .

(١) الحيم - بكسر الحاء - الطبع والسجية (م)

(٢) الوهاد : جمع وهدة ، وهي ما انخفض من الأرض ، والنجاد : جمع مجد ،

وهو ما ارتفع من الأرض (م)

ابن المعتز : من رضى بحاله استراح ، والمستشير على طرف النجاح .
 وله : مَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةَ لَمْ يَعْدَمْ فِي الصَّوَابِ مَادِحًا ، وَفِي الْخَطِئِ عَازِرًا .
 بشار بن برد : المشاور بين إحدَى الحسنيين : صواب يفوزُ بشمرته
 أو خطأ يُشارك في مكروهه ، وقال :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعنْ بعزم نصيحٍ أو مشورة حازم
 ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً فإن الخوافي قوة للقوادم^(١)
 وما خير كف أمسك الفل - أختها وما خير سيف لم يؤيد بقاتم
 وخلّ الهوى نى للضعيف ولا تكن نؤوما فإن الحرّ ليس بناثم
 وأدن إلى القرب المقرب نفسه ولا تشهد النجوى امرأ غير كاتم
 فإنك لا تستطرد الغم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات لزمته فقال : أيها
 الأمير ، قد عظم شأنك أن يُستعان بك أو يستعان عليك ، ولست تفعل شيئاً
 من المعروف إلا وأنت أكبر منه ، وليس العجب من أن تفعل ، بل العجب
 من ألا تفعل ؛ فقضاها .

[تاريخ الكتب والرسائل]

استخلص القاضي أبو خليفة الفضل بن حباب الجمحي رجلاً للأنس به ، فقال :
 أغرّ ثيابي وأعود ، قال : ما أفعل ، إيناسك وعد ، وإحاشك نقد ، وكان أبو خليفة
 من جلة المحدثين ، وله خلاوة معنى ، وحسن عبارة ، وبلاغة لفظ . قال الصولي : كاتبتُ
 أبا خليفة في أمور أرادها فأغفلتُ التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلى بعد نفوذ
 الثاني : وصل كتابك - أعزك الله - مُبهم الأوان ، مُظلم المكان ، فأدّى خيراً ما القرب

(١) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت ، والقوادم : عشر ريشات
 في مقدم الجناح ، وهي كبار الريش ، تغطي الخوافي (م)

فيه بأولى من البُعد ؛ فإذا كتبت — أكرمك الله تعالى ! — فلتكن كتبك مرسومة بتاريخ ؛ لأعرف أدنى آثارك ، وأقرب أخبارك ، إن شاء الله تعالى ؛ وقال بعض الكتاب : التاريخ عمودُ اليقين ، ونافى الشك ، به تُعرف الحقوق ، وتُحفظُ العهود .

وقال رجل لأبي خليفة سلم عليه : ما أحسبك تعرف نسي ، فقال : وجهك يدلُّ على نسبك ، والإكرامُ يمنع من مسألتك ، فأوجد لي السيل إلى معرفتك .

وسأل أبو جعفر المنصور قبل أن تُفضى إليه الخلافة شبيب بن شيبة ، فانتسب له فعرفه أبو جعفر ، فأثنى عليه وعلى قومه ، فقال له شبيب : بأبي أنت وأمي ! أنا أحبُّ للمعرفة واجلَّتْ عن المسألة ، فتبسَّم أبو جعفر وقال : لطف أهل العراق ! أنا عبد الله بن محمد [بن علي] بن عبد الله بن العباس ، فقال : بأبي أنت وأمي : ما أشبهك بنسبك ؛ وأدلك على منصبك .

فقر وأمثال، يتداولها المال

الولاية حلوة الرضاع مرَّة القطام . غبارُ العمل خيرُ من زعفران العطلة .

ابن الزيات : الإرجاف مقدمة السكون .

عبد الله بن يحيى : الإرجاف رائد الفتنة .

حامد بن العباس : غرسُ البلوى ، يثمر الشكوى .

أبو محمد المهلبى : التصرف أعلى وأثنى ، والتعطل أضنى وأعنى

أبو القاسم صاحب : وعدُّ السكريم ، ألزمُ من دين الغريم .

ابن المعتز : ذلُّ العزل يضحك من تيه الولاية . وقال :

كم تائه — ولاية — ويمزله ركضَ البريدُ

مُكرُّ الولاية طيبٌ وخارها صفبٌ شديدٌ

وقال : من ولى ولاية فتاه فيها فأخبره أن قدره دونها . العزل طلاق الرجال
وحيض المال . وأنشدوا :

وقالوا العزلُ للعمال حَيْضٌ لحاءُ الله من حَيْضٍ بَغِيضٍ
فإنَّ بكُ هكذا فأبو عليٍّ من اللأى يَلْسَنُ من الحَيْضِ
منصور الفقيه :

يا مَنْ تَوَلَّى فأبدى لنا الجفا وتَبَدَّلْ
أليس منك سَمِعْنَا من لم يمتْ فسيُفَزَلْ
وقال أيضاً :

إذا عَزَلَ المرءُ واصلتهُ وعند الولاية استكبرُ
لأن المولى له نخوة ونفسى على الذلِّ لا تُضْبِرُ

[من ترجمة منصور الفقيه ، وأخباره]

ومنصور هذا هو منصور بن إسماعيل بن عيسى بن عمر التيمي^(١) ، وكان يتفقه
على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وهو حلو المقطعات ، لا تزالُ تندر له
الآيات مما يُسْتَظَرَفُ معناه ، ويُستَحلى مغزاه ، [ويبقى ثَناءه] ، وهو القائل لما
كفَّ بصره :

مَنْ قال ماتَ ولم يَسْتَوْفِ مُدَّتَهُ لعظم نازلةٍ نالتهُ معذور
وليس فى الحكم أن يحيا فتى بلغتْ به نهاية ما يخشى المقاديرُ
فقل له غيرَ مُرْتَابٍ بغفلته أوسوء مذهبهِ : قد عاش منصورُ
وعَتَبَ على بعض الأشراف ، وكانت أمُّه أمة قيمتها ثمانية عشر ديناراً ، فقال :
من فاتنى بأبيه ولم يفتنى بأمة

ورام شمتى ظلمًا سكت عن نصف شتمه

وقال :

لو قيل لي خذ أمانًا من حادث الأزمان
لما أخذت أمانًا إلا من الإخوان

وقال :

رضيت بما قسم الله لي وفوضت أمري إلى خالقي
كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي

وقال :

لو كنت منتفعًا بملك مع مواصلة الكبار
ماضٍ شرب السم واءلم أن شرب السم ضار

وقال :

إذا القوت تأتي لك والصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

ورأيت له في أكثر النسخ - على أن أكثر الناس يرويه لإبراهيم بن

المهدي ، وهو الصحيح - :

لولا الحياء وأنت مشهور والعيب يملق بالكبير كبير
لحملت منزلنا الذي نحتله ولكن منزلنا هو المهجور^(١)

وهذا كقول صاحب أبي القاسم :

[دعني عينك نحو الصبا دعاء يكرر في كل ساعة
فلولا وحقتك عذر المشيب لقلت لعينيك سمعًا وطاعة]

(١) هذا وجه ضعيف في المرية ، وهو أن تجعل « هو المهجور » جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب خبر كان ، والفصح أن تجعل « هو » ضمير فصل و « المهجور » بالنصب على أنه خير كان ، نحو قوله تعالى : (كنت أنت الرقيب عليهم) .

وقال ابن دريد في معنى البيت الأول فأحسن : [

إذا رأيت امرأ في حال عُسرته مُصَافِيَاً لك ما في ودّه خَلالٌ
فلا تمنّ له أن يستفيد غنى فإنه بانتقال الحال ينتقل

[تغير الحال ، بكثرة الأموال]

وكان لحمد بن الحسن بن سهل صديق قد نالته عُسرة ، ثم ولى عملاً ، فاتاه
محمد قاضياً حقاً ومسلماً عليه ، فرأى منه [نبوة و] تغيراً ، فكتب إليه :
لئن كانت الدنيا أنالتك نروة وأصبحت ذا يُنبر ، وقد كنت ذا عُسر
لقد كشف الإبراء منك خلائقاً من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر
وقال أبو العتاهية في عمرو بن مَعْدَةَ ، وكان له خلاً قبل ارتفاع حاله ، فلما
علت رتبته مع المأمون تغير عليه :

غَنيت عن العهد القديم غنيّاً وضيعت عهداً كان لي ونسيّاً
وقد كنت لي أيام ضَعْفٍ من القوى أبر وأوفى منك حين قوّيتا
تجاهلت عما كنت تحسّن وصفه ومثّ عن الإحسان حين حَيّيتا

وكتب بديع الزمان إلى أبي نصر بن المرزبان فيما ينخرط في هذا السلك :

من
بديع الزمان
لابن المرزبان

كنت - أطال الله بقاء الشيخ سيدي وأدام عزّ - في قديم الزمان أتمنى الخير للاخوان ،
وأسأل الله تعالى أن يدرّ عليهم أخلاف الرزق ^(١) ، ويمدّ لهم أكناف العيش ، ويؤتاهم
أصناف الفضل ، ويوطئهم أكناف العز ، وينيلهم أعراف الجدد ، وقصّاراي الآن
أن أرغب إلى الله تعالى ألاّ يُنيلهم فوق الكفاية ، فشدّ ما يظفون عند النعمة
ينالونها ، والدرجة يعلونها ، وسرع ما ينظرون من عال ، ويجمعون من مال ، وينسون
في ساعة اللدونة. أوقات الخشونة ^(٢) ، وفي أزمان العذوبة أيام الصموبة ، وللكتاب مزية

(١) الأخلاف : جمع خلف - بالكسر - وهي حلة ضرع الناقة (م)

(٢) اللدونة : اللين ، لدن الشيء - من باب كرم - لدانة ولدونة : لان .

في هذا الباب ؛ فيبذلهم في الغربة أعوان كما انفرج المشط ، وفي العطلة إخوان كما انتظم السَّمَطُ ، حتى إذا لحظهم الجدُّ لحظةً خَفَاءَ بمنشور عمالة ، أو صَكَ جمالة ؛ عاد عامر مودتهم خرابا ، وانقلب شرابُ عهدهم سَرَابا ، فما اتسعت دورُهم إلا ضاقت صدورُهم ، ولا عكبت قدورُهم إلا خبت بدورهم ، ولا عكلت أمورُهم إلا أسبكت ستورُهم ، ولا أوقدت نارُهم إلا انطفأ نورهم . ولا هَمَلَجَتْ عَتَاَقَهُم إلا فطمت أخلاقهم ، ولا صلحت أحوالهم ، إلا فسدت أفعالهم ، ولا كثرَ مالهم ، إلا قلَّ جاهلهم ، وعزَّ معروفهم ، وورمت أنوفهم ^(١) ، حتى إنهم ليصيرون على الإخوان مع الخطوب خطبا ، وعلى الأحرار مع الزمان ألبا . قُصَارَى أحدهم من المجد أن ينصب تحته تخته ، وأن يوطى استه دسّته ، وحسبُه من الشرف دارٌ يصهرج أرضها ، ويزخرف بعضها ، ويزوِّق سقوفها ، ويلق شفوفها ^(٢) ، وناهيه من الشرف أن تغدو الحاشية أمامه ، وتحمل الناشية قدَّامه ، وكفاه من السكرم الفاظ فقاعية ^(٣) ، وثياب قداعية ، يلبسها ملوما ، ويحشوها لوما ، وهذه صفة أفاضلهم . ومنهم من يمتحك الودَّ أيام خُشكاره حتى إذا أخصب جعل ميزانه وركيله ، وأسنانَه أركيله ، وأنيسه ركيسه ، وأليفه رغيته ، وأمينه يمينه ، ودنانيره سَميره ، وصندرقه صديقه ، ومفتاحه ضجيجه ، وخاتمه خادِمه ، وجمع الدرَّة إلى الدرَّة ، ووضع البَدْرَة على البَدْرَة ، فلم تقع القطرَة من طَرَفه ، ولا الدرَّة من كَفِّه ؛ ولا يخرج ماله عن عهدة خاتمه ، إلى يوم مآتمه ، وهو يجمع لحادث حياته ، أو وارث وفاته ؛ يسلِّك في القَدْرِ كلَّ طريق ، ويبيع بالدرهم ألف صديق ؛ وقد كان الظنُّ بصديقنا أبي سعيد - أيده الله تعالى - أنه إذا أخصب آوانا كنفا من ظله ، وحبانا من فضله ، فمن لنا الآن بعدله ؟ إنه - أطل الله بقاءه - حين طارت إلى أذنه عُقاب المخاطبة بالوزير ، وجلس من الديوان في صدر الإيوان

(١) ورم أنف فلان : كناية عن إظهاره الكبر (م)

(٢) الشفوف : جمع شف - بالكسر - وهو رقيق الثياب (م)

(٣) فقاعية : ذات تشدق

أَقْصَى عُدْرَةِ السِّيَاسَةِ لَدَيَّ ، بِتَعَرُّضِ بَعْضِ الْمُخْتَلِفَةِ إِلَى ، وَجَعَلَ يَمْرُضُهُ
لِلْهَلَاكِ ، وَبِتَسَبُّبِ إِلَيْهِ بِمَالِ الْأَتْرَاكِ ، وَجَعَلَتْ أَمْرَهُ مَرَّةً وَأَقْصَدُهُ أُخْرَى ،
وَأَذْكُرُهُ أَنَّ الرَّكَّابَ رُبَّمَا اسْتَنْزَلَ ، وَالْوَالِيَّ رُبَّمَا عَزَّلَ ، ثُمَّ يَجِفُّ رَيْقُ الْحُجَلِ
عَلَى لِسَانِ الْعَذْرِ ، فَتَبْقَى الْحَزَازَةُ فِي الصَّدْرِ ، وَمَا يَجْمَعُنِي وَالشَّيْخُ إِنْ كَانَ زَادَهُ
قَوْلِي إِلَّا عَلُوًّا فِي تَحْكَمِهِ ، [وَغُلُوًّا فِي تَهْكَمِهِ] وَجَعَلَ يَمْشِي الْجَمَزَى فِي ظِلِّهِ ؛
[وَيَبْرَأُ إِلَى مَنْ عِلْمُهُ] ، فَأَقُولُ - إِذَا رَأَيْتَ ذِلَّةَ السُّؤَالِ مِنْ عِزَّةِ الرَّدِّ
مِنْهُ لِي - :

قُلْ لِي مَتَى فَرَزْتَ سُرْعَةَ مَا أَرَى يَا بَيْدَقُ^(١)

وَمَا أَضْيَعُ وَقْتًا فِيهِ أَضَفْتُهُ ، وَزَمَانًا بِذِكْرِهِ قَطَعْتُهُ ، هَسَلْتُ إِلَى الشَّيْخِ
وَشَرَعْتُ ، فَقَدْ نَكَا الْقَلْبُ بَقَرَّةً ، وَكَيْفَ أَصِفُ حَالًا لَا يَفْرَعُ الدَّهْرُ
مَرَوَّةَ حَالِهِ ، وَلَا يَنْتَقِضُ عُرْوَةُ إِجْلَالِهِ ؛ فَمَا أَوْلَانِي بَأَنَّ أَذْكُرُهُ بِمَجْمَلٍ ، وَأُنْزِكُهُ
مَفْصَلًا ، وَالسَّلَامَ .

رسالة أخرى
من البديع
لبعض إخوانه

وَكُتِبَ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ فِي أَمْرِ رَجُلٍ وَلِي الْأَشْرَافِ :
فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاكَ - مِنْ أَمْرِ فُلَانٍ أَنَّهُ وَلِي الْأَشْرَافِ ،
فَإِنْ يَصْدُقُ الطَّيْرُ يَكُنْ إِشْرَافًا عَلَى الْهَلَاكِ ، بِأَيْدِي الْأَتْرَاكِ ، فَلَا تَحْزُنْكَ وَلَا يَتُّهُ
فَالْحَبْلُ لَا يَبْرُمُ إِلَّا لِلْفَتْلِ ، وَلَا تَعْجَبْكَ خَلْعَتُهُ فَالْثَوْرُ لَا يَزِينُ إِلَّا لِلْقَتْلِ ، وَلَا يَرْعَكَ
نِفَاقُهُ فَارْخُصْ مَا يَكُونُ النَّفْطُ إِذَا غَلَا [وَأَسْفَلَ مَا يَكُونُ الْأَرْنَبُ إِذَا عَلَا] ،
وَكُنَّا بِهِ وَقَدْ شَنَّ عَلَيْهِ جِرَانُ الْعَوْدِ ، شَنَّ الْمَطْرُ الْجُودُ ، وَقِيدَلَهُ مَرْكَبُ الْفَجَارِ ،
مِنْ مَرْبُطِ النَّجَارِ ، وَإِنَّمَا جَرَّ لَهُ الْحَبْلُ ، لِيُضَقَّعَ كَمَا صُفِّعَ مِنْ قَبْلِ ، وَسَتَعُودُ تِلْكَ
إِخَالَةُ إِحَالَةٍ ، وَيَنْقَلِبُ ذَلِكَ الْحَبْلُ حَبَالَةً ، فَلَا يَحْسُدُ الذُّئْبُ عَلَى الْإِلَئِيَةِ يُمُطِّأُهَا
طَلْعَةً ، وَلَا يَحْسِبُ الْحَبَّ يُنْثَرُ لِلْعَصْفُورِ نِعْمَةً ، [وَهَبْهُ وَتَّى إِمَارَةَ الْبَحْرَيْنِ أَيْلِسَ

(١) الْفَرَزَانُ : قِطْعَةٌ فِي لَعِبَةِ الشُّطْرَانِجِ (الْوَزِيرِ) لَهَا أَهْمِيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَيُقَالُ لَهُ
«الْعُرْزُ» وَفَرَزْنٌ : صَارَ فَرَزَانًا ، وَالْبَيْدَقُ : قِطْعَةٌ أُخْرَى هَيئَةَ الشَّانِ ، وَالْفُظْطَانُ

أَعْمِيَانِ (م)

مرجه ذلك العقل ، ومصيره ذلك الفضل ، ومنصبه ذلك الأصل . وعصارته ذلك النسل ، وقعيدته تلك الأهل] ، وقوله ذلك القول ، وفعله ذلك الفعل ، فكان ماذا ؟ أليس [ما] قد سلب أكثر مما أوتى ، وما أعدم أوفر مما غنم ! مالك تنظر إلى ظاهره ، وتعمى عن باطنه ؟ أكان يعجبك أن تكون قعيدته في بيتك ، وبغلته من تحتك ، أم كان يسرك أن تكون أخلاقه في إهابك ، وبوابه على بابك ، أم كنت تود أن تكون وجعاؤه في إزارك ، وغلمانه في دارك ، أم كنت ترضى أن تكون في مربطك أفراسه ، وعليك إلباسه ، ورأبك رأسه ؟ جعلت فداك ! ما عندك خير مما عنده ، فاشكر الله وحده على ما آتاك ، واحمده على ما أعطاك ، ثم أنشد :

إن الغنى هو الراضى بعيشته لا من يظل على الأقدار مكتئبا

[في البخل]

ألف سهل بن هارون كتاباً^(١) يمدح فيه البخل ويذم الجود ؛ ليظهر قدرته على البلاغة ، وأهداه للحسن بن سهل في وزارته للأمان ، فوقع عليه : لقد مدحت ما ذمّه الله ، وحسنت ما قبح الله ، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنك ، وقد جعلنا نوالك عليه قبول قولك فيه .

بين سهل
ابن هارون
والحسن بن
سهل

وكان الحسن من كرماء الناس وعقلائهم . سئل أبو العيناء عنه ، فقال : كأنما خلف آدم في ولده ، فهو ينفع غيبتهم ، ويسد خائبهم ، ولقد رفع الله للدنيا من شأنها ، إذ جعله من سكانها

أخذ هذا المعنى أبو العيناء من قول الشاعر :

وكان آدم كان قبل وفاته أو صاك وهو يهود بالخواتم
بينه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم غيلة الأبناء

(١) في كتاب البخل . لاحظ رسالة سهل بن هارون في البخل ، وقد طبع كتاب البخل في ليدن ، وطبع في مصر أربع مرات .

وأخذ أبو الطيب المتنبي آخر كلام أبي العيناء فقال :
 قد شرف الله دُنْيَا أَنْتَ سَاكِئُهَا وشَرَّفَ الناسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا
 وقيل للحسن بن سهل : لم قيل : قال الأول ، وقال الحكيم ؟ قال : لأنه
 كلام قد مرَّ على الأسماع قَبْلَنَا ، فلو كان زِلْلاً لَمَا نُقِلَ إِلَيْنَا مُسْتَحْسِنَا .

ومن أمثال البخلاء ، واحتجاجهم ، وحكمهم

أبو الأسود الدؤلي : لا تُجَاوِدِ الله ؛ فإنه أجودُ وأمجِدُ ، ولو شاء أن يوسّعَ على خَلْقِهِ
 حتى لا يكون فيهم محتاج فعل . وقال : لو أطيننا المساكين في إعطائنا إياهم كُنَّا أسوأ حالا منهم .
 وقال السكندی : قولُ « لا » يدفعُ البلاء ، وقول « نعم » يزيلُ النعم . وقال :
 سماعُ الغناء برسام حَادٍ ؛ لأن المرءَ يسمع فيطرب ، فيسمح فيفتقر ، فيغتم فيمرض
 فيموت . وقال لابنه : يا بني ، كُنْ مع الناس كاللاعب بالقمار ، إنما غَرَضُهُ أَخْذُ
 متاعهم ، وحِفْظُ متاعه .

وقال [غيره :] مَنَعُ الجميع أَرْضَى للجميع . إذا قبِح السؤال حسن المنع .
 وقال عليُّ بن الجهم : من وَهَبَ في عمله فهو مخدوع ، ومن وَهَبَ بعد العَزَلِ
 فهو أحمق ، ومن وَهَبَ من جوائز سلطانه أو ميراث لم يتعَبَ فيه فهو مخدول ، ومن وهب
 مِنْ كَيْسِهِ وما استفاد بحيلته فهو المطبوع على قلبه ، المختوم على سمعه وبصره .

ومن إنشاداتهم :

لا تَجِدُ بالعطاء في غير حقٍّ ليس في مَنَعٍ غير ذِي الحقِّ بَخْلُ
 وقال كثير :

إذا المَالُ لم يوجِبْ عليك عطاءهُ حقيقةً تقوَّى أو صديقُ ترَافِقهِ
 منعت ، وبعضُ المنعِ حَزْمٌ وقوة ولم يفتلتك المَالُ إلا حَقَائِقُهُ ^(١)

(١) لم يفتلتك المال : لم يأخذه منك بسرعة ، والحقائق : جمع حقيقة ، والمراد
 بها هنا مصارف المال التي يحق صرفه فيها ، مثل الإعانة على مكرمة ، أو دفع ضائقة ،
 وفي نسخة « ولم يعملك المال إلا حقائقه » (م)

ابن المعتز :

ياربَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امرئٍ ققام للناس مقامَ الذليل
فأشدُّ عُرًا مَالِكٌ واستَبَقَهُ فالبُخْلُ خيرٌ من سؤال البخیل
وكتب بعضُ البخلاء يصفُ بخيلاً : حضرت - أعزَّكَ اللهُ - مائدةً فلانٍ
للقدَّرِ المجلوب ، والحينِ المتَّاح^(١) ، والشقاء الغالب ، فرأيت أواني تروق العيون
مخاسنها ، ويونقُ النفوسَ ظاهرها وباطنها ، وتزهى اللحظات ببدايع غرائبها ،
وتستوفي الشهوات بلطائف عجائبها ، مُكَلَّلَةٌ بأحسن من حلي الحسان ووجوهها
وزهر الرياض ونورها ؛ كأنَّ الشمسَ حلت بساحتها ، والبدر يغرف من جوانبها
فددت يداً عَمَّتْهَا الشراهة ، وغلبها القدر الغالب ، وجربها الطمع الكاذب ، وإذا
له مع كسْرِ كل رغيف لحظة نُكُور ، ومع كل لُقْمَةٍ نَظْرَةٌ شَرُّر ، وفيما بين ذلك
حُرْقٌ قائمة ، يَصْلَى بها مَنْ حضره من العلمان والحشَم ، [وقام بين يديه من
الولدان] والخدم ، ومع ذلك فترة المغشي عليه من الموت ؛ فلما وضعت الحربُ
أوزارها برفع الخِوَان ، وتخلت عنه سماديرُ الغشيان^(٢) ، بسط لسانَ جهنمه ، ونصر
ما كان من بخله ، ونظر إلى مؤاكلة ، نظر المسترقَّ له بأكلته ، المالكُ لخَيْطِ
رقبته ! يظنُّ أنه أولى من والديه بنسبته ، وأحقُّ بماله ، من ولده وعياله ، يرى
ذلك [فضلاً ، وحقاً لازماً ، وأمرأ واجباً] نزل به الكتابُ والسنة ، واتفقَ عليه
قُضَاةُ الأُمة ، فإن دفعه رد حكم القضاة عليه ، وإن سَمَحَ به فغيرُ محمود عليه .

فقر لابن المعتز وغيره في الصديق والصدق

إنما سُمِّيَ الصديقُ صديقاً لصدقه فيما يدَّعيه لك ، وسُمِّيَ العدو عدواً لعدوه

(١) أصل الحين - بالفتح - الهلاك ، والمتاح : المقدَّرُ المهيأ (م)

(٢) السمادير : شيء يترأى للسكران بسبب ضعف بصره الناشئ عن السكر .

وهو أيضاً ما يغشاك من دوار أو نعاس (م)

عليك إذا ظفر بك . علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يتدبى بالكتاب ، لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . إذا كثرت ذنوب الصديق اُتَمَحَقَّ السرورُ به ، وتسارطت التهم عليه . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الأُنس أثمرت مودته ندما . نُصَح الصديق تأديبٌ ، ونصح العدو تأنيب . ظاهرُ العتاب خيرٌ من باطن الحقد ، ما جش الوَدَّ بمثل العتاب .

تَرَكُ العتاب - إذا استحقَّ أخٌ منك العتاب - ذريعةُ المهْجَرِ
وكتب أبو إسحاق الصابي إلى صديق له من الحبس : نحن في الصحبة كالنَّسْرَيْنِ^(١) ، لكنني واقع ، وعلى الطائر أن يغشى أخاه ويراجع من قل صدقه قل صديقه . من صدقت لهجته ظهرت حُجَّتُهُ . الصادق بين المهابة والمحبة . من عُرِف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب لم يَجْزُ صِدْقُهُ ، ومن تمام الصدق الإخبار بما تحتمل العقول .

[كتاب الحسن بن وهب إلى أبي تمام يصف بلاغته]

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي : أنت حفظك الله تَحْتَذِي من البيان في النظام، مثل ما قصد نحن في النثر من الإفهام، والفضل لك - أعزك الله - إذ كنت تأت به في غاية الاقتدار، على غاية الاقتصار، في منظوم الأشعار، فتحل متعقده، وتربط متشرده، وتضم أقطاره، وتجلو أنواره، وتفصله في حدوده، وتخرجه في قيوده، ثم لا تأتي به مهملاً فيستبهم، ولا مشتركا فيلتبس، ولا متعقدا فيطول، ولا متكلفا فيحول؛ فهو منك كالمعجزة تضرب فيه الأمثال، وتشرح فيه المقال؛ فلا أعدمنا الله هداياك واردة، وفوائدك وافدة، وهي طويلة

(١) النسران : نجران في السماء ، يقال لأحدهما : النسر الواقع ، ويقال للآخر :

النسر الطائر (م)

وفي هذه الرسالة يقول أبو تمام ، وقد أرى أنه قال ذلك في غيرها :

[لقد جَلَى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ جَوٍّ ، وَأَصَابَ شَاكِلَةَ الرِّمِيِّ
فَضَضْتُ خُتَامَهُ فَتَبَلَّجَتْ لِي غَرَائِبُهُ عَنِ الْخَبْرِ الْجَلِيِّ
وَكُنْ أَغْضَى فِي عَيْنِي وَأُنْذَى عَلَى كَبْدِي مِنَ الزَّهْرِ الْجُنِيِّ
وَأَحْسَنَ مَوْقِعًا مِنِّي وَعَنْسَدَى مِنَ الْبُشْرَى أَتَتْ بَعْدَ النِّعَى
كُتِبَتْ بِهِ بَلَا لَفْظٍ كَرِيهِ عَلَى أَذُنٍ ، وَلَا لَفْظٍ قَمِيٍّ
وَضُمِّنَ صَدْرُهُ مَا لَمْ تَضْمَنْ صَدُورُ الْعَانِيَاتِ مِنَ الْحَلِيِّ
فَإِنْ تَكُ مِنْ هَدَايَاكَ الصَّفَايَا فَرَبِّ هَدِيَةٍ لَكَ كَالْهَدْيِ
لَنْ غَرَبَتْهَا فِي الْأَرْضِ بَكْرًا لَقَدْ زُفَّتْ إِلَى سَمْعٍ كَفِيِّ
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ فِي الْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ الْمَصْقُولُ خِلَتْ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ ^(١)
وَإِذَا دَجَّتْ أَقْلَامُهُ نَمَّ انْتَحَتْ بَرَقَتْ مَصَائِيحُ الدَّجَا فِي كُتْبِهِ
بِالْفِظِ يَقْرُبُ فُهُمُهُ فِي بَعْدِهِ مَنَّا ، وَيَبْعَدُ نِيلُهُ فِي قُرْبِهِ
حَكْمٌ فَسَاحُهَا خِلَالَ بِنَانِهِ مَتَدَقَّقٌ وَقَلِيلُهَا مِنْ قَلْبِهِ
كَالرُّوْضِ مُؤْتَلَقٌ بِحِمْرَةٍ وَرَدَهُ وَأَنِيقُ زَهْرَتِهِ وَخَضِرَةُ عُشْبِهِ
أَوْ كَالْبُرُودِ تَخَيَّرْتُ لِمَتَوَجِّجٍ مِنْ خَالِهِ أَوْ وَشِيهِ أَوْ عَضْبِهِ ^(٢)
كَأَنَّهَا وَالسَّمْعُ مَعْقُودٌ بِهَا وَجْهُ الْحُبِّ بَدَا لَعِينُ مَحَبَّةٍ
أَنَشِدْ بَعْضُ الْكِتَابِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَبَا الْعَبَّاسِ ثَعْلَبِيَا ، فَاسْتَعَاذَهَا حَتَّى فُهِمَهَا ،
تَمَّ قَالَ : لَوْ سَمِعَ الْأَوَائِلُ هَذَا مَا فَضَّلُوا عَلَيْهِ شِعْرًا .

وَقَالَ بَعْضُ الْكِتَابِ :

- (١) خِلَتْ : ظَنَنْتُ ، وَالْعَضْبُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ ، وَمِنْ عَادَتِهِمْ تَشْبِيهُ الْأَسَانِ
بِالسِّيفِ ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ حَسَنِ * لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كَلَاهَا * (م)
(٢) الْخَالُ ، هُنَا : ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ ، وَالْوَشَى : أَصْلُهُ نَقَشُ الثَّوْبِ ، وَسَمِيَ
بِهِ نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ ، وَالْعَصْبُ - بِالْفَتْحِ - بَرْدٌ يَصْنَعُ غَزْلَهُ ثُمَّ يَنْسِجُ (م) .

ورسالة أفاظها في النظم كالذرة النشيرة
 جاءت إليك كأنها المستوفيق في كل الأمور
 بأرق من شكوى وأخ سن من حياة في سرور
 لو واجهت أعى لأصبح وهو ذو طرف بصير
 فكأنها أمل سرى من بعد أيام في السرور
 أو كالنقييد إذا أتت لقدمه بشري البشير
 أو كالنعام لساها أو كالأمان لمستجير
 كتبت بحبر كالنوى أو كغر نغمي من كفور
 فكأنما هو باطل ما بين حق مستنير

وقال أحمد بن أبي العباس بن ثوبة :

في كل يوم صدور الكتب صادرة
 من رأيه وندى كفيه عن مثل
 عن خط أعلامه يجرى القضاء على
 كل الخلائق بين البيض والأسل^(١)
 كأن أسطره في بطن مهرقه
 نور يضاحك دمع الوا كيف الخضل^(٢)
 لعبه على الصدر ينفتحها
 وربما كان فيه النفع للعلل
 كالنار تعطيك من نور ومن جرق
 والدر يعطيك من غم ومن جدل^(٣)
 وقال آخر :

مداد مثل خافية الغراب ورق مثل رراق السراب
 وأقلام كأرواح الجوارى وألفاظ كأيام الشباب

[مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة]

قال أحمد بن يوسف : دخلت على المأمون ، وفي يده كتاب ، وهو يعاود
 قراءته مرة بعد مرة ، ويصعد فيه بصره ويصوبه ، فالتفت إلى وقد لحظني في

(١) البيض : السيوف ، والأسل : الرماح (م)

(٢) المهرق : الصحيفة يكتب فيها ، والوا كف : المطر الغزير ، والخضل : بفتح

فكسر - الندى (م) (٣) الجذل : السرور (م)

أثناء قراءته الكتاب، فقال : أراك مُفَكِّراً فيما تراه مني ! فقلت : نعم ، وَفَى اللهُ
 أمير المؤمنين المخاوف ! قال : لا مكروه إن شاء الله ، ولكنني قرأتُ كتاباً
 وجدته نظيرَ ما سمعت الرشيد يقوله عن البلاغة ، فإني سمعته يقول : البلاغةُ
 التباعد من الإطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير
 من المعنى ، وما كنتُ أتوهمُ أن أحداً يقدر على هذه البلاغة حتى قرأت هذا
 الكتاب من عمرو بن مسعدة إلينا فإذا فيه :

كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من الأجناد والقواد في الطاعة والانقياد
 على أحسن ما تكونُ عليه طاعةُ جُنْدٍ تأخَّرَتْ أعطيتهم ، واختلت أحوالهم !
 ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه [المسألة في الإخبار] ، وإغفائه سلطانه من الإكثار .
 ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر .

وفي عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي ^(١) :

أَعْبَى عَلَى بَارِقِ نَاصِبٍ	خَفِيَ كَوْنُ خَيْكِ بِالْحَاجِبِ
كَأَنَّ تَأَلُّفَهُ فِي السَّمَاءِ	يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ
فَرَوَى مِنْ أَزَلٍ تَذَكَّارُهَا	يَهْتَبِجُ مِنْ شَوْطِكِ الْغَالِبِ
غَرِيبٌ يَحْسُنُ لِأَوْطَانِهِ	وَيُنَبِّئُكَ عَلَى عَصْرِهِ الذَّاهِبِ
كَفَاكَ أَبُو الْفَضْلِ عَمْرُو النَّدَى	مُطَالَعَةُ الْأَمَلِ الْكَاذِبِ
وَصِدْقُ الرِّجَاءِ وَحُسْنُ الْوَفَاءِ	لِعَمْرُو بْنِ مَسْعَدَةَ الْكَاتِبِ
عَرِضَ الْفَنَاءِ طَوِيلُ الْبِنَا	فِي الْعِزِّ وَالشَّرَفِ الثَّاقِبِ
بَنَى الْمَلِكُ طَوْدَ لَهُ بَيْتَهُ	وَأَهْلُ الْخِلَافَةِ مِنْ غَالِبِ
هُوَ الْمَرْتَجَى لَصُرُوفِ الزَّمَانِ	وَمُعْتَصِمُ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ
جَوَادٌ بِمَا مَلَكَتْ كَفُّهُ	عَلَى الضَّيْفِ وَالْجَارِ وَالصَّاحِبِ

(١) روى أبو علي القالي (الأمالى ١/ ١٨٠) (الدار) البيتين الأول والثاني مع بعض
 تغيير في أولهما ولم ينسبهما ، ونسبهما البكري في اللآلئ (٤٤٠) لعبد الله بن العباس
 ابن الفضل بن الربيع بن يونس .

بأذرم الركاب ووُشى الثيا ب والطرف والطفلة الكاعب
تؤمله لجسام الأمور وندعوه للجلال الكارب
خصيب الجنب مطير السحاب بشيمته لئن الجـانـب
يروى القنا من محور العدا ويُغرق في الجود كاللاعب^(١)
إليك تبدت بأكوارها حراجيج في مهمه لاحب^(٢)
كان نعاماً تمدى بنا ترايل من برّد حاصب
يردن ندى كفك المرتجى ويقضين من حقل الواجب
ولله ما أنت من جابر بسجل لقويم ومن خارب^(٣)
يساق العدا بكثوس الردى ويسبق مسألة الطالب
وكم راغب نلته بالعطا وكم نلت بالختف من هارب
وتلك الخلائق أعطيتهمـا وفضل من المانع الواهب
كسبت الثناء، وكسب الثنا أفضل مكسبة الكاسب
يقينك يجلو سطور الدجى وظنك يُخبر بالغائب
وهذا الشعر يتدفق طبعاً وسلاسة .

[الكلام الجيد الطبع ، والكلام المصنوع]

قلت : والكلام الجيد الطبع مقبول في السمع ، قريب المثل ، بعيد المنال ، أنيق الديباجة ، [رقيق الزجاجة] ، يدنو من فهم سامعه ، كدنوّه من وهم صانعه ، والمصنوع مثقف الكعوب ، معتدل الأنوب ، يطرّد ماء البديع على جنباته ، ويجول روث الحسن في صفحاته ، كما يجول السحر في الطرف الكحيل ،

(١) في نسخة « ويعرق في الجود كاللاعب » وما أثبتناه أوضح (م)

(٢) حراجيج : جمع حرجوج ، وهى السمينه الطويله من النوق أو الشديدة

الضامرة ، واللاحب . الواضع (م)

(٣) في نسخة « والله ما أنت من خابر » وفى أخرى « والله ما أنت من جابر » وما أثبتناه

خير منهما جميعاً (م)

والأثرُ في السيف الصقيل ، وحمل الصانع شعره على الإكراه في العمل وتنقيح
المباني دون إصلاح المعاني يعنى آثار صنعته ، ويطلق أنوار صيغته ، ويخرجه إلى
فساد التعسف ، وقُبْح التكلف ؛ وإلقاء المطبوع بيده إلى قبول ما يبعثه هاجسه ،
وتنفثه وساوسه ، من غير إعمال النظر ، وتدقيق الفكر ، يخرجه إلى حدّ المشتهر
الرث ، وحيّز الغث ؛ وأحسن ما أجرى إليه ، وأعول عليه ، التوسط بين
الحالين ، والمنزلة بين المنزلتين ، من الطبع والصنعة .

وقد قال أعرابي للحسن البصرى : علمنى دينا وسيطا ، لا ساقطا مقهوطا ،
ولا ذاهبا فروطا ، قال الحسن : أحسنت ، خير الأمور أوسطها . والبحترى عن
هذا القوس يزرع ، وإلى هذا النحو يرجع .

قد تم - بعون الله تعالى وتوفيقه - الجزء الثالث من كتاب « زهر الآداب ،
وثمر الألباب » لأبى إسحاق الحصرى ، ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع
مفتتحا بقول المؤلف « ومن الشعر الذى يجرى مع النفس قول ابن المعتز يمدح
المكتفى » نسأله سبحانه أن يوفق إلى إكماله .

فهرس الجزء الثالث من كتاب
« زهر الآداب ، ونمر الألباب »
لأبى إسحاق الحصرى

فهرس الجزء الثالث من كتاب
« زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبى إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
إسحاق يصف الغنى المجيد	٦٤١٢	نبد لأهل العصر تجرى في المدح	٥٩٩
من ترجمة إسحاق الموصلى . وشعره	—	مجرى الأمثال	—
استطراد فيما قيل من الشعر في جمال	٦٥٠	نبد من مفردات الأبيات في فرائد	٦٣٨
الدواب	—	للدح	—
وحدة القصيدة واتساقها	٦٥١	بين إبراهيم الموصلى وموسى الهادى	٦٣٩
السرى في الابتداء بالنسيب	٦٥٤	بين الإسكندر ودارا بن دارا	٦٤٠
موازنة بين أبى تمام والبحترى عن	٦٥٥	حكيم يصف أحزم الملوك	—
الحامى	—	أنو شروان يصف سياسة الدولة	—
أثر الغناء والجمال	٦٦٢	واصل بن عطاء يصف أخلاق السفلة	٦٤١
عكاشة بن عبد الصمد البصرى	٦٦٣	ما يبلغ بالإنسان أقصى درجات الفضل	—
بعض ما قيل في وصف القيان من	٦٦٥	أحزم الراى	—
الشعر	—	حكيم يصف خلال الفضل	—
من ترجمة على بن عبد الرحمن (أبى	٦٦٧	بزرجمهر يصف المروءة ونحوها	—
الحسن بن يونس)	—	وصية معاوية لزياد حين ولاء العراق	—
لابن المعتز في المرأة	—	من كلام البلغاء في ذكر السلطان	٦٤٢
لكشاجم يصف المرأة	٦٦٨	للصاحب بن عباد	—
الأقلام	٦٦٩	لأبى إسحاق الصابى	—
كتاب من عبيد الله بن طاهر إلى	—	للخوارزمى	—
إسحاق بن إبراهيم يستهديه أقلاما	—	لأبى الفتح البسى	—
جواب إسحاق على كتاب عبيد الله	٦٧٠	لأبى الفضل بن العميد	—
لمنصور بن عمار يصف القلم	٦٧١	لأبى الطيب المتنبى	٦٤٤
للتنجيرمى في وصف القلم	—	بين ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان	—
من أخبار النجيرمى	٦٧٣	لعوف القوافى يمدح طلحة بن عبيد الله	٦٤٥
لمحمدان الدمشقى يصف قلما	—	للقطامى يمدح عبد الواحد بن سليمان	—
وصف القلم الصالح للكتابة للعتابى	—	نسب عبد الواحد بن سليمان	—
من ترجمة العتابى وأخباره وشعره	٦٧٤	منزلة شعر القطامى	٦٤٦
من آداب آل وهب : الحسن بن	٦٨٠	نعم الألفاظ ونعم الألحان	٦٤٦
وهب ، وسليمان بن وهب	—	بين عمارق وأبى العتاهية	—
من كلام أهل العصر في ذم الكتابة	٦٨٣	إسحاق الموصلى يصف جارية للمعتصم	٦٤٧

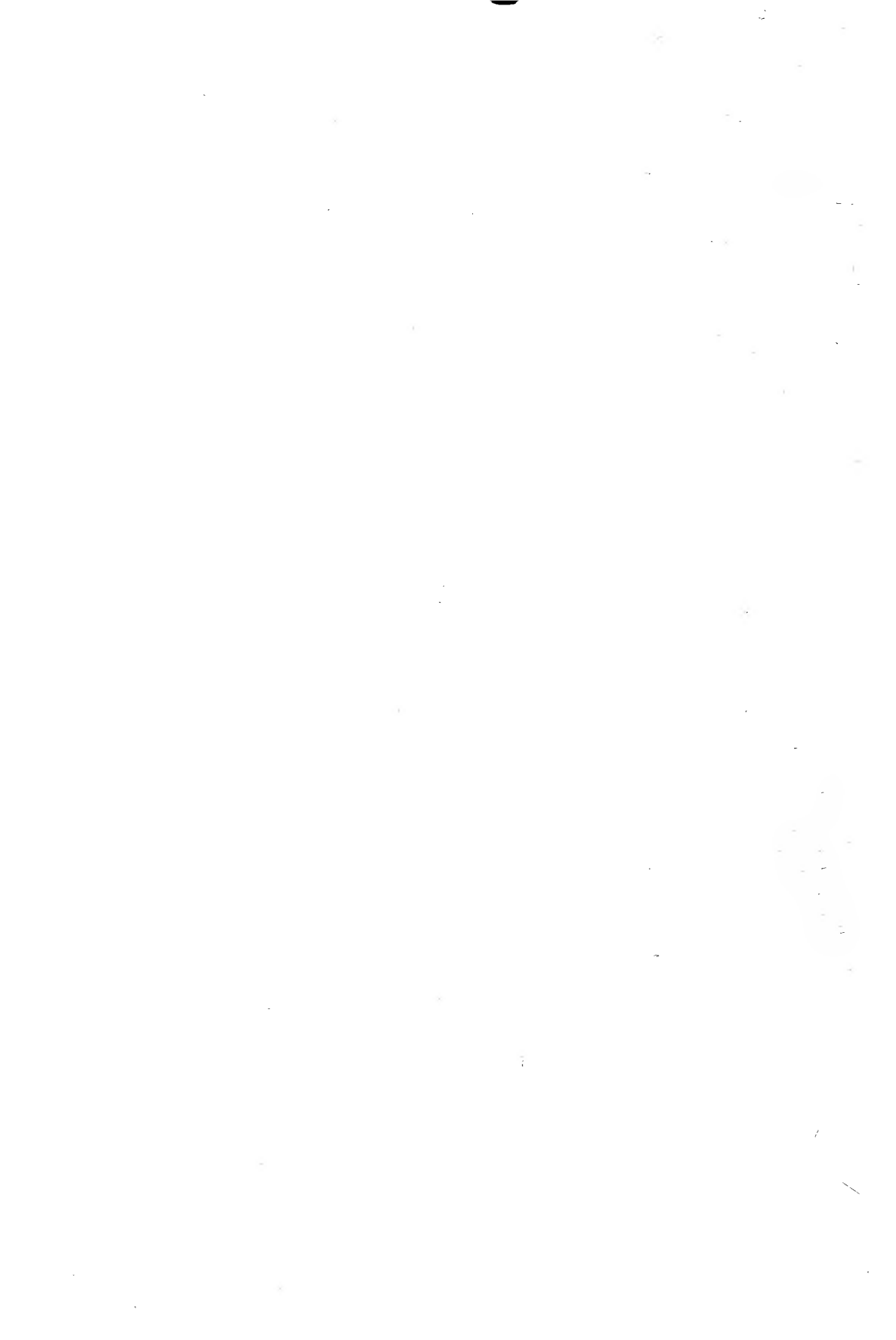
ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٨٤	وصف الكلام لعتبة بن أبي سفیان	٢٠٦	بين أحمد بن المعذل وأخيه
٢٨٥	الناشيء يصف شعره	٢٠٧	أخذ أحمد بن المعذل للصلة
—	من فصل للناشيء في الشعر	٢٠٨	القطامي يهجو امرأة من محارب
٢٨٦	لمؤلف الكتاب في الشعر	٢٠٩	أم عبد الصمد بن المعذل
٢٨٧	للخليل بن أحمد يصف الشعراء	—	لأبي حكيمة في الرقيق
—	بين أعرابي وشاعر من أبناء الفرس	٢١٠	لأبي شراة يمدح بني رياح
٢٨٨	لعارة بن بتميل ، وللجاحظ	٢١١	لابن المعذل في إبراهيم بن رياح
—	لبشار وقد مدح المهدي فلم يحزه	—	صفات عبد الصمد بن المعذل
—	خالد بن صفوان يصف جريرا	٢١٣	من شعر أبي حكيمة راشد بن إسحاق
٢٨٩	بين العجاج وعبد الملك بن مروان	٢١٤	بين الرشيد وعبد الملك بن صالح
—	المقامة القريضية للبديع	٢١٥	عبد الملك بن صالح
٢٩٢	المقامة الغيلانية للبديع	—	لابن الرومي يمدح الحقد
٢٩٤	قمر في الشعر	٢١٧	بين مسلمة بن عبد الملك والعباس ابن الوليد
٢٩٥	من مفردات الأبيات في الشعر	—	رجع إلى أخبار عبد الملك بن صالح
٢٩٦	الأحنف بن قيس	٢١٩	بين الرشيد والحسن بن عمران
٢٩٧	نسب الأحنف بن قيس	—	بين الرشيد ويزيد بن مزيد
٢٩٨	كلام للأحنف في مجلس معاوية	٢٢٠	مختار مما قيل من الشعر في الرثاء
—	صفة الأحنف	٢٢٢	قطر الندى والخليفة المعتضد
—	ذكر الأحنف للنبي فاستغفر له	٢٢٣	لابن المعتز يرى ابن ثوابة
٢٩٩	مما وصف به الأحنف	٢٢٤	أيام الشباب ، وما قيل فيها من الشعر
—	جارية لآل المهلب والأحنف	٢٢٥	من ترجمة علي بن بسام ، وأخباره
—	وفود الأحنف على معاوية	٢٢٦	بين المأمون وأحمد بن خالد
٢٠٠	ابن الرومي يذكر حق الشاعر عي الكرام	—	بين المأمون ومحمد بن داود في حسن الخط
٢٠١	وفاة الأحنف ورثاء امرأة إياه	—	رافة المأمون بعماله
٢٠٢	المعتصم ومحمد بن وهيب	٢٢٨	بين يزيد بن معاوية وجميل بن أوس
٢٠٣	منصور النمرى والعقابي	—	من أقوال الحكماء عند وفاة الاسكندر
٢٠٤	تقديم الرشيد للنمرى		
٢٠٥	النمرى رافضى		
٢٠٦	أبناء المعذل ، أحمد بن المعذل		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
ألفاظ لأهل العصر في وصف	٢٦٦	جملة من كلام ابن المعتز في ذكر	٢٢٩
الاستطالة والكبر		السلطان	
من بديع الزمان يشكو القاضي	٢٢٠	من كلام أهل العصر في هذا النحو	٢٣٠
الحيرى		وصف جارية كاتبة	٢٣١
للبديع في ذكر العلم	٢٢٣	وصف غلام كاتب	—
من مفردات الأبيات في المعاني	٢٢٤	من بديع الزمان لابن العميد	—
قولهم في اللحن وتعلم العربية	٢٢٥	بين البديع وأبي القاسم الهمداني	٢٣٢
لوعة الشوق	٢٢٦	من مقامات بديع الزمان	٢٣٣
بنو عذرة	٢٢٩	مما قيل في وصف فص وخاتم	٢٣٤
وصف الحسان	٢٧٩	مفاضلة بين الكلام والصمت	٢٣٥
وصف الهوى ، وأمره	٢٨٠	الحنين إلى الأوطان وبعض ما قيل فيه	٢٣٦
بعض ما جاء في العفاف	٢٨١	ألفاظ لأهل العصر في وصف الأمكنة	٢٤١
ألفاظ لأهل العصر في وصف النساء	٢٨٤	ولهم في ضد ذلك	٢٤٢
ولهم في وصف الغلمان والمعذرين	٢٨٥	ولهم في وصف القلاع والحصون	—
ولهم في تقيض ذلك في ذم خروج اللحية	٢٨٧	ولهم في صفات الدور والقصور	٢٤٣
من رسائل بديع الزمان	—	من رسائل الميسكالي وشعره	—
المقامة الأسدية ، لبديع الزمان	٢٨٩	لكشاجم يصف شعما	٢٤٨
لأبي فراس الحمداني في الغزل	٢٩٣	لابن الرومي يذكر رجلا متلونا	—
لابن المعتز في الغزل	٢٩٤	وصف أبي الفضل الميسكالي للعطوى	٢٤٩
لأبي نواس في وصف يوم شرب	—	ابن أبي دواد بين يدي الواثق	٢٥٠
لأبي العباس الناشيء	٢٩٥	من صفة ابن أبي دواد وأخباره	٢٥١
لأبي خراش الهذلي	—	بن أبي العتاء وابن أبي دواد	٢٥٢
رثاء أبي خراش لأخيه	٢٩٦	قطعة من شعر الأعراب في الغزل	٢٥٢
لابن الرومي	٢٩٧	زيارة طيف الخيال	٢٥٤
لأبي نواس	—	عقال بن شبة بين يدي المنصور	٢٥٩
وصف الدمن والأطلال	—	زهير وهرم بن أبي ستان	—
لأهل العصر في وصف الديار الحالية	٢٩٩	فضل الشعر	٢٦١
بعض ما قيل في طول الليل	٨٠١	من أخبار أبي تمام	٢٦٢
لأهل العصر في طول الليل	٨٠٤	استنجاز أعرابي موعدة	٢٦٣
ولهم في ضد ذلك	٨٠٥	معاوية بن يسار وبعض أخباره	٢٦٤

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٠٥	ولهم في ذكر النوم والنعاس	٨٤٣	أبو الصقر وصاعد بن مخلد
٨٠٧	من بديع الشعر في وصف الليل	٨٤٤	أبو العيناء وابن أبي ثوبة
٨٠٨	أخو الصفاء قريب	—	من مكارم أبي الصقر
٨١٠	بعض ما قيل في وصف النجوم	—	أبو الصقر وأبو العيناء
٨١٣	من وصف الشراب في الليل	٨٤٥	أبو العيناء يذم ابن الحصيب
٨١٦	المختار من شعر تميم بن المعز	٨٤٦	أبو بكر سيبيويه المصري وأهل مصر
٨١٩	عود إلى وصف النجوم	٨٤٨	رجع إلى أبي العيناء
٨٢١	أجل ما قال العرب من الشعر	٨٤٩	كلمات لأبي العيناء
٨٢٢	لأهل العصر في طلوع الشمس وغروبها	—	المختار مما قيل في الرثاء
٨٢٣	المقامة الكوفية ، لبديع الزمان	٨٥٥	لأهل العصر في التعازي
٨٢٤	من رسائل بديع الزمان	٨٦٠	المقامة الأهوازية ، لبديع الزمان
٨٢٦	جملة من كلام ابن المعتز في الفصول القصار	٨٦٢	من رسائل بديع الزمان
٨٢٧	رثاء المعتضد وتعزيتة	٨٦٤	من رسائل الصابي
٨٢٩	من شعر ابن المعتز	٨٦٥	لابن المرومي
٨٣١	أبو شجاع عضد الدولة	—	بين أبي العتاهية وابنه
—	الموفق العباسي	٨٦٦	فقر من كلام المتصوفة
٨٣٣	صاحب الزنج	٨٧١	الرأى والهوى
٨٣٦	لابن يامين في سيف عمرو بن	—	من البدائه في مجالس الخلفاء
—	معد يكرب الزبيدي	٨٧٢	أحوال السفاح
٨٣٧	للبحترى يصف سيفا	٨٧٤	لمعين بن أوس
—	لابن هاني يصف سيف المعز	٨٧٦	من رسائل ابن العميد
٨٣٨	وفد الشام بين يدي المنصور	٨٨٠	حسن التأني للأمو
—	بعض ما قيل في العفو	٨٨٠	فقر في ذكر المشورة
—	تميم بن جميل السدوسي والمعتصم	٨٨١	تأريخ الكتب والرسائل
٨٤٠	من المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	٨٨٢	فقر وأمثال يتداولها العمال
٨٤١	الخليفة المعتصم	٨٨٣	من ترجمة منصور الفقيه
٨٤٢	كعب بن معدان يصف للحجاج	٨٨٥	من بديع الزمان لابن المرزيان
—	بني المهلب	٨٨٧	من البديع لبعض إخوانه
٨٤٣	بشر بن مالك يصف للحجاج بني	٨٨٨	بين سهل بن هارون والحسن بن
—	المهلب أيضا	—	سهل

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٨٨٩	من أمثال البخلاء واحتجاجهم	٨٩٣	مثل من بلاغة عمرو بن مسعدة
٨٩٠	قصر لابن المعتز في الصداقة	٨٩٤	للتيمى في عمرو بن مسعدة
٨٩١	كتاب الحسن بن وهب إلى أبي	٨٩٥	الكلام الجيد الطبع ، والكلام
	تمام يصف بلاغته		المصنوع
٨٩٢	للبحترى في الحسن بن وهب		

والحمد لله واسع الفضل ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
نبيه المصطفى ، وعلى آله وصحبه وعترته .



زَهْرُ الْأَلْبَابِ

وثمر الألباب

لأبي إسحاق إبراهيم بن علي ، الخصري ، القيرواني
المتوفى في عام ٤٥٣ من الهجرة

مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم
الدكتور زكي مبارك

المجلد الرابع

حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه

محمد يحيى الدين عبد الحميد

دار الجيل

للمطبعة والنشر والطباعة

بيروت - لبنان
ص. ب. ٨٧٢٧

الطبعة الرابعة

الحمد لله كِفَاءَ نِعْمَائِهِ ، والشكر له على آلائِهِ ، وصلاته وسلامه
على الصَّفْوَةِ من أنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأوليائه

[نماذج من الشعر الجيد]

لابن المعتز

ومن الشعر الذى يجرى مع النفس قول ابن المعتز يمدح المكنفى ؛ إذ قدم
من الرقة بعد القبض على القرمطى فقال :

لا ورمّان النهود فوق أغصان القدود^(١)
وعناقيد من أصداء غ وورد من خدود
وبدور من وجوه طالعات بالسعود
ورسول جاء باليه ماد من بعد الوعيد
ونعيم من وصال فى قفا طول الصدود^(٢)
ما رأت عيني كظبي زارنى فى يوم عيد
فى قباء فاختي^(٣) اللون من لبس الجديد^(٣)
كلما قاتل جندى^(٤) بسيف وعمود
قاتل الناس بعينين وخدين وجيد^(٤)
قد سقانى الخمر من فيه على رغم الحسود

(١) « زمان النهود » و « أغصان القدود » كلاهما من إضافة المشبه به إلى المشبه : أى النهود التى كالرمان ، والقدود التى كالأغصان ، مثل « ذهب الأصيل » و « لجين الماء » (م)

(٢) « فى قفا طول الصدود » أى بعده (م)

(٣) القباء - بفتح القاف ، بزة السحاب - ثوب يلبس فوق الثياب ، وقيل : ثوب يلبس فوق القميص ويتمنطق عليه ، ويجمع على أقبية ، وفاختى : منسوب إلى الفاخنة واحدة الفواخت ، وهى من ذوات الأطواق من الحمام ، قيل لها ذلك لونها ، فإن لونها يشبه الفخت ، الذى هو ضوء القمر (م)

(٤) الجيد - بكسر الجيم - العنق (م)

وتعانقنا كَأَنَا وَهُوَ فِي عَقْدٍ شَدِيدٍ
 تَقَرَّعَ الثَّغْرَ بَثْغَرٍ طَيِّبٍ عِنْدَ الْوُرُودِ
 [مِثْلَ مَا عَاجَلَ بَرْدُ قَطَرٍ مُزْنٍ بِجُمُودِ
 سَحَرًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرْجِعَ أَرْوَاحُ الْوُفُودِ
 وَمَضَى بِخَطَرٍ فِي الْمَشْيِ كَجِبَارٍ عَنِيدٍ]
 مَرْحَبًا بِالْمَلِكِ الْقَا دَمَ بِالْجَدِّ السَّعِيدِ
 يَا مَذِلَّ الْبَغْيِ يَا قَا تَلْ حَيَّاتِ الْحَقُودِ
 عَشْ وَدُمُ فِي ظِلِّ عَيْشٍ خَالِدَ بَاقٍ جَدِيدِ
 فَلَقَدْ أَصْبَحَ أَعْدَاؤُكَ كَالزَّرْعِ الْحَصِيدِ
 ثُمَّ قَدْ صَارُوا حَدِيثًا مِثْلَ عَادٍ وَثُمُودِ
 جَاءَهُمْ بِحَرِّ حَدِيدٍ تَحْتَ أَجْبَالِ بُنُودِ
 فِيهِ عَقْبَانُ خِيُولٍ فَوْقَهَا أُسْدُ جُنُودِ
 وَرَدُّوا الْحَرْبَ فَمَدُّوا كُلَّ خَطِيٍّ مَدِيدٍ^(١)
 وَحَسَامَ شَرِّهِ الْحَدَّ إِلَى قَطْعِ الْوَرِيدِ^(٢)
 مَا لِهَذَا الْفَتْحِ يَا خَيْرَ إِمَامٍ مِنْ نَدِيدِ^(٣)
 فَاحْمَدُ اللَّهِ فَإِنَّ السَّحْمَدَ مِفْتَاحُ الزَّيْدِ

وقول علي بن الخليل مولى يزيد بن يزيد الشيباني وكان يُرمى بالزندقة ، قال لعل بن الخليل
 أُمَامُ الرَّشِيدِ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ : جَلَسَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لِلْعِظَالِمِ ، فَجَعَلَتْ أَتَصَفِّحُ النَّاسَ ، وَأَسْمَعُ
 كَلَامَهُمْ ، فَرَمَيْتُ بِطَرَفِي ، فَرَأَيْتُ فِي آخِرِهِمْ شَيْخًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ وَالْوَجْهِ مَا رَأَيْتُ
 أَحْسَنَ مِنْهُ ؛ فَوَقَفَ حَتَّى تَقْوُضَ الْمَجْلِسُ^(٤) ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، رَقَعْتِي ؛ فَأَمَرَ

(١) الخطي : الرمح ، نسبة إلى الخط ، وهو مرفأ للسنن تجلب إليه الرماح ،

ومديد : طويل (م)

(٢) الوريد : عرق في العنق (م) (٣) نديد : مثيل وشبيه (م)

(٤) تقوض المجلس : انقضت أهله ، وأصله « تقوض البناء » بمعنى تهدم (م)

بأخذها ، فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بقراءتها ؛ فأنا أحسنُ تعبيراً
 خلطى من غيرى - فقال له : اقرأ ، فقال : شيخ ضعيف ، ومقام صعب ، ولا آمنُ
 الاضطراب ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يصل عنيته بأمرى في الإذن بالجلوس
 فعل ، فقال : اجلس ، فجلس وأنشأ يقول :

يا خيرَ من وُخِدت بأرْحِلِهِ	نُحِبُّ الرِّكَّابَ بِمَهْمَةٍ جَلِسِ ^(١)
تطوى السباسبُ في أزمتهَا	طَى التَّجَارِ عِثَامُ الْبِرْسِ ^(٢)
لما رأيتك الشمسُ طالعة	سجدت لوجهك طلعة الشمسِ
خيرُ البرية أنت كلهم	في يومك الغادي وفي الأمسِ
وكذاك لن تنفك خيرهمُ	تمسى وتصبح فوق ما تُسمى
لله ما هرون من ملك	عفَّ السريرة طاهر النفسِ
تمت عليه لربه نعمٌ	تزداد جدتها مع اللبسِ
من عترة طابت أرومتها	أهل العفاف ومنتهى القدسِ
متهللين على أسرتهِم	ولدى الهياج مصاعبُ شمسِ ^(٣)
إني لجأتُ إليك من فزع	قد كان شرّ دنى ومن لبسِ
لما استخرتُ الله مجتهداً	يمتُ نحوك رَحْلة العنسِ ^(٤)
واخترت حِلْمَكَ لا أجاوزهُ	حتى أغيب في ثرى رمسي
كم قد سريت إليك مُدَّرعاً	ليلا يموجُ كحالكِ النَّقْسِ ^(٥)
إن راعني من هاجسٍ فزعٌ	كان التوكلُ عنده تُرْسِي
ماذاكَ إلاّ أنتى رجلٌ	أصبوا إلى نَفَرٍ من الإنسِ

- (١) وُخِدت : من الوخذ ، وهو ضرب من السير السريع ، والنجب : جمع
 نجيب ، والمهمه : الصحراء ، وجلس : غليظ . يريد أن السير فيه يشق على سالكيه (م)
 (٢) تطوى : تقطع ، والسباسب : جمع سبب ، وهى الأرض المستوية البعيدة ،
 والبرس - بالكسر - القطن (م) (٣) مصاعب : جمع مصعب ، وهو من الإبل
 الذى تصعب مقادته ، وشمس : جمع شمس ، وهو الآبى النافر الممتنع (م)
 (٤) العنس : الناقة الصلبة (م) (٥) النقس - بالكسر - الخبر (م)

بيض أوانس لا قرون لها يقتلن بالتطويل والخبس
وأجاذب الفتيان ييهنهم صفراء مثل مجاجة الورس
للماء في حافاتها حبب نظم كرقم صحائف الفرس
والله يعلم في بنيته ما إن أضعت إقامة الخمس^(١)

قال : ومن تكون ؟ قال : علي بن الخليل ، الذي يقال إنه زنديق ، فقال
له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم .

وأشدد أبو العباس المبرد لرجل يصف دعوة دعا بها الله عز وجل ، وقد رأيتهما وصف دعوة
في شعر محمد بن حازم الباهلي :

وسارية لم تسر في الأرض تبغى محلاً ، ولم يقطع بها اليد قاطع
سرت حيث لم تحدد الركاب ولم تنخ لورد ، ولم يقصر لها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب بجثمانه فيه سمير وهاجع
إذا وردت لم يزد الله وفدها على أهلها ، والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها إذا قرع الأبواب منهن قارع
وإني لأرجو الله حتى كأنتي أرى بجميل الظن ما الله صانع

[من مستحسن الأجوبة]

ودخل رجل [من شيان] على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ بين معن بن
فقال : أيها الأمير ، ما غاب عن العين من يذكره القلب ، وما زال شوقى إلى زائدة ورجل
الأمير شديداً ، وهو دون ما يحب له ، وذكرى له كثيرا ، وهو دون قدره ، من شيان
ولكن جفوة الحجاب ، وقلة بشر الغلمان ، منعانى من الإتيان ! فأمر بتسهيل
إذنه ، وأجزل صلته .

وقال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : كبرت يا معن ! قال : في طاعتك بين المنصور
يا أمير المؤمنين ، قال : إنك جلد^(٢) ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : ومعن بن زائدة

(١) الخمس : أراد الصلوات الخمس المفروضة (م)

(٢) جلد : قوى شديد الاحتمال (م)

هى لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأى الدولتين أحب إليك ؛ هذه أم دولة بنى أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برُّك على برِّهم كانت دولتك أحب إلى .
[من ترجمة معن بن زائدة ، وأخباره]

ومعن هذا هو معن بن زائدة بن عبد الله [بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو أخى الحوفزان بن شريك بن عمرو بن قيس] بن شرحبيل بن منبه بن مرة ابن ذهل بن شيبان ، وبنو مطر بيت شيبان ، وشيبان بيت ربيعة .

ولابن أبي حفصة : وكان معن أجود الناس ، وفيه يقول مروان بن أبي حفصة ويعم بنى مطر :
بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في غيل خفَّان أشبل^(١)
هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السما كئین منزل
قوم معن

ولا يستطيعُ الفاعلون فعلهم وإن أحسنوا فى النائبات وأجلوا
بهاليل فى الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم فى الجاهلية أول
هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعوا جابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
أخذ البيت الأول ابن الرومى ، وزاد فيه ، فقال :

تلقاهمُ ورماح الخطِّ بينهم كالأسدِ ألبسها الآجام خفَّانُ

[الرأى والشجاعة]

أتى قوم من العرب شيخا لهم قد أرْبى على الثمانين ، وأهدف على التسعين^(٢) ، فقالوا : إنَّ عدونا استاق سرحنا ، فأشِرْ علينا بما نُدرك به الثَّار ، وننقى به العادَ ، فقال : الضعفُ فسَخِ همتى ، ونكث إبرام عزيمتى ، ولكن شاوروا الشجعان من ذوى العزم ، والجبَّاء من ذوى الحزم ؛ فإنَّ الجبان لا يَألو برأيه ما يَبقى مهجكم ، والشجاع لا يَألو برأيه ما يشيد ذكركم ، ثم اخلصوا من الرأى بفتيجة تبعد عنكم معرَّة نقص الجبان ، وتَهوِّر الشجعان ، فإذا نجم الرأى على هذا كان أفذ على عدوكم من السَّهم الصائب ، والحسام القاضب .

(١) الغيل - بكسر الغين - موضع الأسد ، وخفان : مكان مشهور بالأسود ، والأشبل : جمع شبل - بالكسر - وهو ولد السبع (م)
(٢) أهدف على التسعين : قاربها وأشرف عليها (م)

[قضاء الله وعدله]

قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول لرجل تخصمهُ : والله لو صورَ الجهل لأظلم معه النهار ، ولو صورَ العقلُ لأضاءَ معه الليل ، وإنك من أفضلهما لعدم ؛ فخفف الله ، واعلم أنَّ من ورائك حَكَمًا لا يحتاجُ المدعى عنده إلى إحضار البينة .

[بنو كليب]

قال الفرزدق يهجو كليباً :

ولو يُرْمَى بلوْمُ بني كليب نجومُ الليل ما وضحت لِسارى
ولو لبس النهار بنو كليب لدَنَسَ لؤمهم وضَحَ النهارِ

[من جيد كلام الأعراب]

دعاء أعرابي
بعرفة

وقال سفيان بن عيينة : سمعت أعرابياً يقول عَشِيَّةَ عَرَفَةَ : اللهم لا تحرمني خَيْرَ ما عندك لِسَرٍّ ما عندي ، وإن لم تتَقَبَّلْ تعبي ونَصَمي ، فلا تحرمني أَجَرَ المصاب على مصيبتِهِ .

عتاب بين
صديقين

وقال آخر منهم لصديق استبطأه فلامه : كانت لي إليك زَلَّةٌ يمنعني من ذِكْرِها ما أَمَلْتُ من تجاوزك عنها ، ولستُ أَعْتَذِرُ إليك منها إلا بالإقلاع عنها .
وقال آخر لابن عم له : والله ما أعرف تقصيراً فأقلع ، ولا ذنباً فأعتب ، ولست أقول : إنك كذبت ، ولا إنني أذنبت .
وقال آخر لابن عم له : سأتحطى ذنبك إلى عُدْرِكَ ، وإن كنت من أحدهما على يقين ، ومن الآخر على شك ، لَنَتَمَّ النعمةُ مني إليك ، وتقومَ الحجةُ لي عليك .
وأصيب أعرابيٌّ بابن له فقال - وقد قيل له : اصبر - أعلى الله أتَجَلَّدُ ، أم في مصيبتِي أتَبْلَدُ ؟ والله للَجَزَعِ من أمره أحبُّ إلى الآن من الصبر ! لأنَّ الجزعَ استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد .

ودعا أعرابي فقال : اللهم إني أعوذُ بك أن افتقرَ في غِنَاكَ ، أو أضلَّ في هدَاكَ ، أو أذلَّ في عزِّكَ ، أو أضام في سُلْطَانِكَ ، أو أضطهد في الأمر إليك .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يَعِظُ رجلاً وهو يقول : وَيَحْك ! إِنْ فلاناً وإن ضحك إليك ، فإنه يضحك منك ، ولئن أظهِرَ الشفقةَ عليك ، إنَّ عقابَ به لتسرى إليك ؛ فإنَّ لم تتخذه عدواً في علانيتك ، فلا تجعله صديقاً في سريرتك .
سمع أعرابيُّ رجلاً يَقَعُ في السلطان ، فقال : إنك غفلٌ لم تَسِمِكَ التجاربُ ، وفي النصيح لَسَمُ العقارب ، كأنني بالضاحك إليك ، وهو بالكِ عليك .

وحذرَ بعضُ الحكماء صديقاً له صاحبه رجل ، فقال : احذرْ فلاناً فإنه كثيرُ المسألةِ ، حسنُ البحث ، لطيفُ الاستدراج ، يحفظُ أولَ كلامك على آخره ، ويعتبرُ ما أخرتَ بما قدَّمتَ ، فلا تظهرَنَّ له الخفاةَ فيرى أنْ قد تحرَّزْتَ ؛ واعلم أنَّ من يقظةِ الفطنة إظهارَ الغفلةِ مع شدةِ الحذر ، فبائتُهُ مباتَّةُ الآمن ، وتحفظُ منه تحفظُ الخائف ؛ فإنَّ البحثَ يظهرُ الخفيَّ الباطن ، ويُبدى المستكنَّ السكامن .

أتى أعرابيُّ رجلاً لم يكن بينه وبينه حرمة في حاجةٍ له ، فقال : إني امتطيتُ إليك الرجاء ، وسرَّيتُ على الأمل ، ورافقتُ الشكر ، وتوسَّلتُ بحُسنِ الظن ، فحقَّق الأمل ، وأخسِنَ المثوبة ، وأكرم الصَّفَدَ ^(١) ، وأقيم الأود ^(٢) ، وعجَّل السَّراحَ ^(٣) .
قال الأصمعي : وسمعتُ أعرابياً يقول : إذا ثبتت الأصول في القلوب ، نطقت الألسنة ، لفروع ! والله يعلم أنَّ قلبي لك شاكر ، ولساني ذاكر ، ومحال أن يظهرَ الودَّ المستقيم ، من الفؤاد السقيم .

ومدح أعرابيُّ رجلاً ، فقال : إنه ليغسل من العار وجوهاً مسوَّدةً ، ويفتح من الرأى أبواباً منسدةً .

وقال أعرابي :

كم قد ولدتُم من رئيسٍ قَسَوَرٍ دامي الأظافرِ في الخيس المُمِطِرِ
سَدِكتْ أناملُهُ بقائمٍ مرهفٍ [ونبشر فائدةً وجذوةً مِنبَرٍ

(١) الصَّفَد : العطاء ، وهو بفتح الصاد والفاء جميعاً (م)

(٢) الأود - بالتحريك - الاعوجاج (م) (٣) السراح : الفكك (م)

ما إن يريد إذا الرماحُ تشاجرتُ
يلقى السيوفَ بوجهه وبنحره [
ويقول للطرفِ اصطبرِ لشباً القنأ
وإذا تأمل شخصَ ضيفٍ مقبلٍ
أومئ إلى الكوماء هذا طارق
وقال :

قامت تصدَّى له عمداً اغفلته
جيداء ربّداء لم تعقد قلائدَها
فراح كالخائم الصديان ليس له
وقال آخر :

ومكتناتٍ بعد وهنٍ طرقتني
دسّسنَ رسولاً ناصحاً وتلونه
فبتُ أعاطينَ صرفَ صبايةٍ
فيا وجد قلبي يوم أتبعْتُ ناظري
بأرديةِ الظلماء ملتحفاتٍ
على رقبةٍ منهنَّ مستتراتٍ
وبتّنَ على اللذات معتكفاتٍ
سليمى وجادتُ بعدها عبراتي

* * *

وقال الأحنف بن قيس : من لم يستوحش من ذلِّ المسألة لم يأنف من الرد .
وقال سفيان الثوري لأخ له : هل بلغك شيء مما تكرهه عن لا تعرف
قال : لا ، قال : فأقلل ممن تعرف .
أخذه ابن الرومي ، فقال :

عدوك من صديقك مُستفاد
فإنّ الداء أكثر ما تراه
فدعْ عنك الكثيرَ فكم كثير
يُعاف ، وكم قليل مستطاب ؟
فأقلل ما استطعت من الصحاب
يكونُ من الطعام أو الشراب

(١) في نسخة « سربال ليل أغبر » وهو الذي أحفظه (م)

(٢) الكوماء : الناقة العظيمة السنام (م)

وما اللّججُ الملاحُ مَرَوِّياتٍ وَيُلْفِي الرّى في النّظفِ العذابِ

[جَلَّ من ألوان المديح]

وقال رجل لخالد القسري: والله إنك لتبذل ماجلًا ، وتجبر ما نفلًا ، وتكثر ما قلًا ؛ ففضلك بديع ، ورأيك جميع ، تحفظ ما شذَّ ، وتؤلف ما ندَّ .
وسئل أعرابي عن قومه ، فقال : يقتلون الفقّر ، عند شدة القرّ ، وأرواح الشتاء ، وهبوب الجزبياء^(١) ، بأسنة الجزور ، ومُتَرَعات القدور ، تهش وجوههم عند طلب المعروف ، وتعبس عند لمعان السيوف .
ووصف أعرابي قوما فقال : لهم جودٌ كرام اتسعت أحوالها ، وبأسٌ ليوث تبهمها أشبالها ، وهممٌ ملوكٍ انفسحت آمالها ، وفجّرُ آباءٍ شرفت أخوالها
وقال خالد بن صفوان ، وقد دخل على بعض الولاة : قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك [ومجلسك] ، وصوتك ، وعدلك ، حتى كأنك من كل أحد ، وحتى كأنك لست من أحد .

وذكر خالد رجلاً فقال : كان والله بديع المنطق ، ذلق البراة ، جزل الألفاظ ، عربيّ اللسان ، ثابت العقدة ، رقيق الحواشي ، خفيف الشفتين ، بليل الريق ، رَحَبَ الشرف ، قليل الحركات ، خفيّ الإشارات ، حُلُوَ الشائل ، حسن الطلاوة ، حيياً جرياً ، قوولا صموتا ، يفل الحزّ ، ويصيب المفاصل ، لم يكن بالهذر في منطقه ، ولا بالزمر في مروءته ، ولا بالخرق في خليقته ، متبوعاً غير تابع ، كأنه علم في رأسه نار .

وقال بعض البلغاء لرئيسه : إن من النعمة على المثنى عليك أنه لا يَأْمَنُ التقصير ، ولا يخاف الإفراط ، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهي به المدحُ إلى غاية إلاّ وَجَدَ في فضلك عَوْناً على تجاوزها . ومن سعادة جدك أن الداعي لا يعدم كثرة المشايخين ، ومساعدة النية على ظاهر القول .

(١) الجرياء : ريح الشمال ، أو بردها ، أو هي ريح بين الشمال والجنوب (م)

ألفاظ لأهل العصر ، في ضروب المآدح

قد وضعت كثرة التجارب ، في يدهِ مرآةِ العواقب . قد تجددتْ صروفُ الدهور ،
وحسنتْ مصائرُ الأمور . قد أرضعتهُ الحُنْكَةُ بلبانها ، وأدبتهُ الدُّرْبَةُ في إبانها .
فلان نوازلُ التجارب حَسَنَتُهُ ، وفوادِحُ الأيام عَرَكَتُهُ . هو عارف بتصاريف
[الأيام ، آخذٌ برهان التجارب ، نافذ في مجال التحصيل والتميز . قد صَحِبَ الأيام ،
وتولَّى] النقض والإبرام . هو ابنُ الدهر حُنْكَةٌ وتجربيا ، وعُوداً على الدهر صليبا .
قد أدبه الليلُ والنهار ، ودَارَتْ على رأسه الأدوار ، واختلفتْ به الأطوار . له همة
علا جناحها إلى عنان النجم . وامتدَّ صباحها من شرق إلى غرب ، لا يتعاضلُها إشراف
الأمر إذا أخطره بفكره ، وانتساف الصَّخَر إذا ألقاه في وَهْمه ، هِمَّتُهُ أبعَدُ من مَنَاطِرِ
الفرقد ، وأعلى من منكب الجوزاء . أوسعُ من الأرض ذات العرض . هو حي القلب ،
منشرحُ الصَّدْر ، ذكيُّ الذهن ، شجاعُ الطبع ، ليس بالنزوم ولا السؤوم ، فذَّ فَرْد ،
وأَسْدُ وَرْد ، وكأنَّ له في كل جارحة قلبا . كأنَّ قلبه عين ، وكأنَّ جسْمه سمع .
شهابٌ مقدَّم ، وقِدْحٌ مقوَّم . [وهو شهيمٌ] مشدود النطاق ، قائمٌ على ساق ، قد
جدَّ واجتهد ، وحشر وحشَّد ، شمرَّ عن ساق الجدما أطاق ، قد ركب الصعب والدَّلُول ،
وتجشَّم الحزنَ والسهولَ ، وقطع البر والبحر ، وأعمل السيفَ والرمحَ ، وأسرجَ
الدُّهْم والشهب^(١) . هو مولود في طالع الكمال ، وهو جملة الجمال . قد أصبح عينَ
المسكارم ، وزينَ المحافل . هو فَرْدُ دهره ، وشمسُ عصره ، وزبنُ مِصره ، وهو عِلْمُ
الفضل ، وواسطة عِقْدِ الدهر ، ونادِرَةُ الفلك ، ونُكْتَةُ الدنيا ، وغُرَّةُ العصر . قد
بايعته يدُ المَجْد ، ومالت به الشورى إلى النصر . فلان يزيدُ عليهم زيادةَ الشمسِ
على البدر ، والبحر على القطرِ . هورائشُ نَبْلِهِمْ ، ونَبْعَةُ فَضْلِهِمْ ، وَجْمَةُ وِرْدِهِمْ ،

(١) أسرج : وضع السرج ، والدِّهْم : جمع أدِّم ، والشهب : جمع أشهب ،
والدهمة والشهبة من ألوان الخيل (م)

وواسطة عقدهم . هو صدرهم وبدرهم ، ومن عليه يدور أمرهم ، يُنيف عليهم
إنافة صفحة الشمس على كرة الأرض ، كأنهم فلك هو قطبه ، وجسده هو قلبه ،
ومملوك هو ربه . هو مشهور بسيادتهم ، وواسطة قِلاذتهم . موضعه من أهل الفضل
موضع الواسطة من العقد ، وليلة التّم من الشهر ، بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر .
أفضل وأنعم ، وأسدَى في الإحسان وألحم ، وأسرج في الإكرام وألجم ، قسم من
إنعامه ما يسعُ أمما ، وتلقى السعادة أمما ^(١) ، أعطاه عنان الاهتام ، حتى استولى على قصبِ
المرام . ردّ عنه الدهرُ أحصاء الجناح ^(٢) ، وملّكه مقاداة النجاح . أولاه من معهود
البرِّ وألوفه ، وقصّرت الأعداء عن مثاته وألوفه . أولاه إسعافا سمحا . وعطاء سحّا ،
ومننا صفواً وعفواً . أفاض عليه شعاب البرِّ ومسايله ، وجمع له شعوب الجليل وقبائله ،
وهطلت عليه سحائب عنايته ، ورغرت حوله أجنحة رعايته . قد فكّه بكرمه من
قيّد السؤال ، ومعرّة الاختلال . رآشه بعد ما حصّه الفقر ، وأرضاه وقد أسخطه
الدهر . ملأ العيون ، وسهر دوننا لتحقيق الظنون . قد شمت من كرمه أكرم
سحاب ، وحصلت من إنعامه في أخصب جناب . قد سد ثلّة حالي ، وأدرّ حلوبة
آماليج . ما أخلو من طلّ إحسانه ووابله ، وغابر إنعامه وقابله . قد استمطرت منه
بنو غزير . وسريت في ضوء قرمنير . قد كرت من برّه في مَشارِع تغزر ولا
تنزّر ، ورفلت من طوّله في ملابس تطول ولا تقصّر . إقامته في ظلّ ظليل ، وفَضْل
جزيل ، وريح بليل ، ونسيم عليل ، وماء رويّ ، ومهاد وطيّ ، وكنّ كنين ،
ومكّين مكين . أنا آوى إلى ظله كما يأوى الطير المذعور إلى الحرم ، وأواجه منه وجه
الجاه صورة الكرم . أنا من إنعامه بين خير مستفيض ، وجاء عريض ، ونعم بيض .
قد استظهرت على جور الأيام بعدله ، واستترت من دهرى بظله . ما أردد فيه طر في

(١) أمما - بفتح الهمزة والميم - قريباً (م)

(٢) « أحص الجناح » كناية عن الضعف (م)

وأعدّ من خالص ملكي منتسبٌ إلى عطائه، أو مكتسبٌ بجميل آرائه . مسافة بصرى
تبعد إن سافرتُ في مواهبه، وركائب فكرى تطلّح^(١) إن أنصيتها في استقراء صنائعه .
نعمته نعمة عمّت الأمم، وسبقت النعم، وكشفت الهموم ورفعت الهمم، نعمه قد سطع
صباحها مستنيراً، وطنب شعاعها مستطيراً، قد عرفتني نِعْمُهُ حتى استنفدت شُكْرَ
لساني ويدي وأتعبت ظهري، وملأت صدري . نِعْمُهُ عندى مشرقة الجوّ، مغرقة
النوء، مونة الضوء . تتابعت نِعْمُهُ تتابع القطر على القفر، وترادفت مِنْنُهُ ترادف
الغنى إلى ذوى الفقر . نِعْمُهُ أشرقت بها أرضي، ومُطِرَ بهار وضي، وورى لها زندي،
وعلا معها جدّي، وأتاني الزمانُ يعتذرُ من إساءته، وجاءني الدهرُ ينتظرُ أمرى .
نِعْمُهُ أنعمت البالَ، وسرّت النفس والحال . نعم نعم عمومَ المطر، وتزيدُ عليه
بإفراز النفع عن الضرر . نعمٌ تضعف الخواطر عن التماسها، وتَصْغُرُ القرائح عن
اقتراحها . له أيادي قد عمّت الآفاق، ووسمت الأعناق، وأيادي قد حبست عليك الشكر،
واستعبدت لك الحر . مِنَنْ تَوَالَتْ تَوَالِي القطر، واتسعت سعة البرِّ والبحر، وأنقلت
كاهل الحرّ . عندى قلادة منمتزمة من مِنْنِهِ قد جعلتها وقفاً على نحور الأيام، وجلوتها
على أبصار الأنام . أيادي يقصر عن حتموقها جهد القول، وتزهرفيها سواطع الإنعام
والطول . أياديه أطواق في أجساد الأحرار، وأفلاك تدور على ذوى الأخطار . له مِنَنْ
تضعف عن تحملها عواتق الأطواد، ويتضاعف حملها على السميع الشداد، لو تحمل
الثقلان ثقل هذا الامتنان لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم . أيادي يفرض لها الشكر
ويحتم، ومن ينبتدأ بها الذكر ويختتم . أيادي تنقل الكاهل، ومن ينبتدأ بها الغيث
من تضعف مِنَنْ الشكر^(٢)، وينشر معها قوى النشر، من هي أحسن أثر أمن الغيث
في أزاهير الربيع، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع . إن أتعبت نفسي في

(١) تطلّح : تعي وتضعف وتسل (م)

(٢) مِنَنْ الأولى جمع منة بمعنى العطية وهي بكسر الميم، ومنن الثانية جمع منة

بمعنى القوة وهي بضم الميم (م)

تعداد منته وحصرها فساطمع في إحصاء السحاب وقطرها . أياد لا تحصى أو تحصى
محاسن النجوم ، ومن لا تحصر أو تحصر أقطار النجوم . أياد كعدد الرمل والنمل ،
أعيت على العدة ، ولم تقف عند حد . زادت أياديه حتى كادت تجهد الأعداد ،
وتسبق الإعداد . أياديه عندى أغزر من قطر المطر ، وعوارفه لدى أسرع من رجع
البصر . رفعتني من قعر التراب ، إلى سماء السحاب . استنبطه من الحضيض الأوهـد ،
إلى السناء الأجد ، وقد نبهه عن خول ، وأجرى الماء في عوده بعد ذبول ، ورقاه
إلى ذروة من المجد بعد نزول . فضائل تزل أقدام النجوم لو وطئتها ، وتقصر همم
الآفلاك لو طلبتها ، ثبت قدمه في المحل المنيف ، ومكنه من جوامع التشریف .
جذب بضبعه من المسقط المنحط ، إلى المرفع المشتط .

ولهم في أدعية من صدور الكتب تليق بهذه الأثنية والمادح

أطال الله له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ومد له في العمر ، كامتداد ظله على الحر ،
وأدام له المواهب ، كما أفاض به الرغائب ، وحرس لديه الفضائل ، كما عوذ به الشمايل ^(١) .
تولى الله عنى مكافأته ، وأعان على الخير نيته وفعله ، وأصبح بقاء عز أيبسط يديه
لأوليائه على أعدائه ، وكلاءة تذب عن ودائع مننه عنده ^(٢) ، وزاد في نعمه وإن عظمت ،
وبلغه آماله وإن انفسحت ، ولا زال الفضل يأوى منه إلى ركن منيع ، وجناب
مريع . لازالت الألسن عليه بالثناء ناطقة ، والقلوب على مودته متطابقة ، والشهادات
له بالفضل متناسقة . لا زال يعطف على الصادر والوارد ، عطف الأم والوالد . أبقاه
الله للجميل يعلى معالمة ، ويحمي مكارمة ، ويعمر مدارجها ، ويشمر نتائجها . أدام
الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها ، وأزمان المآثر وتواريخها . أدامه الله

(١) الشمايل : جمع شمال ، وهى هنا الخصلة والجللة والطبيعة ، وقال الشاعر

* وما لوى أخى من شماليا * (م)

(٢) الكلاءة : الرعاية والحفظ ، وتذب : تدفع (م)

للمواهب ، سامية الذوائب ، موفية على منية الراجي و بغية الطالب . أبقاه الله
للعطاء يفضّه بين خدمه ، والجمال يُفيضه على إنشاء نعمه ، والله يتابع له أيام العلاء
والغبطة ، والنماء والبسطة ، ليرتفع أنواع الخدم في رياض فواضله ، ويكرّع
أصناف الحشم في حياض مواهبه ، والله يبقيه طويل الذراع ، مديد الباع ،
ملياً بالاتصال ^(١) والاصطناع . جزاء الله عن نعمة هيأها بعد أن أسبغها ،
وعارفة مآلاها ^(٢) بعد أن سوّغها . أفضل ما جازى به مبتدئ إحسان ، ومُجير
إنسان ، لا زال مكانه مصاناً ^(٣) للكرم ، معانا للنعم ، لا تريمه المواهب ،
ولا ترومه النوائب ، بسطت بالعلایده ، وقرن بالسعادة جدّه ، وجعل خير يوميه
غدّه ، ولا زالت الأيام والليالي مطاياها ، في أمانيه وآماله [وأيامه] ، وصرف
صروف الفير عن إصابة إقباله وكاله .

وقال ابن المعتز في القاسم بن عبید الله :

أيا حاسداً يكوى التلّيف قلبه إذا ما رآه غازياً وضطّ عسكر
تصفّح بنى الدنيا فهل فيهم له نظير ترى ثم اجتهد وتفكر
فإن حدّثتك النفس أنك مثله بنجوى ضلال بين جذيك مضمر
فجذّ ، وأجد رأياً ، وأقدم على العدا وشدّ عن الإنم المآزر وأضبر
وعاص شياطين الشباب وقارع النوائب وارفع صرعة الضر واجبر
فإن لم تطق ذافاعذر الدهر واعترف لأحكامه واستغفر الله يغفر

[منزلة صناعة الكلام]

قال الجاحظ : صناعة الكلام علق نفيس ، وجوهر ثمين ، هو الكنز
الذي لا ينفى ولا يئلى ، والصاحب الذي لا يئمل ولا يئلى ، وهو العيار على كل

(١) في نسخة « ملياً بالإفضال » .

(٢) في نسخة « وعارفة حلاها » .

(٣) مصاناً : موضعاً للصون ، ومعاناً : موضعاً للعون ، ولا تريمه : لا تبرحه .

صناعة ، والزمائم لسكل عبارة ، والقسطاس الذى به يستبين نقص كل شئ ،
ورُجحانه ، والراووق الذى يُعرف به صفاه كل شئ وكدره ، والذى كل علم
عليه عيال ، وهو لـكل تحصيل آلة ومثال .

وقال ابن الرومى :

ما عُدُّرُ معترِزى مُوسى منعتُ كَفَاهُ مُعْتَرِزِيَا مِثْلَهُ صَفَدَا^(١)
أَزْعُمُ الْقَدَرُ الْمُحْتَبُومُ ثَبَّطَهُ إِنْ قَالَ ذَاكَ فَقَدْ حَلَّ الَّذِي عَقَدَا

وقال [ابن الرومى] :

لذوى الجدال إذا غَدَوْا لجدالهم حُجِّجْتُ تَضَلُّ عَنْ الْهَدَى وَتَجَوَّرُ
وَهُنَّ كَأَنِيَةِ الرُّجَاجِ تَصَادَمَتْ فَهَوَتْ ، وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ
فَالْقَاتِلُ الْمَقْتُولُ ثُمَّ لِيُضَعِّفَهُ وَلَوْ هِيَ ، وَالْأَسْرُ الْمَأْسُورُ

وقال أبو العباس الناشئ يفتخرُ بالكلام :

ونحن أناس يُعرفُ الناسُ فَضْلَنَا بِالسُّنَنِ زَيْنَتْ صُدُورُ الْحَافِلِ
تُنِيرُ وَجُوهَ الْحَقِّ عِنْدَ جَوَابِنَا إِذَا أَظْلَمَتْ يَوْمًا وَجُوهُ الْمَسَائِلِ
صَمْتَنَا فَلَمْ نَتْرِكْ مَقَالًا لَصَامَتِ وَقُلْنَا فَلَمْ نَتْرِكْ مَقَالًا لِقَائِلِ

وقال يصفُ أصحابه :

فلو شَهِدَتْ مَقَامَاتِي وَأُنْدِيَّتِي يَوْمَ الْخِصَامِ وَمَاءُ الْمَوْتِ يَطْرُدُ
فِي فِتْيَةٍ لَمْ يَلِاقِ النَّاسُ مَذًى وَجَدُوا لَهُمْ شَيْهًا وَلَا يُلْفَوْنَ إِنْ فَقَدُوا^(٢)
بِجَاوِرِ الْفَضْلِ أَفْلَاكُ الْعُلَا سَبِيلِ قَوَى مَحَلَّ الْهَدَى مُعْدُ النَّهْيِ الْوُطْدُ
كَأَنَّهُمْ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَفْنِدَةٌ تَحْسُ مَا أَخْطَئُوا فِيهَا وَمَا عَمَدُوا
يُبْدُونَ لِلنَّاسِ مَا تَحْفِي ضَائِرُهُمْ كَأَنَّهُمْ وَجَدُوا مِنْهَا الَّذِي وَجَدُوا
دَلَّوْا عَلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا بِظَاهِرِهَا وَعِلْمُ مَا غَابَ عَنْهُمْ بِالَّذِي شَهِدُوا
مَطَالَعِ الْحَقِّ مَا مِنْ شُبْهَةٍ غَسِقَتْ إِلَّا وَمِنْهُمْ لَدَيْنَا كَوْكَبٌ يَقْدُ^(٣)

(١) الصفد - بالتحريك - العطاء . (٢) يلفون : يوجدون .

(٣) غسقت : أظلمت .

وقال سعيد بن حميد :

قالت : اكنتم هوائى واكنن عن اسمى بالعزیز المہمین الجبّـار
قلت : لا أستطيع ذلك ، قالت : صرّت بعدى تقول بالإخبار
وتخلّيت عن مقـالـة بشر بن غياث لمذهب النجـار
وقال أبو القاسم بن عباد الصاحب :

كنت دهرأ أقول بالاستطاعة وأرى الجبر ضلّة وشناعة
ففقدت استطاعتي فى هوى ظـى ؛ فسمعا للمجبرين وطاعة

وقال أيضا :

ولما تنساءت بالحبيب دياره وصرنا جميعا من عيان إلى وهم^(١)
تمكّن منى الشوق غير محاليس كمعتزلى قد تمكّن من خضم

[بعض ما قيل فى النسب]

وأشد محمد بن سلام بعض هذه الأبيات التى أنشدها ، وزعم أنها لأبى كبير
الهلذلى ، ورؤيت ليزيد بن الطثريّة وغيره ، والرواة يدخلون بعض الشعر فى
بعض ، وهى :

عُقَيْلِيَّةٌ ، أَمَّا مَلَاثُ إِزَارِهَا فوعث ، وأمّا خضرها فبتيل^(٢)
تَقِيْظُ أَكْذَافَ الْحَمَى ، وَيُظْلِمُهَا بنعمان من وادى الأراك مَقِيلُ
فِيَا خُلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا لنا من أخلاء الصفاء خَلِيلُ
وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ ، لَمْ يُطْعَمْ لَهُ عدو ، ولم يؤمن عليه دَخِيلُ
أَمَّا مِنْ مَقَامِ اشْتَكَى غُرْبَةَ النُّوَى وخوف العدا فيه إليك سَبِيلُ
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرُهُ إِنْ نَظَرْتُهَا إليك ؟ وكلا ليس منك قَلِيلُ

(١) عيان - بكر العين - معاينة ومشاهدة .

(٢) عقيلية : منسوبة إلى عقيل ، وملاث إزارها : الموضع الذى يدار عليه
الإزار ، وبتيل : دقيق هضم كأنه منقطع عما تحته وما فوقه ، وفى نسخة « فد عص »

وإن عناء النفس - مادمت هكذا
أراجعهُ قَلْبِي عَلَى فَرَائِحِ
فلا تحملي وِزْرِي وَأَنْتِ ضَعِيفَةٌ
فياجِنَّةَ الدُّنْيَا ، وَيَا مُنْتَهَى الْمُنَى
فديتِكِ ، أَعْدَائِي كَثِيرٌ ، وَشُقَّتِي
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بَعْلَةً
فما كلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ
وَأُنْشِدُ ابْنَ سَلَامٍ لِأَبِي كَبِيرِ الْهَذَلِي :

وإني لمستسقي لها اللهَ كُلَّمَا
سَحَابٌ لَامِنَ صَيْبٍ ذِي ضَوَائِقِ
ولا مخلقات حين هِجْنٍ بِنَسَمَةٍ
إذا ما هَبَّ ظَنِّ الْقَاعِ قَدَمَاتُ نَبْتِهِ
لوى الدِّينَ مُقْتَلٌ وَشَحَّ غَرِيمُ
ولا مُحَرَّقَاتٍ مَاؤَهْنَ حَمِيمُ
إليهن هُوَ جَاءُ الْمَهَبُّ عَقِيمُ
بَسَكِينٍ بِهِ حَتَّى يَعِيشَ هَشِيمُ

[عمران بن حطان والحجاج]

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشاري^(١) قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ،
فقال عمران : لبئسما أدبكم أهلُك يا حجاج ! كيف أمنت أن أُجيبك بمثل ما لقيتني
به ؟ أبعد الموت منزله أَصَانِعُكَ عَلَيْهَا ؟ فَأُطْرَقَ الْحَجَّاجُ اسْتَحْيَاءً ، وَقَالَ : خَلَوْا
عنه ؛ فخرج إلى أصحابه ، فقالوا : والله ما أطلّقتك إلا الله ، فارجعْ إلى حَرْبِهِ
معنا ، فقال : هيئات ! غلَّ يَدَا مُطْلِمِهَا ، واسترقَّ رِقَبَةً مُعْتَقِهَا ! وَأُنْشِدُ :
أَأُقَاتِلُ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ . بِيَدٍ تُقَرَّرُ بِأَنْهَاهَا مَوْلَاتُهُ ؟
إِنِّي إِذَا لَأَخُو الدَّيَّانَةِ ، وَالَّذِي عَفَّتْ عَلَى عِرْفَانِهِ جَهْلَاتُهُ

(١) الشاري : واحد الشراة ، وهم الخوارج ، زعموا أنهم شروا أنفسهم
وأموالهم من الله - أى باعوها - بأن لهم الجنة .

ماذا أقولُ إذا وقفت مُوازياً في الصفِّ وأحتجَّتْ له فعَلَاتُهُ؟
وتحدَّثَ الأَكْفَاءُ أَنَّ صَنَائِعَا غُرِسَتْ لَدَيَّ فَخَنَظَلَتْ نَخْلَاتُهُ
أَقُولُ جَارِ عَلَيَّ؟ إِنِّي فِيكُمْ لِأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلَاتُهُ
تَاللَّهِ مَا كَدَتِ الْأَمِيرُ بَالَهُ وَجَوَارِحِي وَسِلَاحَهَا آلَاتُهُ
أخذ أبو تمام هذا فقال معذراً إلى أبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافعي :
أَلَيْسَ هُجَرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْهَجَوْتُهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي
كريم متى أمدَّحْهُ أمدَّحْهُ والورى مَعِيَ ، وَإِذَا مَلَمْتُهُ لَمَتُهُ وَحَدِي
وعمران بن حطان هو القائل :

لم يعجز الموتُ شَيْءاً دُونَ خَالِقِهِ وَالْمَوْتُ فَإِنْ إِذَا مَا غَالَهُ الْأَجَلُ
وكلَّ كَرْبٍ أَمَامَ الْمَوْتِ مُنْقَطِعٌ بِالْمَوْتِ ، وَالْمَوْتُ فِيمَا بَعْدَهُ جَلَلٌ^(١)
وكان الفرزدقُ عمل بيتاً ، وحلف بالطلاق أنَّ جَرِيْرًا لَا يَنْقُضُهُ ، وَهُوَ :
فإني أنا الموتُ الذي هو نازلٌ بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُهُ
فاتصل ذلك بجرير ، فقال : أَنَا أَبُو حَزْرَةَ ، طَلَقْتَ امْرَأَةَ الْخَيْثِ ،
وقال :

أَنَا الدَّهْرُ يُفْنِي الْمَوْتَ وَالْدَّهْرُ خَالِدٌ فَجَنِّبْنِي بِمِثْلِ الدَّهْرِ شَيْئًا يُطَاوِلُهُ
وإنما أشار جرير إلى قول عمران .

وهو عمران بن حطان بن ظبيان بن سهل بن معاوية بن الحارث بن سدوس
ابن سنان بن ذهل بن ثعلبة ، ويكنى أبا شهاب ، وكان من الشُّرَاة ، وكان من
أخطب الناس وأفصحهم ، وكان إذا خطب ثارت الخوارج إلى سلاحها ،
وكان من أقبح الناس وجهاً ، قالت له امرأته وكانت في الجمال مثله في القبح :
إني لأرجو أن أكون وإياك في الجنة ؛ لأن الله رزقك مثلي فشكرت ، وابتلاني
بمثلك فصبرت !

(١) جَلَلٌ ، هنا : معناه يسير هين .

[بين أعرابي وبعض الولاة]

ودخل أعرابي على بعض الولاة فقال : أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ ، اجعلني زِمَامًا من أَرْمَتَكَ ، فَإِنِّي مِسْعَرُ حَرْبٍ^(١) ، وَرَكَابُ نُجُبٍ ، شَدِيدٌ عَلَى الأَعْدَاءِ ، لَيِّنٌ عَلَى الأَصْدِقَاءِ ، مَنْطَوِي الحَصِيلَةِ ، قَلِيلُ الثَّمِيلَةِ^(٢) ، [قَلِيلٌ] غَرَارِ النُّومِ ، قَدْ غَذَّتْنِي الحُرُوبُ أَفَاقِيهَا ، وَحَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ ، فَلَا يَمْنَعُكَ مِنِّي الدِّمَامَةُ ، فَإِنْ تَحْتَهَا لَشَهَامَةٌ .

[الدنيا ، وأهلها]

قال المسيح عليه السلام : الدُّنْيَا لِإِبْلِيسَ مَزْرَعَةٌ ، وَأَهْلُهَا لَهُ حُرَاثٌ .
وقال إبليس لعنه الله : العَجَبُ لِبَنِي آدَمَ يَحْبُبُونَ اللهَ وَيَعْصُونَهِ ، وَيُغْنِيصُونَنِي وَيُطِيعُونَنِي .

[أربع كلمات طيبات]

خرج الزهري يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال : مارأيتُ كاليوم ، وَلَا سَمِعْتُ كَأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ تَكَلَّمَّ بِهِنَ رَجُلٌ عِنْدَ هِشَامٍ ؛ دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ، فِيهِنَّ صَلَاحٌ مُلْكِكَ ، وَاسْتِقَامَةٌ رِعْيَتِكَ .
قال : هَاتِهِنَّ ؟ قال : لَا تَعْدِنَ عِدَّةً لَا تَثِقُ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنجَازِهَا ، وَلَا يَغْرَبَنَّكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَغَرًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ للأَعْمَالِ جِزَاءً فَاتَقِ الْعَوَاقِبَ ، وَأَنْ لِلْأُمُورِ بَغْتَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

قال عيسى بن دَأْبَ : لَخَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْهَادِي وَفِي يَدِهِ لُقْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ فَأَمْسَكَهَا ، وَقَالَ : وَيْحَكَ أَعِدْ عَلَيَّ ! فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسِغْ لَقْمَتَكَ ، فَقَالَ : حَدِيثُكَ أَحَبُّ إِلَيَّ .

(١) مسعر حرب : موقدها ومشعلها .

(٢) الثميلة : ما يبقى في البطن من الطعام والشراب .

[بين معاوية وعمرو بن سعيد]

ولما عقد معاوية البيعة ليزيد قام الناس يخطبون ؛ فقال لعمر بن سعيد :
 قم يا أبا أمية ، فقام حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن يزيد بن معاوية
 أجل تؤمونه ، وأمل تؤملونه ، إن استضفتم إلى حبله وسعكم ^(١) ، وإن
 احتجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أعناكم ، جدع
 قارح ^(٢) ، سوبق فسبوق ، وموجد فجدد ، وقورع فقرع ، وهو خلف
 أمير المؤمنين ، ولا خلف عنه ، فقال له معاوية : اجلس ، فقد أبلغت .

وعمر بن سعيد هذا هو الأشدق ؛ [وإنما سُمي الأشدق] لتشادقه في
 الكلام ، وقيل : بل كان أقدم ما ثل الشدق ، وهذا قول عوانة بن الحكم
 الكلبي ، وهو خلاف قول الشاعر :

تشادق حتى مال في القول شدقه وكل خطيب لا أبالك أشدق

وكان أبوه سعيد بن العاص أحد خطباء بني أمية وبلغائهم .

ولما مات سعيد دخل عمرو على معاوية فاستنطقه فقال : إن أوّل كل
 مركب صعب ، وإن مع اليوم غدا ، فقال معاوية : وفي هذه العلة إلى
 من أوصى بك أبوك ؟ قال : أوصى إلى ولم يوص لي ، فقال معاوية : إن ابن
 سعيد هذا لأشدق !

[من تواضع الرشيد]

قال ابن السماك للرشيد : يا أمير المؤمنين ، تواضعك في شرفك أفضل من
 شرفك ؛ إن رجلا آتاه الله مالا وجمالا وحسبا ، فوأسى في ماله ، وعف في
 جماله ، وتواضع في شربه ، كتب في ديوان الله عز وجل .

(١) إن استضفتم : إن ملتم ، وفي نسخة « إن استطلعتكم إلى حكمه » .

(٢) الجدع : الشاب الحدث ، والقارح : الشديد المحرب ، يريد أنا جامع

لهذين الوصفين .

[المتنبى فى حى أصابته بمصر]

نالت أبا الطيب المتنبى علةً بمصر ، فكان بعض إخوانه من المصريين
يكثر الإلمام^(١) به ، فلما أبل قطعته ، فكتب إليه : وصَلَّتْني أَعَزَّكَ اللهُ
مُعتَلًا ، وقطعتني مُبِلًا ، فإن رأيت ألاَّ تسكدر الصحة علىّ ، وتحبب العلة
إليّ ، فَعَلْتَ .

وفى هذه العلة يقول :

أَقَمْتُ بِأَرْضٍ مِصْرَ ؛ فَلَاورائي	تَحَبُّ بِى الرِكاب ، وَلا أُمَامى
عَلِيلُ الْجِسْمِ مُنْقَنِعُ الْقِيَامِ	شَدِيدُ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ
وَزَائِرَتِي كَانَتْ بِهَا حَيَاءٌ	فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَدَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا	فَعَاقَتْهَا ، وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَغِنَا	فَتُوسِمُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي	كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ
كَأَنَّ الصَّبِيحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي	مَدَامِعُهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامِ
أُرَاقِبُ وَقَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ	مُرَاقِبَةً الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ
وَيَصْدُقُ وَعْدُهَا وَالصَّدَقُ شَرٌّ	إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامِ

ألفاظ لأهل العصر فى العيادة وما جانسها من ذكر التشكى والمرض

وتلونه ، وسوء أثره ، والاتزعاج لِمَوارضه

· عرض لى مرضٍ أساء بالنجاة ظنى ، وكاد يصرف وجه الإفاقة عنى .
هو شُورَى بين أمراض أربعة : صُدَاع لا يخف ، وَحْشَى لا تُغَيِّبُ^(٢) ، وَزُكَّام
لا يخف ، وَسَعَال لا يَكْف . عِلَّة هو فى أسرها مُمْتَقِل ، وَبَقِيدُهَا مُكَبَّل .

(١) الإلمام به : الزيارة له وعيادته ، وأبل : برىء من مرضه .

(٢) الإغباب : أن تزور يوما وتترك الزيارة يوما .

أمراض تلونت على ، وأسأت بي وإلى ، فأنا أشكر الله تعالى إذ جعلها عِظَةً وتذكيراً ، ولم يُبقِ منها الآن إلا يسيراً ، أحسب أن الأمراض قد أقسمت على أن تجعل أعضائي مراتعها ، [وآلت على أن تُصير جوارحي مراتعها] .
 علل لا يصدر منها [آتٍ إلتكدير ورد] ولا يعزل منها وال إلا بولي عهد .
 قد كرت تلك العلة فعادت عللاً ، [وسقتني بعد نهـل عللاً]^(١) . علل برته برى الأخلة ، ونقصته نقص الأهلة ، وتركته حرصاً ، وأوسعته مرصاً ، وغادرته والخيال أكتف منه جثة ، والطيف أوفر منه قوة . عرض له من المرض ما صار معه القنوط يُغاديه ويُراوِحه ، واليأس يُخاطبه ويُصافحه .
 قد ورد من سوء الظن أو خم المناهل ، وبات من حسن الرجاء على مراحل . طالعت السكرم يترجح نجمه بين الإضاءة والأفول ، وتمثل شسه بين الإشراق والغروب . أصبح فلان لا يُقل رأسه^(٢) ، ولا يحور ظله ، ويد المنية تفرع بابه . ما هو لليلة إلا غرض ، ولسهام المنية إلا غرض . شاهدت نفسي وهي تخرج ، ولقيت روعي وهي تغرّج ، وعرفت كيف تكون السكرة ، وكيف تقع القمرة ، وكيف طعم البعد والفراق ، وكيف تلتف الساق بالساق . مرض لحقتني روعته ، وملكتني لوعته . وجدت في نفسي ألماً أوحشه آنسه وآنسه أوحشه . بلغني من شكايته ما أوحش جناب الأنس ، وأراني الظلمة في مطلع الشمس . قد بلغني ما عرّض لك من المرض ، وألم بك من الألم ؛ فتحامل على سوداء صدرى ، وأقذى سواد طرّفى ، وفد استنفد القلق لعلتك ما أعدّه الصبر من ذخيرة ، وأضعف ما قواه العزم من بصيرة . قلبي يتقلب على حدّ السيف إلى أن أعرف انكشاف العارض وزِيَاله ، وأنحقق انحساره وانتقاله . أنهى إلى من الخبر العارض ، حسم الله مادته ، وقصّر مدته ، ما أراني الأفق مظلماً ، والعيش مبهماً .

(١) النهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب ثانياً ، وكلاهما بالتحريك .

(٢) لا يقل رأسه : لا يرفعه ، أو لا يحمله .

فقر في تهوين العلة بحسن الرجاء ، وذكر المشاركة والاهتمام بحلّوها

والاستبشار بزوالها

إن الذي بلغني من ضَعْفِهِ قد أضعف المنة ، وإن لم يُضعف الظن بالله والثقة . قد استشف العافية من ثوب رقيق . ما أكثر ما رأينا هذه العلل حلت ثم تجلت وتوالت ثم تولت . خبرني فلان بعلتك فأشركني فيها ألما وقلقا ، فلا أعل الله لك جسما ولا حالا ، فليست نكاية الشغل في قلبي بأقل من نكاية الشكاية في جسمك ، ولا استيلاء القلق على نفسي بأيسر من أعراض السقم لبدنك ، ومن ذا الذي يصح جسمه إذا تأملت إحدى يديه ، ومن يحل محلها في القرب إليه ؟ أنا منزعج لشكائك ، مبهيج بمعافاتك ، إن كانت علّتك قد قرّحت وجرّحت ، فإن صحتك قد آست وآنست^(١) . بلغني شكائك فأرّعت ، ثم عرفت خفيها فأرّحت . الحمد لله على قُرب المدة بين المِحنة والمِنحة ، والنقمة والنعمة ، وعلى أنا لم تهالك بأيدي المحافة حتى تدارك بحُسن الرأفة ، ولم نستسلم لخطّة الحذر حتى سلم من ورطة القدر .

ولهم في شكاة أهل الفضل والسؤود

شكاته التي تتألم منها المروءة والفضل . ويسقم منها الكرم المخض . شكاته التي غصّت بها حلوق المجد ، وحرّجت لها صدور أهل الأدب والعلم^(٢) ، وبدا الشحوب معها على وجه الحرية ، وحرّم معها البشرُ على غرة المروءة . قد اعتلّ بعلته الكرم ، وشكا بشكايته السيف والقلم . شكاة عرضت منه لشخص الكرم الغض ، والشرف المخض . لو قبلت مهجتي فدية ، دون وعكة تجدها ،

(١) آست : عاجلت وداوت وطبت ، وآنست : جلبت الأنس .

(٢) حرّجت لها الصدور : ضاقت .

لجذتُ بها ، وساعة أنس تفقدها لبذلها ، علماً بأنى أفدى الكرم لا غير ، والفضل ولا ضير .

ولهم في تنشيم الإقبال ، وذكر الإبلال

قد شئت بَارِقَةَ العافية ، وشِئْتُ رَاحَةَ الصحة . أقبل صُنْعُ اللَّهِ من حيث لم أجتسب ، وجاءني لُطْفُهُ من حيث لا أرتقب ، وتدرجت إلى الإبلال وقد حسبته حلماً ، ورضيت به دون الاستقلال غُناً ، وقد تخلصت إلى شَطِّ العافية لما تداركني الله تعالى بلطفه من لطائفه ، وجعل هبة الروح عارِفة من عَوَارِفِهِ ، وتنسبت رَوْحَ الحياة ، بعد أن أشفيتُ على الوفاة^(١) ، ونذيت وجهي إلى الدنيا بعد مواجهتي للدار الأخرى . قد صافحَ الإقبال والإبلال ، وقارب النهوض والاستقلال . سيُريك الله من العافية التي أذاقك ويسبغ ثوبها ، ولا يعيد عليك مكروهاً . قد استقلَّ استقلالَ السيف حُودُثَ عَهْدِهِ وأُعِيدَ فِرْنْدُهُ^(٢) ، والقمر انكشف سِرَّارُهُ ، وذاعت أسرارُهُ^(٣) . حين استقلت يدي بالقلم ، بشرتك بانحسار الألم . قد أتاك اللهُ بالسلامة الفائضة ، وعافاك من الشكاة العارضة . أبلَّ فانشَرَحَتِ الصدور ، وشمل السرور . الحمد لله الذي حرس جِسْمَكَ وعافه ، ومحا عنه أثرَ السقم وعَفَّاه . الحمد لله الذي جعل العافية عَقْبِي ما تشكيت ، والسلامة عِوَضاً عما عاينت . الحمد لله الذي أعفاك من مُعَانَاةِ الألم . وعافاك للفضل والكرم ، ونظمني معك في سِلْمِ النعمة ؛ وضمَّنِي إليكَ في مُنبِلِجِ الصحة . الحمد لله الذي جعل السلامة ثَوْبَكَ الذي لا تنضوه^(٤) ، وسيفك فيما تأمله وترجوه . الله يجعل السلامة أطول بُرْدِيكَ ، وأشدَّهما سُبُوغاً عليك ، ويدفع

(١) أشفى على الشيء : قاربه ودنا منه .

(٢) حودث عهده : أراد جدد صقاله ، وفرند السيف : جوهره .

(٣) السرار - بزنة الكتاب - الليلة التي يختفي فيها القمر .

(٤) لا تنضوه : لا تخلعه .

في صدور المكاريه دون ربك ، وفي محور المحاذير قبل الانتهاء إلى ظلك . لازالت العافية شعارك ، ماواصل ليلاك نهارك .

فقر في أدعية العيادة ، والاستشفاء بكتبها

أغناك الله عن الطبِّ والأطباء ، بالسلامة والشفاء ، وجعله عليك تمحيصاً^(١) لاتنغيصاً ، وتذكيراً لانكيرا ، وأدبا لا غضباً . الله يدرك لك صوب العافية ، ويضفي عليك ثوب الكفاية الوافية . أوصل الله تعالى إليك من برِّ الشفاء ما يكفيك حرَّ الأدوية . كتابك قد أدّى رَوْحَ السلامة في أعضائي ، وأوصل برِّدَ العافية إلى أحشائي . تركني كتابك والنعم تئبُّ إلى صحتي ، والخطوب تتجافى عن مُهجتي ، بعد أمراض اكتنفت ، وأسقام اختلفت . قد استبق كتابك والعافية إلى جسمي كأنهما فرساً رهان تباريا ، ورسيلاً مضمار تجاريا . أبدلني كتابك من حُزون الشكاية سُهولَ المعافاة ، ومن شدَّةِ القأَم ، رخاء التنعم .

قطعة من كلام الأطباء والفلاسفة

العاقل يترك ما يحبُّ ليستغنى عن العلاج بما يكره .

جالينوس : المرض هَرَمَ عارض ، والهَرَمَ مرضٌ طبيعي .

وله : مجالسة الثقيل تُحمي الروح .

بختيشوع : أكلُ القليل مما يضرُّ أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

يوحنا بن ماسويه : عليك من الطعام بما حدثت ، ومن الشراب بما قدّم .

وقال له المؤمنون : ما أحسن ما يُتنقل به على النبيذ ؟ قال : قول أبي نواس ،

يريد قوله :

الحمد لله ليس لي مثَلُ خمرى شرابي وَثَقَلِي القَبْلُ

ثابت بن قرة : ليس شيء أضر بالشيخ من أن تكون له جارية حسنة ، وطباخ حاذق ؛ لأنه يُكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجاع فيهرم .
غيره : ليس لثلاث حيلة : فقرٌ يخاطبه كسل ، وخصومة يخامرها حسد ، ومرض يمازجه هرم .

ثلاثة يجب مداراتهم : السلطان ، والمريض ، والمرأة .
ثلاثة يُعدّرون على سوء الخلق : المريض ، والمسافر ، والصائم .
فقر في ذكر المرض والصحة والموت والحياة لغير واحد
شيثان لا يُعرفان إلاّ بعد ذهابهما : الصحة والشباب . عمارة السقم توجد
حلاوة الصحة . هذا كقول أبي تمام :
إساءة دهرٍ أذكرت حسنَ فعلِهِ إلىّ ، ولولا البشري لم يُعرف الشهد^(١)
وقوله أيضا :

والحادثات وإن أصابك بُؤسها فهو الذي أدراك كيف نعيمها
ما سلامة بدن معرض للآفات ، وبقاء عمر معرض للساعات ؟
قال أبو النجيم :

إنّ الفتي يصبح للسقام كالغرض المنصوب للسهام

أخطأ رايم وأصاب رَام

وقيل لبعض الأطباء وقد نهكته العلة : ألاّ تتعالج ؟ فقال : إذا كان [الداء
من] السماء بطل الدواء ، وإذا قدّر الرب بطل حدّرُ المربوب ، ونعم الدواء
الأمل ، وبئس الداء الأجل .

بزرجمهر : إنّ كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وإن كان شيء فترق
الموت فالمرض ، وإن كان شيء مثل الحياة فالغنى ، وإن كان شيء مثل
الموت فالفقر .

(١) الشرى - بالفتح - الحنظل ، والشهد : العمل .

غيره: خيرٌ من الحياة مالا تطيب الحياة إلا به، وشرٌّ من الموت ما يتمنى الموت له .
قال المتنبي في مراثية أم سيف الدولة :

أطابَ النفسَ أنكَ مُتٌ مَوْتًا تَمَنَّتْهُ البَوَاقِي وَالْخَوَالِي
وَزَلَّتْ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا تُسَرُّ النَفْسُ فِيهِ بِالزَوَالِ
رَوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكٌ عَلَى ابْنِكَ فِي كَمَالِ
الموت باب الآخرة

الحسن : ما رأيتُ يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت
ابن المعتز : الموت سَهْمٌ مُرْسَلٌ إِلَيْكَ ، وعمرُك بقدر سفره نحوك
أخذ بعض أهل العصر فقال :

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوُّوْنَ وَخَفْ بَوَادِرَ آفَتِهِ
فَالْمَوْتُ سَهْمٌ مُرْسَلٌ وَالْعَمْرُ قَدَرٌ مَسَافَتِهِ
البستي :

لَا يَغْرُنْكَ أَنْتَى لَيْنِ الْمَسِّ فَعَزَمِي إِذَا انْتَضَيْتُ حُسَامُ
أَنَا كَالْوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ ثُمَّ فِيهِ لَأَخْرِينِ زُكَّامُ
وقال آخر :

إِنَّ الْجَهْلَ تَضَرَّتْهُ أَخْلَاقُهُ ضَرَّرَ الشُّعَالِ لِمَنْ بِهِ اسْتِسْقَاهُ
ولآخر ، وهو البستي :

فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ فَلَيْسَ يَحْمَدُ قَبْلَ النَّضِجِ بُحْرَانُ
وقال آخر :

لَا تَعْتَمِدْ إِلَّا رَئِيسًا فَاضِلًا إِنَّ الْكِبَارَ أَطْبُ الْأَوْجَاعِ
وقال آخر :

وإِنِّي لَأَخْتَصُّ بَعْضَ الرِّجَالِ وَإِنْ كَانَ فَدَمًا ثَقِيلًا عَبَا(١)

(١) القدم - بالفتح - العبي عن الكلام ، والعبام - كسحاب - الثقيل .

فَإِنَّ الْجُبْنَ عَلَى أَنَّهُ ثَقِيلٌ وَخِيمٌ يُشْهَى الطَّعَامَا
وقال المتنبي :

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَلَلِ
وقال أيضاً :

أَعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الْبُشْحَمَ فَيَمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ
[من الأجوبة المفحمة]

قال أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي : كان بلال بن أبي بردة جليداً حين ابتلى ، أحضره يوسف بن عمر في قيوده لبعض الأمر ، وهُم بالخيبة ؛ فقام خالد بن صفوان فقال ليوسف : أيها الأمير ، إن عدو الله بلالاً ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ، ولا خلعتُ يداً من طاعة ، ثم التفت إلى بلال فقال : الحمد لله الذي أزال سلطانك ، وهذا أركانك ، وأزال جمالك ، وغير جالك ، فوالله لقد كنت شديد الحجاب ، مستخفاً بالشريف ، مظهرًا للعصبية ! فقال بلال : يا خالد ؛ إنما استطلت عليّ بثلاث معك هنّ عليّ : الأمير مُقبلٌ عليك ، وهو عني مُعرض . وأنت مُطلق ، وأنا مأسور . وأنت في طينتك ، وأنا غريب ! فأخفمه ، [ويقال : إن آل الأهم زعنفة دخلت في بني منقر فانتسبت إليهم]^(١) وكان سبب ضرب بلال خالداً في ولايته أن بلالاً مرّ بخالد في موكب عظيم ، فقال خالد : * سحابة صيفٍ عن قليل تقشعُ *
فسمعه بلال ، فقال : والله لا تقشع أو يصيبك منها شؤبوب^(٢) برد ، وأمر بصر به وحبسه .

[رثاء قدح]

وقال أبو الفتح كشاجم يرثي قدحاً له انكسر :

(١) ما بين المعوقين ساقط من أكثر الأصول ، وهو كلام مقحم .

(٢) الشؤبوب - بضم فسكون - الدفعة العظيمة من المطر

عَرَانِي الزَّمانُ بِأَحْدَاثِهِ فَبَعْضًا أَطَقْتُ ، وَبَعْضٌ فَدَحٌ ^(١)
وَعِنْدِي فَجَائِعٌ لِلْحَادِثَاتِ وَلَيْسَ كَفَجَعَتِنَا بِالْقَدَحِ
وِعَاءُ الْمُدَامِ ، وَتَاجُ الْبَنَانِ وَمُذْنِي السَّرُورُ ، وَمُقْصِي التَّرَحِ ^(٢)
وَمَعْرُضُ رَاحٍ مَتَى تَسْكُوهُ وَيُسْتَوْدَعُ السَّرَّ مِنْهَا يَبْسُحُ
وَجَسْمُ هَوَاءٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُرَى لِلْهَوَاءِ بِكَفِّ شَبَحُ
يَرُدُّ عَلَى الشَّخْصِ تَمَثَّالُهُ وَإِنْ تَتَخَذُهُ مِرَاةً صَلَحُ
وَيَعْبَقُ مِنْ تَسْكِهِاتِ الْمُدَامِ فَتَحْسَبُ مِنْهُ عَمِيرًا نَفَحُ
وَرَقٌّ ؛ فَلَوْحٌ فِي كِفَّةٍ وَلَا شَيْءَ فِي أُخْتِهَا مَارَجَحُ
يَكَادُ مَعَ الْمَاءِ إِنْ مَسَّهُ لَمَّا فِيهِ مِنْ شَكْلِهِ يَنْفَسَحُ
هَوًى مِنْ أَنَامِلٍ مَجْدُولَةٍ فَيَا عَجَبًا مِنْ لَطِيفِ رَزَحُ
فَأَفْقَدَنِيهِ عَلَى ضِنَّةٍ بِهِ لِلزَّمانِ غَرِيمٌ مَلَسَحُ
كَأَنَّ لَهُ نَاطِرًا يَنْتَقِي فَتَى يَتَعَمَّدُ غَيْرَ الْمَلَحُ
أَقْلَبُ مَا أَبْقَتِ الْحَادِثَاتُ تَمَنَّهُ وَفِي الْعَيْنِ دَمْعٌ يُسَحُ
وَقَدْ قَدَحَ الْوَجْدُ مَنَى بِهِ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ نَارِهِ مَاقَدَحُ
وَأَعْجَبَ مِنْ زَمَنِ مَانَحٍ وَآخَرَ يَسْلُبُ تِلْكَ الْمِنَحُ
فَلَا تَبْعُدَنَّ فَكَمْ مِنْ حَشَى عَلَيْكَ كَلِيمٌ وَقَلْبٌ قَرَحُ
سَيُقْفِرُ بَعْدَكَ رَسْمُ الْغُبُوقِ وَتُوحِشُ مِنْكَ مَغَانِي الصَّبَحِ

[من طرائف الوصف]

ومن أحسن ما قيل في وصف قدح ، قول ابن الرومي يصف قدحا أهدها
إلى علي بن يحيى المنجم :

(١) عراني : نزل بي ، وفدح : ثقل وعسر حمله
(٢) الترح : الحزن ، وفي نسخة « وتاج الكرام »

وبديع من البـدائع يَسـبـي رَقَّ في الحسنِ والملاحـةِ حتـى
 كلَّ عقلٍ، وَيَطـبـي كلَّ طَرَفٍ^(١) ما يوفـيـه واصفٌ حقَّ وَصَفٍ
 كفـم الحُبِّ في الملاحـةِ بل أشـهـى وإن كان لا يـنـاجـى بحرفٍ
 تنفذ العينُ فيـه حتـى تراها أخطأته من رِقَّةِ المستشفِّ
 كهواءِ بلا هباءِ مشـووب بضياءِ، أرَقَّقَ بذاك وأصفِ
 صيغ من جوهرٍ مصفًى طباعا لا علاجاً بِكيميائـةٍ مُصَفِّ
 وسط القَدَرِ، لم يكبِّرَ لـجـزـع مُتوالٍ، ولم يصغُرَ لرَشَفٍ
 لا عـجـول على العقولِ جَهـولٍ بل حلـيم غـنـنٍ في غير ضـعـفٍ^(٢)
 فيـه نون معقرب عَطَفَتـه حـكـماءُ القـيـون أحـكم عَطَفٍ
 مثل عطف الأصداغ في وجناتٍ من حبيب يُزْهِى بِحُسْنٍ وظرفٍ
 ما رأى الناظرون قَدْأ وشكلاً مثله فارساً على بطن كَفِّ
 وقال أبو القاسم التنوخي :

للتنوخى
 في وصف
 قدح أيضاً

ورايح من الشمس مخلوقة بدتْ لك في قدح من نهـاز
 هواءٌ ولكنه جامدٌ وماءٌ ولكنه غـيرُ جـازٍ
 إذا ما تأملتـها وهى فيه تأملتْ نوراً محيطاً بـنـازٍ
 فهذا النهاية في الايضاض وهذا النهاية في الاحـمـرازٍ
 وما كان في الحق أن يُقرَنا لفرطِ التَّنـافـي وبعد التَّفـارُ
 ولكن تجاوز شكلاهما البسيطانِ فاتفقا في الجـوـازِ
 كأنَّ المديرَ لها باليمين إذا قام للسَّقـى أو باليسار
 تدرع ثوباً من الياـسـمين له فردٌ كم من الجـلـنـارِ

(١) يطبى كل طرف : يستهوى كل نظر ، يريد أنه يأخذ بمجامع العقول والأبصار (م) .

(٢) في نسخة « لا صَوْل على العقول » (م)

لكشاجم
في رثاء
منديل

وقال أبو الفتح كشاجم برني منديل كم :

من يَبْكُ من وَجْدٍ على هالك فإنما أَبْكِي على دَسْتَجَةٍ^(١)
جاذِبِنيها رَشْأُ أَغِيدَ فجادت النفسُ بها مُخْرِجَه
بدِيعَةً في نَسْجِها، مثلها يفقد من يُحْسِنُ أَنْ يَنْسُجَه
كأنما رِقَّةٌ أَشْكالها من رِقَّةِ العِشاقِ مُسْتَخْرِجَه
كأنما مَفْتُولُ أَهدايها أيدى دَبَا في نَسَقِ مُزَوَّجَه^(٢)
كأنما تَفْرِيقُ أعلامها طأوسَةٌ تَحْتالُ أو دُرْجَه
لَيْسَةً جَدَّدَها حَسَنها لَأَرَثَّةُ السِّلْكِ ولا مُنْهَجَه^(٣)
كم رِقَّةٌ من عَفْدِ مَعْشُوقَةٍ تُرْسَلُ في أَثْنائها مُدْرَجَه
أو مَسْحَةٍ من شَفَةِ عَذْبَةٍ تُبْرَدُ حَرَّ الكَيْدِ الْمُنْصَجَه
إلى تَحِياتٍ لَطافٍ بها تُسَكِنُ مني مُهْجَةً مُزَعَجَه
كانت لَمَسَحِ الكاسِ حتى تَرى منها لَأَنارِ القَذَى مُخْرِجَه
وخاتمي يُعْقَدُ فيها إذا آثرتُ مِنْ كَفَى أَنْ أُخْرِجَه
وأَتَقَى الجَمامَ بها كَلَمًا كلله المازِجُ أو تَوَجَّجَه
فاستأثَرَ الدَّهْرُ بها؛ إِنَّهُ ذو هَمَّةٍ مُجَلِّيةٍ مُرْهَجَه^(٤)
فأَصْبَحَتْ في كَمِّ مُخْتالَةٍ مُلْجَمَةٌ في هَجَرِنا مُسْرَجَه

وله يصف
سقوط الثلج

وقال أيضاً يصف سقوط الثلج :

الثلجُ يَسْقُطُ أمْ جُلُيْنُ يُسْبِكُ أمْ ذا حَصَى الكافورِ ظَلٌّ يَفْرَكُ
راحت به الأرضُ الفضاء كأنها في كل ناحية بشغَرٍ تَضَحَكُ

(١) في نسخة « أبكى على مسبجة » وفي أخرى « على سبجة » والدمستجة :
الحرمه (م)

(٢) الدبا : صغار الجراد والنمل (م) (٣) اللبيس : الذي أكثر لبسه ، والمنهجة :
الحلقة البالية (م)

(٤) في نسخة « ذونوب مجلبة مرهجة » (م)

شابت مفارقتها فبين ضحكها
أزبني على خضر الغصون فأصبحت
وتردت الأشجار منه ملاءة
كانت كعود الهند طري فانكفي
والجو من أريج الهواء كأنه
فخذى من الأوتار حظك إنما
فاليوم يوزن بالملاحة ، إنه
وقال أيضاً :

باكر فهذى صبيحة قره
تلج شمس وصوب غادية
باتت وقيعائها زبرجدة
كانها والثلوج تضحكها
كأن في الجو أيدياً نثرت
شابت فسرت بذاكوابتهجت
قد جللت بالبياض بلدنسا

وقال الصنوبري :

ذهب كؤوسك يا غلا
الجو يجل في البيا
أزمت ذا تلج وذا
ورد الربيع مورد

- (١) في نسخة « من داجي الهواء » وما أثبتناه موافق لما في الديوان، والأرجح:
طيب الرائحة (م)
(٢) في نسخة « فاليوم يؤذن بالملاحم » وهي تناسب آخر الكلام (م)

ولكننا
أيضاً

للصنوبري
في المعنى

تأبست

وقال البستي :

كَمْ نَظَمْنَا عَقُودَ لَهْوٍ وَأُنْسٍ وَجَعَلْنَا الزَّمَانَ لِلْهَوَى سِلْكَاً
وَفَتَقْنَا الدَّنَانَ فِي يَوْمٍ ثَلَجٍ عَزَلِ الْكَأْسُ فِيهِ رُشْداً وَنُسْكَاً
فَكَانَ السَّمَاءُ تَنْحَلَّ كَافُو رَأً عَلَيْنَا، وَنَحْنُ نَفْتَقُ مِسْكَاً
وقال الأمير أبو الفضل الميكالي يصف الجلمد :

الميكالي
يصف الجلمد

رَبَّ جَنَيْنٍ مِنْ حَيَا النَّمِيرِ مَهْتَكِ الْأَسْتَارِ وَالضْمِيرِ
سَلَاتُهُ مِنْ رَحِمِ الْغَدِيرِ كَأَنَّهَا صَحَائِفُ الْبُلُورِ
أَوْ أَكْرُ تَجَسَّمتْ مِنْ نُورٍ أَوْ قَطَعَ مِنْ خَالِصِ الْكَافُورِ
لَوْ بَقِيَتْ سِلْكَاً عَلَى الدَّهْورِ اعْطَلَتْ قَلَائِدُ النُّجُورِ^(١)
وَأَخْجَلَتْ جِوَاهِرَ الْبَحُورِ [وَسَمِيَتْ ضُرَائِرُ الثُّغُورِ]
يَا حُسْنَهُ فِي زَمَنِ الْحُرُورِ إِذْ قَيْظُهُ مِثْلُ حَشَى الْمُهْجُورِ^(٢)
يُهْدِي إِلَى الْأَكْبَادِ وَالصَّدُورِ رَوْحاً يُجَلِّي نَفْثَةَ الْمَصْدُورِ
وَيَجْلِبُ السَّرُورَ لِلْمَقْرُورِ

ألفاظ لأهل العصر في وصف الثلج والبرد والأيام الشتوية
ألقي الشتاء كذَلِكَ، وأُحِلَّ بنا أنقاله . مد الشتاء رواقه ، وألقى أوراقه ،
وحلَّ نِطاقه . ضرب الشتاء بحِرَانِه ، واستقل بأركانِه ، وأناخ بنوازلِه ، وأرْسَى
بكلّا كَلِه ، وكلح بوجهه ، وكشّر عن أنيابه . قد عادت [هَامَات] الجبال
شَيْباً ، ولبست من الثلج بُرداً قَشِيّاً . شابت مفارق البروج ، لتراكم الثلوج ،
ألمّ الشيب بها وابتضت لمها^(٣) . قد صار البردُ حجاباً ، والثلج حجازاً . بَرَدُ
يغير الألوان ، وينشف الأبدان . برد يُقَصِّقُض الأعضاء ، وينفض الأحشاء . برد
يُجْمَدُ الرِّيقُ فِي الْأَشْدَاقِ ، والدمع في الآفاق . بَرَدُ حال بين الكلب وهريره ،

(١) في نسخة « تعطلت قلائد النجور » (م)

(٢) في نسخة « يا حسنه في زمن الحدور » تحريف (م)

(٣) في نسخة « ألم الشتاء بهامات ابتضت لمها » (م)

والأسدوزنبره ، والطير وصَفِيره ، والماء وخَرِيره . نحن بين لثق ، ورثق ، وزلق ^(١) يوم كأنَّ الأرضَ شابتَ لهوْلُه . يوم فضَى الجِلْبَاب ، مَسَكِي النِقَاب ، عبوس قَمْطَرِير ، كَشْتَر عن ناب الزمهرير ، وفرش الأرض بالقَوَارِير . يوم أخذت الشَّمالَ زِمَامه ، وكسا الصَّرَّ ^(٢) نِيَابَه . يوم كأن الدنيا فيه كافُوزَة ، والسماء بلُورَة . يوم أرضه كالقَوَارِير اللامعة ، وهوأوه كالزناييز اللاسعة . يوم أرضه كالزجاج ، وسماؤه كأطراف الزَّجَاج ^(٣) . يوم يمل فيه الخفيف إذا هجم ، ويخف الثقيل إذا هَجَرَ ، نحن فيه بين أطباق البرد فمانستغيث إلا بمرِّ الراح ، وسَوْرَة الأقداح . ليس للبرد كالبُرْد ، والخمر ، والجَمَر . إذا كلب الشتاء ، فترياق سمومه الصَّلَاء ، ودَرَقُ سيوفه الطَّلَاء ^(٤) .

تقيض ذلك من كلامهم في وصف القيظ وشدة الحر

قوى سلطان الحرِّ ، وبُسطَ بساطُ الجَمَر . حرُّ الصيف ، كحدِّ السيف . أوقدت الشمسُ نارَها ، وأذكت أوارها . حرٌّ يلفح حرُّ الوجه . حرٌّ يشبه قلب الصبِّ ، ويُذيب دماغ الضبِّ . هاجرة كأنها من قلوب العشاق ، إذا اشتعلت فيها نارُ الفراق . هاجرة تحكي نارَ الهَجَر ، وتذيب قلب الصخر . كأن البسيطة من وقدة الحرِّ ، بساط من الجمر . حرٌّ تهرب له الحرباء من الشمس ، قد صَهَرَت الهاجرة الأبدان ، وركبت الجنادبُ العيدان . حرٌّ يُنْضِجُ الجلود ، ويُذيبُ الجمود أيام كأيام الفرقة امتدادا ، وحرٌّ كحرِّ الوجد اشتدادا . حرٌّ لا يطيبُ معه عيش ، ولا ينعف معه تلج ولا خيش . حمارة القيظ ، تغلي كدم ذى الغيظ . آب آب يُجِيش ^(٥) مِرْجَلَه ، ويثور قسطلُه . هاجرة كقلب المهجور ، أو التنور المسجور . هاجرة كالجحيم الجاحم ، تجر أذيال السائم .

(١) اللثق : ركود الريح وكثرة الندى (م)

(٢) الصر - بكسر الصاد - شدة البرد (م) (٣) الزجاج - بكسر الزاي - جمع زج (م)

(٤) كلب الشتاء : اشتد وقسا ، والترياق : دواء السموم ، والصلاء : الدفء

بالتار ، والطلاء : الحر (م) (٥) آب : رجع ، وآب : اسم شهر من شهور الصيف ،

وفي نسخه « آب آب يجيش مرجلة وتنور قسطله » تحريف (م)

[العجلة أم الندامة]

قال بعض الحكماء : إياك والعجلة فإنَّ العرب كانت تَكْنِيها أمَّ الندامة ؛ لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويجب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يُقدَّر ، ويَحْمَدُ قبل أن يجرب ، ويدمَّ قبل أن يحُزَّ ، ولن يصحب هذه الصفة أحدٌ إلَّا صحب الندامة ، واعتزل السلامة .

[تأميل ورجاء]

ولما ولى المهدي^(١) سليمان بن وهب وزارته قام إليه رجلٌ من ذوى حُرْمَتِهِ ، فقال : أعزَّ الله الوزير ؛ أنا خادمك المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنطوى القلب على ودك ، المنشورُ اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر :

وفيت كل صديق ودِّي ثمنًا إلا المؤمل دولاتي وأيامي
فإنني ضامنٌ إلَّا أكافئه إلا بتسويغه فضلي وإنعامي

وإني لكما قال القيسي : ما زلتُ أُمْتَطِي النهارَ إليك ، وأستدُلُّ بفضلك عليك ، حق إذا جَنَنِي الليلُ فغَضَّ البصرَ ، ومحا الأثرَ ، أقام بدني ، وسافر أُملي ، والاحتهاد عُذرٌ ، فإذا بلغتكَ قَدَرٌ^(٢) . قال سليمان : لاعليك ؛ فإنني عارفٌ بوسيلتك ، محتاجٌ إلى كفايتك واصطناعك ، ولست أؤخر عن يومى هذا توليتك ما يحسنُ عليك أثره ، ويطيب لك خبره ، إن شاء الله .

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي وزير المعتز بالله وكان المعتز يختص به ، ويتقرَّب إليه قبل أوزارة : ما زلت - أيدك الله تعالى - أدم الدهر بذمك إياه ، وأنتظر لنفسى ولك عُقباه ، وأتمنى زوال حال من لا ذنب له

(١) في نسخة « لما ولى المهدي محمد بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب » (م)

(٢) فقد : فكفاني ذلك (م)

إلا عاقبة محودة تكون لك بزوال حاله ، وأترك الإعذار^(١) في الطلب على الاختلال الشديد ؛ ضناً بالمعروف عندي إلا عن أهله ، وحسباً لشِعْرى إلا عن مستحقه .

فوقع في كتابه : لم أؤخر ذكرك ناسياً لحَقِّكَ ، ولا مُهملاً لواجبك ، ولا مرجياً^(٢) لهمَّ أَمْرِكَ ، ولكني ترقبت اتساع الحال ، وانفساح الآمال ؛ لأخصك بأَسْناها خطراً ، وبأجلها قَدْرًا ، وأعوذها بنفعٍ عليك ، وأوفرها رِزْقًا لك ، وأقربها مسافةً منك ؛ فإذا كنت ممن يحفز الإجمال ، ولا يتيسع له الإمهال ، فسأختار لك خير ما يشير إليه الوقت ، وأنعم النظر فيه ، وأجعله أول ما أمضيه ، إن شاء الله .

ولما ولي سليمان بن وهب الوزارة كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
أبى دهرُنا إسعافنا في نفوسنا وأسعَفَنا فيمن نحبُّ ونكرمُ
فقلت له : نَعْمَاك فيهم أتمَّها ودع أمرنا ؛ إن المهمَّ المقدمُ
فمجب من لطيف شكواه في تهنئته ، وقضى حوائجه .

[ووقع عبيد الله في كتاب رجل اعتدَّ عنده بأثر جميل : وقفت على ما ذكرته من شكائتك ، فوقع ذلك عندنا الموقع الذي أردته ، وصدر جوابنا إليك بما شكرته ، ولم تعدُّ ظننا ، وما قدرنا فيك ، ثم اعتدت الاعتداد حتى كأنك لم تكاتبنا ؛ فلا تفسدنَّ نالده إحسانك بطارف امتنانك ، واقتصر من وصف سالفك على ذكر مستأنفك] .

[من حسن التقسيم]

ووقع عبيد الله في أمر رجل خرج عن الطاعة : أنا قادرٌ على إخراج هذه النعرة^(٣) من رأسه ، والوحرة من نفسه^(٤) .

(١) في نسخة « وأترك الاعتذار » (م) (٢) مرجيا: مؤخرًا ، وأصله الهمز (م)

(٣) النعرة - كهزة - الحياء والتعاضم ، والوحرة : الحقد (م)

(٤) في نسخة « والوحرة من صدره ، والنحرة من نفسه » (م)

ونحو هذا التقسيم قولُ قتيبة بن مسلم بخراسان : من كان في يده شيء من مال عبد الله فلينبذه ، أو في فمه فليلفظه ، أو في صدره فلينفثه .

وقال عبد الله بن علي ، بعد قتله مَنْ قتل من بني أمية ، لإسماعيل بن عمرو : أساءك ما فعلتُ بأصحابك ؟ قال : كانوا يداً فقطعتها ، [وعضداً ففتتها ، ومرة فنقضتها] ، ورُكناً فهدمته ، [وجبلاً فهضمتُهُ] ، وجناحاً فقصصته ، قال : إني لخليق بأن ألحقك بهم ، قال : إني إذاً لسعيد .

وقال المنصورُ لجرير بن عبد الله : إني لأعذكُ لأمر كبير ! قال : يا أمير المؤمنين قد أعدَّ الله لك منى قلباً معموداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطةً بطاعتك ، وسيفاً مسلولاً على أعدائك .

وكتب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزّيه : مدَّ الله في عمرك موفوراً غير منتقص ، وممنوحاً غير ممتحن ، ومُعطًى غير مُستَلَب .

ومن جيد التقسيم مع المطابقة قولُ بعض الكتاب : إنَّ أهل النصح والرأي لا يساويهم أهلُ الأفنِّ والغشِّ ، وليس مَنْ جمع إلى الكفاية الأمانةَ كمن أضافَ إلى العجزِ الحياةَ .

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر لرجل دَعَتْ له وقد أُولاهَا يداً : شكرتكَ يداً نالتهما خصاصة بعد ثروة ، وأغناكَ الله عن يد نالتها ثروة بعد فاقة .

ومن بديع التقسيم في هذا النوع قولُ البيهقي :

كَأَنَّكَ السِّيفُ حَدَّاهُ وَرَوَّنَقَهُ وَالغَيْثُ وَابِلُهُ الدَّانِي وَرَيْقُهُ
هَلْ انْكَارُمُ إِلَّا مَا تُجْمَعُهُ أَوْ الْمَوَاهِبُ إِلَّا مَا تَفْرَقُهُ

وقال الحسن بن سهل يوماً للمأمون : الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ؛

(١) في نسخة « كانوا يداً فقطعتها ، وعقدة فنقضتها ، وركناً فهدمته ، وجناحاً

فقصصته » (م)

وَسَيِّئًا مَا أُعْطَاكَ ؛ إِذْ قَسَمَ لَكَ الْخِلَافَةَ ، وَوَهَبَ لَكَ مَعَهَا الْحِجَّةَ ، وَمَكَّنَكَ
بِالسُّلْطَانِ ، وَحَلَّاهُ لَكَ بِالْعَدْلِ ، وَأَيَّدَكَ بِالظَّفَرِ ، وَشَفَعَكَ لَكَ بِالْعَفْوِ ، وَأَوْجَبَ لَكَ
السَّعَادَةَ ، وَقَرَّنَهَا بِالسِّيَاسَةِ ، فَمَنْ فُسِّحَ لَهُ فِي مِثْلِ عَطِيَّةِ اللَّهِ لَكَ ؟ أَمْ مِنْ أَلْبَسَهُ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ زِينَةِ الْمَوَاهِبِ مَا أَلْبَسَكَ ؟ أَمْ مِنْ تَرَادُفَتْ نَعَمُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ
تَرَادُفُهَا عَلَيْكَ ؟ أَمْ مِنْ حَاوَلَهَا وَارْتَبَطَهَا بِمِثْلِ مُحَاوَلَتِكَ ؟ أَمْ أَى حَاجَةٍ بَقِيَتْ
لِرَعِيَّتِكَ لَمْ يَجِدْهَا عِنْدَكَ ؟ أَمْ أَى قِيَمٍ لِلْإِسْلَامِ انْتَهَى إِلَى غَايَتِكَ وَدَرَجَتِكَ ؟
تَعَالَى اللَّهُ ! مَا أَعْظَمَ مَا خَصَّ الْقَرْنَ الَّذِي أَنْتَ نَاصِرُهُ ! وَسُبْحَانَ اللَّهِ ! آيَةُ نِعْمَةٍ
طَبَّقَتْ الْأَرْضُ بِكَ إِنْ أُدِّىَ شُكْرُهَا إِلَى بَارِئِهَا ، وَالْمَنْعَمُ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا ؟ إِنْ اللَّهُ
تَعَالَى خَلَقَ الشَّمْسَ فِي فَلَكِهَا ضِيَاءً يَسْتَنِيرُ بِهَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ ؛ فَكُلُّ جَوْهَرٍ
رَزَاهَا حُسْنُهُ وَنُورُهُ فَهِيَ أَلْبَسَتْهُ زِينَتَهُ لَمَّا اتَّصَلَ بِهِ مِنْ نُورِهَا ؟ وَكَذَلِكَ كُلُّ وَلِيٍّ
مِنْ أَوْلِيَائِكَ سَعِدَ بِأَفْعَالِهِ فِي دَوْلَتِكَ ، وَحَسُنَتْ صُنَائِعُهُ عِنْدَ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّمَا نَالَهَا بِمَا
أَيَّدَتْهُ مِنْ رَأْيِكَ وَتَدْبِيرِكَ ، وَأَسْعَدَتْهُ مِنْ حَسَنِكَ وَتَقْوِيمِكَ .

[بَيْنَ قَبْنَةٍ وَأَرْبَعَةٍ مِنْ عَشَاقِهَا]

قال بعضُ الظُّرَفَاءِ : اجْتَمَعَ لَقَيْنَتُهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ عَشَاقِهَا ، وَكُلُّهُمْ يُورِى عَنْ
صَاحِبِهِ أَمْرَهُ ، وَيُخْفِي عَنْهُ خَبْرَهُ ، وَيُؤْمَى^(١) إِلَيْهَا بِحَاجِبِهِ ، وَيُنَاجِيهَا بِلَحْظِهِ ، وَكَانَ
أَحَدُهُمْ غَائِبًا فَقَدِمَ ، وَالْآخَرُ مَقِيمًا قَدْ عَزَمَ عَلَى الشَّخْصِ ، وَالثَّلَاثُ قَدْ سَلَفَتْ^(٢)
أَيَّامُهُ ، وَالرَّابِعُ مُسْتَأْنَفَةٌ مَوَدَّتِهِ ؛ فَضَحَكَتْ إِلَى وَاحِدٍ ، وَبَكَتْ إِلَى آخَرٍ ، وَأَقْصَتْ^(٣)
آخِرَ ، وَأَطْمَعَتْ آخَرَ ؛ وَاقْتَرَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يَشَاكُلُ بَشَّةً وَشَانَهُ ؛ فَأَجَابَتْهُ ،
فَقَالَ الْقَادِمُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، أَنَحْسَنِينَ :
وَمَنْ يَنْتَأَى عَنْ دَارِ الْهَوَى يُكْثِرُ الْبُكَاءَ وَقَوْلَ لَعْنَةٍ أَوْ عَسَى سَيَكُونُ

(١) يؤمى : يشير (م) (٢) سلفت : مضت (م) (٣) أقصت : أبعدت (م)

وما اخترتُ نأى الدار عنك لِسَلْوَةٍ ولكنْ مَقَادِيرُ لَهْنٍ شَوْوُنُ
فَقَالَتْ : أَحْسِنُهُ ، وَلَا أَقِيمُ لَحْنَهُ ، وَلَكِنْ مُطَارَ حَه لَتَسْتَفْنِي بِهِ عَنْهُ ، لَقُرْبِهِ
مِنْهُ ، وَأَنَا بِهِ أَخَذَقُ ، ثُمَّ غَنَتْ :

وما زلتُ مُدْشَطَّتُ بِكَ الدَّارُ بِأَكْيَا أَوْ مَلُّ مِنْكَ الْعَطْفَ حِينَ تَوُوبُ
فَأُضْعِفَتْ مَا بِي حِينَ أَبْتَ وَزِدْتَنِي عَذَابًا وَإِعْرَاضًا وَأَنْتَ قَرِيبُ
وَقَالَ الطَّاعِنُ : جَعَلْتَ فِدَاكَ ، أَتَحْسِنِينَ :

أَزِفَ الْفِرَاقُ فَأَعْلِنِي جَزَاءً وَدَعَى الْعِتَابَ فَإِنَّا سَفَرُ
إِنَّ الْحَبَّ يَصُدُّ مَقْتَرِبًا فَإِذَا تَبَاعَدَ شَفَّهِ الذِّكْرُ

قَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَحْسَنَ مِنْهُ وَمِنْ إِيقَاعِهِ ، ثُمَّ غَنَتْ :

لَأَقِيمَنَّ مَأْتِمًا عَنْ قَرِيبٍ لَيْسَ بَعْدَ الْفِرَاقِ غَيْرُ النَّحِيبِ
رَبِّمَا أَوْجَعَ النَّوَى لِلْقُلُوبِ ثُمَّ لَأَسَيِّئًا فِرَاقُ الْحَيِّيبِ^(١)
ثُمَّ قَالَ السَّالِفُ : جَعَلْتَ فِدَاكَ ، أَتَحْسِنِينَ :

كُنَّا نُعَاتِبُكُمْ لِيَا إِلَى عُدُوكُمْ حُلُوُ الْمَذَاقِ وَفِيكُمْ مُسْتَعْتَبُ
فَالْآنَ حِينَ بَدَأَ التَّنَكُّرُ مِنْكُمْ ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ عَنْكُمْ مَذْهَبُ
قَالَتْ : لَا ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ ، ثُمَّ غَنَتْ :

وَصَلَّتْكَ لَمَّا كَانَ وَدُكْ خَالِصًا وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صَارَ نَهَبًا مُقَسِّمًا
وَلَنْ يَلْبَثَ الْحَوْضُ الْجَدِيدُ بِنَاوَهُ إِذَا كَثُرَ الْوَرَادُ أَنْ يَتَهَدَّمَا
فَقَالَ الْمُسْتَأْنَفُ : أَتَحْسِنِينَ ، جَعَلْتَ فِدَاكَ :

إِنِّي لِأَعْظُمُ أَنْ أَبُوحَ بِحَاجَتِي وَإِذَا قَرَأْتَ صَحِيفَتِي فَتَفَهَّمِي
وَعَلَيْكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ أَبْتَنَيْتِهِ أَحَدًا وَلَا أَدْنَتْهُ بِتَكْلَمٍ^(٢)

(١) فِي نَسْخِهِ « رُبَّمَا أَوْجَعَ النَّوَى الْقَلْبَ حَزْنًا » وَفِي أُخْرَى « رُبَّمَا أَوْجَعَ

الْهَوَى لِلْقُلُوبِ » (م) (٢) فِي نَسْخَةِ « وَلَا أَبْدَيْتُهُ بِتَكْلَمٍ » (م)

فقلت : نعم ، ومن غناء صاحبه ^(١) ؛ ثم غنّت :

لعمرك ما استودعتُ سرِّي وسرّها سوانا ، حذاراً أن تَذِيعَ السرائر
ولا خالطتْها مقلّناىَ بنظرةٍ فتعلمُ نَجْوَانَا العيونُ النواظرُ
ولكن جعلتُ الوهمَ بيني وبينها رسولا فأدّى ما تُجِنُّ الضمائرُ
أَكاتم ما في النفس خوفاً من الهوى مخافة أن يُغري بذِكرك ذاكِرُ
فتفرقوا وكلّهم قد أوماً بحاجته ، وأجابته بحوابه .

[بين ابن المعتز وقينة]

قال أبو العباس بن المعتز : كان لنا مجلس حظّ أرسلت بسببه خادمة إلى قينة فأجابت ، فلما مرّت في الطريق وجدت فيه حارساً فرجعت ، فأرسلتُ أعاتبها فكتبت إلى : لم أتخلف عن المسير إلى سيدى فى عشيقى أُمسِر لأرى وجهه المبارك وأجيب دعاءه ، إلا لعله قد عرفتها فلانة ، ثم خِفْتُ أن يسبقَ إلى قلبه الطاهر أنى قد تخلفتُ بغير عذر ؛ فأحببتُ أن تقرأ عذرى بخطى ، ووالله ما أقدر على الحركة ، ولا شىء أسرّ إلى من رؤيتك ، والجلوس بين يديك ، وأنت يا مولاي جاهى وسندى ، لا فقدتُ قربك ، ولك رأيتك فى بسط العُذر موقفاً .
وكتبت فى أسفل الكتاب :

أليس من الحرمان حظُّ سُلْبتهُ وأخوَجَنى فيه البلاءُ إلى العُذرِ
فصبراً فما هذا بأوّل حادثٍ رَمَتْنى به الأقدار من حيثُ لا أدري
فأجبتهما : كيف أردّ عذر من لا تسلطَ التهمة عليه ، ولا تهتدى المؤجدة إليه !
وكيف أعلمه قبولَ المعاذير ، ولستُ آمنُ بعضَ خواطره ^(٢) أن تشير إلى انتهاز
فرصة فيما دعا إلى الفرقة ؛ وإن سَلِمْتُ من ذلك فنُ يجيرنى من توكله

(١) فى نسخة « أحسن من غناء صاحبه » (م)

(٢) فى نسخة « بعض جواهره إلى يسير إلى انتهاز فرصة فيما عاد إلى الفرطة »

على تقديم العذر ، ووقوعه مواقع التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعلة ، وتنقضي أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرس آثار المودة ، وكتبت في آخر الرقعة :

إذا غبت لم تعرف مكاني لذة ولم يلق نفسي لهوها وسرورها
وحدثت سمعاً واهناً غير ممسك لقولي ، وعيناً لا يراني ضميرها

[بين ابن المعتز وبعض الوزراء]

وكتب إلى بعض الوزراء : ما زال الحاسدُ لنا عليك أيها الوزير ينصبُ الحبالَ ، ويطلب الغوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك تشنيعاً زخرفه ^(١) ، وكذبا زوره ، وكيف الاحتراس ممن يحضر وأغيب ، ويقول وأمسكُ ؟ أمر تصدا لا يغفل وما كراً لا يفتر ؛ وربما استنصح الغاش ، وصدق الكاذب ؛ والحظوة لا تدرك بالحيله ، ولا يجري أكنرها على حسب السبب والوسيلة .

فأجابه : حصول الثقة بك - أعزك الله ! - تُغني عن حضورك ، وصدق حالك يحتاجُ عنك ، وما تقرر عندنا من نيتك وطويتك يُغني عن اعتذارك .

[من شعر ابن المعتز]

وقد قال ابن المعتز :

أخنى عليك الدهر مقتدراً	والدهرُ الأم غالب ظفراً
ما زلت تلتقي كلَّ حادثةٍ	حتى حنأك وبيض الشعرَا
فالآن هل لك في مقاربةٍ	فلقد بلغت الشيب والكبرا
لله إخوان فقدتهمُ	سكنوا بطون الأرض والخفرا
أين السبيلُ إلى لقائهمُ	أم من يحدث عنهمُ خبرَا
كم مورق بالبشر مُبَدَّسَمُ	لا أجتني من غصنه ثمرَا

(١) في نسخة « وأبلغك شيئاً زخرفه » (م)

ما زال يُولينى خـ لائقه
وَصَبِرْتُ أَرْقُبُهُ وَمَا صَبِرَا
وَعَدُو غَيْبٍ طَالِبٍ لَدَى
لَوْ يَسْتَطِيعُ الْجَاوِزُ الْقَدْرَا
يُورِي زَنَادَى كَى يُخَادِعَنِى
وُيَطِيرُ فِى أَثْوَابِ الشَّرَارَا
وَقَالَ أَيْضَا :

وَأَنى عَلَى إِشْفَاقِ عَيْنِي مِنَ الْقَدَى
لَتَجْمَعَ مِنى نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرِقُ^(١)
كَأَحُلَّتْ مِنْ بَرْدٍ مَاءَ طَرِيدَةٍ
تَمَدُّ إِلَيْهِ جِيدُهَا وَهَى تَفْرُقُ^(٢)
وَقَالَ :

وَمَا زِلْتُ مَذْشَدَّتْ يَدَى عَقْدِمِ زَرَى
غِنَاىَ لَغَيْرِى وَافْتِقَارِى عَلَى نَفْسِى
وَدَلَّ عَلَى الْحَمْدِ مَجْدِى وَعِفَّتِى
كَأَنَّ دَلَّ إِشْرَاقُ الصَّبَاحِ عَلَى الشَّمْسِ
وَقَالَ :

سَعَى إِلَى الدَّنِّ بِالْمِيزَالِ يَنْقُرُهُ
سَاقٍ تَوْشَحَ بِالْمُنْدِيلِ حِينَ وَثَبَ
لَمَّا وَجَاهًا بَدَتْ صَفْرَاءَ صَافِيَةٍ
كَأَنَّهَا قَدْ سِيرًا مِنْ أَدِيمٍ ذَهَبَ
وَقَالَ :

لَبَسَتْ صَفْرَةً فَكَمْ فَتَنَتْ مِنْ
أَعْيُنٍ قَدْ رَأَيْتَهَا وَعُقُولَ
مِثْلَ شَمْسٍ الْغُرُوبِ تَسْحَبُ ذَيْلَا
صَبَغَتْهُ بَرْغَفَرَانِ الْأَصْـمِيلِ
وَالشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا ، وَعِنْدَ غُرُوبِهَا ، تَمَكَّنُ النَّاضِرُ إِلَيْهَا فَيَمَكِّنُ التَّشْبِيهَ
بِهَا ؛ قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِى الْحَسَنِ أَوْ كَدْنَوْهَا لَغُرُوبِ

(١) فى نسخة « لتسنع منى نظرة ثم أطرق » (م)

(٢) وفيها « حُلَّتْ عَنْ بَرْدِ مَاءٍ ... وهى تعزف » وحُلَّتْ: منعت وطردت (م)

[جرير في المدينة يُغري بشعر قيس بن الخطيم]

ولما قدم جرير بن الخطمي المدينة اجتمع إليه أهلها ، وقالوا : يا أبا خزيمة !
أنشدنا من شعرك ، قال : ما تصنعون به ؟ وفيكم من يقول :

أني سربت وكنت غير سرور وتقربُ الأحلامُ غير قريب
ما تمنعني يقظي فقد نولته في النوم غير مُصرّد محسوب^(١)
كان المني يلقيني بها فلقيتها فلمهوت عن لهو امرئ مكذوب^(٢)
فرايتُ مثل الشمس عند طلوعها في الحُسْنِ أو كدُنوَّها لغروب
تخطو على برد يتنين غذاهما غدقُ بساحة حائر يعبوب^(٣)

[يعقوب بن داود]

وقع يزيد بن خالد الكوفي رقعة إلى يعقوب بن داود ضمنها :

قل لابن داود والأنباء سائرة : لا يُحزِرُ الأجرَ إلّا مَنْ له عملُ
يا ذا الذي لم تزل يُمتّاه مُذْ خُلِقْتَ فيها لباغى نداه العَلُّ والنهلُ
إن كنت مسدى معروف إلى رجل لفضل شكرٍ فأبى ذلك الرجلُ
فأمننُ على ببرِّ منك ينعشني فإنني شاكرُ المعروف محتملُ
قال يعقوب : قد جرّبنا شكرك فوجدناه قد سبق برّنا ، وقد أمرتُ
لك بعشرة آلاف درهم [تصلح حالك] ، وليست آخر ما عندنا لك ،
فاستوفأها حتى مات .

(١) مصرّد - بزنة المعظام - المقطع ، وفي نسخة « مسرد » تحريف (م)

(٢) في نسخة « عن لهو - أرى - مكذوب » وما أثبتناه يوافق الأملی

٢٧٣/٢ وحماسة ابن الشجري ١٨٩ (م)

(٣) وقع هذا البيت في نسخة ، على هذا الوجه :

يخطو على برد يبين خطاها غدقُ مخافة خابر لغيوب

وهذا البيت ليس في الأملی ولا في حماسة ابن الشجري ، وهو في ديوان قيس

ص ٦ سادس أبيات قطعة عدتها ثلاثة عشر بيتا (م)

ولما سخط المهدي على يعقوب أحضره ، فقال : يا يعقوب ! قال : لبيك
يا أمير المؤمنين تلبية مكروبٍ لِمَوْجِدَتِكَ ، شَرَقَ بَغُصَّتِكَ ، قال : ألم أرفع قَدْرَكَ
وأنتَ خامل ، وأسير ذكرك وأنت هامل ، وألبستك من نِعَمِ الله تعالى ونِعَمِي
مالم أجد عندك طاقةً لِحمله ، ولا قياماً بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى أظهر
عليك ، وردَّ كَيْدَكَ إليكَ ؟

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فإني معترف ،
وإن كان بسعاية الباغين ، ونمائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ؛ وأنا عائد
بكرمك ، وعميم شرفك .

فقال : لولا الحنث^(١) في دَمَك لألبستك قميصاً لا تشد عليه زراً^(٢) ؛ ثم أمر به
إلى الحبس ، فتولّى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كَرَمٌ ، والمودة رَحِمٌ ،
وما على العفو نَدَمٌ ، وأنت بالعفو جدير ، وبالحاسن خَلِيقٌ . فأقام في السجن
إلى أن أخرجه الرشيد .

أخذ معنى قول المهدي : « لألبستك قميصاً لا تشدّ عليه زرا »
أبو تمام فقال :

طَوَّقْتَهُ بِالْحَسَامِ طَوَّقَ رَدَى أَغْنَاهُ عَنْ مَسِّ طَوَّقِهِ بِيَدِهِ
وقال ابن عمر في معنى قول الطائي :

طَوَّقْتَهُ بِحَسَامِ طَوَّقَ دَاهِيَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ عَلَيْهِ شَدُّ أَرْزَارِ

(١) في نسخة « لولا الحسب في دمك » (م)

(٢) في نسخة « لا تشد عليه أزرارا » (م)

ولما قبض المهدي على يعقوب ورأى أبو الحسن النخعي مئيل الناس عليه ،
وكان مختلطاً به قال :

يعقوبُ لا تَبْعَدَ وَجُنِبْتَ الردى فلا بُكَيْنَ كما بكى الغُصْنُ الندى ^(١)
لو أنَّ خيرك كان شرّاً كلهُ عند الذين عدّوا عليك لما عدّا
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين [فى الغزل] فقال :
لو أن هجرك كان وصيلاً كلهُ مما أقاسى منك كان قليلاً

[بين أحمد بن أبي دؤاد والواقى]

قال أبو العيناء : قال لى أحمد بن أبي دؤاد : دخلت على الواقى فقال لى :
ما زال اليوم قومٌ فى ثلبك ونقصك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الإنم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، والله
ولى جزائه ؛ وعقابُ أمير المؤمنين من ورائه ، وما ذلَّ — يا أمير المؤمنين —
من كنت ناصره ، وما ضاق من كنت جاراً له ، فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟
قال : قلت يا أبا عبد الله :

وسعى إلى بصرم عزة معشرٍ جعل الإلهُ خُدودهنَّ نعالها ^(٢)

قال الفتح بن خاقان : ما رأيت أظرف من ابن أبي دؤاد ؛ كنت يوماً
ألاعب المتوكل بالترّد ، فاستؤذن له عليه ، فلما قرّب منا هممت برفعها ، فنعنى
المتوكل وقال : أجاهرُ الله وأُسْتره من عباده ؟ فقال له المتوكل : لما دخلت
أراد الفتح أن يرفع الترد ! قال : خاف يا أمير المؤمنين أن أعلم عليه !
فاستحليناه ، وقد كنا تجهّمناه .

(١) فى نسخة « فلا بُكَيْنَ ما بكى الغصن الندى » (م)

(٢) فى نسخة « وسعى إلى بعيب عزة معشر » (م)

[من خطباء العرب شبيب بن شيبه وخالد بن صفوان]

قيل لبعض الأمراء : إن شبيب بن شيبه^(١) يتعمل الكلام ويستدعيه ،
فلو أمرته أن يصعد المنبر لحاجة لا فتضح ؛ فأمر رسولا فأخذ بيده فصعد به المنبر ،
فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن لأمرير
المؤمنين أشباها أربعة : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع
الناضر ، فأما الأسد الخادر فأشبهه صولته ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبهه
جوده وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبهه نوره وضياؤه ، وأما الربيع الناضر
فأشبهه حسنه وبهائه ، ثم نزل .

وهذا الكلام يُنسبُ إلى ابن عباس يقوله في علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .
وكان شبيب بن شيبه من أفصح الناس وأخطبهم ، ويشبهه بخالد بن صفوان ؛
غير أن خالداً كان أعلى منه قدراً في الخاصة والعامة . وذكر خالد شيبياً فقال :
ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية . وكانت بينهما معارضة^(٢) للنسب
والجوار والصناعة ، ولما قال الشاعر :

فَنَحَّ شَيْبِيًّا عَنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأَذِنَ شَيْبِيًّا مِنْ كَلَامِ مُلَقِّقٍ
وكان لا ينظر إليه أحد وهو يخطب إلا تبين فيه الخجل .

وقال أبو تمام لعلي بن الجهم :

لو كنتُ يوماً بالنجوم مُصَدِّقًا لزعمتُ أنَّكَ نلتَ شكلَ عُطَارِدٍ
أو قدَّمْتُكَ السَّنَّ خِلْتُ بَأَنَّهُ من لَفِظِكَ اشْتَقَّتْ بِلَاغَةُ خَالِدٍ

وقالت له امرأة : إنك أجمل يا أبا صفوان . قال : كيف تقولين هذا وما
في عمود الجلال ولا رداؤه ، ولا برأسه . عموده الطول ، ولست بطويل ، وريداؤه

(١) تختلف الأصول في هذا الاسم ؛ فبعضها يقع فيه « شبيب بن شيبه » بياء
موحدة مشددة بعد الشين ، وبعضها يقع فيه « شبيب بن شيبه » بياء مشناة تحتية
ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ، ويتعمل الكلام : يتكلفه (م) (٢) في نسخة
« مفاوضة » (م)

البياض ، ولست بأبيض ، وبُرْنه سواد الشعر ، وأنا أشمط ! ولكن قولي :
إنك للمليح .

وكان خالد حافظاً لأخبار الإسلام ، وأيام الفتن ، وأحاديث الخلفاء ،
ونوادر الرواة ، وكل ماتصرف فيه أهل الأدب ، وله يقول مكى بن سودة :

علم بتنزيل الكتاب ملقنٌ ذَكُورٌ لما سَدَّاهُ أولَ أولَا
يُبْذَرُ قَرِيعَ القومِ في كلِّ حَفْلٍ ولو كان سَحْبَانُ الخطيبِ ودَغَلَا
تري حُطَبَاءَ الناسِ يومَ أرتجاله كأنهم الكروانُ صَادَفَ أُجْدَلَا^(١)

أما سَحْبَانُ الذي ذكره فهو خطيبُ العربِ بأسْرِها غيرِ منازع ولا مدافع ،
وكان إذا خطب لم يُعِدْ حرفاً ، ولم يتوقف ، ولم يتحسَّن ، ولم يفكر في استنباط ،
وكان يسيل غُرْباً ، كأنه آذَى بَحْرٍ^(٢) .

ويقال : إن معاوية قدم عليه وفد من خراسان وجَّههم سعيد بن عثمان ،
وطلب سَحْبَانُ فلم يوجد عامة النهار ، ثم اقتَضِبَ من ناحية كان فيها اقتضاباً ،
فدخل عليه فقال : تكلم ، فقال : انظروا لي عصاً تُقيم من أودى ، فقال له
معاوية : ما تصنعُ بها ؟ فقال : ما كان يصنَعُ موسى عليه الصلاة والسلام وهو
يخاطبُ ربَّه وعصاه بيده ، فجاءوه بعصا فلم يَرْضَها . فقال : جيئوني بعصاى ،
فأخذها ، ثم قام فتكلم منذ صلاة الظهر إلى [أن فاتت] صلاة العصر ، ماتنَحَنَحَ ،
ولا سَعَلَ ، ولا توقَّفَ ، ولا تحسَّن ، ولا ابتدأ في معنى فخرج منه إلى غيره حتى
أتمه ولم يبق منه شيء ، ولا سأل عن أى جنس من الكلام يخطب فيه ، فما
زالت تلك حاله وكلَّ عين في السامطين شاخصةً إلى أن أشار له معاوية بيده
أن اسكت ، فأشار سَحْبَانُ بيده أن دَعْنِي لا تَقْطَعْ عني كلامي ، فقال له معاوية :
[الصلاة ، فقال : هى أمامك ونحن في صلاة يتبعها تحميد وتمجيد ، وعظة وتنبية

(١) الأجدل : الصقر ، وهو من كواسر الطير (م)

(٢) الآذَى : الموج (م)

وتذكير ووعد ووعيد ، فقال معاوية : [إنك أخطبُ العرب ، فقال سحبان :
والعجم ، والجن ، والإنس .

[عجلان بن سحبان]

وكان ابنه عجلان حُلُوَ اللسان ، جَيِّدَ الكلام ، مليح الإشارة ، يجمعُ مع
خطابته شعراً جيداً ، ويضرب الأمثال إذا خطب ، ويتنزع النادر من الشعر ،
والسائر من المثل ، فتَحَلُّوْ خُطْبَتَهُ ، وكان يَرْنُ كلامه وِزْناً .

[دغفل بن حنظلة النسابة]

وأما دَغْفَلُ الذي ذكره مكى بن سَوَادَةَ فهو دَغْفَلُ بن حَنَظْلَةَ بن يزيد أحد
بنى ذهل بن ثعلبة النسابة ، وكان أعلم الناس بأنساب العرب ، والآباء والأمهات ،
وأحفظهم لمثالبها ، وأشدَّهم تنقيراً وَبَحْثاً عن معائب العرب ، ومثالب النسب .

قال له معاوية يوماً : والله لئن قلت في هذا البيت ^(١) من قريش ما تجد في آل
حَرْبٍ مثلاً ؛ فتبسَّمت دَغْفَلُ ؛ فقال له معاوية : والله لتخبرني بتبسمك ، وما انضمت
عليه جوانحك ، أو لأضربنَّ عنقك ، وما آمنُ أن تكذب أو تزيد .

فقال : يا أمة المؤمنين ، أنتم من بنى عبد مناف كَسَنَامِ كَوَءَاءِ فَتَيَّةٍ ^(٢) ، ذاتِ
مرعى خصب ، وماء عذب ، وأكمة بارزة ، فهل يوجد في سَنَامِ هذه مَدَبَ
قُرَادٍ من عاهة ؟ فقال له معاوية : أولى لك ! لو قلت غير هذا ؛ أما على ذلك
لو رأيت هنداً وأباها ، وزوجها ، وأخاها وعمها ، وخالها ، لرأيت رجالاً تحارُّ أبصارُ
مَنْ رآهم فيهم ، فلا تجاوزهم إلى غيرهم ، جلالةً وبهاءً .

[وصف العصا لأعرابي بين يدي الحجاج]

وعلى ذكر العصا لقي الحجاج أعرابياً فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من

(١) في نسخة « في هذا النسب من قريش » (م)

(٢) الكوماء : الناقة العظيمة السنام (م)

البادية . قال : ما بيدك ؟ قال : عصا أركزُها لصلاتي ، وأَعِدُّها لِمُعَدَّاتي ، وأُسوقُ بها دابَّتِي ، وأَقْوِي بها على سَفَرِي ، وأَعْتَمِدُ بها في مشيتي ، لِيَتَسَمَّعَ بها خَطْوِي ، وأَعْبُرُ بها^(١) النهر فتؤمِّنني ؛ وألقى عليها كسائي فتستُرني من الحرِّ ، وتقيني من القُرِّ ، وتذُنِّي ما بعد مني ، وهي يَحْمِلُ سَفَرَتِي ، وعَلَّاقَةُ إِدَاوَتِي ، ومِشْجَبُ ثِيَابِي ، أَعْتَمِدُ بها عند الضَّرَبِ ، وأَقْرَعُ بها الأبوابَ ، وأَتَيْتُ بها عَقُورَ السِّكَلَابِ ، تنوبُ عن الرُّمَحِ في الطَّعَانِ ، وعن الحِرْزِ^(٢) عند منازلة الأقران ، وورثتها عن أبي ، وأورثها بعدى ابني ، وأهْشُ بها على غَنِيِّ ، ولي فيها مَآرِبُ أخرى ، كثيرة لا تُحْصَى .

[عِزَّةُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ]

قال النضر بن شميل : كتب سليمان بن علي إلى الخليل بن أحمد يستدعيه الخروج إليه ، وبعث إليه بمال كثير ، فردّه وكتب إليه :

أَبْلَغُ سُلَيْمَانَ أَنِي عَنْهُ فِي سَعَةٍ وَفِي غَنَى غَيْرَ أَنِي لَسْتُ ذَا مَالٍ
يَسْخُو بِنَفْسِي أَنِي لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ هُزْلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ نَعْرِفُهُ وَمِثْلُ ذَاكَ الْغَنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ
وَالْمَالُ يَنْفَشِي أَنَا سًا لَا خَلَقَ لَهُمْ كَالسَّيْلِ يَنْفَشِي أَصُولُ الدَّنْدَنِ الْبَالِي^(٣)
كُلُّ أَمْرٍ بِسَبِيلِ الْمَوْتِ مَرَّتَيْنِ فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ ، إِنِّي شَاغِلٌ بِأَلِي
أَخَذَ هَذَا الطَّائِي فَقَالَ :

لَا تُفَكِّرْ عَطْلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِمَكَانِ الْعَالِي
وَقَالَ أَيْضًا يَصِفُ قَوْمًا خُصُوا بِأَبْنِ أَبِي دَوَادٍ :
نَزَلُوا مَرْكَزَ الدَّيِّ وَذَرَاهُ وَعَدَّتْنَا مِنْ دُونِ ذَاكَ الْعَوَادِي

(١) في نسخة « وأبث بها النهر » ولا وجه له (م)

(٢) في نسخة « وعن الحرب » (م)

(٣) الدندن - بكسر الدالين - كل ما اسود من نبات أو شجر (م)

غير أن الرُّبَا إلى سُبُل الأنواء أُذُنِي، والحِظُّ حظ الوِهَاد^(١)
وهذا الشعر من أصلح شعر الخليل ، وكان شعره قليلا ضعيفا ، بالإضافة
إليه وهو أستاذ النحو والغريب ، وقد اخترع علم العروض من غير مثال تقدمه ،
وعنه أخذ سيبويه ، وسعيد بن مسعدة ، وأئمة البصريين ، وكان أوسع الناس
فِطْنَةً ، وألطفهم ذهنًا . قال الطائي :

فلو نُشِرَ الخليل إذا لَعَفْتُ رَزَاياه على فِطْنِ الخليلِ

للصابي يعزى
عن صفح

[من رسائل الصابي]

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى محمد بن عباس يعزیه عن طفل :
الدنيا ، أطال الله بقاء الرئيس ، أقدارُ تَرَدُّ في أوقاتها ، وقضايا تَجَرِّي إلى
غاياتها ، ولا يَرُدُّ منها شيءٌ عن مَدَاه ، ولا يَصُدُّ عن مطلبه وَمَنْحَاه ؛ فهي كالسهم
التي تثبت في الأغراض ، ولا ترجعُ بالاعتراض ؛ ومن عرف ذلك معرفة
الرئيس لم يغض من الزيادة ، ولم يَمْنَط من النقيصة^(٢) ، وأَمِنَ أن يستخف أحدُ
الطرفين حمله ، ويستنزل أحدُ الأمرين حَزْمَه ، ولم يدعُ أن يوطن نفسه على
النازلة قبل نزولها ، ويأخذ الأُھبة للحادثة قبل حلولها ، وأن يجاور الخير
بالشكر ، ويساور المِحنة بالصبر ؛ فيتخير فائدة الأولى عاجلا ، ويستمرى عائدة
الأخرى آجلا .

وقد نفذ من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قَدْرًا ، الحديث سنًا ، مَا أَرْمَضَ ،
وَأَوْمَضَ ، وَأَقْلَقَ وَأَقْضَى ؛ ومنسئ من التألم له ما يحقُّ على مثلى ممن توافقت
أيادي الرئيس إليه ، ووجبت مشاركته في المم عليه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون
وعند الله نحتسبه غُصْنًا ذَوِي ، وشهابًا خَبَا ، وفرعًا دَلَّ على أصله ، وَخَطِيئًا أَنْبَتَه

(١) الأنواء ، : الأمطار. واحدها نوء ، وفي نسخة « والحظ عند الوهاد » (م)

(٢) في نسخة « ولم يَمْنَط عند المصيبة ولم يحزع عند النقيصة » (م)

وَشَيْجُهُ ؛ وإياه أسألُ أن يجعله للرئيس فَرَطًا صالحًا ، وذُخْرًا عتيديا ، وأن ينفعه يوم الدين ، حيث لا ينفعُ إلا مثله بين البنين ، بجوده ومجده .

ولئن كان المصابُ عظيمًا ، والحادثُ فيه جسيما ، لقد أحسن اللهُ إليه ، وإلى الرئيس فيه ؛ أمّا إليه فإن الله نزهه بالاخترام^(١) ، عن اقتفافِ الآثام ، وصانه بالاحتضار ، عن ملابسة الأوزار ، فورد دُنياه رشيدا ، وصدر عنها سعيداً ، نقي الصحيفة من سوادِ الذنوب ، برى الساحة من دَرَن العيوب ، لم تدنسه الجرائرُ ، ولم تعلقْ به الصغائر والكبائر ، قد رفع الله عنه دقيق الحساب ، وأسهم له الثواب مع أهل الصواب ، وألحقه بالصدّيقين الفاضلين في العباد ، وبوّأه حيث أفضلهم من غير سَفِي ولا اجتهاد .

وأما الرئيس فإن الله عز وجل لما اختار ذلك له قبضه قبل رؤيته إياه على الحالة^(٢) التي تكون معها الرقة ، ومعانيته التي تتضاعف معها الحُرقة ، وحمّاه من فتنة المرافقة ، لبرقعه عن جزع المفارقة ، [وكان هو المبقى] في دنياه ، وهو الواحد الماضي الذخيرة لأخراه ، وقد قيل : إن تسلم الجَلَّةُ فالسَّخِلُ هدر^(٣) ؛ وعزير على أن أقول قول المهون للأمر من بعده ، وألا أوفى التوجع عليه واجب فقده ، فهو له سَلالة ، ومنه بضعة ، ولكن ذلك طريقُ التسلية ، - وبيلُ التعزية ، والمنهَجُ السلوك في مخاطبة مثله ، ممن يقبل منفعة الذكرى وإن أغناه الاستبصار ، ولا يأبى ورود الموعظة وإن كفّاه الاعتبار ، والله تعالى بقى الرئيس المصائب ، ويعيذه من النوائب ، ويرعاه بعينه التي لاتنام ، ويجعله في حِمَاه الذى لا يُرام ، ويُبقّيه موفورا غير منتقص ، ويقدمنا إلى سوء أمامه ، وإلى المحذور قدّامه ، ويبدأ بى من بينهم فى هذه الدعوة ، إذ كنت أراها من أسعد أحوالى ، وأعدها من أبلغ أمانى وآمالى .

(١) الاحترام : الموت (م)

(٢) فى نسخة « على الحالة التى تصعب معها الفرقة ، وتتضاعف عندها الحرقة » (م)

(٣) الجَلَّة - بكسر الجيم - المسان من الإبل ، والسَّخِل - بفتح فسكون - ولد

الشاة ، واحدة سَخلة (م)

من الصالحين
إلى بعض
الرؤساء

وكتب إلى بعض الرؤساء :

قد جَرَّتِ العادةُ — أطال الله بقاء الأمير! — بالتمهيد للحاجة قبل موردها، وإسلاف الظنون الداعية إلى نجاحها، وسالكُ هذه السبيل يسيء الظن بالمستول؛ فهو لا يَلْتَمِسُ فضلَه إلاّ جزاءً، ولا يستدعى طَوُّله إلاّ قضاءً؛ والأميرُ بكرمه الغريب، ومذهبه البديع، يؤثر أن يكون السلفُ له، والابتداء منه، ويوجب المهاجم برغبته عليه حقَّ الثقة به منه، والحمدُ لله الذي أفردَه بالطرائق الشريفة، وتوَحَّدَه ^(١) بالخلائق المنيعة، وجعله عينَ زمانه البصيرة، ولمعته الثاقبة المنيرة ^(٢).

[من رسائل البديع]

كتاب منه
إلى بعض
أصحابه

وكتب البديع في بابهِ إلى بعض أصحابه :

لك أعزَّكَ الله عادةً فضل، في كل فصل، ولنا شُبُهَةٌ مَقَّتْ، في كل وقت؛ ولعمري إن ذا الحاجة مَقِيَّتُ الظَّلْمَةِ، ثَقِيلُ الوِطْأَةِ، وَلَكِنْ لَيْسُوا سِوَا [؟] أُولُو ^(٣) حاجةٍ تَحْتَاجُ إليهم الأموال، وأولو حاجةٍ تَحْجُوهم الآمال.

والأمير أبو تمام عبدُ السلام بن الفضل ^(٤) المطيعُ لله أمير المؤمنين — أيده الله — إن أخوجه الزمانُ فطالما خَدَمَهُ، وإن أهانه فكثيراً ما أكرمته ونعمه. وقديماً أقله السرير، وعرفه الخَوَرَنَقُ والسدير. وإن نقصه المال فالعَرَضُ وافر، وإن جفاه الملك فالفضلُ ظاهر، وإن ابتلاه الله فَلْيَبْتَلِيكُمْ به فينظر كيف تفعلون. وأنت تقابلُ مورده عليك من الإعظام، بما يستحقُّ من الإكرام، فلا تنظرن إلى ثوبٍ بال، فَمَحَّطَتُهُ شرفٌ عال، ولا تقس على البُزْدِ، ما وراءه من المجد، ولكن إن نظرت في شامخ أصله، وراسخ عقله، وشهادة الفراسة له. ثم ليأت بعد هذه الآيات ما هو قضيةُ المروءة معه، والأخوة معي، بِالْغَايَةِ في ذلك غاية جهده، والسَّيْفُ لا يرى في غِمْدِهِ، والحمد لله حقَّ حمده.

(١) في نسخة «ووحده» وهما بمعنى أفرده (م) (٢) في نسخة «الباقية المنيرة» (م)

(٣) من هنا إلى العنوان الذي وضعناه في ص ٩١٩ ساقط من جميع المطبوعات (م)

(٤) في الرسائل (ص ١٦٠) «بن جعفر» (م)

كتاب منه
إلى إبراهيم
بن أحمد
بن حمزة

وله إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن حمزة :
لو كانت الدنيا أطال الله بقاء الشيخ ! — على مرادى تجرى ، لاخترت
أن أضرب بهذه الحضرة أطناب عمرى ، وأنفق على هذه الخدمة أيام دهرى ،
ولكن فى أولاد الزنا كثرة . ولعين الزمان نظرة ، وقد كنت حطيت من خدمة
الشيخ المحسن بشرة أنس نفعها بعض الوشاة على ، وذكرا أنى أقت بطوس بعد
استئذانى إلى مرو ، وفى هذا ما يعلمه الشيخ ، فإن رأى أن يحسن جبرى بكتاب
يطرز به مدمى فعل إن شاء الله تعالى .

كتاب آخر
إلى أبي نصر
الميكالى

وله فى هذا الباب إلى أبي نصر الميكالى :
الشيخ — أعزه الله — ملك من قلبى مكانا فارغا^(١) ، فزله غير منزل قلعة ،
ومن مودتى ثوبا سابغا ، فلبسه غير لبسة خلعة ، ومن نصب تلك الشائل
شبكة ، وأرسل تلك الأخلاق شركا ، فنص الأحرار فاستحتمهم ، وصاد
الإخوان واسترقهم .

وتالله ما يُغبن إلا من اشترى عبداً وهو يحد حراً بأرخص من العبدتنا ، وأقل
فى البيع غبنا ، ثم لا يهتبل^(٢) غرة وجوده ، وينتهز فرصة امتلاكه بجموده ، وأنا أتم
للشيخ على مكرمة يتيمة ، ونعمة وسيمة . فليعتزل من رأى ما كان بهما ، وليطلق
من النشاط ما كان عقيما ، وليحلل حبة التقصير ، وليتجنب جانب التأخير ،
وليفتض عذرتها ، وينقض حجتها وعمرتها ، برأى يجذب المجد باعه ، ويعمر النشاط
رباعه ؛ وتلك حاجة سيدى أبى فلان وقد ورد من الشيخ بحراً ، وعقد به جسراً ،
وما عسر وعذ هو مستنجزه ، ولا بعد أمر هو منتزه ، ولا ضاعت نعمة أنا بر يد
شكرها ، وعزيم نشرها ، وولى أمرها ؛ وهذا الفاضل قرارة مائها ، وعماد بنائها ؛
وقد شاهدت من ظرفه ، ما أعجز عن وصفه ، وعرفت من باطنه ما لم يدّر بظاهره ،
ورأيت من أوله ما نتم على آخره ، ثم له البيت المرموق ، والنسب الموموق ، والأولية

(١) يشير بهذا إلى قول الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل
ومزل قلعة : يعنى لا يطول المقام به (م) (٢) لا يهتبل : لا ينتهز (م)

القديمة ، والشيمة الكريمة ؛ وقد جَمَعْتَنَا في الود حلقة ، ونظَمْتَنَا في السفر رفقة ، وعرفنى بما أنهض له وفيه ، فضمنت له عن الشيخ كَرَمًا لا يغلَقُ بابَه ، وغَدَقًا^(١) لا يُخْلَفُ سحَابُه ؛ فليخرجنى الشيخ من عهدة هذه الثقة ، زادها إليه تأكداً ، وإن رأى أن أسأل الشيخ في معناه عرفنى كيف للمأنى له ، وإنما أَطَلْتُ ليعلم صِدْقَ اهتنامى ، وفَرَطَ تقليدى للمنة والتزامى .

جواب منه
عن صنعة

وله جواب عن صنعة بصاحب هذه العناية :

ورد فلان سيدى وهو عينُ بلدتنا وإنسانها ، ومقلتها ولسانها ؛ فأظهر آيات فضله ، لاجرم أنه وصل إلى الصميم ، من الإيجاب الكريم ، وهو الآن مقيمٌ بين رَوْحٍ ورِيحانٍ وجنة نعيم ، تحيِّته فيها سلام ، وآخر دعواه ذكرك وحسن الثناء عليك بما أنت أهله ، وأنا أصدقُ دعواه ، وأفتخر به افتخار الخصى بمتاع مولاه ، وقد عرفته ولسنته ، وكيف يَجْرُ^(٢) في البلاغة رَسَنَه ، فما ظنك به ؟ وقد ملكتها المجالس ولحظتها العيون ، وسلَّ صارماً من فيه ، يُعيدُ شكرك ويُبديه ، وينشر ذكرك ويطويه ؛ والجماعة تمدحُ لمدحه ، وتجرحُ بجرحه ، فرأيك في تحفظ أخلاقك التى أثمرت هذا الشكر ، وأنتجت هذه المآثر العر ، موقفاً إن شاء الله تعالى .

ومن إنشائه في مقامات الاسكندري ، قال :

المقامة
الأذربيجانية

حدثنا عيسى بن هشام ، قال : لما نَطَقَنِي الغنى بفاضل ذَيْلِه ، أتهمت بمال سَلْبَتِه ، أو كنز أصدبته ، فخرَّرنى الليل ، وسرَّتْ بى الخيلُ . وسلَّكتُ فى هربى مسالكٍ لم يَرُضْهَا السَّيْرُ ، ولا اهتدَّتْ إليها الطيرُ ، حتى طويتُ أرضَ الرُّغْبِ وتجاوزتُ حدَّه ، وصِرتُ إلى حِمَى الأَمْنِ ووجدتُ بَرْدَه ، وبلغتُ ذُرْبِيحانٍ وقد حَفَيْتِ الرواحلُ ، وأكلَتْها المراحلُ ، ولما بلغتُها :

(١) الغدق - بالتحرير - الماء الكثير (م)

(٢) فى نسخة « يجرى » وليس بذلك (م)

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقنأنا بها شهرا
فمينا أنا يوما في بعض أسواقها إذ طلع رجل برُكوة قد اعتضدها^(١)، وعصا
قد اعتمدها، ودتية قد تقلَّسها، وفوطة قد تطيلَّسها؛ فرفع عقيرته وقال : اللهم
يا مبدى الأشياء ومعيدَها، ومحيي العظام ومبيدَها، وخالق المصباح ومديره،
وقالِق الإصباح ومديره، وموصل الآلاء سابعة إلينا، ومُمسِك السماء أن تقع علينا،
وبارى النَّسم أزواجا، وجاعلَ الشمس سراجا، والسماء سقفاً، والأرض فراشا،
وجاعلَ الليل سكنا والنهار معاشا، ومنشئ السحاب ثقلا، ومرسل الصواعق
نكالا، وعالمَ مافوق النجوم، وماتحت التخوم. أسألك الصلاة على سيد المرسلين
محمد وآله الطاهرين، وأن تعينني على الغربة أثني حبَّهما، وعلى العُسرة أعبدو
ظلمًا، وأن تسهل لي على يدى مَنْ فطَرته الفِطْرة، وأطعمته الطَّهْرة، وسعد
بالدين المتين، ولم يعنم عن الحق المبين، راجلة تطوى هذا الطريق، وزاداً
يسعنى والرفيق.

قال عيسى بن هشام : فناجيتُ نفسى بأن هذا الرجل أفصحُ من إسكندرَينا
أبى الفتح، والتفتُ لفتهً، فإذا هو أبو الفتح. فقلتُ : يا أبا الفتح، بآغ هذه
الأرضَ كيدُك، وانتهى إلى هذا الشعبِ صيدُك ؟ ! فأنشأ يقول :

أنا جَوَّالُ البلا دِ جَوَّابَةُ الأفقِ
أنا خُذْرُوفَةُ الزما نِ وِعْمَارَةُ الطُّرُقِ
لا تُلْمِني لك الرشا دُ على كُدَيْتى وذُقْ

وقال الطرماح بن حكيم :

وما أنسَ م الأشياءَ لا أنسَ بيعةً من الدهر إذ أهل الصفاء جميع

(١) ركوة : وعاء يجمع فيه ما بحضه ، واعتضدها : جعلها في عضده (م)

وإذ دهرنا فيه اعتزاز، وطَيْرُنَا سَوَاكِينُ فِي أَوْكَارِهِنَّ وَقُوعُ
 فهل لليالينا بنعف مليحة وأيامهنّ الصالحات رُجُوعُ ؟
 كأن لم يرُ غُكَّ الظاعنون إلى بلى ومثل فراق الظاعنين يرُوعُ ^(١)

[أيام الشباب وأيام المشيب]

لعلّى العلوى

وقال على بن محمد [بن الحسن] العلوى :

وَاهَا لَأَيَّامُ الشَّبَا ب وما لَبِسْنَ مِنَ الزَّخَارِفِ
 وذهابهن بما عُرِفْنَ مِنَ الْمَنَافِرِ وَالْمَعَارِفِ
 أَيَّامُ ذِكْرِكَ فِي دَوَاوِينِ الصَّبَا صَدَرَ الصَّحَافِ
 وَاهَا لَأَيَّامُ الشَّهَاتِ الْمَرَّاشِفِ
 الْغَارِسَاتِ الْبَنَانِ قَضُوبَانًا عَلَى كُتُبِ الرِّوَادِفِ
 وَالْجَاعَلَاتِ الْبَدْرَ مَا بَيْنَ الْحَوَاجِبِ وَالسَّوَالِفِ
 أَيَّامُ يُظْهِرْنَ الْخَلَالَ فِ بَغِيرِ نَيَّاتِ الْخَالَفِ
 وَقِفِ النِّعَمِ عَلَى الصَّبَا وَزَلَّتْ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ

لابن المعتز

وقال ابن المعتز :

دَعَتْنِي إِلَى عَهْدِ الصَّبَا رَبَّةُ الْخَدْرِ وَأَلْقَتْ قَنَاعَ الْخَزِّ عَنْ وَاضِحِ الشَّعْرِ
 وَقَالَتْ وَمَا الْعَيْنُ يَخْلُطُ كَحُلْمِهَا بِصُفْرَةِ مَاءِ الزَّعْفَرَانِ عَلَى النَّخْرِ
 لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتَ قَابِضًا عَنَّا نَكْ عَنْ ذَاتِ الْوِشَاحِينَ وَالشَّدْرِ
 أَرَاكَ جَعَلْتَ الشَّيْبَ لِلْهَجْرِ عِلَّةً كَأَنْ هَلَالَ الشَّهْرِ لَيْسَ مِنَ الشَّهْرِ
 وَقَالَ [أَحْمَدُ بْنُ أَبِي طَاهِرٍ] :

(١) من أول موضع إشارتنا في ص ٩١٥ إلى هنا ساقط من جميع المطبوعات (م)

لأحمد بن
أبي طاهر

يا من كِلِفْتَ بِحَبِّهِ كَلَفِي بِكَاسَاتِ الْمُقَارِ
وَحَيَاةِ مَا فِي وَجْنَتَيْكَ مِنَ الشَّقَائِقِ وَالْبَهَارِ
وَوُلُوعِ رِدْفِكَ بِالْتَرَجُّجِ تَحْتَ خَصْرِكَ فِي الْإِزَارِ
مَا إِنْ رَأَيْتَ لِحْسَنَ وَجْهِكَ فِي الْبَرِّيَّةِ مِنْ نِجَارِ
لَمَّا رَأَيْتَ الشَّيْبَ مِنْ وَجْهِ بَمَا يَحْكِي الْخَمَارِ
[قَالَتْ غِبَارٌ قَدْ عَلَا كَ فَقُلْتُ ذَا غَيْرِ الْغِبَارِ
هَذَا الَّذِي ثَقُلَ الْمَلُو كَ إِلَى الْقُبُورِ مِنَ الدِّيَارِ]
قَالَتْ ذَهَبْتُ بِحُجَّتِي عَنِّي بِحَسَنِ الْاِعْتِدَارِ
يَا هَذِهِ أَرَأَيْتَ لَيْسَ لَمْذَ خَلَقْتَ بِلَا نَهَارِ
وقال خالد الكاتب :

لخالد الكاتب

نَظَرْتُ إِلَى بَعِينٍ مِنْ لَمْ يَعْدِلِ
لَمَّا رَأَتْ شَيْئاً أَلَمْ يَمْفَرَقِي
وَوَظَلَّتْ أَطْلُبُ وَضَلَهَا بِتَمَلُّقِ
وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

كُفِيَ حَزَنًا أَنْ الشَّبَابَ مَعْجَلُ
وَعَزَّكَ عَنْ لَيْلِ الشَّبَابِ مَعَاشِرُ
فَقُلْتُ : نَهَارُ الْمَرْءِ أَهْدَى لِسَعِيهِ
مَحَارُ الْفَتَى شَيْخُوخَةٌ أَوْ مَنِيَّةُ
وقال :

كَانَ الشَّبَابُ وَقَلْبِي فِيهِ مَنَعِمَسُ
فِي لَذَّةٍ لَسْتُ أُدْرِى مَا دَوَاعِيهَا

(١) الحمار : المرجع ، حار يحور : رجع ، والمنية : الموت ، والمرجع : المرجع

أيضا ، ورمدد : الرماد (م)

رَوْحٌ عَلَى النَّفْسِ مِنْهُ كَادَ يُبْرِدُهَا بَرَدَ النَّسِيمِ وَلَا يَنْفَكُ يُخَيِّمُهَا
كَأَنَّ نَفْسِي كَانَتْ مِنْهُ سَارِحَةً فِي جَنَّةٍ بَاتَ سَاقِي الْمَزْنِ يَسْقِيهَا
يَمْضِي الشَّبَابُ وَيَبْقَى مِنْ لُبَّائِهِ شَجَوُ عَلَى النَّفْسِ لَا يَنْفَكُ يُشْجِيهَا^(١)
مَا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدِي قَدَرُ نِعْمَتِهِ لِنَفْسِهِ لَا لِحُلْمٍ كَانَ يُصْبِيهَا
مَا كَانَ يُوزَنُ إعْجَابُ النِّسَاءِ بِهِ وَالنَّفْسُ أُوجِبَ إعْجَابًا بِمَا فِيهَا
وقال :

إِذَا مَارَأْتُكَ الْبَيْضُ صَدَّتْ ، وَرَبَّمَا غَدَوْتَ وَطَرَفُ الْبَيْضِ نَحْوُكَ أَصَوَّرَ^(٢)
وَمَا ظَلَمْتُكَ الْغَانِيَاتُ بِصَدِّهَا وَإِنْ كَانَ فِي أَحْكَامِهَا مَا يَجَوَّرَ^(٣)
أَعْرِ طَرَفَكَ الْمَرَاةَ وَانْظُرْ ؛ فَإِنْ نَبَا بِعَيْنِكَ عَنْكَ الشَّيْبُ فَالْبَيْضُ أَعْذَرُ
إِذَا شَنَنْتُ عَيْنَ الْفَتَى شَيْبَ نَفْسِهِ فَعَيْنُ سِوَاءٍ بِالشَّنَاءِ أَجْدَرُ^(٤)
وقال كشاجم :

وَفَقَّتَنِي مَا بَيْنَ حُزْنٍ وَبُؤْسٍ وَثَنْتُ بَعْدَ ضَحْكَةٍ بِبُؤْسٍ
إِذْ رَأَتْنِي مَشْطُتٌ عَاجًا بِعَسَاجٍ وَهِيَ الْآبَنُوسُ بِالْآبَنُوسِ
وقال أبو نواس :

بَكَرْتُ تَبَصَّرَنِي الرَّشَادُ كَأَنِّي لَا أَهْتَدِي لِمَذَاهِبِ الْأَبْرَارِ
وَتَقُولُ : وَيَحْكُ قَدْ كَبُرْتَ عَنِ الصَّبَا وَرَمَى الزَّمَانُ إِلَيْكَ بِالْأَعْذَارِ
فَالِي مَتَى تَضْبُو وَأَنْتَ مَتَّيْمٌ مَتَقَلِّبٌ فِي رَاحَةِ الْإِقْتَارِ
فَأَجَبْتُهَا إِنِّي عَرَفْتُ مَذَاهِبِي فَصَرَفْتُ مَعْرِفَتِي إِلَى الْإِنْكَارِ

لكشاجم

لأبي نواس

(١) يشجها : يحزنها (م)

(٢) أصور : مائل (م)

(٣) يجور : ينسب إلى الجور ، وهو ضد العدل (م)

(٤) الشناء : البغض والكراهية ، وشنئت : أبغضت (م)

لأحمد بن زياد

وقال أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلَّ بياضه
بمفرقِ رأسي قلت : أهلا ومرحبا
ولو خِلْتُ أني إن تركت تحيتي
تَنكَّبَ عني رُمتُ أن يتنكبا
ولكن إذا ما حلَّ كرهٌ فسامحت
به النفسُ يوما كان للكره أذهبا
كان هذا البيت ينظر إلى قول الأول :

وجاشت إلى النفسُ أولَ مرةٍ
فردَّتْ إلى معروفها فاستقرتْ
أبو الطيب :

المتنبى

أنكرتُ طارقةَ الحوادثِ مرةً
ثم اعترفتُ بها فصارتُ ديدنا
ابن الرومي :

لابن الرومي

لاح شَيْبِي فصرتُ أُمزَحُ فيه
مَرَحَ الطَّرْفِ فِي العِذَارِ الحَلِيِّ
وتولَّى الشبابُ فازددتُ غَيًّا
فِي مِيادينِ باطِلِي إِذْ تَوَلَّى
إنَّ من ساءه الزمانُ بشيءٍ
لأحقِّ الوري بآن يتسلى
[المتنبى :

أتراني أسـ_____وء نفسيَ لَمَّا
ساءني الدهرُ ؟ لا ، لعمرى ، كَلَّا]
المتنبى :

المتنبى

تَصْغُو الحياةُ لِجاهِلٍ أو غافلٍ
عَمَّا مَضَى فيها وما يُتَوَقَّعُ
ولمَن يُغالطُ في الحقائقِ نفسَه
ويسومها طلبَ المُحالِ فيَطْمَعُ
[البحترى^(١) :

للبحترى

يكفيك من حَقِّ تَخيلٍ باطلٍ
تردى به نفسُ اللَهيفِ فترجعُ

(١) سقطت هذه الكلمة من جميع المطبوعات ، والبيت الآتي ليس من قصيدة المتنبى التي منها البيتان السابقان على هذه الكلمة ، وهو ثابت في شعر البحترى ، لا جرم كانت هذه الكلمة من ألزم الالزامات (م)

وقلما تصحُ مغالطات أهل العقول ، عند أهل التحصيل ، وما أحسن

ما قال الطائي :

لأن تمام
الطائي

لعبَ الشيبُ بالمفارقةِ ، بل جدَّ فأبكى تمّاضراً ولعوباً^(١)

يا نسيبَ الثَّغَامِ ذنبُك أبقي حسناتي عند الحسنان ذنوباً^(٢)

لو رأى الله أن في الشيب فضلاً جاورته الأبرار في الخلدِ شيباً

وقد جاء في التبّاعل عن الدهر وأحداثه ، ونكباته ، ومصائبه ، ولججاته ،

والتسلي عن الهموم ، بماء السكروم ، شعره كثير ؛ فما يتعلق منه بذكر الشيب

لابن الرومي

قول ابن الرومي :

سأعرضُ عُقْنِ أَعْرَضِ الدهرِ دونهُ وأشربها صِرْفاً وإن لأمَ لومُ

فإني رأيت الكأسَ أكرمَ خُلَّةً وفَت لي ورأسي بالمشيب مُعَمَّمُ

وصلتُ فلم تبخلْ عليّ بوصلِها وقد بخلتْ بالوصلِ عني تكتمُ^(٣)

ومن صارمَ اللذات إن خان بعضها ليُرْغِمَ دهرًا ساءهُ فهو أرغم

أمن بعد مثوى المرء في بطنِ أمه إلى ضيقِ مثواه من القبرِ يسلم

ولم يبقَ بين الضيق والضيق فرجة أبي الله ! إن الله بالعبد أرحم !

للعطوي

وقال العطوي :

أعجبتني إن أناخ بي الدهر فحاكتهُ إلى الأقـداحِ

لا تردّ الهمومُ مُنْشِنَ أظفاناً رأ حداداً يشربُ ماء قراح

أحمد الله ، صارت الكأسُ تأسو دون إخواني الثقات جراحى

لابن الرومي

وقال ابن الرومي [ونحله بشارا] :

وقد كنت ذا حالٍ أطيلُ أدّ كارها وإرعاءها قلبي لأهتز معجبا^(٤)

(١) تماضر ولعوب : من أسماء نساء العرب (م)

(٢) الثَّغَام - بزة السحاب - نبت أبيض الزهر والتمر (م)

(٣) تكتم : من أسماء النساء أيضاً (م)

(٤) في نسخة « وإرعاءها قلباً نوى الدهر معجبا » (م)

فَبَدَّلْتُ حَالاً غَيْرَ هَاتِيكَ ، غَايَتِي تَنَاسَى ذِكْرَهَا لَتَقْرُبَ مَقَرِّبَا
وَكُنْتُ أَدِيرُ الْكَأْسَ مَلَأَى رَوِيَّةً لِأَجْذَلَ مَسْرُورًا بِهَا وَلَا طَرَبَا
وَكُنْتُ مَزِيدًا فِي سُرُورِي وَمُتَعَتِي فَأَضَحَّتْ مَقَرًّا مِنْ هُمُومِي وَمَهْرَبَا^(١)
وهذا كما قال في قَيِّنَةٍ وإن لم يكن من هذا الباب :

شاهدت في بعض مشاهدت مُسَمِّعَةً كَأَنَّمَا يَوْمُهُمْ يَوْمَانِ فِي يَوْمٍ
ظَلَلْتُ أَشْرَبُ بِالْأَرْطَالِ ، لَا طَرَبَا بِذَاكَ ، بَلْ طَلَبَا لِلشُّكْرِ وَالنَّوْمِ
ومن مליح شعره في الشيب :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا إِذَا مَا تَنَكَّرْتُ أُمُورٌ - وَإِنْ عَدَّتْ صِفَارًا - عِظَامُ
إِذَا رُمْتُ بِالْمُنْقَاشِ نَتَفَ أَشَاهِي أَتَيْحُ لَهُ مِنْ نَيْنِ الْأَدَاهِمُ
يَرَوُّعُ مَنقَاشِي نَجُومَ مَسَاحِي وَهَنْ لَعَيْنِي طَالَعَاتُ نَوَاجِمِ^(٢)
وقال أبو الفتح كشاجم :

لأبي الفتح
كشاجم

أَخِي قُمْ فَعَاوَنِي عَلَى نَتَفِ شَيْبَةٍ فَإِنِّي مِنْهَا فِي عَذَابٍ وَفِي حَرْبٍ
إِذَا مَا مَضَى الْمُنْقَاشُ يَأْتِي بِهَا أَتَتْ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ دُونِهَا جَارَةَ الْجَنْبِ
كُجَانٍ عَلَى السُّلْطَانِ يُجْزَى بِذَنبِهِ تَعَلَّقَ بِالْجِيرَانِ مِنْ شِدَّةِ الرَّغْبِ

وقد وشحت هذا الكتاب بقطع مختارة في الشيب والشباب ، وجئت ههنا
بمجملة ، وهذا النوع أعظم من أن نحيط به اختصاراً ، أو نبلغه اختصاراً .

شدور لأهل العصر ، في وصف الشيب ومدحه وذمه

دَوَى غُضُنُ شَبَابِهِ . بَدَّتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ ، [أَخَذَ الشَّيْبُ بِعَيْنَانِ
شَبَابِهِ] ، غَزَاهُ الشَّيْبُ بِجِيُوشِهِ ، طَرَّزَ الشَّيْبُ شَبَابَهُ ، أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ ، أَجْلَه

(١) في نسخة « فأضحت معزى من همومي ومهربا » (م)

(٢) في ابن الرومي « يراوغ منقاشي » (م)

بلجامه ، وقاده بزمامه ، علاه غبارُ وقائع الدهرِ . وزن هذا لابن المعتز * هذا غبارُ وقائع الدهرِ * بينا هو راقد في ليل الشباب ، أيقظه صبحُ المشيب . طوى مرآحلَ الشباب ، وأنفق عمره بغير حساب . جاوز من الشباب مرآحل ، وورد من الشَّيبِ مَنَاهِل . قلَّ الدهرُ شباً شبابه ، ومحا محاسنَ رُوَّائه . قضى باكورة الشباب ، وأنفقَ نَضَارَةَ الزمان . أخلق بُرْدَةَ الصَّبَا ، ونهاه النهى عن الهوى . طار غرابُ شبابه . انتهى شبابه ، وشاب أترابه . استبدل بالأدهم الأبلق ، وبالغراب العَقَق (١) . انتهى إلى أَشَدِّ الكهل ، واستعاض من حَلَك الغراب بقادمةِ النَّسر . اقترعن نَابِ القارح ، وقرع نَاجِدَ الحلم ، وارتاضَ بلجامِ الدَّهرِ ، وأدرك عصرَ الحُنْكَ وَأوان المسكة . جمع قوَّة الشباب إلى وقَار المشيب . أسفر صبحُ المشيب ، وعَلَّتْهُ أبهة الكِبَر . خرج عن حدِّ الحداثة ، وارتفع عن غِرَّة الغرارة . نَفَضَ حَبْرَةَ الصبا ، وَوَلَّى داعية الحجا . لما قام له الشيب مقام النصيح ، عدل عن علائق الحداثة بتوبة نَصُوح . الشيب حِلْيَةُ العقل وشِيْمَةُ الوقار . الشيب زبدَةٌ مُحَضَّطُهَا الأيام ، وَفِضَّة سبكتها التجارب . سرى في طريق الرُّشد بمصباحِ الشَّيب . عصى شياطين الشباب ، وأطاع ملائكة الشَّيب . الشيخ يقول عن عِيَان ، والشاب عن سَمَاع . في الشيب استحكام الوقار وتناهى الجلال ، وميسَم التجرُّبة ، وشاهد الحُنْكَ الشيب مُقَدِّمَةُ الموتِ والهَرَم ، والمُوْذِن بِالْخُرْف ، والقائد للموت . الشيبُ رسولُ المنية . الشيب غُنْوَانُ الفساد . والموتُ ساحل ، والشيبُ سفينة تقرب من الساحل . صفا فلان على طول العمر ، صفاء التَّبرُّ على شعبِ الجمر (٢) . لقد تناهت به الأيامُ تهذيباً وتحليماً ، وتناهت به السنُّ تجريباً وتحنيكاً . قد وعظه الشَّيبُ

(١) الأدهم : الأسود ، والأبلق : الذى لونه البلقة . وهى سواد فى بياض ، والعقق : طائر لونه مختلط من سواد وبياض (م)

(٢) فى نسخة « على مقت الجمر »

بَوْخَطِهِ ، وَخَبَطَهُ السِّنُّ بَابْنَهُ وَسَبَّطَهُ ، قَدْ تَضَاعَفَتْ عَقُودُ عَمْرِهِ ، وَأَخَذَتْ الْأَيَّامُ مِنْ جَسَمِهِ . رُجِدَ مَسَّ الْكِبَرِ ، وَلَحِقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ ، وَأَسَاءَ إِلَيْهِ أَثَرُ السِّنِّ ، وَاعْتَرَضَ الْوَهْنُ . هُوَ مِنْ ذَوَى الْأَسْنَانِ الْعَالِيَةِ ، وَالصَّحْبَةِ لِلْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ . هُوَ هَمٌّ هَرِمٌ ، فَدَ أَخَذَ الزَّمَانُ مِنْ عَقْلِهِ . كَمَا أَخَذَ مِنْ عَمْرِهِ . ثَمَلَهُ الدَّهْرُ ثَلَمَ الْإِنَاءِ ^(١) ، وَتَرَكَه كَذِي الْغَارِبِ الْمُنْكَوَبِ ، وَالسَّنَامِ الْمَجْبُوبِ . رَمَاهُ مِنْ قَوْسِهِ ^(٢) الْكَبِيرُ . أُرِيقَ مَا هُ شَبَابِهِ ، وَاسْتَشَنَّ أَدِيمَهُ . كَسَرَ الزَّمَانُ جَنَاحَهُ ، وَنَقَضَ مِرَّتَهُ . طَوَى الدَّهْرُ مِنْهُ مَانِشِرَ ، وَقَيَّدَهُ الْكِبَرُ . يَرْسُفُ رَسْفَانُ الْمُقَيَّدِ ، هُوَ شَيْخٌ مَجْتَثٌ ^(٣) الْجَثَّةِ ، وَاهِي الْمُنَّةِ ، مَغُولُ الْقُوَّةِ وَمَغُولُ الْفَتْوَةِ ^(٤) ، ثَقَلَتْ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ ، وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الْمُنِيَّةِ . مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ الْعَصْرِ ، عَلَى الْقَصْرِ . أَرْكَانُهُ قَدْ وَهَتْ ، وَمُدَّتُهُ قَدْ تَنَاهَتْ . هَلْ بَعْدَ الْغَايَةِ مَنَزَلَةٌ ، أَوْ بَعْدَ الشَّيْبِ سِوَى الْمَوْتِ مَرَحَلَةٌ ؟ مَا الَّذِي يُرْجَى مِنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي تَعَاَجُزِ الْخَطَا ، وَتَحَاذُلِ الْقُوَى ، وَتَدَاوِي الْمَدَى ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الدَّارِ الْآخَرَى ، أَبَعْدَ دِقَّةِ الْعَظْمِ ، وَرَقَّةِ الْجِلْدِ ، وَضَعْفِ الْحَسِّ ، وَتَحَاذُلِ الْأَعْضَاءِ ، وَتَفَاوُتِ الْإِعْتِدَالِ ، وَالتَّقَرُّبِ مِنَ الزَّوَالِ . وَالَّذِي بَقِيَ مِنْهُ ذِمَاءٌ ^(٥) يَرْقُبُهُ الْمُنُونُ بِمَرَصَدٍ ، وَخُشَاشَةٌ هِيَ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ . قَدْ خَلَقَ عَمْرَهُ ، وَانطَوَى عَيْشُهُ ، وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى نَذِيَّةِ الْوَدَاعِ ، وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الْمَقَامِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْفَاسٌ مُعَدُودَةٌ ، وَحَرَكَاتٌ مُحْصُورَةٌ . نَضَبَ غَذِيرُ شَبَابِهِ .

فقر لغير واحد في المشيب

قيس بن عاصم : الشيبُ خطامُ المنية . أ كثم بن صيفي : المشيب عنوان الموت . الحجاج بن يوسف : الشيبُ نذيرُ الآخرة . غيره : الشيبُ نومُ الموت .

(١) في نسخة «ثلمة الإناء» (م) (٢) في نسخة «من قومه» (م)

(٣) في نسخة «محبب الجثة» (م) (٤) في نسخة «معلول الفتوة» (م)

(٥) الذماء - بفتح الدال - بقية النفس (م)

العتى : الشيبُ جمع الأمراض . العتاي : الشيبُ نذير المنية . محمود الوراق : الشيبُ أحد الميتتين . ابن المعتز : الشيبُ أول مواعد الفناء . وقال : عظم الكبير فإنه عرف الله قبلك ، وارحم الصغير فإنه أغر بالدنيا منك . غيره : الشيب قناع الموت . الشيب غمام قطره الغيوم . الشيب قذى عين الشباب .

نظر سليمان بن وهب في المرأة فرأى الشيب ، فقال : عيب لا عدمناه !
وقيل لأبي العيثاء : كيف أصبحت ؟ فقال : في داء يتمناه الناس !
ابن المعتز :

أنكرت شرّ مشيبي وولت بدموع في الرداء سُجُوم
اعذرى يا شرّ شيبى بهم إن شيب الرأس نورُ الهموم
مسلم بن الوليد :

الشيبُ كرهٌ ، وكرهٌ أن أفارقه أعجب لشيء على البغضاء مودود
يمضي الشبابُ فيأتى بعده بدلٌ والشيبُ يذهبُ مفقوداً بمفقود
وقال آخر :

لو أن عمرَ الفتى حسابٌ كان له شيبه فذاك^(١)
وقال بعضهم :

ولى صاحبٌ ما كنتُ أهوى اقترابه فلما التقينا كان أكرم صاحب
عزيزٌ علينا أن يفارق بعدما تمنيتُ دهرًا أن يكون مجانبى
يعنى الشيب ، يقول : لم أكن أشتهى اقترابه ، فلما حل كان أكرم
ساحب ، عزيز على مجانبته ؛ لأنه لا يجانب إلا بالموت .

(١) الفذالك : جمع فذلكه ، وهى جملة الحساب ، ووقع فى نسخة « كان له

شيه عذابا » (م)

أبو إسحاق الصابي :

والعمرُ مثلُ الكاسِ ير سب في أواخرها القذى

أبو الفضل الميكالي :

أُمْتِغْ شبابك من كمورٍ ومن طربٍ ولا تُصِخْ لملامٍ تَمَعْ مُكْتَرِثٍ
خَيْرُ عُمَرِ الْفَتَى رِيحَانُ جَدَّتِهِ وَالْعَمْرُ مِنْ فِضَّةٍ وَالشَّيْبُ مِنْ خَبَثٍ

[بعض ما قالوه في الخُضَاب]

في ذكر الخُضَاب : الخُضَابُ أَحَدُ الشَّبَابِينَ

عبدان الأصهباني :

قولهم في
الخُضَابِ

في مشيبي شِمَاتَةٌ لُعْدَاتِي وَهُوَ نَارِعٌ مَنَعَصٌ لِي حَيَاتِي
وَيَعِيبُ الْخُضَابُ قَوْمٌ، وَفِيهِ لِيَ أَنْسٌ إِلَى حُضُورِ وَفَاتِي
لَا وَمَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ إِنِّي مَا تَطَلَبْتُ خَلَّةَ الْغَانِيَاتِ^(١)
إِنَّمَا رُمْتُ أَنْ يُغَيِّبَ عَنِّي مَا تُرِيدُنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مِرَاتِي
وَهُوَ نَارِعٌ إِلَى نَفْسِي، وَمَنْ ذَا سَرَّهُ أَنْ يَرَى وَجْهَ التُّعَاةِ؟

ابن المعتز :

رَأَتْ شَيْبَةً قَدْ كُنْتُ أَغْفَلْتُ قَصَّهَا وَلَمْ تَتَعَمَّدْهَا أَكْفَ الْخُلُوفِ وَاضِبٍ
فَقَالَتْ: أَشَيْبٌ مَا أَرَى؟ قُلْتُ: شَامَةٌ فَقَالَتْ: لَقَدْ شَأَنْتُكَ عِنْدَ الْحَبَائِبِ

الأمير أبو الفضل الميكالي :

قَدْ أَبَى لِي خُضَابُ شَيْبِي فُؤَادَ فِيهِ وَجَدَ بَكْتَمِ سِرِّي وَلَوْعٍ^(٢)
خَافَ أَنْ يَحْدِثَ الْخُضَابُ نُصُولًا وَنُصُولُ الْخُضَابِ شَيْءٌ بَدِيعٌ

وقالوا : الخُضَابُ مِنْ شَهُودِ الزُّورِ ، وَالْخُضَابُ حَدَادُ الْمَشِيبِ ، [إِنْ خُضِبَ

الشَّعْرُ] فَكَيْفَ يَخْضِبُ الْكَبِيرُ . الْخُضَابُ كَفَنُ الشَّيْبِ .

(١) في نسخة « ما تطلبت حلية الغانيات » والحلة بضم الحاء - الحصلة (م)

(٢) في نسخة « مراد حدثني بكنم سري » (م)

ابن الرومي :

ليس تُغْنِي شهادةُ الشَّعرِ الأسودِ شيئاً إذا استشنَّ الأديمُ
أفيرجـ ومُسَوِّدٌ أن يُزَكِّي شاهد الخضب؟ أين ضلَّ الحليمُ؟!
لا لعمري ماللِخِضابِ لدى الأبـ صار إلا التَّكْذِيبُ والتَّائِمْ
يدعى للكبيرِ شَرِخَ شبابٍ قد تولى به الشبابُ القديمُ
والسوادُ الدَّعِي أوجبَ تَكْذِيباً إذا كذبَ السوادُ الصِّمُّ

وله أيضاً في هذا المعنى :

كما لو أردنا أن نُحْيِلَ شبابنا مَشِيباً ولم يَأْتِ المَشِيبُ تعذراً
كذلك يُعْنِنَا إِحالةُ شِيننا شباباً إذا ثوبُ الشبابِ تحسراً
أبى الله تدير ابن آدم نفسه وأنى يكون العبدُ إلا مُدَبِّراً
وقال :

قل للسود حين شيب : هكذا غِشُّ الغَوَانِي في الهوى إِيَّاكَ
كَذَبَ الغَوَانِي في سوادِ عذارِهِ فكذبته في ودهن كَذَا^(١) كَا
هيهات غَرَّكَ أن يُقالَ غرائرُ أئى الدواهي غيرهن دهاكا
لا تحسبن خَدَعْتَهُنَّ بِحيلةٍ بل أنتَ ويحك خادَعَتَكَ مَنَاكَ؟
وقال أبو الطيب المتنبي :

وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُموهَةً تركتُ لونَ مَشِيبِي غيرَ مَخْضوبِ
وَمِنْ هَوَى الصِّدْقِ في قولي وعادته رَغِبْتُ عن شَعَرٍ في الوجهِ مَكْذوبِ
لَيْتَ الحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذْتُ مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرَّبِي
فَا الحَدَاثَةَ مِنْ حِلْمٍ بِمَانَعَةٍ قد يَوجِدُ الحِلْمُ في الشَّبَّانِ والشِّيبِ

(١) في نسخة « فكذبته في ردهن كذاكا » تطبيع (م)

غيره :

يا خاضبَ الشيبِ بالحناءِ يَسْتُرُهُ سَلِ الإلهَ له سِتْرًا من النارِ
وقد سلكَ أبو القاسمِ مسلَكَ طريقاً في قوله :
أَفْذَى المَغاظِبَةِ التي أَتَبَعْتُهَا نَفْسًا يَشْتَعِ عَيْسَهَا إِذْ آبَا^(١)
والله لولا أَن يُسَفِّهَنِي الصَّبَا ويقولَ بعضُ القائلينَ تَصَابِي
لكسرتَ دُمْلَجَهَا لضيقِ عِناقِهِ وَلَثَمْتُ من فِيهَا البرودَ رُضَابَا^(٢)
بِنُتْمٍ فلولاً أَن أُغَيِّرَ لَمَتِي عَتَبًا وَأَلْقَاكُم على غُضَابَا^(٣)
لَحْضِبَتِ شَيْبًا في عِذَارِي كَامِنَا وَمَحَوْتُ مَخَوَ النَّفْسِ مِنْهُ شَبَابَا^(٤)
وخلعته خَلَعَ النِّجادَ مَذْمَا واعتضتُ من جِلْبَابِهِ جِلْبَابَا
ولبستُ مُنَيِّضَ الحِدَادِ عَلَيْكُمْ لو أَنِّي أَجِدُ البَيَاضَ خِضَابَا
وإذا أُرِدْتَ إلى المَشِيبِ وفادَةً فاجعلِ إليه مَطْيِكَ الأَحْقَابَا
فلتأخذَنَّ من الزمانِ حَمامَةً ولتدفعَنَّ إلى الزمانِ غَرَابَا
ماذا أَقولُ لِرَيْبِ دَهْرٍ خَائِنٍ جَمَعَ العِدَاةَ وفَرَّقَ الأَخْبَابَا

[الوليد بن يزيد وقد غلبت عليه لذاته]

وقيل للوليد بن يزيد بن عبد الملك لما غلبت عليه لذاته . وملكته
شهواته : يا أمير المؤمنين ؛ إن الرعية ضاعت بتضييعك أمرها ، وتركك ما يجب
عليك من مصلحتها . فقال : ما الذي أغفلناه من واجب حقها ، وأسقطناه من
مفروض ذمامها ؟ أما كرمنا دائم ، ومعروفنا شامل ، وسلطاننا قائم ؛ وإنما لنا
ما نحن فيه ، بسط لنا في النعمة ، ومكّن لنا في المكّمة ، وأذات لنا الأمة^(٥) ،
ومدّ لنا في الحرمة ، فإن تركت ما به وسع ، وامتنعت عما به أنعم ، كنت أنا

(١) العيس : الإبل ، وفي نسخة « ما آبا » (م)

(٢) في نسخة « بضيق عناقها » والرضاب : ماء الفم (م)

(٣) في نسخة « أن أغير لمق عبتا » (م) (٤) في نسخة « في عذارى كاذبا » (م)

(٥) في نسخة « وأذكي لنا في الأمة » (م)

المزيل لنعمتي بمالا ينال الرعية ضره ، ولا يؤودهم ثقله ^(١) . يا حاجب لا تأذن لأحد في الكلام .

وقال عمرو بن عتبة للوليد بن يزيد ، وكان خاصا به : يا أمير المؤمنين ؛ أنطقني بالأنس ، وأنا أسكت بالهنية ، وأراك تأمرنا بأشياء أنا أخافها عليك ، أفأسكت مطيعاً أم أقول مشفقاً ؟ قال : كلُّ مقبولٍ منك ، معلومٌ فيه ، فمقتك ^(٢) ؛ والله فيما علم غيب نحن صائرون إليه ! وتعود فتقول . قتل الوليد بعد ذلك بشهر .

[بين الحجاج وأهل العراق]

وقال عبد الملك بن مروان للحجاج : إني استعملتك على العراق ، فأخرج إليها كميّش الإزار ^(٣) ، شديد الغرّار ، قليل العثار ، منطوى الخصلة ، قليل الثميلة ^(٤) ، غرار النوم ، طويل اليوم ، واضغط السكوفة ضغطة تحبّق منها البصرة .

وشكبا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق ، وسقم مذهبهم ، وسخط طريقتهم ، فقال له جامع الحارثي : أما إنهم لو أحبك لأطاعوك ، على أنهم ما شئتوك لبلدك ، ولا لذات يدك ، إلا لِمَا نَقَمُوهُ من أفعالك ؛ فدغ ما يُبعدهم عنك إلى ما يُدنيه منك ، والتمس العافية من دونك تُعطها من فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك ثلاثاً .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى اللّخناء إلى طاعتي إلا بالسيف . فقال جامع : أيها الأمير ؛ إنّ السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار . قال الحجاج :

(١) لا يؤودهم : لا يثقلهم ولا يعجزهم (م) (٢) في نسخة «معلوم لي فيك» (م)

(٣) كميّش الإزار : مشمرا ، وهو كناية عن الجد ، وفي نسخة «شديد العوار» (م)

(٤) الخصلة - بالخاء العجمة - كل قطعة فيها عصب ، ويقولون «ارتعدت فرائضه ،

واضطربت خصائله» يريدون اشتد خوفه ، والثميلة : بقية الطعام في البطن (م)

الخير يومئذ لله . قال جامع : أجل ، ولكن لا ندرى لمن يجعله الله . فغضب
الحجاج وقال : يا هَنَاهُ ؛ إنك من محارب ، فقال جامع :
وللحرب سُمِينَا وكُنَّا محاربًا إذا ما القنَا أُمْسَى من الطعن أحمرَا
فقال له الحجاج : والله لقد هممتُ أن أخلع لسانك ، فأضربَ به وجهك .
فقال جامع : إن صدقناك أغضبتك ، وإن كذبتناك أغضبنا الله . فقال الحجاج :
أجل ، وسكن سلطانه ، وشغل ببعض الأمر ، وخرج جامع وإنسلَّ من صفوف
الناس ، وانحاز إلى جبل العراق .

[جامع المحاربي]

وكان جامع لسنا مَفَوَّها ، وهو الذى يقول للحجاج حين بنى واسطا :
بَذَيْتَهَا فى غير بلدك ، وأورثتها غير ولدك .
وكان الحجاجُ من الفصحاء البلغاء ، ويقال : ما رُئى حَضَرى أفصح من
الحجاج ومن الحسن البصرى . وكان يحبُّ أهل الجهارة والبلاغة ، ويؤثرهم
ويقرهم .

[أيوب بن القرية]

ولما دخل أيوب بن القرية على الحجاج - وكان فيمن أسر من أصحاب
عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندى - قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟
قال : ثلاثة حروف ، كأنها ركب وقوف : دُنْيَا ، وآخِرَة ، ومعروف .
فقال له الحجاج : بئسما مَنِيَّتَ به نفسك يا بنَ القرية ، أترانى ممن تخدعه
بكلامك وخطبك ؟ والله لا نت أقربُ إلى الآخرة من موضع نَعْلَى هذه .
قال : أَقْلَى عَثَرَتِي ، وَأَسْفَى رِيقِي ، فإنه لا بدَّ للجواد من كِبْوَة ، والسيف
من نَبْوَة ، والحليم من صَبْوَة .

قال : أنت إلى القبر أقربُ منك إلى العفو ، ألسْتَ القاتل وأنت تحرّض
حزبَ الشيطان ، وعدوّ الرحمن ! تغدّوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم ! وقد رويت
هذه اللفظة للغضبان بن القبعثرى . ثم قدمه فضرب عنقه .

قال الخُرَيْمِيُّ لِأَبِي دَلْفٍ وَأَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْقَرْبِيِّ :
لَهُ كَلِمَةٌ فِيكَ مَعْقُولَةٌ إِزَاءَ الْقُلُوبِ كَرَكَبٍ وَقُوفٌ

[كَثِيرٌ بَنَ أَبِي كَثِيرٍ]

وَبَعَثَ الْحِجَاجُ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَصْرَةِ : اخْتَرْتُ لِي عَشْرَةَ مِنْ عِنْدِكَ ، فَاخْتَارَ رَجُلًا
فِيهِمْ كَثِيرُ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ ، وَكَانَ عَرَبِيًّا فَصِيحًا ، فَقَالَ كَثِيرٌ : مَا أَرَانِي أُفِلْتُ
مِنْ يَدِ الْحِجَاجِ إِلَّا بِاللَّحْنِ ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ دَعَانِي فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقُلْتُ : كَثِيرٌ .
قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنْ قُلْتُ ابْنَ أَبِي كَثِيرٍ لَمْ آمَنْ أَنْ يَتَجَاوَزَهَا ،
قُلْتُ : ابْنُ أَبِي كَثِيرٍ ، فَقَالَ : اعْزَبْ ^(١) لَعْنَكَ اللَّهُ وَلَعْنُ مَنْ بَعَثَ مَعَكَ !!

[مِنْ قَوْلِهِمْ فِي الْمَدِيحِ]

وَقَالَ النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي يَمْدَحُ آلَ جَفْنَةَ :
وَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى أَهْلَ قُبَّةٍ أَضَرَّ بِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِعًا ^(٢)
وَأَعْظَمَ أَحْلَامًا وَأَكْثَرَ سَيِّدًا وَأَفْضَلَ مَشْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِعًا
مَتَى تَلْقَهُمْ لَا تَلْقَ لِلْيَتِ عَوْرَةً فَلَا الضَّيْفَ مَمْنُوعًا وَلَا الْجَارُ ضَائِعًا

وَأَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْحِيُّ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِي :

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا
فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
[أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ شَمَرٌ دَلٌّ إِذَا لَمْ يَرُحْ لِلْمَجْدِ أَصْبَحَ غَادِيَا]

وَمِنْ حُرِّ الْمَدْحِ وَجَيْدِ الشَّعْرِ قَوْلُ الْحَطِيطَةِ :

تَزُورُ أَمْرًا يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالُهُ وَمَنْ يُعْطَى أَمَانُ الْحَامِدِ يُحْمَدُ
يَرَى الْبَخْلَ لَا يُبْقَى عَلَى الْمَرْءِ مَالُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخْلَدٍ

(١) عزب يعزب : بعد يبعد (م) (٢) في نسخة « أضر لمن عادوا » (م)

كُتِبَ وَتَلَفٌ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلْ وَاهْتَرَّ اهْتَزَّازَ الْمُهَنْدِ
مَتَى تَأْتِي تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ
وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه هذا البيت فقال : ذاك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وقوله :

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتُهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْخَفِيفَةُ وَالْجَدُّ
أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ اللُّومِ أَوْسِدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أَوَّلُكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَمِدُوا شَدُّوا
وإِنْ كَانَتْ النِّعْمَةُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا
مَطَاعِينَ فِي الْمِجَاعِ مَكَاشِيفُ لِلدَّجَى بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ
وَتَعَذَّلَانِي بِنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ

وقال منصور النمرى :

لمنصور النمرى

تَرَى الْخَلِيلَ يَوْمَ الْحَرْبِ يَظْمَأُنْ تَحْتَهُ وَيَرْوَى الْقَنَا فِي كَفِّهِ وَالْمَنَاصِلُ
حَلَالٌ لِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَحْرُهُ حَرَامٌ عَلَيْهَا مِنْهُ مَسْتَنٌ وَكَاهِلٌ^(١)
وقال آخر :

فَتَى دَهْرِهِ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوُبُهُ فِي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرٌ
فَلَا مِنْ بُغَاةِ الْخَيْرِ فِي عَيْنِهِ قَذَى وَلَا مِنْ زُنْبِيرِ الْحَرْبِ فِي أُذُنِهِ وَقَرٌ

[الشراب وخطره]

وقال بعضُ الظرفاء : الشرابُ أولُ الخرابِ ، ومِفْتَاحُ كُلِّ بَابٍ ، يَمَحَقُ
الْأَمْوَالَ^(٢) ، وَيُذْهِبُ الْجَمَالَ ، وَيَهْدِمُ الْمَرْوَةَ ، وَيُوهِنُ الْقُوَّةَ^(٣) ، وَيَضَعِفُ الشَّرِيفَ ،

(١) يريد أنه لا يفر فينال خصمه ظهره (م)

(٢) يمحَقُ الأموال : يفتنيها (م)

(٣) يوهن القوة : يضعفها (م)

وَيُهِنُ الظَّرِيفَ ، وَيَذِلُّ الْعَزِيزَ ، وَيَفْلِسُ التَّجَارَ ، وَيَهْتِكُ الْأَسْتَارَ ، وَيُورِثُ الشُّنَّارَ ^(١) .

وقال يزيد بن محمد المهلبى :

لَعَمْرُكَ مَا يُحْصَى عَلَى الْكَأْسِ شَرُّهَا وَإِنْ كَانَ فِيهَا لَذَّةٌ وَرَخَاءُ
مَرَاراً تُرِيكَ الْعَيَّ رَشِداً ، وَتَارَةً تَحِيلُ أَنْفَ الْحَسَنِينَ أَسَاءُ
وَأَنْ الصَّدِيقَ الْمَاحِضَ الْوَدَّ مَبْغِضُ وَأَنْ مَدِيحَ الْمَادِحِينَ هِجَاءُ
وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ النَّبِيِّ ذَقَمًا يَدُومُ لِإِخْوَانِ النَّبِيِّ إِخَاءُ

[من اعتلال الطفيليين، وحيلهم]

عُوتِبَ طِفْلِي عَلَى التَّطْفِيلِ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا يُبْنِيتُ الْمَنَازِلُ إِلَّا لِتَدْخُلَ ، وَلَا نَصِبَتْ
الْمَوَائِدُ إِلَّا لِتُؤْكَلَ ، وَإِنِى لِأَجْمَعَ فِيهَا خِلَالاً ؛ أَدْخُلُ مُجَالِسَاءَ ، وَأَقْعُدُ مَوَاسِيَاءَ ، أَنْبَسُطُ
وَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّارِ عَابِساً ؛ وَلَا أَتُكَلِّفُ مَغْرَماً ، وَلَا أَنْفِقُ دِرْهَماً ، وَلَا أَتَعْبُ خَادِماً .
وقال ابن الدراج ^(٢) الطفيلى لأصحابه : لَا يَهْوُلَنَّكُمْ إِغْلَاقُ الْبَابِ ، وَلَا شِدَّةُ
الْحِجَابِ ، وَسَوْءُ الْجَوَابِ ، وَعَبُوسُ الْبَوَابِ ، وَلَا تَحْذِيرُ الْغُرَابِ ، وَلَا مُنَابَذَةُ
الْأَلْقَابِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ صَاحِرٌ بِكُمْ إِلَى مَحْمُودِ النِّوَالِ ، وَمُعْنٍ لَكُمْ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ ،
وَاحْتِمَالُوا الْكَزَّةَ الْمُوهِنَةَ ، وَالْأَطْمَةَ الْمَزْمِنَةَ ، فِي جَنْبِ الظَّفَرِ بِالْبُعْيَةِ ، وَلِدَرْكِ
لِلْأُمْنِيَةِ ، وَالزَّمُوا الطَّوْزَجَةَ لِلْمَعَاشِرِينَ ^(٣) ، وَالْخِفَّةَ لِلْوَارِدِينَ وَالصَّادِرِينَ ، وَالتَّمَلَّقَ
لِلْمُنْهِنِينَ وَالْمَطْرَبِينَ ، وَالبِشَاشَةَ لِلْخَادِمِينَ وَالْمُوكَلِّينَ ؛ فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى مُرَادِكُمْ فَكَلُّوا
مَحْنَكِرِينَ ، وَادْخَرُوا لِفَدَمِكُمْ مَجْتَهِدِينَ ؛ فَإِنَّكُمْ أَحَقُّ بِالطَّعَامِ مِنْ دُعَى إِلَيْهِ ، وَأَوْلَى بِهِ
مَنْ وُضِعَ لَهُ ، فَكُونُوا لَوَقْتِهِ حَافِظِينَ ، وَفِي طَلْبِهِ مُشْتَرِينَ ، وَادْكُرُوا قَوْلَ
بْنِ نَوَاسٍ :

(١) الشنار - بفتح الشين - أشد العار (م) (٢) في نسخة «وقال أبو الدراج» (م)

(٣) في نسخة «والزمو المطارحة» (م)

لِنَخْمُسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْنَةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ^(١)

هذا يقوله أبو نواس في أبيات تُسَنَدَرُ كُلُّهَا ، ويستطرف جلُّها ، وهي :
 وَخَيْمَةٌ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مُنِيفَةٍ تَهُمُّ يَدًا مِنْ رَامِهَا بِزَلِيلٍ^(٢)
 إِذَا عَارَضَتْهَا الشَّمْسُ فَأَتَتْ ظِلَّهَا وَإِنْ وَاجَهَتْهَا آذَنْتْ بِدُخُولِ
 حِطَّاطِنَا بِهَا الْأَثْقَالَ فَلَّ هَجِيرَةٍ عِبُورِيَّةٍ تُذَكِّي بِغَيْرِ فَتِيلٍ^(٣)
 تَأْتَتْ قَلِيلًا ثُمَّ فَأَتْ بِمَذَقَةٍ مِنَ الظِّلِّ فِي رِثِّ الْإِنَاءِ ضَيْلٍ^(٤)
 كَأَنَّا لَدَيْهَا بَيْنَ عِطْفِي نِعَامَةٍ جَفَا زَوْرُهَا عَنْ مَبْرَكٍ وَمَقِيلٍ
 حَلَبْتُ لِأَعْجَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا بِصَفَاءٍ مِنْ مَاءِ الْكَرُومِ شَمُولٍ
 إِذَا مَا أَتَتْ دُونَ اللَّهَاءِ مِنَ الْفَتَى دَعَا هُمُ مِنْ صَدْرِهِ بِرَحِيلٍ
 فَلَمَّا تَوَافَى اللَّيْلُ جُنْحًا مِنَ الدَّجَى تَصَابَيْتُ وَاسْتَجَمَلْتُ غَيْرَ جَمِيلٍ
 وَأَعْطَيْتُ مَنْ أَهْوَى الْحَدِيثَ كَأَبْدَا وَذَلَّتْ صَعْبًا كَانَ غَيْرَ ذُلُولٍ
 فَعَنِّي وَقَدْ وَسَّذْتُ يُسْرَايَ خَدَّهْ أَلَا رُبَّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلٍ
 فَأَنْزَلَتْ حَاجَاتِي بِحَقْوَيِّ مُسَاعِدِي وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبٍ وَخَلِيلٍ
 فَأَصْبَحْتُ أُلْحَى الْسَكْرَ وَالسَّكْرُ مُحْسَنٌ أَلَا رَبَّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلٍ
 كَفَى جَزَنًا أَنْ الْجَوَادَ مَقْتَرٌ عَلَيْهِ ، وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلٍ
 سَأَبْنَى الْغِنَى إِمَّا وَزِيرَ خَلِيفَةٍ يَقُومُ سُوءًا أَوْ نُخِيفَ سَبِيلَ
 بِكُلِّ فِتَى لَا يُسْتَتَارُ فَوَادُهُ إِذَا نَوَّهَ الزَّخْفَانَ بِاسْمِ قَتِيلٍ
 لِنَخْمُسَ مَالَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ وَذِي بَطْنَةٍ لِلطَّيِّبَاتِ أَكُولٍ^(١)
 أَلَمْ تَرَأَنَّ الْمَالَ عَوْنٌ عَلَى التَّقَى وَلَيْسَ جَوَادٌ مُعْدِمٌ كَبَخِيلٍ

(١) تقول : خمست المال أخمسه - من باب نصر - إذا أخذت خمسة (م)

(٢) الناطور : حارس الزرع ، والمنيفة : العالية ، والزليل : الازلاق (م)

(٣) الهجيرة : الهاجرة ، وعبورية : منسوبة إلى الشعري العبور ، وطلوعها

أشد الحر (م) (٤) في نسخة « في رث لأباء ضئيل » (م)

ألفاظ لأهل المصر في صفة الطفاييين والأكلة وغيرهم

شيطانُ معدته رَجِيمٌ ، وسلطانها ظُلومٌ . هو آكلٌ من النار ، وأشربٌ من الرمل . لو أكل الفيل ما كفاه ، ولو شرب النيل ما أزوَاه ، يجوبُ البلاد ، حتى يقع على جَفَنَةِ جَوَادٍ . يرى ركوبَ البريد ، في حضور التَّيْدِ (١) . أصابعه ألزمُ للشَّوَاءِ ، من سَقُودِ الشَّوَاءِ ، وأنامله كالشبكة ، في مسيد السمكة . هو أجوعٌ من ذئب مُفْتَسٍ بين أعاريب . العيون قد تقلبت ، والأكباد قد تلهبت ، والأفواه قد تحلبت . امتدت إلى الخوان الأعناق ، [واحتدت نحوه الأحداق] ، وتحلبت له الأشداق .

[وصف طائر]

سأل المهدي صباح بن خاقان عن طائر له جاء من آفاق الغابة فقال :
يا أمير المؤمنين ، لو لم يَبْنِ بحسن الصفة لَبَانَ بحسن الصورة . قال : صِفْهُ لِي .
قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، قَدْ قَدَّ الْجَلْمُ (٢) ، وقوِّم تقويم القلم ، ينظر من جَرَّتَيْن ، ويلفظ بدرَّتَيْن ، ويمشي على عقيقتين ، تكفيه الحَبَّة ، وترويه العَبَّة (٣) ، إن كان في قفص فَلَقَهُ ، أو تحت ثوب خرَّقه ، إذا أقبل فدَيَّنَاهُ ، وإذا أدبر حميناه .

[أحظى النساء عند المهدي]

ودخل عبدُ الله بن مصعب الزبيري على المهدي ، فقال : ويحك يا زبيري ؛
دَخَلْتُ على الخيزران ، فلما قامت لِتُصْلِحَ من شأنها نظرت (٢) إلى حُسْنَةِ ! فقلت :
يا أمير المؤمنين ؛ أدركك في ذلك ما أدرك الخزومي حيث قال :
بينما نحن بالبَلَاكِشِ بالقاعِ سِرَاعاً والعِيسُ تهوى هَوِيًّا

(١) في نسخة « في حصول التريد » (م) (٢) الجلم - يا لتجريك - المقص (م)

(٣) نسخة « وترويه العبة » بالعين المهملة (م)

خطرت خَطْرَةً على القلب من ذكـراك وَهَنًا فما استطعت مُضِيًّا
قلت : لبيك إذ دعاني لك الشَّوْقُ ق وللحادِثِينَ كُرًّا المَطِيًّا
فأمر فرفعت الستور عن حُسْنَةِ .

ثم قال لى : يا زبيرى ، واسوأناه من الخيزران ! ثم اثنى راجعاً إليها
فقلت : يا أمير المؤمنين ، أدركك فى هذا ما أدرك جميلاً^(١) حيث يقول :
وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ شَغْبًا إِلَى بَدَأٍ إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادُ سَوَاهِمَا
حَلَلْتِ بِهِمْ هَذَا حَلَّةً ثُمَّ حَلَّةً بِهِمْ هَذَا فُطَابِ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا
فدخل على الخيزران ، فما لبث أن خرج ؛ قال الزبيرى : فدخلت ، فقال
أنشدنى فأنشدته لصخر بن الجعد :

هَنِيئًا لِكَأْسٍ جَذُّهَا الْخَبْلَ بَعْدَمَا عَقَدْنَا لِكَأْسٍ مَوْثِقًا لَا نَخُونَهَا
وَإِشْمَاتُهَا الْأَعْدَاءُ لِمَا تَأَلَّبُوا حَوَالِيَّ وَاشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضَعْفُونَهَا
فَإِنْ تَصْبِحُنِي وَكَلَّتْ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ وَأَشْمَتُ أَعْدَائِي فَقَرَّتْ عَيْنُونَهَا
فَإِنْ حَرَامًا أَنْ أَخُونَكَ مَا دَعَا بِيَلِيلٍ قُمْرَى الْحَمَامِ وَجُونَهَا^(٢)
وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ النَّهَارَ ، وَمَا دَعَتْ عَلَى فَنَنْ وَرَفَاءَ شَاكٍ رَنِينَهَا^(٣)
فأمر لى على كل بيت بألف دينار ، وكانت الخيزران وحسنة أحظى النساء
عند المهدي .

[وصف غلام] .

ووصف اليوسفى علما فقال : كان يعرفُ المراد بِاللَّحْظِ ، كما يعرفه بِاللَّفْظِ ،
وَيُعَايِنُ فِي النَّظَرِ ، مَا يَجْرَى فِي الْخَاطِرِ^(٤) ، أَقْرَبَ إِلَى دَاعِيهِ ، مِنْ يَدِ مُعَاظِيهِ ؛

(١) نسب أبو تمام هذين البيتين إلى كثير ، ونسب أولهما إلى كثير فى نعيهم البكرى (م)

(٢) يليل : اسم واد (م) (٣) فى نسخة « زنينها » (م)

(٤) فى نسخة « ما يحوى الخاطر » (م)

حديدُ الذهن ، ثاقبُ الفهم ، خفيفُ الجسم ، يُغنيك عن الملازمة ، ولا يحوجك إلى لاستزادة .

وقال أبو نواس :

ومنتظرٍ رَجَعَ الحديثُ بِطَرَفِهِ إذا ما انثنى من لينه فَضَحَ الغُضُنَا
إذا جعلَ اللَّحْظَ الخَفِيَ كَلَامَهُ جعلت له عيني لتفهّمهُ أَذُنَا
وقال :

وإلى لَطَرَفِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ فقد كدت لا يَخْفَى عَلَى ضَمِيرٍ
وقد طرق هذا المعنى وإن لم يكن منه [من قال] :
بَلَوْتُ أَخِلَاءَ هَذَا الزَّمَانِ فَأَقْلَلْتُ بِالْهَجْرِ مِنْهُمْ نَصِيبِي
وكلُّهُمْ إن تصفّحه ———
تَفَقَّدَ مَسَاقِطَ لَحْظِ الْمَرِيبِ فإن العيونَ وجوهُ القلوبِ
وهو كقول المهدي :

ومطلع من نفسه ما يَسْرُهُ عليه من اللحظ الخفي دليلُ
إذا القلبُ لم يُبْدِ الذي في ضميرِهِ ففي اللَّحْظِ والألفاظِ منه رَسُولُ

[بين خالد بن صفوان وعلى بن الجهم]

ودخل خالد بن صفوان على بن الجهم بن أبي حذيفة فألقاه يريد الركوب
فقرَّب إليه حمار ليركبه ، فقال خالد : أما علمت أن العير^(١) عار ، والحمار شَنَار ،
مُنْكَر الصوت ، قبيح الفَوْت ، مُتَزَلِّج^(٢) في الضَّحَل ، مرتطم في الوحل ، ليس
بركوبة غل ، ولا بمطية رَحْل ، راكبه مَقْرَف^(٣) ، ومسايره مُشْرِف .
فاستوحش ابن أبي حذيفة من ركوب الحمار ونزل عنه ، وركب فرساً ودُفِعَ
الحمار إلى خالد فركبه ، فقال له : ويحك يا خالد ! أَتَنْتَهَى عن شيء وتأتى مثله ؟
فقال : أصلحك الله ! عَيرٌ من بنات السُّكْرُبال^(٤) ، واضح السربال ، مختلج

(١) العير - بالفتح - الحمار (م) (٢) في نسخة « مرتج في الضحل » (م)

(٣) مقرف : معرض للتهمة (م) (٤) السكربال : كورة من كور فارس (م)

القوائم^(١) ، يحمل الرجل ، ويبلغ العقبة ، ويمعنى أن أكون جباراً عنيداً ،
إن لم أعترف بمكانى فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين .

[كَرُّ الحَدَثَانِ]

قال ابن دأب : خرجت مع بعض الأمراء فى سفر إلى الشام ، فمرّ بى رجل
كنت أعرفه حسن الحال من أصحاب الأموال الظاهرة فى حال رثة ، فسلم علىّ
فقلت : ما الذى غيّر حالك ؟ فقال : تنقلُ الزمان ، وكُرُّ الحَدَثَانِ ؛ فأثرت الضرب
فى البلدان ، والبعد عن المعارف والخُلان ، وقد كان الأمير الذى أنت معه صديقاً لى
فاخترت البعد من الأشكال ، حين حصّنى^(٢) الإقلال ، واستعملت قول الشاعر :

سأُعمل نصّ العيس حتى يكفّنى غنى المال يوماً أو غنى الحَدَثَانِ^(٣)
فللموت خير من حياة يرى لها على المرء ذى العلياء مسّ هوان
متى يتكلم يبلغ حكم كلامه وإن لم يقل قالوا عديم بيان
كان الفتى فى أهله بورك الفتى بغير لسان ناطق بلسان

قال ابن دأب : فلما اجتمعنا مع الأمير فى المنزل وصفت له الرجل ،
فقال لى : ويحك ! اطلبه حتى أصلح من حاله ، فطلبته فأعوزنى .

[من قولهم فى الرثاء]

لأبى الشيص

وقال أبو الشيص يرثى [قتيلا] :

خَتَلَتْهُ المنونُ بعدَ اختيالٍ بينَ صفّينِ من قنّا ونصّالٍ
فى رداء من الصفيح صَقِيلٍ وقميص من الحديد مُذَالٍ^(٤)

(١) فى نسخة « محكم القوائم » وفى أخرى « محملج » ولعله محرف عن « مهملج » (م)
(٢) حصنى - بالحاء المهملة - قص جناحى ، والإقلال : الفقر ، وفى نسخة
« حصنى » بالحاء المعجمة (م) (٣) نص العيس : سيرايل ، ونص فلان ناقته : أى
سيرها أقصى ما تستطيع من السير (٤) رداء من الصفيح : أراد السيف ، وقميص
من الحديد : أراد الدرع ، ومذال : طويل (م)

لحارثة بن بدر
العداني

وقال حارثة بن بدر العداني يرثي زيادا :

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى قَبْرِ وَطْهَرَهُ عِنْدَ الثَّوْبَةِ يَسْفِي فَوْقَهُ الْمَوْرُ^(١)
تَهْدِي إِلَيْهِ قَرِيشٌ نَعَشَ سَيِّدَهَا فَمَّ حَلَّ النَّدَى وَالْعَزُّ وَالْخَيْرُ^(٢)
أَبَا الْمَغِيرَةِ وَالْدُنْيَا مَفْجَعَةٌ وَإِنَّ مَنْ غَرَّتْ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ عَارِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنَّكَرَاءِ تَنْكِيرُ
وَكُنْتَ تُغَشِّي فَتُعْطِي الْمَالَ مِنْ سَعَةٍ فَالآنَ بَابُكَ أَمْسَى وَهُوَ مَهْجُورُ
وَلَا تَلِينَ إِذَا عَوِشْتَ مَعْتَسِرًا وَكَانَ أَمْرُكَ مَا يُوسِرْتَ مَيَسُورُ
لَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ مُذْغِيبَتِ فَتَيْتِهِمْ وَلَمْ يُجَلِّ ظِلَامًا عَنْهُمْ نُورُ^(٣)
فَالنَّاسُ بَعْدَكَ قَدْ خَفَّتْ حُلُومُهُمْ كَأَنَّمَا نَفَخْتَ فِيهَا الْأَعَاصِيرُ
أَخَذَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ قَوْلِ مَهْلِلِ بْنِ رَبِيعَةَ فِي أَخِيهِ كَلِيبٍ، وَكَانَ إِذَا انْتَدَى^(٤)

لَمْ تَحَلْ حَبْوَتَهُ ، وَلَمْ يَنْطِقْ أَحَدٌ إِلَّا بِحَبِيئًا لَهُ ، إِجْلَالًا وَمَهَابَةً :

أَنْبَثْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدَتْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ
وَتَحَدَّثُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا أَمْرَهُمْ لَمْ يَنْبَسُوا

من أخبار
حارثة بن بدر

وَكَانَ حَارِثَةُ ذَا بَيَانٍ وَجَهَارَةٍ [وَأَدَبٌ] ، وَكَانَ شَاعِرًا عَلِيمًا بِالْأَخْبَارِ [وَالْأَنْسَابِ] ، وَكَانَ قَدْ غَلَبَ عَلَى زِيَادٍ ، وَكَانَ حَارِثَةُ مِنْهُومًا فِي الشَّرَابِ ، فَغَوَتْ زِيَادٌ فِي الْاسْتِثْنَاءِ بِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَطْرَحُ رَجُلًا يُسَايِرُنِي مَذْخَلَتِ الْعِرَاقِ ، وَلَمْ يَصُكِّكَ رِكَابُهُ رِكَابِي ، وَلَا تَقْدَمْنِي فَنظَرْتُ إِلَى قَفَاهُ ، وَلَا تَأْخُرْ عَنِّي فَلَوِيتُ عَنْقِي إِلَيْهِ ، وَلَا أَخْذُ عَلَى الشَّمْسِ فِي شِتَاءِ قَطٍ ، وَلَا الرِّيحَ فِي صَيْفٍ ، وَلَا سَأَلْتُهُ عَنْ بَابٍ فِي الْعِلْمِ إِلَّا قَدَّرْتُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ غَيْرَهُ .

وَقَالَ لَهُ زِيَادٌ : مَنْ أَخْطَبَ ؟ أَنَا أَمْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : الْأَمِيرُ أَخْطَبَ إِذَا تَوَعَّدَ

(١) يسفي : يثور ، والمور : التراب (م) . (٢) الخير - بكسر الخاء -

الشرف والكرم (م) . (٣) في نسخة « لم يعرف الناس مذ غيب فتنتهم » (م) .

(٤) انتدى : جلس في الندى ، وهو مجتمع القوم للسمر والمشورة (م) .

(٦ - زهر الآداب ؛

أو وعد، وبرق ورعد، وأنا أخطبُ في الوفاة، والثناء، والتعجير، وأنا أكذب
إذا خطبت، وأحشو كلامي بزيادات [مليحة] شهية، والأمير يقصد إلى الحق،
وميزان العدل، ولا يزيدُ في كلامه، ولا ينقص منه.

فقال له زياد: [قاتلك الله!] لقد أجدتَ تخليص صفتي وصفتك.

ولما مات زياد جفاه عبيدُ الله [ابنه]، فقال [له حارثة: أيها الأمير، ما هذا
الجفاء مع معرفتك بالخال عند أبي المغيرة؟ فقال له عبيد الله]: إن أبا المغيرة بلغ
مبلغاً لا يلحقه فيه عيب، وأنا أنسبُ إلى من يغلبُ على، وأنت تُدِيمُ الشراب،
وأنا حديثُ السن؛ ففتى قرّبتك فظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يُظنَّ بي
[ذلك]، فدع الشراب وكن أول داخل وآخر خارج.

فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضرى ونفمي، أأدعه للحال عندك؟
ولكن صرّفتني في بعض أعمالك. فولّاه سُرّق من بلاد الأهواز.

وقال أبو الأسود الدؤلي، وكان صديقاً لحارثة: (١)

لأبي الأسود
في حارثة
بن بدر

أحار بن بدر قد وليت ولايةً فكن جُرْداً فيها تحون وتسرق
ولا تدعن للناس شيئاً تصيبه فحظك من ملك العراقين سرق
فما الناس إلا قائل فمكذب يقول بما يهوى وإما مصدق
يقولون أقوالاً بظن وهممة فإن قيل هاتوا حقائقاً لم يحققوا
فقال له حارثة:

جزاك إلهُ العرش خيراً جزائه فقد قلت معروفًا وأوصيت كافياً
أمرت بشيء لو أمرت بغيره لألفيتني فيه لأمرك عاصياً

جواب
حارثة بن بدر

(١) هذا الشعر قد رواه ابن قتيبة في الشعر، ونسبه إلى أنس بن أناس الكناني
الدؤلي، وهو من رهط أبي الأسود الدؤلي (م).

[وصف امرأة]

قال الأصمعي : سمعت امرأة من العرب تصفُ امرأةً وهي تقول : سَطْعَاءُ
بَضَّةٌ ، بِيضَاءُ غَضَّةٌ ، دَرَمَاءُ رَخْصَةٌ ، قَبَاءُ طَفْلَةٌ ، تَنْظُرُ بَعِيْنِي شَادِنٌ ظَمَانٌ ،
وتبسّم عن مُنَوَّرِ الْأَقْحَوَانِ ، فِي غَبِّ التَّهْتَانِ ، وتشير بأَسَارِيعِ السَّكْمَانِ ، خلقتها
عميمٌ ، وكَلَامُهَا رَخِيمٌ ، فهي كما قال الشاعر :

كَأَنَّهَا فِي الْقُمْصِ الرِّقَاقِ مُنْخَةً سَاقٍ بَيْنَ كَفَيْ سَاقٍ^(١)

أَعْجَلَهَا الشَّوَى عَنِ الْإِحْرَاقِ

ووصف أعرابي امرأةً يحبّها فقال : هي زينة [في] الحضور ، وباب من
أبواب الشُّرُور ، ولَذَّكَرْهَا فِي الْمَغِيبِ ، والبعد من الرقيب ، أَشْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ
وَلَدٍ وَنَسِيبٍ ، وبها عرفت فضل الحور العين ، واشتقتُ بها إِلَيْهِنَّ يَوْمَ الدِّينِ .

[من كلام الأعراب]

وسئل أعرابي عن سفر أ كْدَى فِيهِ ، فقال : مَا غَنَمْنَا إِلَّا مَا قَصَرْنَا مِنْ
صَلَاتِنَا ، فَأَمَّا مَا أَكَلْتُهُ مِنَ الْمَوَاجِرِ ، وَلَقِيْتُهُ مِنَ الْأَبَاعِرِ ، فَأَمْرٌ اسْتَخَفَّنَاهُ ،
لَمَّا أَمَلْنَاهُ .

وقال عبد قيس بن حُفَافِ الْبُرْجِيِّ لِحَاتِمِ الطَّائِي ، وقد وَفَدَ عَلَيْهِ فِي دِمَاءِ
حَمَلِهَا ، قَامَ بِيَهْضُهَا وَعَجَزَ عَنْ بَعْضِ : إِنِّي حَمَلْتُ دِمَاءَ عَوَّلْتُ فِيهَا عَلَى مَالِي
وَأَمَالِي ، فَأَمَّا مَالِي فَقَدَّمْتُهُ ، وَكَمَنْتُ أَكْبَرَ أَمَالِي ، فَإِنْ تَحَمَّلْنَاهَا فَسَكَمَ مِنْ حَقٍّ
قَضَيْتُ ، وَهَمَّ كَفَيْتُ ، وَإِنْ حَالَ دُونَ ذَلِكَ حَانِلٌ لَمْ أَذْمَمْ يَوْمَكَ ، وَلَمْ آيَسْ
مِنْ غَدِكَ .

وقيل لأعرابي : لَمْ لَا تَضْرِبُ فِي الْبِلَادِ^(٢) ؟ فقال : يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ طِفْلُ بَارِكٍ ،
وَلِصٌّ سَافِكٌ ، ثُمَّ إِنِّي لَسْتُ مَعَ ذَلِكَ وَاقِعًا بِنُجُوحِ طَلِبَتِي ، وَلَا مَعْتَقِدًا بِقَضَاءِ

(١) ساق الأول : هو ما بين الركبة والقدم ، والثاني هو الذي يطوف بالشراب (م)

(٢) لا تضرب في البلاد : لا تسافر (م) .

حاجتي ، ولا راجياً عطف قرابتي ؛ لأنني أقدم على قوم أطغاهم الشيطان ، واستمالهم السلطان ، وساعدهم الزمان ، وأسكرتهم حداثة الأسنان .

وخرج المهدي بعد هذأة من الليل يطوفُ بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تقول : قوم متظلمون ، نَبَتْ عنهم العيون ، وفدَحَتهم الدُّيون ؛ وعَضَّتْهم السنون ، بَادَ رجالهم ، وزهبت أموالهم ، وكثر عيالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق^(١) ، وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمرٌ بخير ، كلاًه الله في سقره ، وخلفه في أهله . فأمر نصراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

[من مقامات البديع]

المقامة
الأزادية

ومن إنشاء البديع في مقامات أبي الفتح الإسكندري : حدثني عيسى بن هشام قال : كنت ببغداد ، في وقت الأزاذ^(٢) ؛ فخرجتُ إلى السوق أعتام^(٣) من أنواعه ، لا بتياعه ، فسرتُ غير بعيد إلى رجل قد أخذ أنواع الفواكه وصَفَّها ، وجمع أنواع الرُّطَب وصَفَّها ؛ فقبضتُ من كل شيء أحسنه ، وقرضتُ من كل نوع أجوده ؛ وحين جمعتُ حواشي الإزار ، على تلك الأوزار ، أخذتُ عيناى رجلا قد لفَّ رأسه [ببرقع] حياء ، ونصب جسده ، وبسط يده ، واحتضنَ عياله ، وتأبَّط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره ، والحرَضَ في ظهره :

ويلي على كَفَيْن من سَوِيْقٍ أو شَحْمَةٍ تُضْرَبُ بالدقيقِ
أوقصة تُمْلَأ من خِرْدِيْقٍ تَفَنُّأُ عَنَّا سَطَوَاتِ الرِّيْقِ
تُقيِمُنَا عَنْ مَنَهْجِ الطَّرِيقِ يَارَازِقِ الثَّرْوَةِ بَعْدَ الضِيقِ
سَهْلٌ عَلَى كَفِّ فَنِّي لَبِيقِ ذِي حَسْبٍ فِي كَجْدِهِ عَرِيقِ

(١) أنضاء : جمع نضو - بكسر النون - وهو المهزول (م) .

(٢) الأزاذ : ضرب من التمر (م) . (٣) أعتام : اختار (م) .

يُهدى إلينا قدم التوفيق يُنْقِذَ عَيْشِي من يد الترنيد
قال عيسى بن هشام : فأخذتُ من فاضل الكيس أخذَةً وأَنْلَتُهُ إياها، فقال :
يا من حَبَّأَنِي بِجَمِيلِ بَرِّهِ أَفْضَى إِلَى اللَّهِ بِحُسْنِ سِرِّهِ
واستحفظ اللهَ جَمِيلَ سِرِّهِ إِنْ كَانَ لَا طَقَاةَ لِي بِشُكْرِهِ
فَاللَّهُ رَبِّي مِنْ وَرَاءِ أَمْرِهِ

قال عيسى بن هشام : فقلت : إِنْ فِي الْكَيْسِ فَضْلاً، فَأَبْرُزْ لِي عَنْ بَاطِنِكَ
أَخْرِجْ لَكَ عَنْ آخِرِهِ ، فَأَمَّا طِلْثَامُهُ ، فَإِذَا شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ السَّكَنْدَرِي ، فقلت :
ويحك ! أَي دَاهِيَةٍ أَنْتَ ؟ فقال :

نُقْضَى الْعُمْرُ تَشْبِيهَا عَلَى النَّاسِ وَتَمْوِيهَا
أَرَى الْأَيَّامَ لَا تَبْقَى عَلَى حَالٍ فَأَحْكِيهَا
فِيَوْمَا شَرُّهَا فِي وَبَوْمَا شَرِّتَنِي فِيهَا

[من رسائل بديع الزمان]

وسأل البديع أبا نصر بن المرزبان - عاريةً - بعضَ ما يَتَجَمَّلُ بِهِ ، فَأَمْسَكَ عَنْ
إِجَابَتِهِ ؛ فَأَعَادَ الْكِتَابَ إِلَيْهِ بِمَا نَسَخْتُهُ :

لَا أَزَالُ - أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَقَاءَ مَوْلَانَا الشَّيْخِ ! - أَسْوَأَ الْإِتْقَادِ ، وَحَسْنَ
الْإِعْتِقَادِ ، أَمْسَحُ جَبِينَ الْحَجَلِ ، وَأَمُدُّ يَمِينَ الْعَجَلِ ، وَلِضَعْفِ الْحَاسَةِ ، فِي الْفِرَاسَةِ ،
أَحْسِبُ الْوَرَمَ شَخْمًا ^(١) ، وَالسَّرَابَ شَرَابًا ، حَتَّى إِذَا تَجَشَّمْتُ مَوَارِدَهُ ، لِأَشْرَبَ
بَارِدَهُ ، لَمْ أَحِذْ شَيْئًا .

وَمَا حَسِبْتُ الشَّيْخَ سَيْدِي مِنْ تَعْنِيهِ ^(٢) هَذِهِ الْجُمْلَةُ حَتَّى عَرَضْتُ عَلَى النَّارِ عَوْدَهُ ،
وَنَشَرْتُ بِالسُّوَالِ جُودَهُ ، وَكَبَّتْهُ أَسْتَعِيرَهُ حَلِيَّةُ جَمَالٍ ، سَحَابَةُ يَوْمٍ أَوْ شَطْرَهُ ،
بَلْ مَسَافَةً مِيلٍ أَوْ قَدْرَهُ ، فَقَاصُ فِي الْفِطْنَةِ غَوْصًا عَمِيقًا ، وَنَظَرٌ فِي الْكَيْسِ

(١) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْشَى :

أَعْيَدَهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمْنُ شَحْمَهُ وَرَمَ (م)

(٢) فِي نَسْخَةِ « مَنْ تَجَبَّنَهُ » (م) .

نَظَرًا دَقِيقًا ، وقال : هذا رجل مشحوذ المذنية ، في أبواب الكُدَيَّة^(١) ، قد جعل استعارة الأَعْلَاق طريقَ افتراسها ، وسبب احتباسها ، وقد مَنَى ضِرْسَهُ ، وَحَدَّثَ بِالْحَالِ نفسه ، ولا لطيفة في هذا الباب ، أحسن من التغافل عن الجواب ، فَضْلًا عن الإيجاب ، وكلاهما في أبواب الردِّ أَفْبَحُ مما قرع ، ولا في شرائع البخل أوحش مما شرع ؛ ثم العُدْرَ له من جهتي مبسوط إن بسطه الفضل ، ومقبول إن قَبِلَ المجد ، وإنما كاتِبَتُهُ لأعيد الحال القديمة ، وأُشْرَطَ له على نفسه أن أَرْجِيهِ من سَوْمِ الحاجات من بعد ، فمن لم يَسْتَعْنِ من « أَعْطِنِي » ، لم يَسْتَعْنِ له من « أَعْفَنِي » ؛ وعلى حسب جوابه أجرى المودة فيما بعد ، فإن رأى أن يجيبَ فعل إن شاء الله .

وله إلى سهل بن محمد بن سليمان :

أنا إذا طويت عن خِدْمَةِ مَوْلَايَ - أطال الله بقاءه - يوماً لم أرفع له بَصْرِي ، ولم أعدّه من عمرى ، وكأنى بالشيخ - أعزه الله - إذا أغفلت مفروض خِدْمَتِهِ ، من قصدِ حضرته ، والاثْمُولِ في حاشيته ، وجملة غاشيته ، يقول : إن هذا الجامع لما شَبَعَ تَضَلُّعٌ ، واكتسب وتلفّع ، وتجلّل وتَبَرَّقَعَ ، تَرَبَّعَ وترَفَّعَ ، فما يطوف بهذا الجناب ، ولا يظهُرُ بهذا الباب ؛ وأنا الرجل الذى آواه من قَفَرٍ ، وأغناه من قَفَرٍ ، وآمنه من خَوْفٍ ، إذ لا حَرَّ بوادى عَوَفٍ ؛ حتى إذا وردت عليه رُفْعَتِي هذه ، وأعارها طَرَفَ كَرَمِهِ ، وطَرَفَ شَيْمِهِ ، ونَظَرَ في عنوانها اسْمِي قال : بُعْدًا وسَحَقًا ، [وسبًا وتبًا] وحتّوا نَحْتًا ، وطَمَعْنَا ولَعْنًا ، فما أكَذِبَ سَرَّابَ أخلاقه ، وأكثُرَ أَسْرَابِ نفاقه ، فالآن انْحَلَّ من عقْدته ، وانْتَبَهَ من رَقْدَتِهِ . وكاتبني يستعيدنى ، كَلَّا لَا أَرْوِجُهُ الرِّضَا ولا قَلَامَهُ ، ولا أَمْنَحُهُ الْمُنَى ولا كَرَامَةَ ، بل أدعُه يركب رَأْسَهُ ، ويُقَاسِي أنْفَاسَهُ ، فستأْتينى به الليالى ، والكيس الخالى ، ثم أَرِيهِ مِيزَانَ قَدْرِهِ ، وأَذِيقَهُ وبالَ أَمْرِهِ ، حتى

كتاب منه
إلى سهل
ابن محمد

إذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال : مَأْرُبَةٌ لَا حَفَاوَةَ ، وَوَطْرَ سَاقِهِ ، لَا نِزَاعَ شَاقَهُ ^(١) ، فهذا بَدْءٌ ، ولا أبعاد من تلك الهمم العالية ، والأخلاق السامية أن يقول : مرحباً بالرقعة وكتابها ، وأهلاً بالمخاطبة وصاحبها [وقضاء الحاجة بإتحائها ، وإبرازها ، وهى الرقعة التى سألت إلى من التمسته ، كما اقترحت بما طالبت به ، فرأيتُ فيه موفقاً إن شاء الله تعالى] .
وله أيضاً إلى بعض الرؤساء يسأله إطلاق محبوس [بسببه] .

الشيخ - أطال الله بقاءه - إذا وصل يدي بيده لم ألس الجوزاء إلا قاعداً ، كتب منه إلى بعض الرؤساء وقد نَاطَهَا مِنَّةٌ فى عُنُقِ الدهر ، وصاغها إكليلاً لجبين الشكر . وما أَقْصَرَ يَدِي عن الجزاء ، واسأنى عن الثناء . وهذا الجاهلُ قد عرف نفسه ، وقلع ضرره ، ورأى ميزان قَدْرِهِ ، وذاق وبال أمره ، وجهز إلى كتيبة عجائز عاجزات ^(٢) ؛ فَأُطْلِقْنَ العويل والأليل ، وبعثنى شفيعاً إلى ، واستعنن بى على ، وتوسلن بكلمة الاستسلام ، ولحمة الإسلام . فى فَكِّ هذا الغلام ؛ فإن أحبَّ الشيخُ أن يجمع فى الطَّوْلِ بين الحوض والكوتر ^(٣) ، وينظم فى الفَصْلِ ما بين الروض والمطر ، شفّع فى إطلاقه مَكَارِمِهِ ، وشرّف بذلك خادمه ، وأنجزنا بالإفراج عنه ، مُوَفَّقاً إن شاء الله تعالى .

[عفو عن ذى جريرة]

المأمون وقال رجل لإبراهيم بن المهدي : اشفع لى إلى أمير المؤمنين فى فك أخى من حبسه ، وكان محبوساً فى عِدَادِ الْعَصَاة ، فقال للمأمون : ليس للعاصى بعد القُدْرَة عليه ذَنْبٌ ، وليس المصائب بعد الملك عذر ^(٤) . فقال : صدقت ؛ فما طَلَبْتِكَ ؟ قال : فلان هَبْه لى . قال : هو لك .

(١) نزاع : أراد به نزوع القلب إليه ، وشاقه : أعجبه ، والمراد أنه إنما بعثه على الكتابة الحاجة إليه لا المحبة (م) .

(٢) فى نسخة « عجائز فاجرات » ولا يتفق مع موضوع الكتاب (م) .

(٣) فى نسخة « فى الطول إزاء الحوض إلى العفر » (م) .

(٤) فى نسخة « وليس للعاتب بعد ذلك عليه عذر » .

وسأل أبو عبادة أحمد بن أبي خالد أن يطلق له أسارى ، ففعل ، فقال له : قد فككنا أسراك . فقال : لا فكك الله رقاب الأحرار من أيديك !

الفاظ لأهل العصر في التهنئة بالإطلاق من الأسر

الحمد لله حمد الإخلاص ، على حسن الخِلاص ، الذي أفضى بك من ذلة رِق ، إلى عزة عتق ، ومن تضليمة جحيم ، إلى جنة نعيم . خرج من العقال ، خروج السيف من الصقال . خرج من إيساره ، خروج البدر من سياره . الحمد لله الذي فكك أسراً ، وجعل من بعد العسر يسراً . خرج من البلاء ، خروج السيف من الجلاء . قد جعل الله لك من مضايق الأمور مخرجا نجحاً ، ومن مغالقات الأهوال مخرجاً فسيحاً^(١) .

[أبو نواس يمدح الأمين]

مدح أبو نواس الأمين محمداً في [أول] خلافته بقصيدته التي يقول فيها :

أقول والعيسُ تعرّوْرى الفلاة بنا صُغر الأزيمة من مثنى ووُحْدانِ
ياناق لا تسأى أو تبُلغنى ملكا تقبيلُ راحته والرُّكن سِيَّانِ
مقابلا بين أملاك تفضله ولادتان من المنصور ثنتان
متى تحطى إليه الرَّحْلُ سالمةً تستجِمِّعنى الخلق فى تمثال إنسان

قال [الحسن] : هذا لأن محمداً واده المنصور مرتين من قبل أن أباه هرون الرشيد بن المهدي بن أبي جعفر المنصور ، ومن قبل أن أمه أمة العزيز بنت جعفر ابن [أبي جعفر] المنصور ، وكان المنصور دخل عليها وهى طفلة تلعب ، فقال : ماأنت إلا زُبَيْدة ، فغلب عليها هذا اللقب ، ولم يل الخلافة من أبواه هاشميان غير على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وابنه الحسن ، وأمه فاطمة بنت النبی صلى الله عليه وسلم ، والأمين محمد بن الرشيد .

(١) المسرح : مكان السراح ، وهو الانطلاق والفكاك (م) .

رجع القول — فلما أنشد القصيدة قال : ما ينبغي أن يُسمَعَ مدحك بعد قولك في الخصيب بن عبد الحميد :

إذا لم تَرُزْ أرضَ الخصيب ركابنا فأى فتى بعد الخصيب تزور؟
فتى يشتري حسنَ الثناء بماله ويعلم أن الدائراتِ تدورُ
فما فاته جُودٌ ، ولا حلٌّ دونه ولكن يسيرُ الجود حيث يسيرُ^(١)
فقال : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مدح في الخصيب وغيره فمدح فيك ؛
لأنى أقول ، ثم ارتجل :

ملكْتَ على طير السعادة واليُمْنِ وجاءت لك العلياء مقتبِلَ السنِّ
بمحيا وجود الدين تحييا مهنا بحسن وإحسان مع اليُمْنِ والأَمْنِ
لقد طابت الدنيا بطيب ثنائهِ وزادت به الأيامُ حسناً إلى حُسْنِ^(٢)
لقد فك أرقاب العفاة محمدٌ وأسكن أهل الخوف في كنف الأَمْنِ^(٣)
إذا نحنُ أثنيْنَا عليك بصلحٍ فأنت كما ثنى وفوق الذى ثنى
وإن جرّت الألفاظُ يوماً بمدحةٍ لغيرك إنساناً فأنت الذى نَعْنى
قال : صدقت ، مدحُ عبدى مدح لى ؛ وَوَصَلَهُ وَقَرَّ بِهِ .

وأما قول أبى نواس :

* إذا نحنُ أثنيْنَا عليك بصلحٍ *

فمن قول الخنساء :

فما بلغ المهدونَ للناسِ مدحةً وإن أطنبوا إلا الذى فيك أفضلُ
وما بلغت كفى امرئ متناولاً من المجد إلا والذى نلت أطولُ

(٢) يروى « فما جازه جود . . . ولكن يصير الجود حيث يصير » (م) .

(٢) فى نسخة « بطيب محمد » (م) . (٣) فى نسخة « أغلال العناة » (م)

[بين الأخطل ومعاوية]

وفد الأخطل على معاوية ، فقال : إني قد امتدحُكَ بأبيات فاسمِعها ، فقال :
 إن كنت شَبَّهْتَنِي بالحية ، أو الأسد ، أو الصقر ، فلا حاجةَ لي بها ، وإن كنت
 [قلت] كما قالت الخنساء ، وأنشد البيتين ، فقل . فقال الأخطل : والله لقد
 أحسنتُ ، وقد قلت فيك بيتين ما هما بدونهما ، ثم أنشد :

إِذَا مَتَّ مَاتَ الْعُرْفُ وَانْقَطَعَ النَّدَى فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مَصْرَدٍ
 وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا عَنِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِحُزْنٍ مَجْدَدٍ

* * *

وقول أبي نواس : * وَإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِذْحَةٍ * من قول كثير
 في عبد العزيز بن مروان :
 مَتَى مَا أَقْرَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مِذْحَةٌ فَمَا هِيَ إِلَّا لَابِنِ لَيْلَى الْمَعْظَمِ
 وقال الفرزدق :

وَمَا أَمَرْتَنِي النَّفْسُ فِي رِحْلَةٍ لَهَا إِلَى أَحَدٍ إِلَّا إِلَيْكَ ضَمِيرُهَا
 وَلَمَّا أَنْشَدَ أَبُو تَمَامٍ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ قَصِيدَتَهُ :
 * سَقَى عَهْدَ الْحَيِّ صَوْبُ الْعِيَادِ *

وانتهى إلى قوله :

وَمَا سَأَفَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكِ رَاحِلَتِي وَزَادِي
 مُقِيمُ الظَّنِّ عَنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَعْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
 قال له ابن أبي دُوَادٍ : هذا المعنى لك أو أخذته ؟ قال : هُوَ لِي ، وقد أَلَمْتُ
 فيه بقول أبي نواس :

وَإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِذْحَةٍ لَغَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي
 وَأَخَذَهُ الْمُتَنَبِّي فَقَالَ :

أَشْرَتْ أَبَا الْحَسَنِ بِمَدْحِ قَوْمِهِ نَزَلَتْ بِهِمْ فَرَحَتْ بِغَيْرِ زَادٍ
وَعَظَّمُونِي مَدْحَتَهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتَهُمْ مُرَادِي
وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ : « وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ - الْبَيْتِ » فَمِنْ قَوْلِ الْمُتَنَقِّبِ
الْعَبْدِيِّ ، [وَذَكَرَ نَاقَتَهُ] :

إِلَى عَمْرٍو بْنِ حَمْدَانَ أَبِي بِنِي أَخِي النَّجْدَاتِ وَالْمَجْدِ الرَّصِينِ ^(١)

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ : * فَمَا فَاتَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ * الْبَيْتِ ، فَمِنْ قَوْلِ
الشَّعْرَبِيلِ بْنِ شَرِيكَ | الْبِرْبُوعِيِّ :

مَا قَصَّرَ الْمَجْدَ عَنْكُمْ يَا بَنِي حَكَمٍ وَلَا نَجَاوَزَكُمْ يَا آلَ مَسْعُودٍ
يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّتُمْ لَا يَرِيحُكُمْ مَا عَاقَبَ الذَّهْرَيْنِ الْبَيْضَ وَالسُّودَ ^(٢)
إِنْ يَشْهَدُوا يَوْجِدَ الْمَعْرُوفَ عِنْدَهُمْ خِدْنًا وَلَيْسَ إِذَا غَابُوا بِمَوْجُودٍ
وَقَدْ قَالَ السَّكْمِيَّةُ الْأَسَدِيُّ :

بِسْمِ اللَّهِ أَبَانَ قَرِيعَ السَّمَاءِ حَ وَالْمُسْكِرَاتِ مَعَا حَيْثُ سَارَا

وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ أَيْضًا :

* فَتَنِي يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ *

مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الرَّاعِي :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ إِذَا مَا اشْتَرَى الْمَخْزَاةَ بِالْمَجْدِ يَبْهَسُ
[بَيْنَ السَّفَاحِ وَأَبَى نُحَيْلَةَ]

دَخَلَ أَبُو نُحَيْلَةَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَاحِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْإِنْشَادِ ، فَقَالَ :
لَعَنَكَ اللَّهُ ! أَلَسْتَ الْقَائِلَ لِمُسَامَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

أَمْسَامَةُ يَا نَجْلَ خَيْرِ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الْهَيْجَاوِ يَا جَبَلَ الْأَرْضِ

(١) فِي نَسْخَةِ «إِلَى عَمْرٍو وَمِنْ عَمْرٍو أُتِنِي» (م)

(٢) لَا يَرِيحُكُمْ : لَا يَفَارِقُكُمْ ، وَالْبَيْضُ : الْأَيَّامُ ، وَالسُّودُ : اللَّيَالِي (م)

شكرتك إنَّ الشكر حَبْلٌ من التقي وما كلُّ من أوليته نعمةً يقضى
وألقيت لِمَا أن أتيتك زائراً على لحافٍ سابغٍ الطول والعرض
ونبئت من ذكرى وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض
ثم أمره بأن ينشد ، فأنشده أرجوزة يقول فيها:

كنا أناساً نرهَبُ الهَلَّاكَ ونركب الأعجَاز والأوراكا
وكل ما قد مرَّ في سواكا زورٌ، وقد كفرَ هذا ذاكا
واسم أبي نخيلة الجنيد بن الجون ، [وهو مولى لبني حماد] ، كان مقصداً
راجزاً .

قيل للخنساء : لئن مدحت أخاك لقد هجوت أباك ! فقالت :

جاري أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحُضر^(١)
حتى إذا جدد الجراء وقد ساوى هناك القدر بالقدر^(٢)
وعلا صياح الناس : أيهما ؟ قال الحبيب هناك : لا أدري
برقت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أن يساويه لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا صقران قد خطا على وكر
وقيل لأبي عبيدة : ليس هذا في شعر الخنساء . فقال : العامة أسقط من أن
يجاد عليها بمثل هذا .

وقد أحسن البحترى في نحو هذا ؛ إذ يقول في يوسف بن أبي سعيد ،
[ومحمد] بن يوسف الطائي :

جدُّ كجد أبي سعيد إنه ترك السهاك كأنه لم يشرف

(١) الحضر - بالضم - شدة عدو الفرس (م) .
(٢) الجراء - بكسر الجيم - جرى الفرس (م) .

قامت به أخلاقه وهى الردى للمعتدى وهى الندى للمعتقى
وإذا جرى فى غايةٍ وجَرِيَتْ فى أخرى النقى شأوا كما فى المنصف^(١)

قول الخنساء : * يتعاوران ملاءة الحضر *

أبرع استعارة ، وأنصع عبارة ، وقد قال عدى بن الرقاع :

يتعاوران من العُبَار ملاءةً غبراء محكمة هما نَسَجَاهَا
تطوى إذا وردا مكاناً جاسيا فإذا السنايك أسهلت نَشَرَاهَا^(٢)
وإلى هذا أشار الطائى فى قوله :

تثِيرُ عَجَاجَةً فى كل ثَغِيرٍ يهيمُ بها عدىُّ بنُ الرِّقَاعِ

وأول من نظر إلى هذا المعنى شاعر جاهلى من بنى عقيل^(٣) فقال :

ألا يا ديارَ الحَيِّ بالسُّبُعَانِ عَفَّتْ حِجْبُجَا بعدى وهُنَّ ثَمَانِ

فلم يبق منها غيرُ نُؤْيٍ مَهْدَمٍ وغيرُ أَثَافٍ كالرُّكِيِّ رِعَانِ

وآيات هاب أ ورق اللون سافرت به الريحُ والأمطارُ كل مكان^(٤)

فَقَارَ مَرَوْرَةَ تحارُبها القطا وتمشى بها الجابان تقتربان^(٥)

يثيران من نَسِجِ الغبار عليهما قيصين أسمالاً ويرتديان

ومن مستحسن رثاء الخنساء ولبنى وغيرهما من النساء

من رثاء
الخنساء

قال أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى : أنشد أبو السائب الخزومى قول

الخنساء :

وإنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحَارُ

(١) الشاؤ : الأمد والغاية ، والمنصف : النصف ، يريد نصف الطريق (م) .

(٢) فى نسخة « إذا وردا مكانا ناشزا » (م)

(٣) ينسب بعض الناس هذا الشعر لابن أحرر ، وبعضهم ينسبه لابن مقبل (م) .

(٤) فى نسخة « وآيات آب » (م) .

(٥) فى نسخة « ويمشى بها الجامان يعتركان » (م) .

وإن صخرًا لتأتمُّ الهداةُ بهِ كأنه علمٌ في رأسه نَارٌ
فقال : الطلاق لي لازم إن لم تكن قالت هذا وهي تتبختر في مشيها ،
وتنظر في عطفها .

من بديع
رثاء الخنساء

ومن مستحسن رثاء الخنساء قولها ترفي أخاها صخرًا :
أذهب فلا يبعدنك الله من رجل مناع ضميم وطلّاب لأوتار
قد كنت فينا صريحاً غير مؤثب مركباً في نصاب غير خوار
فسوف أبكيك ما ناحت مطوّقة وما أضأت نجوم الليل للشاري
أبكي فتى الحى نالت منه منيته وكل نفس إلى وقت بمقدار
وقولها [تعنيه] :

شهاد أنجبة شـ دأد أهية . قطاع أودية للوتر طلابا
سَمَّ العداة وفكّك العناة إذا لاقى الوغى لم يكن الموت هيّابا
يهدى الرّاعيل إذا جار السبيل بهم نهّد التليل لزرق السمر ركابا
[من ترجمة الخنساء ، وليلي الأخيلية]

من أخبار
الخنساء

والخنساء اسمها تماضر بنت عمرو [بن الحارث] بن الشريد بن رياح بن
[يقظة بن عصية بن خفاف] بن امرئ القيس ، وتكنى أم عمرو ، ومصدّق ذلك
قول أخوها [صخر] :

أرى أمّ عمرو لا تملّ عيادتي وملت سليمي مضجعي ومكاني
سليمي : امرأته ، وإنما لقت الخنساء كناية عن الظبية ، وكذلك [تسميتهم]
الذلفاء . والذلف : قصر في الأنف ؛ وإنما يريدون به أيضاً أن ذلك من صفات
الظباء ، وهي أشعر نساء العرب عند كثير من الرواة ؛ وكان الأصمعي يقدم ليلي
الأخيلية ، وهي ليلي بنت عبد الله بن كعب بن ذى الرحالة بن معاوية بن عبادة بن
عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وقيل لها الأخيلية لقول جدها كعب :

نسب ليلي

نحن الأخيـل ما يَزَالُ غلامنا حتى يَدِبَ على العصا مذكورا موازنة بينهما
قال أبو زيد : [هذا البيت لها فسُميت به ، وليلى أغزر بحرا] ، وأكثرتصرفاً ، وأقوى لفظاً ؛ والخنساء أذهب في عمود الرثاء .
قال المبرد : كانت الخنساء وليلى الأخيلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول ،
وقلما رأيت امرأة تتقدم في صناعة ، وإن قل ذلك ، فالجمل ما قال الله تعالى :
« أو من يُنشأ في الحليّة وهو في الخصام غير مبين » .
ومن أحسن المرائى ما خلط فيه مدحٌ بتفجعٍ على المراثى ، فإذا وقع
ذلك بكلام صحيح ، ولهجة معربة ، ونظام غير متفاوت ، فهو الغاية من
كلام الخلقين .

واعلم أن من أجل الكلام قولُ الخنساء :

يا صَخْرُ ورّاد ماء قد تناذره أهلُ المياهِ فما في زورده عارُ
مَشَى السَّبَنَتَى إلى هَيْجَاءٍ معضلة لها سِلَاحَانِ أنيابٌ وأظفارُ^(١)
وما عَجُولُ على بَوٍّ تُطِيفُ به لها حنينان إعلَانٌ وإسْرَارُ
ترتع في غفلة حتى إذا أدّ كَرَّتْ فأبما هي إقبالٌ وإدبارُ^(٢)
يوماً بأَوْجَعِ مني حينَ فارقتي صَخْرُ ، وللعيش إخلاء وإفْرَارُ
لم ترّه جارةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لَرِيبةٌ حينَ يُخْلِى بَيْتَهُ الجارُ
قال : ومن كامل قولها :

فلولا كثرةُ الباكين حـولى على إخوانهم لَقَمْتُ نَفْسِي
وما يَبْكُونُ مثلَ أخِي ، وَلَكِنْ أُسْلَى النَفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِ
يذكرُنِي طلوعُ الشَّمْسِ صَخْرُ وأذكُرُه لِكُلِّ غروبِ شمسٍ

(١) السبنتى - بفتح السين والياء وسكون النون - الجرى ، المقدم ، وهو أيضاً

النمر (م) (٢) حفظى « ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت » (م)

يعنى أنها تذكره أول النهار للغارة ، ووقت المغيب للأضياف .

لابن الرومي

وقد قال ابن الرومي فيما يتعلق بطرف من هذا المعنى :
 رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَجْرَحُ ثُمَّ يَأْسُو وَيُؤَيِّ أَوْ يَعْوِضُ أَوْ يُنَسِّي
 أَبَتْ نَفْسِي الْهَلَاعَ لِرُزْءِ شَيْءٍ كَفَى شَجْوًا لِنَفْسِي رُزْءُ نَفْسِي
 أَتَجَزَّعُ وَحَشَّةً لِفِرَاقِ إِلْفٍ وَقَدْ وَطَنْتُهُمْ لِلْهَلَاكِ رَمْسِ
 وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ تَعَلَّلَ بِالتَّأْسَى بِمَا قَالَ غَيْرُهُ ^(١) ، فقال في ذلك :
 خَلِيلِي قَدْ عَلَلْتَنِي بِالْأَسَى فَأَنْعَمْتَ لَوْ أَنْتَى أَتَعَلَّلُ
 النَّاسُ آثَارِي ، وَإِلَّا فَمَا الْأَسَى وَعَيْشُكُمْ إِلَّا ضَلَالٌ مُضَلُّ
 وَمَا رَاحَةُ الْمَرْزُوعِ فِي رُزْءِ غَيْرِهِ أَيْحَمِلُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَتَحَمَّلُ
 كِلَا حَامِلٍ عِبَاءَ الرِّزْيَةِ مُثْقَلٌ وَلَيْسَ مَعِينًا مُثْقَلُ الظَّهِيرِ مُثْقَلُ
 وَضُرِبْتُ مِنَ الظُّلْمِ الْخَفِيِّ مَكَانَهُ تَعَزَّيْكَ بِالْمَرْزُوعِ حِينَ تَأْمَلُ
 لِأَنَّكَ يَا سَوْكُ الَّذِي هُوَ كُلُّهُ بَلَا بَصَرَ لَوْ أَنَّ جُورَكَ يَعْدِلُ
 وقالت الخنساء :

للخنساء

وقائلة والنَّعْسُ قَدْ فَاتَ خَطُوهَا لَتَدْرِكُهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ
 أَلَا نَكَلْتُ أُمَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ! مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ؟ !
 وَمَا ذَا يُؤَارِي الْقَبْرُ تَحْتَ تَرَابِهِ مِنَ الْجُودِ يَا بُوْسَ الْحَوَادِثِ وَالْدهْرِ
 فَشَانُ الْمَنَايَا إِذَا أَصَابَكَ رَيْبُهَا لَتَعْدِلِي الْفَتَيَانَ بَعْدَكَ أَوْ تَسْرِي

وهذا المعنى كثير قد مرّت منه قطعة جيدة ، ولم تزل الخنساء تبكي على أخويها صخرٍ ومعاوية ، حتى أدركت الإسلام ؛ فأقبل بها بنو عمها وهي عجوز كبيرة إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! هذه الخنساء ،

وقد قرّحت آماقها من البكاء في الجاهلية والإسلام ، فلو نهيتهم لرجونا أن تنتهى ، فقال لها عمر رضى الله عنه : اتقى الله وأيقنى بالموت ، قالت : أبكى أبى وخير بنى مضر صخرًا ومعاوية ، وإني لموقنة بالموت ، قال : أتبكين عليهم وقد صاروا جمرّة في النار ؟ قالت : ذلك أشدّ لبكائي عليهم ! فرق لها عمر وقال : خلّوا عن عجوزكم لا أبا لكم ! فكل امرئ يبكى شجوه ، ونام الخليل عن بكاء الشجى .

وكان عمرو بن الشريد يأخذ بيد ابنه معاوية وصخر في الموسم ، ويقول : عمرو بن أنا أبو خيرى مضر ، فمن أنكر فليغيّر ، فلا يغير ذلك عليه أحد ، وكان يقول : الشريد وأبناء من أتى بمثلهما أخوين من قبل فله حكمه ، فتقرّ له العرب بذلك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا ابن الفواطم من قریش ، والعواتك من سليم ، وفي سليم شرف كثير .

وكان يقال لمعاوية : فارس الجون ، والجون من الأضداد ، يقال للأسود والأبيض ، وقتلته بنو مرة ، قتله هاشم بن حرملة ، فطلبه دريد بن الصمة حتى قتله ، وأما صخر فغزا أسد بن خزيمة فأصاب فيهم ، وطعنه ثور ابن ربعة الأسدى ، فأدخل في جوفه حلقة من الدرع فاندمل عليه ، فنتأت قطعة من جنبه مثل اليد ، فمرض لها حولا ، ثم أشير عليه بقطعها ، فأحوا له شفرة ثم قطعوها ، فما عاش إلا قليلا .

ومن جيد شعر لیلی الأخیلیّة ترثی توبة بن الحمير الخفاجی ، وكان لها محبّا ، وله فيها شعر كثير ، وقتله بنو عوف بن عقيل ، قتله عبد الله بن سالم : من رثاء لیلی الأخیلیّة

نظرتُ وركنٌ من عمایة دوننا وأركان جسمی أیّ نظرة ناظر^(١)
فأنست خيلا بالرقى مغيرة سوابقها مثل القطا المتواتر

(١) عمایة - بفتح العين - جبل في بلاد نجد من بلاد بنى كعب وقشير وعقيل (م)

فَإِنْ تَكُنِ الْقَتْلَى بَوَاءَ فَإِنَّكُمْ
فَلَا يُبْعِدَنَّكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِنَّمَا
أَتَقَهُ الْمَنَايَا بَيْنَ دِرْعِ حَصِينَةٍ
كَأَنَّ فَتَى الْفَتَيَانِ تَوْبَةً لَمْ يُنْخِ
وَلَمْ يُدْعَ يَوْمًا لِلْحِفَافِ وَلِلنَّهْيِ
وَلِلْبَازِلِ الْكُومَاءِ يَرْغُو حُورَاهَا
فَتَى لَا تَحْطَأَهُ الرَّفَاقُ ، وَلَا يَرَى
فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَمِيمَةٍ
فَتَى لَا تَرَاهُ النَّابُ الْفَغَا لِسَقْمِيهَا
وَكُنْتُ إِذَا مَوْلَاهُ خَافَ ظَلَامَةَ
وَقَدْ كُنْتُ مَرْهُوبَ السَّنَانِ وَبَيْنَ أَلْسَانِ
وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا
فَتَى مَا قَتَلْتُمْ آلَ عَوْفٍ بَنَ عَامِرٍ^(١)
لِقَاءِ الْمَنَايَا دَارِعَا مِثْلَ حَاسِرٍ
وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَجَرْدَاءَ ضَامِرٍ^(٢)
قَلَائِصُ بَفَحَضْنِ الْحَصَى بِالْكَرَاكِزِ^(٣)
وَلِلْحَرْبِ تَرْمِي نَارَهَا بِالْشَّرَائِرِ^(٤)
وَلِلْخِيلِ تَعْدُو بِالْكَوْمَةِ الْمَسَاعِرِ^(٥)
لِقَدْرِ عَيْلَا دُونَ جَارِ مُجَاوِرٍ
وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانِ خَادِرٍ^(٦)
إِذَا اخْتَلَجَتْ بِالنَّاسِ إِخْدَى الْكِبَائِرِ
أَتَاكَ فَلَمْ يَقْعُ سِوَاكَ بِنَاصِرٍ
وَقَدْ كُنْتُ مَرْهُوبَ السَّنَانِ وَبَيْنَ أَلْسَانِ
وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا
لِتَوْبَةٍ فِي حَدِّ الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ^(٧)

وفود ليلي
على معاوية

وقال بعض الرواة : بينا معاوية يسير إذ رأى راكباً ، فقال لبعض شُرطته :
اثنى به وإياك أن ترُوعه . فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردت ،
فلما دنا الراكب حذر لثامه فإذا ليلي الأخيلية ، فأنشأت تقول :

معاويَ لم أكُذَّ آتِيكَ تَهْوَى بِرَحْلِي نَحْوَ سَاحَتِكَ الرِّكَابُ

(١) بواء - بفتح الباء والواو - متكافئين مناهلين (م)

(٢) خطي : منسوب إلى الخط ، والمراد الرمح ، والجرداء : القصيرة الشعر ،
والضامر : المهضم البطن ، والمراد الفرسان (م)

(٣) القلائص : جمع قلوص ، وهي الناقة الفتية ، والكرار : جمع كركرة ،
وهي رحي زور البعير ، أو صدره (م) (٤) الحفاظ - بالكسر - المحافظة على
ماتجب المحافظة عليه ، وفي نسخة «ترمي نارها بالشرائر» (م) (٥) الحوار - بضم
الحاء - ولد الناقة ، والبكامة : جمع كمي ، وهو الفارس المتكفي في سلاحه : أي

المستتر فيه ، والمساعر : جمع مسعر ، وهو الذي يوقد الحرب ويشعلها (م)

(٦) الليث : الأسد ، وخفان : مأسدة قرب الكوفة ، وخادر : مقيم (م)

(٧) صنابر الشتاء : شدة برده .

تَجُوبُ الْأَرْضَ نَحْوُكَ مَا تَأْتِي إِذَا مَا الْأَكْمُ قَنَعَهَا السَّرَابُ
وَكُنْتَ الْمَرْتَجَى وَبِكَ اسْتَعَاثَ لَتَنَعَمْهَا إِذَا بَخَلَ السَّحَابُ
قال : فقال : ما حاجتُك ؟ قالت : ليس مثلي يَطْلُبُ إلى مثلك حاجة ،
فتخَيَّرَ أنت ! فأعطاها خمسين من الإبل ؛ ثم قال : أخبريني عن مُضَر ، قالت :
فاخِرٌ بمُضَر ، وحَارِبٌ بَقِيس ، وكَاثِرٌ بَتَمِيم ، وناظرٌ بأَسَد ، فقال : ويحك يا ليلي ! أَمَا
يقول الناسُ كان تَوْبَةُ ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كل الناس يقول حقا ،
الناسُ شَجَرُهُ بَغْيٌ ، يحسدون النعم حيث كانت ، وعلى مَنْ كانت ؛ كَانَ
يا أمير المؤمنين سَبَطُ البنان ، حديد اللسان ، شَجَى الأقران ، كريم المَخْبَر ،
عفيف المُنْزَر ، جميل المنظر ، وكان كما قلت ، ولم أتعَدَّ الحق فيه :
بعيدُ الأثرى لا يبلغ القوم قعره أَلَدُّ مُلْدٍ يَغْلِبُ الحقَّ باطله^(١)
فقال معاوية : ويحك يا ليلي ! يزعم الناس أنه كان عاهرا خارباً ، فقالت
من ساعتها مرتجلة :

مَعَاذَ إِلَهِي كَانَ وَاللَّهِ تَوْبَةً جَوَاداً عَلَى الْعِلَاتِ جَمًّا نَوَافِلُهُ^(٢)
أَغْرَ خَفَاجِيًّا يَرَى الْبَخْلَ سَبَةً تُخَالِفُ كِفَاهَ النَّدَى وَأَنَامِلُهُ
عَفِيفًا بَعِيدَ الْهَمِّ صُلْبًا قَنَاتُهُ جَمِيلًا مَحْيَاهُ قَلِيلًا غَوَائِلُهُ
وَكَانَ إِذَا مَا الضَّيْفُ أَرْغَى بَعِيرُهُ لَدَيْهِ أَتَاهُ نَيْـــــــلُهُ وَقَوَاضِيهِ
وَقَدْ عَلِمَ الْجُوعَ الَّذِي كَانَ سَارِيَا عَلَى الضَّيْفِ وَالْجِيرَانِ أَنَّكَ قَاتِلُهُ
وَأَنَّكَ رَحْبُ الْبَاعِ يَتَوَبُّ بِالْفَرَى إِذَا مَا لَيْثُ الْقَوْمِ ضَاقَتْ مَنَازِلُهُ
يَبْنِي قَرِيرَ الْعَيْنِ مَنْ كَانَ جَارُهُ وَيُضْحِي بِخَيْرِ ضَيْفِهِ وَمُنَازِلُهُ
فقال لها معاوية : ويحك يا ليلي ! لقد جُرْتُ بتوبة قدره ، فقالت :
يا أمير المؤمنين ، والله لو رأيته وخبرته لعلمت أني مقصرة في نعمته ، لا أبلغ كنهه
ما هو له أهل . فقال لها معاوية : في أي سن كان ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين :

(١) أَلَدٌ : شديد اللد ، واللد - بفتح اللام والدال - الخوصومة (م)

(٢) جما : كثير ، ويروى «عما» وهو بمعناه ، والنوافل : جمع نافلة ، وهي العطية (م)

أَتَتْهُ الْمَنَسَايَا حِينَ تَمَّ تَمَامُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ كُلُّ قِرْنٍ يُنَاضِلُهُ
وَصَارَ كُلَيْشُ الْغَابِ يَحْمِي عَرِينَهُ فَتَرْضَى بِهِ أَشْبَالُهُ وَحَلَائِلُهُ
عُطُوفٌ حَلِيمٌ حِينَ يُطْلَبُ حَالُهُ وَهُمْ ذُعَافٌ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

فأمر لها بجائزة ، وقال : أى ما قلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلت شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجذت حيث أقول :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ فَتَى مِنْ عُقِيلٍ سَادَ غَيْرَ مَكْلَفٍ
فَتَى كَانَتْ الدُّنْيَا تَهْوَنُ بِأَسْرِهَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْفَكْ جَمَّ التَّصَرُّفِ
يُنَالُ عَلَيْهِاتِ الْأُمُورِ بِهَوْنَةٍ إِذَا هِيَ أَعْيَتْ كُلَّ خَرَقٍ مُسَوِّفٍ ^(١)
هُوَ الْمَسْكُ بِالْأَرَى الضَّحَا كِي شَبْتِهِ بِدِرْيَاقَةٍ مِنْ خَرِّ بَيْسَانَ قَرْقَفٍ ^(٢)

فيودليل

على مروان

ابن الحكم

ويقال : إنها دخلت على مروان بن الحكم فقال : ويحك يا ليلى ! أكما نعت توبة كان ؟ قالت : أصلح الله الأمير ! والله ما قلت إلا حقاً ، ولقد قصرت ، وما رأيت رجلاً يقطّ كان أربط على الموت جأشاً ، ولا أقلّ إحياءاً حين تحتدم برأكاء الحرب ، ويحمى الوطيس بالقطع والضرب ، كان والله كما قلت :

فَتَى لَمْ يَزَلْ يَزْدَادُ خَيْرًا لَدُنْ نَشَا إِلَى أَنْ عَلَاهُ الشَّيْبُ فَوْقَ الْمَسَاحِ
تَرَاهُ إِذَا مَا الْمَوْتُ حُلَّ بِوَرْدِهِ ضَرُوبًا عَلَى أَقْرَانِهِ بِالْصَفَاحِ
شَجَاعٌ لَدَى الْهِجَاءِ ثَبَتَ مُشَاحٍ إِذَا انْحَاذَ عَنْ أَقْرَانِهِ كُلِّ سَاحِ
فَعَاشَ حَمِيدًا لَا ذَمِيمًا فَعَالَهُ وَصُولًا لِقُرْبَاهُ يُرَى غَيْرَ كَالِحِ

فقال لها مروان : كيف يكون توبة على ماتقولين وكان خارباً ؟ « والخارب سارق الإبل خاصة » ، فقالت : والله ما كان خارباً ، ولا للهوت هائباً ، ولكنه

(١) هونة : أى سهولة ولين ورفق ، والخرق : الأحق (م)

(٢) الأرى : العسل، وشبته : خلطته ، وبيسان : من بلاد الشام مشهورة بالخر (م)

كان فتى له جاهلية ، ولو طال عمره وأنساء الموت لارغوى قلبه ، ولقضى في حب الله تحبه ، وأقصر عن لهوه ، ولكنه كما قال ابن عمه مسلمة بن زيد :

فله قوم غادروا ابن مُحَيْرٍ قتيلا صريحا للسيوف البواتر
لقد غادروا حَزَمًا وعِزَمًا ونائلًا وصَبْرًا على اليوم العبوس القماطر
إذا هاب ورَدَ الموت كلُّ غَضَنَفَرٍ عظيم الحوايا لبُّهُ غيرُ حاضرٍ
مضى قدماً حتى يلاقى ورَدَهُ وجاد بسَيْبٍ في السنين القواشر^(١)

فقال لها مروان : يا ليلي ، أعوذُ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ، فوالله لقد مات توبة ، وإن كان من فتيان العرب وأشدائهم ، ولكنه أدركه الشقاء ، فهلك على أحوال الجاهلية ، وترك لقومه عداوة .

ثم بعث إلى ناس من عقيل فقال : والله لئن بلغنى عنكم أمرٌ أكرهه من جهة توبة لأصلبكم على جذوع النخل ، إياكم ودعوى الجاهلية ، فإن الله قد جاء بالإسلام ، وهَدَمَ ذلك كله .

قدوم ليلي
على الحجاج

وروى أبو عبيدة عن محمد بن عمران المرزباني قال : قال أبو عمرو بن العلاء الشيباني : قدمت ليلي الأخيلية على الحجاج بن يوسف وعنده وجوه أصحابه وأشرافهم ، فبينما هو جالسٌ معهم إذ أقبلت جارية فأشار إليها وأشارت إليه ؛ فلم تلبث أن جاءت جارية من أجل النساء وأكلهن ، وأتمهن خلقة ، وأحسنهن محاورة ؛ فلما دنت منه سألته ثم قالت : أتأذنُ أيها الأمير؟ قال : نعم ، فأنشدت :

أحجَّاجُ إن الله أعطاك غايةً يُقَصِّرُ عنها من أراد مداها .
أحجَّاجُ لا يُفَلِّلُ سِلَاحُكَ إنما المُنَايَا بكفَّ الله حيث يَرَاهَا

(١) القواشر : جمع قاشرة ، كأنها تقشر الجلد من جذعها ، وفي نسخة «الكواشر» وفي أخرى «البواسر» (م)

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضةً تَدَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شفاها من الداء العيَاء الذى بها غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ ثَمَّاهَا
إذا سَمِعَ الحجاجُ صَوْتَ كَتِيبَةٍ أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا
أَعَدَّ لَهَا مَصْـمُوعَةً فَارِسِيَّةً بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا^(١)

حتى أتت على آخرها . فقال الحجاج لمن عنده : أنعرفون من هذه؟ قالوا :
ما نعرفها ، ولكن ما رأينا امرأة أطاقت لسانا منها ، ولا أجمل وجهاً ، ولا أحسن
لَفْظًا ، فَمَنْ هِيَ أَصْلَحُ اللَّهُ الْأَمِيرُ ؟ قال : هى ليلي الأخيلىة صاحبة توبة بن
الحجير التى يقول فيها :

ولو أن ليلي الأخيلىة سَلَّمَتْ على ودونى جَنَدَلٌ وَصَفَاخٌ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَوْزَقًا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَبَاحٌ
ثم قال لها : يا ليلي ، أنشدنا بعض ما قاله فيك توبة ، فأنشدته :

نَأْتِكَ بِلَيْلى دارها لا تَزُورُها وَشَطَّتْ نَوَاهَا وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُها
وَكُنْتُ إِذَا مَازُزْتُ لَيْلى تَبَرَّقَعْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا الْعَدَاةَ سَفُورُها
عَلَى دِمَائِهِ الْبُذْنُ إِنْ كَانَ زَوْجُها يَرَى لِي ذَنْبًا غَيْرَ أَنِي أَرُورُها
وَأَنى إِذَا مَازَرْتُهَا قُلْتُ : يَا اسْمَى فَهَلْ كَانَ فِي قَوْلِي اسْمَى مَا يَضِيرُها
حَمَامَةٌ بَطْنُ الْوَادِيَيْنِ تَرَنَّمِي سَقَاكَ مِنَ الْغُرِّ الْعَوَادِي مَطِيرُها
أَيْنِي لَنَا لَا زَالَ رِيْشُكَ نَاعِمًا وَلَا زَلَّتْ فِي خَضِرَاءِ دَانٍ بَرِيرُها^(٢)
وَقَدْ تَذَهَبُ الْحَاجَاتُ يَطْلُبُهَا الْفَتَى شَعَاءً وَتَحْشَى النَّفْسُ مَا لَا يَضِيرُها
أَيَذْهَبُ رَيْعَانُ الشَّبَابِ وَلَمْ أَزُرْ عَرَّاءَ مَنْ هَمْدَانٍ بَيْضًا نُحُورُها
وَلَوْ أَنَّ لَيْلى فِي ذُرَى مُتَمَنِّعٍ بَنَجْرَانَ لَالْتَفَتَ عَلَى قُصُورُها

(١) مصقولة فارسية : أراد السيف ، وأصل الصرى - بفتح الصاد - بقية اللبن
في الضرع ، وأرادت به أنهم يأتون بآخر ما يمكن من الضرب بها (م)

(٢) البرير : ثمر الأراك (م)

يقرّ بعيني أن أرى العيسَ ترتمى بنا نحو ليلي وهي تجري صقورها
وأشرفُ بالفسورِ اليفاع لعلني أرى نَارَ ليلي أو يراني بصيرُها
أرتنا حَمَامَ الموتِ ليلي، وراقنا عيونُ نَقِيَّاتِ الحواشي تُديرها

حتى أنت على آخرها . فقال : يا ليلي ، ما رآبه من سفورك ؟ فقالت : أيها
الأمير ؛ ما رآني قط إلا متبرقة ، فأرسل إليّ رسولاً إنه ملّمٌ بنا ، فنظر أهلُ الحى
رسوله فأعدُّوا له وكنوا ؛ ففطنْتُ لذلك من أمرهم ، فلما جاء ألفت برُقى وسفرت
فأنكر ذلك ، فما زاد على التسليم وانصرف راجعاً . فقال لها الحجاج : لله درك ! فهل
كانت بينكما ريبة قط ؟ قالت : لا والذي أسأله صلاحك ، إلا أنى رأيت أنه
قال قولاً فظننت أنه خضع لبعض الأمر ، فقلت :

وذى حاجة قلنا له : لا تبُحْ بها فليس إليها ما حَيَّيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخُونهُ وأنت لأخري صاحبٌ و خليل

فما كلمني بشيء بعد ذلك حتى فرّق الموت بيني وبينه . فقال لها : حاجتك !
قالت : أن تحملني إلى قتيبة بن مسلم على البريد إلى خراسان ، فحملها فاستظرفها
قتيبة ووصلها ، ثم رجعت فماتت بساوة^(١) ، وقبرُها هناك .

وروى المبرد أنها لما أنشدته الأبيات «أحجاج إن الله أعطاك» .. إلى قولها «غلام
إذا هز القناة ثناها» قال لها : لا تقولى غلام ، ولكن قولى : هام ، ثم قال لها :
أى نسأى أحبُّ إليك أن أنزلك عندها ؟ قالت : ومن نسأوك أيها الأمير ؟ قال :
أم الجلاس بنتُ سعيد بن العاص الأموية ، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية ،
وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكية^(٢) . قالت : هذه أحب إلى . فلما كان
الغد دخلت إليه فقال : يا غلام أعطها خمسمائة . قالت : أيها الأمير ، اجعلها أدماً^(٣) .

(١) في الأغاني «فماتت بالرى» (م) (٢) في نسخة «القيسية» (م)

(٣) الأدم : جمع آدماء ، وهى السمراء اللون (م)

قيل لها : إنما أمر لك بشاء ، فقالت : الأمير أكرم من ذلك ؛ فجعلها إبلا أذما استحياء ؛ وإنما كان أمر لها بشاء [أولاً ، والأدم أكرمها] .

وأول هذا الحديث عن رجل من بنى عامر بن صعصعة يقال له ورقاء قال : كنت عند الحجاج فدخل الآذن^(١) فقال : أصلح الله الأمير ! بالباب امرأة تهذرُ كما يهذرُ البعير الناد^(٢) . قال : أدخلها ، فلما دخلت نسبها فانتسبت له . فقال : ما أنى بك يا ليلي ؟ قالت : إخلافُ النجوم ، وقلةُ الغيوم ، وكآبُ البرد ، وشدة الجهد ، وكنت لنا بعد الله الرَفَدَ .

قال لها : أخبريني عن الأرض . قالت : الأرض مُعَبَّرَةٌ ، والفِجَاجُ مقشعرةٌ ، وأصابتنا سنون مُجْحِفَةٌ مُظْلِمَةٌ ، لم تدعْ لنا هُبماً ولا رُبماً ، ولا عافِطَةً ولا نافِطَةً^(٣) . أهلكك الرجال ، ومزقت العيال ، وأفسدت الأموال ، وأنشدت الأبيات التي مضت آنفا ؛ فالتفت الحجاج [إلى أصحابه] . وقال : هل تعرفون هذه ؟ قالوا : لا . قال : هذه ليلي الأخيلية التي تقول :

نحن الأخيلُ لا يزال غلامنا حتى يدب على العصا مذكورا
تبكي الرماح إذا فقدن أكتفينا حزننا وتلقنا الرفاقُ .
وفي آخر حديثها قال لها : أنشدنا بعض شعرك ، فأنشدته :

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تصببه في الحياة المعابرُ
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا فلا بد يوماً أن يرى وهو صابر
فلا يبعدنك الله ياتوب هالكا لدى الحرب إن دارت عليك المقادرُ
فكل جديد أو شباب إلى بلى وكل امرئ يوماً إلى الله صائرُ
وكل قريتي ألفة لتفرق شتات وإن ضنا وطال التعاشرُ

(١) الآذن : الذي ينقل الإذن بالدخول ، شبه الحاجب اليوم (م)

(٢) الناد : المروء (م) (٣) الهبع - بزنة صرد - ابن الناقة الذي ينتج آخر فصل التناج . والربع : الذي ينتج في وقت الربيع . والعافطة : الضائنة . والنافطة : الماعزة (م)

فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا وأخفل من دارت عليه الدوائر
فقال الحجاج لصاحب له : اذهب بها فاقطع عني لسانها ، فدعا لها بالحجام
ليقطع لسانها . فقالت له : ويحك ! إنما قال لك الأمير : اقطع لسانى بالعطاء ،
فارجع إليه فاسأله ، فسأله فاستشاط غيظاً ، وهم بقطع لسانه ، [ثم أمر بها فأدخلت]
فقال : أيها الأمير ، كاد يقطع مقولى ، وأنشدته :

حِجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ
حِجَّاجُ أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتَ وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَا يَقْدُ^(١)

احتذى الحجاج في قوله : « اقطع لسانها » قول النبي صلى الله عليه وسلم
لما أعطى المؤلفلة قلوبهم يوم حُتِنَ مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مرداس
أربعين فسخطها وقال :

أَتَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عُيَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ بِفَوْقَانِ مِرْدَاسٍ فِي تَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا أَمْرًا مِنْهُمْ وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ^(٢)
العُبيد : اسم فرسه ، وحصن [الذى ذكره] هو أبو عُيَيْنَةَ بن حِصْن بن حذيفة
ابن بدر سيد فزارة ، وحابس : أبو الأقرع بن حابس ، وقد تقدم نسبه . فأمر النبي
صلى الله عليه وسلم بإحضاره ، فقال : أنت القائل :

أَتَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعَيْنَةٍ
وكان النبي عليه الصلاة والسلام كما قال الله عز وجل : « وما علمناه الشعرَ
وما ينبغى له » . فقال : قم يا علي فاقطع لسانه . قال العباس : فقلت : يا علي ؟

(١) في نسخة « وأنت للناس نور ضوؤه يقد » (م)

(٢) مع هذه الأبيات قوله ، وهو من شواهد النجاة :

وقد كنت في الحرب ذا تدرأ فلم أعط شيئاً ولم أمنع

أى : فلم أعط شيئاً عظيماً ولم أمنع البتة (م)

وإنك لَقَاطِعُ لِسَانِي ؟ قال : إني مُمَضِّ فَيْكَ مَا أَمَرْتُ ، فَمَضَى بِي حَتَّى أَدْخَلَنِي
الْحِطَّائِرَ ، فَقَالَ : اعْتَدْ مَا بَيْنَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى مِائَةٍ ، قُلْتُ : بِأَبَى أَنْتَ وَأُمِّي !
مَا أَحْلَمَكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ وَأَعْدَلَكُمْ وَأَكْرَمَكُمْ ! فَقَالَ : إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَعْطَاكَ أَرْبَعِينَ ، وَجَعَلَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ [فَإِنْ شِئْتَ] فَاخُذْهَا ، وَإِنْ شِئْتَ
فَاخُذْ مِائَةً ، وَكُنْ مِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ . فَقُلْتُ : أُرْشِرْ عَلَيَّ . فَقَالَ : إِنْ أَمَرْتُ أَنْ
تَأْخُذَ مَا أَعْطَاكَ . فَأَخَذْتُهَا .

* * *

وكانت ليلى الأخيلية قد حاجت النابغة الجعدي فأختمته .
ودخلت على عبد الملك ابن مروان وقد أسنت فقال: ما رأى تَوْبَةُ فَيْكَ حَتَّى
أَحْبَبْتُكَ ؟ قَالَتْ : رَأَى فِيَّ مَا رَأَى النَّاسُ فَيْكَ حِينَ وَلَّوْكَ ! فَضَحِكَ عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى
بَدَتْ لَهُ سِنٌ سَوْدَاءَ كَانَ يُخْفِيهَا .

[عود إلى رثاء شواعر العرب]

لهند بنت
أسد ترى
أخاها

وقالت هند بنت أسد الضبابية :
لَقَدْ مَاتَ بِالْبَيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الْحِجَى فَنِي كَانَ زَيْنًا لِلْمَوَاكِبِ وَالشَّرْبِ
يَلُودُ بِهِ الْجَانِي مَخَافَةً مَا جَنَى كَمَا لَادَتْ الْعَصْمَاءُ بِالشَّاهِقِ الصَّعْبِ
تَغْلُ بِنَاتِ الْعَمِّ وَالْخَالِ حَوْلَهُ صَوَادِي لَا يَرْوِيَنَّ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
وقالت أم خالد النخيرية [تشبب بأنثى السكلابي ^(١)] :

لأم خالد
النخيرية

إِذَا مَا أَتَنَّا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ أَتَنَّا بَرِيَّاهُ فَطَابَ هَبُوبُهَا ^(٢)
أَتَنَّا بِمِسْكِ خَالِطِ الْمِسْكِ عَنَبَرِ وَرِيحِ خَزَامِي بَاكَرَتِهَا جَنُوبُهَا
أَحِنُّ لِدِكْرَاهُ إِذَا مَا ذَكَرَتْهُ وَتَنَهَلَّ عِبْرَاتُ تَفْيِيزُ غُرُوبُهَا ^(٣)
حَنِينَ أَسِيرٍ نَارِيحٍ شَدَّ قَيْدَهُ وَإِعْوَالَ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا

(٢) كذا وقع في نسخة ، والسياق يقضى بأن يكون هذا الشعر رثاء لاتشبيبا (م)

(٢) الريا : الرائحة الطيبة (م) (٣) العبرات : جمع عبرة ، وهى الدمعة (م)

لأم الضحاك
المحارية

وأنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى [نعلب] ، لأم الضحاك المحارية وكانت
تحب رجلا من الضُّباب حباً شديداً :

يأيها الراكب الغادى لطيَّته عرَّج أبثك عن بعض الذى أجِدُ
ما عالَجَ الناسُ من وَجدِ تضمَّنهم إلا وَجَدْتُ به فوق الذى وَجَدُوا
حسبى رِضاهُ وأنى فى مسرَّته ووده آخِرَ الأيامِ أَجْتهدُ
وقالت :

هل القلبُ إن لاقى الصَّبَابَ خالياً لدى الرُّكنِ أو عند الصَّفا يَنحَرِّجُ
وأزَعَجنا قُربُ الفراقِ ، وبيننا حديثُ كَتَفَيْسِ المَريضينِ مُزْعِجِ
حديثُ لو أنَّ اللحمَ يَشْوَى بِبحره غَريضا أُنَى أَصحابه وهو مُنْضَجُ
وأنشد الزبير بن بكار لحليمة الحضرية، وقد أنشدها المبرد لنبهان العبشمي (١)
وهو أشبه (٢) :

يقرُّ بعينى أنْ - أرى مَنْ مكانه ذَرَى عَقِدَاتِ الأجرغِ المُتَقَاوِدِ
وَأَنْ أَرِدَ المَاءَ الذى شَرِبْتُ بِهِ مُلَمِّمى وإن ملَّ الشرى كلُّ واحدٍ
وَأَلْصِقَ أَحْشائى بِبَرْدِ تُرابِهِ وإن كان مخلوطاً بِسَمِّ الأَسَاوِدِ
وقالت الفارعة بنت شداد ترى أختها مسعودا :

للفارعة بنت
شداد

يا عين بَكى لمسعود بن شداد بكاء ذى عَبرَاتِ شَجْوِهِ بَادِى
من لا يَذابُ لَهُ شَحْمُ السَّدِيفِ ولا يَحْفُو العِيالَ إِذْ ما ضَنَّ بِالزَّادِ
ولا يَحِلُّ إِذْ ما حَلَّ مُنْقَبِذاً يَخْشى الرِّزِيَّةَ بين المَالِ والنَّادِى
قَوَالُ مُحْكَمَةٍ ، نَقَّاضُ مُبَرِّمَةٍ فَتَاحُ مُبْهَمَةٍ ، حَبَّاسُ أَوْرَادِ
قَتَالُ مَسْغَبَةٍ ، وَثَّابُ مَرَقَبَةٍ مَناعُ مَعْلَبَةٍ ، فَكَّاكُ أَقْيَادِ
حَلَّالُ مُمْرِعَةٍ ، فَرَّاجُ مُفْطَعَةٍ حَمَالُ مُضْلَعَةٍ ، طَلَّاعُ أَنْجَادِ

(١) العبشمي : المنسوب إلى عبد شمس ، وقالوا : عبادى ، وعبسى ، فى النسبة
إلى عبد الدار وعبد القيس (م) (٢) إنما كان ذلك أشبه لأن الشعر فى امرأة كما ترى
فى البيت الثانى ، وإن تأملت الثالث عرفت أنه الأشبه حقاً (م)

حَمَلُ أَلْوِيَّةِ ، شَهَادُ أُنْدِيَّةِ شَدَّادُ أَوْهِيَّةِ ، فَرَّاجُ أَسَدَادِ
 جَمَاعُ كُلِّ خِصَالِ الْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا زَيْنُ الْقَرَيْنِ وَنِسْكَلِ الظَّالِمِ الْعَادِي
 أَبَا زُرَّارَةَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ فَتَى يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتٍ وَأَعْوَادِ
 هَلَا سَقَمْتُمْ ، بَنَى جَزِيمٌ ، أَسِيرَكُمْ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ذِي كَرْبَةٍ صَادِي
 نَعِمَ الْفَتَى ، وَبَيْنَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمُوا يَخْلُو بِهِ الْحَيُّ أَوْ يَغْدُو بِهِ الْغَادِي
 هُوَ الْفَتَى يَحْمَدُ الْجِيرَانَ مُشْهَدَهُ عِنْدَ الشِّتَاءِ وَقَدْ هَمُّوا بِإِحَادِ
 الطَّاعِنِ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءُ يَتَّبِعُهَا مُشْعَنْجِرًا بَعْدَ مَا تَعْلَى بِإِزْبَادِ
 وَالسَّائِي الرِّقَّ لِلْأَضْيَافِ إِنْ نَزَلُوا إِلَى ذَرَاهُ وَغِيثُ الْمُخَوِّجِ الْغَادِي
 وَالْحَسَنَاتِ مِنَ النِّسَاءِ كَثِيرٌ ، وَقَدْ تَفَرَّقَ لَهْنَ فِي أَضْعَافِ هَذَا الْكِتَابِ مَا اخْتِيرَ .

[عِبَرَاتُ الْحَبِيبِينَ]

وَأُنْشَدَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبُ : مِمَّا أَنْشَدَهُ ثَعْلَبُ
 وَمُسْتَنْجِدُ بِالْحَزَنِ دَمْعًا كَأَنَّهُ عَلَى الْخُلْدِ مِمَّا لَيْسَ يَرْفَقًا حَائِرُ^(١)
 إِذَا دِيمَةٌ مِنْهُ اسْتَقَلَّتْ تَهَلَّلَتْ أَوَائِلُ أُخْرَى مَالِهَنَ أَوَاخِرُ
 مَلَأَ مُقْلَتَيْهِ الدَّمْعُ حَتَّى كَأَنَّهُ لِمَا أَنْهَلَ مِنْ عَيْنَيْهِ فِي الْمَاءِ نَاطِرُ^(٢)
 وَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ الدَّمُوعِ بِمُقْلَةٍ رَمَى الشَّوْقُ فِي إِنْسَانِهَا فَهَوَّ سَاهِرُ
 وَقَالَ آخِرُ — وَرُوِيَ لِقَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
 فَعَيْنَايَ طَوْرًا يَفْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعْشَى ، وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأَبْصُرُ
 وَقَالَ غِيلَانُ :

وَمَا شَنْتَا خَرْقَاءَ وَاهِيَةِ الْكُلَى سَقَى بِهِمَا سَاقِي وَلَمَّا تَبَلَّلَا
 بِأَضْيَعٍ مِنْ عَيْنِكَ لِلدَّمْعِ كُلَّمَا تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَوَسَّمْتَ مَنْزِلَا

(١) رَفَأَ الدَّمْعَ يَرْفَعُهُ — مِنْ مِثَالِ فَتَحٍ يَفْتَحُ — سَكَنَ ، وَ «مَا» فِي قَوْلِهِ «مِمَّا لَيْسَ يَرْفَقًا» هِيَ الْمَصْدَرِيَّةُ ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ : كَأَنَّهُ — مِنْ عَدَمِ سَكُونِهِ — حَائِرٌ (م)
 (٢) مَلَأَ : أَصْلُهُ مَلَأَ (م)

وقال آخر :

ومما شجاني أنها يوم ودّعتُ تولّت وماء الجفن في العين حارٌّ^(١)
فلما أعادت من بعيد بنظرةٍ إلى التفاتاً أسلمته المحاجر^(٢)

للبحري

أبو عبادة البحري :

وقفنا والعيون مشغلاتُ يُغالب طرفها نظراً كليلُ
نهته رقة الواشين حتى تعلق لا يفيض ولا يسيلُ

مما أنشده

جحظة

وأنشد أبو الحسن [جحظة] :

ومن طاعني إياه أمطرَ ناظري إذا هو أبدى من ثناياه لى برّفاً
كان دموعي تبصر الوصل هاربا فمن أجله تجرّى لتدركه سبنا

للمتنبى

أخذ البيت الأول المتنبي فقال :

يبتلّ خدّي كلما ابتسمتُ من مَطَرٍ برقه ثناياها

لأبي الشيص

وقال أبو الشيص ، واسمه محمد بن عبيد الله ، وهو ابن عم دعبل :

وقائلةٍ وقد بصرتُ بدمعٍ على الخدين مُنجدِرٍ سَكوبِ
أتكذبُ في البكاء وأنت جلدٌ قديماً ما جَسَرْتَ على الذنوبِ
قيصُك والدموعُ تجول فيه وقلبك ليس بالقلب الكئيبِ
كمثل قيص يوسف حين جاءوا عليه عشيّةٍ بدِمٍ كذُوبِ
[فقلت لها : فذاك أبي وأمي رَجَحْتَ بسوء ظنك في الغيوبِ]
أما والله لو فتشت قلبي لسرّك بالعويل وبالنجيبِ
دموعُ العاشقين إذا تلاقوا بظهر الغيب السّنة القلوبِ

(١) شجاني : أحزنى (م)

(٢) أسلمته المحاجر : كناية عن انهمال الدمع (م)

[من أخبار العباس بن الأحنف]

وقال بشار بن برد : ما زال فتى من بنى حنيفة يُدْخِلُ نفسه فينا ويُخْرِجُها منا حتى قال :

نزف البكاء دموعَ عَيْنِكَ فاستعِرْ عينا لغيرك دَمْعُهَا مِدْرَارُ
مَنْ ذَا يعيرك عينه تبكي بها أرايت عَيْنًا للبكاء تُعَارِ ؟ !

قال : وهذا الذي عناه بشار هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن طلحة ابن هرون بن كلة بن خزيم بن شهاب [بن سالم] بن حبة بن كليب بن عدى ابن عبد الله بن حنيفة ، وكان كما قال بعض مَنْ وصفه : كان أحسن خلقِ الله إذا حَدَّثَ حديثًا ، وأحسنهم إذا حَدَّثَ استماعًا ، وأمسكهم عن مُلاحَاقِهِ إذا خُولِفَ ، وكان ملوكي المذهب ، ظاهر النعمة ، حسن الهيئة ، وكانت فيه آلاتُ الظَّرْفِ ، كان جميلَ الوجه ، فأرِه المركب ، نظيفَ الثَّوبِ ، حَسَنَ الألفاظ ، كثير النواذر ، رطيب الحديث ، باقياً على الشراب ، كثير المساعدة ، شديد الاحتمال ، ولم يكن هجاءً ، ولا مداحاً ، كان يتنزّه عن ذلك ، ويُشَبِّه من المتقدمين بعمر بن أبي ربيعة .

وسُئِلَ أبو نواس عن العباس وقد ضمَّهما مجلس فقال : هو أرق من الوهم ، وأحسن من الفهم .

وكان أبو الهذيل العلاف المعتزلي إذا ذكره لعنه وزناؤه لأجل قوله :
وضعت خدي لأدنى من يُطيف بكم حتى اخترتُ وما مثلي بمحتقر^(١)
إذا أردتُ انتصاراً كان ناصركم قلبي ، وما أنا من قلبي بمُنْتَصِر
فأكثرُوا أو أقلُّوا من ملامكم فكلُّ ذلك محمول على القدر

(١) وضعت خدي : كناية عن الخضوع ، وأدنى : أقل ، ويطيف بكم : أراد من هو من خدمهم وحشمهم (م)

وقوله في البيت الأوسط كقوله :

قلبي إلى ما ضرتني داعي
لقلما أبقى على ما أرى
يُكثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
يوشك أن ينعاني الناعي^(١)
كيف احتراسي من عدوى إذا
كان عدوى بين أضلاعي

وقيل [لعنان] جارية الناطفي : من أشعرُ الناس ؟ قالت : الذي يقول
وأهجركم حتى يقولوا : لقد سـأـلاً
ولست بـسـالٍ عن هواك إلى الحـشـرِ
ولسكن إذا كان الحب على الذي
يحب شقيقاً نازع الناس بالهجرِ
وقال [العباس] :

جـرى السـيلُ فاستبـكـاني السـيلُ إذ جـرى
وما ذاك إلا أن تيقنتُ أنه
يـكـون أجـاجاً دونـكم فإذا انتـهى
إليـكم تلـقى طـيـبـكم فـيـطـيب
فيا ساكني شـرقي دجلة كلـكم
إلى القلب من أجل الحبيب حبيبُ

موازنة
بين العتابي
والعباس

وقال الصولي : ناظر أبو أحمد على بن يحيى المنجم رجلاً يُعرف بالمتفقه
الموصلي في العباس بن الأحنف والعتابي ، فعمل على في ذلك رسالة أنفذها
لعل بن عيسى ؛ لأن الكلام في مجلسه جرى . وكان مما خاطبه به أن قال :
ما أهل نفسه قط العتابي لتقديمها على العباس في الشعر ، ولو خاطبه مخاطبٌ لدفعه
وأنكره ؛ لأنه كان عالماً لا يؤثني من قلة معرفة بالشعر ، ولم أرَ أحداً من العلماء
بالشعر مثل العتابي والعباس ، فضلاً عن تقديم العتابي عليه لتباينهما [في ذلك] ،
وإن العتابي متكلف ، والعباس يتدفق طبعاً ؛ وكلام هذا سهلٌ عذب ، وكلام
ذاك متمعدٌ كثر ، وفي شعر هذا رقةٌ وحلاوة ، وفي شعر ذاك غلظٌ وجساسة ،
وشعرُ هذا في فنٍّ واحد وهو الغزل ؛ وأكثرت فيه وأحسن ، وقد افتتن العتابي فلم
يخرج في شيء منه عما وصفناه .

(١) في ديوانه «يوشك أن ينعي بي الناعي» وأحسبه محرفاً عما هنا (م)

وإن من أحسن شعر العتابي قصيدته التي مدح بها الرشيد وأولها :
يا ليلةً لى فى حوران ساهرةً حتى تكلم فى الصبح المصايرُ
وقال فيها :

أفى الأماق انقباضٌ عن جفونهما أم فى الجفون عَنِ الأماقِ تَقْصِيرُ
وهذا البيت أخذه من قول بشار الذى أحسن فيه كل الإحسان وهو قوله :
جَفَتْ عَيْنِي عن التغميضِ حَتَّى كَأَنَّ جَفُونَهَا عنها قِصَارُ
فمسخه العتابي ، على أن بشاراً أخذه من قول جميل :

كَأَنَّ الحَبَّ لِطولِ الشَّهَادِ قَصِيرُ الجفون ولم تَقْصُرِ
إلا أن بشاراً أحسن فيه ؛ فنأزعهما إياه فأساء ، وإنَّ حقَّ من أخذ معنى قد سبق
إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه ، أو يزيد عليه ، حتى يستحقه ، وأما
إذا قصّر عنه فهو مسيء ؛ معيب بالسرقة ، مذموم على التقصير .

ولقد هاجى أبا قابوس النصراني فغلب عليه فى كثير مما جرى بينهما على
ضعف مئة أبى قابوس فى الشعر ، ثم قال فى هذه القصيدة :

ماذا عسى مادحٌ يُثْنِي عليك وقد ناداك بالوحيِ تقديسٌ وتطهيرُ
فُتَّ المـادحَ إلا أنَّ ألسننا مستعلنات بما تُخْفِي الضمائرُ^(١)
فختم البيت فيها بأثقل لفظة لو وقعت فى البحر لكدرته ، وهى صحيحة ،
وما شئ أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حُسْنِ صِحَّةِ اللفظ ، وهذا عمل التكلف ،
وسوء الطبع .

ولعباس بن الأحنف إحسان كثير ، ولولم يكن إلا قوله :

أنكر الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المـشارِعَ طيبا

(١) الضمائر : أصله الضمائر ، فأشبع كسرة المهزلة فتولدت ياء ، ويقع ذلك فى
شعر العرب الفحول وإن كان مستكرها ؛ فمن ذلك قول الفرزدق يصف ناقة :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف
فالدراهم أصله الدراهم ، والصياريف أصله الصيارف ، فزاد الياء فى كل منهما (م)

فهمُ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وما يَدُ رُونَ أَنْ قد حَلَلْتَ مِنْهُ قَرِيبَا
 قاسمِني هَذَا البلاءَ، وإِلَّا فاجعِلِي لِي مِنَ التَّعْزِي نصيبَا
 إِنْ بعضَ العتابِ يدعُو إلى العُتْبِ، ويؤذِي به الحُبُّ الحبيبَا
 وإذا ما القلوبُ لم تُضْمِرِ العَطْفَ فلنَ يَعْطِفَ العِتَابُ القلوبَا^(١)
 وقوله :

قالت مرضتُ فَمَدُّتْهَا فتَبَرَّمتُ وهي الصَّحِيحةُ والمريضُ العائِدُ
 تاللهِ لو أَنَّ القلوبَ كَقَلْبِهَا ما رَقَّ للولدِ الصَّغِيرِ الوالدُ
 إِنْ كانَ ذَنْبِي في الزَّيَارَةِ فاعْلَمِي إني على كَسْبِ الذُّنُوبِ جَاهِدُ^(٢)
 أَلقيتُ بَيْنَ جَفُونِ عَيْنِي فُرْقَةً فَإِلى مَتَى أَنَا سَاهِرٌ يَارَاقِدُ
 يَقعُ البلاءُ وَيَنْقُضِي عَنْ أَهْلِهِ وبلاءُ حُبِّكَ كُلَّ يَوْمٍ زَائِدُ
 سَمَّيْتُكَ لِي ناسٌ وقالوا: إِنها لَهِيَ التي تَشْقِي بِهَا وتُكَابِدُ
 فحَدَّثْتَهُمْ لِيَكُونَ غَيْرَكَ ظَنَّهُمْ إني ليعجبني الحُبُّ الجاحِدُ
 وقوله :

إني وإِنْ كُنْتُ قد أَسأتُ بِي الـيَوْمَ لِرَاجٍ للعَطْفِ مِنْكَ غدا
 أَسْتَمعُ اللهَ بِالرَّجاءِ وَإِنْ لم أَرِ مِنْكُمْ ما أُرْتَجِي أَبدا
 وله :

أَهْدَيْتُ لَهُ أَحبابَهُ أَتَرْجُو فَبكى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيافَةِ زاجِرٍ
 مَطْطِيرا مِنْها أَتَنَّهُ وَجِسْمُها لَوْنانَ بَاطِنِها خِلافُ الظَّاهِرِ
 واثْنِ وَفَى أَبُو أَحْمَدَ العَباسَ حَقَّهُ، لَقَدْ ظَلَمَ العَتَابِي ما كانَ مُسْتَحِقَّهُ، مِنْ
 سِرِّ الكَلَامِ، وَجَوْدَةِ رِصفِ النِّظامِ . قال الصُّوْلِي في نَسَبِ العَباسِ - وكانَ مِنْ

(١) لَنْ يَعْطِفَ العِتَابُ القلوبَ : لَنْ يَمِيلَها (م)

(٢) إِنْ التي تَقَعُ اللامُ في خَبَرِها مَكسُورَةٌ الهَمْزَةُ اليَتَّةُ (م)

خوولته- : هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هيمان من بني [هقان بن

الحارث بن] [ذهل بن] [الدبل بن] حنيفة . وله يقول الصريع يهجوهم :

بنو حنيفة لا يَرْضَى الدَّعَى بِهِمْ فَاَتْرُكْ حَنِيفَةً وَاطْلُبْ غَيْرَهَا نَسَبًا
اذهب إلى عَرَبٍ تَرْضَى بِنَسَبِهِمْ إِنِّي أَرَى لَكَ لَوْنًا يُشَبِّهُ الْعَرَبَا
وقال [أبو أحمد : قال] العباس :

حُرِّ دَعَاهُ الْهُوَى سِرًّا فَلَبَّاهُ طَوْعًا فَأَصْحَكَ مَوْلَاهُ وَأَبْكَاهُ
فشاهدت بالذي يُخْفَى لَوَاحِظُهُ وَعَدَّ لَتَهَا بِفَيْضِ الدَّمْعِ عَيْنَاهُ
جَازَيْتَنِي إِذْ رَعَيْتُ الْوَدَّ بَعْدَكَ أَنْ وَكَلَّمْتُ طَرَفِي بِنَجْمِ اللَّيْلِ رِعَاهُ
اللهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَمْ أَخُنْكَ هَوَى كَفَاكَ بَيِّنَةً أَنْ يَشْهَدَ اللهُ

وقال :

يَا مَنْ يُكَاتِمُنِي تَغْيِيرَ قَلْبِهِ سَأُكْفِ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ تَتَبَرَّمَا^(١)
وَأَصْدَّ عَنْكَ وَفِي يَدَيَّ بَقِيَّةً مِنْ حَبْلِ وَدَّكَ قَبْلَ أَنْ يَتَصَرَّمَا
يَا لِلرِّجَالِ لِعَاشِقِينَ تَوَاقِفَا وَتَخَاطَبَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَا
حَتَّى إِذَا خَافَا الْعَيُونَ وَأَشْفَقَا جَعَلَا الْإِشَارَةَ بِالْأَنَامِلِ سَلَمَمَا

وقال :

الله يعلم ما أردت بهجركم إِلَّا مَسَاوِرَةَ الْعَدُوِّ الْكَاشِحِ
وعلمت أن تستري وتباعدي أَبْقَى لَوْ صَلَّيْتُكَ مِنْ دُونِ فَاضِحِ

وقال :

يَهِيمُ بِمَجْرَانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ وَفِيهَا غَزَالٌ فَاتَرَ الطَّرْفَ سَاحِرُهُ
يُوَازِرُهُ قَلْبِي عَلَى وَليس لي يَدَانِ بَيْنَ قَلْبِي عَلَى يُوَازِرُهُ^(٢)

(١) في ديوانه «قبل أن تتحرما» (م)

(٢) في نسخة «يامن يوازرها قلبي - إلخ» (م)

[العين والقلب]

وقد قال سهل بن هرون :

أعان طرْفِي على قلبي وأعضائي بنظرة وقفتَ جسْمِي على دَائِي
وكنْتُ غِرًّا بما يجني على بَدَنِي لا عِلْمَ لي أن بعضي بعضُ أعدائي

وقال النظام :

إنَّ العيونَ على القلوبِ إذا جَنَتْ كانت بِلَيْتِهَا على الأجسادِ
البحترى :

ولست أُعْجَبُ من عِصْيَانِ قَلْبِكَ لِي حقًّا إذا كان قَلْبِي فِيكَ يَعْصِيَنِي
وقال الأصمعي : سمعتُ الرشيد يقول : قَلْبُ العاشقِ عليه مع مَعْشُوقِهِ .
قلْتُ : هذا والله يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنُ من قول عُروَةَ بنِ حِزامَ لِعَفْرَاءٍ في أبياتِهِ
التي أنشدَها :

وإني لتَعْرِوْنِي لِذِكْرِكِ رَوْعَةً لها بين جِلْدِي والعظامِ دَيْبُ
وما هو إلا أن أراها فيه فُجَاءَةً فَأُهَيْتَ حَتَّى لَا أَكَادُ أُجِيبُ^(١)
وأُصْرَفُ عن دَائِي الَّذِي كُنْتُ أَرْتِي ويَقْرُبُ مِنِّي ذِكْرُهُ وَيَغِيبُ
ويضمُرُ قَلْبِي غَدْرَهَا وَيُعِينُهَا عَلَيَّ ، وَمَالِي فِي الْفَوَادِ نَصِيبُ
فقال الرشيد : من قال ذلك وَهْمًا ، فقد قتلته علمًا .

[من ماثور الحكم]

قال علي بن عبيدة الرياحي : أحمرَ ودَّكَ فإنه عِرْضُكَ ، وصُنِّ الأَنَسُ بك
فإنه يُغْزَرُ^(٢) حظك ، ولا تستكثر من الطمأنينة إلا بعد استحكام الثقة ؛ فإن
الأنس سريرةُ العقل ، والطمأنينة بذلةُ المتحايين ، وليس لك بعدهما تحفةٌ تَمْنَحُهَا
صاحبتك ، ولا حِباءٌ تُوجِبُ به الشكر على من اصطفت .

(١) تخفّضى « حق ما أكاد أجيب » (م) (٢) في نسخة « فإنه يد حظك » وإن
لم تكن تطيعا فهي معرفة عن « فإنه بدء حظك » (م)

وقال : ما أنصف مَنْ عاتب أخاه بالإعراض على ذَنْبٍ كان منه ، أو هجره بخلافٍ بما يكره عنده ، إذا كان لا يعتدُّ في سالف أيام العشرة إلا بالرضا عنه ، ومشاكلته فيما يؤنسه منه . فإن كان العاتب شكاً جميع ما ستره من أخيه أولاً ، فلقد تُتِمَّ الموافقة حظَّ الاغتفار ، وإن لم يكن وفَى له بكلِّ ما استحقَّ منه فليقتصرَ بما وجبَ منه عليه لأخيه بقدر ذنبه ، ثم العودة إلى الألفة أولى من تشتت السَّمَلِ ، وأشبهُ بأهل التصافي ، وأكرمُ في الأحذوثة عند الناس .

وقال : الحياء لباسٌ سابغ ، وحجاب واق ، وستر من المساوى ، وأخو العفاف ، وحليف الدين ، ومُصاحب بالصنع . ورقب من العصمة ، وعين كالألثة^(١) تذودُ عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء والأدناس .

وقال : لا يخلو أحد من صَبْوَةٍ إلا أن يكونَ جاسيَ الحلقة^(٢) ، منقوص البنية ، أو على خلاف تركيب الاعتدال .

[الهوى]

ورأى سعيد بن سلم^(٣) بن قتيبة ابناً له قد شرع في رقيق الشعر وروايته ، فأنكر عليه ، فتميل له : إنه قد عشق ، فقال : دُعُوهُ فإنه يلطف ، وينظف ، ويظرف . وقال الفضل بن أحمد بن أبي طاهر^(٤) ، واسم أبي طاهر طيفور : وصَف الهوى قومٌ وقالوا : إنه فضيلة ، وإنه ينتج الحيلة ، ويشجع قلبَ الجبان ، ويسخى قلبَ البخيل ، ويصفى ذهن الغبي ، ويطلق بالشعر لسان المُفحِّم ، ويبعث حَزَمَ العاجز الضعيف ، وإنه عزيز تذلل له عزَّةُ الملوك وتضرع فيه صَوْلَةُ الشجاع ، وتنفاد له طاعة كل ممتنع ، ويذل كل مستصعب ، ويبرز كل محتجب ، وهو داعية الأدب ، وأول باب تُفتقُّ به لأذهان والفطن ،

(١) كالألثة : حافظة ، كالألثة يكلؤه - من باب فتح - حفظه ورعاه ، ودود : تمنع وتدفع (م) (٢) جاسي الحلقة : جافا غليظا (م) (٣) في نسخة « سعيد ابن مسلم » (م) (٤) في نسخة « أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر » (م)

وتستخرج به دقائق المكايد والحيل ، وإليه تستريح الهمم ، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم^(١) ، يمتنع جليسه ، ويؤنس أليفه ، وله سرورٌ يحول في النفس ، وفرحٌ مستكن في القلب ، وبه يتعاطف أهل المودة ، ويتصل أهل الألفة ، وعليه تتألف الأشكال ، وله صولات على القدر ، ومكايد تبطل لطائف الحيل ، وظرفٌ يظهر في الأخلاق والخلق ، وأرواح تسطع من أهلها ، وتنبق من ذويها .

وقال اليماني بن عمرو مولى ذى الرياستين : كان ذو الرياستين يبعثُ بي وبأحداثٍ من أهله إلى شيخ بخراسان ويقول : تعلموا منه الحكمة ؛ فكنا نأثيه ، وإذا انصرفنا من عنده اعترضنا ذو الرياستين يسألنا عما أفادنا فنخبره ؛ فسيرنا إلى الشيخ يوماً فقال لنا : أنتم أدباء ، وقد سمعتم الحكمة ، وفيكم أحداث ، ولكم نعم ، فهل فيكم عاشق ؟ قلنا : لا ، قال : اعشقوا ؛ فإنَّ العشق يُطلق النغي ، ويفتحُ حيلة البليد ، ويسخى كفف البخيل ، ويبعثُ على النظافة وحسن الهيئة ، ويدعو إلى الحركة والذكاء ، وشرف الهمة ، وإياكم والحرام .

قال : فانصرفنا ، فسألنا عما أفادنا في يومنا ؛ فهنبناه أن نخبره ، فعزم علينا . فقلنا له : أمرنا بكذا وكذا ، قال : صدق ، أتعلمون من أين أخذَ هذا الأذب ؟ قلنا : لا . قال : إن بهرام جور كان له ابن رشحَه للملك من بعده ، فنشأ ساقط الهمة ، خامل المروءة ، دنيء النفس ، سيئ الأدب ، كليل القريحة ، كهام الفكر^(٢) ؛ فعمه ذلك ، ووكل به من المؤدبين والمنجمين والحكام من يلازمه ويُعلمه ، وكان يسألهم فيخسكون له ما يسوؤه ، إلى أن قال له بعض مؤدبيه : قد كنا نخافُ سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا إلى اليأس منه ، قال : وما ذلك ؟ قال : رأى ابنة فلان المرزبان فعشقتها فملبت عليه ، فهو لا يهذى إلاَّ بأمرها ، ولا يتشاغلُ إلاَّ بذكرها فقال بهرام جور : الآن رجوتُ صلاحه .

(١) الشيم : جمع شيمة - بكسر الشين - وهى الخصلة والخلة والسجية (م)

(٢) كهام الفكر : ضعيفه متبلده (م)

ثم دعا أبى الجارية فقال: إني مُسرٌّ لك سرّاً فلا يعدونك^(١). فضمّن له ستره فأعلمه أن ابنه قد عشق ابنته ، وأنه يريد أن يُنكِحها إياه ، وأمره أن يأخذها بإطاعه بنفسها ، ومراسلته من غير أن يراها ، أو تقع غيئته عليها؛ فإذا استحكم طمعه فيهما تجنّت عليه ، وهجرته ، فإذا استعجبها أعلمته أنها لا تصّاح إلاً لملك ، أو من همته همة ملك ، وأن ذلك يمنعها من مواصلته ، ثم ليعلمه خبرها وخبره ، ولا يُطلعها على ما أسرّ إليه ، فقبل ذلك أبوها منه .

ثم قال للمؤدّب : خوّفه بى ، وشجّعهُ على مراسلة الجارية ، ففعل ذلك ، وفعلت الجارية ما أمرها به أبوها ؛ فلما انتهت إلى التجنّي عليه ، وعلم الفتى السبب الذى كرهته من أجله أخذ فى الأدب ، وطلب الحكمة ، والعلم ، والفروسية ، ولعب الصّوّالة ، والرّماية ، حتى مَهَر فى ذلك ، وُرُفِع إلى أبيه أنه يحتاج من المطاعم والآلات والدوابّ والملابس والوزراء فوق الذى كان له ؛ فسرّ الملكُ بذلك ، وأمر له بما أراد ، ودعا بمؤدّبِهِ ، فقال : إنّ الموضع الذى وَضَعَ ابْنى نفسه فيه بحبّ هذه المرأة لا يُزرى به^(٢) ؛ فتقدّم إليه أن يرفع أمرها إلىّ ويسألنى أن أزوّجَه إياها ، ففعل : فزوّجها منه ، وأمر بتعجيل نقلها إليه ، وقال له : إذا اجتمعت أنت وهى فلا تُحدِث شيئا حتى أصير إليك . فلما اجتمعا صار إليه فقال : يا بنى ، لا يضعنّ منها عندك مراسلتها إليك ، وليست فى حبالك ، فأنا أمرتها بذلك ، وهى من أعظم الناس مَنّةً عليك ، بما دَعَتَكَ إليه من طلب الحكمة ، والتخلّق بأخلاق الملوك ، حتى بلغت الحدّ الذى تصلحُ معه الملوكُ بعدى ؛ فزِدْها فى التشريف والإكرام بقدر ما تستحقّ منك . ففعل الفتى ذلك ، وعاش مسروراً بالجارية ، وأبوه مسروراً به ، وزاد فى إكرام المرزبان ، ورفّع مرتبته وشرفه بصيانيته لسره وطاعته ، وأحسن جائزته وجائزة المؤدّب

(١) لا يعدونك : لا يتجاوزنك إلى غيرك ، يأمره بسلامة السر (م)

(٢) لا يزرى به : لا يعيبه ولا ينقصه ولا يضع من قدره (م)

بامتثاله أمره ، وعَقَدَ لابنه الملك من بعده . قال اليماني : وكان الشيخ الحسن بن مصعب .

ثم قال ذو الرياستين : قال علي بن بلال :

سبِهْكَ فِي الدُّنْيَا شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ إِذَا غَالَهُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ غَائِلُهُ
وَيُنْجِي لَكُمْ حَبًّا شَدِيدًا وَرَهْمَةً وَلِلنَّاسِ أَشْغَالٌ ، وَحُبُّكَ شَاغِلُهُ
كَرِيمٌ يُبَيِّتُ السَّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ ، إِذَا اسْتَخْبَرُوهُ عَنْ حَدِيثِكَ ، جَاهِلُهُ
يَوَدُّ بَأْنَ يُمْنِي عَلِيلًا لَعَلَّهَا إِذَا سَمِعَتْ عَنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسِلُهُ
وَيَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعِلَالِ لِتُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ آيَلَى شَمَائِلِهِ^(١)
وذكر أعرابي الهوى فقال : هو أعظمُ مَسَلَكًا فِي الْقَلْبِ مِنَ الرُّوحِ فِي
الْحِسْمِ ، وَأَمْلَكَ بِالنَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ . يَظْهَرُ وَيَبْطُنُ ، وَيَكْتُمُ وَيَلْطَفُ ،
فَامْتَنِعْ عَنْ وَصْفِهِ اللِّسَانُ ، وَعَيَّ عَنْهُ الْبَيَانُ ! فَهُوَ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْجُفُونِ ، لَطِيفُ
الْمَسَلِكِ وَالْكُمُونِ . وَأَنْشُد :

يَقُولُونَ لَوْ دَبَّرْتَ بِالْعَقْلِ حَبَّهَا وَلَا خَيْرَ فِي حُبِّ يُدَبِّرُ بِالْعَقْلِ

[من رسائل الميكالي]

فصل للأمير أي الفضل الميكالي :

لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ تَزِيدُ رُتَبَتَهُ ارْتِفَاعًا ، وَبَاعَهُ اتِّسَاعًا ، وَعَزَّتْهُ غَلْبَةً وَأَمْتِنَاعًا ،
فَلَا يَبْقَى مَجْدٌ إِلَّا شَيْدَتْهُ مَعَالِيهِ وَمَكَارِمُهُ ، وَلَا مَلِكٌ إِلَّا أَفْتَرَعَتْهُ صِرَائِمُهُ وَصَوَارِمُهُ .
وله فصل : لَا زَالَتِ حَيَاةُ الْأَحْرَارِ بِفَضْلِهِ مَتَسِّمَةً ، وَوُجُوهُ الْمُسْكَارِمِ بَغَرَرِ
أَيَّامِهِ مَبْتَسِمَةً ، وَأَهْوَاءُ الصُّدُورِ بِخِدْمَةِ وُدِّهِ مَرْتَسِمَةً ، [وَغَنَائِمُ الشُّكْرِ بَيْنَ مَحَاسِنِ
قَوْلِهِ وَفَعْلِهِ مَقْتَسِمَةً] .

وله : اللَّهُ يُدِيمُ رَايَةَ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ مُحْفُوفَةً بِالْفُلْجِ وَالنَّصْرِ ، مَكْنُوفَةً^(٢) بِالْغَلْبَةِ

(١) الشَّامِلُ : جَمْعُ شَمَالٍ ، وَهِيَ الْخِصْلَةُ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ * وَمَا لَوْحِي أَخَى مِنْ

شَمَالِيَا * (م) (٢) مَكْنُوفَةٌ : مَحْوُطَةٌ (م)

والقهَر ، حتى لا يزال خَطْباً إلا تَذَلَّتْ به صِعَابُهُ ، ولا يُمَارِسُ أمراً إلا تَيْسَّرَتْ أسبابُهُ ، ولا يَرُومُ^(١) حلالاً إلا أَدْعَنَ لهيبته وسُلْطانه ، وخَضَعَ لسيفه وسِنانه ، وذَلَّ لمَقْعِدِ لوائه ، ومنذنى عنانه ، إلى أن ينالَ من آماله أفاصِيها ، ويمِلِكَ من بَماغيه أزمِمتها ونواصِيها [ويُسَامِحِي الثريا بعلو همته ويناصيها] .

وله فصل : إنما أشكو إليك زماناً سَلَبَ ضِعْفَ ما وَهَبَ ، وفَجَعَ بأكثر مما أَمْتَعَ ، وأوحش فوق ما آتَسَ ، وعنف في نَزْعِ ما أَلْبَسَ ؛ فإنه لم يُذِقْنَا حلاوة الاجتماع ، حتى جَرَّعَنَا مرارةَ الفراق ، ولم يمتعنا بأُنْسِ الالتقاء ، حتى غادَرْنَا رهَنَ التلْهَفِ والاشتياق ، والحمدُ لله تعالى على كل حال يُسِيءُ ويسر ، ويَحُلُو وَيُمر ، ولا أَيْأسُ من رُوحِ الله في إباحةِ مَنعٍ يجعلُ رُبْعَهُ مُنْخَضِي^(٢) ، ويُقَصِّرُ مدةَ البِعادِ والتراخي ، فألاحظُ الزمانَ بعينِ راضٍ ، ويُقْبِلُ إلى حَظِّي بعد إعراضٍ ، وأستأنفُ بعزِّته عيشاً سابِغَ الذبولِ والأعطافِ ، رقيقَ المعاني والأوصافِ ، عَذْبَ المواردِ والمناهلِ ، مأمونَ الآفاتِ والغوائلِ .

وله فصل : أنا أسأل الله تعالى أن يردَّ علي بَرَدَ العيش الذي فَقَدْتُهُ ، وفسحةَ السرور الذي عَهِدْتُهُ ؛ فَيَقْصِرُ من الفراق أمدُّهُ ، ويعلو للالتقاء حكمه ويَدُّهُ ، ويرْجِعُ ذلك العهدُ الذي رَقَّتْ غلائله ، وصَفَتْ من الأقداء مَنَاهله ، فلم أتهنأ بعده بأُنْسٍ مقيمٍ ، ولا تعلَّقت يوماً إلا بعيشِ بهيمٍ .

فلو تَرَجَّعُ الأيامُ بيني وبينهُ بذى الأَثَلِ صَيفاً مثل صيفي ومَرَبَعِي أَشَدُّ بأَعناقِ النوى بعد هذهِ مرائرٍ إن جاذِبَتْها لم تَقْطَعْ وما على الله بعزِيزٍ أن يقرَّبَ بعيداً ، ويَهَبَ طالعا سعيدياً ، ويُسَهِّلَ عسيرا ، ويفكَّ من رقِّ الاشتياق أسيرا .

(١) لا يروم : لا يطلب ، وأدعن : خضع وذلل (م)

(٢) المنخفض : موضع الإناخة ، وأصلها بروك الإبل ، وأراد بها الإقامة (م)

وله فصل من كتاب إلى أبي منصور عبد الملك الثعالبي :
قرأتُ خبرَ سلامته ، فسَرَى السرورُ في الجوانح ، واهتزَّت النفسُ له
اهتزازَ الغُصْنِ تحتِ البارح :

أليسَ لأخبارِ الأُحِبَّةِ فرحةٌ ولا فرحةُ العطشانِ فاجأهُ القطرُ
يقولون : قد أوْفَى لوقتِ كتابِهِ فتَنَشَّرَ البشري وينشِرُ الصَّدْرُ
ثم سألتُ الله تعالى أن يحرسَ علينا سلامته سابقةً الملابسِ والمطَّارِفِ ، موصولةً
التاليدِ بالطَّارِفِ .

وله فصل من كتاب تنزية عن أبي العباس بن الإمام أبي الطيب :
لئن كانت الرزية مُمِضَّةً مؤلَّةً ، وطُرُقُ العزاءِ والسُوءِ مُبْهَمَةً ، لقد حَلَّتْ بساحةِ
من لا تَنْقِضُ بِأَمثالها مَرَأَتُهُ ، ولا تَضَعُفُ عَنْ احتمالها بَصَائِرُهُ ، قد يَتَلَقَّاهَا
بصَدْرٍ فسيحٍ ، يحمى أن يبيحَ الحزنُ جنباهُ ، وصَدْرُ مشيحٍ ، يحمى أن يُحْبِطَ الجزعُ
أجره وثوابه ؛ كيف لا وآدابُ الدين من عنده تُلتَمَسُ ، وأحكامُ الشرع من
لسانه ويده تُستَفاد وتُتَقَبَسُ ، والعيون تَرْمُقُهُ في هذه الحال لتَجَرِّي على سننه ،
وتأخذَ بآدابه وسُنَّته ؛ فإن تعزَّتِ القلوبُ فبحسبِ تماسكه عزائوها ، وإن حسنتِ
الأفعالُ فإلى حميد أفعاله ومذاهبه اعتزائوها .

[من شعر الميكالي]

جملة من شعره في تحسين القوافي والغزل
قال :

عذيري من جفونِ رامياتِ بسهمِ السَّحْرِ من عيني غزالِ
غزاني طَرْفُهُ حتى سَبَّابِي لأنتصرنَّ منه بمن غزالي
وله أيضاً :

أما حان أن يشفى المُسْتَهَامُ بزورةِ وَضَلٍ وتأوى له^(١)

(١) في نسخة «أن يشفى المستهام» ولا يستقيم عليها وزن البيت (م)

يجمجم عن سُؤله هَيَّيَّةً وعلم عِلْمَكَ تَأْوِيلَهُ

وقال أيضاً :

شكوتُ إليه ما أُلَاقِي فقال لى : رويداً ففى حكم الهوى أنتَ مُؤْتَلَى
فلو كان حقاً ما ادَّعيتَ من الجوى لقلّ بما أُلِقى إذا أن تموتَ لى
وقال أيضاً :

تفرّق قلبى فى هواه فعنّده فريقٌ وعندى شُعبة وفريقٌ
إذا ظمِمتُ نفسى أقول لها: أَسْقِنِى فإن لم يكن راحٌ لديك فريقٌ^(١)

وقال أيضاً :

شَافَهُ كَفِّى رَشَأً بَقْبُلَةٍ ما شَفَتِ
فقلت إذا قَبَّلَهَا ياليت كَفِّى شَفَتِ

وقال :

يا شادناً غاب نَجْمُ الحسَن لولاهُ قد كان يوسفُ لما مات وَلَاهُ
ولاهُ رَقَى ظَرْفٌ فى شَمائِلِهِ فاشتطَّ فى الحِكم لولا أن تولاهُ
ارحم فتى مُدْنِفاً ما إن يُخَلِّصَهُ من غَمْرَةِ الوَجْدِ إلا أنتَ وَاللّهُ

[الاهتزاز لقضاء حوائج الناس]

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظُ : حدثني أبو الهيثم بن السندی بن شاهك قال : قلت فى أيام ولايتي السكوفة لرجلٍ من أهلها لا يَجِفُّ قلمه ولا تستريح يَدُهُ، ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الناس، وإدخال المنافع على الضعفاء، وكان رجلاً مفوهاً: أخبرنى عن الشيء الذى هوَّ ن عليك النصب، وقوَّاك على التعب، ماهو؟

(١) الراح : الخمر ، وقوله «فريق» مؤلف من الفاء الواقعة فى جواب الأمر ، وكلمة «ريق» وهو ماء الفم ، ويتضمن تشبيهه ريقه بالخمر (م)

قال : قد ، والله ، سمعتُ تغريدَ الأطيارِ بالأسحارِ على أفنانِ الأشجارِ ، وسمعتُ [خَفَقَ] أوتارَ العידانِ ، وترجيعَ أصواتِ القيآنِ ، فما طَرَبْتُ من صوتٍ قطُّ طَرَبِي من ثناءِ حسنٍ ، على رجلٍ قد أحسن ، ومن شاكرٍ مُنْعِمٍ ، ومن شفاعةٍ شفيعةٍ محتسبٍ لطالبٍ ذاكرٍ

فقال أبو الهيثم : فقلت له : لله أبوك ! لقد حُشيتَ كرماً ! فبأي شيء سَهَلْتُ عليكِ المُعاوَدَةَ والطلب ؟ قال : لا أبلغُ المجهود ، ولا أسألُ إلا ما يجوز ، وليس صدقُ العذرِ بأكرهٍ إليَّ من إنجازِ الوعد ، ولستُ لإكراهِ السائلِ بأكرهٍ مني لإجفافِ المسئولِ ، ولا أرى الراغبَ أو وجبَ حقاً علىَّ للذي قدم من حُسْنِ ظنه من المرغوبِ إليه للذي احتمل من كله . قال إبراهيم : ما سمعتُ كلاماً قطُّ أشدَّ مؤالفةً لموضعهِ ، ولا أليقَ بمكانهِ ، من هذا الكلام .

[بين عميلة الفزاري وأسيد بن عنقاء]

وروى أبو بكر بن شقير النحوي عن أحمد بن عبيد قال : كان أسيدي بن عنقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه ^(١) ، وأشدَّهم عارضةً ولساناً ، وطال عمره ، ونكبه دهره ؛ فاختلَّتْ حاله ، فخرج يتقبل ^(٢) لأهله ؛ فمرَّ عليه عميلة الفزاري ، فسلم عليه ، وقال : يا عم ؛ ما أشاركُ إلى ما أرى ؟ قال : بخُلْ مثلكَ بماله ، وصَوْنُ وجهي عن مسألة الناس . قال : أما والله لئن بقيتُ إلى غدٍ لأغيرنَّ من حالك ما أرى ، فرجع ابن عنقاء إلى أهله فأخبرهم بما قال عميلة ، فقالوا له : غرَّكَ كلامُ غلامٍ جُنَحَ ظلام فسكأنما ألقموا فاهُ حجراً ؛ فبات متململاً بين رجاءٍ ويأسٍ ، فلما كان السحر سمع رُغاءَ الإبل ، ونبغاءَ الشاء ، وصهيل الخيل ، ولَجَبَ الأموال ، فقال : ما هذا ؟

(١) في الأمل (٢٣٧/١) « من أكثر أهل زمانه » (م)

(٢) يتقبل لأهله : يطلب لهم البقل (م)

قالوا : عُحْمِلَةٌ قد ساق إليك ماله ، فخرج ابنُ عنقاء له ^(١) ، فقسم ماله شطرين ، وساهم عليه ، فأنشأ ابنُ عنقاء يقول :

رَأَيْتُ عَلَى مَابِي عُحْمِلَةً فَاشْتَكَيْتُ	إِلَى مَالِهِ حَالِي ، أَسْرَتْ كَمَا جَهَرَ
دَعَانِي فَوَاسَانِي ، وَلَوْ ضَنَّ لَمْ يُلَمِّ	عَلَى حِينٍ لَا بَدْوُ يُرَجَّى وَلَا حَضَرُ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا ، وَأَثْنَيْتُ فِعْلَهُ	وَأَوْفَاكَ مَا أُولَيْتَ مَنْ ذَمَّ أَوْ شَكَرَ ^(٢)
وَلَمَّا رَأَى الْمَجْدَ اسْتُعِيرْتُ ثِيَابَهُ	تَرَدَّى بِثَوْبٍ سَابِغِ الذَّيْلِ وَاتَّزَرَ ^(٣)
غِلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحَسَنِ يَافِعًا	لَهُ سِيمِيَاءٌ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصَرِ
كَأَنَّ الثَّرِيَا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ	وَفِي أَنْفِهِ الشَّعْرَى وَفِي خَدَّهِ الْقَمَرُ
إِذَا قِيلَتْ الْعَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ	ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ ، وَلَوْ شَاءَ لَا تَتَصَرُّ

[من غرر اللدائح]

وأنشد أبو حاتم عن أبي عبيدة للعَرَنَدَسِ أحد بني بكر بن كلاب يمدح بني عمرو الغنويين ، وكان الأصمعي يقول : هذا من ^(٤) المحال ، كلابي يمدح غنويًا !

هَيْنُونَ لَيَنْوُنَ أَيْسَارُ ذُووِ كَرَمٍ	سُوَّاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
إِنْ يَسْأَلُوا الْعُرْفَ يُعْطَوْهُ ، وَإِنْ خُبرُوا	فِي الْجَهْدِ أُدْرِكُ مِنْهُمْ طَيْبُ أَخْبَارِ
لَا يَنْطَقُونَ عَنِ الْأَهْوَاءِ إِنْ نَطَقُوا	وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ	مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِى بِهَا السَّارِي
مِنْهُمْ وَفِيهِمْ يُعَدُّ الْخَيْرُ مِثْلًا	وَلَا يُعَدُّ نَتَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ

[صُرُوفُ الدَّهْرِ]

فصل لبعض الكتاب — ماتعجبك مما لقيت من الخيف ! هل ضمن الدهر أن

(١) في الأماشي « فاستخرج ابن عنقاء ثم قسم ماله شطرين وساهمه عليه » (م)
 (٢) وفيه « وأوفاك ما أبلت » (م) (٣) وفيه « تردى رداء سابغ الذيل » (م)
 (٤) في الأغاني (١/٢٣٩) : « هذا المحال »

يُنْصِفُ وَلَا يَحِيفُ^(١) ، أَوْ يُنِيرِمُ فَلَا يَنْقُضُ ، أَوْ يُعَافِي فَلَا يُمْرِضُ ، أَوْ يَصْفُو
فَلَا يَكْدُرُ ، أَوْ يُبْنِي فَلَا يَفْذَرُ ؟ قَدَّرَ أَنْ تَعْذِبَ لِي مَسَارِبُهُ ، وَتَلِينَ لِي جَوَانِبُهُ ،
فَحُكْمُ الدُّنْيَا لَا تَتْرَكُ حَامِداً لَهَا إِلَّا أَسَكَّتَهُ ، وَلَا ضَاحِكا إِلَّا أَبْكَتَهُ ،
أَقْوَى مَا كَانَ بِهَا ثِقَةً ، وَأَشَدُّ مَا كَانَ لَهَا مِقَّةً^(٢) ، وَأَوْكَدُ مَا كَانَ رُكُوناً إِلَيْهَا ،
وَأَعْظَمُ مَا كَانَ حِرْصاً عَلَيْهَا .

[مِنْ لَا يُؤْفِي النِّعَمَ حَقَّهَا]

وَقَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ يَصِفُ رَجُلًا بِالذَّمِّ :
مَا ظَنَنْتُكَ بَعْدَ يَعْصِفُ بِالنِّعَمِ عَنَفٌ مِنْ سَاءَتِهِ مُجَاوِرَتُهَا ، وَيَسْتَخْفُ بِحَقِّهَا
اسْتِخْفَافٌ مِنْ ثَقُلَ عَلَيْهِ حَمْلُهَا ، وَيَطْرَحُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا أَطْرَاحٌ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّ
الشُّكْرَ يَرْتَبِطُهَا .

[عَوْدٌ إِلَى غُرَرِ الْمَدَائِحِ]

لَأَبِي الشَّيْصِ

وَقَالَ أَبُو الشَّيْصِ :

يَا مَنْ تَمَتَّى عَلَى الدُّنْيَا مَبَالِغَهَا هَلَا سَأَلْتُ أَبَا بَشَرٍ فِتْنَةَ طَاهَا
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ إِلَّا هَبَّ نَائِلُهُ وَلَا ارْتَقَى غَايَةَ إِلَّا تَحَطَّاهَا
غَيْرُهُ :

طَلَّابُ الْعِلْمِ إِلَّا عَلَيْكَ سِيرٌ وَبَاعُ الْأَعَادِي عَنْ مَدَاكَ قَصِيرٌ
إِذَا عُدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ كُنْتَ الَّذِي لَهُ وَلِلْفَضْلِ فِيهِ أَوَّلٌ وَأَخِيرٌ

لَأَبِي الْحِجْنَاءِ

وَقَالَ أَبُو الْحِجْنَاءِ الْأَصْغَرُ نُصِيبُ يَصِفُ إِسْحَاقَ بْنَ صَبَاحٍ :

كَأَنَّ ابْنَ صَبَاحٍ ، وَكَنْدَةً حَوْلَهُ إِذَا مَا بَدَأَ ، بِذُرٍّ تَوَسَّطَ أَنْجَمَا
عَلَى أَنَّ فِي الْبَدْرِ الْحَاقَّ ، وَإِنْ ذَا تَمَامٌ فَمَا يَزِدَادُ إِلَّا تَمَمَا

(١) يَحِيفُ : يَجْجُرُ وَيُظْلِمُ (م) (٢) اللَّقَّةُ : الْحَبُّ ، أَوْ أَشَدُّهُ (م)

لنصيب
في البرامكة

تري المنبر الغربي يهتز تحته إذا ما علا أغواده وتكلما
فأنت ابن خير الناس إلا نبوة ومن قبلها كنت السنام المقدما
ونصيب هو القائل في البرامكة ، وكان منقطعاً إليهم :
عند الملوك مضرّة ومنافع وأرى البرامك لا تضرّ وتنفع
إن العروق إذا استمر بها البترى أثّ النبات بها وطاب المزرع^(١)
فإذا جهلت من أمرى أغرقه وقديمه فانظر إلى ما يصنع
أخذ هذا من قول سلم الخاسر :
لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهد من الخبر
وقال نصيب في بني سليمان بن علي :

لنصيب
في بني سليمان
بن علي

بني سليمان حزنتم كل مكرمة وليس فوقكم فخر لمفخر
لا تسأل المرء يوماً عن خلائقه في وجهه شاهد ينبئك عن خبر
حسب امرئ شرفاً أن ساد أسرته وأنت سدت جميع الجن والبشر
سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجة ، فلم يقضها ،
وسأل آخر ، فقضاها ، فقال للأول :

دُمت ولم تحمد ، وأبّت بحاجة تولى سواكم شكرها واصطناعها
أبى لك فعل الخير رأى مقصّر ونفس أضاق الله بالبخل باعها
إذا ما أرادته على الخير مرّة عصاها ، وإن همت بشراً أطاعها

[فَعَالَاتُ الْأَجْوَاد]

قال رجل لهشام بن عبد الملك : قد افتقرت يا أمير المؤمنين إلى ظهور
حسن رأيك ، فإن رأيت إظهاره بسرور الصديق ، ورغم العدو ، فعلت ،

هشام بن
عبد الملك

(١) في نسخة «أب النبات بها» تطبيع : وأثّ النبات : كثر والتف. (م)

قال هشام : أوجزت وملحت فيما سألت ؛ فلا ترد لك طلبية ، فما سأله شيئاً إلا أعطاه أكثر منه .

عمرو بن
مسعدة

قال حميد بن بلال : ولي عمرو بن مسعدة فارس وكرمان ، فقال له بعض أصحابه : أيها الأمير ، لو كان الحياء يظهر سؤالاً لدعاك حيائي من كرمك في جميع أهليك إلى الإقبال على بما يكثر به حسد عدوي ، دون أن أسألك ، فقال عمرو : لا تبغ ذلك بابتدالك ماء وجهك ، ونحن نغنيك عن إفاقته في خوض السؤال ، فأرفع ما تريده في رقة يصل إليك سراً ، ففعل .

محمد بن
طيفور

وقال رجل من أهل فارس : قدم على محمد بن طيفور ، وهو عامل على بلاد أصبهان لبعض أهلها : كم تقدرون صلات محمد في كل سنة للشعراء والمتوسلين ؟ قالوا : مائة ألف دينار ، سوى الخلع والحلان^(١) .

وورد عليه يوماً كتاب من بعض إخوانه في شأن رجل استباحه له في درجه^(٢) : أنت أعزك الله تعالى أجل من أن يتوسل بغيرك إليك ، وأن يستباح جودك إلا بك ، غير أني أذكرك بكتابي في أمر حامله ، ما سارع كرمك [من الشكر] وزرع إحسانك من الأجر ، قبل الصادرين والواردين ؛ فهناك الله تعالى ذلك ، ولا زالت يد الله بحمिल إحسانه ونعمته متواترة عليك .

فقال محمد للرجل : احتكم لك وله ؛ فأخذ منه ألف دينار ، ولمن كتب له مثلها .

إبراهيم بن
المهدي

وقال رجل لإبراهيم بن المهدي : قد أوحشني منك تردد غليل في صدري أهابك عن إظهاره ، وأجلك عن كشفه ، فقال له إبراهيم : لكني أكشف لك معروف ، وأظهر إحساني ؛ فإن يكن غير هذين في خلدك ، فاكتب رقة يخرج توقيعاً سراً لتقف على ماتحب ، فبلغ كلامه المهدي فقال : هذا والله غاية الكرم .

(١) في نسخة « سوى الخلع والهدايا » (م)

(٢) في نسخة « استباحه له في منزله » (م)

محمد بن طيفور وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمال كثير وصا به ، فكتب الرجل إليه : قد استغرقت نِعْمَتَكَ وجُودَ الشكر لك ، وغررَ الحمد فيما سلف منك ، ولولا فرطُ عجزى عن تلقى ما يجبُ لك من الحمد لقبلتُ ما أنفذته .

فكتب إليه محمد : قد صغرَ شكرُك لنا ما أسلفناه إليك ؛ فخُذ ما أنفذناه ثوابا عن معرفتك بِشُكْرِ التافه^(١) عندى ، وإلاّ سمح شكرُك بما رأيته لك له أهلا إلى أن يتسع قبول مثلك ما يستحق به جميل الدعاء ، وجزيل الثناء ، إن شاء الله تعالى .

[من نوادر الرثاء]

قرن زيدة بنت جعفر ساءها ذلك ، ونالها من الغم ما عرّفه الصغير والكبير من خاصتها ، فكتب إليها أبو هارون العبدى :

أيتها السيدة الخطيرة ؛ إنَّ موقعَ الخطب بذهاب الصغير المعجب كموقع السرور بنَيْل الكثير المفرح ، ومن جهل قدرَ التعزية عن التّافه الخفيّ ، عَمِيَ عن التهنئة بالجليل السّنيّ ، فلا نقصك الله الزائد في سرورك ، ولا حرّمك أجرَ الذهاب من صغيرك .
فأمّرت له بمجازة .

وكتب أبو إسحاق الصّابى عن ابن بقية فى أيام وزارته إلى أبى بكر بن قرية يعزّيه عن نور أبيض بقوله ، وجلس للعزاء عنه ترّاقعاً وتحمّاقاً :

التعزية على المفقود أطال الله بقاء القاضى إنما تكون بحسب محلّه من فائده ، من غير أن تُراعى قيمته ولا قدره ، ولا ذاته ولا عينه ؛ إذ كان الغرض فيها تبريد الغلّة ، وإخادع اللّوعة ، وتسكين الزّفرة ، وتنفيس الكربة ، فربّ ولّد

(١) فى نسخة « معرفتك بشكر ما أسديناه »

عاق ، وشقيق مُشَاق ، ودى رحم أصبح لها قاطعا ، [ولأهله فاجعا] ، وفريب قوم قد قلّدهم عارا ، وناط بهم شَنَارا ، فلا لَوَم على تَرَكَ التعزية عنه ، وأخر بها أن تستخيل تهنةً بالراحة منه ؛ وربّ مالٍ صامتٍ غيرِ ناطقٍ ، قد كان صاحبه به مستظهِرا ، وله مستثمرا ، فالجميعُ به إذا فقد موضوعةً موضعها ، والتعزية عنه واقعةٌ منه موقعها . وقد بلغنى أن القاضى أصيب بثور كان له ، فجلس للعزاء عنه شاكيا ، وأجهش عليه باكيا ، والندم عليه وإلهام^(١) ، وحُكيت عنه حكايات في التأين له ، وإقامة الندبة عليه ، وتعيد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرقت في غيره ، واجتمعت فيه وحده ؛ فصار كما قال أبو نواس ، في مثله من الناس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
لأنه يَكْرُب الأرض مغمورة^(٢) ، ويُثيرها مزروعة ، ويرقص في الدواليب ساقيا وفي الأرحاء طاحنا ، ويحمل الغلات مستقلا ، والأثقال مستخفا ؛ فلا يؤوده عظيم ، ولا يُعجزه جسيم ، ولا يجري في الحائط^(٣) مع شقيقه ، ولا في الطريق مع رفيقه ، إلا كان جلدا لا يُسبق ، ومبرزا لا يُلحق ، وفائتا لا يُنال شأوه وغايته ، ولا يبلغ مداه ونهايته . ويشهد الله أن ما ساء ساءنى ، وما آلم آلمنى ، ولم يجزْ عندى في حق ودّه استصغارُ خطبٍ جلّ عنده ، فأرقه وأمضه وألقاه ، ولا تهوينُ صعبٍ بلغ منه وأمرضه ، وشفّه وأمرضه ؛ فكُتبت هذه الرقعة ، قاضيا بها من الحق في مصابه هذا بتمذّرٍ ما أظهر من إكباره إياه ، وأبان من إعظامه له ؛ وأسأل الله تعالى أن يخصّه من المعوضة بأفضل ما خُص به البشر ، عن البقر ، وأن يُفردَ هذه البهيمة المعجاء بأثرة من الثواب ، يضيفها إلى المكلفين من أهل

(١) في نسخة « ولها » بدون ألف ، وليست بشيء ، يقال : وله الرجل يله - مثل وعد يبعد ، ووله يوله - مثل وجل يوجل - فهو ولهان ، وواله ، وآله ، والواله : الشديد الحزن (م) (٢) يكرّب الأرض : يثيرها للزرع ، وفي نسخة « معمورة » بالعين مهولة (م) (٣) الحائط : البستان (م)

الألباب^(١)؛ فإنها وإن لم تكن منهم ، فقد استحققت ألا تُفرد عنهم ، بأن مسّ القاضى سببها ، وصار إليه مُنْتَسِبُها ، حتى إذا أنجز الله ما وعد به [عباده المؤمنين] من تمحيص سيئاتهم ، وتضعيف حسناتهم ، والإفضاء بهم إلى الجنة التى رَضِيَهَا لهم داراً ، وجعلها لجماعتهم قَرَاراً ؛ وأورد القاضى - أيده الله تعالى - مواردَ أهلِ النعيم ، مع أهل الصراط المستقيم ، جاء وتَوَزَّه هذا مجنوبٌ معه ، مسموح له به ؛ وكما أن الجنة لا يدخلها الخبث ، ولا يكون من أهلها الحدث ، ولكنه عَرَقَ يجرى من أعضائهم ، كذلك يجعلُ الله تَوَزُّرَ القاضى مركبا من العَنَبِ الشَّخْرِى ، وماء الوردِ الجُورى ؛ [فيصير تَوَزُّراً له طورا ؛ وجُونةَ عَطِرٍ^(٢) له طورا] وليس ذلك بمستبعد ولا مستنكر ، ولا مستصعب ولا متعذر ؛ إذ كانت قدرةُ الله بذلك محيطَةً ، ومواعيدهُ لأمثاله ضامنة ، بما أعدّه الله فى الجنة لعباده الصادقين ، وأوليائه الصالحين ؛ من شهوات أنفسهم وملأذ أعينهم ، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائض كرمه ، بما نعه ذلك مع صالح مساعيه ، ومحمود شيمه ؛ وقلبي متعلق بمعرفة خبره ، أدام الله عزّه فيما أدرعه من شعار الصبر ، واحتفظ به من إيثار الأجر ، ورفع إليه من السكون لأمرِ الله تعالى فى الذى طَرَقَهُ ، والشكر له فيما أزعجه وأقلقه ، فليعرفنى القاضى من ذلك ما أُكُونُ ضاربا معه بسهمِ المساعدة عليه ، وآخِذاً بِقِسْطِ المشاركة فيه .

فصل من جواب أبى بكر : وصل توقيعُ سيدنا الوزير أطلال الله بقاءه ، وأدام تأييده ونعماءه ، وأكمل رفعته وغلاذه ، وحرس مُهْجته ووقاه ، بالتعزية عن الثور الأبيض ، الذى كان للحرثِ مثيراً ، وللدواليب مُديراً ، وبالسبقِ إلى سائر المنافع شهيراً ، وعلى شدائد الزمان مُساعدا وظهيراً^(٣) . لعمرُك لقد كان بِعَمَلِهِ

(١) فى نسخة « من ذوى الألباب » والألباب : العقول ، واحدها لب (م)

(٢) الجونة - بضم الجيم - سلة صغيرة تغطى بالجلد ، تكون مع العطارين (م)

(٣) ظهيراً : معيناً

ناهضاً، ولحافات البقر رافضاً، وأتى لنا بمثله وشرّواه^(١)، ولا شروى له؛ فإنه كان من أعيان البقر، وأنفع أجناسه للبشر، مضاف ذلك إلى خلاتٍ لو لا خوفٍ من تجدد الحزن عليه، وتهيج الجزع وانصرافه إليه لمددتها؛ ليعلم - أدام الله عزه - أن الحزين عليه غير مَلُوم. وكيف يُلام امرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاة، ومن خدّم معيشته بهيمة تُعين على الصوم والصلاة، وقد احتذيتُ مأمثله الوزير من جميل الاحتساب، والصبر على المصائب؛ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون قول من علم أنه أملك لنفسه وماله وأهله^(٢) وأنه لا يملك شيئاً دونه؛ إذ كان جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه، هو الملك الوهاب، المرتجع ما ارتجع مما يعوض عليه نفيس الثواب. وقد وجدت - أيد الله الوزير - للبقر خاصةً فضيلةً على سائر بهيمة الأنعام، تشهد بها العقول والأفهام، وذكر جملة من فضائلها.

وكانَ أبا نواس في قوله :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

نَظَر في هذا المعنى إلى قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

[عَوْدٌ إلى المختار من الرثاء]

وقالت امرأة من العرب، يقال: إنها امرأة العباس عم النبي صلى الله عليه

لامرأة العباس

وسلم، ترقى بذبحها^(٣) :

رَعَوْا من المجد أكنافا إلى أجل حتى إذا كملت أظفارهم وردّوا

مَيِّتٌ بِبَصْرٍ، وَمَيِّتٌ بِالْعِرَاقِ، وَمَيِّتٌ بِالْحِجَازِ، مَنَياً بينهم بدّد

كانت لهم هِمٌّ فرّق بينهم إذا القعايدُ عن أمثالهم قعدوا

(١) الشروى - يفتح الشين وسكون الراء - المثل، والنظير، وفي نسخة

« وأتى لنا بمثله وشرائه وهو لا يشري » تحريف (م)

(٢) في نسخة « قول من علم أن المرء لا يملك نفسه وماله وأهله . بل لا يملك

شيئاً دونه » (٣) تنسب هذه الأبيات أيضاً إلى فاطمة بنت الأحجم الخزاعية (م)

بَثَّ الجليل، وتفرج الجليل، وإعطاء الجزيل الذي لم يُعطه أحدٌ
وقال عبدة بن الطيب في قيس بن عاصم :

عليك سلام الله قيسُ بنَ عاصمٍ ورحمتهُ ما شاء أن يترحمًا
تحية من ألبسته منك نعمة إذا زار عن شحطِ بلادك سلماً^(١)
فما كان قيسٌ هُلكهُ هُلك واحدٍ ولكنه بُنيانُ قومٍ تهـدماً
وقيس بن عاصم هو القائل :

إني امرؤٌ لا يَمْتَرِي حَسْبِي دنسٌ يُغَيِّرُهُ ولا أَفْنُ
من مَنقرٍ في بيتٍ مكرُمَةٍ والأصل يَنْبِتُ حوله الغَضَنُ^(٢)
خُطباء حين يقول قائلهم يبيضُ الوجوه أَعْفَى لُسْنُ^(٣)
لا يَفْطِنُونَ لِعيبِ جارِهِمْ ومُهمُ الحُسنِ جواره فُطْنُ

وقالت أخت الوليد بن طريف الشيباني ترميه :

لأخت الوليد
ابن طريف

أيا شَجَرَ الخابورِ مالكٌ مُورِقاً كأنك لم تَجْزَعْ على ابنِ طَريفٍ
فَتَى لا يَعدُّ الزادَ إلّا من التقي ولا المالَ إلّا من قنّا وسيوفِ
عليك سلامُ الله وقفاً؛ لأنني أرى الموتَ وقاعاً بكلِّ شريفٍ
فقدناكَ فَقَدَانُ الربيعِ، وليتنا فَدَيْنَاكَ من فتيتنا بألوفٍ

وخرج الوليد في أيام الرشيد ، فقتله يزيد بن مزيّد ، وفي ذلك يقول بكر

بكر بن
الناطح

ابن النطاح الحنفي :

يا بني تغلب لقد فَجَعَتَكُمُ من يزيدٍ سيوفُهُ بالوليدِ
لَوْ سيوفُ سَوى سيوفِ يزيدٍ قارَعَتُهُ لَأَقَتْ خِلافَ السَموَدِ
واترُ بعضها يقتل بعضاً لا يفلُ الحديدُ غيرَ الحديدِ

(١) في نسخة « تحية من غادرته غرض الردى » (م)

(٢) في الأمالى (٢٣٩/١) « والفرع يَنْبِتُ حوله » (م)

(٣) وفيه « مصاقع لسن » (م)

[من شعر بكر بن النطاح]

وكان بكر كثير التعصب لربيعة والمدح فيهم، وهو القائل:

ومن يفتقر منا يعيش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
ونحن وُصِفْنَا دون كل قبيلة بشدة بأس في الكتاب المنزل
وإنا لنلهم بالسيوف كما لهت فتاة بعقد أو سحاب قرنفل^(١)
يريد قول الله عز وجل: « ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد ». جاء في
بعض التفاسير أنهم بنو حنيفة قوم مُسيلة الكذاب .

وبكر القائل أيضا في أبي دلف:

يا عصمة العزب الذي لو لم يكن حيا لقد كانت بغير عماد
إن العيون إذا رأتك حدادها رجعت من الإجلال غير حداد
وإذا رميت الثغر منك بعزيمة فتحت منه مواضع الأسداد
فكان رمحك منقع في عُصْفُرٍ وكان سيفك سل من فرصاد
له صال من غضب أبو دلف على بيض السيوف لذبن في الأغداد
أذكي وأوقد للعداوة والقرى نارين نار وغى ونار زناد

نسب أبي دلف
العجلي

وأبو دلف هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شنج بن
معاوية بن خزاعي بن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل
ابن لجيم .

وقد رويت الأبيات التي مرت لأخت الوليد بن طريف لعبد الملك بن
بجرة الميزي .

وقال أبو هفان واسمه منصور بن بجرة ، قال : أنشدني دعلب لنفسه :
وداعك مثل وداع الربيع وقعدك مثل افتقاد الدائم

لدعلب الخزاعي

(١) السحاب - بزة الكتاب - قلادة ليس فيها جوهر (م)

عليك السلام فكم من وفاء أفارق منك وكم من كرم
فقلت : أحسنت ، ولكن سرقت البيتين من ربيعين : الأول من قول
القطامي :

ما للكواعب ودّ عن الحياة كما ودّ غنّي واتخذن الشيب ميعادى
والثاني من قول ابن بجرة :

* فقدناك فقدان الربيع وليتنا *
وأنشد البيت . فقال : بلى ، والله سرق الطائي من ابن بجرة بيتا كاملا فقال :
عليك سلامُ الله وقفا فإنني رأيت الكريم الحرليس له عُمر
كذا وردت الحكاية من غير وجه ، وكان يجب إذا كان من ربيعين
أن يكون « فقدناك فقدان الربيع » لأخت الوليد .

وقد قال السموءل في قصر العمر :

يقرب حبّ الموتِ آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ
وقال ابن قتيبة : أخذ النميري قوله : « أيا شجر الخابور » من قول الجن في

عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

وثاء عمر
ابن الخطاب

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتزّ العِصاه بأسواقِ
وقد أنشده أبو تمام الطائي للشماخ في أبيات أولها :

جزى الله خيرا من أميرٍ وباركتْ يدُ الله في ذاك الأديم الممزّق
[ومن يسع أوركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يُسبق]
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها نوافج في أكلها لم تفتّق^(١)
وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبنتي أزرق العين مطرق
تظل الحصان البكر تلقى جنينها ثنا خبر فوق المطى معلق

(١) النوافج : جمع نافلة ، وهى وعاء المسك ، والأكلام : جمع كم - بكسر
الكاف - وهو وعاء الطلع ، وهو أيضا الغلاف الذى ينشق عن الثمر ، وروى
« بوائق فى أكلها » والبوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية والشر ، ولم تفتّق : لم تفتح (م)

وقد قال بشار قريباً من قوله : [ولا المال إلا من قنا وسيوف] : لبشار

على جَنَبَاتِ الْمَلِكِ مِنْهُ مَهَابَةٌ وفي الدرع عِبْلُ السَّاعِدِينَ قَرُوعٌ
إذا اخْتَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُمْ خَطَّيَّةٌ وَدُرُوعٌ
وهذا كقول أبي الطيب المتنبي في فاتك الإخشيدى :

كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَاتٌ وَكُلُّ دَارٍ بِلَقْعٍ
وَإِذَا الْمَسْكَارُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أُعُوجَ كُلِّ شَيْءٍ يَجْمَعُ^(١)

ومن بارع هذا النحو قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي : لعبد الملك الحارثي

وَإِنِّي لِأَرْبَابِ الْقُبُورِ لِعَاقِبٌ لَسُكْنَى سَعِيدٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ
وَإِنِّي لِمَفْجُوعٌ بِهِ إِذْ تَسْكَاثَرَتْ عِدَاتِي وَلَمْ أَهْتَفْ سِوَاهُ بِنَاصِرِ
وَكُنْتُ كَمَغْلُوبٍ عَلَى نَضْلِ سَيْفِهِ وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَضْلُ حَرَّانٍ بَاتِرِ
أَتَيْنَاهُ زُورًا فَأُجِدْنَا قَرَى مِنَ الْبَثِّ وَالْدَاءِ الدَّخِيلِ الْحَامِرِ
وَأُبْنًا بِزَرْعٍ قَدْ نَمَا فِي صَدُورِنَا مِنَ الْوَجْدِ يُسْقَى بِالْدمُوعِ الْبَوَادِرِ
وَلَمَّا حَضَرْنَا لِأَقْسَامِ تُرَائِهِ أَصْبَنَّا عَظِيمَاتِ اللَّهِى وَالْمَائِرِ^(٢)
أى لم نصب مالا، ولكننا أصبنا فعلا.

[من كلاب الأعراب]

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة، فوقفت بين السَّمَاطِينَ^(٣)،
فَقَالَتْ : أَسْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، وَأَمْتَعَ بِهِ ؛ حَدَرْتُنَا إِلَيْكَ سَنَةً أَشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ،
وَانْكَشَفَ غَطَاؤُهَا ، أَقْوَدُ صَبِيَّةٍ صَغَارًا ، وَآخِرِينَ كِبَارًا ، فِي بِلَدٍ شَاسِعَةٍ ،
تَحْفِضُنَا خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمَلَمَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ بَرَّيْنِ عَظْمَى ، وَأَذْهَبِينَ
لَحْمَى ، وَتَرْكُنَنِي وَالْهَةَ أَدُورُ بِالْخُضِيِّضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ
فِي أَحْيَاءِ الْعَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ فَضَائِلُهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمَكْفَى نَائِلُهُ^(٤) ؛

(١) الصواري : السيوف ، واحدها صارم ، وبنات أعوج : الحيل العربية
الأصيلية (م) (٢) اللها - بضم اللام - العطايا الجزيلة (م)

(٣) السَّمَاطُ - بزنة الكيتاب - الصف (م) (٤) في نسخة «الكافي نائله» (م)

فَدَلَّتْ عَلَيْكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازَنٍ ؛ وَقَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ،
وَغَابَ الرَّافِدُ ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غَيَانِي ، وَمُنْتَهَى أَمَلِي ، فَافْعَلْ بِي إِحْدَى ثَلَاثَ :
إِمَّا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تَحْسَنَ صَفْدِي ^(١) . أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ! فَقَالَ : بَلْ أَجْعَمُهَا
لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُجَرِّي عَلَيْهَا كَمَا يُجَرِّي عَلَى عِيَالِهِ ، حَتَّى مَاتَ .

أعرابي يباب
عبيد الله بن زياد

قَالَ الْعَتَبِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِيَابَ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ
الْفَضَارَةِ ^(٢) ، حَقَّبَ السَّحَابُ ^(٣) ، وَانْقَشَعَ الرَّبَابُ ^(٤) ، وَاسْتَأْسَدَتِ الذَّنَابُ ،
وَرَدَمَ الثَّمَدُ ، وَقَلَّ الْحَفْدُ ^(٥) ، وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكَفَتْ كَثِيرَ الْعُقَاةِ ، صَخِبَ
السَّقَاةُ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ ^(٦) ، لَا أَتَضَاعِلُ لِلزَّمَانِ ، وَلَا أَحْفَلُ بِالْحُدُنَانِ ، حَتَّى
حِلَالٍ ^(٧) ، وَعَدَدٌ وَمَالٌ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيَّدَى سَبَاً ، بَعْدَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ؛ وَكَفَتْ
حَسَنَ الشَّارَةِ ، خَصِيبَ الدَّارَةِ ، سَلِيمَ الْجَارَةِ ، وَكَانَ مَحَلِّي رَحْمِي ، وَقَوْمِي
أُمِّي ، وَعَزَمْنِي جَدًّا ؛ قَضَى اللَّهُ وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى ، بِسَوَافِ الْمَالِ ^(٨) ،
وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَمَيُّزِ الْحَالِ ، فَأَغِيثُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَلِسَانُهُ وَأَفَدُهُ ،
وَفَقَرُهُ سَائِقُهُ وَقَائِدُهُ .

[مِنْ مَقَامَاتِ بَدِيعِ الزَّمَانِ]

المقامة البصرية

وَمِنْ مَقَامَاتِ الْإِسْكَانْدَرِي مِنْ إِنْشَاءِ بَدِيعِ الزَّمَانِ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا مِنْ سَنِيٍّ فِي فِتَاءٍ ^(٩) ، وَمِنْ
الرِّزْيِ فِي حَيْرٍ وَوِشَاءٍ ^(١٠) ، وَمِنْ الْغَنَى فِي بَقَرٍ وَشَاءٍ ؛ فَأَتَيْتُ الْمَرْبَدَ مَعَ رُقَّةٍ
تَأْخُذُهُمُ الْعَيُونَ ، وَدَخَلْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَتَزَنِّهَاتِ ، وَمَشَيْنَا فِي تِلْكَ الْمَتَوَجِّهَاتِ ،
وَمَلَكَتُنَا أَرْضٌ فَخَلَّلَنَاهَا ، وَعَمَدَنَا لِقِدَاحِ اللَّهِو فَأَجَلَّنَاهَا ، مُطَّرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ ،

(١) الصَّفْدُ - بِالْتَحْرِيكِ - الْعِطَاءُ ، وَالْأَوْدُ - بِالْتَحْرِيكِ - الْعُوجُ (م)

(٢) الْفَضَارَةُ : النِّعْمَةُ (م) (٣) حَقَّبَ السَّحَابُ : احْتَبَسَ ، وَالْمُرَادُ الْمَطَرُ (م)

(٤) الرَّبَابُ : الْأَبْيَضُ مِنَ السَّحَابِ (م) (٥) الْحَفْدُ : الْأَعْوَانُ وَالْأَنْصَارُ (م)

(٦) الدَّلَاةُ : جَمْعُ دَالٍ ، وَهُوَ الْمُسْتَقَى بِالْأَلْوَانِ مِنَ الْبَرِّ (م) (٧) حَتَّى حِلَالٍ : مُقِيمُونَ (م)

(٨) سَوَافِ الْمَالِ : هَلَكَ (م) (٩) فِتَاءُ السَّنِ : مِيعَتُهُ وَفَضَارَتُهُ (م)

(١٠) الْحَبْرُ : جَمْعُ حَبْرَةٍ - بِوَزْنِ عَنَبَةٍ - وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْوُثْيِ ، وَالْوُشَاءُ :

نَوْعٌ مِنَ الْبِلَاسِ مَطْرُزٌ (م)

إِذْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا مَنَّا ، فَمَا كَانَ إِلَّا بِأَسْرَعٍ مِنْ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ حَتَّى عَنْ لَنَا
 سَوَادٌ ، تَخَفِضُهُ وَهَادٌ ، وَتَرْفَعُهُ نِجَادٌ ، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ بِهِمْ بَنَّا ، فَأَتَلَعْنَا^(١) لَهُ ، حَتَّى
 انْتَهَى إِلَيْنَا^(٢) سِيرُهُ ، وَلَقِينَا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ مَقْتَضَى السَّلَامِ ؛
 ثُمَّ أَجَالَ فِينَا طَرَفَهُ وَقَالَ : يَا قَوْمُ ؛ مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ يَلْحَظُنِي شَرْراً ،
 وَيُوسَعُنِي زَجْراً^(٣) ، وَلَا يَنْبَشِكُمْ عَنِّي ، بِأَصْدَقِ مَنِي ؛ أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ،
 مِنَ الثُّغُورِ الْأُمَوِيَّةِ ، قَدْ وَطَأَ لِي الْفَضْلُ كَنْفَهُ ، وَرَحِبَتْ بِي عَبَسٌ ، وَتَمَانِي
 بَيْتٌ ، ثُمَّ جَمَعَ بِي الدَّهْرُ عَنْ ثَمَّةٍ وَرُمَةٍ^(٤) ، وَأَتَلَانِي زَغَالِيلُ خُمْرٍ^(٥) الْخَوَاصِلُ :
 كَأَنَّهُمْ حَيَاتُ أَرْضٍ تَحْتَلِيهِ فُلُو يَفْعُضُونَ لَذَكِيَّ سَمِّهِمْ
 إِذَا نَزَلْنَا أَرْسَلُونِي كَاسِباً وَإِنْ رَحَلْنَا رَكِبُونِي كُلَّهُمْ
 وَنَشَرْتَ عَلَيْنَا الْبَيْضَ^(٦) ، وَشَمَسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ ، وَأَكَلَتْنَا السُّودُ^(٧) ، وَحَطَمْتَنَا الْحَجَرُ ،
 وَانْتَابَنَا أَبُو مَالِكٍ ، فَمَا تَلَقَّانَا أَبُو جَابِرٍ إِلَّا عَنْ عُفْرِ^(٨) ، وَهَذِهِ الْبَصْرَةُ مَاؤُهَا هَضُومٌ ،
 وَفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ ، وَالْمَرْءُ مِنْ ضِرْسِهِ فِي شُغْلٍ ، وَمَنْ نَفْسُهُ فِي كُلٍّ ، فَكَيْفَ بَيْنَ :
 يُطَوِّفُ مَا يُطَوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي إِلَى زُغْبٍ مُحَدَّدَةِ الْعِيُونِ
 كَسَاهُنَّ الْبَلَى شُعْنًا فَتَمْسِي جِيَاعُ النَّابِ ضَامِرَةَ الْعِيُونِ
 وَلَقَدْ أَضْبَحْنَا الْيَوْمَ وَقَدْ سَرَّخْنَا الطَّرْفَ فِي حَيٍّ كَمَيْتٍ ، وَفِي بَيْتٍ كَلَا
 بَيْتٍ ، وَقَلْبِنِ الْأَكْفَ عَلَى لَيْتٍ ، فَقَضَضْنَا عَقْدَ الصُّلُوعِ ، وَأَفْضَنَ مَاءَ الدَّمُوعِ ،
 وَتَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الْجُوعِ :

وَالْفَقْرُ فِي زَمَنِ الْمَشَا مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلَامَةٌ

- (١) أَتَلَعْنَاهُ : اسْتَشْرَفْنَا وَامْدَدْنَا أَعْنَاقَنَا نَحْوَهُ (م) (٢) فِي نَسْخَةِ «فَأَدَاهُ إِلَيْنَا» (م)
 (٣) فِي نَسْخَةِ «وَيُوسَعُنِي حَزْراً» (م) (٤) ثَمَّةٌ وَرُمَةٌ : قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ (م)
 (٥) أَتَلَانِي : أَتْبَعُنِي ، وَزَغَالِيلُ : أَرَادَ بِهِمْ أَطْمَالَهُ ، وَحَرَّ الْخَوَاصِلُ : كُنْيَاةُ
 عَنْ صَغِيرِهِمْ (م) (٦) الْبَيْضُ : الدَّرَاهِمُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ ، وَالصُّفْرُ : الدَّنَانِيرُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا
 مِنْ ذَهَبٍ ، وَالنَّشُوزُ وَالشَّامِسُ : بِمَعْنَى الْفَرَاقِ (م) (٧) السُّودُ : اللَّيَالِي ، وَالْحَجَرُ :
 السَّنَوَاتُ الْمَجْدِبَةُ ، وَأَبُو مَالِكٍ : الْفَقْرُ (م) (٨) وَأَبُو جَابِرٍ : الْخَيْرُ ، وَمَا نَدَمْنَا إِلَّا عَنْ
 عُفْرِ : بِمَعْنَى كُلِّ حِينٍ مَرَّةً (م)

وقد اخترتكم يا سادة ، ودلتني عليكم السعادة ، وقلت^(١) : قدما ، إن فيهم
شيمًا ، فهل من فتى يعيشين ، أو يُعشَّين ؟ وهل من حرٍّ يقدِّين ، أو يرديهن ؟
قال عيسى بن هشام : فوالله ما استأذن على سَمْعِي كلامَ رائعٍ أروع مما سمعت ،
لا جرمَ أنا استمعنا الأوساط ، ونفضنا الأكلام ، وبمَحْنَا الجيوب^(٢) ؛ وأنلتهُ
مُطَرَفِي ، وأخذت الجماعةُ أخذى ، وقلنا له : الحقُّ بأطفالك ، فأعرض عَنَّا بعد
شكر وفاء ، ونشرٍ مَلَأَ بِهِ فَاهُ .

[من رسائل البديع]

ورسالة منه
لبعض الرؤساء

ومن رسائله إلى بعض الرؤساء :

خُلقت - أطال الله بقاء السيد وأدام تأييده - مشروحَ جَنَانِ الصدر ، جموحَ
عَنَانِ الحلم^(٣) ، فسيحَ رُقعةِ الصدر :
حَمُولاً صبوراً لو تعمَّدني الردى لَسِرْتُ إليه مُشْرِقَ الوَجْهِ راضياً
ألوفاً وفيئاً لو رُدِدْتُ إلى الصَّبَا لفارقت شَمْبِي مُوجِعَ القلبِ بارِكياً
والله لأحيلنَّ السيد على الأيام ، ولأَكَنَّ استحالته رأيه فيَّ على الليالي ،
ولا أزال أصفيه الولاء ، وأسنيه الثناء ، وأفرش له من صدرى الدَّهْنَاء ، وأعيده
أذنا صماء ، حتى يعلم أَىَّ عِلْقٍ باع ، وأَىَّ فتى أضاع ، وليقفنَّ موقفَ اعتذار ،
وليعلمنَّ بِنُصْحِ أُنَى الواشون أم بِحُبُول^(٤) ، ولا أقول : يا حالف اذ كر حِلًّا ،
ولكن يا عاقِد^(٥) اذ كر حَلًّا ، ولست كمن يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أَدَى رَهْطِهِ ، وَيَسْتَأْقُ إلى رمي يزيد لِسَبْطِهِ^(٦) ، ولسكني أقول :

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخْأَمِرٍ لِعَزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ

(١) في نسخة « ونحنتنا الجيوب » تحريف ، وبحث الجيوب : تفتيشها (م)

(٢) في نسخة « جموح عنان القلم بحلم فسيح رُقعة الصدر » (م)

(٣) هذا عجز بيت لكثير عزة ، وصدره * فلا تعجلي يا عَزْ أن تتفهمني *

(٤) في نسخة « يا عاقِر » تحريف (م) (٥) في نسخة « ويشناق » بالشين معجمة ،

وفي الرسائل (بيروت ١٤٠) « لو يستاق إلى الكفر من يدى سبطه » وسبطه :

هو الحسن بن علي ، رضى الله عنهما ! (م)

وأنا أعلم أن السيد لا يخرج عن تلك الحلية ، بهذه الرقبة ، وأن جوابه أحسن من لقائه ، فإن نشط الاجابة فلتكن المحاطبة قرأت رقمتك ، فهو أخف مؤنة ، وأقل تبعة .

رسالة منه
إلى الشيخ
العميد

وله إلى [الشيخ] العميد :

أنا - أطال الله بقاء الشيخ العميد - [مع إخوان نيسابور] في ضيعة لا فيها أعان ، ولا عنها أمان ، وشيمة ليست بي تنأط ، ولا عني تَمَاط ، وحرقة لا عني تُزَال ، ولا فيها أدال ، وهي الكذبة التي على تبعتها ، وليس لي منفعتها ، فهل للشيخ العميد أن يلطف بصنيعته لطفًا يحط عنه دَرَنُ العار ، وشيمة التكمسب بالأشعار^(١) ، ليخفف على القلوب ظله ، ويرتفع عن الأحرار كله^(٢) ، ولا يثقل على الأجفان شخصه ، بإتمام ما كان عَرْضَه عليه من أشغاله ، ليعلق بأذياله ، ويستفيد من خلاله ؛ فيكون قد صان العلم عن ابتذاله ، والنضل عن إذلاله^(٣) ، واشترى حُسْنَ الثناء بجاهه ، كما يشتريه بماله ، والشيخ العميد فيما يوجهه من وعدٍ يعتمده ، ووفاء يتلو ما يعده ، عالٍ رأيُه إن شاء الله

[عود إلى غور المديح]

لأبي العباس
الناشيء

وقال بعض أهل العصر، وهو أبو العباس الناشيء ، يمدحُ سعد الدولة أبا المعالي

شريف بن سيف الدولة. على بن عبد الله بن حمدان :

كَانَ مِرَاةَ فَهْمِ الدَّهْرِ فِي يَدِهِ يَرَى بِهَا غَائِبَ الْأَشْيَاءِ لَمْ يَغِبْ
مَا يَرْفَعُ الْفَلَكَ الْعَالِي سَمَاءً عُلَاً إِلَّا عَلاَهَا شَرِيفُ كَوْكَبِ الْعَرَبِ
يَا مَنْ بَعَيْنِ الرِّضَا يَلْقَى مُؤَمَّلَهُ وَابْخُلُ يُطَبِّقُ أَجْفَانًا عَلَى الْغَضَبِ
لَوْ يَكْتُبُ الْمَلِكُ أَسْمَاءَ الْمُلُوكِ إِذَا أَعْطَاكَ مَوْضِعَ بَسْمِ اللَّهِ فِي الْكُتُبِ

(١) في الرسائل (بيروت ١٦١) « وسمه التكمسب بالأشعار » (م)

(٢) الكل - بفتح الكاف - الثقل (م) (٣) في الرسائل « فيكون قد صان

الفضل عن ابتذاله ، والأدب عن إذلاله » (م)

غرّبت في كل يوم منك مكرمةً فليس ذِكْرُكَ في أرضٍ بمغترِبٍ
بيته الأول كقول القائل :

أطلّ على الأشياء حتى كأنما له من وراء الغيب مُقَالَةً شاهدٍ
[وكما قال] أبو تمام الطائي :

أطلّ على كِلَا الأفقين حتى كأنّ الأرضَ في عينيه دارٌ^(١)
وأفرط ابن الرومي فقال :

أحاطَ علماً بكلّ خافية كأنما الأرضُ في يديه كُرّةٌ
وقال محمد بن وهيب :

عليمٌ بأعقاب الأمور، كأنما يخاطبه من كلّ أسر عواقبه
وقال بعض شعراء بني عبد الله بن طاهر :

وقوفك تحت ظلال السيوف أقرّ الخِلافةَ في دارها
كأنك مطلعٌ في القلوب إذا ما تناجتْ بأسرارها
وقال البحتري للفتح بن خاقان :

كأنك عينٌ في القلوب بصيرةٌ ترى ما عليه مستقيمٌ ومائلٌ
وقال في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

ينال بالظن ما فات اليقين به إذا تلبّس دون الظن إيقانٌ

كأن آراءه والظن يجمعها تريه كلّ خفيٍّ وهو إعلانٌ^(٢)
ماغاب عن عينه فالقلبُ يذكّره وإن تَمَّ عينه فالقلبُ يَقْظَانُ

وقال أبو الحسن أحمد بن محمد الكاتب يمدح عبّيد الله بن سليمان [بن
وهب الوزير] :

لأحمد بن
محمد يمدح
ابن وهب

(١) يريد أن الأرض بالنظر إلى علمه بما يقع في أرجائها صغيرة الرقعة كأنها دار

(٢) في نسخة « والحزم يتبعها » (م)

واحدة (م)

إذا أبو قاسم جادت لنا يده
وإن أضأت لنا أنوار غرته
وإن مضى رأيه أوحد عزمته
من لم يبت حذراً من خوف سطوته
ينال بالظن ما يعيماً العيان به
كأنه الدهر في نعمي وفي نعمه
كأنه وزمام الدهر في يده
وأصل هذا قول أوس بن حجر:

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً

وهذا المعنى قد مرّ في أثناء الكتاب .

قال أبو الحسن جحظة البرمكي : قلت لخالد الكاتب : كيف أصبحت ؟

لأعرابي

قال : أصبحت أرقّ الناس شعراً ، قلت : أتعرف قول الأعرابي :

فما وجد أعرابية قدّفت بها
تمنّت أحاليب الرعاء، وخيمّة
إذا ذكرت ماء المضام وطيبه
بأعظم من وجد بلبل وجدته
وكانت رياح تجمّل الحاج بيننا
فصاح خالد وقال : ويحك ! ويلك يا جحظة ! هذا والله أرقّ

من شعري .

(١) أرنت : صوتت ، والرنين : الصوت، وفي نسخة «وماء الصبا من نحو نجران

أنت » (٢)

[تكاليف الحمد]

فصل لأبي العباس بن المعتز

لن تكسب - أعزك الله - الحمد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل على النفس والجال^(١) ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تُنال بغير مئونة لا شترك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعا مع ذوى الأخطار ؛ ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ، فحفف عليهم حملها ، وسوَّغهم فضلها ، وحظرها على السفلة لصغر أقدارهم عنها ، وبُعد طباعهم منها ، ونفورها عنهم ، واقتصرارها منهم .

[وقال أبو الطيب المتنبي :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يُفقرُ والإقدام قتالُ]

وقال الطائي :

والحمد شهيد لا يرى مُشتارُهُ يَحْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْخَنْظَلِ^(٢)
شرُّ الحامله ، ويحسبه الذى لم يؤذ عاتقه خفيف الحمل
أخذه الطائي من قول مسلم بن الوليد ، وقيل غيره :

الجودُ أحسنُ مساً يا بنى مطير من أن تبرز كموه كف مُستَلِب
ما أعلم الناس أن الجودَ مدفعه للذم لكنه يأتى على النشب^(٣)
وقال بعض الأجواد : إنا لنَجِدُ كما يجد البخلاء ، ولكننا نصبر ولا يصبرون .

[احتمال الغضب]

وقال الجاحظ : قيل لأبي عَبَّادٍ وزير المأمون ، وكان أسرع الناس غضباً :
إنَّ لقمانَ الحكيم قال لابنه : ما الحمل الثقيل ؟ قال : الغضب . قال أبو عباد :

(١) فى نسخة « والجال » بالحاء مهملة - تحريف ، والجال : العقل والعزم (م)
(٢) اشتار العسل : جناء من كوارته ، وهذا مثل قولهم « ولا بددون الشهد
من إبر النحل » (م) (٣) يروى « ما أعلم الناس أن الجود مكسبة للحمد »

لكنه والله أخفُّ على من الريش ! قيل له : إنما عني لقمان أن احتمال الغضب ثقيل ، فقال : لا ، والله لا يَقْوَى على احتمال الغضب من الناس إلا الجمل ! وغضب يوماً على بعض كتّابه ، فرماه بدواةٍ كانت بين يديه فشجّه ، فقال أبو عبّاد : صدق الله تعالى في قوله : (والذين إذا ما غضبوا هم يَغفرون) . فبلغ ذلك المأمون فأحضره ، وقال له : ويحك ! ما تُحْسِنُ تقرأ آيةً من كتاب الله تعالى ! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، إنى لأحفظ من سورة واحدة ألف آية ؛ فضحك المأمون وأمر بإخراجه .

نبذة من لطائف ابن المعتز ، وفضل تحقيقه بالبديع والاستعارات

ما تتعين العناية بمطالعتها

قال أبو بكر الصولي : اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبي العباس عبد الله بن المعتز ، وكان يتحقق بعلم البديع تحقّقاً يَنْصُرُ دعواه فيه لسانُ مذاكرته ، فلم يَبْقَ مَسَلَكٌ من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعْباً من شعابه ، وأوردنا أحسن ما قيل في بابه ، إلى أن قال أبو العباس : ما أحسن استعارة اشتعل عليها بيت واحد من الشعر ؟ قال الأسدي : قول لبيد :

وغداة ربح قد كشفتُ وقرةً إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

قال أبو العباس : هذا حسن ، وغيره أحمد منه ، وقد أخذه من قول ثعلبة ابن صعيّرة المازني^(١) :

فتذاكرّا ثَقَلًا رثيداً بعدما أَلَقْتَ ذُكاهَ يمينها في كافرٍ

(١) هكذا وقع في لسان العرب (٤٦٣/٦) ووقع في نسخة « بن صغير » بالعين مهملة وبغير تاء ، وفي أخرى « بن صغير » بالعين معجمة وبغير تاء ، قال في اللسان « وذكر ابن السكيت أن لبيدا سرق هذا المعنى فقال :

حتى إذا أَلَقْتَ يدا في كافرٍ وأجن عورات الثغور ظلامها » اهـ والاستعارة في هذه الآيات متقاربة (م)

وقول ذى الرمة أعجب إلى منه :

ألا طرقت مى هَيَّوَمَا بِذِكْرِهَا وأَيْدَى الثَّرِيَا جُنْحٌ فِي الْمَغَارِبِ
وقال بعضنا: بل قول لبيد أيضا :

ولقد حَمَيْتَ الخَيْلَ تَحْمِلَ شِكَايَ فَرُطٌ، وَشَاحِي - إِنْ غَدَوْتُ - لِجَاهِهَا

قال أبو العباس : هذا حسن ، ولكن نعدل عن لبيد .

وقال آخر : [قول المهذلي] :

ولوأنتى استودَعْتَهُ الشمسَ لَاهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْمَنَابِيا غَيْبُهَا وَرَسُولُهَا
قال أبو العباس : هذا حسن ، وأحسن منه ^(١) - في استعارة لفظ الاستيداع -

قول الحُصَيْنِ بْنِ الْحُمَامِ ؛ لأنه جمع الاستعارة والمقابلة في قوله :

نُطَارِذُهُمْ نَسْتَوْدِعُ الْبَيْضَ هَامَهُمْ وَيَسْتَوْدِعُونَا السَّمْعَ الْمَقْوَمَ ^(٢)
وقال آخر : بل قول ذى الرمة :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْعُودِ فِي الثَّرَى وَسَاقَ الثَّرِيَّا فِي مُلَاءَتِهِ الْفَجْرُ

قال أبو العباس : هذا لعمري نهاية الخبرة ؛ وذو الرمة أبدع الناس استعارة ؛ وأبرعهم عبارة ، إلا أنَّ الصواب حتى « ذوى العود والثرى » ؛ لأنَّ العود لا يذوى ما دام في الثرى ، وقد أنكره على ذى الرمة غير ابن المعتز . قال أبو عمرو ابن العلاء : كانت يدي في يد الفرزدق فأشدته هذا البيت ، فقال : أرشدك أم أدعك ؟ قال : فقلت : بل أرشدني ، فقال : إنَّ العود لا يذوى في الثرى ، والصواب « حتى ذوى العود والثرى » .

قال الصولي : وكأنه نبه على ذى الرمة ؛ فقلت : بل قوله :

وَلَمَّا رَأَيْتَ اللَّيْلَ وَالشَّمْسَ حَيَّةً حَيَاةَ الَّذِي يَقْضَى حُشَاةَ نَازِعٍ

(١) في نسخة « هذا بديع ، وأبدع منه - إلخ » (م)

(٢) حذف نون الرفع من قوله « ويستودعوننا » من غير ناصب ولا جازم ،

وكان من حق العربية عليه أن يقول « ويستودعوننا » (م)

قال أبو العباس : اقتدختَ زَندَكَ يا أبا بكر فأورَى^(١) ، هذا بارعٌ جداً ،
وقد سبقه إلى هذه الاستعارة جرير حيث يقول :

تحمي الروامسُ ربعا ونَجْدَهُ بعد البلى فُتِمِيَّتُهُ الْأَمْطَارُ^(٢)
وهذا بيتٌ جمع الاستعارة والمطابقة ؛ لأنه جاء بالإحياء والإماتة ، والبلى
والجدة ، وَلَكِنْ ذُو الرمة قد استوفى ذِكْرَ الإحياء والإماتة في موضع آخر
فأحسن ، وهو قوله :

وَنَشَوَانٌ مِنْ طُولِ النَّعَاسِ كَأَنَّهُ بِحَبْلَيْنِ فِي مَشْطُونَةٍ يَتَرَجَّحُ^(٣)
إِذَا مَاتَ فَوْقَ الرَّحْلِ أَحْيَيْتَ رُوحَهُ بِذِكْرِكَ وَالْعِيسُ الْمُرَاسِلُ جُنْحُ
فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من بحر أبي
العباس ما غاض معه مَعِينُهُ ، ولم ينهض حتى زوّدنا من برّه وطفه نهاية ما اتسعت
له حاله .

[كتمان الحب]

وقال ابن المعتز :

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَبَّ يَفْضَحُنِي وَنَمَتُ عَلَى شَوَاهِدِ الصَّبِّ
أَلْقَيْتُ غَيْرَكَ فِي ظَنُونِهِمْ وَسَتَرْتُ وَجْهَ الْحَبِّ بِالْحُبِّ

وقال العباس بن الأحنف في هذا المعنى :

قَدْ جَرَّرَ النَّاسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بِنَا وَفَرَّقَ النَّاسُ فِينَا قَوْلَهُمْ فِرْقَا
فَكَاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالظَّنِّ غَيْرَكُمْ وَصَادِقٌ لَيْسَ يَذْرى أَنَّهُ صَدَقَا

[وقریب من هذا المعنى قول الفارضى رضى الله عنه ، وإن لم يكن منه :

تخالفت الأقوال فينا تباينا برّجّم أصول بيننا ما لها أصل^(٤)

(١) أورى : أخرج النار ، هذا أصله (م) (٢) الروامس : الرياح (م) .

(٣) في نسخة « في أنشودة يترجح » (٤) لعل الأصل « برجم ظنون » (م)

فَشْتَعُ قَوْمٌ بِالْوِصَالِ ، وَلَمْ أَصْلُ وَأَرْجَفَ بِالسُّلُوفِ قَوْمٌ وَلَمْ أَشْلُ
وَمَا صَدَّقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا لَشَقَوَتِي وَقَدْ كَذَّبَتْ عَنِ الْأَرَاخِيفِ وَالنَّقْلِ^(١)
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

لَا بَنَ الْمُعْتَزِ

لَنَا عَزْمَةٌ صَمَاءٌ لَا تَسْمَعُ الرِّقَى تُبَيِّتُ أَنْوَفَ الْحَاسِدِينَ عَلَى رَغْمِ
وَأَنَا لِنَعْطَى الْحَقَّ مِنْ غَيْرِ حَاكِمٍ عَلَيْنَا ، وَلَوْ شِئْنَا أَمَلْنَا مَعَ الظَّالِمِ
وَقَدْ أَخَذَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ قَوْلِ أَعْرَابِي :

لَأَعْرَابِي

أَلَا يَا شِفَاءَ النَّفْسِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْلَمُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ
سُورَى رَجَمَهُمُ بِالظَّنِّ وَالظَّنُّ كَاذِبٌ مَرَارًا وَفِيهِمْ مَنْ يُصِيبُ وَلَا يَذَرِي
وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَطِيرٍ :

لِلْحُسَيْنِ بْنِ
مَطِيرٍ

لَقَدْ كُنْتُ جَلَدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى عَلَى كَبِدِي نَارًا بِطَيْثًا خَمُودَهَا
وَلَوْ تَرَكْتُ نَارَ الْهَوَى لَتَضَرَّعْتُ وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدِمْتَ أَيَّامُهَا وَعَمَّوْدُهَا
فَقَدْ جَعَلْتَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا عِبَادَ الْهَوَى تُوَلَّى بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا
بِمَرْجَّةِ الْأُرْدَافِ هَيْفُ خُصُورِهَا عَذَابٌ ثَنَائِيهَا عَجَافُ نَهْودُهَا
وَصُفْرُ تِرَاقِيهَا ، وَخُمْرُ أَكْفِهَا وَسُودُ نَوَاصِيهَا ، وَبَيْضُ خَدُودُهَا
مُخَصَّرَةُ الْأَوْسَاطِ ، زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنِ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عَقُودُهَا
يُمَيِّنُنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُرَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا
وَفِيهِنَّ مِقْلَاقُ الْوِشَاحِ كَأَنَّهَا مَهَاءُ بَثْرَبَانَ طَوِيلُ عَمُودُهَا^(٢)
وَقَالَ :

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ بِأَرْحَا أَحْبَبُكَ حَتَّى يُغَمِّضَ الْعَيْنَ مُغَمِّضُ

(١) هذه الأبيات ساقطة من أكثر الأصول ، وهو الوجه (م)

(٢) ثربان : اسم مكان يمينه ، ووقع في نسخة « بثربان طويل عمودها » (م) .

فحبك بلوى غير أن لا يسرني وإن كان بلوى أنتى لك مُنِيفُ^(١)
 فواكبدا من لَوَعَةِ البين كلما ذكرت ومن رفض الهوى حين يرفض
 ومن عبرة تُذرى الدموع وزفرة تقضض أطراف الحشائيم تنهض^(٢)
 فياليتنى أقرضت جلدأ صبابتى وأقرضنى صبراً على الشوق مُقرضُ
 إذا أنا رُضت القلب في حب غيرها بدأ حبها من دونه يتعرّض
 وكان الحسين قوى أمر الكلام ، جَزَل الألفاظ ، شديد العارضة ، وهو
 القائل في المهدى :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤسٌ ويوم نعيم فيه للناس أنعم
 فيمطر. يوم الجود من كفه الندى ويفطر يوم البؤس من كفه الدم
 فلو أن يوم البؤس خلى عقابه على الناس لم يصبغ على الأرض نجس
 ولو أن يوم الجود خلى نواله على الأرض لم يصبغ على الأرض مُعَدِم
 وأنشد أبو هفان له :

أين أهل العتاب بالدّهناء أين جيراننا على الأخساء
 جاورونا والأرض ملبسة نوء ر الأقاحي تجاد بالأنواء^(٣)
 كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء

أخذ هذا المعنى دعبل ، ونقله إلى معنى آخر ، فقال :

أين الشباب ؟ وأية سلكا ؟ أم أين يطلب ؟ ضلّ ، بل هلكا
 لاتعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

وقال مسلم بن الوليد في هذا المعنى :

مُسْتَعْبِر يبكى على دمنمة ورأسه يضحك فيه المشيب

(١) في نسخة « غير أن لا يسوءنى » والمعنى عليه غير مستقيم (م) .

(٢) في نسخة « ومن عنده تذرى الدموع » تحريف (م)

(٣) تجاد : يسقيها الجود - بفتح الجيم وسكون الواو - وهو المطر (م)

لدعبل الخزاعي

لمسلم بن الوليد

[معالي الأخلاق]

مما أنشد الزبير
بن بكار

وأنشد الزبير بن بكار :

أحب معالي الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعايا
وأصفح عن سباب الناس حلمًا وشرُّ الناس من حَبَّ السبابا
وأترك قاتل العوراء غمداً لا هلكه وما أغيا الجوابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يُهابا

[رياضة النفس ^(١) على الفراق]

وعلى ذكر قوله :

* إذا أنا رُضْتُ ^(١) القلب في حُبِّ غيرها *

أنشد الأصمعي لغلّام من بني فزارة :

وأعرضُ حتى يحسبَ الناسُ أنما بي الهجرُ ، لا والله ما بي لها هجرُ
[ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقت يوماً أحبَّتها صبرُ] ^(١)
قال إسحاق الموصلي : قال لي الرشيد : ما أحسنُ ما قيل في رياضة النفس
على الفراق ؟ قلت : قول أعرابي :

وإني لأستخفي عيوناً ، وأتقى كثيراً ، وأستبقى المودة بالهجرِ
فأُنذِرُ بالهجران نفسي أروضها لأعلم عند الهجر هل لي من صبر ^(١)
[فقال الرشيد : هذا مليح ، ولكنني أستمح قول أعرابي آخر :

خشيت عليها العينَ من طولِ وضائها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجرِ
وما كان هجراني لها عن ملالةٍ ولكنني جرّبتُ نفسي بالصبر ^(٢)

(١) راض نفسه يروضها : ذللها وعودها حتى تتخلق بما يريد ، (م)

(٢) الملالة : السأم والكراهية (م)

قال الصولي : قال لي المبرد : عمك إبراهيم بن العباس أحزمُ رأياً من خاله لابن الأحنف
العباس بن الأحنف في قوله :

كان خروجي من عنديكم قدراً
من قبل أن أعرض الفراق على
وقال عمك إبراهيم :

لإبراهيم
الصولي

وناجيتُ نفسي بالفراق أروضها
فقلت لها : فإلهجرُ والبينُ واحدٌ
فقلت له : إنه نقل كلام خاله :

عرضت على قلبي الفراق فقال لي
إذا صد من أهوى رجوتُ وصاله
وقال العباس بن الأحنف :

أروض على الهجر أن نفسي لعلها
وأعلم أن النفس تكذبُ وعدّها
وما عرضت لي نظرة مذعرتها
[وقال التني من المعنى :

للتني

حببتك قلبي قبل حيي من نأى
وأعلم أن البين يشكيك بعدها

لأبي صخر
الهذلي

قال الحاتمي : والذي أراه وأذهب إليه أن أحسن من هذا المعنى قول أبي
صخر الهذلي :

ويمعني من بعض إنكار ظلمها
مخافة أتي قد علمت لئن بدا
إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذر
لإلهجر منها ما على هجرها صبر

(١) في نسخة « لا أعيرك من صبري » وليس بذلك (م)

(٢) البين - بالفتح - الفراق ، وأمنى : يقدر الله ذلك على (م)

وَأَنْىَ لَا أَدْرِ إِذَا النَفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى هَجَرِهَا مَا يَبْلُغْنَ بَىَ الْهَجْرِ
فِيَا حَبَّهَا زِدْنِي جَوْىَ كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا مَلَوَةَ الْأَحْزَانِ مَوْعِدُكَ الْحَشَرِ

شذور من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق

ابن المعتز — العقلُ غريزةٌ تزينها التجارب . وله : العاقلُ من عقل لسانه ^(١) ،
والجاهلُ من جهل قدره .

غيره : إذا تمَّ العقلُ نقص الكلام . حُسْنُ الصورة الجَمالُ الظاهر ، وحسن
الخلق الجَمالُ الباطن . ما أبينَ وجوه الخيرِ والشرِّ في مِرْآةِ العقلِ إذا لم يُضدِّها
الهوى . العاقلُ لا يدَّعُه ما ستر الله من عيوبه أن يفرَّحَ بما أظهر من محاسنه .
بأيدي العقولِ تُمسكُ أعنةُ النفوسِ عن الهوى . آخر بمن كان عاقلاً أن يكونَ
عما لا يعنيه غافلاً . التواضعُ من مصايد الشرف . من لم يتَّضِعْ عند نفسه
لم يرتفع عند غيره .

يحيى بن معاذ — التكبرُ على التكبر تواضع . الحلمُ حجابُ الآفات .
أحيوا الحياةَ بمجاورة من يُستَحْيَا منه . مَنْ كساه الحياة ثوبه ، ستر عن الناس
عيبه . الصبرُ تجرُّعُ الفُصص ، وانتظارُ الفُرص . قلوبُ العقلاء حصون
الأسرار . انفرِّدْ بسرِّك ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً فيخون . الأناة ^(٢)
حُسْنُ السلامة ، والعجلة مفتاح الندامة . من حَسَنَ خُلُقَه وَجَبَ رِقَّةٌ . إنما يستحق
اسم الإنسانية مَنْ حَسَنَ خُلُقَه . يكاد سِيءُ الخلقِ يُعَدُّ من البهائم والسباع .
أرسطاطاليس — المروءة استحياؤه المرء نفسه . المعروف حصنُ النعم من
صروف الزمن . للحازم كنزٌ في الآخرة من عمله ، وفي الدنيا من معروفه .
لا تستحي من القليل فإنَّ الحرمان أقلُّ منه .

(١) عقل لسانه : حبسه ومنعه (م)

(٢) الأناة : التأنى والتروى في الأمر قبل الإقدام عليه (م)

أبو بكر الخوارزمي - الطرف^(١) يجري وبه هُزَّال، [والسيف يعضى وبه
انفلال]، والحرث يُعطى وبه إقلال^(٢). بَذَلُ الجاه أحدُ المالاين . شفاعَةُ اللسانِ
أفضلُ زكاةِ الإنسان . بَذَلُ الجاهِ رِفْدٌ للمستعين^(٣) . الشفيعُ جناحُ الطالب .
التقوى هي العُدَّةُ الباقية ، والجُنَّةُ الواقية . ظاهرُ التقوى شرفُ الدنيا ، وباطنها
شرفُ الآخرة . من عَفَّتْ أطرافه ، حسنت أوصافه . قال أبو الطيب المتنبي :

ولا عِفَّةٌ في سَيفِهِ وَسِنَانِهِ وَلَكِنها في الكَفِّ والفَرَجِ والْفَمِ
لقمان - الصَّمْتُ حُكْمٌ وقليلُ فاعِلُهُ . أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ صَدَرَتْ عَنْ أَرْبَعَةِ
ملوكَ كَأَنما رُئِيتَ عَنْ قَوْسٍ واحدةٍ ؛ قال كسرى : لم أندم على ما لم أفل ،
ونَدِمْتُ على ما قَلْتُ مرارا . قيصر : أنا على ردِّ ما لم أفل أقدرُ مني على ردِّ
ما قَلْتُ . ملكُ الصين : إذا تكلَّمتُ بالكلمةِ ملكتني ، وإذا لم أتكلَّمْ بها
ملكتها . ملكُ الهند : عَجِبتُ مَنْ يَتَكَلَّمُ بالكلمةِ إن رُفِعَتْ ضَرَّتَهُ ، وإن
لم تُرَفَّعْ لم تنفعه . ما الدَّخانُ على النار ، ولا العجَّاجُ^(٤) على الريح ، بأدَلٍّ من
ظاهرِ الرجلِ على باطنه ، وأنشد :

قد يُسْتَدَلُّ بظاهرٍ عن باطنٍ حيثُ الدخانُ فَنَمَّ مَوْقِدُ نارٍ
مَنْ أَصْلَحَ مالُهُ فَقَدْ صَانَ الْأَكْرَمِينَ المَالَ والعِرْضَ . مَنْ لم يَحْمَدِ في التقديرِ
ولم يَذُبْ في التذيرِ فهو شديدُ التذيرِ^(٥) . عليك بالقصدِ بينَ الطرفين ، لا مَنَعَ
ولا إسراف ، ولا بخل ولا إتراف . لا تكن رطباً فتُعْصِرَ ، ولا يابساً فتكسر ،
ولا حلوا فتدُسُّ تَرَطُّ ، ولا مرءاً فتُلَفِّظَ .

المأمون بن الرشيد - الثناء أكثر من الاستحقاق مَلَقٌ وهذَر ، والتقصير
عِيٌّ وَحَصَر .

(١) الطرف — بكسر الطاء — الفرس (م) . (٢) الإقلال : قلة المال (م) .

(٣) الرِفْد — بالكسر — العطاء (م) . (٤) العجَّاج : ما ناز من الغبار (م) .

(٥) في نسخة « مَنْ لم يَذِمِ التقير ، ولم يَحْمَدِ التذير ، فهو شديدُ التذير » (م)

إكرامُ الأضياف ، من عادة الأشراف . وفي الخبر : لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه ؛ فمن أبغض الضيف أبغضه الله . ينبغي لصاحب الكريمة أن يصبر عليه إذا جمعتهم ثبوة الزمان ، فليس ينتفع بالجوهرية الكريمة من لم ينتظر نفاقها .

مواعظ عقلها بعض أهل المصر تتعلق بهذا الفصل

أغض على القذى ، وإلا لم ترَضَ أبداً^(١) . أنجل الطلبَ فسيأتيك [ما قدِر لك ، صُنْ عرضك] ، وإلاَّ أخلقت وجهك . جاور الناس بالكفة عن مساوئهم . انسَ رفدك ، ولا تنسَ وعدك ، كذب أسوء الظنون بأحسنها^(٢) . أغني من وليته عن السرقة ، فليس يكفيك من لم تكفه . لا تتكلف ما كُفيت فيضيع ما أوليت .

ابن المعتز — لا تسرعْ إلى أرفع موضع في المجلس ، فالموضع الذي ترفعُ إليه خيرٌ من الموضع الذي تحطُّ منه . لا تذكر الميتَ بسوء فتكون الأرض أكرم عليه منك . ينبغي للعاقل أن يدأري زمانه مداراة السابح للماء الجاري . العتابي — المداراةُ سياسة رقيقة تجلبُ المنفعة ، وتدفعُ المضرة ، ولا يستغنى عنها ملك ولا سوقة ، ولا يدعُ أحدٌ منها حظه إلا غمرته صروف المكاره .

[من رسائل العتابي وأدبه]

وكتب العتابي إلى بعض إخوانه :
لواءتصم شوقي إليك بمثل سلوكك عني لم أبذل وجهَ الرغبة إليك ،

(١) هذا من قول بشار :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت ، وأى الناس تصفو مشاريه (م)

(٢) في نسخة « كذب سوء الظن بأحسنه » (م) .

ولم أنجسْ مِرارةَ تَمادِيكَ ، ولكن استخففتنا صبايقنا ، فاحتملنا قسوتَكَ ، لعظيم
 قَدْرٍ مودتِكَ ، وأنتَ أحقُّ من اقتص^(١) لصلتنا من جفائه ، ولشوقنا من إبطائه .
 وله : كتبتُ إليك ونفسي رهينة بشكرك^(٢) ، وسأني علق بالثناء عليك ،
 والغالبُ على ضميري لأئمة لنفسي ، واستقلالُ لجهدي في مكافأتِكَ ، وأنتَ
 - أصلحك الله ! - في عزِّ الغنى عني ، وأنا تحت ذُلِّ الفاقةِ إلى عطفِكَ ، وليس
 من أخلاقِكَ أن تُولى جانبَ النبوةِ منك مَنْ هو عاني في الضَّرَّاءِ إليك .
 ودخل العتابي على الرشيد فقال : تسكَّم يا عتابي ؛ فقال : الإيَّاس^(٣) قبل
 الإيَّاس ، لا يُحمَدُ المرءُ بأولِ صوابه ، ولا يُذمُّ بأولِ خطئه ؛ لأنه بين كلام
 زوَّره ، أو عيَّ حَصَره .

ومرَّ العتابي بأبي نُؤاس وهو ينشد الناس :
 ذَكَرَ الكَرَّخَ نازِحُ الأوطانِ فَبَكَى صَبَوَةً وَلَاتِ أَوَانِ
 فلما رآه قام إليه ، وسأله الجلوس ، فأنى وقال : أين أنا منك وأنتَ القاتل ،
 وقد أنصفك الزمان :

قد علقنا من الخصيب حبالاً أمَّنتنا طوارقَ الحدَثانِ
 وأنا القاتل وقد جار علىَّ ، وأساء إلى :

لفظتني البلادُ ، وانطوت الأَكفَاءُ دوني ، ومَلَّني جيرانِي
 وَالقَتَمَتْ حَلَقَةً عَلَى مِنَ الدَّهْرِ فَاجَتْ بِكُلِّ كَلٍّ وَجِرَانِ
 نازعتني أحداثها مُنِيَّةَ النَّفْسِ وَهَدَّتْ خَطْوُهَا أَرَضِي كَانِي
 فاشعُ للهموم معترف القلب كَثِيبُ لِنَائِبَاتِ الزَّمَانِ

(١) اقتص : أصله القصاص ، وهو قتل القاتل ، والمراد هنا الانتقام عامة (م) .

(٢) في نسخة « دعيت إليك ونفسي راغبة لشوقك بشكرك » (م) .

(٣) الإيَّاس : بعث الأنس إلى نفس الضيف واقتلاع الوحشة ، وأراد بالإيَّاس

تقديم الطعام والقرى ، وضرب ذلك مثلاً (م) .

[شعر الأعراب]

قال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي : سمعت عمي يحدث قال : أُرِيتُ أَيْلَةً
 مِنَ اللَّيَالِي بِالْبَادِيَةِ ، وَكُنْتُ نَازِلًا عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي الصَّيْدَاءِ^(١) ، وَكَانَ وَاسِعَ
 الرَّحْلِ ، كَرِيمِ الْحُلِّ ، فَأَصْبَحْتُ وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَأَتَيْتُ
 أَبَا مَثْوَايَ^(٢) ، فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ هَلِمْتُ^(٣) مِنَ الْغُرْبَةِ ، وَاشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي ،
 وَلَمْ أَفِدْ فِي قَدَمَتِي هَذِهِ كَبِيرَ عِلْمٍ . وَإِنَّمَا كُنْتُ أَغْتَفِرُ وَحْشَةَ الْغُرْبَةِ وَجَفَاءَ الْبَادِيَةِ
 لِلْفَائِدَةِ ؛ فَأَظْهَرَ الْجَفَاوَةَ حَتَّى أَبْرَزَ غَدَاءَ لَهُ فَتَغَدَّيْتُ ، وَأَمَرَ بِنَاقَةِ مَهْرِيَّةٍ^(٤) كَأَنَّهَا سَبِيكَةٌ
 لِحَيْنٍ [فَارْتَحَلَهَا] وَاسْتَفْلَهَا ، ثُمَّ رَكِبَ وَأَرْذَفَنِي ، وَأَقْبَلَهَا مُطْلِعَ الشَّمْسِ ؛ فَهَاسِرُنَا
 كَبِيرَ مَسِيرٍ حَتَّى لَقِينَا شَيْخًا عَلَى حِمَارٍ ، لَهُ جُمَّةٌ قَدْ صَبَّغَهَا بِالْوَرَسِ^(٥) ، كَأَنَّهَا
 قَنَبِيطَةٌ ، وَهُوَ يَتَرَّمُّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ صَاحِبِي ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ نَسَبِهِ فَأَعْتَرَى أَسَدِيًّا مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةٍ .
 قَالَ : أَنْتَ رَوِي أَمْ تَقُولُ ؟ قَالَ : كَلَّا . قَالَ : أَيْنَ تَوْتُمْ ؟ فَأَشَارَ إِلَى مَوْضِعٍ قَرِيبٍ
 مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ . فَأَنَاحَ الشَّيْخُ ، وَقَالَ لِي : خُذْ يَدَ عَمِكَ فَأَنْزِلْهُ عَنْ
 حِمَارِهِ ، فَفَعَلْتُ ، وَأَلْتَنِي لَهُ كِسَاءً قَدْ اكْتَفَلَ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدْنَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ
 وَتَصَدَّقْ عَلَى هَذَا الْغَرِيبِ بِأَيِّاتِ يَبْنِيهِ عَنْكَ ، وَيَذْكُرُكَ بِهِنَ ، فَأَنْشَدَنِي لَهُ :

لَقَدْ طَالَ يَا سَوْدَاءُ مِنْكَ الْمَوَاعِدُ	وَدُونَ الْجَدَا الْمَأْمُولِ مِنْكَ الْفَرَاقُ
تَمَنِّيْنَا بِالْوَصْلِ وَغَدَاً ، وَغَيْمِكُمْ	ضَبَابٌ ، فَلَا صَحْوٌ ، وَلَا الْغَيْمُ جَائِدُ
إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَ الْغَنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ	بِفَضْلِ الْغَنَى الْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ
وَقُلْ غِنَاءُ عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ	إِذَا صَارَ مِيرَاثًا وَوَارَاكَ لِاحِدُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِكَ بِجَنِيكِ بَعْضَ مَا	يَرِيبُ مِنَ الْأَدْنَى رِمَاكَ الْإِبَاعِدُ

(١) فِي نَسْخَةِ « مِنْ بَنِي الصَّيْدِ » وَهَذِهِ عَنْ الْأُمَالِيِّ (١٦٩ / ١) (م)

(٢) الْمَثْوَى : الْإِقَامَةُ ، وَأَبُو مَثْوَايَ : أُمِّي مَضِيفِي (م)

(٣) هَلِمْتُ : جَزَعْتُ (م) (٤) مَهْرِيَّةٌ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَهْرَةٍ (م)

(٥) الْوَرَسُ : نَبْتُ أَصْفَرٍ شَبِهُ الزَّعْفَرَانَ ، وَفِي نَسْخَةِ « تَغْبِهَا بِالْوَرَسِ » (م) .

إذا الحلم لم يَغْلِبْ لك الجهل لم تزل
إذا العزم لم يفرُج لك الشك لم تزل
إذا أنت لم تترك طعاماً تحبّه
تجملت عاراً لا يزال يشبهه
وأشدنى لنفسه :

تعرّ فإن الصبر بالحرّ أجمل
فلو كان يُغنى أن يرى المرء جازعاً
لكان التعزّي عند كل مصيبةٍ
فكيف وكلّ ليس يعدّو حمامه
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت
فما لثنت منا قنّة صليبة
ولكن رحلناها نفوساً كريمة
وقيناً بحدّ العزم منا نفوسنا

قال : فقامت إليه ، وقد نسيت أهلي ، وهان على طول الغربة ، وضنك العيش ، سروراً بما سمعت ، ثم قال : يا بني ؛ من لم يكن الأدب والعلم أحبّ إليه من الأهل والولد لم ينجب .

[خصوصية قرشية]

خاصم بعض القرشيين عمر بن عثمان بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فأسرع إليه القرشي فقال : على رسلك ، فإنك لسريع الإيقاد^(٢) وشيك الصريمة ، وإني والله ما أنا مكافئك دون أن تبلغ غاية التعدي ، فأبلغ غاية الإعذار .

(١) استتلى : استتبع ، وجعلها تالية ، والجنينة : الفرس ، مثلاً ، تهودها من غير أن تركبها (م) (٢) في نسخة « سريع الانتقال » (م) .

[ادعاء]

قال عبد الله بن عبد العزيز ، وكان من أفاضل أهل زمانه : قال لى موسى
ابن عيسى : أنهى^(١) إلى أمير المؤمنين ، يعنى الرشيد ، أنك تشتمه ، وتدعو عليه ،
فبأى شيء استجرت^(٢) ذلك ؟ قال : أما شتمه فهو والله إذا أكرم على من نفسى ،
وأما الدعاء عليه فوالله ما قلت « اللهم إنه أصبح عبثاً ثقيلاً على أكتافنا ، لا تطيقه
أبداننا ، وقذى فى عيوننا ، لا تطبق عليه أجفاننا ، وشجى فى حلوقنا ، لا تسيغه
أفواهنا ؛ فأكفينا مؤنته ، وفرق بيننا وبينه » ! واسكنى قلت : « اللهم إن كان
تسمى الرشيد ليرشد فأرشدّه ، أو أتى غير ذلك^(٣) فراجع به ، اللهم إن له فى الإسلام
بالعباس حقاً على كل مسلم ، وله بنميك قرابة ورحما ، فقرّبه من كل خير ،
وباعدّه من كل شر ، وأسعدنا به ، وأصلح له نفسه ولنا . » فقال له : يغفر الله
لك يا عبد العزيز ، كذلك بلغنا .

[عزل وال]

ولما حجّ الرشيد سنة ست وثمانين ومائة دخل مكة وعديله يحيى بن خالد ؛
فانبرى إليه العمري فقال : يا أمير المؤمنين ، قف حتى أكلمك ! فقال : أرسلوا
زمام الناقة ، فأرسلوه ، فوقف فكلأنا أو تدّت ، فقال : [أقول ؟ قال :] قل ، فقال :
اعزل عنا إسماعيل بن القاسم . [قال : ولم ؟ قال :] لأنه يقبل الرشوة ، ويُعطيل
النشوة ، ويضرب بالعشوة ، قال : قد عزلناه [عنك ،] ثم التفت إلى يحيى فقال :
أعندك مثل هذه البديهة ؟ فقال : إنه ليجب أن يحسن إليه ، قال : إذا عزلنا عنه
من يريد عزله فقد كافأناه .

(١) أنهى إليه : رفع إليه وبلغه ، وفى نسخة « أيتى إلى أمير المؤمنين » وليس

بذلك (م) (٢) فى نسخة « فبأى شيء استحق ذلك » (م)

(٣) فى نسخة « وإن كان غير ذلك » (م)

[حُرْمَةُ السَّكْبَةِ]

ولما وَجَّهَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحِجَابَ بْنَ يَوْسُفَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ وَأَوْصَاهُ بِمَا أَرَادَ أَنْ يُوصِيَهُ ، قَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْهَيْثَمِ النَّخَعِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْصِ هَذَا الْغَلَامَ [الثَّقَفِي] بِالسَّكْبَةِ إِلَّا يَهْدِمَ أَحْجَارَهَا ، وَلَا يَهْتِكَ أَسْتَارَهَا ، وَلَا يُنْفِرَ أَطْيَارَهَا ، وَلِيَأْخُذَ عَلَى ابْنِ الزَّيْرِ شِعَابَهَا ، وَعِقَابَهَا ، وَأَنْقَابَهَا ^(١) ، حَتَّى يَمُوتَ فِيهَا جَوْعًا ، وَيُخْرَجَ مَخْلُوعًا .

[كِتَابُ يَنْصُرُ مُحَارِبًا]

وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ شَيْبٍ وَقَدْ نَزَلَ لَهُ لِيَحَارِبَهُ فِي جُنْدِهِ ، فَوَجَدَهُ ^(٢) مُتَحَصِّنًا مِنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : اعْتَصِمْ بِالْقِلَالِ قِيَدَ عِزِّكَ عَنِ الْقِتَالِ ، وَالتَّجَاوُكِ إِلَى الْحِصُونِ ^(٣) ، لَيْسَ يَنْجِيكَ مِنَ الْمَنُونِ ، وَلَسْتَ بِمُفْلِتٍ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِمَّا فَارِسَ مُطَاعِينَ ، أَوْ رَاجِلَ مُسْتَأْمِنٍ . فَلَمَّا قَرَأَهُ حَصَرَهُ الرَّعْبُ عَنِ الْجَوَابِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ مُسْتَأْمِنًا .

[مِنْ حَكْمِ الْفَرَسِ]

قَالَ بَرْزَجَهْرُ بْنُ الْبَخْتِكَانِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ : أَنَا تَشْكُرُ ، وَأَرْهَبُ تُحْذَرُ ، وَلَا تَمُوتُ زَلْ فَتُحَقَّرُ ، فَجَلَمُنَ الْمَلِكُ نَقْشَ خَاتَمِهِ بَدَلًا مِنْ اسْمِهِ وَاسَمِ أَبِيهِ .
وَلَمَّا قَتَلَ أَنْوَشُ شُرَوَانَ بَرْزَجَهْرَ وَجَدَ فِي مَنْطِقَتِهِ رَقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ : إِذَا كَانَتْ الْحُظُوظُ بِالْجُدُودِ فَمَا الْخِرُوصُ ؟ وَإِذَا كَانَتِ الْأُمُورُ لَيْسَتْ بِدَائِمَةٍ فَمَا السَّرُورُ ؟ وَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا غَرَارَةً فَمَا الطَّمَأِينَةُ ؟

[قَالَ سَقْرَاطُ] : مِنْ كَثَرِ احْتِمَالِهِ وَظَهَرَ حِلْمُهُ قَلَّ ظَلَمُهُ وَكَثُرَ أَعْوَانُهُ ، وَمِنْ قَلَّ هَمُّهُ عَلَى مَا فَاتَهُ اسْتَبْرَحَتْ نَفْسُهُ وَصَفَا ذَهْنُهُ وَطَالَ عَمْرُهُ . وَقَالَ : مَنْ تَعَاهَدَ

(١) الْعِقَابُ : جَمْعُ عَقَبَةٍ ، وَهِيَ مَا صَعِبَ مَرْتَقَاهُ مِنَ الْجِبَالِ ، وَالْأَنْقَابُ : جَمْعُ نَقَبٍ ، وَهُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ (م) .

(٢) فِي نَسْخَةِ «إِيحَارِيهِ فِي جَدَةِ مُتَحَصِّنًا مِنْهُ» (م)

(٣) الْقِلَالُ : قَعَمُ الْجِبَالِ وَاحِدُهَا قَلْعٌ - بِضَمِّ الْقَافِ ، وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مَفْتُوحَةً (م) .

نفسه بالحاسية أمن عليها المذاهنة . وقال : الأمانى حبالُ الجهل ، والعشرةُ الحسنة وقايةٌ من الأسواء .

وشتَمه بعضُ الملوك - وكان على فرس وعليه حُللٌ وبِزة - فقال له سقراط : إنما تفخر علىّ بغيرِ جنسك ، ولكن ردّ كلّ جنس إلى جنسه وتعال الآن فلنتكلم .
وقال سقراط : من أعطى الحكمة فلا يجزع لفقدِ الذهب والفضة ؛ لأن من أعطى السلامة والدعة لا يجزع لفقدِ الألم والتعب ؛ لأن ثمارَ الحكمة السلامة والدعة ، وثمار الذهب والفضة الألم والتعب ؛ وقال : القنية ينبوع الأحران ؛ فأقلوا القنية نقلَ همومكم . وقال : القنية مخدومة ، ومن خدم غير نفسه فليس بحر

وقال أبو الطيب :

أبدًا تَسْتَرِدُّ مَتَّهَبُ الدَنِيَا فَيَالَيْتَ جودها كان بخَلَا
وكفّتْ كَوْنُ فَرْحَةٍ تُورِثُ أَلْهَمٌ وَخِلٍ يُغَادِرُ الْوَجْدَ خِلَا
[حكم للهند]

وفي كتاب الهند : العاقلُ حقيقٌ أن تسخو نفسه عن الدنيا ، علمًا بأنه لا يقالُ أحدٌ منها شيئًا إلا قلّ إمتاعه به وكثُرَ عناؤه فيه ، ووباله عليه ، واشتدّت مؤنته عند فراقه ، وعلى العاقل أن يدوم ذِكْرُهُ لما بعد هذه الدار ، ويتنزّه عما تسيّره إليه نفسه من هذه العاجلة ، ويتنجّى عن مشاركة الكفّرة والجهال في حبّ هذه الفانية التي لا يألّفها ولا ينخدع بها إلا المغترون .

وفيه : لا يحدّن العاقلُ في صحبة الأحاب والأكلاء ، ولا يحرصن على ذلك كل الحرص . فإن صُحْبَتَهُمْ على ما فيها من السرور كثيرة الأذى ، والمؤنات ، والأحران ، ثم لا يفي^(١) ذلك بعاقبة الفراق .

وفيه : ليس من شهوات الدنيا ولذاتها شيء إلا وهو مولّد أذى وحزننا ،

(١) لا يفي به : لا يعادله ولا يكون مكافئًا له (م) .

كالماء المالح الذي كلما ازداد له صاحبه شربا ازداد عطشا ، وكالتقطعة من العسل في أسفلها سم للذائق ؛ فيه حلاوة عاجلة ، وله في أسفلها سمّ ذعاف ، وكأن أحلام النائم التي تسره في منامه ، فإذا استيقظ انقطع السرور ، وكالبرق الذي يضيء قليلا ، ويذهب وشيكا^(١) ، ويبقى صاحبه في الظلام مقيما ، وكدودة الإبريسم ما ازدادت عليه لقا إلا ازدادت من الخروج بعدا .

وفيه : صاحب الدين قد فسكر ؛ فعلته السكينة ، وسكن فتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضى فلم يهتم ، وخلع الدنيا فنجّا من الشرور ، ورفض الشهوات فصار حرا ، وطرح الحسد فظهرت له الحجة ، وسخت نفسه عن كل فأن ، فاستكمل العقل ، وأبصر العاقبة ، فأمن الندامة ، ولم يؤذ الناس فيخافهم ، ولم يذنب إليهم فيألمهم العفو .

[وصية من عتبة بن أبي سفيان]

وقال سعد القصر مولى عتبة بن أبي سفيان : ولأني عتبة أمواله بالحجاز ، فلما ودّعته قال : يا سعد ، تعاهد صغير مالي فيكبر ، ولا تجف كبيره^(٢) فيصغر ؛ فإنه ليس يمنعني كثير ما عندي ، من إصلاح قليل ما في يدي ، ولا يمنعني قليل ما عندي من كثير ما ينوبني^(٣) . قال : فقدمت الحجاز ، فحدثت به رجلا من قریش ، ففرّقوا به الكتب إلى الوكلاء .

[يزيد بن معاوية]

وقال يزيد بن معاوية لعبيد الله بن زياد : إن أباك كفى أخاه عظيما ، وقد استكفيتك صغيرا ، فلا تتسكّلنّ مني على عذر ، فقد اتكلت منك على كفاية ، ولأن أقول لك : إياك ، أحبّ إلى من أن أقول : إياي ؛ فإنّ الظن إذا أخلف فيك أخلف منك ، فلا ترح نفسك وأنت في أدنى حظك ، حتى تبلغ

(١) وشيكا : سريعا قريبا (م) . (٢) في نسخة « ولا تغفل كبيره » (م) .

(٣) ينوبني : يعتريني وينزل بي (م) .

أَقْصَاهُ ؛ وَاذْكُرْ فِي يَوْمِكَ أَخْبَارَ غَدِكَ ، وَاسْتَرِذْنِي بِإِحْسَانِكَ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ ،
وَإِسَاءَتِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ ، أَرِذْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[فضل العمامة]

ذَكَرْتُ الْعِمَامَةَ عِنْدَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ فَقَالَ : جُنَّةٌ فِي الْحَرْبِ ، وَدِنَارٌ فِي
الْبَرْدِ ، وَكَنْفَةٌ فِي الْحَرِّ ، وَوَقَارٌ فِي النَّدَى ، وَشَرَفٌ فِي الْأَحْدُوثةِ ، وَزِيَادَةٌ فِي
الْقَامَةِ ، وَهِيَ [بَعْدَ] عَادَةٍ مِنْ عَادَاتِ الْعَرَبِ .

[من رسائل ابن العميد]

وَكُتِبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّبْرِيِّ :
وَقَفْتُ عَلَى مَا وَصَفْتَ مِنْ بَرٍّ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ لَكَ ، وَتَوَقُّرِهِ بِالْفَضْلِ عَلَيْكَ ،
وَإِظْهَارِ حِمِيلِ رَأْيِهِ فِيكَ ، وَمَا أَنْزَلَهُ مِنْ عَارِفَةٍ ^(١) لَدَيْكَ ؛ وَلَيْسَ الْعَجَبُ أَنْ يَتَنَاهَى
مِثْلُهُ فِي السَّكْرَمِ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ أَنْ يَقْصُرَ شَيْءٌ مِنْ مَسَاعِيهِ عَنْ
نَزِيلِ الْمَجْدِ كُلِّهِ ، وَحِيَاةِ الْفَضْلِ بِأَجْمَعِهِ ؛ وَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ مَا يَفْرَسُهُ مِنْ
صَنِيعَةٍ عِنْدَكَ أَجْدَرُ غَرَسٍ بِالزَّكَاةِ ^(٢) ، وَأَضْمَنَهُ لِلرَّيْعِ وَالنَّمَاءِ ؛ فَارْنَعْ ذَلِكَ ، وَارْكَبْ
فِي الْخِدْمَةِ طَرِيقَةَ تُبْعِدُكَ مِنَ الْمَلَالِ ، وَتَوْسِطُكَ فِي الْحُضُورِ بَيْنَ الْإِكْثَارِ وَالْإِقْلَالِ ،
وَلَا تَسْتَرْسِلْ إِلَى حَسَنِ الْقَبُولِ كُلِّ اسْتِرْسَالٍ ؛ فَلَأَنْ تُدْعَى مِنْ بَعِيدٍ خَيْرٌ مِنْ
أَنْ تُقْصَى ^(٣) مِنْ قَرِيبٍ ، وَلَيْسَ كُنْ كَلَامُكَ جَوَابًا تَتَحَرَّرُ فِيهِ مِنَ الْخَطَلِ وَمِنْ
الْإِسْهَابِ ، وَلَا يَعْجِبُنِيكَ تَأْتِي كَلِمَةً مَحْمُودَةٌ فَيُلْجِ بِكَ الْإِطْنَابُ تَوْقَعًا لِمِثْلِهَا ؛ فَرُبَّمَا
هَدَمْتَ مَا بَنَيْتَهُ الْأَوَّلَى ، وَبِضَاعَتِكَ فِي الشَّرَفِ مُزْجَاةً ، وَبِالْعَقْلِ يَزِمُ اللِّسَانُ ، وَيَرَامُ
السَّدَادُ ، فَلَا يَسْتَفْرِزُكَ طَرَبُ الْكَلَامِ عَلَى مَا يَفْسُدُ تَمْيِيزُكَ ؛ وَالشَّفَاعَةُ لَا تَعْرِضُ
لَهَا فَإِنَّهَا مُخْلَقَةٌ لِلْجَاهِ ؛ فَإِنْ اضْطَرَّرْتَ إِلَيْهَا فَلَا تَهْجُمْ عَلَيْهَا حَتَّى تَعْرِفَ مَوْقِعَهَا .
وَتَحْصُلَ وَزْنُهَا ، وَتَطَالِعَ مَوْضِعَهَا ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ النَّفْسَ بِالْإِجَابَةِ سَمَّحَةً ، وَإِلَى

من كتاب له
إلى أبي عبد الله
الطبري

(١) العارفة : العطية ، والمعروف . وليس لها فعل (م) .

(٢) الزكاة : النماء ، ومثله الربيع (م) (٣) تقصى : تبعث (م) .

الإسعاف هَشَّةٌ ، فأظهر ما في نفسك غير محقق ، ولا توهم أن عليك في الرد ما يُوحشك ، ولا في المنع ما يغيظك ، وليكن انطلاق وجهك إذا دُفِعت عن حاجتك أكثر منه عند نجاحها على يدك ، لينخف كلامك ، ولا يثقل على سامعه منك . أقول ما أقول غير واعظ ولا مرشد ، فقد جمل الله خصالك ، وحسن خلالك ، وفضلك في ذلك كله ؛ لكنني أنبه تنبيه المشارك لك ، وأعلم أن للذكرى موضعا منك لطيفا .

وله أيضاً : سألتني عن شفتي^(١) وجدي به ، وشغفني حبي له ، وزعمت أنني لو شئت لذهلت عنه ولو أردت لاعتصمت منه * زعماً ، لعمر أبيك ، ليس بمزعم * كيف أسألو عنه ، وأنا أراه ، وأنساءه وهولي تجاهه ؛ هو أغلب عليّ ، وأقرب إليّ ، من أن يُرْخى لي عنائي ، أو يُخْليني واختياري ، بعد اختلاطي بملكه ، وانخراطي في سلكه ، وبعد أن ناط حُبّه بقلبي ناطط ، وسأطه بدمي سأط^(٢) . وهو جار مجرّى الرّوح في الأعضاء ، متنسم تنسم رّوح الهواء ؛ إن ذهبْتُ عنه رجعت إليه ، وإن هربتُ منه وقفتُ عليه ، وما أحبّ السلوة عنه مع هنائه ، وما أوثر الخلوّ منه مع ملّاته ؛ هذا عليّ أنه إنه أقبل عليّ بهتني إقباله ، وإن أعرض عني لم يطرقني خياله ، يبعد عني مثاله^(٣) ، ويقرب من غيري نواله ، ويردُّ عيني خاسئة ، ويثني يدي خالية ، وقد بسط آفات العيون المقاربة ، وصدق مراعي الظنون الكاذبة ، وصلّه يُنذِرُ بصدّه ، وقربه يؤذِنُ ببعده ، يُدْني عندما ينزح ، ويأسو^(٤) مثل ما يجرّح ، محالته أحوال^(٥) ، وخلته خلال ، وحكمه سجال ، الحُسنُ في عوارفه ، والجمالُ من منامحه ، والبهاء من أصوله وصِفاته ، والسَّناء من نعوته وسِماته ، اسمه مطابق لمعناه ، وفخّواه موافق

(١) في نسخة « شغفني » و « شغفني » والمعنى متقارب (م)

(٢) ساط : خلطه (م) (٣) في نسخة « مقاله » (م)

(٤) يأسو : يداوى (م) (٥) في نسخة « محالته أحوال » .

لنَجْوَاهُ ، يَتَشَابَهُ حَالَاهُ ، وَيَتَضَارَعُ قُطْرَاهُ ، مِنْ حَيْثُ تَلْقَاهُ يَسْتَنْبِرُ ، وَمِنْ حَيْثُ تَهْذَاهُ يَسْتَدِيرُ .

[هرب من الوباء] .

وَقَعَ بِالسَّكُوفَةِ وَبَاءٌ ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَتَفَرَّقُوا بِالنَّجْفِ ، فَكَتَبَ شَرِيحٌ إِلَى ضَدِيقٍ لَهُ خَرَجَ بِخُرُوجِ النَّاسِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ بَعَيْنٌ مِنْ لَا يُعْجِزُهُ هَرْبٌ ، وَلَا يَفُوتُهُ طَلَبٌ ؛ وَإِنَّ الْمَكَانَ الَّذِي خَلَقْتَ لَا يَعْجَلُ لِأَحَدٍ حِمَامَهُ ^(١) ، وَلَا يَظْلُمُهُ أَيْتَامُهُ ، وَإِنَّا وَإِيَّاكَ لَعَلَى بَسَاطَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنَّ النَّجْفَ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٍ .

وَهَرَبَ أَعْرَابِيٌّ لَيْلًا عَلَى حِمَارٍ حِذَارًا مِنَ الطَّاعُونِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ :

لَنْ يُسَبِّقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَيْعَةٍ طَيَّارٍ
أَوْ يَأْتِيَ الْخُتْفُ عَلَى مَقْدَارٍ قَدْ يَصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارَى ^(٢)
فَكَرَّرَ رَاجِعًا ، وَقَالَ : إِذَا كَانَ اللَّهُ أَمَامَ السَّارَى فَلَا تَحِينَ مَهْرَبٌ .

[قَتِيلُ الْحُبِّ]

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ : أَتَى قَوْمٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ بِفَتَى مَحْمُولٍ ضَعْفًا ، فَقَالُوا : اسْتَشْفِ لِهَذَا الْغَلَامِ ، فَنَظَرَ إِلَى فَتَى حُلُوِّ الْوَجْهِ ، غَارَى الْعِظَامُ ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا بَكَ ؟ فَقَالَ :

بَنَا مِنْ جَوَى الشُّوقِ الْمَبْرُحِ لَوْعَةً تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبٌ ^(٣)
وَلَسَكُنَا أَبْقَى حُشَاةٍ مَا نَرَى عَلَى مَا بِهِ دُودٌ هُنَاكَ صَلِيبٌ ^(٤)

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَرَأَيْتُمْ وَجْهًا أَعْتَقَ ، وَلِسَانًا أَذَلَّتْ ، وَعُودًا أَصْلَبَ ، وَهُوَ يَأْخُذُ بِالْأُفْقَى ، مِمَّا رَأَيْتُمْ الْيَوْمَ ؟ هَذَا قَتِيلُ الْحُبِّ ، لَا قُوَّةَ وَلَا دِيَّةَ !

(١) الحمام - بكسر الحاء - الموت (٢) الختف : الهلاك (م)

(٣) الجوى : الحزن ، والمبرح : البالغ الشدة في الإجهاد ، واللوعة : الحسرة (م)

(٤) الحشاشة : بضم الحاء - بقية الروح في الجسد ، و«عود» هو فاعل «أبقى» (م)

وكان ابن عباس رضى الله عنهما خبر قريش وبحرها ، وله يقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . وفيه يقول حسان
ابن ثابت :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل
بملتقطات لا ترى بينها فضلا
شقي وكفى مافي النفوس فلم يدغ
لذي لسن في القول جدا ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة
فنلت ذراها لا دنيا ولا غلا
[مسلم بن الوليد صريع الغواني]

وقال مسلم بن الوايد :

أعأود ما قدمته من رجائها
إذا عاودت بالياس فيها المطامع
رأتني غني الطرف عنها غرضت
وهل خفت إلا أن تشير الأصابع^(١)
وما ريت بها النفس لي عن لاجبة
ولكن جرى فيها الهوى وهو طامع
فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا
وقد فاجأتها العين والستر واقع^(٢)
فغطت بأيديها ثمار نخورها
كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع^(٣)
وكان مسلم أنصاري صريحا ، وشاعرا فصيحيا ، ولقب صريعا أيضا لقوله :
سأنقاد للذات متبع الهوى
لأمنضى هما أو أصيب فتى مثلي
هل العيش إلا أن تروح مع الصبا
صريع حياء الكأس والأعين النجل
واجتلب له هذا الاسم لأجل هذا البيت ؛ وقد قال القطامي :

صريع غوان راقن ورقته
لذن شب حتى شاب سود الذائب
ومسلم أول من لطف البديع ، وكسا المعاني حلل اللفظ الرفيع ، وعليه يقول
الطائي ، وعلى أبي نواس ، ومن بديع شعره الذي امتثله الطائي قوله :
تساقط يمتناه الندى وشماله الردى
وعيون القول منطقته الفصل

(١) هكذا في جميع المطبوعات ، وفي ديوان مسلم « رأتني غوي الطرف » (م)

(٢) في نسخة « والسجف رافع » (م) (٣) الجوامع : الكبول والقيود ،

واحداها جامعة (م)

كَانَ نَعْمَ فِي فِيهِ تَجْرَى مَكَانَهَا
 لَهُ هَضْبَةٌ تَأْوِي إِلَى ظِلِّ بَرْمَكٍ
 عَجُولٍ إِلَى أَنْ يُودَعَ الْحَدُّ مَالَهُ
 وَقَدْ حَرَّمَ الْأَعْرَاضَ بِالْبَيْضِ وَالنَّدَى
 حُبًّا لَا يَطِيرُ الْجَهْلُ فِي عَرَصَاتِهَا
 بِكَبِّ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَمَطَّرُ الْغَنَى
 مَتَى شَتَّتْ رَفَعَتِ السُّتُورَ عَنِ الْغَنَى
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ ذَا نَفْسٍ جَوَادٍ ضَمِيرُهَا
 رَأَى بَعَيْنَ الْجُودِ فَاتَهَزَّ الَّذِي
 ظَلَمْتَكَ إِنْ لَمْ أَجْزَلِ الشُّكْرَ بَعْدَمَا
 فَإِنَّكَ لَمْ يَتْرَكَ نَدَاكَ ذَخِيرَةً
 وَقَالَ لِيَزِيدُ بْنُ مَرْزُوقٍ :

مُوفٍ عَلَى مَهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ
 يَنَالُ بِالرَّقِّقِ مَا يَنْفِيَا الرِّجَالُ بِهِ
 لَا يَرْحَلُ النَّاسُ إِلَّا نَحْوَ حَجَرَتِهِ
 يَقْرِئُ الْمَنِيَّةَ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ كَمَا
 يَكْسُو السُّيُوفَ رُحُوسَ النَّاكَثِينَ بِهِ
 قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَنَ بِهَا
 وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ .

(١) فِي نَسْخَةِ « إِلَى أَنْ يُودَعَ الْحَرُّ مَالَهُ ، يَعْدُ النَّدَى بِخَلَا » (م) .
 (٢) بَسَلٌ - بِالْفَتْحِ - أَيْ حَرَامٌ (م) . (٣) حَبَا : جَمْعُ حَوَّةٍ ، وَهِيَ أَنْ
 تَجْمَعَ الرَّجُلُ سَاقِيَهُ إِلَى ظَهْرِهِ بِشَوْهِ أَوْ يَدَيْهِ ، وَوَقَعَ فِي نَسْخَةِ « حَبَالًا يَطِيرُ الْجَهْلُ »
 تَحْرِيفٌ ، وَالذَّحَلُ : الثَّأْرُ (م) . (٤) الْكُومَاءُ : النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامُ ،
 وَالْكُومُ جَمْعُهَا ، وَالْبَزَلُ : جَمْعُ بَازِلٍ وَهُوَ الْجَمَلُ الَّذِي تَمَّ لَهُ تِسْعَةُ أَوَامٍ (م) .

[من شعر أبي نواس]

قال عمرو الوراق: سمعت أبا نواس ينشد قصيدته :

أيُّها المتنبُّ عن عُقرِهِ لستَ مِنْ لَيْلَى وَلَا سَمْرَةَ
لا أذودُ الطيرَ عن شجرِهِ قد بلوتُ المرَّ من ثَمَرِهِ
فحسدته عليها ، فلما بلغ إلى قوله :

وإذا مَجَّ القنا علقاً وتراءى الموتُ في صُورِهِ
راحَ في نَذْيِ مُفاضته أسدٌ يَدْمَى شَبَابَ ظُفْرِهِ
تتأبَّى الطيرَ غزوته ثقةً بالشَّبع من جَزَرِهِ
تحت ظلِّ الرمحِ تتبعُهُ فهي تكلوه على أثرِهِ

فقلت : ما تركت للنابغة شيئاً حيث يقول :

إذا ما غزَوْا بالجيشِ حَلَقَ فوقَهُم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ
جَوَارِحٍ قد أيقنَ أن قبيلَهُ إذا ما التقيَ الجمعانِ أوَّلُ غالبِ
فقال: اسكت ، فلئن أحسن الاختراع ، لما أسأت الاتباع .
أخذه الطائي فقال :

وقد ظلمت عُقبانُ راياته ضُحَى بعقبانِ طيرٍ في الاماءِ نواهِلِ
أقامتْ على الراياتِ حتى كأنها من الجيشِ إلا أنها لم تقاتلِ
[وصف جيش]

وقال المتنبي يصف جيشاً :

وذى جَلَبٍ لا ذو الجناحِ أمامُهُ بناجٍ ، ولا الوحشُ المُتارُ يسالمُ
تمرُّ عليه الشمسُ وهي ضعيفةٌ تُطالعُه من بين ريشِ القشاعمِ
إذا ضوَّها لافئ من الطيرِ فرجةً تدورُ فوقَ البيضِ مثل الدراهمِ

[شِعْبُ بَوَّان]

ونظير قول أبي الطيب في هذا البيت وإن لم يكن في معناه قوله يصف
شِعْبُ بَوَّان ، وسيأتي ، وفي هذا الشَّعْبُ يقول أبو العباس المبرد : كنت مع
مع الحسين بن رجاء بفارس ؛ فخرجتُ إلى شِعْبِ بَوَّان ، فنظرتُ إلى تَرْبَةٍ كأنها
الكافور ، ورياض كأنها الثوب الموشى ، وماء ينحدر كأنه سَلَّالُ الفضة ، على
حصباء كأنها حَصَى الدر ؛ فجعلتُ أطوف في حَنَائِهَا ، وأدور في عَرَصَاتِهَا ،
فإذا في بعض جدرانها مكتوب :

إذا أشرف المَكْرُوبُ من رأسِ تَلْعَةٍ	على شِعْبِ بَوَّان أفاق من السَّكْرَبِ
وَأَلْهَاهُ بَطْنٌ كَالْحَرِيرِ لَطَافَةٌ	ومَطَرٌ دِيَجَرِي من الباردِ الْعَذْبِ ^(١)
وطيبُ رِيَاصٍ في بلادِ مَرِيعةٍ	وأغصانُ أشجارِ جَنَاهَا على قُرْبِ ^(٢)
يُدِيرُ عَلَيْنَا الكَاسَ من لَوَحْظَتِهِ	بِعَيْنِكَ مَالُمَتَ الْحَمِينِ في الحَبِّ
فبَاللهِ يَارِيحُ الشَّمَالِ تَحْمَلِي	إلى شِعْبِ بَوَّانِ سَلامَ فَتَيِّ صَبِّ ^(٣)

قال أبو العباس : فأخبرت سليمان بن وهب بما رأيت ، فقال : وقد رأيت
نحت هذه الأبيات :

ليت شعري عن الذين تركنا	خَلَفْنَا بالعراق هل ذَكَرُونَا؟
أَمْ يَكُونُ المَدَى تَطَاوَلَ حَتَّى	قَدُمَ الْعَهْدُ بَيْنَنَا فَذَسُونَا ^(٤)
إِنْ جَفَوْا حَرَمَةَ الصَّفَاءِ فَإِنَا	لَهُمْ فِي المَوَى كَمَا عَاهَدُونَا

وشعر المتنبي :

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَغَانِي	بِمَنْزِلَةِ الرِّبْعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنِ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا	غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللَّسَانِ
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا	سُلَيْمَانُ لَسَارِ بَرَجَانِ
طَمَتِ فُرْسَانُنَا وَالْخَيْلُ حَتَّى	خَشِيتُ وَإِنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرَانِ

(١) في الأمل (٣ / ١٢٨) « كالحريرة منه » (م) .

(٢) وفيه « وطيب ثمار في رياض أريضة » (م) . (٣) وفيه « فبالله يارريح

الجنوب » (م) . (٤) وفيه « أم لعل المدى تطاول » (م) .

غدونا تَنْفُضُ الأغصان فيه على أعرافها مثَل الجُمانِ
فجئتُ وقد حَجَبَتِ الشمس عني وجئتُ من الضياء بما كَفَانِي
وَأَلْقَى الشرقُ منها في بَنَانِي دَنَانِيرًا تَقَرُّ مِنَ البَنَانِ
[ومنها:]

يقول بِشْعَبِ بَوَّانِ حصاني أعَنَ هذا يُسَارُ إلى الطعانِ؟
أبوكمُ آدمُ سَرَّ المعاصي رَعَلَمَكُمُ مُفارقة الجِنَانِ []
إنما أردت هذا البيت . ومنها :

لها تَمَرٌ تُشِيرُ إليك منه بأشربة وقفن بلا أواني
وَمَوَاهُ يَصِلُ بها حصاها صَلِيلَ الخَلِي في أيدي الغواني
[رَجَعُ إلى وصف الجيش]

وأول من ابتكر هذا المعنى الأول الأفوه الأودى في قوله :

وأرى الطير على آثارنا رأى عَيْنٌ ثَقَّةً أَنْ سَتَمَارَ^(١)
وقال حميد بن ثور وذكر ذنبًا :
إذا ما غدا يومًا رأيتُ غيابة من الطير يَنْظُرُنَ الذي هو صانع^(٢)
فهم بأمرٍ تم أزمع غـيره وإن ضاق أمرٌ مرةً فهو وَاِيسَعُ
وقال مسلم بن الوليد :

وإني لأستحي القنوع ومذهبي فسبح وأقلى الشَّحَّ إلأعلى عِرَضِي
وما كان مثلي يعتريك رَجَاؤُهُ ولكن أساءت نعمة من فتى محض
وإني وإشرافي عليك بهمتي لكأبتي زُبْدًا من الماء بالمَخِضِ
أخذه أبو عثمان الناجم فقال :

لم تُحَصِّلْ بِمَخْضِ الماءِ إلَّا زَبْدًا حين رمت بالجهل زُبْدًا

(١) شمار : أى ستال الميرة ، والميرة - بكسر الميم - الطعام (م) .

(٢) في نسخة « إذا ما غزوا يوما » ، وفي أخرى « إذا ما عوى يوما رأيت

غمامة » (م) .

[وصف وسفينة]

وقال مسلم أيضاً يصف السفينة :

كشفت أهاويل الدجى عن مهوول
إذا أقبلت راعت بقنة قرهب
بجارية محمولة حامل بكر
وإن أدبرت راعت بقادمتي نسر^(١)
أطلت بمجدافين يعتورانها
نسيم الصبا تحكى بها حين واجهت
وَقَوْمَهَا كَيْفُ الْجِجَامِ مِنَ الدَّبْرِ
كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجَهَتْ

[مما قيل في وصف الأساطيل]

وقال أبو القاسم بن هاني يصف أسطول المعز بالله :

لابن هاني
يصف أسطول
المعز الفاطمي

أما والجوارى المنشآت التي سمرت
قِبابٌ كما تُرْخَى القِبابُ على المَها
لقد ظاهرتها عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
ولكنَّ من ضَمَّتْ عليه أُسُودُ
[وما راع مَلِكُ الرُّومِ إلَّا اِطْلَاعُهَا
ولله مِمَّا لَا يَرُونَ كِتَابُ
أَطَالَ لَهَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ خَلَفَهَا
وَأَنَّ الرِّيحَ الذَّارِيَاتِ كِتَابُ
عليها غَمَامٌ مَكْفُورٌ صَبِيرُهُ
مَوَاحِرُ فِي طَامِي الْعُبَابِ كَأَنَّهُمَا
أَنَافَتْ بِهَا آطَامُهَا وَسَمَاءُ بِهَا
[من الطَّيْرِ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَارِحُ
وليس بأعلى كِبْكَبٍ وَهُوَ أَهْقُ
من الرَّاسِيَاتِ الشَّمُّ لَوْلَا اتَّقَالُهَا
من القَادِحَاتِ النَّارُ تُضْرَمُ لِلصَّلَى
فَنَظَرْتُهَا خَلْفَ الصُّفُوفِ رُدُودُ^(٢)
وَأَنَّ النُّجُومَ الطَّالِعَاتِ سَعُودُ
لَهَا بَارَقَاتٌ جَمَّةٌ وَرُعُودُ^(٣)
لِعَزَمِكَ بَأْسُ أَوْ لِكَفِّكَ جُودُ
بَنَاءٌ عَلَى غَيْرِ الْعَرَاءِ مَشِيدُ
وليس لها إِلَّا الْبُفُوسَ مَصِيدُ
وليس من الصُّفَّاحِ وَهُوَ صُلُودُ
فَنَهْمَا قِنَانُ شَمْنُخٍ وَرُيُودُ^(٤)
فَلَيْسَ لَهَا يَوْمَ الْقَاءِ خَمُودُ

(١) في نسخة « بقنة قرهد » والقرهب : الثور ، والقرهد : ولد الأسد أو ولد

الوعل (م) . (٢) ردود : جمع رد - بكسر الراء - وهو كل ما اعتمدت عليه ورجعت إليه (م)

(٣) الصبير - بفتح الصاد - السحاب المتراكم بعضه فوق بعض (م)

(٤) الريود : جمع ريد ، وهو القطعة من الجبل (م)

إِذَا زَفَرَتْ غِيظًا تَرَامَتْ بِمَارِجٍ كَمَا شَبَّ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَقُودُ
 تُعَانِقُ مَوْجَ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّهُ سَلِيطٌ لَهُ فِيهِ الذُّبَالُ عَتِيدُ^(١)
 تَرَى الْمَاءَ فِيهَا وَهُوَ قَانَ خِصَابُهُ كَمَا بَاشَرَتْ رَدْعَ الْخُلُوقِ جُلُودُ^(٢)
 فَأَنفَاسُهُنَّ الْحَامِيَاتُ صَوَاعِقُ وَأَفْوَاهُهُنَّ الزَّافِرَاتُ حَدِيدُ
 يُشَبُّ لَالِ الْجَمَائِلِيقِ سَمِيرُهَا وَمَا هِيَ مِنْ آلِ الطَّرِيدِ بَعِيدُ
 لَهَا شُعْلٌ فَوْقَ الْعِمَارِ كَأَنَّهَا دِمَالٌ تَلْقِيهَا مَلَاخِفُ سُودُ
 وَغَيْرُ الْمَذَاكِ نَجْرُهَا غَيْرُ أَنَّهَا مَسْوَمَةٌ تَحْتَ الْفَوَارِسِ قُودُ
 فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الرِّيحَ أَعْنَةُ وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْعُيَابَ كَدِيدُ^(٣)
 تَرَى كُلَّ قُودَاءِ التَّلِيلِ كَمَا انْثَنَتْ سَوَالِفُ غَيْدٍ أَعْرَضَتْ وَخُدُودُ^(٤)
 رَحِيبةٌ مَدَّ الْبَايَعِ وَهِيَ نَضِيجَةٌ بَغِيرِ شَوَى عِذْرَاءٍ وَهِيَ وَلُودُ
 تَكْتَبِرْنَ عَنْ نَقْعٍ يُثَارِ كَأَنَّهَا مَوَالٍ وَجُرْدُ الصَّافِنَاتِ عَمِيدُ
 لَهَا مِنْ شُفُوفِ الْعَبَقْرِ مَلَابِسُ مَفُوقَةٌ فِيهَا الذُّخَارُ جَسِيدُ
 كَمَا اشْتَمَلَتْ فَوْقَ الْأَرَائِكِ خُرْدُ أَوْ التَّفَعَّتْ فَوْقَ الْمُنَابِرِ صِيدُ
 لِبُوسُ تَكْفِ الْمَوْجِ وَهُوَ غُطَامُ وَتَدْرَأُ بَأْسَ الْيَمِّ وَهُوَ شَدِيدُ
 فَهِنَّ دُرُوعٌ فَوْقَهَا وَجُوشُنُ وَمِنْهَا خَفَاتَيْنُ لَهَا وَبُرُودُ
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِيَادِيُّ يَصِفُ أَسْطُولَ الْقَائِمِ فَأَجَادَ مَا أَرَادَ :

لعل الإيادی
 يصف أسطول
 القائم

أَعْجَبَ لَأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَغْرِبِ
 لَبِسَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاظِرِ الْمُتَعَجِّبِ
 مِنْ كُلِّ مُشْرِقَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصِّبِ
 دَهْمَاءٌ قَدْ لَبِسَتْ ثِيَابَ تَصْنَعِ تَسْبِيِ الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرَهُّبِ

(١) السليط - بفتح السين - الزيت ، والذبال : جمع ذبالة (م)

(٢) الردع : الزعفران ، والخلوق - بفتح الخاء - ضرب من الطيب (م)

(٣) الكديد - بفتح الكاف - الأرض الصلبة (م) (٤) قوداء التليل : طوبيلة العنق (م)

من كل أبيض في الهواء منشَر
 كملاءة في البر يقطع شدَّها
 محفوفة بمجاذِف مصفوفة
 كقوادِم النمر المرفرفِ عُرِيَتْ
 تحنُّها أيدي الرجال إذا وُنتْ
 خرقاء تذهبُ إن يدُ لم تهدها
 جوفاء تحمل موكبًا في جوفها
 ولها جناحٌ يستعار يُطيرُها
 يغلو بها حدبُ العُباب مُطارَةٌ
 تسمو بأجردَ في الهواء متوجِّج
 يتنزل للملاحُ منه ذوابة
 فكانما رام استراقةً مقعدِ
 وكانما جنُّ ابنِ داودِ هُمُ
 سَجَرُوا جواحِمَ نارها فتقاذفوا
 من كل مسجورٍ الحريق إذا انبرى
 عريان يقدمه الدخانُ كأنه
 ولواحق مثل الأهلة جُنَحُ
 يذهبن فيما بينهن لظافة
 كنضائض الحيات رُحن لواعبًا
 شرعوا جوانبها مجاذِف أتعبتْ

منها وأسحَمَ في الخليج مُعَيَّب^(١)
 في البحر أنفاسُ الرياح الشدْبُ
 في جانبيين دُورَيْن صُلْبِ صُلْبِ
 من كاسيات ريشه المتهدَّبِ
 بمصعد منه بُعِيد مُصَوَّبِ^(٢)
 في كل أوبٍ للرياح ومذهبِ
 يومَ الرهان وتستقلّ بموكبِ
 طوعَ الرياح وراحة المتطربِ
 في كل لج زاهر مُغْلُولِ
 عريان منسوج الذوابة شوذِبِ^(٣)
 لورام يركبها القَطَا لم يركبِ
 للسمع إلا أنه لم يُشهبِ^(٤)
 ركبوا جوانبها بأعنفِ مَرَكَبِ
 منها بالسُّن مارج متلهبِ
 من بجنه انصلت انصلات الكوكبِ
 صبحٌ يكرُّ على الظلام الغيبِ
 لحق المطالب فائتات المهرَبِ
 ويحنّ فعل الطائر المتغلبِ
 حتى يَقَعَنَّ ببرك ماء الميزَبِ
 شأوَ الرياح لها ولما تنعَبِ

(١) الأسحَم : الأسود (م)

(٢) تحنُّها : تحملها على السرعة ، وونت : فترت (م)

(٣) الشوذب من الرجال : الطويل الحسن الخلق (م)

(٤) لم يشهب : لم يرم بالشهاب ، يشير إلى قوله تعالى : (فأتبعه شهاب ثاقب

تنصاع من كَتَبَ كما نفر القَطَاً طوراً ، وتجتمع اجتماعَ الربِّ (١)
 والبحرُ يجمع بينها فكانه ليلٌ يقرَّبُ عقرباً من عَقَرَبِ
 وعلى كواكبها أسودُ خِلَافَةٍ تحتالُ في عُدَدِ السلاحِ المذهبِ
 فكانما البحرُ استعمارُ بزيِّهم ثوبَ الجمالِ من الربيعِ المعجبِ

[من لطائف التودد]

كتب العباس (٢) بن جرير إلى الفضل بن يحيى :
 لا أعلم منزلةً توحشني من الأمير ولا توحشه مني ؛ لأنني في المودة له كنفسه ،
 وفي الطاعة كيدِّه ، وإنما أُلِطُّه من فضله ، وقد بعثت بعض ما ظننت أنه يحتاج
 إليه في سفره . وذكر ما بعث .

وكتب غيره في هذا المعنى : إذا كان اللَّطْفُ دليلَ محبَّةٍ ، وميسمَ قُرْبَةٍ ،
 كفى قليله عن كثيره ، وناب يسيره عن خطيره ، لا سيما إذا كان المقصودُ به
 ذاهمةً لا يستعظم نفيساً ، ولا يستصغر خسساً ؛ وقد حُرِّتْ من هذه الصفة أجَلٌ
 فضائلها ، وأرفع منازلها .

وفي هذا المعنى : إن يدَ الأنس طويِّلة بكل ما بلغت ، منبسطة بكل
 ما أدركت ، من حيث يدُ الحشمة قصيرة عن كل ما حَوَّتْ ، مقبوضة دون
 ما أُمَلَّتْ ؛ لأن بابَ القول مطلقٌ لذوى الخصوص (٣) ، محظور عند ذوى الهموم ،
 ولتسكن ما بيننا عاطيتك من لطفى مالا دونه قلة . ثقةً منك بأنه يرد على
 مالا فوقه كثرة .

(١) الربرب — بوزن جعفر — جماعة بقر الوحش (م)

(٢) في نسخة « أبو العباس » (م) (٣) في نسخة « لذوى الخطوط » (م)

ومن ألفاظ أهل العصر في إقامة رسم الهدية في المهرجان والنيروز

لمثل هذا اليوم الجديد والأوان السعيد سنة ، وعلى مثل فيها أن يتحف
ويُلفظ ، وعلى مثل سيدنا ، ولا مثل له ، أن يَقْبَل ويشرف . لليوم رسم إن
أخل به الأولياء عُد هفوة ، وإن منع منه الرؤساء حُسب جَفوة ، ومولاي
يسوغنى الدالة فيما اقترن بالرقعة ، ويكسبني بذلك الشرف والرفعة . الهدايا
تكون من الرؤساء مكاثرة بالفضل ، ومن النظراء مقارضة بالمثل ، ومن الأولياء
ملاطفة بالقل^(١) ، وقد سلكت في هذا اليوم مع مولاي سبيل أهل طبقتهم من
الأرباب ، وقد حملت إلى مولاي هدية [الملائف ، لا هدية] المحتفل ،
والنفس له ، والمال منه .

ولهم في التهئة بالنيروز والمهرجان وفصل الربيع

هذا اليوم غرة في أيام الدهر ، وتاج على مفرق القصر . أسعد الله مولانا
بنوروزِه الوارد عليه ، وأعادَه ماشاء وكيف شاء إليه . أسعد الله تعالى سيدنا بالنوروز
الطالع عليه ببركاته ، وأيمنَ طائرَه في جميع أيامه ومتصرفاته ؛ ولا يزال يلبس
الأيام ويبليلها وهو جديد ، ويقطع مسافة نحسها وسعدها وهو سعيد . أقبل
النيروزُ إلى سيدنا ناشراً حُلله التي استعارها من شيمته ، ومُبدِيا حالته^(٢) التي
اتخذها من سَجِيته ، ومستصحبا من أنواره ما اكتسبه من محاسن فضله وإكرامه ،
ومن أنظاره ما اقتبسه من جوده وإنعامه . ويؤكد الوعد بطُول بقاءه حتى يملَ العمر ،
ويستغرق الدهر . سيدنا هو الربيع الذي لا يذبل شجرُه ، [ولا يزول سحرُه]
ولا ينقطع ثمرُه ، ولا يُقْلِعُ غَمَامُه ، ولا تتبدلُ أيامُه ؛ فأسعده الله تعالى بهذا

(١) القل — بضم القاف وتشديد اللام — القليل (م)

(٢) في نسخة « ومبدِيا حلمته » (م)

الربيع المتشبه بأخلاقه ، وإن لم يتبدل قدرها ، ولم يحمل فضلها ، ولم يجد بدءاً من الإقرار بها . سيدنا هو الربيع الذى يتصل مطرُه ، من حيث يؤمن ضررُه ، ويدوم زهرُه ، من حيث يتعجل ثمرُه ؛ فلا زال آمراً ناهياً ، قاهراً عالياً ، تهنئاً الأعياد بمصادفة سلطانه ، وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه . أسعد الله سيدنا بهذا التوزُّوز الحاضر ، الجديد الناضر ، سعادة تستمرُّ له فى جميع أيامه على العموم دون الخصوص ، لتكونَ متشابهات [فى اكتناف] المواهب لها ، واتصال المسار فيها ، لا يفرق إلا بمقدار يزيد التالى على الخالى ، ويدرج الآنى على الماضى . عرف الله سيدنا بركة هذا المهرجَان ، وأسعده فيه ، وفى كل زمان وأوان ، وأبقاه ما شاء فى ظلال الأمان والأمان . هذا اليوم من محاسن الدهر المشهورة ، وفضائل الأزمنة المذكورة ، فلقى الله تعالى سيدنا بركة وروده ، وأجزل حظّه من أقسام سعوده ، هذا اليوم من غرر الدهور ، وهواسم السرور ، معظّم فى الملك الفارسى ، مستظرف فى الملك العربى ؛ فوفر الله تعالى فيه على مولاي السعادات ، وعرفه فى أيامه البركات ، على الساعات واللحظات .

[الصفات التى تلم فى رجل الشرطة]

وقال الحجاج بن يوسف : دلّونى على رجل للشرطة ، فقيل : أى رجل تريد ؟ فقال : أريد رجلاً دائماً العُبوس ، طويلَ الجلوس ، سمينَ الأمانة ، أعجفَ الحيانة^(١) ، يهونُ عليه سبّالُ الشريف فى الشفاعة^(٢) ! فقالوا : عليك بعبد الرحمن [بن عبد الله] التميمى ، فأرسل إليه يستعمله ، فقال : لست أعمل لك عملاً إلا أن تكفينى ولدك ، وأهل بيتك ، وعيالك وحاشيتك ، فقال : يا غلام ناد : مَنْ طلب إليه حاجة منهم فقد برئت منه الذمة .

(١) أعجفَ الحيانة : مهزولها وضعيفها ، والمراد أنه عديم الحيانة (م)

(٢) فى نسخة «يهون عليه سبّاب الشريف» وفى أخرى «سبّال الأشراف» (م)

لأشجع السلمي
يعدح صاحب
شرطة الرشيد
وقال أشجع بن عمرو السلمي يعدح في هذا المعنى إبراهيم بن عثمان بن نهيك
صاحب شرطة الرشيد، وكان جباراً عنيداً :

في سيف إبراهيم خوفٌ واقعٌ بدوى النفاق ، وفيه أَمْنُ المسلم
وبييت بكلاً والعيونُ هواجعٌ مالَ المضيع ومُهْجَة المستسلم
شدَّ الخطامَ بأنف كلِّ مخالفٍ حتى استقام له الذى لم يُخْطَم
لا يُضْلِحُ السلطانَ إلا شدةً نغشى البرى بفضل ذنبِ المجرم
ومن الولاة مُفْخَمٌ لا يَتَّقِي والسيفُ تَقْطُرُ شَفَرَتَاهُ من الدم^(١)
منعت مهابتك النفوسَ حديثها بالأمر تكرهه وإن لم تَعْلَم

[من كلام الأعراب]

أعرابية تلوم
أباها في الجود
عدلت أعرابية أباها في الجود وإتلاف ماله ، فقالت : حبس المال ، أنفعُ
للعيال ، مِنْ بذلِ الوجْهِ في السؤال ؛ فقد قلَّ النوالُ ، وكثر البُخَالُ ، وقد
أتلفت الطارِفَ والتَّلاذ ، وبقيت تطلبُ ما في أيدي العباد ، ومن لم يحفظ
ما ينفعه ، أوشك أن يسعى فيما يضره .

دعوة أعرابية
قال الأصمعي : سمعت أعرابية تقول : اللهم ارزقني عمل الخائفين ، وخوف
العاملين ، حتى أتنعم بترك التنعم ، رجاء لما وعدت ، وخوفا مما أوعدت .
وقال آخر : اللهم من أراد بنا سوءاً فأحطه به كإحاطة القلائد ، بأعناق
الولائد ، وأرسخه على هامته ، كرسوخ السَّجِيل ، على هام أصحاب الفيل
وقال بعض الأعراب : نالنا وَشْيً ، وبخلقه وَلِيٌّ^(٢) ؛ فالأرضُ كُنْها وَشْيٌ
[عبقرى] ؛ ثم أتتنا غَيُومُ جَرَاد ، بمناجلِ حِدَاد ؛ فخرَّبت البلادَ ، وأهلك
العبادَ ؛ فسبحان من يهلك القوى الأكل . بالضعيف المأكول .

(١) يروى « ومن الولاة مقحم » والمقحم - بزنة المعظم - الذى يقحم نفسه في

الأُمُور (م) (٢) الوسمى : أول المطر ، والولى : المطر يتبع المطر (م)

[مع الولاة والخلفاء]

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجواز نفيسة ، وكسوة وصلة ، وأذن مجلسه - : وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرك ، فوالله لئن أردنا شكرك على كُنْهِ صلتك ، فإنَّ الشكرَ ليقْصُرُ عن نعمتك ، كما قَصُرْنَا عن منزلتك ، غير أنَّ الله تعالى جعل لك فضلا علينا بالتقصير منا ، ولم تحْرِمْنَا الزيادة منك لِنَقْصِ شُكْرَنَا .

وقال أبو العباس السفاح لخالد بن صفوان : كيف علمك بأخوالي بني الحارث ابن كعب ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هم هامة الشرف ، وعزّنينُ الكرم ، وفيهم خصالٌ ليست في غيرهم من قومهم ، هم أحسنهم أمما ، وأكرمهم شيئا ، وأهنأهم طعا ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم همما ، هم الجُمرة في الحرب ، والرأس في كلِّ خطب ، وغيرهم بمنزلة العجب ^(١) .

وعزّى خالد بن صفوان عمر بن عبد العزيز وهنأه بالخلافة ، فقال : الحمد لله الذى مَنَّ على الخلق بك ، والحمد لله الذى جعل نبوتكم رجة ، وخلافتكم عِصمة ، ومصائبكم أسوة ، وجعلكم قُدوة .

وقال خالد بن صفوان لبعض الولاة : قدمت وأعطيت كلاً يقسِطه من نظرك وتجلسك ، فى صوتك وعدلك ، حتى كأنك من كلِّ أحد ، وحتى كأنك لست من أحد .

وقال رجل لخالد : إن أباك كان دَمِيًّا ، ولكنه كان حليما ، وإن أمك كانت حسناء ، ولكنها كانت رَعْنَاء ، فيا جامع شرَّ أبويه !

شذور فى المقابح ومساوى الأخلاق

على بن عبيدة الرىحاني - أذنب شعار المرء جهله .

(١) العجب - بفتح العين وسكون الجيم - أصل الذنب ، وهو أيضا مؤخر كل شيء (م)

(٢) الدميم - بالداك المهملة - القبيح الشكل ، ووقع فى نسخة «دَمِيًّا» تطبيع (م)

ابن المعتز - نعم الجاهل ، كالرياض في المزابيل . كلما حُسُنَتْ نعمةُ الجاهل ازداد فيها قُبْحًا . لسانُ الجاهل مفتاحُ حَتْفِهِ . لا ترى الجاهل إلا مُفْرطًا أو مُفْرَطًا .
 الجاحظ - البخل والجبن غريزة واحدة ، يجمعهما سوء الظن بالله . البخل يَهْدِمُ مباني الشرف .

وقال ابن المعتز : لما عرف أهلُ النقص حالهم عند ذوى السكال ، استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ، ويرفعَ حقيراً ، وليس ينفعُ الطمع في وثاق الذل .
 الغضب يصدئ العقل حتى لا يرى صاحبه صورةَ حسنٍ فيرتكبه ، ولا صورة قبيحٍ فيجتنبه . الغضبُ يبنى ، عن كامن الحقد . من أطاع غضبه أضاع أدبه .
 حدةُ الغضب تعثر المنطق^(١) ، وتقطع مادةَ الحجّة ، وتفرّق الفهم^(٢) . غضب الجاهل في قوله ، وغضبُ العاقل في فعله . عقوبةُ الغضب تبدأ بالغضب : تقبّح صورته ، وتلُم دينه ، وتعجل ندمه . ما أقبح الاستطالة^(٣) عند الغنى ، والخضوع عند الفقر . من يهتك ستر غيره تكشف عورات بيته . نفاق المرء من ذلة الشرير لا يظنُّ بالناس خيراً لأنه يراهم بعين طبعه . من عدّد نعمه بحق كرمه . خلف الوعد خلق الوغد ، من أسرع كثر عثاره .

[من المفاخرات]

فاخر كاتبٌ نديماً ، فقال الكاتب : أنا معونة ، وأنت مؤنة ؛ وأنا للجد ، وأنت للهزل ؛ وأنا للشدة وأنت للذة ؛ وأنا للحرب ، وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة ، وأنت للخدمة ؛ وأنا للحضرة ، وأنت للمهنة ؛ تقوم وأنا جالس ، وتحشم وأنا مؤانس ؛ تدأب لراحتي ، وتشتقي لسعادتي ؛ فأنا شريك ، وأنت معين ، كما أنك تابع ، وأنا قرين .

بين كاتب
ونديم

(١) في نسخة «تغير المنطق» (م) (٢) تفرق الفهم : تبديده (م)

(٣) الاستطالة : التكبر (م)

وفاخر صاحب سيف صاحب قلم ، فقال صاحب القلم : أنا أقتل بلا غرر ، وأنت تقتل على خطر . فقال صاحب السيف : القلم خادم السيف إن تم مراده ، وإلا فإلى السيف معاده .
قال أبو تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبُ في حَدِّهِ الحدُّ بين الجَدِّ واللعبِ
إبراهيم بن المهدي :

فقد تلينُ ببعض القولِ تبذلهُ والوصل في جبلٍ صعبٍ مرَّاقيه
كالخيزران منيعٍ حين تكسرهُ وقد يرى لئناً في كفتٍ لآويه
أبو الهيثم^(١) عامر بن عمارة المروزي يرقى :

لأبي الهيثم
المروزي يرقى

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنأ فإن بها ما أدرك الوابرُ الوترأ
ولسنا كمن يئبكي أخاه بعبرةٍ يعصرها من ماء مُقلته عَصْرأ
ولكنني أشفي فؤادي بغمرةٍ وألهب في قُطري جوانبه جَمْرأ
وإنا أناس ما تفيضُ دموعنا على هالكٍ منا وإن قصم الظهْرأ

[من وصايا الحكماء]

لقى رجل حكيمًا فقال : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخْلِقُ الأبدان ، ويَجْدُدُ الآمال ، ويَقْرُبُ المنيّة ، ويباعدُ الأُمْنِيّة . قال : فما حالُ أهله ؟ قال : من ظفر به منهم تعب ، ومن فاته نَصِب . قال : فما الغنى عنه ؟ قال : قطعُ الرجاء منه ، قال : فأَيُّ الأصحاب أبردُ وأوفى ؟ قال : العمل الصالح والتقوى . قال : أيهم أضر وأرْدَى^(٢) ؟ قال : النفس والهوى ، قال : فأين الخرج ؟ قال : سلوكُ المنهَج . قال : وما هو ؟ قال : بذلُ المجهود ، وترك الراحة ، ومداومة الفكرة . قال : أوْصني . قال : قد فعلت .

(١) في نسخة «أبو الهندام» وفي أخرى «أبو الهيثم» (م)

(٢) أردى : أشدردى ، والردى - بوزن الفتى - الهلاك (م)

وقال بعضُ الملوكِ الحَكِيمِ من حِكَمائِهِ : عِظِي بِعِظَةِ تَنْفِي عَنِ الْخِيَلَاءِ^(١) ،
وتزهدني في الدنيا . قال : فَكَّرْ في خُلُقِكَ ، واذْكُرْ مَبْدَأَكَ ومَصِيرَكَ ، فإذا
فعلت ذلك صَغُرَتْ عندك نَفْسُكَ ، وعَظُمَ بصغرها عندك عَقْلُكَ ؛ فإنَّ العَقْلَ
أَنْفَعَهُمَا لَكَ عِظًا ، والنَّفْسُ أَرْزَنُهُمَا لَكَ صِغَرًا ؛ قال الملك : فإنْ كَانَ شَيْءٌ يُعِينُ
على الأخلاقِ المحمودة فصفتك هذه . قال : صفتي دليل ، وفَهْمُكَ حِجَّةٌ ، والعلم
عِلْمِيَّةٌ^(٢) ، والعمل مَطِيَّةٌ ، والإخلاص زمامها ، فخذْ لعقلك بما يزينه من العلم ، وللعلم
بما يَصُونُهُ من العمل ، وللعلم بما يحققه من الإخلاص ، وأنت أنت !
قال : صدقت .

[من المدح]

وقال ابن الرومي :

لابن الرومي

تَغْنُوْنَ عَنْ كُلِّ تَقْرِيطٍ بِمَجْدِكُمْ غَنَى الطَّبَاءِ عَنِ التَّكْحِيلِ بِالسَّكَلِ
تَلُوحُ فِي دُولِ الْأَيَّامِ دَوْلَتُكُمْ كَأَنَّهَا مِثْلَةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ
وقال أيضاً :

كُلُّ الْخِلَاصِ الَّتِي فِيكُمْ مُحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخُلُقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأَنْزُجِ طَابَ مَعَا سَحَابًا وَنُورًا ، وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ

وقال البستي [في نحو هذا] :

لأبي الفتح
البستي

فَتَى جَمَعَ الْعُلِيَاءَ عِلْمًا وَعِفَّةً وَبَأْسًا وَجَبُودًا لَا يَفِيْقُ فُوقَا
كَأَنَّ التَّفَاحَ حَسَنًا وَنَضْرَةً وَرَائِحَةً مَحْبُوبَةً وَمَذَاقًا

قال أبو العباس المبرد : حدثني عجل بن أبي دلف قال : امتدح رجلُ أبي

في مدح
أبي دلف

بكلمةٍ ، فوصله بنحسمائة دينار ولم يره ، وهي :

(١) الخيلاء : الكبر (م)

(٢) في نسخة « والعلم حيلة » وفي أخرى « والعلم حلية » (م)

مَالِي وَمَالِكَ قَدْ كَلَفْتَنِي شَطَطًا حَمَلَ السِّلَاحَ وَقَوْلَ الدَّارِعِينَ قَفِ
أَمِنْ رِجَالِ الْمَنَایَا خِلَقَتَنِي رِجَالًا أُمْسَى وَأُصْبِحُ مُشْتَاقًا إِلَى الثَّلَفِ
أَرَى الْمَنَایَا عَلَى غَيْرِي فَأَكْرَهَهَا فَكَيْفَ أُمْشِي إِلَيْهَا بَارِزَ الْكَتِفِ
أَخِلَّتْ أَنْ سَوَادَ اللَّيْلِ غَيَّرَنِي وَأَنْ قَلْبِي فِي جَنبِي أَبِي دُلْفِ
قلت: هذا كحديث الذي دخل في قومٍ على شراب فسقوه غير الشراب الذي
يشربون ، فقال :

نَبِيذَانِ فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ لِإِشَارِ مُثْرٍ عَلَى مُقْتِرِ
فَلَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ فَعَلَ الْكِرَامِ فَعَلْتُ كَفَعَلِ أَبِي الْبَخْتَرِي
تَذَبَّعَ إِخْوَانُهُ فِي الْبِلَادِ فَأَغْنَى الْمَقْلَ عَنِ الْمَكْرِ
فاتصل شعره بأبي البختري فأعطاه ألف دينار ولم يرَ .

[أحمد بن أبي فتن]

والأبيات التي مَدَحَ بها أبو دلف هي لأحمد بن أبي فتن ^(١) ، وكان شاعراً
مجيداً ، وهو القائل :

وَلَمَّا أَبَتْ عَيْنَايَ أَنْ تَمْلِكَ الْبُكْيَ وَأَنْ تَحْبَسَ سَحَّ الدَّمُوعِ السَّوَاكِبَ ^(٢)
تَشَاءَبْتُ كَيْ لَا يُنْكِرَ الدَّمْعَ مَنَكِرُ وَلَكِنْ قَلِيلًا مَا بَقَاءُ التَّشَاؤِبِ ^(٣)
أَعَرَضْتُمَانِي لِلْهُوَى وَنَمَمْتُمَا عَلَيَّ؟ لِبُئْسِ الصَّاحِبَانِ لِصَاحِبِ
وقال :

وَحَيَاةٌ هَجَرْتُكَ غَيْرَ مَعْتَمِدٍ إِلَّا لِقَصْدِ الْحِنْثِ فِي الْخَلْفِ
مَا أَنْتَ أَمْلَحُ مَنْ رَأَيْتَ وَلَا كَلَفَنِي بِحَبِّكَ مُنْتَهَى كَلَفِي

(١) في نسخة «أحمد بن أبي العيلاء» وانظر اللآلي لأبي عبيد البكري (١٩٧) (م)

(٢) في اللآلي «أن تملك البكي» ويروى «أن تقف البكي»

(٣) «١٠» في قوله «قليلًا» صفة لقليل ، وفي نسخة «ما يفيد التشاؤب» وليس
بشيء ، وكان من حق العربية أن يقول «ولكن قليل ما بقاء التشاؤب» ولما ذكر
وجه ليس هو المهيح .

قال الصولي : كنا بحضرة أبي العباس المبرد فأنشد هذين البيتين فاستظرفهما
وأنشدنا في ذلك :

وحياة غيرك غير معتمد به حنثاً ولكن مُعْظَماً لحياتكا^(١)
ما ينقضى طمعى وإن أطمعنى في الوعد منك إلى اقتضاء عِدَاتكا^(٢)

وقال الخنعمي :

ولم أر مثل الصدِّ أدعى إلى الهوى إذا كان ممن لا يخافُ على وَصلِ
وَأَتَّ يميناً كالزجاج رقيقةً وما حَلَفْتُ إِلَّا لِتَحَنُّثٍ مِنْ أَجَلِي
وكان أحمد بن أبي فنن أسود ، ولذلك قال :

* أخلت أن سَوَادَ الليل غيّرني *

ولما أدخل على المعتز وامتدحه قال : هذا الشاعرُ الآدم^(٣) ، قال بعض من حضر :
لا يَصِرُّه سواده مع بياض أياديك عنده ، قال : أَجَلٌ ، ووصله .

أخذ قوله :

* أرى المنايا على غيري فأكرهها *

من قول أعرابي قيل له : ألا تَغْزُو ؟ قال : أنا والله أكره الموت على فراشي ،
فكيف أمشي إليه ركضاً ؟

[الاستطراد]

وهذا المذهب الذي سلكه أحمد ضربٌ من البديع يسمّى الاستطراد ، وذلك
أن الفارس يظهر أنه يستطرد لشيء ويُبْطِنُ غيره ، فيكُرُّ عليه ، وكذلك هذا

(١) في نسخة «وحياة عزك» (م)

(٢) العِدَات : جمع عِدَة ، بمعنى الوعد ، واقتضاؤها : طلب إنجازها (م)

(٣) الآدم : وصف من الأدمة ، وهي السمرة (م)

الشاعر يظهر أنه يذهب لمعنى فيعين له آخر فيأتى به ، كأنه على غير قصد ، وعليه بناء ، وإليه كان معزاه^(١) ، وقد أكثر المحدثون منه فأحسنوا فى ذلك .

لإسحاق
الموصلى

قال الأصمعى : كنت عند الرشيد فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلى

فقال : أنشدنى من شعرك ، فأنشده :

وأمره بالبخل قلت لها : اقصرى فليس إلى ما تأمرين سبيل
أرى الناس خلان الجواد ، ولا أرى بخيلاً له فى العالمين خليل
ومن خير حالات الفتى لو علمته إذا نال شيئاً أن يكون منيل
فعالى فعال المسكرين تجملاً ومالى كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

فقال الرشيد : يا فضل ؛ أعطه عشرين ألف درهم . ثم قال : لله أبيات تأتينا

بها يا إسحاق ما أتت أصولها ، وأبين فضولها . وأقل فضولها ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لا قبلت منها درهما واحدا . قال : ولم ؟ قال : لأن كلامك ، والله ، خير من شعري . فقال : يا فضل ؛ ادفع إليه أربعين ألفاً . قال الأصمى : فعلت أنه أصيد لدرهم الملوكة منى .

لأبى تمام
صنف فرساً

ومن ذلك^(٢) قول أبى تمام يصف فرساً :

وسابح هطل التّغذاء هتّان على الجراء أمين غير خوّان
أظمى الفصوص ولم تظماً قوائمه فخلّ عَيْنُكَ فى رِيّان ظمّان
فلو تراه مُشيحاً والحصى زيمٌ بين السنايك من مثنى ووحدان
أيقنت - إن لم تثبت - أن حافرة من صخر تدمر أو من وجه عمان
وقد احتذى البحترى هذا الحدو فى حمدويه الأحوال ، وكان حمدويه هذا

عدوا للمدوح ، فقال :

(١) معزاه - بالعين المهمله - اعتراؤه : أى انتسابه ، وفى نسخة «معزاه» بالعين

المعجمه (م) (٢) أى من الاستطراد (م)

للبحترى

وَأَغْرَى فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٌ قَدْ رُخْتُ مِنْهُ عَلَى أَغْرَى مُحَجَّلٍ
كَالْمِيكَالِ الْمُبْنَى إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ
مَلِكِ الْعِیُونَ ؛ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِيَهُ نَظَرَ الْحُبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ
مَا إِنْ يَعَافُ قَذَى وَلَوْ أَوْرَدَتْهُ يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدَوِيهِ الْأَحْوَلِ

وفي قصيدته هذه يحكى أن البحترى قال له أصحابه : إلك ستعاب بهذا البيت ؛ لأنك سرقت من أبى تمام ، قال : أعاب من أخذى من أبى (١) تمام ؟! والله ما قلت شعراً قط إلا بعد أن أحضرت شعره فى فكرى ، قال : وأسقط البيت بعد ، فلا يوجد فى أكثر النسخ .

[سَبَقُ الْمُتَقَدِّمِينَ إِلَى الْاسْتِطْرَادِ]

لفرزدق

وهذا معنى قد أعجب المحدثين ، وتخيلوا أنهم لم يُسَبِّحُوا إليه ، وقد تقدّم لمن قبلهم ، قال الفرزدق :

لجرير

كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ إِذَا جَلَسُوا أَقْوَاهُ بَكْرٍ بَنِ وَائِلٍ
قَالَ الْخَاتَمَى : وَأَنَّى جَرِيرٌ بِهَذَا النُّوعِ غَمًّا (٢) فِي وَجْهِ السَّابِقِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى
فَضْلًا عَنِ تَبْلَاهُ ؛ فَإِنَّهُ اسْتَطْرَدَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، فَهَجَا فِيهِ ثَلَاثَةَ ، فَقَالَ :
لَمَّا وَضَعْتَ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَعَلَى الْبَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
وَقِيلَ هَذَا الْبَيْتُ مِمَّا يَرُدُّ عَلَى الْخَاتَمَى ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

السموأل

مبتكر

الاستطراد

أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ كَأْسًا مَرَّةً فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ
قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : وَأَوَّلُ مَنْ ابْتَكَّرَهُ السَّمُوَالُ بْنُ عَادِيَاءَ الْيَهُودِي ، وَكُلُّ أَحَدٍ
تَابِعٌ لَهُ فَقَالَ :

وَإِنَّا أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسُلُولُ
يَقْرَبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطْوِيلُ

(١) فى نسخة «أعاب على أحد أخذى من أبى تمام ؟» (م)

(٢) حثا التراب يحشوه ويحنيه - مثل دعاه يدعوه ورماه يرميه - قبض قبضة

منه ورماه به (م)

لطرفة بن
العبد البكري

وقد قال طرفة في هذا المعنى :

فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد
فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ ، وعادنى بنونَ كرامٍ سادةٍ لمسود
قيس بن خالد : ذو الجدين الشيباني . وعمرو بن مرثد : سيد بنى قيس بن ثعلبة ،
فدعا [عمرو] طرفة لما بلغه ذلك ، فقال : أما البنون فإن الله يعطيك ، ولكن
لا تريم حتى تكون من أوسطنا حالا ؛ وأمر بنيه وكانوا عشرة ، فدفع إليه كل
واحد منهم عشراً من الإبل ؛ فانصرف بمائة ناقة .

ابن عبدل وكان ابن عبدل منقطعاً إلى عبد الله بن بشر بن مروان^(١) ، فتأخر عنه برثه ،
وابن بشر بن وغاب أياماً ، ثم أتاه فسأله عن غيبته ، فقال : خطبتُ ابنةَ عمٍ لى بالسواد ،
مروان فزعمتُ أن لها ديوناً وأسلاًفاً^(٢) هناك ، وأنى إذا جمعتها لها صارت إلى محبتي ، ففعلت
ذلك ، فلما استنجزتها كتبت إلى :

سَيَخِطُّكَ الذى أُمِلْتَ مِنى إذا انتقضت عليك قوى حبالى
كما أخطأك معروفُ ابنِ بشر وكنت تعدُّ ذلك رأسَ مالٍ^(٣)
فقال : ما أحسن ما ألفت بالسؤال ! وأجزل صلته .

لبشار بن برد

ومن بديع هذا الباب قول بشار بن برد :

خليلى من كعبٍ أعيناً أخاكما على دهره ؛ إن الكريمَ معينُ
ولا تبخلًا بخلَ ابنِ قزعة ؛ إنه مخافة أن يُرجى نداه حزينُ
إذا جئته فى حاجةٍ سدَّ بابهُ فلم تَلَقَه إلّا وأنتَ كمينُ
فقل لأبى يحيى متى تبلغُ العُملَا وفى كل معروفٍ عليك يمينُ

لبكر بن النطاح

وقال بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

(١) وردت هذه القصة فى ذيل الأمالى (٤٦) وذكر أنها بين ابن عبدل ومُعرف
ابن بشر (م) (٢) فى الذيل « فأرسلت إلى أن لى أشاوى طلى الناس وديونا »
والأشاوى : جمع أشياء التى هى جمع شيء (م) (٣) فى الذيل « وكنت تعده لك
رأس مال » (م)

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنْ الْمَنَى لَتَرْضَى فَقَالَتْ: قُمْ فَجَنِّبْنِي بِكُوكِبِ
فَقُلْتُ لَهَا: هَذَا التَّعَنُّتُ كُلُّهُ كُنْ بِشْتَهَى لَحْمٍ عِنَقَاءَ مُغْرِبِ
سَلِّي كُلَّ أَمْرٍ يَسْتَقِيمُ طِلَابَهُ وَلَا تَذْهَبِي يَادِرِّ فِي كُلِّ مَذْهَبِ
فَأَوْسَمُ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي عَزِّ مَالِكٍ وَقُدْرَتِهِ مَا رَامَ ذَلِكَ مَطْلَبِي
فَتَى شَقِيتَ أَمْوَالَهُ بِسَاحِهِ كَمَا شَقِيتَ قَيْسَ بِأَرْمَاحِ ثَعْلَبِ

واعترف رجلٌ إلى رجلٍ بحضرة عبد الأعلى بن عبد الله فلم يُقبلْ عذره ،
فقال عبد الأعلى : أَمَا والله لئن كان احتمل إثمَ الكذب ودناءته ، وخضوعِ
الاعتذارِ وذِلَّتِهِ ، فعاقبته على الذَّنْبِ الذَّاهِبِ ، ولم تشكر له إجابة التائب ، إنك
لمن يُسَىء ولا يُحْسِن .

وقال الخطيئة :

للخطيئة

يَسُوءُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتَهَا وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيزَةُ وَالْجَدُّ
أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنَ اللَّوْمِ أَوْسُدُوا الْمَسْكَانَ الَّذِي سَدُّوا
أَوَّلُكَ قَوْمَ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ وَعَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وَإِنْ كَانَتْ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لَا كَدَّرُوهَا وَلَا كَدُّوا^(١)
وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادَث مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلَامِكُمْ رَدُّوا
وَيَعْدِلُنِي أَبْنَاءُ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ^(٢)

[شاعر باهلي في حضرة الرشيد]

وَوَصَلَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ إِلَى الرَّشِيدِ شَاعِرًا بَاهِلِيًّا ، فَأَنَشَدَهُ قَصِيدَةً حَسَنَةً ،
فَاسْتَرَابَهُ الرَّشِيدُ ، وَقَالَ : أَسْمَعُكَ مُسْتَحْسِنًا ، وَأَنْكَرُكَ مَتَّهَمًا^(٣) ؛ فَإِنْ كُنْتَ مَسَاحِبَ
هَذَا الشَّعْرِ فَقُلْ فِي هَذَيْنِ ، وَأَشَارَ إِلَى الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَكَانَا جَالِسَيْنِ .

(١) يروى « النعماء عليهم جزاؤها » (م)

(٢) ويروى « وقد لامني أفناء سعد عليهم » (م) (٣) في نسخة « وأكرمك متها » (م)

فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتني عل غير الجدد : هَيِّمَةُ الْخِلَافَةِ ، وَوَحْشَةُ
الْعُرْبَةِ ، وَرَوْعَةُ الْمَفَاجَأَةِ ، وَجَلَالَةُ الْمَقَامِ ، وَصُعُوبَةُ الْبَدِيهِ ، وَشُرُودُ الْقَوَائِي ، عَلَى
غَيْرِ الرُّوِيَّةِ ، فَلْيُمِمْهُنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَتَأَلَّفَ نَافِرُ الْفَوَلِ .

فقال الرشيد : لا عليك ألا تقول ؛ قد جعلت اعتذارك عِوَضَ امْتِحَانِكَ .
فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ نَفَسْتُ الْخِنَاقَ ، وَسَهَّلْتُ مَيْدَانَ السِّبَاقِ ، ثُمَّ قَالَ :

بَنِيْتُ بَعْدَ اللَّهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ذُرِّي قُبَّةِ الْإِسْلَامِ فَاخْضَرَّ عَوْدُهَا
هَاطُنُهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - عَمُودُهَا

فقال الرشيد : وَأَنْتَ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ، سَلِّ وَلَا تَكُنْ مَسْأَلَتَكَ دُونَ إِحْسَانِكَ
فقال : الْهَنِيْدَةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(١) ! فَأَمَرَ لَهُ بِهَا ، وَبِخَلْعِ نَفِيسَةٍ ، وَصِلَةٍ جَزِيلَةٍ .

[كَاتِبُ الْحِجَاجِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ]

دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي مُسْلَمٍ كَاتِبُ الْحِجَاجِ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَازْدَرَاهُ
وَنَبَتَ عَيْنُهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ عَيْنِي كَالْيَوْمِ قَطَّ ، لَعَنَ اللَّهُ أَمْرًا أَجْرَكَ رَسَنَهُ ،
وَحَكَمَكَ فِي أَمْرِهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقُلْ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ
عَنِّي مُذْبِرٌ ، وَعَلَيْكَ مُقْبِلٌ ؛ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَلَى مُقْبِلٍ ، وَعَنِّي مُذْبِرٌ ،
لَا اسْتَعْظَمْتَ مِنِّي مَا اسْتَصَغَرْتَ ، وَاسْتَكْبَرْتَ مَا اسْتَقَلَّمْتَ .

قَالَ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ يَا بَنَى أَبِي مُسْلَمٍ لَتُخْبِرَنِي عَنْ الْحِجَاجِ ، أَتَرَاهُ يَهْوِي فِي
جَهَنَّمَ أَمْ قَدْ قَرَّ بِهَا ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقُلْ هَذَا فِي الْحِجَاجِ ، وَقَدْ بَذَلَ
لَكُمْ النُّصِيْحَةَ ، وَأَمَّنْ دَوْلَتَكُمْ ، وَأَخَافُ عُدُوَّكُمْ ، وَكَأَنِّي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ
عَنْ يَمِينِ أَبِييكَ ، وَيَسَارِ أَخِيكَ ، فَاجْعَلْهُ حَيْثُ شِئْتَ .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : اعْزُبْ^(٢) إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! فَخَرَجَ ، فَاتَّفَقَتْ سُلَيْمَانُ إِلَى جُلُسَائِهِ

(١) الْهَنِيْدَةُ - زِينَةُ التَّصْغِيرِ - اسْمٌ لِلْمَائَةِ مِنَ الْإِبِلِ (م) (٢) اعْزَبَ : ابْعَدَ (م)

فقال : قاتله الله ! ما أحسنَ بديهتهُ ، وترفيهه لنفسه ولصاحبه ! وقد أحسن المكافأة في الصنعة ، خلّوا عنه .

[من أدب إبراهيم بن العباس الموصلي]

قال إبراهيم بن العباس الموصلي : والله ما اتَّكَلْتُ في مكاتبةٍ قط إلا على ما يجلبه خاطري ، وَيَجِيشُ به صَدْرِي ، إلا قولي في فصل : وصار ما كان يُحَرِّزُهُمْ يُبْرِزُهُمْ ، وما كان يعقلهم يعتقلهم . وقولي في رسالة أخرى : « فأنزلوه من معقل إلى عَقَّال ، وبدّلوه آجالاً بآمال » ، فإني أُلِمْتُ في هذا بقول الصريح ^(١) :
مُوفٍ عَلَى مُهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
وفي المعنى الأول يقول أبو تمام :

فإن يَبْنِ حِيْطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أُولَئِكَ عُقْلَاتُهُ لَا مَعَاقِلُهُ
وكان يقول : ما تَمَنَيْتُ كَلَامَ أَحَدٍ أَنْ يَكُونَ لِي إِلَّا قَوْلَ عَبْدِ الحمِيدِ بْنِ يَحْيَى :
الناس أصنافٌ متباينون ، وأطوار متفاوتون ، منهم عُلُقُ مَضْنَةٍ لَا يُبَاعُ ،
وغُلُ مَظْنَةٍ لَا يُدْتَمَعُ .

ورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بدم رجل ومدح آخر ؛
فوقع في كتابه : إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعُهُ ، وللمسيء من النَّسْكَالِ
ما يَقْمَعُهُ ، بَدَلُ المحسن الواجب عليه رغبة ، وانقاد المسيء للحق رهبةً . فوثب
الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل مَتَّ إليه بِجُرْمَةٍ : تقدمت بجرمة مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أقوم
بواجبها ، وأزاعها من جميع جوانبها .

وإبراهيم بن العباس هو القائل :

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَغْبَرُ مِنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا

(١) الصريح : صريع الغواني ، وهو مسلم بن الوليد ، وقد مضت له أبيات منها
هذا البيت (انظر ص ١٠٢٤ من هذا الكتاب)

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن يُستدَمَّ دماؤها^(١)
 حمى وقرى فالموت دون مرامها وأيسرُ خطب يوم حُقَّ فناؤها
 وقال الصولي : وجدت بخط عبد الله بن أبي سعيد إبراهيم بن العباس
 أنشده لنفسه :

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
 وأعلم مالي عندهم فيردني هوائى إلى جهلى فأرجع عن علمي
 فقلت : أسبقك إلى هذا أحد ؟ فقال : العباس بن الأحنف بقوله :
 تجنب ير تاد السلو فلم يجذ له عنك في الأرض العريضة مذهباً
 فعاد إلى أن راجع الوصل صاغراً وعاد إلى ما تشتهين وأعتباً^(٢)
 قال الصولي : وأظن أن ابن أبي سعيد غلط في هذه الرواية ؛ لأن الأشبه
 بقول ابن العباس : « فعاد إلى أن راجع الوصل صاغراً » قوله :

كم قد تجرعت من غيظ ومن حزن إذا تجدد حزن هون الماضى
 وكم سخطت وما باليت سخطى حتى رجعت بقلبٍ ساخطٍ راضى
 وأنشد له :

لمن لا أرى أعرضت عن كل من أرى وصيرت على قلبي رقيباً لقاتله
 أذافعه عن سَلوةٍ وأردّه حياءً إلى أوصابه وبلا بلة
 وقال في هذا النحو :

وأنت هوى النفس من بينهم وأنت الحبيب وأنت المطاع
 وما بك إن بعدوا وحدة ولا معهم إن بعدت اجتماع
 وقال الطائي :

إذا جئت لم أحزن لبعد مفاري وإن غبت لم أفرح بقرب مقيم

(١) في نسخة « أن تستدَمَّ دماؤها » (م)

(٢) أعتباً : فعل ما يزول معه العتب (م)

فيا ليتني أفديك من غُرْبَةِ النوى بكلِّ أَيْخٍ لى وأصلٍ وحيم
وأصل هذا من قول مالك بن مسَمَعٍ للأحنف بن قيس : « ما أَشْتاقُ للغائب
إذا حَضَرْتُ ، ولا أَنتَفِعُ بالحاضر إذا غَبِثَ » .

وقال إبراهيم بن العباس :

تَدَانَتْ بِقَوْمٍ عَنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَنْ دَنَوِّ مَزَارِهَا^(١)
وإنَّ مُقِيمَاتِ بَمَنْعَرَجِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلِي وَهَاتِيكَ دَارُهَا
وَلَيْلِي كَمَثَلِ النَّارِ يَنْفَعُ ضَوْؤُهَا بَعِيداً نَأَى عَنْهَا وَيُحْرِقُ جَارُهَا
كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ النَّظَارِ الْفَقْعَسِيِّ :

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ
أَلَا إِنَّمَا بُعْدُ الْخَلِيلِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يُوصَلْ إِلَيْهِ سِوَاهُ
وَقَوْلُهُ : « وَلَيْلِي كَمَثَلِ النَّارِ » كَقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

أَحْرَمَ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا
صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
وقال إبراهيم بن العباس :

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ عَمِي وَأَخَذَ لِلصَّدِيقِ مِنَ الشَّقِيقِ
وإِنِ الْفَيْتَنِي حُرّاً مُطَاعاً فَإِنَّكَ وَاجِدِي عَبْدَ الصَّدِيقِ
أَفَرَّقَ بَيْنَ مَعْرُوفِي وَمَنِي وَأَجْمَعُ بَيْنَ مَالِي وَالْحَقُوقِ

[رثاء مصلوب]

قال العقبلي يَرْتِي صَدِيقًا لَهُ أَخَذَ فِي خُرْبَةٍ^(٢) فَقَتَلَ وَصَلَبَ :
لَعَمْرِي لَثْنٌ أَصْبَحَتْ فَوْقَ مَشْدَبٍ طَوِيلٍ تُعَفِّيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ

(١) في ديوان إبراهيم بن العباس « دنت بأناس » والتناى : البعد ، وشط : بعد (م)

(٢) في نسخة « أخذ في جزية » وفي أخرى « في خزية » (م)

لقد عشتَ مبسوطَ اليدين مرزاً وعُوفيتَ عند الموت من ضَغْطَةِ القبرِ
وأفلتَ من ضيقِ الترابِ وعمِّهِ ولم تفقد الدنيا ؛ فهل لك من شُكْرِ
فما تشفى عيناى من دائمِ البُكى عليك ، ولو أنى بكيتُ إلى الحشرِ
فطوبى لمن يبكى أخاه مُجَاهِراً واسكنى أبكى لفقدك فى سِـثْرِ

[كلام لا يحتمل الجواب]

وكتب محمد بن كثير إلى هارون الرشيد :

يا أمير المؤمنين ؛ لولا حظ كرم الفعل فى مَطالِعِ السؤال ، لألهى المطل من محمد بن
كثير إلى الرشيد
قلوبَ الشاكِرين ، ولصرف عيونَ الناظرين إلى حسن الحجة ، فأى الحالين
يُبْعِدُ قولك عن مجاز فملاك ؟

فقال هارون الرشيد : هذا الكلام لا يحتمل الجواب ؛ إذ كان الإقرار
به يمنع من الاحتجاج عليه .

[تعجيل الإحسان]

وقال يحيى بن أكرم للمأمون يذكر حاجة له قد وعده بقضاها ، واغفل
ويحيى بن أكرم
ذلك :

أنتَ يا أمير المؤمنين أكرمُ من أن نعرضَ لك بالاستنجاز ، وننابلك
بالأدكار ، وأنتَ شاهدى على وَعْدِكَ ، وأن تأمر بشىء لم تتقدَّم أيامه ، ولا يقدر
زمانه ، ونحن أضعفُ من أن يستولى علينا صبرُ انتظارِ نعمتك ، وأنت الذى
لا يؤوده^(١) إحسان ، ولا يُعْجزُهُ كرم ؛ فعجِّلْ لنا يا أمير المؤمنين ما يزيدك كرمًا ،
وتزدادُ به نعمة ، وننلقاه بالشكر الدائم .

فاستحسن المأمون هذا الكلام ، وأمر بقضاء حاجته .

قدم على المأمون رجلٌ من أبناء الدهاقين وعظماهم ، من أهل الشام ، على
من بنى
الدهاقين
عدة سلفت له من المأمون^(٢) ، من توليته بلديهِ ، وأن يضمَّ إليه مملكته ، فطال على

(١) لا يؤوده : لا يعجزه ولا يضعفه (م) (٢) عدة : وعد ، وسلفت : مضت (م)

الرجل انتظارُ خروجِ أميرِ المؤمنين بذلك ، فقصد عمرو بن مسعدة وسأله إيصالَ رقعةٍ إلى المأمون من ناحيته ، فقال : اكتب بما شئت فإني موصِّله ، قال : فتولَّ ذلك عني ، حتى تكون لك نعمتان . فكتب عمرو :

إن رأى أميرُ المؤمنين أنْ يفكَّ أسرَ عِدَّتِه من رِبْقَةِ المَطلِ ، بقضاء حاجة عبْدِه ، والإذن له بالانصراف إلى بلده ، فعل مَوْفَقًا .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرواً ، وجعل يعجب من حُسن لفظها ، وإيجازِ المرادِ فيها ، فقال له عمرو : فما نتیجتُها يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : الكتابة له في هذا الوقت بما سأل ؛ لئلا يتأخَّرَ فضلُ استحساننا كلامه ، وبجائزَةٍ تنفي دناءةَ المَطل . ومن كلام عمرو بن مسعدة : أعظمُ الناسِ أجراً ، وأنزبَهُم ذِكْراً ، من لم يرضَ بحياةِ العَدْلِ^(١) في دولته ، وظهورِ الحجَّةِ في سلطانه ، وإيصالِ المنافع إلى رُعيَّتِه في حياته ، حتى احتالَ في تخليدِ ذلك في الغابرين بعده ، عنايةً بالدين ، ورحمةً بالرَّعية ، وكفايةً لهم من ذلك مالو عنوا باستنباطه لكان يعرض أحدُ الأمرين ، إما الإلكاء^(٢) عن إصابة الحق فيه لكثرة ما يعرض من الالتباس ، وإما إصابةُ الرأى بعد طول الفكر ، ومقاساةِ التجارب ، واستغلاق كثير من الطرق إلى دَرَكَه ؛ وأسعدَ الرُّعاةَ من دامت سعادةُ الحق في أيامه ، وبعَدَ وفاته وانقراضه .

[فضل الإيجاز]

وقال رجل لسويد بن منجُوف ، وقد أطلال الخطبة بكلام افتتحه للصلح بين قومٍ من العرب :

« يا هذا ؛ أتيت مرعىً غَيْرَ مَرَعَاكَ ، أفلا أدلُّك عليه ؟ قال : نعم . قال :

(١) في نسخة « بموت العدل » (م)

(٢) في نسخة « أما الكد » (م)

قل : « أما بعد ، فإنّ في الصلح بقاء الآجال ، وحفظ الأموال ، والسلام .
فلما سمع القوم هذا الكلام تعانقوا وتواهبوا الترات ^(١) »

[أبو مسلم]

قال عبد الله بن مسعود ^(٢) : لما أمر أبو مسلم بحاربة عبد الله بن علي ^(٣) دخلت عليه . فقلت : « أيها الأمير ، تريد عظيماً من الأمر ؟ قال : وما هو ؟ قلت : عم أمير المؤمنين وهو شيخ قومه ، مع نجدة ، وبأس ، وحزم ، وحسن سياسة . فقال لي : يابن شبرمة ، أنت بحديث تعلم معانيه ، وشعرٍ توضح قوافيه ، أعلم منك بالحرب ؛ إن هذه دولة قد اطردت أعلامها ، وامتدت أيامها ، فليس لمناوشها والطامع فيها يدّ تنيله شيئاً من الثوب عليها ، فإذا ولت أيامها فدع الوزغ بذنبه فيها .

قال بعض حكماء خراسان : لما بلغني خروج أبي مسلم أتيت عسكره لأنظر إلى تدبيره وهيبته ، فأقمت فيه أياماً ، فبلغني عنه شدة عجب ، وكبر ظاهر ، فظننت أنه تحلى بذلك لعيّ فيه أراد أن يستتره بالصمت ، فتوصلت إليه بحيث أسمع كلامه ، وأغيب عن بصره ، فسلمت فرداً جميلاً ، وأمر بإدخال قوم يريد تنفيذهم في وجه من الوجوه ، وقد عقدوا الرجل منهم لواء ، فنظر إليهم ساعة متأملاً لهم ، وقال : افهموا عني وصييتي إياكم ؛ فإنها أجدي عليكم من أكثر تدبيركم ، والله توفيقكم . قالوا : نعم أيها السالار ، ومعناه السيد بالفارسية ، فسمعته يقول ، ومترجم يحكي كلامه بالفارسية لمن عبّر له منهم بالعربية : « أشعروا قلوبكم الجرأة فإنها سبب الظفر ، وأكثروا ذكر الضغائن فإنها تبعث على الإقدام ، والزموا الطاعة فإنها حصن الحارب ، وعليكم بعصبية الأشراف ، ودعوا عصبية الدناءة ؛ فإن الأشراف تظهر بأفعالها ، والدناءة بأقوالها » .

(١) الترات : جمع ترة ، وهي - بوزن عدة - الثأر (م)

(٢) في نسخة «عبد الله بن شبرمة» (م) (٣) خرج عبد الله بن علي حين مات

السفاح وولى الخلافة أبو جعفر المنصور في سنة ١٣٧ .

من أوصاف
أبي مسلم

وذكر إدريس بن معقل أبا مسلم فقال : بمثل أبي مسلم يُدرك نار ، وينفى عار ، ويُؤكد عهد ، ويُبرم عقد ، ويسهل وعر ، ويُخاض غمر ، ويُقلع ناب ، ويُفتح باب .

[حساب]

وقال رجل لأبي جعفر المنصور : أين ما تحدث به في أيام بني أمية ؟ إن الخلافة إذا لم تقابل بإنصاف المظلومين ، ولم تعامل بالعدل في الرعية . وقسمة النىء بالسوية ، صار عاقبة أمرها بواراً ، وحق بولائها سوء العذاب .
قال : فتتفس ثم قال : قد كان ما تقول ، واسكننا يا أخى استعجاننا الفانية على الباقية ، وكأن قد انقضت هذه الدار . فقال له الرجل : فانظر على أى حالة تنقضى .

وقال أبو الدوانيق وكان فصيحاً بليغاً : « عجباً لمن أصر عليه غرضاً ليسهام خطايا ، وهو عارفٌ بسرعة المنايا ، اللهم إن تقض للمسيئين ^(١) صفحاً فاجعلنى منهم ، وإن تهب للظالمين فسحاً فلا تحرمنى ما يتطوّل به المولى على أخس عبيد » .

[من كلام الأحنف بن قيس]

سئل الأحنف بن قيس عن العقل ؟ فقال : رأس الأشياء ؛ فيه قوامها ، وبه تمامها ؛ لأنه سراج ما بطن ، وملاك ما علن ، وسائس الجسد ^(٢) ، وزينة كل أحد ، لا تستقيم الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .

الأحنف ابن
قيس يصف
العقل

ولما خطب زياد خطبته المشهورة قام الأحنف بن قيس ، فقال : الفرس بشده ، والسيف بجده ، والمرء بجده ، وقد بلغ بك جدك ما أرى ، وإنما الثناء بعد البلاء ، فإننا لا نُذنى حتى نَبْلُو ^(٣)

(١) فى نسخة « إن تقض للمسلمين » (م) (٢) فى نسخة « وسائس الجسد »

طبيع (م) (٣) البلاء : الاختبار ، بلاه يبلوه : اختبره (م)

[مما كتبه ابن الزيات]

وكتب ابن الزيات عهدَ الوثائق على مكة بحضرة المعتصم : أما بعد ، فإن
أمير المؤمنين قد قلَّدك مكة وزمزم ، تراثَ أبيك الأقدم ، وجدِّك الأكرم ،
وركنة جبريل^(١) ، وسُقياً إسماعيل ، وحَفَرَ عبد المطلب ، وسِقَاية العباس ؛ فعليك
بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته .

وكتب : لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة
عليه ، وزيادة منتظرة له ، ثم قال لحمد بن رباح : كيف ترى ؟ قال : كأنهما
قرطان بينهما وجه حسن ، ومع ذلك ذكر ابن الزيات أمرَ الحرَم بتعظيم وتفخيم
ألفاظ لأهل العصر في التهنئة بالحج ، وتفخيم [أمر] الحرم

و [تعظيم] أمر المناسك والمشارع ، وما يتص بها من الأدعية
قصد البيت العتيق ، والمطاف الكريم ، والمذمزم النبوي ، والمستلم النزيه .
[وقف بالمعرف العظيم ، وورد زمزم والحطيم] . حَرَّمَ الله الذي أوسع للناس
كرامة ، وجعله لهم مثابة^(٢) ، وللخليل خُطة ، وللذبيح خُلة ، ولحمد صلى الله عليه وسلم
قَبيلة ، ولأُمته كعبة ، ودعا إليه حتى إني من كل مكان سحيق ، وأسرع
نحوه من كل فجٍّ عميق ، يعودُ عنه مَنْ وَفَّق وقد قُبِلت توبته ، وغُفِرَتْ
حَوْبَتُهُ^(٣) ، وسَعِدَتْ سفرته ، وأنجحت أَوْبَتُهُ ، وحُجِدَ سَفِيهِ ، وزكا حُجُّهُ ، وتقبل
عَبَّجَهُ وَثَجَهُ^(٤) . انصرف مولاي عن الحجِّ الذي انتضى له عزَّ أُمِّهِ ، وأنضى فيه
رَوَاحِلَهُ ، وأتعب نفسه بطلب راحتها ، وأنفق ذخائره بشراء سَعَةِ الجنة وساحتها ؛
فقد زكَّت إن شاء الله تعالى أفعاله وتُقبِلت أعماله ، وشكر سعيه ، وبلغ هديه .

(١) يروى أن جبريل - عليه السلام ! - ضرب بقدمه موضع بئر زمزم فأنبط
الماء (م) (٢) مثابة : أى مكانا يعود إليه من خرج منه (م)
(٣) الحوبة - بالفتح - الذنب (م) (٤) العيج : رفع الصوت بالتلبيه ، والنج :
إرافة دم الهدى (م)

قد أسقطت عن ظَهْرِكَ النِّقْلَ العَظِيمَ ، وشَهِدْتَ المَوْقِفَ الكَرِيمَ ، ومَحَصْتَ عن
نَفْسِكَ بالسَّعْيِ مِنَ القَجِّ العميقِ ، إلى البيتِ العتيقِ . حمداً لمن سَهَّلَ عَلَيْكَ قِضَاءَ
فَرِيضَةِ الحَجِّ ، ورُؤْيَا المَشْعَرِ والمَقَامِ ، وبركةَ الأَدْعِيَةِ والمَوْسَمِ ، وسَعَادَةِ أَفْنِيَةِ
الحطيمِ وزَمَنِمِ فَصْدَ أَكْرَمِ المقاصدِ ، وشَهِدَ أَشْرَفَ المَشَاهِدِ ؛ فوردَ مَشَارِعَ
الجنةِ ، وخَيَّمَ بِمَنَازِلِ الرَّحْمَةِ . وقد جُمِعَتْ مَوَاهِبُ اللَّهِ لَدَيْكَ : فَالحِجُّ أَدِيتَ فَرَضَهُ ،
وَحَرَّمَ اللَّهُ وَطِئْتَ أَرْضَهُ ، والمَقَامُ الكَرِيمُ قُمْتَهُ ، وَالْحَجَرُ الْأَسْوَدُ اسْتَلَمْتَهُ ،
وَزُرْتَ قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَشَافِهاً لِمَشْهَدِهِ ، وَمَشَاهِداً لِمَسْجِدِهِ . ومباشراً
بِأَيْدِيهِ وَمَحْضَرِهِ ، وَمَاشِياً بَيْنَ قَبْرِهِ وَمَنْبَرِهِ ، وَمَصْلِياً عَلَيْهِ حَيْثُ صَلَّى ، وَمَتَقَرِّباً إِلَيْهِ
بِالْقُرَابَةِ العَظْمَى ، وَعَدْتَ وَسَعَيْكَ مَشْكُوراً ، وَذَنْبُكَ مَغْفُوراً ، وَتِجَارَتَكَ رَاجِحَةً ،
وَالْبَرَكَاتِ عَلَيْكَ غَادِيَةً وَرَاحَةً . نَلَقَى اللَّهُ دَعَاكَ بِالْإِجَابَةِ ، وَاسْتَغْفَرَكَ بِالرِّضَا ،
وَأَمْلَكَ بِالنُّجْحِ ، وَجَعَلَ سَعْيَكَ مَشْكُوراً ، وَحَجَّكَ مَبْرُوراً . عَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى
مَوْلَايَ مَنَاهِجَ مَا نَوَاهُ ، وَقَصْدَهُ وَتَوَخَاهُ ، مَا يَسْعِدُهُ فِي دُنْيَاهُ ، وَيُحَمَّدُ عُقْبَاهُ .

[من شعر قَطَرِي بن الفُجَّاءَةِ]

قال أبو حاتم : أتيت أبا عبيدة ومعى شعر عُرْوَةَ بن الورد ، فقال لي : مامعك؟
قلت : شعر عروة ، قال : شعر فقير ، يحمله فقير ، ليقراه على فقير ! قلت : مامعى
[شعرُ] غيره ؛ فأنشدني أنت ما شئت ، فأنشدني :

يَا رَبِّ ظِلِّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهِ مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالِ تَجْتَلِدُ^(١)
وَرَبِّ يَوْمٍ حَتَّى أَرْغَمْتُ عَقْوَتَهُ خَيْلِي اقْتَسَارًا وَأَطْرَافُ الْقَنَا قِصْدُ^(٢)
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَغَى وَنَارُهُ تَقْدُ

(١) العقاب ، هنا : الراية ، وتجتلد : يجالده بعضها بعضاً (م)

(٢) العقوة - بالفتح - الساحة والمحلة ، وقصد : جمع قصدة - بالكسر - وهى

الطامة مما يكسر (م)

مَشْتَهراً مَوْفِقِي والحربُ كاشِفَةٌ عنها القناعَ وبَحْرُ الموتِ يَطْرُدُ
 وربُّ هاجِرَةٍ تَفْلِي مَراجِلُها مَخْرَتُها بِمِطْيايا غَاوِرَةٍ تَخِدُ^(١)
 تَجْتَابُ أودِيَةَ الأفْزاعِ آمِنَةً كأنَّها أُسْدٌ يَصْطادُها أُسْدٌ
 فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ أَنْفِي لَا أُمْتُ كَمْدًا على الطعانِ وَقَصُرُ العاجِزِ السَّكْمُ^(٢)
 ولم أَقُلْ لم أَساقِ الموتِ شاربُهُ في كَأْسِهِ والنَّايَا شُرْعٌ وَرُدُّ
 ثم قال : هذا والله هو الشعر ، لا ما يتعلَّلون به من أشعار الخناث.

والشعرُ لَقَطْرِي بن الفجاءة المازني ، وكان يُكْنَى في السلم أبا محمد ، وفي
 الحرب أبا نَعَامَةٍ ، وكان أطولَ الخوارج أياًماً ، وأحدهم شوكة ، وكان شاعراً
 جواداً ، وهو القائل أيضاً :

لا يركن أحد إلى الإحجام يوم الوغى متهيباً لِحِمامٍ
 فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني تارةً وأمامي
 حتى خضبتُ بما تحذر من دمي أكنافَ سَرَجِي أو عِنانَ لِحامي
 ثم انصرفتُ وقد أصبت ولم أصب جَذَعَ البصيرة قارِحَ الإقدام

[من جيِّد المديح]

السَّيِّبُ
 ابن علس

وقال السَّيِّبُ بن علس :

تبَّيت الملوكة على عَتَبِها وشييان إن غضبت تعتب
 وكالشهد بالراح أفاظهم وأخلاقهم منها أعذب
 وكالمستك تُرَبُّ مقاماتهم وتربُّ أصولهم أطيَّبُ
 وقال آخر :

اذكر مجالس من بنى أسد بَعْدُوا الْفَحْنَ إِلَيْهِمُ الْقَلْبُ
 الشرق منزلهم ، وَمَنْزِلُنَا غَرْبٌ ، وأين الشرق والغرب ؟

(١) الهاجرة : الوقت نصف النهار ، ومخرتها : قطعها ، وتخذ : مضارع وخذ
 في سيره ، إذا أسرع (م) (٢) قصره كذا وقصاراه : أي غاية ما يطلب (م)

من كل أبيض جُل زينتِه مسكٌ أحمرٌ وصارمٌ عَضْبُ^(١)
ومدججٌ يسمَى لِنَارَتِه وعقيرةٌ بفنائِه تَحْبُو^(٢)
آخر:

رأيكم بقية آل حرب وهضبتُها التي فوق الهضابِ
تُبَارونَ الرياحَ ندىً وجوداً وتمثلون أفعالَ السحابِ
مذكرني بمقامي اليومَ فيكم مقامى أمسى في ظلِّ الشبابِ

[بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد]

كتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :

أكره — أطل الله بقاءك ! — أن أضعك ونفسي موضع العذر والقبول ،
فيكون أحدنا معتذراً مقصراً ، والآخر قابلاً متفضلاً ، ولكن أذكر
ما في التلاقي من مجيد البر ، وفي التخلّف من قلة الصبر ، وأسأل الله تعالى أن
يوفقك وإيانا لما يكون منه عقبى الشكر

فأجابه : وصل كتابك — أكرمك الله تعالى ! — الحاضرُ سروره ،
للطيف موقعه ، الجميل صدوره وموثرده ، الشاهدُ ظاهره على صدقِ باطنه ،
ونحن — أعزك الله — نجمل جزاءك حسن الاعتراف بفضلك ، ومجاراةك التقصير
دونك ؛ ونرى أن لا عُذرَ في التخلّف عنك ، وإن حالت الأشغال بيننا وبينك .
وإن كنتَ ساحتَ في العذر قبل الاعتذار ، وسبقتَ إلى فضيلة الاعتذار ، فلا
زلت على كل خير دليلاً ، وإليه داعياً ، وبه آمراً ؛ ولقد التقينا قبل وصول كتابك
لقاءً أحدث وطراً ، وهاج شوقاً ، وأرجو أن تنسم لنا الجمعة بما ضاقت به الأيام ؛
فننال حظاً من محادثتك والأنس بك

(١) الصارم : السيف . والعَضْب : القاطع ، وفي نسخة «وعارض هضب» (م)

(٢) في نسخة «وعقيرة تشابه يحبو» (م)

[منزله سعيد بن حميد]

ولسعيد بن حميد حلاوة في منظومه ومنشوره ، لكنه قليل الاختراع ، كثير الإغارة على مَنْ سبقه ؛ وكان يقال : لو رجع كلام كل أحد إلى صاحبه لبقى سعيد ابن حميد ما كتباً .

وفيه يقول أبو علي البصير :

رأسُ من يدعي البلاغة مني ومن الناس ، كلهم في حِرَامَةٍ
وأخونا ولست أكني سعيد بن حميد تؤرخ الكتب باسمه
هذا المعنى ينظرُ إلى قول منصور الفقيه وإن لم يكن منه :

تضييق به الدنيا فينهضُ هارباً إذا نحن قلنا : خيرُنا البازلُ السَّمْحُ
فإن قيل : من هذا الشقي ؟ أقلُّ لهم على شَرَطِ كتمان الحديث : هو الفَتْحُ
وكان سعيدٌ يهوى فضل الشاعرة ؛ فعزم مرة على سفر ، فقالت له :

كذبني الوُدُّ أن صاغتَ مرتحلاً كفَّ الفراقِ بكفَّ الصبرِ والجلدِ
لا تذكرنَّ الهوى والشوقَ لو فُجِعَتْ بالشوقِ نفسك لم تصبرِ على البُعدِ
وكان سعيد عند بعض إخوانه ، فنهض منصرفاً وأخذ بمضادِّي الباب ،
وأنشأ يقول :

سلامٌ عليكم ، حالتِ الكأسُ بيننا وولتْ بنا عن كلِّ مرأى ومَسْمَعِ
فلم يبقَ إلا أن يصفحني الكرى فيجمع سكرًا بين جسْمي ومَضْجَعِي
وقال [سعيد] :

أرى ألسنَ الشكوى إليك كليلَةً وفيهنَّ عن غيرِ الثناء فتورٌ^(١)
تقيمُ على القَتَبِ الذي ليس نافعاً وليس لها إلا إليك مَصِيرُ
وما أنتَ إلا كالزَّمانِ تلَوَّنتَ نوابٍ من أحْدانه وأُمُورِ
فإن قلَّ إنصافُ الزَّمانِ وجُودُهُ فن ذا على جَوْرِ الزَّمانِ يُجِيرُ

(١) كليله : ضعيفة متعبة ، وقوله « غير الثناء » وقع في مكانه « عين الثناء » (م)

[من السرقات الشرعية]

أما قوله :

* تقيمُ على العتَبِ الذى ليس نافعاً *

فمن قول المؤمل :

لا تغضبني على قوم تحبهم فليس منك عليهم ينفع الغضب
يا جأرين علينا في حكومتهم والجور أقبح ما يؤتى ويرتكب
لسنا إلى غيركم منكم نفر إذا جرتم، ولكن إليكم منكم الهرب
وأول من تبه على هذا المعنى النابغة الذبياني في قوله للنعمان بن المنذر .

فإنك كالليل الذي هو مُدرِك وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حُبْن في حبال متينة تمدُّ بها أيد إليك نوازِع
سرقه أشجع السلمي فقال لإدريس بن عبد الله بن الحسين بن علي ، وقد
بعث إليه الرشيد من أغتاله في المغرب :

أتظنُّ يا إدريس أنك مُفِلتٌ كَيْدَ الخلافة أو يقيق حِذارُ
إنَّ السيوف إذا انتضاها عزُّهُ طالت ، وتقصر دونها الأعمارُ
هيئات إلا أن تحلَّ ببلدةٍ لا يهتدى فيها إليك نهَارُ

وقال سلم الخاسر يعتذر إلى المهدي :

إني أعز بخير الناس كلهم وأنت ذاك لما يأتي ويحتبُ
وأنت كالدهر مبثوثا حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ
ولو ملكت عنان الريح أصرفه في كل ناحية ما فاتك الظلُّبُ
فليس إلا انتظاري منك عارِفةً فيها من الخوف مَنجاةً ومُنْقَلَبُ

وقول سلم :

* ولو ملكت عنان الريح أصرفه *

كأنه من قول الفرزدق للحجاج :

ولو حملتني الريح ثم طلبتني
لكنك كمود أدركته مقاديرة^(١)

وقول علي بن جبلة الحميد الطوسي :

وما لأمري حاولته منك مهرب
ولو رفعتني في السماء المطالع

أخذه البحري فقال :

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم
محرة فكانهم لم يسلبوا
فلو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن
ليجيرهم من حد بأسك مهرب

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في نحو قول النابغة :

وإني وإن حدثت نفسي بأني
أفوتك إن الرأي مني لعازب
لأنك لي مثل المكان المحيط بي
من الأرض لولا استنصتني للذاهب

وأما قول سعيد : * وما أنت إلا كالزمان * والبيت الذي يليه ، فكانه

ألم فيه بقول شمعل الثعابي وإن لم يكن المعنى بنفسه :

أمن جذبة بالرجل مني تباشرت
عداتي ، ولا عتب علي ولا هجر
فإن أمير المؤمنين وقله
لكالدهر ، لا عار بما صنع الدهر

وقال رجل من طيء وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عمرو بن زيد الخليل

قتل رجلا اسمه زيد فأقاد منه السلطان ، فقال الطائي يفخر على الأسديين :

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم
بأبيض مشحوذ الغرار يمان^(٢)
فإن تقتلوا زيدا بزید فإنما
أقادكم السلطان بعد زمان

وقول الثعلبي مأخوذ من قول النابغة ، وهو أول من ابتكره :

وعيرتني بنو ذبيان خشيتهم
وما علي بأن أخشاك من عار

(١) في نسخة « وأن لوركبت الريح » وفي نسخة أخرى « لكنك كشىء أدركته

مقاديره » (م) (٢) حفظي « بأبيض ماضى الشفرتين يمان » (م)

ومن جيد شعر سعيد بن حميد :

أَهَابُ وَأَسْتَجِيي وَأَرْقُبُ وَعَدَهُ فَلَا هُوَ يَبْدَأُنِي وَلَا أَنَا أَسْأَلُ
هُوَ الشَّمْسُ مُجَرَّاهَا بَعِيدٌ وَضَوْهَهَا قَرِيبٌ ، وَقَلْبِي بِالْبَعِيدِ مُوَكَّلُ
وهذا المعنى وإن كان كثيراً مشهوراً فما يكادُ يداني في الإحسان فيه .

وقد قال أبو عيينة :

غَزَتْنِي جِيوشُ الْحُبِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِذَا حَانَ مِنْ جُنْدٍ قِفُولٌ غَزَا جُنْدُ
أَقُولُ لِأَصْحَابِي : هِيَ الشَّمْسُ ، ضَوْهَهَا قَرِيبٌ ، وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بَعْدُ
وقال العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مُسْكِنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفَوَادِ عَزَاءَ جَمِيعِهَا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَإِنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ التَّزُولَ
وقال البحتري :

دَنُوتَ تَوَاضَعًا وَعَلَوْتَ قَدْرًا فَشَأْنُكَ انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعُ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعِدُ أَنْ تَدَانِي وَيَدْنُو الضَّوْءُ مِنْهَا وَالشَّمْعُ
وقال ابن الرومي :

وَذَخَرْتُهُ لِلدَّهْرِ أَغْلَمُ أَنَّهُ كَالدَّهْرِ فِيهِ مَنْ يُؤُولُ مَالُ
وَرَأَيْتُهُ كَالشَّمْسِ إِنْ هِيَ لَمْ تَنْزَلْ فَالْقُورُ مِنْهَا وَالضُّيَاءُ يُنَالُ
وقال المتنبي :

بِيضَاءُ تُطْمَعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا لِمَنْ طَلَبَا
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْنَى كَقَابِضِهَا شُعَاعُهَا وَتَرَاهُ الْعَيْنُ مُقْتَرَبَا
وقال سعيد بن حميد ، ويروى لفضل الشاعرة :

ما كنتُ أيامَ كنتِ راضيةً عني بذاك الرضا بمغتيبِ
 علماً بأن الرضا سـيـتـبـعـه منك التجنى وكثرة السخطِ
 فكلُّ ما ساءني فعن خلقٍ منك وما سرّني فعن غلطِ

وفي هذا المعنى يقول أبو العباس الهاشمي من ولد عبد الصمد بن علي، ويُعرف
 بأبي العبر .

أبكي إذا غضبت، حتى إذا رضيت بكيتُ عند الرضا خوفاً من الغضبِ
 فالموت إن غضبت، والموت إن رضيت إن لم يرُخني سلوةٌ عشتُ في تعبِ
 وقال العباس بن الأحنف :

إذا رضيت لم يهنيني ذلك الرضا لصحة علمي أن سيتبعه عتبُ
 وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبيها فأسألها مرضاتها ولها الذنبُ
 وصالكُم هجرٌ، وقرانكم قلى وعطفكم صدٌّ وسلمكم حربُ
 وأنتم بحمد الله فيكم فظاظةٌ وكلّ ذلولٍ من أموركم صعبٌ^(١)
 وقال :

قد كنتُ أبكي وأنت راضيةٌ حذارَ هذا الصدود والغضبِ
 إن تمّ ذا الهجرُ يا ظلوم ولا تمّ فإلى في العيش من أربٍ^(٢)
 وما أحسن قول القائل :

وما في الأرض أشقى من محبة وإن وجد الهوى حلواً للذائقِ
 تراه باكياً في كل حينٍ مخافةً فرقةٍ أو لاشتياقٍ^(٣)
 فيبكي إن تأوّا حذراً عليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراقِ

(١) ذلول : سهل المقادة ، وصعب : أي يعسر قياده ، وأصله في الخيل والإبل (م)

(٢) الأرب - بالتحريك - المقصد (م) (٣) يروى « في كل حال » (م)

وَتَسَخَّنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسَخَّنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

[الاقْتِبَاسُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ]

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ: إِذَا نَزَعْتُ فِي كِتَابِي ^(١) بَايَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أُرْتِ إِظْلَامُهُ ، وَزَيَّنْتُ أَحْكَامَهُ ، وَأَعَذْتُ كَلَامَهُ .

أَمْثَالٌ لِلْعَرَبِ وَالْمَجْمُوعِ وَالْعَامَةِ وَمَا يَمَثُلُهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
إِذَا هُوَ أَجَلٌ مِنْهَا وَأَعْلَى [أَخْرَجَهَا أَبُو مَنْصُورُ عَبْدُ الْمَلِكِ الثُّعَالِيُّ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ رِضَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُ : « الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ » ، وَفِي الْقُرْآنِ :
« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ » .
وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِمَنْ يَعْزِيهِ بِمَا هُوَ فِيهِ : « عَزِيٌّ بِجُرْئِهِ وَنَسِيٌّ بِجُرْئِهِ
خَبَرُهُ ^(٢) » ، وَفِي الْقُرْآنِ : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ » .
وَفِي مَعَاوِدَةِ الْعُقُوبَةِ عِنْدَ مَعَاوِدَةِ الذَّنْبِ : « إِنْ عَادَتْ الْعُقُوبُ عُذْنَا لَهَا
وَفِي الْقُرْآنِ : « وَإِنْ عُذْتُمْ عُذْنَا » . « وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ » .
وَفِي ذَوْقِ الْجَانِي وَبِالْأَمْرِ : « يَذَاكَ أَوْ كَتَا ، وَفُوكَ نَفَخَ » . وَفِي الْقُرْآنِ :
« ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ » .

وَفِي قُرْبِ الْغَدِّ مِنَ الْيَوْمِ قَوْلُ الشَّاعِرِ * وَإِنْ غَدًا لِنَنْظُرِهِ قَرِيبٌ * وَفِي
الْقُرْآنِ : « أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ » .
وَفِي ظَهْرِ الْأَمْرِ : « قَدْ وَضَحَ الْأَمْرُ لَدَى عَيْنَيْنِ » ، وَفِي الْقُرْآنِ : « الْآنَ
حَصْحَصَ الْحَقُّ » .
وَفِي الْإِسَاءَةِ إِلَى مَنْ لَا يَقْبَلُ الْإِحْسَانَ : « أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً ، فَإِنْ أَبَى فَجَمْرَةً » .

(١) فِي نَسْخَةٍ « إِذَا بَرَعْتَ فِي كِتَابِكَ » (م)

(٢) هَذَا مِثْلُ ، يَضْرِبُ لِمَنْ يَعْزِيهِ غَيْرُهُ بِالَّذِي هُوَ فِيهِ (م)

وفي القرآن : « ومن يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » .
وفي فَوْتِ الأمر : « سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ » ، وفي القرآن العظيم : « فَضَى
الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » .

وفي الوصول إلى المراد ببَذَلِ الرغائب : « من ينكح الحسناء يُعْطِ مَهْرَهَا »
وفي القرآن : « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ » .
وفي منع الرجل مُرَّاده :

* وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَبْرِ وَالنَّزْوَانِ ^(١) *

وفي القرآن : « وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ » .

وفي تَلَاْفِي الإساءة : « عاد غيث على ما أفسد » ، وفي القرآن : « ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ السَّبِيَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا » .

وفي الاختصاص : « كل مقام بمقال ^(٢) » . وفي القرآن « لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ » .

العجم : « من أحترق كُدَّسه تمنى إحراق أ كداس الناس ^(٣) » ، وفي القرآن :
« وَذُؤُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً » .

العامية : « مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ بُتْرًا وَقَعَ فِيهَا » ، وفي القرآن : [ولا يحيق المسكر
السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » .

ومن الشعر :

بكل امرئ يشبهه فعله ما يفعل المرء فهو أهله

وفي القرآن : « قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ » .

العامية : « كل البقل ولا تسأل عن الْمَبْقَلَةِ » .

وفي القرآن : « لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْؤَمُ » .

(١) هذا عجز بيت من كلام صخر بن عمرو أخى الخنساء ، من أبيات يقولها في

امراته ، وصدره قوله : * أُمُّ بامر الحزم لو أستطيعه * (م)

(٢) في نسخة « وفي اختصاص كل مقام بمقال : لكل مقام مقال » (م)

(٣) الكدس - بوزن رطب أو بوزن جمل - الكومة من الطعام أو التمر أو

الدراهم (م)

شعر :

كَمْ مَرَّةً حَفَّتْ بِكَ الْمَكَارَةُ خَارَ لَكَ اللَّهُ وَأَنْتَ كَارُهُ
 وفي القرآن : « وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا » .
 العامة : « للمأْمُولِ خَيْرٌ مِنَ الْمَأْكُولِ » ، وفي القرآن : « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ
 الْأُولَى » . العامة : « لو كان في اليوم خَيْرٌ ما سَلَّمَ عَلَى الصَّيَادِ » ، وفي القرآن :
 « وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ » . المتنبي : * مصائب قوم عند قوم فوائد *
 وفي القرآن : « وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا » . * عند الخنازير تنفق العذرة *
 وفي القرآن : « الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ » . العجم : « لم يرد الله
 بالجملة صلاحاً إذ أنبت لها جناحاً » ، وفي القرآن : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا
 أخذناهم بغتة » . العامة : الكلب لا يصيد كارها ، وفي القرآن : « لا إِكْرَاهَ
 فِي الدِّينِ » . العجم : « كل شاة تناط برجلها » ، وفي القرآن : « كل نفس
 بما كسبت رهينة » .

جملة من مكاتبات [بعض] أهل العصر

أبو القاسم محمد بن علي الإسكافي عن الأمير نوح بن نصر وعن ابنه
 عبد الملك لأبي طاهر وشمكير بن زياد يشكره على حميد سيرته :
 مَنْ حَمَدَنَاهُ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى - مِنْ أَعْيَانِ الْمَلَّةِ الَّذِينَ بِهِمْ افْتِخَارُهَا ، وَأَعْوَانِ
 الدَّوْلَةِ الَّذِينَ بِهِمْ اسْتَظْهَارُهَا ، بِجَلَّةٍ نَزَعَ فِيهَا مِنْ خِلَالِ^(١) الْفَضْلِ ، وَخَصْلَةٍ يَكْمَلُ بِهَا مِنْ
 خِصَالِ الْعَدْلِ . وَإِنَّكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ ! - مِنْ نَحْمَدُهُ بِالْإِرْتِقَاءِ فِي دَرَجِ الْفَضَائِلِ ، وَالِاسْتَوَاءِ
 فِي كُلِّ الشَّوْكِ الْكُلِّ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَحْمَدُهُ إِلَّا وَسْهُمْكَ فِيهَا فَائِزٌ ، [وَلَا مِنْ شِدَّةِ
 إِلَّا وَمَهْلُكٌ^(٢) فِيهَا بَارِزٌ] ، وَذَلِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى ! - أَمْرٌ قَدْ أَغْنَى صِدْقُ خَبَرِهِ
 عَنِ الْعِيَانِ ، وَكَفَى بَيَانِ أَثَرِهِ تَكْلُفُ الْإِمْتِحَانِ ، وَلَوْ أَعْطَيْنَا النُّفُوسَ مُنَاهَا ،

(١) الخلة - بضم الحاء - الخصلة ، وجمعها خلال (م)

(٢) المهل - بالفتح وبجمل - العمل بكينة ورفق وغير عجلة ، وهو أيضا التؤدة

والرفق (م)

وسَوْغَنَّاها هَوَاهَا ، لأوردنا عليك في ذرور^(١) كلَّ شارقٍ جديدٍ شُكْرٍ ، وجددنا لك مع اعتراض كل خاطر جميلٍ ذِكر ، لسكنا للعادة في تَرْكِ الهوى ، والثقة بأنك مع صالح آدابك تحلّ الأدنى من الإجماد محلّ الأوفى ، فيُقضى لك بأنه - وإن عظم قدره - يسير العدد ، وعلى ماهو - وإن تنهى لفظه - باقى الفخر مدى الأبد ، وكان مما اقتضانا الآن تناولك به أخبارٌ تواترت ، وأقوال تظاهرت ، يطابق سكان الحضرة ونيسابور من أهل عملك على شُكْرِ ما يزيّد لهم وفيهم من موادّ عدلك ، وحسن فضلك ، حتى لقد ظلّوا ولهم في شكر ذلك محافل تُعقد ، ومشاهد تشهد ، يعجب بها السامعُ والرأي ، ويقتنن بها المؤمنُ والداعى ؛ فإن هذا - أعزّك الله - حال يطيب مسّعه ، ويلدّ موقعه ، حتى لقد ملأ القلوب بهجاً ، والصدر ثلجاً ، حتى استفزّها فرطُ الارتياح ، وصدقُ الانسراح ، إلى هذا الكتاب أن أعجلناه ، وهذا الشكر أن أجزلناه . بعد ذكرٍ لك اتصل كل الاتصال ، وأجل كل الإجمال ، وتضاعف به حظّك من الرأى أضعافاً ، وأشرف محلك على كل المحال إشرافاً ، ونحن نهنيك - أعزّك الله - على التوفيق الذى قسمه الله لك ، والتيسير الذى وكلّه بك ، ونبعثك على استدامتها بصالح النية ، وبصادق البغية ، لتدنو من العدل على ما ترعى ، وتحسن الهدى فيما تتولى . فرأيت أبقاك الله تعالى فى إحلال ذلك محله من استبشار به تستكمله ، واستثمار له تعجّله [إن شاء الله تعالى] .

وكتب إليه يعزّيه : « إن أحقّ من سلّم لأمر الله تعالى ورضى بقدره ، حتى يَمَحُضَ مصطنعاً^(٢) ، ويخلصَ مضطرباً ، وحتى يكون بحيث أمر الله من الشكر إذا وهب ، والرضا إذا سلب ، أنت أعزّك الله تعالى ؛ لمحكّك من الشكر والحجّ ، وحظّك من الصبر والثّنى ، ثمّ لما ترجعُ إليه من ثبات الجنان^(٣) عند النازلة ،

(١) ذرور : طلوع ، وأراد من كل شارق الشمس ، يعنى فى طلوع كل يوم (م)

(٢) فى نسخة « حتى يمضى مصطنعاً » (م) (٣) الجنان - بوزن السحاب - العقل (م)

وقوة الأركان لعز الدولة الفاضلة ، فإنَّ لك فيها وفي سَهْمِكَ الفَازَ ، ومَهْلِكَ البارز ، عَوْضًا عن كلِّ مَرْزُوءٍ ، ودَرْكًَا لِكُلِّ مَرْجُوءٍ ، ونَسْأَلُ اللهَ أنْ يجعلَكَ من الشَّاكِرِينَ لِفَضْلِهِ إذا أبلى ، والصَّابِرِينَ لِحُكْمِهِ إذا أَبْتَلَى ^(١) ، وأنْ يجعلَ لك لِابْنِكَ التَّعْزِيَةَ ، وَيَقِيكَ فِي نَفْسِكَ وَفِي ذَوِيكَ الرِّزْيَةَ ، بِمَنْه وَقَدْرَتِهِ .

وله إليه : تَرَامَى إِلَيْنَا خَبَرُ مُصَابِكَ بِفُلَانٍ ؛ فَنُخْلِصُ إِلَيْنَا مِنَ الْإِغْتِمَامِ بِهِ مَا يَحْصُلُ فِي مِثْلِهِ مِمَّنْ أَطَاعَ وَوَفَّى ، وَخَدِمَ وَوَالَى ، وَعَلِمْنَا أَنَّ لِفَقْدِكَ مِثْلَهُ لَوْعَةً ، وَلِلْمَصَابِ بِهِ لَذْعَةً ؛ فَاتَرْنَا كِتَابَنَا هَذَا إِلَيْكَ فِي تَعْزِيَتِكَ ، عَلَى يَقِينِنَا بِأَنَّ عَقْلَكَ يُغْنِي عَنْ عِظَمَتِكَ ، وَيَهْدِي إِلَى الْأَوَّلَى بِشَيْمَتِكَ ، وَالْأَزِيدَ فِي رُتْبَتِكَ ، فَلْيُحْسُنْ - أَعَزَّكَ اللهُ - صَبْرُكَ عَلَى مَا أَخَذَهُ مِنْكَ ، وَشُكْرُكَ عَلَى مَا بَقِيَ لَكَ ، وَلِيَتِمَّكَ فِي نَفْسِكَ مَا وَفَرَ لَكَ مِنْ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ ، وَأَجْزَلَ مِنْ ذَخَرِ الْمُحْسِنِينَ ، وَلِيَرِدْ كِتَابَكَ بِمَا أَلْهِمَكَ اللهُ تَعَالَى مِنْ عِزَاءٍ ، وَأَبْلَاكَ ^(٢) مِنْ جَمِيلِ بَلَاءٍ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى

وله إليه جواب : وَصَلَ كِتَابُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ تَعَالَى - مَفْتَتِحًا بِالتَّعْزِيَةِ عَنْ فُلَانٍ ، وَبَوَصَفٍ تَوَجَّعَكَ لِلْمَصِيبَةِ ، وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللهُ تَعَالَى الَّذِي يُنْعِمُ فَضْلًا ، وَيُخَنِّمُ عَذْلًا ، وَيَهَبُ إِحْسَانًا ، وَيَسْلُبُ امْتِحَانًا ، عَلَى تَجَارِي قَضِيَّتِهِ كَيْفَ حَرَّتْ آخِذَةٌ وَمُعْطِيَةٌ ، وَمَوَاقِعُ مَشِيئَتِهِ كَيْفَ مَضَتْ سَارَةٌ وَمَسِيئَةٌ ، حَتَّى عَلِمْنَا أَنَّ لَا حُكْمَ إِلَّا لَهُ ، وَلَا حَوْلَ إِلَّا بِهِ ، وَمُسْتَمْسِكِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ عِنْدَ الْمَسَاءَةِ مِنَ الصَّبْرِ ، وَالْمُسَرَّةِ مِنَ الشُّكْرِ ، رَاجِينَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ لِلصَّابِرِينَ ، وَالْمَزِيدَ لِلشَّاكِرِينَ . وَمَا تَوَفَّقْنَا إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ نُنِيبُ ^(٣) ، وَأَمَّا وَخَشْتُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ - لِلْحَادِثِ عَلَى الْمَاضِي ، عَفَا اللهُ عَنْهُ ، فَمَثَلُكَ مِنْ ذَوَى الصِّفَاءِ وَالْوَفَاءِ اخْتَصَّ بِذَلِكَ وَاهْتَمَّ لَهُ ، وَعَرَفَ مِثْلَهُ فَاغْتَمَّ بِهِ ؛ فَإِنْ الطَّاعَةُ نَسَبٌ بَيْنَ أَوْلِيَائِهَا ، وَالنِّعْمَةُ سَبَبٌ بَيْنَ أَبْنَائِهَا ،

(١) أبلى : أعطى ، وأبتلى : اختبر وامْتَحَنَ ، وَالْإِغْتِمَامُ الْبَلَاءُ (م)

(٢) إليه نُنِيبُ : إليه نَرْجِعُ (م)

فلا عَجَبُ أنْ يَمْسَكَ في هذا العارض ما يمسُّ أولى المشاركة ، ويخصَّصَكَ من الاهتمام ما خصَّ ذوى المشابكة .

وله إليه أيضاً في أمر غزاة : ورد خبرُك أكرمَكَ اللهُ تعالى بنفوذك لوجهك فيمن جمعهم اللهُ تعالى للسَّعي في سبيله إلى جملتك ؛ فأمَلْنَا أن يكون ذلك موصولاً بأعظم الخيرة ، مؤدياً إلى أحسن المغبة . إلا أننا أحسنا من الغزاة الذين بهم تغتصد ، وإياهم تستنجد ، فتورَّ نيات ، وفساد طويَّات ؛ وهذا كما علمت بابٌ عظيمٌ يجبُ الاطلاع بالفسك والرائى عليه ، والاحتباس بالجد والجهد من الخطل فيه . [فسيئك أن تتأمل أمرَك بعين استقصاء العورة ، واستدراك الآخرة] ، فإن أنت وجدت في عدتك تمام القدرة ، وفي عدتك مقدار الكفاية ، ولم تجد نيات أولئك الغزاة مذخولة ، ولا عُرَاهم محمولة^(١) ، استخرت اللهُ تعالى في المسير بكل ما تقدرُ عليه من الحزم في أمرَك ، ثم إن تكن الأخرى ، وكان القوم على ما ذكرت من كلال البصائر ، وضعف المرائر^(٢) ، علمت على التلوم لحديث يحدِّثك به كتابنا هذا إن اجتليت ما ذكرته ، وإن لم تبلغ بلاغة ما اخترته ، فاعتلق بذيله^(٣) .

[من مقامات بدیع الزمان]

وهذه المقامة من إنشاء البديع ، قال عيسى بن هشام : غزوت النفر بقزوين سنة خمس وسبعين ، فما اجترينا حزنًا ، إلا هبطنا بطنًا ، حتى وقف بنا المسير على بعض قرأها ، فمالت الهاجرة بنا إلى ظل أثلاث في حجرها عين كلسان الشمعة ، أصفى من الذمعة ، تسيح في الرضراض ، سيج النضناض^(٤) ؛ فنلنا من الماء كل ما نلنا ، ثم ملنا إلى الظل فقلنا ؛ فما ملكنا النوم حتى سمعنا صوتاً أنكر من صوت الحمار ، ورجعاً أضعف من رجع الحواري ، يشفعهما صوت طبل كأنه خارج

(١) العرى : جمع عروة ، وأصلها أخت الزر من الثوب ، ويشبه به البنك من الناس (م)

(٢) الكلال : الضعف ، والبصائر : جمع بصيرة ، وهى العقل والفطنة ، والمرائر :

جمع مريرة وهى العزيمة ، وأصلها مالطف وطال واشتد فتله من الحبال (م)

(٣) اعتلق بذيله : تمسك به (م)

(٤) الرضراض : الحصى ، والنضناض : الحية التى تتلوى دائماً (م)

من ماسِغَى أسد ؛ فذَادَ عن^(١) القوم رائد النوم ، وفتحت العيون إليه وقد حالت
الأشجار دونه ، وأصغيتُ فإذا هو يقول على إيقاع صوت الطبل :

أدعو إلى الله فهل من مُجيبٍ إلى ذَرَى رَحْبٍ وَعَيْشٍ خَصِيبٍ
وجنّةٍ عَالِيَةٍ ما تَنِي قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ما تَغِيبُ^(٢)
يا قومُ إني رجلٌ ثَائِبٌ من بَلَدِ الْكُفْرِ وأمرى عَجِيبٌ^(٣)
إِنْ أَكُ آمَنْتُ فكم لِيْلَةٍ جَعَدْتُ فِيهَا وَعَبَدْتُ الصَّلِيبَ
يَا رَبَّ خِزِيرِ تَمْشِثُهُ وَمُسْكَرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبُ^(٤)
ثم هَدَانِي اللهُ، وانتَاشَنِي من زَلَّةِ الْكُفْرِ اجْتِهَادُ الْمُصِيبِ^(٥)
فَظَلْتُ أَخْفَى الدِّينِ فِي أُسْرَتِي وَأَعْبَدُ اللهَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ
أَسْجُدُ لِلَّاتِ حِذَارَ الْعِدَى وَلَا أَجِي الْكَعْبَةَ خَوْفَ الرَقِيبِ
وَأَسْأَلُ اللهَ إِذَا جَنَنِي لَيْلِي وَأَضْنَانِي يَوْمَ عَصِيبٍ
رَبِّ كَلَّا أَنْتَ أَنْقَذْتَنِي فَنَجِّنِي ؛ إني فِيهِمْ غَرِيبٌ
نَمْ اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا وَمَا سِوَى الْعِزْمِ أَمَامِي نَجِيبٌ
وَقَدْكَ مِنْ سِيرِي فِي لَيْلَةٍ يَكَادُ رَأْسُ الْوَلَدِ فِيهَا يَشِيبُ
حَقِي إِذَا مَا جُرْتُ بِحَرِّ الْعَمَى إِلَى حِمَى الدِّينِ نَفَضْتُ الْوَجِيبُ
وَقُلْتُ إِذَا لَحَ شِعَارُ الْهَدَى نَصَرْتُ مِنْ اللهِ وَفَتَحْتُ قَرِيبُ

ولما بلغ هذا البيت قال : يا قوم ؛ وطِئْتُ والله بلادكم بِقَلْبٍ لَا الْعِشْقُ شَاقَهُ ،
وَلَا الْفَقْرُ سَاقَهُ ، وقد تركت وراء ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ،
وَخِيَلًا مُسَوِّمَةً ، وَقَنَاطِيرَ مُقَنْطَرَةً ، وَعُدَّةً وَعِيدًا ، وَمَرَآكِبَ وَعَبِيدًا ، وَخَرَجْتُ
خُرُوجَ الْحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهِ ، وَبَرَزْتُ بِرُوزِ الطَّائِرِ مَنْ وَكَّرَهُ ، مُؤَثِّرًا دِينِي عَلَى

(١) ذاد : منع (م) (٢) تنى : تفر (م) (٣) ثائب : راجع (م)

(٤) تمشثه : أكلت مشاشه - والمشاش - بزنة الغراب - طرف ملان من

العظام (م) (٥) انتاشى : خلصنى وأنقذنى (م)

دُنْيَايَ . وَجَامِعاً يُنَمَّأِي إِلَى بُسْرَايَ ، وَاصْلاً سَيَّرِي بُسْرَايَ ^(١) ، فَلَوْ رَفَعْتُمُ النَّارَ
بُشْرَهَا ، وَرَمَيْتُمُ الرُّومَ بِحَجْرَهَا ، وَأَعْنَتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعِدَةً وَإِسْعَاداً ،
وَمِرَافِدَةً وَإِرْفَاداً ، وَلَا شَطَطاً ، فَكُلُّ قَادِرٍ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَحَسْبُ ثُرُوتِهِ .
وَلَا أَسْتَكْثِرُ الْبَذَرَةَ ، وَلَا أَرْدُ الثَّمَرَةَ ، وَأَقْبِلُ الذَّرَّةَ ، وَلِكُلِّ مَنِي سَهْمَانِ ،
سَهْمُهُمْ أَذْلَقُهُ لِلْقَاءِ ^(٢) ، وَسَهْمُهُمْ أَفْوَقهَ بِالْذَّعَاءِ ، وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، عَنْ
قَوْسِ الظُّلَمَاءِ .

قال عيسى بن هشام : فاستفزني رائعُ ألفاظه ، وسرَّوتُ جِلْبَابِ النومِ ،
وعدوت إلى القومِ ، وإذا والله شيخُنا أبو الفتح الإسكندري ، بسيفٍ قد شَهره ،
وزيٌّ قد نكره ؛ فلما رآني غمزني بعينه وقال : رحم الله امرأً أحسنَ حَدْسِهِ ؛
وملكَ نَفْسَهُ ، وَأَغْنَانَا بِفَاضِلِ قَوْلِهِ ، وقسم لنا من نَيْلِهِ ! ثم أخذ ما أخذ ، فقامتُ
إليه فقلت : أنت من أولاد بنات الروم ؟ فقال :

أَنَا حَالِي مَعَ الزَّمَانِ كَحَالِي مَعَ النَّسَبِ
نَسَبِي فِي يَدِ الزَّمَانِ إِذَا سَامَهُ انْقَلَبَ
أَنَا أَمْسَى مِنَ النَّبِيِّ طَوَّأُضْحِي مِنَ الْعَرَبِ
[عاقبة السؤال بلفظ حسن]

قال سليمان بن عبد الملك : ما سألتني أحدٌ قط مسألةً يثقلُ عليَّ قضاؤها ،
ولا يخففُ عليَّ أدائها ، بلفظٍ حسنٍ يجمعُ له القلبُ فهمه إلا قضيتها ، وإن كانت
العزيمة نفذت في منعه ^(٣) ، وكان الصواب مستقرًّا في دفعه ، ضناً بالصواب أن يردَّ
سأله ، أو يحرم نائله .

[ابن رفاعة يتحدث عن النعمان بن المنذر والحارث الغساني]

وقال أبو عبيدة : كان أبو قيس بن رفاعة يَفِدُ سنةً إلى النعمان بن المنذر

(١) السير : الذهاب في الأرض أي وقت كان ، والسرى - بالضم - سيرامة
الليل (م) (٢) ذلق السكين : حده ، وذلق السراج : أضاءه وأوقده ، هذا أصل
هذه العبارة (م) (٣) في نسخة «قصدت في منعه» ولها وجه (م)

اللعنمى وسنة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، فقال له الحارث يوما - وهو عنده :
يا ابن رفاة ، بلغني أنك تفضل النعمان عليّ ! قال : كيف أفضله عليك أبيت
اللعن ! فوالله لقفاك أحسن من وجهه ، ولأمتك أشرف من أبيه ، [ولأباؤك
أشرف من جميع قومه] ، ولأمتك أفضل من يومه ، ولشمالك أجود من يمينه ،
ولحرمانك أنفع من بذله ، ولأقليلك أكثر من كثيره ، [ولشماذك أغزر من
غديره ، ولسكرسيك أرفع من سريريه ، ولجدوأك أغمر من بحوره ، وليومك
أفضل من شهره ، ولشهرك أشرف من حوله ، ولحولك خير من حقه ، ولزندك
أورى من زنده ، ولجندك أعز من جنده ، ولهزلك أصوب من جدّه ، وإنك
لأمن غسان أرباب الملوك ، وإنه لمن ناعم كثيرى النوك ! فعلام أفضله عليك ؟
وقد روى مثل هذا الكلام للناطقة الذبياني مع النعمان بن المنذر .

[أربعة أبيات]

وقال المفضل الضبي : دخلت على المهدي فقال قبل أن أجلس : أنشدني
أربعة أبيات لاترد عليهن ، وعنده عبد الله بن مالك الخزازي ، فأنشدته ^(١) :
وأشعث قد قدّ السقارُ قيصره يجرّ شواءً بالعصا غير مُنضَج
دعوتُ إلى مانابني وأجابني كريمٌ من الفتيان غير مزَلَج ^(٢)
فتي يملأ الشيرزى ويُرْوَى سنانَه ويضرب في رأس الكمي المدجج
فتي ليس بالراضى بأدنى معيشة ولا في بيوت الحى بالمتولج
فقال المهدي : هذا هو ، وأشار إلى عبد الله بن مالك ، فلما انصرفت بعث
إليّ بألف دينار ، وبعث إليّ عبد الله بأربعة آلاف .

[أبو الأسود الدؤلي وامراته]

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامراته إلى زياد في ابنيهما ، وأراد أبو الأسود أخذه

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة للشماخ بن ضرار الغطفاني (انظر ديوانه

ص ٩ مصر) (م) (٢) المزج : الرجل الناقص ، أو هو الدون (م)

منها فأبَت ، وقالت المرأة : أصلح الله الأمير . هذا ابني ، كان بطني وعاؤه ، وحجري فئاؤه ، وثديي سقاؤه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ؛ فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، فلما استوفى فصالؤه ، وكملت خصاله ، واستوكعت أوصالؤه^(١) ، وأملت نفقه ، ورجوت عطفه ، أراد أن يأخذه مني كرها ، فأدنى أيها الأمير ؛ فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : هذا ابني حملته قبل أن تحمله ، ووضعت قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه في أدبه ، وأنظر في تقويم أوده^(٢) ، وأمنحه علمي ، وألهمه حلمي ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل فتله .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله ؛ حملة خفأ ، وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوة ، ووضعت كرها .

فقال زياد : اردد على المرأة ولدها ؛ فهي أحق به منك ، ودعني من سجعك .

[عظات ووصايا]

قال الأصمعي : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول : إني لأعظكم ، وإني أعظة حكيم لكثير الذنوب ، مسرف على نفسه ، غير حامد لها ، ولا حاملها على المكروه في طاعة الله . وقد بلوتها فلم أجد لها شكراً في الرضاء ، ولا صبراً على البلوى . ولو أن أحداً لا يعظ أخاه حتى يحكم أمره لترك الأمر ولكن محادثة الإخوان حياة القلوب وجلاء النفوس ، وتذكير من النسيان ، واعلموا أن الدنيا سرورها أحزان ، وإقبالها إديار ، وآخر حياتها الموت ، فكم من مستقبل يوماً لا يستكملها ، ومنتظر غداً لا يباغها ؟ ولو تفطرون الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغرورَه .

جمع عبد الملك أهله وولده فقال : يا بني أمتية ، ابدلوا ندأكم ، وكفوا أذاكم ، أعظة عبد الملك وأجلوا إذا طلبتم ، واغفروا إذا قدرتم ، ولا تلحفوا إذا سألتم ، ولا تبخلوا إذا سئلتهم ؛ فإن المنور بعد القدرة ، والثناء بعد الخبرة ، وخير المال ما أفاد حمداً ونقي ذمما

(١) استوكعت : كملت وتمت ، وأوصالؤه : أعضاؤه (م)

(٢) أوده : أعوجاجه وميله ، وتقويمه : تعديله (م)

[وصف هشام بن عبد الملك بصفته]

ودخل سعيد الجعفرى على هشام بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أريد أن أصفك بصفتك ، فإن انحرف كلامى فلهيية الإمام ، واجتماع الأقوام ، وتصرف الأعوام ، ولرب جوادٍ عثر فى أرسانه ^(١) وكبا فى ميدانه ^(٢) ، ورحم الله امرأ قصر من لفظه ، وألصق الأرض بلحظه ، ووعى قولى بحفظه . نخاف هشام أن يتكلم فيقصر عن جائزة مثله ، فعزم عليه فسكت .

[حاتم الطائى يتحمل الديات عن عبد قيس البرجمى]

قال عبد قيس بن خُفاف البرُجمى لحاتم الطائى وقد وفَدَ عليه فى دماء تحملها وعجز عن البعض : إنه وقعت بينى وبين قومى دماء فتواكلوها ، وإني حملتها فى مالى وأملى ، فقدّمت مالى ، وكُنْتُ أملى ، فإن تحملها فرُبَّ حق قضيتَه ، وهم قد كفيتَه ، وإن حال دون ذلك حائل لم أذمُّ يومك ، ولم أياس من غدك .

[وَصَفُ ثَقِيل]

قال أبو على العتاتى : حدثنى الحمدونى قال : بعث إلى أحمد بن حَرْب المهلبى فى غداة ، السماء فيها مُغِيمة ، فأتيته والمائدة موضوعة مُغَطاة ؛ وقد وافَتْ عُجَاب المغنيّة ، فأكلنا جميعا ، وجلسنا على شرابنا ، فما راعنا إلا داقٌ يدق الباب ، فأنناه الغلام فقال : بالباب فلان ؛ فقال لى : هو فتى من آل المهلب ، ظريف ، نظيف ، فقلت : ما تريد غير ما نحن فيه ، فأذن له ، فجاء يتبختر وقدأى قدَحُ شراب فكسره ، فإذا رَجُلٌ ^(٣) آدَمُ صَخَم ، قال : وتكلم فإذا هو أعيان الناس ، فجلس بينى وبين عُجَاب ، قال : فدعوت بدّواة وكتبت إلى أحمد ابن حرب :

(١) الأرسان : جمع رسن - بالتحريك - وهو ما يقادبه الفرس ونحوه (م)

(٢) كبايكبو : عثر (م) (٣) آدم : وصف من الأدمة ، وهى السمرة (م)

كَدَّرَ اللهُ عَيْشَ مَنْ كَدَّرَ الْعَيْشَ ! فَقَدْ كَانَ صَافِيَا مُسْتَطَابًا
جَاءَنَا وَالسَّمَاءُ تَهْتَطِلُ بِالْغَيْثِ وَقَدْ طَابَقَ السَّمَاعُ الشَّرَابَا
كَسَرَ الْكَاسَ وَهِيَ كَالْكُوكَبِ الدُّرِّ رِئَى ضَمَّتْ مِنَ الْمَدَامِ رُضَابَا
قُلْتُ لَمَّا رُمِيتُ مِنْهُ بِمَا أَكْرَهَ وَالْدَهْرُ مَا أَفَادَ أَصَابَا
عَجَّلَ اللهُ نَقْمَةً لِابْنِ حَرْبٍ تَدْعُ الدَّارَ بَعْدَ شَهْرِ خَرَابَا
وَدَفَعْتُ الرِّقْعَةَ إِلَى أَحَدٍ ، فَقَالَ : [وَيْحَكَ] أَلَا نَفَسْتَ فَقُلْتَ بَعْدَ حَوْلٍ ؟
فَقُلْتُ : أَرَدْتُ أَقُولَ بَعْدَ يَوْمٍ ، فَخَفْتُ أَنْ تَصِيبَنِي مُضَرَّةٌ ذَلِكَ ، وَفُظِنَ الثَّقِيلُ
فَنَهَضَ ، فَقَالَ : آذَيْتَهُ ! فَقُلْتُ : هُوَ آذَانِي .

[طيلسان ابن حرب]

وَقَالَ الْمَدُونِيُّ فِي طَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ :

وَلِي طَيْلَسَانٌ إِنْ تَأَمَّلْتَ شَخْصَهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ الدَّهْرَ يَنْفَى وَيَنْقَرُضُ
تَصَدَّعَ حَتَّى قَدْ أُمِنْتَ انْصِدَاعَهُ وَأَظْهَرْتَ الْأَيَّامُ مِنْ عَمْرِهِ الْغَرَضُ
كَأَنِّي لِإِشْفَاقٍ عَلَيْهِ مَرَضُ أَخَا سَقَمَ مِمَّا تَمَادَى بِهِ الْمَرَضُ
فَلَوْ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَلَامِ يَرَوْنَهُ لَمَارَوْكَ فِيهِ وَادَّعَوْا أَنَّهُ عَرَضُ^(١)
[وَقَالَ فِيهِ :

لَطَيْلَسَانَ ابْنَ حَرْبٍ نِعْمَةٌ سَبَقَتْ بِهَا تَبَيَّنَ فَضْلِي فَهُوَ مَتَّصِلُ
قَدْ كُنْتُ دَهْرًا جَهُولًا نِمَّ حَنَنْنِي عَلَيْهِ خَوْفِي مِنَ الْأَقْوَامِ إِنْ جَهِلُوا
أَظْلَ أَجْتَنِبُ الْإِخْوَانَ مِنْ حَذَرٍ كَأَنَّمَا بِي جَرَحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ
يَا طَيْلَسَانَا إِذَا الْأَحْظَاظُ جُلْنَ بِهِ فَعَلْنِ فَعَلَ سَهَامٍ فِيهِ تَنْتَضِلُ
لَنْ بَلِيْتَ فَمِ أْبَلِيْتَ مِنْ أُمِّ تَتَرَى أَبَادَتَهُمْ أَيَّامُكَ الْأَوَّلُ

(١) أَصْحَابُ الْكَلَامِ : أَرَادَ عُلَمَاءُ الْكَلَامِ (عِلْمُ التَّوْحِيدِ = عِلْمُ الْعَقَائِدِ) وَمَارُوكُ :

أَرَادَ جَادِلُوكَ وَشَكَّكَوكَ ، وَالْعَرَضُ - بِالتَّحْوِيكِ - مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا يَقُومُ
بِغَيْرِهِ ، كَالْبَيَاضِ (م)

وكم رآك أخ لي ثم أنشدني : ودّع هريرة إن الركب مرّ نحل [وقال فيه ^(١) .

يا بْنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طِيلَسَانًا أَمْرَضْتَهُ الْأَوْجَاعُ فَهَوَّ سَقِيمٌ
فَإِذَا مَا لَبَسْتُهُ قُلْتُ : سُبْحَا نَكَ مُجْزِي الْعَظَمِ وَهِيَ رَمِيمٌ
طِيلَسَانُ لَهُ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَيْهِ بِمَنْكَبِي هَمِيمٌ
أَذْكَرْتَنِي بَيْتًا لِحِطَانٍ فِيهِ حُرْقٌ لِلْفَوَادِ حِينَ أَقُومُ
لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذَّ رَّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ ^(٢)
وقال أيضاً :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ حَرْبٍ لَقَدْ أَطَالَ إِمْتَعَانِي عَلَى عَمْدٍ
بَطِيلَسَانٍ خَلْتُ أَنَّ الْبَلَى يَطْلُبُهُ بِالْوِثْرِ وَالْحِقْدِ
أَجْدُ فِي رَفْوَى لَهُ ، وَالْبَلَى يَلْهُو بِهِ فِي الْهَزْلِ وَالْجَدِ
ذَكَرَنِي الْجَنَّةَ لِمَا غَدَا أَصْحَابُهَا مِنْهَا عَلَى حَرْدٍ ^(٣)
إِنْ أَنْتَهُمَ الرِّفَاءُ فِي رَفْوِهِ مَضَى بِهِ التَّمْزِيقُ فِي نَجْدٍ
غَنِيَّتُهُ لِمَا مَضَى رَاحِلًا : يَا وَاحِدِي تَرَكْنِي وَاحِدِي !
وقال أيضاً فيه :

إِنَّ ابْنَ حَرْبٍ كَسَانِي ثَوْبًا يُطِيلُ انْحِرَافَهُ
أَظْلَّ أَدْفَعُ عَنْهُ وَأَتَقَّى كُلَّ آفَةٍ
فَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْ خَشْيَتِي عَلَيْهِ الثَّقَافَةَ
وقال أيضاً :

طِيلَسَانُ مَا زَالَ أَقْدَمُ فِي الدَّهْرِ مِنَ الدَّهْرِ مَا لِرَفْوِيهِ حِيلُهُ

(١) البيتان الأول والثاني من هذه الأبيات في وفيات الأعيان لابن خلكان

(٢) ٩٣/٦ بتحقيقنا (٢) أندبتها : جرحتها ، والكُلوم : جمع كلم - بالفتح - وهو الجرح (م)

(٣) يشير إلى القصة التي ذكرت في سورة القلم من الآية ١٦ إلى الآية ٢٦ (م)

وترى ضعفه كضعف عجوز رثة الحال ذات فقر مُعيله
 غمرته الرقاع فهو كمُصرٍ سكنته نزاع كل قبيله
 إن أزيته يابن حرب بذي فجرير قد زان قبلي بجيلة
 جرير : ابن عبد الله البجلي ، وله صحبة [رضى الله عنه ، وقد] قال غسان في
 هجائه جريراً :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها جريرٌ لقد أخزى كُلياً جريرُها
 وقال الحمدوني في معناه الأول^(١) :
 يابن حرب إني أرى في زوايا بيتنا مثل ما كسوت جماعة
 طليسان رفوته ورفوت الر فو منه حتى رفوت رقاعه
 فأطاع البلى وصار خليعا ليس يعطى الرفاء في الرفو. طاعه
 فإذا سائل رآني فيه ظنّ أي فتى من أهل الضياعة^(٢)
 وقال فيه :

طَيْلَسَانُ لابن حرب يتداعى لا مِسَاساً^(٣)
 قد طَوَى قَرْنًا فَقَرْنًا وَأَنَاسًا فَأَنَاسًا
 لَيْسَ الْأَيَّامُ حَتَّى لَمْ تَدْعَ فِيهِ لِبَاسًا
 غَابَ تَحْتَ الْحَسِّ حَتَّى لَا يُرَى إِلَّا قِيَاسًا

[من رسائل ابن العميد]

من ابن العميد
 إلى الطبري

كتب أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري :
 كتابي وأنا بحالٍ لولم ينقص منها الشوق إليك ، ولم يُرَنَّ صَفْوَهَا الدِّزَاعُ نُحُوكَ ،
 فعددتُها من الأحوال الجميلة ، واعتددت حظي منها في النعم الجليلة ؛ فقد جمعتُ
 ليها بين سلامة عامّة ، ونعمة تامة ، وحظيتُ منها في جسمي بصلاح ، وفي سفي

(١) هذه الأبيات الأربعة في ابن خلكان (٩٤/٦) وثمة مقطعات ليست هنا (م)

(٢) في نسخة كما في ابن خلكان « من أهل الصناعة » (م)

(٣) لامساس : أي لا تمسني ، وهذه كناية عن شدة بلاه (م)

بنجاح ، لكن ما بقي أن يَصْنُفُوا لى عيش مع بُعْدِ عنك ، ويخلو ذرعى مع خلوى منك ، ويسوغ لى مطعم ومشرب مع انفرادى دونك ، وكيف أطعم فى ذلك وأنت جزء من نفسى ، وناظم لشمل أنسى ، وقد حرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك ، وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس مُتَشَتَّت بلا نظام ، وقد قرأت كتابك جعلنى الله تعالى فداءك ؛ فامتلاّت سرورا بملاحظة خطك ، وتأمل تصرفك فى لفظك ، وما أقرّظهما فكلّ خصالك مقرّظ عندى ، وما أمدحهما فكلّ أمرك مدوح فى ضميرى وعقدى ، وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديرى فيك ، فإن كان كذلك وإلا فقد غطى هواءك وما ألقى على بصرى .

وله إلى عضد الدولة يهنئه بولدين :

من ابن العميد
إلى عضد الدولة

أطال الله بقاء الأمير الأجلّ عضد الدولة ، دام عزّه وتأييده ، وعلوّه وتمهيدّه ، وبسّطته وتوطيده ، وظاهر له من كل خير مزيده ، وهنّاه ما اختصّه به على قرّب الميلاد ، من توافر الأعداد ، وتكثّر الأمداد ، وتتمّر الأولاد ، وأراه من النجابة فى البنين والأسباط^(١) ، ما أراه من الكرم فى الآباء والأجداد ، ولا أخلى عينه من قرّة ، ونفسه من مسرّة ، ومتجدّد نعمة ، ومستأنف مكرمة ، وزيادة فى عدده ، وفشح فى أمدّه ، حتى يبلغ غاية مهله ، ويستغرق نهاية أمله ، ويستوفى ما بعد حسن ظنه ؛ وعرفه الله السعادة فيما بشر عبده من طلوع بدرين هما انبعاثا من نوره ، واستنارا من دوره ، وحنّا بسريره ، وجعل وفودها متلاّمين ، وورودها توأمين ، بشيرين بتظاهر النعم ، وتواتر القسم ، ومؤذنين بترادف بنين [يغص] بجمعهم مُنْخَرَق الفضاء ، ويسرّق بنورهم أفق العلاء ، وينتهى بهم أمدّ النماء^(٢) ، إلى غاية تفوت

(١) الأسباط : جمع سبط - بكسر السين وسكون الباء - وهو ولد البنت (م)

(٢) النماء : الزيادة (م)

غاية الإحصاء ، ولا زالت السبلُ عامرة ، والمناهلُ غامرة ، يصافحُ صادرهم بالبشر
[الوارد] ، وأملهم بالنيل القاصد .

وقال أبو الطيب وذكر أبا دلف وأبا الفوارس ابني عضد الدولة :
لأبي الطيب في
ابني عضد الدولة
فلم أر قبله شبنلي هزبر كشليه ، ولا فرسى رهاب
فعاشا عيشة القمرين يحيى بضوئيهما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الأعادي ولا ورثا سوى من يقتلان
[وكانا ابنا عدو كائراه له ياءى حروف أنيسيان]
دعاه كالثناء بلا رياء يؤديه الجندان إلى الجنان

وكتب أبو القاسم الإسكافي عن نوح بن نصر إلى وشمكير بن زياد في
من الإسكافي في
تهنئة واستبطاء
استبطاء وتهنئة :

وصل كتابك ناطقاً مفتتحه بحمیل المذر ، فيما نقل من المكاتبة ،
وبعث من المطالعة ، ومُعرباً مختتمه عن جملة خبر السلامة التي طبقت
أعمالك ، والاستقامة التي عمت أحوالك ، وفهمناه ، ولولا أن مواتلك — أيديك
الله تعالى — فيما تأتى وتذر ، وترثى وتدبر ، عادة لنا أورثتنا قرابة ما بين
وفاقنا ووفاك ، وملاءمة حال ألبأتنا لحال استحقاقك ؛ لكننا ربما ضايقتك
في العذر الذي اعتذرت به ، وإن كان واضحاً طريقه ، وناقشناك فيه ، وإن
كان واجباً تصديقه ، لفرط الأنس [يخلص إلينا] بكتابك ، والارتياح
بخطابك ، اللذين لا يؤديان إلا خبر سلامة توجب الإحاد ، فنحن نأبى
إلا إجراء تلك العادة ، كما عودتنا ، وإلا التجافى عما تريد فيه من الزيادة
التي أردتها ، ولا ندع مع ذلك أن يضل تسويفك^(١) إلى الإقلال الذي اخترته
ياحمادك على الكتاب إذا كتبت ، توخياً^(٢) لأن تكون مؤهلاً في الحالين لخلاصة

(١) سوف الأمر تسويفاً : أرجأه وأخره (م)

(٢) توخى الأمر يتوخاه توخياً : قصده (م)

التنويل ، مقدماً في درج التفضيل ، موفياً حقائق الإيثار ، موفياً لواحق الاستقصار ، ونستعين بالله على قضاء حقوقك ، وعلى جميل النية في أمورك ؛ فإن ذلك لا يَبْلُغُ إلا بقوّته ، ولا يُدْرِكُ إلا بحوّله ، وأما بعد فقد عَفَى^(١) — أعزّك الله تعالى — ما أفاد كتابك بخبر السلامة من أنسه ، على آثارٍ من سبقه بخبر العلة من وحشة ، فأوجبتنا مقابلة موهبة الله تعالى في المحبوب صنع ، والمكروه دفع ، نستقبلُ به إخلاصَ المواهبِ لنا ، ونستديمُ به أخصَّ المراتبِ بنا ، فرأيتُك — أعزّك الله تعالى — في المطالعة بذكر تستمده في الفؤاد والصحة من مزيد ، والطاعة والكفاية من توفيق وتسديد ، موقفاً إن شاء الله تعالى ..

ألفاظ لأهل العصر في ضروب التهاني وما ينخرط في سلكها

من ذلك في التهنئة بالمولود وما يجري مجراها من الأدعية ،

وما يختصّ منها بالملوك أو الرؤساء

مرحباً بالفارس المصدّق للظنون ، المقرّ للعيون ، المقبل بالطالع السعيد ، والخير القتيد ، أنجب الأبناء لأكرم الآباء . أنا مسدّ بَشِيرٌ بطلوع النجم الذي كنّا منه على أمل ، ومن تطاول استسرارُه [الذي كنّا منه] على وَجَل ، إن يشأ الله يجعله مقدمة إخوة في نسق كالفرید المتسق^(٢) . قد طلع في أفق الحرية أسعدُ نجم ، [ونَجْمٌ^(٣)] في حدائق المروءة أذكى نبت . يا بَشْرَايَ بطلوع الفارس الميمون جدّه ، المضمون سَعْدَه ، عليه خاتمُ الفضل وطابعُه ، وله سَهْمُ الخير وطالعُه . الحمد لله على طلوع هذا الهلال الذي تراه إن شاء الله بدراً لا يُضْمِرُ السّرَارُ بهاءه ، ولا يبلغُ الحَقُّ سَناءه وسناءه ، وقد بَشَّرَتْ قوابله بالإقبال وعُلُوّ الجَدِّ^(٤) ، واقترن قدومه بالطالع السَّعْد . هُنَاكَ اللهُ تعالى بقوّة الظَّهْرِ ،

(١) عفى : غطى وستر (م) (٢) الفرید : أراد الدر ، والمتسق : المنتظم (م)

(٣) نجم : طالع (م) (٤) الجد - بفتح الجيم - البخت والحظ (م)

واشتداد الأزر. الفارس المسكّر لسواد الفضل، الموفّر لحال الأهل، المستوفى شرف الأرومة، بكرم الأبوة والأمومة، وأبقاء حتى نراه، كما رأينا جدّه وأباه. عرفت أنّ ما أكثر الله به عدده، وشدّ عضدّه، من طلوع الفارس الذي أضاء له الأفق، وطال به باعُ السعادة، فعظمت النعمى لدى، وأوردت البشرى غاية المُنَى على. مرحباً بالفارس القادم، بأعظم المغنم، سوى الخلق [سامي العرق] يلوح عليه سيماء المجد، وتتجاذبه أطراف الملك والحد. ووردت البشرى بالفارس الذي أوسع رباع المجد تأهيلاً، ومنّا كب الشرف ارتفاعاً، وأعضاد العزّ اشتداداً. واتّفى بشرى البشائر^(١)، والنعم المحروسة على النظائر، في سلاّلة العزّ وسليته، وابن منبر الملك وسريره، والأمير القادم بغزّة المكارم، الناهض إلى ذرّوة العلياء، بآباء أمراء، وملوك عظماء. مرحباً بالفارس المأمول لشدّ الظهور، المرجو لسدّ الثغور. الحمد لله الذي شدّ أزرّ الدولة، ونظم قلادة الإمرة، ودعم سرير العزّة، ووطّد منابر المملكة، بالقمر السعد، وشبّل الأسد الوزد. قد تنسّمت المكارمُ والمعالى، وتباشرت الخطبُ والقوافي، بالفارس المأمول لشدّ أزرّ الملك، وسدّ ثغور المجد، وتطاول السريرُ شوقاً إليه، واهتزّت المنايرُ حرصاً عليه. قد افتترّ جفنُ العالم عن العين البصيرة، واستغرب مضحكّه عن اللمعة المنيرة؛ أما الأمير فالنتاج لجبينه يبعث، والركاب بقدمه تزهى^(٢)، ألهم أرني هذا الهلال بدراً قد علّا الأقدار قدراً، وبلغه الله فيه من مناه، حتى نراه وأخاه، مُنِيفين على ذرّوة المجد، آخذين من أوفر الخطوة بأعلى الحد.

ولهم: والله يمتّع به، ويرزقُ الخير منه، ويحقّقُ الأمل فيه. عرف الله تعالى آثار بركة الموبود المسعود، وعضد الفضل بالزيادة في عدده، وأقرّ عين

(١) واتاه يواتيه: أسعفه وأنجده، وتقرأ « واتّفى » بالهمز من الإتيان بمعنى المجيء. (م) (٢) في نسخة « هو آمال الأمير فالنتاج بجبينه سما، والركاب بمقدمه زها » وليس كما ينبغي (م)

المجد بالسّادة من ولده . عرفه الله تعالى من سيادة مقدمه ، ما يجمعُ الأعداء تحت قدمه . عمرك الله تعالى حتى ترى هذا الهلال قرأ باهراً ، وبدراً زاهراً ، يكثرُ به عدد حَفَدَتِكَ ، ويعظم معه غُصَّةُ حَسَدَتِكَ ، من حيث لا تهتدي النواصبُ إلى أغراضكم ، ولا تطمع الحوادثُ^(١) إلى انتقاصكم ، متمكّن الله بالولد ، وجعله من أقوى العدَد ، ووصله بإخوة متوافري العدَد ، شادى الأزر والعُصْد . هناك الله تعالى مولده ، وقرن باليُمْن مَوْرِدَه ، وأراك من بنيه أولاداً برّره [وأسباطاً وحفدة ، وعرفك بركة قُدُومِه ، ونجح مقدمه ، وسعد طالعه ، ويمن طائرِه ، وعمرك الله] حتى ترى زيادة الله منه كما رأيتها به^(٢) ، والله يبلّغك أفضل ما تقسمه السعود ، وتعلو به الجودود ، حتى يستغرق مع إخوته مساعى الفضل ، ويشيدوا قواعد الفخر ، ويزحموا صدور الدّهر ، ويضبطوا أطراف الأرض ؛ والله يحرّسه من نواظر الأيام أن ترنؤوا إليه^(٣) ، وأطامع اللئالي أن تتوجه عليه ، حتى يستقلّ بأعباء الخدمة ، وينهض بأنقال الدعوة ، ويخف في الدفع عن البيضة ، ويسرع في حماية الحوزة ، والله يديم لمولانا من العُرْ أكلاده ، ومن العزْ أهناه ، ليطبّق العالم بفضله وعدله ، ويدبرّ الأرض بالنجباء من نسله .

ولهم في ذكر المولود العلوى

غُصْن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شجرُه أهل أن يحلّو ثمره ، وفرعُ بين الرسالة والإمامة مُنْتَمَاه ، خليف أن يُحمّد بدوّه وعُقباه . مرحباً بالطالع بأيمن طالع ، ومن هو من أشرف المناصب والمناصب ، حيث الرسالة والخلافة ، والإمامة والزعامة ، أبقاه الله تعالى حتى يتهنأ فيه صوانع المنن^(٤) ، ويعد حسنة من بنى الحسن .

(١) في نسخة « ولا تطلع الحوادث - إلخ » (م)

(٢) في نسخة « كما ترى مهابته » (م) (٣) ترنو : تنظر (م)

(٤) في نسخة « حتى يتهنأ منه صنائع المن » (م)

ولهم في التهنئة بالإملاك^(١) والنفاس ، وما يقترن به من الأدعية

من اتصل بمولاي سببه ، وشرف به منصبه ، كان حقيقاً بالرغبة إلى الله تعالى في توفيره وتكثيره ، وزيادته وتشميره ، لتزكو منابت الفضل ، وتنمي مغارس النبل والفخر ، وتطيب معادن المجد . بارك الله لمولاي في الأمر الذي عقده ، وأحمده إياه^(٢) وأسعده ، وجعله موصولاً بنماء العدد ، وزكاء الولد ، واتصال الحبل ، وتكثير النسل . والله تعالى يخير له في الوصلة الكريمة ، ويقرنها بالمنحة الجسيمة . قد عظم الله بهجتي ، وضاعف غبطتي ، بما أتاحه من سرور ومهد ، بجمع شمل مجدّد ، فلا زالت النعم به محفوفة ، والمسار إليه مصروفة ، جعل الله هذه الوصلة أكيدة العقدة ، طويلة المدة ، سابغة البركة والفضل ، طيبة الذرية والنسل . وصل الله هذا الاتصال السعيد ، والعقد الحميد ، بأكمل المواهب ، وأحمد العواقب ، وجعل شمل مسرّتك ملتماً ، وسبب أنسك منتظماً . عرفك الله تعجيل البركات ، وتوالى الخيرات ، ولا أخلاك الله من هذه الوصلة [من التهانى بنجباء الأولاد ، وكبت بكثرة عددك الحساد . هناك الله مولاي الوصلة] بكثرة العدد ، ووفور الولد ، وانبساط الباع واليد ، عالي القدر والجد .

ولهم في التهنئة بالولاية والأعمال ، وما يتصل بها من الأدعية

للوزراء والقضاة والعمال

عرفت أخبار البلد الذي أحسن الله إلى أهله ، وعطف عليهم بفضل ، إذ أضيف إلى ما يلاحظه مولاي بعين إيلاته ، ويشفي خلاله بفضل أصالته . أنا من سرّ

(١) الإملاك : التزويج ، تقول « أملك الرجل ابنته » تريد أنه زوجها (م)

(٢) أحمد إياه : جملة يرى عاقبته محمودة ، ووقع في الأصول كلها « وأحمد

أباه » ولا تراها إلا مصحفة عما أثبتناه (م) .

بالولاية يلبس مولاي ظلالها ، ويسحب أذيالها ، بنعم مستفادة ، ورتب مستزادة ، سرورى بما أعلمه بكسبه^(١) الثناء فى كل عمل يدره، من أحداثه جميلة، ومثوبة جزيلة ، ويؤثره من إحياء عدل ، وإماتة جور، وعمارة لسبل الخيرات ، وإيضاح لطرق المكرمات ، سيدى يوفى على الرتب التى يدعى لها بحلوله^(٢) ؛ فنهينها لها بتجملها بولايتيه ، وتحليها بكفايته . الأعمال إن بلغت أقصى الآمال ، فكفاية مولاي تتجاوزها وتتخطاها ، والرتب وإن جلت قدرأ ، وكبرت ذكرأ ، فصناعاته تسبقها^(٣) وتفسوؤها ، غير أن للتهانى رسماً لا بد من إقامته ، وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته . الأعمال وإن بلغت أقصى الآمال فكفاية سيدى توفى عليها إيفاء الشمس على النجوم ، وترتفع عنها ارتفاع السماء على التخوم . سيدى أرفع قدرأ وأنبه ذكرأ ، من أن نهنته بولاية وإن جل أمرها وعظم قدرها . قد أعطيت قوس الوزارة باريها ، وأضيفت إلى كفيها وكافيتها ، وفُسخ فيها شرط الدنيا الفاسد فى إهداء حظوظها إلى أوغادها ، ونقض بها حكمها الجائر فى العدول بها عن نجباء أولادها . الدنيا أعز الله الوزير مهتأة بانحيازها^(٤) إلى رأيها وتنفيذها ، والممالك مغبوظة باتصالها إلى أمره وتدريبه . قد كانت الدنيا مستشرفة لوزارته ، إلى أن سعدت بما كانت الأيام عنه مخيرة ، وحظيت بما كانت الظنون به مبشرة . أنا أهني الوزارة بإلقائها إلى فضله مقادتها ، وبلوغها فى ظله إرادتها ، وانحيازها من إيالته إلى واضحة الفخر ، وتوشحها من كفايته بمرّة سائدة على وجه الدهر . الحمد لله الذى أقر عين الفضل ، ووطأ مهاد الجحد ، وترك الحساد يتعشرون فى ذبول الخيبة ، ويتساقطون فى فضول الحسرة ؛ وأراني الوزارة وقد استكمل الشيخ إجلالها ، ووفى لها جمالها :

(١) فى نسخة « سرورى بما أعلمه يكسب الثناء - إلخ » (م)

(٢) فى نسخة « يدعى له بحولها فنهينها لها بتجميلها » (م)

(٣) فى نسخة « تنسقها » (م) (٤) فى نسخة « بانحياز الولاية » (م)

فلم تَكُ تصلحُ إلَّا لهُ ولم يَكُ يصلحُ إلَّا لهاُ
والقاضي عَلمَ العلمِ شرقًا وغربًا ، ونَجَمَ الفضلِ غَوْرًا ونَجْدًا ، وشَمَسَ الأدبِ
برًّا وبحرًا ، فسبيلُ الأعمالِ أن تهتأ إذا رُدَّتْ إلى نظريهِ الميمون ، وعُصِبَتْ رأْيهِ
المأمون . [أسعد الله القاضي بما جدَّ] له من رأى مولانا وارتضاه ، واعتمده
لأجل أمرِ الشريعة وأمضاه ، وأسعد المسلمين والدين بما أصاره إليه ، وجمع زمامه
في يديه . عرَفَ الله سيدي من سعادة عمله ، أفضَلَ ما ترقَّاه بأمله ، ولقاه من
مناجح أمرِهِ ، أفضَلَ ما انتَحَاهُ بفكرِهِ . خار الله فيما تولَّاه وتطوَّقه ، وبلغه في
كل حال أمله وحققه ، وعرفه من يُمَنِّ ما باشره تديره ^(١) الخير [والخيرة]
والبركات الحاضرة والمنتظرة ، وجعل المناجح إليه أرسالًا ، لا تملَّ تَوَالِيًا واتَّصالًا .
أسعده الله أفضَلَ سعادة قُسِمَتْ لَوَالِيِ عمل ، وأسهم له أخصَّ بركة أسهمت
لمُسَامِي أهل ^(٢) ، أحضر الله السداد عَزَمَهُ ، والرشاد هَمَّهُ ، وكنتفه العِصْمة وأَيَّدَهُ ،
وقرَّنه بالتوفيق ولا أفردَهُ . هنأه الله تعالى الموهبة التي ساقها إليه ، ومدَّ رِوَاقَهَا
عليه ؛ إذ كانت من عقائل المواهب ، مُسْفِرَةٌ عن خصائص المراتب ، وحلَّت فيه
محلَّ الاستحباب لا الإيجاب ، والاستحقاق دون الاتفاق . هنأ الله نعمته الفضل ^(٣)
الذي الولاية أصغر آلائها ، والرياسة بعض صفاتها

ولهم في التهنئة بذكر الخَلْعِ والأجبية

أهتَى سيدي مزيد الرُّفْعَةِ ، وجديد الخِلْعَةِ ، التي تَخَلَعُ قلوبُ المنازعين ،
واللواء الذي يلوى أَيْدِي المنابذين ، والحظُّ الذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازها ،
أو سامى به الجَوَراء لحازها . بلغنى خبرُ ما تطوَّعت به سماء المجد ، وجادت به

(١) في نسخة « ما باشره وتديره » (م) (٢) في نسخة « لسامي أمل » (م)

(٣) في نسخة « هنأ الله همته بالفضل الذي - إلخ » (م)

أنواه الملك ، فصن من الخلع أسنaha ، ومن المراكب أبهاها ، [ومن السيوف أمضاها ، ومن الأفراس أجراها ، ومن الإقطاعات أنماها] . لبس خلعتة متجلاً منها ملابس العز ، وامتطى فرسه فارعا به ذرورة المجد ، وتقلد سيفه حاصدا بحد طلى أعدائه^(١) وغامطى نعمائه ، واعتنق طوقه متطوقاً عزاً الأبد ، واعتضد بالسوارين الموديين بقوة الساعد والعَضْد ، وسأس أوليائه ولواه العز عليه خافق ، وهو بلسان الظفر والنصر ناطق . قد لبس خلعتة التي تعمد بها [رفعته] ، وامتطى حملاته الذي واصل به إحسانه^(٢) ، تمنطق بحُسامه الذي ظاهر أبواب إنعامه ، وتحتم بخاتميته ، اللذين بسطا من يديه ؛ ووقع من دواته ، التي أعلت من درجاته قد زررت عليه سماه الشرف عرى الخلعة ، التي تترأى صفحات العز على أعطافها ، وتمترى مزايا المجد من أطرافها ، وركب الحملان الذي تتناول قاصيتي المنى من ناصيته ، والركب الذي تستخذى^(٣) حلى الثريا لجليته ، والسيف والمنطقة الناطقان عن نهاية الإكرام ، الناظران قلائد الإعظام . خلع تلخع قلوب الأعداء من مقارها^(٤) ، وتعدر نفوس الأولياء بمسارها ، وسيف كالقضاء مضاء وحداً ، ولواء يخفق قلوب المنازعين إذا خفق ، وحملت تصدع منكب الدهر إذا انطلق^(٥) .

ولهم في التهنئة بالقدوم من سفر

أهني سيدي ونفسي بما يسره الله من قدومه سالماً ، وأشكره على ذلك شكراً قائماً ؛ غيبة المسكارم مقرونة بغيبتك ، وأوبة النعم موصولة بأوبتك ؛ فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة ، بأضعاف ما قرآن به مسيرك من السلامة . وهناك أيامك ، وبلغك محابك ؛ ما زلت بالنية مسافراً ، وبتصال الذكر

(١) الطلى - بضم الطاء ، بوزن الهدى - الأعناق أو أصولها (م)

(٢) في نسخة « وامتطى حملاته التي واصل بها إحسانه » (م)

(٣) في نسخة « والراكب الذي يستعد بالجلية على السير » (م)

(٤) في نسخة « عن مقارها » (م) (٥) في نسخة « إذا نطق » (م)

والفكر لك ملاقيا ، إلى أن جمع الله شمل سرورى بأوْبَتِكَ^(١) ، وسكن نافر قلبي
بعودتك ، فأسأل الله أن يسعدك بمقدمك سعادة تكون فيها [بالإقبال] مقابلا ،
وبالأمانى ظافرا ، ولا أوحش منك أوطان الفضل ، ورباع المجد ، بمنه وكرمه .
[من أحسن الشعر]

قال الهيثم بن عدى : أنشدني مجالد بن سعيّد شعراً أعجبنى ، فقلت : من
أنشدك ؟ قال : كنا يوما عند الشعبي فتناشدنا الشعر ، فلما فرغنا قال : أيُشكم يحسن
أن يقول مثل هذا ، وأنشدنا :

خليلى مهلاً طالما لم أقل مهلاً	وما سرفايم الآن قلت ولا جهلاً ^(٢)
وإن صبا ابن الأربعين سفاهاً	فكيف مع اللاتي مثلت بها مثلاً
يقول لى المفتى وهنّ عشية	بمكة يسجنن المهذبة الشجلاً ^(٣)
تق الله لا تنظر إليهنّ يا فتى	وما خلّتنى بالحج ملتصفاً وصلّا
فوالله لا أنسى وإن شطّبت النوى	عرانينهنّ الشمّ والأعين النجلاً
ولا المسك فى أعرافهن ولا البرى	جواعل فى أوساطها قصباً خدلاً
خليلى لا والله ما قلت مرّحباً	لأول شيبات طلّعن ولا أهلاً ^(٤)
خليلى إن الشيب داء كرهته	فما أحسن المرعى وما أقبح الحلا

قال مجالد : فكتبت الشعر ، ثم قلنا للشعبي : من يقوله ؟ فسكت ، فحسبنا
أنه قائله .

[المرائى التى قيلت على قبر عمرو بن حمة الدوسى]

قال الشرفى بن القطامى : لما مات عمرو بن حمة الدوسى - وكان أحد من
تنحّاكم العرب إليه - مرّ بقبره ثلاثة نفر من أهل المدينة قادمين من الشام : الهذم
أبن امرئ القيس بن الحارث بن زيد ، وهو أبو كُثُوم بن الهذم الذى نزل عليه

(١) أوتيتك : رجوعك (م) (٢) فى نسخة «ولا سرفايمى المقال» (م)

(٣) فى نسخة «المهذبة النجلا» تصحيف ، وأراد بالمهذبة السجل الثياب البيض ،

واحداهما سجل ، وانظر الأمالى ١٢٤/٢ (م) (٤) يروى «خليلى لولا الله» (م)

النبي صلى الله عليه وسلم ، وعتيك بن قيس بن هَيْشَةَ بن أُمِيَّة بن معاوية ، وحاطب
 ابن قيس بن هَيْشَةَ ابن معاوية . وحاطب بن هَيْشَةَ الذى كانت بسببه حرب
 حاطب ، فَمَقَرُوا رِواحِلَهُمْ على قبره ، وقام الهِذْمُ فقال :

لقد ضَمَمْتَ الأَثَرَاءَ مِنْكَ مُرْزَأُ عَظِيمِ رَمَادِ النَّارِ مُشْتَرِكِ الْقَدْرِ
 إِذَا قُلْتَ لَمْ تَتْرَكْ مَقَالًا لِقَاتِلِ وَإِنْ صُلْتَ كُنْتَ اللَّيْثَ تَحْمِي حَتَّى الْأَجْرِ
 حَلِيمًا إِذْ مَا الْحِلْمُ كَانَ حِزَامَةً وَقَوْفًا إِذَا كَانَ الْوُقُوفُ عَلَى الْجَرِّ^(١)
 لِيَسِيكَ مَنْ كَانَتْ حَيَاتُكَ عِزَّةً وَأَصْبَحَ لَمَامَةٌ يَغْضَى عَلَى الصَّغْرِ
 سَقَى الْأَرْضَ ذَاتَ الطُّولِ وَالْعَرْضَ مُنْجِمُ أَحْمَ الذَّرَى وَاهِى الْعَرَى دَائِمُ الْقَطْرِ^(٢)
 وَمَا نِى سَقِيَا الْأَرْضِ لَكِنَّ تَرَبَةً أَضْلَكَ فِى أَحْشَائِهَا مَلْجِدَ الْقَبْرِ
 وقام عتيك بن قيس فقال :

بَرَّغَمَ الْعَلَا وَالْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى طَوَاكَ الرَّدَى يَا خَيْرَ حَافٍ وَنَاعِلِ
 لَقَدْ غَالِ صَرَفُ الدَّهْرِ مِنْكَ مُرْزَأُ نِهَوضًا بِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ الْأَثَالِ
 يَضُمُّ الْعُقَاةَ الطَّارِقِينَ فَنَاوَهُ كَاضِمٌ أُمَّ الرُّأْسِ شَعْبَ الْقَبَائِلِ
 وَيَسْرُو دَجَا الْهَيْجَا مِضَاءَ عَزِيمَةٍ كَمَا كَشَفَ الصَّبْحُ أَطْرَاقَ الْغِيَاطِلِ^(٣)
 وَيُسْتَهْزَمُ الْجَيْشُ الْعَرْمَرَمُ بِاسْمِهِ وَإِنْ كَانَ جَرَّارًا كَثِيرَ الصَّوَاهِلِ
 فِيمَا تُصْبِنَا الْحَادِثَاتُ بَنَكْبَةِ رَمْتِكَ بِهَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الضَّابِلِ^(٤)
 فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنْ الْخَتُوفَ مَوَارِدُ وَكُلُّ فِتَى مِنْ صَرْفِهَا غَيْرُ وَائِلِ^(٥)
 وقام حاطب بن قيس فقال :

سَلَامٌ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِى ضَمَّ أَعْظَا تَحْمُومُ الْمَعَالِى نَحْوَهُ فَتَسَلَّمَ

- (١) فى الأمالى ١٤٣/٢ « وقورا إذا كان الوقوف على الجمر » وفى نسخة من
 نسخ هذا الكتاب « حليم إذا ما الحلم حل حزامه » تحريف قبيح (م)
 (٢) فى الأمالى « أحمر الرحا » والرحا : وسط الغيم ومعظمه (م)
 (٣) الغياطل : جمع غيطلة ، وهى الظلمة واختلاط الأصوات ، والبقرة الوحشية (م)
 (٤) الضَّابِل : جمع ضبيل ، وهى الداهية (م) (٥) غير وائل : غير ناج (م)

سلام عليه كلما ذرَّ شارِقُ وما امتدَّ قطع من دُجَى الليل مُظْلِمُ
 [فيا قَبْرَ عمرو جاداً لُصّاً تعطَّفت عليك مُلْكٌ دَائِمُ القَطْرِ مُرْزِمُ
 تضمَّنتَ جسمًا طابَ حياً وميتاً فانت بما ضُمَّنتَ في الأرض مُعَلِّمُ
 فلو نطقَتْ أرضٌ لقالَ ترابُها إلى قَبْرِ عَمْرٍو الأزدِ حلَّ التكرمِ
 إلى مَرَمَسٍ قد حلَّ بين ترابه وأحجاره بذُرٍّ وأضبط ضَنِيمِ
 فلا يبعدُكَ اللهُ حياً وميتاً فقد كنتَ نورَ الخطبِ والخطبِ مُظْلِمِ
 لعمري الذي حُطَّتْ إليه على الوَناءِ حدايرُ عوجٍ نَبْهاً مُتَهَمِ]
 لقد هدم العلياء موتك جانباً وكان قديماً رُكْنُها لا يهدُمُ
 [بلاغة الأعراب]

قال الأصمعي : سمعت أعرابياً يذكر قومه فقال : كانوا إذا اصطَفَوْا تحت أعرابي القتَّام ، مطرت بينهم السِّبْهام ، بشؤبوب الحِمَّام ^(١) ، وإذا تصالحوا بالسيف ، ففرت أفواهاها الحُتُوف ، فرب قرن عارِم قد أحسنوا أدبه ، وحرب عبوس قد أضحكها أسنتهم ، وخطب مُشَمِّز ذلَّوا منا كبه ، ويوم عَمَّاس قد كشفوا ظلمته بالصبر حتى تتجلى . كانوا البحر لا يُنكش عُماره ، ولا يُننه تياره .

قال العتبي : سئل أعرابي عن حاله [عند موته] فقال : أجدني مأخوذاً أعرابي بالثقلة ، محجوجاً بالملهة ، أفارق ما جمعت ، وأقدم على ما ضيَّعت ، فيا حيائي من يصف حاله كريم قدَّم المَعْدرة ، وأطال النِظرة ^(٢) ، إن لم يتداركني بالمغفرة ، ثم قضى . عند الموت

وقال بعض الرواة : كان يقال : الإخوان ثلاثة : أخ يخلصُ لك وُدّه ، ويبلغ الإخوان ثلاثة لك في مهلك جُهدّه ، وأخ ذو نِيَّةٍ يقتصرُ بك على حسن نيته ، دون رَفْدِهِ ^(٣) ومعوته ، وأخ يحاملك بلسانه ، ويشغل عنك بشأته ، ويوسّعك من كذبه بأيمانه .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وقفت علينا أعرابية فقالت : يا قوم ، تعثر أعرابية تسأل بنا الدهر ، إذ قلَّ منا الشكر ، وفارقنا الغنى ، وحالفنا الفقر ، فرحم الله امرأ فهم

(١) القتَّام : الغبار الذي أثارته الخيل في المعركة ، والشؤبوب : الدفعة من المطر (م)

(٢) النظرة : التأخير والتأجيل (م) (٣) الرفد - بالكسر - إعطاء (م)

بعقل ، وأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وأعان على عفاف .

[ذل السؤال]

قال أبو بكر الحنفي : حضرتُ مسجد الجماعة بالكوفة ، وقام سائلٌ يتكلم عند صلاة الظهر ثم عند العصر والمغرب ، فلم يُعط شيئاً ، فقال : اللهم إنك بحاجتي عالم غير معلم ، واسع غير مكلف ، وأنت الذي لا يرزؤك نائل ، ولا يُخفيك^(١) سائل ، ولا يبلغ مدحتك قائل ، أنت كما قال المُثنون ، وفوق ما يقولون ، أسألك صبراً جميلاً ، وفرجاً قريباً ، ونصراً بالهدى ، وقرّة عين فيما تحب وترضى ، ثم ولّى لينصرف ، فابتدره الناسُ يعطونه ، فلم يأخذ شيئاً ، ثم مضى وهو يقول :

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤاله عوصاً ، ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته رجع السؤال وخف كل نوال

[من مقامات بديع الزمان]

ومن مقامات الإسكندري إنشاء البديع : حدّثنا عيسى بن هشام قال : كنت في بلاد الأهواز ، وقصارى لفظة شرود أصيدا ، أو كلمة بايعة أستفيدها ؛ فادّاني السير إلى رُقعة [من البلاد] فسيحة ، وإذا هناك قومٌ مجتمعون على رجل يستمعون إليه وهو يخطب الأرض بعصاً على إيقاع لا يختلف ، وعلت أن مع الإيقاع آخناً ، ولم أبعد لأنال من السماع حظاً ، أو أسمع من البليغ لفظاً ، فما زلت بالنظارة ، أرحم هذا وأدفع ذاك ، حتى وصلت إلى الرجل ، وصرفت الطرف منه إلى حُرقة كالقرنب^(٢) ، مكفوف في شملة من صوف ، يدور كالخدروف^(٣) ، مُتبرّنياً بأطول منه ، معتمداً على عصا فيها جلاجل ، يضرب الأرض بها على إيقاع غنج ، ولفظ هرّج ، من صدرٍ حرّج ، وهو يقول :
يا قومُ قد أثقل ديني ظهري وطالبتني طلستي بالمهر^(٤)

القائمة
الأهوازية
(الكفوفية)

(١) لا يخفيك - بالحاء المهملة - لا يثقل عليك ، ووقع في نسخة « لا يخفيك »
تحريف (م) (٢) الحزقة : القصير المتقارب الخطو ، والقرنب - بوزن جعفر - اليربوع
أو القارة (م) (٣) الخدروف : لعبة من لعب الصبيان (م) (٤) الطلة : الزوجة (م)

أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غَيٍّ وَوَفْرِ سَاكِنَ قَفَرٍ وَحَلِيفَ قَفَرٍ
 يَا قَوْمُ هَلْ بَيْنَكُمْ مِنْ حُرٍّ يُعِينُنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ
 يَا قَوْمُ قَدْ عِيلَ بِفَقْرِي صَبْرِي وَانْكَشَفَتْ عَنِّي ذِيُولُ السَّيْرِ
 وَقَضَّ ذَا الدَّهْرِ بِأَيْدِي الْبَثْرِ مَا كَانَ لِي مِنْ فَضَّةٍ وَتَبْرِ
 أَوَى إِلَى بَيْتِ كَقِيدِ الشَّيْرِ خَامِلَ قَدَرٍ وَصَغِيرَ قَدَرٍ^(١)
 لَوْ خَتَمَ اللَّهُ بِخَيْرٍ أَمْرِي أَعْقَبَنِي مِنْ عُسْرَةِ يُسْرِ
 هَلْ مِنْ فَتَى فِيكُمْ كَرِيمِ النَّجْرِ مُحْتَسِبٍ فِي عَظِيمِ الْأَجْرِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَنًا لِلشُّكْرِ

قال عيسى بن هشام : فرق له والله قلبي ، واغرورقت عيني ، وما لبثت أن أعطيته دينارا كان معي ، فأنشأ يقول :

يَا حُسْنَهَا فَاقِعَةً صَفْرَاهُ مَعْشُوقَةً مَنقُوشَةً قَوَّزَاهُ
 يَكَادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنْهَا الْمَاءُ قَدْ أَثْمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلَيَاهُ
 نَفْسُ فَتَى يَمْلِكُهَا السَّخَاهُ يَصْرِفُهُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ
 يَا ذَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَا الثَّنَاءِ مَا يَتَقَصَّى قَدْرَكَ الْإِطْرَاهُ

فأمض على الله لك الجزء

ورحم الله من شدَّها في قَرَنٍ بِمِثْلِهَا ، وآنسها بأختها ، فناله الناس ما نالوه^(٢) ؛ ثم فارقهم وتبعته ، وعلمت أنه متعالم لسرعة ما عرَّفَ الدينار ، فلما نظمتنا خلوة مددت بُمْنَايَ إِلَى يَسْرَى عَضْدِيهِ ، وقلت : والله لتر بَقَى سِرِّكَ ، أو لا كشفن سِرِّكَ ؛ فكشف عن تَوَاقِي لُوز^(٣) ، وحَدَرْتُ لثامه ، فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : أنت أبو الفتح ؟ فقال : لا

أَنَا أَبُو قَلَمُونٍ فِي كُلِّ لَوْزٍ أَكُونُ

(١) كَقِيدِ الشَّيْرِ : كَقْدَرِهِ (م) (٢) ناله الناس : أعطوه (م)

(٣) تَوَاقِي لُوز : كناية عن حدة عينيه .

اخْتَرْتُ مِنَ الْكَسْبِ دُونًا فَإِنَّ دَهْرَكَ دُونُ
زَجِّ الزَّمانِ مُحَقِّقٍ إِنَّ الزَّمانَ زَبُونُ
لَا تُخْبِدَعَنَّ بِعَقْلٍ مَا الْعَقْلُ إِلَّا الْجَنُونُ

[من شعر كشاجم]

وقال أبو الفتح كشاجم :

ما زال حرُّ الشوقِ يَغْلِبُ صَبْرَهَا حتى تَحْدَرُ دَمْعُهَا الْمُتَعَلِّقُ
وجرى من الكُحْلِ السَّحِيقِ بِخَدِّهَا خَطٌّ تَوَثَّرُهُ الدَّمْعُ السُّبْقُ
فَكَانَ مَجْرَى الدَّمْعِ حِلْيَةً فَضَّةً فِي بَعْضِهِ ذَهَبٌ وَبَعْضُهُ مُحَرَّقُ
وقال :

مَالِدَةٌ أَكَلَتْ فِي طَيْبِهَا مِنْ قُبَلَةٍ فِي إِثَرِهَا عَصَّةُ
كَأَنَّهَا تَأْثِيرُهَا لَمَعَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أُجْرِى فِي فَضَّةُ
خَلَسَتْهَا بِالْكَرِّهِ مِنْ شَادِنٍ يَعْشَقُ بَعْضِي بِالْمُنَى بَعْضُهُ

وقال :

وَمُسْتَهْجِنٍ مَدْحِي لَهُ إِنْ تَأَكَّدَتْ لَهُ عُقْدُ الْإِخْلَاصِ ، وَالْحَرْثُ يُمَدِّحُ^(١)
وَيَأْتِي الذِّى فِي الْقَلْبِ إِلَّا تَبَيَّنَا وَكُلَّ إِنَاءٍ بِالذِّى فِيهِ يَرْتَشِحُ
وقال :

وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ فَالنَّاسُ بَيْنَ مَكْذَبٍ وَمُصَدِّقٍ
فَأَقِمْ لِنَفْسِكَ فِي انْتِسَابِكَ شَاهِدًا بِحَدِيثِ مَجْدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقٍ
وقال :

يَا مُسَدِّى الْعُرْفِ إِسْرَارًاوِإِعْلَانًا وَمُتَّبِعِ السَّبْرِ وَالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا^(١)
أَقْلِعْ سَحَابَكَ قَدْ غَرَّ قَتْنِي نِعَمًا مَا أَدْمَنَ الْغَيْثُ إِلَّا كَانَ طُوفَانًا^(٢)

(١) المسدى : المعطى ، أسدى يسدى : أعطى ، والعرف : المعروف (م)

(٢) أقلع سحابك : أراد أقطع معزوفك وعطاءك ، وأدمن : دام وتتابع (م)

هذا مولد من قول أبي نواس :

لا تسدينَّ إلى عارفةً حتى أقوم بشكرٍ ما سلفا

البحترى :

ألحَّ جوداً ولم تضرُّ سحائبه وربما ضرَّ في إلحاحه المطرُ
مواهبٌ ما تجسمنا السؤال لها إن الغمام قلبٌ ليس يحتقر^(١)
وقد أخذ على ذي الرمة قوله :
ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى ولا زال مُنهلاً بجرعائك القطرُ
قالوا : وأحسن منه قول طرفة :
فسقى ديارك غير مفسدها صوبُ الربيع وديمةٌ تهْمى
وقد تخرز ذو الرمة مما تؤول عليه بالسلامة في أول البيت .

وقال كشاجم :

أيا نشوان من خيرٍ بفيه متى تضحو وريقك خندريس^(٢)
أرى بك ما أراه بذى انتشاء ألحَّ عليه بالكاس الجليسُ
تورّد وجنةً وفثورٌ خلطٍ تمرّضه وأعطافٌ تميمسُ
وقال :

وما زال يبرى جملةَ الجسم خُبها وينقصه حتى نقصت عن النقص^(٣)
وقد دُبْتُ حتى صرْتُ إن أنا زرتها أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخبي

[الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره]

كتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء : نبتَ بي غرّةُ الحداثة ، فردّتنى
إليك التجربة ، وقادّتنى الضرورة ، ثقةً بإسراعك إلى وإن أبطأتُ عنك ،

(١) تجسمنا : تكلفنا ، والقلب : البئر (م) (٢) الخندريس : اسم من أسماء

الحمر (م) (٣) يبرى : ينحل ويهزل ويضعف ، وفي نسخة « على النقص » (م)

وقبولك العذر وإن قصرتُ عن واجبك ، وإن كانت ذنوبي سَدَّتْ على مسالك الصّبح عني ، فراجع في مجدك وسؤددك ، وإني لا أعرف موقفاً أذل من موقي ، لولا أن المخاطبة فيه لك ، ولا خطّة أذنى من خطّتي ، لولا أنها في طلب رضاك .

وهذا المعنى الذي ذهب إليه من الرجوع إلى الرئيس بعد تجربة غيره قد أكثر الناسُ منه قديماً وحديثاً وسأفيض في طرفٍ من ذلك :

وأنشد أبو عبيدة لزياد بن مُنَقِّذ الحنظلي ، وهو أخو [المرار العدوي ، نسب إلى أمة العدوية ، وهي فُكَيْهَة بنت تميم بن الدّؤل بن جبلة بن عدي بن] عبد مناة بن أد بن طابخة ؛ فولدت للمالك بن حنظلة عدياً ويربوعاً ؛ فهؤلاء من ولده يقال لهم [بنو] العدوية ، وكان زيادُ نزل بصنعاء فاجتواها ^(١) ومنزله بنجد ، فقال في ذلك قصيدة يقول فيها وذكر قومه :

مُحَدَّمُونَ نِقَالَ في مجالسهم وفي الرّحال إذا صاحبتهم خَدَمٌ ^(٢)
لم أَلْقَ بعدهمُ حيّاً فأخبرهم إلاّ يزيدهمُ حبّاً إلى هم
[وأراه أول من استنار هذا المعنى .

وكان ابنُ أبي عرّادة السعدي مع سلم بن زياد بنخراسان وكان له مكرما فتركه وصحب غيره فلم يحمد أمره ، فرجع إليه ، فقال :

عتبتُ على سلم فلما فقدته وجرتُ أقواما بكيتُ على سلم
رجعتُ إليه بعد تجريب غيره فكان كبرئ بعد طولٍ من السقيم
وقال مسلم بن الوليد :

حياتك يا بن سعدان بن يحيى حياء المكارم والمعالى
جلبت لك الثناء فجاء عفواً ونفسُ الشكر مطلقاً العقال

(١) اجتواها : كرهها واستوخمها (م)

(٢) محدّمون : يكثر غيرهم خدمتهم ، ونقال في مجالسهم : كناية عن الحلم والثبات (م)

وترجعني إليك - وإن نأث بي ديارى عنك - تجربة الرجال
وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد للبحتري :

أخ لك عاداه الزمان فأصبحث مذمةً فيما لديه المطــــالب
مقى ما تذوقه التجاربُ صاحباً من الناس تردُّهُ إليك التجاربُ
وأنشد :

حياةُ أبي العباس زَيْنٌ لقومهِ لكلِّ امرئٍ قَاسَى الأمور وجَرِّباً
ونعْتَبُ أحياناً عليه ولو مَضَى لَكُنَّا على الباقي من الناس أَعْتَباً^(١)
قال الصولي : جرى ذِكْرُ المكثفِ بحضرة الراضى فأطريته وأكثرتُ الثناء
عليه ، فقال لى : يا صولى ؛ كنت أنشدتنى لجرير :

أسئلك عن زيد لتسلى ، وقد أرى بعينيك من زيد قَدْى ليس يَنْهَجُ
فقلت : يا أمير المؤمنين ، مَنْ شكر القليل كان للكثير أشدَّ شكراً ، وأعظم
ذكراً ، قال : فأين أنا لك من المكثف ؟ فأنشدته للطائي :

كم من وساع الجودِ عندى والنَّدَى لَمَّا جرى وجريت كان قَطُوفاً^(٢)
أحسبُ صَفْدِي ، ولكن كنت لى مثلَ الربيع حياً وكان خريفاً
وَكَلَّا كَمَا اقْتَعَدَ الْعُلَا فَرَكِبَتْهَا فى الذروة العلياً وجاء رَدِيفاً^(٣)
إن غاض ما ه المزنِ فِضْتُ ، وإن قَسْتُ كَبِدُ الزمان على كنت رَهْ وِفا
وكان المكثفِ أول من ناداه الصولى ، واختلط به .

ولم يلِ الخلافة أحد اسمه على إلا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، من اسمه على
وعلى بن المعتضد المكثف بالله ، وكان سبب اتصاله به وانقطاعه إليه أن رجلاً
يعرف بمحمد بن أحمد الماوردى نزع إلى المكثف بالرفقة ، وكان ألب الناس

(١) أعتبا : أشد عتبا (م) (٢) الوساع : الواسع ، والقطوف : البطىء السير (م)

(٣) الرديف : الذى يركب خلف راكب (م)

بالشطنج ، فلما قدم عليه بغداد وهو خليفة قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أعلم الناس بهذه الصناعة ، فأقطعني ما كان للرازي الشطنجي ؛ فعاظ ذلك المكتفى ، وندب له الصولى فلم يُرَّ معه الماوردى شيئاً . فقال له المكتفى : صار ماء وردك بؤلاً ، قال الصولى : فأقبل المكتفى على ورتبني في الجلساء ، فحجبت يوماً منه ، وأتصل بي أن خصمى شمت بي ، فكتبت قصيدة للمكتفى أقول فيها :

قد ساء ظنُّ الناس بي وتنكروا كما رأوني دون غيري أُحجَبُ
إن كان غليبيهِ يُقَرِّبُ أمره دوني فإني عن قريب أُغلبُ
فضحك ، وأمر لي بمائتي دينار ، واندرجت في خدمته .

[في بيعة يزيد بن معاوية]

اجتمعت وفودُ العرب عند معاوية رحمه الله تعالى ، وكان إذا أراد أن يفعل شيئاً ألقى منه ذرءاً إلى الناس^(١) ، فإذا امتنعوا كف ، وإن رَضُوا أمضى ، فعرض ببيعة يزيد ، فقامت خطباء معدة فشققوا الكلام ، وأطنبوا في الخطاب ، فوثب شاب من غسان قابضاً على قائم سيمه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الحليفَ في حكم السيف^(٢) ، وبعْدَ النسيمِ الهيف^(٣) ؛ فإنَّ هؤلاء عجزوا عن الصيال ، فعوتلوا على المَقال ، ونحن القاتلون إذا ضلُّنا ، والمعجبون إذا قلنا ، فمن مال عن القصدِ أقمناه ، ومن قال بغير الحق وقمناه^(٤) ، فليُنظر ناظرٌ إلى موطن قدمه ، قبل أن تدحض فيهِ هوى هوى الحجر من رأس النيق^(٥) ؛ فتفرق الناس عن قوله ، ونسوا ما كانوا فيه من الخطب .

(١) ذرءاً : أى شيئاً منه ، ووقع في نسخة « ألقى منه طرفاً » (م)

(٢) الحيف : الظلم والجور (م) (٣) الهيف : ريح حارة (م)

(٤) وقمناه : قهرناه وأذللناه (م) (٥) النيق : أرفع موضع في الجبل (م)

[فى الإقدام حياء]

وقال المهلب يوماً لجلسائه : أراكم تعنفوننى فى الإقدام ، قالوا له : إى والله ، إنك لست تقوط بنفسك فى المهالك ، قال : إليكم عنى ! فوالله لولا أن آتى الموت مسترسلاً ، لأنأتانى مستعجلاً ؛ إنى لست آتى الموت من حُبِّه ، إنما آتته من بُغْضِهِ ، ثم تمثل بقول الحُصَيْن بن الحُطَّام المرى :

[تأخرت أستبقى الحياء فلم أجدْ
لنفسى حياء مثل أن أتقدما
ومن هذا أخذ أبو الطيب المتنبى قوله] :

أرى كلنا يَهْوَى الحياءَ لنفسه حريصاً عليها مستهماً بها صَباً
حُبُّ الجبانِ النفسَ أوردته التَّقَى وحُبُّ الشجاعِ النفسَ أوردته الحَرْباً
وقال أبودلف :

الحربُ تَضَحِّكُ عن كَرِّى وإقدامى والخيلُ تعرفُ آثارى وأَبامى
سَمِيفى مُدَامى ، ورِيحانِى متفتى ، وهَمَّتْ مِقَّةُ التفصيلِ لِلْهَامِ (١)
وقد تجرَّد لى بالحسن منفرداً أَمْضَى وَأَشْجَعَ منى يومَ إقدامى (٢)
سَلَّتْ لواحظه سيفَ السَّفَامِ على جسمى فأصبحَ جسمى رَنْعَ أسقام

[من أخبار أبى دلف وشعره]

وكان أبو دلف شاعراً مجيداً ، وجواداً كريماً . جامعاً لآلات الأدب والظرف ، وله شعرٌ جيد فى كل فن ، وهو القائل :

أحبك يا جَنَانُ ؛ فأنتِ منى محلّ الروحِ من جسدِ الجبانِ
ولو أنى أقول : مكانِ روحى خَلِفْتُ عليكِ بادرَةَ الزمانِ

(١) المقة : المحبة ، ووقع فى نسخة « وهمت نية التفصيل » (م)

(٢) فى نسخة « وقد تجرّد بالحسن ذوبدع » (م)

لإقدامي إذما الخيلُ جالتُ وهاب كُماثها حَرَّ الطَّمان^(١)
 وكان يتعشَّقُ جارية ببغداد فإذا شَخَّصَ إلى الحضرة زارها ، فركب في بعض
 قَدَماته إليها ، فلما صار بالجسر مشى على طرف طيلسان بعض المارين ، فخرقه ،
 فأخذ بعنانه ، وقال : يا أبا دلف ؛ ليست هذه كرخك ، هذه مدينة السلام ؛ الذئب
 والشاة بها في مَرَبَع واحد ! فثنى عنانه متوجَّهاً إلى الكرخ ، وكتب إلى الجارية :

قَطَعْتُ عن لقائك الأشغالُ وهومُ أَتَتْ عَليَّ نِقَالُ
 في بلاد يَهانُ فيها عَزِيزُ القومِ حتى تنالَه الأندالُ
 حيث لا مدفعٌ بسيفٍ عن الضيِّمِ ولا لَكُماةٍ فيها مجالُ^(٢)
 ومقام العزیز في بلد الهو ن إذا أمكن الرحيلُ محالُ
 فعليك السلام يا ظَبِيَّةَ الكَرُخِ خ أقمي وحن مِنَّا ارتحالُ

ودخل أبو دلف على المأمون بعد الرضا عنه ، فسأله عن عبد الله بن طاهر ، فقال :
 خلفته يا أمير المؤمنين أمين غيب ، نصيح جيب ، أسداً عاتياً ، قائماً على بَرائنه ،
 يسعد به وثليكَ ، وَيَشْقَى به عدوك ، رَحِبَ الفِئاء لأهل طاعتك ، ذا بأس شديد
 لمن زاغ عن قَصْدِ مَحَبَّتِكَ ، قد فقَّه الحِزْمَ ، وأيقظه العِزْمَ ، فقام في نحر الأمور
 على ساق التشمير ، يُبْرِمُها بِأَيْدِهِ^(٣) وكَيْدِهِ ، ويفلِّها بِجَدِّه وجَدِّه ؛ وما أشبهه في
 الحرب إلا بقول العباس بن مرداس :

أَكْرُ على السكتية لأبالى أَحْتَقِ كان فيها أُم سِواها

[فقال قائل : ما أفصح على جَبَلِيَّتِهِ ! فقال المأمون : وإن بالجليل قوماً
 أمجاداً ، كراماً أنجاداً ، وإنهم ليوفُونَ السيفَ حظَّه يوم النزال ، والكلام
 حقَّه يوم القتال ، وإن أبا دلف منهم] .

(١) السكاة : جمع كمي ، وهو الفارس المتكفي في سلاحه . أي المستتر (م)

(٢) الأيد : القوة (م)

[من رسائل الميكالى]

فصل لأبي الفضل الميكالى من كتاب تعزية عن أبى العباس بن الإمام
أبى الطيب .

لئن كانت الرزية بمصيبة مؤلمة ، وطُرقُ العزاء والسَّلوة مبهمة ، لقد حلتَّ
بساحة من لا تُلتَقَضُ بأمانها مرائره ، ولا تَضُمُّ عن احتمالها بصائره ، بل
يتلقاها بصدرٍ فسيح يحمى أن يفتَحَ الحزنُ بابه ، وصبرٍ مشيح يحمى أن يُحِبَطَ
الجزعُ أجره وثوابه ، ولم لا وآدابُ الدين من عنده تُلتَمَس ، وأحكامُ الشرع
من بَنائه ولسانه تستفاد وتُقْتَبَس ، والعيونُ ترمقه^(١) فى هذه الحال لتجرى على
سَنَنه ، وتأخذَ بأدابه وسُننه ؛ فإن تعزَّت القلوب فبحسنٍ تماسكه عزاؤها ، وإن
حسُنَت الأفعال فإلى حميدِ أفعاله ومذاهبه اعترأوها .

وله من تعزية إلى أبى عمرو البحتري : قدَّس الله روحه ، وسقى ضريحه ؛
فلقد عاش نبيه الذِّكْر ، جليلَ القَدْرِ ، عَمِيقَ الثناء والنَّشْرِ ، يتجَلَّل به أهل
بلده ، ويتباهى بمكانه ذوو مودَّته ، ويفتخر الأثرُ وحاملوه بتراخى بقائه ومُدَّتِه ،
حتى إذا تسنَّ ذِرْوَةٌ^(٢) الفضائل والمناقب ، وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب ،
اختطفته يدُ المِقْدَار ، ومُحِى أثره بين الآثار ، فالفضلُ خاشعُ الطَّرْفِ لفقده ،
والكُرمُ خالى الرُّبْع من بعده ، والحديثُ يندبُ حَافِظَه ودَارسَه ، وحُسْنُ العهدِ
يبكى كافله وحارسه .

وله : فأما الشكرُ الذى أعارنى رداءه ، وقلدنى طَوْقه وسنائه ؛ فهيهات أن
ينتسب إلا إلى عادات فضله وإفضاله ، ولا يسيرَ إلا تحتَ رايات عُرفه ونوَّاله ،
وهو ثوب لا يحلَّى إلا بذكره طِرَّازِه ، واسمُ له حقيقته ولسواه مجازُه ، ونوَّانه

(١) ترمقه : تنظره وتتطلع إليه (م)

(٢) تسنم : علا ، وأصله ركب فوق السنام ، وهو أعلى مكان فى الإبل ، وذروة

كل شئ : أعلاه (م)

حين ملكت رقي بأبياديه ، وأعجز وسعي عن حقوق مكارمه ومساويه ، خلى لى
مذهب الشكر وميدانيه ، ولم يجاذبنى زمامه وعنايه ، لتعلقت عن بلوغ بعض
الواجب بعروة طمع ، ونهضت فيه ولو على وهن وظلم^(١) ، ولكنه يأتى إلا أن
يستولى على أمد الفضائل ، ويتسنى ذرا العوارب منها والكواهل ؛ فلا يدع فى
المجد غاية إلا يسبق إليها فارطا ، ويخلف من سواه عنها حسيراً ساقطاً ؛ لتكون
المعالى بأسرها مجموعة فى ملكه ، منظومة فى سلكه ، خالصة له من دعوى
القسم وشركه .

وله فصل من كتاب إلى أبى سعيد بن خلف الهمداني : فأما التحفة التى
شفعها بكتابه فقد وصلت ، فكانت ضرة لزهر الربيع ، موفية بحسن الخط على
الوشى الصنيع ، وليس يهتدى لمثل هذه اللطائف فى مبرة الإخوان ، إلا من
يعد من أفراد الأقران ، ولا يرضى من نفسه فى إقامة شعائر البر دون القرآن^(٢) ،
والله يمتعه بما منحه من خصائص هى فى آذان الزمان شئوف^(٣) ، وفى جيده
عقد مرصوف .

[عتاب]

وقال أبو يعقوب الخريجي يعاتب الوليد بن أبان :
أتعجب منى إن صبرت على الأذى وكنت امرأ ذا إزبة متجملأ
فإنى بحمد الله لا رأى عاجز رأيت ، ولا أخطأت للحق مفصلاً
ولكن تدبرت الأمور ؛ فلم أجذ سوى الحلم والإغضاء خيراً وأفضلاً
وأقسم لولا سالف الود بيننا وعهد أبت أركانه أن تزيلاً
وأياملك الغر اللواتى تقدمت وأوليتها منعياً متطولا

للخريجي
يعاتب الوليد
بن أبان

(١) الوهن : الضعف ، والظلم : أن تغمر فى سيرك (م)

(٢) القرآن - بكسر القاف - أن تجمع الشئ إلى الشئ (م)

(٣) الشئوف : جمع شئف - بالكسر - وهى حلية تلبس فى أعلى الأذن (م)

رحلتُ قُلُوصَ الهَجَرِ نِمِ اقْتَعَدْتُهَا
 وَأَسْرَمْتُ نَفْسِي وَالْكَرَامَةَ حَظُّهَا
 وَعَارَضْتُ أَطْرَافَ الصَّبَا أَبْتَغِي أَخَا
 أَخَا كَأَنِّي عَمْرُو، وَأُنَى بَمَثَلِهِ
 جَزَى اللَّهُ عَثْمَانَ الْخُرَيْمِيَّ خَيْرَ مَا
 أَخَا كَانَ إِنْ أَقْبَلْتُ بِالْوَدِّ زَادَنِي
 أَخَا لَمْ يَخْنِي فِي الْحَيَاةِ وَلَمْ أَبْتُ
 إِذَا حَاوَلُوهُ بِالسَّمَايَةِ حَاوَلُوا
 يَحْكُمَنِي فِي مَالِهِ وَلِسَانِهِ
 كَفَى جَفْوَةً الْإِخْوَانَ طَوْلَ حَيَاتِهِ
 وَبَاتَ حَمِيْدًا لَمْ يَكْدُرْ صَنِيعُهُ
 وَكُنْتُ أَخَا لَوْ دَامَ عَهْدُكَ وَاصِلًا
 فَغَيْرُكَ الْوَاشُونَ حَتَّى كَأَنَّمَا
 إِلَى الْبَعْدِ مَا أَلْفَيْتُ فِي الْأَرْضِ مَعْمَلًا
 وَلَمْ تَرْنِي لَوْلَا الْهُوَى مُتَذَلِّلًا
 يُعِينُ إِذَا مَا أَلْهُمَّ بِالْمَرْءِ أَغْضَلًا
 إِذَا الْخُرُ بِالْجَبَدِ ارْتَدَى وَتَسَرَّ بَلَا
 جَزَى صَاحِبًا جَزَلَ الْمَوَاهِبَ مُفْضِلًا
 صَفَاءً وَإِنْ أُدْبِرْتُ حَنٌّ وَأَقْبَلًا
 يَخُوفُنِي الْأَعْدَاءُ مِنْهُ التَّنْقِلًا
 بِهِ هَضْمَةٌ تَأْتِي بَأَنَّ تَتَخَلَّخَلًا
 وَيَرْكَبُ دُونِي الزَّاعِي الْمَوْلَا^(١)
 وَأَوْرَثَ مِمَّا كَانَ أُعْطِيَ وَأَحْزَلَا
 وَلَمْ أَقْلِهِ طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَاقَلًا
 نَصُورًا إِذَا مَا الشَّرُّ حَبَّ وَهَرَّ وَلَا
 تَرَانِي شُجَاعًا بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُقْبِلًا

[من ترجمة أبي يعقوب الخريمي]

وأبو يعقوب هذا إسحاق بن حسان ، قال المبرد : كان أبو يعقوب جميل
 الشعر ، مقبولاً عند الكتاب ، وله كلامٌ قوى ، ومذهبٌ متوسط ، وكان يرجع
 إلى نسب كريمٍ في الضُّعْدِ ، وكان له ولّاءٌ في غطفان ، وكان اتصاله بمولاه أبي
 عثمان بن خُرَيْمٍ المَرِيّ الذي يقال له خُرَيْمُ الناعم ، وكان أبو عثمان هذا قائداً
 جليلاً ، وسيداً كريماً . وسُئِلَ [خُرَيْمٌ] عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : الْأَمْنُ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ
 لِنَافِثٍ ، وَالْعَافِيَةُ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لِسَقِيمٍ ، وَالْغَنَى فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ لْفَقِيرٍ . وَقِيلَ لَهُ :

(١) ازاعبي : الرمح الذي إن هزته تدافع كله ، والمؤل : المحدد طرفه (م)

ما بلغ من نعمتك ؟ قال : لم ألبس جديداً في صيف ، ولا خَلَقاً في شتاء . وفي
نسبه في الصُّغْد يقول :

أبا لصُّغْدِ بَاسْ أَنْ تَعِيرَنِي جُبْلُ سَفَاها وَمِنْ أَخْلَاقِ جَارَتِنَا الْبِخْلُ^(١)
وما ضَرَّني أَنْ لَمْ تَلِدْني يُحَابِر وَلَمْ تَشْتَمِلْ جَرْمَ عَلَيَّ وَلَا عُكْلُ^(٢)
يقول فيها :

[ودون الندى في كل قلب ثنية
وودّ الفتى في كل نيل يُنيله
وأعلم علما ليس بالظن أنه
وأن أخلاء الزمان غفـاؤهم
تزوّد من الدنيا متاعاً لغـيرها
وهل أنت إلا هامة اليوم أو غد
وقال يتشوق الحسن بن التَّخْتَاخ^(٤) :

أَلَا مُبْلَغٌ عَنِّي خَلِيلِي وَدُونُهُ مَطَا سَفَرٍ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ طَالِبُهُ
رسالة نأو بالعراق ورُوحه بفسطاط مصر حيث جئت عجائبه
له كل يوم حنة بعد رنة يجيش بها في الصدر شوق يغالبه
إلى صاحب لا يُخْلِقُ النَّأْيُ عَهْدَهُ لناء ولا يشقى به من يُصَاقِبُهُ
تخيّره حرّاً نقيّاً ضمـيره جميلاً محيّا كريماً ضارِبُهُ
هو الشهد سائماً ، والذّ عاف عداوة وبحرّ على الوراد تجري غواربه
فيا حسن الحسن الذي عمّ فضله وتمت أياديه وجئت مناقِبُهُ
إليك على بُعد المزار تطلعت نوازعُ شوقي ما تُردُّ عوازِبه
أرى بعدك الإخوان أبناء علة لهم نسب في ودّهم لا أناسِبه

(١) في نسخة « أن يعيرني الجهل » وليس بذلك (م)

(٢) يحابر ، وجرم ، وعكل : من قبائل العرب (م)

(٣) في نسخة « فقد شمّرت حدباء » والحدباء : السريعة (م)

(٤) في نسخة « ابن المحتاج » وفي أخرى « ابن البحناج » (م)

فهل يَرْجِعُنْ عِشْيَ وَعِشْكَ مَرَّةً ببغداد دَهْرٌ مُنْصِيفٌ لَا نُمَاتِيهِ
 لَيْلِي أَرْعَى فِي جَنَابِكَ رَوْضَةً وَأَوِي إِلَى حِصْنٍ مَنِيْعٍ مَرَاتِبُهُ ^(١)
 وَإِذْ أَنْتَ لِي كَالشَّهْدِ بِالرَّاحِ صُفْقًا مَاءَ رِصَافٍ صَفَقَتُهُ جَنَابَتُهُ ^(٢)
 عَنِي وَلَعَلَّ اللَّهَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا كَمَا لَأَمَّتْ صَدْعُ الْإِنَاءِ مَسَاعِبُهُ

فقر وفضول في معان شتى

قال العتابي : حظَّ الطالبين من الدَّرَكِ ، بحسب ما استصحبوا من الصَّبْرِ .
 بعض الحكماء : الحلم عُدَّةٌ للسفيه ، وجُنَّةٌ من كَيْدِ العاوِ ، وإنك إن
 تقابل سفيها بالإعراض عن قوله إلَّا أَذَلَّتْ نفسه ، وَقَلَّتْ حَدَّةُ ، وَسَلَّتْ عليه
 سيوفًا من شواهد حِلْمِكَ عنه ، فتولَّوا لك الانتقامَ منه .
 وقال آخر : العجلة مكسبة للذمَّة ، مجابة للدعاة ، منقرة لأهل الثقة ،
 مانعة من سدادِ الرغبة .

وأنى العتابي وهو بالرَّيِّ رجلٌ يودِّعه فقال : أين تريد ؟ قال : ببغداد ،
 قال : إنك تريد بلداً أُصْطَلَحَ أهلُه على صحَّةِ العلانية ، وسَقَمَ السريرة ، كلُّهم
 يعطيك كاه ، ويمنعك قله

وقال يحيى بن خالد لرجل دخل عليه : ما كان خبرُك مع فلان ؟ قال : قد
 افتديت مكاشفته واشتريت مكاشرتَه ^(٣) بألف درهم ، فقال يحيى : لا تبرح حتى
 يكتبَ الفضلُ وجعفرُ عنك هذا القول .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يدعو ، ويقول : اللهم ارزقني عملَ الخائفين ،
 وخَوْفَ العاملين ، حتى أُنعمَ بِتَرْكِ التَّعْنَمِ ، رجاءً لما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت .
 وللعتابي : أما بعد فإنه ليس بمستخلص غَضَارَةُ عِيشٍ إلَّا من خلال مَكْرُوهِه ،

(١) في نسخة «منيع ترائبه» (م) (٢) صفقا : خلطا ، و رصاف : جمع رصفة -
 بالتحريك - وهى الحجارة الرصوف بعضها إلى بعض فى مسيل الماء ، والجَنَابُ : جمع
 جنوب ، وهى الريح التى تقابل ريح الشمال (م) (٣) مكاشرتَه : معالنته بالبغيض (م)
 (١٦ - زهر الآداب ٤)

ومن انتظر بمعالجة الدرك مؤاجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصته .

كتب بعض الكتاب إلى أخ له : إن رأيت أن تحدّد لي ميعاداً لزيارتك ،
أثقوته^(١) إلى وقت رؤيتك ، ويؤنسني إلى حين لقائك ، فعلت إن شاء الله
فأجابه : أخاف أن أعدك وعداً يعترض دون الوفاء به مالا أقدر على
دفعه ، فتكون الحسرة أعظم من الفارقة .

فأجاب المبتدئ : أنا أسربم وعدك ، وأكون جدلاً^(٢) بانتظارك ، فإن عاق
عن الإنجاز عائق ، كنت قد ربحت السرور بالتوقع لما أحبه ، وأصبت أجرى
على الحسرة بما حرمته .

وكتب أخ^٣ إلى أخ له يستدعيه : أما بعد فإنه من عانى الظماً بفراقك
استوجب الرى من رؤيتك ، والسلام .

وكتب آخر في بابه : يومنا يوم طاب أوله ، وحسن مستقبله ، وأتت
السما بقطارها ، خلّت الأرض بأنوارها^(٣) ، وبك تطيب الشمول ، ويشفى الغليل ،
فإن تأخرت عنا فرقت شملنا ، وإن تعجلت إلينا نظمت أمرنا .

قال إسحاق الموصلى : قال لى ثمامة بن أشرس ، وقد أصبت بمصيبة : لمصيبة
فى غيرك لك ثوابها ، خير من مصيبة فيك لغيرك أجرها .

ومر عمر بن ذر بابن عياش المنتوف ، وكان سفيه عليه فأعرض عنه ، وتعلّق
بشوبه ، وقال : يا هناه ؛ إنا لم نجد لك جزاء إذ عصيت الله فينا ، خيراً من أن
نطيعه فيك . أخذه من قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما عاقبت من
عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وكتب بعض الكتاب إلى رئيسه : ما رجأت عدلك بزائد على تأملى
فضلك . لئلا أنه ليس خوفي صيالك ، بأكثر من خشيتى نكالك ؛ لأنك

(١) أثقوته : أحمله قوتالى (م) (٢) جدلاً : مسرورا (م)

(٣) القطار - كسر القاف - الطر . والأنوار : جمع نور - بالفتح - وهو نور الزهر (م)

لَا تَرْضَىٰ لِلْمَحْسَنِ بِصَغِيرِ الْمُثُوبَةِ ، كَمَا لَا تَقْنَعُ لِلْمَسِيءِ إِلَّا بِمَوْجِعِ الْعُقُوبَةِ .
 وقال آخر : مَا عَسَيْتَ أَنْ أَشْكُرَكَ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاعِدَ لَمْ تُشَبِّ بِمَطْلٍ ، وَمَرَاغِدَ
 لَمْ تُشَنِّ بِمَنْ ، وَعَهْدَ لَمْ يَمَازِجْهُ مَلَقٌ ، وَوُدٌّ لَمْ يَشْبِهْهُ مَذَقٌ .
 وقال آخر : عَلِقْتَ بِهِ أَسْبَابَ الْجَلَالَةِ غَيْرِ مُسْتَشْعِرٍ فِيهَا بِنَخْوَةٍ ، وَتَرَامَتْ لَهُ
 أَحْوَالُ الصَّرَامَةِ غَيْرِ مُسْتَعْمِلٍ مَعَهَا السُّطُوتِ ، هَذَا مَعَ دِمَائَةٍ فِي غَيْرِ حَصَرٍ ، وَلَيْنَ
 جَانِبٍ مِنْ غَيْرِ خَوَرٍ ^(١) .

فصل لابن الرومي : إِنِّي لَوَلِيْتُكَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ تَنْقَادُ لَكَ مَوَدَّتُهُ مِنْ غَيْرِ طَمَعٍ
 وَلَا جَزَعٍ ، وَإِنْ كُنْتَ لَدَى رَغْبَةٍ مَطْمَعًا ، وَلَدَى رَهْبَةٍ مَهْرَبًا .
 أبو فراس الحمداني :

كَذَاكَ الْوِدَادُ الْمَخْضُ لَا يَرْتَجِي لَهُ ثَوَابٌ ، وَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ عِقَابٌ
 [بَيْنَ حَنِيفَةٍ وَغَيْرِ]

غَزَتْ حَنِيفَةٌ نَمِيرًا فَانْتَصَفُوا مِنْهُمْ ، فَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ : كَيْفَ صَنَعَ قَوْمُكَ ؟
 قَالَ : اتَّبَعُونِي وَقَدْ أَحْبَبُوا كُلُّ جُمَالِيَةِ خَيْفَانَهُ ^(٢) ، فَمَا زَالُوا يَخْصِفُونَ [أَخْفَافَ]
 الْمَطِيِّ بِمَوَافِرِ الْخَيْلِ ، حَتَّى لَحِقُوهُمْ ؛ فَجَعَلُوا الْمُرَّانَ أَرْضِيَّةَ الْمَوْتِ ، فَاشْتَفَوْا بِهَا
 أَرْوَاحَهُمْ .

[دَعَاءُ]

ودعا أعرابي فقال : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِزْقِي نَائِيًا فَقَرِّبْهُ ، أَوْ قَرِيبًا فَيَسِّرْهُ ،
 أَوْ مَيْسَرًا فَعَجِّلْهُ ، أَوْ قَلِيلًا فَكَثِّرْهُ ، أَوْ كَثِيرًا فَثَمِّرْهُ .

[مِنْ رِسَائِلِ الْبُلْغَاءِ]

وَكَتَبَ عَبْدُ بَسَّةَ بْنُ إِسْحَاقَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الرَّقَّةِ ، يَصِفُ خُرُوجَ
 الْأَعْرَابِ بِنَاحِيَةِ سَنْجَارٍ وَعَيْشُهُمْ بِهَا ^(٣) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ قَطَعَ سُبُلَ الْمُجْتَازِينَ ، وَعَامَلَهُ عَلَى الرَّقَّةِ

(١) السَّهْوَةُ : اللَّيْنُ وَالسَّهْوَةُ ، وَالْحَصْرُ - بِالْتَحْرِيكِ - احْتِبَاسُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ،
 وَالْخَوَرُ : الْجَبْنُ وَالضَّعْفُ (م) (٢) أَحْقَبَ الْبَعِيرُ : جَعَلَ عَلَيْهِ الْحَقْبَ ، وَهُوَ حَبْلٌ يَشُدُّ
 بِهِ الرَّحْلَ ، وَالْجُمَالِيَةُ - بضم الجيم - النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ الْوَثِيقَةُ ، وَالْخَيْفَانَةُ : السَّرِيعَةُ (م)
 (٣) عَيْشُهُمْ - بِالْفَتْحِ - إِفْسَادُهُمْ (م)

من المسلمين والمعاهدين ، نَفَر من شَذَّاذ الأعراب الذين لا يرقبون في مؤمنٍ إِلَّا^(١) وَلَا ذِمَّةً ، ولا يخافون من الله حَذًّا ولا عقوبة ، وَلَوْلَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أمير المؤمنين وَحَصْنِهِ هَذِهِ الطائفة ، وبلوغه في أعداء الله مَا يَرُدُّع قَاصِيَهُمْ وَدَانِيَهُمْ ، لَأَذْنْتُ بِالْأَسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا بَتَعَثْتُ الْخِيَلِ إِلَيْهِمْ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ فِي أُمُورِهِ بِالتَّأْيِيدِ وَالنَّصْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فكتب إليه المأمون :

أَتَمَعْتَ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَذَرِ
سَيَصْبِحُ الْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِبِهِ مِثْلَ الْهَشِيمِ ذَرْتَهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ
فَوَجَّهْ عُنْسَةَ الْبَيْتَيْنِ إِلَى الْأَعْرَابِ ، فَمَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ .

بين الحسن
بن سهل
والمطلب
بن عبد الله

وكتب المطلب بن عبد الله بن مالك إلى الحسن بن سهل في رجل توسل به :
طَلَبُ الْعَافِينَ الْوَسَائِلَ إِلَى الْأَمِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - يُنْجِي عَنْ شُرُوعِ مَوَارِدِ
إِحْسَانِهِ ، وَيَدْعُو إِلَى مَعْرِفَةِ فَضْلِهِ ، وَمَا أَنْصَفَهُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَنْ تَوَسَّلَ
إِلَى مَعْرُوفِهِ بِغَيْرِهِ ؛ فَرَأَى الْأَمِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فِي التَّطَوُّلِ عَلَى مَنْ قَصُرَتْ مَعْرِفَتُهُ
عَنْ ذَلِكَ بِمَا يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ مَوْفَقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فكتب إليه الحسن : وَصَلَكُ اللَّهُ بِمَا وَصَلْتَنِي فِي صَاحِبِكَ مِنَ الْأَجْرِ وَالشُّكْرِ ،
وَأَرَاكَ الْإِحْسَانَ فِي قَصْدِكَ إِلَى بَأْمَالِهِ فَرَضًا يَفِيدُكَ شُكْرَهُ ، وَيَعْقِبُكَ أَجْرُهُ ،
فَرَأَيْكَ فِي إِتِمَامِ مَا ابْتَدَأْتَ بِهِ وَإِعْلَامِي ذَلِكَ مَشْكُورًا .

وكان المطلب ممدحًا كريما ، وقد حسد دعبيل شرَّفه وإنعامه ، وغبط لإحسانه
وإكرامه ، إذ يقول :

أَضْرَبَ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلْحَاتِ مَعْتَرِفًا لَوْثُومٍ مُطْلَبٍ فِينَا وَكُنْ حَكَمًا
تَخْلُصُ خَزَاعَةً مِنْ لَوْثٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَعْدُ لَهَا لَوْثًا وَلَا كَرَمًا
وَأَمْرُ طَلْحَةٍ أَعْرَفُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ .

وما أبعد قول دجيل من قول البحترى لصاعد بن مخلد وأهل بيته :
 بنى نَحْلِدٍ كفوا تدفق جودكم ولا تبغسونا حظناً في المكارم
 ولا تنصروا مجدى قنان ومخلد بأن تذهبوا عنا بسمعة خاتم^(١)
 وكان لنا اسم الجود حتى جعلتم تغضون منا بالخلال الكرام
 [رثاء يزيد بن مزيد]

قال الزبير بن بكار : لما مات يزيد بن مزيد بأرمينية قام حبيب بن البراء خطيباً ، فقال : أيها الناس ، لا تقنطوا من مثله وإن كان قليل النظير ، وهبوه من صالح دعائكم مثل الذى أخلص فيكم من نواله ، والله ما تفعل الديمة الهطلة في البقعة الجذبة ما عملت فينا يداه من عدله ونداه .

فسرق هذا أبو لبابة [الشاعر] فقال :
 ما بقعة جادها غيث وقرها فأزهرت بأقاحى النبت ألوانا
 أبهى وأحسن مما أثرت يده في الشرق والغرب معروفاً وإحساناً

[وقال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة :
 وإذا تباع كريمة أو تشتري فسواك بائعها وأنت المشتري
 وإذا توغرت المسالك لم يكن فيها السبيل إلى نذاك بأوغر^(٢)
 وإذا صنعت صنعة أتممتها بيدى ليس ندأها بمكدر
 وإذا هممت لمعتفك بنائل قال الندى - فأطعته - لك : أكث^(٣)
 يا واحد العرب الذى ما إن لهم من معدل عنه ولا من مقصر]

(١) في نسخة « ولا تنصروا مجدى قيان ومخلد » وفي ديوان البحترى « قنان وخالد » (م) (٢) توغرت المسالك : صعبت وشقت على سالكيها ، والندى - بزة الفتى - الجود والكرم (م) (٣) المعتقى ، ومثله العاقى : طالب المعروف (م)

[من رسائل بديع الزمان]

كتب البديع أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن يحيى : أما أبو فلان فلا شك أن كتابي يردُّ منه على صدرٍ مَحَا اسْمِي من صحيفته ، وقطعَ حَظِّي من وظيفته ، ونَسِيَ اجتماعنا على الحديث والغزل ، وتصرفنا في الجدِّ والهزل ، وتقلبنا في أعطاف العيش ، بين الوقار والطَّيش ، وارتضاعنا ثُدَى العشرة ؛ إذ الزمان رقيقُ القشرة ، وتواعدنا أن يلحق أحدنا بصاحبه ، وتصالحنا من قبل ألا نصرم الحبل ، وتعاهدنا من بعد ألا ننقض العهد ، وكأني به وقد اتخذ إخواناً فلا بأس ، فإن كان للجديد لذة فللقديم حرمة ، والأخوة بُرْدَةٌ لا تضيق بين اثنين ، ولو شاء ماشرنا في البين ، وكان سألني أن أرتاد له ^(١) منزلاً ماؤه رَوِي ، ومرعاه غَذِي ، وأكاتبه لئِنْهُضَ إليه راحلته ؛ فهناك نيسابور ^(٢) ضالَّته التي نشدتها وقد وجدَّتها ، وخراسان أمنيته التي طلبتها وقد أصبَّتها ، وهذه الدولة بغيته التي أرادها وقد وردتها ، فإن صدقني رانداً ، فليأتني قاصداً .

وله إلى بعض إخوانه يعزيه عن أبيه : وصلتَ رَقْعَتَكَ يَاسِيدِي والمصاب لعمر الله كبير ، وأنتَ بالجزع جدير ، ولكنك بالعزاء أجدر ، والصبرُ عن الأحبة رشداً كأنه النقي ، وقد مات الميتَ فليخَيِّ الحَيَّ ، والآل فاشدُّ على مالك بالخلس ، فانتَ اليوم غيرُك بالأمس ، وكان الشيخُ رحمه الله وكيلك ، تضحك ويبكي لك ، وقد موَّلَكَ ما أُلْفَ في سراه ^(٣) وسيره ، وخلفَكَ فقيراً إلى الله غنياً عن غيره ، وسيعجُمُ الشيطانُ عودَكَ ، فإن استلانك رماك بقومٍ يقولون : خيرُ المال ما أتاف بين الشراب والشباب ، وأنفق بين الحَبَابِ ^(٤) والأحباب ، والعيش بين القَدَاحِ والأقداح ^(٥) ، ولولا الاستعمال ، ما أريد المال ! فإن أطعمتهم فاليوم في الشراب ، وغداً في الخراب ، واليوم واطرَباً للكَاس ، وغداً واحرباً من

(١) أرتاد: أطلب (م) (٢) في نسخة « فهاهي نيسابور » (م)

(٣) في نسخة « ما أُلْفَ من سراه » (م) (٤) الحباب - بفتح الحاء - وهي

نفاخات الماء (م) (٥) القداح : أراد بها قداح البسر . والأقداح : أراد بها كؤوس الخمر ، يعنى يضيع المال بين المقامرة والسكر (م)

الإفلاس ، يامولاي ذلك الخارجُ من العود يسميه الجاهل نَقْرًا ، ويُسميه العاقل فقراً . وكذلك المسموع في الناي ، هو في الآذان زَمْزَمٌ ، وفي الأبواب سَمْرٌ ، فإن لم يجد الشيطان مغمزاً في عودك من هذا الوجه ، رَمَاكَ بقوم يمثّلون الفقرَ حِذَاءَ عينيك ، فتجاهد قلبك ، وتحاسب بطنك ، وتناقش عرسك^(١) ، وتمنع نفسك ، وتتوقّى دنياك بوزرك ، وتراه في الآخرة في ميزان غيرك ، لا ، ولكن قَصْداً بين الطريقين ، وميلاً عن القرّيقين ، لا مَنع ولا إسراف ، والبخل فقرٌ حاضر ، وضربٌ عاجل ، وإلما يبخلُ المرء خيفة ما هو فيه .

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقرٍ فالذي صنع الفقرَ وليكن لله في مالك قسم ، وللمروءة قسم ؛ فصلِ الرّحم ما استطعت ، وقدر إذا قطعت ، فلأن تكون في جانب التقدير ، خيرٌ من أن تكون في جانب التبذير .

وله إلى رئيس عناية برجل : كتابي أظال الله بقاء الرئيس ، والكتاب مجهول ، والكتاب فضول ، وبحسب الرأي موقعه ، فإن كان جميلاً فهو تطوّل ، وإن كان شيناً فهو تقوّل ، وأية سلاك الظنّ فله - أيده الله تعالى - المنّ ، من نيسابور عن سلامة شاملة نسل الله تعالى ألاّ يُلهينا بسكرها ، عن شكرها ، والحمد لله رب العالمين . يقول الشيخ - أيده الله تعالى : من هذا الرجل ؟ وما هذا الكتاب ؟ فأما الرجلُ فخاطبٌ ودّ أولاً ، وموصل شكر ثانياً ؛ وأما الكتابُ فليحام أرحام الكرام ؛ فإن يُعِن الله الكرام تتصل الأرحام . هذا الشريف قد حاربَ زمانُ سوء ؛ فأخرجه من البيت الذي بلغ السماء مفعراً ، ثم طلب فوقه مظهماً^(٢) ؛ وله بعدُ جلالَةُ النسب ، وطهارةُ الأخلاق ، وكرمُ العهد ، وحضرتي فسألته عما وراءه ، فأشار إلى ضالّة الأحرار ، وهو السكرم مع اليسار ،

(١) عرس الرجل - بكسر العين وسكون الراء - زوجة (م)

(٢) هاتان الفقرتان مأخوذتان من قول النابغة الجعدي :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظمرا

وَنَبَّهَ عَلَى قَيْدِ الْكَرَامِ ، وَهُوَ الْبِشْرُ مَعَ الْإِنْعَامِ ، وَحَدَّثَ عَنْ بَرْدِ الْأَكْبَادِ ،
وَهُوَ مُسَاعِدَةُ الزَّمَانِ لِلْجَوَادِ ، وَدَلَّ عَلَى نَزْهَةِ الْأَبْصَارِ ، وَهُوَ الثَّرَاءُ ، وَمُتَمِّعَةُ
الْأَسْمَاعِ ، وَهُوَ الثَّنَاءُ ، وَقَلِمَا اجْتَمَعَا ، وَعَزَّ مَا وَجِدَا مَعَا . وَذَكَرَ أَنَّ الشَّيْخَ
الرَّئِيسَ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - جَمَعَ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ ، وَسَأَلَنِي الشَّهَادَةَ لَهُ ، وَبَذَلَ
الْخَطَّ بِهَا ، فَفَعَلْتُ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ إِعَانَتَهُ عَلَى هِمَّتِهِ ؛ فَرَأَى الشَّيْخُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ
تَعَالَى فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَا كَتَبْتُ ، وَفِي الْإِجَابَةِ - إِنَّ نَشِيطَ - الْمَوْفِقِ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ

وله إلى ابن أخته : وَصَلَ كِتَابُكَ بِمَا ضَمَنْتَهُ مِنْ تَطَاهُرٍ نَعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَعَلَى
أَبُوبِكَ ، فَسَكَنْتَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ حَالِكَ ، وَسَأَلْتُ اللَّهَ بَقَاءَكَ ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي
لِقَاءَكَ ، وَذَكَرْتُ مَصَابِكَ بِأَخِيكَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَكَأَنَّمَا فِتَتْ عَضْدِي ،
وَطَعَنْتَ فِي كَبْدِي ، فَقَدْ كُنْتَ مَعْتَصِدًا بِمَكَانِهِ ، وَالْقَدْرُ جَارٍ لِسَانِهِ ، وَكَذَلِكَ
الْمَرَّةُ يَدْبُرُ ، وَالْقَضَاءُ يَدْمُرُ ، وَالْأَمَالُ تَنْقَسِمُ ، وَالْأَجَالُ تَبْتَسِمُ ، فَاللَّهُ يُجْعَلُهُ لَكَ
فَرَطًا ، وَلَا يُرِينِي فِيكَ سُوءًا أَبَدًا ، وَأَنْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَارِثُ عَمْرِهِ ، وَسَدَادِ
تَفَرُّهِ ، وَنِعْمَ الْعَوَاضُ بِقَاوُك .

إِنَّ الْأَشْءَ إِذَا أَصَابَ مُشَدَّبًا مِنْهُ أَتَمَّهَلُ ذُرًّا وَأَثَّ أَسَافِلًا^(١)

وَأَبُوكَ سَيَدِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَلْهَمَهُ الْجَمِيلَ ، وَهُوَ الصَّبْرُ ، وَأَنَالَهُ الْجَزِيلَ ،
وَهُوَ الْأَجْرُ ، وَأَمْتَمَّعُهُ بِكَ طَوِيلًا ، فَمَا سُوءَتْ بِدِيلًا ، وَأَنْتَ وَلَدِي مَا دَمْتُ
وَالْعِلْمُ شَانُكَ ، وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ ، وَالْدَفْتَرُ نَدِيمُكَ ، وَإِنْ قَصُرَتْ ، وَلَا إِخْلَاكَ ،
فَغَيْرِي خَالِكَ .

وله من كتاب إلى أبي القاسم الداودي بسجستان :

كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْفَقِيهِ - كِتَابٌ مَنْ يَنْسَى الْأَيَّامَ وَتَذَكُّرَهُ ، وَيَطْوِيهَا

(١) الْأَشْءُ - بَزَنَةُ السَّحَابِ - صَغَارُ النَّخْلِ ، وَالْمَشَدَّبُ : الَّذِي يَقْطَعُ الْقَشُورَ
وَالْعِيدَانِ الْمَتَفَرِّقَةَ مِنَ الشَّجَرِ ، وَأَتَمَّهَلُ : اعْتَدَلُ وَانْتَصَبَ ، وَالدَّرَا : الْأَعَالَى ، وَأَثَّ :
التَّفَّ وَكَثُرَ (م)

وتنشره ، ويبعد أبناء دهره ، وراء ظهره ، ويخرج أهل زمانه ، من ضيانه ، فإذا تناولهم بيمينه ، وتسلمهم بيسراه ، أقسم أن صفقته هي الراجحة ، وكفته هي الراجحة ، وأنا - أيد الله الفقيه - على قرب العهد ، بالمهد ، قد قطعت عرض الأرض ، وعاشرت أجناس الناس ، فما أحدٌ إلا بالجهل اتبعته ، وبالخبرة بعته ، وبالظن أخذته ، وباليقين نبذته ، وما أحدٌ وضعته في أحدٍ إلا ضيعته ، ولا مدحٌ صرفته إلى أحدٍ إلا غربته ، ومن احتاج إلى الناس ، وزنتهم بالقسطاس ، ومن طاف نصف الشرق ، فقد لقي رُبَّ الخلق ، ومن لم يجد في النصف لمحة دالة ، لم يجد في الكل غرة لأتمة ، وكان لنا صديقٌ يقول : إن عشت تسعين عاماً لم أملك ديناراً ؛ لأنى قد عشت ثلاثين ولم أملك ثلثها ، وهذا امرئ يأس ، يوجب قياس ، وقنوط ، بالحجة منوط ، ودعابة ستكون جيداً ، ووراء هذه الجملة موجدة على قوم ، وعزبة إلى يوم ، والأمير السيد واسعُ مجال الهمم ، ثابتُ مكان القدم ، وأنا في كنفه صائبُ سهم الأمل ، وأفرُّ الجذل ، والحمد لله على ما يؤليه ، ويؤلينا معشر مواليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وذريته .

وله إلى إبراهيم بن حمزة خادم الأستاذ الجليل : قد أتبع قدمه ، إلى الخدمة قلمه ، وأتلى لسانه ، في الحاجة بناءً ، وقد كان استأذنه في توفير هذا اليوم في مجلس السيد الجليل فأذن له على عادته السليمة ، وشيمته القويمة ، ومن وجد كلاً رتبع^(١) ، ومن صادف غيثاً انتجع^(٢) ، ومن احتاج للحاجات سأل ، وبقي أن يشفع الأستاذ الجليل بإزاء الحوض عفرة^(٣) ، وينظم إلى روض الإحسان مظره ، ويطرز أنسناً بأبي فلان ؛ فقد وصِف لي حتى حننت شوقاً إليه ، ووجداً به ، وشغفاً له ، وغلواً فيه ، ورأيت في الإصغاء إلى الكرم عالٍ ، إن شاء الله تعالى .

(١) الكلاء - بوزن الجبل - العشب رطبه ويابس ، ورتع : رعى (م)

(٢) الانتجاع : طلب المرعى (م)

(٣) العفر - بوزن الجبل - وجه الأرض ، وأول سقية سقيها الزرع (م)

[من مقامات بديع الزمان]

المقامة
السجستانية

ومن إنشائه في مقامات أبي الفتح السكندري :

حدثنا عيسى بن هشام قال: حداني إلى سجستان أرب^(١)، فاقتعدت طيئته، وامتطيت مطيئته، واستخرت الله تعالى في العزم حدوته أمانى، والحزم جعلته قدأمانى، حتى هداني إليها، ووافيت دروبها^(٢)، وقد وافت الشمس غروبها، واتفق المبيت حيث انتهيت؛ ولما انتضى نضل الصباح، وبرز جبين الصباح، مضيت إلى السوق أتخذ منزلا، فحيث انتهيت من دائرة البلد إلى نقطتها، ومن قلادة السوق إلى واسطتها، خرقت سمعى صوت له من كل عرق معنى، فانتحيت وفده، حتى وقفت عنده؛ فإذا رجل على فرسه، محتنق بنفسه، قد ولاني قذاله وهو يقول: من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى، أنا با كورة الين، أنا أحدىثة الزمن، أنا أدعية الرجال، وأحجية ربات الحجال^(٣)، سلوا عنى الجبال وخزونها، والبحار وعيونها، والخيل ومتونها، من الذى ملك أسوارها، وعرف أسرارها، ونهج ستمتها، وولج حررتها؟ وسلوا الملوك وخزائنها، والأغلاق ومعادنها، والعلوم وبواطنها، والخطوب ومعالقها، والحروب ومضابقتها، من الذى أخذ مختزنها، ولم يؤد ثمنها؟ ومن الذى ملك مفاتيحها، وعرف مصالحها؟ أنا والله فعلت ذلك، وسفرت بين الملوك الصييد، وكشفت أستار الخطوب السود. أنا والله شهدت حتى مصارع العشاق، ومرضت حتى لمرض الأحداق، وهصرت الفصون الناعمات، وجنيت جنى الحدود المورديات، ونفرت عن الدنيات نفور طبع الكريم عن وجوه اللثام، ونبوت عن الحرمات نبوء سمع الشريف عن قبيح الكلام، والآن لما أسفر صبح المشيب، وعلمتني أئمة الكبر، عمدت

(١) حدانى : بعثنى ، والأرب - بالتجريك - الحاجة (م)

(٢) الدروب : جمع درب ، وأصله الطريق الموصول إلى بلاد الروم (م)

(٣) الأدعية والأحجية : الكلام الذى يخالف معناه لفظه (م)

لإصلاح أمر المعاد ، بإعداد الزاد ، فلم أر طريقاً أهدي إلى الرشاد مما أنا سالكه ،
يراني أحدكم راكب فرس وهوس^(١) ، فيقول : هذا أبو العجب ، لا ، ولكني
أبو العجائب ، عاينتها وعاينتها ، وأم الكباثر قايستها وقايستها ، وأخو الأغلاق ،
صعباً أخذتها ، وهوناً أضعتها ، وغالياً اشتريتها ، ورخيصاً بعثها ؛ فقد والله صحيت
هذا الموكب ، وزاحمت المناكب ، ورعيت الكواكب ، وأنصيت الركائب ،
ولا منّ عليكم ، فما حصلتها إلا لأمرى ، ولا أعددتها إلا لأنفسي ، لكنني دُفِعتُ
إلى مكاره نذرتُ معها ألا أدخر عن المسلمين نفقها ، ولا بد لي أن أخلع ربة
هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم ، وأعرض دوائى هذا فى أسواقكم ، فليشتريه
منى من لا يتقزز من موقف العبيد ، ولا يأنف من كلمة التوحيد ، وليعشئه من
أنجبت جدوده ، وسقى بالماء الطاهر عوده .

قال عيسى بن هشام : فدرت إلى وجهه لأعلم علمه ، فإذا شيخنا أبو الفتح
الإسكندري ، وانتظرت إجمال النعامة بين يديه ، ثم تعرضت فقلت : كم يحل
دواءك هذا ؟ قال : يحل الكيس ما مست الحاجة ؛ فانصرفت وتركته .

ومن إنشائه فى هذا الباب : حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بمدينة المقامة القردية
السلام ، قافلاً من البيت الحرام^(٢) ، أميس مئيس الرجل^(٣) ، على شاطئ الدجلة ،
أتأمل تلك الطرائف ، وأتقصى تلك الزخارف ، إذ انتهيت إلى حلقة رجال
مزدحمين ، يلوى الطرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقنى الحرص
إلى ما ساقهم ، حتى وقفت بمسمع صوت رجل دون مرأى وجهه ، لشدة
الهجمة ، وفرط الزحمة ، وإذا هو قراد يرقص قرده ، ويضحك من عنده ،
فرقص رقص المخرج ، وسرت سير الأرج ، فوق أعناق الناس ، يلفظنى
عائق هذا لسرة ذاك ، حتى افترشت لحيه رجلين ، وقعدت بين اثنين ، وقد

(١) فى المقامات « راكب فرس ، ناثر هوس » (م)

(٢) مدينة السلام : بغداد ، وقافلاً : راجعاً (م)

(٣) أميس : أتبختر ، والرجلة : ضرب من البقول يقال له « البقلة الحماة » (م)

أشرفني الحجل بريقه ، وأرهقني المكان لضيقه ، فلما فرغ القراء من شغلهم ،
وانتفض المجلس عن أهله ، قمت وقد كساني الرّيب حُلَّتَه ، ووقفت لأرى صورته ،
فإذا أبو الفتح الإسكندري ، فقلت : ما هذه الدناءة ؟ ويحك ! فقال :

الذنبُ للأيام لَا لي فَأَعْتَبَ على صَرْفِ اللَّيَالِي
بالْحَقِّ أدرَكْتُ الْمُنَى وَرَفَلْتُ في ثَوْبِ الْجَمَالِ

المقامة
الإصفهانية

ومن إنشائه في هذا الباب أيضاً : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت
بأصفهان أعزّم المسير إلى الرّميّ ، فخلتها حول النّيّ^(١) ، أتوقّع الثّقلة كلّ لمحة ،
وأترقب الرّحلة كلّ صَبْحَة ؛ فلما حُمّ ما توقّعت ، وأزِف ما ترقّبت ، نُودِي
للصلاة نداءً سمعته ، وتعيّن فرضُ الإجابة ؛ فانسلّلت من بين الصحابة ، أغنم
الجماعة أدركها ، وأخشى فوات القافلة أتركها ، لِسكني استعنتُ ببركة الصلاة ، على
وَعَثَاء القِلاَة ؛ فِصِرْتُ إلى أول الصفوف ، وَمَثَلْتُ للوقوف ، وتقدّم الإمام
للمِحْرَاب ، وقرأ فاتحة الكتاب ، [وثنّى بالأحزاب^(٢)] ، بقراءة حمزة ، مدّةً وهمةً ،
وأتبع الفاتحة بالواقعة ، وأنا أتصلى بنار الصبر وأتصلّب ، وأتقلى على جمر الغيظ
وأثقلّب ، وليس إلا السكوت والصبر ، أو الكلام والقبر ، لِمَا عرفت من خشونة
القوم في ذلك المقام ، أن لو قطعتُ الصلاة دون السلام ، فوقفتُ بقدّم الضرورة
على تلك الصورة ، إلى انتهاء السورة ، وقد قنطُت من القافلة ، ويئُسْتُ من
الراحلة ، ثم حتى قوّسَه للركوع ، بنوعٍ من الخشوع ، وضربٍ من الخضوع ،
لم أعهدَه قبل ذلك ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال : سَمِعَ اللهُ مِن حَمْدِهِ ، وقام ،
حتى ما شككتُ أنه نام ، ثم أَكَبَّ لوجهه ، فرفعت رأسي أنْتَهَزْتُ فُرْصَةً ،
فلم أَر بين الصفوف فُرْجَةً ، فعدّدت للسجود ، حتى كَبَّرَ للقعود ، وقام للركعة
الثانية ، وقرأ الفاتحة والقارعة ، قراءةً استَوَفَى فيها عُمرَ الساعة ، واسترقّ أرواح

(١) النّيّ : الظل ، وأصله النّيء - بالهمز - فسهل الهمز (م)

(٢) هذه الكلمة ليست في المقامات ، والصواب تركها ؛ لأنه سيقول بعد ذلك

« وأتبع الفاتحة بالواقعة » (م)

الجماعة ، فلما فرغ من ركعتيه ، مال للتحية بأخذه عليه ، فقلت : قد قرُبَ الفرج ،
وآن الخرج ، فقام رجل فقال : مَنْ كان منكم يحبُّ الصحابة والجماعة ، فليُعرِنِي
سَمْعَهُ ساعة .

قال عيسى بن هشام : فلزِمْتُ أَرْضِي ، صيانةً لعرضي ، فقال : حقيق على
ألا أقولَ على الله إلا الحق ، قد جئْتُكم ببشارة من نبيكم ، لكني لا أودِّيها
حتى يطهرَ اللهُ هذا المسجد من نَذْلٍ جحدُ نُبوته ، وعادَى أُمته .

قال عيسى بن هشام : فرَبَطْنِي بالقيود ، وشَدَّنِي بالحبال الشود ، ثم قال :
رَأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فِي الْمَنَامِ] كَالشَّمْسِ تَحْتَ الْغَمَامِ ، وَالبدر ليلة التَّمام ،
يسيرُ والنَّجْمُ يَتَّبِعُهُ ، وَيَسْحَبُ الذَّيْلَ وَالْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهُ ، ثُمَّ عَلَّمَنِي دَعَاءً ،
وَأَوْصَانِي أَنْ أُعَلِّمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ ، وَقَدْ كَتَبْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ بِخَلْقٍ ^(١) وَمَسَكٍ ،
وَزَعْفَرَانٍ وَسُكٍّ ؛ فَمَنْ اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ ، وَمَنْ أَعْطَى ثَمَنَ الْقِرْطَاسِ أَخَذْتَهُ .

قال عيسى بن هشام : فَأَنْتَالَتْ عَلَيْهِ الدَّرَاهِمُ ، حَتَّى حَيَّرَتْهُ ؛ وَنَظَرْتُ فَإِذَا
شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ ، فَقُلْتُ : كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى هَذِهِ الْحِيلَةِ ؟ وَمَتَى
انْدَرَحْتَ فِي هَذِهِ الْقَبِيلَةِ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

النَّاسُ حُمْرٌ فَجَوَّزُ وَابْرُزْ عَلَيْهِمْ وَبَرَّزْ
حَتَّى إِذَا نِلْتَ مِنْهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ ففَرَّوْزُ ^(٢)

[جارية ذات أدب وجمال تبذُّ أبناء الخلفاء]

وصفت لعبد الملك بن مروان جاريةً لرجلٍ من الأنصار ذات أدب وجمال ،
فساوَمَهُ فِي ابْتِغَائِهَا ، فامتنع وامتنعت ، وقالت : لا أحتاجُ للخلافة ولا أرغبُ في
الخلافة ، والذي أنا في ملكه أحبُّ إليَّ من الأرض ومنَّ فيها . فبلغ ذلك
عبد الملك فأغراه بها ؛ فأضعف الثمن اصحابها وأخذها قسراً ، فما أعجب بشيء

(١) الخلق - بفتح الخاء - صرب من الطيب ، والسك - بضم السين - مثله (م)

(٢) فروز الرجل - بوزن دحرج - مات (م)

إعجابه بها ، فلما وصلت إليه ، وصارت في يديه ، أمرها بلزوم مجلسه ، والقيام على رأسه ؛ فبينما هي عنده ، ومعه ابتناه الوليد وسليمان ، قد أخلاهما للمذاكرة ، فأقبل عليهما فقال : أى بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال الوليد : قول جرير فيك :
 أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ نَطُونَ رَاحِ
 وقال سليمان : بل قول الأخطل :

شُمُسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
 فقالت الجارية : بل أمدح بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت :
 يُفْشُونَ حَتَّى مَا تَهَرَّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
 فأطرق ، ثم قال : أى بيت قالته العرب أرق ؟ فقال الوليد : قول جرير :
 إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا نَمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا
 فقال سليمان : بل قول عمر بن أبي ربيعة :

حَبَّذَا رَحْمَهَا يَدَيَهَا إِلَيْهَا مِنْ يَدَيِ دِرْعِهَا تَحُلُّ الْإِرَارَا
 فقالت الجارية : بل بيت يقوله حسان :
 أَوْ يَدَبَ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عَلَيْهِمْ لَا تُنْدَبُهَا الْكُلُومُ^(١)
 فأطرق ، ثم قال : أى بيت قالته العرب أشجع ؟ فقال الوليد : قول عنتره :
 إِذْ يَقْعُونَ بَنَى الْأَسِنَّةِ لَمْ أَخْمِ عَنْهَا ، وَلَوْ أَنَّى تَضَاقِقُ مَقْدَمِي^(٢)
 فقال سليمان : بل قوله :

وَأَنَا الْمُنِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا فَاَلَمُوتُ مِنِّي سَابِقَ الْأَجَالِ
 فقالت الجارية : بل بيت يقوله كعب بن مالك :
 نَصِلُ السُّيُوفِ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطَرِنَا قُدُمًا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
 فقال عبد الملك : أحسنت ، وما نرى شيئاً في الإحسان إليك أبْلَغَ مِنْ رَدِّكَ

(١) أندبها . جرحتها ، والكُلُوم : جمع كلم ، وهو الجرح (م)

(٢) لم أخم : لم أجبن ، ولم أنكل ، ولم أحجم (م)

إلى أهلك . فأجل كسوتها ، وأحسن صلتها ، وردّها إلى أهلها .

ومثل قول كعب بن مالك قول نهشل بن حرّى :
 إنا بنى نهشل لا ندعى لأبٍ عنه ، ولا هو بالأبناء يشرينا
 إن تبتدر غايه يوماً لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا
 إنا لمن معشر أفنى أوائلهم قول السكاة : ألا أين الحامونا
 لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس خالهم إياه يعنونا
 إذا الكماة تأبوا أن ينالهم حد السيوف وصلناها بأيدينا^(١)
 إما أردت هذا البيت .

وقوله : * لو كان في الألف منا واحد * أخذه من قول طرفة بن العبد :
 إذا القوم قالوا من فتى خلت أنى عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

[نهشل بن حرّى]

وكان نهشل شاعراً ظريفاً ، وهو نهشل بن حرّى بن ضمّرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ، وكان اسم جده ضمّرة هذا : شقة ، ورد على النعمان بن المنذر فقال : من أنت ؟ فقال : أنا شقة ، وكان قضيفاً^(٢) نحيفاً دميماً ، فقال له النعمان : نسّمع بالمعيدى لا أن تراه ، والمعيدى : تصغير المجدى ، فذهبت مثلاً ، فقال : أبيت اللعن ! إن الرجال لا تُكال بالقفران ، وليست بمسوك^(٣) يستقى بها من الغدران ، وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، إذا نطق نطق ببيان ، وإذا قاتل قاتل بجنان ، فقال : أنت ضمّرة ! ونهشل هو القاتل :

ويوم كائن المصطلين بحره وإن لم يكن جمر قيام على الجمر
 أقننا به حتى تجلى ، وإمسا تفرّج أيام الكريهة بالصبر

(١) الذى أحفظه عن الحماسة « إذا السكاة تنذروا أن يصيبهم * حد الظباء » (م)

(٢) القضيف : النحيف (م) (٣) مسوك : جمع مسك - بالفتح - وهو الجلد (م)

[أثر الشعر]

وكان عبدُ الملك يقول : يا بني أُمّية ، أحسابُكم أعراضُكم ، لا تعرضوها على الجهال ، فإنّ الذمَّ باقٍ ما بقى الدهر ؛ والله ما سرّني أني هُجيت بيت الأعشى ، وأن لي طلاعَ الأرض ذهباً ، وهو قوله في علقمة بن عُلانة :

يبيتون في المشتى ملاء بطونهم وجاراتهم غرني يبتن خائفا
والله ما يُبالى من مُدح بهذين البيتين ألا يُمدح بغيرها ، وهما قول زهير :
هنالك إن يستخبلوا المالَ يُخبلوا وإن يسألوا يعطوا وإن يئسروا يُفلوا^(١)
على مُكثريهم حقٌّ من يفتريهم وعند المقلين الساحة والبدل
وقال ابنُ الأعرابي : أمدحُ بيتٍ قاله المحدثون قولُ أبي نواس :

أخذتُ بجَبَلٍ من حبالِ محمدٍ أمنتُ به من طارقِ الحدّثانِ
[تغطيت من دهرى بظل جناحه فعيني ترى دهرى وليس يرانى
فلو تسأل الأيامُ عني ما درتُ وأين مكاني ما عرفن مكاني
وهذا كقول أعرابي ، ذكر بعضُ الرواة أن مالك بن طوق كان جالسا في بهوٍ مطلٍّ على رحبته ومعه جلساؤه ، إذ أقبل أعرابي تحبَّب به ناقته ، فقال : إياي أُراد ، وبحوى قصد ، ولعل عنده أدباً يُنتفع به . فأمر صاحبه بإدخاله ، فلما مثل بين يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : الأمل في سئب الأمير والرحاء لنا لله^(٢) .
قال : فهل قدّمت أمام رغبتك وسيلة ؟ قال : نعم ، أربعة أبيات قلّتها بظهر البرية ؛ فلما رأيت ما بباب الأمر من الأهبة والجلالة أستصغرتها ، قال : فهل لك أن تنشدنا أبياتك ؟ ولك أربعة آلاف درهم ، فإن كانت أبياتك أحسن فقد ربحتنا عليك ، وإلا قد نلت مرادك وربحت علينا ، قال : قد رضيت ، فأنشده :

(١) يستخبلوا المال : يطلب إليهم أن يعيروا إليهم ليشرّب المستعير ألبانها وينتفع بأوبارها ، ويسروا : يدخلوا في لعب الميسر (م)
(٢) السئب : العطاء ، ومثله النائل (م)

وما زلتُ أخشى الدهر حتى تعلقت يداي بمن لا يتقي الدهر صاحبه
 فلما رآني الدهر تحت جناحه رأى مرَّتقي صعبا منيعا مطالبه
 وأنى بحيث النجم في رأس باذخر تظلُّ الورى أكنافه وجوانبه
 فقى كساء الغيث والناس حوله إذا أجذبوا جادت عليهم سحائبه
 قال : قد ظفرتنا بك يا أعرابي ، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم .
 قال : فإن لى صاحباً شاركته فيها ما أراه يرضى بيبي ، قال : أترك حدثت نفسك
 بالنكث ؟ قال : نعم ، وجدتُ النكث في البيع أيسرَ من خيانة الشريك ،
 فأمر له بها .

[أنصف بيت ، وأصدق بيت]

وأنصف بيت قالته العرب قولُ حسان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث في
 جوابه عما هجا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى محمد بن عمار عن أبيه
 قال : أنشد النبيَّ حسانُ بن ثابت قوله :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعَنْبَدَ اللَّهُ فِي ذَاكَ الْجِزَاءَ
 فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَزَاؤُكَ الْجَنَّةُ يَا حَسَّانَ .
 فلما انتهى إلى قوله :

فإن أبى ووالده وعرضى لعرضٍ محمدٍ منكم وقاه
 قال النبيَّ عليه السلام : وقاك الله حرَّ النار .
 فلما قال :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكَفٍّ فَشَرَكَا خَيْرًا الْفِدَاءَ
 قال مَنْ حضر : هذا أنصف بيت قالته العرب .
 وأصدق بيت قالته العرب وأمدحه قولُ كعب بن زهير في رسول الله
 صلى الله عليه وسلم :

تحمله الناقة الأدماء معتجرا بالبُرْدِ كالبدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظَّلمِ
 وفي عِطَافَيْهِ أَوْ أَثْنَاءَ بَرْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمَنْ كَرَمِ
 (١٧ — زهر الآداب :)

وقال الأصمعي : والجهال يروون هذا البيت لأبي دهب ، واسمه وهب بن ربيعة ، في عبد الله بن عبد الرحمن الأزرق وإلى اليمامة ، والصواب ما ذكرناه ، وهو بصفات النبي صلى الله عليه وسلم أغلق ، وبمدحه أليق .

ألفاظ لأهل المصر في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

سليلاً أكرم نَبْعَةً ، وقريع أشرف بقعة . جاب بأمته الظلمات إلى النور ، وأفاء عليهم بالظلم بعد الحرور . وهو خِزْرَةُ الله من خلقه ، وحجَّته في أرضه . الهادي إلى حقه ، والمنبئ على حكمه . والداعي إلى رُشده ، والآخذ بفرضه . مبارك مولده ، سعيدة غرته ، قاطعة حجَّته ، سامية درجته ، ساطع صباحه ، متوقد مصباحه ، مظفَّرة حروبه ، مُيسِّرة خطوبه ، قد أفردَ بالزعامة رجده ، وختمَ بأن لا نبيَّ بعده . يُفصِّح بشعاره على المنابر ، وبالصلاة عليه في المحاضر ، وتعمر بذكره صدور المساجد ، وتستوي في الانقياد له حالة المقرِّ والجاحد . آخر الأنبياء في الدنيا عمراً ، وأولهم يوم القيامة ذكراً ، وأرجحهم عند الله ميزاناً ، وأوضحهم حجة وبرهاناً . صدع بالرسالة ، وبلغ بالدلالة ، ونقل الناس عن طاعة الشيطان الرجيم . أرسله الله قرأً للإسلام منيراً ، وقدراً على أهل الضلال مبيراً . صلى الله عليه وسلم . خير من افتتحت بذكره الدعوات ، واستنجحت بالصلاة عليه الطلبات . خير مبعوث ، وأفضل وارث وموروث . وخير مولود ، دعا إلى خير معبود . صلى الله عليه وعلى كاشف الغمة عن الأمة . الناطق فيهم بالحكمة ، الصانع بالحق ، الداعي إلى الصدق ، الذي ملك هَوَادِي الهدى ، ودلَّ على ما هو خير وأبقى . صلى الله عليه بشير الرحمة والثواب ، ونذير السطوة والعقاب . صلى الله على أتمِّ بريته خيراً وفضلاً ، وأطيبهم فرعاً وأصلاً ، وأكرمهم عوداً ونجاراً ، وأعلامهم منصبا وفخاراً ، وعلى أهله الذين عظمهم توقيراً ، وطهرهم تطهيراً هم مقاليد السعادة ومفاتيحها ، ومعارجُ البركة ومصاييحها . أعلام الإسلام وأيمان الإيمان . الطيبون الأخيار ، الطاهرون الأبرار . الذين أذهب عنهم الأرجاس ، وجعل مودتهم واجبة على الناس . هم حَبْلُ الهدى وشجرة الإيمان ، أصلها نبوة ، وفرعها مروءة ، وأغصانها تنزيل ، وورقاتها تأويل ، وخدمتها ميكال وجبريل .

لبديع الزمان
الهمداني

ولبديع الزمان إلى بعض الأشراف في درج كلام تقدّم :

إن جعلنا نعدُّ فخركم ، ونحدُّ آثاركم ، فإلحصى قبل نفوذها ، وفنيت الخواطر ، قبل أن تغنى المآثر ، ولم لا ، وإن ذكر الشرف فأنتم بنو بجدته ، أو العلم فأنتم عاقدو إزرتة . أو الدين فأنتم ساكنو بلدته ، أو الجود فأنتم لابسو جلده ، أو التواضع صبرتم لشدّته ، أو الرأي صُلّتم بجدته ، وإن بيتاً تولى الله عز وجل بناءه ، ومهد الرسول عليه السلام فناءه ، وأقام الوصي رضوان الله عليه عمادته ، وخدم جبريل عليه السلام أهله ، لحقيق أن يُصان عن مدح لسان قصير .

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أعرابيٌّ فقال : بأبي وأمي رسول رب لأعرابي العالمين ، ختمت به الدنيا ، وفتحت به الآخرة ، صلى الله عليه وسلم ، به يبدأ الذكّر الجليل ويختم .

إلى هذا المكان أمسكت العنان . والإطناب في هذا الكتاب يعظم ويتسع ، خاتمة المؤلف بل يتصل ولا ينقطع ؛ إذ كان غرضي فيه أن ألمح المعنى من معانيه ، ثم أنجز معه حيث أنجز ، وأمرّ فيه كيف مرّ ، وآخذ في معنى آخر غير موصول بشكله ، ولا مقرون بمثله ، وقد أخل نظاما ، وأفرد تواما ، نشرّا لبساط الانبساط ، ورغبة في استدعاه النشاط . وهذا التصنيف لا تدرك غايته ، ولا تُبلغ نهايته ؛ إذ المعاني غير محصورة بعدد ، ولا مقصورة إلى أمد . وقد أبرزت في الصدر ، صفحة العذر ، يحولُ فرئدها ، وينقبُ زندها ، وذلك أني ما ادّعت فيما أتيت إلا ما [لا] يكون ما تركته أفضل مما أدركته ، وأنّي لم أسلك مذهبا مخترعا لم أسبق إليه ، ولا قصدت غرضاً مبتدعاً لم أغلب عليه ، ومن ركب مطيّة الاعتذار ، واجتنب خطيّة الإصرار فقد خرج من تبعّة التقصير ، وبرىء من عهدة المعاذير .

وأما بعد فإن أحق من احتسّم إليه واقتصر عليه الاعتراف بفضل الإنصاف ، وليعلم من يُنصف أن الاختيار ليس يعلم ضرورة ، ولا يوقف له على صورة ، فيكثر الإغماض ، ويقل الاعتراض ، ويعلم أن ما لا يقع بهواه ، قد يختاره سواه ، وكلّ يفعل اقتداره ، ويحسن اختياره ، فلو وقع الاجتماع على ما يُرضى ويُسخط ، ويثبت ويسقط ، لارتفع حجاج المختلفين ، في أمر الدنيا والدين .

وقال المتنبي :

تخالف الناسُ حتى لا اتفاقَ لهم إلا على شَجَبٍ والخلف في الشَجَبِ
فَقِيلَ : تخلصُ نفسُ المرءِ سالمةً وقيل : تشركُ جسمُ المرءِ في العطبِ
الشجب : الموت ، وهى لفظة معروفة ، وإن كانت غير مألوفة عند أهل النقد .
وقد أنكرها المحترى على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مجاذبته إياه حيث يقول :
وَلَوْ أَنَّ الْحَكِيمَ وَازَنَ فِي الْإِلْفَظِ واختار لم يقل شجبهُ
وكان أبو الطيب نظر إلى مارواه أبو ظبيان ، قال : اجتمع نفرٌ من أهل الكلام
على رجل من الملحدين ، فجعلوا لا يأتون بمسألة إلا سألهم الدليل عليها ، وناقضهم
فيها ، فأعيام كثرة ما يقول ويقولون ، فقال بعضهم : أما بعد فإن الموت لاشك فيه
فقال الملحد : ما رأيتُ خاطباً وواعظاً وشاهداً لا يُردُّ أوجز منه ، ولما ترى معنى
إلا وهو يدافع أو يناقض ويحارُّ به عن سواء الحجة . وقيل : من طلب عيباً وجده . قال
أبو عمرو بن سعيد القُطْرُبِيُّ : ليس من بيتٍ إلا وفيه لطاعنٌ مَطْعَنٌ ، إلا قول الحطيئة :
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناسِ
وقول طَرْفَةَ بن العبد :
ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وقول على بن زيد :

عن المرء لا تسَلْ وسلَّ عن قرينه فكل قرينٍ بالمفارقِ مُقْتَدِرٍ
وللعلم بذلك قال قتيبة بن مسلم لأبي عتياش المنتوف ، وقد دخل عليه وبين
يديه سلة زعفران : أنشدني بيتاً لا يصارف ولا يكذب وهى لك ، فأنشده ما ليس
لطاعن فيه مطعن :

فما حَمَلَتْ من ناقةٍ فوق كورها أبَرَّ وأوفى ذمَّةً من محمدٍ
[صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرَّم ، وشرف وعظَّم ، وعلى آله الطيبين ، وسلم تسليماً]

قد تم كتاب « زهر الآداب ، لأبي إسحاق الحصرى »
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على كريم الآباء والأمهات

فهرس الجزء الرابع من كتاب
« زهر الآداب ، وثمر الألباب » لأبي إسحاق الحصرى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
فقير في تهوين العلة	١٢١	فاتحة الجزء	١٠٢
—	—	نماذج من الشعر الجيد	١٠٨
جمل في شكاة أهل الفضل	١٣٠	لابن المعتز	١٠٨
جمل في تنسم الإقبال وذكر الإبلال	١٣٢	لعلى بن الحليل أمام الرشيد	١٠٩
فقير في أدعية العيادة	—	وصف دعوة لمحمد بن حازم	١١١
من كلام الأطباء والفلاسفة	١٣٣	من مستحسن الأجوبة	١١١
فقير في ذكر المرض والصحة	١٣٥	من ترجمة معن بن زائدة وأخباره	١١٢
من الأجوبة المفحمة	—	الرأى والشجاعة	١١٢
رثاء قدح انكسر	١٣٨	قضاء الله وعدله	١١٣
لكشاحم في رثاء منديل	—	بنو كليب	١١٣
وله يصف سقوط الثلج	١٣٩	من جيد كلام الأعراب	١١٦
للصنوبرى	١٤٠	جمل من ألوان المديح	١١٧
لأبي الفتح البسقى	—	ألفاظ لأهل العصر في ضروب المباح	١٢٠
لأبي الفضل الميكالى	١٤٠	أدعية في صدور الكتب	١٢١
لأهل العصر في وصف الثلج والبرد	١٤١	لابن المعتز في القاسم بن عبيد الله	١٢١
لهم في وصف القيظ والحار	١٤٢	منزلة صناعة الكلام	١٢٣
العجلة أم الندامة	—	بعض ما قيل في النسب	١٢٣
تأميل ورد جاء	١٤٢	لأبي كبير الهذلي	١٢٤
من حسن التقسيم	١٤٥	عمران بن حطان والحجاج	١٢٥
بين قينة وأرملة من عشاقها	١٤٧	من ترجمة عمران بن حطان	١٢٦
بين ابن المعتز وقينة	١٤٨	بين أعرابي وبعض الولاة	—
بين ابن المعتز وبعض الوزراء	—	الدنيا وأهلها	—
من شعر ابن المعتز	١٥٠	أربع كلمات طيبات	١٢٧
جرير في المدينة يغرى بشعر قيس	—	بين معاوية وعمر بن سعيد	—
ابن الخطيم	١٥٢	من نواضع الرشيد	١٢٨
يعقوب بن داود	—	للمتنبى في حمى أصابته بمصر	—
بين أحمد بن أبي دواد والوائق	١٥٣	ألفاظ لأهل العصر في العيادة	—
من خطباء العرب شبيب بن شبة	—		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
من رسائل البديع	١٨٩	١٥٤ ومنهم خالد بن صفوان	
عفو عن ذى جريرة	١٩١	— سحبان وائل	
لأهل العصر في التهنية بالإطلاق	١٩٢	١٥٥ عجلان بن سحبان	
— لأبي نواس في مدح الأبي		— دغفل بن حنظلة النسابة	
بين الأخطل ومعاوية	١٩٤	١٥٦ عزة الخليل بن أحمد	
بين السفاح وأبي نخيلة	١٩٥	١٥٧ من رسائل الصابي	
من شعر الخنساء	١٩٦	١٥٩ من رسائل بديع الزمان	
١٩٧ مما يستحسن من رثاء الخنساء		١٦١ المقامة الأذر يجانية للبديع	
١٩٨ ليلي الأخيلية صاحبة توبة بن الحمير		١٦٣ مختار من الشعر في أيام الشباب والمشيب	
١٩٩ موازنة بين الخنساء ويلي		١٦٨ شذور لأهل العصر في وصف الشيب	
١٠٠ لابن الرومي		١٧٠ قمر لغير واحد في المشيب	
— للخنساء		١٧٢ بعض ما قالوه في الخضاب	
١٠٠١ عمرو بن الشريد وأبناء صخر ومعاوية		١٧٤ الوليد بن يزيد بن عبد الملك	
— من رثاء ليلي الأخيلية لتوبة		١٧٥ بين الحجاج وأهل العراق	
١٠٠٢ وفود ليلي على معاوية		١٧٦ جامع المحاربي	
١٠٠٤ وفودها على مروان بن الحكم		— أيوب بن القرية	
١٠٠٥ وفودها على الحجاج الثقفي		١٧٧ كثير بن أبي كثير والحجاج	
١٠٠٩ العباس بن مرداس السلمي		— مختار مما قالوه في المديح	
١٠١٠ عود إلى رثاء شواعر العرب		١٧٨ الشراب وخطره	
١٠١٢ عبرات المحبين		١٧٩ من اعتلال الطفيليين وحيلهم	
١٠١٤ من أخبار العباس بن الأحنف		١٨١ وصف طائر	
١٠١٥ موازنة بين العتابي والعباس		— أحظى النساء عند المهدي	
الأحنف		١٨٢ وصف غلام	
١٠١٩ العين والقلب		١٨٣ بين خالد بن صفوان وعلى بن الجهم	
— من مأثور الحكم		١٨٤ كرة الحدثنان	
١٠٢٠ الهوى		— مختار مما قالوه في الرثاء	
١٠٢٣ من رسائل أبي الفضل الميكالي		١٨٥ من أخبار حارثة بن بدر الغداني	
١٠٢٥ من شعر الميكالي		١٨٧ وصف امرأة	
١٠٢٦ الأرتياح لقضاء حوائج الناس		— من كلام الأعراب	
١٠٢٧ بين عميلة الفزارى وأسيد بن		١٨٨ المقامة الأزاذية لبديع الزمان	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٢٨	من غرر المداخ	١٠٦٤	افضل العمامة
—	صروف الدهر	—	من رسائل ابن العميد
١٠٢٩	من لا يوفي النعم حقها	١٠٦٦	اهرب من الوباء
—	عود إلى غرر المداخ	—	قتيل الهوى
١٠٣٠	فعلات الأجواد	١٠٦٧	ابن عباس جبر قریش
١٠٣٢	من نوادر الرثاء	—	مسلم بن الوليد صريع القواني
—	رثاء قرد	١٠٦٩	من شعر أبي نواس
—	رثاء ثور	—	وصف جيش للعتبي
١٠٣٥	عود إلى المختار من الرثاء	١٠٧٠	شعب بوان
١٠٣٩	من كلام الأعراب	١٠٧١	عود إلى وصف الجيش
١٠٤٠	المقامة البصرية لبديع الزمان	١٠٧٢	وصف سفينة
١٠٤٢	من رسائل بديع الزمان	—	نما قيل في وصف الأساطيل
١٠٤٣	عود إلى غرر المديح	١٠٧٥	من لطائف التودد
١٠٤٦	تكليف المجد لابن المعتر	١٠٧٦	لأهل العصر في الإهداء في المهرجان
—	احتمال الغضب	—	وفي النهضة بالنيروز وفصل الربيع
١٠٤٧	نبذة من لطائف ابن المعتر	١٠٧٧	الصفات التي تلزم في رجل الشرطة
١٠٤٩	كتمان الحب	١٠٧٨	من كلام الأعراب
١٠٥٢	معالي الأخلاق	١٠٧٩	مع الولاة والخلفاء
—	رياضة النفس على الفراق	—	شذرات في مساوىء الأخلاق
١٠٥٤	من كلام أهل العصر في مكارم الأخلاق	١٠٨٠	من المفاخرات
١٠٥٦	من رسائل العتابي وأديه	١٠٨١	من وصايا الحكماء
١٠٥٩	خصومة قرشية	١٠٨٢	من المديح
١٠٦٠	دعاء	١٠٨٤	الاستطراد ، وأمثلة منه
—	عزل وال	١٠٨٦	سبق المتقدمين إلى الاستطراد
١٠٦١	حرمة الكعبة	١٠٨٨	شاعر باهلي في حضرة الرشيد
—	من حكم الفريس	١٠٨٩	كاتب الحجاج عند سليمان بن عبد المطلب
١٠٦٢	من حكم الهند	١٠٩٠	من أدب إبراهيم بن العباس الموصلی
١٠٦٣	أوصية عتبة بن أبي سفيان لبعض ولاته	١٠٩٢	رثاء مصلوب
—	يزيد بن معاوية		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٩٣	كلام لا يحتمل الجواب، تعجيل الإحسان	١١٢٧	في التهنة بذكر الخلع والأجبية
١٠٩٤	فضل الإيجاز	١١٢٨	في التهنة بالقدوم من سفر
١٠٩٥	أبو مسلم الخراساني	١١٢٩	من أحسن الشعر
١٠٩٦	حساب، من كلام الأخنف بن قيس	—	ما قيل من الشعر على قبر عمرو بن حمزة الدوسي
١٠٩٧	مما كتبه ابن الزيات	١١٣١	بلاغة الأعراب
—	لأهل العصر في التهنة بالحج	١١٣٢	ذل السؤال ، المقامة الأهوازية (الكفوفية)
١٠٩٨	من شعر قطري بن الفجاءة	١١٣٤	من شعر كشاجم
١٠٩٩	من جيد المديح	١١٣٥	الرجوع للرئيس بعد تجربة غيره
١١٠٠	بين سعيد بن عبد الملك وسعيد بن حميد	١١٣٧	من اسمه على من الخلفاء
١١٠١	منزلة سعيد بن حميد الأدبية	١١٣٨	في بيعة يزيد بن معاوية
١١٠٢	نماذج من السرقات الشعرية	١١٣٩	في الإقدام حياة
١١٠٦	الاقتياس من القرآن الكريم	—	من أخبار أبي دلف وشعره
—	أمثال للعرب والعجم وما يقابلها من القرآن الكريم	١١٤١	من رسائل الليكالي
١١٠٨	جملة من مكاتبات بعض أهل العصر	١١٤٢	للخريعي يعاتب الوليد بن أبان
١١١١	المقامة القزوينية لبديع الزمان	١١٤٣	من ترجمة أبي يعقوب الخريعي
١١١٣	عاقبة السؤال بلفظ حسن	١١٤٥	قعر وفصول في معان شتى
١١١٤	أربعة أبيات ، أبو الأسود وامراته	١١٤٧	دعاء ، من رسائل البلغاء
١١١٥	عظات ووصايا	١١٤٩	رثاء يزيد بن مزيد الشيباني
١١١٦	وصف هشام بن عبد الملك بصفته	١١٥٠	من رسائل بديع الزمان
—	حاتم الطائي يتحمل ديات، وصف ثقيل	١١٥٤	المقامة السجستانية للبديع
١١١٧	طيلسان ابن حرب	١١٥٧	اجارية ذات أدب وجمال تبدأ ببناء الخلفاء
١١١٩	من رسائل ابن العميد	١١٥٩	نهشل بن حري، ومختار من شعره
١١٢١	لأبي الطيب في ابني عضد الدولة	١١٦٠	أثر الشعر
—	للاسكافي في استبطاء وتهنة	١١٦١	أنصف بيت ، وأصدق بيت
١١٢٢	لأهل العصر في ضروب للتهاني	١١٦٢	ألفاظ لأهل العصر في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
١١٢٤	في ذكر المولود العلوي	١١٦٣	خاتمة مؤلف الكتاب
١١٢٥	في التهنة بالإملاك والنفاس		
—	في التهنة بالولاية والأعمال		